

عودَة إلى الكتابِ والسُّنة بفهم سَلَف الأمة

رسالـةٌ إسلاميَّـةٌ مَنهَجيَّـةٌ جامِعَـةٌ

العـــددُ الأوَّلُ

١٥ ربيـــع الثاني ١٤١٣ هـ

رئيس التَّحرير

محمد موسى نصر

جمعية النور والإيمان الخيرية الإسلامية

علم وخبر ١٣٠/أد

ص.ب: ١٣/٦٠٠٦ شوران

بيروت – لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للَّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بِهِ والأرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

أمَّا بَعدُ :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

فاتحة القول

بدايةُ خيرٍ

التحرير

تَكميلاً لمَسيرةِ السجلَّات العلميَّةِ العاليةِ التي اختطَّت لنفسها طريقاً واضحاً بيِّناً هو نَهجُ العِلمِ وسبيلُ **السَّلَفِ** – كمثلِ « المنار »، و « الفتح »، و « الهَدي النَّبوي »، و « الجامعة الإسلاميَّة »، و « التَّوحيد »، و « الجامعة السَّلفيَّة »، و « المُجاهد » .. وغيرها مِن مثيلاتها – تَصدُرُ رسالةُ (**الأصالة**) بما حَمَلتهُ مِن نَصيبِ اسمِها، وجَزالَةِ مَباحثِها، وتَنوُّعِ أبوابِها .

تَصدُرُ لِتُحافِظَ على **نَهجِ السَّلَفِ** وَضَّاءً نَقيّاً؛ لا عَبَثَ فيهِ، ولا لَبْسَ يَعتَريهِ .

تَصدُرُ إحقاقاً للحَقِّ ونَشراً للسُّنَّةِ؛ واستمراراً لِعُلُوِّ الطَّائفَةِ المَنصورَةِ .

تَصدُرُ لِتُحيِيَ في الأُمَّةِ دَوْرَ **العُلماءِ وطُلَّابِ العِلمِ**، بَعدَ أن رَكِبَ (المَوجَةَ) مَن هُم دونَ ذلكَ !

تَصدُرُ لِترفَعَ لَبِناتِ إصلاحٍ في صَرْحِ الأُمَّةِ الشامخِ .

تَصدُرُ لِتُنشِئَ جيلاً كجيلِ الطِّرازِ القُرآنيِّ الأوَّلِ .

تَصدُرُ لِتكونَ وَصْلَةَ حَقٍّ بينَ دُعاةِ السُّنَّةِ وأهلِها؛ لِتتقوَّى أواصِرُ أُخوَّتِهِم، وتتوثَّقَ عُرى دَعوتِهِم .

تَصدُرُ حَبْلَ ولاءٍ بينَ المُؤمنين .
تَصدُرُ رَدْعاً للباطلِ، ونَقضاً للبِدعَةِ .
تَصدُرُ لِتَهدِمَ أركاناً مِن هيكلِ الباطلِ الزَّاهق .
تَصدُرُ سَيْفَ براءٍ على الكافرين والمُبطلين .

فرسالةُ (**الأصالة**) لا يَستَولي عليها رَسْمٌ، ولا يملكها قَيْدٌ، ولا تُحجِّمُها إشارَةٌ، تَدينُ بالحقِّ حيثُ اتَّجَهَت ركائبُه، وتَدورُ معهُ حيثُ استقلَّت مَضارِبُه، يأنسُ بها كُلُّ مُحقٍّ، ويَستوحشُ منها كُلُّ مُبطِل .

فَـ (**الأصالة**) : **تعلو فوقَ كُلِّ حزبيَّة**، وتترفَّع على كلِّ عصبيَّة، ولا ارتباطَ لها بغير دلائل الهُدى، وأنوار اليقين، بصفاءِ الوَلاء بين المؤمنين .
فهي علميَّةٌ منهجيَّةٌ .. (**لا شرقيَّة ولا غربيَّة**) .

وهي كالغَيثِ حَيثُ وَقَعَ نَفَع، وكالنَّخلَةِ لا يَسقُطُ وَرَقُها، وكُلُّها مَنفَعَةٌ حتّى شَوكُها، وهوَ مَوضعُ الغِلظَةِ منها على المُخالفينَ لأحكام الشرع، ومَحلُّ الغَضبِ فيها إذا انتُهِكَت مَحارِمُ الله، فهيَ للَّهِ، وباللَّهِ، ومعَ اللَّه .

... فكلُّنا باللَّهِ أَمَلٌ أن يُسدِّدَ الدَّربَ، ويُثبِّتَ الأقدامَ، ويَربِطَ على القلوبِ، ويتقبَّلَ الأعمال، ويُذهِبَ رِجسَ الشيطان .

إنَّهُ سميعٌ مُجيبٌ، وهو - سُبحانَهُ - المُستعان، وعَليهِ التُّكلان .

* * * * *

تأملات قرآنية

﴿ وَمَن يُشرِك بالله فكأنما خَرَّ مِنَ السَّماء ... ﴾

محمد موسى نصر

لم يُعصَ اللَّه بذنب أعظم وأقبح من الإشراك به، ولذا أطبقت رسالاتُ الأنبياء على التحذير منه والتنفير عنه وبيان سوء عاقبته وأنَّه يُوجب خلود صاحبه في النَّار .

والشركُ: أن تجعل للَّه ندّاً ونظيراً ومثيلاً في الخلق أو الصِّفة، أو العبادة .

والشرك نوعان :

أكبر : كدعاء الأموات وهو مخرجٌ من المِلَّة .

وأصغر : كالرياء، وطلب السُّمعة والمحمدة، ونحو ذلك .

وبينهما مراتبُ ودَرَكاتٌ؛ كمثلِ شرك الطواغيت الأرضيِّين الذين استبدلوا شريعة اللَّه بقوانينَ وضعيَّةٍ مستوردةٍ .

والشرك الأكبر إذا مات صاحبه عليه خسر الدُّنيا والآخرة وحَبِطَ عَملُه ولم تنفعه قُربة ولا طاعة .

والقرآن الكريم لا يكاد يخلو من آية أو سورة لم تحذر من الشرك؛ والآيات التي تحذر من الشرك بأنواعه كثيرةٌ جدّاً .

منها قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أن يُشرَكَ بِهِ ويَغفِرُ ما دونَ ذلكَ لِمَن يشاء ﴾ [النساء: ٤٨] .

ومنها قوله : ﴿ إنَّهُ مَن يُشرِك باللَّهِ فَقَد حرَّمَ اللَّهُ عليهِ الجنَّة ومأواه النَّار وما للظَّالمين من أنصار ﴾ [المائدة: ٧٢] .

ومنها قوله : ﴿ وَلو أشرَكوا لَحَبِطَ عنهم ما كانوا يعمَلون ﴾ [الأنعام : ٨٨] .

ومنها قوله : ﴿ وَلَقَد أُوحيَ إليكَ وإلى الَّذينَ مِن قَبلِكَ لَئِن أشرَكتَ لَيَحبطَنَّ عَملُكَ ولَتكونَنَّ مِنَ الخاسرين بَل اللَّه فاعبُد وَكُن مِن الشاكرين ﴾ [الزمر : ٦٥] .

وكان من دعاءِ إبراهيم ربّه : ﴿ واجنُبني وبَنيَّ أن نَعبُدَ الأصنام ﴾ [إبراهيم : ٣٥] .

ولقمان في وصاياه لابنه يحذره في وصيته الأولى من الشرك كما حكى اللَّه عنه : ﴿ يا بُنيَّ لا تُشرِك باللَّهِ إنَّ الشركَ لَظُلمٌ عَظيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

وفي السُّنَّة الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ من التحذير عن الشرك والتشديد فيه ما لا يُحصى، وغالب الأحاديث التي يذكر فيها ﷺ الكبائر يبدأها بالشرك كحديث : « اجتَنبوا السَّبع الموبقات .. الشرك باللَّه والسِّحر .. »[1] .

ولَمَّا سُئلَ ﷺ : أيُّ الذنب أعظم عند اللَّه قال : « أن تجعَل للَّهِ نِدَّاً وَقَد خَلَقَك »[2] .

وقَد بلغَ من تحذيره ﷺ من الشرك والزجر عنهُ أنْ قال وهو في النزع يجود بأنفاسه العطرة الشريفة : « لعنةُ اللَّهِ على اليهودِ والنَّصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد »[3]، يُحذِّر ما صَنَعوا ولولا ذلك أُبرزَ قبره غير أنَّه خشيَ أن يتَّخذَ مسجداً، وابتهل إلى ربِّهِ وهو في آخر رمقٍ من حياته ألاّ تفتَتن الأُمَّة بقبره فيعبدوه من دون اللَّه شأن عُبَّاد القبورِ في كل زمان فقال : « اللهمَّ لا

(١) متفقٌ عليه .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

تجعَل قبري وثناً يُعبد، اشتدَّ غضبُ اللَّه على قومٍ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد »[1] .

فالغُلوُّ في قبورِ الأنبياء والصَّالحين يُصَيِّرُها أوثاناً تُعبدُ من دون اللَّه ولو بعدَ حين، فالذين عبَدوا اللات عكفوا على قبره بعد موته، فقد كان يَلِتُّ لهم السويق على صخرة ويُطعمهم ففتنوا به بعد موته؛ فالغلوُّ في الصالحين كان أوَّل سبب من أسباب الشرك، فقد ظلَّ النَّاس بعد آدم ألف سنة وهم يعبدون اللَّه وحده لا شريك له حتى كان لآدم خمسة أحفاد : ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونَسْر، فلما ماتوا جعلوا لهم أنصاباً فلما نُسيَ العلم عبدوا من دون اللَّه فأرسل اللَّه نبيَّه ورسوله نوحاً عليه السلام .

من أجل ذلك نهى النَّبيُّ ﷺ عن الغلو في المدح؛ وهو الإطراء، لأنَّه نوعٌ من العبادة لغير اللَّه فقال ﷺ : « لا تُطْرُوني كما أطرَت النَّصارى عيسى ابن مريم، أنَّما أنا عبد، فقولوا: عبداللَّه ورسوله »[2] .

وقد يظنُّ بعض الجهلة وبعض المحسوبين على العلم أن الشرك : أن تسجد لغير اللَّه، أما دعاء الأموات والنذر لهم والاستغاثة بهم والعكوف على القبور وسؤال أصحابها كشفَ الكربات لا يُدخل صاحبَه في زمرة المشركين !!

وهذا جهلٌ فاضحٌ بالتَّوحيدِ الذي بعثَ اللَّه به رسله، فالأنبياء كلهم قالوا كلمة رجل واحد : ﴿ يا قَومِ اعبُدوا اللَّه ما لكُم مِن إلهٍ غيره ﴾ [الأعراف: في مواضع شتى] وقال اللَّه عنهم : ﴿ وما أرسلنا من قَبلِكَ مِن رَسولٍ إلاَّ نوحي إليهِ أنَّهُ لا إلهَ إلاَّ أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

والعبادة كما عرَّفها العلماء : هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبُّ اللَّه ويرضى من

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

الأقوال والأفعال الظَّاهرة والباطنة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في رسالته القيِّمة « الواسطة بين الحقِّ والخلق »(ص:٥٧–٥٨) في ردِّه على سؤال عن الواسطة الشرعيَّة والشركيَّة :

« ... وإن أرادَ بالواسطة أنَّهُ لا بدَّ من واسطة يتخذها العبادُ بينهم وبين اللَّه في جلب المنافع ودفع المضارّ، مثل أن يكونوا واسطةً في رزق العباد ونصرهم وهُداهم يسألونهم ذلك ويرجعون إليهم فيه؛ فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر اللَّه به المشركين حيث اتخذوا من دون اللَّه أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويَدفعون بهم المضار » .

إلى أن قال: « فمن أثبتَ وسائط بين اللَّه وبين خلقه كالحُجَّاب الذين يكونون بين الملك والرَّعيَّة بحيث يتوسطهم بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون اللَّه كما أن الوسائط عند الملوك يسألون حوائج النَّاس لقربهم منهم، والنَّاس يسألونهم أدباً منهم لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبت وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يُستتاب فإن تاب وإلاّ قُتل، وهؤلاء مُشبِّهون شبَّهوا الخالق بالمخلوقين وجعلوا للَّه أنداداً » ا.هـ .

فالشرك أنواعُه كثيرةٌ، وأكثرُها شركُ العبادة الذي ابْتُليت به أكثر الأمم والشعوب وهو يندرج تحت ثلاثة أنواع عامَّة :

شرك الرُّبوبيَّة وشرك الألوهيَّة (العبادة) وشرك الأسماء والصِّفات، وسيأتي الحديث عن هذه الأنواع مفصَّلاً إن شاء اللَّه تعالى .

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه .

اللهمَّ اجعل أعمالنا صالحة ولوجهك خالصة ولا تجعَل لأحد فيها شيئاً .

﴿ سُبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمَّا يَصِفون وسلامٌ على المُرسلين والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين ﴾ [الصافات: ١٨٠] .

أساسُ الأعمال

علي بن حسن

قال ربُّنا تبارك وتعالى عن نبيِّه ﷺ : ﴿ وإنْ تُطيعوهُ تهتَدوا ﴾ [النور : ٥٤] .

وقال سبحانه عنه : ﴿ وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى إن هُوَ إلاّ وَحيٌ يوحىٰ ﴾ [النجم : ٣-٤] .

وقال ﷺ : « ألا إنِّي أُوتيتُ القُرآنَ ومثلَهُ مَعَهُ »[1] .

وليس بخافٍ على أحدٍ من المُسلمين أنَّ هدي النَّبيِّ ﷺ شاملٌ لحياةِ النَّاسِ بفروعها كافَّة ، دينيَّة ودنيويَّة ، ففي اتِّباعهِ الفلاحُ والسُّؤدُد ، وفي الاقتداء به النَّصرُ والتَّمكُّن ، وفي مخالفته الهزيمة والخسار ، وفي تنكُّب شريعته الذُّلُّ والدَّمار .

ومن أعظم ما قالهُ نبيُّنا ﷺ الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عمر ابن الخطَّاب رضي اللَّه عنه : « إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات . وإنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى اللَّه ورسوله فهجرتُه إلى اللَّهِ ورسوله ، ومَن كانَت هجرتُه إلى دُنيا يُصيبها أو امرأةٍ ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجرَ إليه » .

فعُمدَةُ العَمَلِ الإخلاصُ ؛ وَبالإخلاصِ تَستقيم القلوب ، وتَستقرُّ

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٤) ، وأحمد (١٣١/٤) ، والآجرِّي (ص : ٥١) ، والدارمي (١٤٤/١) عن المقدام بن مَعْدي كَرِب بسند صحيح .

الأفئدة، وبه يعرفُ المرءُ طريقَ دينهِ صحيحاً، فيأتي البُيوتَ مِن أبوابِها .

وبالإخلاصِ الصَّادقِ - مع الاتِّباع الصحيح - يَعرِفُ المسلمُ ما عليهِ من واجبات، وما يتعيَّنُ عليهِ من حقوقٍ، وبه يَرُدُّ الأمورَ إلى نِصابها، ويُؤدِّيها ما تستحقُّ دونَما إفراطٍ ولا تَفريطٍ .

وهذا الحديثُ هو أحدُ الأحاديث التي عليها تقومُ أُصولُ فهمِ دينِنا الحنيف، إذ النِّيَّةُ أساسُ الأعمالِ، ونقطة البِداية الصَّحيحة، وأصلُ التَّوجُّه الصَّادق .

ولقد قال الإمامُ أبو عُبَيد رحمه اللَّه تعالى : « ليسَ في أخبارِ النَّبيِّ ﷺ أجمعُ وأغنى وأكثرُ فائدَةً من هذا الحديث » .

وقال الإمامُ عبدالرَّحمن بن مَهدي رحمه اللَّه تعالى : « مَن أرادَ أن يُصنِّفَ كتاباً فليبدأْ بهذا الحديث » .

فالواجب على كلِّ مسلم أن يُحسِّنَ نيَّتَهُ، حتى يَرى الأمورَ كلَّها على حقيقتها دون أيِّ زُيوفٍ أو بهارجَ، فإذا اطمأنَّ قلبهُ بذلك صار مُسلماً حقّاً، يُوافِقُ قلبُه قالبَه، وظاهرُه باطنَه، وهذا من أعظمِ مقاصدِ هذا الدِّين، ومن أهمِّ ما بَعثَ اللَّهُ به النَّبيِّين والمُرسلين .

واللَّهُ وليُّ المؤمنين .

* * * * *

مراحل تدوين العقيدة

سليم الهلالي

○ منذ أن بعث اللهُ جلَّ جلاله رسولَه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق بني عماد مسائل الإيمان والتَّوحيد قائماً على الآيات القرآنيَّة والسُّنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة، وكان ذلك منهج الإسلام في غرس جذر الإيمان في القلوب حيث يعرضه عليها عرضاً كلُّه سهولة ويُسر، فيلفتُ النَّظر إلى ملكوت السَّماوات والأرض، ويوقظ عقولهم في التَّفكُّر في آيات الله، وينبِّه فطرتهم إلى ما نقش فيها من تديُّن وإحساس بعالم الغيب .

وعلى هذا المسار مضى رسول الله ﷺ متعهِّداً صحبَهُ بالتَّربية حتى أخرجَ الزَّرع شطأَهُ فآزرَهُ فاستغلظَ فاستوى على سوقه، واستطاعَ رسولُ الله ﷺ أن يُخرجَ النَّاس من الظُّلمات إلى النُّورِ بإذن الله ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد .

ففي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيتُ أحدهما، وأنا أنتظرُ الآخر : حدَّثنا أنَّ الأمانة نزلت في جَذْرِ قلوبِ الرِّجال، ثمَّ علموا من القرآن، ثمَّ علموا من السُّنَّة ... »[1].

○ كان القرآنُ والسُّنَّة الصَّحيحة هما المورد الزُّلال الذي تَضلَّعَ من سلسبيلِهِ جيلُ القُدوة الأوَّل : محمد والذين معه، فتفقَّهوا عليه، وتخرَّجوا به . ولم يكن ذلك لخلو جَعبةِ البشريَّة - يومئذ - فكريَّاً وحضاريَّاً ... فهناكَ

(١) متفق عليه .

فلسفة الإغريق، وقوانين الرُّومان، وفنون الفرس، وأساطير الهنود، وبقايا أهل الكتاب.

عن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه أتى النَّبيَّ ﷺ بكتاب أصابهُ من بعضِ الكتب، قال: فغضبَ، وقال: «أمتهوكون فيها يا ابنَ الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة»[1].

○ ثمَّ كان الاتِّصالُ بمذاهب الأقدمين، وأساطير السَّابقين، واهتمام العقلِ فيما ليس له فيه مجال، سبباً في العنود عن منهج القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهَّرة، كما كان سبباً في تحويل الإيمان من يُسره وسُموِّه إلى قضايا فلسفيَّة، وأقيسة عقليَّة، ومناقشات كلاميَّة، فلم يَعُد الإيمان هو الإيمان الذي تزكو به النُّفوس، ويَصفو به العمل، وتنهضُ به الأمَّة، ويحيى به المجتمع، فانقسمت الأمَّة شيعاً وأحزاباً، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرِحون.

○ وسمُّوا علم التَّوحيد ومسائل الإيمان بِـ «علم الكلام» ظلماً وزوراً، لأنَّ «علم الكلام» إنَّما هو محض عقول لم تُقَوَّم بمنهج الرَّسول، وإنَّما قوِّمت: برأي جهم بن صفوان، وطريقة بشر بن غياث، المستمدَّة من طريقة أهل الكتاب، ومن رأي عباد الكواكب، الذي فتنوا به المؤمنين والمؤمنات عن مراد الله ورسوله.

○ وخلفت خُلوفٌ: فترت هممُهم، وضعفت عزائمهُم، فلا يفكِّرون إلاّ بعقول غيرهم، فعكفوا على ما ألقاه إليهم علماء الكلام وأهل الرَّأي في العقيدة المبنيَّة على الفلسفة الإغريقيَّة والمنطق اليوناني، وجمدوا على ما فيها، وهو على هذا المعنى يُدرَّس اليوم في مدارس المسلمين ومعاهدهم وجامعاتهم.

(١) حسن بشواهده، كما بينه شيخنا في «ظلال الجنة في تخريج السنَّة» (٥٠).

○ ثمَّ شاءَ الله أن ينهض من بين هذا الزِّحام أفراد من العلماء الأعلام : ينفونَ عن عقيدة الإسلام تحريفَ الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فكانوا أشدَّ النَّاس تنفيراً من الكلام وأهله، ولخَّص موقفَهم في ذلك الإمام الشافعي – رحمه الله – فقال :

« لأن يُبتلى العبدُ بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك، خَيرٌ له من الكلام، ولقد اطّلعت من أصحاب الكلام على شيءٍ ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك »[1].

واتَّفقَ السلف الصالح على ذلك، فقال البغوي – رحمه الله – :

« واتّفق علماء السَّلف من أهلِ السُّنَّة على النَّهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزَّجر عن الخوض في علم الكلام وتعلّمه »[2].

○ وصنَّف أئمَّة السَّلف في مسائل العقيدة، تصانيف متعدِّدة مفيدة، على منهج الكتاب والسُّنَّة في التَّلقي والاستدلال فسمُّوها بـ « الإيمان » و « التَّوحيد » أو « السُّنَّة » أو « الشريعة » مثل « كتاب الإيمان » لابن أبي شيبة، و « الإيمان » لشيخ الإسلام ابن تيميّة، وكتاب « الإيمان » لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب « الإيمان » لابن منده، و « السُّنَّة » لعبدالله بن أحمد، و « التَّوحيد » لابن خزيمة، و « التَّوحيد » لابن منده، و « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة » للآلكائي، و « الإبانة » لابن بطَّة، و « الشريعة » للآجُرِّي – وغيرهم – رحمهم الله جميعاً .

○ وبرهن هؤلاء الأئمَّة أن الخير كلَّه في الاتِّباع، والشر كله في الابتداع،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي »(ص:١٨٢) بإسناد صحيح .

(٢) « شرح السُّنَّة »(٢١٦/١) .

فكان الفهم العميق للإسلام رائدَهم، واتِّباع سبيل المؤمنين منهجَهم، فكان عملهم سياجاً حمى العقيدة من شرٍّ أُريد بها .

○ ثمَّ جاءَ قوم زَعموا أن في أُسلوب كتب العقيدة جفافاً؛ لأنَّه نصوص وأحكام (!)، ولهذا أعرضَ معظم الشباب عنها، وزهدوا بها !

سبحان ربِّي ! آلنُّصوص فيها جفاف ؟! ... نعم هي كذلك عند القوم الذين لم يفهموا العقيدة إلا تقريع الحكام وتكفير العوام، أمَّا الذي عاش مع الكتاب والسُّنَّة، ونهجَ سبيلَ السَّلفِ الصَّالح، فإنَّهُ يعلم أن الالتزام بمثل هذه الكتب هو استمرار لذلك المنهج السُّنِّي النَّقي الذي به إدراكُ مقاصد الشرع ومَعرِفَةُ مدارك الأحكام .

إنَّ فهم هذه المراحل التي مرّت على العقيدة يعين دعاة الإسلام الذين نهجوا سبيلَ السَّلفِ في تحديدِ أسلوب تربية الأمَّة الإسلاميَّة على العقيدة الإيمانيَّة حيثُ يتمُّ تربيةُ الأمَّة على كتاب ربِّها وسنَّة نبيِّها ﷺ ضاربين بعلم الكلام - قديمِهِ وحديثِهِ ! - عُرض الحائط، ثمَّ يتعلَّمون نقض الشبهات وتفنيد عقائد الكفر والإلحاد .

أمَّا أن نُعَلِّم النَّاشئة نقضَ الاشتراكيَّة الماركسيَّة، وتفنيد المزاعم الدَّارونيَّة، وتهافت العلمانيَّة دون أن يكون عندهم رسوخٌ في عقيدة الإسلام الصَّافية وأدلَّتها، ومن غير أن يكونَ لَديهم تصوُّرٌ بيِّنٌ لمنهج السنَّة النبويّة في حقيقة الدّعوة إلى اللّه: فهذا مزلقٌ خطيرٌ، ولا يُنَبِّئُكَ مثلُ خبير .

* * * * *

من الأحاديث المشتهرة

علي بن حسن

من الأحاديث المشتهرة التي يكثُرُ إيرادُها في المواعظِ والخُطبِ، وفي المجالسِ والكتابات حديثُ : « ألا إنَّ رَحى الإسلامِ دائرةٌ؛ فَدوروا معَ الكتابِ حيث دار، ألَا إنَّ الكتابَ والسُّلطانَ سيَفترقان؛ فلا تُفارقوا الكتاب » ؟

فما هي دَرَجَةُ صحَّتهِ وثبوتهِ ؟!

فأقولُ : هذه قطعةٌ من حديثٍ رواه الطَّبراني في « المعجم الصَّغير » (رقم:٧٤٩)، و « المعجم الكبير » (٩٠/٢٠) - وعنه أبو نُعَيم في « الحلية » (١٦٥/٥-١٦٦) -، والخطيب في « تاريخه » (٣٩٨/٣)، وأبو العلاء الهَمَذاني في « ذكر الاعتقاد » (رقم:٦) من طريق الوَضين بن عطاء، عن يزيد بن مَرْثَد، عن معاذ بن جبَل، عن النَّبيِّ ﷺ ...

فذكره مُطوَّلاً .

وقال الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » (٢٢٨/٥ و ٢٣٨) :

« ويَزيد بن مَرْثَد لم يسمع من مُعاذ، والوَضين بن عطاء وثَّقهُ ابنُ حبَّان وغيرهُ، وبقيَّةُ رجالهِ ثقات » .

قلتُ : يزيدُ بن مَرْثَد، روى عنه جماعةٌ ووثَّقهُ ابنُ حبَّان، واختارَ ابنُ حَجَر توثيقهُ .

لكنَّهُ لم يسمع مِن معاذ كما جزمَ به الحافظُ العلائيُّ في « جامع التَّحصيل » (ص:٣٠٢) وغيرهُ .

أمّا الوَضين بن عطاء، فقد اختَلَفَت فيه أقوالُ العلماء كما تراهُ في « تهذيب التّهذيب » (١١/١٢٠-١٢١) واختارَ ابنُ حَجر أنّهُ : « صَدوق سيّئُ الحفظ » .

وإسنادهُ ضعيفٌ .

ولأوّله شاهدٌ : أخرجهُ أبو داود (٢٩٥٩)، والبيهقي (٦/٣٥٩)، والبخاري في « التّاريخ الكبير » (١/٢٣٥)، والطّبراني في « الكبير » (٤٢٣٩) و (٢٢/٢٩٤) وفي سنده ضعفٌ أيضاً؛ مُطَير بن سُلَيم، مجهولُ الحال .

فالحديثُ لا يصحُّ .

ثمّ رأيتُ الحافظَ ابنَ حَجرٍ قَد أورَدَ الحديثَ في « المطالب العالية » (ق ١٨٨/أ - النسخة المخطوطة المسندة) مُخرّجاً لهُ مِن « مُسند إسحاق بن راهويه » مِن الطّريق نفسه .

وكذا هو في المطبوعة من « المطالب » (٤/٢٦٨ - المجرّدة من الأسانيد) وزاد عَزْوَه لأحمد بن منيع .

ونقل مُحقّقُهُ في الحاشية عن البوصيري قوله عن إسناد ابن منيع : « ورواته ثقات » !

قلتُ : لم أرَ إسناد ابن منيع .

ومع ذلك فقوله : « رواته ثقات » لا يُعارض الانقطاع الذي أشرتُ إليهِ آنفاً، فليست صحّةُ الحديث مقتصرةً - فقط - على ثقة رجاله كما يظنُّهُ البعض (!) ولكنَّ هُناكَ شروطاً أُخرى مثل الاتّصال وعدم الشذوذ أو العلّة ونحوها .

فالحديث ضعيفٌ .

والحمدُ لله ربِّ العالمين .

تصفية وتربية

لماذا المنهجُ السَّلفيُّ ؟

سليم الهلالي

إنَّ العاملين في حقلِ الدَّعوة الإسلاميَّة كُثُرٌ، والمنظِّرين لشباب الصَّحوَة الإسلاميَّة[1] أكثر، وكل أولئك يَجِدُّونَ وَيَكِلُّونَ وَيَكِدُّونَ لاستئناف حياة إسلاميَّة .

وفي وسط هذا البحر الزَّاخر العُباب تجدُ صُنوفاً من الشيوخ والشباب؛ فأمَّا الشيوخ فقد رضوا من الغنيمة بالإياب، وأمَّا الشباب فشدُّوا المئزر ووضعوا أرجلهم في الرِّكاب، وكلا الفريقين في حيرة واضطراب ... فكان لا بُدَّ من طرح تَصوُّر المنهج السَّلفي في استئناف حياة إسلاميَّة راشدة على منهاج النُّبوَّة :

إنَّ تَصفيَة الإسلام مما ليسَ منهُ عقيدَةً وأحكاماً وأخلاقاً ليعودَ يتلألأ صافياً نقيّاً في ثوب الرِّسالة كما أُنزلَ على محمَّد ﷺ ثمَّ تربية الأجيال المسلمة على هذا الإسلام المصفَّى تربيةً إيمانيَّةً عميقةَ التَّأثير، هو : منهج الدَّعوة السَّلفيَّة النَّاجية، والطَّائفة الأثريَّة المنصورة في التَّغيير .

أوَّلاً : لماذا المنهج السَّلفي ؟

لا بدَّ لكلِّ مسلم يرومُ النَّجاة المثلى، ويَرنو إلى الحياة الفضلى، والفوز في الأولى والأخرى من فهم كتاب اللّه وسنَّة رسول اللّه ﷺ الصَّحيحة بفهم خير النَّاس : من الصَّحابة والتَّابعين ومن اقتَدى بهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين،

(١) لنا تحفُّظ على هذا الاصطلاح الشائع، لأنَّ فيه نظراً من حيث المبنى والمعنى .

لأنَّهُ لن يُتصوَّر فكرٌ وفهمٌ ومنهجٌ أصحَّ وأقوَمَ من فهم السَّلف الصَّالح ومنهجهم، لأنَّهُ لن يصلح آخر هذه الأُمَّة إلاّ بما صلح عليهِ أوَّلها .

وإنَّ استقراء الأدلَّة كتاباً وسنَّة وإجماعاً وقياساً، لَيُستنبط منه وجوبُ فهم الكتاب والسُّنة في ضَوء منهاج السَّلف الصَّالح، لأنَّهُ الفهمُ المُجْمَعُ على صحَّته على توالي القرون، وعليه لا يجوز لأيِّ فرد مهما علا شأنُه أن يفهمَ غير الفهم السَّلفي، ومن رغبَ عنهُ إلى مبتدَعات الخلف المحفوفة بالمخاطر، وغير مأمونة الجانب – وأثرُها في تفريق المسلمين معروفٌ لا يُنكر، وفي تَشتيت شملهم معلومٌ لا يُجحد – هو إنسانٌ أسَّس بُنيانَهُ على شفا جرف هار .

ودونكَ البيان بالدَّليل والبرهان :

١ – إنَّ السَّلف الصَّالح رضيَ اللَّهُ عنهم مشهودٌ لهم بالخيريَّة نصّاً واستنباطاً :

قال اللَّه تعالى : ﴿ والسَّابقون الأوَّلون من المهاجرينَ والأنصار والَّذينَ اتَّبعوهم بإحسانٍ رضيَ اللَّهُ عنهُم ورَضُوا عنهُ وأعدَّ لهم جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وجه الدَّلالة : أنَّ ربَّ البريَّة أثنى على من اتَّبعَ خير البريَّة، فعلم أنَّ خير البريَّة إذا قالوا قولاً فاتَّبعهم متَّبعٌ فيجب أن يكون محموداً، وأن يستحقَّ الرِّضوان، ولو كان اتِّباعُهم لا يتميَّز عن غيرهم لا يستحقُّ الثَّناء والرِّضوان .

وخير البريَّة هم الصَّحابةُ ومن اتَّبعهم بإحسان بنصِّ القرآن :

﴿ إنَّ الَّذين آمَنوا وعَملوا الصَّالحات أولئكَ هم خير البريَّة ﴾ [البينة:٧] .

٢ – قال جلَّ شأنُهُ : ﴿ كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاس تأمرونَ بالمعروفِ وتَنهونَ عن المنكر وتُؤمنونَ باللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وجه الدَّلالة : لقد أثبتَ اللَّهُ لهم الأفضليَّة على سائر الأمم، وذلك يقتضي استقامتهم على كلِّ حال، لأنَّهم لن يزيغوا عن البيضاء، فقد شهد اللَّهُ لهم أنَّهم يأمرون بكل معروف، وينهون عن كلِّ منكرٍ إيماناً واحتساباً، وذلك يستلزم أن فَهمَهُم حجَّةٌ على مَن بعدَهم حتى يرثَ اللَّه الأرضَ ومَن عليها، وإلاّ لما صحَّ أمرُهم بالمعروف ونهيُهم عن المنكر، فتدبَّر .

فإن قيل : هذا عامٌّ في الأُمَّة لا يختصُّ بجيل الصَّحابة دون من بعدهم .

قلت : هم المُخاطَبون ابتداءً، ولا يدخل من تبعهم بإحسانٍ إلاّ بقياس، أو بدليل آخَر كما هو في الدَّليل الأوَّل .

وعلى تسليم العموم – وهو الصَّواب – فإنَّ الصَّحابة أوَّل داخل في شمول الخطاب، فإنَّهم أوَّل من تلقَّى عن رسولِ اللَّه ﷺ بدون واسطة، وهم المباشرون للوحي .

وهم أولى بالدُّخولِ من غيرهم إذ الأوصاف التي وصفهم اللَّه بها لم يتَّصف بها على وجه الكمال إلاّ هم فمطابقة الوَصف للاتِّصاف شاهد على أنَّهم أحقُّ من غيرهم بالمدح، ولذلك :

٣ – قال رسولُ اللَّه ﷺ : « خَيرُ النَّاسِ قَرني ثمَّ الَّذينَ يلونهم ثمَّ الَّذين يلونهم ثمَّ يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدِهم يمينَه ويمينُه شهادتُهُ »[1] .

هل الخيريَّة المثبتة لِجيلِ الصَّحابة في ألوانهم أو أجسامهم أو أموالهم أو مساكنهم أو ... ؟

لا يشكُّ ذو نُهيَةٍ عَقَلَ الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة أن شيئاً من ذلك غير مقصودٍ ألبتَّة، لقول رسولِ اللَّه ﷺ : « إنَّ اللَّهَ لا ينظُرُ إلى صُوَرِكم

(١) حديث متواتر كما نصَّ على ذلك الحافظ ابن حجر في « الإصابة »(١٢/١) ووافقه السُّيوطي والمناوي والكتاني .

وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[1].

ولأنَّ الخيريَّة في الإسلام مقياسها تقوى القلوب، والعمل الصَّالح، لقوله تعالى : ﴿ إنَّ أكرمكم عند اللَّه أتقاكم ﴾ [الحجرات:١٣].

ولقد نظر اللَّه إلى قلوب الصَّحابة رضيَ اللَّه عنهم فوجدها خير قلوب العباد بعد قلب رسولهِ ﷺ، قال عبداللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه : إنَّ اللَّه نظر إلى قلوب العباد فوجدَ قلب محمَّد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثمَّ نظرَ في قلوب العباد بعد قلب محمَّد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وُزَراء نبيِّه يقاتلون على دينه »[2].

فآتاهم فهماً وعلماً لا يدركه اللاحقون لهم، عن أبي جُحيفة قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب ! قال : إلاَّ كتاب اللَّه، أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصَّحيفة ... » الحديث[3].

وبذلك نتبيَّن أنَّ الخيريَّة الممدوحة في قول رسولِ اللَّه ﷺ، هي خيريَّة الفهم والمنهج، وبه يكون فهم الصَّحابة للكتاب والسُّنَّة حجَّة على من بعدهم إلى آخر هذه الأُمَّة .

يوضِّحهُ :

٤ - قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وكذلكَ جَعَلناكُم أمَّةً وسَطاً لتَكونوا شهَداء على النَّاسِ ويَكونَ الرَّسولُ عليكم شهيداً ﴾ [البقرة:١٤٣] .

لقد جعلهم اللَّه عزَّ وجلَّ خياراً عدولاً، فهم أفضل الأمم، وأعدلها في أقوالهم وأفعالهم وإرادتهم، ولذلك استحقُّوا أن يكونوا شهداءَ على النَّاس،

---

(١) أخرجه مسلم (١٦/١٢١- نووي) .

(٢) أثرٌ موقوفٌ، إسناده حسن، أخرجه أحمد (١/٣٧٩) وغيره .

(٣) أخرجه البخاري (١/٢٠٤- فتح) .

فلهذا نوَّه بهم، ورفع ذِكرَهم، وأثنى عليهم وتقبَّلَهم بقَبولٍ حَسنٍ .

والشاهدُ المقبولُ عند اللَّه هو الذي يشهد بعلم وصدق، فيُخبِرُ بالحق مُستنداً إلى علمه، قال تعالى : ﴿ إلاّ مَن شهِدَ بالحقِّ وهُم يَعلمون ﴾ [الزخرف:٨٦] .

فإذا كانت شهادتُهم مقبولةً عند اللَّه؛ فلا ريبَ أنَّ فهمهم للدِّين حُجَّةٌ على مَن بعدَهم، وإلاّ لم تقُم شهادتهم، والآية قد أثبتَت الدَّلالة مطلقاً .

والأُمَّة لم تُعَدِّل جيلاً مطلقاً إلاّ جيل الصَّحابة؛ فإنَّ أهل السُّنَّة والجماعة مِن أتباع السَّلف وأهل الحديث عدَّلوهم على الإطلاق والعموم، فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء، ولا محاشاة، بخلاف غيرهم فلم يُعَدِّلوا إلاّ من صحَّت إمامتُه، وثبتت عدالتُه، وهما لا يُمنَحانِ الإنسانَ إلاّ إذا سارَ على أثر الصَّحابة رضيَ اللَّهُ عنهم .

ثبت بهذا أنَّ فهمَ الصَّحابة حُجَّةٌ على غيرهم في توجيه نصوص الكتاب والسُّنَّة، ولذلك أمر اللَّه – سبحانه – باتِّباع سبيلهم .

٥ – قال تعالى : ﴿ واتَّبِع سبيلَ مَن أنابَ إليَّ ﴾ [لقمان:١٥] .

وكلٌّ من الصَّحابة رضي اللَّه عنهم منيبٌ إلى اللَّه، فهداهم اللَّه إلى الطَّيِّب من القول، والصَّالح من العمل بدليل قوله تعالى : ﴿ فيتَّبعونَ أحسنَهُ أولئكَ الَّذينَ هداهم اللَّه وأولئكَ هم أولوا الألباب ﴾ [الزمر:١٧–١٨] .

فوجب اتِّباعُ سبيلهم في الفهم لدين اللَّه كتاباً وسُنَّةً، ولذلك هدَّد اللَّه من اتَّبعَ غير سبيلِهِ بجهنَّم وبئسَ المصير .

٦ – قال اللَّه تعالى : ﴿ ومَن يُشاقِق الرَّسولَ من بعدِ ما تبيَّن لهُ الهدى ويتَّبِعْ غَيرَ سبيلِ المؤمنين نُولِّهِ ما تولَّى ونُصلهِ جهنَّم وساءَت مصيراً ﴾ [النساء:١١٥] .

ووجه الدَّلالة : أنَّ اللّه توعَّدَ اتّباعَ غير سبيلِ المؤمنين، فدلَّ على أنَّ اتّباع سبيلهم في فهم الشرع واجبٌ، ومخالفته ضلالٌ .

٧ - عن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال : صلَّينا المغرب مع رسولِ اللّه ﷺ ثمَّ قلنا : لو جلسنا حتى نُصلِّي معه العشاء، فجلسنا، فخرجَ علينا فقال : « ما زلتم هنا ؟ » .

قلنا : يا رسول اللّه صلَّينا معكَ، ثمَّ قلنا : نجلس حتى نُصلِّي معكَ العشاء، قال : « أحسنتُم أو أصبتُم » .

قال : ثمَّ رفعَ رأسهُ إلى السَّماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسهُ إلى السَّماء فقال : « النُّجوم أَمَنَةٌ للسَّماءِ، فإذا ذَهَبَت النُّجومُ أتى السَّماءَ أمرُها، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمَّتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أُمَّتي ما يوعَدون »[1] .

لقد جَعَلَ رسولُ اللّه ﷺ نسبةَ أصحابه رضي اللّهُ عنهم إلى من بعدهم في الأُمَّة الإسلاميَّة كنسبته لأصحابه، وكنسبة النُّجوم إلى السَّماء .

ومن المعلوم أنَّ هذا التَّشبيهَ النَّبويَّ يُعطي في وجوب اتّباع فهم الصَّحابة للدِّين نظيرَ رجوع الأُمَّة إلى نبيها ﷺ، فإنَّهُ ﷺ المُبيِّنُ للقرآن، وأصحابُه رضيَ اللّهُ عنهم ناقلو بيانه للأُمَّة .

وكذلك رسولُ اللّه ﷺ لا ينطقُ عن الهوى، وإنَّما يَصدرُ عنه الرَّشادُ والهدى، وأصحابه عدولٌ لا ينطقون إلاّ صدقاً، ولا يعملون إلاّ حقّاً .

وكذلك النُّجوم جعلها اللّه رجوماً للشياطين في استراق السَّمع، فقال تعالى : ﴿ إنَّا زيَّنَّا السَّماء الدُّنيا بزينةٍ الكواكب وحِفْظاً مِن كلِ شيطانٍ ماردٍ لا يَسَّمَّعونَ إلى الملأ الأعلى ويُقذَفونَ مِن كلِّ جانب دُحوراً ولهم عذابٌ واصب

---

(١) أخرجه مسلم (١٦/٨٢-نووي) .

إلَّا من خطِفَ الخطفةَ فأتبعهُ شهابٌ ثاقب ﴾ [الصافات: ٦-١٠] .

وقال سبحانه : ﴿ ولقَد زينَّا السَّماءَ الدُّنيا بمصابيحَ وجَعلناها رجوماً للشياطين ﴾ [الملك: ٥] .

وكذلك الصَّحابة رضي الله عنهم زينةُ هذه الأُمَّة فهماً وعلماً وعملاً، كانوا رَصَداً لتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين .

وكذلك فإنَّ النُّجومَ منارٌ لأهل الأرض ليهتَدوا بها في ظلمات البر والبحر، قال تعالى : ﴿ وَعلاماتٍ وبالنَّجم هُم يَهتَدون ﴾ [النحل: ١٦]، وقال جلَّ شأنه : ﴿ وهوَ الَّذي جَعَلَ لكم النُّجومَ لتَهتَدوا بها في ظُلماتِ البرِّ والبحر ﴾ [الأنعام: ٩٧] .

وكذلك الصَّحابةُ يُقتدى بهم للنَّجاة من ظلمات الشهوات والشبهات، ومن أعرض عن فهمهم فهو في غيِّه يتردَّى في ظلماتٍ بعضها فوقَ بعضٍ إذا أخرجَ يَدَهُ لم يكد يراها .

وبفهم الصَّحابة نُحصِّنُ الكتابَ والسُّنَّة من بدع شياطين الإنس والجن الذين يبتغونَ الفتنة ويبتغون تأويله؛ ليفسدوا مرادَ الله ورسوله، فكان فهمُ الصَّحابة رضي الله عنهم حِرْزاً من الشرِّ وأسبابه، ولو كان فهمُهم لا يُحْتَجُّ به لكان فَهْمُ من بعدهم أمنةً للصَّحابة وحرزاً لهم، وهذا محالٌ .

ولو رُفضَ هذا التَّخصيصُ وَرُدَّ هذا التَّقييدُ - وهو وجوبُ فهم الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة بفهم السَّلف الصَّالح - لتنكَّب المسلمُ الصِّراطَ السَّويَّ، وصار صيداً للفرق والأحزاب المنحرفة عن الصِّراط المستقيم، لأنَّ الكتاب والسُّنَّة تعرَّضا لعدَّة محاولات فهم : كالاعتزال، والإرجاء، والتجهُّم، والتشيُّع، والتصوف، والخوارج، والباطنية، وغيرها، فكان لا بدَّ من التَّمييز .

فإن قيل : ليس من شك أنَّ فهم الرَّسولِ ﷺ وفهم أصحابه من بعده

المنهج الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، لكن ما الدَّليل على
المنهج السَّلفي هو فهم الرَّسول ﷺ وأصحابه ؟

قلت : الجواب من وجهين :

أ - إنَّ المفاهيمَ المذكورةَ آنفاً متأخِّرةٌ عن عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة،
لا يُنسب السَّابقُ للاَّحق بل العكس، فتبيَّن أنَّ الطَّائفة التي لم تسلك هذا
سبل، ولم تتبع هذه الطُّرق، هي الباقيةُ على الأصل .

ب - لسنا نجدُ في فرق الأُمَّة من هم على موافقة الصَّحابة رضي الله
نهم غير أهل السُّنَّة. والجماعة من أتباع السَّلف الصَّالح وأهل الحديث، دون
سائر الفرق :

فأمَّا المعتزلة، فكيف يكونون موافقين للصَّحابة وقد طعن رؤوسُهم في جِلَّة
الصَّحابة، وأسقطوا عدالتهم، ونسبوهم إلى الضَّلال كواصل بن عطاء الذي
قال : لو شهد عليٌ وطلحة والزُّبير على باقة بَقل لم أحكم بشهادتهم[1] !

وأمَّا الشيعة، فقد زعموا أنَّ الصَّحابةَ ارتدُّوا بعد النَّبي سوى ثلاثة[2] !
وليس للكفرة بالصَّحابة أسوة ولا قدوة ولا كرامة .

وأمَّا الخوارج، فقد مرقوا من الدِّين، وشذُّوا عن جماعة المسلمين؛ فمن
ضروريَّات مذهبهم أن يكفِّروا عليّاً وابنيه وابن عبَّاس وعثمان وطلحة وعائشة
ومعاوية، ولا يكون على سمت الصَّحابة من اتَّخذهم غَرَضاً وكفَّرهم .

وأمَّا الصُّوفيَّةُ؛ فَسَخِروا من ميراث الأنبياء، وأسقطوا نَقَلَةَ الكتاب
والسُّنَّة ووصفوهم بالأموات، فقال كبيرُهم : أنتم تأخذون عِلْمَكم ميِّتاً عن
ميت، ونحن نأخذ علمنا حدَّثني قلبي عن ربِّي » ! !

---

(١) انظر « الفرق بن الفرق » (ص:١١٩-١٢٠) .

(٢) انظر « الكافي » للكليني (١١٥)، و « رجال الكَشّي » (ص:١٢، ١٣) .

وأمّا المرجئةُ، فيزعُمون أنَّ إيمان المنافقين كإيمان السَّابقين الأوَّلين .

وبالجملة؛ فهذه الفرق تُريد إبطالَ شهودنا على الكتاب والسُّنَّة وجرحَهم، فهم بالجرح أولى، وبذلك يتبيَّن أنَّ الفهم السَّلفي هو منهجُ الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة في الفهم والتَّلقِّي والاستدلال .

فمن هي الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة ؟

يتبع في العدد القادم إن شاء اللَّه ...

الخشوع في الصَّلاة

عن أبي عبدالرَّحمن الأسديِّ، قال : قلتُ لسعيد بن عبدالعزيز: ما هذا البُكاء الذي يعرضُ لك في الصَّلاة ؟

فقال : يا ابنَ أخي، وما سؤالُك عن ذلك ؟!

قلتُ : لعلَّ اللَّه أن ينفعني به .

فقال : ما قمتُ إلى صلاةٍ إلاَّ مُثِّلَت لي جهنَّم .

« سير أعلام النبلاء »

(٨/٣١)

الدّيمقراطيّة وَالتّعدّديّة الحزبيّة

محمد إبراهيم شقرة

المُتَتَبِّعُ تَاريخَ الديمقراطيّة وَمسيرَتَها منذ نَشأتها وَحتى اليَوم يَعلم أنّها تعني عند أربابها فيما تعني **المَنهج البديل عن حكم اللّه تبارك وتعالى بحكم الشّعب** !! وهي بهذا تُعلِنُ أنّها عنوانُ نشوء الصراع الفكري وَالمذهبي في الأرض التي وُلِدت وَترعرعت واستطالت سوقُها فيها .

هذا الصراعُ الجديدُ في نشأته أو القديمُ في وجوده لم يَقعْ إلاّ بوجود سببه أو أسبابه، وأعظم سببٍ فيه هو الفراغُ الفكري والروحي الذي خلّفه في أُناسٍ غيابُ الإسلام، وحكم الإسلام، ممّا نتج عنه – بَعدُ – قيام الأحزاب وتعدُّد الفرق، وَهذا التعدُّد لا يكون إلاّ بتعدُّد المناهج الفكرية، وتعدُّد هذه المناهج لا يكون إلاّ في غياب المنهج الواحد المتّفَق على صلاحه أو الّذي استبان صلاحُه وعُرف ذلك عنه في قديمٍ أو حديثٍ، ولا أحسب أحداً في الأمّة العربيّة – اليومَ وأمسِ – وَفي غدِ القريبِ وَالبعيد – بقادر على أن يُنكر أن الملّة الواحدة – التي اصطُفِيَ لحملها أشرفُ الخلق وهي ملّة الإسلام – التي أجمعتْ عليها الأمّةُ العربيّة كلها بعد تفرُّق وشتات؛ لما في طبيعتها (أي الملّة) من معنى الوحدة والتوحيد، منها قولُه سبحانه ﴿ إِنَّ هذهِ أُمّتُكُم أُمّةً وَاحدَةً وَأنَا رَبُّكُم فَاعبُدُون ﴾ [الأنبياء: ٩٢] .

وَالأمّةُ في هذه الآية لا تعني الجماعةَ – كما يتوهّم الكثيرون – بل تعني الملّة

(أي الدين والنِّحلة) التي جاء التصريحُ بها – أي بالمِلَّة – في آيات أُخرى كثيرة من الكتاب العزيز مثلُ قوله سبحانه ﴿ **قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم** ﴾ [الأعراف:٨٩] وقوله : ﴿ **إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ** ﴾ [الكهف:٢٠] .

وجاء ذكر الأُمَّة بمعنى المِلَّة في موضعين اثنين من القرآن : الأوَّل : في سورة الأنبياء، وَالثاني : في سورة المؤمنون، خُتمت الأولى بقوله : ﴿ **فَاعْبُدُون** ﴾، وخُتمت الثانية بقوله : ﴿ **فَاتَّقُون** ﴾ .

وقد اصطلت الأُمَّةُ قديماً وحديثاً بنار الفُرقة والتنازع، وأضلَّها عن سبيل الهدى واتِّباعُها سبيلاً غيره، وأنهكها طولُ الاحتراب والاقتتالِ حتى صارت أُمَماً لا أمَّةً، وأحزاباً لا حزباً، وَشيَعاً لا شيعةً، وصار كلُّ حزب بما لديهم فرحين، وأمست كلُّ أمة ترى في الأخرى عدواً لها، وأضحت كلُّ شيعة تودُّ لو أنَّ بينها وبين غيرها أمداً بعيداً !

وهذا كلُّه نشأ من تعدُّد المناهج الفكريَّة وكثرة الطرق العقديَّة وإعجاب كل ذي رأي منها برأيه وإعراضها جميعاً عن المنهج الحقّ الإلهي الذي ترسَّمه الأنبياء، وسار عليه الصُدَّقُ من الأتباع، وجاهد فيه حقّ الجهاد الخُلَّص من الهداة، فلا أدري واللَّهِ أيُّهما الأحقُّ والأَوْلى بالنَّظر والأخذ: المنهجُ الإلهي الذي ترسَّمه الأنبياء فكانوا به جميعاً على ملة واحدة هي ملّة التوحيد ﴿ **وإن هذه أُمّتكم أُمَّة واحدة** ﴾ أم المناهجُ البشريَّةُ التي صاغَتها عقولٌ قاصرةٌ لا ترى أبعد ممَّا قدر اللَّه لها أن ترى فتصيب وتخطئ أو تُخطئ أكثر ممَّا تصيب !؟

إنَّ المنهج الإلهي الواحد لا يكون إلاَّ حزباً واحداً هو الذي وصفه اللَّهُ ونسبه إليه بقوله : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أمَّا المناهجُ البشريَّة المتعددةُ الكثيرةُ فيكون بها أحزابٌ متعددةٌ كثيرةٌ وهي التي وصفها اللَّهُ ونسبها إلى من كان سبباً في شقاء البشريَّة وما زال بقوله : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ

الشيطانِ إلا إنَّ حزبَ الشيطانِ هُم الخاسرون ﴾ .

وقد جمع اللّه بينهما جميعاً في آية واحدة، آمراً باتّباع السبيل الأقوم وناهياً عن السبل المتفرقة ﴿ وَأنَّ هذا صراطِي مُستقيماً فاتّبِعُوهُ وَلا تَتّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ﴾ ، فإذا ما ذَكَرنا الوبال الجمَّ والشرَّ الوبيل والدَّمَارَ العقلي والنَّفسي والروحي، هذه وغيرها كثيرٌ من الشرور التي أدركت الأمَّةَ وأقعدتها عن الأمر الجليل الذي نَدَبها اللّهُ إليه وجعلها به خيرَ أُمّة أُخرجَت للنّاس عرفنا تأويل هذه الآية معرفةً واقعيَّةً نُنجي أنفسنا بها لو أردنا الخير لها، ولكن أنّى وقد استبدّت بنا الأهواء وأُجلبت علينا ضغائنُ الخُيَلاء واستشرفتنا إحَنُ الأدواء (؟!!) .

ونحن – بالرّغم من هذا البيانِ الواضح والمنع الصريح – لا نُلزم من يرى في نشوء الأحزاب وتعدُّدها باجتهادِه خيراً له وللأمّة بما نراه نحن أنّه شرٌّ له وللأُمّة ولنا بالقَسْر والاستعلاء، فهذا ليس من الأدَب الذي أدَّبَنا اللّهُ به في كتابه، ولا من الأدب الذي عَرَفناه في شخص نبيِّنا عليه السلام وسيرته المباركة العطرة .

ثمّ إنَّ كل فرد في الأمة – وبخاصةٍ إن كان ممّن ابتلي بمسؤوليّة الفكر والقلم – أن يقول في النّاس ما يراه صواباً إن كان الميزانُ الذي يقيس به ميزاناً دقيقاً، وليس من ميزانٍ في دنيا البشر جميعِهم أدقّ وأصوبَ من ميزان العقيدة السّليمة التي ارتضاها ربُّنا سبحانه والمعبِّر عنها لفظاً بـ (لا إله إلاّ اللّه)، وهي تُعبّر عن الوحدانيّة للّه سبحانه، وبما أنَّ اللّه واحدٌ في ذاته، فقد اقتضت حكمتُه أن يكون المنهجُ الذي يلتقي عليه البشرُ واحداً، ليكون التّوافقُ مُحكماً بين المشرّع الواحد والمنهج الواحد (الشّريعة)، فيكون البشر كلُّهم على منهج واحد – حيث أراد اللّهُ منهم ذلك – إلاّ أن يكون منهم من لا يريد ذلك، وقد قضت إرادةُ اللّه سبحانه أيضاً بذلك : ﴿ وَلَو شاءَ اللّهُ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالونَ مُختَلِفِينَ إلاّ مَن رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ .

وَمَا دام أنَّ اللّهَ أرادَ أن يكون اختلافٌ بين النّاس – وهو اختلافٌ في أُصول

العقيدة – لكنّه سبحانه لا يُحبُّه، ولم يَرضَهُ؛ فلا ينبغي أن تُتجاوز حدودُ هذا الاختلاف، وحدودُه هي الأصولُ التي كان عليها ومنها الاختلاف، فإن تجاوَزناها فقد اعتدينا على اللّه بمراده هذا .

ومردُّ هذا الاختلاف الذي أرادهُ اللّهُ – إرادةً كونيّةً لا شرعيَّةً – إلى ثلاثةٍ: (الإسلام)، (اليهوديَّة)، (النَّصرانيَّة) ورابعٌ تابعٌ لليهوديَّة والنَّصرانيَّة (وهي المجوسيَّة) في بعض أُمورها وَوَسائلها .

فهذه الأصول هي وحدها التي تصلح لنشوء نظريَّة (التَّعدُّديَّة) – بصورتها التي حدَّدها الإسلام – التي صار لها نُظَّار وأنصار – من غير نظر أو رجوعٍ إلى هذه الأصول – فوسَّعوا دائرتها حتى أدخلوا فيها كُلَّ المناهج البشريَّة التي أَثقلت وآدت كاهلَ البشريَّة وصارت بها إلى حالٍ زريَّة !!

فنحن إذن ولا شكّ معَ (التَّعدديَّة) التي أرادها اللّه أن تكون – في ظلِّ حكم الإسلام وشريعة اللّه – أمَّا التعدديَّةُ التي أرادها الخارجون عن المنهج الواحد – منهج الحقّ – إمَّا بجهل، وإمَّا بتعمُّد وقصد، وإمَّا ببغض وإفساد، فهي غير مُرادَةٍ عندنا؛ لأنَّ اللّه الحق الواحد الذي أرادَ لعباده أُصول التعددية – كوناً – لا يحبُّها، ولا يُريدُها شرعاً؛ إذْ ﴿ إنَّ الدِّينَ عندَ اللّهِ الإسلامُ ﴾ فكيف يصحُّ في عالم العقل السليم أن يرتضي للبشريَّة ما لا يُصلحها ولا يَصلح لها؟

وليس من شك أن العرب هم أقدر النَّاس على الإحاطة علماً بهذه المسألة المهمَّة الخطيرة – سواءٌ المسلمون منهم والنَّصارى – بما أُوتوا من لغة عربيَّة خاطب اللّهُ بها العرب وغيرهم في آيات كتابه المبين، وبالواقع التاريخيِّ التطبيقي لهذه الآيات، فإنَّ اللّه سبحانه لم يُكره النصارى على التحوُّل عن نصرانيتهم، أو اليهود عن يهوديَّتهم، أو المجوس عن مجوسيتهم، **بالشروطِ الشرعيَّةِ المعروفة** .

وممَّا هو مستيقنٌ لنا أن التعدديَّة التي ينادي بها الكثيرون اليوم تحت شعار الديمقراطيَّة أو الحريَّات الحديثة (زعموا !!) لا تَستثني الوثنيَّة ولا الوثنيين وهي

تمنحهم رداء الحزبية المقدس !! باسم الديمقراطيّة فيكون لكل عشرة – أيّاً كان مذهبهم – وأيّ لون فكري كانوا عليه – حزبٌ، وحَسْبُنا إن استطعنا أن نحصي الأحزاب الموجودة اليوم والتي انقرضت وبادت بالأمس في بلادنا – علماً أنَّ البلاء الذي بسط ظلالَه السوداء على أرضنا وأفزَعَنَا من مرقدنا وأسال الدماء وأزهق الأرواح البريئة – ما كان إلاَّ من هذه الأحزاب التي نشأت بفلسفة (التَّعدديَّة الديمقراطيَّة)! فيا ترى هل ما كان بالأمسِ من هذا كلِّه لا يكون مثلُه في الغد ؟!

إن غَيبةَ المنهج الواحد وبروزَ المناهج الكثيرة واستحكامَ الأهواء يجعل الجوابَ عن هذا السؤال واضحاً بيّناً، لذا فإني أترك الإجابة للقارئ من خلال التَّطبيق العملي الواقعي الذي نعرفُه عن الممارسة التطبيقيَّة العملية للدِّيمقراطيَّة بالأمس القريب والبعيد، وممَّا سنعرفه أيضاً منها في الغد القريب وفي الواقع المنظور الذي نحياه بعقولنا ونفوسنا، ونسأل الله السلامة والعافية !!

إنَّ **فكرة الحزب الواحد التي رسخ مفهومَها في القرون السَّابقة الحزبُ الذي قال الله فيه: ﴿ فإنَّ حِزْبَ اللهِ هُم الغَالبون ﴾ يجب أن تَسُودَ حياتنا كلَّها من جديد**، وأن **تتوجّه الجهودُ كلُّها لوضع خُطّة عملية موضوعية لبعث مفهوم هذه الفكرة من جديد في واقعنا المعاصر**، واضعين **نُصب أعيننا وفي حسابنا** : أنَّ فكرةَ الحزبِ الواحِدِ – بمعناه اللغوي القرآني – فكرةٌ شرعيةٌ تتمُّ في إطار العقيدة السليمة التي يجب أن تُهيمن وتسودَ من خلال تطبيق الأحكام الشرعية العملية التي ترعاها المؤسسة الشوريَّة **بمفهومها الشرعي** الذي عرفناه من النصوص القرآنية والنَّبويَّة من التَّطبيق الواقعي العملي له **وبخاصة في القرون الثلاثة المُفَضَّلة الأولى** .

وسوف يكون لنا إن شاء الله حديثٌ عن الشُّورى – من بعد هذا – نستظهرُ فيه بما لا يَدَعُ مجالاً للشكّ إن شاء الله أنّه **لا صلاح لهذه الأمة في حاضرها ومستقبلها إلاَّ بما صَلَحت عليه في ماضيها**، مقارنين بينها وبين الديمقراطيّة التي عزَّ بها أقوام – بغيرِ حَقٍّ – وذلّ بها آخرون !!!

من أعلام الدَّعوة

الشيخ : محمَّد البشير الإبراهيمي

مشهور حسن

الحمد للَّه وحده، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبيَّ بعده، وبعد :

فهذه سطورٌ في التعريف بإمام من أئمَّة الدَّعوة السَّلفيَّة، نفع اللَّهُ به كثيراً، وعالج العديد من المسائل والأمور في شتى ميادين الحياة، وأصَّل مبادىء دَعويَّة كثيرة، وتكلَّم عن قضايا منهجيَّةٍ هي الآن حديث السَّاعة، وأثارت نزاعاً شديداً بين طلبة العلم، ومرادنا من هذه السُّطور بعد التَّعريف بهذا العَلَم من النَّاحية الشخصيَّة إلقاءُ الضَّوء على شخصيَّته الدَّعويَّة من خلال تعرُّضه للأُمورِ التَّالية :

أوَّلاً : الدَّعوة السَّلفيَّة والسِّياسيَّة وفقه الواقع .

ثانياً : الدَّعوة السَّلفيَّة والانتخابات .

ثالثاً : الدَّعوة السَّلفيَّة والعلم .

○ **شخصيَّة محمَّد البشير الإبراهيمي :**

– ولد الشيخ في قُسنْطينة بالجزائر عام ١٣٠٦ هجريَّة في الثَّالث عشر من شهر شوال، الموافق سنة ١٨٨٩ ميلاديَّة .

– وهو سليل قبيلة أولاد إبراهيم بن يحيى بن مُساهل التي يرتفع فيها إلى إدريس بن عبداللَّه الجد الأوَّل للأشراف الأدارسة، ويدعى إدريس الأكبر مؤسِّس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، وترجع إليهِ أنساب الأشراف الحَسَنِيِّين في المغربين الأقصى والأوسط .

– اتجه رحمه اللَّه إلى الدراسة الدينيَّة، وكان يتمتَّع بحافظة عجيبة وذاكرة

نويّة، أكمل حفظَ القرآن وهو في سن التّاسعة، وتعلّم في هذه السّن قواعد النّحو والبلاغة، ودرس الفقه والعلوم الشرعيّة في سن مبكّرة، وعندما بلغَ العشرين من العمر هاجر إلى المدينة النّبويّة ملتحقاً بأبيه، ومرَّ بالقاهرة ومكث فيها ثلاثة أشهر كان يتردّد أثناءها على الدّرس بالأزهر الشريف، سافر بعدَ ذلك إلى المدينة النبويّة، وفيها درس على أيدي مشايخ الحرم النّبوي الشريف، وكان يقوم بتدريس الفقه واللغة والأدب .

- عند قيام الحرب العالميّة الأولى استوطنَ مع والدهِ دمشق، بعد أن أرغمته الدّولة العثمانيّة على الخروجِ من المدينة، وهناك اشتغلَ بالتّعليم الحر، ثمّ عُيّنَ أُستاذاً للآداب العربيّة في المدرسة السّلطانيّة الأولى، وبعدَ انتهاء الحرب عادَ إلى الجزائر وعمل بالتّدريس أيضاً .

- قامَ في الجزائر مع الشيخ عبدالحميد بن باديس بوضع مُخطَّطٍ لمحاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وإنشاء جمعيّة علماء الجزائر سنة ١٩٣١م في الجزائر العاصمة .

- كان يهدف بهذه الجمعيّة إلى نشر تعاليم **الإسلام الصّحيح المصفّى من البِدَع والخرافات**، وإحياء اللغة العربيّة .

- كان رحمه اللّه خطيباً مفوّهاً، يتحدَّثُ ببلاغة وصراحة وجرأة، وكان مجاهداً، صاحب همّة لا تعرف الملل، وعالماً لا يخشى في الحقّ لومة لائم، كان يحفظ من عيون الشعر والأدب الأندلسي والمغربي، ويُلقي أُمّات القصائد عن ظهر قلب، وكان عالماً في مصطلح الحديث والفقه والنحو والصرف والمنطق والأصول وغيرها من العلوم .

- لم يكن الشيخ الإبراهيمي أقليميّاً يناضلُ من أجلِ حريّة واستقلال بلاده الجزائر فقط، إنّما كانَ شخصيّة إسلاميّة معروفة في العالم الإسلامي بجهاده

وكفاحه من أجل نشر الإسلام .

– كان رحمه اللَّه سيفاً مُصلَتاً على المشعوذين، وبقايا السمسارين؛ الذين يتاجرون بالدِّين، وتميَّزَ رحمه اللَّه بصراحته **في الدَّعوة إلى العقيدة الصَّحيحة، والالتزام بالكتاب والسُّنَّة، ومنهج السَّلف الصَّالح** .

– توفِّي الشيخ في التَّاسع عشر من أيَّار سنة (١٩٦٥ م) رحمه اللَّه تعالى، وأسكنه فسيح جنانه .

○ **سلفيَّة الشيخ الإبراهيمي رحمه اللَّه تعالى :**

نستطيع أن نلخِّص الرَّكائزَ التي قامت عليها دعوة الشيخ الإبراهيمي في النِّقاط التَّالية :

أوَّلاً : إصلاح عقيدة الجزائريِّين، فقد كانت جمعيَّة العلماء تركز عملها بصفة عامَّة على مقاومة الخرافات والبدع التي شوَّهت عقيدة المسلمين، وتطهير عقيدتهم من مظاهر الشرك، سواء العلني منها أو الخفي .

كان – رحمه اللَّه – يرى أن العقائد السليمة هي قاعدة الإصلاح في المجتمع، وهو ينادي بأن حالة التَّدهور العام التي وصلَ إليها المسلمون في القرون الأخيرة إنَّما تعود إلى تَدهور العقيدة لدى الفرد المسلم وتطرُّقِ الشرك الخفي إليها .

ثانياً : مُقاومة الصُّوفيَّة المُبتدعة .

ترتبط مقاومة الصُّوفيَّة المبتدعة بإصلاح العقيدة ارتباطاً وثيقاً، وقَد كشفَ الإبراهيميُّ رحمه اللَّه عن مخازي هؤلاء وحاربهم بشدَّة، وعاملهم بما يستحقُّون لأنَّهم تاجروا باسم الدِّين، وزجَّت بهم فرنسا في أتون المعركة، فَأَصغِ إليه وهو يقول :

« في أيَّام الحملة الكبرى على الحكومة الفرنسيَّة ظهرَ هؤلاء بمظهر مناقض

للدِّين، فكشفوا السِّتْرَ عن حقيقتهم المستوردة، ووقفوا في صفِّ الحكومة مؤيِّدينَ لها، خاذلين لدينهم وللمدافعين عن حريَّته مطالبين بتأْييد استعباده، عاملين بكُلِّ جهدهم على بقائه بيد حكومة مسيحيَّة تخرِّبه بأْيديهم، وتشوِّه حقائقه بأْلسنتهم، وتلوِّثُ محاريبه ومنابره بضلالتهم » ويقول :

« وقد أخَذوا في الزَّمن الأخير ببعض مظاهر العَصر، وتسلَّموا بعضَ أسلحتهم بإملاء من الحكومة للدِّفاع عن الباطل، فكوَّنوا جمعيَّة، وأنشأُوا مجلَّة، وجهَّزوا كتيبة من الكُتَّاب يقودها أعمى – خذلاناً من اللَّه – ليشترك عاقلهم وسفيههم في هذه المخزيَات، وبحكم العموميَّة في الجمعيَّة، والاشتراك في المجلَّة، ولو في دائرته الضيِّقَة ومن أهله وجيرانه ... دافعناهم – عندما ظهروا بذلك المظاهر – بالحق فركبوا رؤوسهم، فتسامحنا قليلاً إبقاءً على حرمة (المحراب) و (المنبر) التي انتهكوها، فشدَّدوا إبقاءً على حرمة (الخبزة) !! فكشفنا عن بعض الحقائق المستوردة فلجُّوا وخاضوا، وثاروا وخاروا، فلمَّا عَتَوْا من أمر ربِّهم رميناهم بالآبِدَة ... وهي أنَّ الصَّلاة خلفهم باطلة، لأنَّ إمامتهم باطلة ... لأنَّهم جواسيس » !!

وقَد عدَّ الشيخُ الإبراهيميُّ الصُّوفيَّةَ داءً عُضالاً يجب التَّخلُّصُ منه، لِتُحَرَّر عقيدة المسلم من التَّشويش، وتطلق لعقله العنان في التَّشبُّع وفهم الشريعة، فتراه يصرِّح بقوله :

« إنَّنا علمنا حقَّ العلم بعد التَّروِّي والتَّثبُّت ودراسة أحوال الأُمَّة ومناشيء أمراضها أنَّ هذه الطُّرق المبتدعة في الإسلام هي سببُ تفرُّق المسلمين، ونعلم أنَّنا حين نقاومها نقاوم كلَّ شر، إنَّ هذه الطُّرق لم تسلم منها بقعة من بقاع الإسلام، وإنَّها تختلف في التَّعاليم والرُّسوم والمظاهر كثيراً، ولا تختلف في الآثار النَّفسيَّة إلاَّ قليلاً، وتجتمعُ كلها في نقطة واحدة وهي التَّخدير

والإلهاء عن الدِّين والدُّنيا »

ويتابعُ شارحاً مخاطرَ الطرقيّة وبدعها، حيث تعلَّقَ كثيرٌ من المسلمين بطقوس طريقتهم، وبطروحات مشايخهم، ولم يعودوا على اتِّصال مباشر مع الكتاب وصحيح السُّنَّة، بل أصبحت هذه الطُّرقُ حاجزاً بينهم وبين مصادر الشريعة، وكأنَّها دين جديد، لقد أصبحت بعض الطُّرق - كما يرى الإبراهيمي - في بلاد العرب والمسلمين، وفي الجزائر بخاصَّة، إضافة جديدة إلى محاولات الدَّس التي قام بها أعداء كثيرون للإسلام، إن كان بنحل الأحاديث، أو بالتَّأويلات المزوَّرة للحقيقة، أو ما شاع عند العديد من الحركات الباطنيَّة، ولكن يعود ليؤكِّد أن هذا كان خطره أقل بكثير من خطر هذه الطَّريقة، فيقول: « أما واللَّه ما بلغَ الوضَّاعون للحديث، ولا بلغت الجمعيَّات السريَّة ولا العلنيَّة الكائدة للإسلام من هذا الدِّين عشر معشار ما بلغتهُ من هذه الطُّرق المشؤومة ... إنَّ هذه الهوَّة العميقة التي أصبحت حاجزة بين الأمَّة وقرآنها هي من صنع أيدي الطرقيِّين » .

ويقول مقرِّعاً الصُّوفيَّة والطُّرقيَّة وفَهْمَهم الخاطىء للإسلام :

« ... فكل راقصٍ صوفي، وكل ضاربٍ بالطَّبل صوفي، وكل عابثٍ بأحكام اللَّه صوفي، وكل ماجنٍ خليعٍ صوفي، وكل مسلوب العَقل صوفي، وكل آكل للدُّنيا بالدِّين صوفي، وكل ملحدٍ بآيات اللَّه صوفي، وهَلُّم سحباً، أفيجْمُلُ بجنودِ الإصلاح أن يَدَعُوا هذه القلعة تحمي الضَّلال وتُؤْويه، أم يجب عليهم أن يحملوا عليها حملةً صادقَةً شعارهم : (**لا صوفيَّة في الإسلام**) حتى يدكُّوها دكَّاً، وينسفوها نسفاً، ويذروها خاويةً على عروشها » .

وقد كان رحمه اللَّه تعالى في محاربتِهِ للصُّوفيَّة وخرافاتهم وتُرَّهاتهم متأثِّراً بمعاليم حركة الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب الإصلاحيَّة، ويتَّضحُ ذلك عندما

نراه يُعلّل هجوم المتاجرين بالدِّين على هذه الدَّعوةِ السُّنِّيَّة الإصلاحيَّة في البلاد الحجازيَّة التي سمّاها خصومُها بـِ (الوهّابيَّة) - تنفيراً وتشويهاً - لأنّها قضت على بدعهم، وحاربت خرافاتهم، فيقول :

« إنَّهم موتورون لهذه الوهّابيَّة التي هدمت أنصابهم، ومحت بدعهم فيما وقعَ تحتَ سلطانهم من أرضِ اللَّه، وقَد ضجَّ مبتدعة الحجاز فضجَّ هؤلاء لضجيجهم والبدعة رحم ماسة، فليس ما نسمعهُ هنا من ترديد كلمة (وهابي) تُقذف في وجه كل داعٍ إلى الحقِّ إلاّ نواحاً مردِّداً على البدع التي ذهبت صرعى هذه الوهّابيَّة » .

يتبع في الحلقة القادمة ....

الحرصُ على العلم

قال أبو الوفاء ابنُ عَقيل :

عَصَمني اللَّهُ في شبابي بأنواعٍ مِن العصمَةِ، وقَصرَ محبَّتي على العلم، وما خالطتُ لعَّاباً قَطُّ، ولا عاشرتُ إلاّ أمثالي مِن طَلبةِ العلم، وأنا في عَشْر الثمانين أجدُ مِن الحرصِ على العلمِ، أشدَّ ممَّا كنتُ أجدهُ وأنا ابنُ العشرين .

« سير أعلام النبلاء »

(٤٤٦/١٨)

الدَّعوة .. والنُّور ..

سليم الهلالي

ما من كلمة أصدق ولا تعبير أدق من إخبار اللَّه عزَّ وجلَّ عن حقيقة الإسلام بأنَّهُ نور، وعن واقع الكفر بأنَّه ظلمات، كما في قوله تعالى : ﴿ اللَّه وليُّ الَّذينَ آمَنوا يُخرجهُم مِن الظُّلمات إلى النُّور والَّذين كَفروا أولياؤهم الطَّاغوت يُخرجونهُم من النُّورِ إلى الظُّلمات أولئكَ أصحاب النَّارِ هم فيها خالدون ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

إنَّها حقيقةٌ يجد المؤمن حلاوتها في قلبه، ويتذوّق طعمها في كيانه، ويجني ثمارها في جميع مفردات حياته : في رؤيته للواقع، وتقديره للأشخاص، وتقييمه للأحداث، وتقويمه للأشياء .

وما يَخرج النَّاس من النُّورِ إلاّ ليَعيشوا في ظلمة من الظُّلمات أو في ظلمات مجتمعة، لأن الكفر ظلمات ... ظلمات متنوِّعة ومتعدِّدة ... ظلمة الهوى والشهوة والنّزعات ... وظلمة الشرود والاندفاع في التّيه ... وظلمة الشك والقلق والحيرة والانقطاع عن الهدى، والوحشة من الجناب الآمن ... وظلمة اضطراب الموازين، وتخلخل الأحكام، وتحلُّل القيم .

ولن يُنقذ النَّاسَ من هذا الظلام إلاّ نورُ اللَّه المبين الذي يُشرق في قلوبهم بإذن اللَّه ويغمر أرواحهم، ويهديهم إلى فطرتهم وهي : فطرة هذا الدِّين القيِّم : ﴿ قَد جاءَكُم منَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبين يَهدي به اللَّهُ مَن اتَّبعَ رِضوانَهُ سُبلَ السَّلام ويُخرجهُم من الظُّلمات إلى النُّورِ بإذنِه ويهديهم إلى صراطٍ مُستقيم ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

وهذا الوصف الرَّبَّاني لحقيقة الإسلام له دلالاته في منهج الدَّعوة إلى اللَّه، وحياة داعي اللَّه؛ فمنها :

أ – طريق الدّعوة إلى الله نور على نور، وبيانه :

أنَّ اللَّه سبحانه وصف نفسه بأنَّه نورُ السَّماوات والأرض[1]: ﴿ اللَّهُ نورُ السَّماواتِ والأرض ﴾ [النور:٣٥]، واحتجب عن خلقه بالنور كما في « الصحيح » : « حجابه النُّور ، لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

وجعل كتابه نوراً، كما في قوله تعالى : ﴿ فآمِنوا باللَّهِ ورَسولِهِ والنُّورِ الَّذي أنزلنا واللَّهُ بما تعملون خَبير ﴾ [التغابن:٨] .

ووصفَ نبيَّه ﷺ بأنَّهُ نور، كما في قوله تعالى : ﴿ قَد جاءَكُم مِنَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبين ﴾ [المائدة:١٥]، وجعل دينه نوراً، فقال : ﴿ أفمَن شرحَ اللَّهُ صدْرَهُ للإسلام فهو على نور من ربِّهِ فوَيلٌ للقاسيةِ قلوبُهُم من ذكرِ اللَّه أولئكَ في ضلالٍ مُبين ﴾ [الزمر:٢٢] .

إذن؛ فطريقُ الدَّعوة إلى اللَّه نورٌ على نور، غايتها وسبيلها ومعالمها، ولقد تَركَنا رسولُ اللَّه ﷺ على بيضاء نقيَّة ليلها كنهارها لا يزيغُ عنها إلاَّ هالك، ولكن من لم يجعل اللَّه لهُ نوراً فما له من نور .

ب – سبيل اللَّه واحدة، وثُنَيَّات الطَّريق متعدِّدة :

لَقَد وحَّدَ اللَّهُ جلَّ جلالهُ كلمة « النُّور »، وجمع كلمة « الظُّلمات »؛ لأنَّ النُّور واحدٌ وهو صراط اللَّه المستقيم الذي لا صراط يُوصل إليه سواه، وهو عبادتُه وحده لا شريكَ له، بما شرَعَهُ على لسانِ رسوله ﷺ لا بالأهواء والبدع، بخلاف طرق الضَّلال؛ فإنَّها متعدِّدة متشعِّبة، ولهذا يفرد سبحانه الحق، ويجمع الباطل .

وقد ثبتَ عن رسولِ اللَّه ﷺ : أنَّهُ خَطَّ خطَّاً مستقيماً ، وقال : « هذا سبيل اللَّه »، ثمَّ خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال : « هذه سبل الشيطان على كل سبيلٍ شيطانٌ يَدعو إليه »، ثمَّ قرأ قول اللَّه تعالى : ﴿ وأنَّ هذا صراطي مُستقيماً فاتَّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبل فتفرَّقَ بكم عن سبيله ذلك وصَّاكم به لعلَّكم تتَّقون ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

---

(١) بمعنى : مُنَوِّر؛ كما حققه العلامة ابن القيم في « اجتماع الجيوش الإسلامية » (ص٢٩) .

وهذا التَّوضيح النَّبوي يلقي بظلالٍ منها :

١ – أنَّ الطَّريقَ إلى اللَّه واحدةٌ .

٢ – أنَّ الطَّريقَ إلى اللَّه طويلةٌ، ولكنَّها موصلة إلى غايتها، مستقيمة إلى نهايتها .

٣ – أنَّ سبل الشيطان كثيرة .

٤ – أنَّ سبل الشيطان قصيرة، لكنَّها مغلقة لا توصلُ إلى غاية، ولا تُعرف لها نهاية، فسالكها يدورُ في حلقة لا يَعرف أولَها من آخرها .

٥ – أنَّ من أنعمَ النَّظر لا يجد بين سبيل اللَّه وسبيل الشيطان مَمَرّاً، ولا قنطرة، ولا جسراً، **فليس هناك قاعدة مشتركة بينهما فلا أنصاف حلول، ولا لقاء في منتصف الطَّريق .**

إنَّ هذا التَّميُّزَ وهذه المفاضلةَ ذاتُ بالٍ لتَستَبينَ معالم الحق الذي يستحيل أن يلتقي مع الباطل في صورة من الصُّوَر إلاّ إذا تحوَّل الباطل بكليَّته إلى الحق أو العكس .

ت – أعداء اللَّه يريدون ليُطفئوا نور اللَّه .

إنَّ دعاة الضَّلالة وأئمَّة الكفر الذي بيدهم أَزِمَّةُ الأمور في سبل الشيطان، يحاربون نور اللَّه سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن، أو بما يُحرِّضونَ به أتباعهم وأشياعهم وإخوانهم على حرب هذا النُّورِ وأهلهِ، والوقوف سدّاً في وجهه، كما هو الواقع على مدار التَّاريخ، ﴿ يُريدونَ أن يُطفئوا نورَ اللَّهِ بأفواهِهِم ويأبى اللَّه إلاّ أن يُتمَّ نُورَهُ ولو كَرِهَ الكافرون ﴾ [التوبة: ٣٢] .

إنَّ هذا البيان – وإن كان يريد استجاشة قلوب المسلمين – يُصوِّر الموقف الدَّائم لأعداء هذا المنهج من نور اللَّه المتمثِّل في دينه الحق الذي يهدي للّتي هي أقوم .

ث – المستقبل لهذا الدِّين .

إنَّ أعداء اللَّه يمكرون لكنَّ مكرهم هو يبورُ، فإنَّ المستقبل لهذا الدِّين ... وعدٌ من اللَّه ... ووعدُهُ حقٌّ، لأنَّهُ سُنَّتُهُ التي لا تتبدَّل في إتمام نورهِ بإظهارِ دينهِ ولو كرهَ المشركون .

﴿ هُوَ الَّذي أرسلَ رسولهُ بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كلِّهِ ولو كَرِهَ

المشركون ﴾ [التوبة: ٣٣]، ولقد تواتر النَّقلُ عن رسول الله ﷺ بأن المستقبل لهذا الدِّين .

جـ - يا دُعاةَ الإسلام استضيئوا بنور اللَّه واعتصموا بحبل اللَّه .

إنَّ وعدَ اللَّه حقٌّ تطمئنُّ له قلوبُ الذين آمَنوا، فيدفعهم هذا إلى المُضيِّ في الطريق إلى اللَّه على المشقَّة واللأْواء لا يضرُّهم مَن خَذَلهم ولا مَن خالفهم، لأنَّهم يعلمون أنَّ هذا النُّور لا بدَّ أن يَعُمَّ الأرض فلا بدَّ له من دعاة يمشون به في النَّاس ليحيوا بنور اللَّه على منهج اللَّه .

﴿ أوَمَن كانَ مَيتاً فأحيَيناهُ وجعَلنا لهُ نوراً يمشي به في النَّاس كمن مَثلُه في الظُّلمات ليس بخارجٍ منها كذلك زُيِّنَ للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

فالمُسلم على ما يُسِّرَ له من العلم ولو كان ضئيلاً يُبيِّنهُ ويَنشرهُ، يعرِّف به الجاهل، ويرشد به الضَّال، وهو بقوله الطَّيِّب وعمله الصَّالح كالنُّورِ يشعُّ على من حوله، وتتسعُ دائرةُ إشعاعاته وتضيقُ بحسب ما عنده من علم وعمل ودعوة .

فعلى داعي اللَّه أنْ يعلم هذا من نفسه، ويعمل عليه، ويضرعَ إلى اللَّه دائماً في دعائه أن يفيض عليه من نوره، ويقيه الشيطان وشروره، وحُبّ نفسه وغروره، ملتجأً إلى اللَّه في كل أموره، ويدعُوَ بدعاء النَّبي ﷺ الذي كان يَدعو به كما في حديث ابن عبَّاس المُتَّفق عليه وهو : « اللهمَّ اجعَل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخَلْفي نوراً، واجعَل لي نوراً » .

وعلى دعاة الإسلام أنْ يَستضيئوا بنور اللَّه الذي يهدي به اللَّهُ من اتَّبع رضوانه سُبُلَ السَّلام ويخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور، وعليهم أن يعتصموا بحبل اللَّه جميعاً ولا يتفرَّقوا .

كونوا يا عباد اللَّه إخواناً، وتعاهَدوا على منهج اللَّهِ أعواناً ... ومَن لم يجعَل اللَّه لهُ نوراً فما لهُ من نور .

حقُّ المنبر

من أخلاق الخطيب الأول ﷺ وجوامع كلمه

محمد موسى نصر

لا أحد يُنكر ما للمنبر في الإسلام من دور ريادي في توجيه الأُمَّة نحو الخير، وشحذ هِمَمِها للجهاد في سبيل الله، والعمل المتواصل الدؤوب لِنُصرة الإسلام، والعمل على خدمته .

لذا أَوْلى الإسلامُ المنبر اهتماماً عظيماً، فأمر أن لا يعتليه كلُّ من يشتهيه بحقٍّ أو بباطل، إلّا من كان أهلاً له، لأنّ الأمر إذا وُسِّد إلى غير أهله فانتظروا الساعة كما جاء في الحديث الصحيح .

وقد لعبَ المنبرُ دوراً عظيماً في الإسلام خصوصاً في حروبِ النَّبيِّ ﷺ مع المشركين، فقد كان النَّبيُّ ﷺ يُعِدُّ لحسان بن ثابت شاعر الإسلام مِنبراً ليهجو الكفار، ويُلهب حماس المؤمنين المجاهدين، وكان ﷺ يقول لحسان : « اهجهم وروح القدس معك » وقال له : « اهجهم، والذي نفسي بيده أنه لأشدُّ عليهم من وقع النَّبل »[1].

قال الشيخُ العلاّمة عبدالعزيز بن باز في تقديمه لكتاب « الحداثة » (ص: ٥) : « وهذا الكلامُ من النبي ﷺ يدلُّ على أن سلاح الكلمة والبيان من الأسلحة الماضية التي اتَّخذها الرسولُ ﷺ لمنازلة أعداء الإسلام بها جَنْباً إلى جنب مع سلاح السيف والسنان » .

فهما صِنوان لا يفترقان .

---

(١) متفقٌ عليه .

وقال ﷺ : « إنَّ من البيان لسحراً، وإنَّ من الشعر لحكمة »[1] .

وقد كان الوُعَّاظ والخُطباء من سَلفنا إذا وعظوا النَّاس أبكَوهم وأثَّروا في حياتهم أيُّما تأثير، وما ذلك إلاّ لإخلاصهم، وصلاح ظاهرهم وباطنهم، وجمعهم بين القول والعمل، والأسوة الحسنة، وفصاحتهم، وبلاغتهم، فمواعظُ الحسن البصري وابن الجوزي وغيرهما من علماء الإسلام ما زالَ علماء الإسلام يقتبسون منها ويَتّعظون بها .

وقد سُئل أحدُ الوعّاظ الخطباء مِن سلفنا : ما لك إذا وعظتَ النَّاس أبكيتهم، وإذا وعظهم غيرك لم يتأثروا ؟ فقال : « ليست الأُمُّ الثكلى كالنائحة المستأجرة » .

ولما كان شأنُ الخُطبة عظيماً أمرَ الرَّسولُ ﷺ بالإصغاء إليها والإنْصات لها، وَعَدم الاشتغال بغيرها، وجعلَ الاشتغالَ عنها من اللغو المُذهب للأجر، فقال ﷺ : « إذا قلتَ لصاحبك والإمام يخطب: أنصت، فقد لَغَوت »[2] .

إذا علمنا ذلك فما هو حقُّ هذا المنبر؛ منبر رسول اللّه ﷺ الذي ائْتمَنَ اللّه عليه خطباءَ هذه الأمّة ؟!

وسؤالي يدور حولَ حقّ منبر المسجد أوّل منبر في الإسلام، أما مِنبر الصحافة، والإذاعة المسموعة والمرئية وغيرها من منابر فهي ليست موضوعَ كلامنا، وإن كانت لا تقلُّ أثَراً عن منبر المسجد، فمن ارتقى شيئا من تلك المنابر فهو على ثغرة من ثغور الإسلام فليحذر أن يؤتى الإسلامُ مِن قِبَلِه .

ورسالتي هذه موجَّهةٌ إلى خطباء المساجد من عُلماءَ وطُلّاب علمٍ، إذ

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

الاصل في المنبر ألّا يعتليه إلّا من كان من أهله، وإلّا كانَ إثمه أكثر من نفعه، وشره أكثر من خيره، وقاد الأمّة إلى واد سحيق .

وكم من المنابر تئنُّ وتشتكي أولئك الذين تسلّقوها ظلماً وزوراً، فلم يتّقوا اللّه فيها، ولم يُعطوها حقّها الذي أُمروا به، فهي تئنُّ من تحت أقدامهم أنينَ العشّار شوقاً إلى الخطباء المُتّبعين لا المبتدعين، العاملين لا الذين يقولون ما لا يفعلون، ويهدمون أكثر مما يَعْمُرون، يُحيون الأمّة من جديد ويبعثونها من رُقادها، ولا يعملون على إخمادها وتخديرها وشغلِها بقضايا لا تخدم المصلحة العامة فضلاً عن خدمة القضية الإسلامية، تَفريغاً لِحماستهم، وشَغلاً لعواطفهم !!

إلى خطباء الأمّة أُوجّه كلماتي هذه، راجياً بها النصح والإرشاد واللّهُ على ما أقول شهيد:

قال اللّه تعالى : ﴿ فَبَشّـر عبادِ الّذين يَستَمعون القَولَ فيَتَّبعونَ أحسَنَهُ أولئكَ الّذين هداهُم اللّه وأولئكَ هُم أولو الألباب ﴾ [الزمر:١٧-١٨] .

● اعلموا إخواني الخطباء أن حقوق المنبر عليكم كثيرة، فمنها : أن تتقوا اللّه فيه، فهو أمانة أئتمنكم عليها ربُّكم لتُعظِّموه وتُمجِّدوه وتُوحّدوه جلَّ جلاله، لا لتعظِّموا من خلاله أنفسكم، وتعلوا على أقرانكم، ويشارُ إليكم بالبنان؛ ﴿ تلكَ الدّارُ الآخرَةُ نجعلها للّذينَ لا يُريدون عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين ﴾ [القصص:٨٣] .

● أيها الخطباء الأفاضل : المنبر لتوجيه الأمّة نحو الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعلاء كلمة اللّه تعالى، وليس المنبر مكاناً للمهاترات والشتائم والسخائم وتسفيه أحلام الآخرين وتجهيلهم ورميهم بفظائع الأمور .

● أيها الخطباء الأفاضل : ليس المنبرُ مكاناً لاستخراج الأحقاد الدفينة

والعصبيّات المقيتة، إنها المنبر دعوةٌ للحق على بصيرة وعمل متواصل لجمع الكلمة وتأليف قلوب الأمّة وجمعهم على كلمة سواء على كتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ، وعلى منهج السَّلف الصَّالح .

● أيها السادة الخطباء : الناس تنظر إليكم نظرةَ إجلالٍ وتعظيم، وعدوُّكم يتربَّص بكم الدوائر فلا تُشمِتوا بكم الأعداء وتُخيِّبوا فيكم آمال الصَّديق بل آمال الأُمَّة فَتَنفُضُ أيديها منكم، فاشتغلوا بعدوِّكم جميعاً ولا يشغلنّكم الشيطانُ بعضكم ببعض .

● أيها الخطباء الأفاضل : اهتمُّوا بقواعدِ دينِكم واشتغلوا بها ولا تتفرَّقوا ولا تختلفوا، ولا يحملنَّكم تعصُّبُكم لرأيكم على هجر إخوانكم والهجوم عليهم والتشهير بهم من على منابركم فهي ليست ملكاً لكم لتقولوا عليها كل ما تريدون، وتنتصروا لأنفسكم، بل هي ملك للّه ربِّ العالمين، فالفرقةُ عذابٌ والخلافُ أشدُّ قال تعالى : ﴿ ولا تكونوا من المشركين من الذين فرّقوا دينَهم وكانوا شيَعاً كلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحون ﴾ [الروم: ٣١-٣٢] .

● أيها السادة الخطباء : تذكروا قولَ اللّه تعالى : ﴿ واتَّقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذينَ ظلموا منكُم خاصَّة ﴾ [الأنفال: ٢٥]، فالفتنة نائمةٌ، فمن أيقظها لم ينج منها، وباء بإثمها، ومن أجّج ناراً أحرقته يوماً من الدَّهر علم أو لم يعلم .

● يا خطباء المساجد: نزِّهوا ألسنتكم عن الطعن في علماء المسلمين، خصوصاً الأئمة العاملين المُتَّبعين للكتاب والسُّنَّة السَّائرين على نهج سلفِ هذه الأمَّة، فأولئكَ مصابيح الدُّجى وهم ورثة الرّسول ﷺ حقاً، فمن طَعنَ فيهم اتّهمناهُ لأنَّهُ طَعنَ في الدِّين، قال ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء »[1]، وقال في

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي وابن ماجه، وابن حبان في « صحيحه » وإسناده حسن .

الحديث القُدُسي : « مَن عادى لي ولياً فَقد آذنتهُ بالحرب »[1] ، قال الإمام الشافعي رحمه اللّه : « لو لم يكن العلماء هم أولياء اللّه ما كان للّه ولياً » .

● أيها الخطباء الكرام : إن جمع كلمة الأمّة وتوحيد صفوفها أمام عدوها الظاهر والباطن وظيفتكم وأنتم مسؤولون عنها فماذا أنتم قائلون أو فاعلون ؟

● أيها الخطباء الأفاضل : عالجوا خلافاتكم بعيداً عن جو المنابر وبعيداً عن أسماع العامّة لئلاّ توقعوهم في الفتنة والحيرة والتخبُّط وسوء الظن بكم جميعاً بل الطَّعن بكم أجمعين .

● أيها الخطباء الأفاضل : تذكَّروا قولَ أمير المؤمنين عمر رضيَ اللّه عنه : « ولا تظنَّنّ بكلمة خرجت من فم أخيك شرّاً وأنت تجد لها في الخير محملاً » وتذكَّروا قول أحد علماء السَّلف : « ظلمٌ لأخيك أن تخفي تسعاً وتسعين حسنة من حسناته وتظهر سيئة واحدة من سيِّئاتهِ » .

● أيها الخطباء الأفاضل : لا تتعجّلوا بالحكم على الآخرين قبل أن تتبيَّنوا وتتثبَّتوا، قال تعالى : ﴿ يا أيها الَّذين آمَنوا إن جاءكُم فاسقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا أن تُصيبوا قَوماً بجهالةٍ فتُصبِحوا علىَ ما فَعَلتُم نادمين ﴾ [الحجرات: ٩]، واحذروا كل نمّام قتّات فمن نمّ لك نم عليك .

● أيها الخطباء الأفاضل : ليكن ولاؤكم للّه ورسوله فلا تتعصّبوا لجماعة أو حزب أو طريقة، بل تعصَّبوا للحقِّ وحده، واحذروا اتِّباعَ الهوى، فكم من رجل ضلَّ وزاغَ باتِّباع هواه، قال تعالى : ﴿ يا داودُ إنَّا جعَلناكَ خَليفَةً في الأرضِ فاحكُم بينَ النَّاسِ بالحقِّ ولا تتَّبع الهوى فيُضلَّكَ عن سبيل اللَّه ﴾ [ص: ٢٦] .

---

(١) رواه البخاري .

• أيها الخطباء الأفاضل : حذِّروا الأمَّة من الشرك صغيره وكبيره، وادعوهم لتوحيد اللّه وإفراده وحده بالعبادة، وحذِّروهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وإياكم والكذب على اللّه بقول ما لا تعلمون، والكذب على رسوله بنسبة أحاديث لم يقلها ولم تصحَّ نسبتُها إليه .

• أيها الخطباء الأفاضل : لقد كان نبيُّكم إمامَ الخطباء إذا خطب علا صوتُه، واحمرَّت عيناه وكأنَّه منذرُ جيشٍ يقول: صبَّحكم ومسَّاكم، يُلهب المشاعر لا لمجرَّد حماسةٍ أو عاطفةٍ، ولكن ليوقدَ الحِسَّ في الضَّمائر، ويؤجِّج جذوة الإيمان في الصُّدور فتأسَّوا به في خطبكم لتجنوا ثمار أعمالكم .

• أيها الخطباء الكرام : لا تكثروا على النَّاس فيملّوا، وتذكَّروا قول نبيِّكم : « إن قِصرَ خطبة الرَّجل وطول صلاته مَئِنَّةٌ فقهه »[1]، فتشبَّهوا بنبيكم تفلحوا .

• أيها الخطباء الأفاضل : اتَّبعوا ولا تَبتدعوا فقد كُفيتم عليكم بالاتباع واحذروا الابتداع، لا تتبعوا الرُّخص فتتساهلوا في دين اللّه وتُجاملوا العامَّة والخاصَّة على حساب الحق، فأنتم قدوةُ النَّاس في الخير .

• أيها الخطباء الأحبَّة : هذه نصيحتي إليكم، نصيحةَ أخٍ محبٍّ لكم جميعاً، راجياً تقبُّلَها والإفادةَ منها، ﴿ وذكِّر فإنَّ الذِّكرى تَنفعُ المؤمنين ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿ إنَّ في ذلكَ لذِكرى لمَن كانَ لهُ قَلبٌ أو ألقى السَّمعَ وهوَ شهيد ﴾ [ق: ٣٧] .

﴿ إن أُريدُ إلاّ الإصلاحَ ما استطَعت وما تَوفيقي إلاّ باللّهِ عليهِ تَوكَّلتُ وإليهِ أُنيب ﴾ [هود: ٨٨] .

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه »

مسائلُ وأجوبتُها

للعلاّمة المحدِّث محمّد ناصر الدِّين الألباني.

مَدخَلٌ : هذا البابُ يحوي بين سطورِهِ الإجابةَ على ما يُشكِلُ على الإخوة القُرّاءِ مِن مسائل علميَّة فقهيَّة، أو مباحث حديثيَّة أو عقيديَّة، أو غير ذلك مِن مُهمّات تتَّصل بشرعِ اللَّهِ سبحانهُ .

وسنقومُ -- إنْ شاءَ اللَّه -- بعرضِ ما يَرِدُنا من ذلك على شيخنا العلاّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، للإجابة عليه، فجزاه اللَّهُ خيرَ الجزاء .

وعليهِ؛ فإنَّنا نُرحِّب باستفسارات القرّاء وأسئلتهم، سائلين اللَّهَ سُبحانهُ النَّفعَ والتَّوفيقَ :

التحرير .

○ قصّ شعر المرأة .

سؤال/١ : ما حُكمُ أخذِ المرأة شيئاً من شعرها ؟

□ جوابٌ : قصُّ المرأة شَعْرَها يُنظَرُ فيه إلى الدَّافع إلى هذا العمل : فإن كانت المرأة تقصُّ شعرها تشبُّهاً بالكافرات أو الفاسقات؛ فلا يجوزُ أن تقصَّه لهذه النيَّة .

وأمَّا إن كانَت تقُصُّه تخفيفاً من شعرها، أو تحقيقاً لرغبة زوجها؛ فلا أرى في ذلك مانعاً .

وقد جاءَ في « صحيح مسلم »[1] أنَّ نساءَ النَّبيِّ ﷺ كُنَّ يأخُذنَ من

(١) (برقم: ٣٢٠) .

شعورِهنَّ حتى تكونَ كالوَفْرةِ .

○ ○ ○ ○ ○

○ القولُ الصَّوابُ في الحجَّاج بن يوسف الثَّقفيّ :

سؤال/٢ : ما هوَ القولُ الصَّائب في الحجَّاج بن يوسُف الثَّقفيِّ، هل هو كافرٌ ؟

□ جوابٌ : نحنُ نشهدُ أنَّ الحجَّاج فاجرٌ ظالمٌ، لكنَّنا لا نعلمُ منه أنَّهُ أنكرَ ما هو معلومٌ مِن الدِّين بالضَّرورة، فلا يجوزُ تكفيرُهُ بِمُجَرَّد أنَّهُ فَجَرَ، وظَلَمَ، وَقتَلَ الأبرياءَ مِن المسلمين .

○ ○ ○ ○ ○

○ حالُ شَهْر بن حوشب جَرحاً أو تَعديلاً :

سؤال/٣ : نقل البعضُ أنَّكم انفصلتم أخيراً إلى تحسين حديثِ شهر بن حوشب ! فهل لهذا الكلام أصلٌ ؟

□ جوابٌ : ليسَ لهذا النَّقلِ أصلٌ عَنِّي، فهو ككثيرٍ مِن المقولات التي تُنسَبُ إليَّ، ولا أصلَ لها !!

ولكن؛ لعلَّ ناقلَ هذا الكلامِ اختلطَ عليه أنَّني أُحسِّنُ حديثَ شَهرٍ بالشواهد والمتابعات، فظنَّ أنَّني أُحسِّنُهُ لذاته، وليس مِن شكٍّ أنَّ ثمَّةَ فرقاً بين الأمرين .

○ ○ ○ ○ ○

○ بينَ الوَلَدِ ومالِ والِدِه الرِّبويّ :

سؤال/٤ : هل يجوز للمرءِ أن يأخذَ مِن مالِ والدِهِ ليَستفيدَ منه في

تجارته، معَ العلم بأنَّ الوالدَ يتعاملُ معَ البنوك الرِّبويَّة ؟

□ جوابٌ : الواجبُ على كُلِّ مَن بَلَغَ سِنَّ الرُّشد أن يسعى سعياً حثيثاً في الخلاصِ مِن الانتفاع بمالِ الرِّبا أو أكلهِ، فيأكل منه ما دامَ مُحتاجاً للضَّرورةِ، أمَّا أن يتوسَّع بهذا المال الحرام، فلا يجوزُ له، واللَّه أعلم .

○ ○ ○ ○ ○

○ الاجتماعُ لتلاوة القرآن :

سؤال/٥ : هل يجوزُ الاجتماعُ للتِّلاوة، إذا كان أحياناً أو كُلَّ يومٍ ؟

□ جوابٌ : إذا كان هذا التَّرتيب لا يُقصَدُ به إلاّ تَسهيل تلاقي المسلمين الذين يُريدون أن يتدارسوا القرآن؛ فهذا لا شيء فيه .

أمَّا إذا كان هذا التَّرتيب يُقصدُ به ذاته التَّعبُّدُ إلى اللَّه؛ فهذا لا يجوز .

○ ○ ○ ○ ○

○ بين صلاتي المغرب والعشاء :

سؤال/٦ : رجلٌ دخلَ المسجد وقد قامت صلاة العشاء، ولم يكن قد صلَّى المغربَ - لعذرٍ -، فماذا يصنعُ ؟

□ جوابٌ : هذا الرَّجل يقتدي بالإمام الذي يُصلِّي العشاء، وينوي هو صلاة المغرب، فإذا قام الإمامُ إلى الرَّكعة الرَّابعة؛ نوى هذا المأمومُ المفارقةَ بينه وبين الإمام، ثمَّ جلس وتشهَّد، وأتمَّ صلاته وحدَه .

○ ○ ○ ○ ○

العلمُ دواءُ

علي بن حسن

○ كثيرٌ من النَّاسِ يعيشون حياتهم مَرضىٰ؛ تائهين ضائعين؛ يبحثون عن دواءٍ لأدوائهم فلا يجدون، وينظرون إلى سبيلٍ منها يمرُّون، فلا يُميِّزون!

والدَّواء أمامهم، والعلاجُ بين أيديهم، إنَّه العلمُ:

قال الإمامُ الذَّهبي المتوفَّى سنة (٧٤٨هـ):

« مَن مَرِضَ قلبُه بشكوكٍ ووساوِسَ لا تَزولُ إلاَّ بسُؤالِ أهلِ العلمِ؛ فليتعلَّم مِن الحقِّ ما يَدفعُ عنهُ ذلك، ولا يُمعِن »[1].

وأكبر أدويتهِ الافتقارُ إلى اللَّه، والاستغاثةُ به؛ فَليُكَرِّر هذا الدُّعاء، وَليُكثِر منهُ:

« اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ، وميكائيلَ، وإسرافيلَ، مُنزِّلَ التَّوراة والإنجيل، اهْدِني لِما اختُلِفَ فيهِ مِن الحقِّ بإذنِكَ، إنَّكَ تَهدي مَن تشاءُ إلى صراطٍ مُستقيم »[2].

وَليُجدِّد التَّوبة والاستغفار، وَليَسألِ اللَّهَ تعالى اليَقينَ والعافيَةَ، فإنَّهُ - إن شاء اللَّه - لا يَنقَضي عنهُ أيَّامٌ إلاَّ وَقَد عُوفيَ - إن شاءَ اللَّه - مِن مَرَضِهِ، وسَلِمَ لهُ تَوحيدُهُ، واستراحَ مِن الدُّخولِ في علم الكلام[3]؛ الذي - واللَّه العظيم - تَعَلُّمُه لِدَرءِ دائهِ مُوَلِّدٌ لهُ أدواءً عَديدةً رُبَّما قَتَلَتهُ!! بل لا تقَعُ كثرةُ

(١) أي: لا يُوغِلُ فيه قبلَ ذَهابِ مَرَضِهِ هذا.

(٢) وَقَد رَوى مسلمٌ (٧٧٠) نحوه مَرفوعاً.

(٣) وهو مِن أبوابِ الفلسفة!

الشكوكِ والشبهِ إلاّ لمن اشتغلَ بعلمِ الكلام والحِكمَةِ[1] !

فدواءُ هذه : رَمْيُ هذه الأشياءِ المُهلكةِ، **والإعراضُ عنها بالكُلِّيَّة**، والإقبالُ على كثرةِ التّلاوةِ والصّلاةِ والدُّعاءِ والخَوفِ .

فأنا الزَّعيمُ[2] لهُ بأن يَخلُصَ له توحيدُهُ، ويُعافيهِ مَولاه .

وإن لَم يستعمل هذا الدَّواءَ، وداوىٰ الدَّاءَ بالدَّاءِ، وَغَرِقَ في أودِيَةِ الآراءِ والعُقولِ، فقد يسلمُ، وقَد يهلكُ ! وقَد يتعلَّل إلى أن يموتَ »[3].

○ وعن أبي الدَّرداء رضي اللَّه عنه، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ العُلماءَ وَرَثَةُ الأنبياء، إنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً، وأورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ »[4].

قال الإمام ابنُ حبّان المتوفَّى سنة (٣٥٤هـ) :

« في هذا الحديث بيانٌ واضحٌ أنَّ العُلماء الذين لهم الفَضلُ الذي ذَكَرناه، هم الذين يُعلِّمون علمَ النَّبيِّ ﷺ، دون غيره من سائر العلوم .

ألا تراهُ يقولُ : « العلماءُ ورَثَةُ الأنبياء »، و الأنبياءُ لم يُوَرِّثوا إلاّ العلمَ، وعلمُ نبيِّنا ﷺ سُنَّتُهُ، فمن تعرَّى عن معرفتها لم يكن مِن وَرَثَةِ الأنبياء »[5].

○ ومن أجملِ ما قيل : ـ

العلمُ ميراثُ النّبيِّ كذا أتى ... بالنَّصِّ والعُلماءُ هم وُرَّاثُهُ
ما خلَّفَ المُختارُ غيرَ حديثِهِ ... فينا، فذاك متاعُهُ وأثاثُهُ

---

(١) والحكمة هنا باب من أبواب الفلسفة وليست الحكمة المحمودة في الكتاب والسُّنَّة .

(٢) أي : كفيل .

(٣) « مسائل في طَلَب العلم » (ص:٢٠٢-٢٠٣ - ضمن « ست رسائل ») .

(٤) رواه أبو داود (٣٦٤١) و (٣٦٤٢) من طريقين يُقَوِّي أحدهما الآخر .

(٥) « الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان » (٢٩١/١) .

حول عناوين الكتب

ووقفة مع كتاب : « دفع شُبه التشبيه » !

مشهور بن حسن

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

وبعد :

فهذه مقالة علميَّة مهمَّةٌ تعرَّضتُ فيها لأمرين مُهمَّين :

أحدهما : الأحكام الفقهيَّة المتعلِّقة بالكتب الشرعيَّة .

والآخَر : نقد الكتب المضلِّلة .

واكتفيتُ في الحلقة الأولى من هذه المقالة بما يخصُّ (عنوان الكتب) وما ينبغي للمؤلِّفين والمحقِّقين أن يُراعوه في ذلك، ونَرجو أن نثبت في حلقات قادمة، المزيد من أحكامٍ مهمَّة تخصُّ دور النَّشر والبائعين والمشترين والواعظين والمدرِّسين والمستعيرين والمالكين للكتب الشرعيَّة .

وكذا تعرَّضتُ في هذه الحلقة لكتابِ ابن الجوزي « دفع شُبه التشبيه » وبَيَّنتُ أنَّ ابنَ الجوزي مضطربٌ في الصِّفات، وأنَّهُ لا ينبغي التَّعويل على كلامه، وبيتُ القصد من هذا في هذا المقام بيانُ تدليس وتلبيس محقِّق الكتاب في زعمه أنَّ التَّأويلَ لصفاتِ الباري جلَّ وعلا بمعناه المعروف عند المتأخِّرين واقعٌ عند السَّلف الصَّالحين، وسنكشف خطأ هذا بالتَّفصيل في حلقات قادمة

إن شاء اللّه تعالى .

وسنضيف إلى هذين الأمرين في العدد القادم - بإذنه تعالى - مبحثاً ثالثاً وهو (كتبٌ ننصح بقراءتها)، واللّهُ الموفِّق، لا ربَّ سواه .

الأحكام الفقهيَّة المتعلِّقة بالكتب الشرعيَّة :

○ عنوان الكتاب

ينبغي للمؤلِّف أن يُحسنَ اختيارَ عنوان كتابه، فإنَّ للاسم تعلُّقاً بالمسمَّى، ومن عجائب الاتِّفاق أنَّ الذين أدركهم الإسلام من أعمام النَّبي ﷺ أربعة : لم يُسلم منهم اثنان، وأسلم اثنان، وكان اسم من لم يسلم ينافي أساميَ المسلمين، وهما : أبو طالب، واسمه : عبد مناف، وأبو لهب، واسمه : عبدالعزَّى، بخلاف من أسلم، وهما : حمزة والعبَّاس[1] .

وأخرجَ الدَّارقطني بسندهِ إلى المدائني قال : كان خبيَّة بن كنَّاز على الأُبُلَّة، فقال عمر بن الخطَّاب : لا حاجةَ لنا فيه، هو يُخَبِّيءُ، وأبوه يَكنِزُ[2] .

فالكتابُ بالنِّسبة لمؤلِّفه لا يقلُّ أهميَّة عن ولده، فهو ابنٌ لأفكاره، والولد ابن لنسله، وكلاهما يحفظ اسمه وشيئاً من رسمه، فكما يختار الأب اسماً حسناً لولده، على المؤلِّف أن يختارَ اسماً حسناً لكتابه، وعليه أن يُراعي فيه ما يلي :

أوَّلاً : البُعد عن السَّجع المُتكلَّف، وعدم الوضوح، فإنَّهُ أدعى للإقبالِ عليهِ والاستفادة منه .

ثانياً : مطابقة اسمه لمادَّته، وليوافق الخَبر الخَبَر .

ثالثاً : عدم التَّطويل إلاّ أن دَعَت الحاجة لذلك، فإنَّهُ أدعى للاستقرار والحفظ .

رابعاً : عدم تسميته بما يُشعر بموافقة منهج المبتدعة، من مثل الإيمان بالإلهام، والكشف، والفيوضات، والفُتوحات، والعصمة لآل البيت ونحوها من العناوين التي

---

(١) « فتح الباري » (١٩٦/٧) .

(٢) أخرجه الدَّارقطني في « المؤتلف والمختلف » (١٩٦٥) .

تَمَجَّدُ خرافات الصُّوفيّة، وبواطيل الشيعة، وتُرَّهات أهل الزّيغ والضَّلال .

خامساً : أن لا يكون فيه مخالفاتٌ شرعيّة، من مثل : دعوى إلى منهج المستشرقين (الإسرائيليّين الجدد)، أو دعوى للرَّذيلة، والأخلاق السَّيِّئة، أو ما يناقض المُقرَّر في العقيدة الإسلاميَّة .

قال أبو علي عمر السَّكُوني (المتوفَّى سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧ م) :

« ويقع في تسمية الكتاب أسماءٌ غير جائزة، مثل تسمية بعض الكتب « الإسرى » وتسمية بعضها : « المعراج » وبعضها « المعارج »؛ وهذا يُوهم أنَّ المصنِّف سُري به إلى السَّماء، فوجب مَنْعُهُ لكونه يُشير إلى مزاحمة النَّبي ﷺ في ذلك .

ومن ذلك تسميةُ بعضها : « مفاتيح الغيب » وتسميةُ بعضها : « الآيات البيِّنات » لأنَّ ذلك يُوهم المشاركةَ فيما أنزله اللَّهُ على نبيِّه، قال اللّه تعالى : ﴿ بل هُوَ آياتٌ بيِّنات في صُدورِ الَّذينَ أُوتوا العلم ﴾ [الأنعام:٥٩] .

كذلك يُوهم تسميةُ كتابه : « مفاتيح الغيب » المشاركةَ فيما عنداللّه تعالى، قال اللّه تعالى : ﴿ وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيبِ لا يعلمُها إلاّ هو ﴾ [العنكبوت:٤٩] فَلْتُجْتَنَب هذه التَّسميات، وما شاكلها من المُوهمات »[1]. انتهى .

وممَّا لا بُدَّ من التَّنبيه عليه هُنا : سوء صنيع كثير من المحقِّقين والنَّاشرين في كتبهم بأسماء مصنَّفات الأقدمين، فتراهم يَتفنَّنون في تبديل أسمائها لقلَّة تحصيلهم العلمي تارة، وطمعاً في تغرير القرَّاء تارةً أُخرى، فيوهمونهم أنَّ الكتاب لم يطبع بوضع اسم جديد له - من عندهم - طَمَعاً في الرِّبح المادِّي؛ فساءَ ما يصنعون، فينبغي الأخذُ على أيديهم .

ونقول لهم : اتَّقوا اللّهَ ربَّ الأرض والسَّماء، ودعوا عنكم هذه الأدواء .

وإلى اللقاء في العدد القادم إن شاء اللَّهُ ....

(١) « لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام » (٢٠٨-٢٠٩) .

○ كتاب «دفع شبه التَّشبيه» لابن الجوزي، لمحقّقه المزعوم (!) حسن السَّقَّاف .

هل صحَّ التَّأويل عن أحدٍ من الصَّحابة والسَّلف ؟

يستخدمُ الأشاعرةُ كلمةَ (التَّأويل) ويجعلونها أداة لهدم النُّصوص وتحريفها عمَّا أرادَ اللَّه، وقبل أن نصولَ ونجولَ مع واحدٍ من مُحْدِثيهم ممن فعلَ ذلك، وتعدَّى على الصَّحابة والسَّلف الصَّالح؛ فنسب إليهم زوراً وبُهتاناً ماهم منهُ براء؛ نتعرَّض – بإيجاز – إلى تجلية كلمة (التَّأويل) المرادة بهذه المقالة، فنقول :

○ معنى التَّأويل :

يطلق (التَّأويل) ثلاثة إطلاقات :

الأوَّل : بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الأمر، وهذا هو معناه في القرآن .

الثَّاني : يرادُ به التَّفسير والبيان، وهذا مرادُ ابن جرير وغيره من العلماء : « القول في تأويل قوله تعالى : كذا وكذا ... » أي : تفسيره وبيانه، ومنه قول عائشة الثَّابت في « الصَّحيح » : « ما كانَ رسولُ اللَّه ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهمَّ ربَّنا وبحمدك اللهمَّ اغفر لي، يتأوَّل القرآن »، تعني : يتمثلهُ ويعمل به .

الثَّالث : معناهُ المُتأخِّر المتعارف في اصطلاح الأصوليِّين، وهو صرفُ اللفظ عن ظاهره المتبادر منهُ إلى محتمل مرجوح بدليل يدلُّ على ذلك !!

○ كذب على السَّلف في نسبة التَّأويل بالمعنى الأخير لهم :

يزعم كثيرٌ من الأشاعرة أنَّ التَّأويل بالمعنى الثَّالث المرقوم آنفاً قد ورد في الأسماء والصِّفات عن كثير من السَّلف : الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم من العلماء الأخيار الذين هم من الدُّعاة إلى منهج السَّلف وعقيدتهم، ومن بين هؤلاء : ما سطَّره محقِّق (!) الطَّبعة الأخيرة الصَّادرة عن (دار الإمام النَّووي) سنة ١٤١٢هـ في مقدِّمة تحقيقهِ لكتاب ابن الجوزي : « دفع شبه التَّشبيه بأكفِّ التَّنزيه » !! فإنَّهُ عقد باباً في مقدِّمة التَّحقيق بعنوان (إثبات التَّأويل عند السَّلف) قال فيه (ص ٧) بعدَ أخذٍ وَرَدٍّ :

« ... فظنُّوا أنَّ ما يقولُه بعضُ المشبِّهة من أنَّ التّأويلَ ضلال وبدعة وتعطيل
تجهم وأنَّهُ لم يكن عند السّلف حقّاً، وليس الأمر كذلك على الحقيقة، بل مَن قرأ
درس وفتّش وبحث وطالع ونقّب فإنّه سيجد لا محالة أنَّ العدول من الأئمّة الثّقات في
لقرون الثّلاثة المشهود لها بالخيريّة لا المسمّاة عند بعض العلماء بقرون السّلف قد أوَّلوا
كثيراً من النُّصوص المتعلّقة بموضوع الصّفات والتّوحيد وبيّنوا أنَّ الظاهرَ منها غير مراد،
وحسبي في مثلِ هذا المقام أن أسرُدَ بعضَ تأويلاتهم وأن أُبيِّنَ قبل ذلك أنّهم تعلّموا
لتّأويل من كتابِ اللّه وسنّة سيّدنا محمّد ﷺ الصّحيحة ..» .

ثمّ أخذَ في ضربِ الأمثلة، وبيان التّأويل الذي وقعَ في كلامِ الصّحابة والعلماء
- زَعمَ - ممن يحمل العقيدة السّلفيّة، ويذبُّ عنها .

وقبل أن نناقشه ونبيّنَ خطأَهُ وضلالَهُ فيما ذهبَ إليهِ، أرى من اللازم عليَّ بيانَ
لأمور التّالية :

أوّلاً : اضطراب ابن الجوزي في الأسماء والصّفات، وإنكار الحنابلة مَذهَبَهُ في ذلك :

أثار كتابُ ابن الجوزي « دفع شبه التّشبيه ... » ضجّة كبيرة منذ زمن طويل،
وتعلَّقَ بهِ كثيرٌ من أعداءِ السّلفيّين في صفات اللّه سبحانه، وطاروا به كلَّ مطار، وعمل
على خدمته عدّةٌ ممّن يحملون لواء المحاربة للعقيدة السّلفيّة، من أمثال : محمّد بن زاهد
الكوثري قديماً، والسّقّاف أخيراً، حيث سوَّدَ الكتابَ بمقدّمة وتعليقات وحواشي
ونقولات تُنبيءُ عن حقد، وتدلُّك على جهلٍ، وقلّةِ فهمٍ، وقصور باعٍ في العلمِ، بله
على تعصُّب ذميم يُعمي عن الحق والصّواب، إن لم نقلْ : يكشف عن ضلالٍ غارقٍ
صاحبهُ فيه، يجعلهُ - ما دام هكذا - لا يَرى النُّور، ولا الطَّريق الموصلة إليهِ .

وقبلَ أن نتعرَّض إلى بيان شيءٍ من تلبيساته وتدليساته على السّلف ومن سار على
منهجهم فيما يتعلّق بالتّأويل، أرى من الضّروري هنا نقل شذرات من كلام الأئمّة
الأعلام في بيان اضطراب ابن الجوزي في الأسماء والصّفات، خصوصاً من كانَ منهم

من الحنابلة، لأنهم هم أدرى بمذهب إمامهم، وسأختم هذه الشذرات بفقرات من رسالة وجهها بعض فضلاء الحنابلة إليه، فأقول وعلى الله الاعتماد والتكلان :

– قال ابن رجب الحنبلي في ابن الجوزي : « نقم عليه جماعةٌ من مشايخ أصحابنا وأئمّتهم ميلَه إلى التأويل في بعض كلامه، واشتدَّ نكيرهم عليه في ذلك، ولا ريب أنَّ كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو وإن كان مطَّلعاً على الأحاديث والآثار، فلم يكن يحلّ شبهُ المتكلّمين وبيان فسادها، وكان معظِّماً لأبي الوفاء ابن عقيل متابعاً لأكثر ما يجدهُ من كلامه – وإن كان قد ردَّ عليه في بعض المسائل – وكان ابن عقيل بارعاً في الكلام، ولم يكن تامَّ الخبرة بالحديث والآثار، فلهذا يضطرب في هذا الباب، وتتلون فيه آثاره، وأبو الفرج تابع له في هذا التَّلوُّن » .

وقال ابن قدامة المقدسي : « كان ابن الجوزي إمام عصره، إلاّ أنّنا لم نرتَضِ تصانيفه في السُّنَّة ولا طريقته فيها » كذا في « ذيل طبقات الحنابلة » : (١/٤١٥) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة في « مجموع الفتاوى » : (٤/١٦٩) : « إنَّ أبا الفرج نفسه مُتناقضٌ في هذا الباب[1]، لم يَثبُت على قدم النّفي، ولا على قدم الإثبات، بل له من الكلام في الإثبات نظماً ونثراً ما أثبتَ به كثيراً من الصّفات التي أنكرها في هذا المصنَّف[2]، فهو في هذا الباب مثلُ كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع النّاس، يُثبتون تارة، ويَنفُون أخرى في مواضعَ كثيرةٍ من الصّفات، كما هو حال أبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزالي » .

ولست هنا بصدد ضرب الأمثلة، وتتبّع التأويل أو التّفويض أو الإثبات الواقع في كلام ابن الجوزي في تصانيفه المختلفة وإنّما همّي هنا التّنبيهُ على أنّهُ لا يجوز لباحث شادٍ جادٍّ منصفٍ، يريد الحقَّ ويبتغي الوصولَ إلى الصّواب أن يعتمدَ على مثل كتاب ابن الجوزي هذا، ويبثَّ سمومَهُ وحقدَهُ على السّلفيّين، ويعتبرَهُ مثالاً على وقوع التّأويل عند السّلف ! ! كما فعلَ السّقّاف حيث ختمَ مبحثه (إثبات التّأويل عند السّلف) الذي

(١) أي : باب الأسماء والصّفات .

(٢) أي : « دفع شبه التّشبيه » .

وضعه تقديماً لكتاب ابن الجوزي (رقم: ١٨) فقال (ص: ٢٠) : « الحافظ ابن الجوزي رحمه الله مؤوِّل أيضاً : كتابنا هذا « دفع شبه التَّشبيه » يثبت ذلك عنهُ بلا شك، والله الموفِّق » ثمَّ قال : « فهذه ثماني عشرة نقطة فيها أكثر من عشرين تأويلاً عن الصَّحابة وأهل القرون الثَّلاثة من أئمَّة العلماء والمحدِّثين كلها تثبت مع الأدلَّة التي سقناها في صدر الكلام أنَّ التَّأويل حقٌّ، وأنَّهُ من قواعد الشريعة، وأنَّهُ من منهج السَّلف الصَّالح، والله الموفِّق » . انتهى .

وقبل أن نَضَع هذا الكلام في ميزان الحقِّ، ليتبيَّن لنا ما فيه من عَوارٍ ومجانبة للصَّواب، نذكر فقراتٍ من رسالة وجَّهها الشيخ الزَّاهد القدوة إسحاق بن أحمد العَلثي لعصريه ابن الجوزي أنكرَ فيها عليه مذهبه في الصِّفات، ومما جاء فيها :

« واعلم أنَّهُ قَد كَثُرَ النَّكيرُ عليك من العلماء والفضلاء، والأخيار في الآفاق بمقالتك الفاسدة، وقد أبانوا وَهاءَ مقالتك، وحكوا عنك أنَّكَ أبيتَ النَّصيحة، فعندك من الأقوال التي لا تليق بالسُّنَّة ما يضيق الوقتُ عن ذكرها ... » .

وقال : « ... ثمَّ تعرَّضتَ لصفات الخالق تعالى، كأنَّها صدرت لا من صدرٍ سَكَن فيه احتشام العليِّ العظيم، ولا أملاها قلبٌ مَليءٌ بالهيبة والتَّعظيم، بل من واقعات النُّفوس البهرجيَّة الزُّيوف .. وزعمتَ أنَّ طائفة من أهل السُّنَّة والأخيار تلقَّوها وما فهموا ... وحاشاهم من ذلك، بل كفُّوا عن الثَّرثرة والتَّشدُّق، لا عجزاً – بحمد الله – عن الجدال والخصام، ولا جهلاً بطرق الكلام، وإنَّما أمسكوا عن الخوض في ذلك عن علمٍ ودرايةٍ، لا عن جهلٍ وعمايةٍ .

والعجب ممن ينتحل مذهب السَّلف، ولا يرى الخوضَ في الكلام، ثم يُقدِمُ على تفسير ما لم يره أوَّلاً، ويقول . إذا قلنا كذا أدَّى إلى كذا، ويقيس ما ثبت من صفات الخالق على ما لم يثبت عنده، فهذا الذي نهيت عنه، وكيف تنقض عهده ؟ وقولك بقول فلان وفلان من المتأخِّرين ؟ فلا تُشمِت بنا المبتدعة، فيقولون : تنسبونا إلى البدع وأنتم أكثر بدعاً منَّا، أفلا تنظرون إلى قول مَن اعتقدتم سلامة عَقْدِه، وتثبتون بمعرفته وفضله ؟ كيفَ أقولُ ما لم يُقل، فكيفَ يجوزُ أن تتَّبع المتكلِّمين في آرائهم، وتخوض مع الخائضين

فيما خاضوا فيه، ثمّ تنكر عليهم ؟ هذا من العجب العجاب، ولو أنَّ مخلوقاً وصفَ مخلوقاً مثله بصفاتٍ من غير رؤية ولا خبر صادق؛ لكان كاذباً في إخباره، فكيف تصفون اللّه سبحانه بشيء ما وقفتم على صحّته، بل الظُّنون والواقعات، وتنفون الصّفات، التي رضيها لنفسه، وأخبرَ بها رسولُه، بنقل الثِّقات الأثبات؛ بيحتمل ويحتمل » .

ثمّ قال : « وتدّعي أنَّ الأصحاب خلطوا في الصّفات، فقد قبّحت أكثر منهم، وما وسعتك السُّنَّة، فاتّقِ اللّه سبحانه، ولا تتكلَّم فيه برأيك فهذا خبرُ غيبٍ، لا يُسمع إلّا من الرّسولِ المعصوم، فقد نصبتم حرباً للأحاديث الصّحيحة، والذين نقلوها نقلوا شرائع الإسلام » .

وفيها بعد كلام فيه مُناقشةُ تأويلٍ لبعض الصّفات وقع لابن الجوزي :

« فكيفَ هذه الأقوال ؟ وما معناها ؟ فإنّا نخاف أن تحدث لنا قولاً ثالثاً، فيذهب الاعتقاد الأوّل باطلاً، لقد آذيتَ عباد اللّه وأضللتهم، وصارَ شغلك نقل الأقوال فحسب، وابن عقيل سامحه اللّه، قد حكي عنه : أنّه تاب بمحضر من علماء وقته من مثل هذه الأقوال، بمدينة السّلام – عمرها اللّه بالإسلام والسُّنَّة – فهو بريء – على هذا التّقدير – ممّا يوجد بخطِّه، أو يُنسب إليه، من التّأويلات، والأقوال المخالفة للكتاب والسُّنَّة .

وأنا وافدة النّاس والعلماء والحفّاظ إليك، فإمّا أن تنتهي عن هذه المقالات، وتتوب التّوبة النّصوح، كما تاب غيرك، وإلّا كشفوا للنّاس أمرك، وسيّروا ذلك في البلاد وبيّنوا وجه الأقوال الغثّة، وهذا أمر تُشُوِّرَ فيه، وقضي بليل، والأرض لا تخلو من قائم للّه بحجّة، والجرح لا شك مقدّم على التّعديل، واللّه على ما نقول وكيل، وقد أعذر من أنذر .

وإذا تأوّلت الصّفات على اللغة، وسوّغته لنفسك، وأبيتَ النّصيحة، فليس هو مذهب الإمام الكبير أحمد بن حنبل قدّس اللّه روحه، فلا يمكنك الانتساب إليه بهذا، فاختر لنفسك مذهباً، إن مكنت من ذلك، وما زال أصحابنا يجهرون بصريح

الحق في كل وقت ولو ضُربوا بالسُّيوف، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يبالون بشناعة مشنِّع، ولا كذب كاذب، ولهم من الاسم العذب الهنيّ؛ وتركهم الدُّنيا وإعراضهم عنها اشتغالاً بالآخرة : ما هو معلوم معروف .

ولقد سوَّدت وجوهنا بمقالتك الفاسدة؛ وانفرادك بنفسك، كأنَّك جبَّار من الجبابرة؛ ولا كرامة لك ولا نعمى، ولا نمكنك من الجهر بمخالفة السُّنَّة، ولو استقبل من الرأي ما استدبر : لم يحك عنك كلام في السهل، ولا في الجبل، ولكن قدر اللَّه، وما شاء فعل، بيننا وبينك كتاب اللَّه وسنَّة رسوله، قال اللَّه تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللَّه والرَّسول ﴾ ولم يقل : إلى ابن الجوزي .

وترى كل من أنكر عليك نسبته إلى الجهل، ففضل اللَّه أُوتيته وحدك ؟ وإذا جهَّلت النَّاس فمن يشهد لك أنَّك عالم ؟ ومن أجهل منك، حيث لا تصغي إلى نصيحة ناصح ؟ وتقول : من كان فلان، ومن كلان فلان ؟ من الأئمَّة الذين وصل العلم إليك عنهم، من أنت إذاً ؟ فلقد استراح من خاف مقام ربِّه، وأحجمَ عن الخوض فيما لا يعلم، لئلاَّ يندم .

فانتبه يا مسكين قبل الممات، وحسِّن القول والعمل، فقد قرب الأجل، للَّه الأمر من قبل ومن بعد، ولا حولَ ولا قوَّة إلاَّ باللَّه العليِّ العظيم » انتهى من « الذيل على طبقات الحنابلة » : (٢/٢٠٩-٢١١) بتصرُّف واختصار .

فهذه الشذرات من هذه الرِّسالة المهمَّة تبيِّنُ أنَّ اضطرابَ ابن الجوزي في الصِّفات مكشوفٌ عند الأقدمين، وأنَّهُ لم يستقر على شيء في هذا الباب العظيم من أبواب التَّوحيد، وأن ما ينقله عن العلماء ينبغي أن يُتوقَّف فيه، ويعرض على القواعد والمقررات، فيؤخذ منه الصَّواب، وينبذ منه الخطأ والبطلان .

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ ابن الجوزي ذكر في مقدِّمة كتابه (ص:٩٧-٩٩) أنَّ ثلاثة من الحنابلة قد صنَّفوا في باب الصِّفات، من بينهم القاضي أبو يَعلى، وأنَّهم غَلَوْا في الإثبات، ونقل المحقِّق في الهامش عن ابن العربي قوله في « العواصم » (٢/٢٨٣) : « أخبرني من أثق به من مشيخني أنَّ القاضي أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذُكرَ اللَّه سبحانه

يقول فيما وردَ من هذه الظواهر في صفاته تعالى : « ألزموني ما شئتم فإنّي ألتزمه إلاّ اللحية والعورة » ! قال بعض أئمّة أهل الحقّ : وهذا كفرٌ قبيحٌ واستهزاءٌ باللّه تعالى، وقائلهُ جاهلٌ به تعالى لا يقتَدي به، ولا يُلتفتُ إليهِ، ولا متّبعٌ لإمامه الذي ينتسبُ إليه ويتستَّرُ به، بل هو شريكٌ للمشركين في عبادة الأصنام، فإنّه ما عَبَدَ اللّهَ ولا عرفه، وإنّما صوَّر صنماً في نفسه تعالى اللّه عمّاً يقول الملحدون الجاحدون علوّاً كبيراً » انتهى .

قلت : وقد سكت المحقِّق على هذا، ونقل قبله كلاماً للكوثريِّ فيه تشنيعٌ وتشغيبٌ على أبي يَعلى ! مع أنّه قرَّر في مقدِّمَة هذا الكتاب (ص:٢٧ وما بعدها) أنَّ العقيدة لا تؤخَذ بالآحاد !! **فكيفَ يُقَرِّر كُفرَ أبي يعلى وتَضليله بخبر واحدٍ ينقل شيئاً عن مجهول غير معروف**، وهل التَّكفير من أبواب العَقيدة أم لا ؟! أم أنَّ تكفير الحنابلة أو تضليلهم أمرٌ سائغٌ لا يحتاج إلى دليلٍ، أو بيِّنَةٍ ! حقّاً إنَّهُ التشهِّي والهوى .

ورحم اللّه شيخَ الإسلام فإنَّهُ قال عن أبي يَعلى في « درء تعارض العقل والنَّقل » (٥/٢٣٧-٢٣٩) : « وشنَّعَ عليهِ أعداؤه بأشياء هو منها بريء، كما ذكر هو ذلك في آخر الكتاب، وما نقله عنه أبو بكر بن العربي في « العواصم » كذبٌ عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر، وهو من الكذب عليه، مع أنَّ هؤلاء وإن كانوا نقلوا عنه ما هو كذبٌ عليه، ففي كلامه ما هو مردود نقلاً وتوجيهاً » ثمَّ قال : « ويُقال: إنَّ أبا جعفر السِّمناني شيخ أبي الوليد الباجي قاضي الموصل، كان يقول عليه ما لم يقله، ويقال عن السمناني أنَّهُ كان مُستَّحاً في حكمه وقوله » .

وهذه عاصمةٌ لتلك القاصمة ..

يتبع في العدد القادم إن شاء اللّه .....

□ □ □ □ □

مَعَ ابن تيميَّة في كتابه «النُّبوَّات»

محمد إبراهيم شقرة

ابنُ تيميَّة ذلك الجبل الشامخ الرَّاسخ، ما طاوله جبل إلا وتطامن، ولا قاوله لسان إلا وأبلس، ولا نظر إليه بصر إلا ارتدَّ عنه خاسئاً وهو حسير، ظل يدفعُ في صدورٍ أظلمت ببغض الحق، حتى ردَّها مُستسلمة بظلماتها إلى وراء وراء، ويَذود عن حياض العقيدة التي ساغت مواردها حتى لقي ربَّهُ، ويُبَصِّرُ الأُمَّة كلها – ضُلاَّلها ومهتديها – بمواقع الهدى والمعروف والإحسان حتى أسلم روحه لخالقها، في جرأة لا تعرف التَّردُّد، وفي يقين لا يعرف التحيُّر، وفي صبر لا يعرف الجزع.

وما خرجَ من الدُّنيا إلاّ وقَد خلَّفَ من ورائه عشرات المجلَّدات، والكتب، والرَّسائل، في كل المعارف الإسلاميَّة، يعجز عنها الجمُّ الغفيرُ من المتخصصين فيها، فقد كانَ – رحمه اللَّه تعالى – آيةً في الحفظ، وحضور الذِّهن، وقوَّة العارضة، وسعة الاطِّلاع، وغزارة الفكر، ومتانة الحجَّة، وصارت القرون من بعده تسعى إلى تراثه العظيم، المتمثِّل في تلك المجلَّدات، والكتب، والرَّسائل، تبحث عنها في كلِّ مكان ينتهي إلى علمها وجودُها فيه، فإذا ما أصابَت طائفةٌ طائفةً منها، علمت أنَّها قَد أصحَت على وَفرَة من المعرفة، ما كانت لتنالها لو أنَّها لم تُصب تلك الطَّائفةَ من تراث ابن تيميَّة رحمه اللَّه.

○○○

وابن تيميَّة رحمه اللَّه ليس في حاجة إلى شهادة مثلنا ليعرف النَّاسُ مَن

ابنُ تيميَّة، ومن البلاء الذي لا يُدانيه بلاءٌ في الجهل أن يكون ابن تيميَّة – وهو الجبل الأشمُّ الراسخ – ليس معروفاً عند ملايين المسلمين، وأعظم من هذا البلاء وأشد، أن يسخر الشيطان طوائف من المسلمين – ممن يدَّعون العلم – ليقولوا في ابن تيميَّة مقالة تميد لها الأرض، وتخرُّ لهولها الجبال، فقالوا – ويا سوء ما قالوا – : قالوا : ابن تيميَّة (كافر) !!! ولم يجدوا مَن يُلجم أفواههم !! ويُلقمهم حجارة تُحَطِّم فيها أسنانهم !! ويملؤها رماداً تغصُّ بها حلوقهم !!!

وأعظم من بلاء هؤلاء وأشدُّ أن تكون المقالة من زعانف، حظُّها القمامة، ومآلها النِّفاية !! أي والله !! فلا أدري ما الذي يُجرِّئُهم على هذا الطَّود الشامخ الرَّاسخ ؟! هل هو الغرور ؟! هل هو الجهل ؟! – لو كان أحدهما شان الخطب رغم فظاعته !! لكنَّه التَّزبُّب قبل التَّحصرُم !! .

فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ .

وحسبنا من علم هذا الطود الشامخ الرَّاسخ كتابٌ واحدٌ من كتبه وهو كتاب « النُّبوَّات »، وما أردت منه الانتصار لابن تيميَّة في آرائه الفقهيَّة، والعقديَّة، فمثلي يكفيه أن يقرأ، ويفيد لنفسه مما يقرأ !! لكن أردت أن أوردَ في مقالي هذا لوناً معرفيّاً جليلاً، لا يُعرف إلاّ عند هذا الرَّجل، أو عند من أخذ عنه مباشرة، أو عند من قرأ كتبه، وأفاد منها بصدق جدِّه، ودأبه، وطول نظره وتبصُّره، أمَّا الذين غووا بكبرهم، وسوء ظنهم، واتِّباعهم الأشياخ في تسليم كُلِّي، فهؤلاء لا تُرجى لهم السَّلامة في دينهم ولا في آخرتهم، وحسبهم أنَّهم يَلْقَوْنَ ربَّهم بكبرهم عن الحقِّ، وسوء ظنِّهم في هذا الطَّودِ الشامخ .

ooo

وابن تيميَّة في هذا الكتاب كعادته في غيره، طولُ نفسٍ، وروعةُ نَسَقٍ،

ودقّةُ استطراد، ونصاعةُ عبارة، وسلامةُ معنى، وقوّةُ سبك، يطالعك في كُلّ فصل من فصوله، وجهُهُ المتهلّلُ حبوراً وبِشراً بما ترى أنّهُ قد وُفّقَ إليه، دفاعاً عن الحق الذي جَهِلَه طوائفُ، واستكبر عنه آخرون، ولانَت قلوبٌ، وافاها على بصيرة وعلم، فكانت الغَلَبَةُ له ولأهله، وإن طال الأمدُ، وبدا لأهل الباطل زماناً أنّهم المنصورون .

لذا؛ فإنّني لا أجد بدّاً من أن أنصحَ كلَّ واحدٍ مِن قُرّاءِ العربيّة أن يحرص على قراءة هذا الكتاب الجليل، ليعرف هذا الطَّود الشامخ من لا يعرفه أوّلاً، ولكي يفيد علماً لا يفيده إلاّ من هذا الكتاب ثانياً، فإمّا أن يكون منصفاً فيعرف حق ابن تيميّة عليه، فيذود عن عِرضهِ ودينهِ، وينتصف له من كل مَن حُرم الخلق الحسن وتقوى الله، فجار عليه بسوء خلقه وفجوره، فكان بذلك بارّاً بالشيطان، عدوّاً لأولياء الرّحمن، وعلى رأسهم شيخنا ابن تيميّة، علم الأعلام، وشيخ الإسلام .

والطّاعنون على ابن تيميّة، والقائلون عليه بهتاً ومَيْناً، لو أنّهم خلعوا عن قلوبهم الضّغن عليه، وغسلوا صدورهم من الوغر الرّائن عليها له، وقرأوا كتبه بتجرُّد وبلا وَجَلٍ من هيمنة الأشياخ الجُهلاء، لعلموا أنّهم وإن بلغوا شأواً بعيداً في المعرفة والعلم – إحساناً بالظّنّ في أنفسهم – أنّهم من غير أن يُلِمُّوا بشيء من محيط علم هذا الرّجل، فلا زالوا يقفونَ عند أوّلِ درجات سُلَّم العلم، وأنّهم لن يرقوا الثّانية والثّالثة إلاّ إنْ هم أفادوا من كتبه، ورسائله، ومجلّداته التي أصبحت تملأ الخافقين، ولم يعد الشباب المسلم، الرّاغبون في التّزوُّد بالمعارف الإسلاميّة، يأبهون لمقالات الأشياخ العاجزين !! في الطّعن عليه، وتكفيره، واتّهامه بما يُرْخِصُ المُتَّهِمَ الباهتَ، وَيَحُطُّ من قدره – حتى في نظر الأتباع المتهالكين على أعتابهم، تلمُّساً للبركة والعلم والفقه – ذلكم أنّ

الزّمان غير الزّمان، ووسائل المعرفة وطرقها، أضحت كثيرة جدًّاً، ثمّ هناك شيءٌ آخر مهم جدًّاً وهو :

إنَّ الكذب يُردي أوّل من يُردي الكَذَبَة أنفسَهم ويكشفُ عوارهم - وإنْ أَلْحَقَ بعض الأذى بالمفترى عليهم - فحبل الكذب قصيرٌ، حتى في أيسرِ الأُمورِ وأهونها، فكيف في أعسرها وأصعبها ؟!

ولقد علمتْ طبقاتُ هذه الأُمّة، أُناساً طبّقت شهرتُهم العلميّةُ آفاق الأرض، وصاروا على ألسنة الغادين والرّائحين، وشهدت أسماؤهم مجالسَ التّعليم والدّرس، وإذا ما عُرضوا على ضوء أسرجة العلم الصّحيح، المؤسّس على الكتاب والسنّة، رأيتَ وجوههُم مسودّةً عياذاً باللّه من جهلهم ببدهيّات العلم الصّحيح، بيد أنّهم عند الدهماء مُقدَّمون على ابن تيميّة وابن القيّم، وابن حزم، وابن قدامة، والنّووي، وغيرهم من الأعلام الشاهقة، ذلكم أنّهم جرَوْا في مضمار الحياة العصريّة وعَرَصاتها، وأركَضوا بغالهم في المدنيّة الغربيّة، ثمّ أناخوها في ساحاتها وعَرَصاتها، المملوءةِ عقاربَ وأفاعي وعناكب سوداء سامّة !!! يبيعون منها قَدْراً وافراً، ثم يكونون في فتاواهم الشرعيّة (زعموا) !! غير مخالفين عن مُراد تلك العقارب، والأفاعي، والعناكب !! فكل ما أفرزته المدنيّة الغربيّة من عقود، ومعاملات اقتصاديّة، وأحوال اجتماعيّة خاضعين في هذه الفتاوى للعقل فقط، غير ناظرين فيها إلى الأدلّة الشرعيّة من كتاب وسنّة التي تَرُدُّ هذه الفتاوى برُمّتها، مُعْرِضين عن كل ما يُؤثَرُ عن سلف هذه الأُمّة - وأوّلهُم القرونُ المفضّلةُ الثّلاثة الأولى - من ورَع آثروا به الفقر على الغنى، والسقم على العافية، والجوع على الشبع !! فكانوا بحقٍّ من خير أمّة أُخرجت للنّاس .

إذا لم يكن عجيباً أن نرى اليوم من يفتري الكذبَ على ابن تيميّة،

وينسب إلى الكفر والضّلال !! فهلا اتّقى الصُّغراءُ الجُهلاءُ، المُصفَرَّةُ وجوهُهم !! الأدعياءُ البُلَهاءُ، المبلَّدُ حِسُّهُم !!! ألا اتّقوا ربّهم واقلعوا عن السُّخف العقلي والنّفسي، وزحزحوا أنفسهم عن خيالات المرورين – أن لم يكونوا منهم – ورأوا أنّهم على حدِّ المثل القائل :

كناطحٍ صخرةً يوماً لِيُوهِنَها فلم يَضِرها وأوهى قَرْنَهُ الوَعِلُ

إنَّ كتاب « النُّبوّات » هذا الذي ذكرناه آنفاً، يقف القارىءَ على جادَّة في مسألة المعجزة والكرامة، والأمور الخارقة، التي يُلَبِّسُ بها الأشرار والفُجّار والخبثاء، على العامّة والدهماء: فيحسبونهم بها أتقياء، صُلَحاء، أصحابَ كرامات، فهم يرون بأُمِّ أعينهم ناراً متلهّبَة تدخل الأجوافَ فلا تؤذيها، وتحيطُ بالأجساد فلا تحرقها، وتلامس الوجوه فلا تُؤثِّر فيها، ويُبصرون بِحِرابٍ تُغرس في الوجوه والبطون والرقاب، فلا تُحدث أثراً من جرح أو دم أو ندبةٍ، فإن لم تكن هذه كراماتٍ فما تكون الكراماتُ إذاً ؟! ويجد هؤلاء العامّةُ والدهماءُ أنفسَهم مُقادين في طواعيَة عمياءَ لأولئك الأشرار الفجّار الخبثاء، لا يعصونهم فيما يأمرون وإن كان معصية وحراماً، ويُطيعونهم فيما ينهونهم عنه وإن كان واجباً وطاعةً .

مما تقدَّم أجدني ناصحاً مُخلصاً لكل قارىء أن يشتري هذا الكتاب « النبوّات »، أو يستعيره فيقرأه قراءة متأنّية ليكون مِن بَعدُ على بيّنة من أمره، ولكي يعرفَ الفرقَ بين المعجزة، وبين الكرامة، وبينهما من جهةٍ وبين ما تبدو أنّها من الخوارق الزّائفة من جهةٍ أُخرى، التي يستكثر بها أصحاب الأتباع، ويُشبعون بها الأطماع، ويستدرجون بها المُتخمين والجياع !!

ثمراتُ الكُتُب

علي بن حسن

هذه كلماتٌ سِمانٌ مُنتقاةٌ مِن بُطونِ الكُتُب، تحوي فوائدَ منثورةً مُهِمَّة، يَستفيدُها طالبُ العلم خاصَّة، ويَنتفعُ بها المسلمون عامَّة :

○ الكتابُ والسُّنَّة :

كتابُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ قَولـــــي
وما صَحَّت بِهِ الآثارُ دينـــــي

فَدَعْ ما صَدَّ عَن هٰذي وَخُذْها
تَكُن منها على عينِ اليَقيـــنِ

« نفح الطِّيب » (١٢٧/٢) لِلمَقَّري .

○ الحقُّ لا يُعرَف بالرِّجال :

« احْرِص أيُّها المسلمُ ! على أن تَعرِفَ إسلامَكَ مِن كتابِ ربِّكَ، وسُنَّة نبيِّكَ، ولا تَقُل : قال فلانٌ ! **فإنَّ الحقَّ لا يُعرَف بالرِّجال، بل اعرِفِ الحقَّ تَعرِفِ الرِّجال** » .

« سلسلة الأحاديث الصَّحيحة » (١٦٤/١) للعلَّامة الألباني .

○ هَدْيُ الصَّحابةِ ونَهجُهُم :

قال العلَّامة صدِّيق حسن خان (المُتوفَّى سنة ١٣٠٧هـ) شارحاً قولَ النَّبيِّ ﷺ في وَصفِ الفرقة النَّاجية : « ما أنا عليهِ اليَومَ وأصحابي »[١] .

(١) حديثٌ حسنٌ، انظر تعليق شيخنا على « شرح الطحاوية » (رقم: ٢٦٣) .

فقال :

« دلَّ قَيد (اليوم) أنَّ المعتبر من شرائع الدِّين ما كانَ في زمنِ النَّبيِّ ﷺ ، لأنَّ بعده – عليه السَّلام – اختلف الصَّحابة أيضاً في مواضع ومسائل ، فالتي تستحقُّ للأخذِ ، والتمسُّك بها ؛ هي السُّنَّة الصَّريحةُ الصَّحيحة ، الصِّرْفَةُ ، المَحْضَةُ ، التي لا يشوبها اجتهادٌ ، ولا رأيٌ ، ولا قياسٌ ، ولا شيءٌ !!

ولا مِصداقَ لذلك إلاّ طريقةُ الأئمّة المحدِّثين السَّابقين ، وأصحاب الأمَّهات السِّت ، ومَن حذا حَذوَهُم في التَّقوى وإصلاحِ الدِّين » .

« الدين الخالص » (٣/٤٤) .

○ بينَ النَّصيحة والغيبة :

قال عبدُاللَّه ابنُ الإمام أحمد :

جاءَ أبو تُرابٍ النَّخشبيُّ إلى أبي ، فَجَعَلَ أبي يقول : فلانٌ ضعيفٌ ، وفلانٌ ثقةٌ .

فقال أبو تُراب : لا تَغتَبِ العُلماء !

فالتفتَ أبي إليهِ ، فقال :

« وَيحَكَ ! هذه نصيحةٌ ، ليس هذا غيبةً » .

« المقصد الأرشد » (٢/٢٨٤) لبرهان الدِّين ابن مُفلح .

○ نِساء بِلا حَياء :

صحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أنَّهُ قال : « لا تُسافِرُ المرأةُ ثلاثاً إلاّ وَمَعها ذو مَحرَمٍ »(١)

عقَّب الشيخ أحمد شاكر رحمه اللَّه على هذا الحديث بقوله :

---

(١) رواه الشيخان .

« وهذا الحديث أصلٌ عظيمٌ مِن أصولِ الإسلام، لصيانَةِ المرأةِ وحِفظها أن تُعرَّضَ لِما يُفسِدُ خُلُقَها، ويَمسَّ عِرضَها، بأنَّها ضعيفةٌ يَسهُلُ التَّأثيرُ عليها، واللَّعبُ بعقلها، حتَّى تَغلبها شهوتُها .

وقَد أعرضَ المسلمون في عَصرنا - أو بعبارة أدقَّ : مَن يُسمَّونَ مُسلمون، وينتسبون إلى الإسلام ! - فتراهم، كما نَرى، يُطلقونَ نساءَهُم مِن الطَّبقات التي تُسمَّى العُليا (!)، ومِن غيرها مِن الطَّبقات، فيَجُلنَ في البلاد، ويَخرُجنَ سافِراتٍ غيرَ مُحصناتٍ، حتَّى يُسافِرنَ إلى الأقطار الأوروبيَّة، والأمريكيَّة وغيرها وَحدَهُنَّ، ليسَ مَعهنَّ مَحرَمٌ، فيَفعَلنَ الأفاعيل، وتأتي أسوأ الأخبارِ عَنهُنَّ، لا يتورَّعنَ، ولا يَستحِينَ، وليسَ لَهُنَّ رادعٌ !

بل إنَّ الدَّولة - وهي تَزعُمُ أنَّها دولةٌ إسلاميَّةٌ - لتُرسِلُ الفتيات في بعثاتٍ للتَّعلُّم في البلاد الأجنبيَّة، وهُنَّ في فَورَة الشباب، وجُنونِ الشهوة، ولا تجد أحداً يُنكرُ هذا المُنكر، أو يأمُرُ في ذلك بالمعروف، بل إنَّ عُلماء الأزهر (!) لا يُحرِّكون في ذلك ساكناً، إن لم أقُل : إنَّهم صاروا لا يَرونَ في ذلك بأساً، إن لم أقُل : إنَّ لبعضهم بَناتٍ يتردَّين في هُوَّةِ هذه البعثات !!

ولقَد حَدَثت أحداثٌ لا يرضى عنها مسلمٌ، مِن أسوَئِها أثراً أنَّ كثيراتٍ ممَّن يُسافِرنَ إلى بلاد الكُفر والإلحاد، من أعلى الطَّبقات في الأُمَّة (!) ومن غيرها، ارتَدَدنَ عن دينهنَّ؛ اتِّباعاً للشهوة الجامحة، وتزوَّجنَ برجالٍ من كُفَّارِ أوروبَّة وأمريكا الملحدين الوثنيِّين، الذين ينتسبون كذباً إلى اليهوديَّة أو المسيحيَّة، فاختَرنَ سَخَطَ اللّهِ، وأبَينَ رضوانه، هُنَّ وأهلُهُنَّ، وَمن رَضيَ عنهنَّ وعن عملهنَّ، وإنَّا للّه وإنَّا إليهِ راجعون » .

« شرح المسند » (٦/٤٦١٥) .

أزهارٌ مُتناثِرَةٌ ...

سليم الهلالي

● مِن خصائصِ لُغَتنا :

(١) لِسانُ العَربِ أفضلُ اللُّغات وأوسَعُها .

وَسِعَ مُرادَ اللَّهِ لَفظاً وغايَةً، فقال سبحانهُ :

﴿ وإنَّهُ لَتَنزيلُ ربِّ العالمين ○ نَزَلَ به الرُّوحُ الأمين ○ على قَلبِكَ لتَكونَ مِن المُنذرين ○ بِلسانٍ عَربيٍّ مُبينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وَصَفَهُ اللَّهُ بأبْلَغِ ما يوصفُ به الكلامُ، وَهُوَ البيانُ .

وقدَّمَ اللَّهُ جلَّ ثناؤهُ ذِكْرَ البيانِ على جميعِ ما تَوحَّدَ بخَلقهِ وتفرَّدَ بإنشائه :

﴿ خَلَقَ الإنسانَ ○ علَّمهُ البيانُ ﴾ [الرحمن:٣-٤] .

فلمَّا خصَّ جلَّ ثناؤهُ اللسانَ العربيَّ بالبيانِ عُلِمَ أنَّ سائرَ اللغاتِ قاصِرَةٌ عنهُ ودافِعَةٌ دونهُ، واللغاتُ الأعجميَّةُ لا توصفُ بالبيان، يُستفادُ مِن قولهِ تعالى :

﴿ لِسانُ الَّذي يُلحدونَ إليهِ أعجميٌّ وهذا لسانٌ عَرَبيٌّ مُبينٌ ﴾ [النحل:١٠٣] .

« الصَّاحبي » بزيادة وتصرف .

(٢) لِسانُ العَرَب يقومُ على السَّماع لا القِياس .

– قال ابن فارس في « الصَّاحبي » (ص:٨) .

لَقَد بَلَغنا عَن أَبي الأسوَدِ أَنَّ امرءاً كَلَّمهُ بِبَعضٍ ما أَنكَرَهُ أبو الأسوَد، فسألَهُ أبو الأسوَد عنهُ فقال : هذهِ لُغَةٌ لَم تَبلُغْكَ .

فقال لهُ : يا ابنَ أخي إنَّهُ لا خَيرَ لكَ فيما لَم يَبلُغني .

فعرَّفَهُ بلُطفٍ أنَّ الذي تكلَّمَ به مُختلقٌ .

– قال النَّهرواني المتوفَّى سنة (٣٩٠هـ) في « الجليس الصَّالح الكافي والأنيس النَّاصح الشافي » (٤٣٧/١) معلقاً على خبر :

هكذا في الخبر « أَلطَّ »، والمعروف في اللغة « لَطَّ »، وقالوا في اسم الفاعل : « مَلَط » على غير القياس ؛ لأنَّ قياسَ ألط « مُلِطّ » وقياس لطَّ « لاطٌّ » غير أنَّ السَّماعَ لا اعتراض لأحدٍ فيهِ، ولا يترك للقياس بل يترك القياس له

● صُوَرٌ مِن النَّقدِ الأدبي عندَ العلماء .

رُوِيَ أنَّ أبا تمَّام الطَّائي مَدحَ الخليفة فقال :

إقدامُ عَمْروٍ في سماحَةِ حاتمٍ ... في حِلْمِ أحنَفَ في ذكاءِ إياسِ

فقال الوَزير : شبَّهتَ أميرَ المؤمنين بأجلافِ العَرَبِ، فأطرَقَ ثمَّ زادَها :

لا تُنْكِروا ضَربي لَهُ مَن دُونَهُ ... مَثلاً شَروداً في النَّدى والباسِ

فاللَّهُ قَد ضَرَبَ الأقلَّ لنورِهِ ... مَثلاً مِن المشكاةِ والنِّبْراسِ

فقال الوَزير : أعطِهِ ما شاءَ؛ فإنَّهُ لا يعيش أكثر من أربعين يوماً؛ لأنَّهُ قَد ظهَرَ في عينيهِ الدَّمُ من شدَّة فكره، وصاحبُ هذا لا يعيش إلاَّ هذا القدر، فقال له الخليفة : ما تشتهي ؟ قال : الموصل؛ فأعطاهُ إيَّاها، فتوجَّهَ إليها وماتَ بعد هذه المدَّة .

قال العلاَّمة النقَّاد الذَّهبي في « سِيَر أعلام النُّبلاء » (٦٩/١١) :

هذه حكاية غير صحيحة ، وأمَّا البيتُ ، فلن يحتاج إلى اعتذار أصلاً ؛ ولا وَلِيَ الموصل ، بلى ؛ وَلِيَ بريدَها .

وقال ابنُ خلِّكان في « وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان » (١٤/٢-١٦) :

ورأيتُ النَّاسَ مُطبِقينَ على أنَّهُ مَدحَ الخليفة بقصيدتهِ السِّينيَّة (ثمَّ ذكرَ الحكاية والاختلاف في رواياتها) ثمَّ قال :

وَقَد تَتَبَّعتُها وحقَّقتُ صورة ولايته للموصل ، فلم أجد سوى أنَّ الحسن ابن وهب ولاَّه بريد الموصل ، فأقام بها أقلَّ من سنتين ثمَّ ماتَ بها .

والذي يدلُّ على أنَّ القضيَّة ليسَت صحيحة أنَّ هذه القصيدة ما هي في أحَدٍ من الخلفاء ، بل مدحَ بها أحمد بن المعتصم ، وقيل : أحمد بن المأمون ، ولم يَلِ واحدٌ منهما الخلافة (!) .

وقال العلاَّمة ابن كثير في « البداية والنِّهاية » (٣٠١/١٠) :

وليس هذا بصحيح ، ولا أصل لهُ ، وإنْ لَهِجَ بِهِ بَعضُ النَّاسِ كالزَّمخشري وغيره !

• مِن التَّحو القُرآني : وضعُ الجمَل الاسميَّة مَوضع الفعليَّة .

قال الإمامُ الشاطبي في « الإفادات والإنشادات » (ص: ١١٩-١٢٠):

حَكى لنا الأُستاذ الشهير أبو سعيد بن لُبّ أنَّ الفارسي قال :

وجدتُ في القرآن مِن وضع الجملة الاسميَّة مَوضعَ الفعليَّة قولَه تعالى : ﴿ أعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ فَهُوَ يَرىٰ ﴾ [النجم: ٣٥] .

فقوله : ﴿ فَهُوَ يَرىٰ ﴾ جملة اسميَّة في موضع فعليَّة .

وقال ابنُ جنّي : وجَدتُ أنا موضعاً آخَر : ﴿ أمْ عِندَهُم الغَيبُ فَهُم يَكتُبون ﴾ [الطور:٤١ ، القلم:٤٧] .

وقال أبو الحسن الأبهري : وجدتُ أنا موضعاً آخَر قوله تعالى : ﴿ سَواءٌ عَليكُم أدَعَوتُموهُم أمْ أنتُم صامِتون ﴾ [الأعراف:١٩٣] .

وقال الأستاذ أبو سعيد : وجدتُ أنا موضعاً آخَر، قوله تعالى : ﴿ أمْ أنزَلنا عليهم سُلطاناً فَهُوَ يتكلَّم بما كانوا بهِ يُشركون ﴾ [الرُّوم:٣٥] .

قلت - أي الشاطبي - : وَوجدتُ أنا موضعاً آخَر، قوله تعالى : ﴿ أمْ تسألُهُم أجراً فهُم مِن مَغرَم مُثقَلون ﴾ [الطور:٤٠ ، القلم:٤٦] .

على أنّي وجَدتُ بعدَ هذا لأبي علي الفارسي في « التَّذكرة » موضعاً آخَر : ﴿ هَل لكُم مِن ما مَلَكت أيمانكُم مِن شركاء في ما رَزَقناكُم فأنتُم فيهِ سَواء ﴾ [الروم:٢٨] .

● **أمثال :**

عند جُهَينة الخَبَر اليَقين :

يُضرَب في معرفَةِ الأخبارِ وصحَّتها، وأنشدَ شاعرهم :

تُسائلُ كُلَّ رَكبٍ عن حُصينٍ	وَعندَ جُهَينةَ الخَبَرُ اليقينُ

وقد جعلهُ بعضُ الكذّابين حديثاً : « آخر من يدخُل الجنَّة رجلٌ من جُهَينة، يقال له: جُهَينة، فيسألهُ أهلُ الجنَّة : هَل بقيَ أحد يعذَّب ؟ فيقول : لا، فيقولون : عندَ جُهينة الخبر اليقين » .

قال شيخنا الألباني حفظه الله في « الضَّعيفة » (٣٧٧) : موضوع .

• قُسُّ بن ساعِدة الإيادي، أحَد الحُنفاء وبلاغتهُ :

لم تعرف العَربُ حَيّاً أخطَبَ من إياد؛ لأنَّ قُسّاً منهم، وهو أحكمُ حكماء العرب، وأبلغُ وأعقلُ من سُمِعَ به منهم؛ وهو أوَّل من كتبَ : من فلان إلى فلان؛ وأوَّل من خَطَبَ متوكِّئاً على عصا، وأوَّل من أقرَّ بالبعث، وأوَّل من قال : أمَّا بعد، وبه يُضرب المثل في الخطابة والبلاغة؛ قال الأعشى :

وأبلَغُ مِن قُسٍّ وأجرَا مِن الَّـــــذي
بذي الغِيلِ من خَفَّان أصبح خادراً

وقال الحُطيئة :

وأخطب مِن قُسٍّ وأمضى إذا مَضى
مِن الرِّيح إذ مسّ النُّفوسَ نَكالُـهـا

ومن مشهورِ كلامه :
مالي أرى النَّاسَ يَذهبون فلا يرجعون ! أرَضوا بالمقامِ فقاموا، أم تُركوا فناموا .

ومن فائقِ نظامِهِ :

في الـذَّاهـبـيـن الأولـيـن	من الـقرونِ بصـائـــر
لـمّـا رأيـتُ مـوارداً	للموت ليسَ لها مصـادر
ورأيـتُ قـومـي نحـوها	يـمضي الأكابرُ والأصاغر
أيـقـنـتُ أنّـي لا محـا	لَةَ حيثُ صار القومُ صائر

« ثمار القلوب » بتصرف

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

إنَّ الكلامَ في جِراحاتِ المُسلمين وأدوائهم، وأحوالِ العالمِ الإسلامي ومصائبه : كلامٌ كثيرٌ .. مريرٌ ... لا تَسَعُهُ صفحةٌ .. ولا صفحات .. ولا مجلَّةٌ .. بل ولا مجلَّد .. ولا مجلَّدات !!

ولكي لا نعدمَ القولَ في شيءٍ يُصلح .. أو يَهدي .. نكتبُ كلماتٍ مضيئةً تربطُ الأُمّة بكتابِ ربِّها وسُنَّةِ نبيِّها ﷺ، بعيداً عن ضوضاءِ الإعلام، ومباءاتِ السّاسة !! لكي نُعمِّقَ في نفوسنا حقيقةَ الأُخوّة في اللّه، والشعور الصّادق بمعاني التّكافُل والتّآخي الشرعي الصّادق .

○ البوسنة والهرسك ... صراعُ الثأر

ليس الصّراعُ في هذه المنطقةِ مِن العالَم صِراعاً جُغرافيّاً، أو صِراعاً سياسيّاً؛ كما يُصَوِّرُهُ الإعلامُ الغربيُّ الآفِك ويُلقي بثقلِه كلِّهِ لإقناع العالم بذلك؛ لا ... إنَّهُ صِراعُ الثَّأرِ للأجدادِ مِن الأحفاد (!)، إنَّه صِراعُ الثَّأرِ بينَ التَّوحيد والشرك ...

وليس هذا الصِّراعُ - فقط - صراعَ حربٍ دمويَّةٍ دائرةٍ منذ شهورٍ يُذبَّح فيها المسلمون، ويُشرَّدون، وتُرمَّل نساؤهم، وتُيتَّم أطفالهم ...

وفي خِضَمِّ هذا الصِّراع العقائديِّ الهائل الذي تشهدُه بُلدان شتَّى مِن المناطق ذات الأقليّات الإسلاميّة، تبرزُ مشكلةٌ خَلفَ هذا الصّراع، ووراءَ هذه

الحرب الضَّروس ... إنَّها مشكلةُ احتواءِ أبناءِ المسلمين اليتامى ...

فقد أضحى يقينيّاً خَبَرُ نَقلِ عشراتٍ بل مئاتٍ مِن أبناءِ المسلمين اليتامى إلى جمعيّات (خيريَّة) لتربيتهم ... وتنشئتهم !!

... جمعيّات ... ماذا ؟ .. (خيريَّة) !!

... تربيتُهم على ماذا ؟!

... وتنشئتُهم ... كيف ؟!

إنَّها التَّربيَة على بُغض الإسلام ... والبراءَة مِن أوليائِهِ ...

إنَّها التَّنشئةُ على محبَّة الغربِ الكافر ... وتعظيم أهله ...

ومع ذلك كُلِّه ... فلا نسمعُ لدُعاةِ (التَّحرُّر) و (الإنسانيَّة) و (حقوق الإنسان) رِكزاً ! إلاّ كلماتٍ جَوفاءَ هنا وهناك ... يُمَوِّهون بها ... ويُخاتِلون ... ويخدعون بها ... ويكذبون ...

وهذا كلُّه استمرارٌ مريرٌ كبيرٌ لحربِ التَّنصير - الَّتي يُسمُّونها بغير اسمها : حملات التَّبشير ! -، وهي حربٌ في نتائجها وَويلاتها أنكى بكثيرٍ مِن حَربِ الرَّصاص والقنابل ! الَّتي سوف تنتهي عاجلاً أم آجلاً !! ولكن ... ذلك الجيل ... وأُولئك الأطفال ... مَن لهم ؟!

﴿ وَلَن تَرضى عَنكَ اليَهودُ ولا النَّصارى حتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

واللّهُ المستعان ....

القرّاء .. منهم وإليهم

التحرير

أخي القارئ المسلمُ الكريمُ في كلِّ مكان :

هذه هي رسالتُك التي طال انتظارُها، واشتدَّ الحنينُ إليها، إنَّها رسالةُ (**الأصالة**) التي تحملُ معنى **الأصالة** حقّاً؛ عقيدةً، وسلوكاً، ومنهجاً، وعلماً، وعملاً .

ومع كثرة الفتن والمحن والأهواء والبدع وغُربة الإسلام وأهله .

ومع كثرة المنكرات التي سَرَت في الآفاق وركبتْ أعناقَ الرّيح، وشاعت فيها الآثام في مناحي الحياة كما يَشيعُ الظلامُ الطّامس في الليل الدّامس، وأنكر فيه الإنسانُ دعائمَ الحقّ، وأُسُسَ العدل حتى غدا الباطلُ حقّاً، والحقُّ باطلاً، والسُّنَّة بدعةً، والبدعةُ سُنَّةً، وسارَ النَّاسُ – إلاّ من رحمَ اللّه – خَلْفَ كلِّ ناعق، ورُمِيَ أهلُ الحقِّ والاتِّباع بأقبحِ التُّهَم، ووُصِموا بالعار والشنار، لا لشيء إلاّ لأنّهم تمسّكوا بحبل اللّهِ الواحدِ القهّار، وظهَرَ خفافيش الليل وركبوا المنابر، ونَعَبوا عليها بالباطل نعيبَ الغِربان، وَدَعَوْا بالوَيل والثُّبور، حتى استمرّت لهم الأمور، – ولله الأمرُ من قَبلُ ومن بعد – .

وأصبحَ السّائرون على منهاج السّابقين من الصّحابة والتّابعين يعيشون غُربة الدُّنيا والدِّين، ولمّا اختلطَ الحقُّ بالباطل وامتزجَ الحابلُ بالنّابل تنادى طَلَبةُ العلم ليُقيموا الحُجّة ويظهروا المَحَجّة فبعث اللّهُ هذه (**الأصالة**) تدعو لأقومِ سبيلٍ؛ مستندة على الدّليل من الكتاب والسُّنَّة وأقوال خير الأُمّة من الصّحابة والتّابعين الذين هم عماد هذا الدِّين، حتى غَدَت أعلامهُ مرفوعةً

مشهورةٌ، وجموعُ أهل الباطل مهزومةٌ مدحورة .

وأسرة (**الأصالة**) تُرحِّب بكلِّ مشاركة مخلصةٍ جادَّةٍ، فتقبل الأصيل وترفض الدَّخيل، شعارها الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمَّة، ديدنها عقيدة السَّلف ومنهاج الرَّسول وصحبه الميامين العُدول .

فمرحى بكم - إخوانَنا في كُلِّ مكانٍ - على صَفَحات (**الأصالة**)؛ قُرَّاءً، وكُتَّاباً، وناصحين، وإخوةً أحبَّةً متعاونين .

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين .

○ ○ ○ ○ ○

أأقعُدُ بَعدَما رَجَفَتْ عِظامي ... وكانَ الموتُ أقربَ ما يَليني

أُجادِلُ كلَّ معترِضٍ خَصيمٍ ... وأَجعَلُ دينَهُ غَرَضاً لدِيني

فأترُكُ ما عَلِمْتُ لرأيِ غيري ... وليس الرَّأيُ كالعِلمِ اليَقينِ

وما أنا والخصومةُ وهي لَبْسٌ ... تصرَّفُ في الشِّمالِ وفي اليمينِ

وما عِوَضٌ لنا منهاجُ جَهْمٍ ... بمنهاجِ ابنِ آمنةَ الأمينِ

فأمَّا ما علمتُ فقد كفاني ... وأمَّا ما جهلتُ فَجَنِّبوني

فلستُ بِمُكْفِرٍ أحداً يُصلِّي ... ولَن أُجرِمْكُمُ أن تَكْفُروني

وكُنَّا إخوةً نرمي جميعاً ... ونَرمي كُلَّ مُرتابٍ ظَنينِ

فما بَرِحَ التَّكلُّفُ أنْ تَساوَت ... بِشانٍ واحدٍ فِرَقُ الشُّؤونِ

فأوشكَ أنْ يَخِرَّ عِمادُ بيتٍ ... وينقطِعَ القَرينُ عَن القرينِ

« تاريخ بغداد »

(٣٦١/٦)

مسك الختام

بينَ الهَجرِ والمُقاطعَة

التحرير

يُعَدُّ الهَجرُ منهجاً أصيلاً مِن مناهج أهل السُّنَّة والجماعة - أتباع السَّلف وأهل الحديث - لِنَقضِ المُخالفين؛ رَدعاً للمبتدعة[1]، وكَبتاً لباطلهم، وردّاً على تَهَوُّكِهم .

ولمَّا كان هذا المنهجُ مبنيّاً على رُكنٍ ركينٍ، وأصلٍ متينٍ هو الولاءُ بين المؤمنين، والبراءُ مِن الضَّالين والمُنحرفين؛ لزِمَ وَضعُهُ في نصابه، وعَدَمُ الخَلطِ بين أسبابه !

وفي العقود الأخيرة مِن حياةِ المسلمين ظهرَ في ساحةِ العَمَلِ الإسلامي تصوُّرٌ غريبٌ عنه، بعيدٌ منهُ، وهو **التَّحزُّب**، والتَّمحوُر، والتَّشرذُم ! ممّا جَعَلَ أصحابَ هذه المناهج يُؤصِّلونَ تَقْعيداتٍ خاصَّةً للمحافظةِ على هيكلهم وكيانهم (!)، ولِرَبطِ أفرادهم (!) وصَونهِم مِن الأفكار (الدَّخيلة) على حزبهم !!

فتراهُم لا يَسمَحون لأفرادهم بمجالسة طُلَّاب العلم ! وإن سَمحوا لهم؛ قيَّدوهم بقيودٍ صارمةٍ! فإن رَأَوْا تغيُّراً في (**أفكارِ**) أفرادهم؛ مَنَعوهُم مِن مُعاوَدةِ المجالسةِ لأولئكَ النَّابهين ! فإن أصرُّوا؛ أصدَروا أوامرَ المُقاطعَة والهَجرِ !!

---

(١) يُراجع لمعرفة أدلّة ذلك مفصّلاً كتاب « هَجر المبتدع » للشيخ بكر أبو زيد، وكتاب « الهجر في ضوء الكتاب والسُّنَّة » للأخ مشهور حسن .

ولسنا في هذه الكلمةِ مُناقشين قضيَّةَ الحزبيَّة مِن أساسها — إذ فيها مُؤلَّفاتٌ خاصةٌ[1] —، ولكنَّنا نُريدُ الإلماحَ إلى خَلطِ هؤلاء النَّفر مِن النَّاس بين النهج الصَّحيح في الهَجر، ومنهجهم (الإرهابي) في المقاطعة !!

نعم؛ نقولُ : الإرهابيّ؛ لأنَّهُ قائمٌ على **الإرهاب الفِكري** الذي لا يسمحُ بأدنى مساسٍ لأيِّ شخصيَّةٍ مِن الشخصيَّات (المُعظَّمة) عندهم، سواءٌ أكان ذلك (المساسُ) بالحقِّ الصَّريح، أم بالباطل القبيح ! ولا يَستويان مثلاً !

وَمِن صُوَر المُقاطعة بالباطل هذه أيضاً :

أنَّهُ :

لَو كَتَبَ البَعضُ مقالاً أو كتاباً، ينقُدُ فيه فكرةً، أو ينبِّهُ على خَطأٍ، أو يُصَوِّبُ منهجاً : كان ذلك مِفتاحاً لبابِ صراعٍ **ومُقاطعةٍ** من أولئكَ لهذا النَّاقدِ بالحقِّ !! حتى ولو كان النَّاقدَ مِن أهلِ السُّنَّة ودُعاتها !

فلا تُفتَّحُ لهُ الأبوابُ !

بل تُشاعُ فيه الأقاويل والفِرىٰ !

بل تُدفَعُ في صدرِهِ رِماحُ الكيدِ والتُّهَم !

بل تُمنَعُ كُتُبُهُ ومقالاتُهُ !

بل يُحجَبُ عن إخوانِهِ من الدُّعاةِ وطُلَّاب العلم !

بل يُحذَّرُ منه، ويُنفَّرُ النَّاسُ عنه !

---

(١) مثل « حُكم الانتماء » للشيخ بكر أبو زيد، و « الأحزاب السِّياسيَّة في الإسلام » للشيخ صفيّ الرَّحمن المباركفوري، و « الدَّعوة إلى الله بين التجمُّع الحِزبي والتَّعاوُن الشرعي » للأخ عليّ بن حسن .

... وهذا منهجٌ بعيدٌ عن صفاءِ أخوَّةِ الإسلام، ونقاءِ صِدقِ المودَّةِ الشرعيَّة، بل هو ضَربٌ في الصَّميم لِقَولِ النَّبيِّ ﷺ : « أوثقُ عُرى الإيمان الحُبُّ في اللَّه والبُغضُ في اللَّه »[1]؛ لأنَّ ذاك الصَّنيع حُبٌّ في الأشخاص، وبُغضٌ في مَحضِ الأفكار !!

إلى متى سيبقى نقاوةُ الأُمَّة - وهم الدُّعاة - أُسارى الولاء الحزبيِّ البغيض !!

متى سيَخرُجُ هؤلاء (الدُّعاة) مِن هذه الهوَّة التي أزلقوا (أنفسَهم) بأنفسِهم إليها ؟

متى سينخلعُ المسلمون مِن رِبقَةِ تَعظيمِ الأشخاص وتقديسهم، ليَرتَفعوا بأنفسهم إلى علياءِ الحقِّ ورِفعَةِ الهُدى !

نَحسِبُ أنَّ منهجَ المُقاطعة المُبتَدَع الذَّميمَ هذا يُذكِّرنا بِصُوَرٍ من (أمجادِ) أهل الرَّأي في صراعهم (التَّليد) مع أهل الحديث، ويُرجعنا إلى حَلَبَةِ كَيدِ الأشاعرة للحنابلة في القرون الوُسطى !!

فلعلَّ (**مسكَ الختام**) في هذا المقام، سبيلُ إصلاحٍ وإقدام ...

فإلى الأمام .

العلمُ درجات

عن محمَّد بن النَّضر قال :

أوَّل العلم الاستماعُ، ثمَّ الإنصاتُ، ثمَّ حِفظُهُ، ثمَّ العَملُ به، ثمَّ بثُّه .

« سير أعلام النبلاء »

(١٥٧/٨)

(١) حديثٌ صحيحٌ؛ مخرَّجٌ في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (١٧٢٨).

المُحتَوى



عَودَةٌ إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَف الأُمَّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ

العدد العاشر - السنة الثانية
١٥ شوال ١٤١٤هـ

رئيس التَّحرير
محمَّد موسى نَصر

تصدر هذه الرسالة

جمعية النور والإيمان الخيرية الاسلامية
علم وخبر ١٣٠/أد
ص.ب : ١٣/٦٠٠٦ شوران
بيروت - لبنان

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

إنَّ الحَمدَ للّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعوذُ باللّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أَعمالنا، مَن يَهدِهِ اللّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلّا اللّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ حَقَّ تُقاتهِ ولا تَموتُنَّ إلّا وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللّهَ الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ اللّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء:١] .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب:٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللّه، وخَيرَ الهَديِ هَديُ مُحمَّدٍ ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

المحتوى

السَّلام ... أم السِّلام ؟!

علي بن حسن

يمْتَازُ لسانُ العَرَبِ بالسَّعَةِ ، والشُّمولِ ، والعُذوبةِ ، والدقّةِ المُتناهيةِ ، التي قد يُغَيِّر حرفٌ منها معنى مِن أساسِهِ ، بل قد يَقلبُ معنىً بآخَرَ مُجَرَّدُ ضَبْطِ حرفٍ ما مِن الكلمةِ ؛ سواءٌ في آخر الكلمةِ أم وَسَطِها .

مثالُ ذلك كلمة (السّلام) :

فإذا كان حرفُ السّينِ منها **بالفَتْح** : (السَّلام) ؛ فإنَّ معناه الأمنُ ، والأمانُ ، والطمأنينة .

وإذا كان حرفُ السِّين منها **بالكَسْرِ** : (السِّلام) ؛ فإنَّ معناه الموتُ والهلاكُ .

... وهكذا حالُ دُعاة (الصُّلح) و (الاستسلام) مع اليهود في هذه الأيّام ... فهم يُريدون (سلاماً) .. فقط .. سلاماً على أيِّ صفَةٍ كان ! سواءٌ (بالفتحِ) أم (بالكَسْرِ) !!!

وهم في ذلك كلِّه – في دائرة ثقتِهم باليهودِ – يُناقضون أنفسَهم ! لأنهم يعلمون مِن التاريخ – و لا أقول : مِن القُرآن – سيرةَ اليهود ، وأحوالَهم ، ونقضَهم

العهود ، ونَكْثهُم المواثيق ، وكذبهم ، وبَهْتَهم ، وافتراءهم !!

مِن أجلِ ذلك ؛ فإنَّ اللّه سبحانه عاقَبَهم جزاءً وِفاقاً : ﴿ وَضُرِبَت عليهم الذِّلَّةُ والمسكنةُ وباؤوا بغَضَبٍ من الله . ذلك بأنَّهم كانوا يكفُرون بآيات اللهِ ويقتلُون النبيِّين بغير الحقِّ . ذلك بما عَصَوْا وكانوا يَعْتَدُون ﴾ .

فالراغبون بأيِّ سلامٍ (!) فيهم خَصْلَةٌ مِن خِصالِ مَن يُريدون (السلام) معهم ... فأولئك يُريدون بسلامهم مع هؤلاء (حياةً) أيَّ حياة !! حياة ذلٍّ .. حياة خُنوعٍ .. حياة موتٍ .. حياة هوانٍ ..

وهؤلاء راضون .. لأنّهم بالدُّون قانِعون ..

ولقد قال اللهُ سبحانه في اليهود : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهم أحرصَ الناسِ على حياةٍ ﴾ .. ولم يقل : (.. على الحياة) لأنَّ الحياةَ الحقّةَ هي حياةُ الإيمان النابض ... حياة القلوب الخاشعة .. حياة النفوس المُطمئنّة .. وهؤلاء وأُولئك .. بعيدون عنها .. ناؤون منها ..

﴿ يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا استجيبوا لِله وللرسولِ إذا دعاكم لما يُحْييكم ﴾ ..

فأينَ هم منها ؟! وأين اللاهثون خلفَهم عنها ؟!

فالاستجابةُ لله وللرسولِ هي الحياة .. وتركُ ذلك هو الموتُ بأشنع صُوَرِهِ وأبشعها ..

و (السلام) مع اليهود .. لا يُدرى في حقيقتهِ أهو (سَلام) أم (سِلام) !!!

والسَّلام !!

تأملات قرآنية

ابو عبيدة مشهور بن حسن

استجاب اللّهُ – سبحانه وتعالى – دعوة نبيه إبراهيم عليه السلام ، عندما قال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ فقال – جل وعلا – : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين ﴾ .

فالنبي – عليه الصلاة والسلام – له مهمتان : (التعليم) و (التزكية) ، وقدم إبراهيم عليه السلام في دعوته (التعليم) على التزكية ، واستجاب اللّه – جلّ وعلا – له ولكن بتقديم (التزكية) على (التعليم) .

وقد امتن اللّه على المؤمنين ببعثه الرسول وقيامه بمهمَّتيه هاتين ، فقال عز وجل :

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ .

وفي هذه الآية قدم اللّه – عز وجل – (التزكية) على (العلم) أيضاً

ومن المعلوم أن (التزكية) ثمرة من ثمار العمل بالعلم ، والعلم وبالٌ على

صاحبه إنْ لم يصاحبه العمل به ، ومن ازداد علماً ولم يزدد تقىً فليتَّهِمْ علمه ، ورحم الله ابن القيم لما قال :

وعالمٌ بعلمه لم يعملن   مُعَذَّبٌ قبل عُبَّاد الوثن

وقد كان أسلافنا يتوارثون (التزكية) فيما بينهم من خلال (السَّمت) الحسن ، وكان الأمر – آنذاك – كذلك بسبب مجالسة الشيخ ومخالطته ، فها هو عبد الله بن مسلمة القعنبي يقول : « كنا نجالس الإمام مالكاً فنأخذ سمته وهديه كما نأخذ علمه » .

وفي العصور المتأخّرة كاد أن يحصر العلم الشرعي وطلبه في الكليات والجامعات من خلال الجلوس بين يدي (الدكاترة) و (الأساتيذ) سويعات ، فلم يستفد الطلبة شيئاً من (السمت) الحسن إنْ كان يتمتع به هؤلاء ، وبتنا نرى ونسمع آفاتٍ وآفاتٍ لهؤلاء وأولئك ! ولذا ضعف الدِّين ، وتلاشى اليقين ، وزال الصبر – بمفهومه الإسلامي الواسع – والزّهد ، وأضحينا بلا أئمة يقتدى بهم ، وينتفع بسمتهم وعلمهم – إلا من رحم ربي – .

والعلم وحده لا يثمر من غير سمتٍ حسن بحيث ينتفع الناس من صاحبه بالملحظ والملفظ معاً ، وبطلب العلم وحده لايسلم المسلم من نفاقٍ ، بل لا بد معه من (السمت) حتى يسلم ويغنم ، وينجو من المأثم والمغرم ، ومصداق ذلك ما أخرجه الترمذي في الحديث الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً :

« خصلتان لا يجتمعان في منافق : حُسْنُ سَمْتٍ ، ولا فقهٌ في الدِّين » .

وحسن (السّمت) قدّم أيضاً في الحديث على (الفقه في الدِّين) .

وإن أعلى ثمرات (التزكية) وأغلاها : (الصبر) و (الزهد) ، وإن أعلى ثمرات (العلم) وأغلاها : اليقين ؛ فمن حازهما – على هذا النحو – فهو من أئمة الدِّين ، ومصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما (صبروا) وكانوا بآياتنا (يوقنون) ﴾ .

فالصبر ثمرة (التزكية) ، واليقين ثمرة (العلم) ، وقد قدم (الصبر) على (اليقين) أيضاً ، وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - يكثر من الترداد : « بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين » نعم ، لأن من تحصل عليهما فقد تحصل وتحقق بمهمَّتي رسول الله ﷺ ، وأصبح وارثاً له ، وهو سيِّد الأئمة .

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أنّ السَّلف الصالح - رضوان اللّه عليهم - كانوا متحققين بهاتين المهمَّتين ، ولذا صلحوا وأصلحوا ، وكان عبد اللّه بن المبارك يقول :

« لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوّلها ، بالزهد واليقين » .

والزهد لا يتحصل عليه إلا من خلال الصبر ، ولا يكون ذلك إلا بالتزكية ، واليقين لا يتحصل عليه إلا بالعلم الشرعي المصفّى ، فهلّا أدركنا أن مصيبتنا في غياب هاتين المهمتين عن واقعنا ، وأن من ينادي بهما ، ويصر عليهما ، ويأبى أن يشغله أيّ شاغل عنهما إنما هو على (المنهج) القويم و (الصراط) المستقيم .

ولكنكم غثاء

سليم بن عيد الهلالي

عندما أتدبر كلماتِ الوحي قرآناً وسنةً أرى أن واقعَ الأمةِ الإسلاميّة محفوف بحروفٍ بارزةٍ لا تخفى على من نظرَ إلى بواطنِ الأمورِ ولم يخدعه سراب الظاهر النّفاذ ، ولم يعشه تباين الألوان الممزوجة الأخاذ ، فقد دبَّ الوَهْنُ إلى أوصال هذه الأمّة .

وهذه الحالةُ وردت الإشارةُ إليها ، والتنبيهُ عليها صريحةً دونَ لَبْسٍ ، واضحةً دونَ غُموضٍ ، مُدويةً دونَ ضَجيجٍ - يُثيرُ النَّقعَ فيحجبُ الرؤيةَ - في حديثِ ثوبانَ رضي اللّهُ عنه مولى رسولِ اللّهِ ﷺ حيث قالَ : قالَ رسولُ اللّه ﷺ :

« يُوشكُ أن تَداعى[1] عَليكم الأُممُ كما تداعى الأكلةُ[2] إلى قَصْعَتِها[3] » .

فقالَ قائلٌ : أَوَمِن قِلَّةٍ نحنُ يومئذٍ ؟

---

(١) تتتابعَ وتجتمعَ ؛ أي : يَدعو بعضُها بعضاً ، فتُجيب .

(٢) جمع آكل .

(٣) وعاء ضَخمٌ يؤكلُ فيه ، ويُثردُ ، ويشبعُ العشرة .

قالَ : « بل أنتم يَومئذٍ كَثيرٌ ، ولكنَّكم غُثاءٌ[١] كغثاءِ السَّيلِ ، ولينزعنَّ[٢] اللّٰهُ من صُدورِ عدوِّكم المهابةَ[٣] منكم ، **وليقذفنَّ اللّٰهُ في قُلوبِكم الوَهنَ[٤]** »

قالوا : يا رسولَ اللّٰهِ ! وما الوَهنُ ؟

قالَ : « **حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموتِ** »[٥]

وهذا الحديثُ - الَّذي يشخِّصُ حالة الوهن - يُلقي بظلالٍ ظَليلةٍ ، ويوحي بدلالاتٍ ثَقيلةٍ على واقعِ الأمةِ الإسلاميَّةِ .

أولها : أنَّ أعداءَ اللّٰهِ من جُندِ إبليسَ وأعوانِ الشيطانِ يَرصدونَ نموَّ أُمةِ الإسلامِ ودولتها حيثُ رأوا أنَّ الوهنَ دبَّ إليها ، والمرض نَخرَ جسمَها ؛ فَوثبوا عليها وكَتموا البَقيَّةَ الباقيةَ من أنفاسِها .

ولم يَزل الكفارُ ومشركو أهلِ الكتابِ يَقومون بذلكَ منذُ فجرِ الإسلامِ ، حيثُ دولةُ الإسلامِ الفتيَّةُ الّتي أرسى أركانَها وأشادَ بُنيانَها رسولُ اللّٰه ﷺ في المدينةِ النبويَّةِ وما حولَها .

وقد جاءَ هذا الأمرُ صَريحاً في حديثِ « الثلاثةِ الَّذين خُلِّفوا[٦] » كما قالَ كعبُ بنُ مالكٍ رضي اللّٰهُ عنه :

---

(١) ما يَجفُّ فوقَ السيلِ ممّا يَحملُه الزَّبدُ من الوسخ وفُتاتِ الأشياءِ الَّتي على وجهِ الأرضِ .

(٢) يُخرجُ ، وأصلُ النزعِ : الجذبُ والقلعُ .

(٣) الإجلالُ .

(٤) الضعفُ في العملِ والأمرِ

(٥) أخرجه ابو داود (٤٢٩٧) ، وأحمد (٥ / ٢٧٨) ، وأحمد (٥ / ٢٧٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٨٢) من طريقينِ عنه ؛ وهوَ بهما صحيح .

(٦) متفق عليه .

«... بينَما أنا أمشي في سوقِ المدينةِ إذا نَبَطيٌّ[1] من نبطِ أهلِ الشامِ ممّن قَدِمَ بالطعامِ يَبيعه بالمدينةِ يقولُ : من يَدلُّ على كعبِ بنِ مالكٍ ؟

فطفقَ الناسُ يُشيرونَ له حتَّى جاءَني فدفعَ إليَّ كتاباً من ملكِ غسّان ، وكنتُ كاتباً ، فقرأته فإذا فيه : « **أمَّا بعدُ ؛ فإنّه قد بَلَغنا أنَّ صاحبَكَ قد جفاكَ ، ولم يَجعلك اللّهُ بدارِ هوانٍ ولا مَضيعةٍ فالحقْ بنا نُواسِكَ** » .

فتأمَّل أيها المسلمُ اللَّبيبُ ، وتدبر أيُّها الأخُ الحبيبُ ، كيفَ يَرصدُ الكفارُ المُحيطونَ بدولةِ الإسلامِ أخبارَها ، حتَّى إذا سَنَحت فرصةٌ تَواثَبُوا عليها من أقطارِها ، يوضحه :

الثانيةُ : أنَّ أمَمَ الكفرِ يَدعو بعضها بعضاً وتجتمعُ للتآمرِ على الإسلامِ ودولتِهِ ، وأهلِهِ ، ودُعاتِهِ .

ومن قرأَ تاريخَ الحملاتِ الصليبيّةِ ، وعرفَ خَبايا الحربِ الكونيّةِ الأولى ؛ حيثُ جيَّشَ بنو الأصفرِ جيوشَهم للقضاءِ على دولةِ الخلافةِ ، استبانت له هذه الدلالةُ وُضوحَ الشمسِ في رائعةِ النهارِ .

وحتَّى يَتمَّ لهم ذلكَ فقد أسسوا « **عُصبةً** » ثمَّ « **هيئةً** » و « **مجلساً** » ثمَّ « **نظاماً عالميّاً جديداً** » ، يلهبُ سعارَهم طمعٌ وجشعٌ ؛ يوضِّحه :

الثالثةُ : أنَّ ديارَ المسلمينَ منبعُ خيراتٍ وبركاتٍ ، تُحاولُ أممُ الكفرِ الاستيلاءَ عليها ، ولذلكَ شبهها الرَّسولُ ﷺ بالقصعةِ المملوءةِ بالطيّبِ من الطعامِ الَّتي أغرت الأَكلةَ ، فتواثَبُوا عليها ، كلٌّ يُريدُ نصيبَ الأسدِ .

الرَّابعةُ : أنَّ أُممَ الكفرِ أكلت خيراتِ المُسلمين ، وسرقت ثرواتِهم بلا مانعٍ ولا مُنازِعٍ ، وتناولَتها عفواً وصفواً .

---

(١) هو الفلاحُ ، سُمي بذلكَ ، لأنَّه يستنبطُ الماء .

الخامسةُ : أنَّ أُمَمَ الكفر صيَّروا بلادَ المُسلمينَ جُنوداً مُجنّدةً ، ودُويلاتٍ مُتقاطعةً ، كما في حديثِ عبدِاللّهِ بنِ حوالة - رضي اللّهُ عنه - قالَ : قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ : « ستجندونَ أجناداً ؛ جنداً بالشامِ ، وجنداً بالعراقِ ، وجنداً باليمنِ » .

فقلتُ : خِرْ لي يا رَسولَ اللّهِ !

قالَ : « عليكم بالشامِ ، فمن أبى فليلحق بيمنِهِ وليستقِ من غُدره[1] ، فإنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ تكفلَ لي بالشامِ وأهلِها » .

قالَ رَبيعةُ : فسمعتُ أبا إدريسَ الخولانيَّ يُحدّثُ بهذا الحديثِ ويقولُ : ومن تَكفَّلَ اللّهُ بهِ فلا ضَيعةَ عليه[2] .

أليسَ هذا واقعَ الأمةِ الإسلاميّة ؛ دويلاتٍ ليسَ لها من الأمرِ شيءٌ ، وليسَ لها في توجيهِ شؤونِها الداخليّةِ أو الخارجيّةِ أمرٌ أو نهيٌ ، وإنَّما تستمدُّ قوتَها وحمايتَها وسياستَها من أُمَمِ الكفرِ ، فاللّهُ المُستعانُ وعليه التكلانُ .

السادسة : أنَّ أممَ الكفرِ لم تَعُد تَهابُ المُسلمينَ ؛ لأنَّهم فَقدوا مهابتَهم بينَ الأممِ ، والّتي كانت ترجفُ لها أوصالُ أممِ الكفرِ ، وترتعدُ منها فرائصُ حزبِ الشيطانِ ؛ لأنَّ سلاحَ الرُّعبِ الفتّاكِ لم يَعد يملأُ قلوبَ الكافرينَ ، ويُزلزلُ حصونَهم .

قالَ اللّهُ تعالى : ﴿ سنلقي في قُلوبِ الّذين كَفروا الرُّعبَ بما أشركوا باللهِ ما لم يُنزِّلْ به سُلطانا ﴾ .

وقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ : « نُصرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ »[3]

---

(١) جمع غدير ، وهو القطعةُ من الماءِ يُغادرُها السيلُ ، والمرادُ : أن يَشربَ من مائه .

(٢) **صحيح** ، وله عدّةُ طرقٍ بينها شيخُنا أبو عبدِالرّحمنِ الألبانيُّ - حفظه اللّهُ - في « تَخريجِ أحاديثِ الشامِ ودمشق » (٢) .

(٣) متفق عليه في حديث جابر رضي الله عنه .

وهذه الخصوصيّةُ تتعدّى إلى الأمةِ الإسلاميّةِ بدليلِ قولِهِ ﷺ في حديثِ ثو[illegible]
الآنفِ : « ولينزعنَّ اللّهُ من صُدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم » .

السابعةُ : عناصرُ قوةِ الأمةِ الإسلاميّةِ ليسَ في عَدَدِها وعُددِها ، وخ[illegible]
وخيلائها ، ورجلِها ورجالها ، بل في عقيدتها ومنهجِها ؛ لأنَّها أُمّةُ العقيدةِ وحا[illegible]
لواءِ التوحيدِ .

ألم تسمع قولَ رسولِ اللّهِ ﷺ يُجيبُ السائلَ عن العددِ :
« **بل أنتم يومئذٍ كَثيرٌ** » ؟

وتأمّل درسَ حُنين تجدْه ماثلاً في كلِّ عصرٍ : ﴿ **ويومَ حُنينٍ إذ أَعجبتك[illegible]
كَثرتُكم فلم تُغنِ عنكم شيئاً** ﴾ .

الثامنة : أنَّ الأمةَ الإسلاميّةَ لم يعد لها وزنٌ بينَ أمم الأرضِ كما أخبرَ رسولُ ال[illegible]
ﷺ : « **ولكنّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السيلِ** » .

وهذه الدلالةُ تُلقي بظلالِها الآتية :

أ – أنَّ الغثاءَ الّذي يَحملُه السَّيلُ العرمُ يسيرُ معهُ مَحمولاً مع تياره ، وهكذا أُ[illegible]
الإسلامِ تجري مع تيارِ أممِ الكفرِ حتّى لو نَعقَ بهيئةِ « اللّممِ » غُرابٌ ، أو طنَّ [illegible]
مجلسِ « الفتنِ » ذبابٌ لخروا على ذلكَ صُمّاً وعمياناً ، وجعلوه كتاباً محكماً وتبيان[illegible]

ب – أن السيلَ يحملُ زبداً رابياً لا ينفعُ الناسَ ، وكذلكَ أمةُ الإسلامِ لم ت[illegible]
تُؤدي دورَها الَّذي به تبوأت مقدمةَ الأممِ ، وهو الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر[illegible]

ت – أن الزبدَ سيذهبُ جفاءً ، ولذلكَ سيبدّلُ اللّهُ مَنْ تولّى ، ويُمكّنُ للطائ[illegible]
الَّتي تنفعُ الناسَ في الأرضِ .

ث – أنَّ الغُثاءَ الَّذي يَحمله السَّيلُ خليطٌ من قاذوراتِ الأرضِ وفُتا[illegible]
الأشياءِ ، وكذلكَ أفكارُ كَثيرٍ من المُسلمينَ تَقميشٌ من زُبالةِ الفلسفاتِ ، وحُثا[illegible]
الحضاراتِ ، وقُلامةِ المدنيّاتِ .

جـ - أنَّ الغُثاءَ الَّذي يحملُه السَّيلُ لا يَدري مصيرَه الّذي يَجري إليه باختيارِهِ ، فهو كمن حَفرَ قبرَه بظُفرِه ، وكذلكَ أمةُ الإسلامِ لا تدري ما يُخططُ لها أعداؤُها ، ومع ذلكَ فهي تتبعُ كلَّ ناعقٍ ، وَتميلُ مع كلِّ ريحٍ .

الثامنة : أنَّ أمّةَ الإسلامِ جعلت الدنيا أكبرَ همّها ، ومبلغَ علمِها ، فلذلكَ كرهوا الموتَ ، وأحبّوا الحياةَ ؛ لأنَّهم عَمَروا الدنيا ، ولم يتزوَّدوا للآخرةِ .

ولقد خافَ رسولُ اللّهِ ﷺ على أُمتِهِ أن تبلغَ هذهِ الحالةَ .

عن عبدِاللَّهِ بنِ عمرٍو بن العاص عن النَّبيِّ ﷺ قالَ :

«إذا فُتحت عليكم فارسُ والرُّومُ ، أيُّ قومٍ أنتم ؟ » .

قالَ عبدُالرحمنِ بنُ عوفٍ : نقولُ كما أمرنا اللّهُ[١] .

قالَ : « أو غير ذلكَ ؛ تتنافسونَ ، ثمَّ تتحاسدونَ ، ثمَّ تَتَدابرونَ ثمَّ تتباغضونَ - أو نحو ذلك - ثمَّ تنطلقونَ في مساكينِ المهاجرينَ ؛ فتجعلونَ بعضَهم على رقابِ بعض »[٢].

ولذلكَ لمّا فُتحت كُنوزُ كسرى بكى عُمرُ بنُ الخطّابِ - رضي اللّهُ عنه - وقالَ : « إنَّ هذا لم يفتح على قومٍ قطّ إلّا جعلَ اللّهُ بأسَهم بينهم » .

التاسعة : أنَّ أُممَ الكفرِ لن تَستطيعَ استئصالَ أُمةِ الإسلامِ ولو اجتمعوا عليها من أقطارِها - وقد اجتمعوا - كما جاءَ صريحاً في حديثِ ثوبانَ - رضي اللّهُ عنه - قالَ : قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ :

« إنَّ اللّهَ زوى[٣] لي الأرضَ ؛ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها ، وإنَّ أُمتي سيبلغُ مُلكها ما زُوِيَ لي منها ، وأُعطيت الكنزين الأحمرَ والأبيضَ[٤] ، وإنّي سألتُ

(١) نحمدُه ، ونشكرُه ، ونسألُه المزيدَ من فضلِه (نووي ١٨ / ٩٦) .

(٢) أخرجه مسلمٌ (٢٩٦٢) .

(٣) جَمَعَ وَضَمَّ .

(٤) المرادُ الذهبُ والفضة ، وهما كنزا كسرى وقيصر ملكي فارس والروم .

ربي لأُمتي أن لا يُهلكَها بسَنَةٍ عامةٍ[1]، وأن لا يُسلّطَ عليهم عدوّاً من سو[ى]
أنفسِهم ؛ فيستبيح بيضتَهم[2]، وإنَّ ربي قالَ : يا محمدُ ، إنّي إذا قَضيتُ قضا[ءً]
فإنَّه لا يُرَدُّ ، وإنِّي أعطيتُكَ لأُمتِكَ أن لا أُهلكَهم بَسنةٍ عامةٍ ، **وأن لا**
أُسلِّطَ عليهم عدوّاً من سوى أنفسِهم يستبيح بيضتَهم ، ولو اجتمعَ عليهم مَن
بأقطارِها[3] - أو قالَ : مَنْ بينَ أقطارِها - حتَّى يَكونَ بعضُهم يهلك بعضاً ،
ويسبي بعضُهم بَعضاً »[4]

فما الَّذي جَعلَ الشجرةَ الباسقةَ الَّتي أصلُها ثابتٌ وفرعها في السماءِ غُثا[ءً]
أحوى ؟!

الجوابُ في الحلقة القادمة إن شاء اللّه .

---

(١) هو القحط الَّذي يعمّهم .

(٢) يستأصل جماعتهم وأصلهم .

(٣) هم أهل الأرض جميعاً .

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) .



الطريق إلى الحكم بما أنزل الله

خالد بن علي بن محمد العنبري

انتهينا في مقال سابقٍ إلى ما انتهى إليه الشيخُ العلامة الشنقيطي في تفسير قوله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الكافرون ﴾ إذ يقول رحمه الله :

« واعلم أَنَّ تحرير المقام في هذا البحث أن الكفرَ والظلمَ والفسقَ ، كلَّ واحدٍ منها ربما أُطلِقَ في الشرع مراداً به المعصية تارة ، والكفرَ المخرجَ من الملة أخرى :

○ ﴿ ومن لم يحكم بما أَنزل الله ﴾ معارضةً للرسل وإبطالاً لأحكام الله ، فظُلمهُ وفسقهُ وكُفْرُهُ كلُّها كفرٌ مخرجٌ عن الملة .

○ ﴿ ومن لم يحكم بما أَنزل الله ﴾ معتقداً أنه مرتكبٌ حراماً ، فاعلٌ قبيحاً ، فكفره وظلمه وفسقه غَيرُ مخرجٍ عن الملة »[1] أ. هـ من « أضواء البيان » (٢/١٠٤) .

(١) وقد أطلق الشيخ الشنقيطي – رحمه الله – الحكم بالكفر في غير هذا الموضع من تفسيره ، فينبغي أنْ يُقيَّد هذا الذي أطلقه بما حرَّره هاهنا ، جرياً على قواعد أهل العلم وسننهم ، وليس من الأمانة الشرعية والعلمية – بحال – أن يُنشر ما أطلق ويشهر ، ويُطوى ويكتم ما حرره ثَمَّ !

وإلى هذا التفصيل أيضاً انتهى العلامة السّعدي في تفسيره السلفي الماتع ، وهو قولُ سماحة الشيخ المفتي العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، وقولُ شيخنا المحدِّث العلامة الفقيه محمد ناصر الدين الألباني ، حفظهما الله تعالى وأمتع بهما[١] .

وقد أثبتنا كذلك أن إطلاق الحكم بتكفير جميع من لم يحكم بما أنزل الله من غير تفريق أو تفصيل ليس من عقيدة أهل السُّنة والسلف الصالح ، وإنما هو من قول

(١) بل هو قولُ المفسرين من السلف والخلف عامة - كما أوضحته سابقاً - وهذا باستقراء الأعم الأكثر من مصنفات التفسير المنشورة ، ومن ثم يتضح للقارئ اللبيب إعراضُ أكثر الباحثين المعاصرين الذين كتبوا في هذه القضية عن دواوين التفسير !! ولا يعكر على هذا ما ينقله هؤلاء من الإجماع الذي حكاه الحافظ ابن كثير على كفر ملوك التتار الذين يحكمون بالياسق ، فهذا الإجماع حق في هؤلاء ، وليس ينسحب بحال على جميع الحكام في كُلِّ الأزمان ، إلا على من تلبس بمثل ما تلبسوا به من نواقض الإسلام ، والتي منها على سَبيل المثال : « اعتقاد هؤلاء التتار في جنكسخان أنه ابن الله » كما في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٨/٥٢١) « وكذلك الأكابر من وزرائهم وغيرهم يجعلون دين الإسلامِ كدين اليهود والنصارى ، وأن هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين » كذا في مجموع الفتاوى (٢٨/٥٢٣) « حتى إنَّ وزيرهم هذا الخبيث الملحد المنافق صنف مصنفاً مضمونه أن النبيّ ﷺ رضي بدين اليهود والنصارى ، وأنه لا ينكر عليهم ولا يذمون ولا ينهون عن دينهم ولا يؤمرون بالانتقال إلى الإسلام » انتهى بحروفه من مجموع الفتاوى (٢٨/٥٢٦) .

والحق أن الفهم الذي يذهبُ إليه من خالف في تلك المسألة سوء ظن بالحافظ ابن كثير - رحمه الله - إذ لا يخفى على ابن كثير ما نقلناه من أقوال المفسرين من السلف والخلف ، فكيف يحكي إجماعاً يخالفهم ! ، والدليل على أن ابنَ كثيرٍ رحمه الله يذهب إلى ما ذهب إليه هؤلاء المفسرون قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ : قد تقدم عن طاوس وعطاء أنهما قالا : « كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق » أ.هـ فقد اقتصر ابن كثير عند تفسير هذه الآية على هذا القول ، استحساناً واختياراً له .

الخوارج ، كما قال الآجري في الشريعة (٢٧) : « ومما يتبع الحرورية من المتشابه قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ومن لم يحكم بما أَنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ويقرؤون معها ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا : قد كفر ، ومن كفر عدل بربه ، فقد أشرك ، فهؤلاء الأئمة مشركون فيخرجون فيفعلون ما رأيت لأنهم يتأولون هذه الآية وإذا كان الشّارعُ الشريف قد فرض وأوجب على الجماعة المسلمة الحكم بما أنزل الله ، فإنه كذلك أوضحها غاية الإيضاح ، وبيَّنها أكمل بيان ، ولم يذرْ ذلك إلى العقُولِ البشرية القاصرة ، أو النوازع العاطِفية الجامحة ، وذلك حتى لا تكون فتنة ، فتذوب مهج ، وتزهق أنفس .

فمن المحال أن يكون النبي ﷺ قد علَّم أُمَّته آداب الخلاء ، والوطء ، والطعام ، والشراب ، ويدع تعليمهم السَّبيل إلى تمكين الدين وتحكيم شرعه ، مع شدة حاجتهم إلى تعلم ذلك ، كيف وقد أخبرهم بما سيحصل لهم من هنات وفتنة ، وغربة وكربة ، عند استيلاء الكفرة ، وتسلط الولاة الطغاة الفجرة ، الذين يجعلون حكم الكتاب والسنة وراءهم ظهرياً ، ويرون المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً .

فقَالَ ﷺ مخبراً عن تبديل شرع اللّه وأحكامه : « لتنتقَضَنَّ عُرى الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضتْ عروة شَبثَ النَّاسُ بالتي تليها ، فأولهن نقضاً الحكمُ ، وآخرهُن الصلاة »[1] .

وقد حذَّرَ أُمَّته مغبة الحكم بغير ما أنزل الله ، فيلبسهم شيعاً ، ويذيقَ بعضهم

(١) حديث حسن ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده : (٢٥١/٥) ، ومن طريقه الطبراني في الكبير (١١٦/٨) ، والحاكم في المستدرك : (٩٢/٤) ، وأخرجه أيضاً ابن حبان كما في الموارد (٨٧) .

بأسَ بَعض : « حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً »[١] فَقالَ عليه الصلاة والسلام « وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا ألقى الله بأسهم بينهم »[٢] .

ساءَ مثلاً القومُ الذين تنكبوا الوسائل الشرعية ، والطرق المصطفوية ، لإقامة الملة الحنيفية ، وتوهموا أنَّ ذلكَ كائن عن طريق الولوج في الانتخابات النيابية ، وممارسة الأعمال السياسية ، فخاضوا فيها مع الخائضين ، ورجعوا بخفي حنين ، قد باءت تجاربهم كُلُّها بالفشل والمين ، وتورطوا في محظورات شرعية ، تصادم أصولَ العقيدة ، وفروع الشريعة .

« إنَّ المُشَارِكَةَ في عضوية مجلس نيابي لا يحتكم في واقعه القائم عند دخول الإسلاميين فيه إلى شرع الله ، هو موافقة واقعية على التفريط بمفهوم أحقية التشريع في الدين ، إذ إن المنهج الديمقراطي اعتبر حق التشريع هو للشعب وليس لله ، وإذا برر الإسلاميون مشاركتهم النيابية بأنهم يسعون لجعل التشريع الفعلي في الأمة هو لله ، فإن وسيلة تنفيذ هذا التبرير لا تعدو أن تكون في أحسن الأحوال مفاوضات في اللجان لإقامة أركانه ومحاولة إقناع الآخرين به ، في حين أن إقامة أركان الدين والتي من أَهمها هيمنة تشريعه على حياة الناس هي قضيةٌ لا تخضع للتفاوض بحال من الأحوال » .

« ثم إننا ليأخذنا العجب كلَّ مأخذ من الإسلاميين المجلسيين وهم يحطمون جُدُرَ المفاصلة العقدية بين هَذا الدين وما سواه في حين أن المطلوب منهم أن يقفوا حراساً لحفظ هذه الجُدُر من التصدع فضلاً عن الإنهيار ، فيدافعوا عنها ويجاهدوا دونها ، لا أن يشتركوا مع أعداء الله في هدمها وتحطيمها من حيث لا يشعرون ،

(١) رواه مسلم : (٢٨٨٩) .

(٢) حسن ، رواه الحاكم في مستدركه (٤/٥٤٠) وغيره .

وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

هل يعلمون كيف أنهم يفعلونَ ذلك ؟

إن ذلك يقع منهم بأدائهم « القسم الدستوري » وفحواه القسم بالله ! على احترام أعداء الله ! والامتثال لدستورهم وقوانينهم ، وأن يتم ذلك في إطار الإخلاص والطاعة ، وهذا كله مخالف لحفظ الدين ... إن الإخلاصَ للوطن بالمعنى المذكور في الدستور إنما هو تكريس للإقليمية البغيضة التي جاء الإسلام لاجتثاثها والقضاء عليها ، فكيف يقسم « النائب الإسلامي » بالله على تثبيت ما جاء الإسلام لاجتثَاثه ، ثم يدَّعي أنه ما فعل ذلك إلا ليطبق شرع الله ! » .

« إن أي قانون تشريعي ينبغي عرضه على المجلس النيابي ليناقشه ثم يصوّت عليه ... فإذا أرادَ الإسلاميون المجلسيون إقرارَ قانون يمنع الربا ، أو اعتماد التشريع الإسلامي في قانون الجزاء مثلاً ، فإن عليهم أولاً أن يطرحوا مشروع هذا القانون على المجلس النيابي ليناقشه ويصوّت عليه ، فإذا فاز بالأغلبية فإنَّهُ يرفع لرئيس الدولة ، فإما أن يُقره ، وإما أن يعيده إلى المجلس لإعادة النظر فيه ، وفي حال عدم فوز القانون بالأغلبية أو في حال تساوي الأصوات ، فإن القانون يعتبر مرفوضاً !!!

.... ثُمَّ الأنكى من ذلك أن شرع الله تعالى يوضع في مستوى واحد مع كافة القوانين الأخرى التي تقترح على المجلس النيابي ... فيتحصل لنا من ذلك أن ماذكرناه يعتبر انتهاكاً صارخاً وقطعياً جداً لحفظ الدين في مرتبة الضروريات ، وإن هذا الأمر يتنافى كلياً مع مقاصد الشرع من كافة الوجوه »[١] .

هذا بالإضافة إلى « أن العمل السياسي الذي لا يخضع لمقتضى العقيدة ولا يلتزم بالأحكام الشرعية ، يجرئ الأوشاب التائهة على الاستكبار على الإسلام كله ، وعلى التمرد على أُصوله وفروعه كلِّها »[٢] .

(١) انظر : « الإسلاميون وسراب الديمقراطية » (٨٩/٩٩) .

(٢) هي السلفية للأُستاذ محمد إبراهيم شقره : (١٦٤) .

إنَّ الدعوة إلى « مجانبة السلوك السياسي ليس مهادنة للأنظمة التي تعكف عليه وتحميه وتدافع عنه ... بل هو من باب السياسة الشرعية التي يجب على العلماء والدعاة تعليمها الناس وتفقيهِهم بها ، فإن في هذه المجانبة حماية للجهد الدعوي ، ونجاة من مخالطة أمر يقود مُخالِطَهُ – ولا بد – إلى محظوراتٍ شرعيةٍ تزيد كل يوم ولا تنقص »[١] .

وإنه لمن نافلة القول الإشارة هاهنا إلى الطريق الذي يعتمد المواجهات المسلحة ، أو المظاهرات الطائشة ، اغتراراً بجموع غفيرة ، وحماسات فارغة ، لا تثبت أمام جحافل الطواغيت الغاشمة ، وانتقاماتهم المدمرة ، وسرعان ما تنطفيء جذوة هذه الحماسات ، مرتدة على أعقابها خاسرة ، مطلقة عنان الفتن المدلهمة ، والشرور المستطيرة ، وحسب هذه الطريق عوجاً وانحرافاً أنها مجانبة لما كان عليه سلفُ الأمة .

روى الخلَّال في السُّنة (٨٧) عن أَبي بكر المروذي ، قالَ : سمعتُ أبا عبدالله يأمر بكف الدماء ، وينكر الخروجَ إنكاراً شديداً .

وروى الخلال أيضاً (٨٩) عن أَبي الحارث الصائغ ، قالَ : سألت أبا عبدالله في أمر كان حدث ببغداد ، وهَمَّ قومٌ بالخرُوجِ ، فقلتُ يا أبا عبدالله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم ؟

فأنكر ذلك عليهم ، وجعل يقول :

« سبحان الله ، الدماء الدماء ، لا أرى ذلك ولا آمر به ، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة ، يُسفك فيها الدماءُ ، ويُستباحُ فيها الأَموال ، ويُنتَهك فيها المحارم ، أما علمتَ ما كانَ الناسُ فيه (يعني أيام الفتنة) .

قُلتُ : والناسُ اليوم أليس هم في فتنة يا أبا عبدالله ؟

قَالَ : وإن كان فإنما هي فِتْنَةٌ خاصَة ، فإذا وقع السَّيفُ عمَّتِ الفتنةُ ،

---

(١) هي السلفية : (١٧١) .

وانقطعت السُّبلْ ، الصبر على هذا ويسلمُ لك دينك خيرٌ لك » أ.هـ .

إنَّ الحكم بما أنزل الله لن يتحقق إلا كما أراد الشارعُ الشريف ، ولقد علمت الأمة أن لن يصلح أمرها ألبتة إلا بما صلح أولها ، من أهل القرون الأولى المفضلة ، فسبيلهم أقوم سبيل موصلة إلى موعود الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة ، فهم أهل اللسان ، وبلغتهم نزل القرآن وهم خيرُ من قام فهماً وتطبيقاً ، فهذا هو الطريق الآمن ، وهذه بدايته ، عودة حميدة إلى ما كانَ عليه رَسُولُ الله ﷺ وصحبه الكرام من اعتقادات وأحكام وسلوك وغير ذلك ، والارتقاء بالمسلمين بحرص وشفقة إلى هذا الأفق الكريم وتربيتهم على الإسلام المصفى من الخرافات والبدع ، والمنخَّل مما علق بأجوائهم من الإشراك بالله على اختلاف أشكاله وأنواعه ، ومما سيطر على عقول كثيرين منهم من أفكار مخالفةٍ للكتاب والسُّنة ونهج سلف الأمة .

قَال الإمام الحافظ محمد بن الحسين الآجرِّي (ت ٣٦٠) في كتاب الشريعة (ص ١٤) :

« علامة من أراد اللّه عزّ وجلّ به خيراً : سلوك الطريق : كتاب الله عزّ وجلَّ وسنن رسول الله ﷺ ، وسنن أصحابه – رضي الله عنهم – ومن تبعهم بإحسان – رحمة الله تعالى عليهم – وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى بلد آخر ماكان من العلماء مثل الأوزاعي ، وسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والقاسم بن سلام ، ومن كان على مثل طريقهم ، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء » أ.هـ

إن تغيير أنظمة الحكم القائمة والتمكين للدين الحق ، على نحو ما يفكر فيه المراهقون والمندفعون بعواطف كاسحة ، وحماسات طاغية ، إنما هو شر مستطير على الأمة .

الدُّعاء ثمرة العمل

حُسَيْنُ العَوَايشة

قال اللّه تعالى : ﴿ قُلْ ما يَعْبَأُ بِكم رَبِّي لولا دعاؤُكم ﴾ .

وقال ﷺ : « الدّعاء هو العبادة »(١) .

وقال ﷺ : « أفضل العبادة الدُّعاء »(٢) .

إنَّ مَنْ يَتأمّل هذه النّصوص يجد أَنّ الدعاء سببٌ لنيل مَحبَّة اللّه تعالى ورضوانه ، ولولاه لما كان اللّه سبحانه يعبأ بنا .

وأنَّ الدعاءَ أكرم العبادات وأفضلها ؛ فلماذا حَظِيَ الدعاء بهذه المنزلة العظيمة ؟

إنَّ الدعاء هو توجّه العبد بقلبه ولسانه إلى اللّه سبحانه ؛ للمعافاة في الدنيا والآخرة ، ولكسب مرضاة اللّه تعالى ودخول الجنّة ، والزحزحة عن النّار .

وكم تُليت على المسامع مِن آيات الترغيب ، وذِكر الجنّات والنعيم المقيم ،ولكن ما الذي جناه من ذلك أبو جهل ؟

---

(١) حديث صحيح ، وانظر تفصيله في « أحكام الجنائز » (١٩٤) .

(٣) حديث حسن لغيره وهو مخرج في الصحيحة برقم (١٥٧٩) لشيخنا الألباني – حفظه الله تعالى – .

وكم قرعت الآذانَ آياتُ العذاب والترهيب والوعيد ، ولكن ما الذي استفاده أبو لهب من ذلك ، وهو يُعرض عنها ؟

وهكذا تبدو الثّمار جليّةً شهيّةً واضحةً ، حين تُقرأ آيات النّار فيتعوّذ منها العبد ويستجير ، وتُتلى آيات الجنّة فيسأل اللّه أن يكونَ مِنْ أَهلها ، بل إِنَّ العَبد لا يُوفَّق للدّعاء واستجابته ، إِن لم يكن مخلصاً صادقاً ، ذلك لأن رسول اللّه ﷺ قال :

« .... واعلموا أنّ اللّه لا يستجيب دعاءً مِنْ قَلبٍ غافِلٍ لاه »[1] .

ولقد سألتْ عائشة رضي اللّه عنها رسولَ اللّه ﷺ عن ابن جدعان فقالت : يا رسول اللّه ، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرّحم ويطعم المساكين ، فمثل ذلك نافعُه ؟ قال : « لا ياعائشة ، إِنّه لم يَقُل يوماً : ربِّ اغفِرْ لي خطيئتي يوم الدين »[2] .

فإِنَّ عدم التوجّه بالدعاء لله تعالى قد خلَّد ابن جدعان في النّار ، لِأَنّه لم يقُل يوماً : ربِّ اغفرلي خطيئتي يوم الدين ، وهذا يجعلنا نفهم قوله تعالى ﴿ وقال ربُّكُمُ ادْعوني أستجِبْ لَكُم ، إنَّ الذين يَستكْبِرونَ عَنْ عبادتي سيدخُلُون جَهنَّمَ داخرِين ﴾ .

فَلمّا كان الدّعاء هو العبادة ، كان عدمه الكُفر والاستكبار .

وأمّا شأن الأنبياء والمرسلين والمتقين بالدعاء فعظيم ، فهم يُسارِعون ويسابقون له ويحرصونَ عليه ، فهو غذاؤهم ودواؤهم وحياتهم .

(١) حديث حسن لغيره مخرّج في « الصحيحة » برقم (٥٩٤) .

(٢) رواه مسلم وغيره .

وقبل أن أقصّ عليك بعض قَصَص القرآن في هذا الأمرِ ؛ أُريد أَنْ أوجّه سؤالا نختبر فيه أنفسنا ، ونلتمس موقفنا :

ها نحن تُتلى علينا آيات من سورة آل عمران ، وهي قوله سبحانه :

﴿ إذْ قَالَتِ امرَأَةُ عِمرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما في بَطْني مُحرَّرَاً فَتَقبَّلْ مِنِّي إِنّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيم . فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثَى واللهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالأُنثى ، وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَريَمَ وإِنِّي أُعيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشيطانِ الرَّجيم . فتقبَّلَها ربُّها بِقَبول حسَن وأَنْبَتَها نباتاً حَسَناً وَكفَّلَها زَكَرِيّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيّا المحراب وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قال يا مَرْيَمُ أَنّى لَكِ هذا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إنَّ اللهَ يرزقُ مَنْ يَشَاءُ بغيرِ حساب . هُنَالِكَ دَعا زَكَرِيّا رَبَّهُ قال رَبِّ هَبْ لي مِن لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيبةً إِنَّكَ سَميعُ الدُّعاء . فنادَتْهُ الملائِكَةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي في المحرابِ أنّ اللهَ يُبَشِّرُك بيَحيى مُصدِّقاً بِكَلِمةٍ من الله وسيداً وحَصوراً وَنَبياً من الصالِحين . قالَ ربِّ أَنّى يَكُونُ لي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامرأتي عاقرٌ قال كذلكَ الله يَفْعَلُ ما يَشَاءُ ﴾ [آل عمران : ٣٥ - ٤٠] .

فماذا نحن فاعلون بعد استماعنا إليها ؟

إنَّ رؤية زكريا عليه السلام للرّزق الذي يَسَّرهُ اللّه سبحانه لمريم ، وقد انقطعت أسبابه المادية ، حفَزَه أن يدعو ربّه عزّ وجَلّ .

﴿ قال رَبِّ هَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنّك سَميعُ الدُّعاء ﴾ .

وما أجمل أن نتأمّل كلمة « هنالك » ! فهي اسم إشارة ، يُشار به إلى المكان فيكون ظَرفاً للمكان ،ويُشَار به إلى الزّمان ، فيكون ظرفاً للزّمان ، يَدلّنا على الظّرف الذي اغتنمه للدّعاء ، والزّمان الذي اهتبله للتضرّع لله سبحانه وتعالى .

إنّ الذي أعطى مريم الرزق ، لقادر أن يَهَبه الذرِّية الطيبة ، وكذلك كان .

﴿ فنادَتْهُ الملائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصلِّي في المِحرابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِن الصّالِحين ﴾ .

ما موقفك أيها المسلم ، وأنت تتحسس قُدرة الله تعالى وتُبصِر مُعجزاته ؟ لا بُدَّ لَكَ أَن تتَوجَّه إلى اللّه تعالى رَبِّ مَريم الذي رَزَقَها حيث لا رزق ، وإلى رَبِّ زكريا الذي رزقه بالولد ، حيث لا سبيل له كما يقتضي النظر ، فتدعوه سبحانه وتتضرّع إليه وتبتهل ؛ أَنْ يُفرّج كربك ، ويكشف عنك الهم والغمّ ، مهما عظم وتفاقم .

فهل نحن فاعلون ؟!



آفات على الطريق

محمد موسى نصر

طريق العلم والدعوة إلى اللّه من أجلِّ العبادات وأعظم القربات ، وهما سبيل الأنبياء والمرسلين وسائر عباد اللّه المؤمنين ، فزكاة العلم الذي هو ميراث النبوة الدعوة إلى اللّه وإخلاص الدين لله قولاً وعملاً واعتقاداً ، لكن طريق طلب العلم وسبيل الدعوة لا تخلو من آفات تعيق المسيرة وتقطع الطريق فإن الشيطان قد قعد لابن آدم بأطرقه حتى لا يكون موصولاً بالله وحتى يكون ﴿ كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ﴾ فيهدم ما بناه بنفسه ويخرب بيته بيده علم أم لم يعلم وله - أي الشيطان - في ذلك خطوات ، واللّه يحذرنا من خطواته ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنَّه لكم عدو مبين ﴾ .

وفي هذه السطور وما يليها نتعرض لتلك الآفات التي تعترض سبيل طالب العلم والداعي إلى اللّه ، حتى يكون المسلم على بصيرة من أمره ، يعلم ويحذر ما يقطع عليه سيره إلى اللّه ، فمن هذه الآفات :

١ - طلب العلم والدعوة لغير اللّه ، انما لدنيا يصيبها أو سمعة يكسبها أو منصباً يحوزه أو جاهاً يحظى به عند أهل الدنيا الدنية ، وهذا من أخطر الآفات والعياذ باللّه

لأنه محبط للعمل مذهب للأجر ذلك أن الاخلاص روح العمل الصالح ؛ فعمل لا إخلاص فيه ، كجسد لا روح فيه ، واللّه سبحانه وتعالى يبين أهمية الاخلاص في حياة الناس فيقول : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ... وذلك دين القيمة ﴾ .

وفي الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » .

ولو لم يكن من ثمار الاخلاص إلا النجاة في الدنيا والآخرة والعصمة من كيد الشيطان لكفى ، قال تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ .

فعلى طالب العلم والداعي إلى اللّه أن يحتسب علمه ودعوته لله ، فلا يتعلم أو يدعو ليصرف وجوه الناس إليه ، أو يماري السفهاء أو يجادل العلماء ، بل كي يعبد اللّه كما أمر ، ويدفع عن نفسه الجهل بالعلم ، ويؤدي حق اللّه فيما علمه ، فإن زكاة المال انفاقه وزكاة العلم في الدعوة إلى اللّه وتعليم الناس الخير ، وعلامة الاخلاص عند العبد استواء المحمدة والمذمة عنده لأنه مستغن باللّه بما آتاه اللّه من علم .

٢ - ومن آفات طريق الدعوة والعلم الكبر والعياذ بالله :

فترى طالب العلم أو الداعية لا يحتمل المخالفة ؛ فينظر إلى مخالفه بعين الاحتقار والتصغير ، فيشيح بوجهه عمن دونه ويصعِّر خده للناس ولا يلتفت إلى كلامه ولو كان حقاً .

والكبر داء عضال أول ما قتل ابليس عليه لعنة اللّه .

﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فهلك بكبره ومعصيته لله وتمرده على أمر ربه .

وقارون هلك بغروره وتكبره حينما قال : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ فلم

ينسب الخير إلى بارئه ، والنعمة إلى مسديها ، وكم يحرم الانسان الخير بكفره النعم وبطره وعلوه .

ومن علامات المتكبر ردُّ الحق وغمط الناس كما بيَّن النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « الكبر بطر الحق وغمط أو غمص الناس » .

وبعض طلبة العلم لا يلتفتون إلى من دونهم في العلم ولا يعيرونهم اهتماماً ولا يأخذون منهم حكمة أو فائدة وهذا من الكبر والعياذ بالله فإن المؤمن كالنحلة يرم من كل الأزهار ويخرج للناس عسلا سائغاً للشاربين .

ولذلك نرى كثيراً من طلبة العلم يسفهون أحلام مخالفيهم ويجهلونهم بحق أو بباطل ، وإذا ذكروا عندهم غمزوهم ولمزوهم ، لا لشيء ، إلا لكبرهم واعجابهم بأنفسهم فلا تراهم يذكرون ما عند الرجل من خير بل أول ما يسألون عنه لا يذكرون إلا مثالبه ومعايبه ، والواجب عليهم أن يبيِّنوا ما في اخوانهم من خير وينصحوا لهم ما يرون فيهم من شر وفساد ، والعالم عند هؤلاء ليس من يخشى الله بل من صنف وألف ، وطار ذكره في الآفاق وعلى ذلك يوالون ويعادون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

٣ - ومن آفاتهم يغفر الله لهم :

التحاسد والعداوه والبغضاء فيعادي أحدهم أخاه لا لأنه يخالفه في عقيدة أو منهج أو رأي وإنما لأنه ندٌّ له ومعاصر ، والمعاصرة تقود إلى المنافرة إلا من عصم الله . والنبي ﷺ يحذِّر من مساوئ الاخلاق وعلى رأسها الحسد والبغضاء وهو داء الامم الذي توارثوه على مر عصورهم وكرِّ دهورهم ، وقد يحمل الحسد صاحبه على الشروع في إيذاء من يحسده وربما وصل ذلك إلى القتل والعياذ بالله والقرآن مليء بضرب القصص والأمثلة ؛ فهذا ابن آدم الأول قتل أخاه حسداً وهؤلاء أبناء يعقوب ألقوا أخاهم يوسف في الجب حسداً من عند أنفسهم وقلما يسلم من هذه الأدواء إلا من رحم الله وقد بسطنا الكلام حول الحسد في غير هذا الموضع .

يتبع ...

الصحوة الإسلامية ... حقيقة ومعنى

محمد شقرة

ومن شروطِ الصحوة المعتمدةِ عند العُقلاء أن تَكونَ كاملةً ، بحيثُ تتصدّى لكلِّ ما يَلتبسُ على العُقلاءِ فهمُهُ ، فتُمَيِّزُه من سواه ، حتّى لا يوقعَهم في خَلْطٍ ذهنيٍّ ؛ يُثيرُ لدَيهم الأوهامَ الذهنيّةَ والأخلاطَ الخياليّة .

ومن أكبر الأمثلة على ما التبست فيه الأفهامُ ، وتضاربتْ فيه الآراءُ : حالةُ المجتمع المسلم الّذي نعيشة في دنيا الناس اليوم .

أَهو مجتمع جاهليٌّ ؟

أم مجتمع إسلاميٌّ ؟

فترى بعضاً ممَّن لم يضربوا في العلم بسهم وافرٍ حَكَموا على هذا المجتمع حُكماً جائراً لا قِبَلَ لهم به ، فقالوا : هو مُجتمعٌ جاهليٌّ كافرٌ !!

ومع ذلك ؛ فلا نسمعُ أحداً من (دعاةِ الصحوةِ) يُبيّنُ الحقَّ في هذه المسألةِ الجليلةِ ، فهو مشغول (!) بالخطاباتِ الثوريّة ، والبياناتِ الرّنانةِ !

إنَّ الصحوةَ فيما يبدو لي لا تَغْدو أن تَكونَ حماسةً عاطفيّةً ملتهبةً ، سَرْعانَ ما تخمدُ ، ولا يبقى لها إلّا ما يبقى من أثرِ نارِ الهشيم !!

ومن هُنا كانت صحوةً أفزعت وبلبَلَتْ ، فقد كانت من صُراخِ اختلطَ بعضُه في بعضٍ ، تلاقى كلُّه في فراغِ عقلي وقلبي ، ومن قَبْض أهلِ العلم ، وضَعْفِ مَلَكة الفقه والمعرفة ، واستعلاء أهل الظُّلم بظلمِهم على أهل الحقِّ المُسْتَضْعَفينَ بحقِّهم وكثرةِ الخُطباءِ الفقهاءِ ، الذين تَسَنَّموا المنابرَ ، وأجلَبوا بجهلِهم وعويلهم من فَوْقِها ليَحْمِلوا الناسَ على الظَنِّ فيهم أنّهم علماء ، وما هم بعلماء ، ولا العلمُ منهم ! وليس يصدُقُ فيهم إلّا المثلُ القائلُ : أسمعُ جعجعةً ولا أرى طِحْناً !!!

فمتى يدركُ أهل الصحوةِ أنَّهم كانوا في غفوةٍ ، وأنّهم لا زالوا فيها ؛ إلّا أن يُعْلِنوا على الملأِ بشجاعةٍ وعلى الدُّنيا أنَّهم بُرآءُ من الجهل الذي لا زالوا يتخبَّطونَ في ظلماتِه ، فلا يُميِّزونَ بينَ الحقِّ والباطل ، وبين الكفر والإيمان ، وبينَ العلم والجهلِ ؟

إنَّ الصحوةَ الحقيقيَّةَ هي التي تنفي عن العيونِ الكرى ، وتُسقطُ عن الجفون الغَبَشَ ، وتُحرِّكُ في القلوبِ نوازعَ الخير والحُبِّ ، تُربِّي في الصدورِ الهداية والتقوى وتُزيلُ منها رواسبَ الضغنِ والبغضاءِ ، وتبني الجسورَ بينَ الشواطئِ ، وترفعُ جدر البنيان المتهدّمة وتُسقطُ من حسابها الربح والخسارة ؛ إلّا ما يُبتغى به من عمل الآخرةِ ، وتمنعُ الأذى أن يَحِلَّ بدارِ مسلمٍ ، أو بعِرْضِهِ ، أو بمالِه ، أو بدمِهِ .

وإذا نحن أجَلْنا البصرَ في أرجاء عالمنا الإسلاميِّ ؛ فَهلْ نرى آثارَ هذه الصحوة على أرضِ الواقعِ ، ونتعرَّف شيئاً منها ممّا يُفرحُ قلوبَنا ، ويُعيدُ إلى نفوسنا الثقة ببعض ما ضاعَ منّا من جلالِ الماضي وعظمتهِ وعزَّتِه ؟

وهذا ممَّا يجبُ أن تحرصَ الدعوةُ عليه ؛ إظهاراً وإحداثاً ، بتوفير الأسباب السليمةِ المتكاملةِ أو القريبة من ذلك ؛ لتكونَ سبيلَ الصحوةِ إلى إعادةِ الثقة بجلال الماضي وعظمتِهِ وعزّتِه .

فهل حَرَصَت الصحوةُ على مثلِه أو على قريب منه ؟!

ومن أهم الأسبابِ التي تُعيد الثقةَ إلى نفوسِنا بماضينا : الحرصُ على وحـ

الصَّفِّ ، واجتماع الكلمةِ ، وائتلافِ الجماعةِ .

فانظر أين هذه الثلاثة من أهل الصحوة ؟!

إنَّ الصحوةَ التي نراها زادت من تصدُّعِ الصفّ ، وتفرّقِ الكلمةِ ، واختلافِ الجماعةِ .

فهذا التنابزُ على صفحات المجلّاتِ ، وهذه المهاتراتُ التي تَمْلأُ الساحاتِ ، وهذه الاتّهاماتُ التي صارت ديدنَ الجماعاتِ ، وهذا التّربُّصُ بالشرِّ ، والكذبُ الذي لا يخدشُ حتّى حياءَ قُوَّام الليل وصُوّامِ النهار ، وهذا الازورارُ الذي تتقفَّعُ به الوجوه حين تتلاقى عيونُ أهل الصحوة ، وهذه النفرة المُفزِعةُ التي تملأُ القلوبَ حَرَجاً وريبةً ، وهذه الأقلامُ التي تملأُ الصحائفَ سخائمَ وعُدواناً ، وهذه وهذه ، وتلك وتلكَ ، ممّا لا يُحصى من العيوبِ والآفاتِ ، التي أدناها إلى الحقِّ أقربُها من الباطِل ؛ هل هي آثار جاءت بها الصحوةُ ، أم أنّها كانت قبل مجيءِ الصحوةِ ؟

إن كانت الثانيةَ ؛ فما فائدةُ الصحوة إذاً ؟ هل الصحوةُ جاءتْ - أو كانت - لتقول للناس : ليس في الإمكان أحسنُ مما كانَ ، فتقفُ شاخصةً بصرَها في قُلوبِ أُناسٍ أو في عقولِهم ؛ لتقول لهم : كونوا أنصارَ الهوى ، وإيَّاكم أن تلزموا طريقَ الهدى ، فيُجرونَ أقلامَهم طعناً ، وغمزاً ، وسخريةً من أناسٍ تجمعُهم بهم كلمة (لا إله إلّا اللّهُ) ،ولا يَرونَ قدوةً تحمدُ في الدنيا إلا في رسولِ الله ﷺ ، فيقيسونَ سلوكَهم بسلوكه ، وأعمالهم بعملِه ، وتصوُّرَهم بتصوُّرِه ، وفي كلِّ ما يصدرُ عنهم أو يُمسكونَ عنه .

وقد جاشت جوائشُ الحسدِ المستعلي والكِبْرِ المُرْدي بنفرٍ وَضعوا كُتُباً يستعدونَ بها أهلَ السوءِ والباطلِ على أُولئكَ الأخيارِ ، السائرينَ على هدي رسول اللهِ ﷺ ، وكأنّما أقسموا أن لا يقرَّ لهم قرارٌ ، ولا يَخْمَد في صدورِهم أُوارٌ ؛ إنْ رأوْا أولئكَ الأخيارَ تعصفُ بهم سيوفُ الأشرارِ ... وما علم أولئكَ الحاسدونَ المُستكبرونَ أنَّ

السوءَ لا يحيقُ إلّا بأهلِهِ ، وأنَّ المكرَ لا يُصيبُ إلا مُفوّقَه في سهمه .

والتاريخُ سجلٌّ موفورٌ بالعبر التي لا تُنسى ، والعِظات التي لا تمحى ، والظلم مرتعه وخيمٌ و عاقبته سخيم ، ومن يقرأ التاريخَ سوفَ يعرف أنَّ كلَّ من رَمى أتباعَ الهدى من الأخيارِ ؛ لم يَنْجُ من سهمِ المنتقمِ الجبَّارِ .

فأيُّ عقولٍ مريضةٍ تلكَ التي يحملُها أولئكَ المُستكبرونَ الصاغرونَ في رؤوسِهم ؟! وأيُّ أحلامٍ سفيهةٍ تلكَ التي أوقعت أصحابَها في أَسَنِ غُرورِ باطلِهم ؟!

وقد صرت على يقين من أنَّ أولئكَ المستكبرينَ الصاغرينَ ما أُتوا إلا من حسدٍ مُضلٍّ ، أوفى بهم على رَحْبَةِ الضلالِ ، وآواهم إلى رُكنٍ قَصيٍّ مظلمٍ ، يختانونَ فيه أنفسَهم ، ويمضغونَ فيه بتدبيرِهم الأسودَ خيالاتهم ، ويصنعونَ فيه مكايدَهم التي تنهلُّ بها سوءاتُهم .

رأوْا أنَّ المنهجَ النبويَّ المُتمثِّلَ في الكتابِ والسنةِ قد رفرفَ بأجنحته النقيّة البيضاءِ في آفاقِ الدنيا ، وسَعَتْ ركائبُه المُحمَّلةُ بالنورِ والهدى فوقَ كلِّ أرضٍ ، وغدت غُدُرُهُ الرَّقراقةُ تنسابُ تحتَ كلِّ سماءٍ ، وصارت معارفُه الصافيةُ من شوائبِ المنطقِ والفلسفةِ والرأيِ حليةً تميسُ بها أعناقُ الشبابِ ، وانقطعَ طلّابُ العلمِ بوفرةِ حماستهم إلى شيوخِ السُّنّةِ ، وراجت في المكتباتِ كُتُبُ الحديثِ والأثرِ .

لقد غَدَتِ الصحوةُ كلمةً لا مدلولَ تهدي إليه ، ولفظةً ليسَ لها معنىً تدلُّ عليه ؛ إلا ما يكونُ من هذا وذاك في عُقولِ مَنْ يظنُّ أنَّ هناكَ صحوةً من الذينِ يتحدَّثونَ عنها أو يكتبونَ ، أو ينْظُمونَ أو ينثرونَ ، وبخاصّةٍ أولئكَ النفرَ الذينَ يدْأبونَ على الحديثِ عنها ، يوهمونَ الناسَ أنَّهم نُظّارها ، وفلاسفتُها ، الحقيقونَ بثناءِ النَّاسِ ؛ لأنَّهم حُرّاسُها ، والقائمونَ عليها ،ولعمرُ اللّهِ ما نعرفُ واحداً من أولئكَ يحسُنُ أن يتزيّى بشيءٍ من لباس التقوى – ولباس التقوى خيرٌ – ولا يقوى على الصَّبرِ أياماً على شيءٍ من معنى قولِه سبحانه : ﴿ فاستقم كما أُمِرتَ ﴾ .

وإن نحن أردْنا أن نجعلَ للصحوةِ معنى تدلُّ عليه ، أو يدلُّ عليها حقيقةً ؛ فأوَّلُ ما ينبغي أن نذكرَه أن المقياسَ الذي تقاسُ به هو الجيل الإسلامي الأوَّلُ ، وبكلِّ ما فيه من جلالٍ ،وجمالٍ ، واعتقاد ، وولاء ، واتّباعٍ ، واقتفاء ؛ ذلك الجيل الذي لا نرى في شيءٍ من سيرته إلّا ما هو حقيق بالأخذ والإيثار ، وفي غيرِه – ممَّا يخالفُه – إلّا ما هو حقيقٌ بالنبذِ والاطراحِ ، إذ هوالجيلُ الذي انعقدت آصزته بآصرةِ النبوّةِ ، وشُدَّت حبالُه إلى صخرةِ الوحي القويّة ، فكانَ أمثلَ جيلٍ عرفَ قدرَ النبيِّ ﷺ وحقّه عليه ، فلا يصلحُ للقياسِ غيره ؛ ليُعرفَ به ما يصلحُ أن يكونَ شيئاً من معاني الصحوة ، وجزءً من دلالتها الهادية إليها في كلِّ قرنٍ من القرونِ الآتيةِ من بعدها ، ولا يكون لكثرةِ العددِ موردٌ في حسابها ، ولا دليل على سلامَتِها .

وهذا هو الذي تطرَّقُ به الغرورُ إلى صفوفِ أهل الصحوةِ المُدّعاةِ !!! فكانَ عاقبةُ ذلك فيهم إلى خُسْرٍ ، ومآله عليهم إلى وهنٍ ، ولو كانت كثرةُ العددِ فضيلةً تُعَدُّ في حسابِ الدعوةِ لكان الأنبياءُ أولى النّاسِ وأحقَّهم بها !!!

وقد أمرَ النبيُّ ﷺ أمته أن تلزمَ سنّتَه وسنّةَ من بعده من أصحابه ، لا تُخالفَ عنها في أيِّ زمانٍ ؛ لأنَّ فيها النجاة :

« عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الرّاشدينَ المهديّينَ من بعدي ؛ عضُّوا عليها بالنواجذِ ، وإيّاكم ومحدثاتِ الأمور فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة ، وكلَّ ضلالةٍ في النار » .

وهو أمر يُلْزِمُ الطاعةَ ، ويحذّرُ من المعصية .

فهل كانت الصحوةُ الإسلاميّةُ اليومَ مطابقةً لمعنى هذه الكلمةِ النبويّة ، أم هي على خلافِها ؟!

وهل أهلُ هذه الصحوةِ ودُعاتُها ونُظّارُها والمُكثرونَ من ذكرِها والتحدُّثِ عنها صادعونَ بهذه الكلمةِ ، عاملونَ بمقتضاها ، واقفونَ عندَ حدودِها ومُقتضاها ؟! أم هم على غير ذلك ؟!!

ولا أحسَبُ إلّا أنَّ الجوابَ الصحيحَ الصريحَ لهذين السُّؤالينِ منظورٌ في واقعِ الصحوةِ ،ومَن يدَّعونَ أنَّهم أهلُها ، القادرونَ على حملِ تبعاتِهَا ، الرَّافعونَ أصواتَهم بشعاراتِهَا ، وما أكثرَها من شعاراتٍ ، فلكُلٍّ جماعةٍ منهم شعارٌ ينتظمُ سلوكها وتصوُّرها ، تميزُ به نفسها من سواها من الجماعاتِ ، وتحسبُ أنَّها به أو بمثلهِ على شيءٍ .

وليسَ في طوقِ أحَدٍ أن يُنْكرَ أنَّ القرونَ الثلاثةَ الأولى قد بَلَغَتْ في الفضلِ شأواً بعيداً ، قصَّرت كلُّ القرونِ الآتية من بعدها عن إدراكه أو اللحاق حتّى بنهايتِه ، فبماذا يا تُرى كانَ لها هذا !؟

هل كان بكثرةِ العددِ ، واتّساع رقعةِ الأرضِ التي عمروها ، ووفرةِ الأموالِ التي ملكوها ؟

لم يكن يعَدُّ الفضلُ عندهم بشيءٍ من هذا قطُّ ، وتاريخُهم شاهدٌ على ذلك !!

وما سعيُهم في الأرضِ إلّا لتحطيمِ الأغلال التي كانت تَرْسُفُ فيها الشعوبُ بظلمٍ واستعبادٍ .

وما جَرَت مدامعُهم إلا شفقةً علىالمعذَّبين فيها والضعفاء ، أو خوفاً من عذابِ اللهِ ، أو شوقاً إلى جنّتِهِ .

عَرَضَت لهم الدنيا بزينتها ، فأعرضوا عنها ، ورَقَصَتْ لهم بزخرفَتها ، فما أغْوَتْهُم حتى بنظرةٍ إليها .

فرحوا بما وَعَدَهم اللهُ به ، فكانوا أشوقَ الناسِ إليه ،وأحرصَهم على بلوغهِ ، واقشعرَّت جلودُهم من وعيد الله ، فكانوا أشدَّهم مفرَّةً عنه ، وأخوفَهم من الدُّنُوِّ منه ، عَرَفوا اللهُ حقاً ، فعبدوه حقاً ، وعلموا أنَّ نهايةَ الحياةِ الموتُ ، فآثروا العملَ لما بعده ، والاستعداد لملاقاةِ ربِّهم ، وشمَّروا عن ساعد الجدِّ ، وأخذوا أنفسَهم بالعزائمِ ، ومَضَوْا إلى ربِّهم آمنينَ هائبينَ ، عيباتُهم مملوءةٌ بالصالحاتِ ، وأعينهُم قريرةٌ فيما عندَ اللهِ .

إن كان للصحوةِ معنى ، فلْيُلْتَمس من خلال السطور التي أمليناها على القلمِ ، فأظهرت مكنونَ الخاطرِ ، وسريرةَ النفسِ ، في غير مراءٍ ولا مواربةٍ ، فأصدقُ ما يكونُ الإنسانُ مع قلمِه ؛ فهو اللسانُ الكاتبُ الذي يقرؤه الناسُ حروفاً وكلماتٍ مرقومةً على الصحائفِ ، وهو يُغني عن اللسانِ اللاَّقطِ الذي تلقفُهُ أسماعُ النَّاسِ حروفاً وكلماتٍ منقولةً على رقعة الأصواتِ .

والمؤمنُ لا ينبغي أن يكونَ جباناً مُخادعاً ، يُغري الناسَ بمعسولِ اللفظِ وجميلِ الكلمةِ ، بل يجبُ أن يكونَ شجاعاً لا يصرِفُه عن الصدقِ في القولِ سخطُ الناسِ ، ولا يحملُه على الصدقِ فيه رضا الناسِ .

وما أكثرَ ما لبَّسَ الجُبناءُ – ممَّن نَصبوا أنفسَهم أوصياءَ منَظِّرينَ – على عبادِ اللّهِ الغافلين !!

وهذا المقالُ الذي بينَ يديكَ – أخي القارئُ – فيه شرحٌ وافٍ للمثلِ الذي ذكرته قبلُ ممّا اختلفت فيه أنظارُ كثيرٍ من المُخْلصينَ المتحمسينَ للإسلامِ والإيمانِ ، وأُغلِقَت عليه عقول دعاةِ (الصحوة الإسلاميّة) ومفكريها ، فلا يميِّزونَ حقاً ، ولا يوضحونَ طريقاً .

وإذا أفردتُ الكتابةَ في هذا الموضوعِ المهمِّ الخطير ؛ فلتعريفِ المسلمينَ على مُختلَفِ طرائِقهم ومستوياتِهم واتّجاهاتِهم بالمنهجِ العلميِّ الحقِّ في دراسةِ المسائلِ وحلِّ المشاكلِ ، وبخاصةٍ في مثل هذه المسألةِ الشائكةِ التي لها مساس كبير في الحياةِ العلميّةِ لأبناءِ الأمّةِ .

ووجه آخرُ دفعني إليه ؛ أن بعضَ الناسِ – ممّن أشرت إليهم فيما سلف من هذه المقدمةِ – يتهمونَ دعاةَ التوحيدِ وحملةَ السنّةِ وأهلها بأنَّهم يكفِّرونَ الناسَ ، ويخرجونهم عن الملّة ! وهذا ظلمٌ شديدٌ لهم ، فهم – ولله الحمد – أحرصُ الناسِ على وضعِ الحقِّ في نصابِه ، وتقريرِ الصوابِ ، وولُوجِ بابِهِ ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

مسائل وأجوبتها

العلامة محمد ناصر الدين الألباني

سؤال :

هل يجوز للمكتبة أن تبيع الجرائد والمجلات التي فيها صور خليعة ، وأخبار كاذبة ، ومدح للمنافقين والفاسقين ؟ وهل يجوز لها أن تبيع كتباً تشتمل على عقائد وأفكار وفقه لا يتّفق مع ما كان عليه السلف الصالح ، لكي تروّج هي كتبها السلفية ؟!

جواب :

المجلات التي فيها صور خليعة لا يجوز التردد في عدم بيعها ، فبيعها حرام .

أما كتب الفقه الأخرى ، فلا بد لمن أراد أن يقف عند حدود الشرع فإنه يجب عليه أن يكون على علم بما في هذه الكتب من آراء وأحكام وأفكار ، وحينئذ فالحكم للغالب مما فيه ، فإن كان الغالب هو الصواب فيجوز بيعها ، وإلا ؛ فلا يجوز إطلاق القول ببيعها ، ولن يجد المسلم كتاباً عدا كتاب اللّه خالياً من خطأ ، فإذا قيل بعدم جواز بيع أي كتاب فيه خطأ فحينئذ لا يجوز بيع أي كتاب ، وينظر للقضية بمنظار الغالب .

سؤال :

أنا شاب لا زلت أدرسُ ووالدي رجل غني وهو يتعامل بالربا وغيره من البيوع المحرمة ، فما موقفي من هذا ، وخصوصاً أنه هو الذي ينفق عليّ ، وقد بيّنتُ له أن الربا حرام مراراً ولكن بدون جدوى ؟

جواب :

إن الدراسة التي يشير إليها السائل هي قطعاً ليست من الأمور الواجبة ، وإنما هي سبيل إلى الرّزق هذه الأيام ، فإذا كان الأمر أنه يعيش تحت كنف أبيه ، وهو واثق من أن والده يتعامل بالربا ، فعليه : أن يتعاطى كل الأسباب للخلاص من هذه المعيشة القائمة على المعصية ، ولو أدى الأمر إلى ترك الدراسة ، لأن هذه الدراسة بذاتها ليست واجبة عينياً ، وعليه أن يسعى لكسب الرزق الحلال بكدّ يمينه ، وعرق جبينه ، هذا خير له وأبقى .

فباستطاعة السائل أن يدع الدراسة ولو مؤقتاً ، ويسعى أن يوجد لنفسه رزقاً يعفُّ به نفسه ويستغني عن إنفاق أبيه عليه .

وإن اضطر غير باغ ولا عاد أي : أن يظل تحت إنفاق أبيه ، فليس له أن يتوسّع في الطلب منه ، وإنما يأخذ بقدر ما يسدّ به رمقه ، ويقيم به أوده ، ويستغني به عن الناس .

سؤال :

هل ركوب المرأة وحدها في سيارة أُجرة مع سائق أجنبي يعتبر خلوة محرمة في الشرع ، وهل ركوب المرأتين معاً كذلك ؟

جواب :

ركوب المرأة وحدها مع سائق أجنبي يلتقي مع الخلوة في أن بعض المحذور مما يقع عادة في الخلوة يمكن أن يقع في مثل هذه الحالة التي هي ركوبها مع السائق ،

وليس هناك شخص ثالث ، فهنا لا أعتقد أنها خلوة ، ولكنها مثار فتنة ، وهذه الفتنة لا تَرِدُ في الصورة الأخرى ، والتي يكون فيها امرأة أُخرى ، أو رجل آخر ، فإن وقوع الفتنة والحالة هذه أبعد منه في الحالة الأولى .

سؤال :

ما حكم التلفزيون اليوم ؟

جواب :

التلفزيون اليوم لا شك أنه حرام ، لأن التلفزيون مثل الراديو والمسجل ، هذه كغيرها من النعم التي أحاط اللّه بها عباده كما قال : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ فالسمع نعمة والبصر نعمة والشفتان واللسان ، ولكن كثيراً من هذه النعم تصبح نقماً على أصحابها لأنهم لم يستعملوها فيما أُحب اللّه أن يستعملوها ؛ فالراديو والتلفزيون والمسجل أعتبرها من النعم ولكن متى تكون من النعم ؟ حينما توجه الوجهة النافعة للأمة ، التلفزيون اليوم بالمئة تسعة وتسعون فسق ، خلاعة ، فجور ، أغاني محرمة ، إلى آخره ، بالمئة واحد يعرض أشياء قد يستفيد منها بعض الناس فالعبرة بالغالب ، فحينما توجد دولة مسلمة حقاً وتضع مناهج علمية مفيدة للأُمة حينئذ لا أقول : التلفزيون جائز ، بل أقول هو واجب .

سؤال :

ما معنى « إياكم وخضراء الدمن » ؟

جواب :

هنا قبل الجواب أُنبِّهُ أن هذا الحديث ضعيف جداً بل موضوع ، ولذلك نجيب على السؤال كفائدة لغوية وإلّا فالأمر كما يقولون في - العامية - : الميت لا يستحق كل هذا العزاء ، لأنه حديث ضعيف جداً وموضوع .

الدمن : الأبعار والأرواث التي يتراكم بعضها فوق بعض فيصيبها الشيء من

الرطوبة والبلل فينبت فيها نبات وينشط نشاطاً قوياً والمقصود فيه كما جاء في نفس الحديث المشار إليه بالضعيف ، المرأة الحسناء في المنبت السوء ، لذلك جاء في نفس هذا الحديث نفسه : إياكم وخضراء الدمن .

سؤال :

بالنسبة لتفسير « فتح البيان » وتفسير « المنار » ماذا تقولون فيهما ؟

جواب :

تفسير المنار أصلح من فتح البيان ، وهو يعالج مشاكل المسلمين اليوم وفيه بحوث إجتماعية وسياسية وتاريخية لا توجد في كتب التفاسير المعروفة سابقاً ، بل لا توجد في كتب المعاصرين ؛ لان السيد رشيد رضا عالم كبير وسياسي واعٍ ، سياسي مسلم ، لكن في الوقت نفسه له انصرافات عن السنة في كثير من المواطن ، مثل أحاديث عيسى والدجال والمهدي وله فتاوى في أول الأمر وإن كان قد اعتذر في لباس البرنيطة واللباس الأوروبي .

سؤال :

هل يجوز نبش قبور المسلمين ونبش قبور الكافرين ؟

جواب :

هناك فرق طبعاً بين نبش قبور المسلمين و نبش قبور الكافرين ، فنبش قبور المسلمين لا يجوز إلّا بعد أن تفنى وتصبح رميماً ، ذلك لأن نبش القبور يعرض جثة المقبور وعظامها للكسر وقد قال عليه الصلاة والسلام « كسر عظم المؤمن الميت ككسره حياً » فالمؤمن له حرمة بعد موته كما كانت له حرمة في حياته ، طبعاً هذه الحرمة في حدود الشريعة .

أما نبش قبور الكفار فليست لهم هذه الحرمة فيجوز نبشها بناءً على ما ثبت في صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة كان أول شيء

باشره هو بناء المسجد النبوي الموجود اليوم ، فكان هناك بستان لأيتام من الأنصار و
قبور المشركين فقال عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الأيتام : « ثامنوني حائطكم » يعن
بيعوني حائطكم بثمنه ، قالوا : هو لله ولرسوله لا نريد ثمنه ، فكان فيه الخرب و
قبور المشركين فأمر الرسول ﷺ بقبور المشركين فسويت بالأرض وأمر بالخر
فمهدت ثم أقام المسجد النبوي على أرض ذلك البستان .

فإذن نبش القبور على وجهين ؛ قبور المسلمين لا يجوز ، أما قبور الكف
فيجوز ، وقد أشرت في الجواب إلى أنه لا يجوز نبش قبور المسلمين حتى تصب
رميماً ، وتصبح تراباً ، ومتى هذا ؟ إنه يختلف باختلاف الأراضي ، فهناك أراض
صحراوية ناشفة تبقى فيها الجثث ما شاء الله من السنين ، وهناك أراضٍ رطبة يسر
الفناء فيها إلى الأجساد فلا يمكن وضع ضابطٍ لتحديد سنين معينة لفساد الأجس
كما يقال : « أهل مكة أدرى بشعابها » فالذين يدفِنُون في تلك الأرض يعلمون الم
التي تفنى فيها جثث الموتى بصورة تقريبية .

سؤال :

إذا دخلت المسجد والصف الأول قد اكتمل فهل تسحب شخصاً يصل
معك أم تصلي وحدك ؟

جواب :

لو صح حديث الجذب للرجل من الصف الأول كي لايصلي وحده ف
الصف الثاني لوجب القول به ، ولكنه لم يصح اسناداً كما بينته في « إرواء الغليل
و « السلسلة الضعيفة » المجلد الثاني فما دام أن هذا الحديث لم يصح فإن الداخل إل
المسجد والصف أمامه قد اكتمل عليه أن ينضم للصف الذي بين يديه ، وهذا ف
غالب الأحيان في هذا الزمان الذي انصرف فيه جماهير المسلمين عن التراص ف
الصفوف لأن غالبهم يبتعدون عن التراص فإن وجد الصف كاملاً ، فلا يعدم أن يج

فراغاً ولو بالإشارة إلى المصلي الذي يريد أن يقف بجانبه أن يوسع فإذا لم يتمكن من ذلك إما بسبب تراص الناس في الصفوف أو بسبب تعنت بعض المصلين الذين لا يلين أحدهم بيده أو منكبه لهذا الذي يريد أن ينضم للصف بجانبه ، فإذا لم يتمكن وقف في الصف الثاني وحده وصلاته صحيحة ذلك لأن قول النبي ﷺ « لا صلاة لمن صلى في الصف وحده » إنما هو في حدود القدرة والاستطاعة لسائر العبادات ، فنحن نعلم مثلاً أن الوقوف في صلاة الفريضة ركن ، فإن صلى قاعداً وهو يستطيع القيام لا تصح صلاته ، ولكن إن عجز عن القيام صلى قاعداً كما قال رسول الله ﷺ : « صلِّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنبك » وكذلك أيضاً شأن المنفرد يصلي خلف الصف وحده في حالة كونه لم يتمكن من الانضمام إلى الصف الذي بين يديه ، فحديث « لا صلاة لمن صلى وراء الصف وحده » محمول على المتساهل وعلى المعرض عن هذا الحكم الشرعي كما يفعل كثير من الناس وبخاصة من المؤذنين الذين لا ينضمون إلى الصفوف ، وإنما يصلي أحدهم في مكان وحده على السدة فهؤلاء هم الذين يتوجه إليهم القول ، أما رجل دخل المسجد وحاول أن ينضم إلى الصف فلم يتمكن ، ولم يأت أحد لينضم إليه فهو يصلي وحده ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وهذا رأي شيخ الإسلام ابن تيمية .

سؤال :

ما يسمى في الوقت الحاضر بالانقلاب العسكري على الحاكم هل هو وارد في الدين أم هو بدعة ؟

جواب :

هذه الأفعال لا أصل لها في الإسلام وهي خلاف المنهج الإسلامي في تأسيس الدعوة وايجاد الأرض الصالحة لها وإنما هي بدعة كافرة تأثر بها بعض المسلمين وهذا ما ذكرته في التعليق والشرح على العقيدة الطحاوية .

حقوق الطفل التربوية في الإسلام

محمد بن محمد بن احمد المهدي

الحقوق المطلوب توفرها للطفل المسلم حتى تهيء الجو المناسب لتربيته تربية إسلامية صحيحة كثيرة ، نذكر منها :

١ - حسن اختيار أم الولد عملاً بقول الرسول ﷺ :

« فاظفر بذات الدين تربت يداك »[١] .

٢ - الدعاء والتضرع من الأبوين أن يرزقهما الله ذرية صالحة :

﴿ والذين يقولون رَبَّنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ .

﴿ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ .

فأي وسيلة وأي سبب بدون عون الله تعالى وتوفيقه ستكون نهايته الفشل ، فكم من أب حريص على إصلاح ولده ، قد وفر له كل أسباب السعادة والتربية ، ولكن جهده يبوء بالفشل ، وكم من أب صلح ولـده أو أولاده ، وهو ليس بصالح .

(١) متفق عليه .

٣ - حسن التسمية : من حقوق الطفل أن يسميه أبوه بأحسن الأسماء التي حددها الشارع ، وقد رغب الشارع بتسمية الأولاد بأسماء محددة فأحبها لله : عبد الله ، وعبد الرحمٰن ، وأصدقها : همام وحارث .

٤ - من حق الطفل على أبويه أن يرى منهما ومن المجتمع سلوكاً صافياً بعيداً عما يمسخ الفطرة ، ويزين الباطل ، وسواء كان ذلك السلوك الممقوت كفراً أم بدعة ، أم كبيرة ، فإن لهذا العمل المخالف للفطرة تأثيراً على نفسية الطفل ومسخاً للفطرة التي فطر عليها .

فقلب الطفل مفطور على الإيمان بخالقه ، والإيمان بكل فضيلة ، وكراهية الكفر والكذب والخداع ، ففيه نور الفطرة ، ما يكاد يأمر به ، وينهى في سَوقِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر ، بيد أنَّ الوحي يزيده نوراً على نور ، والأصل في هذا الباب قوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه »[1] .

٥ - ومن حقوق الطفل كي يترعرع صافياً نقياً ومخلصاً وفياً ، إبعاده عن أهل الشرك والضلالات ، وأهل البدع والمعاصي وإتباع الشهوات فهؤلاء الجلساء بالنسبة للطفل البريء الطاهر قلبه ، والطيبة نفسه سم قاتل وداء عضال ، وهي الحالقة لإيمانه ، وحسن سلوكه . فيا لله كم فسدت البشرية بسبب الاختلاط بالسفهاء ، وكم تاهت لبعدها عن الحكماء والعلماء ، وقد ورد في النهي عن الاختلاط بأهل السوء آيات وأحاديث وآثار عن السلف كثيرة ولو لم يكن في هذا الباب إلا حديث النعمان : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ... » الحديث[1] لكفى .

---

(١) متفق عليه .

والخلاصة أن خطر هذه الخصلة كبير جداً ، فما فسد الفاسدون إلا بسبب الجلساء المبطلين ، ولا صلح الصالحون إلا بتوجيه المصلحين وقد قيل : الصاحب ساحب .

فأنت ترى أن الصديق يجر صديقه إلى دور السينما ، وأماكن شرب الخمور ، وارتكاب الفجور ، ويحبب إليه النظر إلى صور النساء ، ذوات السفور ، ويحبب له الصحافة الخليعة ذات التشكيك بمكارم الأخلاق والمزينة للإلحاد والنفاق ، ثم يجره إلى اعتناق أحزاب ومذاهب ذات عناد وإلحاد .

ولكن الجليس الصالح يرشد جليسه إلى مجالس العلماء ، ويطوف به في أندية الأدباء الصالحين الحكماء ، ويأخذ بيده إلى المساجد ، فيحب كل راكع وساجد ، فيصبح قلبه معلقاً بالمساجد فيصبح مكتوباً في ديوان الأولياء .

فالمسجد مكان قلبه ، والمصحف في خلوته أنيسه ، والكتاب المفيد جليسه ، تذرف عيناه إذا تلي القرآن ، ويشتاق إلى رؤية الكريم المنان ، الرحيم الرحمن ، يعيش مع الناس بجسمه ، وقلبه يعيش مع الحور في غرف الجنان .

ما جنى هذه الثمرات ولا عاش بقلبه في أعلى الجنات إلا بسبب جلساء الخير .

والخلاصة أننا إذا أبعدنا الطفل عن جلساء السوء وهيأنا له الجلوس في مجالس الخير ؛ فقد أعطيناه حقاً عظيماً من حقوقه .

٦ – ومنها أمره بالصلاة وهو ابن سبع ، وضربه عليها وهو ابن عشر ، والتفريق بين الأولاد في المضاجع .

٧ – ومنها تعليمه السباحة والرماية وركوب الخيل .

٨ - ومنها تعويده الصدق ، والوفاء بالوعد و مكارم الأخلاق .

٩ - ومنها تعليمه هدي النبي ﷺ في الأكل باليمين مع التسمية والأكل مما يليه : « يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك »[1] .

١٠ - ومنها منعه من مشاهدة التلفاز ، وبخاصة المشاهد المحرمة من الرقص والاختلاط بين الرجال والنساء ، ومنعه من رؤية القصص الغرامية والمسلسلات الإجرامية التي تعلم القتل والسرقة والخيانة .

١١ - ومنها التوسط في تربيته بالأمر والنهي ، فلا إفراط ولا تفريط فلا يبالغ المرء في الضرب ، ولا يهمله .

١٢ - ومنها تبغيض السفهاء من الناس إليه ؛ كمن اشتهر في المجتمع بالخيانة والنفاق ، والممثلين والممثلات ،الذين يسمونهم بنجوم الفن مع محاولة ملء قلبه بحب الصحابة ، والتابعين ، والعلماء ، والمجاهدين .

١٣ - تربيته على أكل الحلال وعلى الأكل من عمل يده تدريجياً .

١٤ - إعانته من قبل الأبوين على الطاعة بحيث لو اختار بعض الأمور التي لا تخالف الشرع ، فلا يمنع منها .

١٥ - حسن اختيار الزوجة الصالحة له التي تعينه على طاعة الله وطاعة أبويه .

١٦ - صرفه قبل هذه المدة إلى نيل العلم الشرعي عند العلماء العاملين ، وتحبيب حفظ القرآن إليه ، وكذلك سائر العلوم الشرعية من فقه ، وحديث ، وتفسير ، وعلوم آلة من نحو ، وصرف ، وبلاغة ، وأصول فقه ، وتحبيب اعتقاد السلف إليه .

١٧ - تشجيعه على التخصص بما يميل إليه من العلوم الحديثة التي تخدم

(١) متفق عليه .

المجتمع - بعد أن ينال حظه من العلوم الشرعية الواجبة عليه - .

وأخيراً : فإن حقوق الطفل التربوية في الدين الحنيف لا فرق فيها بين بلد وآخر ، وعصر وآخر ، إلا باختلاف المسميات والوسائل ، وإلا فالأصول الثابتة صالحة لأهل كل زمان ومكان ولأهل سائر البلدان .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الهدهد الغيور على التوحيد

عبد المؤمن بن محمد النعمان

يقول تعالى : ﴿ وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ☆ لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ☆ فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ☆ إني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ☆ وجدتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ☆ ألاَّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ☆ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ [النمل : ٢٠ - ٢٦] .

وتتحرك الغيرة على العقيدة في قلب طير من الطيور ويأبى أن يرى أحداً يسجد لغير الله لأنه علم أن الشرك شؤم ووبال ، وهي حقيقة يجب أن يعرفها الجميع .

كيف يسجدون لغير الله ؟ وكيف تخضع رؤوسهم وتنحني رقابهم أمام المخلوقين ؟؟ كان المفروض أن يرتفع الرأس ويشرئب العنق وتنتصب القامة أمام المخلوقات لأن المخلوقين سواسية أمام الله في العبودية وإن كانوا يتفاوتون في

المقامات .. فالجبهة لا تذل إلا لله ، والظهر لا ينحني إلا لواهب الحياة ، وهي كرامة أعطاها الله للإنسان الكريم ؛ فالعبودية بالنسبة للإنسان مقام عالٍ ، لا يختارها إلا العارفون ؛ فرسول الله ﷺ خيّره الله بين أن يكون ملكاً رسولاً أو عبداً رسولاً فاختار جناب العبودية على مقام الملك لأنه ﷺ عرف الحقيقة ، وكيف لا يعرفها وهو معلم الحكمة ؟!

حقيقة إن الهدهد كان مؤمناً ، بمعنى أنه لا يعرف إلا الله وحده ﴿ **وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ . وحقيقة إن الهدهد هذا عالِم ومدرك لخفايا بعض الأمور التي لا يعلمها إلا أهل العلم .. ما مر الهدهد على القوم المشركين مرور اللاهين ولا تأول موقفهم ولا قال : إنهم جاهلون لكنه انتفض وجاء لنبي الله عليه السلام بالخبر اليقين .. قد يقول قائل : إن الهدهد هذا أُعد إعداداً خاصاً وإنه كان من جنود سليمان المكلفين بالحراسة وإنه في منزلة العقلاء العارفين . وقد يكون هذا الأمر حقاً ، لكن المهم في الأمر تلك الغضبة والانتفاضة من طير ، بينما نجد بعض الناس وهم من أبناء الإسلام ، ومع هذا يمرون على مشاهد قريبة من هذا النوع فلا يغضبون ولا ينكرون ، بل قد يبررون موقف المخطئين الضالين عن طريق التوحيد .

الله الله ، لو مر الهدهد هذا على بعض ديار المسلمين اليوم ورأى ذلك الإقبال وذلك الاندفاع إلى القباب والقبور والأضرحة ، ولو سمع تلك الصيحات ... من بعض المسلمين تتوجه لغير الله .

حقيقة مؤسفة مُرة ؛ فمتى يتنبه لها المسلمون ... ودعاة الإسلام .

حياة أول السلف الصالح

أبو عبد الله خالد بن عبد الله بن علي

قَال عنه الرسول ﷺ « ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مالُ أبي بكر » . فبكى أبو بكر وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟. [أخرجه الإمام أحمد (٢٥٣/٢) وابن ماجه (٩٤) وغيرهم] .

وفي صحيح البخاري رحمه الله (٤٦٧) قال عليه أفضل الصلاة والسلام : « إنه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ عليَّ في نفسه ومالِهِ من أبي بَكر بن أبي قُحافة ، ولو كُنْتُ متخذاً من الناس خَليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ، ولكن خُلَّةُ الإسلام أفضل ، سُدُّوا كلَّ خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر » [وفي رواية أخرى في صحيح البخاري رحمه الله (٣٦٥٤) وصحيح مسلم (٢٣٨٢)] .

« ... لا يبقينَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابَ أبي بكر » .

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو - المعروف بأبي قحافة التَّيمي - من بَني تَيْم بن مرة .

كان أبو بكر - رضي الله عنه - رجلاً يألفه الناس ، محبوباً سهلاً وكان أعلم

قريش في الأنساب ، وبما فيها من خير وشر ،كان رجلاً تاجراً ميسوراً ذا خلق كريم وصاحب معروف في الجاهلية ، شهد بذلك ابن الدَّغنة عندما أسلم وأَراد أن يفرَّ بدينه رضي الله عنه إلى الحبشة [كما في صحيح البخاري رحمه الله (٣٩٠٥)] .

فعن عائشه رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، قالت : لم أعقل أبويَّ قط إلا وهما يَدِينان الدين ، ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طَرَفي النهار : بكرة وعشياً ، فلما ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشه حتى بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدَّغنة – هو سيد القارةِ – فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي فأريد أن أسيحَ في الأرض وأعبد ربي .

قَالَ ابن الدَّغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرُج ولا يُخرجُ ، إنك **تكْسِبُ المعدوم وتَصِلُ الرحم وتحمل الكلَّ وتَقري الضيف وتعين على نوائب الحق .**

فأنا لك جارٌ ، ارجع واعبد ربك ببلدك ...

قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلال .

وقالت عائشة رضي الله عنها : أعتق أبو بكر رضي الله عنه سبعة ممن كان يعذب في الله عزّ وجلّ منهم بلال وعامر بن فهيرة .

لم يكتفِ بالمسارعة إلى الإيمان والتصديق ، بل قام بالدعوة إلى الإسلام سراً ، وكان له فضل كبير في إسلام كثير من أشراف قريش وكبرائها بعد هداية الله لهم منهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمٰن بن عوف وأبي سَلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا جميعاً رضي الله عنهم ، ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (٣ / ٢٩) .

وقد ثبت أَنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان أعلم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وشهد له الإسلام بمواقفه الخالدة التي هي من أصل العلم وهي خشية الله تعالى فقد كان رضي الله عنه يعبد الله كأنه يراه .

- كان لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ،كما في الحديث الذي في صحيح البخاري (٣٩٠٥) .

- قَالَ عنه الرسول ﷺ : « إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر : صدق وواساني بنفسِهِ ومالِهِ فهل أنتم تاركو لي صاحِبي ؟ » (مرتين) .. الحديث في صحيح البخاري (٣٦٦) .

- « إن كان قال فقد صدق » قالها أبو بكرٍ رضي الله عنه عندما قالوا له : يزعم صاحبك أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس .

فما شاء أن يبحث ، ولا ينظر ، ولا يتشكك ، ولا يتحدّى ... بل قال : إن كان قال ذلك رسول الله ﷺ فقد صدق ، إني لأصدّقه بأبعد من ذلك ، بخبر السماء .

- موقفه في الغار « ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا » لم يفارق الرسول ﷺ في حضر ولا سفر .

- مضى أبو بكر ينصر دين الله بكل وسيلة يملكها بالدعوة إليه حيناً ، وبعتق الرقاب حيناً آخر ، وبالدفاع عن نبيه ليلاً ونهاراً .

- كان يقول : « أتقتُلون رجلاً أن يقُول ربِّي اللهُ وقد جاءكم بالبيناتِ من ربكم » .

- كان رضي الله عنه يجاهر بالدفاع عن النبي ﷺ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه !! .

- وكان أبو بكر أشجع الناس .

- كان مع النبي ﷺ في (خيبر وفتح مكة وحُنين والطائف وتبوك وحج الوداع) وحضر المشاهد كلّها ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ في واحدة منها أبداً .

- كان على درجة عظيمة من التقوى والورع ، والتبتل والتضرّع لله عز وجل وصل بها إلى مقام الصدّيقين ، ونال منزلة المقربين .

قال عنه الإمام المقدسي في كتابه « مختصر منهاج القاصدين » :

إن الرسول ﷺ شهد له فقال : « ماسبقكم أبو بكر بكثرة صومٍ ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره »[1] .

- كان من السابقين في فعل الخيرات ؛كما هو في صحيح مسلم (٣ / ٩٢ ، ٧ / ١١٠) وفي الأدب المفرد للبخاري (ص ٧٥) .

سأل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

« مَن أصبح منكم اليومَ صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا .

من عاد منكم اليومَ مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا .

قَالَ : من شهد منكم اليومَ جنازةً ؟ قال أبو بكر : أنا .

قَالَ : من أطعم اليومَ مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا .

قَال الرسول ﷺ : ما اجتمعت هذه الخصال في رجلٍ في يومٍ إلا دخل الجنة »

- كان رضي الله عنه يقف عند كتاب الله عز وجل .

أخرج البخاري رحمه الله في حديث الإفك (٤٧٥٠) وفيه :

(.... فلما أنزَلَ الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان يُنفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه وفقره - : والله لا أُنفق على مسطح شيئاً

(١) لا يصح رفعه إلى الرسول والصواب أنه من كلام شعبة بن عياش التابعي الجليل - (**الأصالة**) .

أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزلَ اللّه ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ .

قال أبو بكر : بلى واللّه ، إني لأُحبُّ أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

– كان حريصاً كل الحرص على أكل الحلال مهما كان الأمر وذلك واضح من قصته مع غلامه عندما أكل من أكلٍ عنده ثم علم أنه من كهانة تكهنها غلامه ، أدخل أبو بكر يده في فمه فقاء كل شيءٍ في بطنه » والقصة في صحيح البُخاري (٣٨٤٢) .

وأخيراً ثباته عند وفاة الرسول ﷺ (نعمَت البداية مع الرسول ونعمت النهاية) وموقفه حينما سمع الخبر وخطبته المشهورة العظيمة التي ثبّتت الصحابة رضي الله عنهم « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » رضي الله عنك يا أبا بكر وأرضاك .





هل للأولياء تصرف في الكون أو علم بالغيب ؟

د . محمد عبد الرحمن الخميس

لقد نفى الله تعالى عن خلقه كل صورة ممكنة من صور التصرف والملك ، فلا أحد من الخلق يملك ذرة في هذا الكون ، ولا أحد منهم يشارك الله تعالى في ملكه ، ولا أحد منهم يساعد الله تعالى في تصريف شؤون الكون ، ولا أحد منهم يملك حتى مجرد الشفاعة بغير إذن الله تعالى ولا أحد منهم يعلم الغيب إلا ما أعلمه الله به ، لا ملك مقرب ولانبي مرسل ولا مولى ولا غير ذلك ، وآيات القرآن مليئة بذلك ، فقد نفى الله تعالى كل هذه الصور في قوله : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [سبأ : ٢٢ ، ٢٣] وقال تعالى : ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ﴾ [الفرقان : ٣] .

وقالَ عزّ وجلّ : ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق و اعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

وقال نافياً علم الغيب عن خلقه : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ☆

إلا من ارتضى من رسول ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] ، وقالَ أيضاً : ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾ [النمل : ٦٥] ، ونفى علم الغيب حتى عن رسوله فقال : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك** ﴾ [الأنعام : ٥٠] .

فكل صور الملك والتصرف وعلم الغيب منفية عن الخلق جميعاً ليس لأحد منهم شيء من ذلك والآيات غير ما سبق كثيرة ، ومن هنا يتبين بطلان تعلق الجهال بالأولياء ، وعدم استطاعتهم شيئاً من النفع أو الضر لمن تعلق بهم .

● **صور الغلو في الأولياء :**

لقد غلا الجهال في الصالحين والأولياء ، ورفعوهم فوق منزلتهم التي أنزلهم اللّه إياها فمن ذلك :

١ - رفعهم إياهم فوق منزلة الأنبياء ، حتى قال قائلهم - وهو ابن عربي - :

مقام النبوة في برزخ ، فويق الرسول ودون الوليّ .

فخالف بذلك ما اتفقت عليه الأمة وأجمعت عليه من تفضيل النبي على الولي بل تفضيل نبي واحد على جميع الأولياء .

قَال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدة أهل السنة والجماعة : « ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء » [انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٩٣)] .

٢ - إسباغ بعض من خصائص الربوبية عليهم : فالأولياء عند هذا الصنف من الناس يعلمون الغيب ، ويتصرفون في الكون ، فهذا غوث الأغواث ، وهذا قطب الوقت ، وهذا الوتد وغير ذلك ، وهم في زعمهم ذلك يصطدمون مع نصوص الكتاب والسنة التي سبق ذكر بعضها في المبحث السابق ، ولهذا تراهم ينتظرون منهم جلب النفع ، ودفع الضر ، وكشف الملمات وغير ذلك .

٣ - صرف العبادة إليهم : فهم يَدْعونهم ، ويستغيثون بهم ، فلا يستجيبون لهم ، كما قال تعالى ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ☆ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ [فاطر : ١٣ ، ١٤] .

وهم ينذرون لهم ، ويشتكون إليهم ما نزل بهم ، ويرفعون إليهم الحوائج ويتعلقون بهم تعلق العابد بمعبوده ، بل إنهم يهتفون باسمهم في المصائب ، فيقعون بكل ذلك في الشرك الأكبر الناقل عن ملة الإسلام .

٤ - بناء الأضرحة لهم ، واتخاذ المساجد عليهم ، والطواف بها والتمسح ، وإبقاء السرج عليها ، وتعظيمها بل والحج إليها عوضاً عن حج بيت الله الحرام ، ويقبلونها وغير ذلك ، فيقعون في لعنة الله ورسوله حيث قال : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[1]

والأحاديث الواردة في النهي عما سبق ولعن فاعله لاتكاد تحصى .

٥ - نسج أساطير واختلاق الحكايات :

ومرادهم من ذلك ترسيخ مبدأ اللجوء للأولياء عند الضراء ، والاستغاثة بهم بزعم أن فلاناً تعرض لكذا وهتف باسم الولي فنجا ، أو أن فلاناً وقف عند القبر فأخرج الولي يده ومدها إليه ليقبلها وغير ذلك من الأساطير التي ملأت كتباً كثيرة ولا أصل لها ، وما صح منها فإنما هو تلعب الشياطين بجهال الناس .

٦ - الوقوف موقف العداء من كل من يأمر بالقسط ، ويتوسط في شأن الأولياء ، فيرمونه بأنه لا يعظم الأولياء ولا يحبهم ، ولا يحب أهل البيت ، ويبغضهم

(١) أخرجه البخاري (١ / ٦٣٣) ح ٤٣٥ ، ٤٣٦ في الصلاة باب (٥٥) ومسلم (١ / ٣٧٧) ح ٥٣١ في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، كلاهما من حديث عبيد الله عن عائشة وابن عباس مرفوعاً .

... إلى آخر هذه الأوصاف وينسون أن محبتهم وتعظيمهم لا تكون بعبادتهم من دون الله ، وتأليههم ، وإنما بالتشبه بطاعة المتقين منهم ، والسير على دربهم ، واقتفاء أثرهم ، والاستغفار لهم والترحم عليهم وألا نرفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله تعالى إياها .

٧ - الحلف بهم فيقسم الواحد بسيده فلان وسيدته فلانة ، ناسياً أن الحلف بغير الله تعالى شرك ، لأنه تعظيم للمخلوق من دون الله تعالى وغير ذلك من الصور ومظاهر الغلو .

وبعدما تقدم فالواجب على كل مسلم أن يتقي الله تعالى في دينه ، وأن يتوسط في شأن الأولياء فلا يؤذيهم ولا ينتقصهم ولا يسبهم ، بل يحبهم ويواليهم ، ولكن من غير غلو فلا يصرف لهم العبادة ولا يسبغ عليهم خصائص الربوبية وغير ذلك من مظاهر الشرك .

بل من الواجب أيضاً أن يحرص كل مسلم على أن يكون لله ولياً بملازمة الطاعة ، وتحصيل التقوى والبعد عن المحارم حتى ينال تلك المنزلة عند الله تعالى .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، والحمد لله رب العالمين .

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

هُموم وغُموم :

.. هذا هو أعلى تعبيرٍ وأدناه يُمكِن للمرءِ أن يُعَبِّرَ به عن أحوال العالم الإسلاميّ :

إنّه **أعلاه** ؛ لأنّ القَلَمَ سيعجزُ عن التعبير عما هو أجمعُ منه وَصْفاً لحال الضَّعْفِ الضاربِ بأَطْنابِهِ في جُذُور الأمّة .

إنّه **أدناه** ؛ فلأنّ حالةَ الاستضعافِ المريرةَ - الممتدّةَ مِن أطرافِ آسيا إلى أواسط أُوروبّا .. فضلاً عن أدغال إفريقيا ، مُروراً ببعض الدول العربيّة ! - لتدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ كلمة (هُموم وغُموم) كلمةٌ عاجزةٌ عن أنْ تُؤدّي الوصفَ الملائمَ لحقيقةِ المعنى المُرادِ وصفُه !!

فعن ماذا نكتبُ ؟!

وكيف نكتبُ ؟!

وبمن نبدأُ ؟!

وهل سيقف القلمُ أم سيستمرُّ ؟!

لو وَقَفَ القَلَمُ : لَقيلَ فينا : هؤلاءِ (جُبَنَاء) !! و : هؤلاءِ (لا يهتمُّون) بأُمور المسلمين !! و : هؤلاء (لا يعرفون) واقعَ الأُمّةِ و : ...

ولو اسْتَمَرَّ : لقِيلَ فينا – أيضاً – : ما بالُكم تُكَرِّرون أنفسَكم ؟! و : هل فَرَغَتْ جَعْبَتُكُم حتّى رجعتم إلى ما بدأتم به ، وعُدْتُم إلى ما انتهيتم إليه !!

فنقولُ لهؤلاءِ جميعاً :

إنَّ أحوالَ الأُمّةِ هي هي !! صِرَاعات .. حروب .. قتال .. تَعْذيب .. تَشْرِيد .. جَهْل .. انحراف .. مَعَاصٍ .. ذنوب .. بُعْدٌ عن الشرعِ .. تسلُّط مِن الأعداء .. هيمنةٌ مِن الكُفّار .. تَفَتُّتٌ .. تَمَزُّقٌ .. تَشَتُّتٌ ...

فَبِمَنْ نَبدأُ ؟! وكيف نبدأُ ؟!

أَفَنكتُبُ عن أفغانستان ؟!

لقد فَعَلْنا .. والصِّراع (الإسلامي – الإسلامي) ما زال مستمرّاً !!

أفنكتبُ عن البوسنة والهِرْسِك ؟!

لَقَد فَعَلْنا .. وما زالت غَطْرَسَةُ الصِّربيِّين الصَّلِيبيِّين مستمرّة !!

أَفَنَكتُب عن الصُّومال ؟!

لَقَد فَعَلْنا .. ومازَالت فُصُول المسرحيّة لم تُخْتَتَمْ !!

أَفَنكتب عن السلام على الطريقة الأمريكية ؟!

لقد فَعَلْنا .. وما زالت (الجولاتُ) تتوالى ... و (الأَنْخاب) تُشْرَب !!

أفنكتب عن كَشْمير ؟!

لقد فَعَلْنا .. وما زالت الإبادةُ قائمةً !!

.. فعَن ماذا نكتب ؟!

وكيف نكتب ؟؟

وبمن نبدأ ؟!

.. بل كيف ننتهي ؟ ومتى نختمُ ؟!

﴿ مَن عَمِلَ صالحاً مِن ذَكرٍ أو أُنثى وهو مُؤمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهم أجرَهم بأحْسَنِ ما كانوا يعملون ﴾ .

... ولقد كاد المِدادُ ينضبُ مِن القلم .. لا عجزاً عن الكتابةِ ، ولكنْ عصياناً على المُضيِّ بكلامٍ تهواه الأنفس ، ويستعصي على الجوارح !!

... وَلَسْنا نُريدُ - خِتاماً - تَكْرارَ القولِ في المرعبة السوداءِ التي اقترفَتْها أيادي يهود ، وراح ضحيَّتها المئاتُ مِن مُصَلِّي الفَجْرِ في المسجد الإبراهيمي في خليلِ فلسطينَ المحتلّة ، بين قتيلٍ وجريحٍ ..

... فإنّها تكادُ تُنْسى .. فَمَن أراد الشَّجْبَ شَجَبَ .. ومَن أراد الاستنكارَ استنكرَ .. فالقراراتُ صدرت .... والبياناتُ نُشِرت ... والعواطفُ استُنْفِذتْ ... و (التعويضات) دُفِعت ... والأموال قُبِضَت ... والنفوسُ سُكِّتَتْ .. والألْسُنُ أُخْرِسَت ... وصلاة الغائب أقيمت ... والرايات السود رفعت ... والمسيرات انطلقت

والمفاوضات .. استمرَّت !!!

... وحسبنا اللّه ونعم الوكيل ..

﴿ وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قريةً كانت آمنةً مُطْمَئِنّةً يأْتيها رِزْقُها رَغَداً مِن كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بأنْعُمِ اللهِ فأذَاقَها اللهُ لِباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون ﴾ .

موقف المؤمن من زلة العالم

رائد صبري أبو علفة

وربما يزل العالم فيخطئ ، وما ذلك إلا لأنه بشر من طبيعته الخطأ والنسيان ، فياتُرى ما هو موقف المؤمن من تلك الزلة ومن ذاك العالم ؟

تُرى ايكون بالسب والشتم ؟

أم يكون بالاتهام والتشكيك ؟

أم يكون بالتكفير أم بالتفسيق ؟

أم تُغيب تلك الزلة في بحر حسناته ؟

الجواب يُعرف من موقف السلف الصالح من مثل تلك الزلة فاسمع إلى ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية « في مجموع الفتاوى » (٢٧ / ٣١١) :

« إنه لو قُدر أن العالم الكثير الفتاوى أفتى في عدة مسائل بخلاف سنة رسول الله ﷺ الثابتة عنه ، وخلاف ما عليه الخلفاء الراشدون : لم يجز منعه من الفتيا مطلقاً ، بل يبيَّن له خطؤه فيما خالف فيه .

فما زال في كل عصر من أعصار الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء

المسلمين من هو كذلك ؛ فابن عباس – رضي اللّه عنهما – كان يقول في « المتعة والصرف » بخلاف السنة الصحيحة ، وقد أنكر عليه الصحابة ذلك ، ولم يمنعوه من الفتيا مطلقاً بل بيّنوا له سنّة رسول الله ﷺ المخالفة لقوله ، فعليّ – رضي اللّه عنه – روى له عن النبي ﷺ أنه حرم المتعة ، وأبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – وغيره رووا له تحريمه لربا الفضل ، ولم يردُّوا فتياه لمجرد قولهم وحكمهم ويمنعوه من الفتيا مطلقاً ومثل هذا كثير .

فالواجب إذاً التماس الاعذار ، لا التشنيع والانذار ، ولو أن كل عالمٍ أخطأ في اجتهاده اسقطناه واهدرناه لَما بقي للمسلمين من عالم ، وقديماً قالوا : « لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة » .

ورحم اللّه الامام الذهبي حيث قال اقوالاً ذهبية في كتابه « سير اعلام النبلاء » (٥ / ٢٧١) :

« ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه ، وعلم تحريه للحق ، واتسع علمه ، وظهر ذكاؤه ، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه ، يُغفر له زلله ، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه ، نعم : ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك » .

وقَالَ أيضاً (١٤ / ٤٠) :

« ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له ، قمنا عليه ، وبدَّعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ، ولا من هو أكبر منهما ، والله الهادي إلى الحق ، وهو أرحم الراحمين ، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة » .

ونحن في أيامنا هذه نرى على الساحة مواقف ثلاثةً من هذه القضية :

أولها : الاعتذار لذلك العالم وعدم متابعته على خطئه .

ثانيها : موقف الحاقدين الذي يتمثل بالسب والشتم والتكفير والتفسيق ؛ والذين يقرعون لتلك الزلة الطبول ويزيدون نغمة في الطنبور .

ثالثها : موقف المترخصين المتساهلين الذين يبتغون الزلات ويقتصّوْن العثرات ويلتقطون الرخص .

وهذا الموقف الأخير كما هو معلوم من مآخذ أهل البدع والضلال في الاستدلال[١] ، ورحم الله الامام الأوزاعي حيث قال : « من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام » .

وقال سليمان التيمي : « لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله » .

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (٣٢ / ٢٣٩) : « وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء ، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل ، فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطأوا كما قال الله تعالى حاكياً عن المؤمنين قولهم في دعائهم ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ ، قال الله : قد فعلت ، وأمرنا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا ولا نتبع من دونه أولياء ، وأمرنا أن لا نطيع مخلوقاً في معصية الخالق ، ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان فنقول : ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ الآية ، وهذا أمر واجب على المسلمين في كل ما كان يشبه هذا من الأمور ، ونعظم أمر الله بالطاعة لله ورسوله ونرعى حقوق المسلمين لا سيما أهل العلم منهم كما أمر الله ورسوله ، ومن عدل عن هذه الطريقة فقد عدل عن اتباع الحجة إلى اتباع الهوى والتقليد ، ومن آذى المؤمنين والمؤمناتِ بغير ما اكتسبوا فهو من الطاغين ، ومن عظَّم حرمات الله وأحسن إلى عباد الله كان من أولياء الله المتقين » انتهى .

(١) انظر غير مأمور كتابي « تصحيح الاخطاء والأوهام الواقعة في فهم احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام » (١ / ٤٢) .

الفتنة .. وكيف نواجهها ؟

أبو إدريس محمد عبد الفتاح

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » متفق عليه .

بهذا الحديث أجاب حذيفة عمر رضي الله عنهما عندما سأله عن الفتن التي تموج موج البحر ، وما أشبه نوع الفتن التي يتعرض لها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في هذه الآونة بموج البحر في تتابعها ، وفي شدتها وخطورتها ، وفي إغراقها للطوائف الكثيرة التي تضل عن سواء السبيل ، فها هي هجمات النفاق والزندقة على عقائد الإسلام ، وهاهي صيحات الاستهزاء والسخرية بالمنهج الإسلامي جملة وتفصيلاً بدءاً باللحية والحجاب ، وانتهاءاً بالإيمان بالآخرة وعذاب القبر والجنة والنار ، بل بكل الغيبيات ، فصار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، صار الطعن في القرآن صراحة والزعم بأنه بشري يقبل الخطأ والصواب حرية فكر وبحثاً علمياً يستحق

صاحبه الترقية إلى مرتبة الأستاذية ، وصار التذكير بعذاب القبر خزعبلات لا تسمح الأعراف والمواثيق الدولية بتدريسها للأطفال ، ولو أقرتها الجهات الدينية المسؤولة ؟! وأضعاف مثل هذه الأقوال سيل جارف في محاولة لاقتلاع جذور الصحوة من القلوب التي أحبتها أو تعاطفت معها ، ونحن نعلم تماماً أن هذه الهجمة العلمانية الشرسة وإن تدثرت حالياً بدثار محاربة التطرف والإرهاب المزعوم حفاظاً على سماحة الإسلام فإنها عما قليل سوف تكشف عن وجهها الحقيقي ، وقد بدأت فعلاً ونحن نعلم أيضاً بل على يقين أن عاقبة هذا السيل الجارف إلى بوار لأنه مكر الذين يعملون السيئات ، والله يقولُ : ﴿ **والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هو يبور** ﴾ وإن النتائج العكسية تنتظرهم لأنه المكر السيىء ، والله يقول : ﴿ **ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً** ﴾ .

نحن في حاجة إلى أن نتلمس العدة التي نواجه بها هذا الصد عن سبيل الله على كافة المستويات ، والحديث الذي قدمناه يتضمن عدة هائلة وأموراً واجبة على المسلم في وقت الفتن ، منها :

○ إنكار المنكر قدر الاستطاعة والحذر من قبوله ، وأي معصية وباطل ينكره المرء ينير القلب بنقطة بيضاء ، فأي معصية أو باطل يقبله المرء يسود قلبه بنقطة سوداء ، ولا شك أن هذا يحتاج إلى العلم والبصيرة ، فلم يعد يكفي الآن مجرد العاطفة والحماس وإرادة الخير دون العلم به ، فكم من مريد للخير لا يبلغه – وكم يضل أناس عند الفتن فيقبلون الباطل للتخلص من شدته ومحاولة الفرار من قسوة هجومه ، وهذا مسلك أعظم خطراً من الباطل نفسه إذ به يلبس الحق بالباطل ونسمح للباطل أن يلبس ملابس الحق فيحصل الإنحراف عن الدين ، باسم الدين ، فكم رأينا في الماضي والحاضر من يدفع هجوم المستشرقين بأن الإسلام انتشر بحد السيف بإنكار جهاد الطلب كلية ، وأن الإسلام لا يعرف إلا الدفاع حتى ماتت روح الجهاد عند

أكثر المسلمين فلم يدفعوا عن أنفسهم ولا بلادهم ، كذلك نرى من يدفع عن نفسه تهمة التعصب والتطرف بأن يقبل دعاوى الباطل ومبادئه أو على الأقل يسكت عنها مثل زمالة الأديان ومساواتها ، وبأن العداوَةَ معَ الكفار ليست بسبب الدين فيسارع في اليهود أو النصارى أو الملحدين مظهراً صدراً واسعاً باسم الحوار لضلالاتهم وكفرياتهم - دافعاً - باسم التسامح والإحسان في موالاة المشركين في مظاهر الشرك وشعائره ومودتهم ، وإذا رأينا المنافقين يهاجمون الاتجاه الإسلامي بأنه لا يقبل الديمقراطية كنظام للمجتمع والحكم فيه وجدنا البعض يعلن قبوله لها زاعماً أنها الشورى ويصرح بقبوله الاحتكام إلى صناديق الانتخاب مع علمه أن ذلك يقتضي تحكيم الناس على شرع الله ، وأن الشورى لا تعني أن الحكم للناس دون الله سبحانه ، ومع علمه كذلك أن الديمقراطية في بلاد المسلمين ليست إلا شِعاراً أجوف بلا حقيقة .

○ ومن العدة الواجبة لكل مسلم التسلح بأدلة الكتاب والسنة الصحيحة بفهم أهل العلم من أهل السنة والجماعة ليدافع عن الدين ويبطل شبه الزائغين ، ولن يتحقق ذلك بغير مواظبة ومثابرة واستمرار وليس بقراءة صفحات أو انتقاء عناوين جذابة من الفهارس أو مجرد البحث في موضوعات محدودة لا يحسن غيرها بل نريد الدراسة المنهجية التي تحقق للمسلم الشمول والإحاطة بأهم المسائل التي يتحدد بها الفهم الصحيح للإسلام في العقائد والعبادات والمعاملات والآداب وغيرها من فروع العلم .

○ ومن العدة الواجبة التي يرشدنا إليها الحديث : الثبات والصبر على الحق ، فإنه وصف المؤمن الذي لا تضره الفتنة بأنه أبيض مثل الصفا - أي الصخر - فبياضه علمه وبصيرته ، ومماثلته للصخر صلابته في الحق وقوته فيه ، فالصخر لا ينثَني ولا ينطبع ، وكذلك يجب أن نكون في الحق ، فلا تنازل عن طاعة نستطيع أداءها مهما كانت الأسباب ولا نترك سنة رسول الله ﷺ في مظهر أو جوهر ، بل نعض عليها بالنواجذ كما أمرنا رسول الله ﷺ ، ونحن نعلم كم يجد المسلم والمسلمة من مضايقات بسبب الالتزام وخاصة بالهدى الظاهر من لحية وقميص وحجاب ، ومع

ذلك فلا بد أن نصبر على الإلتزام عموماً وما يتضمنه من هذه المظاهر الإسلامية ولنحتسب عند الله ما يقع في قلوب الأعداء من الغيظ من وجود هذه المظاهر في بلاد المسلمين فهم قلقون لا يخفون قلقهم لانتشارها ، ويقولون ذلك في صحفهم ومقابلاتهم ، ولا تنس أخي المسلم أن هيئتك الإسلامية تذكر بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر ، وأنت في حاجة أشد إلى أن يكون السلوك الإسلامي أوضح ظهوراً في التعامل مع الناس من الهيئة واللباس ، واعلم كذلك أن أخطاءك سوف توضع تحت المجهر أمام أعين الناس ليروها مضاعفة مكبرة فاحرص واجتهد ألا يقع شيء منك يدين منهجك والتزامك أنت وإخوانك ولنتأكد أننا بالصدق والعفاف والصلة والإحسان إلى الناس سوف نصل إلى قلوبهم ويفتح الله لنا مزيداً من أبواب الدعوة والاستجابة للحق .

○ وإن من أعظم ما يعين على الثبات والصبر في وقت المحن : الارتباط الوثيق بإخوانك في الله وعدم البعد عنهم فإن رسول الله ﷺ أمر عند وجود الدعاة على أبواب جهنم بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم ، فإذا غابت الخلافة فأهل الحق لم يغيبوا ، وجماعة أهل العلم من أهل السنة اتباع سلف الأمة لم ينعدموا والحمد لله ، فلزومهم يقوي القلب على مواجهة الفتنة ويضعف أثر الباطل فيه ويزيل الخوف من غير الله ويذكر بالآخرة ويبشر بالنصر ، ويجد الإنسان فيه الأسوةَ في الخير ، أما البعد عنهم فيشعر بالقلق ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ ويشغل بالدنيا ويقنط من الرحمة والفرج والنصر ، ويجد الإنسانُ أسوة الشر أمامه ماثلة ، فأنت بإخوانك كثير وأنت وحدك مستضعف .

○ ومن العدة الواجبة في زمن الفتنة اجتناب الهوى ، فإن قلب المنافق لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ، وقد وصف الله الجنة فقال : ﴿ فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ ، فلابد للمؤمن من اجتناب الشهوات وترك التكاسل عن الطاعات والعبادات ، فإن الشهوات جنود

الأعداء علينا من أنفسنا ، وكثرة العبادة والذكر جنودنا في مواجهة عدونا ، وكلما اقتربنا من الله بالصلاة والصوم والصدقة هانت علينا الدنيا وعظمت لدينا الآخرة وصارت همومنا هماً واحداً .

○ وإنّ من أهم الأسلحة في وقت الشدة الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه ، فإنه عزّ وجلّ يبتلي العبد ليسمع تضرعه ﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ﴾ ، وقال : ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ فالدعاء هو العبادة كما قال رسول الله ﷺ ، ولعل واحداً منا يصادف ساعة إجابة يدعو فيها لنفسه ولإخوانه المسلمين في بلده وفي كل مكان فيكون في هذه الساعة بتلك الدعوة الفرج من الله سبحانه .

غاية الإسلام تحقيق العدل على الأرض

منذر محمد الحرايري

يقوم الكون وما فيه من أجرام ونجوم ومجرات وشموس إلى أصغر جزء من المادة وهي الذرة على العدل الذي يتمثل في التوازن والدقة في دوران الكهارب حول نواة الذرة إلى دوران الأجرام والكواكب حول الشمس ودوران الشمس في المجرة كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ **وكل في فلك يسبحون** ﴾ [يس : ٤٠] .

فقوى الجذب بين الأجرام تقابلها قوى أخرى معادلة لها ناتجة عن دوران حول المركز وهي القوة الطاردة المركزية centrefigal force وهكذا يكون توازن وعدل بين القوتين ، ويجري كل جرم في مساره بدقة هائلة ، وكذلك خلق الله البشر ليحقق أيضاً العدل بينهم كما حقق العدل في الكون فوقهم ! ولتحقيق العدل يجب على البشر الخضوع والاحتكام لقانون رب العالمين والاستسلام التام له ، أي يجب عليهم أن يعبدوه حقاً وحده لا شريك له وهذا معنى قوله تعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] وهذا معنى لا إله إلا الله ، وليست عبادة الله بآراء البشر ولا بتقليد الآباء والأجداد والأعراف ، وإنما باتباع الرسول عليه السلام فلا عبادة إلا بنص أي بالدليل والبرهان كما قال تعالى :

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ولا يتحقق العدل بقوانين البشر الجاهل الظالمة كما قال تعالى حاكياً عن الانسان : ﴿ إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ .

فالله تعالى هو العليم بخلقه الخبير بما يحقق العدل والسعادة بينهم لذا كان الخضوع والاستسلام لشرعه محققاً للعدل بين الناس على الأرض وكان حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً فإن فعلوا ذلك كان حقاً على الله ألا يعذبهم يوم القيامة .

ويتحقق العدل على المستويات التالية :

١ - العدل مع الله تعالى :

فالله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر المشرع لعباده ما يحقق بينهم العدل والسعادة في الدنيا والآخرة ، فكان من العدل للبشر ألا يديروا ظهورهم لمن أنعم عليهم من فضله العظيم ، ويعرضوا عنه تبارك وتعالى فيعبدوا غيره ممن لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً .

٢ - العدل مع الانسان :

سواء المسلمين أم الكافرين كما قال تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ . وبالاضافة إلى العدل مع المؤمنين فبينهم حب وولاء ومودة وإخاء .

٣ - العدل مع كافة مخلوقات الله :

فلا اعتداء ولا أذى ، أباح الله تعالى للمسلم الذبح باسم الله وكما أمر وأن يحسن الذبح ويريح الحيوان ، ولا يذبحه إلا لضرورة الغذاء ، وليس أمام مرأى الحيوان الآخر من جنسه ، وألا تدفع الحيوانات إلى الاقتتال والمصارعة بغرض التسلية والمرح ،

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن امرأة بغيٍّ من بني اسرائيل دخلت الجنة بسبب رحمتها لكلب كاد يقتله العطش فنزلت البئر وجلبت له الماء ، كما أخبرنا عليه الصلاة والسلام عن امرأة أخرى من بَني اسرائيل دخلت النار بسبب موت هرة جوعاً حيث حبستها فلا أطعمتها ولا تركتها تأكل من صيدها .

٤ - العدل مع النبات :

فلا يقطع الشجر والنبات عبثاً فهو جمال وتنقية لغاز الفحم حيث يبدله بالاكسجين بالاضافة إلى أنه غذاء الانسان والحيوان فضلاً عن تسبيحه الخالق العظيم كما قال : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً** ﴾ [الاسراء : ٤٤] .

٥ - العدل مع الكون :

سخّر الله تعالى كل ما في الكون لخدمة الانسان الذي كرمه وفضله على خلقه كما قال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ [الاسراء : ٧٠] .

وعلّم الله تعالى الانسان ما لم يعلم ، ومنحه آلة التسخير (العقل) وحثه على العلم والسفر والبحث لاكتشاف قانون التسخير الذي أودعه في جميع الأشياء ، وعندها يخضع هذا المُسَخَّر لهذا المُسَخِّر له سواء كان مسلماً أم كافراً فلا فرق بينهما الا في استخدام هذا المُسَخَّر :

فالمسلم يستخدمه في العدل والخير والسلام ويحمد الله على فضله وكرمه .

والكافر يستخدمه في الظلم والشر والطغيان ، ولايشكر الخالق المالك لهذه النعم لذا أكد الله تعالى على القسط والعدل في القرآن وعبر عن ذلك بالميزان شعار العدل في ثلاثة مواضع من سورة الرحمٰن الآيات (٧ ، ٨ ، ٩) وجاء في سورة الحديد الآية (٢٥) ذكر العلم والعدل والقوة والرخاء :

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ﴾ .

فعبر عن العلم في الكتاب المنزل من السماء وهو القرآن ، والعدل بالميزان والقوة والرخاء بالحديد لاستخدامه في السلاح وشؤون الحياة .

لذا كان العدل مطلباً أساسياً وأولوياً لجميع البشر في الأرض اليوم بعد أن تفشى فيهم الظلم والعدوان والتمييز بجميع أنواعه ، وعادت طبقة المستكبرين والمستضعفين فكان العالم بأمس الحاجة للإنقاذ من جديد ولامنقذ له الا شرع خالقه العليم الخبير ﴿ الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [الملك : ١٤] وبخاصة بعدما فشلت جميع الأنظمة التي عرفها البشر في تحقيق العدل والسلام والأمن والرخاء في عالم اليوم الذي وصل في عالم الماديات الى مستويات رفيعة ولكن مازال بانتكاس في عالم الانسان ينتظر المنقذ وهو آت شاء الله .

وكل ما هو آت قريب والصلاة والسلام على الحبيب رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

القراء منهم وإليهم

التحرير

○ وصلت إلى **الأصالة** رسالة طيبة من سعادة الدكتور سيف الوادي الرمحي نائب رئيس جامعة العلوم التطبيقية ومؤسسها يقول فيها حفظه الله :

الاستاذ محمد موسى نصر المحترم - كلية الآداب

تحية طيبة وبعد :

بيالغ الاعتزاز والتقدير تسلمنا أهداءكم الكريم وهو مجلد **الأصالة** (الاعداد من ١ - ٦) التي ترأسون تحريرها ، لا شك في أن محتويات هذه الأعداد تعد رسالة إسلامية جامعة ، أرجو أن تحق الحق وتمحق الباطل ، وتحيي في نفوس قرائها دور العلماء وطلاب العلم ، لتنشئ جيلاً مؤمناً بربه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وفقكم الله وسدد خطاكم لما فيه كل خير

وتقبلوا وافر الاحترام

* و**الأصالة** تشكر سعادة الدكتور سيف الوادي الرمحي وتحيي فيه هذه المشاعر

الإسلامية الصادقة تجاه مجلة **الأصالة** وتثمن له هذه الكلمة التي أدخلت السرور إلى أسرة تحرير **الأصالة** ورفعت من معنوياتهم وستبقى **الأصالة** إن شاء الله عند حسن ظن العلماء وطلاب العلم محافظة على مسيرتها التي هي تجسيد حقيقي لمسيرة السلف الصالح رضي الله عنهم وجزى الله الدكتور سيف الرمحي خيراً عن العلم وأهله واقبلوا سعادتكم تحيات أسرة تحرير **الأصالة** والله يحفظكم .

o وصلت إلى **الأصالة** رسالة من الأخ حسان الطهراوي سحاب صندوق بريد (٢٤٧) يطلب بيان الاشتراك في **الأصالة** الاعداد السابقة واللاحقة ويدعو للقائمين على **الأصالة** بالتوفيق .

* **الأصالة** : تشكر الأخ حسان الطهراوي على رسالته وحسن اهتمامه أما بخصوص الاشتراكات داخل الاردن فإن أكثر الإخوة الذين يرغبون في الحصول على **الأصالة** إنما يأخذونها من موزعيها أو من رئيس التحرير أو أي أخ من أعضاء أسرة التحرير وشكراً لكم مرة أخرى على متابعتكم واهتمامكم .

o ووصلت إلى **الأصالة** رسالة من الأخ الجزائري تزرادين رياض - حي ديار الباهيه عمارة رقم (٤٦٠) القبه : الجزائر العاصمة .

قال فيها كلاماً طيباً في المقدمة يثني فيها على **الأصالة** واسرة تحريرها وقال وفقه الله : « لقد اطّلَعت على مجلة **الأصالة** مصورة هنا عندنا فلما قرأتها وجدت فيها الفوائد المفقودة والعقيدة السليمة الصحيحة والفقه النبوي المتين ، كيف لا تكون كذلك والكاتبون فيها ثلة من خيرة طلاب العلم وأهل الحديث وعلى رأسهم علامة الشام ومحدثها محمد ناصر الدين الألباني وتلامذته البررة المهذبين ، نفع الله بهم الاسلام والمسلمين ، وحبنا في الاطلاع عليها ومواصلة النظر فيها وقراءتها وددت لو أحصل على نسخ أصلية من كل عدد يصدر فأرجو أن أجد عندكم ضالتي وبارك الله

فيكم وأجزل مثوبتكم يوم الدين » .

* **الأصالة** تشكر الأخ تزرادين رياض على اهتمامه بـ **الأصالة** وقد أرسلنا الاعداد الأولى من **الأصالة** إلى بعض طلبة العلم عندكم ويمكنكم عمل اشتراك في **الأصالة** للحصول على الاعداد السابقة واللاحقة من خلال مراسلة **الأصالة** ومرحباً بكم صديقاً وأخاً لـ **الأصالة** وأسرة تحريرها .

الجمعة الدامية

التحرير

في مسجد أبينا ابراهيم الخليل عليه السلام في مكان طاهر على أرض مباركة في يوم مبارك وشهر مبارك والمؤمنون ساجدون لربهم في صلاة الفجر المشهودة يتوجه رصاص الغدر اليهودي فيمطرون بوابل من رصاص الحقد والبغضاء التي توارثها يهود كابراً عن كابر لكل ما هو إسلامي فيقع عشرات القتلى ومئات الجرحى من المسلمين .

إن المجزرة البشعة التي أقدم عليها المستوطنون اليهود بمباركة حكومتهم وتأييدها لتدل دلالة واضحة على حقد اليهود على ابراهيم عليه السلام ومسجده وأهل بلده والمسلمين الحنفاء في سائر بقاع الأرض .

إن هذا الحدث الذي وقع صباح الجمعة في الخامس عشر من رمضان قد هز الضمير الانساني من أساسه وكشف به اليهود عن وجههم الكالح وعدائهم الصريح للإسلام وإن حاول الاعلام الغربي وأبواقه تصوير الحدث على أنه عمل شخصي ضد الفلسطينيين .

إن القضية الفلسطينية قضية اسلامية وإن صراعنا مع يهود صراع ديني عقائدي

حضَاري ثقافي قديم مهما حاول الاعلام الغربي تغيير الحقائق وقلب الوقائع فالله يقول وهو أصدق القائلين ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .

إن المجزرة البشعة التي اقترفتها ايدي يهود يوم الجمعة لم تكن صدفة ودون تخطيط وقد سبقها مجازر دموية منذ أن وطئت اقدام يهود ارض فلسطين المسلمة فمذبحة دير ياسين وصبرا وشاتيلا وحرق المسجد الأقصى والاعتداء على المصلين فيه وغير ذلك من مجازر ستبقى وصمة عار في جبين العالم وخصوصاً هيئة الرم التي تقف عاجزة مكتوفة الايدي عن اتخاذ قرار حازم يقمع يهوداً ويمنع غطرستهم واستكبارهم واضطهادهم الابرياء من المسلمين .

ولكن الحدث هذه المرة كان مروعاً وأليماً للزمان والمكان ولاتّصافه بالغدر والخسة والجبن دون مراعاة لحرمة مسجد أو شهر مبارك أو نبي يزعمون الانتماء إليه وعلى مرآى العالم ومسمعه تراق الدماء الزكية على الأرض المباركة أرض ابراهيم الخليل عليه السلام ، ويمر هذا الحدث الأليم على أمة المسلمين كغيره من الاحداث فلا يحركون ساكنا ولا يتقدمون خطوة إلى الامام نحو مستقبلهم القاتم إلا بالشجب والاستنكار وقد شبعنا شجباً واستنكاراً حتى أتخمنا ، ولقد أصبحنا وللأسف الشديد مثار سخرية العالم واشمئزازه حتى اجترأ علينا سفهاء الارض فرمونا عن قوس واحدة .

وإن أمتنا ما هانت في أعين اعدائها إلا عندما هانت عند ربها ، وحينما اجترأت على معاصي اللّه تخلى عنها اللّه ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ والله لا يخلف الميعاد ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

إن الاكتفاء بالشجب والاستنكار والمسيرات والوقوف دقيقة حداد وصلاة الغائب والخطب الرنانة لا تعيد للأمة مجداً ولا للمظلوم حقاً بل هي إبر تخدير لهذه الأمة فإن امتنا أمة جهاد واستشهاد ولن تقوم لها قائمة حتى تكيل ليهود الصاع

صاعين قتلاً وتنكيلاً وعلى الأمة أن ترجع إلى كتاب ربها وسنة نبيها وتحيي فريضة الجهاد المنسية الضائعة الغائبة فتعد العدة ليهود وتعلي راية الإسلام وتجاهد يهوداً وأعوان يهود حتى يأذن الله بنصره ، وإن السلام المزعوم لن يكون فاليهود هم اليهود أعداء السلام والإسلام ولن يرضيهم شيء مهما تنازل لهم المسلمون إلا أن يتبعوا دينهم ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ .

إن إلهاء الشعوب الاسلامية عن قضاياها المصيرية بالمسلسلات والمباريات الدولية والعالمية لا يخدم هذه الأمة إذ الواجب تعبئة الامة للجهاد والاستشهاد وتربيتها على اسلامها الصحيح بفهم سلف هذه الأمة الذين جاهدوا في الله حق الجهاد فأعلى الله بهم منار الاسلام وأزهق بهم الشرك وأهله فكانوا هم السادة وهم القادة نصروا بالرعب من مسيرة شهر ورهبهم أعداؤهم ودفعوا لهم الجزية عن يد وهم صاغرون فهل نحن متعظون ؟! ومن غفلتنا مستيقظون ؟! أم سنبقى مخدرين محنطين ؟!

الأصالة

عَودَةٌ إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَف الأمّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ

العدد الحادي عشر - السنة الثانية

١٥ ذو الحجّة ١٤١٤هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

ص.ب ١١٣/٥٢٣٨
بيروت-لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للَّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ.

وأَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ.

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ.

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١].

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فوزاً عظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١].

أمّا بَعد:

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثَةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

المحتوى

ماذا ينقمون من السلفية ؟!

التحرير

يظن فئام من الناس أن السلفية تساوي إطالة اللحية وتقصير الثياب وحسب !! وهؤلاء مخطئون خطأً شديداً إذ حكموا على السلفية هذا الحكم الجائر ؛ وليتهم سألوا إذ جهلوا ؛ فإنما شفَاء العَيِّ السؤال ، أو درسوا أُصولَ هذه الدعوة المباركة كتاباً وسنة على منهج سلف الأمة حتّى لا يَظلِمُوا ولا يُظلموا .

إن السلفية – أيها السادة – عودة شاملة إلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين في الإيمان والعلم والعمل الصالح والسلوك الإسلامي النبيل ، وهم يَجْمَعُونَ بين العلم والعمل ، ويؤمنون بالحوار الهادئ القائم على الدليل ، ويكرهون التعصب لحزب أو فئة أو نِحلة أو شيخ أو قُطر أو جنس ، وهم يحذرون من الابتداع في الدين ، ويحاربون الشرك بأَنواعه ، سواء أكان شركاً في الربوبية أم شركاً في الألوهية أم شركاً في الأسماء والصفات ؛ فالشرك عندهم هو الشرك – على التفصيل المعلوم – شرك قبور أم شرك قصور ... كله ظلم عظيم ، ولكن يأبى الشانئون إلا رميهم بالبهتان من غير برهان !.

والسلفية دعوة لجمع كلمة المسلمين ، وحشد قدراتهم ، ورصِّ صفوفهم على

كلمة التوحيد ، لأنها أساس توحيد الكلمة ، والجهاد في سبيل الله تحت رايةٍ إسلامية لا تدعو إلى عصبية ولا جاهلية ولا عُمِّيَّة فالجهادُ الحقُّ - لاجهاد المنابر ! - أغلى أمانيهم ، وهو يسري في دمائهم ، ويجري في عروقهم ، ويحدثون أنفسهم به من غير صراخٍ ولا ضجيجٍ ؛ فالجهاد عندهم ليس اندفاعاً حماسياً ، أو تهوراً ارتجالياً بل له قواعده ، وضوابطه ، وشروطه ، وأحكامه .

والسلفية لا تدَّعي العصمة لدعاتها ؛ فكل ابن ادم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، وحسبهم أنهم أحبوا محمداً وصحبه ، واقتفوا أثارهم ومنهجهم حسب وسعهم - ولا يكلف اللّه نفساً إلا وسعها - والمرء يحشر مع من أحب ، ومن اتبع ولم يبتدع أَدركته محبةُ اللّه ومغفرته ، كما قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ .

والسلفيون وهم يبنونَ نهضةَ الأُمّةِ ورقيَّها على ماضيها القديم المشرق يفقهون واقع أُمتهم الأليم المحرق على ضوء كتاب ربهم وسنة نبيهم ، يبنونَ ذٰلك كلّه على قاعدةِ السياسةِ الشرعيّة الأصيلةِ ؛ محذرين من سياسة النفاق العالمية ، ومنذرين من خطر الشرعية الدولية التي تتلوّن تلوُّن الحرباء .

أما اهتمامهم بالمظهر فهو جزء من المحافظة على شخصيتهم الإسلامية ؛ لأن المظهر عندهم لون من ألوان الولاء لأسلافهم والبراء من أعدائهم ، وهل يعاب الرجل إذا كان سمته حسناً ومظهره حسناً قريباً من لباس السلف الصالح ؛ ومن تشبه بقومٍ فهو منهم ؟

لقد أَطال البعضُ لسانه في هذه الدعوة المباركة ورموزها ليصيب منها مقتلاً ، وينفر الناس عنها بعد أن آتت أُكلها ضعفين بإذن الله ، واستوت على سوقها ، تعجب جيل الإسلامِ الصاعدِ الذي ارتاد سبيل جيل القدوة محمد ﷺ والذين معه ، وأينعت ثمارها ، وحان قطافها ؛ فرموها بتهم شنيعة ، وافتراءات فظيعة ...

ولكنْ هيهات هيهات لما توعدون .

لقد كان لزاماً عليهم - إن أرادوا النُّصحَ حقّاً - أن يضعوا أصابعهم على مواطن الخلل - إن وجد - بصفاء الأخوة ونقاء المودة لا أن يعالجوا الأُمور بالتهويل والتضليل ، فإن هذه أعمال من لا خَلاق لهم ، ولقد وقع هؤلاء في أسوإٍ مما شنّعوا به على السلفيين لو كانوا يعقلون .

وختاماً ؛ فليس في السَّلفية صكوك أو أختام أو تقديس لبشر كائناً من كان كما يهرفُ هؤلاء !

إنَّما هي هدايةٌ للخَلْق ، ودعوةٌ للحقّ .

وعلى اللّه قصد السبيل .

حياة الأمم

محمد موسى نصر

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ الآية .

اعلم أخا الإيمان – وفقني اللّه وإياك – أن الحياة الحقيقية هي حياة الأرواح ، والتي تصفو بالاستجابة لله والرسول ؛ فلا حياة لمن لم يستجب لله والرسول ، وإن كان معدوداً من جملة الاحياء !

فالمستجيبون لله والرسول هم الأَحياء حقيقةً وإن كانت أبدانهم مفقودة ، فأمثالهم في القلوب موجودة ، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء في أبدانهم وحركاتهم .

وقد تنوعت أنظار المفسرين في معنى الحياة الوارد في هذه الآية ، والجمهور منهم على العموم ؛ كما نقل ذلك القرطبي – رحمه اللّه – في « الجامع لأحكام القرآن » (٧ / ٣٨٩) ، ويؤيده ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد بن المعلى – رضي اللّه عنه – قال : كنت أصلي فمر بي رسول اللّه ﷺ فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال : « ما منعك أن تأتي ؟ ألم يقل اللّه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله

وللرسول إذا دعاكم لِمَا يُحْييكم ﴾ » الحديث .

وقال بعض السلف كعروة بن الزبير : يعني الحرب الذي أعزكم اللّه بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم .

قلت : وهذا يصدّقه قولُ اللّه تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ .

فهم - وإن قتلوا في أعين الناس - أحياءٌ حقيقةً عند اللّه ؛ يأكلون ، ويشربون ، ويسرحون ، ويمرحون في الجنة ، يتمتعون بنعيمها ، وظلالها ، وأَشجارها ، وأَنهارها .

ولا تعارض بين الأمرين ؛ فالحياة الحقيقية لا تكون إلا بالاستجابة الكاملة للّه والرسول ، ووجه هذه الحياة المشرق هو كون المسلمين في عزة ومَنَعة يجاهدون في سبيل اللّه من انحرف عن منهج اللّه ؛ ليكون الدين كله للّه .

نعم ؛ إن الأمة الاسلامية إنما تحيى بالجهاد الذي يُعِزُّ الله به الإِسلام وأهله ، ويذل به الشرك وأهله ، والأمة الإسلامية على مر العصور إنما ذلت حينما تنكبت سبيل اللّه ، فخالفت أَمر اللّه ورسوله ، وعطلت شعيرة الجهاد ، وهدمت منارتها ، فالجهاد ذروة سنام الإِسلام ، به يعز ، وبه يسمو ، وبه يحفظ العرض ، والأرض ، والأبدان ، والأديان ، والأموال .

وقد تجرعت الأُمة الإسلامية غصصاً وسامها عدوها سوء العذاب حينما نكست أعلام الجهاد ، ونكلت عن جهاد أَعدائها ، وهذا ما أخبر به الرسول حيث قال : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأَخذتم أَذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد في سبيل اللّه ؛ سلط اللّه عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم »[1] .

فإحياء حقيقة معنى الجهاد جزء كبير من الرجوع إلى الدين الذي به حياة الأمم والشعوب ، إذ الجهاد من أعظم ما تحيى به الأمة الإِسلامية ، وأي حياة للمرء عندما يدنس عرضه ، وينتهب ماله ، وتغتصب أرضه ، ويسام سوء العذاب ؟!

(١) صحيح ، وانظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » لشيخنا (١١) .

إنَّه وإن كان حياً فهو ميت ، والموت خير له من الحياة .

وقد وعد اللّه المؤمنين بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، وهذا مشروط بالسير على منهج اللّه واتباع رسولِهِ ﷺ والجهاد في سبيله : ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى** ﴾ ؛ فالحياة هي حياة الأَرواح بإقامة الأَديان ، لا حياة الأَبدان بتحصيل الشَّهوات والملذات .

ولكن ينبغي أن نعلم بَدْءً وانتهاءً أنه لن ينطلق الجهاد في مساره الصحيح الحقّ إلا إذا حطت الأمة رحالها على الفهم الصحيح لهذا الدين ؛ وهو ما كان عليه رسول اللّه ﷺ وأصحابه مِن بعده .

فكلُّ جهادٍ على غيرِ سبيل النبيّ ﷺ وأصحابه فليسَ بجهادٍ ، وكُلُّ حياةٍ على غيرِ هٰذه الوجهةِ المُباركةِ فليست حياةً !!

فاللهم أحينا بالاسلام وأحي الإسلام بنا ، أنت ولي ذلك والقادر عليه .

قال محمدُ بن الحنفية :

إن اللّه عز وجل جعل الجنةَ ثمناً لأنفسكم ، فلا تبيعوها بغيرها .

« وفيه دَخَن... »

سليم بن عيد الهلالي

عرضنا سابقاً حالة الوَهَن التي أناخت بكلكلها ، وألقت بِجِرَانها ، وناءت بثقلها على واقع الأمة الإسلامية ؛ فأصاب دَخنُها قلوب المسلمين ، فأضحوا يحرصون على الدنيا ، ويفرّون من الموت ، وها نحن نعرض الأسباب التي جعلت الشجرة الباسقة غثاء أحوى .

وتَجِدُ في الإشارةِ النبويَّةِ الواردةِ في حديثِ حُذيفة بنِ اليمانِ – رضي اللّهُ عنه – بيانَ ذٰلك حيثُ قال : كانَ الناسُ يسألونَ رسولَ اللّهِ عن الخيرِ ، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ مخافةَ أن يُدركَني ؛ فقلتُ : يا رسولَ اللّهِ إنّا كنَّا في جاهليّةٍ وشرٍّ ، وجاءَ اللّهُ بهذا الخيرِ ، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ ؟ قالَ : « نعم » . قلتُ : وهل بعدَ هذا الشرِّ من خيرٍ ؟ قالَ : « نعم ، **وفيه دَخَنٌ** » . قلتُ : **وما دخنهُ ؟ قالَ** : « **قومٌ يستنّونَ بغيرِ سنتي ، ويهدونَ بغيرِ هديي ، تعرفُ منهم وتنكرُ** » ، قلتُ : فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ ؟ قالَ : « نعم ؛ دعاةٌ على أبوابِ جهنَّمَ من أجابَهم إليها قَذفوه فيها » . قلتُ : يا رسولَ اللّهِ صفهم لنا . قالَ : « هم من جلدتِنا ، ويتكلّمونَ بألسنتِنا » . قلتُ : فما تأمرني إن أدركني ذلكَ ؟ قالَ : « تَلزمُ جماعةَ المُسلمينَ وإمامَهم » .

قلتُ : فإن لم يَكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ ؟ قالَ : « فاعتزل تلكَ الفرقَ كلَّها ، ولو أنْ تعض بأصلِ شجرةٍ حتَّى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلكَ »[١] .

إنَّ السمومَ الفتَّاكة الَّتي أنهكت قوةَ المُسلمين ، وشلَّت حركتَهم ، ونزعت بركتهم ليست هي سيوف الكفرِ الَّتي اجتمعت على الكيدِ للإسلامِ وأهلِهِ ودولتِه ، وإنَّما هي الجراثيمُ الخبيثةُ الَّتي تسللت إلى داخلِ جسمِ العملاقِ الإسلاميّ على فتراتٍ بطيئةٍ ؛ لكنَّها متواليةٌ ، وأكيدةُ المفعولِ .

وهذا يؤكِّدُ أنَّ الوصفَ الصليبيَّ اليهوديَّ لَدولةِ الإسلامِ بـ « **الرَّجلِ المريضِ** » كانَ دَقيقاً (!) ، فهم الَّذينَ غَرسوا بكتيريا الشهواتِ وفيروساتِ الشبهاتِ في كيانِ دولةِ الإسلامِ ، ثمَّ نمت وترعرعت في أحضانِهم ومحاضنِهم ، وشربت لبانَهم حتَّى الثُمالةَ .

وقد تنوَّعت عباراتُ شارحي الحديثِ حولَ مفهومِ **الدَّخنِ** ، ولكنَّها - أخيراً - تتفقُ في مُحصلةٍ واحدةٍ ، وتتمخض عن أمرين هامين :

أوَّلها : أنَّ هذه مرحلةٌ ليست خيراً خالصاً ، وإنَّما هي مشوبةٌ بكدرٍ يعكِّرُ صفوَ الخيرِ ، ويجعلُ مذاقه ملحاً أُجاجاً .

الآخرُ : أنَّ هذا الكدرَ يُفسدُ القلوبَ ، ويجعلُها ضعيفةً حيثُ دبَّ إليها داءُ الأممِ ، وتَخَطَّفَتْها الشبهاتُ .

ولسنا بحاجةٍ للوقوفِ طَويلاً عندَ كلِّ شرحٍ نبيِّنُ صحيحَه من قَبيحِهِ ، وسليمَه من سَقيمِهِ ؛ لأنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قررَ في ذلك أُموراً ذات دلالاتٍ :

الأولى : البِدَع :

إنَّ هذا الدَّخنَ انحرافٌ يعتري المنهجَ الحقَّ الَّذي كانَ يسودُ مرحلةَ الخيرِ الخالصِ ؛ فيؤدي إلى تشويه المحجةِ البيضاءِ الَّتي ليلها كنهارِها ، ألـم يَقل ﷺ

(١) متفق عليه .

في تَفسيرِ **الدّخنِ** كما جاءَ في الحديث نفسِه عندما سألَه حُذيفةُ - رضي اللّهُ عنه - : « **قومٌ يستنونَ بغيرِ سنتي ، ويَهدونَ بغيرِ هديي ، تعرفُ منهم وتنكرُ** » .

هذا هو أصلُ الداءِ وجذرُ البلاءِ ، إنَّه انحرافٌ عن السُّنَّةِ في المَنْهجِ ، وانصراف عن السمتِ النبويِّ في السلوكِ والعملِ .

وبهذا يتضحُ أنَّ **الدّخنَ** الَّذي شابَ الخيرَ فَكَدَّر معينَه وغيَّرَ رواءه هو **البدعُ** الَّتي أطلَّت برؤوسِها من أوكارِ المُعتزلةِ ، والصوفيّةِ ، والجهميّةِ ، والخوارجِ ، والأشعريّةِ ، والمُرجئةِ ، والرّوافضِ ، منذُ قرونٍ ، ابتغاءَ الفتنةِ ، فأمعنت في الإسلامِ تحريفاً ، وانتحالاً ، وتأويلاً .

فلم يَبقَ - وللأسف الشديد - من القرآنِ إلّا رسمه ، ومن الإسلامِ إلّا اسمه ، ومن التعبّدِ إلّا جسمُه !

الثانية : حصونُنا مهددةٌ من الداخلِ :

لكيلا تستيقظَ الأمةُ الإسلاميّةُ على وخزِ الإبرِ السامّةِ المحقونةِ بالجراثيمِ الفاتكةِ الَّتي تغرزُ في جسمِها ، وإمعاناً في تضليلِها وتعتيمِ الأمورِ عليها ، وحجبِ الحقائقِ عن بصرِها ، فقد قامَ أئمةُ الكفرِ بإقامةِ مصانعَ داخليّةٍ ؛ لإفرازِ سمومِهم من الداخلِ ، فلا تَظهر أعراضُ المرضِ الخبيثِ إلّا بعدَ مدةٍ طويلةٍ ، وحينئذٍ يستعصي الداءُ على الطبيبِ ، ويُحيّرُ اللبيب .

وقد تمَّ ذلكَ لأعداءِ اللّهِ بطريقتينِ :

الأولى : **الابتعاث** ، وهناك يتمُّ غسيلُ دماغِ أبناءِ المُسلمينَ ، ومن ثَمَّ يرجعونَ إلى ديارِهم ينفذونَ ما سَمعوه ورأوه .

الثانية : **الاستشراق** ، ومنه تسللَ الماكرونَ من أعداءِ اللّهِ تحتَ شعارِ الدراسةِ والبحثِ العلميّ ، وقد أثبتتَ الدراساتُ المُحايدةُ أنَّ هؤلاءِ المستشرقينَ عملاء لأجهزةِ المُخابراتِ الصليبيّةِ

اليهوديّةِ.

هذهِ الأَبْوَاقُ الّتي تُرَدِّدُ ما يلقى في سمعها من أعداءِ اللّهِ ، وتفرزُ ما يَحقنُه بها أئمةٌ يَهدونَ إلى النارِ هم من جلدتنا ، ويتلكلّمون بلغتنا ، ويزعمُون الحرصَ على أمتنا ، وصيانةَ استقلالها ، والعملَ على بعثِ حضارتِنا !

ولذلكَ ؛ فإنَّ الذينَ غَرسوا هذهِ الجراثيمَ في جسمِ الأمةِ الإسلاميّةِ هم من أبنائها !!

ولكنَّ الرحمةَ المُهداةَ ﷺ لم يترك في الأمرِ لبساً ، فقد بيَّنه بوحيٍ من اللّهِ ولم يَكن حدساً ؛ ففي حديثِ حذيفة وصفٌ لهؤلاءِ النفرِ الّذين صنعهم أئمةُ الكفرِ على أعينهم ، وغذّوهم بلبانِهم ، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ : « نعم ؛ دعاةٌ على أَبوابِ جهنَّمَ من أجابهم إليها قَذَفوهُ فيها » . قلتُ : يا رسولَ اللّهِ صفهم لنا . قالَ : « **هم من جلدتنا ، ويتكلّمونَ بألسنتنا** » .

فهذه الصفةُ الأولى الّتي يُعرفونَ بها ، فهم من العربِ نسباً أو لغةً ؛ كما قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٣ / ٣٦) .

وفي روايةٍ : « **وسيقومُ فيهم رجالٌ قلوبُ الشياطينِ في جثمانِ الإنسِ** »[(١)].

وهذه الصفةُ الثانيةُ الّتي يُعرفونَ بها ، فهم يُظهرونَ الحرصَ على الأُمةِ ، ومصالحها ، وسيادتها ، واستقلالها ... يُرضونَ الأمّةَ بألسنتِهم ، وتأبى قلوبُهم إلّا تنفيذَ ما تعلّموه وتربوا عليه في محاضنِ أسيادِهم من الصليبيينِ واليهودِ .

قالَ تعالى : ﴿ **ولن تَرضى عنكَ اليهودُ ولا النصارى حتّى تتبعَ ملّتهم** ﴾ .

هذا ما يُخططُ له الأسيادُ من الفرنجةِ واليهودِ ، وينفذه العبيدُ من الرويبضاتِ الّذينَ استنسروا في أرضِنا ؛ لأنّهم ترعرعوا عليها ، وأكلوا من خيراتِها ، ولكنّهم عُمّدوا في محاضنِ حزبِ الشيطانِ ، وجنودِ إبليسَ الّذين درَّبوهم على المبدأ الصليبيّ القاتلِ القائلِ : إنّه بَطيءٌ ؛ ولكنّه أكيدُ المَفعول !

(١) أخرجه مسلم .

وهو ما حذَّرَ منه المولى عزَّ وجلَّ في قولِه : ﴿ كيفَ وإن يَظهروا عليكم لا يَرقبوا فيكم إلّاً ولا ذمّةً يُرضونَكم بأفواههم وتأبى قلوبُهم وأكثرُهم فاسقونَ ﴾ .

قالَ تعالى : ﴿ وإذا لقوا الّذينَ آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوْا إلى شياطينِهم قالوا إنّا معكم إنّما نحنُ مستهزءُونَ ﴾ .

هكذا يستخفّونَ بالشعوبِ والأمم ؛ فأطاعتهم ، وأسلمت قيادَها لهم ؛ لأنَّها فسقت عن منهجِ اللّهِ ، وهم يَجرُّونَها إلى النارِ ، ويريدونَها أن تتبوَّأَ دارَ البوارِ..

وهؤلاءِ لا يَفترُونَ في الدعوةِ إلى ضلالتِهم ومنكرِهم ، ويُقيمونَ لذلكَ التجمعاتِ ، والأحزابَ ، والمؤتمراتِ ، والصالوناتِ ، ولذلكَ وردَ وصفُهم بأنّهم دعاةٌ ؛ أي جماعة قائمة بأمرها ، وداعيةٌ النّاسَ إلى قَبولِها .

هذه التحذيراتُ النبويّةُ والومضاتُ السُّنّيّةُ إشارةُ أصبعٍ للذينَ أُصيبوا بعمى الألوانِ ، فأصبحوا مجرّدَ أبواق يُرددونَ ما يُلقي إليهم من وراءِ البحارِ ، وخلفِ الحدودِ (!) .

إنَّها تنبيهاتٌ للأمةِ الإسلاميّةِ لعلَّها تحذرُ كيدَ الكافرينَ ، وتستفيقُ فَلا ترجع تتبع سبيلَ المُجرمينَ .

إننا وَجدنا آثارَها في تاريخِ المُسلمينَ ، ورأينا شرورَها في دنيا الناسِ أجمعينَ .

والأمثلةُ كثيرةٌ تَفوقُ الحصرَ ، وهي متوارثةٌ في كلِّ عصرٍ ومصرٍ .

ولم تَزل جُموعُ دعاةِ الضلالةِ ترفعُ عقيرتَها إلى يومنا هذا تَدعو إلى جهنّمَ – عِياذاً باللّهِ – ؛ فها هم **دعاةُ الديمقراطيّةِ** يصرخون ، وها هم **أربابُ الاشتراكيّةِ** ينهقونَ ، وها هم **أولياءُ القوميّةِ** يَنبحونَ ... والناسُ وراءَهم يَلهثونَ ؛ لأنهم لم يستنيروا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ربوة ذاتِ قرارٍ مكين .

وبهذا يَكونُ مثيرو الدَّخنِ هم سلف دعاةِ الضلالةِ ، وبهذا يتضحُ أنَّ سلسلةَ التآمرِ على الإسلامِ ، وأهلِهِ ، ودولتِهِ لها جُذورٌ عميقةٌ في التأريخِ الإسلاميِّ .

الثالثة : سنواتٌ خدَّعاتٌ .

إنَّ ظاهرَ هذهِ المرحلةِ خيرٌ لكنَّ باطنَها من قِبَلِه الهَلاكُ ، ألم يَقل رسولُ اللّه في حديثِ حُذيفة عند مسلمٍ : « وسيقومُ فيهم رجالٌ قُلوبُ الشياطينِ في جُثمَانِ الإنسِ »

وهذا قد يَخدعُ كثيراً من الناسِ الّذينَ يَنظرونَ إلى ظواهرِ الأشياءِ ، لكنَّ أبصارَهم عن بواطنِ الأمورِ محجوبةٌ ، وبذلكَ لا يُلقونَ بالاً لإصلاحِ الخللِ من بدايتِهِ حتَّى لا يستفحل ، ويتسع الخرقُ على الرَّاقعِ .

إنَّ هذا الدَّخن يَنمو فاتكاً بالخيرِ حتَّى يُسيطرَ ؛ فتكونَ مرحلةُ الشرِّ الخالصِ ، وبدايةُ دعاةِ الضلالةِ ، وفرقِ الغوايةِ .

إنَّ رؤوسَ الفتنةِ يَعملونَ بنشاطٍ ، بينما أهلُ الحقِّ غافلونَ نائمونَ ؛ بدليلِ أنَّ هذا الدخنَ كبر حتّى سيطرَ ، ووثبَ على الحقِّ وأهلِهِ ، وثلَّ عرشَ دولتِهِ .

ولذلكَ فقد ضيِّعت الأمانة فألقت الأمورُ أزمَّتَها إلى الرويبضاتِ في هذه السنواتِ الخدّاعاتِ ، ووُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ ، ووُضعَ الحقُّ في غيرِ محلِّهِ .

عن أبي هريرةَ - رضي اللّهُ عنه - قالَ : قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ : « سيأتي على الناس سنواتٌ خدَّاعاتٌ ، يصدَّقُ فيهنَّ الكاذبُ ، ويكذَّبُ فيهنَّ الصادقُ ، ويؤتمنُ الخائنُ ، ويُخوَّنُ الأمينُ ، وينطقُ فيهم **الرُّويبضةُ** » . فقيلَ : **وما الرُّويبضةُ** ؟ قال : « الرَّجُلُ التافه يتكلَّمُ في أمر العامّةِ »[1] .

ولذلك ؛ فالأمة بحاجة إلى عودة شاملة إلى دينها على المنهج الذي كان عليه رسول اللّه ﷺ وأصحابه ، لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وعليه ؛ فالأمر بحاجة إلى قيادة ربانية تُرَشِّدُ وتُجَدِّدُ هذا الرجوع على منهاجِ النبوة يتبوأ العلماء فيها مكان التوجيه والتربية والإعداد حتى يأتي أمر اللّه ﴿ **إنَّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيءٍ قدراً** ﴾

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦) ، وأحمد (٢ / ٢٩١) وغيرهما ، وهو صحيح بطرقه وشواهده ؛ كما بينته في تخريج أحاديث « الاعتصام » .

التحذير من الشرك والحثُّ على التوحيد

في ظلال سورة يوسف عليه السلام

عبد العظيم بن بدوي

إعلم علّمنا اللّه وإياك ما ينفعنا أن في قول الله تعالى فيما حكاه عن يوسف عليه السلام : ﴿ إنّي تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتّبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ﴾ إشارة إلى وحدة الملّة التي كان عليها إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام ، وهي ملّة التوحيد التي كان عليها الأنبياء أجمعون ، كما في قوله تعالى : ﴿ إن هذه أمّتكم أمّة واحدة ﴾ ، والأمّة هنا معناها الملّة .

وإلى هذه الملّة دعا يوسف ﷺ صاحبيه فقال : ﴿ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلّا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إيّاه ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وإلى هذه الملّة دعا جميعُ الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلّا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، ولهذا اتفقوا

جميعاً على كلمة سواء قالها كلّ نبيّ لقومه ؛ وهي : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

وإلى هذه الملّة دعا نبيّنا محمد ﷺ ، فلما قالت قريش : ﴿ ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إنْ هذا إلا اختلاق ﴾ قال اللّه لنبيّه : ﴿ قل ما كنت بِدْعاً من الرسل ﴾ فلست بمبتدع ولكنّي متّبع ، كما قال تعالى له : ﴿ ثم أوحينا إليك أنِ اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ .

وقول يوسف عليه السلام : ﴿ إنّي تركت ﴾ جارٍ مجرى قول ربّنا : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾ وقوله : ﴿ اتّبعت ﴾ جارٍ مجرى قول ربّنا : ﴿ ويؤمن بالله ﴾ فلا بد أن يسبق الإيمَانَ الكفرُ ، لا بد أن يسبق الإيمانَ باللّه وحده الكفرُ بكل ما سواه ، ولهذا كلمة التوحيد مشتملة على هذين المعنيين ، فقولك : « لا إله » كفر بجميع الآلهة ، وقولك : « إلا اللّه » إيمان باللّه وحده إلٰهاً .

والهداية للتوحيد فضل اللّه يؤتيه من يشاء ، كما قال يوسف عليه السلام : ﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ﴾ .

وتذكيراً بهذا الفضل وتحذيراً من فواته أو ضياعه نقول تحذيراً من الشرك وحثاً على التوحيد : إن الشرك ضلال مبين ، وظلم عظيم ، وهو من محبطات الأعمال ، وموجبات الذمّ والخذلان ، يُدخل صاحبَه النيران ، ويحرمه المغفرة والرضوان :

قال تعالى : ﴿ ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ ، ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بُنَيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرّك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾ ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ وقال بعد ذِكر جماعةٍ من الأنبياء في

سورة الأنعام : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً ﴾ ، ﴿ ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ ، ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ وقال في الآية الثانية : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ .

ولهذا كان الشرك من أصول المحرمات ، كما قال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم ألّا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل إنّما حرّم ربّيَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ ، وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » ، قالوا : وما هنّ يا رسول اللّه ؟ قال : « الشرك باللّه » ثم عدّها[١] .

وفي تقديم الشرك إشارة إلى أنه أكبر الكبائر ؛ كما صرح بذلك رسول اللّه ﷺ في قوله : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟ قالوا : بلى يا رسول اللّه ، قال : « الشرك باللّه وعقوق الوالدين » ، وكان متكئاً فجلس ، ثم قال : « ألا وقول الزور ، ألا وقول الزور » فما زالوا يكرّرها حتى قلنا : ليته سكت !

وهو كذلك أعظم الذنوب كما جاء صريحاً عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال : قلت: يا رسول اللّه: أيُّ الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل للّه نِدّاً وقد خلقك » .

فالحذر كل الحذر من الشرك كلّه دقّه وجلّه ، فإن الشرك أخفى عليكم من دبيب النمل على الصفا ، ولا يأمن الوقوع في الشرك إلّا جاهل به وبما يخلّصه منه ، أمّا العارفون به وبخطره فإنهم أخوف الناس منه ، ولذا قال الخليل إبراهيم عليه

(١) ما ورد في هذا البحث من الأحاديث صحيح ؛ فهو في « الصحيحين » أو أحدهما .

السلام : ﴿ ربّ اجعل هذ البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام ﴾ ثم ذكر سبب خوفه منها فقال : ﴿ ربّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس ﴾ فإذا عرف الإنسان أن كثيرين وقعوا في الشرك الأكبر ، وضلّوا بعبادة الأصنام ، أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقعوا فيه .

قال إبراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟ يعني إذا كان إبراهيم – وهو خليل اللّه – يخاف على نفسه الوقوع في الشرك ، فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟ .

إن أظلم الظلم هو الشرك ، وأعدل العدل هو التوحيد ، لأنه إذا كان العدلُ وضعَ الشيء في موضعه ، وصرفَ الحق لمستحقه من غير بخس ولا شطط ، فإن أعدل العدل هو التوحيد ، لأن التوحيد حق اللّه على العباد ، كما في حديث معاذ بن جبل رضي اللّه عنه قال : كنت رديف النبيّ ﷺ على حمار ، فقال لي : « يا معاذُ ، أتدري ما حقُّ اللّه على العباد ؟ وما حق العباد على اللّه ؟ » قلت : اللّه ورسوله أعلم ، قال : « حق اللّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحقُّ العباد على اللّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » .

فإذا كان التوحيدُ حقَّ اللّه على العباد ؛ فإن العباد إذا وحّدوه فقد عدلوا ، وإذا أشركوا به فقد ظلموا .

ولهذا كان التوحيد من أوجب الواجبات كما قال تعالى : ﴿ وقضى ربّك أن لا تعبدوا إلّا إياه ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ .

ومن فضائل التوحيد : أنه من موجبات الأمن يوم الفزع الأكبر ، كما قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبِسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ، والظلم هو الشرك كما فسّره النبي ﷺ ، وقال تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مُبْعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يَحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم

توعدون ﴾ .

ومن فضائله أنه مفتاح الجنة ، كما قال وهب بن منبه : « مفتاح الجنّة لا إله إلا اللّه » .

ومن فضائله أن اللّه تعالى يمحو به الخطايا ويكفّر به السيئات ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : « يا ابن آدم ! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ! لو بلغت ذنوبُك عنانَ السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم ! لو أتيتني بقُراب الأرْض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة » .

ومن فضائله أنه يثقل ميزان العبد يوم القيامة كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « إن اللّه سيخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً ، كلّ سجلٍّ مثلُ مدِّ البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أَظْلَمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا ياربّ ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقال : أحضر وزنك ، فيقول : يا ربّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟! فيقال : فإنك لا تظلم ، فتوضع السجلّات في كفّة والبطاقة في كفّة فطاشت السجلّات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم اللّه تعالى شيء »[1] .

ولقد قسم العلماء التوحيد ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

أما « **توحيد الربوبية** » : فهو الإقرار ظاهراً وباطناً بأن اللّه سبحانه هو ربّ كل شيء ومليكه وأنه الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبّر أمر هذا الكون كلّه علويّه وسُفليّه .

---

(١) حديث صحيح ، وهو مشهور لدى أهل العلم بـ « حديث البطاقة » وانظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » لشيخنا (١٣٥) .

وأما « **توحيد الألوهية** » : فمعناه إفراد اللّه سبحانه بالعبادة ، وعدم صرف أيّة جزئية من العبادة لغير اللّه ، فإن هذا هو معنى الكلمة الطيبة ، كلمة التوحيد ، لا إله إلا اللّه ، أي : لا معبود بحقّ إلا اللّه ؛ لأن الله وحده هو الخالق وغيره مخلوق ، واللّه وحده هو الذي يُجيب المضطّر إذا دعاه ويكشف السوء : ﴿ **والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه** ﴾ .

وهذا التوحيد هو الذي من أجله خلق اللّه الخلق ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ؛ كما قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون . ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾ .

وهذا التوحيد هو الذي جادل فيه المشركون وأنكروه ، وقد كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميت من الحيّ ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله** ﴾ ولكنهم : ﴿ **كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئِنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾ .

فعلى المسلم أن يعلم أن الاعتراف بأن اللّه هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر لا يغني عنه من اللّه شيئاً حتى يعلم أنه لا إله إلا اللّه ، ويعمل بمقتضاها .

أما توحيد « **الأسماء والصفات** » فمعناه : إثبات ما أثبته اللّه لنفسه في محكم كتابه ، أو فيما صحّ على لسان رسول اللّه ﷺ ، من غير تشبيه ولا تحريف ، ولا تمثيل ولا تعطيل ولاتكييف ، وقوفاً عند قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ ؛ فـ ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ردّ على المشبّهة ، و ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ ردّ على المعطلة ، وسبيل الحقّ بينهما لأهل السنة ، إثبات بلا تشبيه ، ونفي بلا تعطيل .

والصفات الواردة في الكتاب والسنة نوعان : صفات ذات ، وصفات فعل

فأما « صفات الذات » فكالنفس ، والحياة ، والعلم ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والوجه ، واليد ، والساق ، ونحو ذلك .

وأما « صفات الفعل » فكالاستواء ، والنزول ، والمجيء ، والرضى ، والغضب ، والضحك ، والفرح ، ونحو ذلك .

والواجب علينا نحو هذه الصفات الإيمان بها وبمعناها ، وإثباتها لله ، من غير تشبيه ولا تحريف ، ولا تعطيل ولا تكييف ، فلا نقول : نفس الله كأنفسنا ، ولا : يد الله كأيدينا ، ولا نقول : استواء الله كاستوائنا ، ولا مجيئه كمجيئنا ، ولا نحرّف الكلم عن مواضعه فنقول : يد الله قدرته ، واستوى يعني استولى ، وإنما نقول كما قال الإمام الشافعي - رضي الله عنه - : « آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله » .

وبعد ؛ فاعلم - رحمك الله - أن التوحيد هو أول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل ، وهو أول دعوة الرسل ، بدأوا به قبل الحلال والحرام ، ولقد لبث ﷺ في مكة عشر سنين أو يزيد ، وليس على لسانه سوى : « يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا » ، حتى إذا استقرت في قلوبهم ، وصحّت في تصورهم نزلت الفرائض مبدوءة بالصلاة ، ولم يزد عليها حتى هاجر ﷺ إلى المدينة ، فتتابعت الأوامر والنواهي ، فلم يُعانِ رسول الله ﷺ في إخضاعهم لها ، لأنه كان قد استنفذ الجهد الأكبر في مكة حتى انحلت عقدة الشرك ، فلما انحلت عقدة الشرك انحلت العقد كلها ، وكان المؤمنون كما وصفهم الله : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا** ﴾ .

ولذا كان النبي ﷺ إذا بعث رسله ودعاته إلى الأمم والأقوام أمرهم أن يبدأوا بما بدأ به من الدعوة إلى التوحيد ، كما قال لمعاذ بن جبل وقد بعثه إلى اليمن : « إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل

يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن اللّه افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم نتردُّ في فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

فعلى المسلمين جميعاً أن يهتموا بالعقيدة دراسة وتدريساً ، وتعلماً وتعليماً ،

وعلى الدعاة والمعلمين أن يقدموا العقيدة على كل شيء ، وأن يجعلوا لها الحظ الأوفر من دعوتهم ، والنصيب الأكبر من وقتهم ، فإن صلاح الأعمال من صلاح العقيدة ، وفساد الأعمال من فساد العقيدة : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ .

رزقنا اللّه والمسلمين سلامة التوحيد وصحة العقيدة ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

إنـا لَـنفرحُ بـالأيام نـقطَـعُـهـا
وكلُّ يوم مضى يُدني من الأجل
فاعملْ لنفسك قبل الموت مجتهداً
فإنّــما الربحُ والخسران في العمل

العقوبة ... و ... الابتلاء

مشهور بن حسن

العاملون للإسلام على الساحة كثيرون ، وكثرتهم لا تقلّ عن أُطُرهم وطروحاتهم ومناهجهم من حيث العدد ، وبعضهم يردِّد – بافتخار – أنهم متمايزون عن غيرهم بكثرة عطائهم وتضحياتهم ، ويأخذ هؤلاء في الاستدلال على ذلك بما لاقى أصحابه وإخوانه على الدرب من ألَوان التعذيب .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل هذه المعاناة من باب العقوبة أم الابتلاء ؟

وللجواب على هذا السؤال ، نقول :

إنّ خلطاً يقع في تصوّر الكثيرين حول الابتلاء والأسباب التي تؤدّي إليه ، والنتائج المترتّبة عليه من جهة ، وحول العقوبة وأسبابها ونتائجها من جهة أُخرى ، وللتفرقة بينهما نضع هذه المعالم :

أولاً : ليس كل ابتلاءٍ مرجعه وسببه الذنوب والمعاصي ، فلا ينبغي أن نسيء الظن بمن حلّت بهم المصائب وقد يسيء هؤلاء – الذين حلّت بهم المصائب – بربهم الظن .

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – : « وأنت تشاهد كثيراً من الناس

إذا أصابه نوع من البلاء يقول : يا ربي ما كان ذنبي حتى فعلت بي هذا ؟

وقال لي غيرُ واحد : إذا تبتُ إليه ، وأنبتُ ، وعملتُ صالحاً ؛ ضيِّق عليَّ رزقي ، ونكّد عليَّ معيشتي ، وإذا رجعتُ إلى معصيته ، وأعطيتُ نفسي مُرادها ؛ جاءني الرزق والعون ... ونحو هذا .

فقلت لبعضهم : هذا امتحان منه ؛ ليرى صدقك وصبرك ، هل أنت صادق في مجيئك إليه ، وإقبالك عليه ، فتصبر على بلائه ، فتكون لك العاقبة ؟ أم أنت كاذب ، فترجع على عقبك ؟

وهذه الأقوال والظنون الكاذبة الحائدة عن الصواب مبنيّة على مقدمتين :

إحداهما : حسن ظن العبد بنفسه وبدينه ، واعتقاده أنه قائم بما يجب عليه ، وتارك ما نُهي عنه ، واعتقاده في خصمه وعدوِّه خلاف ذلك وأنه تارك للمأمور ، مرتكب للمحظور ، وأنَّ نفسه أولى باللّه ورسوله ودينه منه .

والمقدمة الثانية : اعتقاده أن اللّه - سبحانه وتعالى - قد لا يؤيِّد صاحب الدين الحق وينصره ، وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا بوجه من الوجوه ، بل يعيش عمره مظلوماً مقهوراً مستضاماً ، مع قيامه بما أُمِر به ظاهراً وباطناً ، وانتهائه عما نُهِيَ عنه باطناً وظاهراً ، فهُو عند نفسه قائم بشرائع الإسلام وحقائق الإيمان ، وهو تحت قهر أهل الظلم والفجور والعدوان ، فلا إله إلا اللّه ؛ كم فسد بهذا الاغترار من عابدٍ جاهلٍ ، ومتديِّن لا بصيرة له ، ومنتسب إلى العلم لا معرفة له بحقائق دينه .

فسبحان اللّه ! كم صدّت هذه الفتنةُ الكثيرَ من الخلق - بل أكثرهم - عن القيام بحقيقة الدين »[1] .

---

(١) « إغاثة اللهفان » (٢ / ١٧٤ - ١٧٦ ، وانظر منه ١٧٧ - ١٨٥) .

ويعكس هؤلاء العاملون القول ، فتراهم نَسبوا كثرة المصائب التي حلّت بهم إلى كونهم مؤمنين ، فيشدِّد الله عليهم البلاء ، لحبّه إياهم لا إلى كونهم خرجوا عن منهج اللّه ، وخالفوا أمره .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه تعالى – : « قد تصيب المؤمنين باللّه ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم ، لا بما أطاعوا فيه الرسول ، كما لحقهم يوم أُحدٍ بسبب ذنوبهم ، لا بسبب طاعتهم اللّه ورسوله ﷺ »[١] .

والذي أودُّ تأكيده هنا : أنه لا بُدّ من النظر إلى مختلف الأسباب ومعرفة الإنسان لنفسه ، وما عليه الآخرون من التزامٍ أو غيره ، والمعرفة قبل ذلك بالتكاليف والمسؤوليات الواجبة على العباد ، وبذلك يستطيع أن يتبصّر بواقعه وواقع الناس من حوله ، وأن يكون منصفاً في حكمه .

ثانياً : ولعل السبب في عدم التفريق بين الابتلاء والعقوبة يعود إلى أن كلاً منهما قد يكون سببهما الفسوق والمخالفة لأوامر اللّه والرسول ﷺ ، فإذا وجد الفسق والخروج على حدود اللّه ، فقد يؤدِّي ذلك إلى الإبتلاء والفتنة ، أو إلى الجزاء والعقوبة ، وذلك راجعٌ إلى حكمة اللّه ومشيئته وعدله ، وإلى طبيعة الخروج وحجمه ، ونوع الفسق ومقداره ، وطبيعة نفوس المخالفين ومقدار إصرارهم على المخالفة ، واللّه أعلم .

والتفريق بين الأمرين يحتاج إلى بصيرةٍ في الدين ، ومعرفةٍ بالسنن وطبيعتها ، ودراسة واعية لأحوال الناس ، ومقدار صلاحهم وفسادهم ، وقُربهم وبُعدهم من دينهم .

ثالثاً : إن الأسباب والمسبِبّات هي مجال للابتلاء والامتحان ، وتنكّب هذه الأسباب والانحراف عما وضعت له يوقع في نتائج لا تُحمد عقباها ، كنوع

---

(١) « الحسنة والسيئة » (ص ٣٤) .

من الجزاء الدنيوي المعجَّل نتيجة الانحراف عن هذه الأسباب .

يقول الامام الشاطبي - رحمه الله تعالى - : « إنَّ الأسباب والمسبّبات موضوعةٌ في هذه الدار ابتلاءً للعباد وامتحاناً لهُم ، فإنها طريق إلى السعادة أو الشقاوة ، وهي على ضربين :

أحدهما : ما وضع لابتلاء العقول ، وذلك العالم كله من حيث هو منظور فيه ، وصنعة يستدلّ بها على ما وراءها .

والثاني : ما وضع لابتلاء النفوس ، وهو العالم كله أيضاً من حيث هو موصول إلى العباد المنافع والمضار ، ومن حيث هو مسخَّر لهم ، ومنقاد لما يريدون فيه ؛ لتظهر تصاريفهم تحت حكم القضاء والقدر ، ولتجري أعمالهم تحت حكم الشرع ؛ ليسعد بها من سعد ، ويشقى من شقي ، وليظهر مقتضى العلم السابق ، والقضاء المحتم الذي لا مردَّ له ، فإن الله غني عن العالمين ، ومنزَّه عن الافتقار في صنع ما يصنع إلى الأسباب والوسائط ، ولكن وضعها للعباد ليبتليهم فيها »[١] .

وهنا يخلط كثير من الناس بين تصوُّرهم لحقيقة الابتلاء وبين ما يتكلَّفونه نتيجة اختلال ممارساتهم وانحرافهم عن رؤية الأسباب الصحيحة وتنكُّبهم إياها .

يقول خالص جلبي : « وهناك فرق بين المحنة والتحطيم ، بين الابتلاء والانسحاق ، والابتلاء تمحيص للنفوس ، ونوع من اليقظة والصحو ، كي يَحْدُثَ استنفارٌ كامل العضوية وهي تواجه التحدي ، فتدفع بقواتها العاملة والاحتياطية ، وبالتالي تسير بوعي في منهاج النظر والحركة ، والابتلاء حينما يأتي في الممارسة يصبح سحقاً وتحطيماً للعمل ، ولذا يجب **هنا الانتباه والتفريق بدقة بين أمرين** :

الأول : التغلب على الصعوبات في مواجهة العمل .

---

(١) « الموافقات » (١ / ٢٠٣) ، وانظر منه (ص ٢٣٢ - ٢٣٣) .

الثاني : ما يكلّفنا الخطأ في الممارسة من التنحّي عن العمل ، والفرق كبير بين التنمية والتنحية .

وخط العمل في الشكل الأول صحيح ، ودلالته طبيعية لا تخيف ... وأما الشكل الثاني في المحنة ؛ فهو يطحن الأشخاص والدعوة ، ويهرس العقيدة وأصحابها »[١] .

ويقول في موضع آخر : « يجب التفريق بحسم بين صنفين من المحنة ، صنف يحدث من أنواع الاضطهاد بسبب عقائدي بحق : تكذيب وإيذاء ، وتعذيب بدني وما شابه ، وصنف يحدث فيه مصائب بواعثها أخطاء العمل ، والصنف الأول يعالج الموقف فيه بزيادة شحنة الصبر والمصابرة ، والثاني بالصبر مضافاً إليه تعديل خطأ ما حدث كدرس لن يتكرر في المستقبل »[٢] .

رابعاً : وختاماً ؛ أحاول أن أضع بعض العلامات الفارقة بين الابتلاء والجزاء (العقوبة) :

١ - العقوبة هي الجزاء المعجل الذي يقع على العباد نتيجة الفشل والرسوب في الامتحان والاختبار ، بينما الابتلاء هو عملية دخول هذا الامتحان ، فالابتلاء مقدمة ، والعقوبة نتيجة .

٢ - الابتلاء من مجالاته الوقوف أمام الأسباب والمسببات ، والعقوبة ناتجة عن الانحراف عن هذه الأسباب ، وتنكُّب مسارها .

٣ - الاختلاف في أسباب كل منهما ، فالإيمان والاستقامة على المنهج سبب الابتلاء ، واشتداده في هذا المجال دليل على شدَّة الإِيمان ، ولذلك كان الأنبياء أشد الناس بلاء ، ثم الأمثل فالأمثل .

---

(١) « ظاهرة المحنة » (ص ٢٨ - ٢٩) .

(٢) « ظاهرة المحنة » (ص ٥٣) .

أما الجزاء والعقوبة ؛ فمرجعه وسببه الانحراف عن المنهج ، وكلما زاد الفسق ، وكبر حجم الانحراف ؛ اشتدت العقوبة .

٤ - الابتلاء سبيل للإمامة والتمكين ، بينما العقوبة حرمان منها ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمَّهُنَّ قال إني جاعِلُكَ للنَّاسِ إماماً قالَ ومِن ذُرِّيَتي قال لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمينَ ﴾ .

فإبراهيم - عليه السلام - جُعِلَ للناس إماماً ؛ لأنه نجح في كل ما ابْتُلي به وامتُحِنَ ، بينما الذين يفشلون في ذلك يُحرَمون هذه الإمامة ، ولا ينالون ذلك العهد ؛ ﴿ قَالَ لا يَنالُ عَهدي الظَّالمينَ ﴾ .

٥ - إذا كانت التكاليف قائمة على الوسطية والاعتدال ؛ فهي ابتلاء ، أما إذا مالت عن الاعتدال ؛ فهي جزاء وعقوبة للمكلَّف[1] .

٦ - الابتلاء قد يكون علامة على حب اللّه للعبد ورضاه عنه ، بينما العقوبة والجزاء إشارة إلى غضب اللّه وعدم رضاه عن العبد .

٧ - الابتلاء يهدف إلى تجميع كلمة الأمة ، وتمتين الروابط فيما بينها ، أما العقوبة ؛ فقد تكون سبباً في تشتيتها وضرب قلوب بعضها ببعض ، وزيادة العداوة والبغضاء بين أفرادها ، وهذا ما كان في مسلمي بعض بلداننا ، ﴿ فنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا به فأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ العَداوةَ والبَغضَاءَ إلى يَومِ القيامَةِ وسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ الله بما كانوا يعملونَ ﴾ .

« **فإن الأمانيَّ والمحاولات العاطفية والجهود التي تعتمد المناسبات والمصالح** الموسمية أوهى من أن تقيم القاعدة الإسلامية الجادة أو تحفظ وحدتها ، فما لم نحتكم

(١) انظر بسط هذه النقطة في « الموافقات » (٢ / ١٦٣) ، ففيه كلام نفيس للغاية .

إلى الكتاب حقيقة لا مظهراً ، بعد إسقاط كل القناعات الشخصية الموروثة من عصور الصراع الإسلامي - الإسلامي ، وما لم تكن كل قناعاتنا مستنبطة من الوحي محكوم به ، فلا أمل لنا بوحدة أو عمل أو خلاص » .

٨ - الفرق بينهما من حيث العلاج ؛ فالابتلاء يحتاج إلى الاستعانة بالله ، والصبر ، والتقوى ، والرضا ... وما إلى ذلك من أمور ، أما العقوبة فتحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى التوبة والاستغفار والاستقامة وتصحيح المسار ، ومواكبة سنن الكون والحياة .

لو كنت ألفَ عام في سجـدةٍ لـربي
شكراً لفضل يوم لم أقضِ بالتـمـام
العام ألفُ شـهرٍ والشـهرُ ألفُ يـومٍ
واليومُ ألفُ حين والحينُ ألـفُ عـام

هذِه الدعوةُ .. مَنْ لَهَا ؟!

علي بن حسن

نَعيشُ منذُ سَنَواتٍ - بحمدِ اللهِ - نهضةً علميَّةً دعويّةً عاليةً ، يُرَصِّعُ هامَتَها مَنْهَجٌ سَلَفيٌّ قَويٌّ منتشرٌ ضياؤه في أرجاء المعمورة، بل في أطرافِ الدنيا، يحوطُهُ علماءُ أفذاذٌ ، هم قِلّةٌ في العَدَدِ ، لكنّهم كَثْرَةٌ في العطاءِ ، وسَعَةٌ في العلم .

وَمِنْ ورائِهم يسيرُ سَيْراً حَثيثاً طَلَبَةُ علمٍ مُجِدُّونَ ، ومُتَّبِعُونَ صادِقونَ ، ولكنّهم - أيضاً - كمثل أشياخهم قليلونَ عَدَداً ، وقليلونَ عُدداً .

وهؤلاء وأولئكَ يُوَاجَهونَ بتيّاراتٍ فِكريّةٍ ، وبتوجُّهاتٍ دعويّة ، كثيرٌ منها مخالف للكتابِ والسنّةِ ، وعديدٌ منها منقطعٌ عن أصولِ المنهجِ الحقِّ القائمِ على فَهْمِ السَّلَفِ الصالح .

ولَمّا كانت هٰذه الدعوةُ بهذا القَدْرِ من الحَزْمِ ، والجِدّيّة ، والانضباط ، والتَّقْعيد ، حاولَ أن يتفلَّتَ من أحكامِها وقواعدِها كثيرٌ من العامّةِ ، وأنصافِ المُثَقَّفينَ ، بل مِنْ أشباه الدُّعاةِ أيضاً .

وهؤلاء المُتَفلِّتونَ - على اختلاف طبقاتهم - يتَّحدونَ في كثيرٍ من المواقفِ ليواجهوا دُعاةَ الكتابِ والسنّة ، بالنشراتِ حيناً ، والمقالاتِ حيناً ، والرسائل تارةً ،

والتسجيلات تارةً أخرى ، بكلماتٍ مُكرّرة ، ونَقَداتٍ مُتكرّرة :

فهم مَرّةً : مُتَعصِّبونَ لمشايخهم !!!

ومَرّةً : جَهَلةُ واقع !!!

ومرّةً : بعيدونَ عن السياسة !!!

ومرّةً : مُرجئة عصريُّون !!!

ومرّة .. ومرّةً .. و ...

وهي تُهَمٌ ، وافتراءات ، ليس لها موضعٌ إلّا في أذهانِ قائليها ، وليس لها دافعٌ إلّا نفسيّاتُ أصحابِها !!

ولو بَحَثْتَ عن أصولِ هٰذه التُّهَم لرأيتها انعكاساتٍ فكريّةً ناتجةً عن ردّاتِ فعلٍ لمواقفَ إمّا شخصيّة ، أو اجتماعيّة ، أو سياسيّة !!!

ولستُ أُريدُ في هٰذا المقامِ تفنيدَ هٰذه الشبهاتِ ، ونقض هٰذه التمويهات ، فهي أقلُّ من أن يغترَّ بها عاقلٌ ! ولكنّي أُريدُ التوكيدَ على شيئين مُتقابلين :

الأوّل : أنَّ كثيراً من أصحابِ الدعواتِ الحَرَكيّة والفكريّة (يتوسّعونَ) في أساليبِ دعوتِهم ، واستجلاب (المدعوّين) لها ، بطرائقَ عاطفيّة حيناً ، وحماسيّة حيناً ، مُقَلِّدين تارةً ، ومُتشَبِّهين تارةً أُخرى !! ممّا يجعل أُولئكَ (المُتَفَلّتين) وهٰؤلاء الداعين أو المدعوّين يتوجّهونَ نحو هٰذه الدعوات ؛ يسمعون .. ويستمعون .. فلعلهم يستجيبون !!

الثاني : أنَّ الانضباطَ المنهجيَّ لدعوة الكتاب والسنّة - علماً وعملاً ، فكراً ودعوةً - يجعل الحِمْلَ ثقيلاً على ظهورِ دُعاةِ هٰذه الدعوةِ ، وحملةِ هٰذه الفِكْرة ، فليسَ ثمّت مِنْ أُسلوبٍ يدعونَ به وإليه إلّا المنهج العلميّ الجادّ المُنضبط ، ممّا يتطلّبُ التزاماً زائداً ، وقَدْراً شديداً من البصيرة العلميّة النافذة ، حتّى يستطيع المدعوّونَ فَهْمَ الدعوة على وَجْهِها الحق ، بعيداً عن شبهاتِ أهلِ الشبهاتِ ، وبعيداً عن تمويهاتِ أهلِ

التمويهات !!

إذن ؛ الحِمْلُ ثَقيلٌ ، والطريق طويلٌ ، والدعوةُ تستصرخُ المسلمين أجمعين ؛ ليكونوا عباداً للّهِ صادقين ، ودُعاةً مُخلصين ملتزمين .. فهلم من مُستجيب !؟

هٰذه الدعوة تُنادي .. فمن لها ؟!

﴿ يا أيّها الذين آمنوا استجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لما يُحييكم واعلموا أنَّ اللهَ يحولُ بينَ المرءِ وقلبِه وأنّه إليه تحشرونَ ﴾ .

أقرِضوا المحتاجين ... وَضعوا الدَّين عن المدينين

خالد بن علي بن محمد العنبري

إنَّ نظرةَ الإسلامِ للمالِ نظرة واسعة حكيمة ، جديرة بتحقيقِ التكافلِ والتراحمِ بين المسلمين ، فالمالُ في الإسلامِ مالُ اللهِ سبحانه ، لقوله عزَّ شأنه : ﴿ وآتوهم من مالِ اللهِ الذي آتاكم ﴾ ؛ استخلفَ الإنسانَ فيه ، وفوَّضه في التصرّفِ فيه ، وَفْق شرعِه القويم ، فلا احتكاراتَ ، ولا تسلُّطَ ، بل إنفاق وسخاء ، ورحمة وإحسان .

ومن سماحة الإسلامِ الندية ورحمته لفقراء البشريّة أن رغَّبَ الأغنياءَ في إقراضِ المحتاجين ، والصبر على المعسرين ،ووضع الدَّين عمّن لا يجدُ وفاءً من المدينين ، وَوَعدَ من يصنعُ ذلكَ أجراً عظيماً ، وفضلاً كبيراً ، فمن ذلك :

١ - أجر الصدقة ، فإنَّ للمقرضِ « كلَّ يومٍ مثله صدقة قبلَ أنْ يحلَّ الدَّينُ ، فإذا حلَّ فأنْظرهُ فله كلَّ يومٍ مثليه صدقة »[١] .

٢ - التيسير على المقرض في الدنيا والآخرة ، كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً : « ومن يَسَّرَ على مَعْسِرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والأخرة »[٢] .

(١) صحيح أخرجه الحاكم (٢ / ٢٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٧٤) .

٣ - النجاة من كرب يوم القيامة ، كما فعل أبو قتادةَ لمّا طلبَ غريماً له ، فتوارى عنه ، ثمَّ وجدَه ، فقال : إنّي مُعْسِرٌ ! قال : آللهِ ؟

قال : آلله ، قال : فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « مَنْ سَرَّهُ أن ينجيه الله من كرب يوم القيامةِ فلينفِّس عن مُعسرٍ ، أو يضع عنه »[١] .

٤ - أن يظلَّه الله جلَّ وعلا في ظلِّه ، يوم لا ظلَّ إلّا ظلُّه ؛ فعن أبي اليَسَر عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أنظَرَ مُعسراً ، أو وضعَ عنه أظلَّه الله في ظلِّه »[٢] .

٥ - أن يتجاوزَ الله عزَّ وجلَّ عنه ؛ فيغفر له ، ويعفو عنه ، كما في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « كانَ رجلٌ يُداينُ الناسَ فكانَ يقول لفتاه : إذا أتيتَ مُعسراً ، فتجاوز عنه ، لعلَّ اللهَ يتجاوزُ عنَّا ، فلقي الله فتجاوزَ عنه »[٣] .

وقد كانَ رسول اللهِ ﷺ يرشدُ الدائنينَ إلى إنظارِ المعسرين ، ووضع الدَّين عنهم ؛ فعن كعب بن مالك أنَّه تقاضى ابن أبي حَدْرَد دَيْناً كانَ له عليه في عهدِ رسول اللهِ ﷺ في المسجدِ ، فارتفعت أصواتهما ، حتّى سمعها رسول اللهِ ﷺ في بيته ، فخرجَ إليهما رسول اللهِ ﷺ حتى كشفَ سَجْفَ حجرته (أي : سِتْرَها) ونادى كعبَ بن مالك ، فقال : « يا كعب » فقال : لبيك يا رسولَ اللهِ ، فأشارَ بيدِه أن ضعْ الشطرَ من دَينِكَ ، قال كعب : قد فعلتُ يا رسول اللهِ ، فقال رسول اللهِ ﷺ : « قُمْ فاقضه »[٤] .

وقد طبَّقَ السلفُ الصالح هٰذه المُثُلَ العُلى خيرَ تطبيق ؛ فعن الشعبيِّ قال : كانَ لعبدالله بن جعفر على رجلٍ من أهلِ المدينة خمسونَ ألفاً ، فاستعانَ عليه

(١) أخرجه مسلم (١٥٦٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) .

(٣) متفق عليه .

(٤) أخرجه الشيخان .

بعبيد اللّه بن عباس في ذٰلك ، فقال : « وقد حططتُ عنه شطرَها ، وأخّرته بالشطرِ الآخرِ إلى ميسرة » فجزاه عبيدالله خيراً وانصرفَ ، فأتبعه عبدالله بن جعفر رسولاً : « إني قد طيّبتُ له النصفَ الآخر » .

فيا سعادة مجتمعٍ يُرحَم فيه الفقيرُ ويُحسَنُ إليه ، وما أكثرَ الغرماء والمعسرين الذين ينتظرونَ تجاوزَ الدائنين وعفوهم ! وما أفقر الأغنياءَ إلى عفو الرحمٰنِ وحسنِ ثوابِه في الدنيا والآخرة !

سألــنـاه الجــزيــل فمـــا تَلَـــكّا
وأعطى فـوق مُـــــنْـيَتِـــنا وزادا
مــراراً ما أعـــودُ إلـــيـــه إلا
تبسَّم ضــاحــكاً وثــنــى الوســـادا

القواعد المهمّة التي تُبنى عليها وحدة الأمّة

محمد إبراهيم شقرة

لعلّه من مَعادِ القولِ ، ومُكرّرِ الحديث ، ونافلةِ الكلامِ أن نكتبَ في هٰذا الموضوعِ ، لنذكّرَ الناسَ به ، وننبّه إلى بالغِ خطورتِه ، وخطورةِ الآثارِ المترتبة عليه سلباً وإيجاباً ، فقد أكثر القولَ فيه والحديثَ عنه علماء ، وطلّابُ علمٍ ، ومثقفون ، قديماً وحديثاً بأساليبَ مختلفة نبّت قناعاتٍ ثابتةً في صدورِ المسلمين ، أنه لا مكانَ لهم في هٰذه الأرض التي تعيشُ فوقَها أُلوف الملايين من البشر ، إلا إن هم حافظوا على هٰذه القواعد أن تتزحزحَ أو أن تزولَ أو أن ينتابها شيءٌ من الوهنِ في نفسها ، أو نفوسِ المسلمين بضعفٍ ينتابهم في الثقة بها .

لكنّهم مع ثباتِ هٰذه القناعات ، فإنّهم هم يحكمون على أنفسهم أنّهم - بانفكاكهم من هٰذه القواعدِ ، وعدم القيام بحقّها ، وهجرها زماناً طويلاً ، بل وغيابها عنهم ، وانطماسها في ذواكرِهم ، انطماساً أنساهموها بمرّةٍ - لا يريدونَ أن يكونَ لهم بها كلّها، ولا ببعضٍ منها ، ذكرٌ في الأرض التي دانت لأسلافِهم زماناً ، وازدانت برايات الفتوح التي سعت بها الشعوبُ إليها ، وعزّت قناتُهم أن تُنالَ بالمكرِ والخديعة .

إنَّ واقعَ حياةِ المسلمين يُنْبِئُ بذاتِه - من غير دليلٍ يظاهره إلّا ما يكونُ منه - أنهم

غَدوا على تبعيّةٍ صاغرةٍ مهينةٍ لكلٍّ من يشير إليهم ببنانِه من بعيدٍ ، أو يرفع لهم عقيرتَه بصيحةٍ من مكانٍ ناءٍ قصيٍّ ، أو لكلّ من يهمسُ في آذانِهم همساً يُرغِّبُهم بها أو يُرهِبُهم من قريبٍ ، واستمرأوا تلكَ التبعيّة ، حتّى صارت لهم دِثاراً وشعاراً ، وزاداً يُسَمِّنونَ به جسومَهم ، ويُهزلونَ به إراداتهم ، ويواطئونَ به السبيل التي ترسمُ على وجه الحياةِ لهم ، ثمَّ لا يجدونَ فيهم إلّا أن يكونوا كما يُرادُ منهم أن يكونوا ، حتّى لكأنّما يكونُ ذٰلك حسبهم !!!

لذا ، فإنّه ليسَ من أمانةِ العلمِ ولا من الدينِ أن يُتركَ المسلمونَ من غيرِ تذكيرٍ أو بيانٍ ، إبراءً للذّمةِ ، وقياماً بحقٍّ واجبٍ – بما ينبغي أن يكونوا عليه – بما أفاء الله عليهم من نعمائِه – من اجتماعِ كلمةٍ ،وقوة بيانٍ ، وائتلاف صفٍّ ، تحذيراً من سوء عاقبة ، وإنذاراً من شرٍّ مخوف ، وترغيباً في صلاح أمرٍ ، بشارةً بفوزٍ وفلاحٍ في الدارين ، إن عادوا إلى القواعد الّتي عليها وحدة الأمة من قبل ، وهي :

أولاً : **الأُخوة الإيمانية الصادقة** التي أحكم الله عروتها ، ونَسَجَ لُحمتها ، ويسَّرَ أَسبابها ، وامتنَّ اللهُ بها على المؤمنين فقال : ﴿ **واذكروا نعمة اللهِ عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّفَ بين قلوبِكم فأصبحتم بنعمتِه إخواناً** ﴾ ، وقال : ﴿ **لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما ألَّفتَ بين قلوبِهم ولكنَّ اللهَ ألّفَ بينهم** ﴾ ولا تكون إلّا بالإيمانِ والإسلامِ : ﴿ **إنَّما المؤمنونَ إخوة** ﴾ ، وهٰذه الأُخوةُ هي التي تنشئُ المودةَ في جماعةِ المسلمين ، وتنفي العداوةَ عنهم ، وتقارب بينهم ، ولا تُلْتَمسُ إلّا بالإسلامِ وحده ، فإنْ ذهبنا نلتمسها بغيرِ الإسلامِ ولَّت عنّا وأدبرت ، وأعرضت عنّا وانشمرت ، وتركتنا لما آثرنا عليها وتخلَّت ، فالذي أنشأه اللهُ سبحانه لا يكون إلّا كما أنشأه وأرادَه ، ولا يُطلبُ إلّا على وَفق مرادِه وبما شرعَ ، ولا يُرجى خيره ونفعه في الأمة إلّا بأسبابِه ومقاصده .

وقد ضُرب بين الأمة والأخوة الإيمانيّة بسورٍ منيعٍ باطنه فيه العذابُ ، وظاهرُه يتغشاهُ الضبابُ ، والأمةُ بين ظاهرِه وباطنِه إلى يَباب !! عقوبة حلّت فيها ، أذهبت عنها الأمنَ ، وأركبتها الخوف ، وأصارتها إلى ضيعة وحيرة ، وأسكنت في أنفسها حسيس

الغَيْرة ، ونشدت الأُخوة في طين الأرض ، وكدورة الترابِ ، وعَيْبةِ الجاهليّة ، وعمايةِ القوميّة ، وكَلَفِ العرقيّة ، ووغرِ الحزبيّة ، وأخلاطِ الشعوبيّة ، ومور الأَحقادِ الفكرية والدينية .

وها نحن اليوم نبحثُ عن لقاءٍ بين هٰذه الأمشاجِ ، ولو إلى دقائقَ معدوداتٍ ، نصل أنفسنا فيه بشيءٍ من أملٍ يذكّرنا بماضينا ، فلا واللهِ ما نحنُ بواجديه ، فقد استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فَوَكَلَنا الله سبحانه إلى تقاطع ، وتنافر ، وتدابر ، جزاء ما جنينا على أنفسنا ، وغيَّرنا وبَدَّلنا في شريعة ربّنا ، وخالقنا عن أَمرِه فينا .

ثانياً : عقيدة التوحيد الخالصة : ليسَ يخفى على أحدٍ في الناس قديماً وحديثاً ، أنَّ العربَ كانوا أمة تخفقُ في قلوبها عصبية الجاهلية ، وتمزق أحشاء موداتها الأهواء القبلية ، وتسري في عروقها أوضار الوثنية ، فلما أن جاءهم محمد ﷺ بالإسلام ، ذهبت من قلوبِهم عصبية الجاهلية ، وطارت عنهم أهواء القبليّة ، ونُقِّيت دماؤهم من أوضارِ الوثنية ، والتقوا على كلمة سواء هي كلمة التوحيد ، التّى اقتضاهم الله بها أن يوحّدوه في ألوهيّة وربوبيتِه وأسمائه وصفاته أولاً ، ثمَّ أنَّ يجعلوا مقاودَ قلوبهم - طاعة للهِ ولرسولِه - في الأَحكامِ التي تعبَّدهم بها ثانياً ، فصاروا بهذا على منهاجٍ واحدٍ في توحيدِهم ربَّهم سبحانه ، وفي عبادتِهم إياه ، فانتفت من بين ظهرانيهم عداواتٌ استحرَّت فيهم زماناً ، وتبددت من سماء أرضهم ظلماتٌ أظلَّتهم بسوادها قروناً طوالاً ، وأدبر الشيطان عن مضاربهم بخيلائه ، وغوايته ، وسعايته ، وصارَ لهم عند الشعوب القبائل حسابٌ وأيُّ حسابٍ ، وإذا كانَ توحدُ شعب أو أمة على منهج واحدٍ باطل يجعل لهم قوّة وبأساً يرهبون به في الناسِ ، فكيف إن كانَ توحُّدٌ على منهجٍ واحدٍ ليس للباطل إليه مورد ؟!

وهٰذا البأس والقوّة ما كانَ لتكون لأمتنا يوماً من الزمان لولا ما هديتُ إليه ، وعمرت قلوبها بحبِّه ، وآثرته على ما كانت فيه من شركِ الوثنية المفَرِّق ، هي اليومَ أشدَّ ما تكون حاجةً إلى هٰذا المنهج الذي أصابت من فضلِه ما أصابت من قبل ، وبخاصّةٍ

وقد انتهت إلى جدارِ اليأس أن تكون أمّة تعرف الأمم أنَّ لها حقّاً في الوجود ، وبعد أن أرخت على أعقابها ذَيلَ الخسران والهوان والحرمان ، ولسوف تدعى يوماً بكتابها إليه ، ولن تدعى إلى غيرِه ، وهل بقي لها من ظنٍّ أنّها لن تجمع كلمتها على غيرِه ، أو أنْ تكونَ لها عزّةٌ بدونِه ، واللهُ سبحانه جعل لكلِّ أمةٍ شرعةً ومنهاجاً واختار للمسلمين شرعته ومنهاجه بالتوحيد الخالص ، فلماذا لا نرضى لأنفسنا اليومَ ما رضيَه لنا ربّنا ، وما استقامَ عليهِ من قبل أمرنا ، وعلا به في الأرضِ يوماً وجودنا ؟ إنّها الضيعةُ والشتات ، والعودة إلى الشركِ أو إلى بعضٍ منه ، وقد آثرنا منهاجاً غير منهاج ربِّنا سبحانه !!

ثالثاً : الإيثار : لسنا ندّعي ادّعاءً انَّ الإيثارَ سمةٌ اختصَّ الله بها مجتمع المسلمين ، فلو كانَ ذٰلك كذٰلكَ لجهدنا ونحن نطلبُ الدليل ، أو يُطلبُ منّا ، نقيمه على هٰذه الدعوة ، يُصدقها ، وليسَ بطلبِ تصديق الدليل الشاهد بدليل غائبٍ ، والعكس صحيح ، والناس جميعاً - مُذ بعث الله رسوله إليهم بالهدى ودين الحق - شهداءُ على هٰذا الدليل ، فهم بشهاداتهم أدلة مؤكدة له ، مثبتة إياه ، مرشحةٌ لبيانِه ودلالته :

فليس يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ   إذا احتـاجَ النهـار إلى دليـل

وإن كانَ للناس أن ينسوا شيئاً من مآثر مجتمع المهاجرين والأنصار ، فإنّه لا يصحُّ ، وليسَ لهم أن ينسوا السّمةَ الناصع بياضها ، وهي الإيثار التي خلّدها الله قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ : ﴿ **والذين تبوأوا الدارَ والإيمان من قبلهم يحبونَ من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً ممّا أُوتوا ويؤثرونَ على أنفسِهم ولو كانَ بهم خصاصة ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ ، فانظر كيف جعل الله الفلاح أثراً مترتباً على تلك السّمة المتّفردة !

وظلَّ المسلمون ينعمونَ بهذا الفلاح في دينهم ودنياهم ، حتّى انتقصت حروف الإيثار ، وضمرت في ذاتها (مبنى ومعنى) فأصبحت (أثرة) ، والأثرة تعني : انقباض الخير ، وأختفاءه بين أضلع الناس ، من شحٍّ أو حسدٍ ، أو حرصٍ وطمعٍ ، أو نحو ذٰلك

من سيئات النفوس ، التى تستعصي إلّا على بارئها ، ولحكمةٍ أرادها سبحانه أن تكونَ .

والإيثار حركة إيجابية تتردد في صدور الذين آمنوا تدلُّ دلالة عمليّة على شيءٍ من معنى قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[1] ولما كانَ حبّ الخير يملأ صدور المسلمين ، شاعَ فيهم العدل ، والرجاء ، والأمن ، وعوفيت النفوس والقلوب من آثامها ، وبرئت الأجسام من عللها وأدوائها ، واستقرت الأمّةُ على فقهٍ جليٍّ من قولِه تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ .

وأما الأَثَرَةُ ، فهي حركة سلبيّة تتردد في صدرِ الأمّة تقعد بها عن الإبداع العلميّ والخلقي ،والمادي ، وتحلُّ بها كآبة تعوقها عن استقطابِ الرؤية في مقلتها ، تستكشفُ بها المجهول ، وتعرفُ بها معالم المستقبل ، وتأخذ بمجامعِ الحاضر ، تستخرجُ منه ما يحقق لها السؤدد والرفعة والقوة .

وها هي الأمّة اليوم ترزح تحت أثقال (الفقر) وإن كانَ المالُ يجري في أيديها ، و (الخوف) وإن كانَ الأمن في أكنافها ، و(الجوع) وإن كانَ الزاد في أفواهها ، و (الصَّغار) وإن كانت العزّةُ في مآقيها ، و (العطش) وإن كانَ الماءُ في أكُفّها ، و (الحرمان) وإن كانَ الخير فوق ظهورِها ، و (الضعف) وإن كانت القوة تحوطها .

وقد أودت الأثرة بالأمة إلى التناكر ، والتعادي ، والاقتتال ، والمغالبة بالباطل ، والطمع القاتل ، وركوب متون الفتن ، وموالاة الأعداء ، ومعاداة الأولياء ، والتفاخر بالغنى والترف ، وقبض الأيدي عن البذل والتواصل ، إلى غير ذلك من سيئاتِ الأثرةِ وآثارِها التي أرخت ذيولها على الأمّة بأسرِها ، ممسكة على أعناقِها بقَبْضَتِها ، حتّى لا تقوى أو تكاد على الإفلات منها .

---

(١) متفق عليه .

إنَّ الإيثارَ علامة من علامات الإيمان ، أما الأثرة فعلامة من علامات الكفر والخسران ، وأمة تُؤْثِر الكفر والخسران على الإيمان مُؤْثِرَةٌ العذاب والهوان .

رابعاً : **العلم** : ليسَ من شكٍّ في أنَّ الأمةَ التي تغرق عقولها بأيديها في غيابات الجهل ، ثم تسمح بها جُبْنَها إعجاباً ، وتسلم قياد أمرِها بجهلها هٰذا إلى من لا يتقي سوء العذاب ، هي أمة بائرةٌ ، ليس لها أن ترفعَ رأسها لتقول للأممِ : أنا هنا .

وأمتنا ما عزّت يوماً إلّا بدينها ، ثمَّ بعلمها الذي أغرى بها الأمم والشعوب ، في منعة وقوة بأس تأخذُ منها وتشكر لها ، وفي ضعف واضمحلال شأنٍ تأْخذ منها ثمَّ تنال بالأذى منها ، فهي في حالَتي القوة والضعف معطيةٌ من ذاتِها ما تظلّ به مذكورة على الدهر .

والعلم هو السبيل الصاعد بالأمة إلى سماء المجد ، والحبل الواصلها إلى ذرى العزّة ، والظهير المانعها من التقهقر والانعطاف عن مقاصد الشرف المنصوبة أمامها على قرب أو بعد .

وغنيّ عن القولِ أنَّ كلَّ علمٍ يكسب الأمة نفعاً أو يدفعُ عنها ضرّاً مطلوبٌ لها ، ويجبُ أن تحرصَ عليه ، وأن تسابقَ غيرها في تحصيلِه لتحرزَ من قواعدِه وأُصولِه ما يجعلها أقدرَ على الإفادة منه ، فلا تكون عالةً على غيرِها تتكفّفُ ، فتُعطى أو تُمنع ، لكن علم الدين هو الذي يجب أن يحظى بالقسط الأوفر من عناية الأمة ؛ لأنَّه العلم الذي يقيمها على صراط اللهِ الأقوم ، ويهديها إليها فتعبده على بصيرة .

وإذا علم الله من الأمة أنّها كذٰلك فإنّه سيفتح لها مغاليق العلوم ،ويُسهِّل لها عصيَّها ، ويقرّبُ منها بعيدها ، ويمكن لها في الأرض بما يفتح الله عليها منه .

وعلم الدين هو أشرف العلوم ، وأعلاها قدراً ، وأعودها بالخير على الأمة ؛ لأنه العلم الذي يُعرف به الله الخالق المنعم ، ويعرف به رسوله الأكرم عليه الصلاة والسلام ، ويعرف به ما يجب لله ولرسوله من حقوق على العباد .

ونرى في الأمة اليوم - مِن خاصتها وعامتها إعراضاً عن هٰذا العلم ، من ظنٍّ أوتيتَه أنّه يعوّقُ مسيرتها ، ويضعفُ قوتها ، ويُطمع فيها عدوَّها ، ورأت من واقع الأمم والشعوب الأُخرى وحالها ما جعل من الظنّ يقيناً ، أنَّ يُحَوِّلها عن مسارها الحضاري ، الذي أنشأته بعقيدتها وشريعة ربِّها ، ما يلحقها بالرَّكبِ الحضاريّ الأمميّ ، فأوفت به على بيداء مرملةٍ ، لا تُصيبُ فيها إلّا اليأس ، والخيبة والهوان ، ولا تزداد به إلّا لهفة في طيٍّ وعيدٍ وحرمانٍ .

إنَّ الأمة بهٰذه القواعدِ تستطيع أن تتداركَ ما فاتها ، وتعود سيرتها الأولى ، فهل نعي هٰذه الحقيقة جيداً ؟.

نصائح وتوجيهات إلى حجاج بيت الله الحرام

محمد جميل زينو

اعلم أخي الحاج -هدانا الله وإيّاك- أنَّ الحجَّ له آدابٌ يجب الأخذُ بها ، والتحلّي بفضائِلها ومن ذٰلك :

١ - حافظ على نظافة ملبسك ، وخيمتِك ، ومسكنِك ، ومأكلك ، ومشربك ، فالنظافة تساعد على حفظ الصحة واجتناب الأمراض .

٢ - احذر إلقاء الأوساخِ والأطعمة الفاسدة في طريق الناسِ ، فتكون سبباً في إيذاء الحجاج ، ونشر الأمراضِ ، وعليك أن تميطَ الأذى عن الطريق وتضعه في مكانه .

٣ - تحمّل أذى جيرانِك ، ولا تؤذِ أحداً من إخوانِك ، وادفع بالتي هي أحسن بكلام لطيف .

٤ - احذر الرفثَ والفسوقَ والمخاصمة ، والجدالَ بالباطل ، حتي يكونَ حجُّكَ مقبولاً ، واستمع إلى قولِه تعالى : ﴿ فمن فَرَضَ فيهنَّ الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جدالَ في الحجّ ﴾ وقال رسول اللهِ ﷺ : « من حجَّ فلم يرفث ولم يفسُق رجعَ كيوم ولدته أُمّه »[1] .

---

(١) متفق عليه .

٥ – كن سمحاً في بيعك ، وشرائك ، وحسِّن أخلاقك ، ولا تواجه أحداً بما يكره .

٦ – احذر شربَ الدخان ، وسوء الأخلاق ، والشتم ، فسباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر .

٧ – لا تُضَيِّع أوقاتك في الأسواق ، والبيع والشراء ، والقيل والقال .

٨ – تلطّف بمن حولكَ أثناء الطواف ، وتقبيل الحجر ، والسعي ، والرمي ، وغير ذٰلك ، فهو من الرفق المطلوب ، قال الرسول ﷺ : « مَن يُحرم الرِّفقَ يحرم الخيرَ كلّه »[١] .

٩ – لا ترفع صوتك بالدعاء عند الطواف ، ففيه تشويش على الطائفين .

١٠ – لا تزاحم الناس ، ولا سيما عند تقبيل الحجر ، وتكفي الإشارة إليه عند الزحام ، وأمّا الرمي فلا يجوز استعمال الحصاة الكبيرة لورودِ النهي عنها ، ولأنها تؤذي الواقفين ، واحذر الرمي بالنعال – كما يفعل الجهال – فهو من المنكرات ، واحذر لمس شباك قبر الرسول ﷺ ، ولمس جدران الكعبة ، والمسموح به هو لمس الحجر الأسود وتقبيلُه ، ولَمْس الركن اليماني فقط .

١١ – عليك بحلق الشعر كلّه أو تقصيره عند التحلل ، واحذر حلق اللحية ؛ فهو حرام باتفاق العُلماء ، والله تعالى يقول : ﴿ **محلِّقين رؤوسكم ومُقَصِّرين** ﴾ والرسول ﷺ يقول : « جزّوا الشواربَ واعفوا اللحى خالفوا المجوس »[٢] .

١٢ – احذروا دعاء غير اللهِ من الأمواتِ أو الغائبين ، فهو من الشرك الذي نهى اللهُ عنه بقوله : ﴿ **ولا تدعُ من دونِ اللهِ ما لا ينفعُكَ ولا يضرُّك فإن فعلتَ فإنَّكَ إذاً من الظالمين** ﴾ .

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه مسلم.

والظالمونَ في هذه الآية هم المشركون ، وإذا وقع المسلم في الشرك بطل عمله وحجّه ، كما قال الله تعالى : ﴿ لئن أشركتَ ليحبطنَّ عملُك ولتكوننَّ من الخاسرين ﴾ .

١٣ – احذر الرياء : وهو العمل الذي يرادُ به السمعة ، فيحجّ ليقول عنه الناس : الحاج فلان ، علماً بأنَّ كلمة (الحاج) لم يعرفها السلف الصالح ، فلم نسمع عن واحد منهم قال عن أخيه : (الحاج فلان) ، وهي من بدع المتأخرين ، فأخلص في حجِّكَ ، وقل كما قال الرسول ﷺ : « اللهمّ حجّة لا رياء فيها ولا سمعة » .

١٤ – أكثر من قراءة القرآن والعمل به ، والطواف ، والصلاة على النبيِّ ﷺ وأكثر من الدعاء ، ولا سيما في الليل ،فقد قال الرسول ﷺ :

« مَنْ تعارَّ من الليل فقال حين يستيقظ : لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير ، سبحان الله والحمد للهِ ولا إلٰه إلّا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوّة إلّا باللهِ ، ثمَّ قال : اللهمَّ اغفر لي ، أو دعا استُجيبَ له ، فإن توضأ وصلّى قُبلَت صلاته »[1] .

(١) أخرجه البخاري .

زاد الحاج

رياض الحقيل

هٰذه بعض الوصايا التي يجدرُ بنا أن نتدبرها .. ونعملَ بها إذا أردنا أن نستفيدَ من الحجِّ .. ونخرجَ منه كيوم ولدتنا أمهاتنا .

أوّلاً : الإخلاص : وهو مطلب عِظيم وشرط أساسٌ لصحة وقبول العمل ؛ ﴿ وما أُمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدينَ ﴾ ، وقال ﷺ : « إنَّما الأعمالُ بالنيّاتِ وإنَّما لكلِّ امريءٍ ما نوى »[1] ، فليست العبرة بالتعبِ والنصبِ ، فقد أخبر الله تعالى عن عذابِ أقوامٍ عاملين لم يحققوا الإخلاصَ والمتابعة : ﴿ وجوه يومئذٍ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية ﴾ .

فاحرص على إخلاصِ العملِ للّهِ وحدَه .. ولا تشرك معه أحداً ، فتدعو غيرَه ، أو ترجوه ، أو تطوف حول قبر أو غيره ، ولا تطلب رضى أحدٍ ، وإنَّما راقبِ اللهَ وحدَه .. وليكن رضاه همَّكَ وغايتَك ، قال ﷺ : « إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلّا ما كانَ له خالصاً وابتُغي به وجهه » [2] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) « صحيح سنن النسائي » (٢٩٤٣) .

وتذكّر هٰذه القاعدة السلفيّة النَّاصحة لتسلم من الشركِ والرياء : « العمل من أجلِ الناس شرك ، وترك العمل من أجل الناسِ رياء : والإخلاص أن يعافيكَ اللهُ منهما » .

ثانياً : المتابعة : وهٰذا هو الشرطُ الثاني لقبولِ العملِ وصحتِه ، قال ﷺ : « من أحدثَ في أمرنا هٰذا ما ليسَ منه فهو ردّ » [١]، وهو معنى شهادة أن محمداً رسول اللهِ ؛ أي : أن لا تعبدَ الله إلّا بما شرعَ .. فلا بدَّ من اتباعِ هدى الرسول ﷺ في سفرِكَ ، وإحرامِك ، ومناسِك حجِّكَ ، وسائرِ أعمالِك ؛ لتبرهنَ صدقَ محبتِكَ للّهِ : ﴿ قُل إن كُنتم تحبّونَ اللهَ فاتبعوني يُحببكم الله ويغفر لكم ذنوبَكم ﴾ ، وقد أمرنا المصطفى ﷺ بأن نأخذَ هدي المناسك منه وحده : « لتأخذوا عني مناسككم » [٢] .

وطريق المتابعة هو العلم الشرعي ، فلا يمكنُكَ معرفة هدى النبيّ ومتابعتك له إلّا بالعلمِ الشرعي الصحيح ، فلا بدَّ من تعلّمِ أحكامِ الحجّ من العلماء الربانيين الذين عُرفوا باتباعِ الدليل .

العلمُ قال اللـــه قال رســـولُه   قال الصحابة هم أولو العـــرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة   بين الرســول وبين قــولِ فـــلان

فعليكَ بدراسة وتعلُّم أحكام الحجّ قبل أن تحجَّ ، فالعلمُ قبل القول والعمل ، قال تعالى : ﴿ فاعلم أنّه لا إلٰه إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ ، والعلم يعصمُك - بإذن الله - من الوقوع في الزلل ، والخطأ ، والبدع .

ثالثاً : التوبة الصادقة : فتب إلى اللهِ ، وتطهَّر من جميع الذنوبِ والآثامِ ، بالإقلاعِ عنها ، والعزم على عدم العودةِ إليها .

واحذر أن تكونَ ممن يروغُ كروغانِ الثعالبِ ، ومن عُبّادِ المواسمِ ، والأماكن الفاضلة ، وهو ينوي الرجوع إلى المعاصي بعدها ، بل اعزم واجزم على ترك المعاصي ،

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه مسلم .

وسل ربَّكَ الثباتَ والاستقامة على الدين ، وتأمّل قول الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا توبوا إلى اللهِ توبة نصوحاً ﴾ ، ولا تقنط من رحمةِ ربِّكَ ، واعلم بأنَّ بابَ التوبة مفتوح لكَ ولغيرِكَ مهما عملت ، ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسِهِم لا تقنطوا من رحمة اللهِ إنَّ اللهَ يغفر الذنوبَ جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم ﴾ .

رابعاً : التحلل من الحقوق ، ورد المظالم والديون إلى أهلِها ، وطلب السماح منهم :

قال ﷺ : « مَنْ كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مالٍ فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذَ منه يومَ لا دينار ولا درهم ، فإن كانَ له عمل صالح أُخذَ منه بقدرِ مظلمتِه ، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئاتِ صاحبِه فجُعلت عليه » [1] ؛ فإن كانَ لأحدٍ حقّ أو دين عندَكَ فرُدّه إليه ، أو اطلب منه السماح إن كانَ الدَّين قد حلَّ أجلُه ، وإن كنتَ قد ظلمتَ أحداً فرُدَّ إليه مظلمتَه واطلبه السماح .

وليكن نصب عينيكَ حديث المصطفى ﷺ : « أتدرونَ مَن المفلس ؟ » . قالوا المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاع ، فقال : « المفلس من أمتي من يأتي يومَ القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتمَ هٰذا ، وقذفَ هٰذا ، وأكلَ مالَ هٰذا ، وسفكَ دمَ هٰذا ، وضربَ هٰذا ، فيُعطى هذا من حسناتِه ، وهٰذا من حسناتِه ، فإنْ فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذَ من خطاياهم فطرحت عليه ثمَّ طرحَ في النارِ » [2] .

خامساً : اطلب النفقة والزادَ الطيب الحلال : فإياكَ ثمَّ إياكَ أن تحجَّ بمالٍ حرامٍ من ربا ، أو رشوة ، أو يمين غموس كاذبة ، أو غش ، أو بيع محرم ، كدخان

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه مسلم .

ومجلات ماجنة ، ونحو ذلك : « فإنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلّا طيباً » [١] .

وكيف يليقُ بك أن تحجَّ بهذا المالِ ؟! فتدعو في الطوافِ والسعي وغيرِه ، ثمَّ تقفُ بعرفة بين يدي ربِّكَ رافعاً يديك تسأله وتدعوه وترجوه ، ومطعمك ومشربُك وزادُك وراحلتك من حرام ، فأنى يستجاب لك ؟!

سادساً : الوصية : فلا تخرج من بيتِكَ إلا وقد كتبتَ وصيتَك ، وهذا مطلوبٌ منكَ ، فاكتب وصيتَكَ على وَفقِ السنّة ، فأوص أهلَكَ بالتقوى والاستقامة ، وألّا يبتدعوا بعدَ موتِكَ سواء في كفنِكَ ، ودفنِكَ ، وقبرِكَ ، أو النياحة ونحوها ، أو في سائر أمورِ حياتِهم ، وتكتب فيها الذي لك والذي عليك من الديونِ والحقوق ، وتطلب من أهلِكَ قضاءها وسدادها وأن يطلبوا السماحَ ممن له حقٌّ عليك ، قال ﷺ : « ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيتُ ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده » [٢] .

سابعاً : الرفقة الصالحة : واحرص على رفقة صالحة - تذكّرك باللهِ إذا نسيت ، وتعينك على ذلك إذا ذكرت - من أهل العلم والطاعة والتقوى ، تتعاون أنت وإياهم في عمل الصالحات ، وتطبيق هدى المصطفى ﷺ في السفر ، والمناسك ، وبقية الأعمال الصالحة .

واحذر رفقة السوء التي تضيع عليك أعمالك ، أو تَنقصُ أجرَكَ باللهوِ المحرَّمِ ، والقيل والقال ، وصدق الشاعر حين قال :

أنت بالنـــاس تقــــاس	بالـذي اخترت خليــلاً
فاصـحب الأخيـار تَعْلُ	وتنل ذكـــراً جـــميـــلاً
صحبـة الخامـل تكسو	مـــن يواخيـه خمـــولاً

---

(١) أخرجه مسلم

(٢) متفق عليه .

وخيرٌ منه قول المصطفى ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » [١] .

ولا تنسَ القيامَ بحقوق الأُخوةِ ، من التعاون ، والتعاطفِ ، والرحمة ، والذلة بين المؤمنين ، والتواضع ، والإيثار ، وخدمة إخوانِكَ والتسابق في ذٰلك ، والتنافس على الخير ، ونصح الجاهل وتعليمه ، وأمر المُخطئ بالمعروف ونهيه عن المنكر بالحكمة والأسلوبِ الحسن ، وغير ذٰلك من حقوق الأُخوة وآدابها التي تديم المودة وتصلها ، وتقطعُ الطريقَ على الشيطانِ وجنودِه أن ينزغوا بينكم : ﴿ **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنَّ الشيطانَ ينزغُ بينهم** ﴾ .

ثامناً : تدبر أسرار الحجّ ومنافعه الدنيوية والأخروية : استشعرْ معاني الأعمالِ الصالحة التي تقومُ بها ، وتدبر أسرار المناسك ، ولتكن بمثابةِ المحطاتِ الإيمانيّة التي تتزوّدُ منها لآخرتِكَ ودنياك كما قال تعالى : ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ في الدنيا والآخرة .

- فليذكّرك السفر بسفرك إلى الدار الآخرة ، وهل أعددت لها الزادَ والعمل والإخلاصَ ؟

- وليذكّرك الإحرام والاغتسال قبله بالكفن والموت الذي كلنا إليه صائر .

كلُّ ابن انثى وإن طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول

وكفى بالموت والقبر واعظاً ومذكراً بالآخرة ، وتدبر ماذا بعد الموت !

فلو أنّا إذا متنا تُركنا ... لكانَ الموتُ راحة كلِّ حيٍّ

ولكنّا إذا متنا بُعثنا ... ونُسألُ بعده عن كلِّ شيء

- وليذكّرك أيضاً يوم عرفة - في شدة حرّه ، وعطشه ، واجتماع الناس فيه بلباس واحد - بذٰلك اليوم العظيم الذي تقفُ فيه بين يدي ربِ العالمين ، والذي تدنو

(١) أخرجه الترمذي ، وحسنه الألباني حفظه الله .

فيه الشمسُ من الخلائقِ ، فمن الناسِ من يصل عرقه إلى ركبتيه .. إلى حقويه .. إلى ترقوته .. ومنهم من يلجمه - يغطّيه - العرق إلجاماً على قدرِ الذنوبِ والمعاصي .

تدبّر مناسكَ الحجّ وخذ منها العبرة والعظة والزادَ لآخرتِكَ ، وتعلَّم منها دروساً كثيرة من التآخي ، والتآلفِ ، والوحدة الحقيقية التي لا بدَّ أن تكونَ على منهجِ اللهِ ورسولِه وطريقة السلفِ الصالح ، وتعلّم التساوي بين المسلمين جميعاً على جميع مستوياتِهم وطبقاتهم كلّهم يقفونَ بلباس واحد وفي مكان ووقت واحد ، وغير ذٰلك من الفوائد .

نسألُ اللهَ بأسمائه الحسنى وصفاتِه العلى أن يجعلَ حجّنا مبروراً ، وسعينا مشكوراً ، وذنبنا مغفوراً ، وأن يعيننا على العملِ بما فيه هٰذه الوصايا من حق وصواب .

بحمى الله عُذْتُ من سوء كَسْبي
فهو منه إذ تَخَوَّفْتُ حَسْبي
وإلى الله من ذنوبي التجائي
فهو مَنْجى منها ومن كلِّ كرب

الشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله رحمهُ الله تعالى

عبدالله بن حسن الصميعي

ما الفَخْرُ إِلَّا لأَهلِ العلمِ إِنَّهمُ ... على الهُدى بِمَن استهدى أَدلَّاءُ

وقَدْرُ كُلِّ امرئٍ ما كان يُحْسِنُه ... والجاهلون لأَهلِ العلمِ أَعداءُ

فَفُزْ بعلمٍ تَعِشْ حيّاً به أَبداً ... النَّاسُ موتَى وأَهلُ العلمِ أحياء

... يقولُ اللّهُ تبارك وتعالى في وَصْفِ عبادِه المؤمنين : ﴿ الَّذينَ إِذَا أَصابَتْهُم مُصيبةٌ قالوا إِنَّا للَّه وإِنَّا إِليهِ راجعون .. ﴾ ، ولقد سمّى اللَّهُ سبحانه الموتَ مصيبةً فقال : ﴿ إِنْ أَنْتُم ضَرَبتم في الأَرض فأَصَابَتْكم مصيبةُ الموت ﴾ .

وأَعظمُ المصائب موتُ أَهلِ الخير ، وأَهلِ الفضل ، وأَهلِ العلمِ .. فنقولُ بقلوبٍ مُطمئنَّةٍ بالرضا بقضاءِ اللّهِ وقَدَره : إِنَّا للّه وإِنَّا إِليه راجعون .

.. لقد فقدتِ الأُمَّةُ الإِسلاميَّةُ عالماً من عُلمائها ، وداعيةً من دعاتها الصابرين ، الناصحين للَّهِ ولرسولِه ولجميع المسلمين ، ورجلاً من رجالها الباذلين الغالي والثمين ، والمُنْفِقين في سبيلِ ربِّ العالمين ، ومِن الذَّاكرين المُستغفرين في كُلِّ وقتٍ وحين - ولا أُزَكِّيهِ على اللَّه سبحانه - أَلا وهو الشيخ عبداللَّه بن جاراللَّه بن إِبراهيم الجاراللَّه .

وحتَّى يكون الإِخوةُ القرّاءُ على معرفةٍ جيّدةٍ بهذا الدَّاعيةِ الفاضلِ أذكر نُبذةً من

سيرَتِه وحياتِه :

○ يرجعُ نسبُ الشيخ عبدالله إلى قبيلة النواصر مِن بني تَميم .

○ ولد في مدينة المذنب من مدن القصيم سنةَ أَربعٍ وخمسين بعد الثلاث مئة والأَلف للهجرة .

○ كانت بدايةُ دراسته في الكتاتيب ، على يد الشيخ عبدالرحمٰن بن صالح المُطْلق رحمه الله تعالى ، مبتدئاً بالقرآن الكريم .

ولقد أَتمّ حفظَ كتاب الله سبحانه على يد والدِهِ الشيخ جار الله بن إبراهيم الجارالله رحمه الله تعالى .

○ ثم انتقل إلى الرياض ، وطلب العلم على يد عددٍ من العلماء والمشايخ ، منهم سماحة العلاّمة محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله في مسجده في مدينة الرِّياض .

○ وفي سنة خمس وسبعين بعد الثلاث مئة والأَلف ، افْتُتِحَ في الرياض معهد إمام الدعوة العلمي ، فالتحق به مُتابعاً دراسته على عددٍ من المشايخ والعُلماءِ ، كمثل الشيخ محمد بن عبَّاد ، والشيخ إسماعيل الأَنصاري ، والشيخ حمَّاد الأَنصاري ، والشيخ سعد الفالح ، والشيخ عبدالله بن حسن القعود ، وغيرهم .

○ ثمَّ التحق بكليَّة العلوم الشرعيَّة ، وتخرَّج منها عام (١٣٨٣ - ١٣٨٤) .

○ ثمَّ درس في المعهد العالي للقضاء ، ونال فيه درجة الماجستير في الفقه المقارن عام (١٣٩٩ هـ) .

○ ولقد كان الشيخ رحمه الله تعالى نشيطاً جدًّاً في الدعوة إلى الله سبحانه ، ممّا جعل له كبيرَ الأَثر على المجتمع ، وذلك منذ سنوات بعيدة :

فعندما كان مدرِّساً في مدرسة حطين عام (١٣٨٦ هـ) كان يجمع الطلاَّب بعد انتهاء الوقت الرسميّ للدراسة ، ويطلب من كلِّ واحدٍ منهم أَنْ يأتي بآيةٍ ، أَو

حديثٍ ، أَو فائدة علمية ، فيتدارس معهم ذلكُ مدارسة علميَّة تُفيدهم جميعاً ، وينتفعون بها .

ولقد كان من ثمرات.ذلك أَنْ خَرَجَ من هؤلاء الطُلَّاب عددٌ من طلبة العلم الأَقوياء ، والدّعاة الملتزمين الأَوفياء .

○ ومِن النشاطات الدَّعويَّة والعلميَّة للشيخ رحمه اللَّه كتابتهُ رسائلَ إِلى رؤساء تحرير عدد من الصحف ، وكذلك إِلى بعض النّوادي الرياضيَّة ، يُناصحُهم ، ويذكّرهم ، ويأْمرهم وينهاهم .

ومِن ذلك أَنَّه كان يصوّر مئات النُسَخ من بعض الأَوراق التي يكتبها من أَذكار الصَّباح والمساء ، أَو كيفيَّة الصَّلاة ، أو غير ذٰلك من فوائدَ علميّةٍ ، ثمَّ يقوم بتوزيعها على إِخوانِه المسلمين في المساجد ، أَو المدارس ، أَو التجمّعات العامّة .

○ ولقد عُيِّن الشيخ بعد التخرُّج من كليّة الشريعة مدرّساً في المرحلة المتوسطة في مدينة حائل عام (١٣٨٤ هـ) ، ثمَّ نُقل إِلى مدينة بريدة ليعمل مدرّساً في المرحلة نفسها عام (١٣٨٥ هـ) ، ومثل ذلك في الرياض سنة (١٣٨٦ هـ) ، وفي عام (١٤٠٣ هـ) انتقل للعمل مدرّساً في المرحلة الثانوية في مدرسة موسى بن نُصَير ، حتّى أُحيل للتقاعد عام (١٤١٣ هـ) بسبب الضَّعف الصحّي .

ولم يمنعه عملُه التدريسيّ من مُزاولة الدعوةِ ، والقيام بالمُناصحة والتذكير في كُلِّ فرصة تُتاح ، وفي أَيِّ مناسبة تسنح .

ولقد عُيِّن رحمه اللَّه خطيباً رسميًّاً في يوم الجمعة في بعض مساجد الرياض منذ عام (١٤٠١هـ) إِلى وفاته رحمه اللّه وغفر له .

○ يقول الشيخ رحمه اللَّه عن ذلك في كتابه القيِّم : « رسالة إِلى أَئمَّة المساجد والمؤذنين والمأْمومين » : « وفي عام ١٤٠٢ هـ تعاونتُ مع رئاسة هيئة الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر على أَن أَكتب بعض البحوث بالإِضافة إِلى زيارة مراكز الهيئة

بالرياض ، وإرشادهم إلى الطريقة المثلى في الأَمر والنَّهي ، فكتبت ما تيسر من البحوث في مواضيع متنوعة بفضل من اللّه ومعونة ، وله الحمد والشكر والثناء ، فصارت هذه البحوث نواةً وأَساساً لمؤلفاتي التي يسّر اللّه لي جمعها واختصارها وتحقيقها طبعها وتوزيعها ، والتي اشتملت على مواضيع مختلفة فيما يتعلق بالعقيدة وأَصول الإِيمان وأَركان الإِسلام وفي معالجة واقع المجتمع المسلم » .

○ ولقد كان للشيخ رحمه اللّه جهدٌ كبير ، وعملٌ وفير في نَشْر العلم ، وتصنيف الرَّسائل العلميَّة المفيدة ، فكتب أَكثر مِن مئة وعشرين كتاباً ، بين صغيرٍ وكبيرٍ ، وطُبعت جميعها ، وبعضُها طبع مرّات متعدّدة ، بل طُبع من كتابه : « زاد المسلم اليومي » ما يزيد على المليوني نسخة .

وكان - رحمه اللّه - يطبع بعضاً من هذه الكتب على نفقتهِ الخاصَّة ، ويكتب عليها : « طُبع على نفقة أَحد المحسنين، غفر اللّه لهم ولوالديهم ، ولجميع المسلمين » .

○ مِن مؤلَّفاته المطبوعة :

١ - « بهجة النَّاظرين فيما يُصلح الدنيا والدين » .

٢ - « كلمات مُختارة » .

٣ - « الجامع الفريد للأَسئلة والأَجوبة على كتاب التَّوحيد » .

٤ - « مِن أَحكام الفقه الإِسلامي ، وما جاء في المعاملات الرَّبويَّة » .

٥ - « مسؤولية المرأَةَ المسلمة » .

٦ - « مصارف الزَّكاة » .

٧ - « مواضيع تهمّ الشباب » .

٨ - « الأُخوّة الإِسلامية وآثارها » .

٩ - « الزواج وفوائدهُ ، غلاء المُهور وأَضراره » .

١٠ - « خطر الجريمة الخُلقيّة » .

وغير ذلك أكثرُ من مئة رسالةٍ وكتابٍ ، تنوّعت مواضيعُها ، واختلفت مباحثُها ، وتعدَّدت مسائلُها ، ولولا الإِطالةُ لسردتُها جميعاً بأَسمائها .

○ كان رحمه اللَّه يُعاني من مرض السُّكري منذ عام ١٣٨٣ هـ ، ثمَّ أُصيب بمرض القلب ، وأُجريت له عمليَّة جراحيَّة عام ١٤٠٥ هـ وكلّلت بالنَّجاح .

وكان رحمه اللّه يتعاطى كثيراً من الأَدوية والعلاج ، وقد طلب منه الأَطباء لزوم الراحة ، ولكنَّه كان يحبّ أَن يتحرّك ، وأَن يكتب ، وأَن يعمل في سبيل اللَّه ، فكانت حياته كلها دعوةً وجهاداً - رغم معاناته من المرض - إلى لحظاتِهِ الأَخيرة .

يقول الشيخ الفاضل محمَد ابن الشيخ عبداللَّه الجاراللّه : « في ضحىٰ يوم الأَحد الرابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٤١٤ هـ ، توفي الوالد في مدينة مكَّة المكرمة ، وصُلي عليه في الحرم المكّي الشريف ليلة الاثنين الموافق ٢٥ من رمضان عام ١٤١٤ هـ ، ثمَّ نُقل إلى مدينة الرِّياض حيث مقر إِقامته ودُفن بمقبرة العود ، رحمه اللَّه رحمةً واسعةً وأَدخله فسيح جنَّاته مع النَّبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُن أَولئك رفيعاً » .

○ أَقولُ : تُوفي الشيخ رحمه اللَّه ، وقد خلَّف وراءَه - بحمد اللَّه ومنَّته - كلَّ خير : كثيراً من أَعمال البرّ والتَّقوى ، وأَولاداً صالحين ؛ ولدين ؛ وهما : محمَّد وأَحمد ، وأَربع بنات .

فعسى أَن ينالَه من ذلك ما ينفعه في قبره ، أَو يشفع له في آخرته ، إِنَّ اللَّه لا يُضيع أَجر المحسنين ، فرحمه اللَّه رحمةً واسعةً ، وأَلحقنا به على خير .

الدكتور البوطي من خلال كتبه !!!

أبو عبد الله الشامي

سوف أَعرض في هذه الصَّفحات تعقُّبات مختصرة على كتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : « كبرىٰ اليقينيات الكونيّة » ، ومن ثمَّ فكره وعقيدته عبر كتبه التالية : « كبرى اليقينيّات » ، « الفكر الإِسلامي المعاصر » ، « منهج العودة إِلى الإِسلام » ، رسالة « باطن الإثم » .

● « كبرى اليقينيَّات الكونيَّة » (ط ٨ دار الفكر) .

١ – المقدمة : في (ص ٢٦) « وقد التزمت الأُمور التالية في كتابة هذه البحوث : أَوَّلاً : الابتعاد عن الخوض في حقيقة الصِّفات الإِلهيَّة وتحليلها ، وهل هي عين الذات أم غيرها ؟ وما يترتب على كلٍّ منهما مكتفياً باتباع مذهب جمهور المسلمين في ذلك ، إِذ يسع المسلم العاقل الَّا يفكر في ذلك أَصلاً وألا يلتزم إِلَّا ما نسبه اللَّه تعالى إِلى نفسه من صفات الكمال ، على أنه لا توجد أي شبهة في الإِيمان باللّه يتوقف ردها على الخوض في هذا البحث الذي لا طائل فيه » .

التعقيب : كلام مُجْمَلٌ صحيح وجميل ، ولكن ليته التزم به ؛ فلقد نقضه في بحثه اللاحق تحت عنوان : ما يترتب على هذه الصِّفات ، وما بعده ، فقد

خالف جمهور المسلمين من السَّلف أَوَّلاً ، ومن تبعهم من الخلف ، وسلك مسلك المؤولة والمعطَّلة .

٢ - التمهيد : ذكر في (ص ٣٥ - ٣٦) : أَن الخبر الصحيح الظنّي (أَحاديث الآحاد) لا يعتدُّ به الحكم الإِسلامي في بناء العقيدة .

التعقيب : إِنَّ تقسيم الخبر إِلى آحاد (ظنِّي) ومتواتر (قطعي) هو اصطلاحٌ جديدٌ لم يكن في عصر الصَّحابة رضوان اللَّه عليهم ، والاعتقاد بأَنَّ خبر الآحاد الصحيح لا يفيد اليقين هو بحدِّ ذاته أَمر عقيدي يحتاج لخبر متواتر بناء على اصطلاحهم !

وقد خالف بذلك علماء السَّلف ، وفحول الأُمّة نحو الإِمام الشافعي في كتابه « الرسالة » ؛ فقد قرر أَنَّه لا فرق بين الآحاد الصحيح والمتواتر في حجيَّته ، وكلاهما يستدلّ به في مسائل الاعتقاد ، وكذلك أَبي الحسن الأَشعري في كتابه « الإِبانة » ، وغيرهم ، ورفضه لخبر الآحاد في العقيدة يهدم أَكثر من ثلثي العقيدة الإِسلاميَّة ، نحو

أ - شفاعة الرسول ﷺ لأَهل الكبائر من أُمته .

ب - الإِيمان بمجموع أَشراط السَّاعة ، كخروج المهدي ...

جـ - معراج النَّبي ﷺ إِلى السَّماء .

د - سؤال منكر ونكير في القبر .

هـ - الإِيمان بالقلم الذي كتب كل شيء .

٣ - ذكر تحت عنوان (جوهر الخلاف بين المعتزلة وأَهل السنَّة والجماعة) في الصفحة [١٢٥ - ١٢٧] (فيما معناه) : أَنَّ صفة الكلام يقصد بها المعنى الذي يريد اللَّه توصيله إِلى أَحد ؛ فهذه صفة قائمة بذاته ، أَمَّا الأَلفاظ التي تعبر عن المعنى

المراد فهي حادثة مخلوقة ، وليس هي المقصود بها من صفة الكلام ، والمعتزلة أَيضاً قالوا بذلك ، واتفقوا مع جمهور المسلمين بأَنَّ الأَلفاظ هي محدثة ومخلوقة ، واللّه عزَّ وجلَّ منزه عن القول والتَّكلّم بالأَلفاظ ، وافترقوا في المسمَّى إِذ قالوا : أَنَّ ما أَثبتناه للَّه من صفة الكلام الذي لا ألفاظ له هو في الحقيقة يرجع إِلى صفتي العلم والإِرادة ، فإِنْ كان إِخباراً اسمه العِلْم ، وإِنْ كان أَمراً ونهياً فهو الإِرادة .

ثمَّ ذكر في (ص : ١٢٩) : « وأَمَّا علاقة الخلاف الذي بين المعتزلة والآخرين بهذه المسأَلة وقد علمت أَنَّهم جميعاً متفقون على أن أَلفاظ القرآن حادثة ، وأَنَّ معانيه قديمة ، وأَنَّ خلافهم محصور فقط في تسمية المعنى القديم ، هل يسمَّى صفة الكلام ، أَم صفة العلم والإِرادة ؟! »

وقال في (ص : ١٢٦) : « وأَمَّا الكلام الذي هو اللفظ فاتفقوا على أَنَّه مخلوق ، وعلى أَنَّه غير قائم بذاته سبحانه ، باستثناء أَحمد بن حنبل وبعض أَتباعه ؛ فقد ذهبوا إِلى أَنَّ هذه الحروف والأَصوات أَيضاً قديمة بذاتها وأَنَّها هي المعني بصفة الكلام » .

التعقيب : الأُستاذ البوطي يقرر أَنَّ الخلاف بين أَهل السنَّة والمعتزلة خلاف لفظي وحسب ، بينما المضمون مُتَّفَقٌ عليه ، واستثنى الإِمام أَحمد بن حنبل ، واتهمه بمخالفته لأَهل السنَّة والشذوذ عنهم واستحداث قول جديد ، فهذا عجيب وغريب - بل لا وللّه ليس بغريب على أَهل البدع - الطعن في إِمام أَهل السنَّة وفي أَهل السنَّة ، وبيان ذلك أَنَّ البوطي :

١ - جعل إِمام أَهل السنَّة مخالفاً لأَهل السنَّة[١] ونسب عقيدته إِلى الشذوذ .

(١) من المعروف أَنَّ أَهل السنَّة عندما تطلق تشمل عقيدةَ الإِمام أَحمد بن حنبل ، بل هو إِمام أَهل السُّنَّة .

٢ - نسب عقيدة المعتزلة في نفي الكلام عن اللّه إلى أَهل السنّة ، وقدّمها إِلى القارئ على أَنَّها عقيدة أَهل السنَّة ، وأَهل السنَّة بريئون مما نسبه إِليهم وإِلى إِمامهم .

والصحيح الذي عليه المآل - وهو عقيدة أَهل السنَّة وإِمامهم أَحمد بن حنبل - أَنَّ القرآن كلام اللَّه تكلم به بصوت وحرف ، وسمعه جبريل ، وأَوصله إِلى محمَّد ﷺ .

وصفة الكلام صفة قائمة بذاته تعالى ، فهي في هذا الوجه صفة ذاتيَّة ، أَمَّا الوجه الآخر فإِنَّه سبحانه يبتدئ الكلام متى شاء وبما شاء وكيف شاء فبذلك تكون صفة الكلام صفة فعليَّة للَّه سبحانه متعلِّقة بمشيئته .

إِنَّ البوطي مؤمن بصفتي السَّمع والبصر للَّه مع أَنَّ السمع والبصر مشترك أَيضاً بهما الخلق ، فهم يسمعون ويبصرون ضمن السنن التي وضعها اللَّه لذلك ، فقالوا : إِنَّ اللَّه ليس كمثله شيء . ولم يكن له كفواً أَحد . والقادر على كل شيء ولا يعجزه شيء ، فهو يرى ويبصر من غير احتياج للضوء وآلية العين البشريَّة ، وكذلك السَّمع فهو يسمع من غير احتياج للهواء وآلية الأُذن ، وقدروا أَنَّ كل صفةٍ تتبع الموصوف ؛ فصفة السَّمع أَو البصر إِذا أَضفتهما للَّه تعلق فهمهما على فهم ذات اللَّه ، وذات اللَّه لا يمكن أَنْ نعرفها ، فمن باب أَولى أَن نجهل كيفية صفاتها ، أَمَّا إِذا أُضيفت للإِنسان فيمكن تصوّرها والعلم بكيفيتها لمعرفة الذات مسبقاً لدينا ، والقاعدة هي : أَنَّ الصفات معرفتها تبعاً لمعرفة الذَّات .

فلا أَدري لماذا لم يطبقوا ذلك على جميع الصِّفات وبخاصة صفة الكلام ، وعلو اللَّه على خلقه وبينونته عنهم ، وصفه اليد ، والعين ، والقدم ، والوجه ، والمجيء والاستواء .. إِلى آخر الصِّفات الثابته في الكتاب والسنَّة الصحيحة !

٤ - قال الأستاذ البوطي في فصل تنزيه اللَّه تعالى (ص : ١٣٦ - ١٣٧) :

« ولا يصح عليه شيء في لوازمها كأَنْ يشار إِليه بها هنا أَو هناك أَو تنسب إِليه الحركة والانتقال » .

التعقيب : ماذا نفعل بحديث الجارية عندما سأَلها رسول اللَّه ﷺ : « أَين اللَّه ؟ » فقالت : في السَّماء ، فقال : « أَعتقها فإِنها مؤمنة »[1] ، وهذا صريح أَيضاً في إِثباتِ علوِّ اللهِ سبحانه على خلقه ، بل أشار رسول اللَّه ﷺ في حجَّة الوداع عندما كان يخطب وفي آخر خطبته رفع أصبعه إِلى السَّماء وقال : « اللهم فاشهد » وينزلها على النَّاس وكرَّر ذلك .

فهل يقول البوطي : أَنَّ رسول اللَّه ﷺ لم يعرف ما يصح وما لا يصح في صفات اللَّه ! أَم أَنَّ رسول اللَّه ﷺ يفعل الخطأ ، ويجهل تلك الأُمور ، ويقر عليها الجارية والصّحابة ؟ أَلم يبلِّغ رسول اللَّه ﷺ الأَمانة وينصح الأُمَّة ؟! ... بلى ... سبحانك يا رب ... ﴿ اليوم أَكملت لكم دينكم وأَتممتُ عليكم نعمَتي ورضيت لكم الإِسلام دينا ﴾ .

أَمَّا قوله : أَو تنسب إِليه الحركة والانتقال ... فقل لي بربِّك : أَي صفة هي الكمال ، الذي يَفعلُ ما يشاءُ ويأْتي ويجيء أَم العاجز ؟

قال تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ هل ينظرون إِلَّا أَنْ تأتيهم الملائكة أَو يأْتي ربُّك ﴾ .

وتخبُّط البوطي هو نتيجة تشبيههِ اللَّهَ سبحانه وصفاته بخلقه وصفاتهم ، فوقع في التعطيل ، مع أَنَّ الفرق بين الصِّفات كالفرق بين الذوات ، فالاتفاق في الأَسماء لا يدل على التشابه في الصِّفات والذوات .

٥ - قال في صفحة (١٣٨) تحت عنوان : ما انفرد به السَّلف : « فمذهب السَّلف هو عدم الخوض في أَي تأويل أَو تفسير تفصيلي لهذه النّصوص » إِلى أَن قال : « وسبيل ذلك التأويل الإِجمالي لهذه النّصوص وتحويل العلم التَّفصيلي بالمقصود

(١) أخرجه مسلم .

منها إلى علم اللَّه عزَّ وجل » .

التعقيب : سبق أن نسب عقيدة المعتزلة في كلام اللَّه إلى أهل السنَّة ، وهنا نسب مذهب المفوضة إلى السَّلف ؛ فهل هذا جهلٌ بمذهب السَّلف ومذهب المفوضة أَم أنَّه داءٌ آخر غير الجهل ؟!

إنَّ مذهب المفوضة هو أَن تؤمن بأَلفاظ دون مضمون لها ، وتنفي المقصود ، مثلاً عندما قال اللَّه تعالى : ﴿ **ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام** ﴾ لم يخوضوا في هذه الآية ، ولم يفسِّروها ، وتركوها على إطلاقها ، ولم يثبتوا للَّه وجهاً كما أَخبر سُبحانه عن نفسه .

أَما قوله : « وتحويل العلم التفصيلي بالمقصود منها إلى علم اللَّه » فكذلك ليس هذا مذهب السَّلف ، فمذهب السَّلف هو فهم النّصوص فهماً تفصيليَّاً ، وفهم مراد اللَّه في ذلك إذ قال اللَّه تعالى : ﴿ **إنَّا أَنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** ﴾ ، فمثلاً قول اللَّه تعالى : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام** ﴾ فسَّرها السَّلف على النحو التالي : أَنَّ الفناء نتيجة حتميَّة لجميع الخلق إلَّا من شاء اللَّه استثناءَه من الهلاك بنصوص أُخرى ، أَمَّا قوله : ﴿ **ويبقى وجه ربِّك** ﴾ فهو تأكيد على صفة البقاء والحياة للَّه وأَنَّه هو الأَوَّل والآخر ، وعبَّر عن ذلك مستعملاً صفة ذاتيَّة من صفاته أَلا وهي الوجه ، وأَراد بها الكل فضلاً عن إخبار عباده بأَنَّه سبحانه وتعالى له وجه يليق بذاته وكماله فهو : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

٦ - تعقيب على فصل : ما انفرد به الخلف (ص : ١٤٠ - ١٤١) :

سلك في الصِّفات مسلك المؤولة والمعطلة ، وخاض فيها خلاف ما قرره في المقدِّمة (ص : ٢٦) ، وأَعملَ معول الهدم والتَّعطيل بالآيات مع تناقضه الواضح إذا أَثبت صفتي السَّمع والبصر مع نقضه لصفة الكلام ، والاستواء ، واليد ، والعين .
مع أَنَّ لله عزّ وجلّ يداً وقدماً وعيناً كما يليق بكمالِه ، فالأمرُ إذنْ قال تعالى :

﴿ أأنتم أعلم أم الله ﴾ ؟! .

٧ - قال في (ص : ١٤١) « المهم أَنَّ تعلم بأَنَّ كلاً من المذهبين متجهان إلى غاية واحدة ، لأَنَّ المآل فيهما إلى أَنَّ اللَّه سبحانه لا يشبهه شيء من مخلوقاته ، وأَنَّه منزّه عن جميع النقص ، فالخلاف الذي نراه بينهما اختلاف لفظي وشكلي فقط » .

التعقيب : لا زال البوطي يحاول أَن يقنع الآخرين أَنَّ مذهب السَّلف هو نفس مذهب المفوِّضة مع أَنَّ الفرق بينهم كبيرٌ كما مضى تحت رقم (٥) .

وتقريره بأَنَّ الخلاف لفظي فقط صحيح ؛ لكن بين المؤولة والمفوضة ، أما أَهل السنَّة وإِمامهم أَحمد بن حنبل فالفرق بينهم وبين المفوضة كبير جداً .

إِنَّ أَهل السنَّة يثبتون للَّه ما أَثبته لنفسه من سمع ، وبصر ، ويد ، وقدم ، وعين ، واستواء ، وتكلُّم ، ومجيء على نحو يليق به سبحانه ، وقاعدتهم قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ تنزيه اللَّه عن المشابهة ، ومن ثمَّتَ إِثبات ما أَثبت اللَّه لنفسه ، وأَعلمنا به عن طريق القرآن والسنَّة الصحيحة (إِثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل) .

٨ - ذكر في (الصفحة ١٤١ - ١٤٢) : « هذا وليس لنا شأْن في هذا المقام بتلك الطوائف التي شذَّت ممن يقال عنهم : المعطلة أَو المجسمة ؛ وهم الذين تخيلوا اللَّه عزَّ وجل في صورة جسم .. إلخ » .

تعقيب : لقد ذكر البوطي المعطلة والمجسمة ، وضرب مثالاً عليهم بأَنَّهم الذين تخيَّلوا اللّه سبحانه على صورة جسم !

فأَقول : إِن مجمل العقائد في صفات اللَّه عزَّ وجل أَربعٌ ، وما زاد عليها فهو راجعٌ إِلى أَحد هذه الأَربع ، عدا أَهل السنَّة .

(١) أَهل السنَّة : قرأَوا الآيات ، وعلموا المقصود منها ، وآمنوا بما وصف اللَّه به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ على نحوٍ يليق به : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

(٢) المفوِّضة : قرأَوا الآيات وتركوها كما هي ، وآمنوا بها لفظاً دون مضمون ، ولم يخوضوا فيها لا سلباً ولا إِيجاباً !

(٣) المجسِّمة : وهي فرقةٌ - كما هو معروف - جسّمت اللَّه وشبّهته بخلقه ، فقالت : يده وعينه وقدمه ووجهه كالمخلوقات تماماً ، أَي : جوارح من دم ولحم وعصب !!

(٤) المعطِّلة : قرأوا آيات وأَحاديث الصِّفات ؛ فتخيلوا من ظاهر لفظها التجسيم والمشابهة للخلق ، فنفوا هذه الصِّفات (بتأويل) فقالوا : اليد مقصود بها القدرة ، والعين الرعاية والعناية ، والاستواء الاستيلاء ، والقهر ، إِلى آخر الصِّفات ، فأَنكروا ما وصف اللَّه به نفسه على نحوٍ يليق به سبحانه .

فالشاهد أَنَّ البوطي ذمّ المعطلة والمجسمة ، وهو نفسه من المعطلين لصفات اللَّه كما مر آنفاً ، فهو ليس بمجسم ولا مفوض ولا مثبت لصفات اللَّه عزَّ وجل على نحوٍ يليق به سبحانه ، فبقيت الرَّابعة أَلا وهي المعطلة (!) وصدق من قال :

إِن كنت لا تدري فتلك مصيبة أَو كنت تدري فالمصيبة أَعظم !

٩ - ذكر في الصفحة (٢٢٠) معجزات رسول اللَّه ﷺ نحو نبع الماء من بين أَصابعه ، ومعراج النَّبيّ إِلى السماء ، والشَّاة المسمومة التي كلّمته ، وغيرها ، وهذه كلّها أَخبار آحاد ، ومع ذلك سردها في باب العقائد ، وطلب الإِيمان بها ، خلافاً لما قرره في التمهيد !! راجع التعليق على الفقرة رقم (٢) .

١٠ - ذكر في الصفحة (٢٩٤) وما بعدها جواز التَّوسل بالأَنبياء أَحياءً وأَمواتاً !!

والتعقيب على هذه المسأَلة أَكبر من أَن يذكر هنا ، فلهذا نحيل القارئَ لكتاب شيخ الإِسلام ابن تيميَّة : « قاعدة جليلة في التَّوسل والوسيلة » ، ولكتاب الشيخ ناصر الدين الأَلباني « التَّوسل أَنواعه وأَحكامه » ؛ ففيهما ما يكفي ، ويجعل القارئَ على بيِّنة من خلط وتلبيس وتناقض البوطي .

... وللبحث صلة

من أحكام شهر اللَّه المحرَّم

أُم عبدالرحمن بنت محمَّد عرفات

أيُّها النَّاس : اتقوا اللَّه وتبصَّروا في هذه الأَيَّام والليال ، فإِنَّها مراحل تقطعونها إِلى الدار الآخرة حتى تنتهوا إِلى آخر سفركم ، وكل يوم يمر بكم فإِنَّه يبعدكم من الدنيا ويقربكم من الآخرة ، فطوبى لعبد اغتنم فرصها بما يقرب إِلى مولاه ، طوبى لعبد شَغَلَها بالطَّاعات وتجنّب العصيان ، طوبى لعبد اتعظ بما فيها من تقلُّبات الأُمور والأَحوال ، طوبى لعبد استدل بتقلباتها على ما للَّه فيها من الحكم البالغة والأَسرار : ﴿ يُقلّبُ الله الليلَ والنَّهارَ إِنَّ في ذلك لعبرةً لأُولي الأَبصار ... ﴾ .

أَيها النَّاس : إِنَّكم في هذه الأَيَّام تودِّعون عاماً ماضياً شهيداً ، وتستقبلون عاماً مقبلاً جديداً ، فليت شعري ، ماذا أَودعتم في العام الماضي ؟ وماذا تستقبلون به العام الجديد ؟

فلْيحاسب العاقل نفسه ، ولينظر في أمره ، فإن قد فرّط في شيء من الواجبات فليتب إلى الله وليتدارك ما فات ، وإن كانَ ظالماً لنفسه بفعل المعاصي والمحرّمات ؛ فليقلع عنها قبل حلول الأجل والفوات ، وإن كان ممن منَّ اللّهُ عليه بالاستقامة ؛ فليحمد الله على ذلك ، وليسأله الثبات عليها إلى الممات [1].

(١) « الضياء اللامع من الخطب الجوامع » لابن عثيمين (١ / ٣١٣ و ٣١٤)

بتصرف .

إنَّ أَول شهر يطلُّ علينا للسنة الهجرية الجديدة هو شهر الله المحرَّم ، ولا شك أَنَّ مثل هذا الأَمر لا يخفى عليكم ، ولكن هل لهذا الشهر من أَحكام ينبغي لطالب العلم والحق والدار الآخرة معرفتها ومن ثمَّتَ العمل بها ، إِحياءً لسنَّة المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام ، ورغبةً في الخير والأَجر لمن دعا إِلى الهدى الشرعي : « من دعا إِلى هدى كان له من الأَجر مثلُ أُجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً » (١)

وذاتُ الفتى واللّهِ بالعلمِ والتُّقى إِذا لم يكونا لا اعتبارَ لذاتِهِ

أَوَّلاً : النَّهي عن الظلم فيه :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ عدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السمٰوات والأَرض منها أَربعةٌ حرُم ذلك الدين القيِّم فلا تظلموا فيهنَّ أَنفسكم ﴾ .

لقد كتب اللّه تعالى في اللوح المحفوظ يوم خلق السموات والأَرض بأَنَّ عدَّة الشهور عنده اثنا عشر شهراً ، منها أَربعة حرم : ثلاثٌ متواليات ذو القعدة وذو الحجه والمحرم ورجبُ مُضر بين جُمادى وشعبان .

« فللّه تعالى الحكمة البالغة فيما يصطفي من خلقه ، فاللّه تعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ، ومن النّاس ، ويفضِّل من الأَوقات أَوقاتاً ومن الأَمكنة أَماكن ... وفضَّل اللّه تعالى بعض الشهور والأَيَّام والليالي على بعض » (٢).

أَمَّا النَّهي عن الظلم المذكور في الآية ، فقد اختلف علماء السَّلف فيه ؛ فمنهم من قال : النَّهي عن القتال المطلق ، ومنهم من قال - وهو الرَّاجح - : النَّهي عن القتال ابتداءً .

---

(١) أخرجه مسلم

(٢) « الضياء اللامع » (٢ / ٧٠٤) .

ومنهم من قال بأَنَّ المراد بالظلم هو ارتكاب الذنوب والمعاصي [(١)]

فلنحذر - إِخوة الإِسلام - الظلم ؛ ظلم أَنفسنا أَو ظلم الآخرين ، ولنتذكر الوصيَّة الخالدة لرسولنا عليه الصَّلاة والسَّلام : « اتقوا الظلم فإِنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة »[(٢)] .

ولْنَتَّقِ دعوة المظلوم وإِن كان كافراً أَو فاجراً فإِنَّ دعوته ليس بينها وبين اللَّه حجاب .

ولنحذر كل الحذر من قوله : « ما من ذنب أَجدر أَنْ يُعجل اللَّه تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرَّحم » [(٤)] .

وحسْبُكَ أَنْ ينجُو الظَّلُومُ[(٣)]وَخَلْفَه سهامُ دُعاءٍ من قَسِيِّ [(٥)] رُكُوع

فليستبشر المظلومون باستجابة السميع العليم دعاءَهم ولو بعد حين ، ولتقر أَعينهم وتطمئنَّ قلوبهم ، بأَنَّ الظالم هالك في الدنيا والآخرة ، وبأَنَّ اللَّه لا يخلف الميعاد « ولكنَّكمْ قومٌ تستعجلون » .

أَمَّا الذين يعينون الظلمة على ظلمهم وغيِّهم أَيّاً كان موقع الظَّلمة من حكام أَو محكومين ، فإِنَّ الوعيد الشديد ينتظرهم لا محالة : « من أَعان ظالماً ليدحض[(٦)]بباطله حقاً ، فقد برئت منه ذمة اللَّه ورسوله » [(٧)].

إِنَّ هذه الأَحاديث الشريفة لكافية لردع من كان له قلب أَو أَلقى السَّمع وهو شهيد عن كل ظلم صَغُر أَم كبر .

---

(١) انظر « فتح الباري » (٨ / ٣٢٤) .

(٢) « صحيح الجامع » (١٠٢) .

(٣) ظالم وظلوم معنى واحد .

(٤) « الصحيحة » (٩١٥) .

(٥) سهام منسوبة إِلى مدينة القس ، وكانت مشهورة بإِتقان صناعة السهام .

(٦) أَي : ليبطل .

(٧) « صحيح الجامع » (٦٠٤٨) .

ثانياً : استحباب صومه مطلقاً وتأكُّد استحباب صوم التاسع والعاشر منه :

قال ﷺ : « أَفضل الصِّيام بعد رمضان شهر اللَّه المحرم » [١] .

وأَمَّا صوم التاسع من مُحرَّم فيستحب ، فقد روى ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما حين صام رسول اللَّه ﷺ يوم عاشوراء وأَمر بصيامه ، قالوا : يا رسول اللَّه إِنَّه يومٌ تعظِّمه اليهود والنَّصارى ، فقال رسول ﷺ : « فإذا كانَ العام المقبل إن شاءَ اللهُ صمنا التاسع » ، قال : فلم يأتِ العامَ المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ [٢] .

وفي حديث : « لئن بقيتُ لقابل لأصومنَّ التاسعَ » فمات قبل ذٰلك [٣] .

ولقد رغَّبَ الرسول الكريم عليه الصلاةُ والسلامُ في صومِ عاشوراء – العاشر من محرَّم – إذ سُئلَ عن صيام يوم عاشوراء فقال : « يكفِّر السنة الماضية » [٤] .

وكانَ عليه الصلاة والسلام يتحرّى صومَه لقولِ ابن عباس : « ما رأيت النبيَّ ﷺ يتحرّى صيام يوم فَضَّله على غيرِه إلّا هٰذا اليوم ؛ عاشوراء » [٥] .

وكانَ ﷺ يقول : « إنَّ عاشوراء يوم من أيّامِ الله » [٦] .

حقّاً إنّه من أيّامِ الله التي انتصر فيها الحقُّ على الباطل ، والقلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ؛ إنّه يوم نجّى الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام من فرعون وقومه ، فصامه موسى شكراً لله عزَّ وجل ، فلما قدمَ رسول الله ﷺ إلى المدينة وعلِم بصوم اليهود لهذا اليوم سأل عن سبب ذٰلك فقالوا له : إنّهم يعظمونه ؛ لأنّه اليوم الذي نجّى

---

(١) أخرجه مسلم ، وانظر لبيان معناه « شرح مسلم » (٨ / ٥٥) .

(٢ ، ٣ ، ٤) أخرجها مسلم .

(٥) « صحيح الترغيب والترهيب » .

(٦) أخرجه مسلم

الله تعالى فيه موسى من فرعون ، فقال رسول الله ﷺ : « فأنا أحقُّ بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه [١] .

وكانَ صومِ عاشوراء في بداية الأمر واجباً ، فلمّا فرض الله رمضان قال عليه الصلاة والسلام : « من شاء صامَ ومن شاء تركَ » ورغّب في استحباب صومه مبيّناً أنّه يكفِّر السنة الماضية .

وقد يقول قائل : كيف يصوم الرسول عليه الصلاة والسلام عاشوراء اقتداء باليهود مع أننا أُمرنا بمخالفة اليهود المغضوب عليهم ؟

ويَرُدُّ على هٰذا القائل بأنَّ الرسول ﷺ كانَ يصومه في الجاهليّة ، بل كانت قريش تصوم يوم عاشوراء ، إذن كان الرسول عليه الصلاة والسلام يصومه قبل قدومِه للمدينة ، ثم تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام لليهود في إخبارهم بأنَّ يوم عاشوراء نجّى الله فيه موسى فصامه موسى شكراً لله تعالى فهم يعظمونه لذٰلك ، ولقد جوّز المازري احتمال أن يكونَ أُوْحِيَ إليه بصدقهم ، وتواتر عنده الخبر بذٰلك ، أو أخبره به من أسلمَ منهم كابن سلام ، وعلى كلِّ حال فلم يصمه اقتداء بهم فإنه كان يصومه قبل ذٰلك ، وكانَ ذٰلك في الوقت الذي فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم يُنْهَ عنه [٢] .

قاعدة الموافقة تقتضي المُشابهة :

فرسول اللهِ عليه الصلاة والسلام لم يوافق اليهود في تعظيم ذٰلك اليوم على طريقتهم بل خالفهم بصوم يوم قبل العاشر من محرم وهو التاسع .

أما صوم يوم بعده ؛ فقد وردَ فيه حديث : « صوموا يوم عاشوراء وخالفوا

(١) أخرجه البخاري .

(٢) انظر « فتح الباري » (٤ / ٢٤٨) .

اليهود صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً » فقد ذكر الشيخ الألباني في تعليقاته النفيسة على « صحيح ابن خزيمة » (٣ / ٢٩٠) أنّ إسناده ضعيف ؛ لسوء حفظِ ابن أبي ليلى ، وخالفه عطاء وغيره ، فرواه الطحاوي والبيهقي عن ابن عباس موقوفاً ، وسنده صحيح .

ولهذا تعلم - أخي القارئ - ضعف قول من قال: إنَّ صيام عاشوراء مراتب أعلاها أن تصومَ يوماً قبله أو يوماً بعده ، ويبقى قول الصحابي ابن عباس شاهداً قوياً على صوم التاسع والعاشر لتحقيق مخالفة اليهود ، ولهٰذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيميّة في « مجموع الفتاوى » (٢٥ / ٣١٢) ، والله أعلم .

ويلحق بموضوعنا مبحث هام وهو :

التحذير من بعض الأَحاديث الضعيفة في فضل عاشوراء :

١ - « من وسَّع على عياله في يوم عاشوراء ، وسَّع اللَّهُ عليه في سنته كلِّها » .

ضعيف كما في « تمام المنّة » للأَلباني (ص ٤١٢) .

٢ - « من اكتحل بالإِثمد يوم عاشوراء لم يرمد أَبداً » .

موضوع كما في « الضعيفة » (٢٢٤) .

وموقف أَهل السنَّة من يوم عاشوراء بأَنَّه ليس يوم مزح ولا قدحٍ ، والسنَّة صومه، كما صامه رسول اللَّه ﷺ بل ورغَّب في صومه، ولكنْ قاتل اللَّه أَهل البدع .

٣ - حديث «كان ﷺ يعظمه ويدعو برضعائه ورضعاء فاطمة فيتفل في أَفواههم ويأْمر أُمهاتهن أَلَّا يرضعن إِلى الليل » .

ضعيف كما في « صحيح ابن خزيمة » (٢٠٨٩) .

وختاماً : هذا ما يسَّره اللَّهُ تعالى في هذا المبحث المهم عن أَحكام شهر الله

المحرَّم ، وإنْ كنت أَدعو القارئ الكريم أَنْ يقف بنفسه على هذا المبحث في أُمّات كتب الفقه ، وكتب العقيدة الرادة على أَهل البدع وغيرها من الكتب التي عُنيت بهذا الموضوع .

وأَنْ يطلع على كتاب ابن تيميَّة « رأْس الحسين » ، وكتاب « استشهاد الحسين » لابن كثير ، وكذا كتاب « العواصم من القواصم » لابن العربي المالكي ، ليعلم حقيقة فتنة الحسين بن علي رضي اللَّه عنهما من منظور أَهل السنَّة السلفيين ، وليعلم حجم البدع والمنكرات التي يقيمها الرافضة باسم حب آل البيت والتشيُّع لهم ، وليكونَ على بصيرة من تاريخه ومن خلال الأَخبار المرويَّة في تلك الفتنة العظيمة ، والتي ما زالت الأُمَّة إِلى اليوم تدفع ثمنها ، وبتشويه التاريخ الإِسلامي ، كل ذلك باسم التشيع لآل البيت ، وتكفير الذنوب بمقتل الحسين بقتل أَهل السنَّة ، وتدبير المؤامرات ضدَّهم ، وزرع الخوف في نفوسهم ، فقاتل اللَّه أَهل البدع والأَهواء يقاتلون أَهل الإِسلام ويتركون أَهل الأَوثان .

نسأَل اللَّه تعالى السَّلامة من البدع ، ومن المحدثات في الدين .

مسائل وأجوبتها

المحدّث العلّامة محمد ناصر الدين الألباني

السؤال : ما هي الأُسس التي من خلالها يمكن للعالم الإسلامي أن ينهض من جديد ؟

الجواب : الذي أعتقده هو ما جاء في الحديث الصحيح الذي هو جواب صريح على مثل هذا السؤال وأمثاله التي تطرح في العصر الحاضر ، وهو قوله ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد في سبيل اللّه سلط اللّه عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم »(١) ، فالأساس هو الرجوع إلى الإسلام .

وهذا الأمر قد أشار إليه الإمام مالك - رحمه اللّه - في كلمة مأثورة تكتب بماء الذهب ، وهي قوله : من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، اِقرأوا قول اللّه تبارك وتعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً** ﴾ ، فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً ، **ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها** .

(١) « الصحيحة » (١١) .

هذه الجملة الأخيرة هي بيت القصيد فيما يتعلق بالجواب عن هذا السؤال ، حيث قال رحمه الله : **ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها** ، فكما أن العرب في الجاهلية ما صلح أمرهم إلا بعد مجيء نبيهم محمد ﷺ بوحي السماء الذي أسعدهم في الدنيا ، وسينجيهم في الأخرى ، فالأساس الذي ينبغي أن تكون عليه الحياة الإسلامية السعيدة في هذا الزمان ليس إلا الرجوع إلى الكتاب والسنة .

غير أن هذا الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل ؛ لكثرة الجماعات والأحزاب الإسلامية الموجودة في الساحة والتي تدّعي لنفسها أنها وضعت المنهج الذي يُمَكِّنها من تحقيق المجتمع الإسلامي والحكم بالإسلام .

ونحن نعلم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أن السبيل إلى تحقيق ذلك إنما هو سبيل واحد وهو ما ذكره الله عز وجل بقوله : ﴿ **وأَنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله** ﴾ ، ولقد وضحه رسول الله ﷺ لأصحابه ؛ فقد خط لهم يوماً خطاً مستقيماً على الأرض ثم خط على جانبيه خطوطاً قصيرة ، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام وهو يمر بأصبعه الشريفة على الخط المستقيم الآية السابقة ، ثم أشار إلى الخطوط التي على جانبي الخط المستقيم ، ثمَّ قال : « هذا سبيل الله وهذه السبل على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو له »[(١)] .

وقد أكّد ربنا عز وجل بآية أخرى ما ذكر في الآية السابقة مع شرح رسول الله ﷺ لها في الحديث المذكور آنفاً ؛ فقال تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونُصْلِه جهنم وساءت مصيراً** ﴾ ، ففي هذه الآية حكمة بالغة ، فقد عطف سبحانه سبيل المؤمنين على ما جاء به الرسول ﷺ ، وهذه النكتة أشار إليها رسول الله في حديث الافتراق عندما سئل عن الفرقة الناجية فقال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي »[(٢)] .

---

(١) صحيح ، كما في « ظلال الجنة في تخريج السنة » (١٦ ، ١٧) .

(٢) « الصحيحة » (٢٠٣) .

فما هي الحكمة في ذكر الله عز وجل في هذه الآية سبيل المؤمنين ؟ وما هي النكتة في عطف رسول الله ﷺ أصحابه على نفسه في الحديث السابق ؟

الجواب : أن هؤلاء الصحابة الكرام هم الذين تلقوا الوحيين من رسول الله ﷺ مبيّناً منه لهم مباشرة دون واسطة كما هو شأن من جاء من بعدهم ، ولا شك أن الأمر كما قال رسول الله ﷺ : « إن الشاهد يرى مالا يرى الغائب »[1] ، ولذلك كان إيمان الصحابة الأولين أقوى من إيمان مَن جاء بعدهم ، وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ في الحديث المتواتر : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، وعلى هذا فلا يستطيع مسلم أن يستقلّ بفهم الكتاب والسنة بشخصه ، بل لابد أن يستعين على فهمهما بالرجوع إلى الأصحاب الكرام الذين تلقوا ذلك عن النبي ﷺ مفسراً تارة بقوله ، وتارة بفعله ، وتارة بتقريره .

فإذن من الضروري جداً أن نضمّ إلى الدعوة إلى الكتاب والسنة السَّيْرَ على ما كان عليه سلفنا الصالح ؛ إعمالاً لما سبق ذكره في بعض الآيات والأحاديث المتقدمة حينما ذكر الله سبيل المؤمنين ، وذكر نبيه الكريم وأصحابه إلى فهم الكتاب والسنة على ما كان عليه سلفنا الأول من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم بإحسان .

ويأتي هنا سؤالٌ هام جداً يغفل عنه كثير من الجماعات أو الأحزاب الاسلامية ، ألا وهو : ما هو السبيل إلى معرفة ما كان عليه أصحابه من فهم وتطبيق لهذه السنة ؟

الجواب : لا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى علم الحديث ؛ علم مصطلح الحديث ، وعلم الجرح والتعديل ، وتطبيق قواعده ومصطلحاته حتى يتمكّن العلماء من معرفة ما صحَّ عن النبي ﷺ مما لم يصح .

وكي نختتم الجواب نقول بعبارة أوضح للمسلمين الذين يريدون أن يعيدوا العزة للإسلام ، والمجد للإسلام ، والحكم للإسلام : لا بد لكم أن تُحقِّقوا أمرين اثنين :

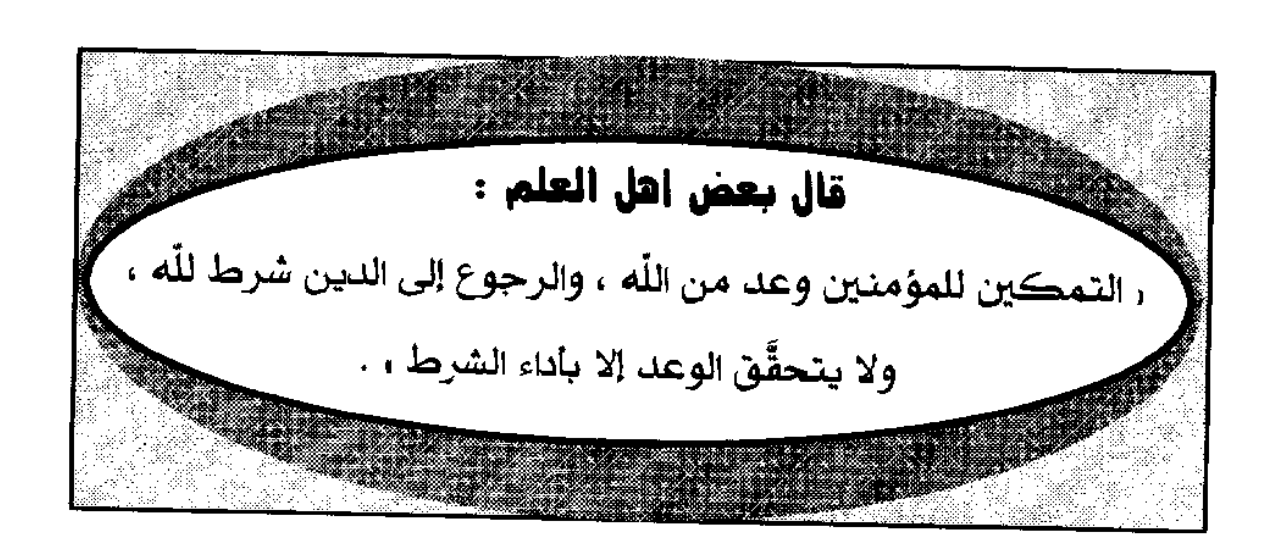
(١) « صحيح الجامع » (١٦٤١)

أمّا الأمر الأوّل : فهو أن تُعيدوا إلى أذهان المسلمين شريعة الإسلام مصفَّاة من كل ما دخل فيها مما لم يكن منها يوم أنزل اللّه تبارك وتعالى قوله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً** ﴾ ، وإعادة هذا الأمر اليوم كما كان في العهد الأول يحتاج إلى جهود جبارة من علماء المسلمين في مختلف أقطار الأرض .

والأمر الآخر : ينبغي أن يقترن العمل الجادّ الدؤوب بهذا العلم المصفَّى .

ويومَ يعودُ المسلمون إلى فهم دينهم كما كان يفهمه أصحاب رسول اللّه ، ثم يعملون على تطبيق هذا الإسلام المصفى تطبيقاً عملياً صحيحاً في جميع مناحي الحياة ، يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر اللّه .

هذا ما أستطيعُ قوله في هذه العجالة سائلاً اللّه لنا ولعامة المسلمين أن يُفَهِّمَنا الإسلام فهماً صحيحاً على ضوء كتابه وسنة رسوله الصحيحة وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح ، وأن يوفِّقنا للعمل بذلك ، إنَّه سميع مجيب .



أحوال العالم الإسلامي

التحرير

● كونفدرالية في سراييفو :

استطاع (العَرّاب) الأنجلو أميركي أن يعقد اقتراناً غير متناظر بين مسلمي البوسنة (وكرواتها) ؛ فَأُعلن قيام اتحاد كونفدرالي بينهما ... حيث خُيِّل لمخدوعي المسلمين أنهم يستطيعون تحييد (الكروات) ومن ثم استعطاف حلف الأطلسي لِيَفي بوعده ؛ ﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ أو ذلك بتوجيه ضربات جوية لجموع الصرب التي تضيّق الخناق على كل قرية في البوسنة على مرأى ومسمع مجلس الشقاق والنفاق .

ولكن الأماني طاشت ، والأحلام تبخرت وإذا بمرتزقة الأحابيش الدوليين - الذين زعموا حماية المستضعفين من الشيوخ والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً - يقترفون الموبقات فيمارسون الفاحشة مع النساء المسلمات وسط سراييفو ، ولم يقنعوا بذلك بل أجبروهنّ على امتهان (البغاء) !!

وإذا بحشود الصرب تُحكم الحصار على جيب (جورازد) شرقي البوسنة لترتكب مجزرة ستبقى وصمة عار في جبين شريعة الكفر الدولية ، وسبة شَنَار في وجه دعاة الإنسانية .

ومن العجائب - والعجائب كثيرة - أنك لا تقرأ في مفردات معجم السادة والكبراء إلا الشجب أو الاستنكار ، ثم رفْع ذلك إلى حاضرة الاستعمار ، والجثو بكيّاً أمام أسوار قلعة الأشرار في عاصمة سيدة العالم الحرّ ... وقد قيل ... وما أحسن ما قيل لأمثال هذا القبيل :

من يهن يسهل الهوان عليه مـا لـجرح بميت إيـــلامُ

● جراح المسلمين كيف يستثمرونها ؟

صورة أفجع من أنين الثكالى والأيامى والأيتام الذين فُجعوا بآبائهم أو إِخوانهم أو أبنائهم يمارسها المتاجرون بدماء المسلمين ... فما حدثت مجزرة ، أو نشبت حرب ، أو حصلت مجاعة إلا وظهر في سوقها شرذمة يقطفون ثمارها وكلٌّ بحسبه :

فـ « الساسة » يسارعون إلى تمرير مخططاتهم حيث يدفعون بالأمة إلى هاوية اليأس لتردد معهم (ليس بالإمكان أبدع مما كان) ! و (ولو اطلعنا على الغيب لاخترنا الواقع) ! تحت شعار الذل ودِثار الخزي (خُذْ وطالب) (!)

و« سماسرة الحروب وتجار الشعوب » يملؤون الجيوب من الأموال التي تنهال من كل حدب وصوب للتخفيف من الجراح وتزويد المستضعفين بالسلاح ... ولكن الملايين لا تصل إلا إلى أذناب الأحزاب .. والشواهد تملأ مئةَ كتاب .

و« محاربو الفنادق » يطلبون الطعن والنزال في الغرف المغلقة والدهاليز المظلمة تحت قرع الكؤوس التي تدير الرؤوس ، وحاديهم يترنَّم معارضاً عمرو بن كلثوم :

(أَلا هُزِّي بِخَصْـرِك فاطِربينا)

ولا تبْقي خمـورَ الأنـدرينـــا

وإنْ ذبـح اللـئام لنا رضـيـعـاً

مَلَأْنا الجَيْـبَ زَلْـزَلنا اليقيـنـا

ألا ما أغرب هذا الحال ! ما أعجب هذا المآل ! ... أمة نكبت بأيدي أَبنائها قبل سيوف أعدائها ... والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

القراء ... منهم وإليهم

التحرير

□ وصلت رسالة إلى (**الأصالة**) من الأخ الفاضل مصطفى عيد الصياصنة من السعودية مثقلة بالأشواق الحارة ، يقول فيها : السَّلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

لقد اطَّلعت على ما صدر إلى الآن من أَعداد (**الأَصالة**) الغرَّاء ، وإِنِّي إذ أَشكر لكم جهودكم الطيِّبة في إِصدار هذه الرِّسالة التي تعبر تعبيراً صادقاً عن **المنهج السَّلفي الأَصيل** ، الذي طالما تُقْنا إِلى ذلك اليوم الذي نرى له فيه منبراً إعلاميًّا متميزاً يشق طريقه ، ويُثْبِت فاعليته وأَثره في خضمٍّ عالم يموج بالأَفكار الزائفة والعقائد الفاسدة ، والتوجهات الضَّالة التي لا تقوم على أسٍّ أَصيل ، ولا تعتمد على برهان أو دليل ، ولا تستضيء ببازغة علم أَثيل ، وأَنا إِذْ أَتمنَّى على اللَّه تعالى أَنْ يجعل عملكم لوجهه خالصاً وعلى طريقه سداداً ، فإِنَّني أَود المساهمة معكم ببعض ما لدي ... واعداً إِيَّاكم باستمرار المواصلة على الدرب الواضح المسدد بما يوفقنا اللَّه إِليه .

(**الأَصالة**) تحيِّي الأَخ الفاضل مصطفى الصياصنة على تعاونه وجهوده ، وترحب به أَخاً وصديقاً وكاتباً من كتَّابها ، وتتمنَّى له المزيد من فضله ، وهي على استعداد لنشر كل نافع طيب من مشاركات الأُخوة ، علمية أَو أَدبيَّة ، كما تشكركم

على ثنائكم عليها وعلى القائمين عليها ، راجينَ أن نكونَ عند حُسْن الظنِّ ، وأن يوفِّقنا اللهُ لكلِّ خيرٍ وبرّ ، واللَّه يحفظكم ويسدد خطاكم .

□ ووصلت إِلى (**الأصالة**) رسالة من مدير مركز الدعوة والإِرشاد بدولة البحرين الشيخ سليمان بن عبداللَّه الطريم .

وقد استلمها رئيس التحرير أَثناء زيارته للبحرين وأطِّلاعه على نشاط مركز الدَّعوة العلمي والدعوي ، مما كان له أَكبر الأَثر الطيِّب في توجيه الصحوة الإِسلاميَّة في البحرين نحو الخير والاعتدال ، وتصحيح العقيدة واتباع السنَّة ضاماً جهده إلى جهود المخلصين من طلبة العلم ، وبعض الجمعيَّات الإِسلاميَّة التي تتبنّى منهج السَّلف الصالح ، فجزى اللَّه الجميع خيراً .

وتحوي الرسالةُ - بعد السلام وشيء من الثناء - على تعريف بالمركز وأهم نشاطاته ، ثمَّ قال :

لقد تم إِنشاء مركز الدعوة والإِرشاد بدولة البحرين عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، وكان الغرض من إِنشائه نشر الدعوة ، وتوعية الجاليات ، ونشر تعاليم الإِسلام ومبادئه لغير المسلمين ، وذلك بتوزيع الكتيِّباتِ التي تحتوي على مبادئ الإِسلام وتعاليمه السمحة باللغة العربيَّة واللغات الأُخرى ، وإِقامة الندوات والمحاضرات ، وكذلك إِقامة الدروس الدينية بمختلف مساجد البحرين ، والرد على أَسئلة السَّائلين واستفساراتهم بواسطة لجنة الفتوى بالمركز .

كما يحتوي المركز على مكتبة عامرة ، يبلغ عدد المشتركين بها حوالي (٢٦٠٠) مشترك ، وتتبع نظام الإِعارة ، وكذلك المطالعة داخل المكتبة ، وكذلك المكتبة الصوتيَّة التي تحتوي على الكثير من المحاضرات والندوات التي يقوم بِإِلقائها العلماء والمشايخ ، وكذلك قراءات القرآن الكريم .

وفي مجالات الدورات والمحاضرات ، قام المركز مؤخَّراً بتنظيم دورة في الفقه ، وكذلك سيعقد دورة في القرآن الكريم وعلومه .

وبعد ؛ فهذه بعض أهداف المركز ، وبعض نشاطاته التي أَسأَل الله تعالى العلي القدير أَنْ ينفع بها الجميع ، وأَن يوفِّقه لخدمة الإِسلام والمسلمين .

و (**الأَصالة**) تبارك جهود الأُخوة في مركز الدعوة والإِرشاد ، وتسأَل الله لهم المزيد من التوفيق والسداد في خدمة دعوتنا الإِسلاميَّة وعقيدتنا السَّلفيَّة ، وتحيات أُسرة (**الأَصالة**) لجميع العاملين في حقل الدعوة الإِسلاميَّة في البحرين الشقيق بخاصّة ، وفي كلِّ بلاد المسلمين عامّة .

□ تودُّ (**الأَصالة**) أن تُنبِّهَ قُرّاءَها الأفاضلَ من طلبةِ العلمِ على بعضِ **الأخطاءِ المطبعيّة** التي وقعت في العدد السابق / العاشر ؛ وذلك لظروف خاصّة خارجةٍ عن الوُسْعِ ، مُعتذرةً عن ذلك أشدَّ الاعتذار ، مُذَكِّرةً أَنَّ كلّ **عملٍ بشريٍّ** مهما اجتهدَ في إتْقانِه ، فإِنَّ مواردَ الخطأ والزَّلَلِ إليه واصلةٌ دونما شكٍّ .

وأهمُّ ما **يجبُ** التنبيهُ عليه هو ما وقع في مقال الأخ الفاضل الودود الشيخ خالد العنبري حفظه الله : « الطريق إلى الحُكمِ بما أنزلَ الله » (ص ١٨) حاشية رقم (١) السطر الخامس والسادس من الحاشية ، وذلك قوله : « وليسَ ينسحبُ بحالٍ على جميعِ الحكّام في كلِّ الأزمان ، **ولا** على من تلبَّس بمثلِ ما تلبّسوا به من نواقض الإسلام .. » .

فالصوابُ في ذلك : « .. **إلّا** على مَن تلبس بمثلِ .. » إلخ .

وقريبٌ من هَذا الخطا أيضاً ما وقع في الصفحة نفسِها ، والحاشية ذاتها مِن قولِه : « والدليل على أنَّ ابنَ كثير **لم** يذهب إلى ما ذهب إلى ما ذهب إليه هؤلاء المفسّرون .. » .

فالصوابُ حذفُ حرف (لم) .

وهناك أخطاءٌ أخرى أقلُّ أهمّيةً من هذه لا تخفى - لوضوحها - على قرّائنا الألبّاءِ ؛ الحريصين على سلامة النهج ، ونقاوة السبيل ، ولكنْ لا بُدَّ ممّا ليسَ منه بدٌّ ! مُكرِّرين الاعتذارَ من الإخوة القرّاء عموماً ، والأخ كاتب المقال خصوصاً ، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح .

السَّليم و المقعد !

التحرير

عندما ينشغل الصِّغار - من طلبة العلم والمبتدئين فيه - بالمسائل الكبار ، التي لم يَحُطْ العلماء المحققون الأَخيار على قول واحدٍ فيها !

وعندما تراهم مندفعين على الإِصرار أَنَّ القول الحق فيها عندهم فحسب ، وكل من يخالفهم ليس إِلَّا ضال ... أَو مارق .... أَو مرجئ ... أَو مبتدع .

وعندما تسمع تطاول هؤلاء على البقيَّة من السَّلف الصالح ، ونبزهم إِيَّاهم بأَبشع الأَقاويل وأشنعها ! .

وعندما يتكلَّم هؤلاء غير مبالين بأَحدٍ ، ويتداعون فيما بينهم على إِسقاط (فلان) ومحاربة (علَّان) !

... فاعلم أَنَّ هؤلاء ممن يمهِّدون للانحلال والفساد بين المسلمين - سواءٌ علموا أم جهلوا ! وأحلاهما مرٌّ ، وخيرهما شرٌّ ! - وأَنَّهم يمكِّنون للضعف والخور في نفوسهم ، وللوهن والفشل في عزائمهم ، وللزيغ والاعوجاج في فطرتهم ، وللرثاثة والنكث في روابطهم .

واعلم أَنَّ هؤلاء الرهط ولو جمعهم (نظام) وكان بينهم (انسجام) ، فهم

على كثرة (اللدد) في الخصومة ، ووفرة (اللجاج) في المعارضة ، ومصائب (التّفرق) و (الخلاف) فيما بينهم ؛ فإنَّ مصيرهم ومآلهم إلى يباب وتباب ، وحقيق أَن يُكتب على قفاهم : (لا يفلحون) !

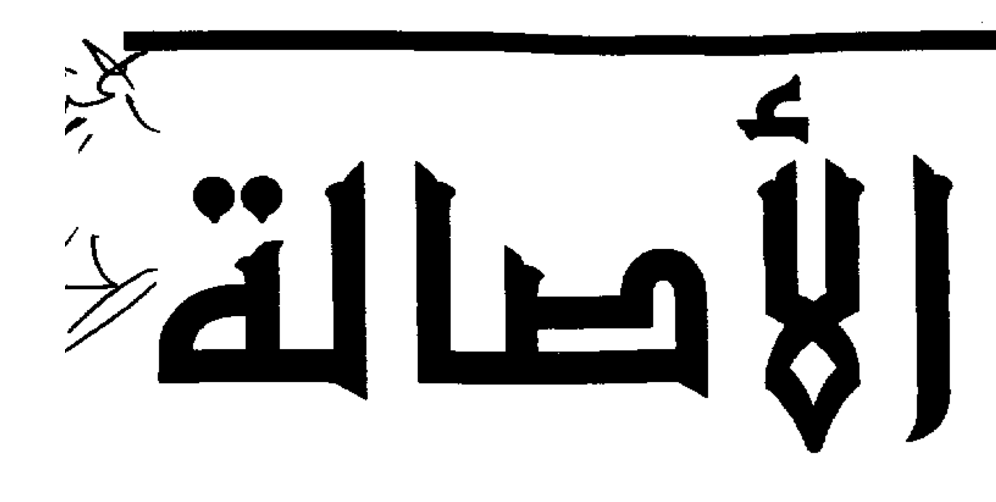
والعجب من أَهل هذا الزّمان ، ولا سيَّما ممن له اشتغال بـ (مَشك) القلم بالبنان ، فأَصبح الواحد منهم إنْ أَراد أَنْ يظهر اسمه ويطير في الرّكبان ، ويلمع نجمُه في سائر الأَصقاع والبُلدان ، فليكتب ردّاً على أحدٍ من (أئمة هذا الزّمان) ، أَو ينشر شريطاً ينبز ويطعن في بعضهم من غيرِ وازعٍ ولا إيمان .

وهم في ذلك كُلِّه مُتَعَنِّتونَ ، مُتكلِّفونَ ، سيِّئوا الظنِّ ، سوداويُّو النظرةِ يجهلونَ أبجديّاتِ العلمِ ، وتخفى عليه ضروريّاتُه !!

وهؤلاء الطاعنون وأَولئك النابزون - والذي رفع السَّماء ووضع الميزان - لو أَطبقوا على مدحِ بعضٍ من أئمّةِ العلمِ هؤلاء ، لما التفت إِليهم أَحد من أَهل الفن والشأن ، فما بالك في قدحهم وقولهم الشان !

ورحم اللَّه من قال :

لا ترغبن بذكرنا عن ذكرهم
ليس السليم إذا مشى كالمقعد



عَودةٌ إلى الكتابِ والسُّنّة بفهم سَلَف الأمّة

رسالةٌ إسلاميّةٌ مَنهَجِيّةٌ جامِعَةٌ

العدد الثاني عشر - السنة الثانية

١٥ صفر ١٤١٥هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نصر

ص.ب ١١٣/٥٣٢٨
بيروت - لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للَّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أَعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلّا وَأنتُم مُسلِمون ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأَرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء:١] .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب:٧١] .

أَمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

المحتوى

نحنُ .. والسياسة !

التحرير

النَّظرُ في واقعِ الأُمّةِ يُحَيِّرُ الأَلبّاء ، ويُدْهِشُ الأَذكياء ، ويُوقعُ (اليأسَ) في قلوبِ الضُّعفاء !

والسعيُ في وُجوبِ إخراجِ هذه الأُمّةِ من مصائِبِها ، والمضيّ بها إلى عزِّها ، والانطلاق بها إلى نهضتها : أمرٌ لازمٌ على كُلِّ مسلمٍ قادرٍ على حَسْبِ استطاعتِه وقُدرتِه .

والمَسْلَكُ الّذي لا طَريقَ سواهُ ، ولا حلَّ غيرُه ، هو رَبْطُ الأُمّةِ بماضيها ، وَوَصْلُها بتُراثِ أَسلافِها ، وإِقامتُها على جادّةِ كتابِ ربِّها سبحانه ، وسُنّةِ نبيّها ﷺ .

.. فهذه قضايا ثلاثةٌ مهمّةٌ غايةً :

معرفةُ حاضر الأُمّةِ ..

معرفةُ وجوبِ الخلاص ..

معرفةُ سبيل النّجاة ...

... وهذه القضايا مُرتبطٌ بعضُها ببعضٍ ، وآخذٌ بعضُها برقابِ بعضٍ ، فلا تَنْفَصِمُ عُراها ، ولا تتجزّأ أحكامُها .

ونحنُ - دعاةَ السُّنّةِ - حريصونَ الحِرْصَ كلَّه على هذا الارتباط الوثيق بهذا النَّظَر العميق ، بعيداً عن كثرةِ القيل والقالِ ، أَو الطيرانِ في أَجواءِ الخيال !!

من أَجل ذا فإِنّنا سائرون على نَهْجِ التأْصيلِ العَقَديّ ، والتربيةِ المنهجيّة ، والبناءِ الفِكريّ - في ضَوءِ طريقةِ التصفية العلميّة والتربية الإيمانيّة - ممّا سَيُنْتِجُ بَعْدُ خلاصاً أَكيداً مِن دَرَكاتِ سوءِ الأَحوال ، إِلى دَرَجاتِ العِزّةِ والكمال ، بمنّةِ ذي العزّةِ والجلال ..

وهذا السَّيْرُ الحثيثُ لا يمنعُنا - شَرْعاً ولا واقعاً - من التطرُّقِ - أَحياناً - لبعضِ القضايا الّتي تَشْغَلُ عامّةَ الناسِ ، وتتردّدُ على مسامِعهم عَبْرَ الخُطَبِ والمَنابرِ ، فضلاً عن وسائلِ الإِعلام الرّسميّة أو الخاصّة ؟ ليعلموا مِن ذلك القولَ الحقَّ الخالي مِن التشويه ، والنقيَّ من شوائبِ التمويه ...

والإِعراضُ عن مثل هذا الطَّرْقِ يُسَمّى عند هؤلاءِ الكثير هُروباً عن الواقع ، أَو جهلاً بالسياسة !!

ونحن - دعاةَ السُّنّة وطَلَبةَ العلم - لَسْنَا نَعيشُ تَبعاً لأَهواء العامّة ، أَو أَذواق (الخاصّة) ، وإِنّما ننطلقُ فيما نُبْقي أَو نَذَرُ مِن قواعدَ علميّة راسخةٍ ، مَبْنيّةٍ على فتاوى العُلَماء ، وإِرشاداتِ الكُبَراء مِن أَهلِ العلمِ والفُقهاء .

وعليهِ ؛ فإِنَّ طَرْقَنا لبعضِ تلك (المواضيع) أَو تَرْكَنا لها إِنّما هو في حدِّ ذاتِه نَظْرَةٌ سياسيّة .. لكنّها شرعيّةٌ :

فالسياسة الشرعيّةُ هي رعايةُ شؤونِ الأُمّةِ بما يُصْلِحُ أَحوالَها على ضَوْءِ الكتابِ

والسنّةِ ..

فليستُ السياسةُ (عندنا) مطيّةً جماهريّةً ..

وليست السياسةُ (عندنا) تأْثيراً حماسيّاً ..

وليست السياسةُ (عندنا) أُسلوباً تَهْييجيًّاً ..

وليست السياسةُ (عندنا) أَساساً تَغييريّاً ..

.. بل السياسةُ الحقّةُ : هي العَمَلُ بالكتابِ والسنّةِ ..

السياسةُ الحَقَّةُ : تعريفُ الأُمّةِ بحقيقةِ الداء ..

السياسةُ الحقّةُ : الخروجُ من السياساتِ الباطلةِ .. ذات الآراءِ العاطلة ...

﴿ وإذا جاءَهم أَمرٌ من الأَمنِ أَو الخوفِ أَذاعوا به ولو ردُّوه إلى الرَّسولِ وإلى أُولي الأَمرِ منهم لعلمه الذين يستنبطونَه منهم ولَوْلَا فَضْلُ اللهِ عليكم ورحمتُه لاتَّبَعْتَم الشيطانَ إلّا قليلاً ﴾ .

والهادي هو الله ، وهو - سبحانَه - المُستعان .

اَلأمرُ اَلأوَّلُ ...

علي بن حسن

تختلفُ نَظَراتُ المُصْلحين فيما بينَهم حولَ ماهيّةِ الطريقِ الأَمثلِ الذي فيه المَخْرَجُ مِن الواقعِ السَّيِّئِ الذي تَعيشُه الأُمّةُ الإسلاميّةُ مِن أَدناها إِلى أَقصاها ..

وعلى اختلافِ نَظَراتِهم تتفاوتُ طرائقُهم المنبثقةُ من هاتيك النظراتِ .. ممّا يُؤدّي - حتْماً - إِلى واقعٍ سيِّئٍ جديدٍ أَثمره ذلك الاختلافُ الفكريُّ والعمليُّ بين هؤلاءِ المُصْلحين أَنفسِهم !

ولو أنَّ هؤلاء المُصْلحين - أَصلحنا اللهُ وإِيّاهم ! - سدّدوا نظرتَهم ، وعمّقوا فِكرتَهم ، وانطلقوا في أَفكارِهم وتنظيراتِهم من واقعٍ يعيشونَه ، وحاضرٍ يَحْيَوْنَه ، لَرَأَوْا - جميعاً - أَنَّ قاعدةَ ذاك الطريقِ الأَمثلِ بَيِّنَةٌ أَمامَهم ، ظاهرةٌ قُدَّامَهم .

.. لكنَّ غمرةَ انشغالِهم بالنَّظرياتِ المثاليّةِ ، والتفكيراتِ (الحَرَكيّةِ) جعلتهم ينشغلونَ - في كثيرٍ من الأَحيانِ - عن حقيقةِ الدَّاءِ .. وبالتالي يغيبون عن سدادِ النظرةِ ومعرفةِ الدواء » .

ورسولُنا – صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه – بما آتاه اللهُ عزَّ شأنُه من وَحْيٍ بيَّن لنا في كثيرٍ من أَحاديثِه وسُننه حقائقَ الأُمورِ وماهيّتَها ممّا ستُصابُ به هذه الأُمّةُ ، وممّا سيكون واقعاً فيها ، مُتلبساً بها .

ولو أَردنا استقصاءَ هذه النُّصوصِ – أَو محاولةَ ذلك – لطالَ بنا القولُ ، وامتدَّ بنا النقلُ .. لكنْ نكتفي ها هُنا بذكر حديثٍ واحدٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ يُبيِّنُ لنا مِن خلالِه الداءَ والدواءَ :

فعن أَبي واقدٍ اللّيثيّ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ – ونحنُ جُلوسٌ على بساط – : « إِنّها ستكونُ فتنةٌ » .

قالوا : وكيفَ نفعلُ يا رسولَ الله ؟

فردّ يَدَه إِلى البساطِ فأَمسكَ بهِ فقال : « تفعلون هَكَذا » .

وَذَكَرَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ يوماً « إِنّها ستكونُ فِتْنَةٌ » فلم يسمعْه كثيرٌ من النّاسِ ، فقال معاذُ بن جَبَلٍ : أَلا تَسمعونَ ما يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ ؟! فقالوا : ما قال ؟

قال : « إِنّها ستكونُ فتنةٌ » .

قالوا : فكيفَ لنا يا رسولَ الله ؟

وكيفَ نصنعُ ؟

قال : « **ترجعونَ إِلى أمرِكم الأَوّلِ** » [1] .

---

(١) انظر تخريجه في كتابي « التصفية والتربية » (ص ٨ – الطبعة الثانية) .

فهذا الحديث النبويّ يُبيِّنُ لنا صراحةً وبكلِّ وضوحٍ ، ومِن غيرِ خفاء .. حقيقة الداء .. وأَساسَ الدواء ..

فالدواء هو الرّجوعُ الواثقُ إِلى الكتابِ والسنّةِ ، والدعوةُ إِليهما ، والتربيةُ عليهما ..

الدواءُ هو الرجوع إِلى الأَمرِ الأَوّلِ بِسَمْتِه السويِّ ، وهَدْيه النقيّ ..

الدواءُ هو الرّجوعُ إِلى الأَمرِ الأَوّلِ تحت ظِلالِ الاتّباعِ .. بعيداً عن ضَلال الابتداعِ ..

الدواءُ هو النَقْلَةُ الإِيمانيّةُ والفكريّةُ الّتي تُخْرِجُ الأُمّةَ مِن زُبالاتِ الأَفكارِ الوافدة ، وتُرقِّيها وتُصْعِدُها إِلى قاعدةِ مَجْدِ سَلَفها الصالحِ ؛ لِتَسْلُكَ دَرْبَه ، وتَتَّبعَ سَبيلَه ..

فتكونَ لها الهدايةُ .. كما له الهداية ..

وتكونَ لها النجاةُ كما له النجاةُ ..

المبادئ ..... أم الأشياء؟!

مشهور بن حسن

يعيش المسلم في دنياه ليحقّق مبادئ دينه ، فهو يزن (الأشياء) و (الأحداث) و (الأشخاص) بميزان الشريعة ، ومبادئ دينه هي المسيطرة على سلوكه مع نفسه ومع ربه ومع غيره ، فهو مضبوط بتصرفاته وأفعاله وأقواله ، بل في سكناته وخلجات قلبه .

أما الكفّار فيتعلّقون بـ (الأشياء) ، ولا مبدأ عندهم ، بل إنهم يلبّسون على أنفسهم وعلى غيرهم ، فعندما يكاد يصلُهم أثر العقيدة ، ويرون أنه أوشك أن يمتدَّ إليهم ويقتلعهم فإنهم يركنون إلى (أشيائهم) من أموالٍ ومتاع وأولاد !

قال اللّه تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مُتْرَفُوها إنّا بما أُرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذّبين ﴾ فهم يرون أن العذاب لا يصلُهم لأن عندهم أموالاً وأولاداً !! ولذا يردُّ عليهم اللّه عز وجل بأن يرجعوا إلى أشيائهم هذه لعلها تنقذهم على حسب زعمهم !!

قال تعالى : ﴿ وكم قَصَمْنا من قرية كانت ظالمةً وأنشأْنا بعدها قوماً آخرين فلمّا أحسّوا بأسنا إذا هم منها يركُضون ، لا تركضوا وارجِعوا إلى ما أُترفتم فيه ومساكنكم

لعلكم تُسألون ﴾ .

ويلفت اللّهُ عز وجل أنظارنا إلى أن (الأشياء) من أثاثٍ ومتاعٍ ، وتعلُّق القلب بها لا تعصم من الهلاك ، فالمجتمعات لا تَسلم بوجود أصول علم (الديكور) فيها ، ولا بتكديس الأثاث (وغرف النوم) بين جدران بيوتها ، ولا في صالاتها ودهاليزها ، فإنَّ ذلك كلَّه غيرُ قادرٍ على إيقاف سنة اللّه عز وجل من الهلاك والإهلاك ، قال اللّه عز وجل : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أحسن أثاثاً وَرِئْياً ﴾ .

فتهافُتُ الناس على تجميل بيوتهم ليبدو (أحسن أَثاثاً ورئياً) والرضى (بالمظهرية) الجوفاء والتعلُّق بالمادَّة والأشياء الشوهاء واستبدالها - أو تقديمها - على التمسك بتعاليم السماء من أسباب الهلاك والفناء !

فهل يدرك الناس أنّ التعامل مع (القيم) و (المبادئ) - التي هي أفضل وأحبُّ إلى اللّه - هي التي تخلِّصُهم مما هم فيه من ذل وهوان ، وأن (الأثاث) و(الأشياء) مهما كانت متقنةً وجميلةً فإنها عاجزةٌ أن تقف في مواجهة مصير الأمة .

فيا ترى ماذا تريد هذه الأمة ؟

وما هو مصيرها ؟

تعرف ذلك من خلال (جمال) أو (قُبح) (مبادئها) لا (أَشيائها) ، ويظهر ذلك على تصرفات أبنائها وجوارحهم ، فالجواب - الحقُّ - عندهم .

واللّه هو الهادي إلى سواء السبيل .

مقام التوحيد ...

عبد المؤمن محمد النعمان

يقول تعالى : ﴿ **وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلتَ للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إنْ كنتُ قلتهُ فقد علمتَه تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب** ﴾ [المائدة : ١١٦] .

وهكذا نَجَا نبيُّ الله عيسى عليه السلام من غلطة بعض النصارى وحُبِّهم المزعوم الذي أوردهم النار وبئس الورد المورود ... عبدوا عيسى ؛ ووضعوه فوق مكانته التي وضعه الله فيها ، فَسَلِمَ عيسى عليه السلام وهلكوا هم ... وما ذاك إلا نتيجة الجهل والحمق والضلال ... قال عيسى عليه السلام ﴿ **سبحانك ما يكون لي** أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ وصدق هذا النبي الكريم عليه السلام فإنه لم يأمرهم ولم يرض بقولهم .

وذاك علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما عبده جماعةٌ من الشيعة وقالوا له : أنت الله ! تبرَّأ من فعلهم وأحرقهم بالنار .

مقام التوحيد مقامٌ عالٍ ، ولن يعرفَ قيمة التوحيد إلا من عرف شؤم الشرك .

كل من عُبد من دون الله وتوَّجهت إليه الوجوه والقلوب لا ينفع العابدين ولا يتضرّر هو مِن عبادتهم إذا لم يَرْضَ بذلك ، ويوم القيامة يكون عدوّاً لهم خصماً لغلطتهم الشنعاء ﴿ إنْ تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويومَ القيامة يكفرون بشرككم ولا يُنَبِّئُكَ مثلُ خبير ﴾ [فاطر : ١٤] .

أجل ... غلطوا ... ومع الأسف بالرَّغمِ من أنَّ كتابَ الله بين أيديهم .. فكانَ ضلالُهم ، وما أبشع الضلال وبالأخص إذا كان النور موجوداً !

قد يضلُّ الشخصُ الساري في الليل المظلم ولكنه قد ينجو لأنه يشعر بالضياع لوجود الظلام فيبيت حتي يطلع الفجر وتتضح المعالم ثمّ يغُذُّ السير ، أما الذي يضلُّ والنهار في شبابه ، والشمس في كبد السماء فلا إخاله إلا هالكاً .

فالتوحيدَ التوحيدَ أيها المسلمون ، فإن آياته في القرآن الكريم أكثر من أن يحصرها قلمي في مثل هذه العجالة من القبسات .

وبالله التوفيق .

حتى لا يكونَ الاختلافُ لعنةً

تحسين إبراهيم الدوسكي

هناك كلمةٌ قالها أَحدُ الدعاة إلى اللّه الذي قضوا نحبهم - نسأل اللّه له العَفوَ والمغفرة - فيها شيء من الحكمة مفادها : أنه ينبغي علينا أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ، وأن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

القاعدة - عند الناظرين إليها ، والمتعالمين بها - أَخذت وجهين من المفهوم ، فمن ناحيةٍ فهمها البعض على أنها دعوة إلى ضم كل من هب ودب بغض النظر عن نوعيته ، ومن ناحيةٍ أُخرى أَضحى الشطر الثاني منها في كثير من الأحيان - ولا حول ولا قوة إلا باللّه مِعْولاً - مِن خلالِهِ - يكفر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ! أو على أقل تقدير : يتهم بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه !

ولعلك - أيها القارئُ الكريم - ستسأل عن السبب الذي يكمن وراء ذلك ، فأقول مستعيناً باللّه :

إن بعضاً من الدعاة طال عليهم الأمدُ ، فقست قلوبهم ، وكلَّتْ نفوسُهم وبَعُدَت عليهم الشُّقَّة فظنوا أنه بالتقائهم مع الجاهلية في منتصف الطريق يمكنهم الانتصار عليها وبأسبابها ، وبذلك يوفرون على أنفسهم عناء الطريق والتضحيات التي ستكون أكثر كلما كان الدرب أطول ، وتم الالتقاء فعلاً تحت مسوّغات شتى وحجج

متنوعة خلاصتها العجز عن مواصلة المسير الشاق في ظل الطواغيت المُقَنعة .. واستمع قليلاً إلى بعض الدعاة إلى الله لتعلم عظمة من لا يعرف المداهنة ولا المهادنة ، قال :
« إن الإسلام لا يمكن أن يلتقي مع الجاهلية لا في منتصف الطريق ، ولا في أول الطريق ، إنّ طبيعته ليست من طبيعتها ، ومن ثم فإن طريقه ليس من طريقها ، ليس هناك من طريق مشترك ولو في خطوة واحدة بين الإسلام والجاهلية ولا بين التصور الإسلامي والتصورات الجاهلية ، وكذلك يبدو مثل هذا الاقتراح وليس له صورة عملية يمكن أن يتخذها وفضلاً على كونه وهماً فإنه هزيمة في أول الطريق .. والهزيمة على هذا النحو ومنذ أول الطريق لا يمكن أن تنشيء نصراً في أية مرحلة من مراحل الطريق ، وأولى للذين يريدون أن يتصالحوا مع الواقع الجاهلي أو مع التصور الجاهلي وأن يلتقوا معه في منتصف الطريق كخطة للوصول إلى النصر في النهاية أن يستسلموا للجاهلية منذ اللحظة الأولى ، وأن يكفُّوا عن المحاولة أصلاً وأن لا يَحْسِبوا على الإسلام محاولة هازلة فاشلة كهذه المحاولة ! » .

وهكذا ضاع الهدف وبضياعه ابْتُلِيت الأُمة بالاختلاف والتنازع وتحقق فيها قول الحق : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ وبالتالي انقلبت القاعدة السالفة رأساً على عقب ، فلم نَعُدْ نتعاون فيما اتفقنا عليه ولا يعذر أحدنا صاحبه فيما اختلفنا فيه ، مع أنَّ الكثيرَ مِنّا ما يزالُ يَلْهجُ بأصل القاعدة صباح مساء .

ابتلينا بالاختلاف الذي هو نقمةٌ فأَردنا أن نخدع أنفسنا بأنه اختلاف رحمة .. اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، وليعمل كلٌّ داخل الإطار الذي اختاره لنفسه حتى تصل السفينة إلى بر الأمان ! أصبحت نوعاً من المهدئات التي اعتدنا على تعاطيها كلما ألمّ بنا صداع التنازع ! وإن كنا نعلم سلفاً أننا بعملنا هذا - أو مقولتنا هذه - إنما نكرس التحزبات والتكتلات ونزيدها عمقاً ونساعد على إنماء الشجرة الملعونة في القرآن والسنة ؛ ﴿ ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ .
والاختلاف على نوعين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية - الذي كان ولا يزال

- بفكره ومنهجِه - شجى في حلوق المبتدعة والمنحرفين - فقال رحمه اللّه [١] :
« الاختلاف في كتاب اللّه نوعان :

أحدهما : يذم فيه المختلفين كلهم ، كقوله : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ ، وقوله : ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ﴾ .

والثاني : يمدح المؤمنين ويذم الكافرين ، كقوله : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ .

فاذا آمنا ببعض الحق الذي معنا وكفرنا بالحق الذي مع خصمنا وزدنا على الحق باطلاً فنكون قد وقعنا في الاختلاف المذموم الذي وقع فيه مَنْ حذرنا اللّه من التشبه بهم بقوله : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾ .

ونظرة سريعة في حال الأمة اليوم تُنبيك - بعد أن تملأ نفسك حسرة - أنها قد اختلفت وتنازعت حتى في عقيدتها في ربها ! كل مجموعة أمة ، وكل شرذمة جماعة بذاتها ولو سئلت عن رأيها في الجماعات الأُخرى لقالت بملء فيها : هي باطلة ... ما نشأت إلا حباً في الزعامة وتقلد المناصب لدى القائمين عليها ! والممتنع عن مبايعتهم فهو مفارق للجماعة ولا يأكل الذئب إلا من الغنم القاصية !

وينسى هؤلاء - غفر اللّه لنا ولهم - أنهم ممن فرّقوا الأمة بأن نصبوا شخصاً أو منهجاً غير رسول اللّه ﷺ ومنهجه ودعوا الأمة إلى اتباع طريقته ، يقول ناصر السنة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه : « وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام اللّه ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة ، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمّة ، ويوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون » [٢] .

(١) « مجموع الفتاوى » (١٦ / ٥١٤) .
(٢) « المصدر السابق » (٢٠ / ١٦٤) .

وتجنباً من أن يكون اختلافنا لعنة ، علينا جميعاً مراعاة الآداب التالية التي استخلصناها من خلال قراءة سريعة في فكر شيخ الإسلام الذي عاش في زمن كانت الأُمة - كما هي اليوم وأشدّ - تعاني من داء التفرق وتئنّ جراء الطعنات التي وجهت إلى وحدتها بأيدي الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ..

هذا من الداخل .

أما من الخارج : فقد كانت الأُمة فريسة لهجمات شرسة تشن عليها من القوى الشرقية والغربية ! فظهر ابن تيمية إماماً ومجاهداً ، واجه هؤلاء بلسانه وأولئك بسنانه ، وهو يهتف خلال صولاته العديدة : « أنا من أَي شيء أخاف ؟ ان قتلت كنت من أفضل الشهداء وكان ذلك سعادة في حقي ، يُترضى بها عليَّ إلى يوم القيامة ويُلعن الساعي في ذلك إلى يوم القيامة ، فإن جميع أمة محمد يعلمون أني أقتل على الحقِّ الذي بعث الله به رسوله ، وإنْ حُبست فوالله إنّ حبسي لمن أعظم نعم الله عليّ ، وليس لي ما أخاف عليه : لا مدرسة ولا إقطاع ولا مال ولا رئاسة ولا شيء من الأشياء » [1] :

أولاً : على الداعية أن يكون متجرداً للحق ويحتسب ما يلاقيه في ذلك من الأذى ويصبر على مُرِّ الكلام ، ولا ينبغي أن يدفعه جفاء الخصم إلى رد الحق الذي قد يكون معه ، لأنه أولى الناس باتباع الحق والتزامه ، يقول شيخ الاسلام رحمه الله وكان قد حبس في سجن لا يحبس في مثله النصارى والمشركون - : « أنا في سعة صدر لمن يخالفني ، فإنه وإنْ تعدى حدود الله فيَّ بتكفيرٍ أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية فأنا لا أتعدى حدود الله فيه ، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل وأَجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله ، وجعله هدى للناس ، حاكماً فيما اختلفوا فيه .. وذلك أَنك ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تُطيع الله فيه .. وأنا والله من

---

(١) « المصدر السابق » (٣ / ٢٥٩) .

أعظم الناس معاونةً على إطفاء كل شر وإقامة كل خير .. فإن الناس يعلمون أني من أطول الناس روحاً وصبراً على مُرّ الكلام وأعظم الناس عدلاً في المخاطبة بأقل الناس، دع لولاة الأمور .. فأنا أحق من سمع الحق والتزمه وقبله سواء كان حلواً أو مراً وأنا أحق أن يتوب من ذنوبه التي صدرت منه بل وأحق بالعقوبة إذا كنت أضل المسلمين عن دينهم » (١) .

ولا خير فيمن لم يلزم نفسه بالتزام الحق حيث وجده وجعل الصواب حكراً على نفسه - أو فرقته - واعتبر كل انطلاقة من غير دائرته انطلاقةً قاصرة أو مستحيلة أو عمياء !

ثانياً : على الداعية أن يكون على علم بآراء المخالف ومذهبه حتى إذا أراد مناقشته ألزمه الحجة ، وانظر إلى شيخ الإسلام وما يقوله عن أهل الضلال من الاتحادية - وكانوا رؤوس الفتنة والفرقة في حينه - يقول رحمه الله : « ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق ، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم مع استشعارهم أنهم متفرقون ، ولهذا لما بيّنتُ لطوائفَ من أتباعهم ورؤسائهم حقيقة وسر مذهبهم صاروا يعظمون ذلك ، **ولولا ما أقرنه بذلك من الذم والرّد لجعلوني من أئمتهم وبذلوا لي من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يجل عن الوصف** ، كما تبذله لرؤسائهم والإسماعيلية لكبرائهم وكما بذل آل فرعون لفرعون ! » (٢) .

وذلك لأن شيخ الإسلام كان أعلم منهم بمذاهبهم ، وكم أفحم - رحمه الله - رؤوس الفرق المبتدعة عندما كان يناظرهم في مجالسهم ومجالس أنصارهم من الأمراء والحكام .

---

(١) « المصدر السابق » (٣ / ٢٤٥ و ٢٤١ و ٢٥١ و ٢٧١) .

(٢) « المصدر السابق » (٣ / ١٣٨) .

ثالثاً : لا ينبغي لطلاب الحق من الدعاة والعلماء أن يجعلوا من مذهبهم – أو ما يرونه هم أنه الحق – ميزاناً يمتحنون به الناس ، أو يوالون ويعادون عليه الناس ، فإن هذا من العصبية الجاهلية التي حَذَّرَنا منها رسولُ اللّه ﷺ بقوله : « دعوها فإنها منتنة » [١] بل ينبغي أن يكون ولاؤه للكتاب والسنة فحسب ، يقول شيخ الاسلام : « وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة والصلاة واللعن بغير الأسماء التي علق اللّه بها ذلك ، مثل أسماء القبائل والمدائن والمذاهب والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ ونحو ذلك .. فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنفٍ كان ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان .. » [٢] .

ومن البدع المنكرة : التعصب لأسماء أو شعارات أو أحزاب أو زعامات أو التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر به اللّه ورسوله فيوالي الرجل طائفةً (بالجهل) ويعادي أخرى بالظن !!

ومعلومٌ أن هذا التفريق بين الأُمة هو الذي أوجب – على حد تعبير شيخ الاسلام – تسلط الأُعداء عليها ! ولنستمع إلى شيخ الإسلام وهو يتحدث عن حقيقة ما كانوا يدعو إليه من ضرورة تعليم الدعاة جميعاً :

« إِني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع أحداً قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي ولا انتصرت لذلك ولا أذكره في كلامي ولا أَذكر إلا ما اتفق عليه سلف الامة وأئمتها ، وقد قلت لهم غير مرة : أنا أُمهل ما يخالفني ثلاث سنين إن جاء بحرف واحد عن أحد من أئمة القرون يخالف ما قلته فأنا أقر بذلك ، وأما ما أَذكره فأذكره عن أئمة القرون الثلاثة بألفاظهم وبألفاظ من نقل إِجماعهم من عامة الطوائف ..... » [٣] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) « مجموع الفتاوى » (٢٨ / ٣٢٧) .

(٣) « مجموع الفتاوى » (٣ / ٢٢٩) .

ويقول : « والإمام أحمد إنما هو مُبَلِّغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه مالم يجيء به الرسول لم نقبله ، وهذه عقيدة محمد ﷺ »[1] .

وعلى الداعية أن يعتذر لمخالفه مهما أَمكنه ذلك - ضمن ضوابط الاختلاف - ، وأن لا يحكم عليه بالهلاك لمجرد مخالفته إياه ، يقول شيخ الإسلام وهو يتحدث عن عقيدته السلفية : « فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه رضي اللّه عنهم ... ثم قلت لهم : وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً ، فإنَّ المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر اللّه خطأه ، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة ، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو اللّه به سيئاته .. » .

رابعاً : وبناءاً على ما سبق فإن من البدع المنكرة أن يكفر الداعية من لم ينتسب إلى طريقته أَو يُضَلِّله ، أو يتهمه بسوء القصد والنية ، أو يفتري عليه ما هو منه بريء لغرض تشويهه وتنفير الناس منه .. يقول شيخ الاسلام في معرض حديثه عن طائفة المرازقة - وهم أتباع الشيخ عثمان بن مرزوق - : « ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم كما يقولون : هذا زرع البدعي ونحو ذلك ؛ فإنّ هذا عظيم لوجهين :

الأول : أن تلك الطائفة الأُخرى لا يكون فيها من البدعة أعظم مما في الطائفة المكفّرة لها ، بل تكون بدعة المكفّرة أغلظ أو نحوها أو دونها ، وهذا حال عامة أهل البدع الذين يكفّر بعضهم بعضاً فإنّه إن قدر أَنّ المبتدع يكفر ، كفر هؤلاء وهؤلاء ، وإن قدر أنه لم يكفر ، لم يكفر هؤلاء ولا هؤلاء ، فكون إحدى الطائفتين تكفر الأُخرى ولا تكفر طائفتها هو من الجهل والظلم ، وهؤلاء من الذين قال اللّه تعالى فيهم : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ .

[1] « مجموع الفتاوى » (٣ / ١٦٩) .

الثاني : أَنه لو فرض أن إِحدى الطائفتين مختصة بالبدعة لم يكن لأهل السنة أن يكفروا كل من قال قولاً أخطأ فيه .. وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كلُّ من قال قولاً أخطأ فيه أن يكفر بذلك وإِن كان قوله مخالفاً للسنة ، فتكفير كل مخطىء خلاف الإِجماع .

والمقصود هنا : أنه ليس لكل من الطوائف المنتسبين إلى شيخ من الشيوخ ولا إِمام من الأَئمة أن يكفروا من عداهم .... » [1].

ولا خير فيمن يرفض مخالفه وإِن كان أروع منه فهماً للإِسلام وعقيدته وأشد منه حماسة لقضية المسلمين وأَخشعهم لله ، لا لشيء إلا لأنه لم ينتم إلى رَكْبِهِ !

إن على المخالف إذا اشتبه عليه أمر ما أن يعذر مخالفه ولا يحكم عليه بالعقوبة، فإنَّ المسلم إذا أخطأ في العفو خير له من أن يخطىء في العقوبة ، وعليه أن يسأل اللّه الهداية .

وختاماً :

نعلنها صرخةً في آذان رؤوس الاختلاف التي ابتليت الأُمة بهم أَن استمعوا إلى قول الله تبارك وتعالى يبين لكم السبيل القويم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإِن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ .

ودعْكم من الذين لا يطيقون سماع صوت مخالف لهم في الرأي أو مشارك لهم في العمل الاسلامي.. هؤلاء الذين لا يعرفون النقد إلا تجريحاً ،ولا يفهمون الرأي المخالف إلا تفريقاً وخروجاً على الجماعة ، واعلموا أن لا جماعة إلا بالاتباع ولا فرقة إلا بالابتداع ، ولا بد أن ينبلج فجر اليوم الذي يكتشف فيه المنصف تعفُّنَ أهل البدع تحت الأقنعة والأَغطية التي يُخفون أنفسهم بها ... ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون ﴾ .

(١) « مجموع الفتاوى » (٧ / ٦٨٤) .

مِنَ السُّنَّة ..

ناصر بن عبد الكريم مرعي

إِنَّ الله عز وجل قد أنعم على هذه الأمة بنعم سابغة كثيرة ، وكان من هذه النعم أن جعلها خير أمة أُخرجت للناس ، وجعل من لوازم هذه الخيرية الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ كنتم خير أُمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ الآية .

فقابل المسلمون في هذه الأعصار هذه النعمةَ بما قابلوا غيرَها من النعم ، قابلوها بالتقصير والتفريط ، وسواء في ذلك العامة والخاصة الذين هم طلبة العلم أو (بعضٌ) من العلماء ! قصّروا في شكرها ، وفرّطوا في الأخذ بها والعمل بمضمونها ، وقَصَروا معناها على ما لازَمَهُ اللينُ والرحمة منها ، دون ما صاحَبَهُ الشدةُ والقوة ، مع أن كلا الأمرين سنةٌ ، ومع أن لكل مقام مقالاً ...

فجعلوا الحَزْمَ في الأمر أو الإنكار شأناً مرفوضاً ، وفاعلها في المقام الذي يستلزم ذلك متشدداً ملوماً ! وتاركها في كل أحيانه رؤوفاً بالمسلمين ودوداً !

وبناءاً على هذا التأصيل (الفضْفاض) عاملوا أهل الأهواء المضلّة بالذلّة واللين ، مدّعين أن ذلك هو السبيل إلى الأخذ بأيديهم إلى الجادة والطريق المستقيم ، فكان أنْ

مالوا هم عن طريق الجادة - إلا من رحم الله - فانقلبوا خاسرين .

ومثالُ ذلك أن عمران بن حِطّان السَّدُوسي كان أول أمره من أهل السنّة ، ثم صار في آخر أمره أن رأىَ رأي الخوارج ، وكان سبب ذلك - فيما يُذكر - أن ابنة عمه رأت رأي الخوارج ، فتزوجها ليردها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها !

أَقول : ومع ذلك تجد أَصحاب هذا التأصيل (الهُلاَميّ) يتعاملون مع طلبة العلم في غاية الشدة والجرأة ، بل وأعظم من ذلك ممّا لا يقوى القلم أن يُسوّد القرطاس بذكره ، فإلى الله المشتكى .

اِعلم - علّمني الله وإياك - أن الناس أصنافٌ ثلاثةٌ :

فالصنفُ الأولُ : عامة المسلمين ، الذين لم تتكدّر فِطَرُهم بالآراء ، ولم تفسُد عقولُهم ولا قلوبُهم بالأهواء ، وهؤلاء يُكتفى بدعوتهم بالرفق واللين ، وهم في غالب أمرهم مع الحقّ إذا بُيِّنَ لهم .

والصنفُ الثاني : متعصّبة الأهواء ، والمقلّدة الأغبياء ، اللابسون لباسَ العلماء ليستروا جهلهم ، وهم أغبى الجهلاء ، وأَجهل الأَغنياء ، الذين قلّدوا دينهم الرجال ، وجعلوا فلاناً وفلاناً حجة على الشرع بلا برهان ، فهؤلاء أفعالهم وأقاويلهم أُحموقات حَريّة بالاطِّراح ، وأغاليطُ خليقةٌ بأن يُتَسَلّى عنها ويُستراح ، والأَوْلى بهم أن يُعاملوا بالهجر مع البيان ، والأبرأ أن يُزجروا بالإهمال حتى تظهر منهم توبةٌ مما هم فيه من الزيغان ...

والصنفُ الثالث : أُناسٌ أخطأوا طريقَ العلم ، غير أنَّ الحقَّ ضالَّتُهم ، وما سانده الدليلُ غايتهم ، وهؤلاء قد استقرَّ في نفوسهم من المبادئ والأسس ما يدفع الحقّ إن لم يُبيّن لهم ، فإن هُجروا لم يَصِلْهم الحقُّ لقوة الدافع له في نفوسهم ، وإن جُولسوا وسُويروا كان ذلك مزيدَ تثبيتٍ لما استقر في صدورهم ، فكان لا بد أن يُسلك معهم مسلكٌ فوق الأول ودون الثاني ، وأن يُجمع في نُصحهم بين الترغيب والترهيب ،

وبين لين من غير دَعَةٍ وهوان ، وشدة من غير إفراط أو طغيان .

وقد يُقدَّم أحد الأمرين على الآخر تبعاً لقرب حالهم من حال أحد الصنفين الأوّلين .

ولا بد أن يُسلك معهم كذلك مسلكُ التخلية قبل التحلية ، وهو أن تُنتزع الأسس الخاطئة من نفوسهم أولاً ، ثم تُرسّخ الأسس الموافقة للكتاب والسنة ، ومن ثم يقام البنيان ، قال تعالى : ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

وأما الأدلة على أن الإنكار بحزم وقوّةٍ - أَحياناً - من السنة :

أولاً : من القرآن : قال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ الآية . ومادة - ح ك م - تدلّ على حُكم وإحكام ، والإحكام هو الإتقان ، والإتقان : وضع الشيء في موضعه ، فليُعلم هذا .

وقال تعالى حاكياً قول هارون لأخيه موسى عليهما الصلاة والسلام : ﴿ **قال يا ابن أُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقُب قولي** ﴾ .

ثانياً : من السنة : عن معاذ بن جبل قال : خرجنا مع رسول اللّه ﷺ عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة ... ثم قال : « إنكم ستأتون غداً إن شاء اللّه عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يُضحي النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمسَّ من مائها شيئاً حتى آتي » ، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان ، والعين مثل الشراك لا تبضُّ بشيء من ماء . قال : فسألهما رسول اللّه ﷺ : « هل مسستما من مائها شيئاً » قالا : نعم ؛ **فسبَّهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء اللّه أن يقول** .... الحديث .

ثالثاً : من الصحابة : فعن عمارة بن رؤيبة - وهو صحابي - قال : رأى بشر

ابن مروان على المنبر رافعاً يديه فقال : **قبح الله هاتين اليدين** ، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا ، وأشار بأصبعه المُسَبِّحة .

أقول : أين أنتم يا خُطباء المساجد أيَّامَ الجُمَعِ من هذا الحديث ؟!

وروى مسلم في « صحيحه » وغيره أن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنّكم إليها » ، قال : فقال بلال ابن عبدالله : والله لنمنعهنّ ، قال : فأقبل عليه عبد الله **فسبَّه سبّاً سيّئاً** ما سمعته سبَّه مثله قط وقال : أُخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول لنمنعهن !

وفي رواية لمسلم : فضرب في صدره .

رابعاً : ممن فعل السلف : عن ابن أبي أُويس قال : سمعتُ خالي مالك بن أنس وسأله رجلٌ عن زبور داود ، فقال له مالك : ما أجهلك ! ما أفرغك ! أما لنا في نافع عن ابن عمر عن نبينا ما شغلنا بصحيحهِ عما بيننا وبين داود عليه السلام ؟

قلتُ : وقصة الإمام مالك مع السائل عن كيفية استواء الله تعالى معلومة ، وقد قال للسائل في آخر جوابه : ما أراك إلّا مبتدعاً ؛ وأُمر به فأُخرج .

فاحرص أخي المسلم على أن تسلك الطريق الأجود ، والسبيل الأرشد ، الذي ثبتت عندنا صحتُه بالسند ، وكان عليه خيرُ هذه الأمة ؛ واعلم أنه لا يصلح آخر هذه الآمة إلا بما صلح به أولها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



مَنْ العُلماء ... الذي تَسْعَدُ بهم الأُمَّة ؟!!

محمد إبراهيم شقرة

كلمةٌ رائعة المبنى ، رائقة المعنى ، تنثني حروفُها بعضها إلى بعض لكأنما يشهدُ كلُّ حرف منها للآخر برائع مبناه ورائق معناه ، فلا تُبقي من حاجةٍ أَن يشهد لها الناس ، بشيءٍ مما تدل عليه بنفسها وتهدي إليه بذاتها ، وكيف يكون لها حاجةٌ وهي من نمير الوحي المكنون ، ولسان النبي المعصوم ؟ .

لكنَّ شهادةً لا بدَّ منها - تكون شاهدةً على حسن قبولها - صدقُ وجودها عند من عناهم رسول الله ﷺ بها ، وهي شهادة لا تحكي شهادة الحروف والكلمات ، ولا تُماثلها ، بل تفوقها وتعلوها ، إذ هي شهادة السلوك الناطقة بتصديق ما وقر في القلبِ من التصديق بتلكم الكلمة النبوية « العلماء ورثة الأنبياء » تصديقاً قلبياً لا يطلع عليه أحد إلا اللّه ، ثم بصدقِ الاستجابة المنظورة المشهودة الجارية على الأَعضاء والجوارح ، يراها الأعمى قبل البصير ، ويسمع حسيسَها الأَصمُّ قبل السميع ، وينطقُ بالثناء عليها الأبكم قبل المتكلم .

وهذه الشهادة ليست شهادةً عامة ، بل هي شهادة خاصة ، لا يستطيعها إلا أهلُها ، والذين هم أحقُّ بها وأَهلها .

وأول ما يتبادر إلى الذهن والمرءُ يقرأ هذا الحديث - « العلماء ورثة الأَنبياء » - أَو يستمع إلى متحدثٍ به ، أَن الأنبياء - وهم أَعلى البشر منزلة ، وأقربهم مودة إلى الله سبحانه - قد اصطفاهم الله - بقدرات ومواهب ومدارك - ليكونوا بها أهلاً لحمل رسالات الله إلى أَقوامهم ، فلا يعجزون عنها ، مهما نالهم من وصب ، أو نصب ، أو ابتلاءٍ ؛ فقد هيّأهُم الله تَهيئةً خاصّة ، يكونون بها أَقوياء - بصبرهم ، وعلمهم ، وحلمهم ، وما اختصهم الله به من فضلٍ على الناس - على إبلاغ الرسالات ، إبلاغاً أَميناً ، لا يعوز أَقوامهم أَن يبحثوا عن شيءٍ في غيرها ، يلتمسون به شيئاً من سعادةٍ لدنياهم أَو لآخرتهم ، فيكون لهم بها وفيها ومنها الفوزُ المبين .

وأَتمّ الله النعمة على البشرية ، بأَن جعل آخر مبعوثٍ إليها من رسله وأنبيائه هو محمداً ﷺ ، وجعل له وللرسالة المبعوث بها خَصائص ومزايا لم تكن لنبي قبله ، ولا لرسالةٍ مِن قبل رسالته ، فأوفت البشرية بهما معاً على الكمال الإنساني ، الذي ما أَحرزته من قبل ، وأَنّى لها أَن تحرزه ، والأَنبياء كلهم برسالاتهم ما بلغوا بها إلا ما يقرّبهم - لو أنهم أَدركوا محمداً عليه السلام - إليه ، ويكونون أَول المؤمنين به تحقيقاً وامتثالاً للعهد الذي أَخذه الله عليهم : ﴿ وإذ أَخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ .

وإذا كان الرسل والأَنبياء جميعاً مَدْعُوِّين من ربهم أَن يؤمنوا ويصدِّقوا ويعملوا بما أَوحى اللَه به إلى نبيه محمد ، وكلَّفه إبلاغه الناس كافّة ، فأَولى إذاً - بمن بُعث فيهم من أُمته خاصة - وبخاصةِ خاصَّةَ الخاصَّة منهم - وهم أَهل العلم على اختلاف مراتبهم ، وتفاوتِ منازلهم في العلم - أَن يأتلفهم جميعاً نظامٌ واحدٌ ، طرفه الثاني في أَيديهم ، وطرفه الأَول في يدِ صاحبِ الرسالة صلواتُ الله وسلامه عليه .

ومما لا ريب فيه أن المسؤولية التي يحملها أَهلُ العلم ، تتفاوتُ بتفاوتهم في درجات العلم ، فالواصل منهم أَعلاها أَو قريباً منها ليس كالواصل أوسطها أَو أدناها ،

وقد ينزل الأَعلى إلى درجة الوسط ، ويتدنّى الأوسط إلى درجة الأَدنى ، ويرقى الأَدنى إلى الأَوسط ، أَو الأعلى ، وكلٌّ منهم بحرصه على الأَكمل يرقى إليه ، وبتفريطه في الأَكمل ينزل عنه ، والحرص لا يكون إلا باستشعار الخشية من اللّه عز وجل ، واستشعار الخشية لا يكون إلا باستحضار الموت والآخرة ، فيظل على وجلٍ مما يتربَّص به من شدَّة الأَهوال ، فيرى في الطاعة عوناً له على تبديدها ، ويرى في المعصية زيادة لها من شدتها ، فيزداد عدواً بحرصه إلى الطاعة ، ويشتد عدواً برغبته عن المعصية ، فيكون من الذين سعدوا بقول اللّه سبحانه : ﴿ إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾ .

والعلماءُ المذكورون في هذا الآية هم الذين عناهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « العلماءُ ورثة الأنبياء » ، إِذ ليس يليق بأن يكون وارثاً للأَنبياء إلا من كان على أحسن ما بعثوا به ، ووارثو الأنبياء السابقين رسولَ اللّه محمداً ﷺ ، من الحواريين والتلاميذ والأَتباع ، خطُّهم من تَبِعَةِ الميراث الذي ورثوا ، يكاد يغيب في طيَّات ميراث إمامهم ومقدّمهم وسيدهم محمد ﷺ ، إِذ هو الميراث الماحي لكل ميراث ، العاقب ، المهيمن عليه ، فحريٌّ بالآيل إِليهم (العلماء) أن يكونوا أهلاً لأَيلولتة إليهم ، لذا فإِن كلَّ من يرى أَنه آخذٌ بنصيبٍ من هذا الميراث أن يكون على بيِّنة من الأَمر ، ورشد في التصور ، وإحكام في التقدير ، من أَنّه بتلقيه هذا الميراث ، إِنَّما يحملُ جزءاً من النبوة بين جنبيه غير أَنَّه لا يوحى إليه ، فليعرف قدر نفسه جيداً .

ولا ريب أَن هؤلاء الورثة للأنبياء ، إِن استقاموا على الأَمر ، وأُجاءهَم الرشد إلى البَصرِ بالحق ، ووقفهم الإحكامُ في التقدير أن لا يخطئوا الطريق لتلقي هذا الميراث ، فإِنهم آخذون بعروة وثقى ، مفوقون سهماً لنحر الباطل لا يخطئُ ، لابثون على مقامٍ لا تَزلُّ فيه أقدامهم .

... (للبحث صلة)

... ربُّ العرشِ يكلؤكُمْ

محمد عيد العباسي

زُرتُ الأردنَ بعد أن فرّج اللّه عني ، ولقيت أُستاذنا الكبير شَيخَنا محدث الشام محمد ناصر الدين الألباني بعد انقطاع طويل ، وألقيتُ أَمامَه الأبيات التالية :

يا نـفسُ نِلْتِ المنى فلتنتشي طَـرَبـا ... ولتحمدي اللّه إذ قد حقّق الأرَبا

كـــم بِتُّ أحلمُ أنْ ألقى مُوَجِّـهَنا ... فـأملأَ العين من مَـرْآه والـهُـدُبـا

كـــانت تمرُّ بيَ الأيامُ مجـدبـــةً ... قـفـراءَ قـاسيـةَ الأهـوال مضـطربـا

لا عـــلمَ لا درسَ لا أستاذَ أسمـعُه ... لا مُتعةَ الروح –أعني هذه الكُتُبا–

أهـــلاً بأستـاذيَ الهادي إلى سننٍ ... للمصطفى مَن لدين اللّه قد وهبا

كـــلُّ الذي قد حباه اللّه من عُمُرٍ ... أو قـــوة أو جهـود طـالـمـا تـعبـا

أنت الإمــــام الذي قـد حاز مرتبة ... تضارع السادة الأعـلام والـنُّـجُبا

أبـــقاك ربّــيَ لـلـتوحيـد تحرسُـه ... تـذود عنه سهام الشرك والكذبـا

وتـنـشر الـسنة الغراء سـاطعـــةً ... وتـهـدم الـبدعة النكراء محتسبـاً

يا ناصرَ الدين ربُّ العرش يكلؤكم ... من كُــلِّ شرٍّ وإيـذاء وسوء نَـبَـا

قُم جدّد الدين فالإسلام في سَقَم ... ممّا جناه بنوه بات منتحبا

يدعو ألا مصلحٌ مقدامٌ ينهض بي ... أليس ثَمّ رشيدٌ يكشف الحجبا

كل المبادئ بالتجريب مفلسةٌ ... فيّ النجاةُ فمالي بتُّ محتجَبا

قد شوّهوني بإشراكٍ وفلسفةٍ ... ودنسوني بإحداثٍ كأنّهُ وبا

أما التصوف فالأسواء قاطبة ... تجمعت فيه من صوب ومن حدبا

ماذا يريد الأعادي خاب سَعْيُهُم ... من حافظ العصر مَن في الله قد رغبا

أساءهم أنه نشر التوحيد في وطن ... قد استجاب لداعي الجهل واقتربا

وأنه سنةَ المختار حققها ... وغيرَ هدي خيار المرسلين أبى

وأنه منهجَ الأسلاف دعّمه ... بقوّةِ الحق حتى ذاع أو غلبا

وألقم الظالمين المفترين حصى ... ألقى على كل تضليل لهم شهبا

حقيقة الأمر أن الحق سآءهُمُ ... فمن تبنّى طريق السنة اجتُنِبا

وليس مقصدُهم تكذيبَ عالمنا ... فإنه إنْ يُوافقهمْ غَداً قُطُبا

استاذَنا الفذ لا تعبأ بحربهمُ ... ولا تبالِ بمن عادى ومن نصبا

لن يبلغوا هدفاً مهما طَغَوا وبَغَوا ... فاللهُ جاعلُ كيدِ الحاقدين هبا

موتوا بغيظِكمُ إنا على ثقةٍ ... أن يظهرَ الحقُّ مهما بات محتجبا

إنّ الإله قضى والأمرُ منفصلٌ ... أن يمحق الباطل المأفون والكذبا

هذا الذي قد أتى بالنص قاطعةً ... آياته شبهة المرتاب والسحبا[1]

طبيعةٌ تلك في أبناء جلدتنا ... هم يحسدون الفتى إذ فاقهم أدبا

أو نال حظاً من التوفيق فاتهمُ ... أو جاء يسعى إليه كلُّ من رَغِبَا

---

(١) أشير إلى قوله تعالى : ﴿ .. ولا يحيق المكر السيّئ إلا بأهله ﴾ وقوله : ﴿ وقد خاب من افترى ﴾ .

كم شاغبوا في دمشقَ الشام في جَلَدٍ ضد ابن تَيْميّةٍ إذ زلزل النُّصُبا

وكم أثاروا رعاعَ الناس ويلهمُ كم ألّبوا ضدّه الحُكامَ والرقبا

رَمَوْهُ زوراً وظُلماً كلُّ ناقصةٍ أفتوا بتضليله لمّا رأوه صَبَا

فمات في سجنهمْ يشكو ظلامتَه ظنُّوا بمقتله أن الضياء خبا

لكنّ أفكارَه في كلِّ ناحية ذاعت وصارت دليلاً للهدى وَجَبا

يا إخوةَ الدين إنَّ اللّه أكرمنا بدعوة الحقِّ في وقت نرى عجبا

حيث الضلالةُ سادت والفسوقُ طغى وصار داعيةُ التوحيد مغتربا

وصيتي لكمُ يا إخوتي أبداً لله أنْ تُخلصوا لا تبتغوا الذَّهَبا

كونوا جميعاً بحبل اللّه فاعتصموا والنفسَ فلتحذروا إلا تسلُكوا الشُّعُبَا

وحصِّلوا العلم في حرصٍ وفي دَأَبٍ والعلمُ منحصرٌ في الوحي فارتقبا

وهديُ أسلافكم لا تبتغوا بدلاً عنه وإياكمُ الأهواءَ واللعبا

ولْتقرنوا العلمَ بالأعمال إنكمُ إنْ تفعلوا فقْتُمُ الأعجام والعَرَبا

ولتحذروا فتنة الدنيا وزينتها ولْتعدِلوا إنْ رضى الإنسان أو غضبا

ولتسألوا اللّه أن يبقي أُخُوَّتَنا في الدهر ما رغب المخلوقُ أو رهبا

فقه الأخلاق

سليم بن عيد الهلالي

إنَّ الأخلاق الصالحةَ في الإسلامِ تتجلى في كلِّ أَمرٍ من أوامرِه ونواهيه : دقيقِها وجليلِها ، فكانت - بحقٍّ - بعثاً جديداً في جَوهرِها ، وكلُّ مسالِكها ودروبِها ونُظُمِها .

وحتى يُسفرِ هذا الحقُّ الصُراحُ فلا بدَّ من بيان قواعِدِ فقه الأخلاق ؛ لذلك ينبغي أن تُعْلَمَ قواعدُ هذه العبادة لكي تتميز عن العادة ، وبخاصة في هذا الزمان الذي أصبحت فيه الأخلاقُ عاداتٍ خاويةً لا روح فيها ، وطلاءً باهتاً يتقنع به كثيرٌ من الناس !!

عن حذيفة بن اليمان - رضي اللّه عنه - قال : حدثنا رسول اللّه ﷺ حديثين ؛ رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر : حدثنا : « أنَّ الأمانة نزلت في جذرِ قلوب الرِجال ، ثمَّ عَلِموا من القرآن ، ثمَّ عَلِموا من السُنَّة » .

وحدثنا عن رفعها ؛ قال : « ينامُ الرجلُ النَّومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظلُّ أثرها مثل أثر الوَكْت[1] ،ثمَّ ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثلِ أثر المجْل[2] كجمر

(١) سواد يسير مخالف للّون الذي قبله .

(٢) هو التنفيط الذي يحدث في اليد نتيجة العمل بفأس ونحوها ، ويصير كالقبة فيه ماء قليل .

دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً[1] وليس فيه شيء ، ويصبح النَّاسُ يتبايعون فلا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة ، فيقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، ويُقال للرجل : ما أعقله وما أظرفه وما أجلده ! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان » .

ولقد أتى عليَّ زمان ولا أُبالي أيُّكم بايعت ؛ لئن كان مسلماً رده عليَّ الإِسلام ، وإن كان نصرانياً رده عليَّ ساعيه ، وأمّا اليوم فما كنت أُبايع إلّا فلاناً وفلاناً »[2] .

إنَّ هذا الرجل الذي يوصف من قبل النَّاس بمكارم الأخلاق ليس عنده من الإيمان حبة خردل ، لأنَّه تصنَّع أمام النَّاس ، ولم يبتغ مرضاة اللّه ولم يقتف أثر رسول اللّه ﷺ .

وهاك قواعدَ فقهِ الأخلاق لتحظى بالقبول وحب اللّه والرسول :

هذا الحديثُ وضع أصولَ فقهِ الأخلاق ، وهي :

١ - قوله : « إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال » يفيد أنَّ الأخلاقَ في الإسلام لم تكن يوماً طلاء ذهبياً ؛ ليتهافت النَّاس على سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

إنَّ الأخلاق في الإِسلام أكبرُ من مفهوم الإنسانية الذي رفعته مؤسّساتٌ وجمعياتٌ جاهليةٌ معاصرةٌ ، وخدعت ببهرج القول وزخرفه شعوباً وقبائل ؛ لأنَّ الأخلاق في الإسلام تتّسع حتى تشمل الحيوان والنبات ، وتُقرّر أنَّ علاقة المسلم بغيره من الخلق المودة والرحمة حتى في القتل والذَّبح .

---

(١) مرتفعاً .

(٢) متفق عليه .

قال ﷺ : « إنَّ اللّه كتب الإحسان على كل شيء ؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة ، وليُحِدَّ أحدُكم شفرَته ولْيُرِحْ ذبيحته »[1] .

والأخلاقُ في الإسلام أعمقُ من مفهوم الإنسانية المعاصرة ؛ لأنها تتجاوز المظاهر والمرئيات إلى اللُّباب وسرائر النفوس .

والأخلاقُ في الإسلام أخلد من مفهوم الإنسانية المعاصرة التي تنتهي بانقضاء الجنس البشري على هذه الأرض ؛ بَيْد أن الأخلاق تصل المسلم بالآخرة حيث يخلد برحمة من ربه في جنات الفردوس ، ويرث جنان النعيم بقدر سهامه في الأخلاق ؛ كما قال رسول اللّه ﷺ : « إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً »[2] .

وعجبي لا يكاد ينقضي من كُتّاب إسلاميين سمّوا الأخلاق في الإسلام بـ « إنسانية الإسلام » ! يضاهئون قول الذين كفروا !!

وهؤلاء القوم عندما زعموا ذلك وقعوا في أخطاء بعضها فوق بعض :

أولها : أنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

حيث جنحوا إلى الاصطلاح البشري الحادث وضربوا صفحاً عن التعبير الإسلامي الذي شحنت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة .

وآخرها : أنَّهم ضيَّقوا واسعاً ؛ فإنَّ مفهوم الأخلاق في الإسلام أوسع وأرحب من دائرة الإنسانية .

---

(١) أخرجه مسلم

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) بإسناد حسن ، وله شاهد عند أحمد (٢ / ١٨٩) بإسناد صحيح .

٢ - قوله : « ثم علموا القرآن ثمَّ علموا السُّنة » يفيد أنَّ الأَخلاق الإسلامية تنبع من الكتاب والسُّنة ، ولذلك فهي والفقه في الدين صنوان ، وقد جاء ذلك صريحاً في أحاديث كثيرة منها :

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « خياركم إسلاماً أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا »[1] .

وقد ارتبطت خيرية الإسلام بأمرين :

١ - حسن الخلق .

٢ - الفقه في الدين .

ومعلومٌ أنَّ من فقّهه اللّه في الإسلام فقد أراد به خيراً كما في قوله ﷺ : « من يرد اللّه به خيراً يفقهه في الدين »[2] ، فعادت الأخلاق الإسلامية إلى الفقه في الدين .

٣ - قوله : « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوَكت ، ثمَّ ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل المجل ، كجمر دحرجته على رِجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء ، ويصبح النَّاس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ».

قال الحافظ في « فتح الباري » (١٣ / ٣٩) : « وحاصل الخبر أنَّه أنذر برفع الأمانة ، وأنَّ الموصوف بالأمانة يُسلبها حتى يصير خائناً بعد أن كان أميناً ، وهذا إنَّما يقع على ما هو مشاهد لمن خالط أهل الخيانة فإنَّه يصير خائناً لأنَّ القرين يقتدي بقرينه » .

---

(١) أخرجه البخاري في« الأدب المفرد » (ص ٤٣ - ٤٤) ، وأحمد (٢ / ٣٦٧ و ٤٦٩) بإسناد صحيح . .

(٢) متفق عليه .

وهذا يفيد أنَّ الأخلاق منها ما هو غريزةٌ ومنها ما هو مكتسبٌ ، فهذا الرجل اكتسب الأمانة فأصبح أميناً لكنَّه لم يتعاهده ؛ فعاد إلى طبعه ، كما قال الأعشى :

وإذا ذو الفضول ضنَّ على المولى عادت لِخِيمِها الأخلاق

والخيم : هو السجية ، أي : الطبع الغريزي .

وهذا القاعدة قررها أهل العلم كالنووي في « شرح صحيح مسلم » (١٥ / ٧٩) ، وابن حجر في « فتح الباري » (١٠ / ٤٥٩) ، وغيرها .

٤ - قوله : « فيُقال : إنَّ في بني فلان رجلاً أميناً ويُقال للرجل : ما أعقله وما أَظرفه وما أجلده ! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان » يفيد أنَّ الأخلاق والإيمان ملزوزان بِقرن ، وأنَّه إذا رفع أحدهما رفع الآخر .

ويدلك على ذلك قوله ﷺ :

« والحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر »[1] .

والحياء ذروة سنام الأخلاق الإسلامية يسري في الأفعال فيجعلها نماء وبركة ، وقرة عين البشر .

ولقد كانت الأخلاق في تصور خير القرون عقيدة ، فتبوأت في حياتهم مكاناً علياً ، فكَتب التاريخُ سيرتَهم بحروف معطرة ، تفعم الحياةَ فضيلةً ، وخيراً ، وصلاحاً ، وإصلاحاً .

فلما تغيَّر الزمان وارتفع الحياء والإيمان أصبحْتَ ترى الرجل فتقول : ما أعقله ما أَظرفه ما أجلده ! ولكنَّه خاوٍ على عروشه ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان !

(١) أخرجه الحاكم (١ / ٢٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤ / ٢٩٧) بإسناد صحيح .

٥ - قوله : « ولقد أتى عليَّ زمان ولا أُبالي أيكم بايعت لئن كان مسلماً رده عليّ الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده علي ساعيه ، وأمّا اليوم فما كنت أبايع إلّا فلاناً وفلاناً » يفيد وجوب وجود رادع يمنع النَّاس عن القبائح ويحملهم على العلم الصالح ، وهذا يوحي بضرورة تولي أهل العلم والصلاح وأولي الأمر تقويم النَّاس وإصلاحهم وإلّا انفرط عِقْدُهم كما قيل :

لا يصلح النَّاسُ فوضى لا سراةَ لهم
ولا سراةَ لهم إذا جُهَّالُهم سادوا

الدعوةُ الإِسلامية في تركيا

عبد الله بن عبد الحميد الأثري

الحمد للّه .. والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

كانت تركيا بلدة مسلمة ، وكان لها دور فريد في تاريخ المسلمين الوسيط والمعاصر ، وارتبطت بالعالم العربي ارتباطاً مصيرياً ، والدولة العثمانية قامت بمهمة صعبة هي الوقوف في وجه أوروبا الناهضة ورد أَطماعها نحو العالم الإِسلامي ، ونشرت الإِسلام في بعض دول شرقي أوروبا .

وتركيا في تجربتها العلمانية بعد سقوط الدولة العثمانية كانت قدوة لكثير من الدول الأسلامية ولكن ازدادت هذه التجربة أهميةً بعد أن اتضح لمراقبي الأحداث عقم التجربة وفشلها بعد كل الخطوات التي استخدمتها القوى الغاشمة لصرف هذا الشعب عن دينه .

ومن المفيد أن نذكر هنا شروط كرزون الأربعة التي فرضها الإِنكليز على عملائهم العلمانيين الأتراك :

- أن تقطع تركيا صلتها بالإِسلام .

- أن تلغي الخلافة .

- أن تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

- أن تختار تركيا لنفسه دستوراً مدنياً ، بدلاً من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الاسلامية .

وأضاف العلمانيون الأتراك بنداً خامساً : هو تغيير الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية ، ومنع الأذان باللغة العربية ، ومنع تدريس القرآن والتعليم الديني في المدارس ! ليثبتوا إخلاصهم لأسيادهم الإنكليز ، وبذلوا كل جهودهم في سبيل تحقيق ما يحلمون به من مسح الإسلام ومعالمه من ربوع تركيا خلال أكثر من ثلاثين عاماً ، وجنّدوا لذلك من القوة ، وقتلوا وذبحوا في معركة القبّعة وحدها عشرة آلاف مسلم !!

وعندما حدث شيء من التغيير في سياسة تركيا بعد الكماليين ، أخذت السفينة تتحول تدريجياً في مجراها شطر الإسلام بتأثير مبادئه الراسخة في أعماق الشعب المسلم ، تلك المبادئ التي لم تتبدل ، إلا ما استطاعت أن تبدله الدولة بالقوة .

وفي بداية السبعينات بدأ المد الإسلامي بالارتفاع من جديد ، وأبى الشاب التركي - وقد تربى في ظلال العلمانية ونشأ عليها - إلا أن يعود إلى رحاب دينه ، كما بدأت ترجمة الكتب الدينية وطباعتها باللغة التركية بعد ما كانت ممنوعة بتاتاً .

وعاد الشعب التركي المسلم إلى أصله .. وكل هذا يثلج الصدر ويفرح قلب المسلم ، ولكن الشيء الذي كنا نخاف منه هو رجوعهم إلى طريق آبائهم في فهم الدين !!

والكل يعلم أن الدولة العثمانية تبنّت المذهب الحنفي والعقيدة الماتريدية والأفكار الصوفية ونشرتها في أرجائها ، والشعب التركي بعد سنين طويلة من الحرمان من التعليم الديني والجهل المنتشر فيهم ... عادوا إلى أفكار دولتهم السابقة .. والله

المستعان .

والدعوة الإسلامية في تركيا الآن وبعد كل هذا .. تواجه عقبات وحركات هدامة من قبل أعدائها - الماسونية ، والعلمانية ، وحركات التبشير والتشيّع - وهم يركزون على الإسلام الموجه ، بل سيطروا على أغلب أجهزة الإعلام في تركيا ، وأخطرها في الساحة جهاز التلفاز الذي دخل كل بيت بقنواته التسع والجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية ، وحتى مناهج المدارس الحكومية كلها تهدفُ إلى علمنة الشعب التركي المسلم .

ولا ننسى ما جرى لتركيا في بداية انهيار الأمة ، وأنها كانت الضحية الأولى لتجربة العلمانيين في العالم الإسلامي ، وهم استطاعوا أن يغيروا كثيراً من مفاهيم الشعب ، وانتشر الجهل ، وأعقبه تقليدٌ أعمى لبلاد الكفر .

ويقابل كلَّ هذه العقبات اختلافُ الجماعات الإسلامية فيما بينها ووصل الحال مع بعضها إلى درجة العداء .. والسبب الرئيسي في كل هذا هو عدم فهمهم للإسلام وضوابطه ، والجهل المنتشر بينهم وعدم معرفتهم اللغة العربية - بعد أن غيَّرها الأعداء - وهذا يؤكِّدُ أن إخلاص النية وحده لا يكفي في العمل الإسلامي إن لم يقترن بفهم صحيح للإسلام .

والجماعات الإسلامية - هناك - لها إيجابيات وسلبيات ، ونحن نرى التعاون في الإيجابيّات وتقويم السلبيّات إن استطعنا ذلك ، وهذا هو المطلوب ، والتقويم يكون بضوابط الشرع وليس بالأهواء الشخصية أو استخدام القاعدة المشهورة عند بعضهم : (مصلحة الدعوة تقتضي ..) ! والمصلحة عندنا يقررها الشرع .

وبعد كل هذا ..... ومما يبشر بالخير وجود دعوة على منهج السلف الصالح في الأصول والفروع وهي مازالت في مهدها ، وعددهم قليل بالنسبة لنفوس تركيا (٦٠ مليون نسمة) ولكن فيهم الخير والبركة إن شاء الله ، بدأنا ولله الحمد بمشروع ترجمة

الكتب الأصولية - العقيدة والتوحيد والدعوة إلى الله - وعلى منهج أهل السنة والجماعة ، وأيضاً نحاول ترجمة بعض الأشرطة أو تأليف بعضها من محاضرات ونصائح وأذكار ، وغيرها من الأمور المفيدة والمساعدة للدعوة .

وأيضا لنا مدارس تُدرس فيها العلوم الإسلامية وباللغة العربية وهي - إن شاء الله - على منهج السلف الصالح .

إن هذه الدعوة نعمة كبيرة لأهل السنة في البوابة الشمالية للعالم الإسلامي وعاصمة الإسلام السياسي التي سقطت منها الخلافة ، والذي يعرف الشعب التركي ومدى تعصبهم وجهلهم يحمد الله تعالى على هذه الدعوة المباركة في هذا البلد ... مصداقاً لقول رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . رواه البخاري ومسلم .

ومن هذا المنطلق فإنَّ نشر هذه الدعوة أمانة في عنق كل مسلم موحد علم بهذه الدعوة أو سمع بها ، ونناشدهم بأن يسعوا بكل جهودهم المادية والمعنوية لمساندة هذه الدعوة المباركة حتى نستطيع - والإخوة الذين معنا والقائمون عليها - أن نثبّت قواعدها وأن نستمر في نشرها بكافة المناطق التركية بإذن الله تعالى .. ولا ننسى أيضاً أن تركيا مدخل لبلاد شرق أوروبا والجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي المنهار .

ومن أجل توسيع هذا النشاط ، وحتى نكون سداً أمام هذه العقبات ... عملنا منهاج عمل لتنشيط الدعوة في تركيا كما يأتي :

الأهداف :

نشر منهج أهل السنة والجماعة بفهم السلف الصالح .. وتحقيقه عملياً في الأرض بالوسائل المشروعة .

خطة العمل :

* العمل على إخراج مجموعة كتب تمثل منهج أهل السنة والجماعة ، ويكون

على المدى البعيد نواة دعوة إسلامية صادقة ، تمثل المنهج الفكري للدعوة السلفية الصحيحة في تركيا .

* إخراج مجموعة من الأشرطة السمعية .
* إلقاء المحاضرات والدروس المنهجية .
* تنظيم رحلات تربوية موسمية .
* زيارات لمدن تركيا لنشر الدعوة ، ومتابعة الإخوة فيها .
* إصدار نشرات صغيرة .
* إصدار مجلة شهرية .. تمثل منهجَ أهل السنة والجماعة .
* تفريغ بعض الإخوة - المؤهلين من الدعاة - للدعوة إلى اللّه .

هذا ونسأل اللّه تعالى أن يهب لهذه الدعوة رجالاً لا تأخذهم في اللّه لومة لائم وأن يبارك فيهم ، وكما نسأله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في النية ، والتوفيق في العمل ، والسداد في الرأي ، والأمانة في الأداء ، ويهدينا لاتباع ملة إبراهيم ، حتى ننال شرف نشر التوحيد ودعوة الأنبياء ... في هذه البلاد ، ويجعلنا من عباده الصالحين العاملين في سبيله ، وأن يفتحّ قلوب إخواننا المحسنين لهذه الدعوة المباركة ، حتى يكونوا عوناً لنا في نشر التوحيد ، وأن يبارك فيما ينفقون ويجعلها في ميزان أعمالهم يوم القيامة ... إنه جواد كريم .

نُبذة عن العلّامة المحدّث الشيخ
أبي الحسن بُيد اللّه الرّحماني المباركفوري

زهير بن عبد الرحمن بن عبيدالله الرحماني

الحمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

فقد وُلد العلّامة المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد اللّه ابن المحدث الشيخ عبدالسلام المُباركفوري في محرم الحرام سنة ألف وثلاث مئة وسبع وعشرين بعد الهجرة (١٣٢٧ هـ) في قرية « مُبارك فور » التي أصبحت الآن مدينة كبيرة مكتظة بالعمائر والسكان ، وُلد في بيتٍ علمي سلفيّ معروف بالتمسك بالكتاب والسنة ،

نشأ وترعرع بين يدي والده وتعلم اللغة الأُرديّة والفارسية ، ومبادئُ اللغة العربية في « المدرسة العربية العالية » بمدينة « مئو » ثم انتقل مع والده إلى « جامعة سراج العلوم » بمدينة « بونديهار بغونده » التي أسّسها الإمامان الجليلان :

١ - والده العلامة الشيخ عبد السلام المباركفوري مؤلف « تسيرة البخاري[1] »

---

(١) أصل الكتاب باللغة الأُردية ، وقد تُرجم إلى اللغة الانجليزية والعربية وطبع عدة طبعات ، دافع المؤلف فيه عن السنة وعن أمير المحدثين حقّ الدفاع وفنّد مزاعم أهل الرأي ، جدير بأن يقرأ هذا الكتاب كل من يريد قراءة « الجامع الصحيح » للإمام البخاري رحمه الله .

٢ - والإمام العلامة المحدث الشيخ عبد الرحمٰن المباركفوري مؤلف « تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي » وغيره من الكتب القيمة .

فتعلّم - رحمه الله - على والده في الجامعة المذكورة علوم النحو والصرف ، وعلم الكلام والمنطق والفلسفة وبعض كتب الحديث مثل « مشكاة المصابيح » وغيرها ، وقد حفظ من القرآن عشرين جزءً في حياة والده ، ثم أكمل حفظه ، وكان كثير التلاوة والمراجعة للقرآن .

وقد لازم والدَه فانتقل معه إلى « دار الحديث الرحمانية » بالعاصمة الهندية « دِلهي » فتعلّم فيها من فحول العلماء وكبار المحدثين السلفيين الأعلام أمثال والده والمحدث الشيخ أحمد الله البرتاب كرهي ، والشيخ غلام يحيى الكانفوري ، والشيخ الحافظ عبد الرحمن نغرنهسوي ، والشيخ أبو طاهر البهاري ، والشيخ عبد الغفور الجَيْراج فوري ، والشيخ محمّد إسحاق الآروي ، والشيخ عبد الوهاب الآروي والشيخ المحدث محمّد الغوجرانوي الفنجابي ، وغيرهم من حاملي لواء الكتاب والسنة في الهند آنذاك ، وقد تخرّج في دار الحديث الرحمانية في عام (١٣٤٥ هـ) .

وقد كان - رحمه الله - فطناً ، حادّ الذكاء ، وقد ظهرت فطنته وذكاؤه وأهليته للقيام بالتدريس والإفتاء والبحث والتحقيق من أيام طلبه للعلم ، لذلك كان محسوداً بين أقرانه ، فعند تخرجه لمّا أتى بالامتياز في جميع المواد أشاع زُملاؤه أنه سرق الأسئلة أو اطّلع عليها بطريقة أو أخرى ، وبلغوا هذه الإشاعة إلى شيخ الحديث أحمد الله البرتابكرهي فاستدعاه واختبره اختباراً شفهياً شديداً في جميع المواد لمدة ساعتين متتاليتين ، فخرج ظافراً مظفراً ، وقد برقت أسارير وجه شيخه من حفظه وذكائِه واطمأن له ، وأجازه بالقيام بالتدريس والإفتاء ومنحه إجازةً برواية الحديث .

وقد كان مشرف دار الحديث الرحمانية الشيخ عطاء الرحمٰن - رحمه الله - يعرف طبائع الأساتذة والتلاميذ ، وقد أدرك صلاح شيخنا وتقواه وأهليته للتعليم

والتدريس ، فعيّنه مدرّساً في الدار المذكورة بعد تخرجه مباشرة ، فقام بالتدريس أحسن قيام ، واشتهر بين العام والخاص باسم « شيخ الحديث » لحبه وشغفه ولغزارة علمه بالحديث وأصحاب الحديث ، وغلب اسم الشهرة هذا على اسمه وكنيته ، وكانت كنيته « أبو الحسن » .

وكان - رحمه اللّه - يجيب على الأسئلة الدينية التي كانت ترد من أنحاء الهند وخارجها بجانب التدريس ، وعُيّن نائباً لمدير تحرير المجلة الشهرية « محدّث » عام ١٩٣٥ م التي كانت تصدر باللغة الأردية في دار الحديث المذكورة ، ثم أصبح رئيساً لتحرير المجلة المذكورة ومشرفاً عليها عام ١٩٣٨ م .

واستمر - رحمه اللّه - في تدريس العلوم الدينية وخاصة الأحاديث النبوية مع رئاسة تحرير المجلة المذكورة والقيام بالإجابة على الأسئلة الدينية (الفُتيا) حتى انقسام الهند إلى دولتي الهند وباكستان الشرقية والغربية في عام ١٩٤٧ م ، وعلى أثر هذه الحادثة العظيمة هاجر مشرف دار الحديث الرحمانية الشيخ عطاء الرحمن - رحمه اللّه - إلى كراتشي في باكستان كما هاجر إليها آلاف مؤلفة من المسلمين من العاصمة وانتشر العلماء هنا وهناك ، وكانت أيام عصيبة ، فوقعتِ الدار في أيدي الكفار ، فإنا للّه وإنا إليه راجعون .

وقد لازم - رحمه اللّه - شيخه الأجلّ المحدث الشيخ عبد الرحمٰن المباركفوري وقرأ عليه « السنن » الستة وغيرها من كتب الحديث ، وشيئا كثيراً من شروح الحديث ، و« مقدمة ابن الصلاح » ، و« السراجية » في علم الفرائض وغيرها .

ومن المعلوم أن المحدث المباركفوري - رحمه اللّه - كان يكتب بنفسه شرح « جامع الترمذي » المسمّى بـ « تحفة الأحوذي » ولكن كُفّ بصره في أواخر حياته فقلق لذلك من العلماء كثيرون منهم الشيخ عطاء الرحمٰن (المشرف على دار الحديث الرحمانية) فاختار لمساعدته المحدث الشيخ عبيد اللّه المباركفوري وأرسله عنده ، وقد

ساعده في شرحه لـ « لجامع الترمذي » كلٌّ من جدّيّ لأمي الشيخ عبد الصمد المباركفوري ، الذي كان من العلماء البارعين البارزين في عصره - وهو عم الشيخ صفي الرحمٰن المباركفوري صاحب « الرحيق المختوم » - والشيخ المحدث محمد اللاهوري الفنجابي ، رحمهم اللّه تعالى أجمعين .

وبعد عودته - رحمه الله - من « دلهي » إلى موطنه « مباركفور » ركّز همّته في تأليف « مِرْعاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح » وكانت الخطّة في بادئ الأمر أن جلس لفيف من العلماء السلفيين منهم العلامة الشيخ عطاء اللّه حنيف الفوجياني مؤلف « التعليقات السلفية على سنن النسائي » والشيخ الحافظ محمد زكريا رحمهم الله جلسوا يفكرون ويضعون خطة جامعة لتحشية كتب الحديث والتعليق عليها لتكون في متناول الطلاب بدل الشروحات الطويلة ، وتكون على طريقة المحدثين ، يُتجنب فيها التقليد الأعمى ومحض الأقاويل ، ولا تُمثّل طريقاً خاصة من طرق أهل الرأي ، واتفقوا على أن يبدأ العمل بتحشية « مشكاة المصابيح » لكونه أول كتاب من كتب الحديث المقررة على الطلاب في جميع المدارس الإسلامية الهندية ، فاختار الحافظ محمد زكريا رحمه اللّه لهذا العمل الجليل شيخنا الشيخ عطاء اللّه حنيف الفوجياني فاعتذر واختار الشيخ عبيد الله الرحماني فقبِل ، وقدّروا أن هذا العمل سوف ينتهي في أربع سنوات فقط ، ولكن شاء اللّه وقدّر ووفق الشيخ بتأليف شرح مطوّل ومبسّط فأصبح من أحسن شروح « المشكاة » لميزات وخصائص عدة ، فإنه قد استوعب الكلام في شرح الحديث ، وضبط الكلمات والكلام على الأسانيد ونقل أقوال الفحول من العلماء ، ومقارنة أقوال أصحاب الحديث وأصحاب الرأي ، وترجيح ما ترجّح لديه بعد الدراسة والتحقيق على حسب الحجة والدليل دون التقليد ومحض الأقاويل .

ومن المؤسف جدّا أن الكتاب لم يكتمل بعد فقد وصل في شرحه إلى نهاية كتاب البيوع ، وطُبع منه نحوٌ من عشرة أجزاء في الجامعة السلفية بنارس ، الهند .

ومن أهم ألاسباب التي أدّت إلى عدم اكتماله انقطاع العمل فيه من حين إلى حين وظروفه الصحية ، وكثرة ورود الضيوف عليه ، فما من يوم يمرّ إلّا ويرد عليه ضيف أو ضيوف من أرجاء الهند وخارجها ، ولم يقفل بابه ساعة ولم يحدّد وقتاً دون المراجعين والمستفتين وغيرهم ، رحمه اللّه .

وقد بدأ والدنا – نجله الشيخ عبد الرحمٰن المباركفوري – بتكميل شرحه ، وفقه اللّه ؛ وقد لازمه طويلاً وأعانه في تأليفه ، وهو من أوائل المتخرجين في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، وقد تتلمذ على الإمام الشيخ محمد أمين الشنقيطي مؤلف « أضواء البيان » وعلى الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز وعلى الإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني والشيخ حماد الأنصاري والشيخ عبد المحسن بن حمد العباد والشيخ عطية محمد سالم والشيخ عبد القادر شيبة الحمد والشيخ محمد بن ناصر العُبودي وغيرهم من فحول العلماء ، حفظهم اللّه تعالى ووفقهم لكل خير .

ويساعده – إن شاء اللّه – شقيقه الأصغر الدكتور عبيد اللّه الرحماني الذي تخرج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتخصص في الكتاب والسنة وأخذ الماجستير والدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وكان – رحمه اللّه – يرغب في إنشاء صرح للعلم في مدينة (مباركفور) التي فيها مراكز للمبتدعين والصوفية والشيعة وغيرهم ، وقد تحققت أمنيته تلك ، حيث ركّز والدنا – حفظه اللّه – همّته مع بعض رفاقه المخلصين على شراء أراضٍ واسعة لانشاء جامعة لأهل الحديث « السلفيين » ومستشفى للمسلمين ، واختار جدّنا لهذا الصرح اسم « جامعة المعارف الإسلامية » وأرسى حجر الأساس بيديه الكريمتين للمسجد الجامع والفصول الدراسية ومهاجع الطلاب وغيرها ، والعمل في الإنشاء والتعمير جارٍ على قدم وساق ، وندعو اللّه تعالى أن يُسهّل لهذا الصرح العلمي أسباب الوصول إلى غايتِهِ المنشودة بخدمة الكتاب والسنة وتخريج جيل من العلماء العاملين ، وماذلك على الله بعزيز .

وقد تولّى - رحمه الله - رئاسةَ الجامعة السلفيّة في بنارس / الهند ، كما كانَ رئيساً فخريّاً لجامعة سراج العلوم بمدينة (يونديهار) بمديرية (غوندة) الّتي تقدّمَ ذكرها .

وله العديد من المؤلفات باللغة الأردية ، منها :

- تاريخُ المِنْوال .
- فضائل الصيام وأحكامها .
- حكم التأمين في الإسلام .

وله العديد من المقالات القيمة التي تحتاج إلى البحث والجمع من المجلات والجرائد القديمة .

وأما عن فتاواه - رحمه اللّه - فكانت الأسئلة ترد إليه عن طريق البريد فيكتب الإجابة عليها ويرسلها بالبريد ولم يكن يحتفظ بنسخة منها فضاع الكثير منها ، ولكنْ لمَّا لازمه والدنا - حفظه الله - بدأ يستنسخها في دفتر خاص فاجتمعت لديه في ستة دفاتر ضخام ، نسأل اللّه تعالى أن ييسر لنا سبل طبعها وإخراجها في القريب العاجل .

بعض خصاله وصفاته - رحمه اللّه - :

□ كان - رحمه الله - متواضعاً ، ورعاً ، آية في الزهد والتقوى [1] ، يتجنب المرور من بين الأسواق ، بل لم أره يذهب إلى سوق قط ، ومنذ سنوات كان ملازماً البيت ولم يكن يخرج إلا للصلوات الخمس والجمعة أو الجنازة أو لعيادة مريض ، وكان من عادته أنه يخرج مع الضيوف إلى مركبهم ويودّعهم ويدعو لهم الدعاء المأثور ويقول : أَستودع اللّه دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، وزودك اللّه التقوى وغفر ذنبك ويسّر لك الخير حيث ما كنت » .

(١) قال شيخنا الألباني في المُتَرْجَمِ : « ما رأيت رجلاً عليه سَمْتُ العُلماء ، وخُلُق العلماءِ - بحقّ - مثل هذا الرَّجل » . (**الأصالة**) .

□ وكان من تواضعه أنه لم يكن يحب الشهرة ، وكان يمنع الناس من إطلاق الألقاب وكتابتها مع اسمه مثل : العلامة والمحدث ... وما إلى ذلك .

□ وكان يكثر ويبالغ في تكريم الضيوف ، صغيرهم وكبيرهم ، وقد عوّدنا عليه ، فاليوم الذي لا يرد علينا ضيف كنا لا نستسيغ الطعام .

□ وكان - رحمه الله - راسخ العلم قوي الحجة والذاكرة والحفظ ، كنا نشاهد أنه يتكلم في العقيدة والحديث ، والنحو والصرف والعلوم الأخرى فكأنه إمام فيها ، وقد وهبه الله تعالى هيبة عجيبة ووقاراً وقبولاً عند الخاصة والعامة من الناس ، وكانوا يرجعون إليه حتى في المسائل الدنيوية الخاصة به ، ويتحاكمون إليه ، فضلاً عن المسائل الدينية ، ولم يكن أحد يجرؤ على ردّ ما حكم به لأنه لا يحيد عن الكتاب والسنة ، وأعرف أناساً نبذوا التقليد الأعمى وأصبحوا من أهل الحديث « السلفيين » تأثراً به والحمد الله .

□ وكان - رحمه اللّه - برّاً وفيّاً مع شيخه الجليل المحدث الشيخ عبد الرحمٰن المباركفوري ، مؤلف « تحفة الأحوذي » في حياته ومماته ،، فكان يزور قبره مرة أو مرتين في الأسبوع فيدعو له طويلاً ولأهل القبور أجمعين ، وكان يصحبني معه كثيراً ، فقد تعلمت منه أحكام الصلاة وآداب زيارة القبور ، وتعلمت الفرق علميّاً وعمليّاً بين التوحيد والشرك وبين الدعاء لأهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحاجات منهم - وقانا اللّه تعالى طرق المبتدعين الضالين الذين يشركون باللّه بطلب قضاء الحوائج من المقبورين المزعومين « أولياء » عندهم .

□ وكان من أعماله اليومية التي شاهدته عليها حين ملازمتي له منذ الصغر إلى البلوغ أنه كان ينام مبكراً ثم يستيقظ في النصف الثاني من الليل فيُحيي الليل مصلياً ومستغفراً ثم يذهب إلى المسجد فيؤذن لصلاة الفجر ويصلي صلاة طويلة ، ثم يرجع إلى البيت فيتلو القرآن طويلاً ، وكان لزاماً علينا جميع أهل البيت أن يقرأوا القرآن بعد

صلاة الفجر جزءاً واحداً على أقل تقدير ، ثم يجلس يطالع في الكتب ويكتب ويرد على الرسائل والمسائل ، ولم يكن يكتب بقلمه إلا قليلاً لضعف بصره وظروفه الصحية وأكثر أعماله أنه كان يُملي على الوالد أو العمّ أو عليّ أو على أحد أشقائي .

□ لقد تخرج عليه خلق من العلماء ، وقد أخذ منه الإجازة برواية الحديث كثيرٌ من العلماء البارزين في الهند وباكستان وفي مكة والمدينة وجدة والرياض وغيرها ، كما أخذ منه العديد من العلماء شهادة متصلة لمُدّ النبي ﷺ مع تعديل المدّ .

□ لقد توفي – رحمه اللّه – فجر يوم الأربعاء (٢٣ من رجب سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٥ يناير ١٩٩٤ م) بتقويم أم القرى – (٢٢ رجب ١٤١٤ بتقويم الهند) .

تغمّده الله بواسع رحمته وغفرانه ، أسكنه بمنّه وكرمه فسيح جناته ويلهمنا الصبر والسلوان ويجعلنا خير خلف لخير سلف .

وصلى اللّه وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين ، اللهم آمين .



حسن الظن بعلماء الأمة

سعد بن تركي الخثلان

إنَّ ما قد يقع من بعض الدعاة إلى الله وطلبة العلم من إساءة الظن ببعض علماء الأمة نتيجة لتصرفٍ ما صدَر من ذلك العالم – وقد يكون ذلك العالم مصيباً في تصرفه أو على الأقل حسن القصد فيه – لخَطَأٌ جسيمٌ ، فكيف إذا وصل الحدُّ إلى أنْ يُتهم في قصده ونيته !! وأسوق لك – أخي القارئ الكريم – قصة حصلت بين عالمين تتضمن حسن المعاتبة ، وبيان ما ينبغي أن يكون عليه المسلم تجاه أخيه المسلم من حسن الظن به ، والتماس الأعذار لزلاته .. وقد ساق هذه القصة الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رحمه الله تعالى في « الفتاوى السعدية » (ص ٧١ – ٧٣) وحاصلها :

أنه كتب أحد العلماء لعالمٍ آخر كتاباً ينتقده فيه انتقاداً شديداً في بعض المسائل ، ويذكر أنه قد أخطأ فيها ، بل إنه قدح في قصده ونيته ، وادعى أنه يَدين الله ببغضه !! بناءً على ما توهم من خطئه ، فأجاب المكتوب له :

« يا أخي إنك إذْ تركت ما يجب عليك من المودة الدينية ، وسلكتَ ما يحرم عليك من اتهام أخيك بالقصد السيئ على فرض أنه أخطأ ، وتجنبتَ الدعوة إلى الله بالحكمة في مثل هذه الأمور فإني أخبرك – قبل الشروع في جوابي لك ، عمّا انتقدتني عليه – بأني لا أترك ما يجب عليَّ من الإقامة على مودتك ، والاستمرار على

محبتك المبنية على ما أعرفه من دينك ، انتصاراً لنفسي ، بل أزيد على ذلك بإقامة العذر لك في قدحك في أخيك بأن الدافع لك على ذلك قصدٌ حسن ، لكن لم يصحبه علمٌ يصححه ، ولا معرفةٌ تبين مرتبته ، ولا ورعٌ صحيح يوقف العبد عند حدِّه الذي أوجبه الشارع عليه .

فلحسن قصدك عفوتُ لكَ عما كان منك لي من الاتهام بالقصد السيئ ، فهب أن الصواب معك يقيناً ، **فهل خطأ الإنسان عنوان على سوء قصده ؟!**

لو كان الأمر كذلك للزم رمي جميع علماء الأمة بالقصود السيئة ! لأنه لا يسلم من الخطأ أحد إلّا من رحم الله .

وهل هذا الذي تجرأتَ عليه إلا مخالفٌ لما أجمع عليه المسلمون من أنه لا يحلُّ رمي المسلم بالقصد السيئ إذا أخطأ ، واللّه تعالى قد عفا عن خطأ المؤمنين في الأقوال والأفعال وجميع الأحوال .

ثم أقول : هب أنه جاز للإنسان القدحُ في إرادة مَن دلّت القرائن والعلامات على قصده السيئ ، أفيحلُّ - فيمن عندك من الأدلة الكثيرة على حسن قصده ، وبُعده عن إرادة السوء - أن تتوهم فيه شيئاً مما رميته به ؟!

وإن اللّه تعالى أمر المؤمنين أن يظنوا بإخوانهم خيراً إذا قيل فيهم خلاف ما يقتضيه الإيمان فقال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ [النور : ١٢] .

واعلم أن هذه المقدمة ليس الغرض منها مقابلتك بما قلت ، فإني كما أشرت لك قد عفوتُ عن حقي إن كان لي حق ، ولكن الغرض النصيحة وبيان موقع هذا الاتهام من العقل والدين والمروءة الإنسانية ..

ثم شرع في الجواب عما انتقده به .

فهلّا كانَ هذا الأدبُ شعاراً لنا نحن طلبة العلم ؟!

وهلّا كانَ هذا الخُلُقُ سبيلاً لنا نحن الدُّعاة إلى الله ؟!

مسائل وأجوبتها

العلّامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني

سألَ سائلٌ من طُلّابِ العلمِ : يتساءل كثير من طلاب المدارس عن حكم ترك شعر الرأس وحلقه ، ويلتبس الأمر عليهم بين ما تأمرهم به المدرسة وتشدد عليهم من وجوب حلق شعر الرأس كله أو المبالغة في تقصيره ، وبين ما يراه الطلاب من بعض المدرسين الملتزمين - ولا نزكي على اللّه أحداً - من تركهم لشعر رؤوسهم وعدم الأخذ منه ، مع أنهم ينظفونه ويرجلونه وتعودوا على تركه .

فأقول [١] - مستعيناً باللّه تعالى - : إنّ اتخاذ شعر الرأس سنّة كما قال الإمام أحمد رحمه اللّه تعالى : « هو سنّة ، لو نقوى عليه اتخذناه ، ولكن له كلفة ومؤونة» ، قال ابن القيم رحمه اللّه تعالى في « زاد المعاد » : « ولم يُحفظ عنه ﷺ حلقه إلا في نسك » .

وقد تواردت الأحاديث الصحيحة المبيّنة لصفة شعره عليه الصلاة والسلام ، جاء في « المغني » : (ويستحب أن يكون شعر الإنسان على صفة شعر النبي ﷺ ، إذا طال فإلى منكبيه ، وإن قصره فإلى شحمة أذنيه ، وإن طوله فلا بأس ، نصّ عليه أحمد) آ هـ .

(١) والكلام ما زال للسائل .

أقول : إنَّ اتخاذ الشعر وتركه لا بد له من لوازم ومنها :

١ - الإخلاص لله تعالى ، والمتابعة لهديه ﷺ لنيل الأجر والثواب .

٢ - أن لا يكون في اتخاذه للشعر مُتشبّهاً بالنساء فيصنع به ما يصنع النساء بشعورهن من قبيل الزينة الخاصة بهن .

٣ - أن لا يريد به التشبه بأهل الكتاب أو بغيرهم من أهل الأوثان أو بعصاة المسلمين كالفنانين من المغنين أو الممثلين أو من سار على نهجهم كالماجنين من الرياضيين في قصّات شعورهم وتزيين رؤوسهم .

٤ - أن ينظفه ، ويرجّله غبّاً ، ويستحب دهنه وتطييبه وفرقه من منتصف رأسه ، فإذا طال جعله ذوائب .

أما الحلق فقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى الكلام فيه وصنّفه على أربعة أنواع ، ومختصر ما قال رحمه اللّه تعالى - بتصرف - :

أنه إذا كان الحلق لحج أو عمرة أو للحاجة كالتداوي فهذا ثابت ومشروع بالكتاب والسنة ولا شك في جوازه ، أما إذا كان لغير ما تقدم فهو لا يخرج عن أن يكون أحد أمرين :

○ الأمر الأول : أن يحلقه على وجه التعبد والتديّن والزهد من غير حج ولا عمرة مثل أن يجعل حلق الرأس شعار أهل النسك والدين ، أو من تمام الزهد والعبادة ، أو يجعل من يحلق رأسه أفضل ممن لم يحلقه أو أدين أو أزهد ، فقد قال شيخ الإسلام رحمه اللّه : (فهذا بدعة لم يأمر اللّه بها ولا رسوله ، وليست واجبة ولا مستحبة عند أحد من أئمة الدين ، ولا فعلها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا شيوخ المسلمين المشهورين بالزهد والعبادة لا من الصحابة ولا من التابعين ولا من تابعيهم ومن بعدهم) آ.هـ .

○ الأمر الثاني : أن يحلق رأسه في غير النسك بحج أو عمرة ، ولغير حاجة ،

وليس على سبيل التقرّب والتديّن ، فهذا فيه قولان للعلماء :

القول الأول : الكراهية : وهو مذهب مالك وغيره ورواية عن أحمد رحمهم الله جميعاً .

قال أحمد : (كانوا يكرهون ذلك) ، وحجّة من ذهب إلى هذا القول أن حلق الرأس شعار أهل البدع ، فإن الخوارج كانوا يحلقون رؤسهم وقد قال عنهم النبي ﷺ : (سيماهم التحليق) ، كما أن بعض الخوارج كانوا يعدُّون حلق الرأس من تمام التوبة والنسك ، وقد ثبت في « الصحيحن » : (أن النبي ﷺ لما كان يقسم جاءه رجل عام الفتح كثّ اللحية محلوق) ، وجاء في « مسند الإمام أحمد » ما روي عن النبي ﷺ : « ليس منّا من حلق » ، قال ابن عباس : (الذي يحلق رأسه في المصر شيطان) .

القول الثاني : الإباحة : وهو المعروف عند أصحاب أبي حنيفة والشافعي ، وهو رواية عن أحمد أيضاً ، ودليلهم : ما رواه أحمد وأبو داود والنسائي ، بإسناد صحيح كما قال صاحب « منتقى الأخبار » عن ابن عمر (أن النبي ﷺ رأي صبيًّا قد حلق بعض رأسه وترك بعضه ، فنهاهم عن ذلك ، وقال : احلقوه كلّه أو ذروهُ كلّه) ، وأُتي - ﷺ - بأولاد صغار بعد ثلاث فحلق رؤسهم .

ولأنه نهى عن القزع ، والقزع حلق البعض فدلّ على جواز حلق الجميع ، قال الشوكاني رحمه الله تعالى في « نيل الأوطار » عند الكلام على الحديث الذي أورده صاحب « المنتقى » : (وفيه دليل على جواز حلق الرأس جميعه ، قال الغزالي : لا بأس به لمن أراد التنظيف ، وفيه رد على من كرهه) اهـ .

وجاء في « المغني » : (قال حنبل : كنت أنا وأبي نحلق رؤوسنا في حياة أبي عبد الله فيرانا ونحن نحلق فلا ينهانا) ، قال ابن عبد البر : (وقد أجمع العلماء على إباحة الحلق ، وكفى بهذا حجّة) اهـ .

أقول [١] - وبالله التوفيق - هذا القول الثاني هو الذي ترجّح عندي لصحّة رواياته وصراحتها ، والله أعلم .

أما منع إدارة المدرسة لعموم الطلاب باتخاذ شعر الرأس ، فإنّ هذا الإجراء إنما هو على سبيل سدّ الذرائع ودرء المفاسد ، وذلك لما لاحظته المدرسة من أن طائفة ليست قليلة من الطلاب تتخذ الشعر ليس من أجل اتباع السنة ، بل من أجل المحاكاة والمشابهة للمشاهير من الفنانين الماجنين والرياضيين ، سواء كانوا مسلمين أو غيرهم ، وذلك بعمل شعر الرأس على نمط يشابه رؤوس هؤلاء المشاهير تعبيراً عن حبّهم والإعجاب بهم وبما هم عليه ، كما أن ضرر هؤلاء الطلاب المقلدين لا يقتصر على أنفسهم فحسب ، بل يمتد إلى زملائهم في المدرسة فيؤثرون فيه بهذا السلوك المبهرج مما يُفضي إلى انحراف ضعاف النفوس من الطلاب في زمرتهم خاصة وأنهم وفي هذا السن الذي يغلب فيه على صاحبه تقلّب الأمزجة ، وتعدد الرغبات ، وسرعة التأثر ، واتخاذ القرارات ، فتجد أن الطالب في هذه السن يتأثر بزملائه في المدرسة أكثر من تأثره بدوافع مدرّسيه أو حتى والديه !! هذا والله أعلم .

الجواب :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ، ومن اتبع هداه .

أما بعد ، فإني أؤيد أشد التأييد النص المذكور في ذيل الفتوى ، لأنه مستند إلى قاعدة شرعية هامة ، ألا وهي : (درء المفاسد قبل جلب المصالح) ، فكيف إذا لم يكن هناك أية مصلحة سوى التشبه بالكفار أو الفساق ، وقد قال النبي ﷺ في حديث صحيح : « ... ومن تشبه بقوم فهو منهم » ، وفي معناه أحاديث كثيرة ، في أبواب متنوعة في الشريعة ، كنت ذكرت منها نحو أربعين حديثاً في كتابي « حجاب المرأة المسلمة » الذي طبعته حديثاً بعنوان « جلباب المرأة المسلمة » ولذلك ، فإني أفتي

(١) والكلام ما زال للسائل .

دائماً بأنه لا يجوز للشباب والطلاب أن يوفِّروا شعور رؤوسهم ، وإنما عليهم الحلق أو التقصير ، كما عليه عامة المسلمين ، وبالله التوفيق .

وليس لأحد أن يقول اليوم بكراهة الحلق ، لأنه لا دليل عليه إلا أنه شعار الخوارج ، وهم اليوم - ومنهم الإباضية - لا يلتزمون فيما أعلم ، فان وجدوا في بلد ما ملتزمين به ، فعلى أَهل البلد مخالفتهم لما تقدم ، وإلا فالأصل الإباحة ، كما حديث ابن عمر الذي صححه في « المنتقى » وقد فاته أنه رواه مسلم أيضاً ، كما كنت خرجته في « الأحاديث الصحيحة » (١١٢٣) .

وأما حديث « ليس منا من حلق » فهو مختصر من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ « ليس منا من حلق ، وخرق ، وسلق » ، هكذا رواه جمع من الأئمة ، منهم الإمام أحمد في « مسنده » (٤ / ٤١١) ، والشيخان في « صحيحيهما » بنحوه ، وترجم البخاري في « الصحيح » بقوله : « باب ما ينهى عن الحلق للمصيبة » ، فالحديث إذن خاص بمن يحلق إعلاناً لحزنه بمناسبة وفاة قريبه ، المتضمن الاعتراض على قضاء اللّه تعالى بقرينة قوله : « وخرق » أي ثيابه ، وقوله : « وسلق » أي رفع صوته في النياحة .

ويؤكد ذلك مناسبة رواية أبي موسى للحديث في مرض موته في « الصحيحين » ، وهو مخرج في « الإرواء » (رقم ٧٧١) ، وفي « أحكام الجنائز » ، وأما أثر ابن عباس المذكور في الفتوى ، فلم أقف على إسناده ، وما إخاله يصح ، فإن صح حمل على التشبه بالخوارج لما تقدم .

وأما القول بأن توفير شعر الرأس سنة ، فليس عليه دليل تقوم به الحجة ، ولا يكفي في ذلك أنه صح عن النبي ﷺ لأنه من العادات ، فقد صح أيضاً أنه ﷺ دخل مكة وله أربع غدائر ، كما في كتابي « مختصر الشمائل المحمدية » (٣٥ / ٢٣) ، والغدائر هي الذوائب والضفائر ، فهي مجرد عادة عربية ، ولا يزال عليها

بعضهم في بعض البوادي ، أفيقال : إن ذلك سنة أيضاً ؟! كلا ، فإنه لا بد في مثل هذ العادات من دليل خاص يؤيد أنها سنة تعبدية ، كيف وقد سوى النبي ﷺ بين الحلق وتركه في قوله : « احلقوه كله ، أو ذروه كله » بل وحلق رؤوس الصغار الثلاثة ، كما ذكر في الفتوى ، وهو حديث صحيح أيضاً خرجته في كتابي « أحكام الجنائز وبدعها » (ص ١٦٦) .

فليس لأحد من الشباب المبتلين بالتشبه بالكفار أو الفساق في شعورهم ؛ أن يتستر بالسنة ، فإنها سنة عادة ، وليست سنة عبادة ، ولاسيما أن الكثيرين منهم ، لا يتشبهون بالنبي ﷺ فيما يجب عليهم ، مثل قص الشارب ، وإعفاء اللحية .

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

ظاهرة التعالم ... إلى أين ؟

محمد موسى نصر

يشهد العالمُ الإسلاميُّ اليومَ صحوةً علميّةً ودينيّةً ، ولكنّها تحتاجُ إلى ترشيدٍ وتسديدٍ لئلّا تخرجَ عن الجادّة فيصبح ضررُها أكثرَ من نفعِها ؛ لأنَّ أيَّ عَملٍ أو توجّهٍ إذا لَمْ يَقم على أساسٍ صحيحٍ كانَ إثمُه أكبرَ من نفعِه ، وشرُّه أكثرَ من خيرِه ، وكانَ وَبالاً على صاحبِه ، فيصبحُ حالُه كمن قيل فيه : « وكم من مريد للخير لن يصيبَه » .

وفي بلادِ الإسلامِ ظهرَ فتيان ينتمونَ لفئاتٍ شتى ، استعجلوا الثمرةَ قبل النضجِ ، وبنوا السقفَ قبلَ الأساسِ ، والتمسوا النتيجةَ قبل السببِ ، أرادوا أن يقفزوا من القاعدةِ إلى القمّةِ دون واسطةٍ ودون مقدمات ، مع أنَّ النبيَّ ﷺ حذّرَ من الاستعجالِ حين قال لبعض أصحابِه : « إنّكم قومٌ تستعجلون »[1] ، وقد قيل : « من استعجلَ الشيءَ قبل أوانِه عُوقبَ بحرمانِه » .

ومعلوم أنَّ طلبَ العلمِ يحتاجُ إلى صبرٍ وتأنٍّ وبعدٍ عن العجلةِ والتهوّرِ .

ومن كانَ كذلك فقد تشبّعَ بما لم يعطَ ، ولبسَ ثوبي زور ، وأجلسَ نفسَه

(١) أخرجه البخاري .

مجالسَ العلماء ، ليشارَ إِليه بالبنانِ ، ويصرفَ وجوه الناسِ إِليه .

والأَوْلى به أَنَّ يعرفَ قدر نفسه ليقفَ عند حدّه .

وأَمثال هؤلاء ما يلبثون أَن يحيطَ بهم الإِدبار ، فينقلبوا على أَعقابِهم حين تنكشفُ سوآتُهم على رؤوسِ الأَشهادِ ، وقديماً قيل :

وكل من يدّعي ما ليسَ فيه　　　فضحته شواهدُ الامتحان

ورحم الله قتادة حيثُ قال : « من حدّث قبلَ حينِه افتضحَ في حينِه » .

وقيل لسفيان الثوريِّ فيمن حدّثَ قبلَ أن يتأهلَ ؟! فقال :

« إِذا كثر الملّاحونَ غرقت السفينةُ » .

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله : « اللهمَّ نشكو إِليك هذا الغُثاءَ » .

وقال ابن حزمٍ رحمه الله : « لا آفةَ على العلومِ وأَهلِها أَضرُّ من الدخلاءِ فيها ، وهم من غيرِ أَهلِها ، فإِنّهم يجهلونَ ويظنّونَ أَنّهم يعلمون ، ويُفسدونَ ويقدّرونَ أَنّهم يصلحون » [1] .

قال الشيخُ الفاضل بكر بن عبدالله أَبو زيد في كتابه الفريد « التعالم » :

« فهؤلاء - النازلونَ في ساحةِ العلمِ وليسَ لهم من عدّةٍ سوى القلم والدواةِ والصحيفةِ المتعالمون من كلِّ من يدّعي العلم وليس بعالم - شخصيّةٌ مؤذيةٌ تتعاقبُ الشكوى منهم على مدى العصور ، وتوالي النذر سلفاً وخلفاً ..

فهذا القطيعُ حقاً هم غولُ العلمِ ، بل دودةٌ لزجةٌ متلبدة أَسرابُها في سماءِ العلمِ ، قاصرةٌ عن سموِّ أَهلِه ، وامتدادِ ظلِّه ، معثرةٌ دواليبَ حركتِه حتّى ينطوي الحقُّ ، ويمتدَّ ظلُّ الباطلِ وضلالُه فما هو إِلّا فجر كاذب وسهمٌ كابٍ حسير » [2] .

---

(١) انظر « التعالم » (ص ٢٦) لتقفَ على نصوص هؤلاء الأَجلّة .

(٢) « التعالم » (ص ٢٨) لأَخينا الشيخ بكر بن عبدالله أَبو زيد حفظه الله .

قلتُ : وقد حرّمَ اللهُ سبحانَه القولَ عليه بغيرِ علم ، وجعلَ ذلكَ قرينَ الشركِ حيثُ قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنّما حرّمَ ربيَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ والإثمَ والبغيَ بغيرِ الحقِّ وأَن تشركوا باللهِ ما لم يُنَزِّلْ به سلطاناً وأَن تقولوا على اللهِ ما لا تعلمون﴾ ، فبدأ سبحانَه في هذه الآيةِ بالمحرماتِ الخمسِ متدرجاً من الأَقلِ حرمةً إِلى الأَكثرِ .

ومن نصبَ نفسَه معلماً ولم يتأهل بعدُ وقع في الشرك وهو لا يدري ، وربّما دعا النّاس إليه ، ممّا يوقعُهم في الضلالِ ، فخطره مُتَعَدٍّ إلى غيرِه ، ومن هنا عطفَ اللهُ سبحانَه القولَ عليه بغير علم على الإِشراك به .

ومن المؤسفِ حقّاً اليومَ أَنّكَ ترى كلَّ واحدٍ قد نصبَ نفسَه مفتياً دونَ أَهليةٍ متجاهلين قولَ اللهِ : ﴿ ولا تَقْفُ ما ليسَ لَكَ به علمٌ ﴾ وقولَ الرّسولِ ﷺ : « المُتشبعُ بما لَم يُعطَ كلابسِ ثوبي زورٍ » .

وإِليكَ أَخي القارئُ بعضَ أَماراتِ هؤلاءِ المتعالمين المتطاولين الذين تصدّروا قبل أَن يتأهلوا ، وتزبّبوا قبل أَن يتحصرموا :

- تجهيلهم الآخرين ، ولو كانوا أَئمّةً في الدين .
- ولعُهم بحمدِ أَنفسِهم ما استطاعوا إِلى ذلك سبيلاً ، وربّما وصفوا أَنفسَهم بأَوصافٍ وأَلقابٍ ظاهرُها التواضعُ والزهدُ ، والحقيقةُ خلافُ ذلك .
- فرحُهم وغبطتهم بمَن يمدحُهم ، فتراهم يُقَرِّبُونَه ويُجلّونه ، أَمّا من ينتقدُهم فإِنّهم يبغضونَه ويعادونَه ، وربّما يُضَلِّلونَه ويُفَسِّقُونَه .
- تتبّعهم للغرائبِ الشواذِّ من المسائل ، وتَفَيْهُقُهم وتشدُّقُهم حباً للظهورِ ، وعُلوّاً في الأَرض .
- زهدُهم في الجلوسِ إِلى مَنْ هو دونهم أَو في مرتبتِهم في العلمِ لئلّا يُنسبوا للجهلِ وقلّةِ العلمِ .
- جرأتهم على الفتيا ، وهجومهم عليها دون ورع أَو تقوى ، فقلّما يقول

أَحدهم : لا أَدري ، حينما يُسأَلُ لئلّا ينسبَ للجهلِ ، فينفضَّ عنه العامّة .

□ ومن علامتهم : تعلّقُهم بالدنيا وأَهلِها ، وطلبُ المنزلةِ عندهم ، وربّما قدّموهم على إِخوانِهم من المؤمنين لينالوا عندهم عَرَضاً من أَعراضِ الدنيا الفانية .

إِلى هؤلاء المتعالمين أَقولُ :

أَعيدوا النظرَ في أَحوالِكم ، وراجعوا أُمورَكم ، وأَصلحوا من شأنِكم ، وابْدَؤوا من جديد ، اطلبوا العلم عن أَهلِه ، وَأْتوا البيوتَ من أَبوابِها ، فمن جاءَ البيوتَ من غيرِ أَبوابِها أَخذَ أَخْذَ اللصوصِ ، ولا تسأَلْ عن فضحيتِه وخزيه حينئذٍ ، ولا تحسبوا - يا هؤلاء - العلمَ جمعاً للمعلوماتِ فحسب ؛ إِذ لو كانَ كذلك من غير تقوى وعمل وتربيةٍ لكانَ (الكومبيوتر) شيخَ مشايخِ زمانِه ، فارحلوا أَيّها المتعالمون في طلبِ العلمِ ، وخذوه عن العلماءِ العاملين كما كانَ سلفُ هذه الأُمةِ يفعلون ، وكانَ ذلك شرفَهم الذي يتفاخرون به .

ختاماً :

أَسألُ اللهَ تعالى أَن يهديَ المتعالمينَ ، وأَن يقيّضَ للأُمّةِ علماءَ عاملين ربّانيّين ، يقمعون فتنةَ كلِّ متعالمٍ متشبعٍ بما لم يعطَ .

﴿ فأَمّا الزّبدُ فيذهبُ جُفاءً وأَمّا ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأَرض ﴾ .

واللهُ من وراءِ القصد .



الدكتور البوطي من خلال كتبه !!

أبو عبدالله الشامي

كتاب « العقيدة الإسلاميّة والفكر المعاصر » :

لقد ذكر البوطي في كتابه هذا تحت عنوان عقيدة الإمام الأشعري ما نصّه :

« هذا وخير ما يؤكّد لنا أنَّ الإمام الأشعري لم يكن مبتدعَ مذهب ، ولكنّه كان نصير مذهب جمهور المسلمين أهل السنّة والجماعة ، أن نُصْغِيَ إليه وهو يحدثنا عن معتقده بعد أن رجع عن الاعتزال ، وقد لخّص عقيدته في كتابه « الإبانة » – وهو آخر مؤلفاته – وها أنا أنقل عقيدته التي يَدِين بها من خلال نصّ كلامه في كتابه هذا دون تحريف ولا تلخيص . انتهى .

ثمّ نقل عقيدة الأشعري كما ذكر من كتابه « الإبانة » حرفيّاً ، وبعد ذلك عقّب وقال :

وإنّما نقلتُ لك هذا النّصّ بطوله حتّى يتبيّن لك من خلاله أنّ هذا الإمام لم يخترع لنفسه مذهباً يُنادي به كما فعل أصحاب الفرق الأُخرى .

وإنّما اعتنق ما كان يَدِينُ به جمهورُ المسلمين من علماء الحديث والفقه وسائر الصّحابة والتّابعين ، ومحوره ما دلّ عليه كتاب الله وسنة نبيه الكريم محمد ﷺ .

انتهى .

ثمَّ قال بعد ذلك بقليل :

وإنّك لتلاحظ في هذا النَّص الذي نقلناه أَن منهج الإمام الأَشعري في بناء العقيدة يقوم على النَّحو التالي :

أ – الأَخذ بكل ما جاءَ به الكتاب وبكل ما جاءت به السنَّة ، لا فرق في ذلك بين سنة متواترة وآحاد ما دامت ثابتة وصحيحة .

ب – الأَخذ بظواهر النصوص في الآيات الموهمة [١] للتشبيه مع تنزيه اللَّهِ عزَّ وجلَّ عن الشبيه والنظير ، فهو يعتقد أَنَّ للَّه وجهاً لا كوجه العبيد ويداً لا تشبه يد المخلوقات .

ج – إِثبات جميع الصِّفات التي أَثبتها اللَّه تعالى لنفسه مع اليقين بأَنَّها ليست كصفات المخلوقات وإِن اتفقت التسمية أَحياناً . انتهى .

فالنّص الذي نقله البوطي من كتاب « الإِبانة » للأَشعري سوف نقتطف منه مقتطفات لنعلم عقيدة الأَشعري ، إِذْ يقول : قولنا الذي نقوله ، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربِّنا عزَّ وجل وبسنَّة نبينا ﷺ ، وما روي عن الصّحابة والتابعين وأَئمَّة الحديث ، ونحن بذلك معتصمين ، وبما كان يقول بِهِ أَبو عبداللَّه أَحمد بن حنبل نضَّر اللَّه وجهه ورفع درجته وأَجزل مثوبته قائلين ، ولمن خالف قوله مجانبين . لأَنَّه الإِمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أَبان اللَّه به الحق ورفع به الضَّلال وأَوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين وشك الشَّاكِّين ، فرحمة اللَّه عليه من إِمام مُقدَّمٍ وخليل معظَّم مُضخَّم وعلى جميع أَئمَّة المسلمين ،

إِلى أَنْ قال : إِنَّ اللَّه استوى على عرشه كما قال : ﴿ الرحمٰن على العرش

---

(١) تأمَّل هذا التعبير القبيح الذي فيه إِسناد إِيهام التشبيه إِلى الآياتِ القرآنيَّة . (**الأَصالة**) .

استوى ﴾ وأَنَّ له وجهاً كما قال : ﴿ ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام ﴾ وأنَّ له يدين دون كيف كما قال : ﴿ خلقت بيدي ﴾ ، وكما قال : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ وأَنَّ له عيناً بلا كيف ، كما قال : ﴿ تجري بأَعيننا ﴾ ، وأَنَّ من زعم أَسماء اللَّه من غيره كان ضالاًّ ، وأَنَّ للَّه علماً ، كما قال : ﴿ أَنزله بعلمه وما تحمل من أُنثى ولا تضع إِلَّا بعلمه ﴾ .

ونُثبت للَّه عزَّ وجل السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والخوارج » .

إِلى أَنْ قال : إِنَّ القرآن مخلوق وأَنَّ من قال بخلق القرآن فهو كافر . ا هـ .

إِلى أَنْ قال : ونصدِّق بجميع الروايات التي يثبتها أَهل النَّقل من النّزول إِلى السَّماء الدنيا ، وأَنَّ الرَّب عزَّ وجل يقول : هل من سائل ؟! هل من مستغفر ؟! وسائر ما نَقلوه وأَثبتوه خلافاً لِما قاله أَهل الزيغ والتضليل . ا.هـ .

كتاب « منهج العودة إلى الإسلام » ، « الطبعة الثانية » :

قال في الصفحة « ١٩٨ » : إِنَّ على هؤلاء النَّاس أَن يهتموا قبل كلِّ شيء بتحقيق ذاتيتهم الإِسلاميَّة بدءاً من العقيدة الصَّافيَة الرَّاسخة في كل من الفكر والوجدان ... أ.هـ .

رسالة « باطن الإثم » :

قال فيها : إِنَّ المرض المصاب به المجتمع هو مرض أَخلاقي وليس فكري (!) أَو عقيدي (!) فلذلك يجب علينا أَنْ نعالجه من خلال ذلك المرض .

فكر وعقيدة البوطي :

هذه هي الكتب الأَربعة المختلفة من حيث الموضوع المتفقة من جهة المؤلف . يرى القارئُ لها المتحري الصواب والإِخلاص كناقض كثير في أَفكارها ، فما يثبته في كتاب ينقضه في آخر ، ومردُّ ذلك إِمّا إِلى عدم التزام منهج خلال التأْليف ، أَو تفاضل عن الكتب المطبوعة له وعدم النَّظر بها حتَّى يرى ما كتب ولا يناقضه في

آخر ، أَو الرجوع عن الرأْي السَّابق إِلى اللاحق ، ولكن هذا الوجه ينبغي التصريح به في الكتب اللاحقة وإِعلان تراجعه عن المسائل ؛ لأَنَّ الرجوع إِلى الحق سُنَّة قديمة وأَفضل من التمادي في الباطل ، أَو لسبب معلوم لدى المؤلف وقد يعلمه بعض القارئين !!؟

فالبوطي يرينا من خلال كتابه « كبرى اليقينيَّات » أَنَّه النَّاصح المشفق على الأُمَّة يتحرَّى الخير لها ، ومع ذلك يرجح عقيدة المعطلة على عقيدة أَهل السنَّة من إِنكار علوّ اللّٰه على خلقه وردّ النَّاس من الفطرة السَّليمة إِلى المُعْوَجَّة لينكروا ما يدركونه في فطرتهم بأَنَّ اللّٰه فوق العرش بائن من الخلق يدبّر أَمر العباد وهو معهم بعلمه وتوفيقه لا يخرجون من قدرتهم وسلطانه ورؤيته ومراقبته لهم سبحانه وتعالى .

فالبوطي لفَّقَ عقيدته تلفيقاً من عدَّة فرق إِسلاميَّة ، فمثلاً أَخذ من المعتزلة التعطيل والقول بخلق القرآن وهاجمهم في قولهم : « إِنَّ الحسن والتقبيح عقليَّان وَلَيْسا شَرْعيَّيْنِ .

أَمَّا عقيدة القدر فقد أَخذها من أَهل السنَّة والجماعة – على دَخَنٍ – وإِلى غير ذلك ... إِلخ .

– فأَين النّصح للأُمَّة والشفقة عليها ؟ بل أَين إِخلاص العالم ؟ يكتب ما كتب ومن ثمَّ يقرر في كتاب لاحق أَلا وهو « العقيدة الإِسلاميَّة والفكر المعاصر » خلاف ما أَثبته في كتابه السابق « كبرى اليقينيَّات » ويصحّح ويمدح عقيدة الإِمام الأَشعري صاحب كتاب « الإِبانة عن أُصول الديانة » ويقول فيه بأَنَّه الإِمام المتّبع لأَهل الحديث والفقه والصحابة والتابعين وجمهور المسلمين . ومع ذلك يتشبّث البوطي بعقيدته الباطلة المعطلة ، ولا يقيم وزناً للقراء أَو يحسب حساب من فتح الكتابين ورأَى التناقض الصريح العجيب ! .

أَمَّا في كتبه الفكريَّة التي يعالج فيها أُمور المجتمع ومشاكله والدعوة والداعية فحدِّث ولا حرج ؛ إِذ لا يخلو كتاب من تناقض في نفسه فضلاً عن مقارنته بآخر ،

مثلاً كتاب « منهج العودة إلى الإسلام » يقرر فيه أَنَّ ضعف الإيمان والعقيدة هو داء المجتمع ويجب أَنْ ننطلق من تأْسيس العقيدة الصحيحة لتتم الشخصيّة الإسلاميّة سلوكاً ووجداناً .

بينما نجدُه في رسالته « باطن الإثم » يقرر أَنَّ المرض أَخلاقي ولا ينقص المجتمع عقيدة أَو فكر بل أَصبح معه تخمة وتضخم في المؤلفات التي عالجت هذه المواضيع !!

ونترك البوطي لنفسه والذي يهمنا هو المجتمع بأَفراده ، وأَنّهم يجب أَنْ ينتبهوا لكل ما يقرؤون ، فليس كل ما هو مكتوب صحيحاً فضلاً عن أَنّه ليس كل كتاب يقرأُ ، وليس كل ما يعرف يقال !!؟ ...

وإلى اللَّه المشتكى ولا حول ولا قوّة إِلَّا باللَّه .

﴿ إِنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أَو أَلقى السّمع وهو شهيد ﴾ .

مقارنة عقيدة البوطي في كتابيه

« كبرى اليقنات الكونيّة » « العقيدة والفكر المعاصر »

حديث الآحاد

١ - حديث الآحاد لا يعتدّ به في بناء العقيدة !!

ـ نقل عن أَبي الحسن الأَشعري أنّه لا فرق بين المتواتر والآحاد الصحيح من حيث الحجّة والاستدلال ، وكلاهما يفيد اليقين والعمل وهو مستحسن لعقيدة الأَشعري ، ومادح لها بأَنّها عقيدة جماهير المسلمين من علماء الحديث والفقه وسائر الصحابة والتابعين ، ومحور ما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

كلام الله

٢ - يقول بخلق القرآن ولكن بأُسلوب فلسفي صعب الفهم ، فهو يسميه كلام نفسيّاً أَو مجازاً ، مع إِثباته لصفة الكلام لله ، ولكن لفظاً دون مضمونه ، أَي : دون صوت وحروف .

ـ نقل عن أَبي الحسن خلال النص : أَنَّ القرآن كلام الله ، وأَبو الحسن يقول بقول الإمام أَحمد بن حنبل رحمه الله .

٣ - نسبَ الشذوذ للإمام أَحمد بن حنبل رحمه الله عن أَهل السنّة في اعتقاده في صفة الكلام بأنّه حرف وصوت .

ـ البوطي أَقرّ بإمامة أَبي الحسن الأَشعري ومدحه واعترفَ بفضلِه وعلمِه وصحة عقيدتِه دون استثناء ، ونجدُ الإمامَ الأَشعريّ يمدحُ ويحترمُ ويبجل ويتأدب مع الإمام أَحمد بن حنبل حتّى إِنّه يصفه بأنّه « الرئيس الكامل والعالم الفاضل » ويستمسك بقولِه وعقيدته حرفياً التي منها صفة الكلام لله ، وأنّه بحرف وصوت .

عُلُوّ الله

٤ - أَنكر أَن يكونَ الله فوق خلقه مستوياً على عرشه .

ـ أَقرَّ عقيدة الإمام الحسن الأَشعريّ بأَنَّ اللهَ فوق خلقِه مُستوٍ على عرشه .

الصفات

٥ – عطّلَ وأَوّلَ معظمَ صفات الله كمثل اليد والوجه والعين .. إلخ .

ـ أقرّ عقيدة الأَشعري واستصوبها وهي إِثبات هذه الصفات وغيرها على نحوٍ يليقُ به سبحانَه ، فهو ليس كمثلِه شيءٌ لا في ذاتِه ولا في صفاتِه ولا في أفعالِه سبحانه وتعالى.

٦ – إِنكار جواز الإِشارة إِلى الله ، أو له صفة المجيء والإِتيان ، وما شابه ذلك .

ـ أقرّ عقيدة الأَشعريّ وهي الإِيمان بأنَّ اللهَ في السماء مع جواز الإِشارة إِليه سبحانَه ، ونسب الإِتيان والمجيئ إِليه كما وصف نفسه بقولِه :﴿ وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً ﴾ .

٧ – خلطه بين مذهب السلف ومذاهب المفوّضة .

ـ علمه بمذهب السلف من خلال نقل عقيدة الأَشعري ، والفرق بين السلف والمفوضة واضح وضوح الشمس .

٨ – زعم أنَّ المعتزلة وأَهلَ السنّة متفقان في أنَّ القرآن مخلوق ، والاختلاف بينهما لفظي فقط !!!

ـ علمه بعقيدة الأَشعريّ المتبع للإِمام أَحمد رحمه الله ، وأنَّ الفرقَ جوهريّ وأُصوليّ بين أَهل السنّة والمعتزلة، وهذا لا يجهله أَصغر طالب علم ، وإِلّا كانَ لا قيمةَ للصراع الفكري والمطاحنة لسنوات طوال بينهما !!

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

* اليمن بين الأمن والفتن

لم يستطع طلاءُ الوحدةِ بين اليَمَنين أَن يخفيَ التشقُّقاتِ في جدارِها الهَشِّ الذي يريدُ أن يَنقضَّ ؛ لأنّها وُلدت ميتة ؛ فهي على غير منهج الله ، وهذا يظهرُ بأدنى تأمّلٍ ؛ فقوات العسكر بقيت على حالِها شماليّة وجنوبيّة ، ووسائل الإعلامِ كذلك لها ولاءاتها الجاهليّة الموزعة بين القوميّة والاشتراكيّة والقبليّة .

وهذا يعني أنَّ عمليّةَ شدِّ الحبلِ لم تهدأ ، فكلٌّ من شركاء الوحدة يُسَرِّعُ مجرياتِ الأَحداثِ لتصلَ في النهايةِ إلى جيبِه ، وإن حاولت هذه الشركة الوحدويّة أَن تُعَمّقَ هذا الطلاءَ مرّةً أُخرى بما سَمَّوه العمليّة الديمقراطيّة التي جرت وتفجرت على سمع وبصرِ سيدةِ العالمِ الحرّ ... ولكن بقي باهتاً وأَظهرَ الشرخَ العميقَ ، واتسع الخرق ، فسارعوا إلى ترقيعِه فلم يستطيعوا لأنّه اتّسعَ فامتنع !

وكنّا ننظرُ إلى الأُمورِ بهذا العمقِ ، ونعلم - بما تعلّمْنا من سنن الله في التغيير - أنَّ الأَمرَ سيؤولُ إلى تدمير ، ولذلك كتبنا في هذه المجلة الناهضة كلمةً في عددها التاسع جاءت الأَيّامُ لتثبتَ مصداقيّتها وصدقها ، لأنّها شُيِّدت على أَساسٍ من الحقِّ المبين ، فقلنا - والمخدوعون يصفقون للوثائقِ الأَرضيّةِ المصنوعةِ بالأَيْدي : « إنَّ

أَخشى ما نخشاه أن تلجأَ الأَطرافُ المتنازعة إِلى الخيارِ العسكري لحسم الخلاف القائم بينها ، وإِن كانَ لا يلوح في الأُفق القريب ما يدلّ على ذلك ، ولكنّه ليس بمستبعدٍ عمّن اختاروه بينهم قبل سنوات في عدن ، فكيف إِذا كانَ الأَمرُ يتعلّقُ بالخصومِ السياسيّين الآخرين ، وعندها - لا سمح الله - ستدخل اليمن نفق الحربِ الأَهليّة التي لا تُبقي ولا تذر ... » .

وجاءت الأَحداثُ تترى ، وبدأ النزاعُ المسلّحُ على أَشدِّه ولا يزالُ ، وأَهلكت الحربُ الأَخضرَ واليابس ، وأَفسدت الحرث والنسلَ .

ولم تكن نظرتنا مِن باب « القدقدة السياسيّة الحَمّالة » ، ولم تكن كلماتنا « دبلوماسيّة مطاطة » يستطيعُ ملقيها على عواهنها أَن يختفي وراءَها إِذا جاءت الأَحداثُ تصفعُ ما قال ، ولكن المعطيات التي بين أَيدينا عرضناها على شرعِ الله وسننه التي تنتظمُ حياةَ الناس .

○ لقد نشدت رؤوس الأَحزابِ التي تؤلّف نظامَ الحكم الأمن قبل الإيمان ، وذلك ما صرّحَ به رئيسُ الحزب الاشتراكي في مأرب عندما صرّح قبل عام قائلاً : الأَمن قبل الإيمان !! وسمع اليمنيّون ذلك ورأوه على شاشةِ الرائي (التلفاز) .

○ وآثرت هذه الرؤوس الحياةَ الدنيويّة على دينها ، سعت لملء جيوبِها ولم تهتم بترسيخِ الدين في قلوبها ، فخسرت الدنيا والدين .

فعلمنا أنَّ المصيرَ إِلى تدمير ، فقد صدق من قال :

إِذا الإيمان ضاعَ فلا أَمان ولا دنيا لمن لم يُحْيِ دينا

○ وعلمنا أنَّ الوحدةَ التي قامت كانَ حاديها الجوع الذي حلَّ بالشطرِ الجنوبي من اليمن ، ومن شبع بعد جوعِه وكفر بأَنعمِ الله ، ومن كان كذلك عذّبه الله بالخوف ، لأنّ اللهَ سبحانه يرسلُ عذابَ الجوع ثمَّ يُتبعُه بالخوف .

﴿ وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلِّ مكانٍ فكفرت بأَنعُمِ الله فأَذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون ﴾ .

نعم ؛ لقد جاءوا .. ثمَّ لجأوا إلى الوحدة ، فتدفَّقَ البترولُ في ديارهم .. ولكنّهم لم يشكروا نعمَةَ اللهِ بل بطروا .. فجاء الخوفُ من كلِّ مكان .

□ أما الإسلاميّونَ فانشغلوا بأنفسِهم ، وانقسمت وِلاءاتهم ، وكادوا لبعضِهم ، حتّى إنّك لتظنّ أنّهم أجهزوا على الطوائفِ البدعيّة ، والأحزابِ العلمانيّة ، والولاءات الجاهليّة ، فلم يَبقَ سِواهم على الساحةِ ، فلم يجدوا ما يشتغلون به إلّا أنفسَهم .. فلذلك لم يقوموا بشرط الإصلاح الذي يدفعُ الهلاك : ﴿ وما كان ربّك ليهلكَ القرى بظلمٍ وأهلُها مصلحون ﴾ .

نعم ؛ لقد اشتغلَ كثيرٌ من الإسلاميّين (!) بأنفسِهم و تصيدوا عيوبَ بعضِهم ، وتراشقوا بكلمات مسمومة ، وتنابزوا بأسماء مذمومة ... فضيّعوا وأضاعوا.

ولا ننسى العصبيّةَ المستفحلةَ بين قبيلتي بكر وحاشد ، وانتشارَ السلاحِ بيد الجهّال الذين لا يرقبون في دم المؤمنين إلّا ولا ذمّة .

ولم يغب عن أذهاننا الأيدي الخفيّة وراء الحدود التي تنفخُ في كير الفتنة !

كلُّ هذه الأمور مجتمعة ساقت اليمن إلى دهليز الفتنة المظلم .

ولذا ، فإنَّ اليومَ نقول : إن لم يتدارك حكماءُ اليمنِ ودعاتها وأهلُ العلمِ فيها - من أهلِ السُّنّةِ - الأمرَ فإنَّ الحربَ ستطولُ ، ولا يظنّنَّ ظانٌّ أنّها ستنتهي بدخول عدن والسيطرة على حضرموت .. فوراء الأفقِ حاملات طائرات .. ومدمّرات .. وجنود وَمُجنّدات .. ينتظرون التوجه إلى اليمن السعيد (!) لأنَّ ذلك عندهم يوم عيد ، فإنْ لم يسبق أهلُ اليمن إلى إدراكِ ذلك .. فلينتظروا فتناً يُرَقِّقُ بعضُها بعضاً ..

نسألَ اللهَ أن يعيذنا وإخواننا في اليمن من الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ .. ولكن ينبغي أن نجعلَ مع الدعاء شيئاً من القطران .

وأمّا نتائج هذه الحرب على الأمّة الإسلاميّة وبخاصة العربَ منها أنَّ دعاةَ التفرقة والقطريّة والإقليميّة أضافوا إلى رصيدِهم دليلاً آخرَ على دعوتهم إلى التشرذم ، فها هم يقولون : لن تنجح الوحدة بين هذه الأمّةِ ، ويضربون على ذلك مثلاً بسلسلة الفشل (مصر وسوريّة) ، (ومصر وليبيا) ، .. وآخرها (اليمن واليمن) .. وهكذا ترشح هذه الحرب جذرَ الدول القُطْريّة . !!!

القرّاء منهم وإليهم

التحرير

* وصلت إلى مجلّة **الأصالة** رسالةٌ لطيفةٌ من الأخ الفاضلِ خالد بن إبراهيم الشمسان – المذْنب – يقول فيها :

الحمد للّهِ الذي أقرّ أعينَنا برؤيةِ رسالةِ الأُمّة إلى الكتابِ والسنّةِ بفهمِ سلفِ الأُمّةِ ، كما أحمده سبحانَه أن جعلَ من **الأصالة** منبراً لكلِّ مسلم مخلصٍ داعٍ إلى الحقِّ ، والصلاةُ والسلام على من بيّنَ المنهجَ الواجبَ اتباعُه وسلوكُه ، والرّجوعُ إليه ، وعلى آله وصحبِه سلف هذه الأُمّة الذين قال فيهم الإمام مالكٌ : ولا يصلحُ آخرُ هذه الأُمّةِ إلّا بما صلحَ به أوّلُها » .

فأحمده وأشكره – وهو أهل الحمدِ والثناءِ – أن هيّأ لنا **الأصالةَ** الناصحةَ الصابرةَ نتفيّأُ ظلالَها ، ونستقي من معينها الصافي الزلال الذي لا غنى لمسلم عنه بحال ، فحقٌّ على كلِّ مسلم محتسبٍ أن يشدَّ بها وبالقائمين عليها ، حيثُ منهجنا جميعاً ما كانَ عليه النبيُّ محمد ﷺ وأصحابه ، ومن اقتفى أثرَه عليه الصلاة والسلام .

آمل أن تكتحلَ أعيننا برؤيةِ **الأصالة** منتصفَ كلِّ شهر هجري آمين يا ربّ .

محبّكم في اللهِ خالد بن إبراهيم الشمسان

○ **الأَصالة** تشكرُ الأَخَ خالدَ الشمسان على هذا الموقف النبيل منها ، وهذا الشعورِ الصادقِ ، وستعجّل **الأَصالة** إن شاءَ الله في تلبية رغبتك هذه ، ورغبةِ الكثير من قُرّائِها جاهدةً على أَن تكونَ أَصيلةً في طرحِها ومنهجِها ، ونقاءِ ظاهرِها وباطنِها .

ونسألُ اللهُ أَن يحققَ ما نصبو إِليه جميعاً من إِصدارِها منتصفَ كلِّ شهرٍ ، وما ذلك على اللهِ بعزيز ، كما نشكركم على ما نشرتموه عن **الأَصالة** في جريدة الجزيرة ، واقبلوا من أُسرة تحرير **الأَصالة** وافرَ التقدير والاحترام .

* ووصلت إِلى **الأَصالة** رسالةٌ رقيقةٌ من الأَخِ الفاضلِ سالم بن صالح المرفدي السعودية – القصيم – بريدة – يقول فيها :

السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته

فهذه أَوّلُ رسائلِي إِليكم أُحمّلها سروري العظيم بصدورِ مجلّتنا المباركة « **الأَصالة** » ، فهي واضحةُ المسالكِ والمنهاجِ ، ووسائلها مبيّنةٌ أَتمَّ بيان ، ومطالبُها مبرهنةٌ بأَحلى برهان ، ومباحثُها متقنةٌ أَيَّ إِتقان ، لا سيّما وهي محلاّة بفتاوى شيخِنا العلاّمة محمد ناصر الدين الأَلبانيّ حفظه الله ، فمن يهزّ نخلاتِها تَساقط عليه رطباً جنيّاً .

نسألُ الله أن يُعينَكم على القيامِ بهذه المهمّةِ الجليلةِ .

○ **الأَصالة** : نشكرك يا أخ سالم المرفدي على رسالتِك الطيبةِ ، ونرحبُ بك أَخاً محبّاً وزميلاً ومشاركاً في دعمِ مسيرةِ **الأَصالة** ، والمشاعر التي أَبديتموها نحو مجلتِكم **الأَصالة** ، إِنّما تعبّرُ عن الأُخوةِ الصادقةِ والمنهجِ السليم والعقيدةِ الصافيةِ التي تسيرون عليها ، وفّقَ الله الجميع لما يحبُّ ويرضى .

ويذكُرُ الأَخُ في رسالتِه رغبتَه في المشاركةِ في **الأَصالة** ، وقد بعثَ مقالاً بهذا الخصوصِ ، كما يبلّغُ سلامَه لشيخنا ووالدِنا محمد ناصر الدين الأَلبانيّ حفظه اللهُ ولأسرة تحريرِ **الأَصالة** .

نعَم .. لِتَنَافُسِ الآخرة ..

التحرير

تَطلُّعُ أَهلِ الدنيا وأربابِها للأُمورِ يختلفُ اختلافاً بيِّناً عن تَشَوُّفِ أَهلِ الآخرةِ :

فالأُوَلُ : نظرتُهم مادِّيَّةٌ ، وتنافسُهم دنيويٌّ ، وصنائِعُهم مَبنيَّةٌ إِمّا على حَسَدٍ وإِمّا على مَكْرٍ !!

وأَمّا الآخَرُونَ : فنظرتُهم عُلْوِيَّةٌ ، وتنافسُهم أُخرويٌّ ، وأَفعالهم قائمةٌ على التقوى وحُسنِ الخُلُق ، وصِدْقِ التوجُّه إِلى الله ..

فعندما يُوجدُ نوعٌ مِن التنافسِ بين هؤلاءِ وأُولئك ، فليس مِن شكٍّ أنَّ هناك رابحاً وخاسراً ، ولكنْ على وجهين :

أمّا الرّابحُ الأوّلُ : فهو الفائزُ في بهارجِ الدنيا وزخارفها .. وهو – في حاصل أَمرِه – الخاسرُ الحقيقيُّ !!

وأمّا الخاسرُ الظاهرُ : فهو مَن فاتَه نصيبُه الدنيويُّ نتيجةَ التزامِه الحقِّ بأدبِ الإِسلامِ ، وخُلُقِ الإِسلام ، ومكارمِ الإِسلامِ .. وهو – حقيقةً – الرابحُ الحقُّ ..

فَهَلّا راجَعْنا حساباتِنا في كثيرٍ من شؤوننا ..

وهَلّا حاسَبْنا أَنفسنا في جُلِّ (مشاريعنا) ..

وهلّا صَدَقْنا مع ربِّنا في تنافُسِنا .. حتّى يَصدُقَنا اللهُ - سبحانَه - في منِّه وعطائِه ...

﴿ أَم يَحْسُدونَ النّاسَ على ما آتاهُمُ اللهُ مِن فضلِهِ ﴾ ...

﴿ تلك إِذاً كرَّةٌ خاسرة ﴾ .

لا يَقْرَبُها مُريدُ الآخِرة ..

﴿ وفي ذلكَ فَلْيتنافَسِ المُتنافِسُون ﴾ .

﴿ وَلِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العامِلُون ﴾ .

وبالله - وحده - التوفيقُ ، وهو - سبحانه - المُستعانُ ..

كشاف تحليلي لأعداد السنة الثانية

تنبيه وبيان

لتكونوا عوناً لنا على نشر العلم النافع ، وتعميم الفائدة بين المسلمين ؛ سيراً على نهج سلفِ الأمّة الصالحين ، وطرائقهم الخيّرة في الدعوة والتربية.

ولأنَّ كُلّاً منّا - نحن المسلمين - على ثَغرة، فإنَّنا نعرضُ عليكم باباً من أبواب البرِّ تفتحونه لأنفسكم؛ ينفعكم - بمنّة اللّٰه - في أُخراكِم، وذلك من خلال تَبنّيكُم مجموعةَ أعداد من رسالتكم (**الأصالة**) ، ومن ثمَّ توزيعها على طُلّاب العلم والحريصين على التعلُّم .

وعليه؛ فإنّنا نرجو منكم - إن رغبتم - تحديدَ ما يلي :

أولاً : الكميَّة التي ترغبون بتوزيعها :

١ - (٥٠) نسخة . ٢ - (١٠٠) نسخة . ٣ - (٢٠٠) نسخة .

٤ - (٥٠٠) نسخة . ٥ - (١٠٠٠) نسخة . ٦ - (   ) نسخة .

ثانياً : الجهة التي ترغبون أن توزع فيها :

١ - البلاد الإسلاميَّة الفقيرة .

٢ - تقدمةٌ للمراكز الإسلاميَّة والمجلات الأخرى والشيوخ .

٣ - المساجد . ٤ - طلبة العلم الفقراء .

ثالثاً : الاشتراك الذي ترغبونه :

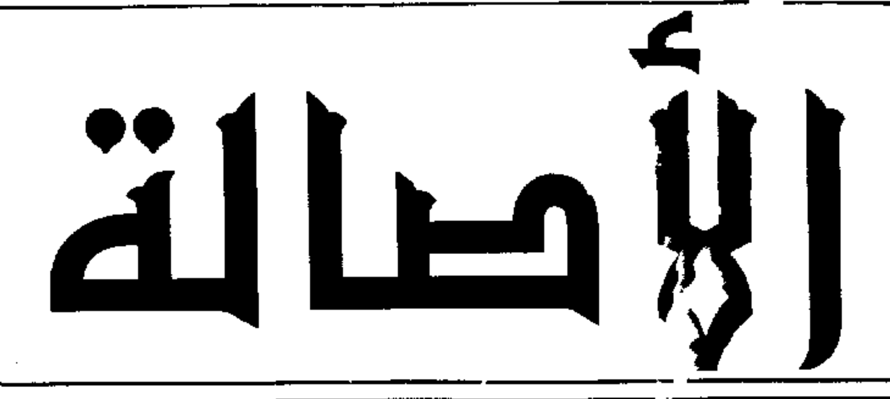
١ - نصف سنوي . ٢ - سنوي . ٣ - أعداد معيَّنة .

رابعاً : طريقة التوزيع التي ترغبونها :

١ - أن نُسَلِّمها لطرفكم، أو لجهةٍ معيَّنة أنتم تُحَدِّدونها .

٢ - أن نقومَ نحن بتوزيعها .

خامساً : يُرفق شيك بالقيمة الإجمالية ، على وَفْق المطلوب ، باسم رئيس التحرير



عَودةٌ إلى الكتابِ والسُنَّة بفهم سَلَف الأمَة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجيَّةٌ جامِعَةٌ

تصدر منتصف كلّ شهر هجري ، وفي كلّ شهرين مرّة مؤقّتًا

السنة الثالثة : العددان الثالث عشر والرابع عشر

١٥ رجب ١٤١٥ هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نصر

ص ب ٥٣٣٨ / ١١٣

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحمدَ للَّه ، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا ، ومِن سَيِّئـاتِ أَعمـالنا ، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا الله حَقَّ تُقاتهِ ولا تَموتُنَّ إلّا وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالًا كثيرًا ونِساءً واتَّقوا الله الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ الله كانَ عَلَيكُم رَقيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا الله وقولوا قَولًا سَديدًا يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ الله ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزًا عَظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه ، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها ، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

المحتوى

من بَطَّأَ به عمله .. لم يسرع به نسبه

التحرير

لقد خلق اللَّهُ الخلقَ كلَّهم من آدم ، وآدم من تراب ؛ لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ إِلَّا بالتَّقوى مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكرمَكم عند الله أَتقاكم ﴾ .

فالإِيمان ، والعمل الصَّالح ، وتقوى اللَّه ، وحسن الخلق هو معيار التفاضل بين النَّاس ، لكن حينما يفلس الإِنسان من هذه المعاني الجليلة ، يسعى إِلى البحث عن بديلٍ يعلو به على النَّاس - سواءٌ كان ذلك نسبًا ، أَم لونًا ، أَم مالًا ، أَم شرفًا - حتَّى لو كان خواءً من العمل الصَّالح !!

والإِسلامُ جاء ليزن الإِنسانَ بما يحمل من فضائل وصفات ، لا بما يحمل من مالٍ وجاهٍ ونسبٍ ؛ فإِنَّ هذه الأَشياء لا اعتبار لها عند اللَّه إِذا لم يشفع لها إِيمانٌ وعملٌ صالحٌ .

فقد صحَّ في الحديث : « إِنَّ اللَّه لا ينظر إِلى صوركم وأَموالكم ، ولكن ينظر إِلى قلوبكم وأَعمالكم » .

وقد مرَّ بالرَّسول ﷺ - وهو جالسٌ مع أَصحابه - رجلان ، فسأَل عن الأَوَّل ، فقالوا : هذا الذي إِذا تكلَّم أَصغى له النّاس ، وإِذا حضر فسَحوا له في المجلس ، وإِذا خطب زُوِّج ، و ... إِلخ . وسأَل عن الآخر ، فقالوا فيه نقيضَ ما قالوا في صاحبه ، فقال ﷺ في شأن الثاني : « هذا يساوي ملء الأَرض من ذاك » ، والسببُ أَنَّه يخشى اللَّهَ ، ويتَّقيهِ ، وقد تحلَّى بالفضائل ، أَمَّا الأَوَّل فليس له من ذلك نصيب .

وقد سدَّ النَّبيُّ ﷺ بابَ المفاضلة والمفاخرة بالأَنساب حينما قال : « إِنَّ اللَّه قد أَذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية ، وتعاظمها بالآباء ، النَّاس من آدم ، وآدم من تراب » ،

وبيّن أَنَّ الذي يقرّبُ العباد إلى ربِّهم زُلفى إنَّما هو الإيمان والعمل الصَّالح ، فقال لأقرب النَّاس إليه : « اعملوا ؛ فإنّي لا أُغني عنكم من اللَّه شيئًا » ، قال ذلك لابنته فاطمة ، وعمِّه العبَّاس ، ولعمَّته صفيَّة ؛ حتَّى لا يظنَّ ظانٌّ أَنَّ النَّسب الشريف قد يشفع لصاحبه دون أَنْ يقترنَ معه عملٌ صالحٌ .

فهذا ابن نوح – عليه السَّلام – هل أَغنى عنه نسبه شيئًا ؟! ﴿ ونادى نوحٌ ربَّه فقال ربِّ إنَّ ابني من أَهلي وإنَّ وعدك الحق وأَنت أَحكمُ الحاكمين • قال يا نوح إنَّه ليس من أَهلك إنَّه عملٌ غير صالح ... ﴾ ، فنفى اللَّه عن ابن نوحٍ نسبَ الدين لمَّا أَصرَّ على البقاء مع الكافرين ، ولم يشفع له نسبُ الدَّم والقرابة شيئًا .

وهذا إبراهيم – عليه السَّلام – هل أَغنى عن أَبيه نسبُه شيئًا ؟! ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأَبيه إلَّا عن موعدة وعدها إيَّاه فلمَّا تبيَّن له أَنَّه عدوٌّ لله تبرأَ منه إنَّ إبراهيم لأوَّاهٌ حليمٌ ﴾ .

فالنسبُ الشريفُ والتشبّث بالصالحين لا يُفيدُ صاحبَه شيئاً مع إصراره على الكفر والفسوق والعصيان ؟! وسورة المسد أَكبر شاهد على ذلك .

بل إنَّ الله نهى نبيَّه أَنْ يستغفر للمشركين حتى لو كان ذلك المشرك أُمَّه أَو عمَّه ، فقال تعالى : ﴿ ما كان للنَّبي والذين آمنوا أَنْ يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى من بعد ما تبيَّن لهم أَنَّهم أَصحاب الجحيم ﴾ .

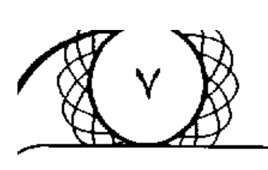
فالاتِّجار بالأَنساب – دون علمٍ وعملٍ واستقامةٍ – من أَعمال الجاهلية الأُولى التي حاربها الإسلام ، وليس ثمَّتَ أَحَدٌ حجَّةً على دين اللَّه إلَّا حينما يقوم على شرع اللَّه ، ويحكِّمه في نفسه ، وعلى غيره ممَّن هم تحت مسؤوليته ورعايته .

فمن أَراد نيل الآخرة بنسبه وجاهه ، كان كمن يلهث خلف السَّراب ﴿ حتَّى إذا جاءه لم يجدْه شيئًا ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ .

واللَّه وحده الهادي إلى سبيل الحقِّ والصَّواب .

ثمَّ إنّا نقولُ :

يُوافقُ هذا العددَ بدايةُ السنّةِ الثالثةِ لـ « **الأَصالة** » ، وهي ما تزالُ على ما هي



عليه من الصدورِ في كلِّ شهرين مرّةً ، وذلك لأَسبابٍ فوقَ الوُسْعِ ، وإنْ كانت الرَّغبةُ منّا شديدةً بإصدارِها شهريّاً .

وسوفَ يُلاحظُ قُرّاؤنا الأَفاضل ثوبَ (**الأَصالةِ**) الجديد ، الّذي ازدانت به في هذا العدد ، شكلاً ومضموناً ، ولعلّ في هذا - إنْ شاءَ اللهُ - استجابةً لكثيرٍ مِن رَغَباتِ قُرّائنا وإخوانِنا .

وقد أكّدنا ذلك بإضافةِ (استبيان **الأَصالة**) ؛ نستطلعُ فيه آراءَ إخوانِنا القُرّاء وتوجيهاتهم وملاحظاتِهم ، راجينَ منهم في كلِّ مكانٍ التعاونَ والتواصلَ لرفعِ مُستوى (**الأَصالةِ**) إلى القَدْرِ الذي تطمئنُّ إليه قلوبُنا جميعاً .

وإنّنا لنَعتذرُ للإخوةِ الأَفاضلِ الحريصين على مُتابعةِ (**الأَصالةِ**) عن هذا التّأَخُّر الطارىءِ في إصدارِ العددِ الثالث عشر ، وذلك لِحَدَثٍ أَلَمَّ بنّا ، ممّا حالَ دونَ صُدورِها في آنِها ، فاللّهمَّ فَرِّجْ ويَسِّرْ .

ومِن أَجلِ ما سَبَقَ ذِكْرُهُ ؛ ارْتأَيْنا - بعد مُشاورةٍ من بعضِ أَهلِ الاختصاصِ - دَمْجَ العددين : الثالث عشر والرابع عشر ، ليكونوا في غلافٍ واحدٍ ، وهذه جادّةٌ مطروقةٌ مِن بعضِ المجلّاتِ الإسلاميّة حين الضرورةِ .

وأَخيراً : فإنَّ ممّا أَسعدَنا ، وأَثْلَجَ صدورَنا ما تكرَّمَ به فضيلةُ الشيخِ محمد بن صالح بنِ عُثيمين حفظه اللهُ من إرسالِ (كلمات) توجيهيّةٍ لعامّةِ المُسلمين ، خصَّ بها (**الأَصالةَ**) وقُرّاءَها ، عسى أَن تُفيدَهم - إنْ شاءَ اللّهُ - في قواعدِ (فهم القرآنِ والسُّنّةِ) ، فجزاهُ اللهُ خيراً ، ونَفَعَ به .

وإنّنا لَنَهْتَبِلُها فُرصةً - في هذا المقام - لتوجيه طَلَبٍ حثيثٍ إلى أَهلِ العلمِ عموماً ؛ علماءَ وطلبةَ علمٍ ليضمُّوا أَيديَهم إلى أَيدينا من أَجلِ مواصلةِ السيرِ الدؤوبِ الّذي خَطَطْناه في هذه المجلّةِ ، دعوةً إلى الكتابِ والسنّةِ ، وتأْصيلاً لمنهجِ سَلَفِ الأُمّةِ ، وذلك بالنُّصحِ تارةً ، والنَّقْدِ أُخرى ، والمقالةِ طَوْراً ، والتعريف طوراً آخر ...

فاللهَ نسأَلُ التوفيقَ والسَّدادَ ، والهدى والرَّشاد .

وآخرُ دعوانا أَن الحمدُ للّهِ ربِّ العالَمين .

﴿ ... فأَضَلُّونا السَّبِيلا ... ﴾

علي بن حسن

تَنْطَلِقُ الآيات القرآنيةُ المنبثِقةُ معانيها مِن خلال السِّياق المُتسلسل بنظم عجيبٍ عظيم ، يؤَكِّدُ لكلِّ ذي عَقْلٍ حقيقةً لا يشكُّ فيها ذو لُبٍّ أَنَّ هذه الآياتِ إِنَّما هي كلامُ اللَّهِ العليّ الأَعلى سبحانه .

وتُقَرِّرُ هذه الآياتُ - ضمنَ سياقاتها - معانيَ شتَّى ، وحقائق عدَّة ؛ بَدْءًا من العقيدة والتوحيد ، ومرورًا بالمعاملة والعبادة ، وانتهاءً بالخلق والسُّلوك .

والآيةُ الَّتي نتأَمَّلُ - اليومَ - شيئًا مِن معانيها ، ونتفهَّمُ بعضًا مِن مراميها آيةٌ تُبيِّنُ حالَ ومآلَ فئةٍ من النَّاس الَّذين نَسُوا الغايةَ الأَساسَ مِن خَلْقِهم ، وتغافَلُوا - لسوءِ أَحوالهم - عن حقيقة الصِّلةِ الواجبِ وجودُها بين الخَلْق والخالقِ ؛ فأَعْرَضوا ، وجهلوا ... فضلُّوا ، وأَضلُّوا .

ويومَ القِيامة يتندَّمون ، ويعلمون ما هم عليه مُقْبِلون ، فيعترفون ، ولكنْ .. ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاص ﴾ !!

فلا ندامةَ ، ولا تأسُّفَ ، ولا تحسُّرَ على ماضٍ ...

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وجوهُهُم فِي النَّار يقولون يا لَيْتَنا أَطَعنا الله وأَطَعْنا الرَّسولا وقالوا رَبَّنا إِنَّا أَطعنا سادَتَنا وكُبراءَنا فأَضَلُّونا السَّبيلا ﴾ .

.. لأَنَّهم لم يستجيبوا لأَمر اللَّه سبحانه ، ولم يُسْلِسوا قيادَهم لرسولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فكانوا أُلعوبةً بأَيدي كُبرائهم ، وأُرجوحةً تحت أَقدامهم ؛ يتحرَّكون بحركتهم ، ويسكُتون بسكتتهم ، ويُرَدِّدون - كالبَبَّغاواتِ - ما يقولون ، ويُكرِّرون - دونما وَعْيٍ - ما هُم يُقرِّرون !!

تتغَيَّرُ أفكارُهم بكلمةٍ (!) وتَنْمَحي آثارُهم بلفظةٍ (!!) وتتبدَّل مواقفُهم بهمسةٍ (!) .

لذا ؛ فتَرَاهم يصيحون ويَصْرُخون : ﴿ ... فأَضَلُّونا السَّبيلا ﴾ ، أَي : « أَزالونا عن محجَّةِ الحقّ ، وطريق الهدى والإِيمان بك ، والإِقرار بوحدانيَّتك ، وإِخلاص طاعتك في الدنيا »[1] !!!

ولماذا ؟! لسانُ حالهم يقولُ : « اعتقدْنا أَنَّ عندهم شيئًا ! وأَنَّهم على شيءٍ !! فإِذا هم ليسوا على شيءٍ »[2] .

وكم مِن أَمْثالِ هؤلاءِ – على تفاوُتٍ في الضلالِ والإِضْلالِ – نراهم في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ !!

كم مِنهم – ومِن أَشكالهم – مَن يتصَدَّرون ، ويفتخرونَ ، ويستَغْلون ، ويتعاظمون .. وهم « ليسوا على شيء »[2] .

فَهَل مِن رَجْعَةٍ تكونُ الطَّاعةُ المُطْلَقَةُ فيها للَّهِ جلَّ في عُلاه ؟!

وهل مِن أَوْبةٍ يكون الالتزامُ الصَّادقُ فيها بأَمْرِه سبحانه وتعالى ؟!

فلا طاعةَ إِلَّا في ظلال طاعتِه .

ولا هدايَة إِلَّا في أَفْياءِ أَحكامِه .

فأَهلُ الطاعةِ والهدايةِ يُخاطَبون يومَ القيامةِ ، ويُقالُ فيهم : ﴿ لهم البُشْرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

فأَين أُولئك مِن هؤلاءِ .. في الدنيا ، وفي الآخرة ؟!

---

(١) « جامع البيان » (٢٢ / ٥٠) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٣ / ٨٢٦) .

الخصومة

أبو عبيدة مشهور بن حسن

أخرج البخاري في « صحيحه » رقم (٧١٨٨) بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أبغض الرِّجال إلى الله الألَدُّ الخَصِمُ ».

في هذا الحديث بيان أَنَّ النِّزاع والخصومة غير مرغوب فيهما شرعًا ، لما يسبِّبانه من النُّفور والشقاق بين المسلمين ، وبين أَفراد المجتمع جميعًا ، وانطواء قلوب بعضهم على بعض ، والضغينة للآخرين ، في حين أَنَّ مِن أَسمى أَهداف الشرع أَنْ تتوحَّد الأُمَّة وتجتمع على التوحيد ، وتسود الأُلفة والمحبةُ بين أَفرادها .

والنصوص الواردة في ذلك كثيرة وشهيرة ، والذي أَودّ بيانه هنا أُمورٌ :

الأَوَّل - إِنَّ أَبغضَ النَّاس عندالله - عزَّ وجلَّ - من كان مشهورًا بالخصومة ، وله لَدَدٌ فيها ، فهو لا يتقي الله في خصمه ، بالافتراء عليه تارةً ، وتحميل كلامه ما لا يحتمل تارةً أُخرى ، وقبول كلام خصوم هذا الخصم من غير تثبُّتٍ ولا تبيُّنٍ .

الثاني - إِنَّ الرَّجل الذي يفجر في خصومته فيه خَصلة من خصال النِّفاق ، فقد ثبت في « صحيح البخاري » (رقم ٣٤) ، و « صحيح مسلم » رقم (٥٨) أَنَّ النَّبي ﷺ قال : « أَربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النِّفاق حتى يدعها : إِذا حدَّث كذب ، وإِذا عاهد غدر ، وإِذا وعدَ أَخلف ، وإِذا خاصم فجر » .

الثالث - إِنَّ الذي يخاصم النَّاس بباطلٍ - وهو يعلمه - فهو يرتع في سخط الله عزَّ وجلَّ - والعياذ بالله - حتى يرجع عن المخاصمة ، أَو يعترف بالحقِّ أَمام

الحُكم ، أَو يردَّ ما أَخذ بالباطل لصاحبه .

أَخرج أَحمد في « مسنده » (٢ / ٨٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٤ / ٩٩) وغيرهما بإِسنادٍ جيِّدٍ عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال : سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول : « من خاصم في باطلٍ - وهو يعلمه - لم يزل في سخط اللَّه حتَّى ينزع » .

الرابع - ومن الجدير بالذِّكر أَن قَصْرَ الحديث الأَخير على خصومة الإِنسان عن نفسه مما يأباه منطوق الروايات الأُخرى ، من مثل :

ما أَخرج أَبو داود في « السنن » رقم (٣٥٩٨) ، وابن ماجه في « السنن » رقم (٢٣٢٠) من حديث ابن عمر مرفوعًا : « من أَعان على خصومةٍ بظلمٍ - أَو يعين على ظلمٍ - لم يزل في سخط اللَّه حتَّى ينزع » .

فالوعيد المذكور في الحديث عامٌّ لمن يخاصم عن نفسه وعن غيره ، إِذا كان المخاصَم عنه مبطلًا ، ولهذا ترجم أَبو داود على الحديث (باب في الرجل يعين على خصومةٍ من غير أَن يعلم أَمرها) ، وترجم عليه البيهقي (باب إِثم من خاصم أَو أَعان في الخصومة) .

الخامس - ويدلُّ عليه أَيضًا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزلنا إِليك الكتاب بالحقِّ لتحكم بين النَّاس بما أَراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا ﴾ [النِّساء : ١٠٥] .

فـ (الخصيم) هنا بمعنى : المنتصر المدافع ، فأَفادت الآية بمنطوقها حرمة الدِّفاع عن الخائنين ، قال العلَّامة الشيخ السَّعديُّ - رحمه اللَّه تعالى - في تفسير الآية : « أَي : لا تخاصم عمن عُرفتْ خيانته من مدَّعٍ ما ليس له ، أَو منكرٍ حقًّا عليه ، سواء علم ذلك أَو ظنَّه » وقال : « ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل ، والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية »[١].

---

(١) « تيسير الكريم الرَّحمن » (٢ / ٧٣) .

خَلَلٌ في المنهجِ

سعود بن ملّوح العنزي

إنَّ الصّراعَ الّذي تشهدُه السّاحةُ الإسلاميّةُ – بعامّة – ، والعربيّةُ على وجهِ الخصوصِ بين الحكوماتِ من جهةٍ ، و الجماعات (ا) الإسلاميّةِ من جهةٍ أُخرى هو – دونما شكٍّ – يخدمُ أَعداءَ هذا الدينِ المُتربصين به في كلِّ مكانٍ ، الذين ﴿ يريدون ليطفئوا نورَ اللهِ بأَفواهِهم واللهُ مُتمُّ نورِه ولو كره الكافرون ﴾ [الصف : ٨] .

كما أَنَّ هذا الصراعَ ليسَ في صالحِ الصحوةِ الإسلاميّةِ الّتي أَنعمَ اللهُ عليها بوجودِ شبابٍ متمسكٍ بدينِه ، ومتحمسٍ لقضايا أُمتِه ، ويشهدُ على هذا : النكساتُ الّتي أَصابت هذه الجماعاتِ من جرّاءِ صراعِها الطويلِ مع حكوماتِها ممّا كانَ له أَثرٌ سلبيٌّ على مسيرةِ العملِ الإسلاميِّ وبخاصةٍ على هذه الجماعاتِ .

وعلى الرّغمِ من مرورِ زمنٍ طويلٍ على انتهاجِ عددٍ مِن الجماعات الإسلاميّة أُسلوبَ المواجهةِ مع حُكوماتِها إلّا أَنّها لم تجنِ من هذا وراءِ هذا المنهجِ إلّا كلَّ شرٍّ وخسارةٍ بحقِّها وبحقِّ مجتمعِها .

على الرّغمِ من أَنّها تهدفُ إِلى تطبيقِ حكمِ اللهِ في الأَرضِ – زعموا – إلّا أَنّها لم تستطع – وإِلى وقتنا الرّاهن – أَن تتفقَ فيما بينها على منهجٍ يوحّدُ كلمتَها ، وينظّمُ جهودَها ، ويستثمرُ طاقاتِها ، بل على العكسِ من ذلك فالصراعُ بينها على أَشدِّه ، ودائرةُ الخلافِ تتسعُ يوماً بعد آخر ﴿ فتقطّعوا أَمْرَهم بينَهم زُبراً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون ﴾ [المؤمنون : ٥٣] !!!

ولا شكَّ أنَّ في هذا دلالةً واضحةً على أَنَّ هناك انحرافاً كبيراً في المنهجِ الّذي

سلكته هذه الجماعاتُ لتحقيقِ غاياتِها .

يقولُ فتحي يَكن - معترفاً بالخسائرِ التي تكبدتها « الجماعاتُ الإسلاميّة » !! :

« منذُ ربعِ قرنٍ والحركةُ الإسلاميّةُ الحديثةُ تعيشُ مِحَناً ضاريةً تقدّمُ فيها الشهيدَ تلو الشهيدِ ، وتبذلُ الثمنَ غالياً من وجودِها وحياتِها دونَ أَن يكونَ لها من ذلك أدنى مردودٍ » .

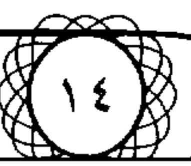
ثمَّ قالَ : « والحركةُ الإسلاميّةُ بالرّغم من كلِّ هذا لا يزالُ أُسلوبُها في العملِ نفسَ الأُسلوبِ الّذي مارسته في ظلِّ أَوضاعٍ غدت في خبر كان ..

بل وغدت ممارستها له اليوم - وفي أَعقابِ التحوّل الجذريّ الّذي تشهدُه المنطقةُ - ضرباً من الانتحارِ وجريمةً لا يجوزُ السكوتُ عنها » [1] .

وقد ظنّت الجماعاتُ الإسلاميّةُ - وللأسفِ - أَنّها إن استطاعت السيطرةَ على الحُكم فإنَّ بإمكانِها تطبيقَ الشريعةِ بعد ذلك !! وقد نَسِيَتْ أَو تناست أَنّها تعيشُ وسطَ شعوبٍ أُبعدت عن دينها بوسائلِ التغريبِ و (التَّطْويع) وغيرِها ، فرانَ على القلوبِ الجهلُ ، وسرى حبُّ الدنيا في عُروقِها ، فلم يعد من الممكن أَن تطبّقَ الشريعة - حالياً - بالسهولةِ الّتي يتخيّلها (البعض) ، كما أَنّها نَسِيَتْ - أَو تناست - أَنّ هذا الطريقَ الّذي تسلكُه اليومَ لم يكن خافياً على الرسولِ ﷺ حينَ عرضَ عليه قومُه المُلْكَ والسيادةَ ، ولكنّه ﷺ كانَ يعرفُ طبيعةَ المجتمعِ الّذي يعيشُ فيه ، وأنّه غيرُ مهيأٍ لقَبولِ تكاليفَ سماويةٍ ؛ لأَنَّ العادةَ والقبيلةَ وغيرَ ذلك كانت تحتلُّ من القلوبِ مكاناً عظيماً ، ولأَجلِ هذا ظلَّ ﷺ ثلاثَ عشرةَ سنة في مكّة يُوَصّلُ في نفوسِ مجتمعِه العقيدةَ السليمةَ ؛ ذلك لأَنّه ﷺ كانَ ينظرُ أَبعدَ من هذا ، ويعلمُ عاقبةَ التسرّعِ إنْ لم تُوَصَّل العقيدةُ - أَوّلاً وقبل كلِّ شيءٍ - في نفوسِ الناسِ ، فإذا ما خالطَ حبُّ هذا الدينِ مُهَجَ القلوبِ أَصبحَ تطبيقُ شرعِ اللهِ مطلباً جماعيّاً لا محيدَ للحكامِ - فضلاً عن عامّةِ الناسِ - عن قَبولِه ..

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية لكتاب « مشكلات الدعوة والداعية » فتحي يَكن .



﴿ فعسى اللهُ أَن يأَتيَ بالفتحِ أَو أَمْرٍ من عندِه فيصبحوا على ما أَسرُّوا في أَنفسِهم نادمين ﴾ [المائدة : ٥٢] .

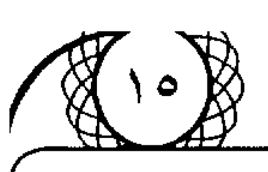
كما أَنَّ هناك عثراتٍ أُخرى تحولُ دون تطبيقِ الشريعةِ في الوقتِ الرّاهنِ في أَغلبِ المجتمعاتِ الإِسلاميّةِ ؛ فالحكّامُ الّذين يحكّمونَ القوانينَ الوضعيّةَ وراءَهم أَيدٍ خفيّة تحوطُهم وتُسيّرُهم نحو ما يخدمُ مصالحَها ، فلن تسمحَ لأَحدٍ أَنْ يمسَّهم بسوءٍ ، وحتّى لو ذهبَ من هؤلاءِ الحكّامِ من ذهبَ ، فالبديلُ موجودٌ عند أَعدائِنا مفقودٌ عند قومِنا !!

وقد جرّبت الجماعاتُ ذلك ، فأَصابَها ما أَصابَها من جرّاءِ تلك التصرفاتِ الهوجاءِ وذلك الحماسِ « الفارغِ » .

ومع كثرةِ التجاربِ المريرةِ الّتي مرّت بها هذه الجماعاتُ إِلّا أَنّها لم تستفد من تجارِبها شيئاً يذكر ، بل لا تزالُ سادرةً في غيِّها غير مباليةٍ بأَرواحِ الشبابِ الطاهرةِ الّتي أُزهقت - وما تزالُ - برصاصِ جنودِ الطغاةِ ، كمّا أَنَّها صمّت آذانَها عن النداءاتِ الّتي وجّهت لهم من قبلٍ من آتاهم اللهُ بصيرةً ممّن هم سائرون على نهجِ سلفِهم الصالحِ ، وقد حذّرَ فيها هؤلاءِ المخلصون - فيما نحسبُ - رؤساءَ تللك الجماعاتِ من أَنّ نهجَهم الّذي يقودون فيه جماعاتِهم سَيُودي بهم إِلى كثيرٍ مِن المسالكِ الوعرةِ ، وأَنَّ الخيرَ كلَّ الخيرِ في السيرِ على منهاجِ النبوّةِ الّذي سارت عليه القرونُ المفضلةُ وكثيرٌ ممن تبعها - ولو طال الطريقُ - فحققت للإِسلامِ ما حققته من مكاسبَ عظيمةٍ .

ولو تعاملت هذه الجماعاتُ مع حكّامِها في ضوءِ ما قرره الإِسلامُ من قواعدِ الأَمرِ بالمعروفِ والنهي عن المُنكر ، واجتناب الخُروجِ عليهم حتّى وإِنْ جاروا وظلموا - لكانَ ذلك أَقومَ لها وأَسلمَ ، وذلك واضحٌ لمن أَرادَ الاتباع وابتعدَ عن الابتداعِ .

وأَعودُ فأَقولُ : إِنَّ أَمامَ من يريدُ تطبيقَ الشريعةِ - اليوم - عقبةً كأَداءَ ، لا تقلُّ



عن عقبةِ الحكّامِ ، تتمثّلُ في المجتمع ؛ فمجتمعاتُنا « الإِسلاميّة » اليوم لا يخفى حالُها ، ولا يخفى ما يسيطرُ على نفوسِ قِطاعٍ كبيرٍ من أَبنائِها من عقائدَ فاسدةٍ منحرفةٍ يصعبُ معها أَن تطبّقَ الشريعةَ الّتي أَساسُها التوحيدُ ، وأَينَ السوادُ الأَعظمُ من الشعوبِ الإِسلاميّةِ اليوم من التوحيدِ ؟!

وإلّا فأَيُّ شريعةٍ ستطبّقُ والتوحيدُ شِبْه مفقودٍ ؟!!

﴿ أَفمن أَسَّسَ بنيانَه على تقوى من اللهِ خيرٌ أَمّنْ أَسَّسَ بنيانَه على شفا جُرفٍ هارٍ ﴾ [التوبة : ١٠٩] .

يقول داعيةٌ مشهورٌ بعد سنواتٍ من (الحركة) والصِّراع : « الحركاتُ الإِسلاميّةُ تَشغلُ نفسَها بالاستغراقِ في الحركاتِ السياسيّةِ المحدودةِ ؛ كمحاربةِ معاهدةٍ أو اتفاقيّةٍ ، وكمحاربةِ حزبٍ أو تأليبِ خصمٍ في الانتخاباتِ عليه .

كما أَنّها تَشغلُ نفسَها بمطالبةِ الحكوماتِ بتطبيقِ النظامِ الإِسلاميّ والشريعةِ الإِسلاميّةِ ، بينما **المجتمعاتُ** ذاتُها قد بَعُدَتْ عن فهمِ مدلولِ العقيدةِ الإِسلاميّةِ في القلوبِ والعقولِ والغيرةِ عليها وتربيةِ من يقبل هذه الدعوةَ وهذه المفهوماتِ الصحيحةَ تربيةً إِسلاميّةً صحيحةً ، وعدم إِضاعة الوقتِ في الأَحداثِ السياسيّةِ الجارية » [١] .

إِنَّ مجتمعاتِنا اليوم - على ما فيها من صحوةٍ إِسلاميّةٍ - أَمامها زمن طويلٌ تحتاجُ معه إِلى « أَسلمةٍ راشدةٍ » - إِنْ صحَّ التعبيرُ - حتّى تعودَ إِلى تعاليمِ دينها المُستقاة من الكتابِ والسنّةِ بفهمِ سلفِ الأُمّةِ ، وحينما أَقول : « أَسلمة راشدة » فإِنّي أَعني بها « سَبْكَ العبودية في كِير الامتحان طلباً لإِخراجِ ما فيها من الخبثِ والغشِّ » [٢] .

كما أَنَّ الصحوةَ الّتي تعيشُها أُمّتنا لا زالت في مهدِها ، وهي بحاجةٍ إِلى تربيةٍ

---

(١) « لماذا أَعدموني .. » سيد قطب (ص ٢٩) .

(٢) « مدارج السالكين » (٢ / ١٠٢) ، ط : دار الحديث .

وعنايةٍ وتوجيهٍ سليمٍ حتّى تؤتي ثمارَها المرجوّة منها .

إنَّ هناكَ واجباتٍ عظيمةً ملقاةً على عاتقِ كلِّ من يحملُ همَّ هذا الدِّينِ ، تتمثّلُ في تربيةِ المجتمعِ تربيةً إسلاميّةً تزيلُ ما عَلِقَ في النفوسِ من عقائدَ وعاداتٍ فاسدةٍ ، كما يجبُ علينا عدمُ استعجالِ النتائجِ ، وهذا أَفضلُ وأَنفعُ للأُمّةِ من الصراعاتِ السياسيّةِ الّتي لا طائلَ من ورائِها .

يقولُ ابنُ القيّم رحمه الله تعالى - متحدّثاً حولَ موضوع التصفيةِ الّتي جعلَها رحمه اللهُ على درجاتٍ ، منها [١] - :

١ - تهذيب الخدمة - أَي : تخليصُ العبوديةِ وتصفيتُها - بأَنْ لا يخالجَها جهالةٌ ولا يشوبَها عادةٌ ..

٢ - تهذيب الحال : فإِنَّ كلَّ حالٍ لا يصحبُه علمٌ يخافُ عليه أَن يكونَ من خدع الشيطان ، وهذا القدرُ هو الذي أَفسدَ على أَربابِ الأَحوالِ أَحوالَهم ، وعلى أَهلِ الثغورِ ثغورَهم وشرَّدَهم عن اللهِ كلَّ مشرَّدٍ ، وطردهم عنه كلَّ مَطْرَدٍ ، حيثُ لم يحكِّموا عليه العلمَ ، وأَعرضوا عنه صفحاً حتّى قادَهم إِلى الانسلاخِ من حقائقِ الإِيمانِ وشرائعِ الإِسلامِ » .

قلت : إِنَّ الجهالةَ الّتي يعيشُها أَغلبُ الشعوبِ الإِسلاميّةِ اليومَ تستحقُّ أَنْ تُكرَّسَ لها كلُّ الجهودِ ، وتستهلكَ من أَجلِها الطاقاتُ وهذا أَمْرٌ مَقْدورٌ عليه - إِنْ شاءَ الله - .

أَمَّا أَنْ ينشغلَ الدعاةُ بما لا يَقْدِرُونَ عليه (!) ، عمّا يقدرون عليه ! فهذا (خَلَلٌ في المنهج) وانحرافٌ في التصوُّر والتطبيق ، يجبُ معالجتُه وتصحيحُه .

والحمدُ للهِ أَوَّلاً وآخراً .

---

(١) « مدارج السالكين » (ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤) بتصرّف .

الدنيا .. وحُطامُها الحلقة الثالثة

محمَّد موسى نصر

ومن الآفات القاتلة التي تصدُّ عن العلم النَّافع ، وتفسد النَّوايا ما نراه ونشاهده من تكالب كثيرٍ مِن طلَّاب العلم - إلَّا من رحم اللَّه - علي حطام الدنيا الفاني وزخرفها ؛ فتراهم يتحاسدون على الدنيا ويتقاتلون ، والأَولى بهم أَنْ يتنافسوا في الآخرة كما أَمر اللَّه ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ، وقوله : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ .

لكن من المؤسف حقًّا أَنْ نرى طلبة العلم يتخاصمون على عَرَضٍ من أَعراض الدنيا الدنيَّة ، وهذه الظاهرة السَّيِّئة نراها بوضوح بين النَّاشرين والمؤلِّفين ، فغالبًا ما تؤدِّي إِلى خصومةٍ واختلافٍ ، وربما أَدَّى ذلك إِلى الهجر ، والقطيعة ، ونهش الأَعراض ، والاتهام بأَكل الحقوق، وربما وصلت الأُمورِ إِلى رفع الشكاوى ، فيصبح هؤلاء وهؤلاء في مواقف لا يغبطون عليها ، وربَّما اجترأَ عليهم السفهاء ، ونالوا منهم الشيء الكثير .

والناشرون - إِلَّا من رحم اللَّه - لهم النَّصيب الأَكبر في فساد نِيَّات كثير من طُلَّاب العلم ، بسبب عروضهم المغرية ، وربَّما صنَّف بعض طلبة العلم مصنَّفاتٍ ، ورسائل ، وكُتُبًا وفق أَهواء النَّاشرين من غير قناعةٍ أَو حاجةٍ لمثل تلك المصنَّفاتِ - اللهم إِلَّا التجارة الرَّابحة - غير ناظرين إِلى حاجة الأُمَّة إِلى مثل هذا الكتاب أَو ذاك ، خصوصًا إِذا كانت دور النَّشر هذه في مرحلة التكوين ؛ فغالبًا ما تقوم على أَكتاف بعض المشهورين من طلبة العلم ، ثمَّ يقلبون لهم ظهر المِجَنِّ بعد أَكل كثيرٍ من حقوقهم ، والحمد للَّه الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا .

وقد وصل الأَمر بهؤلاء النَّاشرين أَنْ يدفعوا حقوق بعض المؤلَّفات التي لا رصيد لها في الواقع ؛ فوجدوا بعد حينٍ أَنَّ الكتاب الذي دفعوا حقوقه إِنَّما هو مجرَّد اسمٍ وعنوانٍ ؛ فأُسقط في أَيديهم .

كل ذلك سببه الهلع ، والجشع ، والتسابق على الدنيا الفانية ، حتَّى أَصبحت الأُمَّة كأَنْ لا همَّ لها إِلَّا التأليف والتصنيف ، أَمَّا تربية الأُمَّة على الإِسلام الصحيح ، ودعوة الأَجيال إِلى الصراط المستقيم - فأَصبح أَمرًا هامشيًّا أَو ثانويًّا .

وإِذا دقَّقت النَّظر في هذا الاندفاع الشديد نحو التأليف ، لا تجد إِلَّا الدنيا ، والاتِّجار بالعلم ، وقد سبَّبت هذه الحالة عند كثير من الشباب الرَّاغبين في طلب العلم الإِحباط ، والهجرة إِلى بلدان مجاورة يطلبون العلم على شيوخها ؛ لأَنَّهم تفرَّغوا لتعليم الشباب الرَّاغب في العلم .

لقدْ أَشار النَّبي ﷺ إِلى هذه الفتنة - أَعني (انتشار القلم) - حتَّى إِنَّ المطابع لتُلقي للعالَم كل يوم بمئاتٍ الكتب والرَّسائل ، مما أَصله مخطوط ، أَو مطبوع ، أَو مقمَّش ، أَو مسروق ، والأُمَّة في كل يوم تزداد بُعدًا عن اللَّه ، وإِعراضًا عن دينه .

لقد كان السَّلف لا يعرفون إِلَّا الكتاب والسنَّة ؛ فكانوا أَهدى سبيلًا ، ونحن اليوم عندنا آلاف الكتب والمجلدات ، وما زال الدين غريبًا في ديارنا ، وفي واقعنا ، والسبب أَنَّهم - أَي : أَسلافنا - ضمُّوا إِلى العلم العملَ ؛ لأَنَّ بركة العلم العمل ، ونحن جمعنا علومًا شتَّى وحُرِمْنا بركة العلم .

فهل يعي طلَّاب العلم خطورة الوضع ، فيُعطوا كلَّ ذي حقٍّ حقَّه من التأليف ، والتربية، والتحصيل، والدَّعوة، والجهاد حتَّى يعود لهذه الأُمَّة مجدها وتاريخها المُشرق ؟!

نسأَلُ اللَّه ذلك ، والحمدُ للَّه رب العالمين .

عقوبة من حكم بغير ما أنزل اللَّه

خالد بن علي العنبري

لـمَّـا كان نبذُ شريعة اللَّه الغرَّاء - المشتملة على كلِّ خيرٍ وصلاحٍ ، الكفيلة بسعادة البشر وفلاحهم - جريمةً من أَعظم الجرائم ، وقبيحةً من أَفظع القبائح ، لما يترتب عليه من أعظم المفاسد : من غضب الرَّبِّ - عزَّ وجلَّ - وسخطه ، وشقاء الإِنسان وانحرافه ، وانطلاق الشَّهوات وشيوع الفواحش ، وإِماتة سنن العدل ، وإِحياء معالم الجور ، وترك الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وغربة الدين وأَهله ، وضعف الأُمَّة وانهيارها ، وتسلُّط الأَعداء عليها ، وما إِلى ذلك مما لا يُنتج إِلَّا شرًّا ، ولا يُثمر إِلَّا مكروهًا - كانت عقوبةُ من حكم بغير الشريعة الإِسلامية نهايةً في العذاب والنَّكال « فإِنَّ المحرَّمات كُلَّما تغلَّظت ، تغلَّظت عُقوباتها »[(١)]، وإِنَّ بعض هذه العقوبات يكفي للزَّجر عن هذه الجريمة القبيحة ؛ فكيف باجتماعها ؟

والآن إِليك بيان بعض العقوبات المترتِّبة على نبذ شريعة اللَّه تعالى :

١ - الضلال والشَّقاء :

فاللَّه سبحانه ضمن الهدى والفلاح والسعادة لمن اتبع هُداه ، وآمن بكتابه وسنَّة نبيِّه ، وحكَم بهما وقدَّمهما على غيرهما ، وجعل الضلال والشَّقاء والمعيشة الضنْك في الدنيا والآخرة ، لمن أَعرض عنهما ، وحكم بغيرهما من القوانين الوضعية ، والمذاهب الجاهليَّة .

---

(١) « زاد المعاد » : (٥ / ٤١) .

قال تعالى : ﴿ فإمَّا يأتينَّكم مني هدًى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى • ومن أَعرض عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنْكًا ونحشره يوم القيامة أَعمى • قال ربِّ لم حشرتني أَعمى وقد كنتُ بصيرًا • قال كذلك أَتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٥] .

قال ابن عبَّاس : تكفَّل اللَّه لمن قرأَ القرآن ، وعمل بما فيه أَنْ لا يضلَّ في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثمَّ قرأَ هذه الآية .

وقال تعالى : ﴿ ومن يعشُ عن ذكر الرَّحمن نقيِّض له شيطانًا فهو له قرين • وإِنَّهم ليصدُّونهم عن السَّبيل ويحسبون أَنَّهم مهتدون ﴾ [الزخرف : ٣٦ - ٣٧] .

« فأَخبر سبحانه أَنَّ من ابتلاه بقرينه من الشياطين ، وأَضلَّه به إِنَّما كان بسبب إِعراضه وعشوه عن ذلك الذي أَنزله على رسوله، فكان عقوبةُ هذا الإِعراض أَنْ قيَّضَ له شيطانًا يقارنه ، فيصده عن سبيل ربِّه ، وطريق فلاحه ، وهو يحسب أَنَّه مهتدٍ ؛ حتَّى إِذا وافى ربَّه يوم القيامة مع قرينه ، وعاين هلاكه وإِفلاسه قال : ﴿ يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين ﴾ [الزخرف : ٣٨] .

وكلُّ من أَعرض عن الاهتداء بالوحي - الذي هو ذكر اللَّه - فلابد أَن يقول هذا يوم القيامة »[1].

لقد حذَّر الخليفةُ الرَّاشدُ عمر بن الخطَّاب - رضي اللَّه عنه - الأُمَّة أَنْ تضلَّ بترك حدٍّ واحدٍ من حدود اللَّه - عزَّ وجلَّ - فكيف بمن نبذ الحدود كلَّها وراء ظهره ؟!

أَخرج البخاري عن ابن عبَّاس ، عن عمر - في حديثٍ طويلٍ - أَنَّه خطب الجمعة ، فأَثنى على اللَّه بما هو أَهله ، ثمَّ قال :

« أَمَّا بعد ، فإِنِّي قائل لكم مقالةً قدْ قُدِّر لي أَنْ أَقولها ، لا أَدري لعلَّها بين يديْ

---

(١) « تحذير أَهل الإِيمان » : (٧٣) .

أَجلي ، فمن عقَلَها ووعاها ، فلْيحدِّث بها حيثُ انتهتْ به راحلته ، ومن خشي أَنْ لا يعْقِلها ، فلا أُحلُّ لأَحدٍ أَنْ يكذب عليَّ :

إنَّ اللَّه بعث محمَّدًا ﷺ بالحقِّ ، وأَنزل عليه الكتاب ، فكان ممَّا أَنزل اللَّه آية الرَّجم ، فقرأناها وعقَلْناها ووعيْناها ، رَجَمَ رسولُ اللَّه ﷺ ، ورَجمْنا بعدَهُ ، فأَخشى إِنْ طال بالنَّاسِ زمانٌ أَنْ يقول قائل : واللَّه ما نجدُ آية الرَّجم في كتاب اللَّه ، فيَضِلُّوا بترك فريضةٍ أَنزلها اللَّه ، والرَّجمُ في كتاب اللَّه حقٌّ على من زنى إِذا أُحصِنَ من الرجال والنِّساء ، إِذا قامت البينة ، أَو كان الحَبَلُ ، أَو الاعترافُ »[1].

٢ - العنت والمشقة :

إِنَّ شريعة اللَّه - عزَّ وجلَّ - وأَحكامه سهلةٌ ميسَّرةٌ لا عنتَ فيها ، ولا ضرر ، ولا مشقَّة ، ومن ثمَّ فهي صالحةٌ للتطبيق في كل زمان ومكان .

قال اللَّه تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

وقال سبحانه : ﴿ يريد الله أَنْ يخفف عنكم وخلق الإِنسان ضعيفًا ﴾ [النِّساء : ٢٨] .

وقال جلَّ ذكره : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] .

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير الآية الأَخيرة :

« ما كلَّفكم ما لا تطيقون ، وما أَلزمكم بشيءٍ يشقُّ عليكم إِلَّا جعل اللَّه لكم فرجًا ومخرَجًا ، فالصَّلاة التي هي أَكبر أَركان الإِسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أَربعًا ، وفي السَّفر تُقصر إِلى اثنتين ، وفي الخوف يصليها بعضُ الأَئمَّة ركعةً ، كما ورد به الحديث ، وتُصلَّى رجالًا وركبانًا ، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، وكذا في النافلة في السفر إِلى القبلة وغيرها ، والقيامُ فيها يسقط لعذر المرض ، فيصليها المريضُ جالسًا ، فإِنْ لم يستطع فعلى جنبه ، إِلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر

---

(١) « البخاري » : (٦٤٤٢) .



الفرائض الواجبات » اهـ .

بل إِنَّ صفة صاحب هذه الشريعة ﷺ في الكتب المتقدمة ﴿ ويضع عنهم إِصرهم والأَغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأَعراف : ١٥٧] ، « أَي أَنَّه جاء بالتيسير والسماحة - كما يقول ابن كثير - وقد كانت الأُمم الذين قبلنا في شرائعهم ضيقٌ عليهم ، فوسَّع اللَّه على هذه الأُمَّة أُمورها وسَهَّلها لهم » .

بل إِنَّ اليُسْرَ ورفع الحرج هو إِحدى القواعد الخمس التي بُنِي عليها الفقه الإِسلامي ، فالذين يعدلون عن هذه الشريعة السمحة يشقُّون على أَنفسهم وعلى شُعوبهم .

إِنَّ القوانين الوضعية - في حقيقة أَمرها - كلها حَرَجٌ وعنتٌ ومشقةٌ ، وإِنْ لاح لبادي الرأي سهولتها ويُسرها ، إِذ لا يستطيع أَحدٌ أَنْ يزعم أَنَّ الشارع الوضعي أَرحمُ بالنَّاس من ربِّ النَّاس ، أَو أَنَّه أَعلم بمصالح النَّاس من ملك النَّاس .

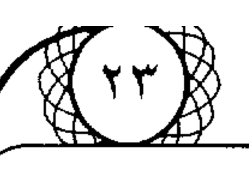
وإِذا كان من سُنَّة اللَّه التي لا تتبدل ولا تتخلف أَنَّ الجزاءَ من جنس العمل ، فإِنَّ اللَّه - عزَّ وجلَّ - يشقُّ مشقةً كبيرةً على من شقَّ على الأُمَّة المحمديَّة ؛ بتبديله شرعَ اللَّه الميسَّر المشتمل على كل خير ، وحسبه دعوة نبيٍّ هذه الأُمَّة بالمشقَّة والنَّكال والعذاب الشديد .

عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقولُ في بيتي هذا : « اللَّهم ، مَنْ ولي من أَمر أُمَّتي شيئًا فَشقَّ عليهم فاشقُق عليه ، ومن ولي من أَمر أُمَّتي شيئًا فرفَقَ بهم فارْفق به » رواه مسلم .

ورواه أَبو عوانة في « صحيحه » ، وقال فيه : « من ولي منهم شيئًا فشقَّ عليهم فعليه بَهْلةُ اللَّه ، قالوا : يا رسول اللَّه ، وما بَهْلةُ اللَّه ؟ قال : لعنةُ اللَّه » .

٣ - الفساد العام :

إِنَّ في تحكيم شريعة الرَّسول ﷺ صلاحًا شاملًا ، وفلاحًا عامًّا للفرد والمجتمع



والحياة بأَسرها ؛ لأَنَّها شريعة الخالق وأَحكامه ، العليم بما يصلحهم ، والخبير بما ينفعهم في معاشهم ومعادهم ، والرحيم بهم ، والمحسنُ إِليهم ، والمتفضل عليهم ﴿ أَلَا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [الملك : ١٤] .

« ومن المعلوم عند جميع العقلاء أَنَّ الرسل - صلوات اللَّه وسلامه عليهم - هم أَعقل الخلق ، وعقولهم أَكمل العقول ، ولهذا كان ما جاءوا به فوق عقول البشر(١) ، ولهذا حصل على أَيديهم من الخير ما لم يحصل على أَيدي سواهم ، وصلح من أَحوال النّفوس والقلوب ، وعمارتها بالخير ، وتزكيتها بالعلم والعمل ما لم يحصل لأَحد غيرهم ، فعمارةُ القلوب والدنيا والآخرة على أَيديهم ، وكل فساد في العالم - عامًّا وخاصًّا - فإِنَّما سببه العدول عمَّا جاءوا به ومخالفتهم .

فإِذا استقرأْتَ جميعَ الشرور التي في العالم ؛ جزئيَّاتها وكلياتها ، وكل فتنة وبليَّة ورزيَّة ، رأَيتَ سببها معصيتهم ، وكلُّ خيرٍ ونعمةٍ في الدنيا والآخرة فسببه طاعتهم ، واستقرِئْ هذا من زمن نوح - عليه السَّلام - إِلى ساعتك التي أَنت فيها ، وما عُذِّبت به الأُمم من أَنواع العذاب ، وما جرى على هذه الأُمَّة ، حتى ما أُصيب به المسلمون مع نبيِّهم يوم أُحد كان سببه معصية أَمره ، وللعاقل البصير عبرة في نفسه وأَحواله خاصَّة »(٢).

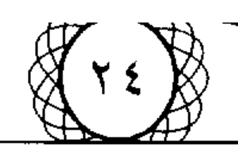
فحين تنتكس البشريَّة وتَشْرُد عن شريعة اللَّه ، وتتردَّى في مهاوي الضلال ، وترضى أَنْ يُقَنِّن بعضها لبعض ، فهذا أَمر وبيلُ العاقبة ، بشع الشـ[illegible] لا تُؤْمَن لواحقه وتبعاته .

تُرى ؛ لو أَنَّ البشريَّة كانت تطبِّق مثلًا ما شرعه اللَّه - عزَّ وجلَّ - من حدَّي الزنا وفاحشة قوم لوط ، أَكنت تسمع أَو تشاهد ما تعانيه البشرية من المعيشة الضنك ،

---

(١) فوق عقول البشر من حيث القدرةُ على الإِتيان به أَو بمثله - لأَنَّه دين اللَّه عزَّ وجلَّ - لا من حيث أَصلُ الفهم والإِدراك . (**الأَصالة**)

(٢) « الصواعق المرسلة » : (٤ / ٣٥٠) لابن القيِّم .



والعذاب النُّكر بسبب انتشار هذه الأَمراض الجنسية الفتَّاكة المتكاثرة والتي من أَخطرها مرض نقص المناعة المكتسبة (الإِيدز) والهربس ، وغير ذلك مما يؤدي إِلى إِفساد المجتمع ، وإِغراقه في أَوحال الرَّذيلة والفساد ؟!

٤ - تسليط الأعداء :

فروى ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - عن النَّبي ﷺ قال : « كيف أَنتم إِذا وقعت فيكم خمسٌ ، وأَعوذ باللَّه أَنْ تكون فيكم ، أَو تدركوهن :

- ما ظهرت الفاحشةُ في قومٍ قطُّ ، يُعمل بها فيهم علانيةً إِلَّا ظهر فيهم الطَّاعون ، والأَوجاع التي لم تكن في أَسلافهم .

- وما منع قومٌ الزكاة إِلَّا مُنِعوا القَطر من السَّماء ، ولولا البهائم لم يُمطَروا .

- وما بخسَ قومٌ المكيال والميزان إِلَّا أُخذوا بالسِّنين وشدَّة المُؤْنة ، وجور السلطان .

- ولا حكم أُمراؤهم بغير ما أَنزل اللَّه إِلَّا سلَّط عليهم عدوَّهم ، فاستنقذوا بعض ما في أَيديهم .

- وما عطَّلوا كتاب اللَّه وسنة نبيه إِلَّا جعل بأْسهم بينهم »[1].

وهذا الحديث لا يحتاج إِلى تعليق ، فإِن الواقع الأَليم يصدِّقه بحروفه !!

ووعْدُ اللَّه - سبحانه - بالنَّصر والغلبة على الأَعداء مشروط بنصر دينه ، وإِقامة شرعه ، وتطبيق حدوده ، وإِلَّا ؛ فالهزائم السَّاحقة والذلُّ والعار ، كما قال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا إِنْ تنصروا الله ينصرْكم ويثبِّت أَقدامكم ﴾ [محمَّد : ٧] . وقال : ﴿ ولينصرنَّ الله من ينصره إِنَّ الله لقويٌّ عزيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

---

(١) حديث صحيح بشواهده ، انظر « السلسلة الصحيحة » (١٠٦) .

٥ - حلول غضب الرَّبِّ - عزَّ وجلَّ - :

ولقد اشتدَّ غضبُ الرَّبِّ - عزَّ وجلَّ - وسُخْطُهُ على القوم الذين عَرَفُوا شريعة اللَّه ثمَّ طرحوها وراءهم ظهريًّا ، واستبدلوا بها قوانين وضعية قاصرة ، وحرَموا شعوبهم موعودَ اللَّه - عزَّ وجلَّ - لمن أَقام دينه ، وحكَّم شريعته في كل صغيرة وكبيرة من النَّصر والتمكين ، والأَمن والاستقرار ، والشرف والسؤدد ، وبركة العيش وسعة الأَرزاق .

« فمن لم يعرف الحقَّ كان ضالًّا ، ومن عرفَه ولم يتَّبعْه كان مغضوبًا عليه ، ومن عرفه واتبعه فقد هُدي إِلى الصراط المستقيم ، وأَوَّلُ الشَّرِّ الضلال ، ومنتهاه الغضب ، كما أَنَّ أَوَّل الخير الهدى ، ومنتهاه الرحمة والرضوان »[١].

وعن أَبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال : « أَربعةٌ يُبغِضُهُمُ اللَّه - عزَّ وجلَّ - : البيَّاعُ الحلَّافُ ، والفقيرُ المختالُ ، والشيخُ الزاني ، والإِمام الجائرُ »[٢].

ومَنْ أَشدُّ جَوْرًا ، وأَبعد ظُلمًا ممن ابتغى حكم الجاهلية الوضعية ، ورغب عن حكم الشريعة الربَّانية ؟! لقد أَربى - واللَّه - على النهاية في الظلم والطغيان ! .

قال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أَنزل الله فأُولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة : ٤٥] .

٦ - مخاصمة الربِّ ومحاربته :

لقد خاصم الربَّ - عزَّ وجلَّ - وحاربه بجريمته النَّكراء ، ويكفيه خذلانًا وجهلًا وعمًى أَنْ يكون خصمَ ربِّه - تبارك وتعالى - ؛ فخُصماء اللَّه على الحقيقة هم **المعارضون لكتابه وما بعث به رسلَه بعقولهم وآرائهم** ، وإِنْ لم يكن هؤلاء خُصماء

---

(١) « الصواعق المرسلة » : (٣ / ١٠٨٩) .

(٢) حديث صحيح ، انظر - له - « السلسلة الصحيحة » (٣٦٣) .

اللَّه ، فمن هم خُصماؤه غيرهم ؟! ولا يستوي من خاصم بكتاب اللَّه ، وحاكم إِليه ، وعوّل عليه ، ومن خاصم كتابَ اللَّه ، وحاكم إِلى القوانين الوضعية التي أفرزتها زبالاتُ أَذهان الكفرة الفجرة المعاندين للَّه ورسله .

عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال : سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول : « من حالت شفاعتُه دون حدٍّ من حدود اللَّه - عزَّ وجلَّ - فقد ضادَّ اللَّه في أَمره ، ومَنْ مات وعليه دَيْنٌ فليس بالدينار ولا بالدرهم ، ولكنها الحسنات والسيِّئات ، ومن خاصم في باطلٍ - وهو يعلمه - لم يزل في سخط اللَّه حتَّى ينْزِعَ ، ومن قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أَسكنه اللَّه رَدْغَةَ[1] الخبال حتى يخرجَ مما قال ، وليس بخارجٍ »[2].

إِنَّ من يمنع بوساطته إِقامة حدٍّ واحدٍ من حدود اللَّه - جلَّ وعلا - يكون مضادًّا للَّه ومخاصمًا ومعاديًا ، فكيف بمن عطَّل جميع الحدود والشرائع ؟! هذا يحكم فيه ربُّ العالمين ، وإِله الأَوَّلين والآخرين .

٧ - حبوط الأعمال :

قال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أَصواتكم فوق صوت النَّبيِّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أَن تحبط أَعمالكم وأَنتُم لا تشعرون ﴾ [الحجرات : ٢] .

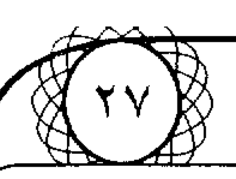
« فإِذا كان رفع أَصواتهم فوق صوته ﷺ سببًا لحبوط أَعمالهم ، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأَذواقهم وسياساتهم ومعارفهم وقوانينهم وأَوضاعهم عامدين عالمين على ما جاء به ، وحاكم إِليها ، أَليس هذا أَوْلى أَنْ يكون محبِطًا لأَعمالهم ؟

فاللَّه - عزَّ وجلَّ - لولا أَنَّه علم أَنَّ **نظام العالَم في الدين والدنيا معًا لا يقوم إِلَّا بهذه الشريعة الجامعة المانعة العادلة** تمام العدل ، لبعث رسولًا ينسخُ منها ما لا يوافق

---

(١) الردغة : الوحل الشديد ، قال الخطابي : « ردغة الخبال : عصارة أَهل النَّار » .

(٢) حديث صحيح ، انظر - له - « الإِرواء » (٢٣١٨) .



هذا الزّمان – بزعم المارقين – كما كان يفعل قبل ، فلما جعلَ نبيَّنا محمَّدًا ﷺ خاتم النَّبيين ، فلم يرسل بعده من رسولٍ ، كان [ذلك] دليلًا أَيَّ دليلٍ على أَنَّ هذه الشريعة وافية كافية ، كاملة شافية ، كافلة بجميع المصالح دينًا ودنيا ، لا نحتاج معها إِلى شيء من آراء الرجال وسياساتهم ، إِلَّا فيما يكون استيضاحًا للحقِّ الذي يرضاه اللَّه ورسوله بعد معرفة مقاصد الشرع تمام المعرفة .

ولذلك كان تقديم آراء الرجال وعقولهم وأَذواقهم ووجداناتهم وسياساتهم المخالفة المنابذة لسياسات الشريعة الحقَّة الصحيحة – محبطًا للعمل البتَّة ، وربما كان ردَّةً ومروقًا عن الأُمَّة الإِسلامية والملَّة الحنيفية »[1]إذا كان ذلك جحودًا واستحلالًا ومعاندةً وكرهًا للكتاب والسنَّة ، وما جاء به خير البرية .

قال تعالى : ﴿ ذلك بأَنَّهم كرهوا ما أَنزلَ اللهُ فأَحبط أَعمالهم ﴾ [محمَّد : ٩] .

وقال سبحانه : ﴿ ذلك بأَنَّهم اتبعوا ما أَسخطَ اللهَ وكرهوا رضوانه فأَحبط أَعمالهم ﴾ [محمَّد : ٢٨] .

٨ – الجنَّة عليه حرام :

إِي وربِّي ؛ إِنَّه لن يَريح رائحةَ الجنَّة ، وإِنَّ عَرْفها يوجدُ من مسيرة كذا وكذا ، جزاءً وفاقًا ، إِذ إِنَّه حَرَمَ الأُمَّة النَّعيم والأَمن ورغد العيش المترتب على تحكيم شريعة العلي الكبير سبحانه ، فلقد غشَّ الأُمَّة حينما حاد بها عن الشريعة الإِلهية ، والأَحكام الربَّانية .

عن مَعْقِل بن يَسَار المُزَني – رضي اللَّه عنه – قال : سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول : « ما من عبدٍ يسترعيه اللَّه رعيةً ، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إِلَّا حرَّم اللَّه عليه الجنَّة » [متفق عليه] .

وهذا الحديث ينبغي أَن يُفهم على قاعدة أَهل السنة في الوعد والوعيد .

وقولِه – عزَّ وجلَّ – : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يغفر أَنْ يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن

(١) « تحذير أَهل الإِيمان » : (١١٢ – ١١٣) بتصرف .

يشاء ﴾ فلا يستفاد منه كُفر من غشّ الرعية ، بل هو في خطر المشيئة ؛ إمَّا أَن يعفو اللَّه عنه ، وإمَّا أَنْ ينفذ وعيده ، فتحرم عليه الجنَّة إلى وقت يطولُ أَو يقصر ، فيدخل النَّارَ ، ويمسُّه فيها سوءُ العذاب ، ثمَّ يخرجُ منها .

هذا إذا لم يصاحب غشَّه للرعية جُحودٌ أَو نكرانٌ لما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وقد حمَلَه بعضهم على المستحلّ ، والأَوْلى حملُه على غير المستحلّ كما يقول الحافظ ابن حجر : « ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما قد وقع في رواية لهذا الحديث في « صحيح مسلم » بلفظ : « لم يدخل معهم الجنَّة » وهو يؤيد أَنَّ المراد أَنَّه لا يدخل الجنَّة في وقت دون وقت »[1].

٩ - محرومٌ من الشفاعة :

إنَّه غيرُ أَهلٍ للشفاعة المحمَّديَّة ، أَوَ يشفعُ الرَّسول ﷺ في مَنْ أَعرضَ عن شريعته وسنَّته الغرَّاء ، وحاكم أُمَّته إلى قوانين الجاهلية البتراء ، وسنن اليهود والنَّصارى عُبَّاد الأَهواء ؟؟ وما أَفقره في ذلك اليوم العصيب إلى شفاعة الشفعاء ! .

فحدَّث أَبو أُمامة - رضي اللَّه عنه - عن محمَّد رسول اللَّه ﷺ ، قال : « صنفانِ من أُمَّتي لن تنالهما شفاعتي ، إمامٌ ظلومٌ غشوم ، وكلُّ غالٍ مارق »[2].

وأَظلمُ أَهل الظُّلم مَنْ حالَ بين الأُمَّة وبين ما تشتهي وتحبُّ وتؤمِّلُ من تحكيم الشرع المطهر الكفيل بالخير والفلاح ، والفوز والصَّلاح ، وسعادة الدنيا والآخرة جميعهما . ﴿ ومن لم يحكم بما أَنزل الله فأُولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة : ٤٥] .

١٠ - الخزي والنَّدامة والعذاب يوم القيامة :

أَخرج البخاريُّ عن أَبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : « إنَّكم ستحرصون على الإِمارة ، وإنَّها ستكون ندامةً يوم القيامة ، فنعم المرضعةُ ، وبئستِ الفاطمةُ » .

---

(١) انظر « فتح الباري » : (١٣ / ١٣٧) .

(٢) حديث حسن ، انظر « السلسلة الصحيحة » (٤٧٠) .

وهذا الحديث يُبيِّن محبَّة النّفوس الإنسانية للإمارة والرئاسة ، لما فيها من نيل حظوظ الدنيا ولذَّاتها ، فنعم المرضعة هي ، فإنَّها تدرُّ المال والجاه ونفاذ الكلمة وجميع المنافع واللذات العاجلة ، وبئست الفاطمة ، فإنَّها إذا انقطعت عنه بالموت أَو العزل انقطعت عنه اللذائذ والمنافع ، وتبقى عليه الحسرةُ والنَّدامةُ ، فلا ينبغي للعاقل أَن يلمَّ بلذاتٍ يتبعها حسرات .

أَضغاثُ أَحلامٍ وظلٌّ زائلٌ   إنَّ اللبيبَ بمثلها لا يُخْدَعُ

ولذلك ورد النَّهي عن طلب الإمارة والرئاسة وعن الحرص عليها ، في أَحاديثَ كثيرةٍ :

فعن أَبي موسى - رضي الله عنه - قال : « دخلت على رسول الله ﷺ أَنا ورجلان من بني عمِّي ، فقال أَحد الرَّجلين : يا رسول الله ، أَمِّرنا على بعض ما ولَّاك الله - عزَّ وجلَّ - وقال الآخر مثلَ ذلك ، فقال : « إنَّا والله لا نولِّي على هذا العمل أَحدًا سأَله ، ولا أَحدًا حَرَصَ عليه » [متفق عليه] .

قال العلماء : والحكمة في أَنَّه لا يولِّى من سأَل الولاية أَنَّه يوكل إليها ولا تكون معه إعانة[1]، كما صرَّح به في حديث عبدالرحمن بن سَمُرَة ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا عبدالرحمن ، لا تسأَل الإمارة ؛ فإنَّك إنْ أُعطيتَها عن مسأَلةٍ وُكلتَ إليها ، وإن أُعطيتَها عن غير مسأَلةٍ أُعنتَ عليها » [أَخرجه الشيخان] .

فهذا الحرصُ على الرئاسة لا يَعقبه إلَّا النَّدامة ، ولا يورث إلَّا الحسرة ، لمن لا يعملُ فيها بالحق وبما ينبغي ، وليس الحقُّ إلَّا ما أَنزلَ الله على رسوله ﷺ ، والدليلُ على هذا التقييد ما أَخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، عن أَبي ذرٍّ - رضي الله عنه - قال :

« قلتُ : يا رسول الله ، أَلا تستعملني ؟ قال : فضربَ بيده على منكبي ، ثمَّ

---

(١) « شرح صحيح مسلم » : (١٢ / ٢٠٧) للنووي .



قال : يا أَبا ذرٍّ ، إِنَّك ضعيف ، وإِنَّها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ إِلَّا من أَخذها بحقِّها ، وأَدَّى الذي عليه فيها » .

يقول النووي - رحمه اللَّه - : « هذا الحديثُ أَصلٌ عظيمٌ في اجتناب الولايات ، لا سيَّما لمن كان فيه ضعفٌ عن القيام بوظائف تلك الولاية ، وأَمَّا الخزي والنَّدامة ، فهو في حقِّ منْ لم يكن لها أَهلًا ، أَو كان أَهلًا ولم يعدلْ فيها ، فيُخزيه اللَّه تعالى يومَ القيامة ، ويفضحه ، ويندم على ما فرط ، وأَمَّا من كان أَهلًا للولاية ، وعدل فيها ، فله فضلٌ عظيم تظاهرت به الأَحاديث الصحيحة »[١].

وليس الخزيُ والنَّدامةُ فحسب ، بل النَّارُ أَيضًا تنالُ كلَّ من لم يحكم بما أَنزلَ اللَّه[٢].

وعن بريدة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « القضاةُ ثلاثةٌ ؛ اثنان في النَّار ، وواحدٌ في الجنَّة :

- رجلٌ عرف الحقَّ فقضى به فهو في الجنَّة .
- ورجلٌ عرف الحقَّ ، ولم يقضِ به ، وجارَ في الحكم فهو في النَّار .
- ورجلٌ لم يعرف الحقَّ ، وقضى للنَّاس على جهلٍ فهو في النَّار »[٣].

فما أَصبره على النَّار ! هذا الذي يحكمُ بالقوانين الوضعيَّة الجائرة ، ويأْمر نوَّابه وقضاته أَنْ يحكموا بها ولا يخرجوا عنها .

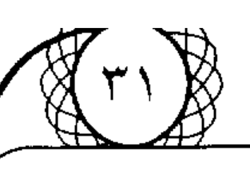
ولمَّا كان الحكمُ والقضاءُ مسئوليةً عظيمة ، وغوائله كثيرة ، والسَّلامة فيه

---

(١) « شرح صحيح مسلم » : (١٢ / ٢١٠) للنووي .

(٢) فإِنْ كان جاحدًا للشرع المطهَّر ، مكذِّبًا له أَو مستهينًا به ، مستحلًّا الحكم بالقوانين الوضعية ، أَو مُؤْثِرًا لها على الشريعة الربَّانيَّة ، فهو من الخالدين في نار جهنَّم ، وإِنْ كان معتقدًا للإِسلام ، ووجوب تحكيم ما أَنزل الرحمن ، ومُؤْثِرًا له على غيره ، فعدل عنه هوًى ومعصيةً ، أَو خوفًا ورجاءً ، فهو في خطر المشيئة الإِلهية .

(٣) حديث حسن بشواهده ، انظر « إِرواء الغليل » (٢٦١٣) .



بعيدة ، نفر السّلف عنه نفورًا عظيمًا ، وامتنعوا منه أَشدَّ الامتناع .

قال مكحول : « لو خُيِّرت بين القضاء وضرب عنقي ، لاخترتُ ضربَ عنقي ولم أَختر القضاء » .

وقال الفُضيل : « ينبْغي للقاضي أَنْ يكون يومًا في القضاء ، ويومًا في البكاء على نفسه » .

وعُرض على الحسين بن منصور النيسابوري قضاء نيسابور ، فاختفى ثلاثة أَيَّامٍ ، ودعا اللّه تعالى ، فمات في اليوم الثالث .

وقد امتنع عنه أَبو حنيفة ، والشافعي ، وكثير من السّلف .

وممن اشتهر عنه ذلك أَبو قلابة عبداللّه بن زيد الجرمي تلميذ ابن عبَّاس ؛ فإِنَّه طولب بالقضاء على الشام ، فامتنع منه وهرب إِلى مصر ، وذهبت يداه ورجلاه ، وثقل سمعه وبصره .

وذكر حكايته تفصيلًا ابن حبَّان في كتاب « الثِّقات » .

وروى وكيع في كتاب « أَخبار القضاة » بإِسناده عن محمَّد بن سيرين ، قال : « كنت عند عتبة بن عبداللّه ، وبين يديه كانون فيه نارٌ ، فجاءه رجلٌ ، وجلسَ على فراشه ، وسارَّه بشيءٍ لم نَدْرِ ما هو ، فقال عتبةُ لهذا الرجل : ضع إِصبعك في هذه النَّار ! فقال الرجل : سبحان اللّه ! أَتأْمرني أَن أَضع إِصبعي في هذه النَّار ؟!

قال : أَتبخلُ عليَّ بأَنْ تضع إِصبعك في نار الدنيا ، وتسأَلني أَن أَضع جسمي كلّه في نار الآخرة ؟!

قال ابن سيرين : فعرفنا أَنَّه سأَله أَنْ يتولَّى القضاء !

... هذا حُكْمُ الشرعِ فيمن خالَفَ الشَّرْعَ ، وحَكَمَ بنقيضِه ..

نسأَلُ اللَّهَ العفوَ والعافيةَ ، وأَنْ يُيَسِّر لشعوبِ المسلمين حُكَّامًا صالحين ، يحكمون بما أَنزلَ ربُّ العالمينَ .

العلّامة الشيخ عبدالرّزاق عفيفي
رحمه اللهُ تعالى

التحرير

رَوَى[١] الإمامُ البخاريُّ في « صحيحه » مِن حديثِ مِرْداسَ الأَسلميِّ رضي اللهُ عنه ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال : « يذهبُ الصالحون ، الأَوّلُ ، فالأَوّلُ ... » ، ويقولُ اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ فإذا جاءَ أَجلُهُم لا يستأخرونَ ساعةً ولا يَستَقْدِمُونَ ﴾ .

بِنفوسٍ مَلأَها الحُزْنُ ، وعَمَرها التسليمُ بقضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ ؛ تلقَّى المسلمونَ في مشارقِ الأَرضِ ومغاربِها نبأَ وفاةِ عَلَمٍ من أَعلامِ المُسلمين ، وعالمٍ من عُلمائِهم الأَبرارِ ؛ وهو الشيخُ العلّامة عبدالرزّاق عفيفي رحمه الله تعالى .

وحِرْصاً مِن (**الأَصالةِ**) على تعْريفِ قُرّائِها بعُلماءِ المُسلمين - قُدماء ومُعاصرين ، أَحياءً وأَمواتاً - رَأَيْنا لِزَاماً علينا ذِكْرَ نُبْذةٍ لَطيفةٍ عن هذا العَلَمِ الكبيرِ تُوقِفُهم على شيءٍ من حياتِه ، ونُتَفٍ مِن مآثرِه وجهادِه ؛ تغمدَه اللهُ بواسعِ رحمتِه .

● اسمه عبدالرزاق بن عفيفي بن عطيّة النُّوبي .

● وُلد في شَنْشُور ، وهي قريةٌ تابعةٌ لمحافظةِ المنوفية في مصر ، سنةَ ١٣٢٣ هـ .

● تلقّى تَعْليمَه العالي في الجامعِ الأَزهرِ ، وتخرّجَ فيه سنةَ (١٣٥١) حاصلاً على الشهادةِ العالميّةِ ، ثمَّ دَرَسَ - بعد هذا - في شُعبة الفقهِ وأُصولِه طَلَباً للتخصُّصِ .

● وَاصَلَ - بَعْدُ - دارستَه ، وتَحْصيلَه ، نَهَلاً من تواليفِ أَهلِ العلمِ ، ودرايةً لكتبِهم ومصنَّفاتِهم .

● ولقد وَصَفَهُ مَن عايشَهُ وخالطَهُ - رحمه الله - بأَنّه كانَ موسوعيَّ المعرفةِ ،

مُتنوِّعَ المَدارِكِ ، مُتَفَنِّناً في سائِرِ العلومِ .

● عَمِلَ مُدرّساً في المعاهِدِ الأزهريّة في مصر ، وكانَ رئيساً لجماعةِ أنصارِ السنّة المحمديّة .

ثمَّ اختارَ الهجرةَ إلى بلادِ الحَرَمين الشريفين ، فدرَّسَ في مناطقَ شتّى منها الطائفُ ، حيثُ درَّسَ في دارِ التوحيدِ بها ، ودرّسَ في الرياضِ وعُنَيزة .

وتولّى التدريسَ في كُليّة الشريعةِ في الرياضِ إبّان إنشائِها .

ثمَّ عُيِّنَ مُديراً للمعهدِ العالي للقضاءِ سنةَ (١٣٨٥ هـ) .

وفي عام (١٣٩١) انتقلَ إلى دار الإفتاءِ ، فكانَ عضواً في هيئةِ كبارِ العُلماءِ ، وفي اللجنةِ الدائمةِ للإفتاءِ ، حتّى صارَ نائباً لرئيسِها ، وذلك إلى أن تُوفِّيَ رحمه اللهُ .

● تولّى الإشرافَ العلميّ على عَدَدٍ من الرسائلِ العلميّة العالية ؛ الدكتوراة والماجستير .

● كانَ له حَلَقاتٌ علميّةٌ في تفسيرِ كتابِ الله تعالى يُلْقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في الرياض ، ثمَّ انتقلت دروسُه إلى بيتِه .

● وكانَ يؤمُّ النَّاسَ في المسجدِ الّذي يَلي منزلَه ، وكانَ يُلْقي فيه - في أوقاتٍ مُتباينة - الدروسَ العلميّة والمواعظَ الشرعيّة .

● كانَ صَبُوراً على البلوى ، يَلْهَجُ بالحَمدِ والثناءِ على اللهِ سبحانَه ، فقد تُوفيَ - في حياتِه ثلاثةٌ من ولدِه ، وابْتُلي بالشَّلَلِ النِّصْفيِّ قبل نَحْوِ عِشْرين عاماً ، فَصَبَرَ واحتسبَ ، ثمَّ عافاهُ اللهُ تعالى منه .

● له مِن الوَلَدِ خمسةٌ مِن الذُّكورِ ، وثلاثةٌ من الإناثِ ، سَبَقَه - منهم - إلى ربِّه ثلاثةُ ذكورٍ - كما تقدّم - .

● مِن أَحبِّ كُتُبِ العُلماءِ إليه ؛ كتابُ « المُستصفى » للغزاليّ ، و « الموافقات » للشاطبيّ ، و « القاموس المحيط » للفيروزآباديّ .



● كانت عنايتُه مُتَوَجِّهةً إِلى التدريسِ ، والتعليمِ ، الإِرشادِ ، والإِفْتاءِ ، مِمّا أَدّى إِلى عَدَمِ تفرّغهِ للتأليفِ والتصنيفِ .

● وَمَعَ ذلك فقد طُبِعت له « مُذّكرة التوحيد » ؛ وهي رسالةٌ نافعةٌ تُمَثِّلُ إِملاءاتِه الّتي كانَ يُليقها على طُلّابِه في الجامعةِ .

وله تعليقاتٌ نافعةٌ على كتاب « الإِحكام في أُصولِ الأَحكام » للآمديّ .

ومِمّا يدلُّ على سَعَةِ علمِه ، ودقّةِ نَظَرِهِ ، وشُمولِ معارِفه تِلْكُم التعليقاتُ اليسيرةُ في حَجْمِها ، العظيمةُ في قيمتِها - الّتي أَودَعَها حاشيةَ « شرح العقيدةِ الطحاويّة » لابن أَبي العِزِّ الحَنَفيّ في ذِكْرِ إِحالاتِ شرحِه على كُتُبِ شيخِ الإِسلامِ ابن تيميّة وتلميذِه ابن القيّمِ رحمه الله .

● وَصَفَهُ شيخُنا العلّامةُ الأَلبانيُّ بأَنّه « مِن أَفاضلِ العلماءِ ، ومِن القلائلِ الّذين نرى منهم سَمْتَ أَهلِ العلمِ ، وأَدَبَهم ، ولُطْفَهم ، وأَناتَهم ، وفِقْهَهُم » .

وقال فيه : « التقيتُه غيرَ مرّةٍ في مواسمِ الحجّ ، وكنتُ أَستمعُ - أَحياناً - إِلى إِجاباتِه العلميّة على استفتاءاتِ الحُجّاجِ المُتَنوّعة ، فكانت إِجاباتٍ مُحْكَمةً ، تدلُّ على فقهٍ دقيقٍ ، واتِّباعٍ ظاهرٍ لمنهجِ السَّلَفِ » .

● كانت وفاتُه - رحمه الله رحمةً واسعةً - صبيحةَ يومِ الخميسِ لخمسةِ أَيّام بَقِينَ من ربيعِ الأَوّلِ سنةَ خمس عشرة وأَربع مئةٍ وأَلف ، الموافقِ : (١ / ٩ / ١٩٩٤ م) .

وَدُفِنَ في الرِّياضِ بعد صلاةِ الجمعة .

... رَحِمَهُ اللّهُ ، وأَلْحَقَهُ بالصالحينَ ، وجَمَعَنا وإِيّاه في حَوْضِ سيِّدِ المُرسلين ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى آلِه وصحبِه أَجمعين [1] .

---

(١) وللشيخِ الدكتور محمد الصّباغ مقالةٌ في ترجمتِه ، نَشَرَتْها مجلّة « الفيصل » (عدد ٢١٥) ، استفَدْنا منها في إِعدادِ هذه الترجمة ، مع زياداتٍ مفيدةٍ إِنْ شاءَ اللهُ .

كلماتٌ في فهم القرآن والسّنّة

فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين

لقد اطلعتُ [١] على بعضِ الأَعدادِ من مجلّة (الأَصالة) ، فأَلفيتُها مجلةً علميّةً مفيدةً ، لا سيّما أَنّها تتضمنُ - فيما رأيتُ من الأَعدادِ - إِجاباتٍ على الأَسئلةِ يتولّاها الشيخُ محمد ناصر الدين الأَلبانيُّ حفظه اللهُ ووفّقَه .

ولا شكَّ أَنَّ مثلَ هذه الأَجوبةِ تنفعُ الناسَ ، وأَنَّ المجلّةَ تنفعُ الناسَ إِذا استمرّت على ما شهدتُه منها ، والذي أُحبُّ أَنْ يكونَ لي في هذه المجلّةِ من كلمات هو :

حثُّ الناسِ على كتابِ اللهِ عزَّ وجلّ حفظاً ، وفهماً ، وعملاً ، كما كانَ الصحابةُ رضي اللهُ عنهم لا يتجاوزون عشرَ آياتٍ حتّى يتعلّموها وما فيها من العلمِ والعملِ .

ويكونُ الفهمُ فهماً صحيحاً على مقتضى الحقائق الشرعيّة ثمَّ الحقائق اللُّغويَّة ، ويكون مُتلقىً إِمّا من أَفواهِ العُلماءِ الموثوقين في تفسيرِ القرآنِ أَو من كتبِ التفسيرِ الّتي كَتَبَها من يُوثقُ بعلمِه كـ « تفسير ابن كثيرٍ » ، والشيخِ عبدالرحمن بنِ ناصرِ بن سعديّ ، و « تفسيرِ أَبي بكرٍ الجزائريِّ » وغيرِهم ، وهي معلومةٌ مبثوثةٌ وللهِ الحمد ، وَمَنْ أَشكلَ عليه شيءٌ من ذلك فليراجع أَهلَ العلم المُطلعين على ذلك .

وأَمّا السنّةُ النبويّةُ فكذلك هي الأَصلُ الثاني الّذي تُبنى عليه الأَحكامُ الشَّرعيَّةُ من عقيدةٍ وعمل ، فالقرآنُ والسنّةُ أَصلان لا تُتلقّى الأَحكامُ الشرعيّةُ إِلّا منهما ،

---

(١) وذلك بواسطة الأَخ المكنّى بأَبي الحسن علي بن محمد ، أَحد الطلبة الذين يتلقّون العلم في الجامع الكبير في مدينة عُنيزة .

فيحرصُ أوّلاً على التأكّدِ من صحةِ الحديثِ عن النبيِّ ﷺ أو على الأقلِّ من كونِه مقبولاً كالحديثِ الحسنِ ؛ لئلّا يُغترَّ بما يُنسبُ إلى الرّسولِ ﷺ من الأحاديثِ الضعيفةِ أو الموضوعةِ ؛ لأنَّ الناظرَ في السنّة لا بدَّ له من أمرين :

الأمر الأوّل : الثبوتُ عن النبيِّ ﷺ .

الأمر الثاني : ثبوتُ الدّلالةِ على الحكم .

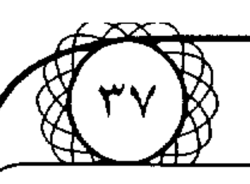
ولْيحرص على أن يفهمَ الأحاديثَ الواردةَ عن النبيِّ ﷺ الّتي قبِلَها أهلُ العلمِ ، فيتفهَّمَها ويعملَ بمقتضاها كالقرآن سواءً .

ولْيكن حريصاً بالدرجةِ الثانيّة على ما كتبه أهلُ العلمِ ممّا يستنبطُ من كتابِ الله أو سنّةِ رسولِه ﷺ .

ولْيعلم أنَّ هذا لا يُعارِضُ ولا ينافي التمسّك بالكتابِ والسنّةِ ؛ لأنَّ ما استنبَطَه أهلُ العلمِ الموثوقُ بعلمِهم ودينِهم وأمانتِهم هو من كتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِه ﷺ ، ولأنّه إذا نَظَرَ في كُتُبِ هؤلاءِ صارَ له ملكةٌ قويّةٌ في استخراجِ الأحكامِ من أدلتِها ؛ لأنَّ كلامَ أهلِ العلمِ - في أصلِه - يكونُ مبنيّاً على قواعدِ الشريعةِ العامّةِ وأُصولِها المُحكمةِ ، فينتفعُ بذلك ويتمكّنُ من استنباطِ الأحكامِ من أدلّتِها ، وكم من إنسانٍ صارَ عندَه شيءٌ قليلٌ من أحاديث الرّسولِ ﷺ مع القرآنِ الكريمِ ، وحصلَ على أحكامٍ كثيرةٍ لتمرُّنه على استنباطِ الأحكامِ من الأدلّةِ !

وكم من إنسانٍ عندَه شيءٌ كثيرٌ من السنّةِ لكنْ لا يستطيعُ أن يستخرجَ أحكاماً كثيرةً منها ؛ لأنّه لم يتمرّنْ على ذلك ، ولم يعرفْ مسالكَ أهلِ العلمِ في استنباطِ الأحكامِ !

ويجبُ على مَن استبانت له سنّةُ رسولِ اللهِ ﷺ ألّا يعارضَها بقولِ أحدٍ من النّاسِ كائناً من كانَ ، ولكنْ إذا جاءت الأحاديثُ وكانَ هناك أحاديثُ أُخرى أصحُّ منها أو أقوى منها دلالةً فإنّه يجبُ عليه أن يتثبّتَ وألّا يتسرّعَ في إصدارِ الحكمِ من



هذه الأَحاديثِ الّتي غيرُها أَقوى منها ، وكذلك إِذا جاءَ حديثٌ يخالفُ ما كانَ عليه جمهورُ الأُمّةِ فإِنّه يجبُ عليه أَنْ يتثبتَ وأَن يتوقّفَ ، وأَنْ يتأنّى ، وأَن يتأمّلَ – فلعلّه فهم خطأً – حتّى يعرفَ أَنَّ هذا الحديثَ منافٍ لما عليه الجمهور ، وحينئذٍ يأخذُ به .

ولقد رأينا بعضَ الطلبةِ – ولا سيّما المبتدئون في علم الحديث – يتسرّعون في إِصدارِ الأَحكامِ المَبْنيّةِ على أَحاديثَ غيرُها أَقوى منها وأَصحُّ ، وأَقوى دلالةً دونَ أَنْ يتثبّتوا في هذا ، أَو يتسرّعونَ في إِصدارِ أَحكامٍ مبنيّةٍ على هذه الأَحاديث المخالفةِ لجمهورِ العلماءِ دونَ أَن يتأملوا ويتأنَّوْا ، وفي هذا خَلَلٌ كبيرٌ ؛ لأَنّه من المعلومِ إِذا كانَ الحديثُ معروفاً عند أَهلِ العلمِ ثمَّ خالفَه الجمهورُ أَنّه لا بدَّ أَن يكونَ هناك شيءٌ أَوجبَ للجمهورِ أَن يخالفوه ، إِمّا مخصِّصٌ ، أَو مقيِّدٌ ، أَو ناسخٌ ، أَو راجحٌ .

المهمُّ أَنَّ الإِنسانَ في هاتين الحالين – أَي : فيما إِذا وجدَ أَحاديثَ مخالفةً للأَحاديثِ الصحيحةِ المعتمدةِ ، أَو أَحاديثَ مخالفةً لما عليه الجمهورُ – أَنْ يتأنّى في هذا ، وأَلّا يُصدرَ الحكمَ حتّى يتبيَّنَ ويعرفَ أَنّه لا بدَّ من مُخالفةِ الأَحاديثِ الأُخرى أَو مخالفةِ ما عليه الجمهورُ .

ومن المعلومِ في مصطلحِ الحديث أَنّه لا يحكمُ بصحةِ الحديثِ إِلّا إِذا سَلِمَ من الشذوذِ ومن العلّةِ القادحةِ .

والشذوذُ أَن يخالفَ الثقةُ من هو أَرجحُ منه إِمّا في العددِ وإِمّا في قوةِ الحفظِ ، وإِمّا في قوةِ الأَمانةِ .

نسأَلُ اللهَ سبحانَه وتعالى أَن يوفِّقَ الجميعَ لما فيه الخيرُ ، وأَنْ يوفِّقَ هذه المجلّةَ لما فيه الصلاحُ والإِصلاح .

الاعتصامُ .. وأسبابُه

الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

إنَّ مِمّا شَرَعَه اللهُ من الدينِ لهذه الأُمّةِ - وهو ما وصَّى اللهُ به نوحاً وإبراهيمَ وموسى وعيسة ، وهو ما أَوحاهُ إلى عبدِه ورسولِه محمد ﷺ وأَمَرَه به - إقامةَ الدينِ وعدمَ التفرُّقِ فيه ؛ كما قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لكم مِنَ الدينِ ما وَصَّى بهِ نُوحاً والّذي أَوْحيْنا إليكَ وما وصَّيْنا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أَنْ أَقيمُوا الدّينَ ولا تتفرَّقُوا فيه ... ﴾ [الشورى : ١٣] .

واللهُ يقولُ مخاطباً الأُمةَ كلَّها : ﴿ واعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جميعاً ولا تَفَرَّقوا واذْكُرو نعمتَ اللهِ عليكُم إذ كنْتُمْ أَعداءً فَأَلّفَ بين قُلوبِكم فأَصبحتُم بنعمتِه إخواناً وكنْتُم على شَفا حفْرةٍ مِنَ النّارِ فأَنقذَكُم منها كذلكَ يُبيّنُ اللّهُ لكم آياتِه لعلّكُم تَهْتَدون ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وإنَّ مِمّا أَنعمَ اللهُ به على هذه الأُمّةِ بعد نعمةِ الإسلامِ ، هو جمعُ كلمتِها بعدَ التفرُّقِ ، وأُلفتِها بعد العِداءِ والشقاقِ ، وذلك بسببِ اعتصامِها بكتابِ اللهِ ، وتمسُّكِها بتعاليمِه ، وأَخذِها بهدي رسولِ اللهِ ﷺ .

يقول ابنُ كثيرٍ في تفسير الآية ﴿ واعْتَصِموا بحَبْلِ اللهِ جَميعاً ولا تَفَرَّقوا ﴾ : « يعني : القران ؛ كما في حديثِ الحارثِ الأَعورِ ، عن علي مرفوعاً في صفةِ القرآن : « هو حَبْلُ اللهِ المَتين وصراطُه المُستقيم » » .

ثمَّ يُواصلُ ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ في شَرْحِ هذهِ الآيةِ فيقولُ : « وقولُه : ﴿ ولا تفرَّقوا ﴾ أَمَرَهم بالجماعةِ ، ونهاهم عن التَّفرقةِ ، وقد وردتْ الأَحاديثُ المتعددةُ بالنهيِ

عن التفرُّقِ ، والأُمرِ بالاجتماعِ والائتلافِ ؛ كما في « صحيح مُسلم » من حديث سُهَيل بن أَبي صالحٍ عن أَبيه عن أَبي هُريرة أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال :

« إِنَّ اللهَ يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخطُ لكم ثلاثاً ، يرضى لكم : أَنْ تعبدوه ولا تُشْركوا بهِ شيئاً ، وأَنْ تعتصمُوا بحَبْلِ اللهِ جَميعاً ولا تفرَّقُوا ، وأَنْ تُنَاصحوا من ولَّاهُ اللهُ أَمرَكم ، ويسخطُ لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرةَ السؤالِ ، وإِضاعةَ المالِ » .

وقد ضُمنَتْ لهم العصمةُ عند اتفاقِهم من الخَطإِ ؛ كما وردت بذلك الأَحاديثُ المتعددةُ ، وخِيفَ عليهم الافتراقُ والاختلافُ » ، قال : « وقد وقعَ ذلك في هذه الأُمّةِ ؛ فافترقوا إِلى ثلاثٍ وسبعين فرقةً ، منها فرقةٌ ناجيةٌ إِلى الجنّةِ ، ومُسَلَّمةٌ من عذابِ النَّار ، وهم الّذين على ما كانَ عليه رسولُ اللهِ ﷺ وأَصحابُه » .

وإِذا كانت الفرقةُ الناجيةُ المنصورةُ هي المتبعةَ لمنهجِ رسولِ اللهِ ﷺ وأَصحابِه ، تَعْتَقِدُ ما يَعْتقدون ، وتعملُ كما يعملون ، وتتعاونُ على البرِّ والتقوى كما يتعاونون ، وتجاهدُ في سبيلِ اللهِ كما يجاهدون بالنفسِ والمالِ ، والقلمِ واللسانِ ، ثمَّ تسلكُ سبيلَهم ، وتهتدي بهديهم ، في جميعِ ما يأَخذون ويذرون ، لا تحيدُ عن منهجِهم ، ولا تسلكُ سبيلَ غيرِهم ، وإِذا اختلفوا في شيءٍ رجعوا إِلى كتابِ ربِّهم وسنّةِ نبيِّهم ، لقولِه تعالى : ﴿ .. فإِنْ تنازَعْتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ والرَّسولِ إِنْ كنتُم تُؤمنونَ باللهِ واليومِ والآخرِ ذلك خَيْرٌ وأَحسنُ تأويلاً ﴾ [النساء : ٥٩] .

فهذا سبيلُ الفرقةِ الناجيةِ المنصورةِ ، وهذا مسلكُهم حينَ تختلفُ اجتهاداتُهم ووجهاتُ نظرِهم في أَيِّ أَمرٍ مِنْ أُمورِ دينِهم ، سواءٌ في الأَحكامِ الشرعيّةِ من عقائدَ وعباداتٍ ، أَو مناهجَ دعويةٍ وسلوكٍ .

وإِنَّ المرءَ ليعجبُ حينَ يجدُ جماعةً تَنْتَسبُ إِلى الفرقةِ الناجيةِ ، وتسلُكُ مسلكَها وتدعو بدعوتِها ، ثمَّ تجدُ جماعةً أُخرى تسلكُ ذلكَ المَسلكَ ، وتدعو إِلى ما تدعو إِليه تلك الجماعةُ ، ثمَّ تختلفُ وِجْهاتُ نظرِهم واجتهاداتُهم ؛ لأَنَّ الاختلافَ

في ذلك أمرٌ لا بدَّ من وقوعِه ، ولكنّهم مع ذلك يعجزونَ عن الرُّجوعِ إلى تلك القاعدةِ الّتي يؤمنونَ بها جميعاً عندَ التنازعِ ، وهي قولُه تعالى : ﴿ يا أَيُّها الّذينَ آمنوا أَطيعوا اللهَ وأَطيعوا الرّسولَ إِنْ كنتُم تُؤْمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ ذلك خيرٌ وأَحسنُ تأْويلاً ﴾ [النساء : ٥٩] ، لأَنَّ التنازعَ والاختلافَ فتنةٌ وعذابٌ ونقمةٌ .

والاتفاقُ والاجتماعُ والتعاونُ على البِرِّ والتقْوى نعمةٌ ورحمةٌ ، فلماذا لا يرجعونَ إلى تلك القاعدةِ الرّبانيّةِ عندَ الاختلافِ ، ونحنُ نجدُ أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خاطبَ أَصحابَ محمدٍ ﷺ - وهو خطابٌ للأُمّةِ كلِّها - مُمْتنّاً عليهم بذلك الاجتماعِ والائتلافِ والمحبّةِ والأُخوّةِ الإِيمانيّةِ ، بعد تلكَ الفرقةِ والاختلافِ والتنازعِ والعداوةِ والبغضاءِ السائدةِ والمُستحكمةِ بينَهم ، والّتي نالوا من ويلاتِها المصائبَ والمِحَنَ في أَنفسِهم وأَموالِهم ، فقال تعالى : ﴿ واذْكُروا نعْمَتَ اللهِ عليكُم إِذ كُنتُمْ أَعْداءً فأَلَّفَ بَينَ قلوبِكم فأَصْبَحْتُم بنعمتِه إِخواناً ﴾ .

يقولُ ابنُ كَثيرٍ رحمه اللهُ : « وهذا السياقُ في شأنِ الأَوْسِ والخَزرَجِ ، فإِنّه كانتْ بينَهم حروبٌ كثيرةٌ في الجاهليّةِ ، وعداوةٌ شديدةٌ ، وضغائنُ وإِحنٌ وأَحقادٌ ، طالَ بسببِها قتالُهم ، والوقائعُ بينَهم ، فلمّا جاءَ اللهُ بالإِسلامِ ، فدخلَ فيه منْ دَخَلَ منهم ، صاروا إِخواناً مُتحابّينَ بجلالِ اللهِ ، متواصلينَ في ذاتِ اللهِ ، مُتعاونين على البِرِّ والتقوى ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بنصرِه وبالمُؤمنينَ وأَلَّفَ بينَ قلوبِهم لو أَنْفَقْتَ ما في الأَرضِ جميعاً ما أَلَّفتَ بين قلوبِهم ولكنَّ اللهَ أَلَّفَ بيْنَهُم ﴾ [الأنفال : ٦٢ - ٦٣] ، وكانوا على شفا حُفرةٍ من النَّارِ بسببِ كُفرِهم ، فأَنقَذَهُم اللّهُ منها ، بأَنْ هداهم اللهُ للإِيمانِ .

هكذا كانَ حالُ المُجتمعِ قبل الإِسلامِ ، خلافٌ وشِقاقٌ ونِزاعٌ وفُرقةٌ ، أَوصَلَتْهم إِلى الحروبِ المدمّرةِ المُسْتَمرّةِ ، فجمعَهم اللهُ بعدَ ذلكَ على الحقِّ ، بأَنْ هداهم للإِيمانِ وأَلَّفَ بينَ قلوبِهم ، فأَمِنَهُم به بعدَ الخوفِ ، وأَغناهم بعد الفاقةِ .

ولا أَدلَّ على ذلك من حديث عديّ بن حاتِمٍ الّذي رواه البخاريُّ في علامات النبوّة [١] ، قال : « بينا أَنا عندَ النبيِّ ﷺ إذ أَتاهُ رجلٌ فشكا إِليه الفاقةَ ، ثمَّ أَتاهُ آخرُ فشكا عليه قطعَ السبيلِ - أَي : الفقر وقُطّاعَ الطريق - فقال : « يا عَدي هل رأَيتَ الحيرةَ ؟ » قلتُ : لم أَرها ، وقد أُنبِئتُ عنها ، قال : « فإِنْ طالتْ بكَ حياةٌ لَتَرَيَنَّ الظعينةَ ترتحلُ من الحيرةِ حتّى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أَحداً إِلّا الله » . قلت : فيما بيني وبين نفسي : فأَينَ دعّار طي الّذين قد سعروا البلاد ؟ - الدعّار : أَي : قطاعُ الطريقِ من قبيلةِ طي ، الّذين قد سعروا البلاد ؛ أَي : أَوقدوا نارَ الفتنةِ فيها .

قال - أَي النبيّ ﷺ - : « ولئنْ طالتْ بكَ حياةٌ لتُفْتَحنَّ كُنوزُ كسرى » ، قلت : كسرى بن هُرمز ؟! ، قال : « كسرى بن هُرمز ، ولئن طالت بك حياةٌ لتَرَيَنَّ الرَّجلَ يُخرجُ ملأَ كفِّه من ذهبٍ أَو فضةٍ يطلبُ من يقبلُه منه فلا يجدُ أَحداً يقبلُه منه » الحديث ، وفيه قال عدي : فرأَيتُ الظعينةُ ترتحلُ من الحيرةِ حتّى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إِلّا اللهَ ، وكنتُ فيمن فَتَحَ كُنوزَ كسرى بن هُرمز ، قال : ولئن طالتْ بكمُ الحياةُ لتَرَوُنَّ ما قالَ النبيُّ ﷺ .

إنَّ هذا الحديثَ النبويَّ يُصَوِّرُ لكَ أَيُّها القارئُ الكريمُ حالَ المُجتمعِ في بدايةِ الإِسلامِ ، ودعوةَ الرَّسولِ للنّاسِ جميعاً إِلى هذا الدينِ ، كيفَ كانتْ حالتُهم ، فاقةٌ لا يجدُ الإِنسانُ ما يَسُدُّ به رَمَقَهُ ، وخوفٌ لا يأمنُ الإِنسانُ على نفسِه في دارِه في حالِ إِقامتِه ، أَو في سفرِه .

وبدخولِ الناسِ في الإِسلامِ ، أَسلمت قلوبُهم وجوارُهم ، فأَمِنَ الناسُ على أَنفسِهم وأَموالِهم ، إِذ المسلمُ من سَلِمَ المُسْلِمونَ من لسانِه ويدِه .

وإِذا كانَ - بعدَ هذا الاجتماعِ والأُلفةِ - قد حدثَ فيه هذه الأُمّةِ ما أَخبرَ به

---

(١) « صحيح البخاري » ، المناقب ، علامات النبوّة (رقم : ٣٥٩٥) ، « فتح الباري » (٦ / ٦١٠)

الصادقُ المصدوقُ ، فافترقتْ هذه الأُمّةُ إلى ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً في الأَهواءِ ، وقد أَخبرَ ﷺ أَنَّ الناجيةَ من تلك الفِرَقِ واحدةٌ ، ولمّا سُئِلَ عنها قال : « هي من كانت على مِثلِ ما أَنا عليه وأَصحابي » .

وقُلنا في بدايةِ هذا الحديثِ : إِنَّ الفرقةَ بحمدِ الله موجودةٌ ، ودعوتَها واحدةٌ ، وهي التمسُّكُ بالكتابِ والسنّةِ ، ولكن نجدُ الخلافَ بين هذه الجماعةِ الّتي دعوتها واحدةٌ ، وأُصولُها واحدةٌ ، وإنّما الخلافُ بينها في اجتهاداتِها ووِجهاتِ نظرِها ، ولم تستطع الرُّجوعَ إلى الأَصلِ الّذي نصَّ على القاعدةِ الّتي تُرجعُ إليها عندَ الاختلافِ وهو قولُه تعالى : ﴿ .. فإِنْ تنازعْتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسولِ إِنْ كُنتُم تُؤمِنُونَ باللهِ .. ﴾ لا سيّما والخلافُ ناتجٌ عن اجتهاداتٍ ووجهاتِ نظرٍ أَكثرُها يعودُ إلى منهجِ الدعوةِ والتوجيه .

والسؤالُ هو : ما سببُ عدمِ استطاعةِ هؤلاءِ الرُّجُوعَ إلى هذهِ القاعدةِ الرَّبانيّةِ لحلِّ ما يعترضُ هؤلاءِ السائرين على منهجِ الفرقةِ الناجيّةِ من خلافٍ حسبَ دعوى الجميعِ ؟

وبالتّأمّلِ والدراسةِ يظهرُ لي – واللهُ أَعلمُ – أَنَّ سَبَبَ ذلك يعودُ لأُمورٍ أَهمُّها :

أَوّلا : عدمُ تطبيقِ قولِه تعالى : ﴿ يا أَيُّها الّذينَ آمنُوا إِنْ جاءَكُم فاسقٌ بِنَبأٍ فَتَبيَّنوا أَنْ تُصيبوا قوْماً بجهالةٍ فتُصبِحوا على ما فَعَلْتُم نادمين ﴾ [الحجرات : ٦] .

فكثيراً ما يُنقلُ عن جماعةٍ أَو شخصٍ إلى جماعةٍ أُخرى أَو إلى شخصٍ آخرَ أَقوالٌ ، لو طُبّقت عليها الآيةُ لتبيَّنَ أَنَّ ما نُقِلَ إمّا غيرُ صحيحٍ أَصلاً ، أَو نُقلَ بصورةٍ على غيرِ الصورةِ الّتي قيلت ، وذلك النقلُ إمّا لقصدِ سيءٍ – وما أَكثرَ وقوعَه – ، وإمّا لعدمِ فهمٍ لِما قيل ، وعدمُ التثبّتِ في ذلك مخالفةٌ لهذا التوجيه الرّبانيِّ في قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الّذينَ آمنوا إِنْ جاءَكُم فاسقٌ بِنَبَأٍ فَتَبيَّنُوا ﴾ .

بل يأَخذونَ ذلك الخبرَ مُسلَّماً ، ولو بُحِثَ الموضوعُ وتُثبِّتَ فيه لَوُجِدَ لصاحبِه

ما يُحملُ عليه كلامُه من أَوجهِ الخيرِ لقولِ عمر بن الخطّابِ رضي اللهُ عنه : ولا تظننَّ بكلمةٍ خرجت من أَخيكَ المؤمنِ إلّا خيراً ، وأَنتَ تجدُ لها في الخيرِ محملاً .

وبذلك يبقى حبلُ الأُخوّةِ موصلاً ، ولكن لا يفعلونَ ذلك ، فَيَنْمُو بذلك النقلِ الخاطئِ عند هؤلاءِ وهؤلاءِ التوجّسُ والشكوكُ وسوءُ الظَنِّ بالجماعةِ الأُخرى .

ومعلومٌ أَنَّ هذا العملَ ليسَ من أَخلاقِ ولا منهجِ الفرقةِ الناجيةِ المنصورةِ – أَعني نقلَ الكلامِ من جماعةٍ إِلى أُخرى – ؛ لأَنّه إِذا كانَ الكلامُ المنقولُ صحيحاً فهو الغيبةُ والنميمةُ ، وقد نهى الرّسولُ ﷺ عن ذلك وشدّدَ فيه ، لأَنّه إِفسادٌ لقلوبِ النّاسِ ، وإِثارةٌ للفتنِ والبغضاءِ والإِحَنِ والأَحقادِ بينهم .

أَمّا إِذا لم يكنِ الكلامُ المنقولُ صحيحاً ، فهو بُهتٌ ، فقد روى أَبو داود والترمذيُّ من حديث أَبي هريرة قال : قال : يا رسولَ اللهِ ما الغيبةُ ؟ قال : « ذِكْرُكَ أَخاكَ بما يكرهُ » ، قيل : أَفرأَيتَ إِنْ كانَ في أَخي ما أَقولُ ؟ قال ﷺ : « إِنْ كانَ فيه ما تقولُ فقد اغتبتَه ، وإِنْ لم يكن فيه ما تقولُ فقد بَهتّه » رواه الترمذيُّ ، وقال : حسن صحيح .

وكذلك ليس من منهجِ ولا أَخلاقِ الفرقةِ الناجيةِ وآدابِها تقبُّلُ الكلامِ المنقولِ إِليها من غيرِ تثبُّتٍ من صحتِه ، كما سبقَ نصُّ الآيةِ الآمرةِ بالتثبُّت .

السبب الثاني : وهو مترتبٌ على السببِ الأُوّلِ ؛ وهو عدمُ التثبّت فيما يُنقل .

وذلك أَنَّ هناك أَيدٍ خفيّةً تدفعُ العناصرَ الطيبةَ الّتي تُريدُ فعلَ الخيرِ وعملَه ، وهذه الأَيدي لا تُريدُ إِلّا تفريقَ الكلمةِ وتشتيتَ الصفِّ ، وبثَّ الفرقةِ حسداً وبغياً وتفريقاً لكلمةِ هذه الجماعةِ ، والقضاءَ على البقيةِ الباقيةِ من تعاليمِ هذا الدين .

والمتتبعُ لما يُنشرُ أَو يُذاعُ أَو يُكتبُ لمحاربةِ هذه الجماعةِ تجدُه منصبّاً على إِثارةِ الغيورين – لا سيّما الشبابُ المُتحمّسُ للإِسلامِ ونَشْرِ تعاليمِه – ، فتجدُ هؤلاءِ الكتّابَ يبحثونَ عن هفواتِ هذه الجماعةِ ، وما يحدثُ منها بين حينٍ وآخر ، فيطعنونَ به على

القائمين على أُمورِ المُسلمين ، وعلى العلماءِ الملتزمين بمنهجِ السلفِ وفهمهم لنصوصِ الشريعةِ الإِسلاميّةِ ، فيتّهمونَهم بالمحاباةِ وعدمِ قَبولِ الحقِّ ، فيثيرونَ الشبابَ على عُلمائِهم ، ويقطعونَ صلتَهم بهم والاستفادةِ من علمِهم وتجاربِهم .

وهذه جريمةٌ في حقِّ الشبابِ الأَبرياءِ ، ستظهرُ نتائجُها الخطيرةُ على أَفكارِهم بعد حين ، وهؤلاءِ العلماءُ لم يقولوا يوماً من الأَيّامِ : إِنّهم معصومون من الخطأِ ، وإِنَّ العاملين على أُمورِ المُسلمين بمنزلةِ الخلفاءِ الرّاشدين ، ولكنّهم يتبعونَ منهجَ السلفِ في قواعدِ الأَمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ .

ويفرّقونَ بين من يُحكّمُ شرعَ اللهِ في أَرضِه وعلى عبادِه ، ويخطئُ في بعضِ الأُمورِ ، ولكنّه لم يرتكب كُفراً بَواحاً فيه من اللهِ بُرهانٌ - كما جاءَ في « صحيح البخاريّ » - وبين من يَحكُمُ بالقوانين الوضعيّةِ ولا يُلقي لكتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِه ﷺ بالاً .

ومن هنا ؛ فإِنَّ علماءَ هذه الفرقةَ الناجيةَ المنصورةَ يزنونَ الأُمورَ بموازينِ الشرعِ ، ويرونَ أَنّه من الواجبِ العملُ على إِكمالِ النقصِ بالطرقِ الشرعيّةِ ، وبالوسائلِ الّتي يُتوصّلُ بها إِلى إِكمالِ الناقصِ عن طريق النصحِ والمشورةِ على ضوءِ قولِه ﷺ : « الدينُ النصيحةُ ثلاثاً » . قُلنا : لمن يا رسولَ الله ، قال : « للهِ ولكتابِه ولرسولِه ولأَئمةِ المُسلمين وعامتِهم » .

ثمَّ إِنَّ المتتبعَ لبعضِ الوسائلِ - الّتي تدفعُ العناصرَ الطيبةَ لا سيّما الشبابُ المسلمُ الملتزمُ - يجدُ أَنَّ هذه الوسائلَ يتخذُ بعضُ أَصحابِها مقرّاً له عند أَلدِّ أَعداءِ الإِسلامِ والّذين يحاربونَ الدعوةَ الصحيحةَ ، دعوةَ الفرقةِ الناجيةِ المنصورةِ المأَخوذةِ من الكتابِ والسنّةِ وفهمِ السلفِ الصالحِ لنصوصِ الشريعةِ ، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، فهل يقبلُ عاقلٌ ينظرُ في الأُمورِ ببصيرتِه ، أَنَّ أَعداءَ الإِسلامِ يفتحونَ صدورَهم ويسمحونَ بفتحِ البابِ على مصراعيه لدعوةٍ تدعي أَنّها تُريدُ أَن تُعيدَ للإِسلامِ مجدَه ودولتَه الّتي فتحت

العالَمَ ونشرت عقيدةَ الإِسلامِ ، وقضت على دولِ الكفر والطغيان ؟!! أَلا يدركُ العاقلُ ببصيرتِه أَنَّ عدوَّ الإِسلامِ ، وعدوَّ نبيِّ الإِسلامِ ، وتعاليمِ الإِسلامِ ، لا يمكنُ بأيِّ حالٍ من الأَحوالِ أَن يفسحَ المجالَ لدعوةٍ تُريدُ إِعادةَ الإِسلامِ لسابقِ مجدِه ، وإِنّه إِنّما يفسحُ المجالَ للدعوةِ يستفيدُ منها في القضاءِ على دعوةِ الإِسلامِ الصحيحةِ ، ولكن باسم الإِسلامِ وباسم الدعوةِ إِليه ، سواءٌ شعرَ المستجيبون لهذه الإِيحاتِ أَو لم يشعروا .

وما تكالبُ أَعداءِ الإِسلامِ على القضاءِ على مُسلمي البوسنةِ والهرسك ببعيد على مَنْ يعقلُ الأُمورَ ، ويعرفُ أَهدافَ أَعداءِ الإِسلام ومخططاتِهم ، وأَنّهم لا يسمحون لدعوةٍ صحيحةٍ سليمةٍ للإِسلام أَن تقومَ في ديارِهم .

ولكنَّ أَهلَ النيّاتِ الطيبةِ والقلوبِ السليمةِ ، يثقونَ في من يظهرُ الحماسَ والأَسى على الإِسلامِ وما ينالُه ويُنْقِصُ من شأنِه ، فيتقبّلُ ما يسمعُه ، دونَ الرُّجوعِ إِلى القاعدةِ الشرعيّةِ لوزنِ الأُمورِ بموازينِ الشريعةِ وقواعدِها .

واللهُ الهادي إِلى سواءِ السبيل .



وضوح الغاية ... وأثره في استقامة المسلم

ضياءالدين شهاب الدين

خَلَقَ اللَّهُ الإنسانَ ، وحمَّله الأَمانة ، ووعده وعدًا يفوز به إِن هو قام بحمل الأَمانة كما يرضى الخالق ، وأَخبره أَنَّه في الأَرض إلى حين ! وهذا الوعد أَن يعيده إِلى الجنَّة التي أُخرجَ منها آدم ، فجاء الشيطان وشغل الإِنسان بأَهدافٍ دنيويةٍ رخيصةٍ تافهةٍ ، وأَنساه الغاية الحقيقية التي ينبغي أَن يَنشدها ، والوجهة التي عليه أَنْ يقصدها .

ولا شكَّ أَنَّ كلَّ إِنسان له غايةٌ ما ، هذه الغاية هي التي تحرِّكه في خِضَمِّ هذه الحياة ، وتُملي عليه سلوكه وتصرُّفاته ، لا فرق في ذلك بين عالمٍ وجاهلٍ ، ولا بين مؤمنٍ وكافرٍ ، ولا بين تقيٍّ وفاجرٍ ، فالجميع لهم غايات يلهثون وراءها ، أَلا ترى ذلك واضحًا في حياة النَّاس جميعًا ؟!

والآن نسأَل : ما هي الغاية للمسلم الصادق في إِسلامه ؟

والجواب بكل بساطة : الغاية هي الجنَّة ولا شيء غيرها ، وإِنْ شئت قل : هي (رضوان اللَّه سبحانه وتعالى) ، أَو اللحاق بالرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام على الحوض ، فالمؤدَّى واحدٌ ، وبكل هذه الأَلفاظ جاءت نصوص الكتاب والسنَّة كما سيرى القارئُ الكريم .

ونحنُ نقصدُ بكلمة (الجنَّة) هذه المعاني كلِّها ؛ فكلمة (الجنَّة) في اصطلاح القرآن عَلَمٌ على النَّعيم الأُخروي الذي جاوز حدود الدنيا الفانية ، وفي القرآن آيةٌ حوت هذه المعاني جميعَها وهي قوله تعالى : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنَّات



تجري من تحتها الأَنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنَّات عدن ورضوان من الله أَكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ٧٢] .

فالجنَّة من اللَّه تعالى هبةٌ وموعودٌ ، وللمسلم غايةٌ ومقصودٌ .

ولكي تصبح الأُمور واضحة أَكثر ، فإِنَّ علينا أَنْ نبحث النِّقاط التالية :

أَوَّلًا - الغاية في القرآن الكريم :

الآيات الدَّالَّة على أَنَّ الغاية هي الجنَّة أَكثر من أَنْ تُحصىٰ في القرآن الكريم ، وتأْتي بأَساليبَ مختلفة ، وصور متنوعة :

□ ففي مواضع كثيرة بعدما تُوصف الجنَّة ، ويُذكر ما فيها من نعيم ، يعقِّب اللَّه سبحانه بقوله : ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ ونحو هذه العبارة .

فهذه إِشارة واضحة إِلى أَنَّه لا غاية جديرة بالتفكير ، والتخطيط لها ، والعمل من أَجل الحصول عليها سوى الجنَّة ، وإِليها ينبغي أَنْ تتجه الأَنظار والأَفكار .

□ في سورة الصَّافَّات وُصفت الجنَّة بعدة آيات، ثمَّ جاءَ التعقيب بهذه الجملة : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ .

□ وفي سورة المطففين أُوضح الأَمر أَكثر فقال اللَّه تعالى : ﴿ وفي ذلك فلْيتنافس المتنافسون ﴾ .

فالقرآن ينادي البشر جميعًا قائلًا : ليس هناك غاية تصلح أَنْ تعملوا لها إِلَّا الجنَّة ، وكل هدف بعد الجنَّة حقير .

□ وفي سورة آل عمران : ﴿ وسارعوا إِلى مغفرة من ربكم وجنَّة عرضها السموات والأَرض .. ﴾ .

□ وفي سورة الحديد : ﴿ سابقوا إِلى مغفرة من ربِّكم وجنَّة عرضها كعرض السماء والأَرض ﴾ .



بل إِنَّ القرآن الكريم ليحرص أَشدَّ الحرص على أَنْ لا تلتبس هذه الغاية بغيرها من الرَّغبات التي قد يظنُّها المسلمون مطلوبة لذاتها ، في حين أَنَّها لا تُراد لذاتها ؛ وإِنَّما هي نتيجة لا غاية ، وذلك مثل النصر في معركة إِسلامية .

فالنَّصر - وهو أَعلىٰ غاية دنيوية يمكن أَنْ تداعب خيال المسلمين - لا يصحُّ بمفرده أَنْ يكون غاية المسلمين ؛ وإِنَّما هو مجرد نتيجة ، وفرقٌ كبيرٌ بين الغاية التي تُقصد ، وبين الثمرة أَو النتيجة التي يكافئ اللّٰه بها عباده المخلصين .

هذه الحقيقة - أَعني عدم الخلط بين الجنَّة والنَّصر - أَوضحها القرآن في عدة مواضع ، ونكتفي هنا بذكر آيات من سورة الصَّفِّ لوضوحها في هذه النقطة :

﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا هل أَدلُّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أَليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأَموالكم وأَنفسكم ذلكم خير لكم إِنْ كنتم تعلمون • يَغفِرْ لكم ذنوبكم ويدخلكم جنَّات تجري من تحتها الأَنهار ومساكن طيبة في جنَّات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ .

فتأَمَّل كيف خُتمت الآيات بقوله تعالى : ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ مع أَنَّ الكلام لم ينته بعد ؛ إِذ جاء بعدها مباشرة : ﴿ وأُخرى تُحبُّونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ وبشِّر المؤمنين ﴾ .

فقد أَخَّر ذِكر النَّصر إِلى ما بعد ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ لنعلم أَنَّ الغاية هي الجنَّة ، أَمَّا النَّصر فهو نتيجة وثمرة ، ويشهد لذلك أَيضًا قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ الله اشترىٰ من المؤمنين أَنفسهم وأَموالهم بأَنَّ لهم الجنَّة . . . ﴾ .

ثانيًا - الغاية في السنَّة المطهرة :

إِنَّ النَّبي ﷺ لم يطلب من الصحابة أَنْ يجعلوا الجنَّة غايتهم فحسب ؛ بل ربّاهم علىٰ ذلك تربية متلاحقة في جميع الفرص والمناسبات .

تأَمَّل معي هذه الطائفة من أَقواله عليه الصَّلاة والسَّلام :

أ - كان يمرُّ بآل ياسر وهم يُعذَّبون فيقول لهم : « صبْرًا آل ياسر ؛ فإِنَّ موعدكم الجنَّة » .

ب - كان يقول لأَصحابه : « إِنَّكم ستَلْقوْن بعدي أَثَرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

ج - كان يقول أَيضًا : « أَلا إِنَّ سلعة اللَّه غالية ، أَلا إِنَّ سلعة اللَّه الجنَّة » .

د - في غزوة بدر قال لأَصحابه : « قوموا إِلى جنَّة عرضها السموات والأَرض » .

هـ - في غزوة أُحد ، نادى عليه الصَّلاة والسَّلام : « من يردُّهم عنا وله الجنَّة ، أَو : هو رفيقي في الجنَّة ؟ » .

أَرأَيت إِلى هذه الطريقة التربويَّة الفريدة التي كان يسلكها النَّبي ﷺ مع أَصحابه حتَّى أُصبح الصَّحابة يجدون ريح الجنَّة ، ويطيرون شوقًا إِليها .

وكيف لا يكون الأَمر كذلك وهو رسول اللَّه القائل : « اللهم ، إِنّي أَسأَلك الجنَّة وما قرَّب إِليها من قول أَو عمل » .

و - كان عليه الصَّلاة والسَّلام يعلِّم أَصحابه أَنَّ من جعل الجنَّة غايته فإِنَّ اللَّه يملأ قلبه ونفسه غنًى ، وتأْتيه الدنيا وهي راغمة ، كما في الحديث الصحيح الذي يرويه الترمذي :

« من كانت الآخرة همَّه جعل اللَّه غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأَتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همَّه جعل اللَّه فقره بين عينيه ، وفرَّق عليه شمله ، ولم يأْته من الدنيا إِلَّا ما قُدِّر له » .

ثالثًا - كيف تجلَّت هذه الغاية واضحةً في حياة الصحابة ؟ :

والآن لِنَرَ كيف أَثمرت التربية النَّبوية القرآنيّة في حياة الجيل الأَوَّل ؛ جيل الصَّحابة الكرام رضي اللَّه عنهم ، لقد عاش الصَّحابة حياتهم كأَنَّهم يرون الجنَّة

بأعينهم ، وكأنَّهم يحسّونها بحواسّهم .

فهم يذكرون الجنَّة دائمًا ، ويشتاقون إليها ، ويجدون ريحها ، فما هم إلَّا أَبناء الجنَّة ، يعيشون غرباء في الدنيا ينتظرون بفارغ الصَّبر الرجوع إلى الوطن ، وما هم إلَّا عشَّاق مُتَيَّمون ينتظرون لقاء الأَحبَّة ، لا همَّ لهم إلَّا ذلك ، ولا غاية لهم إلَّا هذا .

وإليك بعض هذه الصور المشرقة ؛ لعلك - أخي المسلم - تقتدي بهم :

أ - ربيعة بن كعب الأَسلمي - رضي اللَّه عنه - يقول له النَّبي ﷺ : « سَلْني » ، فيقول : أَسأَلك مرافقتك في الجنَّة ، فيقول له : « أَو غير ذلك ؟! » فيقول : هو ذاك .

ب - أَنس بن النَّضر يقول يوم أَحد : « يا سعد بن معاذ ! الجنَّة وربِّ النضر ؛ إني أَجد ريحها من دون أُحد ! » .

ج - عمَّار بن ياسر - رضي اللَّه عنه - يقف يوم اليمامة على صخرة وقد أَشرف يصيح : يا معشر المسلمين ! أَمِنَ الجنَّة تفرُّون ؟! أَنا عمَّار بن ياسر ، أَمِنَ الجنَّة تفرُّون ؟!

د - ويوم مؤتة ينشد جعفر بن أَبي طالب :

يا حبَّذا الجنَّة واقترابها   طيّبة وباردًا شرابها

ويخاطب عبدُاللَّه بن رواحة نفسَه قائلًا : « ما لي أَراك تكرهين الجنَّة ؟! » .

هـ - ومن الواضح أَنَّ الصَّحابة - رضوان اللَّه عليهم - كانوا يُفصحون بأَنَّ الشَّهادة هي غايتهم وأُمنيتهم ؛ لأَنَّ الشَّهادة تقودهم إلى رضوان اللَّه وجنَّته ، وعلى هذا ربَّاهم الحبيب ﷺ .

- ففي بدر ، لما قال عليه الصَّلاة والسَّلام محرِّضًا : « قوموا إلى جنَّة عرضها السموات والأَرض » وسمع عمير بن الحُمام هذا القول ، قال : « جنَّة عرضها السموات والأَرض ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « بخٍ بخٍ » ، فقال النَّبي عليه الصَّلاة

والسَّلام : « ما يحملك على قولك : بخٍ بخٍ » ، قال : « لا واللَّه يا رسول اللَّه ، إلَّا رجاء أَن أكون من أهلها » ، قال : « فإنَّك من أهلها » .

وكأَنَّ عميرًا - رضي اللَّه عنه - يقول : ما الذي يحملني على البقاء في الدنيا وغايتي أَصبحت في متناول يدي ، ليس بيني وبينها إِلَّا أَنْ يقتلني هؤلاء المشركون ؟! .

- ويوم خيبر ، يعطي النَّبي ﷺ أَحد الصَّحابة مالًا - وكان قد أَسلم حديثًا - فقال : « ما علىٰ هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك علىٰ أَن أُرمىٰ هٰهنا - وأَشار إِلىٰ حلقه - بسهم ، فأَموت ، فأَدخل الجنَّة » ، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « إِنْ تصْدقِ اللَّه يَصْدقْك » ثمَّ نهض إِلى قتال العدو ، فأُتي به إِلى النَّبي ﷺ وهو مقتول ، فقال : « أَهو هو ؟ » قالوا : نعم ، قال : « صدق اللَّه فصدقه » .

- وهذا عمرو بن الجموح رضي اللَّه عنه - وكان أَعرج شديد العرج - يقول في أُحد : « إِنِّي لأَرجو أَنْ أَستشهد فأَطأَ بعرجتي هذه في الجنَّة !! » .

وعند أَحمد بسند صحيح أَنَّ النَّبي ﷺ قال : « كأَنِّي أَنظر إِليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنَّة » .

وكان الواحد من الصَّحابة إِذا سقط شهيدًا يقول : وعجلت إِليك ربي لترضىٰ ، أَو يقول :

غدًا أَلقىٰ الأَحبّة   محمَّدًا وصحبَه .

رابعًا - حالة المسلمين اليوم مع الجنَّة :

بقليل من التأَمل في أَحوال مُعْظَم المسلمين اليوم نجد أَنَّ غاياتهم التي ارتضوها لأَنفسهم ، والتي يضحُّون في سبيلها بالنَّفس والنفيس - إِنَّما هي غايات دنيوية لا تمتُّ إِلى الجنَّة بصلة ، ولا يستثنى من هذا الأَمر إِلَّا القليل النادر .

وكأَني ببعض النَّاس يتساءلون : وهل هناك مسلم غايته شيء آخر غير الجنَّة حتى يحتاج الأَمر إِلى بيان وإِيضاح ؟!

والجواب : أَنَّ هناك فرقًا هائلًا بين غاية تعمل لها بكل إمكانيَّاتك ، وتحلم بها ليل نهار ، وبين أُمنية كاذبة تتمنَّاها مجرد تمنٍّ ، لكنها لا تخطر لك على بال في خضم هذه الحياة وتقلُّباتها وأَهوائها ، ولو كان الأَمر بالتمنِّي لكان اليهود من أَهل الجنَّة !

يجسِّد هذا المعنى ما روي أَنَّ الحسن البصري قال مخاطبًا أَصحابه : « إِنَّما دين أَحدكم لعقةٌ على لسانه ، إِذا سئل : أَمؤمن أَنت بيوم الحساب ؟ قال : نعم . كذب ومالك يوم الدين . أَين من أَخلاق المؤمنين : قوَّة في دين ، وحَزْم في لين ....؟ » وأَخذ - رحمه اللَّه - يعدِّد صفات المؤمنين .

إِنَّ اهتمامات كثيرٍ مِن المسلمين اليوم جدّ تافهة ، لا تليق بصاحب مبدإٍ أَرضيٍّ ، فضلًا عن مؤمن باللَّه واليوم الآخر ! إِنَّ أَهداف المسلمين اليوم - ونقصد الأَكثريَّة - تعود مهما تشعَّبت إِلى هذه الأمرين : المال والجاه .

هذان الأَمران اللذان حذَّر النَّبي ﷺ من الحرص عليهما فقال : « ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » .

أَرأَيت إِلى عدم وضوح الغاية الحقيقية - التي هي الجنَّة - كيف يُفسد على المسلم دينه ؛ لأَنَّه سيُشغل بأَشياء دنيوية تافهة ؟!

تعال معي نتتبع أَحاديث أَكثر المسلمين في مجالسهم وسهراتهم ، نجد أَنَّ تطلعاتهم وغاياتهم رخيصة جدًّا (طعام لذيذ ، سهرة ممتعة ، يوم للنزهة ، سفر للخارج ...) !!!

ولكن ... كيف يدفع وضوح الغاية إلى الاستقامة ؟

في الحديث الذي رواه البخاري : « من يضمن لي ما بين لَحْيَيه وما بين رجليه أَضمن له الجنَّة » ، وأَمثال هذا الحديث في السنة كثير جدًّا ؛ فالذي حدَّدَ غايته بأَنَّها

الجنَّة لابد أَنْ يستقيم على الطريق الموصل إليها ، وفي الأَثر : « من اشتاق إلى الجنَّة سارع إلى الخيرات » ، وهذا المعنى يؤيِّده الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن أَبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ما رأَيت مثل النَّار : نام هاربها ، ولا مثل الجنَّة : نام طالبها » .

اسأَل نفسك يا أَخي المسلم : هل أُحسُّ باشتياق إلى الجنَّة ؟ بل هل أُفكر فيها ؟

يا أَخي المسلم ، حدِّدْ غايتك من أَوَّل الطريق ، ثمَّ انطلق ، وإلَّا كان جهدك ضائعًا ، واعلم بأَنَّك إنْ حدَّدت غايتك بدقَّة فستقوم بكل ما يوصلك إلى هذه الغاية ؛ لأَنَّك لن تشعر بالراحة والطمأَنينة الكاملة ، ولن تشعر بالاستقرار حتى يقال لك : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدَّار ﴾ .

وأَرى من المفيد أَن أَختم الحديث بهاتين الملاحظتين :

الأُولى : إيَّاك يا أَخي المسلم أَن تُشْغَلَ بالوسيلة عن الغاية ، أَو أَن تخلط بينهما ؛ فلقد أَتى الشيطانُ كثيرًا من طلَّاب العلم - فضلًا عن غيرهم - من هذا المدخل ، فكثيرًا ما نرى طالب علم نشيطًا ، مُجِدًّا في الحفظ والفهم والدِّراسة ، ثمَّ بمرور الزَّمن يصبح العلم عنده غاية مستقلَّة ، وإذا به يهمل التعليم ، ويهمل الدعوة ، ويقصِّر في صلاة الجماعة ، وهكذا .. يقصِّر في العمل كصلة الأَرحام ، وبر الوالدين بحجَّة أَنَّه مشغول بالعلم ، وربَّما أَصبحت الشهادة غايته ، فتراه يتوسع في العلوم النَّظرية على حساب الدَّعوة والتعليم ، والمسلمون جاهلون بأَوَّلِيَّاتِ الإِسلام ، فلمن يتركهم ؟!

ومثل الذي يفكر بالوسائل لتحقيق الغاية ، ثمَّ ينسى الغاية - كمثل إنسان عنده (بندقيَّة) وهو يمسحها كل يوم ، وينظِّفها ، ويعتني بها حتىٰ يستطيع استعمالها في اليوم المنتظر ، لكنَّه بمرور الأَيَّام واختلافها نسي الغاية الحقيقية ؛ فأَصبح كل همِّه مسح البندقية وتنظيفها فقط ، ونسي لماذا هو يمسحها ويهيِّئُها ؟!

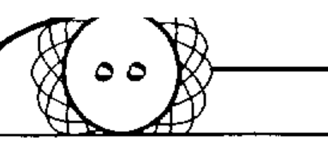


وهذا شأْن كثير من العاملين للإِسلام ؛ أَصبحوا يخططون للوسيلة لا للغاية ، وربما كانت الوسيلة تُغضب مَنْ هو الغاية ، وهو اللَّه سبحانه وتعالى !

الثانية – لا مانع أَبدًا من اتخاذ غايات جزئية (مرحلية) يتمنَّى المسلم الوصول إِليها ، ويفكر فيها بصدق واهتمام ؛ كبناء مسجد في مكان محتاج إِليه ، أَو كحفظ القرآن غيبًا ، ونحو ذلك .

فهذه الغايات الجزئية فرع عن الغاية الكبرى التي لا تفارق خيال المسلم وهي الجنَّة .

نسأَل اللَّه أَن يجعلنا من أَهلها ، وله الحمد في الأُولى والآخرة .



كلمات إلى المُرَبِّين والمُرَبِّيات

محمد بن جميل زينو

إنَّ مهمةَ المُربي عظيمةٌ جدّاً ، وعملَه من أَشرفِ الأَعمالِ إذا أَتقنه ، وأَخلصَ للهِ تعالى فيه ، وربّى الطلّابَ التربيةَ الإِسلاميّة الصحيحة .

فالمربي والمربية يشملُ المدرِّسَ والمدرِّسةَ ، والمعلمَ والمعلمةَ ، والمشرفَ والمشرفةَ ، ويشملُ الأَبَ والأُمَّ ، وكلَّ من يقومُ على رعايةِ الأَولادِ .

فالمعلمُ مربي الأَجيالِ ، وعليه يتوقفُ صلاحُ المجتمعِ وفسادُه ؛ فإذا قامَ بواجبِه في التعليم ، فأَخلصَ في عملِه ، ووجّه طلابَه نحوَ الدّينِ والأَخلاقِ ، والتربيةِ الحسنةِ سَعِدَ الطلّابُ وسَعِدَ المعلّمُ في الدنيا والآخرة ، وقد قالَ الرسولُ ﷺ لابن عمّه عليٍّ رضي الله عنه :

« فواللهِ لأَنْ يهديَ اللهُ بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لكَ من حُمْرِالنَّعَم » [1] .

وقال ﷺ : « معلمُ الخيرِ يستغفرُ له كلُّ شيءٍ ؛ حتّى الحيتان في البحر » [2] .

وإذا أَهملَ المعلمُ واجبَه ، ووجّه طلابَه نحوَ الانحرافِ ، والمباديءِ الهدّامةِ ، والسلوكِ السيِّئِ ، شَقِيَ الطلابُ ، وشَقِيَ المعلمُ ، وكانَ الوِزرُ في عُنقِه ، وهو مسؤولٌ أَمامَ اللهِ تعالى لقولِ الرّسولِ ﷺ :

---

(١) متفق عليه ، وحُمْر النَّعم : الإبل الممتازة ، وفي زماننا السيارات الفاخرة .

(٢) صحيح ؛ رواه الطبرانيّ وغيرُه .

« كلُّكم راعٍ ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه » [١] .

والمعلمُ راعٍ في مدرستِه ، وهو مسؤولٌ عن طلّابه .

فليكن إصلاحُك لنفسِك أيُّها المربي والمعلمُ قبلَ كلِّ شيءٍ ؛ فالحسنُ عندَ الأَولادِ ما فعلتَ ، والقبيح عندَ الطلّابِ ما تركت ، وإنَّ حسنَ سلوكِ المُربّي والمعلمِ والمعلمةِ والأَبِ أَفضلُ تربيةٍ لهم .

وقد كتبتُ هذه الكلماتِ إلى إخواني المعلمين وأَخواتي المعلمات ليستفيدوا منها في عملِهم - بعد خبرةٍ في التعليم استمرّت أَربعين عاماً - وليعرفوا كيفَ يكونون معلمين ناجحين .

واللهَ أَسأَلُ أَن ينفعَ بها المُسلمين ، ويجعلَها خالصةً لوجههِ الكريم .

مهمّةُ المعلمِ الناجح :

إِنَّ من أَهدافِ التربيةِ والتعليم إِنشاءَ شخصيةٍ ذاتِ مُثُلٍ عليا ، هذه الشخصيّةُ يجبَ أَنْ تكونَ مرتبطةً بربِّها ، تستمدُّ منه نظامَ حياتِها ، وتعملُ على تقويمِ مجتمعِها ، وتصحيحِ مفاهيمِه على أُسسٍ صحيحةٍ ، وهذه هي رسالةُ المعلّمِ ، والغرضُ من تربيتِه وتعليمِه .

ومن المعلومِ أَنَّ للتربيةِ أُسساً تقومُ عليها ، تختلفُ باختلافِ المجتمعاتِ واتجاهاتِها ، فإِذا كانت أُسسُ التربيةِ في المجتمعِ الشيوعيِّ - مثلاً - ترتكزُ على الماديّاتِ ونفيِ الروحيّاتِ وقطعِ صلةِ الطالبِ بربّه ، وإِذا كانت أُسسُ التربيةِ في المجتمعاتِ الغربيّةِ تقومُ على الاستغلالِ والأَنانيّةِ والانحلالِ ، فإِنَّ أُسسَ التربيةِ في المجتمعِ الإِسلاميِّ تقومُ على إِيجادِ الأَخلاقِ الفاضلةِ والعواطفِ النبيلةِ والآدابِ الساميةِ الّتي تتمثّلُ في علاقةِ الطالبِ بربِّه ، وعلاقتِه بمعلمِه ، وزميلِه ، وإِدارةِ مدرستِه ، ومن

---

(١) متفق عليه .

ثمّ علاقةِ الطالبِ بأُسرتِه .

وإذا أَردنا أَن نحقّقَ هذه الشخصيةَ في الواقعِ العمليِّ فإنَّ علينا إيجادَ المعلمِ الناجحِ في التربيةِ والتعليم .

هذا المعلمُ يجبُ أَنْ يتوفرَ فيه شروطٌ وآدابٌ حتى يكونَ مربياً صالحاً ومعلماً نافعاً .

فمن شروطِ وآداب المعلمِ الناجحِ في التربيةِ والتعليم :

١ - أَن يكونَ ماهراً في مهنتِه ، مبتكراً في أَساليبِ تعليمِه ، محبّاً لوظيفتِه وطلّابِه ، يبذلُ جهدَه في تربيتِهم التربيةَ الحَسَنةَ ، يُزوِّدُهم بالمعلوماتِ النافعةِ ، ويعلمُهم الأَخلاقَ الفاضلةَ ، ويعملُ على إبعادِهم عن العاداتِ السيئةِ ، فهو يُربّي ويعلّمُ في آنٍ واحدٍ .

٢ - كما عليه أَن يكونَ قدوةً حسنةً لغيرِه ؛ في قولِه وعملِه وسلوكِه ، من حيثُ قيامُه بواجبِه نحوَ ربِّه ، وأُمّتِه وطلّابِه ، يحبُّ لهم من الخيرِ ما يُحبُّه لنفسِه وأَولادِه ، يعفو ويصفحُ ، فإنْ عاقبَ كانَ رحيماً .

قال الرسولُ ﷺ : « لا يؤمنُ أَحدُكم حتّى يُحبَّ لأَخيه ما يُحبُّ لنفسِه » [1] .

التحذير من الأُمور الضارّةِ :

١ - العادات السيئة :

على المعلّم الناجح في التربيةِ والتعليم أَن يصرفَ طلّابَه عن العاداتِ السيئةِ ؛ كالكتابةِ بالشمال ، والانحناءِ وقتَ الكتابةِ ، وإلقاءِ الأَوراقِ على الأَرضِ ، وقلعِ الورقِ من الدفاترِ ، وتلويثِها بالحبر ، والكتابةِ بخطٍّ رديءٍ ، والكلامِ البذيءِ ، والسبِّ

---

(١) متفق عليه .

واللعنِ ... وغيرِ ذلك من العاداتِ السيئةِ .

وأخطرُ عادةٍ هي عادةُ التدخينِ الّتي تفشّت بين الطلّابِ بشكلٍ يُنذِرُ بالخطرِ .

وعلى المربين والمعلمين أن يُحذِّروا طُلّابَهم بشتّى الأَساليبِ والطرقِ ، ولا بأسَ أَنْ يُبيّن لهم- مُعَلِّمُهم - أَضرارَ التدخين حتّى يُبَغِّضَهم إيّاه ، فيبيّنَ لهم أَنَّ الدخّان يجلبُ الرائحةَ الكريهةَ ، ويسببُ اصفرارَ أَسنانِ المدخّن ، وأَصابعِه ، وتراكم مادتي النيكوتين والقطران الّتي يحتوي عليهما في الرئتين ، حيثُ يتسببُ ذلك في الموتِ العاجلِ ، وهذا قَتْلٌ للنفسِ الّتي حرّمَ اللهُ ، ولا بأسَ أَن ينقلَ لطلابِه ما أَذاعته لجنةُ الأَطبّاءِ العالميّةِ من أَنَّ الدخّانَ يورثُ سرطانَ الرئةِ والدمِ والبلعومِ .

وأَمّا من ابتُلي من المعلمين بهذا السمِّ وتعاطيه فعليه - على الأَقلِّ - أَن لا يُدخّنَ أَمامَ تلامذتِه ولا الناس ؛ عملاً بقولِه ﷺ : « كلُّ أُمتي معافى إلّا المجاهرين » (١) .

والواجبُ أَن ينقطعَ عن التدخين مطلقاً .

وللمُعلمِ أَن يُبيّنَ لطلبتِه كذلك أَنَّ المدخنَ يؤذي جليسَه من البشرِ ، وكذلك يؤذي الملكين اللّذَينِ وكّلهما اللهُ تعالى بكتابةِ حسناتِه وسيئاتِه ، والأَذى في ديننا حرامٌ .

فإذا استطاعَ المعلمُ أَن يقنعَ طلبتَه بكلامِه ثمَّ رأَوا أَفعالَه مطابقةً لكلامِه ، فيعلمُ أَنّه سلكَ الطريقَ السليمَ والصراطَ القويمَ .

٢ - السينما والتلفزيون :

لقد نتجَ عن غزوِ الكفّارِ لديارِ المُسلمين أَن تهدّمت أَخلاقُ المجتمعاتِ الإِسلاميّةِ ، وعمّها الانحلالُ الأَخلاقيُّ باسمِ الحريّةِ والديمقراطيّةِ وغيرِ ذلك من الأَسماءِ الطنّانةِ الّتي ظاهرُها الرّحمةُ ، وباطنُها العذابُ .

ولقد صاحبَ استعمارَ الكفّارِ لديارِ المُسلمين هذا الغزوُ الفكريُّ الّذي نراه في

---

(١) متفق عليه .

بعضِ رجالِ الدولةِ في الحكوماتِ العربيّةِ والإسلاميّةِ ، ومن هذا الغزو ؛ دورُ السينما [١] الّتي تمثّلُ خطراً عظيماً على الشبابِ المسلم .

أمّا خطورتُه ؛ فكونُه سبباً لشيوعِ الرّذيلةِ وغيرِها ، وأمّا الهدفُ فهو توجيهُ الشبابِ إلى ما يضرُّه ولا يفيدُه ، حتّى لا يستفيدَ من طاقاتِه ولا يُوَظّفَها لمصلحةِ دينِه وبلدِه ، وهٰذا هو تخطيطُ اليهوديّةِ العالميّةِ .

ومن العَجَبِ أنْ لا يتنبّهَ المسؤولون لهذه الأَخطارِ ولا يَعْملوا على إزالتِها ، وعندما تكونُ الأَفلامُ علميّةً ، أو أَخلاقيّةً ، أَو دينيّةً فيجبُ تشجيعُها .

فعلى المعلمِ الناجحِ أَن يُعَرِّفَ طلّابَه مضارَّ السينما والتلفزيون والفيديو ، ويُبيّنَ لهم خطرَ الأَفلامِ الخليعةِ الّتي تقتلُ الفضيلةَ والرّجولةَ في نفوسِ الطلّابِ ، وتعلمُهم السرقةَ والإجرامَ ، وكم من سارقٍ أَو مجرمٍ اعترفَ بأنّه تعلّمَ أُسلوبَ الإجرامِ ممّا يُعرضُ في السينما أَو الفيديو من الأَفلامِ ، والقصصُ الواقعيّةُ تشهدُ على ذلك .

أَضِفْ إلى ذلك ما تُسببه من إجهادٍ ومَرَضٍ للعيونِ ؛ لأَنّها تحدّقُ في الظلامِ ، وتسببُ كذلك الاختناقَ بسببِ الهواءِ الفاسدِ ، وخسارةَ المالِ في غيرِ ما طائلٍ .

فعلى المُعلِّم أَن يشرحَ هذه الأُمورَ للطلبةِ ، ويُبيّنُ لهم أَنّ الطالبَ لو اشترى كتاباً علميّاً أَو قصةً مفيدةً لكانَ ذلك أَفضلَ بكثير .

٣ – المَيْسِر واليانصيب :

على المعلم الناجحِ في التربيةِ والتعليم أَن يراقبَ طلّابَه دائماً ، ويُوجّهَ أَنظارَهم إلى أنّ اللعبَ على الشكولاته والحلوى وغيرِها هو من القمار الّذي يجعلُ صاحبَه

---

(١) لقد بيّنَ المخرجُ السينمائيُّ العالميُّ أَنيس عبدالمعطي أَخطار السينما بعد أَن ترك عمله ، وعرف فساده ، وتخطيط اليهود لإخراج الأَفلام التي تضر بالمسلمين ، وقد تكلّم عن ذلك في شريط سمعته له ، ثمّ التقيت بهذا المخرجِ المذكور بعد أَن تابَ إلى الله ممّا عمله من أفلام ، وينصح المسلمين باجتناب هذه الأَفلام الحاضرة .

مُعرَّضاً لغضبِ الرّبِّ وإفلاسِ الجيبِ ، وينبِّهُهم إلى أَنّ الّذي يتعوّدُ على اللّعبِ على هذه الأُمورِ اليسيرةِ سيُجرُّ بعدَها إلى أن يلعبَ بالمالِ وربّما بالعِرضِ ، وقد حدثَ ذلك حينما خسرَ أَحدُهم مالَه ولم يبقَ معه شيءٌ ، فباعَ ابنتَه ، ثمَّ خسرَ فباعَ لتراً من دمِه فَخَسِرَ ، ووُجدَ بعد ذلك ميتاً في أَحد فنادق بيروت .

ولو كانَ الميسرُ خيراً لما نهانا اللهُ عنه ، قال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الّذينَ آمنوا إنَّما الخمرُ والميسرُ والأَنصابُ والأَزلامُ رِجْسٌ من عَمَلِ الشيطانِ فاجْتَنِبوهُ لعلَّكم تُفلِحون إِنّما يُريدُ الشّيطانُ أَن يُوْقِعَ بيْنَكمُ العدواةَ والبغضاءَ في الخمرِ والمَيْسِرِ ويَصدَّكم عن ذِكرِ اللهِ وعن الصّلاةِ فهل أَنتم منتهون ﴾ .

وقال الرّسول ﷺ : « من لَعِبَ بالنردشير فكأنّما غمسَ يدَه في لحم خنزيرٍ ودمِه » [1] .

ومن هذا نَخْلُصُ إلى أَنّه لا يجوزُ اللعبُ بالورقِ والنردِ ولو كانَ للتسليةِ ، لأَنّه يؤدّي إلى القمارِ كما يُورّثُ الشجارَ بين اللاعبين ، وحدثَ أَنّه حصلَ خلافٌ بين صديقين يلعبان بالنردِ للتسليةِ فتصايحا ، واتهم كلُّ واحدٍ صديقَه بتحريكِ القطعةِ الخشبيّةِ ، وحلفَ أَحدُهما بالطلاقِ على عدمِ تحريكها ، فلم يُصدقْه ، ودخلت العداوةُ بينهما فلم يكلّم أَحدُهما الآخرَ وهم جيرانٌ .

٤ – السَّبُّ والشجار :

لقد تفشّى منذُ عهودٍ غير بعيدةٍ ظاهرةٌ سيئةٌ للغايةِ ؛ هي تشاجرُ الطلبةِ وسبُّ بعضِهم بعضاً ، وربّما بَلَغَ ببعضِهم أَنْ يسبَّ الدين والعياذُ باللهِ تعالى .

فعلى الأَولياءِ نَهْرُ أَولادِهم والأَخذُ على أَيديهم وعدمُ التسامحِ في هذا أَبداً ، فما عرف سلفُنا هذه العادةَ السيئةَ أَبداً .

وينبغي أَن يتعاونَ المعلّمُ مع ولي أَمرِ الطالبِ حتّى تُقتلعَ هذه العادةُ من جذورِها،

---

(١) رواه مسلم .

وتُعالجَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ .

لقد حصلَ منذُ زمنٍ أَن رأَيتُ طالباً يسبُّ زميلَه بدينِه ، فاقتربتُ منه وقلتُ له : ما اسمُك يا بُنيّ ؟ وفي أيِّ صفٍّ ؟ ومن أيِّ مدرسةٍ ؟ ثمّ قلتُ له : من الّذي خلقَكَ ؟ قال : الله ، قلت : من أَعطاكَ السَّمْعَ والبصرَ وأَطعمَك الفواكه والخضر ؟ قال : الله ، قلت : فما هو واجبُك نحو من أَعطاك هذه النعم ؟ قال : الشكر ، قلتُ له : وماذا كنتَ تقولُ قبل قليلٍ ؟ فخجلَ وقال : إِنَّ زميلي هو الّذي اعتدى عليَّ ، فقلت : إِنَّ اللهَ لا يقبلُ الاعتداءَ وقد نهى عنه ، فقال سبحانه : ﴿ ولا تعتدوا إِنَّ الله لا يحبُّ المُعتدين ﴾ ولكنْ من الّذي وسوسَ لرفيقِك حتّى ضَرَبَك ؟ فقال : الشيطان ، قلتُ : إِذن عليك أَن تسبَّ شيطانَه وليس دينَه ، فقال لرفيقِه : « يلعن شيطانَك [1] » ثمّ قلتُ له : عليك أَن تتوبَ إِلى اللهِ وتسغفرَه ، لأَنّ سبّكَ للدّينِ كفر ، فقال : أَستغفرُ اللهَ العظيم وأَشهدُ أَنّ لا إِلّه إِلّا الله وأَنّ محمداً رسولُ الله ، فشكرته وطلبتُ منه أَن لا يعودَ ، وأَن ينصحَ زملاءه إِذا رأى أَحدَهم سبَّ الدّين وينهاه .

أَمّا الشجارُ والمشاجرةُ ؛ فعلى المعلّمِ أَن يفهمَ الطلّابَ أَنّهم إِخوةٌ ، ولا يجوزُ للأَخِ أَن يسبَّ أَخاه ، وقد نهانا المرّبي الأَكبرُ سيدُنا محمد ﷺ عن ذلك فقال : « سباب المُسلمِ فسوقٌ وقتاله كفر » [2] .

---

(١) الأَولى للمسلم أَن يستعيذَ باللهِ فيقول عند الغضبِ : أَعوذُ باللهِ من الشيطان الرَّجيم ؛ لقولِه تعالى : ﴿ وإمّا ينزغَنَّكَ من الشيطانِ نزغٌ باستعِذْ باللهِ إِنّه هو السميعُ العليم ﴾ .

وقال الرّسولُ ﷺ لِمَنْ غَضِبَ : « إِنّي لأَعلمُ كلمةً لو قالَها لذهبَ عنه الغضبُ : أَعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرَّجيم » متفق عليه .

وقال ﷺ : « لا تَقُلْ : تَعِسَ الشيطان ؛ فإِنَّك إِذا قلتَ ذلك تعاظمَ حتّى يكونَ مثلَ البيتِ ، ويقول : بقوّتي ! ولكنْ قل : بسم الله ؛ فإِنّك إِذا قلتَ ذلك تصاغرَ حتّى يكونَ مثلَ الذباب » . رواه النسائي ، وهو حديثٌ صحيحٌ .

(٢) متفق عليه .

فينبغي أَنْ يسودَ بين الطلبةِ معاني الإِخاءِ والمحبّةِ ، وعلى المعلِّمِ أَن يُرشدَهم إِلى ما يزيدُ من أُخوَّتِهم ومحبّتِهم .

قال ﷺ : « أَوَلا أَدلُّكم على شيءٍ إِذا فعلتموه تحاببتم ؟ أَفشوا السلامَ بينَكم »[١] .

المكافآت والعقوبات :

المعلمُ الناجحُ لا يلجأُ إِلى العُقوباتِ الماديّةِ إِلّا قليلاً ، وبقدرِ ما تقتضيه الضرورةُ ، فهو دائماً يقدّمُ المكافآتِ على العقوباتِ ؛ لأَنّها تشجّعُ الطالبَ على التعلّمِ ، وطلبِ المزيدِ من التربيةِ والتعليمِ ، بعكسِ العقوباتِ فإِنّها تتركُ أَثَراً سيّئاً في نفسِ الطالبِ ، ممّا يحولُ بينه وبين الفهم والعلمِ ، ويقتلُ في نفسِه روحَ المثابرةِ والتقدّمِ .

وكثيرٌ من الطلّابِ يتركونَ المدرسةَ من أَجلِ ما يرونَه من بعضِ المعلمين من أَنواعِ القسوةِ والظلمِ ، ولقد اعتادَ الطلابُ أَن ينعتوا المعلّمَ القاسي بالظالمِ ، ولنبدأْ بالمكافآتِ وأَنواعِها قبل العقوباتِ ؛ لأَنّها الأَصلُ ، وهي المقدّمةُ دائماً :

١ - **الثناء الجميل** : على المعلمِ الناجحِ أَن يثنيَ على الطالبِ إِذا رأى منه أَيّ بادرةٍ حسنةٍ في سلوكِه ، أَو في اجتهادِه ، فيقول للطالبِ الّذي أَحسنَ الجوابَ : « أَحسنتَ » ، أو : « بارك اللهُ فيك » أو : « نِعْم الطالبُ فلانٌ » ، فمثلُ هذه الكلماتِ اللطيفةِ تشجّعُ الطالبَ وتقوي روحَه المعنويّةَ ، وتتركُ في نفسِه أَحسنَ الأَثرِ ، ممّا يجعلُه يحبُّ معلمَه ومدرستَه ، ويتفتّحُ ذهنُه للتدريسِ ، ويكونُ في نفسِ الوقتِ مشجِّعاً لرِفاقِه أَن يقتدوا به في أَدبِه وسلوكِه واجتهادِه لينالوا الثناءَ والتشجيعَ من معلمِهم ، فذلك خيرٌ لهم من العقوباتِ الماديّةِ الّتي يتعرّضونَ لها .

٢ - **المكافآت الماديّة** : إِنَّ الطفلَ بطبيعتِه يحبُّ المكافأَةَ الماديّة ، ويحرصُ

---

(١) رواه مسلم .

على اقتنائها ، ولذلك فعلى المعلّمِ أَن يستجيبَ لهذه المحبّةِ ، ويقدّمَها للطالبِ في المناسباتِ .

فالتلميذُ المجتهدُ أَو صاحبُ الخُلُقِ أَو الّذي يقومُ بواجبِه نحو ربِّه من صلاةٍ وغيرِها من الأَعمالِ الخيريةِ والمدرسيّةِ ثمَّ يأخذُ مكافأَةً ماديّةً من معلمِه سوف يجدُ نفسَه مسروراً أَمامَ رفاقِه ، قد أَشبعَ في نفسِه غريزةَ حبِّ التملّكِ .

ويُستحسنُ للمعلمِ أَن يضعَ للطالبِ علامةً جيدةً في سلوكِه والمادةِ الّتي أَجادَ فيها .

٣ – **الدعاء** : على المعلّم أَن يشجّعَ الطالبَ المجتهدَ أَو الأَديبَ أَو المُصلي بالدعاءِ له قائلاً : وفقّكَ اللهُ ، أَرجو لكِ مستقبلاً باهراً ، وللطالبِ المُقصّرِ أَو المسيءِ : أَصلحكَ اللهُ وهداك .

٤ – **لوحة الشرف** : من المفيدِ جدّاً أَن تكونَ في المدرسةِ لوحةُ شرفٍ كبيرةٍ توضعُ في مكانٍ بارزٍ ، ويُسجّلُ عليها أَسماءُ الطلبةِ حسبَ تميُّزِهم على غيرِهم في السلوكِ ، أَو الاجتهاد ، أَو النظافة ، وغير ذلك ، فيكون هذا الإعلانُ تشجيعاً للطلّابِ على الاقتداءِ بهم ، حتّى تسجّلَ أَسماؤهم على اللوحةِ .

٥ – **التربيت على الكتف** : عند صعودِ أَحد الطلّابِ الصفَّ لشرحِ درسٍ ، أَو إلقاءِ محفوظةٍ ، أَو حلِّ مسأَلةٍ ، أَو تسميعِ سورةٍ من القرآن ، فعلى المعلّمِ أَن يربِّتَ على كتفِ الطالبِ إِذا أَحسنَ تشجيعاً له .

٦ – **أَن يَعُدَّ المعلّمُ نفسَه واحداً من طلابِه المجيدين ، وأَن ينتسبَ إِليهم ،** وهذه مكَافأَةٌ عظيمةٌ ، فقد قال ﷺ : « لولا الهجرةُ لكنتُ امرأً من الأَنصارِ » [١] .

٧ – **التوصية** : وذلك بأَنْ يوصيَ المعلّمُ الطلابَ والمعلمين بالطالبِ الجيّدِ خيراً تشجيعاً له ولرفاقِه الّذين سيقتدونَ به في اجتهادِه وأَخلاقِه .

---

(١) متفق عليه .

٨ - **المصاحبة** : يستطيعُ المعلمُ أَن يصحبَ ويرافقَ الطلّابَ الذين يريدُ مكافأَتَهم في ذهابِه معهم إلى المسجدِ ، أَو إلى الرّحلاتِ المدرسيّةِ ، فالطلابُ يعتزُّونَ بمرافَقَتِهم لمعلِّمهم ويفرحونَ بذلك .

٩ - **توصية أَهل الطالب** : يستطيعُ المعلمُ أَن يكتبَ رسالةً ويرسلَها مع الطالبِ ، يذكرُ فيها محاسنَ الطالبِ ويثني عليه ، وفي ذلك تشجيعٌ لأُسرةِ الطالبِ ليعاملوا ولدَهم بالتي هي أَحسن ، وهذا يشجِّعُ الطالبَ على التقدّمِ والسلوكِ الحسنِ .

وعلى المعلمِ أَن يسأَلَ عن أَخلاقِ الطلّابِ وسلوكِهم في البيتِ ، ومحافظتِهم على الصلاةِ في المسجدِ ، ويكلّفَ الطلّابَ أَن يأتوا بأَوراق من أَوليائِهم وإمامِ مسجدِهم ، يثبتون فيها حسنَ سيرتِهم وأَداءَهم للصلواتِ مع الجماعةِ .

١٠ - **مساعدة الفقراء** : على المعلّم أَن يقومَ بانتقاءِ عددٍ من الطلّابِ لجمعِ التبرّعاتِ للفقراءِ ، وأَن يساهمَ معهم في ذلك بشيءٍ من المالِ ليقتديَ الطلّابُ به ، ويتمّ توزيعُ المالِ بإشرافِ المعلمِ والطلّابِ على إخوانِهم المحتاجين إلى الكساءِ أَو الطعامِ ، أَو الكُتُبِ ، أَو الأَدواتِ المدرسيّةِ .

وعلى المعلّم أَن يشكرَ الطلّابَ المُتبرعين أَمامَ رفاقِهم تشجيعاً لهم ولبقيّةِ الطلبةِ لكي يتبرّعوا وينالوا الأَجرَ العظيمَ عند اللهِ ، وأَنَّ اللهَ سيُخلفُ عليهم المالَ الّذي أَنفقوه ، ويذكرُ المعلّمُ للطلّابِ قولَ اللهِ تعالى : ﴿ وما أَنفقْتُم مِنْ شيءٍ فَهُو يُخْلِفُهُ وهو خيرُ الرّازقين ﴾ .

ويُمكنُ للمعلمِ أَو المدير أَن يقدِّمَ من هذا الصندوقِ بعضَ المالِ ، أَو شراء بعض الهدايا لإِعطائِها للطالبِ المجتهدِ ، أَو المطيعِ لأَوامرِ المعلمِ والوالدين ، أَو النظيفِ في ملبسِه ، أَو صاحب السلوك الحسن .

العقوبات وأضرارها :

على المعلمِ الناجحِ أَن يجتنبَ العقوباتِ الماديّة ، وذلك لأَنّها خطرٌ على الطالبِ

وعلى المعلّمِ كذلك ، وإضاعةٌ لوقتِهما ، حيثُ إنَّ الطالبَ قد ينفرُ من ضَرْبِ المعلم له ، مّما يُسببُ الوحشةَ بينه وبين معلمِه ، وقد يتطوّرُ الحالُ إلى تعرّضِ المعلمِ للمسؤوليّةِ أَمام المفتشِ والمحاكمِ الجزائيّةِ ، وأَولياءِ الطالبِ المضروبِ ، مّما قد يُسيءُ إلى سمعتِه ومكانتِه ودورِه في خدمةِ أُمتِه ، ويندمُ المعلمُ عندئذٍ حينَ لا ينفعُه الندمُ ، فيضطرُّ إلى وضعِ الوسطاءِ لحلِّ مشكلتِه ، وقد لا تحلُّ إلّا بالمحاكمِ الجزائيّةِ ، فينالُ جزاءَ ما اقترفت يداه ، وكلُّ هذا بسببِ استعمالِ العقوباتِ الماديّةِ ولا سيما القاسيةَ منها .

إنَّ من مصلحةِ المعلمِ والطالبِ اجتنابَ العقوباتِ الماديّةِ ، لذلك فقد قررَ المسؤولون منعَ هذه العقوباتِ ؛ فوجبَ الانتهاءُ عنها وتحاشي الوصول لاستخدامِها ، إلّا في حالةِ الضرورةِ القصوى كتأديبِ بعضِ الطُّلابِ المنحرفين الذين لا ينفعُ معهم غيرُ ذلك ، أَو لحفظِ هيبةِ الدرسِ ونظامِه بعد أَن يكونَ المعلّمُ قد قدّمَ النصائحَ والتوجيهاتِ لهؤلاءِ الطلّابِ فلم يرتدعوا ، وذلك كما يقول المثلُ العربيّ : « آخر الدواءِ الكَيّ » .

ولا بأَسَ أَنْ نلخّصَ أَضرارَ العقوباتِ الماديّة فنقول :

١ – عرقلةُ سيرِ الدرسِ وتأخيرُه على الطلّابِ جميعاً .

٢ – انفعالُ المعلمِ والطالبِ أَثناء العقوبةِ وتأثيرُ ذلك عليهما معاً .

٣ – احتمالُ وقوعِ الضرر للطالبِ المضروب في وجهه أَو عينِه أَو أُذنِه أَو غيرِ ذلك من الجوارحِ والأَعضاءِ .

٤ – قطعُ فهم الدرس على الطالبِ المعاقب .

٥ – قطع سلسلة أَفكار المعلم حين العقوبةِ .

٦ – تعرُّضُ المعلمِ للمسؤوليّة أَمام المحاكم والأَهالي والمفتش .

٧ – ضياعُ الوقتِ على الطلّابِ ، وتأثرُهم بما يجري في الدرس .

٨ – فقد التبجيل والاحترام المُتبادل بين الطالبِ ومعلمِه .

العقوبات الممنوعة :

إذا احتاجَ المعلمُ إلى العقوبةِ أَحياناً فعليه أَن يجتنبَ ما يلي :

١ – الضرب على الوجه : وذلك شائعٌ بين المعلمين ، حيث يضربونَ الطالبَ على وجهِهِ ، وربّما أَصابَ أَحدُهم عينَه أَو أُذنَه ، وتعرض للمسؤوليّةِ والمحاكمةِ ودفعِ الغرامةِ ، وكانَ سبباً في تعطيلِ إِحدى حواسّه ، ولذلك نهى الرَّسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ عن ضربِ الوجه فقال :

« إِذا ضربَ أَحدُكم أَخاه فليتقِ الوجه » (١) .

٢ – القسوة الشديدة : المعلمُ القاسي في ضربِه يطلقُ عليه الطلّابُ اسماً قاسياً ، ويقولونَ عنه « فلانٌ معلمٌ ظالمٌ » ، وكفى بهذا الاسمِ شرّاً ، فليس بعد الظلمِ والقسوةِ إِلّا الندم ، فكم رأينا بعضَ الأَساتذةِ يعتذرون لأَولياءِ الطلّابِ والمسؤولين بعد إِنزالِ العقوبةِ القاسيةِ على طلّابِهم .

فاللهَ اللهَ معاشرَ المعلمين في أَفلاذِ أَكبادِكم ، ارفقوا بهم فإِنَّ الرِّفقَ خيرٌ كلُّه ، قال الرسولُ ﷺ : « من يُحرمِ الرفقَ يُحرم الخيرَ كلّه » (٢) .

وقال ﷺ : « ما كانَ الرِّفقُ في شيءٍ إِلّا زانَه ، ولا نزعَ من شيءٍ إِلّا شانَهُ » (٣)

٣ – الكلامُ السيِّئُ : على المعلمِ أَن يجتنبَ ما يُسيءُ إِلى الطالبِ من أَلفاظٍ نابيةٍ قد تسببُ له نفوراً وانحرافاً ، وربّما كانت سبباً في انحرافِه وميلِه للإِجرامِ في المستقبلِ ، فالمعلمُ الّذي يقولُ للطالبِ : خبيث ، ملعون ، مجرم ... وغيرها من الكلماتِ القاسيةِ الّتي تجرحُ شعورَ الطفلِ ، ويتعلمُها بدورِه ليقولَها لرفيقِه في المدرسةِ أَو لأَخيه في البيتِ ، وتكون المسؤوليّةُ على ذلك المربّي الّذي سنَّ لطلابِه أَن يتعلموا

---

(١) حديث حسن ، انظر « صحيح الجامع » (رقم : ٦٨٧) .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

مثلَ هذا الكلام الذي لا يليقُ بمعلمٍ أَن يتفوّه به ، وفي الحديث الصحيح : « ... ومن سنَّ في الإِسلامِ سنةً سيئةً فعليه وِزرُها ، ووِزرُ مَنْ عملَ بها من بعدِه من غيرِ أَن ينقصَ من أَوزارِهم شيئاً » (١) .

٤ - الضرب عند الغضب : قال أَبو مسعود : كنتُ أَضربُ غُلاماً لي بالسوطِ ، فسمعتُ صوتاً من خلفي « اعلم أَبا مسعود » فلم أَفهم الصوت من الغضبِ ، قال : فلمّا دنا منّي إِذا هو رسولُ اللهِ ﷺ: فإِذا هو يقول: « اعلم أَبا مسعودٍ ، اعلم أَبا مسعودٍ » ، قال : فأَلقيتُ السّوطَ من يدي ، فقال : « اعلم أَبا مسعود أَنَّ اللهَ أَقدرُ منك على هذا الغلام » قال : فقلت : لا أَضربُ مملوكاً بعدَه أَبداً (٢).

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه مسلم (رقم : ١٦٥٩) .

مَنِ العلماء ... الذين تسعَدُ بهم الأُمَّة ؟

الحلقة الثانية

محمد إبراهيم شقرة

وَبَعْدُ : فلنتعرَّف معالم هُويَّة هؤلاء الورثة ، لا بالظنِّ المتفلِّت ، ولا بالحدْس المتردِّد ، لكن بالعلم الموروث عن نبينا محمد ﷺ ، الذي يُسَدِّدُ النّظرَ ، ولا يَضِلُّ من أُوتيه في حضرٍ ولا وبرٍ ، ويسعد به صاحبه بثاقب البصر .

□ **المَعْلَمُ الأول** – أَن يكون حسنَ الاتباع في كل ما يأتي وما يدع ، في اليسر والعسر ، والرخاء والشدة ، والسراء والضراء ، فلا يؤثر على ما جاءَه عن اللّه على لسان الرسول ﷺ شيئًا قَطُّ ، ولوكان في حسنِ اتباعه شرٌّ يُصيبه ، وفي تركه خيرٌ يدركه ، إذ الشرُّ كلُّه في ترك الاتباع رجاء خيرٍ يناله ، والخيْر كلُّه في لزوم الاتباع ولو أيقن أن شرًّا يحيق به ، والخير والشرُّ في كفتي ميزانٍ يوم القيامة ، والشائِلةُ منهما كفة الشرِّ ، والراجحة كفة الخير ، ولا يعلم دَقيقة الأَمر الخفية ، ولا صريحته الجلية إلا اللّه وحده ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأَنتم لا تعلمون ﴾ ولا أَدلَّ على حبِّ اللّه ورسوله من حسن اتباع رسوله ﴿ قل إن كنتم تحبُّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ .

□ **المَعْلَمُ الثاني** – وعليه ، فإن حسن اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام يقضي على أهل العلم أَن ينأَوا بأَنفسهم عن مواقعة خطوات العامَّة ، سواءٌ كان ذلك في التفكير العقلي ، أم في التأْويل العملي ، أَم في طرائق الكسب المعاشيِّ ، وإلا ؛ فإن العامَّة سيكون بيدهم زمام أَمر الأمة ، يسترخصون بها العقول ، ويسفِّهون بها الآراء ، ويهوِّنون من الصواب ، ويؤْثرون عليه الخطأ ، ويضلُّ سعيهم في كسب الحلال ، ويطيب عندهم الحرام ، وأكثر ما يكون ذلك في الناس من حبِّ الدنيا ، وبغض

الآخرة : أما حبُّ الدنيا فَجِمَاعُهُ (المال والنِّساء) ، وأَما بغض الآخرة فجماعه (المعصية والعجزُ عن الطاعة) ، وإذا ما أَلَمَّ أَهلُ العلم بالأسباب التي تفضي إلى حبِّ الدنيا وبغض الآخرة ، فقد آذنوا أَنفسهم أَن يكونوا مطايا باطلٍ ، وأَغلالَ حقٍّ ، وسؤر رغائِبَ آسنةٍ ، في كؤوس من فخَّارٍ هشٍّ أسود !!!

يقول ﷺ : « الدنيا حلوة خضرة ، وإن اللّه مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ؛ فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » .

والتخفف من متاع الدنيا ، يثقل كفة الحسنات يوم القيامة ، والاستكثار منه يثقلُ كفة السيئات ، فلينظر أهل العلم ما يستكثرون منه ، وما يستقلُّون ، فإنهم على اللّه مقبلون ، وعلى ما فرَّطوا في جنب اللّه نادمون .

□ **المَعْلَمُ الثالث** - أَن يكون طلبهم العلمَ ابتغاءَ وجه اللّه واليوم الآخر ، فإنَّ العلم لا يصلح إلا بذلك ، فمن طلبه لدنيا ، أَو لشهرةٍ ، أَو لظهورٍ على الآخرين وغلبةٍ ، فقد أَنال نفسه حظًّا من عذاب أَليم ، وكان في الآخرة مع الذين يُسقون في النار ما يقطِّع أمعاءهم من شراب حميم ، يقول ﷺ : « من تعلَّم علمًا مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلَّمه إلا ليصيب عرضًا من الدنيا لم يجد عَرفَ الجنة يوم القيامة » .

وعليه ؛ فإن التباهيَ بالعلم ، في أي شكل من أشكاله ، أَو أية صورة من صوره ، أَو الحرص على تحصيل درجة من درجاته ، التي صار يصنَّف بها أَهل العلم ، أَو الوصول إلى مرتبة من المراتب التي صار يقاس العلم بها ، أَو الرضا بقبول لقبٍ من تلك الألقاب التي تسلَّلت إلى جامعات المسلمين ، تحمل معها صبغة التشبُّه والتقليد لأقوام لسنا منهم ، وليسوا منا - فذلك كلُّه مُزلِقٌ الحريصَ عليه ، المتباهي به في ضحضاحٍ من الإِثم ، ومزحزحُهُ عن منبت الإيمان .

□ **المَعْلَمُ الرابع** - أَن يكون له سمتٌ ظاهرٌ يذكِّر الرَّائيه بسمتِ صاحب الميراث محمد عليه الصلاة والسلام ، إذ إن حسن اتباعه عليه الصلاة والسلام يُوجب على الوارثيه أن لا يفرِّقوا في أخذهم الميراث بين خفيِّ السلوك وظاهره ، فمن رأَى أَن

إحسان الباطن شيءٌ ممكنٌ له من غير إحسانِ الظاهر فقد أَخطأ ؛ ذلكم أن هذا التفريق إنما هو تفريقٌ بين شيئين متلازمين ، لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر ، ولا ينبتُّ منه « ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله » ولو كان ذلك ممكنًا لكان مأذونًا به من صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام .

وما علمت الأُمة – على وفرة العلماء الوارثين في كل عصورها – أن شيئًا من هذا التفريق التُمس في ميراث النبوة فَعُلم ، ولو عُلِمَ لوصلَنا منه خبرٌ ، ولكن أَنَّى يكون ؟ وكيف ؟ وقد جمع اللّه لنا في شخص نبيِّه الفضل كلَّه ، وصوَّر لنا هديَه عليه السلام كاملًا ، في سمته الظاهر ، وسلوكه كلِّه ، ما علن منه وما خفي ، وجعله الأسوة الماثلة في عيون الأُمة في كل قرونها ، قال اللّه تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ ، والوارثون هم أَحقُّ الناس وأَولاهم بهذه الأُسوة ؛ لأَنَّهم هم المعرِّفون الأُمة بها ، ومالم تُحفظ هذه الأسوة كاملةً غير منقوصةٍ في شخوص طائفةٍ من الأمة ، فإِنَّ هذه الأُسوة سوف تغيض في نفوس الأمة ، وربّما غابت عن قلوبها تذكُّرًا كما غابت عن عيونها رؤْيةً ، ولا أَحسب إلا أنَّ هذا كائن في الأمة اليوم ، وجلُّ الوزر – في هذا الذي كان – يحمله من ينسج من تأْويل الأحكام الشرعية ثوبًا مزركشًا (بالهوى والجهل والنفاق) ، وإن اللّه سبحانه يعافي الأُميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء ، فليكن أَهل العلم على حذرٍ من التفريط أَو التهوين في لزومهم سَمْتَ صاحب الرسالة الذي قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث مالًا ، إنما نورِّث العلم » ، وسَمْتُهُ بحذافيره محفوظ لنا في بطون كتب السنة ، والمخالفةُ عن سَمْتِه نبذٌ له ، وإيثار لغيره عليه، وهذا يُضعف من حبِّه ، ويزيد من حبِّ غيره .

□ **المَعْلَمُ الخامس** – أَن يكون أَخذُهُم العلم – من كتاب اللّه وسنة نبيه عليه السلام – أخذًا مباشرًا على منهج القرون المفضَّلة الأُولى ، التي حازت قصب السبق (بالتلقِّي ، والفهم ، والعمل ، والجهاد ، والدعوة) ، فاستحقَّت شهادةً من صاحب الرسالة لم تكن لسواها ، فقال فيها : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين



يلونهم » ، وتعرف أَنَّ هذا المنهج لا يشقُّ إلا على ثلاثة من الناس : (رجل أَوهن قوَّته بالمذهبية العمياء) ، و (رجلٌ قعدت به همَّتُه عن الغاية) ، و (رجل عميت بصيرته في ظلام الغواية) ، وإلا فما الذي يحول بين الناس وبين الأخذ الواضح المبين عن تلك القرون التي استحقَّت شهادة إمامها ومربِّيها والناقل لها وحي السماء ؟

ولولا تلك القرون البصائر ، لَعُمِّيت على الأمة في كل قُرونها طرائقُها والمصائِر.

□ **المَعْلَمُ السادس** – أن يعرف هؤلاء الوارثون الزمان الذي يُظلُّهم : بأَهله ، وأحواله ، والمستجدات الحاضرة ، والمتغيرات المتسارعة ، فيعلموا أَنَّ له حقًّا عليهم – بكل ما فيه – لا يؤدَّى إلا بدقة النَّظر ، واستجلاء الدليل ، وإقامة البرهان ، وربَّما كان من ذلك الخطأ ، كما يكون منه الصواب ، لكنه خطأٌ يثاب به المخطئ ، ويضاعف الأجر فيه للمصيب « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أَجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أَجر واحد » كما قال عليه الصلاة والسلام ، وبمثل هذا يكون الوارثون بذلوا جهدًا لم يكن إلا لأنهم علموا أَنَّ لميراث النُّبوة حقًّا لا يقومُ أَمامه بابٌ منيعٌ أغلقته عقولٌ لا تعرفُ لزمانها حقًّا ، ولم تذق لذَّة الأشواق التي ترفرف بأَجنحتها فوق آفاق القرون بميراث النبوة الوضيء .

□ **المَعْلَمُ السابع** – أن يكونَ تعاونٌ بين هؤلاء الوارثين لرفع آصار الجهل من بين ظهرانَي الأُمة ، وإرساء قواعد العلم الذي آلَ إليهم ميراثًا من نبيِّهم عليه الصلاة والسلام ، ولستُ بحاسبٍ إلا أن المنهج العلمي الذي رسمته القرون المفضَّلة الأُولى ، بات – والحمد لله – واضحًا بمقاصده ، وآلاته ، ودلالاته ، ومعالمه ، وأصوله ، وضوابطه ، فما ينبغي – بل وليس من آداب العلم ، ولا آداب النفوس ، بل ولا من التقوى في شيء – أن يُقَدَّم منهجٌ من مناهج المتأَخرين على ذلك المنهج – لا لظنٍّ سوءٍ في أُصحاب تلك المناهج ، ولا لمقارفة آثامٍ تُرَدُّ بها شهاداتهم ، ولا لجهلٍ التاثت به مناهجهم ، فهم مصروفون به عن الصواب والحقِّ – ليس لشيء من ذلك ، بل لأَمرٍ آخر ، أَلا وهو : أَنه لم يكن بين صاحب الميراث عليه السلام وبين هذه القرون حاجزٌ

زمنيٌّ يفصل بينهما ، قد يطرأُ النسيانُ به على شيءٍ من الميراث ، أَو يُحدث خللًا بين أَجزائه المترابطةِ بسقوط بعضها ، أَو فقدانها ، أَو تآكلها واهترائها ، فبقيت أَجزاءُ هذا الميراث سليمةً متعاضدةً ، يشدُّ بعضها بعضًا ، فأَصابت منه هذه القرون خيرًا كثيرًا ، وظلَّ منهجًا محفوظًا بحفظ اللّه سبحانه ، إذ الفهمُ الصحيحُ لميراث النبوة هو جزءٌ لا يتجزَّأ من المنهج نفسه ، فلا بُدَّ من العودة إِليه ، لينتفي عن الإسلام المحدثات والبدع ، والشوائب التي تطرَّقت إلى عقيدته وأحكامه ، وتلقَّتها القرون والأَجيال المتأخرة بعضها عن بعض بالرضا والإذعان .

ومن نعمة الله على هذه الأُمة أَن الأَصول التي صلحت عليها القرون الأُولى هي الأُصول ، لم تَغِبْ ، ولم تتبدَّل ، ولم يختلفِ بعضها على بعض ، ولا تُفهم هذه الأُصول إلا بقلوبٍ وعقولٍ تنهجُ نهجَ القرون الأُولى في طريقة التفكير والنظر ، فلا صلاح للمتأخِّر منها إلا بما صلُح به المتقدِّم ، ولا لقاء بين النهاياتِ والبدايات إلا بأَن تجري كلُّها على النَّسق الواحد ، الذي أَجراه صاحب الميراث الأَول .

وبهذه المعالم تتحدَّد هُوية وارثِ علمِ النبوة من العلماء ، ولا يكون بينهم معاداةٌ ، ولا خصومةٌ ، ويقلُّ التحاسد والتباغض ، وتتداعى فيهم أسباب المودة والتعاون ، ولا يستكبر بعضهم على بعض ، ويسعى كلٌّ منهم في خير إِخوانه ، فإِنَّ المنهج المتأصِّل فيهم كتابًا وسنَّةً على وفقِ فهم السلف الصالح ، تَستَبين به العقيدةُ السليمةُ الصحيحةُ ، وتتَّضح به الفروعُ والأَحكامُ الشرعيةُ المؤسَّسةُ على الأدلة المحكمة من آيات الكتاب الحكيم ، ونصوص السنة المطهَّرة ، فهو رَحِمٌ واصلةٌ بينهم .

وإن كان من اختلافٍ يكون بينهم فإنَّه لا يعدو أن يكون مشبهًا ما كان يجري بين أَهل القرون المفضلة الأُولى ؛ يؤلِّف بينهم ، ولا يفرِّقهم .

وعلى أساسِ هذا المنهج تُبنى وحدةُ الأُمة ، ويَلتئِم صفُّها ، ويشتدُّ قرارها ، وتتوارد على بُعْدِ أَقطارها ، واختلاف أَلسنتها وأَلوانها .

فهل إلى هؤلاء العلماء من سبيل ؟!!!

وقفات مع كتاب

« السَّلفية مرحلة زمنيَّة مباركة لا مذهب إِسلامي »

(لمحمَّد سعيد البوطي) (الحلقة الأُولى)

محمَّد فريز منفيخي

قسَّم المؤلِّف كتابه إِلى ثلاثة أَبواب : اختص الباب الأَوَّل ببيان المنهج الجامع ، بينما اختص الباب الثاني ببيان تطبيقاتٍ لهذا المنهج الجامع فيما أَدَّى إِليه من اتفاقاتٍ ، أَو اختلافاتٍ أَو مسائل غير محسومة ، ثمَّ تطرَّق في الباب الثالث إِلى مسأَلة السَّلفية .

سنحاول أن نتتبَّع المؤلف في أَبواب كتابه لمناقشته في بعض أَفكاره ؛ لما في ذلك من خير للمؤلف أَو للقارئ على مبدأ سيدنا عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه تعالى عنه الذي رُوي عنه أَنَّه قال : « رحم اللَّه امرءًا أَهدى إِليَّ عيوبي » ، حيث اعتبر بيان هذه النقاط من الهدية التي تستحق الشكر ، والدعاء له بالرحمة من اللَّه تعالى .

مناقشة الباب الأَوَّل المُعَنْوَن :

العوامل التي أَدَّت إِلى ظهور المنهج العلمي مع تعريف موجز به

جهد المؤلف في هذا الباب في توضيح المنهج الجامع - الذي يضبط عملية فهم وشرح وتفسير العقيدة الإِسلامية - معتبرًا إِيَّاه أُسلوبًا مقنَّنًا واضحًا ، ينتج فهمًا سليمًا موحَّدًا للنصوص الشرعية ، ويضمن مسيرة الأُمَّة الإِسلامية والفكر الإِسلامي في مسارٍ واضحٍ محدَّدٍ لا لبس فيه ولا غموض ؛ لأَنَّه كما عرَّفه المؤلف (ص : ٦٠) : « الطريق التي تضمن للباحث أَنْ يصل إِلى الحق الذي يبتغيه »، ويزيدنا في (ص: ٦٣) فيقول : « إِذن ؛ فمنهج المعرفة الإِسلامية والانضباط بمبادئه وأَحكامه يتكون من ثلاثة



أَجزاء » ، وهي كما شرحها في بداية الصفحة السابقة نفسها :

١ - التأَكُّد من صحة النصوص الواردة والمنقولة من فم سيدنا محمَّد ﷺ قرآنًا كانت أَم حديثًا .

٢ - الوقوف بدقَّةٍ على ما تتضمَّنه وتعنيه تلك النّصوص .

٣ - عرض حصيلة تلك المعاني والمقاصد - التي وقف عليها ، وتأَكَّد منها - على موازين المنطق والعقل .

ثمَّ يقرِّر المؤلف بأَن جهد المسلمين على مرِّ العصور انصبَّ بفاعليَّةٍ ونجاحٍ على الجزء الأَوَّل فانضبط تمامًا ، وتمَّ التمييز بدقَّةٍ بين النصوص الصحيحة والموضوعة والضعيفة بجهد مبتكر وكبير .

أَمَّا الجزء الثاني - الذي هو فهم هذه النصوص - فقد قرَّر المؤلف في بداية (ص : ٦٩) بأَنَّ « مردّ جانب كبير من الاضطراب والنزاع المتفاقمين في الاجتهادات والفتاوى الفقهية والمسائل الاعتقادية - إلى فقدان ميزانٍ متفقٍ عليه بين أَيديهم في فهم النصوص وتحديد دلالاتها » - سنسمي الجزء الأَوَّل من الجملة هذه بالحكم الأَوَّل للمؤلف ، والجزء الثاني منها بالحكم الثاني للمؤلف ، حيث سنستعرض أَحكام المؤلف لاحقًا ونناقشه فيها .

ثمَّ قرر المؤلف في الصفحة نفسها أَنَّ « هذا هو الميزان الذي تم اكتشافه وتدوينه فيما بعد » - سنسمي هذه المقولة بالحكم الثالث للمؤلف - أَي أَنَّ المؤلف يقول لنا : إِنَّ الرعيل الأَوَّل (السَّلف الصالح) لم يكن لديهم هذا الميزان ؛ فحدث بينهم الاضطراب والنزاع المتفاقمان في الاجتهاد والفتوى الفقهية ، ثمَّ جاء وقت بعد ذلك - دون تحديدٍ لزمن هذه البَعدية - تمَّ اكتشاف وتدوين هذا الميزان على يد الخلف الصالح « فكان الدعامة الثانية في بنيان منهجٍ متكاملٍ لمعرفة الدين وأَحكامه الاعتقادية والسلوكية » (ص : ٦٩) !!



ثمَّ عاد المؤلف فجأةً - بعد شرحه لأَحكام هذا الميزان ، وتفصيله لمراحله وأَقسامه وضوابطه - ليقولَ في (ص : ٨٠) : « غير أَنَّ قواعد هذا الميزان ليست كلُّها محلَّ اتفاقٍ من علماء هذا الشأن » - سنسمي هذه المقولة بالحكم الرابع للمؤلف - ويفسر لنا معنى قوله : علماء هذا الشأن : « بأَنَّهم أَولًا وبالذَّات علماء اللغة العربية وفقهها » - سنسمي هذه المقولة بالحكم الخامس للمؤلف .

ويتابع المؤلف في الفقرة الأُولى من الصفحة نفسها شرح أَفكاره بقوله : « إِذ إِنَّ قواعد تفسير النصوص قواعد حيادية تنبثق من أُصول الدلالات اللغوية وفقهها ، ومردّها إِلى اللغويين والمتخصصين باللغة العربية ، ونظرًا إِلى أَنَّ نصوص القرآن والسنَّة مصوغة باللغة العربية فهي خاضعة دون ريب لقواعدها الدلالية والبيانية ، وهي قواعد لغوية صافية لا تتأَثَّر بأَيِّ وجهة دينية ، أَو مذهب فكري ، وهذا معنى قولنا عنها بأَنَّها قواعد حيادية » - سنسمي الجزء الأَوَّل من هذه الجملة بالحكم السادس ، والجزء الثاني منها بالحكم السابع للمؤلف .

ويزيدنا المؤلف شرحه فيقول في الفقرة الثانية من الصفحة ٨٠ : « غير أَنَّ الكثير من هذه القواعد وإِن كان محلَّ اتفاقٍ من أَئمَّة اللغة إِلَّا أَنَّ فيها أَيضًا ما هو محلُّ نظرٍ وخلافٍ فيما بينهم ، وقد كان لابد أَن تنعكس هذه الخلافيات على اجتهادات الباحثين فيها من علماء الكلام ، وعلماء الشريعة الإِسلاميَّة » - سنسمي هذه الجملة بالحكم الثامن للمؤلف .

يقرِّر المؤلف أَيضًا في (ص : ٩٢) بأَنَّ « ما تمَّ الاتفاق عليه بين علماء الشريعة الإِسلامية وأَئمَّة هذا الدين ، وما قد اختلفوا فيه - سواء ما كان متعلِّقًا من ذلك بالمعتقدات ، وما كان عائدًا إِلى فقه السلوك وأَحكامه - إِنَّما تم ذلك كله تحت مظلة هذا المنهج ، وبمقتضى طبيعته ، وما قد يستلزمه واقعه » - وسنسمي هذه المقولة بالحكم التاسع للمؤلف .

ثمَّ ينتهي المؤلف (ص : ٩٣) إِلى أَنَّ « سبب الخلاف الذي وقع في النِّقاط

التي اختلفوا فيها أَن قواعد المنهج ذاته تستلزم ذلك ، أَو لا تتكفَّل - على أَقلِّ تقدير - بتوفير عوامل الاتفاق ، وسدِّ منافذ الاختلاف في تلك النقاط التي اختلفوا فيها ، ولله في ذلك حِكَم باهرة ، ولا يعجز اللبيب المنصف عن إِدراكها » . - سنسمي الجزء الأَوَّل من النَّص السَّابق بالحكم العاشر ، بينما الجزء الأَخير بالحكم الحادي عشر للمؤلف !!

هذا ملخص ما استغرق المؤلف في شرحه وتمحيصه (ثمانيًا وتسعين) صفحة كاملة من الكتاب المخصص أَصْلًا لدراسة السَّلفية !

وقبل أَن نقفَ على علاقة عنوان الكتاب بهذا البحث لابد من وقفةٍ لتمحيص هذه الأَفكار المهمة ، التي تتناول أُسس فهم ودراسة الشريعة الإِسلامية وأَحكامها ، على أَساس أَنَّ كل إِنسان يؤخذ منه ويردُّ عليه ما عدا رسول اللَّه ﷺ ، ولا عصمة لأَحدٍ ، ولا حجة له بالتخصص ، فإِنْ جانب أَيَّ مؤلف الصوابُ في بعضها فلكلِّ عاقلٍ الحقُّ - مهما كان تخصصه العلمي - في مناقشته وصولًا إِلى الحق والصواب الذي هو هدف كل باحث علمي .

سنلخص الآن الأَحكام الأَحد عشر التي أَطلقها المؤلف في كتابه :

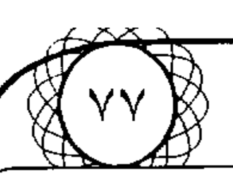
الحكم الأَوَّل - يوجد جانب كبير من الاضطراب والنزاع المتفاقمين في الاجتهادات ، والفتاوى الفقهية ، والمسائل الاعتقادية .

الحكم الثاني - إِنَّ سبب ذلك هو عدم وجود ميزانٍ متفقٍ عليه بين أَيديهم في فهم النصوص ، وتحديد دلالاتها .

الحكم الثالث - لقد تمَّ اكتشاف هذا الميزان وتدوينه فيما بعد .

الحكم الرابع - إِنَّ قواعد الميزان هذه ليست كلها محلَّ اتفاقٍ من علماء هذا الشأْن .

الحكم الخامس - إِنَّ علماء هذا الشأَن هم أَوَّلًا علماء اللغة العربية .



الحكم السادس – إِنَّ تفسير قواعد الشريعة الإِسلامية مردُّه إِلى اللغويين ؛ بسبب أَنَّ نصوص الشريعة مصوغة باللغة العربية ، فهي خاضعة – دون ريب – إِلى قواعد اللغة الفقهية ، ودلالاتها البيانية .

الحكم السابع – إِنَّ القواعد اللغوية صافية لا تتأَثَّر بأَيَّة وجهة دينية ، أَو مذهب فكري ، وهي قواعد حيادية .

الحكم الثامن – انعكست خلافيات أَئمَّة اللغة على اجتهادات الباحثين من علماء الكلام وعلماء الشريعة الإِسلامية .

الحكم التاسع – يوجد اختلافات في المعتقدات ، وفقه السّلوك ، وأَحكامه بين أَئمَّة هذا الدين ، وهذا الاختلاف تحت مظلة المنهج الجامع ، وبمقتضى طبيعته ، وما قد يستلزمه واقعه .

الحكم العاشر – إِنَّ قواعد المنهج تستلزم وجود الخلاف ، أَو لا تتكفل على الأَقل بتوفير عوامل الاتفاق على أَي نقاط .

الحكم الحادي عشر – إِنَّ خلاف علماء الشريعة على المعتقدات ، وعلى فقه السّلوك وأَحكامه ، وخلاف علماء اللغة – وإِنَ كان منهجهم يستلزم وجود الخلاف – كل ذلك سببه أَنَّ اللّه له في ذلك حكم باهرة ، لا يعجز اللبيب المنصف عن إِدراكها .

وإِنَّنا نقول : إِنَّ المؤلف بنى تحليله السَّابق بناءً تحكُّميًّا غير واقعي ، بناءً سعى من خلاله إِلى تكوين هذه الأَحكام ؛ بينما التاريخ ، والواقع يخبرنا غير ذلك ، وتفصيل ذلك كما يلي :

١ – إِنَّ القرآن الكريم – الذي هو المصدر الأَوَّل للشريعة الإِسلامية – هو كلام اللّه تعالى ، الذي أَوحاه إِلى رسوله العربي الكريم باللغة العربية المتداولة والمفهومة في ذلك الوقت من العرب المتلقِّين لهذا الوحي .

٢ - إِنَّ المقصود من أَي كلام هو نقل المعاني والأَفكار من مصدر الكلام إِلى متلقِّي هذا الكلام ، ونصُّ القرآن الكريم هو كلام اللَّه تعالى الذي توجَّه به إِلى عباده أَجمعين ؛ لينقل إِليهم جملة من المعاني والمعارف والعلوم والتوجيهات بوعاءٍ هو اللغة العربية ؛ لأَنَّها لغة القوم الذين خصَّهم اللَّه بتلقي آخر رسالاته للبشر ، فلو أَنَّ اللَّه تعالى اختار قومًا آخرين ، لما أَعجزه إِنزال كلامه بلغتهم ؛ لإِفهامهم كلامه ، وتكليفهم برسالته ، لكنا نحمد اللَّه تعالى أَن اختار لغتنا وعاءً لكلامه عزَّ وجلَّ ، وأَن اختار رسوله من العرب ، وأَنَّه كلفهم بحمل الرسالة للعالم ، أَي أَنَّ المعاني أَوسع بكثير من أَن يتسع لها لفظٌ أَو كلمةٌ مهما كانت معبِّرة .

وكما نعلم فإِنَّ المعاني يمكن نقلها بدون كلام : بالعين ، أَو باليد ، أَو بتعبير الوجه ، لذلك نقول : إِنَّ السنة هي ما قاله ، أَو فعله ، أَو قرره رسول اللَّه ﷺ ؛ لأَن في القول والفعل والإِقرار نقلًا لمعنًى من المعاني التي يشرح بها رسول اللَّه ﷺ آداب الإِسلام وأَحكامه ، كما أَنَّ القرآن الكريم أَتى بمعانٍ جديدة لأَلفاظٍ موجودةٍ وشائعةٍ كالزَّكاة والصَّلاة والحج وغير ذلك ، أَي أَنَّ القرآن الكريم استعمل أَلفاظًا شائعةً لها معانٍ معيَّنة ، لكنه أَعطاها معاني جديدة لم تكن لها ، يمكن وصفها بأَنَّها معانٍ إِسلامية ، وكذلك يفعل كل علم من العلوم ؛ حيث يستخدم أَلفاظًا متداولةً يعطيها معاني جديدة من مكنونات هذا العلم الجديد ، وسبب ذلك أَنَّ المعاني بشكل عام غير محدودة ، بينما الأَلفاظ في أَيَّة لغة من اللغات لابد وأَنْ تكون محدودة .

٣ - كان للعرب قبل الإِسلام صولاتٌ في الشعر العربي والسليقة الفصيحة نتيجة عزلة العرب في صحرائهم ، وعدم اختلاطهم بالشعوب الأُخرى كثيرًا ، وكانت لهم ذاكرةٌ قويَّةٌ واسعةٌ تسجِّل فيها الأَحداثُ والأَنسابُ والأَشعارُ ، بدلًا من الكتابة التي كانوا يجهلونها ، أَي أَنَّ اللَّه تعالى هيَّأ هذا الشعب العربي لمرحلةٍ أُولى ، وهي تلقِّي كلامه المنزَّل على رسوله بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ، وحفظ هذا الكلام ، ونقله للشعوب الأُخرى .

٤ - إِنَّ اللغة العربية كانت لغة محادثة ، ليست مكتوبة وليست مخدومة علميًا ، وكان العرب قومًا أُمِّيين كما قرَّر القرآن ، وكما يخبرنا التاريخ ، وبالتالي فإِنَّ مختلف القواعد اللغوية في مختلف مناحي اللغة العربية كتبت واستنبطت بعد الإِسلام معتمدةً في ذلك على نصِّ القرآن الكريم أَساسًا .

٥ - إِنَّ أَغلب قواعد اللغة العربية ، وأَحكامها ، وقواعدها ، وكثيرًا من مفرداتها وصورها البيانية والمعاني الواسعة التي تعرضت لها - مصدرها جميعًا القرآن الكريم كلام الله تعالى ، وهو الذي حفظ اللغة العربية ، وصانها على مرِّ العصور نتيجة تمسُّك المسلمين بكتابهم ، ولولا هذا القرآن لما استمرت اللغة العربية كل هذه السنوات ، على الرغم من هزيمة المسلمين في أَنحاء العالم كافةً أَمام أَعدائهم ، ومحاولاتهم المستميتة وقفَ اللغة العربية ، أَو تحويرها ، أَو صرف المسلمين عنها .

٦ - إِذا كان القرآن الكريم هو المصدر الذي أعطى اللغة العربية مجالاتها الكبيرة الجديدة ، وأَغناها بالصور والمعاني والقواعد والبلاغة - فكيف نُخْضعه نفسَه إِلى هذه القواعد التي أَرساها ، وأَنشأَها ، وطوَّرها ؛ لذلك فإِنَّ القول : (إِنَّ الشريعة الإِسلامية خاضعةٌ وتابعةٌ لأَلفاظ اللغة العربية وقواعدها ، وإِن علماء الشريعة الإِسلامية يَتْبَعون في فهمهم لأُصول الشريعة وقواعدها لعلماء اللغة العربية) فيه تعسُّف كبير بالشريعة نفسها ، فكيف نُخضع المعنى للَّفظ ؟؟ وكيف نُخضع الهدف للوسيلة ؟!

٧ - لنضرب على ذلك بعض الأَمثلة :

أ - عندما أَمر رسول الله ﷺ المسلمين بعد معركة الأَحزاب بأَنَّ (من كان حاضرًا معنا سامعًا مطيعًا فلا يصلِّينَّ العصر إِلَّا في بني قريظة) هذا الأَمر المباشر من الرَّسول القائد إِلى جنوده ومحبيه بأَلفاظ مباشرة وواضحة تمامًا بوجوب عدم صلاة العصر إِلَّا بعد الوصول إِلى مواقع بني قريظة ، فكيف كانت استجابة الصَّحابة من السلف الصالح لهذا الأَمر ؟ كما نعلم ، تصدَّى الجميع للتحرك بحسب الأَمر إِلى مواقع القتال الجديد ، لكن عندما أَدركتهم الصَّلاة انقسموا إِلى قسمين : القسم الأَول

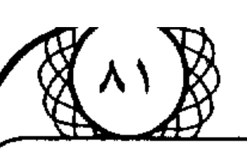
تشبث بحرفيَّة النَّص بأنَّه لا صلاة للعصر إلَّا بعد الوصول إلى الموقع ولو فات وقت الصَّلاة ، بينما وازن فريق آخر بين أَمر القائد بلفظه ومعناه الضِّمني بوجوب التحرك السريع ، وبين أَمر اللَّه تعالى بالصَّلاة في وقتها ، فصلَّى بعضهم العصر بسرعة على الطريق فجمعوا بذلك الحسنيين : وهما الاستجابة لأَمر رسول اللَّه بسرعة التحرك ، والاستجابة لأَمر اللَّه بالصَّلاة في وقتها ، ولم ينكر الرَّسول القائد على أَيٍّ من الفريقين تصرُّفه .

ب - حديث رسول اللَّه ﷺ بأَنَّه إِذا حدث الخسوف أَو الكسوف فصلُّوا حتى تنجلي .

فقد فهم فريق من المسلمين اللفظ بأَنْ نستمر في الصَّلاة إِلى أَن ينجلي الخسوفِ أَو الكسوف ، ولو استمر ساعة أَو ساعات ، وفريق آخر فهم اللفظ نفسه بأَن نصلِّي للَّه تعالى خوفًا منه ورجاءً بهدف أَنْ تنجلي ، ونعتقد - ضِمْنَ هذا البيانِ - أَن لفظ (حتى) يتسع لكلا المعنيين : (إِلى أَنْ) و (بهدف أَنْ) ، ولا ضرر ولا مخالفة في فهم أَيٍّ من هذين المعنيين .

٨ - لم يحدث اضطراب أَو نزاع - كما يقرر المؤلف في حكمه الأَول - في الاجتهادات ، والفتاوى الفقهية ، ولا في المسائل الاعتقادية بين المسلمين ؛ إِنَّما كانت هناك خلافات كما نسميها اليوم خلافات سياسية ، أَمَّا المذاهب الفقهية فهي تتكامل مع بعضها البعض ، وتجتهد في انتزاع المعاني المتعددة ، التي يمكن فهمها من نصٍّ واحدٍ ؛ بحيث تؤدي الغرض العام للشريعة الإِسلامية ، ولا تخالف أَيًا من توجُّهاته الأَساسية .

٩ - إِذا سلَّمنا بحكم المؤلف الأَول ؛ أَي بوجود اضطراب ونزاع في الاجتهادات والفتاوى في المسائل الاعتقادية أَي في العقيدة - وهو ما نخالفه فيه - فهو يضيف حكمًا ثانيًا بأَنَّ سبب ذلك الاضطراب الموهوم هو فقدان ميزان متفق عليه في فهم النصوص وتحديد دلالاتها ، فالمؤلف قد افترض أَنَّ النزاع التاريخي الذي



حصل بين المسلمين هو نزاع حول الاجتهادات والفتاوى ، بينما الذي حصل - كما قلنا - هو اختلاف حول حسن تطبيق التعاليم الإسلاميَّة ؛ فكلٌّ منهم كان يرى في نفسه القدرة على حسن تطبيق الإسلام ، ونشره أكثر من غيره ، وبالتالي فلا خلاف في الفتوى ، بل ولا يمكن أَنْ يؤدي الخلاف في الفتوى إلي النزاع ، لكن الذي يدفع للنزاع هو الخلاف على السلطة السياسية ، إذن ؛ فالحكم الأوَّل غير صحيح ، وبالتالي فإنَّ تَشويغَه بفقدان الميزان أَيضًا غير صحيح .

١٠ - يقرر المؤلف في حكمه الثالث أَنَّه قد تم اكتشاف هذا الميزان المنهج وتدوينه فيما بعد ، إلَّا أَنَّه لم يبين لنا بالتفصيل المدد الزمنية التي كان فيها هذا الميزان مفقودًا : هل هي في عصر النبوة ، أَم في عصر الخلافة الرَّاشدة ، أَم بعد ذلك ؟ ومتى تمَّ اكتشاف هذا الميزان ؟ ومتى تم تدوينه ؟ وأَين دُوِّن ؟

بقي هذا التحديد سرًّا لا نعلمه ، ولا نستطيع أَن نخمِّن من عندنا شيئًا ، ونجيب عليه حتى نحاور أَنفسنا ؛ لأَنَّ تحديد أَيٍّ من هذه المدد الزمنية بأَنَّها مدة فقدان الميزان المنهج سيصيبنا بكارثة فكرية نحن في غنًى عنها .

١١ - من غير الدخول في تفصيلات المنهج الميزان الذي قرر المؤلف اكتشافه وتدوينه في زمنٍ ما - لم يحدده - نقرأ حكم المؤلف الرابع على المنهج الميزان نفسه ، فيقول : « إنَّ قواعد الميزان هذه ليست كلها محل اتفاق من علماء هذا الشأْن » ، وإِنَّني لأَتساءل ، كما أَرى أَنَّه تساؤل كل من يقرأ هذا الكلام : كيف يمكن اعتبار وجود منهجٍ ميزانٍ - يتم على أَساسه تفسير وفهم عقيدة إِلٰهية مرسلة للبشر ، فيها عقائد وأَفكار وأَوامر ونواهٍ وتنظيمات للحياة ووعود مهمة للحياة الآخرة - وقواعد هذا المنهج ليست كلها محل اتفاق من علماء الشأن ؟

أَي : مَن يقرر لمن ؟ هل علماء الشأن هم الذين سيوضحون لنا ديننا ، وكلام ربِّنا ، وهَدْيَ نبينا ، وهم مختلفون فيما بينهم ليس فقط في معاني الأَلفاظ ودلالاتها ، ولكن أَيضًا في قواعد المنهج الميزان ذاته الذي سيحدَّد على أَساسه كلُّ ما ورد في

القرآن الكريم من صفات اللَّه وقدراته ، ومن حقيقة خلقه للكون والإِنسان وللعالم الآخر ، ومن أَوامره ونواهيه للإِنسان المسلم ، ومن تنظيمه لحياة المسلم ولعلاقاته مع خالقه ومع النَّاس ومع نفسه ؟ أَم أَنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ هو صاحب الشأن الذي يحدد لنا كل ذلك بكلام واضح مفهوم يعلم أَنَّه منزله على قوم أمِّيين محدودي العلوم والمعارف والاهتمامات ، وقد فهمه هؤلاء النَّاس على حالهم المذكور ، ونجحوا في هذا الفهم بتقرير رسول اللَّه ﷺ ، وباعترافنا بأَنَّهم هم السَّلف الصَّالح في كل شيء ، ويشهد بذلك السجلُّ التاريخي المتواتر للمسلمين الأَوائل ، وبعد أَن لا يستطيع المسلم المعاصر - بعد أَلف وأَربع مائة سنة من الدراسة ، والتمحيص ، والتدقيق ، والشروحات ، والتطبيقات المختلفة - أَنْ يفهم نصوص المصادر الإِسلامية الثابتة ، التي لم تتغير منذ بداية الوحي حتى الآن ، بدون هذا المنهج الميزان غير المتفق على قواعده حتَّى بين علماء هذا الشأن !

١٢ - يقرر المؤلف في حكمه الخامس بأَنَّ علماء هذا الشأَن هم أَوَّلًا علماء اللغة العربية وفقهها ، أَي أَنَّ المؤلف يعطي علماء الأَلفاظ سلطة تحديد المعاني ، وشرح الشريعة الإِسلامية ، وفي ذلك طغيان الجزء على الكلِّ ، وتعسُّفٌ على المعاني نفسها ، فكما بيَّنا فإِنَّ اللفظ أَسير المعنى ، وليس العكس تمامًا ، طبعًا لا بد لمن يتصدَّى لتفسير كلام اللَّه تعالى وسنة رسوله الكريم من المعرفة والإِلمام بقواعد اللغة العربية وأُصولها ، ومعاني أَلفاظها الذي كان سائدًا أَيام عصر التنزيل ؛ لأَنَّه قد تصدَّى لعلوم الشريعة علماء أَفاضل من غير أَبناء العرب ، فكان هذا الدخول سببًا ثانيًا دفع ببعض العلماء لتقنين قواعد اللغة العربية وعلومها ، فإِذا أَتقنها العالم من أَية جنسية كان ، انتقل بعدها للعمل على فهم وشرح قواعد الشريعة الإِسلامية ، وهذه حالة كل من يريد الاضطلاع بالعلوم الشرعية ، أَمّا أَنْ نقول : (إِنَّ علماء الشأن هم أَوَّلًا علماء اللغة العربية) فإِنَّ فيه تعسُّفًا على الشريعة ، وحَجْرًا على كلام اللَّه وسنَّة رسوله الكريم .

١٣ - سار المؤلف شوطًا أَبعد ، فقرر في حكمه السَّادس بشكل واضح لا لبس



فيه أَنَّ تفسير قواعد الشريعة الإِسلامية مردها إِلى اللغويين فقط ، وسبب ذلك كون النصوص الشرعية مصوغة باللغة العربية ، فهي خاضعة – ودون ريب – إِلى قواعد اللغة العربية ودلالاتها البيانية .

إِذا كان ما يقوله المؤلف صحيحًا ، فكيف يحكم على المدة التي تم فيها تفسير الشريعة الإِسلامية وتطبيقها قبل أَنْ يتكرم علينا السَّادة علماء اللغة العربية بوضع وتحديد قواعد اللغة العربية ودلالاتها البيانية ؟ وهذا العمل تم كما نعلم بعد الإِسلام وبسببه ، وهذه المدة من أَهم المدد الإِسلامية ، وهي تشمل عصر النُّبوة والخلافة الراشدة ، أَو السَّلف الصَّالح بشكل عام .

كما يمكننا أَن نتساءل : كيف ستفسَّر لنا قواعد الشريعة الإِسلامية ، والسَّادة اللغويون أَنفسهم – كما يقرر المؤلف في حكمه الرَّابع – غير متفقين أَساسًا على قواعد المنهج الميزان الخاص باللغة العربية ؟

١٤ – يؤكد المؤلف في حكمه السَّابع أَنَّ القواعد اللغوية صافية ، لا تتأَثَّر بأَيَّة وجهة دينية ، أَو مذهب فكري ، وهي قواعد حيادية !

ولا ندري هنا ، هل يخاف المؤلف على قواعد اللغة من الدين ، أَم أَنَّه يبرِّئها من التأَثر به ؟! وكما قلنا : إِنَّه لولا الدين الإِسلامي لتحولت اللغة العربية إِلى متاحف التاريخيين ، كاللغات الإِغريقية والهيروغليفية والسريانية والقبطية ، ولما ظهرت لها القواعد ، ولما حفظت على مر العصور ، أَو لبقيت كلغاتِ كثيرٍ من الإِفريقيين لغة محادثةِ غير مكتوبة إِن بقي من يتحدَّث بها ، وإِن الفضل كل الفضل في بقاء اللغة العربية وأَهميتها هو للقرآن الكريم كلام اللّٰه تعالى الذي نزل بلسان عربي مبين ، ثمَّ لعلماء الدين الإِسلامي الذين خدموا اللغة العربية ، ووضعوا لها القواعد والشروحات ، وبينوا دلالاتها اللغوية ، وأسلوبها البياني المعجز من خلال القرآن الكريم والسنَّة النَّبويَّة المطهرة .

١٥ - يقرر المؤلف في حكمه الثامن أنَّ خلافات أَئمَّة اللغة انعكست على اجتهادات الباحثين ؛ سواء من علماء الكلام - أَي الفلاسفة - ومن علماء الشريعة الإسلامية ، ويقرر المؤلف هنا - أَيضًا - أَن آراء اللغويين هي الأَصل ، وأَنَّ صياغة علوم الشريعة تابعة بشكل تام لهم ، سواء في إِيجابياتهم وشروحاتهم أَم في سلبياتهم وخلافاتهم ، فإِذا كان علماء اللغة مختلفين ، وبسبب خلافاتهم تقع خلافات بين علماء الشريعة ، فمن سيشرح لنا ديننا الذي هو عصمة أَمرنا ؟ وكيف سنهتدي إِلى القرار الواضح البيِّن في أُمور الدين من الحلال والحرام والمعاملات والسلوك والعقائد ؟

ولا أَعتقد أَنَّ هذا كان حال علماء السَّلف الصالح الذين فهموا وحي اللَّه ، وفهموا كلام رسوله الكريم ، وطبَّقوا ذلك بنجاح واقتدار ، فهذا عمر بن الخطَّاب عندما أُتي له بسارق معترف ، فبدلًا من أَنْ يقطع يده كما هو الحكم الشرعي ، عاقب صاحبَ الأَرض قائلًا له : إِنَّك لم تعلِّمه إِذ كان جاهلًا ، ولا أَطعمته إِذ كان جائعًا ، أَي أَنَّ تطبيق الحد يكون بعد الإِعذار العلمي والمادي ، وليس قبل ذلك ، وهذا من توسع الخليفة - رضي اللَّه عنه - في مجمل العلم الشرعي معتبرًا الجوع والجهل من شبهات تطبيق الحد استنادًا إِلى حديث رسول اللَّه ﷺ « ادرأُوا الحدود بالشبهات ، ادرأُوا الحدود ما استطعتم » .

١٦ - يقرر المؤلفُ في حكمه التاسع وجودَ اختلافات في المعتقدات وفقه السلوك وأَحكامه بين أَئمَّة هذا الدين ، وهذا الاختلاف تحت مظلَّة المنهج الجامع ، وبمقتضى طبيعته وما قد يستلزمه واقعُه .

هذه أَول مرَّة نقرأ فيها وجود خلافات في المعتقدات بين أَئمَّة هذا الدين ، وهو لم يبيِّن لنا النِّقاط العقيدية التي يختلف فيها أَئمَّة المسلمين مع بعضهم البعض ، وإِن حدث ووجد خلاف في العقيدة ، فمعنى هذا أَنَّنا أَمام أَديان مختلفة لا يمكن جمعها تحت مظلَّة واحدة أَبدًا ، بينما إِذا كان المقصود هو الاجتهادات المتعددة في فقه السلوك وأَحكامه ، فإِنَّها تعطي المسلمين حرية الحركة بين هذه الاجتهادات ضمن

دائرة العقيدة الواحدة ، وكل منها مستند إِلى مصدر تشريعي محدد ومعروف ومقنَّن ، فلا بأس من ذلك ولا ضير .

١٧ - يقول المؤلف في حكمه العاشر : إِن هذه الاختلافات هي نتاج منهج جامع وبمقتضى طبيعته وما يستلزمه واقعه ، وإِنَّ قواعد هذا المنهج لا تتكفل ولا بحدِّ أَدنى من توفير أَي عامل من عوامل الاتفاق على أَيَّة نقطة من نقاطه .

ونحن نقول : إِنَّه بناء على حكم المؤلف نفسه ، فالأَجدر بنا جميعًا التخلِّي عن هذا المنهج الجامع الذي يفرِّق ولا يجمِّع ، ويشتِّت المسلمين ولا يوحِّدهم ، والذي من طبيعته التفرقة والخلاف ، وما يستتبع ذلك من حزازات ونفور وبغضاء بين المسلمين الذين يُفترض أَنَّ الإِسلام جعلهم إِخوة متحابين في اللَّه ، متراحمين ومتعاونين مع بعضهم البعض .

١٨ - يختم المؤلف أَحكامه بالحكم الحادي عشر بقوله : إِنَّ خلاف أَئمَّة الدين في المعتقدات ، واختلافهم في فقه السلوك وأَحكامه ، واختلاف علماء اللغة - أَيضًا - وكذلك وجود هذا المنهج الجامع الذي يفرِّق المسلمين ولا يجمِّعهم على شيء ، ولا يتكفَّل ولا بأَي حد أَدنى من الاتفاق على شيء - سببه أَنَّ اللَّه له في ذلك حِكَم باهرة ، لا يخفى إِدراكها على اللبيب المنصف .

ونحن نسأَل : هل يمكن للَّه - عزَّ وجلَّ - الرحيم بعباده ، واللطيف الخبير بهم ، والذي أَرسل رسله واختتمهم بالنَّبيِّ العربي محمَّد ﷺ ، منزِّلًا على قلبه كلامه في القرآن الكريم، وموحيًا إِليه بالسنَّة المطهرة ﴿ وما ينطق عن الهوى إِنْ هو إِلَّا وحيٌ يوحى ﴾ - أَن يدع تلامذة رسوله يختلفون كل هذا الخلاف في كل شيء ؟ وهل يمكن أَنْ يكون ذلك من حكم اللَّه الباهرة ؟

لا واللَّه ، إِنَّ اللَّه لأَرحم من أَنْ يفعل ذلك ، وحِكَم اللَّه الباهرة تقتضي أَوَّلًا الفهم المحدد الواضح لحكمه ، ثمَّ إِمكانية العمل بموجبها مع توفيق اللَّه عباده لتعلمها والعمل بها ﴿ يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكِّيهم ﴾ صدق اللَّه سُبحانَه .

١٩ - تغاضا المؤلف تمامًا عن الجزء الثالث من منهجه الجامع ، وهو الجزء الخاص بعرض حصيلة تلك المعاني والمقاصد - التي وقف عليها في جزأَيه الأَوَّلَين ، وتأَكَّد منها - على موازين المنطق والعقل ، ولم يشر نهائيًّا إلى تفاصيل هذا العرض وأَهدافه ونتائجه الممكنة ، وما هو الحل إذا عارض العقل حكمًا ثبت نصه ، وتم شرحه وفهمه بمقاييس هذا المنهج الجامع ؟ هل يتم رفضه ، أَم إيقافه ، أَم إلغاؤه تمامًا ، أَم تسويغُه ؟

وهنا أَيضًا لا نستطيع مناقشة افتراضاتنا حول كلام المؤلف بانتظار أَن يشرح لنا مقصوده بعرض الدين على العقل لمناقشته فيه .

(للبحث صِلَةٌ)

قصة إسلام سلمان الفارسي

رضي الله عنه

أحمد شقيرات

نجائِبُ النَّجاةِ مُهَيَّأَةٌ للمرادِ ، وأَقْدامُ المَطْرودِ موثوقةٌ بالقيودِ ، هبّتْ عواصفُ الأَقدارِ في بيداءِ الأَكوانِ ، فتقلّب الوُجودُ ، وَنَجَمَ الخيرُ ، فلمّا رَكَدَتِ الريحُ إذا أَبو طالبٍ - عمُّ الرسولِ ﷺ - غريقٌ في لُجَّةِ الهلاكِ ، وسلمانُ على ساحلِ السلامةِ .. [1] .

وسَلْمانُ هذا هو سلمان الفارسيُّ ، سلمانُ الخيرِ ، ابنُ الإِسلامِ .

ولقد كانَ له - رضي الله عنه - قصةٌ عجيبةٌ غريبةٌ ، وقعتْ له عندَ إِسلامِه ، فيها الكثيرُ من العِبَرِ والعِظاتِ ، وقد جاءت هذه القصّةُ من طرقٍ عديدةٍ ، جَمَعَها وخرَّجها الحافظُ السخاويُّ (المتوفّى سنة ٩٠٢ هـ) في كتابِه « التحصيل والبيان في قصةِ السيّد سلمان » .

ولمَّا كنتُ قد أَتمَمْتُ - بحمد الله - تحقيقَ الكتابِ ، فقد أَحببتُ - مسارعةً للخيرِ - أَنْ أَضعَ بين يَدَي الإِخوةِ القُرّاءِ أَصحَّ روايةٍ لهذه القصّةِ :

عن عبداللهِ بن عبّاسٍ رضي اللهُ عنه - قال : حدَّثني سلمانُ حديثَه مِنْ فِيهِ ، قال :

« كنتُ رجلاً فارسيّاً من أَهلِ أَصْبَهان ، من قريةٍ منها يُقالُ لها : جَيّ ، وكانَ

---

(١) « الفوائد » (ص ٥١) للعلاّمة الإِمام ابن قيّمِ الجوزيّة .

أَي دِهْقَانَ [١] قريتِه ، وكنتُ أَحبَّ خَلْقِ اللهِ إليه ، فلم يَزَلْ به حبُّه إيّايَ حتّى حَبَسَني في بيتِه كما تُحبسُ الجاريةُ ، فاجتهدتُ في المجوسيّةِ حتّى كنتُ قاطِنَ [٢] النَّارِ ، أُوقدها لا أَتركها تَخْبُو ساعةً واحدةً ، وكانت لأَبي ضَيْعَةٌ عظيمةٌ ، فشُغِلَ يوماً ، فقال : يا بُنيَّ ، قد شُغِلتُ هذا اليوم عن ضَيعتي ، فاذهبْ إليها فطالعْها ، فأَمَرَ فيها ببعضِ ما يُريدُ ، ثمَّ قالَ لي : لا تحتَبِسْ [٣] عليّ ، فإنّك إن احْتَبَسْتَ عليَّ كنتَ أَهمَّ إليَّ من ضَيعتي ، وشغلْتني عن كلِّ شيءٍ من أَمري .

فخرجتُ أُريدُ ضَيعتي أَسيرُ إليها ، فمررْتُ بكنيسةٍ من كنائسِ النصارى ، فسمعتُ أَصواتَهم فيها وهم يُصَلُّون ، وكنتُ لا أَدري ما أَمرُ الناسِ بحَبْسِ أَبي إيّايَ في بيتِه ، فلمّا سمعتُ أَصواتَهم دخلتُ عليهم أَنظرُ ما يصنعون ، فلمَّا رأَيتُهم أَعجبني صلاتُهم ، ورغبْتُ في أَمرِهم ، وقلتُ : واللهِ هذا خيرٌ من الدّينِ الّذي نحنُ عليه ، فما بَرِحْتُ من عندِهم حتّى غربتِ الشمسُ ، وتركتُ ضَيعةَ أَبي ، ثمَّ قلتُ لهم : مَنْ أَبْصَرُ [٤] بهذا الدينِ ؟ قالوا : رجلٌ بالشام .

ثمَّ رجعتُ إلى أَبي ، وقد بعثَ في طَلَبي ، وقد شغلتُه عن عملِه ، قال : أَيْ بُنيّ ! أَينَ كنتَ ؟ أَلم أَعهد إليك ما عهدتُ ؟ قلتُ : إنّي مررتُ بناسٍ يُصلُّون في كنيسةٍ لهم ، فدخلتُ عليهم ، فما زلتُ عندَهم - وهم يُصلّون - حتّى غَرَبتِ الشمسُ ، فقال أَبي : أَيْ بُنيّ ! ليس في ذلك الدينِ خيرٌ ، دينُك ودينُ آبائِك خيرٌ منه ، فخافني فجعلَ في رجليَّ قَيْداً ، ثمَّ حَبَسَني في بيتِه .

وبعثتُ إلى النصارى فقلتُ : إذا قَدِمَ ركْبٌ من الشامِ فأَخبروني ، فقدمَ عليهم

---

(١) رئيس .

(٢) خادمها وحارسها .

(٣) تتأخر .

(٤) أَعلم .



ركبٌ من الشامِ تُجّارٌ من النصارى ، فأَخبروني بهم ، فقلتُ لهم : إِذا قَضَوْا حوائجَهم وأَرادوا الرَّجْعةَ إِلى بلادِهم فآذِنوني .

فلمّا أَرادوا الرَّجْعةَ إِلى بلادِهم أَخبروني بهم ، فأَلقيتُ الحديدَ من رجلي ، ثمَّ خرجتُ معهم حتّى قدمتُ الشامَ ، فلمّا قَدِمْتُها قلتُ : مَنْ أَفضلُ أَهلِ هذا الدينِ علماً ؟

قالوا : الأَسْقُفّ في الكنيسةِ ، فجئتُه فقلتُ : إِنّي قد رغبتُ في هذا الدين والعلمِ معك وأُصلّي معك .

قال : نعم ، فادخلْ ، فدخلتُ معه ، وكانَ رجلَ سوءٍ ، يأَمرُ بالصدقةِ ويُرغِّبُهم فيها ، فإِذا جمعوا له شيئاً منها اكْتَنزَه لنفسِه ، فلم يُعْطِ إِنساناً منها شيئاً ، حتّى جمع قِلالاً [1] من ذَهَبٍ ووَرِقٍ [2] ، فأَبغضتُه بُغضاً شديداً لِما رأَيتُه يصنعُ .

ثمّ ماتَ فاجتمعت إِليه النصارى ليدفنوه ، فقلتُ لهم : إِنَّ هذا كانَ رجلَ سوءٍ ، يأْمرُكم بالصدّقةِ ويُرغِّبُكم فيها ، فإِذا جئتموه بها اكْتَنَزها لنفسِه ، ولم يُعْطِ المساكينَ منها شيئاً !!

قالوا : وما عِلْمُكَ بذلك ؟ قلتُ لهم : فأَنا أَدلُّكم على كنزِه ، قالوا : فدُلَّنا عليه ، فدلَلْتُهم عليه ، فاستخرجوه ذهباً ووَرِقاً ، فلمّا رأَوْها قالوا : واللهِ لا ندفنه أَبداً ، فصَلبوه ثمَّ رجَموه بالحجارةِ .

وكانَ ثَمّ [3] رجلٌ آخرُ ، فجعلوه مكانَه ، قال : يقول سلمانُ : فما رأَيتُ رجلاً يصلي الخمسَ أَفضلَ منه ، أَزهدَ في الدنيا ، ولا أَرغبَ في الآخرةِ ، ولا أَدْأَبَ ليلاً ونهاراً منه ؛ فأَحببْتُهُ حُبّاً لم أُحبَّه شيئاً قطُّ ، فما زلتُ معه زماناً ، ثمَّ حضرتْه الوفاةُ ،

---

(١) جمع قلّة : الجرّة .

(٢) فضّة .

(٣) هناك .

فقلتُ له : يا فلانُ ، إنّي قد كنتُ معك ،فأَحببتُكَ حُبّاً لم أُحبَّه شيئاً قطُّ ، وقد حضركَ ما ترى من أَمْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فإلى مَنْ تُوصي بي ؟ وما تأمرُني ؟

قال : أَي بُنيَّ ! واللهِ ما أَعلمُ أَحَداً على ما كنتُ عليه ، لقد هَلَكَ الناسُ ، وبدَّلوا ، وتركوا كثيراً ممّا كانوا عليه ، إلّا رجلاً بالموصلِ ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه ، فالحقْ به ، فلمّا ماتَ وغُيِّب لحقْتُ بصاحبِ الموصلِ ، فقلتُ له : يا فلانُ ، إنَّ فلاناً أَوصاني عند موتِه أَنْ أَلحقَ بك ، وأَخبرني أَنّك على أَمْرِه ، قال : فأَقمْ عندي .

فأَقمتُ عندَه ، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أَمْرِ صاحبِه ، فلم أَلْبَث أَنْ ماتَ ، فلمّا حضرتُه الوفاةُ قلتُ له : يا فلان ، إنَّ فلاناً أَوصاني إليك ، وقد أَمَرَني أَنْ أَلحقَ بك ، وقد حضَرَ من أَمْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ما ترى ، فإلى من تُوصي بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : يا بُنيَّ ! ما أَعلَمُ بقيَ أَحدٌ آمرُكَ أَنْ تأْتيه إلّا رجلاً بعَمُّوريةِ ، بأَرضِ الرومِ ، على ما مثلِ ما نحنُ عليه .

فلمّا ماتَ وغُيِّبَ لَحِقْتُ بصاحبِ عَمّورية ، فأَخبرته خبرَي ، فقال : أَقم عندي .

فأَقمتُ عند خيرِ رجلٍ على هَدْي أَصحابِه وأَمرِهم ، واكتسبْتُ حتّى كان عندي بُقيراتٌ وغُنَيمةٌ ، ثمَّ نزلَ به أَمْرُ اللهِ عزَّ وجلّ ، فلما حُضِر قلتُ له : يا فلانُ ، إنّي كنتُ مع فلانٍ فأَوصَى بي إلى فلان ، ثمَّ أَوصى فلانٌ إلى فلانٍ ، ثمَّ أَوصى بي فلانٌ إليك ، فإلى من تُوصي بي ؟ وإلى مَنْ تأْمرُني ؟

قال : واللهِ ما أَعلمُ أَصبحَ على مثلِ ما نحنُ عليه أَحدٌ من الناسِ آمرُكَ أَنْ تأْتيه ، ولكن قد أَظلَّكَ زمانُ نَبيٍّ هو مبعوثٌ بدينِ إبراهيم عليه السَّلامُ ، يخرجُ بأَرضِ العرب إلى أَرضٍ - أظنّه قال - ذاتِ نَخْلٍ ، له علاماتٌ لا تَخْفَى : يأَكلُ الهديّةَ ولا يأَكلُ الصدقةَ ، بين كَتفيه خاتمُ النبوّةِ ، فإنْ استطعتَ أَنْ تخلُصَ لتلكَ البلادِ فافعل ، ثمَّ

ماتَ وغُيِّبَ .

فمكثْتُ بعمّورية ما شاءَ اللهُ أَنْ أَمكثَ ، ثمَّ مرَّ بي نَفَرٌ من كَلْبٍ (١) تُجّارٌ ، فقلتُ لهم : تحملوني إِلى أَرضِ العربِ وأُعطيكم بُقَيراتي وغُنيمتي هذه ؟ قالوا : نعم ، فأَعطيتُهم وحملوني معهم ، حتّى إِذا قدموا وادي القُرى (٢) ظلموني ، فباعوني من رجلٍ يهوديٍّ فكنتُ عنده ، فرأيتُ النخلَ ، فرجَوْتُ البلدَ الّذي وَصَفَ لي صاحبي ، ولم يَحِقَّ (٣) في نفسي .

فبينا أَنا عندَه ، قَدِمَ علينا ابنُ عمٍّ له من بني قُرَيظةَ ، فابتاعني منه ، فحملني إِلى المدينةِ ، فواللهِ ما هو إِلّا أَنْ رأيتها عرفتُها بِصِفَةِ صاحبي ، فأَقمتُ بها ، فبعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَه ﷺ ، وأَقامَ بمكّة ما أَقامَ ، ما أَسمعُ له بِذِكْرٍ مع ما أَنا فيه من شُغل الرِّقّ .

ثمَّ هاجرَ إِلى المدينة .

فواللهِ إِنّي لَفي رأسِ عَذْقٍ (٤) لسيّدي أَعملُ فيه بعضَ العملِ ، وسيّدي جالسٌ تحتي ، إِذ أَقبلَ ابنُ عمٍّ له حتّى وقفَ عليه وقال : قاتلَ اللهُ بَني قَيْلَةَ (٥) ، واللهِ إِنّهم لمجتمعون على رجلٍ قدمَ عليهم من مكّةَ اليومَ ، يزعمونَ أَنّه نبيٌّ !

فلما سمعتُها أَخذني الفرحُ حتّى ظننتُ أَنّي سأسقطُ على سيّدي ، ونزلتُ عن النخلةِ ، وجعلتُ أَقولُ لابنِ عمِّه ذلك : ماذا تقولُ ؟ ماذا تقول ؟

فغضِبَ سيّدي ، فلطَمَني لطمةً شديدةً ، ثمَّ قالَ : ما لَكَ ولهذا ؟ أَقْبِلْ على

---

(١) اسم قبيلة عربيّة .

(٢) منطقة شمال المدينة .

(٣) يثبت ويتأكد .

(٤) غِصْن .

(٥) أَي الأَوس والخزرج ، وقيلة اسمُ أُمّهم .

عملِك ، قلتُ : لا شيءِ ، إنّمّا أردتُ أنْ أَسْتَثْبِتَ عمّا قال .

وقد كانَ عندي شيءٌ قد جمعتُه ، فلمّا أَمسيتُ أَخذتُه ثمَّ ذهبتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو بقُباء ، فدخلتُ عليه فقلتُ : إنّه قد بلغني أنّك رجلٌ صالحٌ ، ومعك أَصحابٌ غرباءُ ذَوُو حاجةٍ ، وهذا شيءٌ كانَ عندي صدَقة ، فرأيتُكم أَحقَّ به من غيرِكم ، وقرَّبته إليه ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لأَصحابِه : كُلوا ، وأَمسكَ هو فلم يأكل منه ، فقلتُ في نفسي : هذه واحدةٌ .

ثمَّ انصرفتُ عنه ، فجمعتُ شيئاً ، فتحوَّلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المدينةِ ، ثمَّ جئتُه به فقلتُ له : رأيتُك لا تأكلُ الصدقةَ ، وهذه هديّةٌ أكرمتُك بها ، فأَكل رسولُ اللهِ ﷺ منها ، وأَمرَ أَصحابَه فأَكلوا ، فقلتُ في نفسي : هاتانِ ثِنْتانِ .

ثمَّ جئتُ رسولَ اللهِ ﷺ ببَقيعِ الغَرْقَدِ وقد اتّبَعَ جنازةَ رجلٍ من الأَنصارِ ، وهو جالسٌ ، فسلَّمتُ عليه ، ثمَّ استدرْتُ أَنْظُرُ إلى ظهرِه ، هل أَرى الخاتمَ الذي وصفَ لي صاحبي ؟ فلمّا رآني رسولُ اللهِ ﷺ استدرْتُ عرفَ أنّي أَسْتَثْبِتُ في شيءٍ وُصِفَ لي ، فأَلقى رداءَه عن ظهرِه ، فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه ، فأَكْبَبتُ عليه أُقبِّلُه وأَبكي ، فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ : تحوَّل ، فتحوَّلتُ فجلستُ بين يديه - فقصصْتُ عليه حديثي كما حدثْتُكَ يا ابنَ عبّاس - فأَعْجَبَ رسولَ اللهِ ﷺ أَن يسمعَ ذلك أَصحابُه .

ثمَّ شَغل سلمانَ الرّقُّ حتّى فاته مع رسولِ اللهِ ﷺ بَدْراً وأُحداً ، ثمَّ قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كاتبْ يا سلمانُ » فكاتبتُ صاحبي على ثلاثِ مئةِ نخلةٍ أُحْييها له ، وبأربعين أُوْقيّةً ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لأَصحابِه : « أَعينوا أَخاكُم » ، فأَعانوني في النخلِ ، الرَّجلُ بثلاثين ، والرَّجلُ بعشرين ، والرَّجلُ بخمسَ عشرةَ ، والرَّجلُ بعشرٍ ، والرَّجلُ بقدرِ ما عندَه ، حتّى اجتمعت لي ثلاثُ مئةِ نخلةٍ ، فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ : « اذهب يا سلمانُ فأَرِني حتّى أَكونَ أَنا أَضعها بيدي » ، ففقَّرْتُ (١) لها ،

---

(١) حفرت .

وأَعانني أَصحابي ، حتّى إذا فرغتُ جئتُه فأَخبرتُه .

فخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ معي إِليها ، فجعلتُ أُقرِّبُ له الوَدِيَّ [١] ويضعُه رسولُ اللهِ ﷺ بيدِه حتّى فرغنا ، فوالذي نفسُ سلمانَ بيدِه ما ماتَ منه وَدِيَّةٌ واحدةٌ .

فأَدَّيْتُ النخلَ وبقي عليَّ المالُ ، فأُتيَ رسولُ اللهِ ﷺ بمثلِ بيضةِ الدجاجةِ من ذهبٍ من بعضِ المغازي ، فقال : « ما فعلَ الفارسيُّ المُكاتِبُ » ؟ فدُعيتُ له ، فقال : « خذ هذه فأَدِّها بما عليك » ، فقلتُ : وأَين تقعُ هذه يا رسولَ اللهِ ممّا عليّ ؟ فقال : « خذها ؛ فإِنَّ الله عزَّ وجلَّ سيُؤَدّيها عنك ، فوزنتُ له منها - والذي نفسُ سلمان بيده - أَربعين أُوقيّة ، وأَوْفيتُهم حقَّهم ، وعتقَ سلمانُ ، وشهدَ مع رسولِ اللهِ ﷺ الخندقَ ، ثمَّ لم يَفُتْه مَشْهَدٌ .

... هذا آخِرُ القصّة ، وقد أَخرجها أَحمدُ ، والعدني في « مسنده » وابنُ سعد ، والطبرانيُّ في « الكبير » وأَبو نُعيم في « الدلائل » و « تاريخ أَصبهان » ، والبيهقيّ في « الدّلائل » ، والخطيبُ في « تاريخه » ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » ، وابنُ الأَثير في « أُسْد الغابة » ، والذهبيُّ في « السِّيَر » ، والضياءُ في « المختارةِ » ، والسخاويُّ في « التحصيل والبيان » من طرق عن ابن إِسحاقَ عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس به .

وقد علّقَ البخاريُّ بعضَها بصيغةِ الجزمِ ،وساقَ بعضَها مسنداً .

قال السخاويُّ عقبَه : « وهذه الطريقُ من أَصحِّ طرقِ هذا الحديث ، وأَقواها إِسناداً وأَحسنِها اقتصاصاً » .

ونحوُه قولُ شيخِه الحافظِ ابن حجر في « الإِصابةِ » .

---

(١) صغار النخل .

وأَخيراً : نُرَدِّدُ مع العلّامةِ الإمامِ ابن القيِّم - رحمه الله - قولَه [١] :

أَبو طالبٍ إذا سُئلَ عن اسمِه ؟ قال : عبد مناف ! وإذا انتسبَ افتخرَ بالآباءِ ! وإذا ذُكرت الأَموالُ عَدَّ الإبلَ !

وسلمان إذا سئلَ عن اسمِه ؟ قال : عبدالله ، وعن نسبه ؟ قال : ابن الإسلام ، وعن مالِه ؟ قال : الفقرُ ، وعن حانوتِه ؟ قال : المسجد ، وعن كَسْبِه ؟ قال : الصبر ، وعن لباسِه ؟ قال : التقوى والتواضعُ ، وعن وسادِه ؟ قال : السهر ، وعن فخرِه ؟ قال : « سلمانُ مِنّا [٢] » ، وعن قصدِه ؟ قال : ﴿ يريدونَ وَجْهَه ﴾ ، وعن سَيْرِه ؟ قال : إلى الجنّة ، وعن دليلِه في الطريق ؟ قال :إمام الخَلْقِ وهادي الأُمّة » .

إذا نحنُ أَدْلَجْنا وأَنتَ إمامُنا   كفى بالمطايا طيبُ ذِكْراك حادِيا
وإنْ نحنُ أَضْلَلْنا الطريقَ ولم نجد   دليلاً كَفَانا نُورُ وجهِكَ هاديا

---

(١) « الفوائد » (ص ٥٤) .

(٢) إشارة إلى ما صحَّ عن عليٍّ رضي اللهُ عنه أنّه قال : « سَلْمان منّا أَهلَ البيتِ » ، رواه الفَسَويُّ في « المعرفة والتاريخ » (٢ / ٥٤٠) والطبرانيّ في « الكبير » (٦٠٤١) والخطيب البغداديّ في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (٢ / ٢٦٢) .

مسائل ... وأجوبتها

العلَّامة المحدِّث محمَّد ناصرالدين الألباني

السُّؤال : ما الحكم الشرعي في صلاة الجماعة الثانية في المسجد ؟

الجواب : اختلف الفقهاء في حُكْمِ صلاة الجماعة الثانية ، ولكن قبل ذكر الخلاف ، وبيان الراجح من المرجوح لابد من تحديد الجماعة التي اختلفوا فيها .

موضوع الخلاف هو في جماعةٍ تقام في مسجدٍ له إِمام راتب ومؤذِّن راتب ، أَمَّا الجماعات التي تقام في أَي مكان : في دار ، أَو مسجدِ طريقٍ ، أَو دكَّان فلا مانع من تكرار الجماعة في هذه المواطن .

ويأْخذ العلماء الذين يقولون بكراهة تعدد الجماعة في مثل هذا المسجد - الذي له إِمام راتب ومؤذِّن راتب - هذا الحكمَ من استدلالين اثنين : أَحدهما نقليٌّ من الشارع ، والآخر نظريٌّ وهو تأَمل الرواية ، والحكمة من مشروعية صلاة الجماعة .

أَمّا النقل : فقد نظروا فوجدوا أَنَّ النَّبي ﷺ ظلَّ طيلة حياته يصلِّي بالنَّاس جماعةً في مسجده ، ومع ذلك فكان الفرد من أَصحابه إِذا حضر المسجد وقد فاتته الجماعة صلَّى وحده ولم ينتظر ، ولم يلتفت يمينًا ويسارًا - كما يفعل النَّاس اليوم يطلبون شخصًا أَو أَكثر ليصلي أَحدهم بهم إِمامًا .

ولم يكن السَّلف يفعلون شيئًا من هذا ؛ فإِذا دخل أَحدُهم المسجد ووجد النَّاس قد صلَّوا صلَّى وحده ، وهذا ما صرَّح به الإِمام الشافعي في كتابه « الأُم » - وكلامه في الواقع من أَجمع ما رأَيت من كلام الأَئِمَّة في هذه المسأَلة - حيث قال : « وإِذا دخل جماعةٌ المسجد ، فوجدوا الإِمام قد صلَّى صلَّوا فرادى ، فإِنْ صلَّوا جماعةً

أَجزأْتهم صلاتهم ، ولكنِّي أَكره لهم ذلك ؛ لأَنَّه لم يكن من أَحوال السَّلف » .

ثمَّ قال : « وأَمَّا مسجدٌ في قارعة الطريق - ليس له إِمام راتب ومؤذِّن راتب - فلا بأْس من تعدد الجماعة فيه » .

ثمَّ قال : « وإِنَّا قد حفظنا أَنَّ جماعة من أَصحاب النَّبي ﷺ فاتتهم صلاة مع الجماعة ، فصلَّوا فرادى مع أَنَّهم كانوا قادرين على أَن يجمعوا فيه مرة أُخرى ، لكنهم لم يفعلوا ؛ لأَنَّهم كرهوا أَن يجمعوا في مسجدٍ مرَّتين » .

هذا كلام الإِمام الشافعي ، وما ذكره من أَنَّ الصَّحابة كانوا يصلُّون فرادى إِذا فاتتهم صلاة الجماعة - ذكره معلقًا بصيغة الجزم لهذا المعلَّق ، ووصله الحافظ أَبو بكر ابن أَبي شيبة في كتابه المشهور « المصنَّف » رواه بإِسناد قوي عن الحسن البصري أَنَّ الصحابة كانوا إِذا فاتتهم الصَّلاة مع الجماعة صلَّوا فرادى .

وذكر هذا المعنى ابن القاسم في « مدونة الإِمام مالك » عن جماعة من السَّلف ، كنافع مولى ابن عمر ، وسالم بن عبداللَّه ، وغيرهما أَنَّهم كانوا إِذا فاتتهم الصَّلاة صَلَّوا فرادى ولم يعيدوها جماعة مرة أُخرى .

وأَيضًا روى الإِمام الطَّبراني في « معجمه الكبير » بإِسناد جيد عن ابن مسعود أَنَّه خرج مع صاحبين له من بيته إِلى المسجد لصلاة الجماعة ، وإِذا به يرى النَّاس يخرجون من المسجد وقد انتهوا منها ، فعاد وصلَّى بهما إِمامًا في بيته ؛ فرجوع ابن مسعود - وهو من هو في صحبته للرَّسول ﷺ وفي معرفته وفقهه للإِسلام - لو كان يعلم مشروعيةَ تعدُّدِ الجماعات في المسجد الواحد لدخل بصاحبيه وصلَّى بهما جماعة ؛ لأَنَّه يعلم قول الرَّسول ﷺ : « أَفضل صلاة المرء في بيته إِلَّا المكتوبة » . فما الذي منع ابن مسعود أَنْ يصلِّي هذه المكتوبة في المسجد ؟ عِلْمُهُ أَنَّه إِنْ صلَّاها في المسجد فسيصلِّيها وحده ، فرأَى أَن يجمع بهما في بيته أَفضل من أَنْ يصلي هو ومن معه ، كلٌّ على انفراد في المسجد .

فهذه المجموعة من النقول تؤيد وجهة نظر الجمهور الذين كرهوا تعدد الجماعة في المسجد الموصوف بالصيغة السَّابقة .

ثمَّ لا يعدم الإنسان أَن يجد أَدلَّة أُخرى مع شيء من الاستنباط والنظر الدقيق فيها ، فقد روى الإِمامان البخاري ومسلم من حديث أَبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لقد هممت أَن آمر رجلًا فيصلي بالنَّاس ، ثمّ آمر رجالًا فيحْتطِبوا حطبًا ، ثمَّ أُخالف إِلى أُناسٍ يَدَعون الصَّلاة مع الجماعة فأُحرِّق عليهم بيوتهم ، والذي نفس محمَّد بيده ، لو يعلم أَحدهم أنَّه يجد في المسجد مرماتين حسنتين لشهدهما » ؛ ففي هذا الحديث تهديد الرَّسول ﷺ المتخلِّفين عن حضور صلاة الجماعة في المسجد بالتحريق بالنَّار ، فأَنا أَرى أَنَّ هذا الحديث وحده يُشعرنا بالحكم السابق ، أَو يشعرنا بما ذكر الإِمام الشافعي ووصله ابن أَبي شيبة ؛ وهو أَنَّ الصحابة لم يكونوا يكررون الصَّلاة جماعةً في المسجد ، ذلك لأَنَّنا إِنْ سوَّغنا أَنَّ الجماعة الثانية والثالثة كانت مشروعة في المسجد ، ثمَّ جاء هذا الوعيد الشديد من رسول ﷺ للمتخلفين عن صلاة الجماعة ، فأَي جماعة هذه التي هم يتخلَّفون عنها ، ويترتب على تخلُّفهم عنها هذا الوعيد الشديد ؟

فإِنْ قيل : هي الجماعة الأُولى .

قيل : إِذن هذه الجماعة الأُخرى غير مشروعة ، وإِنْ قيل : إِنَّ هذا الوعيد إِنَّما يشمل المتخلف عن كل جماعة مهما كان رقمها التسلسلي ؛ حينئذٍ لم تقم الحجة من رسول اللَّه ﷺ مطلقًا على أَي متخلف عن أَي جماعة ؛ لأَنَّه لو فاجأَ بعض المتخلفين حينما أَناب عنه ، فجاء إِلى بيوتهم فوجدهم يلهون مع نسائهم وأَولادهم فأَنكر عليهم : لماذا لا تذهبون للصَّلاة مع الجماعة ؟ فيقولون : نصلي مع الجماعة الثانية أَو الثالثة ، فهل تقوم حجَّة للرسول ﷺ عليهم ؟ لذلك فإِن همَّ الرَّسول ﷺ بإِنابة شخص يقوم مقامه ، وأَنْ يفاجئ المتخلفين عن صلاة الجماعة فيحرق عليهم بيوتهم - لأَكبر دليل على أَنَّه لم يكن هناك جماعةٌ ثانيةٌ إِطلاقًا . هذا بالنِّسبة إِلى النقول التي

اعتمد عليها العلماء .

أَمَّا النَّظر ؛ فهو على الوجه الآتي : صلاة الجماعة قد جاء في فضلها أَحاديث كثيرة منها الحديث المشهور « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذِّ بخمس وعشرين – وفي رواية : بسبع وعشرين – درجة » فهذه الفضيلة إِنَّما جاءت لصلاة الجماعة .

وجاء في بعض الأَحاديث : « أَنَّ صلاة الرجل مع الرجل أزكى عند اللَّه من صلاته وحده ، وصلاة الرجل مع الرجلين أَزكى عنداللَّه من صلاته مع الرَّجل » ، وهكذا كلما كثرت الجماعة وأَفرادها ، تضاعف أَجرها عند ربِّها .

فإِذا تذكرنا هذا المعنى ثمَّ نظرنا عاقبة القول بجواز تكرار الجماعة في المسجد الذي له إِمام راتب فإِنَّ هذه العاقبة أَسوأُ عاقبة بالنسبة لمثل هذا الحكم الإِسلامي أَلا وهو صلاة الجماعة ؛ ذلك لأَنَّ القول بتكرار الجماعة سيؤدِّي إِلى تقليل عدد الجماعة الأُولى ، وهذا ينقض الحثَّ الذي يفيده حديث : « صلاة الرجل مع الرجل أَزكى من صلاته وحده ... » ؛ لأَنَّ هذا الحديث يحض على تكثير الجماعة ، والقول بتكرار الجماعة في المسجد يؤدِّي – بالضرورة – إِلى تقليل عدد أَفراد الجماعة الشرعية الأُولى ، وتفريق وحدة المسلمين .

وشيء آخر يقتضيه النَّظر السَّليم وهو أَنْ نتذكر أَنَّ حديث ابن مسعود في « صحيح مسلم » نحو حديث أَبي هريرة : « لقد هممت أَن آمر رجلًا فيصلي بالنَّاس ... إِلى آخره » ، جاء هذا الحديث في حقِّ المتخلفين عن صلاة الجمعة ، فإِذا علمْنا أَنَّ ابن مسعود صبَّ وعيدًا من نوع واحد على كلٍّ ممن يتخلَّف عن صلاة الجمعة ، وعن صلاة الجماعة ، حينئذٍ نعرف أَنَّ هاتين الصَّلاتين من حيث التصاقُهما بصلاة الجماعة فإِنَّ هذا الوعيد يعني أَن لا جماعة ثانية بعد كلٍّ من الصَّلاتين ؛ فصلاة الجمعة – حتى الآن – حافَظَ على وحدتها وعلى عدم القول بمشروعية تعددها في المسجد الواحد جميعُ العُلماء على اختلاف مذاهبهم ، لذلك تجد المساجد غاصَّة بالمصلين يوم الجمعة ، وإِنْ كان لا يفوتنا أَن نتذكر أَنَّ من أَسباب امتلاء المساجد يوم

الجمعة هو أَنَّ هناك من يحضر الجمعة ولا يحضر الصلوات الأُخرى ، ولكن مما لا شك فيه أَن امتلاء المساجد يوم الجمعة بالمصلين سببه أَنَّ المسلمين لم يتعوَّدوا – والحمد للَّه – أَنْ يكرروا صلاة الجمعة في المسجد الواحد ، فلو أَنَّ المسلمين عاملوا صلاة الجماعة كما عاملوا صلاة الجمعة وكما كان الأَمر عليه في عهد الرسول ﷺ ، لكادت المساجد أَنْ تمتلئ بالمصلين ؛ لأَنَّ كلَّ حريص على الجماعة سيكون قائمًا في ذهنه أَنَّه إِنْ فاتته الصَّلاة الأُولى ، فلا يمكن له أَنْ يتداركها فيما بعد ، فيكون هذا الاعتقاد حافزًا له على الحرص الشَّديد على صلاة الجماعة ، والعكس بالعكس تمامًا ، إِذا قام في نفس المسلم أَنَّه إِنْ فاتته هذه الجماعة الأُولى فيوجد جماعة ثانية وثالثة ... وعاشرة أَحيانًا ، فهذا مما سيُضعف همَّته وحرصه عن الحضور للجماعة الأُولى .

بقي لدينا أَمران اثنان :

الأَوَّل – أَنْ نبيِّن أَنَّ الذين ذهبوا إِلى عدم مشروعية الجماعة الثانية على التفصيل السَّابق ، وكراهة فعلها هم جمهور الأَئمَّة من السَّلف ، وفيهم الأَئمَّة الثلاثة : أَبو حنيفة ومالك والشافعي ، والإِمام أَحمد معهم في رواية ، لكن هذه الرواية غير مشهورة عند أَتباعه اليوم ، وإِنْ كان ذكرها أَخصُّ تلامذته وهو أَبو داود السجستاني ؛ فقد روى عنه في كتاب « مسائل الإِمام أَحمد » أَنَّه قال : « إِنَّ تكرار الجماعة في المسجدين الحرمين أَشد كراهة » ، فهذا – من باب التفضيل – يشعرنا بأَنَّ الكراهة في المساجد الأُخرى موجودة بتكرار الجماعة ، ولكنها أَشد في المسجدين ، وهو في هذه الرواية يلتقي مع الأَئمَّة الثلاثة .

الثَّاني – أَنَّ الرواية الأُخرى عن الإِمام أَحمد والمشهورة عن أَتباعه فعمدته فيها هو ومن تابعه من المفسرين حديثٌ يرويه الترمذي والإِمام أَحمد وغيرهما من حديث أَبي سعيد الخدري ، أَنَّ رجلًا دخل المسجد والرَّسول ﷺ قد صلَّى وحوله أَصحابه ، فأَراد هذا الرجل أَنْ يصلِّي ، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « أَلا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه » ، فقام رجل فصلى معه ، وفي رواية لأَبي بكر البيهقي في « سننه



الكبرى » أَنَّ هذا الرَّجل هو أَبو بكر الصدِّيق ، لكن هذه الرواية في إِسنادها ضعف ، والرواية الصحيحة لم يُسَمَّ فيها الرجل ، فقد احتجّوا بهذا الحديث وقالوا : إِنَّ الرَّسول ﷺ أَقرَّ الجماعة الثانية !

والجواب على هذا الاستدلال هو أَنْ نلاحظ أَنَّ الجماعة التي تضمّنها الحديث هي غير الجماعة التي يجري حولها السؤال ، فإِنَّ الجماعة التي تضمنها الحديث هي جماعة إِنسان دخل المسجد بعد الجماعة الأُولى ، ويريد أَنْ يصلي وحده ، فحضَّ الرَّسولُ ﷺ أَصحابَه الذين كانوا قد صلَّوا معه أَن يقوم أَحدهم فيتطوع ويصلي نافلة ، ففعل ، وكذلك وقع ؛ فهذه الجماعة مؤلفة من شخصين : إِمام ومأْموم ، الإِمام مفترض والمأْموم متنفل ، فمن هو الذي عقد هذه الجماعة ؟ لولا المتنفل ما كان هناك جماعة ، إِذن هذه جماعة تطوع وتنفل ، وليست جماعة فريضة ، والخلاف إِنَّما يدور حول جماعة فريضة ثانية ، ولهذا فإِنَّ الاستدلال بحديث أَبي سعيد على موضع النزاع غير صحيح ، والذي يؤكد هذا أَنَّ الحديث يقول : « أَلا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه » ، وهذه الحادثة - التي وقعت - فيها متصدِّق ، وفيها متصدَّق عليه ، فلو سأَلنا أَقَلَّ النَّاس فهمًا وعلمًا : مَن المتصدِّق ؟ ومَن المتصدَّق عليه في هذه الحالة التي أَقرَّها الرَّسول ﷺ ؟ سيكون الجواب : المتصدِّق هو المتنفل الذي صلى الفريضة وراء رسول اللَّه ﷺ ، والمتصدَّق عليه هو الذي جاء متأَخِّرًا .

السؤال نفسه إِذا طرحناه في الجماعة التي هي موضع النِّزاع : دخل ستَّة أَو سبعة المسجد ، فوجدوا الإِمام قد صلَّى فأَمَّهم أَحدهم وصلَّى بهم جماعة ثانية ، فمَنْ هو المتصدِّق من هؤلاء ، ومن هو المتصدَّق عليه ؟ لا أَحد يستطيع أَن يقول كما استطاع أَنْ يقول في الصورة الأُولى ، فهذه الجماعة التي دخلت بعد صلاة الإِمام كلُّهم يصلِّي فرض الوقت ، ليس هناك متصدِّق ولا متصَدَّق عليه ، وسرُّ هذا واضح في الصورة الأُولى : المتصدِّق هو الرَّجل المتنفل الذي صلَّى وراء الرَّسول ﷺ وكتبت صلاته بسبع وعشرين درجة ، فهو إِذن غني وبإِمكانه أَن يتصدَّق على غيره ، والَّذي

صلَّى إمامًا – ولولا ذلك المتصدِّق عليه لصلَّى وحيدًا – فقيرٌ ، وهو بحاجةٍ إلى من يتصدَّق عليه ؛ لأنه لم يكتسب ما اكتسب المتصدِّق عليه .

وواضح سبب كون هذا متصدِّقًا وهذا متصدَّقًا عليه ، أمَّا في صورة النزاع فالصورة غير واضحة ؛ لأنَّهم كلهم فقراء ، كلهم فاتتهم فضيلة الجماعة الأُولى فلا ينطبق قول الرسول ﷺ : « ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه » ، فعلى مثل هذه الحالةِ لا يصحُّ الاستدلال بهذه الحادثة ، ولا على هذه المسألة التي هي موضع البحث .

ونَضمُّ جهة أُخرى من استدلالهم هي قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة » ، فاستدلوا بإطلاقٍ ؛ أي أنَّهم فهموا أنَّ (ألَ) في كلمة الجماعة للشمول ؛ أي أنَّ كل صلاة جماعة في المسجد تفضل صلاة الفذِّ ، ونحن نقول بناءً على الأدلَّة السَّابقة : إنَّ (ألَ) هذه ليست للشمول ، وإنَّما هي للعهد ؛ أي أنَّ صلاة الجماعة التي شرعها الرَّسول ﷺ ، وحض النَّاس عليها ، وأمر النَّاس بها ، وهدَّد المتخلفين عنها بحرق بيوتهم ، ووصف مَنْ تخلَّف عنها بأنَّه من المنافقين – هي صلاة الجماعة التي تَفْضُل صلاة الفذِّ ، وهي الجماعة الأُولى .

والله تعالى أعلم .

السُّنَّة النَّبويَّة بين أَتباعها وأَعدائها

سليم بن عيد الهلالي

هذه نبذٌ علمية أَضعها بين يدي محبِّي السنَّة النَّبويَّة رعايةً لحقِّها على أَتباعها ، ودحضًا لزيف شبهات أَعدائها ، ومدار هذه النُّبذ على حديث عظيم أَسوقه محرَّرًا بأَلفاظه ، موثَّقًا برواياته ، وأَذكر شواهده بالتفصيل ، ثمَّ أَكرُّ عليه بالتحليل والتأصيل ، سائلًا المولى التوفيق :

قال ﷺ :

« أَلا إِنِّي أُوتيت الكتاب [القرآن] ومثله معه ، أَلا يوشك رجل [ينثني] شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ؛ فما وجدتم فيه من حلالٍ فأَحلُّوه ، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه ، أَلا لا يحلُّ لكم الحمار الأَهلي ، ولا كل ذي ناب من السِّباع ، ولا لقطة معاهد إِلَّا أَنْ يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أَن يَقروه ؛ فإِن لم يَقروه فله أَنْ يعقبهم بمثل قِراه » .

توثيق الحديث :

صحيح - أَخرجه أَبو داود (٤٦٠٤) ، وأَحمد (٤ / ١٣٠ - ١٣١) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (١ / ١٤٩ - ١٥٠) ، والبيهقي في « دلائل النبوَّة » (٦ / ٥٤٩) ، والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٩) ، و « الكفاية » (ص ٨) ، وابن نصر المروزي في « السنَّة » (ص ١١٦) ، والآجري في « الشريعة » (ص ٥١) ، والحازمي في « الاعتبار » (ص ٧) كلهم من طريق حَريز بن عثمان



الرَّحَبي ، عن عبدالله بن أَبي عوف الجُرَشي ، عن المِقدام بن مَعْدِي كَرِب الكِندي رضي الله عنه يرفعه .

قلت : حَريز بن عثمان الرَّحَبي ثقة ثبت ، لكنه رمي بالنصب كما في « ميزان الاعتدال » (١ / ٤٧٥) ، و « التقريب » (١ / ١٥٩) .

وهذا لا يضره - إِنْ شاء الله - كما هو مقرَّر عند ذوي المعرفةِ بهذا الفن اللطيف ، والعلم المنيف الشريف ، وقد وضَّحه الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » (١ / ٥ - ٦) في ترجمة أَبان بن تغلب الكوفي .

وهذا القول من باب التنزُّل ؛ لأَنَّ هذا الاتهام ليس له قوائم صدق ، فهو غير ثابت ، كما وضَّحه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨ / ٢٦٦) قائلًا : « وكان ثقةً ثبتًا ، وحكي عنه مِنْ سوء المذهب ، وفساد الاعتقاد **ما لم يثبت عليه** » .

وقال أَبو حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٣ / ٢٨٩) : « حَريز بن عثمان حسن الحديث ، **ولم يصحَّ عندي** ما يقال في رأيه ، ولا أَعلم بالشام أَثبت منه ، ... وهو ثقة متقن » .

وقال مؤرخ الإِسلام الحُفَظَة الذهبي في « سير أَعلام النُّبلاء » (٧ / ٨١) بعد أَن نقل الأَقوال التي تحكي عن حريز بن عثمان سوء المذهب : « **هذا الشيخ كان أَورع من ذلك** ، وقد قال معاذ بن معاذ : لا أَعلم أَني رأَيت شاميًّا أَفضل من حريز » .

وبهذا تبيَّن تبيُّنَ الصبح لذي عينين أَنَّ حريز بن عثمان الرَّحبي بريء مما نَسَبَ إِليه شانئوه .

وحسبك أَنَّه تبرأَ مما قيل فيه ، كما في « تهذيب تاريخ دمشق » (٤ / ١١٨) : « قال علي بن عيَّاش : سمعت حريزًا يقول لرجل : **ويحك ؛ أَمَّا خفت الله عزَّ وجلَّ ، حكيت عنّي أَنّي أَسبُّ عليًا** ، والله ما أَسبُّه وما سببته قطُّ . وقال له رجل : بلغني أَنَّك لا تترحَّم على عليٍّ ، فقال للقائل : اسكت ؛ رحمه الله مائة مرَّة » .

وبذلك تعلم أَنَّ احتمال ابن حجر في « هدي السَّاري » (ص ٣٩٦) بأَنَّه كان ناصبيًّا ثمَّ ترك - لا يستقيم أَمره ، وكذلك قول ابن حبَّان في « المجروحين » (١ / ٢٦٨ - ٢٦٩) : « وكان داعيةً إِلى مذهبه » .

ورحم اللَّه أَبا جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري القائل :

« لو كان كلُّ من ادُّعِيَ عليه مذهب من المذاهب الرديئة ، ثبت عليه ما ادُّعِيَ به ، وسقطت عدالتُه ، وبطلت شهادته بذلك - للزم ترك أَكثر محدِّثي الأَمصار ؛ لأَنَّه ما منهم أَحدٌ إِلَّا وقد نسبه قوم إِلى ما يُرغب به عنه »[1].

ومَنْ فوقه ثقة ، يقال : إِنَّه أَدرك النَّبي ﷺ ، كما في « التقريب » (١ / ٤٩٤) .

والزيادة الأُولى ثابتة صحيحة تتابع عليها ثلاثة ثقات أَثبات :

١ - يزيد بن هارون ، عند أَحمد (٤ / ١٣٠ - ١٣١) .

٢ - أَبو اليمان - وهو الحكم بن نافع البَهْراني الحمصي - مقرونًا مع علي بن عيَّاش الألهاني ، عند الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ٨) و « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٩) .

والزيادة الثانية عند أَحمد (٤ / ١٣٠ - ١٣١) .

* وقد تابع حريزًا مروانُ بن رؤبة التَّغلبي عن عبدالرحمن بن أَبي عوف الجُرَشي عن المقدام بن مَعْدِي كَرِب رضي اللَّه عنه أَنَّ النَّبي ﷺ قال : « إِنِّي قد أُوتيت الكتاب وما يعدله ، يوشك رجل شبعان على أَريكته يقول : بيننا وبينكم الكتاب ، فما كان فيه من حلالٍ أَحللناه ، وما كان فيه من حرامٍ حرمناه ، أَلا وإِنَّه ليس كذلك ؛ أَلا لا يحلُّ أَكل كلِّ ذي ناب من السِّباع ، ولا الحمار الأَهلي ، ولا اللُّقَطة من مال معاهدٍ إِلَّا أَنْ يستغني عنها ، وأَيُّما رجل ضاف قومًا فلم يَقروه ، فإِنَّ له أَنْ يعقبهم بمثل قِراه » .

---

(١) « هدي الساري مقدمة فتح الباري » لابن حجر : (ص ٤٢٨) .

أَخرجه الدارقطني (٤ / ٢٨٧) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٩) ، وابن نصر في « السنَّة » (ص ١١٦) ، وأَبو داود (٣٨٠٤) - شطره الأَخير - ، وابن حبَّان في « صحيحه » (١ / ١٧٣) و (٩٧ - موارد) - شطره الأَوَّل - .

قلت : مروان بن رؤبة التغلبي (مقبول) كما في « التقريب » (٢ / ٢٣٩) ، أَي عند المتابعة - وقد توبع .

* وللحديث طريق آخر ، أَخرجه الترمذي (٢٦٦٤) وحسَّنه ، وابن ماجه (١ / ٦) ، وأَحمد (٤ / ١٣٢) ، والدارقطني (٤ / ٢٨٦) ، والدارمي (١ / ١٤٤) ، والبيهقي (٧ / ٧٦) ، والحاكم وصححه ووافقه الذَّهبي ، والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٨) و « الكفاية » (ص ٨ - ٩) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢ / ١٩٠) ، والحازمي في « الاعتبار » (ص ٢٥) ، والسمعاني في « أَدب الإِملاء والاستملاء » (ص ٣) عن معاوية بن صالح عن الحسن بن جابر عن المقدام بن مَعْدِي كَرِب رضي اللَّه عنه يقول :

[حرَّم رسولُ اللَّه ﷺ يوم خيبر أَشياء] [منها الحمار الأَهلي وغيره] ثمَّ قال : « يوشك الرجل متكئًا على أَريكته ، يُحَدَّثُ بحديثٍ من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ ؛ فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرَّمناه ، أَلَّا وإِنَّ ما حرَّم رسول اللَّه ﷺ مثل ما حرَّم اللَّه » .

قلت : الحسن بن جابر اللخمي الكِندي « مقبول » كما في « التقريب » (١ / ١٦٤) ، يعني عند المتابعة .

والزِّيادة الأُولى عند أَحمد ، والدارمي ، والبيهقي ، والخطيب البغدادي ، والدارقطني ، والحازمي .

والزيادة الثانية عند البيهقي ، والخطيب البغدادي .

* وللحديث شواهد كثيرة عن جماعة من الصحابة رضي اللَّه عنهم ، وإِنْ



كان بعضها مما لا يُفرح به ، لكن أذكرها للمعرفة :

الأوَّل – عن العرباض بن سارية السُّلمي رضي اللَّه عنه قال : نزلنا مع النَّبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أَصحابه ، وكان صاحب خيبر رجلًا ماردًا منكرًا (وفي رواية : ومكر صاحب خيبر مكرًا ماردًا) ، فأَقبل إِلى النَّبي ﷺ فقال : يا محمَّد ؛ أَلكم أَن تذبحوا حُمُرَنا ، وتأكلوا ثمرنا (وفي رواية : بقرنا) وتضربوا نساءنا [وتدخلوا بيوتنا] ؟ فغضب النَّبي ﷺ وقال : « يا ابن عوف ، اركب فرسك ثمَّ ناد : أَلا إِنَّ الجنَّة لا تحلُّ إِلَّا لمؤمن ، وأَنِ اجتمِعوا للصَّلاة » قال : فاجتمعوا ، ثمَّ صلَّى بهم النَّبي ﷺ ثم قال : « أَيحسب أَحدكم متكئًا على أَريكته قد يظن أَنَّ اللَّه لم يحرِّم شيئًا إِلَّا ما في القرآن ، أَلا وإِنِّي واللَّه قد وعظت ، وأَمرت ، ونهيت عن أَشياء إِنَّها لمثل القرآن أَو أَكثر ، وإِنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لم يُحلَّ لكم أَنْ تدخلوا بيوت أَهل الكتاب إِلَّا بإِذن ، ولا ضرب نسائهم ، ولا أَكل ثمارهم إِذا أَعطوكم الذي عليهم » .

حسن – أَخرجه أَبو داود (٣٠٥٠) ، ومن طريقه ابن عبدالبر في « التمهيد » (١ / ١٤٩) ، والبيهقي (٩ / ٢٠٤) ، وابن حزم في « الإِحكام » (٢ / ٢١) .

وأَخرجه الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ٩) ، وابن نصر المروزي في « السنَّة » (ص ١١٦ – ١١٧) كلهم عن محمَّد بن عيسى ، قال : ثنا أَشعث بن شعبة المِصِّيصي ، قال : ثنا أَرطأَةُ بن المنذر ، قال : سمعت حكيم بن عامر أَبا الأَحوص يحدِّث عن العرباض بن سارية السُّلمي ، فذكره .

قلت : محمَّد بن عيسى ابن الطباع – هو ابن نجيح البغدادي – ثقة ثَبْت ؛ كما في « التقريب » (٢ / ١٩٨) .

وأَشعث بن شعبة المصّيصي حسن الحديث إِنْ شاء اللَّه ، ليَّنه أَبو زرعة وغيره كما في « ميزان الاعتدال » (١ / ٢٦٥) ، ووثَّقه ابن حبَّان ، وأَبو داود ، كما في « تهذيب التهذيب » (١ / ٣٥٤) .

روى عنه جماعةٌ : إِبراهيم بن الحسين الأَنطاكي ، وأَبو الطَّاهر أَحمد بن عمرو ابن السرح المصري ، والحسن بن الرَّبيع البوراني ، وسفيان بن محمَّد المصِّيصي ، وسلمة بن غَفَّار ، وعبدالوهاب بن نجدة الحَوطي ، وعلي بن معبد بن شداد الرَّقِّي ، ومحمَّد بن عيسى ابن الطَّباع ، والمسيب بن واضح ، وهشام بن المُفَضَّل ، ويعقوب ابن كعب الأَنطاكي ، وأَبو رضوان اليمان بن سعيد المصيصي ، كما في « تهذيب الكمال » (٣ / ٢٧٠) .

وأَرطأَةَ بن المنذر : ثقة .

وحكيم بن عُمَير : صدوق يهم ، كما في « التقريب » (١ / ١٩٤) ، وقال أَبو حاتم : لا بأْس به ، كما في « الجرح والتعديل » (٣ / ٢٠٦) .

الثاني – عن أَبي رافع رضي اللّه عنه أَنَّ رسول اللّه ﷺ قال : « لا أُلفيَنَّ أَحدكم متكئًا على أَريكته يأَتيه الأَمر من أَمري ، مما أَمرت به ، أَو نَهيت عنه فيقول : لا أَدري ؛ ما وجدناه في كتاب اللّه اتبعناه » .

صحيح - أَخرجه أَبو داود (٤٦٠٥) ، وابن ماجه (١ / ٦) ، والترمذي (٥ / ٣٧) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، والبيهقي في « سننه الكبرى » (٧ / ٧٦) وفي « دلائل النُّبوَّة » (١ / ٢٤ و ٦ / ٥٤٩) ، والحاكم (١ / ١٠٨) وقال : « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي ، والبغوي في « شرح السنة » (١ / ٢٠٠ - ٢٠١) وقال : « هذا حديث حسن » ، والشافعي في « الرِّسالة » (ص ٨٩ ، ٢٢٥ ، ٤٠٣) ، والحميدي (٥٥١) ، وابن حبَّان في « صحيحه » (١ / ١٧٤) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٨) و « الكفاية » (ص ١٠) ، وابن عبدالبر في « التمهيد » (١ / ١٥٠) و « جامع بيان العلم » (٢ / ١٨٩) ، وابن حزم في « الإِحكام في أُصول الأَحكام » (٢ / ٨٢) وصححه ، واللالكائي في « شرح أُصول اعتقاد أَهل السنَّة والجماعة » (١ / ٨٢) ، والآجري

في « الشريعة » (ص ٥٠) كلهم من طريق سفيان ، عن سالم أَبي النضر مولى عمر ابن عبيدالله سمع عبيدالله بن أَبي رافع يحدِّث عن أَبيه مرفوعًا .

قلت : وهذا إِسناد صَحيح ، أَبو رافع القِبطي رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ ، واسمه أَسلم ، على الصحيح ، كما صرَّح به الترمذي والبغوي ، وابنه عبيدالله ومن دونه ثقات .

لكن وقع اختلاف في إِسناد الحديث ، لا يضرُّ إِنْ شاء الله ، ودونك التفصيل :

١ - عند ابن ماجه وقع شك : حدَّثنا نصر بن علي الجهضمي : ثنا سفيان بن عيينة - في بيته ، أَنا سأَلته - عن سالم أَبي النضر ، ثمَّ مرَّ في الحديث قال : أَو زيد ابن أَسلم عن عبيدالله بن أَبي رافع عن أَبيه أَنَّ رسولَ الله ﷺ (وذكره) .

لكنني بحمد الله وجدت متابعاتٍ ترفع الشك والاحتمال عن سفيان :

أ - أَخرج أَحمد (٦ / ٨) عن علي بن إِسحاق : أَنا عبدالله : أَنا ابن لهيعة : حدَّثني أَبو النضر أَنَّ عبيدالله بن أَبي رافع حدَّثه عن أَبيه عن النَّبي ﷺ (وذكره) .

قلت : هذه متابعة تامَّة صحيحة الإِسناد ، وابن لهيعة وإِنْ كان سيِّءِ الحفظ فرواية العبادلة عنه تُصحِّح حديثه .

قال الأَزدي والسَّاجي : « إِذا روى العبادلة عن ابن لهيعة فهو صحيح : ابن المبارك ، وابن وهب ، والمقرئ » ، أَفاده الحافظ في « التهذيب » (٥ / ٣٧٨) .

وقال عبدالرحمن بن مهدي : « لا أَعتدُّ بشيء سمعته من حديث ابن لهيعة إِلَّا سماع ابن المبارك ونحوه » ، أَفاده الحافظ في « التهذيب » (٥ / ٣٧٥) .

قلت : وأَقرَّهم الحافظ ابن حجر في « التقريب » (١ / ٤٤٤) فقال : « ورواية ابن المبارك ، وابن وهب عنه أَعدل من غيرها » إ.هـ .

وهذه المتابعة من رواية عبدالله بن المبارك عنه ، فتدبَّر (!) ، وقد قصَّر الشيخ أَحمد شاكر رحمه الله ، فقال في تعليقه على « الرسالة » (ص ٩٠) بعد أَنْ ذكر

إِسناد المتابعة[1]: « وابن لهيعة ثقة ، وقد صرَّح بالسَّماع من أَبي النَّضر » .

قلت : ابن لهيعة لم يُجرح بالتدليس فقط ، وإِنَّما بسوء الحفظ أَيضًا ؛ لأَنَّ كتبه احترقت فاختلط ، لكن رواية العبادلة عنه ترفع من شأن حديثه كما ذكرنا آنفًا ، لذلك قال الحافظ : « ... صدوق من السابعة ، خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أَعدل من غيرها ، وله في مسلم بعض شيء مقرون » .

وابن لهيعة اتهمه ابن حبّان بالتدليس ، فقال في « المجروحين » (٢ / ١١) : « وكان شيخًا صالحًا ، ولكنه كان يدلس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه ، ثمَّ احترقت كتبه في سنة سبعين ومائة قبل موته بأَربع سنين ، وكان أَصحابنا يقولون : إِنَّ سماع من سمع قبل احتراق كتبه مثل العبادلة فسماعهم صحيح ، ومن سمع منه بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشيء ... » .

وحشره ابن حجر - رحمه اللَّه - مع المدلِّسين في « تعريف أَهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس » (ص ١٤٢) .

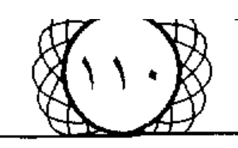
وبذلك ترى أَنَّ تدليس ابن لهيعة عن الضعفاء ، أَمَّا شيخه في هذه المتابعة فهو ثقة ، ومع ذلك فقد صرَّح ابن لهيعة بالتحديث ، فزالت شبهة تدليسه .

ثمَّ رأَيت الشيخ أَحمد شاكر قد وضَّح منهجه في توثيق ابن لهيعة ، فقال في تعليقه على « سنن الترمذي » (١ / ١٦) معقِّبًا قولَ الترمذي رحمه اللَّه : « وابن لهيعة ضعيف عند أَهل الحديث ؛ ضعفه يحيى بن سعيد القطَّان وغيره من قبل حفظه » .

أَقول : تعقبه أَحمد شاكر رحمه اللَّه فقال : « وابن لهيعة - بفتح اللام وكسر

---

(١) نقله الشيخ أَحمد شاكر معنعنًا : عن علي بن إِسحاق ، عن ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ... والصَّواب ما أَثبتُّه ، ولم يقع عند أَحمد التصريح باسم عبداللَّه بن المبارك كما هو الظاهر من نقل الشيخ أَحمد شاكر رحمه اللَّه ، وإِنَّما ذكر عبداللَّه فقط ، وإِنْ كان هو المراد (!) .



الهاء - هو عبدالله بن لهيعة بن عقبة الغافقي أَبو عبدالرحمن المصري القاضي الفقيه ، وهو ثقة صحيح الحديث ، وقد تكلم فيه كثيرون بغير حجة من جهة حفظه ، وقد تتبعنا كثيرًا من حديثه ، وتفهمنا كلام العلماء فيه ، فترجح لدينا أَنَّه صحيح الحديث ، وأَنَّ ما قد يكون في الرواية من الضعف إِنَّما هو ممن فوقه أَو ممن دونه ، وقد يخطئ هو كما يخطئ كل عالم وكل راوٍ ، وروى أَبو داود عن أَحمد بن حنبل قال : « ومن كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإِتقانه ؟ » ، وقال سفيان الثوري : « عند ابن لهيعة الأُصول ، وعندنا الفروع » إ.هـ .

قلت : هذا الكلام مردود من وجوه :

١ - كلام الترمذي رحمه الله وغيره ممن تكلم في ابن لهيعة من قبل حفظه - جرح مفسر ، فوجب تقديمه على التعديل .

٢ - أَكثر أَئِمَّة الجرح والتعديل يفرِّقون بين حالَي ابن لهيعة قبل احتراق كتبه سنة ١٧٠ هـ ، وبعد احتراقها ، وقد سُقنا من كلامهم ما يدل على المطلوب ، ونزيدها فنقول :

قال الدارقطني في « الضعفاء والمتروكين » (٣٢٢) : « ... ويعتبر بما يروي عنه العبادلة : ابن المبارك ، والمقرئ ، وابن وهب » .

وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » (١ / ٢٣٨) : « ولم يكن على سعة علمه بالمتقن ؛ حدَّث عنه ابن المبارك ، وابن وهب ، وأَبو عبدالرحمن المقرئ ، وطائفة قبل أَن يكثر الوهم في حديثه ، وقبل احتراق كتبه ، فحديث هؤلاء أَقوى ، وبعضهم يصححه ، ولا يرتقي إِلى هذا » .

٣ - نقطة الفصل في ابن لهيعة هي احتراق كتبه ؛ لأَنه بعدها خلط ، وساء حفظه ؛ لذلك فالإِعراض عن هذا التفصيل ، وتوثيق ابن لهيعة - مُطْلقًا - ضربٌ من التساهل الذي عُرف عن الشيخ أَحمد شاكر رحمه الله .

ب - أَخرج الحاكم (١ / ١٠٩) : حدَّثنا أَبو العبَّاس محمَّد بن يعقوب : أَنبأَ محمَّد بن عبدالله بن الحكم : أَنبأَ ابن وهب : أَخبرني مالك ، عن أَبي النضر ، عن عبيدالله ابن أَبي رافع ، عن النَّبي ﷺ مرسَلًا .

قلت : وصله ابن حبَّان (٩٨ - موارد) ، والخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ١٠) ، والسمعاني في « أَدب الإملاء والاستملاء » (ص ٣) من طريق أَبي إِسحاق الفَزاري ، عن مالك بن أَنس ، عن سالم أَبي النَّضر ، عن عبيدالله بن أَبي رافع ، عن أَبيه أَبي رافع قال : قال ﷺ ... الحديث .

وأَبو إِسحاق الفزاري هو إِبراهيم بن محمَّد بن الحارث بن أَسماء بن حفص بن حذيفة الفزاري ثقة حافظ ، كما قال الحافظ في « التقريب » (١ / ٤١) ، والوصل زيادة ثقة ، وهي مقبولة ، وبهذا تصبح متابعة مالك موصولة صحيحة الإِسناد - والحمدُ للَّه على توفيقه وهداه - وقد خفي الوصل على الشيخ أَحمد شاكر رحمه اللَّه فزعم أَنَّ رواية مالك مرسلة (ص ٩٠ من تعليقه على « الرِّسالة ») .

وبذلك يتحقق أَنَّ سفيان لم يهم ، ولم يشكَّ ، وإِنَّما وقع ذلك من نصر بن علي الجهضمي عند ابن ماجه واللالكائي ، وبه جزم الأَخير فقال (١ / ٨٣) : « وذكر نصر : زيد بن أَسلم في الإِسناد وهم » .

ت - وجدت متابعة لسفيان من طريق الليث بن سعد ، عن أَبي النَّضر ، عن موسى بن عبدالله بن قيس ، عن أَبي رافع ، عن رسول اللَّه ﷺ أَنَّه قال - والنَّاس حوله - : « لا أَعرفنَّ أَحدكم يأْتيه الأَمر من أَمري ؛ قد أَمرت به ، أَو نَهيت عنه وهو متَّكئ على أَريكته فيقول : ما وجدنا في كتاب اللَّه عملنا به ، وإِلَّا فلا » .

أَخرجها الحاكم (١ / ١٠٩) .

ووجدت أَنَّ سالم بن شَوَّال المكي تابع أَبا النَّضر فرواه عن موسى بن عبدالله بن قيس ، عن عبيدالله أَو عبدالله بن أَبي رافع ، عن أَبيه أَبي رافع قال : سمعت النَّبي

ﷺ ، وذكره .

أَخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢ / ١٨٩ - ١٩٠) .

قلت : سالم بن شَوَّال ثقة ، كما في « التقريب » (١ / ٢٨٠) ، وموسى بن عبداللَّه بن قيس ذكره ابن أَبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٨ / ١٤٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، لكن روى عنه ثقتان هما : أَبو النَّضر وسالم المكي ، فمثله يستشهد به ؛ لأَنَّه قد زالت جهالة عينه ، وقد وهم الشيخ أَحمد شاكر رحمه اللَّه ، فقال في تعليقه على « الرِّسالة » (ص ٩٠) : « موسى بن عبداللَّه بن قيس وهو موسى بن أَبي موسى الأَشعري وهو تابعي ثقة » .

قلت : فَرَّق بينهما ابن أَبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٨ / ١٤٨) ، والقول قوله .

ولا تُعَلُّ هذه المتابعة برواية أَبي النضر عن موسى بن عبداللَّه بن قيس ، عن أَبي رافع ، وتارة أُخرى عن موسى بن عبداللَّه بن قيس عن عبيداللَّه بن أَبي رافع ، عن أَبيه ؛ لأَنَّه ليس ببعيد أَنْ يكون موسى بن عبداللَّه بن قيس سمعه من أَبي رافع وابنه عبيداللَّه ، فيكون له شيخان في هذه المتابعة ، وكذلك ليس ببعيد أَنْ يكون أَبو النَّضر سمعه من عبيداللَّه بن أَبي رافع وموسى بن عبداللَّه بن قيس ، فيكون له شيخان في هذا الحديث ، ومثل هذا الجمع لابدَّ منه ؛ لأَنَّ توهيم الثقة بغير حجة لا يجوز ، كما هو معروف في علم المصطلح .

وهذا ما ذهب إِليه الشيخ أَحمد شاكر في تعليقه على « الرِّسالة » (ص ٩٠) فأَصاب .

٢ - أَخرج الترمذي : حدَّثنا قتيبة : حدَّثنا سفيان بن عيينة ، عن محمَّد بن المنكدر وسالم أَبي النَّضر ، عن عبيداللَّه بن أَبي رافع ، عن أَبي رافع وغيره رفعه .

وروى بعضهم عن سفيان عن ابن المنكدر عن النَّبي ﷺ مرسَلًا . وسالم بن

أَبي النَّضر عن عبيدالله بن أَبي رافع عن أَبيه عن النَّبي ﷺ . وكان ابن عيينة إِذا روى هذا الحديث على الانفراد بَيَّن حديث محمَّد بن المنكدر من حديث أَبي النَّضر ، وإِذا جمعهما روى هكذا .

٢ - ١ - يظهر من هذا الإِسناد أَنَّ سفيان روى حديث ابن المنكدر مقرونًا موصولًا ، لكنَّه رواه في مواطن أُخرى مرسَلًا ، فعند الشَّافعي في « الرِّسالة » (ص ٩٠ ، ٤٠٤) ومن طريقه ابن عبدالبر في « التمهيد » (١ / ١٥٠) : وحدَّثنيه محمَّد المنكدر عن النَّبي مرسَلًا .

وعند الحميدي (١ / ٢٥٥) ومن طريقه ابن عبدالبر في « جامع بيان العلم » (٢ / ١٨٩) : وقال سفيان : وأَنا لحديث ابن المنكدر أَحفظ ؛ لأَني سمعته أَوَّلًا ، وقد حفظت هذا أَيضًا .

وعند الآجري في « الشريعة » (ص ٥٠) : عن محمَّد بن المنكدر عن سالم ابن أَبي النَّضر عن عبيدالله مرسَلًا .

ولا تعارض بين الوصل والإِرسال ؛ لأَنَّ الوصل زيادة ثقة ، ومن علم حجة على من لم يعلم، وقد روى الوصلَ قتيبةُ بن سعيد بن جميل ثقة ثبت من رجال الشيخين .

وقد وجدت شاهدًا موصولًا لحديث ابن المنكدر عن جابر بن عبدالله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لعل أَحدكم أَنْ يأتيه حديثٌ من حديثي وهو متكئ على أَريكته فيقول : دعونا من هذا ؛ ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه » .

وله عنه طرق :

الأُولى - من طريق يزيد الرَّقاشي ، أَخرجها الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ١٠) وأَبو يعلى (١٨١٣) عن محمَّد بن عبدالله الأَنصاري : حدَّثنا إِسماعيل ابن مسلم عن الحسن عنه ، به .

قال الهيثمي في « المجمع » (١ / ١٥٥) : « وفيه يزيد بن أَبان الرقاشي ، وهو

ضعيف » .

قلت : والقول قوله ، لكنّ يزيدَ مع ضعفه فروايته لا بأَس بها في المتابعات والشواهد .

الثانية - من طريق عباد بن كثير ، أَخرجها الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ١١) .

قلت : عباد بن كثير : إِنْ كان الرمليَّ فضعيف يستشهد به ، وإِنْ كان البصريَّ فمتروك لا يفرح به .

الثالثة - من طريق محفوظ بن مِسْوَر الفِهري ، أَخرجها الخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٩٠) ، وابن عبدالبر في « التمهيد » (١ / ١٥٢) و « جامع بيان العلم » (٢ / ١٨٩) ، وعزاها الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١ / ١٤٩) إِلى الطَّبراني في « الأَوسط » وقال : « وفيه محفوظ بن مِسْوَر وذكره ابن أَبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا » .

قلت : محفوظ بن مِسْوَر لم أَره في « الجرح والتعديل » المطبوع ، لكن ترجم له الذهبي في « الميزان » (٣ / ٤٤٤) وقال : « لا يُدرى من ذا » ، ونقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » (٥ / ١٩) .

وفي الحديث أَيضًا عنعنة بقية .

وبهذه الطرق دون الزِّيادات التي وقعت في كل طريق يصير الشاهد حسنًا لغيره ، واللَّه أَعلم .

٢ - ٢ - ظاهر الإِسناد عند الترمذي أَنَّ الحديث موقوف ؛ لذلك قال : وغيره رفعه .

وهذا لا يضرُّ إِنْ شاء اللَّه ؛ فإِنَّ الحديث وإِن كان موقوفًا عند الترمذي ، فإِنَّه مرفوع حكمًا ؛ لأَنَّه لا يقال بالرأَي والاجتهاد .

الثالث – عن أَبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لا أَعرفنَّ أَحدًا منكم يأْتيه عنِّي حديث وهو متَّكئ على أَريكته فيقول : اتلوا عليَّ به قرآنًا . ما جاءكم عنِّي من خيرٍ قلته أَو لم أَقله فأَنا أَقوله ، وما أَتاكم عنِّي من شرٍّ فأَنا لا أَقول الشرَّ » .

أَخرجه أَحمد (٢ / ٣٦٧ و ٤٨٣) ، والبزَّار في « كشف الأَستار » (١ / ٨٠) ، والآجري في « الشريعة » (ص ٥٠) شطره الأَوَّل من طريق أَبي مَعْشَر ، عن سعيد ، عن أَبي هريرة مرفوعًا .

قلت : وهذا إِسناد ضعيف ، وعلَّته أَبو مَعْشَر وهو نَجِيح بن عبدالرحمن السِّندي ضعيف ، أَسنَّ ، اختلط ، وضعَّفه الهيثمي في « المجمع » (١ / ١٥٤) .

لذلك فَصَدْرُ الحديث يصلح شاهدًا ، أَمَّا الشطر الأَخير فمنكر ، قال البيهقي : « صدر هذا الحديث موافق للأَحاديث الصحيحة في قبول الأَخبار ، وقوله : « قلته أَو لم أَقله » في هذه الأَحاديث ما لا يليق بكلام النَّبي ﷺ ولا يشبه المقبول »[1].

ولقد بحثت طويلًا لعلِّي أَجد ما يعضد شطره الأَخير فلم أَقف إِلَّا على ما يقوِّي نكارته ، وسيكونُ تفصيل ذلك – إِنْ شاء اللّه تعالى – في جزء مفرد هو « التبيان في إِثبات بطلان أَحاديث عرض السنَّة على القرآن » .

الرابع – عن ابن عبَّاس رضي اللّه عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ما بال أَصحاب الحشايا يكذِّبوني ، عسى أَحدكم يتكئ على فراشه ، يأْكل مما أَفاء اللّه عليه ، فيؤتى يُحدَّث عنِّي الأَحاديث فيقول : لا أَرَبَ لي فيها ، عندنا كتاب اللّه ، ما نهاكمَ عنه فانتهوا ، وما أَمركم به فاتبعوه » .

أَخرجه الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ١١) من طريق حمزة بن أَبي حمزة النَّصِيبي ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عبَّاس مرفوعًا .

---

(١) نقلًا عن « مفتاح الجنَّة » للسيوطي (ص ١٨٣) .



قلت : حمزة بن أَبي حمزة النَّصِيبي (متروك مُتَّهم بالوضع) كما في « ميزان الاعتدال » (١ / ٦٠٦) ، و « التقريب » (١ / ١٩٩) فلا يُستشهد به .

الخامس – عن أَبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « يمسي رجل يكذِّبني وهو متكئ يقول : ما قال هذا رسول اللَّه ﷺ » .

أَخرجه الهروي في « ذم الكلام » (ق ٢٩ / ٣ – ٣٠ / ١) من طريق حمَّاد ابن زيد ، عن أَبي هارون العبدي عنه ، به .

قلت : هذا إِسناد ضعيف جدًّا ؛ لأَنَّ أَبا هارون العبدي – واسمه عُمارة بن جُوَين – قال النَّسائي في « الضعفاء والمتروكين » (٤٧٦) : « متروك الحديث بصريٌّ » وقال البخاري في « الضعفاء الصغير » (٢٨٢) : « أَبو هارون العبدي عن أَبي سعيد تركه يحيى القطَّان » ، وقال الحافظ في « التقريب » (٢ / ٤٩) : « ... مشهور بكنيته متروك ، ومنهم من كذَّبه ، شيعي ... » .

وبالجملة ؛ فالحديث صحيح غايةً لذاته ، وشواهده ترفع من ثبوته ، وبخاصَّة حديث العرباض ، وأَبي رافع ، والشطر الأَوَّل من حديث أَبي هريرة ، وأَمَّا بقية الشواهد فذكرتها من باب (العلم بالشيء أَفضل من جهله) .

والحمد للَّه على توفيقه وفضله ، سائلين المولى أَن يجعلنا من طلَّاب الحديث وأَهله .

وإِلى لقاء في مباحث التحليل والتأَصيل .

هل نحن قومٌ سلفيُّون(١) ؟

أحمد سلام

على الرغم من التعارض بين عموم دلالة هذا السؤال ، وطبيعة الصفات التي يُفترض أَنْ تمثلها الجهة المقصودة به ؛ فإنَّ السؤال مُلحٌّ ، ويحتاج إلى وقفات متأنِّية ، بل إنَّ هذا التعارض المشار إليه يمثِّل أهم الأَسباب التي تدفع إلى طرحه ومذاكرته .

ذلك أَنَّ التفاوت بين الأَسماء والمسمَّيات ، أَو المناهج والتطبيقات هو مِن أَخطر إشكاليَّات العمل الإِسلامي المعاصر ، وإِذا زال هذا التفاوت سنكون في غير حاجة لطرح هذا السؤال وأَمثاله بإِذن اللَّه تبارك وتعالى .

وأُحب أَن أَعجَل بتوضيحِ أَنَّ عامَّة من قِبلَ الانتساب إِلى منهج السَّلف - أَو من يفهم أَنَّ اصطلاح منهج أَهلَ السنَّة والجماعة ليس إِلَّا اسمًا شريفًا معبِّرًا عن حقيقة منهج السَّلف - يعرفون عقيدة التوحيد ، بأَقسامها وأُصولها وأَحكامها ، ويتفقون على المعاني العامة للسنَّة والبدعة ، وعلى المصادر العلمية من كتابٍ وسنةٍ وفهمٍ للسَّلف ، كما نجد لديهم أَقدارًا متقاربة من الاهتمام بمحاربة بدع الجهمية ، وضلالات المرجئة ، ومقالات التعطيل ، ومن التصدِّي لضلالات الرَّافضة ، وجهالات التصوف ، إِضافة إِلى وجود الاهتمام في العموم بالإِحياء الإِسلامي ، وتجديد المفاهيم ، وإِحياء الفرائض الغائبة ، وإِصلاح وتكميل الواجبات المختلَّة والناقصة .

إِذًا فمن الواضح أَنَّ السؤال لا يتناول عموم مواقفنا من هذه الموضوعات ، ولا

---

(١) ترحب **الأصالة** بآراء الإِخوة القرَّاء حول ما ورد في هذا المقال إِثراءً للبحث ، وإِيفاءً للمقام . (**الأصالة**) .



ينطلق كذلك من أُمور اجتهادية وسع السلفَ الاختلافُ فيها ، أَو من نظائرها من المستجدات التي لم يظهر فيها دليل راجح يجب المصير إليه .

فالسؤال إنَّما يتوجه إلى القضايا المنهجية ، من الأُصول العلمية والعملية ، التي نتج عن اختلالها تكاثر المعوِّقات التي تعطِّل مسيرة الدعوة ، وتحرف اتجاهها ، بل وتولد الكوارث المتلاحقة التي تدمر الطاقات ، وتحرق الأَوراق .

وحتَّى نستطيع أَن نمضي مع المسار الإيجابي لهذا السؤال ، لابد أَنَّ نعلم علمًا قطعيًّا أَنَّ أَعمالنا الدعوية ليست إلَّا نتاجًا مشتركًا ، نبت بين فهمنا لمنهج السَّلف وتطبيقنا له ، وبعبارة أَوضح : إنَّ سلفيتنا ليست تمثيلًا مطابقًا لمنهج السَّلف ، وهي تقترب من الأَصل أَو تبتعد عنه بمقدار ما في الفهم والعمل من صوابٍ أَو انحرافٍ .

وبهذا يمكن المضيُّ تمهيدًا للجواب ، والذي سيظهر من خلال استعراض النَّماذج التالية :

١ - إنَّ منهج السَّلف هو منهج الجماعة الراشدة في إيمانها ، واعتصامها ، وتلاحمها ، وثباتها ، وفاعليَّتها ، أَمَّا سلفيتنا فقد أَثمرت تجارب دعوية ، تتأَرجح - رغم ما فيها من إيجابيَّات - على شفير الحزبية القائمة على مفاهيم ممتنعة على التغيير والتصويب ، وعلى الحوار تحت أَشعة الشمس ، مع الانتصار لآراء المقرَّبين أَو (المعتمدين) في جل الأَحوال ، وذلك تحت مفهوم العمل الجماعي ، وإحياء الجماعة .

كما أَثمرت سلفيتنا مواقف تنفر من آثار (جماعة واجتماع) ومعانيها ، بل أَكاد أَقول : إنَّها ترفض مادة (جمع) بمشتقاتها ، حذرًا من مفاسد الجماعات القائمة ، والحزبيَّات القاتمة ، وتجنُّبًا لمحاذير التجارب المعاصرة !

٢ - وإنَّ منهج أَهل السنَّة والجماعة هو منهج التوحيد ، وبه عُرف السلفيون ، ولأَجل اهتمامهم بتعليمه ونشره نَبَزَهم خُصومُ الحقِّ بالوهابيين !

وقد أَنتجت سلفيتنا دعاةً يدرسون أَبواب كتاب التوحيد ، ويعلِّمون الطلبة

حُكْمَ التحاكم للطاغوت ، وحرمة الذبح للّه في مكانٍ يُذبح فيه لغير اللّه ، ولا يحول هذا بينهم وبين استباحة دخول البرلمان ، أَو الإِعانة على دخوله ، أَو الإِنكار على من يُحجم عن تأْييد الدخول إِليه ، وإِعلان فرحه به ، وأَقل أَحوال من دخل البرلمان أَنَّه جسّد عبادة سلطة الشعب ، وتقديس دستوره في مكانٍ بني لعبادة غير اللّه ، ولمحادَّة شرع اللّه ، ومضارَّة دينه ، وإِرصادًا لمن حارب عقيدة الإِسلام ، وشريعته وأُمَّته !

٣ - وإِنَّ منهج السَّلف هو منهج الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، فهو عهد رسول اللّه ﷺ لأُمَّته أَينما كانت ، ومتى وجدت ، ومن أَفضله كلمة الحق عند سلطان جائر ، وغاية ذروته رفع راية الجهاد في سبيل اللّه ، كما سنَّ لنا رسول اللّه ﷺ بقوله وفعله ، وكما فهم عنهم أَصحابه - رضي اللّه عنهم - حكمًا ومنهجًا .

وقد قدَّمت سلفيتنا نماذج من الدعاة اختزلوا أُصول الإِسلام الاعتقادية والعلمية والعملية في الجهاد ، أَو قل : وضعوا الجهاد في موضع أَصل الأُصول ، وسخَّروا كل المفاهيم والأَدلة والقواعد لتوصل إِلى جعل الجهاد أَعظم المقاصد ، وأَخطر الغايات ، ثمَّ طوَّعوا كل الأَدلَّة الكلية والجزئيَّة لتنصر مفهومهم عن الجهاد ، وأَهملوا أَو همَّشوا كل ما خالف فهمهم من نقل أَو أَصل أَو قاعدة ، ثمَّ مضوا في تجريح وتجهيل وتضليل كل داعية خالف قولُه رأَي مجتهديهم في هذا الجهاد ، لا يستثنون كبيرًا ولا جليلًا ولا عظيمًا ، وأَرادوا أَنْ يصرفوا الأُمَّة عن اتِّباع هداتها وأَئمَّتها ، وأَن يبدلوها بهم أَحداثًا وقاصرين ، غاية الغايات عند أَعلمهم تخيُّر ما وافقه من الأَدلَّة ، وانتقاء عباراتٍ من أَقوال أَهل العلم ، بعيدًا عن الفقه والضبط ، ودون مراعاة للمقاصد والسياق ، والدلالات والقواعد ، ودون وقوف عند مناط الأَحكام .

وإِلى جانب هذا قدَّمت سلفيتنا (بعضَ) مواقف تتجه إِلى تطبيع نصوص الإِسلام لتوافق الواقع ، ولتصبح متكلمًا رسميًّا في المؤسسات الرَّسمية ، وناطقًا بلسان رغبات الحاكم ، في زمن الفضيحة والهزيمة والذلِّ .

٥ - وإِنَّ منهج الدعوة السَّلفي هو منهج العلم ، والاتباع المبصر ، البعيد عن ضلالات التقليد الأعمىٰ ، والمنهج الوسط الذي يقيم العلاقة الرَّاشدة بين العالم والمتعلم ، على أَساس التوقير والتراحم ، والتَّلقِّي العلمي المنهجي ، لتربية علماء المستقبل .

لكننا نجد أَنَّ سلفيتنا قدمت اتجاهات تدثرت برداء الدعوة السَّلفية ، وجمعت تحته بين الدعوة إِلى اعتماد التقليد منهجًا لتلقِّي (العلم) ، وتربية قادة المستقبل ، وانتقاص الأَئمَّة الذين أَقاموا بنيان الدَّعوة السلفية ، وجاهدوا من أَجلها ، وتنفير بل دفع الشباب عن الثقة بهم ، والرجوع إلى علمهم ، بالإِضافة إِلى السَّعي الدائب لتصنيع نماذج من الرؤساء الجهال ، الذين لم يتضلّعوا في العلم ، ولم يدرُجوا في مهاده ، أَمثال الصحفي والمؤرخ واللغوي ، ونماذج من العائدين بعد رحلات التِّيه ، في قوافل المناهج البدعية الملفَّقة .

فهل نحن - بهذه الحصيلة - قوم سلفيون ؟

هل استرجعنا مفهوم المنهج السَّلفي باعتباره نظام الملة الجامعة للأُمَّة ؟ وهل استعدنا التصور لكلية المنهج بتناسقه ، وروابطه ، وتكامله ، كما ترك رسول اللَّه ﷺ أَصحابه عليه : منهج عقيدةٍ وعبادةٍ وعلمٍ وخلقٍ ، وتعاملٍ وترابطٍ ، وبناءٍ وسياسةٍ ، وقيادةٍ وتعاونٍ ، وتقويمٍ ومراجعةٍ ؟ .

هل أَحكمنا قواعد الرجوع إِلى منهج السَّلف ، لنجعل منه الميزان الشامل في الولاء والبراء ، والحب والبغض ، والتأْسيس والنقض والتجديد ، وميزانًا لفهم المناهج والجماعات والمتغيِّرات ؟

هل أَعدنا تشكيل وبناء عاداتنا وارتباطاتنا ، وطريقة حياتنا ، ومشاريعنا وأَهدافنا انطلاقًا من منهجنا ، وتأْسيسًا على ضوابطه ، وخدمةً لمقاصده وأَهدافه ؟

هل تعلَّمنا أَنَّ منهج أَصحاب رسول اللَّه ﷺ منهجٌ فذٌّ فريد في كماله



وعصمته ؟ وأنَّه غنيٌّ عن كل منهج سواه ؟ وهل بلغ إلى قرارة يقيننا أنَّه منهج ممتنع على مشاريع الشركة مع غيره ، وأنَّه لا تستقيم في موازينه محاولات الترقيع والتلفيق ؟ وهل تجردنا له ولاءً ونصرةً ودعوةً ؟

هل استطعنا أَنْ نستمد من الشورى - وهي من أُصول منهج السَّلف - في حياتنا تنظيمًا لتفكير الفرد ، وتواصلًا بين الإِخوة ، وتحصيلًا لخيراتٍ وعلوم إِضافية ، وأَنْ نحقِّق فهمًا مستمدًّا من علمِ جماعةٍ ، وقرارًا مرتكزًا على نصيحةِ جماعةٍ ، ونوظِّف كل ذلك لخدمة المنهج والجماعة ؟

هل استطعنا أَنَّ نخرج من دائرة هموم الفرد ؛ فنفكر في الجماعة ، ونهتم لهموم الأُمَّة ، ونتداعى لسد حاجات الجماعة ، ونتشرف الآفاق خوفًا على مصير الجماعة بمفهومها الشرعي الصَّحيح ؟

هل تعلَّمنا أَنَّ الحب بين أَهل المنهج الواحد يجب أَن يتزامل مع الاختلاف بالحق والنَّقد الهادف المخلص في حياتنا ، كما تآخى مع الموافقة والمتابعة في حياة النَّاس ؛ فلا نعتبر النقد أَو المخالفة أَو التخطئة من دلائل البغض أَو البراء ، أَو من أَسباب النفور والافتراق ؟

هل تعلمنا كيف نفرق بين الأُصول والمحكمات القطعيَّة - التي لا يسع الخلاف فيها ، والتي يجب الإِنكار على المخالف لها ، والتعاون على إِزالة الاختلاف فيها ، والتي تستحق البراء أَو الهجر ، بعد البيان والنصح - والأُمور التي اتسع لها منهج السَّلف ؛ لتعدد الأَقوال فيها ، والتي لا يجوز أَن نتجاوز في أَمرها البيان والنصح ، دون أَن يصل أَمرها إِلى التنافُر ، والتعارك ، والتهارج ؟

هل نحن - بهذه المثابة - قوم سلفيون ؟

أَعني : هل نحن قوم أَحكموا منهجهم ، وعرفوا سبيلهم ، وحدَّدوا غاياتهم ، وأَجمعوا أَمرهم ؟ وهل في النِّية أَن نكون كذلك ؟ ومتىٰ ؟

قل : عسى أَنْ يكون ذلك قريبًا - بإِذن اللَّه .

أفلست العلمانيّة ولكن .. ؟

أُسامة شحادة

أَعلن الدكتورُ فؤاد زكريا إِفلاسَ العلمانيّةِ في رِثائِه لأُستاذِه العِلمانيِّ (زكي نجيب محمود) حيثُ قال :

« .. وبعبارةٍ أُخرى ؛ فإِنَّ ما يُدمي القلبَ حقّاً ، هو تراجعُ رسالةِ التنويرِ وانحسارُها بعد مائتي عامٍ مِنْ بدايتِها القويّةِ في أَوائلِ القرنِ التاسعَ عَشَرَ » [١] .

وقالَ أَيضاً : « ولكنَّ الأَمرَ المَأساويَّ حقّاً - الَّذي يُفسرُ بوضوحٍ بكاءَ زكي نجيب محمود - هو أَنْ تحينَ لحظةُ غيابِ رجلٍ أَفنى عمرَه من أَجلِ التنوير في هذه الأَيّام الحالكةِ ، الّتي بلغَ فيها التخلُّفُ مداهُ ، واشتدَّ فيها ساعدُ التراجعِ والنكوصِ على كلِّ ما عاشَ هذا الرَّجلُ من أَجلِه » [١] .

وقالَ معلِّقاً على النقاباتِ الّتي كانت دوماً معقلَ العلمانيّين واليساريّين : « فقد انتشرت العقليّةُ الأُسطوريّةُ الغيبيّةُ انتشاراً مخيفاً ، وأَصبحت أَهمُّ النقاباتِ العلميّةُ تعقدُ أَخطرَ الندواتِ من أَجلِ مناقشةِ موضوعات ؛ مثلُ : هل السياحةُ حلالٌ أَم حرامٌ ؟ ويهللُ المسؤولونَ عن الثقافةِ في أَكثر من بلدٍ عربيٍّ فرحاً وكأَنّهم عَثَروا على كنزٍ ثمين حين يصدرُ كتابٌ يهدفُ إِلى إِثباتِ أَنّه لا تعارضَ بين بعضِ أَنواعِ الفنِّ وبين الدين » [١] .

... هذه بعضُ الفقراتِ الصريحةِ تُبيِّنُ إِفلاسَ العلمانيّة ، كَتَبَها دكتورٌ علمانيٌّ

---

(١) « مجلة العربي » عدد ٤٢٠ شهر تشرين ثاني ١١ / ١٩٩٣ م ، مقالة (زكي نجيب محمود المشهد الأَخير) .

في رثاءِ أُستاذِه ، الّذي عاشَ عمرَه من أَجلِها ، لكنَّ النتيجةَ الفشلُ والحمدُ للهِ .[1]

والذي أَقصدُه بإِفلاسِ العلمانيّةِ ؛ هو فشلُها في القضاءِ على الإِسلامِ في نفوسِ أَبنائِه ، وإِبعادِه عن حياةِ المُسلمين ولو بمجرّد الانتسابِ .

ومع هذا الفشلِ والإِفلاسِ ، فستبقى العلمانيّةُ هي الصبغةَ الغالبةَ على سلوكيّاتِ المؤسساتِ والأَفرادِ ، بعلمٍ أَو بجهلٍ بذلك ، وعلى اختلافٍ في الكيفيّةِ والكميّةِ حتّى يأتيَ البديلُ القويُّ الّذي يُزيلُ أَثَرَ هذه الصبغةِ العلمانيّةِ ، والله يقول : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يغيّرُ ما بِقَومٍ حتّى يُغيِّروا ما بأَنفسِهم ﴾ ، ﴿ ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لفسدتِ السمواتُ والأَرضُ ﴾ .

لكنْ – كما ذكرت – للأَسفِ ليسَ الإِسلامُ الّذي يملأُ حياةَ المُسلمين اليوم ، إِنّما العلمانيّة ، والآنَ بعد إِفلاسِها من سيملأُ الفراغَ ؟ هذا الّذي يجبُ أَن نهتمَّ به .

وهل وصلنا لمرحلةٍ نستطيعُ أَن نخرجَ من مَتاهةِ « الذين هم من جلدتِنا ، يتكلمونَ بأَلسنتِنا ، ولكنّهم دعاةٌ على أَبوابِ جهنّم ، من أَجابَهم إِليها قذفوه فيها » [2] ؟!!

هذا الّذي يجبَ أَن نُفكرَ فيه ونشتغلَ به ، وهل نحن – دعاةَ الكتابِ والسنّةِ – على استعدادٍ وقدرةٍ لِمَلءِ هذا الفراغِ ؟

إِنَّ الدعوةَ السلفيّةَ – فضلاً عن أَنّها المَنهجُ الصحيحُ والسليمُ لفهمِ الإِسلامِ والعمل به – هي كذلك كانت البدايةَ والأَساسَ للصحوةِ الإِسلاميّةِ المعاصرةِ .

وهذا الأَمرُ ليس ادّعاءً بلا دليلٍ ، وكلامَ أَبناءِ الدعوةِ وحدَها ؛ ولكن هذا ما يقولُه التاريخُ والواقعُ وكلُّ من طلبَ الحقَّ والإِنصافَ .

وانظر ما يقولُه مستشرقٌ أَمريكيٌّ في بدايةِ هذا القرنِ (١٩٢٠م) وهو لوثروب

---

(١) لمزيد من التوسعِ في إِفلاس العلمانيّة راجع كتاب« مأزق الفكر القومي» تأليف جمال سلطان .

(٢) قطعة مِن حديث حذيفة المتّفق على صحتِه .

ستودارد في كتابِه المشهورِ بـ « حاضر العالم الإِسلاميّ » بتعليق شكيب أَرسلان ، بعدَ أَن وَصَفَ حالَ المُسلمين في القرنِ الماضي :

« وفيما العالم الإِسلاميّ مستغرقٌ في هجعتِه ، ومُدلجٌ في ظلمتِه ، إِذ بصوتٍ يدوي من قلبِ صحراءِ شبه الجزيرةِ ، مهدِ الإِسلامِ ، يُوقظُ المؤمنين ويدعوهم إِلى الإِصلاحِ والرُّجوعِ إِلى سواءِ السبيلِ والصراطِ المُستقيم ، فكانَ صارخُ هذا الصوتِ إِنّما هو المُصلحَ المشهورَ محمد بن عبدالوهاب ، الّذي أَشعلَ نارَ الوهابيّةِ [١] فاشتعلت ، واتقدت ، واندلعت أَلسنتُها إِلى كلِّ زاويةٍ من زوايا العالمِ الإِسلاميّ ، ثمَّ أَخذ هذا الداعي يحضُّ المسلمين على إِصلاحِ النفوسِ ،واستعادةِ المجدّ الإِسلاميّ القديم ، والعزِّ التليدِ ، فتبدَّت تباشيرُ صُبحِ الإِصلاحِ ، ثمَّ بدأَت اليقظةُ الكُبرى في عالمِ الإِسلام » [٢] .

وهذه شهادةٌ واضحةٌ ، والفضلُ ما شهدت به الأَعداء !

ونجدُ مفكراً إِسلامياً معروفاً بدفاعِه عن الإِسلامِ وردِّ كيدِ المُعتدين عليه - وإِنْ لم يكن من دعاةِ الدعوةِ السلفيّةِ ؛ لكنّه من أَهلِ الإِنصافِ إِن شاءَ الله ، - وهو الأُستاذُ أَنور الجندي - يقول :

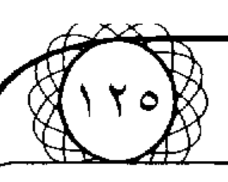
« تجري حركةُ الفكر الإِسلاميّ حتّى قيام الحربِ العالميّة الأُولى في مرحلتين : المرحلةُ الأُولى عام (١٧٤٠ هـ / ١٨٧٥ م) .

أَولاً : بدأَت اليقظةُ من قلبِ الجزيرةِ العربيّةِ بصيحةٍ من الإِمامِ محمد بن عبدالوهابِ ، هذه الصيحةُ كانت علامةً على الدورِ الّذي بدأَت الأُمّةُ العربيّةُ تقومُ به بعدَ ضعفِ الدولةِ العثمانيّةِ ، مقدمةً للدعواتِ المُختلفةِ الّتي توالت ، وأَبرزت معالمَ دعوةِ التوحيدِ ، وهو تلاحمُ الدعوةِ بالدولةِ ، هذا التلاحمُ الّذي أَعطاها الاستمرارَ

---

(١) هذا اللقب لا يصحُّ أَصلاً أَو وصفاً لدعوة الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب ، وإِنَّما هو من وضعِ دجاجلة المتصوفة ومردة المستشرقين (!) . (**الأصالة**)

(٢) « حاضر العالم الإِسلاميّ » (١ / ٢٦٠) .



والقوّةَ حتّى أَواخر القرن » [١] .

وكذلك نجد كاتباً إِسلاميّاً معاصراً يُؤرِّخُ لـ (للفكرِ الإِسلاميّ المعاصر الّذي أَنتجه علماءُ ومفكرون من أَهلِ السنّةِ العرب) [٢] وهو الأُستاذ منير شفيق يقول :

« كانَ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ) (١٧٠٣ - ١٧٩١م) - الّذي أَسس الدعوةَ الوهابيّةَ في شبه الجزيرةِ العربيّة - أَوّلَ من حاولَ طرحَ مشروعٍ إِسلاميٍّ جديدٍ في الربعِ الأَخيرِ من القرنِ الثامنَ عشرَ ، وقد استطاعَ مع محمد بن سعود وحلفاؤهما قيادةَ حركةٍ ناجحةٍ استولت من خلالِ الدعوةِ والقوّةِ على السلطةِ في شبه الجزيرةِ العربيّة ، وطبّقت أَفكارَها على أَرضِ الواقعِ من (١١٥٣ هـ) إِلى (١٢٣٣ هـ) ، الموافق (١٧٤٠ - ١٨١٧ م) » [٣] .

والآنَ ، بعد أَن أَثبتنا أَنَّ الدعوةَ السلفيّةَ كانت الأَساسَ للصحوةِ الإِسلاميّةِ المعاصرةِ ، هل سنكون كذلك - نحنُ - الذين يملؤون الفراغَ الآن ؟!

ولكنَّ هذا الأَمرَ ليسَ بالهيّنِ ، فهو بحاجةٍ « إِلى صراطٍ واضحٍ نسلكه في سبيلِ الدعوةِ ، وهذا الصراطُ - أو بلغةِ العصر (الاستراتيجيّة) - يعني أَن يكونَ للجماعاتِ الإِسلاميّةِ أَهدافٌ نهائيّةٌ يريدونَ الوصولَ إِليها ،ولتكن هذه الأَهدافُ من الّتي لا تتحققُ إِلّا بمرورِ جيلٍ أَو جيلين ، ثمَّ أَهدافٌ مرحليّةٌ آنيّةٌ تتحققُ في ظرفِ عامٍ أَو عامين ، ثمَّ يكونُ السعيُ والجهادُ في إِطارِ هذه الأَهدافِ المرحليّة والنهائيّة » [٤] .

وهذه (الاستراتيجيّة) لا بدَّ أَن يتداعى إِلى بيانها وتوضيحِها كلُّ العلماءِ وطلبةِ العلمِ من أَبناءِ هذا المنهجِ ، وبأَسرعِ وقتٍ ، حيثُ إِنَّ الزمنَ الآنَ ليس في صالحِ

---

(١) « اليقظة الإِسلاميّة في مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إِلى أَوائلِ الحرب العالميّة الأُولى » (ص ٤٥) .

(٢) « الفكر الإِسلاميّ المعاصر والتحديات » تأليف منير شفيق (ص ٩) .

(٣) المرجع السابق (ص ١٣)

(٤) « الطريق إِلى ترشيد البعث الإِسلاميّ » تأليف عبدالرحمن عبدالخالق (ص ٢٥) .

الإِسلام ، بل وللأسفِ هو في صالحِ الأَعداء .

وهذه بعضُ الأُسسُ الجامعةُ الهامّة الّتي تساعدُ في تَفْعيلِ هذا الصراط :

١ - عدمُ حصر المنهج بأَبنائه والذين يحبّونَه ، بل لا بدَّ أَن نقومَ بنشرِ هذا المنهجِ على النّاسِ كافّة عبرَ وسائلِ الإِعلامِ العامّةِ ، والقاعدةُ المعروفةُ تقول : (درهمُ وقايةٍ خيرٌ من قنطارِ علاج) .

٢ - عدم الترفّع على الناسِ بأَنّنا نحن أَصحابُ الحقّ والطائفةُ المنصورةُ ، بل لا بدَّ أَن نكونَ قريبينَ من النّاسِ ، نكسبُ ثقتَهم ، ونكونُ عوناً لهم ، وابنُ تيميّة يصفُ دعاةَ الحقِّ بأَنَّهم « يعلمونَ الحقَّ ويرحمونَ الخلق » .

٣ - مُخاطَبةُ الناسِ بالقواعدِ العامّةِ لهذا المنهجِ حتّى تصبحَ قواعدَ تحكمُ تصرفاتِه وأَهواءَه ، ثمَّ يكونُ التطبيقُ لهذه القواعدِ عبرَ المسائلِ التفصيليّة الفرعية .

فلا يمكنُ لمن لا يُنزلَ كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِه منزلتَهما أَن يتقيّدَ بأَوامرِهما .

... هذه (بعضُ) الأُسس الّتي لا بدَّ أَن نحرصَ على العملِ بها ، حتّى نخطوَ خطوةً للأَمامِ في طريقِ رفعةِ الإِسلامِ ، والقيامِ بحقِّ الله حتّى ينشرَ ضياؤهُ ، ﴿ ويكونَ الدينُ كُلُّهُ للّهِ ﴾ .



أحوال العالَم الإِسلامي

التحرير

● انقشعت حالة النشوة التي غطَّت على عيون المخدوعين ، الذين صفَّقوا لمفاوضات « أُوسلو » السرية بين يهود وفلول (الفلول) والتي تمخَّضت عن حزام أمني لدولة يهود في فلسطين المحتلة ، فإِذا بهم يتحققون أَنَّ وعود الرخاء الاقتصادي التي سال لعابهم لها إِنَّما هي أَمانيُّ شيطان أَوقع صيده في حبائله ثمَّ قال : إِنِّي بريء منك !

وقد جاء ذلك صريحًا على لسان رئيس السلطة الكرتونيَّة في غزَّة وأَريحا ؛ حيث صرَّح بأَنَّه نفد صبره ، فهو لم يتسلم شيئًا من المعونات الموعود بها من الدول المانحة (التي أَضحت مانعة) وهدد أَنَّه سيعلن على الملأ ...

ولكن هذه المؤشرات لم تجعل هؤلاء القوم يستفيقون على النِّهاية التي أَعدَّها لهم أَسيادهم ...

وهذا الواقع البئيس لم يمنع شرطة هذا الرئيس أَنْ تطارد عشراتِ المسلمين في غزَّة ، وتقتحم عليهم بيوتهم وتعتقلهم بحجَّة أَنَّهم يهددون عملية السَّلام ، بل إِنَّها تدخلت في شؤون بيوت اللَّه محاولةً تقليص نشاطها (!) .

وهذا يدل على أَنَّهم بدأَوا تنفيذ الملحقات السرية للمفاوضات السِّريَّة على أَرض الواقع .

● تعيش فرنسا منذ عدَّة أَسابيع حياة الذعر والخوف والقلق . ترى ذلك

واضحًا في حملات التفتيش والحجز والاعتقال التي شنَّتها الشرطة الفرنسية على الإسلاميين المقيمين فيها بحجَّة أنَّهم يهددون أَمنها .

وهذا يدل على أَنَّ المتاجرة بالشعارات الرنَّانة كالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان التي تطرحها هذه الدول الغربية إنَّما هي ذرٌّ للرماد في العيون ، وذريعة لها لكي تتدخل في شؤون البلاد المغلوبة على أَمرها ، المقهور أَهلها .

● عُقد على أَرض الكنانة مؤتمر الإسكان ... والغريب أَنَّه لا يريد مناقشة مسأَلة الإسكان ، بل يريد أَن يستأْصل سكان العالم الإسلامي بدعوى تنظيم الأُسرة ، ويريد إشاعة الفاحشة بين سكان العالم الإسلامي بدعوى الحرية الجنسية بين الذكر والأُنثى ... والذكر والذكر ، والأُنثى والأُنثى ! وكأَنَّ هذا البلد أَصبح فرنسا أَو أَمريكا ، وصرخ الأَزهر واستنكر ، إلَّا أَنَّ صرخته ذهبت أَدراج الرِّياح .

وإنَّ مما ينبغي أَنْ يُسترعى النَّظر إليه أَنَّ تلك الحكومات لا تجرؤ على مثل هذه الخطوة إلَّا حينما يسري التخدير في جسد الأُمَّة وعروقها ؛ فتغدوا محنَّطةً مجمَّدةً لا تحرك ساكنًا ولا توقف متحرِّكًا إزاء ما يخطَّط لها ويدبَّر ؛ كلُّ ذلك يحصل لبعد الأُمَّة عن كتاب ربِّها ، وسنَّة نبيِّها ﷺ .

ولكن لماذا مصرُ أَوَّلًا ؟ لأَنَّ مصرَ هي مختبر التجارب لكل ما يحادد دين اللَّه ، فإذا نجحت التجربة فيها كانت في غيرها أَنجح ؛ فتجربة الصلح مع اليهود من خلال كامب ديفيد كانت مصريَّة أَوَّلًا ، ثمَّ أَصبحت بعد ذلك فلسطينيَّة ، ثمَّ ... ، ثمَّ ... (الحبل على الجرَّار) .

فهل تنتقل عدوى المؤتمر إلى بلدان أُخرى لتكون ضحيَّة المستقبل ؟!

إنَّه النِّظامُ العالميُّ الجديدُ الذي تجاوَزَ حدودَ الدُّولَ إلى نطاقِ الشُّعوبِ والأُسرِ !!

اللهم سلِّم .. اللهم سلِّم .

القرَّاء ... منهم وإليهم

التحرير

● وصلت إلى **الأَصالة** رسالة من الأَخ المحب (أَبو معاذ زهير بن عبدالرحمن الرحماني) المدرس بمدرسة الصديق لتحفيظ القرآن الكريم - بجدَّة ، يقول فيها :

السَّلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته وبعد :

فقد اطلعت على العدد التاسع لمجلَّتكم الغرّاء لأَول مرّة ، فسررت جدًّا ، وقرأْتُها من أَوَّلها إِلى آخرها ، وإِنَّه لمن دواعي البهجة والسرور ، ومما يثلج الصدر أَنْ هيَّأَ اللّٰه تعالى في هذا العصر أَمثالكم وأَمثال الإِمام محدِّث العصر الشيخ محمَّد ناصر الدين الأَلباني حفظه اللّٰه ، وبعض العلماء والكتَّاب السَّلفيين ؛ هيأَهم اللّٰه لحمل لواء الدفاع عن الكتَّاب والسُّنَّة وعن أَهلها ، وإِنِّي لأُبارك لكم مساعيكم وأَبتهل إِلى اللّٰه تعالى أَن يُمدَّكم بتوفيقه - بمنه وكرمه - لخدمة الكتاب والسنَّة عن طريق هذه المجلة الأَصيلة .

كما يشكر **الأَصالة** على نشر نبذةٍ عن العلّامة المحدِّث جدِّه الشيخ عبيداللّٰه الرحماني المباركفوري .

وقد تكرم مشكورًا بإِرسال ترجمةٍ وافيةٍ لجدِّه العلَّامة .

الأَصالة تشكر الأَخ زهير الرحماني على كلماته الطيبة ، ومشاعره الصَّادقة النبيلة وهي تولي عنايتها بتراجم العلماء الذين هم على منهج السَّلف ، وإِبراز دورهم ؛ ومن بينهم العلَّامة عبيداللّٰه الرحماني رحمه اللّٰه .

وقد قمنا بنشر مقالكم عنه في العدد الثاني عشر ، ونأْسف لتأْخير نشر رسالتكم

هذه لأسباب خارجة عن إرادتنا ، واللَّه يحفظُنا وإِيَّاكم حَمَلَةً لهذه الدعوة ، ومرحبًا بكم أَخًا لـ **الأَصالة** وأُسرة تحريرها ، وشيخُنا الأَلباني وجميع إِخواننا يُقرئونكم السَّلام .

● ووصلت إلى **الأَصالة** رسالة من الأَخ المحب حسين بن محمَّد عبداللَّه حوتان الغامدي (مدينة الجبيل الصناعية) يقول فيها :

السَّلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ، فأَبعث إِليكم هذه الرسالة لتصلكم مع جميع الإِخوة القائمين على مجلَّة **الأَصالة** وأَنتم ترفلون في ثياب الإِيمان والعافية ، كما وأُهنِّئ نفسي وجميع محبي المنهج الصحيح بوجود هذه المجلة الرائدة سائلًا اللَّه العلي القدير أَن يسدد خُطا الإِخوة القائمين عليها وأَنْ يعينهم ، وأَن يكتب أَجرهم وأَن يلهمهم الرشد والصواب ، وأَنْ يثبِّتهم على الحق . آمين .

كما بعث الأَخ الودود ببعض الأَسئلة الموجهة لشيخنا العلَّامة الأَلباني حفظه اللَّه تعالى ؛ ليجيب عليها عبر صفحات **الأَصالة** ، وفي الختام يتمنَّى للجميع الأَجر والثواب .

والأَصالة تشكر الأَخ الفاضل حسين الغامدي ، وترحب به أَخًا ، وتتمنَّى أَن تكون عند حسن الظنِّ بها ، وسنعرض أَسئلتك يا أَخ حسين على فضيلة شيخنا الأَلباني في أَعداد قادمة إِنْ شاء اللَّه ، وفَّق اللّه الجميع لما يحبُّ ويرضى .

● ووصلت إلى **الأَصالة** رسالة من الأَخ المحبِّ والصَّديق الوفيِّ أَبي صهيب أَحمد سلَام - حفظه اللَّه - الدَّاعية إِلى اللَّه في (أَيندهوفن - هولندا) يقول فيها :

السَّلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

أَسأَل اللَّه تعالى أَن يوفقنا وإِيَّاكم والمسلمين لكل ما فيه خير الدنيا والآخرة ، وأَسأَله أَنْ تكونوا والإِخوة جميعًا بخيرٍ وعافيةٍ وهمَّةٍ ونشاطٍ .

والأَخ أَبو صُهَيب يسأَل عن سبب تأَخر إِرسال **الأَصالة** إِليهم ، بالإِضافة إِلى أَنَّه قد زوَّدنا - أَكرمه اللَّه - بمقالين نافعين .



و**الأَصالة** تشكر الأَخ أَبا صهيب أَحمد سلَام ، وتتمنَّى له ولإِخوانه التوفيق والسَّداد ، وسنعمل على نشر مقالاتك النَّافعة تباعًا بإِذن اللّٰه ، أَمَّا الأَعداد التي طلبتموها من **الأَصالة** فسبب تأَخُّرها عدم توفُّرها عندنا ، وقد طلبناها لكم من موزعنا ووكيلنا في المملكة العربية السعودية ، ونحن ننتظر مثلكم ، وسنرسلها إِليكم بعد وصولها إِلينا إِنْ شاء اللّٰه تعالى .

ونشكر لكم ما تقومون به وما تبذلون في سبيل نشر عقيدة السَّلف الصالح ، ومنهاجهم ، واللّٰه يحفظُنا وإِيَّاكم من كل مكروهٍ وسوءٍ .

واقبلوا تحيَّات إِخوانكم في **الأَصالة** واعتذارَهم عن تقصيرِهم معكم ومع غيركم .

« مُحدِّثون أم مُخدِثون ؟! »

التحرير

هنالك في السَّاحة العلمية - اليوم - قوم لهم انشغال بعلم (الحديث) النَّبويِّ ، ولكنهم (مُخْدِثون) !!

فقد كان من مقتضى كون (الرجل) مُحَدِّثًا أَن يكون سلفيَّ العقيدة ، وقَّافًا عند حدود الكتاب والسنَّة ، يرى ما سواهما من وسواس الشياطين ، وأَنْ يكون مستقلًّا في الاستدلال لما يؤخذ ولما يُترك من مسائل الدين ، وقد تعالت هِمَمُ المحدِّثين عن تقليد الأَئمَّة المجتهدين ، فكيف ترضى بتقليد المبتدعة الدجَّالين ؟!

ولكن - يا للأَسف - عُرِفَ عن قومٍ لهم اشتغال بعلم (المصطلح) والأَسانيد ، ولبعضهم همٌّ في استيعاب الروايات والإِجازات ، لكنهم قضوا عمرهم في نصر (البدع) و (الضلالات) ، و (محدثات) الأَقوال والأَفعال ، وبعضهم يعمل على نصر (الطُّرقية) ، وضلالات (الطرقيين) ، وبعضهم حرب عوان على السَّلفية ، وخصم لدود لمن كان على منهج السَّلف الصَّالح - رضي اللَّه عنهم - !

وهل يُرجى من هؤلاء وأُولئك - ممن نشأ في أَحضان (البدعة) ، وفتح عينيه على أَصحابها ، وعلى ما فيها من مالٍ وجاهٍ ، وشهوات ميسرة ، ومخايل من المُلك - أَنْ يكون سلفيًا ، ولو سلسل الدنيا كلها بسلسلاته ؟!

« إِنَّ السَّلفية نشأَة ودراسة وارتياض ، فالنشأَة أَنْ ينشأ في بيئة - أَو بيت - كلُّ مافيها يجري على السُّنَّة عمَلًا وقولًا ، والدراسة أَن يدرس من القرآن والحديث الأُصولَ الاعتقادية ، ومن السيرة النَّبويَّة الجوانب الأَخلاقية والنَّفسية ، ثمَّ يروِّض نفسه



بعد ذلك على الهَدْي المعتصر من تلك السيرة ، وممن جرى على صراطها من السَّلف »[١].

فالمشتغلون بالحديث - هذه الأَيَّام - من (المحْدَثين) ممن لم يتَّصفوا بهذه السِّمات - وإِنْ حصَّلوا (الإِجازات) - إِنَّما هم بحاجةٍ إِلى أَنْ يعودوا إِلى (تقويم الذَّات) ، وينظروا إِلى منهج الصحابة والتابعين في الفهم والتلقِّي ، ليحصل لهم - إِنْ شاء اللَّه تعالى - الاقتداء ، وحينئذٍ يتعاملون مع الأَحاديث النبويَّة وكأَنَّ النَّبي ﷺ يخاطبهم بها ، فهم بها يتمسكون ، ولأَهلها يوالون .

ورحم اللَّه ابن القيِّم ، فإِنَّه يقول : « ولقد خاطبتُ يومًا بعض أَكابر هؤلاء ، فقلتُ له : سأَلتك باللَّه ، لو قُدِّر أَنَّ الرَّسول ﷺ حيٌّ بين أَظهرنا ، وقد واجَهَنا بكلامه وخطابه ، أَكان فرضًا علينا أَنْ نتَّبعه من غير أَن نعرضه على رأَي غيره وكلامه ومذهبه ، أَم لا نتّبعه حتى نعرض ما سمعنا منه على آراء النَّاس وعقولهم ؟

فقال : بل كان الفرضُ المبادرةَ إِلى الامتثال من غير التفاتٍ إِلى سواه .

فقلت : فما الذي نسخ هذا الفرض عنَّا ؟ وبأَيِّ شيءٍ نُسخ ؟

فوضع إِصبعه على فيه ، وبقي باهتًا متحيِّرًا ، وما نطق بكلمة »[٢].

... فليسَ كُلُّ مَن استعرضَ المتونَ ، وتعرَّضَ للأَسانيدِ ، وشَغَلَ النَّاسَ بخلافاتِه ومُخالفاتِه (مُحَدِّثًا) .

نَعَم ؛ هو (مُحْدِثٌ) حَدَثَ سوءٍ شَغَلَ به نفسَهُ ، وأَزْعَجَ به غيرَه ، لأَنَّه لم يُبْنَ على ساق العلمِ ، ولم يعتمد على ركن وثيق ..

واللَّهُ الهادي .

---

(١) من كلام الشيخ محمَّد البشير الإِبراهيمي في « عيون البصائر » (٦٢٢) .

(٢) « مدارج السَّالكين » (٢ / ٣٨٨) .

استبيان الأَصالة

بمُناسبةِ دخول **الأصالة** عامها الثالث ، وإيمانًا منَّا بضرورة التناصح ، وأَهميَّة التجديد النَّافع ، نضعُ بين أَيدي قرَّائنا الأَفاضل هذا الاستبيانَ ؛ من أَجل رفعِ مستوى رسالتنا ، وللحفاظ على استمرارها ، وفي سبيل جعلها تلبي النَّافع من آراء الإخوة القرَّاء ، وحتَّى تغطي ما يدور في أَذهانهم لتصبح حقًّا مجلة كل أَخٍ مسلمٍ ، ولتدخلَ كلَّ بيتٍ مسلمٍ - من أَجل ذلك كله نرفع إليكم هذا الاستبيان المتضمِّن لبعض النَّواحي المراد إبداء الرأْي حولها ؛ لترسلوه لنا ونحن لكم من الشَّاكرين :

أَوَّلًا - مكانة المجلَّة على السَّاحة الدَّعويَّة :

(١) عالية (٢) متوسطة (٣) دون المستوى

ثانيًا - لغتها وبيانها :

(١) قوية (٢) متوسطة (٣) ضعيفة

ثالثًا - الأَخطاء التي تقع فيها :

(١) كثيرة (٢) متوسطة (٣) قليلة

رابعًا - الأَبحاث والأَبواب والمواضيع المطروحة فيها :

(١) شاملة (٢) مقتصرة على البعض (٣) قاصرة (٤) محتوية على الأَهم

خامسًا - اهتمامها بعقيدة التوحيد ومنهج السَّلف الصالح :

(١) ممتاز (٢) جيد (٣) متوسِّط (٤) ضعيف

سادسًا - ملاحظات أُخرى واقتراحات :

طَلَبٌ وَرَجاءٌ

تدعو أُسرة تحرير رسالة « **الأَصالة** » أَهل العلمِ وطلابه مُشاركتها في دعوتِها بالكتابةِ إِليها ، ومناصرتها بالكلمة الطيبة ، والنُّصح والإِرشاد ، والنَّقد البنَّاء .

وترجو من الإِخوة الذين يرغبون في الكتابةِ إِليها مراعاة الأُمور الآتية :

١- الحرص على الموضوعات الَّتي تجدّد للأُمّةِ دينها ، وتنشئ جيلاً مسلماً ، ثابتاً على الحقّ ، يرضى بالله ربّاً وبالإِسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً رسولاً .

٢ - أَن يكون الموضوع مُتَّسقاً مع منهجِ السلف الصالح رضي الله عنهم .

٣ - اعتماد الدليل من الكتاب والسنّة الصحيحة ، والاستئناس بفهم أَهل العلم والإِيمان من هذه الأُمّة .

٤ - اعتماد الأُسلوب العلمي والابتعاد عن الزخرفة اللَّفظيّة ، واختيار العبارات الميسرة الَّتي يَسهُل فهمُها ولا تستعجم على السَّواد الأَعظم من المسلمين .

٥ - الكتابة بخط مقروءٍ ، والعناية بعلاماتِ الترقيم ، وتوثيق الأَقوالِ ببيان مصادرها .

ونسألُ اللهَ أَن يوفّقَ الجميع لما يحبّه ويرضاه ، وأَن يُؤلّف بين قلوب المسلمين ، ويجمع كلمتهم على الكتاب والسنّة الصحيحة وفهم سلف الأُمّة .

« **الأَصالة** »

تَنْبِيهٌ وَبَيانٌ

لتكونوا عونًا لنا على نشر العلم النافع ، وتعميم الفائدة بين المسلمين ؛ سيرًا على نهج سلفِ الأئمّة الصالحين ، وطرائقهم الخيِّرة في الدعوة والتربية.

ولأنَّ كُلًّا منّا - نحن المسلمين - على ثَغرة ، فإنّنا نعرضُ عليكم بابًا مِن أبواب البرِّ تفتحونه لأنفسكم ؛ ينفعكم - بمنّة اللّه - في أُخراكم ، وذلك من خلال تَبنّيكم مجموعةَ أعداد من رسالتكم (**الأصالة**) ، ومن ثمَّ توزيعها على طُلّاب العلم والحريصين على التعلُّم .

وعليه ؛ فإنّنا نرجو منكم - إن رغبتم - تحديدَ ما يلي :

أولًا : الكميّة التي ترغبون بتوزيعها :

١ - (٥٠) نسخة . ٢ - (١٠٠) نسخة . ٣ - (٢٠٠) نسخة .

٤ - (٥٠٠) نسخة . ٥ - (١٠٠٠) نسخة . ٦ - ( ) نسخة .

ثانيًا : الجهة التي ترغبون أن توزع فيها :

١ - البلاد الإسلاميّة الفقيرة .

٢ - تقدمةٌ للمراكز الإسلاميّة والمجلات الأخرى والشيوخ .

٣ - المساجد . ٤ - طلبة العلم الفقراء .

ثالثًا : الاشتراك الذي ترغبونه :

١ - نصف سنوي . ٢ - سنوي . ٣ - أعداد معيَّنة .

رابعًا : طريقة التوزيع التي ترغبونها :

١ - أن نُسَلِّمها لطرفكم ، أو لجهةٍ معيَّنة أنتم تُحَدِّدونها .

٢ - أن نقومَ نحن بتوزيعها .

خامسًا : يُرفق شيك بالقيمة الإجمالية ، على وَفْق المطلوب ، باسم **رئيس التحرير** .

الأصالة

عَودَة إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَف الأمَّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجيَّةٌ جامِعَةٌ

تصدر منتصف كلِّ شهر هجري ، وفي كلِّ شهرين مرَّة مؤَقَّتًا

السنة الثالثة : العددان الخامس عشر والسادس عشر

١٥ ذي القعدة ١٤١٥ هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نصر

ص ب ٥٣٣٨ / ١١٣

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ للَّه ، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا ، ومِن سَيِّئـاتِ أَعمالنا ، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وأَشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا الله حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلّا وَأَنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أَيُّها النّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالًا كثيرًا ونِساءً واتَّقوا الله الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ الله كانَ عَلَيكُم رَقيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا الله وقولوا قَولًا سَديدًا يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ الله ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزًا عَظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه ، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها ، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النّار .

المحتوى

مَنْ للإِسلَام ؟!

التحرير

تتعالى أَنَّاتُ الثكالى ، وتتوالى آهاتُ اليتامى ... مِن هنا تارةً ، ومِن هُناك تاراتٍ ، طورًا على عِزٍّ مفقود ، وآخرَ على واقعٍ منكود ، وأطوارًا على أَملٍ منشود ... ويجمعُ هذه الأَنَّاتِ وهاتيكَ الآهاتِ شيءٌ واحدٌ ، وهو **الإسلام** ...

حتَّى أُولئك المسلمون الذين يعيشون في بُؤرة الكُفْرِ وَسَطَ أُوروبَّة مِمن لا يعرفُ أَكثرُهُم مِن الإِسلام إلَّا اسمَه ، ومِن القرآن إلَّا رسمَه ، لم يَنْجُوا مِن الحِقد الصليبيِّ اللئيم ، ولم يَسْلَمُوا من تكالُب أعداءِ الإسلام المنادين كذبًا وزورًا وبُهتانًا بـ « حقوق الإنسان » !! والسببُ - فقط - أَنَّهم مُسلمون ، فـ (لعلَّهم) إلى دينهم يرجِعون ، وبهديهِ يهتدون !!

وإذا نَظرتَ إلى المسلمين في مُعْظَم البلاد الإسلاميَّة تراهم مُستضعفين ، مُضيَّقًا عليهم ، مُشَدَّدًا على ما يقومون به ، حتى ولو كانوا مِن (المعتدلين) لا مِن (المُتطرفين) كما يُقال !!

ومِمّـن ؟!

مِن أُناس يقولون : نحن مسلمون ! بل : نحن حُماةُ الإِسلَام والمسلمين ! و: نحن حَمَلَتُهُ ! و : لَنا الشَّرفُ بالانتماءِ إليه !!

أَيُّ شَرَفٍ وأَيُّ حمايةٍ وأنتم تدوسون المسلمين ، وتُشَدِّدون الخَنَاق عليهم ؟!

فَلا دعوةَ ، ولا دُروسَ ، ولا مُحاضرات ، ولا نَدَوات ...

ثم يقولون : حُريّة ! ديمقراطية !



مَن للإِسلام ، يُعيدُ مجدَه ، ويُرْجِعُ عِزَّه !

مَن للإِسلام ، يُنيرُ دربَه ، ويُسْعِدُ أَهلَه !

مَن للإِسلام ، يَشُدُّ أَزرَه ، ويرفعُ رايَته !

... ﴿ قالت الأعرابُ آمنَّا قُلْ لم تُؤْمِنوا ولكنْ قولُوا أسلَمنْا ولمَّا يدخُل الإيمانُ في قلوبكم ﴾ ...

لا شكَّ ولا ريبَ أَنَّ للإِسلام جنده ، وقد وعدهم الله بنصره و ﴿ لتعلمُنَّ نبأه بعد حين ﴾ .

وقد بشَّرنا نبيُّنا ﷺ بنصر الإِسلام طال الليل أَم قصر ، وأَنَّ الطائفة المنصورة باقية حتّى يرث الله الأَرض ومن عليها ، ومهما انتفش الباطل وعلا الزبد فإِنّه زاهق وذاهب إِلى جفاء ، مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ أَما الزبد فيذهب جُفاءً وأَمّا ما ينفعُ النَّاس فيمكثُ في الأَرض ﴾ ، والنصر مع الصبر ، والعاقبة للمتقين .

﴿ وإِن تصبروا وتتقوا لا يضرُّكم كيدهم شيئًا إِنَّ الله بما يعملون محيط ﴾ ، ﴿ والله غالب على أَمره ولكنَّ أَكثر الناس لا يعلمون ﴾ ، وهو الهادي إِلى سواء السبيل .



رحمةٌ للأُمَّة

مشهور بن حسن

سورة الأنفال يدور موضوعها كلُّه ، وتلتقي آياتُها جميعًا على إرجاع الأمر إلى الله عزَّ وجلَّ ، فلا تكاد تخلو آية من آياتها من هذا الموضوع ، يقول الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله ... ﴾، ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحقِّ ﴾ ، ﴿ وإذ يعدكم الله إِحدى الطائفتين ... ﴾ ، ﴿ وما جعله الله إلا بشرى ... ﴾ ، ﴿ فلم تقتلوهم ولكنَّ الله قتلهم ﴾ ، ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة ... ﴾ ، ﴿ وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى ﴾ ، وغيرها كثيرٌ جدًّا .

وسورة الأنفال جاءت عَقِبَ سورة الأعراف ، والأولى مبشِّرة بالنَّصر والغنيمة ، والثانية منذرة ، وفيها بيانٌ لهلاك الأمم التي حادت عن شريعة ربها ، وتلبَّست بالتَّرف والتَّعيم والظلم وأكل أموال الناس .

وسورة الأنفال تناولت أحداث غزوة بدر بإِسهاب ، وجاءت فيها نداءاتٌ إلهيةٌ للمؤمنين ، وأوّلُ نداءٍ فيها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولُّوهم الأدبار ﴾ والأخير منها فيه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾.

فانظر أَخي القارئ -- رعاك اللهُ وهداك - كيفَ بدأَ اللهُ سبحانَه وتعالى النِّداءاتِ للمؤمنينَ بالتحذيرِ من الفرارِ ، وختمها بالثباتِ أَمام الأَعداء .

ومن بين النداءات التي في هذه السورة قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتَوَلَّوْا عنه وأنتم تسمعون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسولِ إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ ، وقوله

تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله ورسوله ﴾ ، فطاعة الله والرسول مع الاستجابة وعدم الخيانة تثمر التقوى التي تتحصل بها البصيرة ، وهذا ما جاء في النداء قبل الأخير ، وهو قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنْ تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ﴾ .

ومن الجدير بالذكر أن هذا من أهم مقومات الحياة التي يتمتع بها المطيع والمستجيب لله ورسوله ﷺ ، فهي حياة أساسها التقوى ، وثمرتها البصيرة والفرقان بين الحق والباطل ، ومتى قامت حياةُ الناس على ذلك ، فهم بعيدون كلَّ البُعد عن سخط الله وعذابه ، وهذا ما ذكره الله لنا في هذه السورة صراحة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ فالعذاب مرفوع عنا مادام رسول الله ﷺ فينا وإن لم يكن بيننا ، وذلك من خلال طاعته والاستجابة لماورد في سنّته بخلافِ من لم يستجب أو كذَّب وطغى ، وردّ على رسول الله ﷺ سنته ، فهو مهدّد بالعذاب والأخذ .

وقد حفظت لنا كتب أهل العلم أَمثلةً تدل على ما ذكرناه ، نقتصر منها على الآتي :

* قال ابن حجر عن بعض المحدّثين :

إنه رحل إلى دمشق لأخذ الحديث عن شيخٍ مشهورٍ بها ، فقرأ عليه جملة ، لكنه كان يجعل بينه وبينه حجابًا ، ولم ير وجهه ، فلما طالت ملازمتهُ له ، ورأى حرصَه على الحديث ، كشف له السِّتر ، فرأى وجهه وجه حمار ، فقال له : احذر يا بُنيَّ ! أن تسبق الإمام ، فإني لما مرَّ بي في الحديث استبعدتُ وقوعه ، فسبقتُ الإمام ، فصار وجهي كما ترى[1].

وأسند النووي إلى أبي يحيى زكريا بن يحيى السَّاجي قال : كنا نمشي في أَزقَّةِ

---

(١) « فتح الملهم بشرح صحيح مسلم » (٢ / ٦٤) .

البصرة إلى باب بعض المحدِّثين ، فأسرعتُ المشي ، وكان مع رجلٍ منهم ماجنٌ في دينه ، فقال : ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لاتكسروها ! كالمستهزئ ، فما زال في موضعه حتى جفت رجلاه وسقط ، ثم قال : « قال الحافظ عبدالقادر – أي : الرُّهاوي – : إسناد هذه الحكاية كالواحد ، أو كرأي العين ، لأنَّ رواتَها أعلام أئمّة » .

ثم أسند إلى أبي داود السجستاني قال : « كان في أصحاب الحديث رجل خليع ، إلى أن سمع بحديث النبي ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع ، فجعل في عقبيه مسامير حديد ، وقال : أريد أن أطأ أجنحة الملائكة ، فأصابته الآكِلَةُ في رِجْلَيْهِ » .

وقال : « وذكر الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل التَّيمي -رحمه الله- في كتابه « شرح صحيح مسلم » هذه الحكاية، فيها: وشُلَّتْ رِجْلاه ويداه وسائرُ أعضائه.

قالَ : وقرأتُ في بعضِ الحكاياتِ : أَنَّ بعضَ المبتدعةِ حين سمعَ قولَ النبيِّ ﷺ : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ، فإنه لا يدري أين باتت يداه » ، قال ذلك المبتدع على سبيل التَّهكُّم : أنا أدري أين باتت يداي : في الفراش ، فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه » .

قال التيمي : « فليتَّقِ المرء الاستخفاف بالسُّنن ، ومواضع التوفيق » ، فانظر كيف وصل إليهما شؤم فعلهما »[1].

أرأيت أخي القارئ ، كيف أن الله عزَّ وجلَّ يعذِّب من لم يستجب لرسوله ﷺ ، ويستهزأ بسنّته !

وكذلك فإن معنى قوله تعالى : ﴿ وما كان الله معذبهم ﴾ أي : مثبتًا وصف تعذيبهم بحيث يدوم، ﴿ وهم يستغفرون ﴾ أي: يطلبون الغفران بالدُّعاءِ، أو يوجدون

---

(١) « بستان العارفين » (ص ٥٠) .

هذا اللفظ فيقولون : أَستغفر الله ، فإن لفظه وإن كان خبرًا فهو دعاء وطلب ، فوجوده ﷺ في قوم بشخصه ، أو سنَّته أبلغ من نفي العذاب عنهم ، كما تقول : ما كنتُ لأضربك وأنت تطيعني .

وفي هذا حث عظيم للتمسُّك بسنّته ﷺ أَو كثرة الاستغفار، وبيان ما في ذلك في النعمة والرَّغبة ، وهذان أمانان للأُمَّة المحمدية ، فهي بهما باقية ، وبسببهما مرحومة .

المُؤمِنُ مُفتَّنٌ

علي بن حَسَن

صَحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال : « إِنَّ المُؤْمنَ خُلِقَ مُفَتَّنًا تَوابًا نَسَّاءً ، إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ »[١].

فهذا حديثٌ يُبَيِّنُ صفاتٍ للمؤمنين ، تُلازِمُهم ولا تُفارقُهم ، تُصيبُهم ولا تُحْجَبُ عنهم ، يتلبَّسونَ بها ولا يتعدون عنها :

فالمُفَتَّنُ هو المُمْتَحَنُ الَّذي فُتِنَ كثيرًا ، والمُراد : مُمْتَحَنًا يمتحنُه الله بالبلاء والذنوب مرّةً بعد أُخرى [٢].

فالفتنُ تزيدُهُ إيمانًا ، وتُقَوِّي يقينَه ، وتبعثُ فيه رُوحَ الصِّلةِ المستمرّةِ باللهِ جَلَّ في عُلاه ، لأَنَّه بضعفهِ يعرفُ قُوَّةَ الله ، وبعجزه يعرفُ جبروتَ ربِّه .

وقد وردَ في « الصحيحين » أَنَّ النبيَّ ﷺ قال : « مثل المؤمن كالخامة من الزرع ؛ تُفَيِّؤُها الريحُ مرّةً ، وتَعْدِلُها مرّةً ، ومَثَلُ المُنافقِ كالأَرْزَةِ لا تزالُ حتّى يكونَ انْجِحافُها مرّةً واحدةً » .

نعم ؛ هذه صِفةُ المؤمن بإيمانِهِ الحقِّ ، وتوحيدِهِ الخالص ، والتزامِهِ الصحيح .

و« **التوّاب النَّسِيُّ** » : هو الذي « يتوبُ ثم ينسى ثم يتذكّر فيتوب »[٣]؛ يُحقِّق

---

(١) ترى تخريجه في « السلسلة الصحيحة » (٢٢٧٦) .

(٢) « فيض القدير » (٥ / ٤٩١) .

(٣) « فيض القدير » (٥ / ٤٩١) .



في نفسِهِ بتوبتِهِ صفةً من صفاتِ الباري جَلَّ شأْنُه ، وهي « الغَفَّار » ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تاب وآمنَ وعَملَ صالحًا ثمّ اهتدى ﴾ .

و« إِذا ذُكِّر ذَكَرَ » : إذا ذُكِّر بالطاعةِ ثَابَ إليها ...

وإِذا ذُكِّر بالمعصيةِ تاب منها ...

وإِذا ذُكِّر بالصواب أقام عليه ...

وإِذا ذُكِّر بالخَطَأ جانَبَه وفارقَه ...

... لا يستكبر ، ولا يتعاظمُ ، ولا يفتخرُ ، ولا يتعالى ...

بل يَذلُّ لإِخوانهِ ، ويَلِينُ لأَصحابهِ ، ويتلطَّفُ مع أَحبابهِ ، لأَنَّه يعلمُ أَنَّ هذا هو سبيلُ أَهلِ الحقِّ ، وطريقُ المؤمنين الصالحين ؛ مَعَ أَنفسِهم بصدق الباطن وصلاح الظاهر ، ومع غيرهم بِطِيب المَعْشَر ، وحُسْن الخُلُق ، مُتأَسِّيًا بالقدوة التامَّةِ ، والأسوةِ الكاملةِ رسولنا محمدٍ ﷺ الذي وصّاهُ ربُّه بقولِهِ : ﴿ فَبِمَا رحمةٍ مِن اللهِ لِنْتَ لَهُم ... ﴾ .

هذه صِفةُ المؤمن ، وهذا هو صراطُ حياتهِ ، ونهْجُ سلوكه ...

كلمة التوحيد : فضلها ومعناها

الشيخ محمد بن صالح العُثيمين

الشهادتانِ شهادةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا الله ، وأَنَّ محمداً رسول الله ، هي مُفتاحُ الإِسلامِ ، ولا يُمكنُ الدخولُ إلى الإِسلامِ إلّا بها ، ولهذا أَمرَ النبيُّ ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمنِ أن يكونَ أَوّلَ ما يدعوهم إليه شهادة أَن لا إله إلّا الله ، وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ .

فأَمّا الكلمةُ الأُولى : « شهادةُ أَن لا إله إلّا الله » ؛ بأَن يعترفَ الإنسانُ بلسانِه وقلبِه بأَنّه لا معبودَ بحقٍّ إلّا الله عزَّ وجلَّ ؛ لأَنَّ إله بمعنى مأَلوه ، والتأَلّه : التعبُّد ، والمعنى أَنّه لا معبودَ بحقٍّ إلّا الله وحدَه ، وهذه الجملةُ مشتملةٌ على نفي وإِثبات ، أَمّا النفيُ فهو « لا إله » ، وأَمّا الإثباتُ ففي « إلّا الله » ، والله « لفظ الجلالةِ » بدل من خبر « لا » المحذوف ، والتقدير « لا إله إلّا الله » ، فهو إِقرار باللسان بعد أَن آمنَ به القلبُ بأَنّه لا معبودَ بحقٍّ إلّا الله عزَّ وجلَ ، وهذا يتضمنُ إِخلاصَ العبادةِ للهِ وحدَه ، ونفيَ العبادةِ عمّا سواه .

وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمةِ « حقّ » يتبيّنُ الجوابُ عن الإِشكالِ الَّذي يوردُه كثيرٌ من الناسِ وهو : كيفَ تقولونَ : لا إله إلّا الله مع أَنَّ هناك آلهة تعبدُ من دونِ الله ، وقد سمّاها الله تعالى آلهة ، وسمّاها عابدُها آلهة ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فما أَغنت عنهم آلهتُهم الَّتي يدعونَ من دونِ اللهِ من شيءٍ لمّا جاءَ أَمر ربّك ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا تجعل مع اللهِ إلهاً آخرَ ﴾ ، فكيفَ يمكنُ أَن نقولَ : لا إله إلّا اللهُ مع ثبوت الألوهيّة لغيرِ الله عزَّ وجلّ ؟! وكيفَ يمكنُ أَن نثبتَ الأُلوهيّة لغيرِ الله عزَّ وجلَّ والرسل يقولون لأَقوامِهم : ﴿ اعبدوا اللهَ ما لَكُم مِنْ إلهٍ غيرُه ﴾ ؟!



والجوابُ على هذا الإشكالِ يتبيّنُ بتقديرِ الخبر في (لا إله إلّا اللهُ) فنقول : هذه الآلهةُ الّتي تعبدُ من دونِ اللهِ هي آلهةٌ ؛ لكنّها آلهةٌ باطلةٌ ليست آلهةً حقّةً ، وليس لها من حقِّ الألوهيّةِ شيءٌ ، ويدلُّ لذلكَ قولُه تعالى : ﴿ ذلك بأَنَّ اللهَ هوَ الحقُّ وأَنَّ ما يدعونَ من دونِه الباطلُ وأَنَّ الله هو العليُّ الكبيرُ ﴾ ، ويدلُّ لذلك أيضاً قولُه تعالى : ﴿ أفرأيتُم اللاتَ والعزَّى ومناةَ الثالثةَ الأخرى أَلَكم الذكرُ وله الأُنثى تلك إذاً قسمة ضيزى إن هي إلّا أسماء سمّيتمُوها أنتم وآباؤكم ما أَنزلَ بها من سلطان ﴾ ، وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام ﷺ : ﴿ ما تعبدونَ من دونِه إلّا أسماءً سمّيتموها أَنتم وآباؤكُم ما أَنزلَ اللهُ بها من سُلطان ﴾ .

إذن فمعنى : « لا إله إلّا الله » لا معبودَ بحقٍّ إلّا الله عزَّ وجلَّ ، فأَمّا المعبوداتُ سواه فإِنَّ أُلوهيتَها الّتي يزعمها عابدها ليست حقيقةً ، أَي : أُلوهيّة باطلة ، بل الأُلوهيّة الحقّ هي أُلوهيّة اللهِ عزَّ وجلَّ .

أمّا معنى شهادة « أَنَّ محمداً رسولُ اللهِ » فهو الإقرارُ باللسانِ والإيمانِ بالقلبِ بأَنَّ محمدَ بن عبداللهِ القرشيَّ الهاشميَّ رسولُ اللهِ عزَّ وجل إلى جميعِ الخلقِ من الجنِّ والإنسِ كما قالَ الله تعالى : ﴿ قُل يا أيُّها النّاسُ إنّي رسولُ اللهِ إليكم جميعاً الّذي له ملكُ السمٰواتِ والأرضِ لا إله إلّا هو يحيي ويميتُ فآمنوا باللهِ ورسولِه النبيّ الأُميِّ الّذي يؤمنُ باللهِ وكلماتِه واتبعوه لعلّكم تهتدون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ تباركَ الّذي نزّلَ الفرقانَ على عبدِه ليكونَ للعالمينَ نذيراً ﴾ ، ومقتضى هذه الشهادةِ أَن تصدّقَ رسولَ الله ﷺ فيما أَخبر ، وأَن تمتثلَ أَمرَه فيما أَمر ، وأَن تجتنبَ ما عنه نهى وزجر ، وأَن لا تعبدَ اللهَ إلّا بما شرعَ ، ومقتضى هذه الشهادةِ أَيضاً أَن لا نعتقدَ أَنَّ لرسولِ الله ﷺ حقّاً في الربوبيّةِ وتصريفِ الكونِ ، أَو حقّاً في العبادةِ ، بل هو ﷺ عبدٌ لا يُعبد ، ورسولٌ لا يكذَّبُ ، ولا يملكُ لنفسِه ولا لغيرِه شيئاً من النفعِ أَو الضرِّ إلّا ما شاءَ اللهُ كما قالَ اللهُ تعالى : ﴿ قل لا أَقولُ لكم عندي خزائنُ اللهِ ولا أَعلمُ الغيبَ ولا أَقولُ لكم إنّي مَلَكٌ إنْ أَتبعَ إلّا ما يوحي إليّ ﴾ ، فهو عبدٌ مأمورٌ يتبعُ ما أُمرَ به ، وقال الله تعالى : ﴿ قل إنّي لا أَملكُ لكم ضرًّا ولا

رَشَداً قل إِنّي لن يجيرني من اللهِ أَحدٌ ولن أَجدَ مِنْ دونِه مُلتحداً ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ قل لا أَمْلِكُ لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إِلّا ما شاءَ اللهُ ولو كنتُ أَعلمُ الغيبَ لا ستكثرتُ من الخيرِ وما مسّني السوءُ إِن أَنا إِلّا نذيرٌ وبشير لقومٍ يؤمنونَ ﴾ ، فهذا معنى شهادةِ (أَن لا إِلٰه إِلّا الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله) .

وبهذا المعنى تعلمُ أَنّه لا يستحقُّ العبادةَ لا رسول الله ﷺ ، ولا مَن دونَه من المخلوقين ، وأَنَّ العبادةَ ليست إِلّا لله تعالى وحدَه : ﴿ قل إِنَّ صلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالمينَ لا شريكَ لهُ وبذلكَ أُمرتُ وأَنا أَوّلُ المُسلمين ﴾ ، وأَنَّ حقّه ﷺ أَن ننزلَه المنزلةَ الّتي أَنزلهُ اللهُ تعالى إِيّاها ، وهو أَنّه عبدالله ورسولُه صلوات الله وسلامُه عليه .

وعلى وَفْقِ ما بيّنْتُ ؛ فإِنَّ كلمةَ « لا إِلٰه إِلّا الله » تشملُ جميعَ أَنواعِ التوحيدِ كلِّها ، إِمّا بالتضمُّنِ وإِمّا بالالتزامِ ، وذلك أَنَّ قولَ القائل : « أَشهدُ أَن لا إِلهَ إِلّا اللهُ » يتبادرُ إِلى الذهنِ أَنَّ المرادَ بها توحيد العبادةِ - الّذي يسمّى توحيدَ الأُلوهيّة - ، وهو متضمّنٌ لتوحيدِ الربوبيّةِ ؛ لأَنَّ كلَّ من عَبَدَ اللهَ وحدَه ، فإِنّه لن يعبدَه حتّى يكونَ مقرّاً له بالربوبيّةِ ، وكذلك متضمنٌ لتوحيدِ الأَسماءِ والصفاتِ ؛ لأَنَّ الإِنسانَ لا يعبدُ إِلّا من علم أَنّه مستحقٌّ للعبادةِ ، لما له من الأَسماءِ والصفاتِ ، ولهذا قالَ إِبراهيمُ لأَبيه : ﴿ يا أَبتِ لِمَ تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يبصرُ ولا يغني عنك شيئاً ﴾ ، فتوحيدُ العبادةِ متضمّنٌ لتوحيدِ الربوبيّةِ ، وتوحيدِ الأَسماءِ والصفاتِ .

ثمَّ إِنَّ بعضَ الناسِ يقول : إِنَّ معنى « لا إِله إِلّا الله » إِخراجُ اليقينِ الفاسدِ على الأَشياءِ ، وإِدخالُ اليقين الصادقِ على اللهِ ؛ أَنّه هو الضارُّ والنافعُ والمحيي والمميتُ ، وكلُّ شيءٍ لا يضرُّ ولا ينفعُ ، وأَنَّ اللهَ هو الّذي وضعَ فيه الضرّ والنفع !! وقولُ هذا القائلِ قولٌ ناقصٌ ، فإِنَّ هذا المعنى من معاني « لا إِلٰه إِلّا الله » ، ومعناها الحقيقي الّذي دعا إِليه رسول الله ﷺ ، وكفر به المشركون أَنّه لا معبودَ بحقٍّ إِلّا الله ، فالإِلٰه بمعنى مفعول ، وتأتي فعّال بمعنى مفعول ، وهذا كثير ، ومنه فراش بمعنى مفروش ، وبنّاء

بمعنى مبنيّ ، وغرّاس بمعنى مغروس ، فإله بمعنى مألوه ، أي : الّذي تألهُهُ القلوبُ وتحبُّه وتعظمُه ، ولا يستحقُّ هذا حقًّا إلّا الله ، فهذا معنى لا إله إلّا الله .

وقد قسّمَ العلماءُ التوحيدَ – كما سبقَ – إلى أقسامٍ ثلاثة : ربوبيّة ، وألُوهيّة ، وأسماء وصفات ، فتوحيدُ الربوبيّة هو : إفرادُ الله سبحانه بالخلْقِ والملكِ والتدبيرِ ، وتوحيدُ الألُوهيّة هو : إفرادُ الله سبحانه بالعبادةِ ، وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ هو : إفرادُ اللهِ بما يجبُ له من الأسماءِ والصفاتِ بأن نثبتَها للهِ تعالى على وجهِ الحقيقةِ من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ .

وقد يقولُ البعضُ إنَّ هذا التقسيمَ للتوحيدِ بدعة [١] ! ولكن نقول بتتبعِ النصوصِ الواردةِ في التوحيدِ وجدناها لا تخرجُ عن هذه الأقسامِ الثلاثة ، والاستدلالُ المبنيُّ على التتبعِ والاستقراءِ ثابتٌ حتّى في القرآنِ ، كما في قولِه تعالى : ﴿ أفرأيتَ الّذي كفرَ بآياتِنا وقال لأُوتينَّ مالاً وولداً أطّلعَ الغيبَ أم اتخذَ عندَ الرحمنِ عهداً ﴾ ، والجوابُ : لا هذا ولا هذا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ كلّا سنكتبُ ما يقول ﴾ .

وبعضُ المتكلمين قالوا : التوحيد أن نُؤمنَ أنَّ الله واحدٌ في أفعالِه لا شريكَ له ، واحدٌ في ذاتِه لا جزءَ له ، واحدٌ في صفاتِه لا شبيهَ له ، وهذا تقسيمٌ قاصرٌ أيضاً .

وعليه ؛ فإنَّ أوّلَ واجبٍ على الخلقِ ، وأوّلَ ما يُدعى الخلقُ إليه هو كلمةُ التوحيدِ ؛ وقد بيّنه النبيُّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثَه لليمنِ فقالَ له : « إنّك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أوّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلّا الله ، وأنَّ محمداً رسولُ الله » [٢] .

فهذا أوّلُ واجب على العبادِ أن يوحدوا الله عزَّ وجلَّ ، وأن يشهدوا لرسولِه ﷺ ، يتحققُ الإخلاصُ والمتابعةُ اللذان هما شرطٌ لقَبولِ كلِّ عبادة .

---

(١) للأخ الشيخ الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد كتاب مستطاب فيه دحض هذه الشبهة وتفنيدها سمّاه : « القول السديد في الرّد على من أنكر تقسيم التوحيد » فراجعه غيرَ مأمور ، وانظر لزاماً (**الأصالة**) العدد الرابع صفحة ٢٣ مقال أقسام التوحيد (**الأصالة**) .

(٢) متفق عليه .

في فقه الدَّعوة

أحمد سَلام

الدعوة لغةً : ماتدعو إليه ، كالتوحيد ، والسنة ، قال الله تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء ﴾[١] .

قال الإمام القرطبي في تفسير آية الرعد : « قال ابن عباس وقتادة وغيرهما : لا إله إلا الله »[٢].

وقال سبحانَه : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ﴾[٣].

قال الإمام ابن كثير في تفسيرِ هذه الآيةِ : « يقول الله تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس آمرًا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقه ومسلكه وسنّته ؛ وهي الدعوة إِلى شهادة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... »[٤].

والدعوة كذلك هي فعل الداعية ، كدعوته إلى الدين أو الصلاة .

والدعوة : المرة الواحدة من الدعاء ، قال الله سبحانه : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إِذا أنتم تخرجون ﴾[٥] .

والدعوة : دعوة الرجل صاحبه ، أي : استدعاءه ، قال في « القاموس » :

---

(١) الرعد : (١٤) .

(٢) يوسف : (١٠٨) .

(٣) « الجامع لأحكام القرآن » (٩ / ١٩٧) .

(٤) « تفسير القرآن العظيم » (٢ / ٤٩٥) .

(٥) الروم : (٢٥) .

« وهو منّي دعوة الرجل أي : قدر ما بيني وبينه ذاك »[١]. أي : قدر ما تبلغه الدعوة .

و« الدعوة » : تستخدم في الدعوة إلى الخير والحث عليه ؛ وفي الترغيب في الشر وتزيينه ؛ قال الله تعالى لنبيه : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ﴾ وقال عن إبليس : ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتُكم فاستجبتم لي ﴾[٢].

فالأُولى : هي الدّعوةُ إلى التوحيد ، وهو جماعُ الخيرِ والدِّين ؛ والثانية : هي دعوةٌ إلى الطُّغيانِ والفسادِ .

فالدَّعوة الشَّرعيَّة هي فعل الداعية ، ومنهجه ، ودعوته إلى إقامة الدِّين وحفظه بالقول والإعداد ، والترغيب والترهيب ، والتربية ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

والدعوة تشمل دعوةَ غير المسلمين إلى التوحيد ، ودعوة المسلم الجاهل أو المقصر والمنحرف ، قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾[٣].

فكلمة (الخير) ومثلها كلمة (المعروف) تجمعان كل ما جاء به الإسلام من اعتقاد وفريضة وفضيلة ، فكل واحدة منهما تجمع أصول التوحيد وفروعه .

وكلمة (المنكر) تجمع كل المحرمات التي جاء الإسلام لإزالتها ، من الشِّرك والبدع والمعاصي والرذائل .

فالآية تشمل الدعوة إلى الدين وإقامته وحفظه ، وإزالة الشرك والمنكرات ، وهذا يشمل الأصول والفروع ، وكل ذلك يشمله معنى الدعوة التي كُلِّفَتْ بها الأمة .

---

(١) القاموس المحيط (١٦٥٥) .

(٢) إبراهيم : (٢٢) .

(٣) آل عمران : (١٠٤) .

ومن الأدلّة الظاهرة على ما ذكرت ؛ قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾[1].

فالآية توجّهت بالخطاب للمؤمنين ، وَأَمَرتْهم بالاستجابة لدعوة الله ورسوله التي تحييهم ، فالدعوة للمؤمنين ليست إلى أصل الإيمان يقينًا ، فهي دعوة إلى استكمال فعل الواجبات ، والثبات عليها ، وهجر المحرمات واجتنابها .

فالدّعوة إلى التّوحيد والإيمان من الدعوة ، والإعداد لإقامة مجتمعه وإعلاء كلمته دعوة ، والأمر بالصلاة والزكاة دعوة ، والدعوة إلى لزوم منهج السلف دعوة ، والدعوة إلى الفضائل الواجبة والمندوبة دعوة ، والنهي عن الشرك وعبادة غير الله دعوة ، والنهي عن الكبائر والمعاصي دعوة ، والترهيب من فعل البدعة ومخالفة منهج السلف دعوة ، وكذلك الترهيب عن الرذائل المكروهة والشُّبهات دعوة .

وإذا أردنا وضع تعريف للدعوة بالمفهوم السُّنِّي السلفيّ فلا بد من الرجوع إلى بعض التمهيدات والمقدِّمات :

١- بناءً على ما تبيَّن من أنَّ الدَّعوة هي ما يدعو إليه الدَّاعي ، وعلى أنَّ الدعوة الشرعية المفروضة تشمل الدعوة للدِّين كلِّه ، فلا بد من أن يشمل التعريف ذكر المصادر والضوابط الضرورية للإحاطة بأصول الدين وفروعه ، والكفيلة بتحقيقها على المقتضيات الشرعية المطلوبة .

ومصادر الدين الأولية عند أهل السنة واتباع السلف ، هي القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وسنة أصحاب رسول اللهِ ﷺ ، وما كانوا عليه .

وطالب العلم لا يخفى عليه - إن شاء الله - أنَّ سُنَّة رسول الله ﷺ هي ترجمان القرآن ، ودليله المعصوم الذي لا يأتيه الباطل ، ولا تتعلق به الأوهام ، وأن سنة الصحابة رضوان اللهُ عليهم تكمل تفسيرًا وتفصيلًا وتجديدًا معنى القرآن ، ومعاني سنة

(١) الأنفال : (٢٤) .

رسول الله ﷺ .

وبهذا نستحضر أن الدعوة السلفية هي : الدعوة إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسوله ﷺ ، وإلى ما كان عليه الصَّحابة .

٢ - وبناء على ما نعلم مِن أن اتباع منهج الكتاب في الدعوة ، واتباع منهج رسول الله ﷺ في الدعوة ، وكذلك اتباع منهج أصحاب رسول الله ﷺ في الدعوة ، واجبٌ مفروضٌ ، لا تتحقق الهداية ولا تَبْرَأُ الذمة بغيره ، فلا بد من أن نقيد الدعوة إلى الله بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف ، لنسير على هدى الكتاب والسنة ومنهج الصحابة [1].

فالفرق المبتدعة لم تضل إلا لمخالفتها منهج رسول الله ﷺ ، وأصحابه في تلقي الدين ، والعمل به ، والدعوة إليه ، عندما تأولت القرآن على خلاف سنة رسول اللهِ ، وسنة أصحابه الذين اتبعوه .

وبهذا يمكن القول إِن دعوةَ منهج السلف ، هي :

(الدعوة إلى سنة رسول الله ﷺ ، وسنة أصحابه رضي الله عنهم ، على سنة رسول الله ﷺ ، وسنة أصحابه رضي الله عنهم) .

وإذا كانت الدعوة تعني الترغيب والحض ، والترهيب والزجر ، والتعليم والبيان فإن من أعظم مقاصدها ومعانيها ، مقصد التمكين للدين ، وإعلاء كلمته وسلطانه ، وذلك المقصد يمر ضرورة من خلال مطالب تمهيدية ضرورية ، أهمها :

التوحيد ، والعبودية ، والعبادات ، والتعليم ، والتربية ، والتكوين ، والمغالبة ، والابتلاء ، والتمكين ، ومعه تأتي ضرورة التحصين .

ففقه الدّعوة يشتملُ على هذا :

---

(١) لي كتاب بعنوان « ما أنا عليه وأصحابي » هو تحت الطبع ، فيه تفصيل هذا الإجمال ، يَسر الله صدوره والانتفاع به .

١- فقه التوحيد والعبادات . ٢- فقه التعليم وتبليغ الدعوة .
٣- فقه التربية . ٤- فقه التكوين .
٥- فقه المغالبة والابتلاء . ٦- فقه التمكين والتحصين .

وفقه الدعوة يعني :

١- فقه أحكام هذه المطالب في منهج السلف ، ومنه أحكام الوسائل المسخّرة لتحقيقها بتمييز الوسائل المشروعة عن الوسائل المحرمة ، فإن أكثر الانحرافات تأتي من خلل أحكام الوسائل ، والخلط بين المشروع منها والممنوع .

٢- فقه طرق تحقيق هذه المطالب في منهج السلف ، وهو ينقسم إلى نوعين :

الأول : يتعلق بموافقة هذه الطرق لمنهج السلف ، وعدم مخالفتها أصوله أو فروعه .

الثاني : يتعلق بمعرفة فعّاليّة هذه الطرق ، وصلاحيتها للوصول إلى المطالب ، وكذلك بإصلاح ما فيها من خلل ، وإكمال النّقص ، وتعهدها بالتحسين والتطوير ، واختيار الأنسب منها في الحالات المختلفة ، وهذا يأتي بعد الأول .

٣- فقه العمل وتحقيق المطالب ، ويدخل فيه :

- فقه المراحل ، بمعرفة اكتمالها ، وإمكان الانتقال إلى التالي منها ، ومعرفة سماتها ، ومتطلباتها وفرائضها الخاصة، وتحقيق التكيف مع هذه المتطلبات والفرائض .

- معرفة حجم التحديات والعقبات ، ومعرفة الوسائل والقدرات المكافئة لها . وتحديد الخطوات والإجراءات المواتية لها .

- فقه أسباب حفظ الطاقات وصيانتها ، وتوظيفها في الأعمال المناسبة ، فلا تتعرض للجمود أو الإهدار .

- فقه أسباب الاستمرار في العمل ، وعدم التراجع والتوقف ، ومعالجة المواقف الطارئة ، واستثمارها .

وبالتأمل في تعريف الدعوة السلفية ، نخرج بالفوائد التالية :

١- إنَّ دخول أي منهج أو جماعة أو عمل دعوي تحت إطار الدعوة السلفية ؛ هو رهن بموافقتها ضوابط السنة النبوية ، وسبيل الصحابة ، وهذا إنّما يكون بلزوم الدعوة إلى السُّنّة النَّبوية وسبيل الصَّحابة ، بما يوافق ذلك في الأدلة والمنهج .

٢- ولا يجوز أن نجعل لشيء من ذلك شيئًا من موجبات الدعوة السنية : ولاءً أوحُبًا أو نُصْرَةً ، إلا بقدر ما تحمله من موافقة للسنة في دعوتها ومنهجها .

٣- ولا يعد نقدنا لمنهج ، او إنكارنا له ، أو تحذيرنا منه ، غيبةً أو مخالفة لحقوق الأخوة ، أو تفريقًا للصف ، ما دام النقد أو الإِنكار متعلِّقًا بمخالفة السنة في أحكامها أو منهجها ، ومنضبطًا بكليات منهج السلف وفروعه في النصيحة والتّصويب وإنكار المنكر .

٤- لا يصح شرعًا إعطاء ولاء لمنهج أو دعوة ، قبل دراسته - أو دراستها - والتثبّت من مطابقته لمنهج السنة ، فإن ذلك من الاقتفاء بغير علم ، ومن التقحُّم في مسالك الردَّى .

من فوائد وثمرات فقه الدعوة :

١- التعريف بضوابط الدعوة السنية ، ومقاصدها ، وخصائصها ، وإزالة ما لحقها من أخطاء ، وشبهات ، ومغالطات تمنع من فهمها وتبيِّنُ سبيلها ، وتُعيقُ الانتفاع بها .

٢- التمهيد لتحقيق تكامل المسار العملي للدعوة عند دُعاة السنة ، وتأصيل هذا المسار .

٣- الإسهام في تصحيح مفاهيم وطرق الدعوة المعاصرة عند المسلمين ، والتمهيد للوصول إلى قاعدة دعوية ، تجتمع عليها أكثرية العاملين ، كما اجتمعوا على منهج العقيدة السلفية ، ومنهج الأحكام ، بعد تردُّد وتشكك .

٤- التمهيد لاستئناف الحياة الإسلامية التي يطلبها جميع الدُّعاة ، لرفع الإثم ، وإقامة الفرائض ، وليكون الدِّينُ كلُّه لله .

لِمَ تقولون ما لا تفعلون ؟!

محمد موسى نصر

أمر الله عباده المؤمنين أن يقرنوا بين القول والفعل وبين العلم والعمل ، فما من آية نادى الله فيها المؤمنين إلا ودعاهم إلى العمل المقتضي للعلم بذلك .

كان العلم المجرد من العمل من سَنَن وأخلاق المغضوب عليهم ؛ من أجل ذلك قال بعضُ علماءِ السلف : من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود ، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه بالنصارى .

فعلم بلا عمل كعمل بلا علم ، وهما أَمران متلازمان ، وهما جزء لايتّجزأ من عقيدة المسلم .

ومن أبرز سمات العلماء الربانيين كونهم يخشون الله رب العالمين ، كما قال تعالى : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾ ، وقال : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾

وقد مقتَ اللهُ الذين يقولون ما لا يفعلون عربهم وعجمهم ؛ فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ .

وهذا الوعيد في شأن آحاد المؤمنين ، أما خاصتهم من علماء وغيرهم ، فالوعيد أشدُّ ؛ لأن الناس يقتدون بهم في الخير والشَّر ، لذلك أَوَّلُ مَنْ تُسعَّر بهم النار ثلاثة : أَوَّلهم عالمٌ لم يعمل بعلمه ولم يتق الله فيما أنعم الله به عليه ، فلم يُخلص فيه العمل لله .

وعالم بعلمه لم يعملن　　　معذَّبٌ قبل عبَّاد الوثن

وقد ثبت في « الصحيحين » عن رسول الله ﷺ أنه قال في شأن هؤلاء :

« يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرَّحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان ما لَكَ ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى ، كنتُ آمرُ بالمعروف ولا آتيه ، وأَنهى عن المنكر وآتيه » .

فانظر – رحمك الله – إلى سوء عاقبة أولئك الذين لا يلتزمون بالشعارات التي يرفعونها ، ولا يطبقون المثل العليا التي يدعون لها بل يكونون أمثال سوء والعياذ بالله . وما أسوأَ الشيخَ المفتون الذي يسوِّغُ لنفسه الرُّخص ، ويتأوّل لنفسه الفواحش ، بينما نراه يحرمها على غيره أشد تحريم !!

أَليس الجدير بهؤلاء المشايخ أن يكونوا هداةً مهديين ، وأن يكونوا أُسوة حسنة لغيرهم ، فيكونوا أئمة هدى ومنارات دجى وقد بوأهم الله مركز الصدارة والريادة ، يوم كانوا ورثة الأنبياء – حقًّا – بعلمِهم الشرعي ؟! لكن ما قيمة العلم الشرعي الذي لا يحمل صاحبه على الخشية والعمل والتقوى والورع والإخلاص لله على كل حال ؟!

لذلك بيَّن الرسول ﷺ حال الأمة حينما تفتقد العلماء العاملين المقتدى بهم ، الذين بالحق قاموا ، وبه يعدلون ، الذين ورثوا علم النُّبوة حقًّا ، وكانوا مدرسة قرآنية تمشي بين الناس إمامهم في ذلك الأسوة لحسنة صاحب المقام المحمود الذي كان خلقه القرآن كما وصفته عائشة رضي الله عنها .

قال ﷺ : « إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأَضلُّوا » متفق عليه .

فما أحوج الأمة اليوم إلى القدوة الحسنة التي تتربي الأمة على أَخلاقهم وسمتهم وسننهم ، وحينما فقدت الأمة القدوة الحسنة بين الأحياء ، قَلَّ فيها الخير ، وكَثُر فيها الشَّر ، .وعصفت بها الفتن ، ولا مخرج لها منها إلا أن تتبع سبيل المؤمنين وإمامهم محمدًا ﷺ ، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله .

والله من وراء القصد .

أضواء ... حول قضية المجاز الحلقة الأولى

مصطفى عيد الصَّياصِنة

... كثيرٌ من الناس ، لا يزالون - إلى اليوم - يُصِرُّون على القول بتقسيم الكلام القسمة المعروفة حقيقةً ... ومجازًا !!

وهم لا يفتؤون يرون أَنَّ المجازَ هو عبارة عن ذلك اللفظ الذي استُعمل في غير ما وضع له أَصلًا ، أَمَّا إذا هو استعمل فيما وضع له في أصل اللغة ، فإِنَّما هو الحقيقة ليس غير ... وتراهم - إذا أرادوا الوصول إِلى غاية الدقَّة في تعريفه - وضعوا له حدًّا يقول : « إِنَّه اللفظُ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ ، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعيِّ » ...

قالوا : فالأسد والحمارُ لفظان جُعلا في أصل وضعهما ، للدلالة على البهيمة المعروفة ، فهما - بهذا الاعتبار - حقيقة ، ثم إِنَّهما نُقلا عن أصل وضعهما اللذين كانا عليه إلى معنى جديد ، للدلالة على الشجاع والبليد ، فأصبحا -بعد النقل - مجازًا ...

وكذلك العينُ والرأس ، هما حقيقة دالّانِ على العضوين المعروفين في الإنسان ، أَمَّا إذا استُعملا في غيرهما صارا مجازًا ، كأَن نقول : عين الشمس ، وعين الحقيقة ، وعين الماء ، والعين الذي هو الجاسوس ، وكذا رأس الدرب ، ورأْس المال ، ورأس الدولة ، ورأس الأمر ، ورأس الجبل ...

وقد حفَل القائلون بالمجاز بمثل هذه القسمة ، وما برحوا يدندنون حولها ، حتى

صار يُخيَّل إلى عامة الناس أنَّها الحقيقة اللازمة التي لا بدَّ من الوقوف على دقائقها كي يستطيع أيُّ أحدٍ فهمَ كتاب الله تعالى وتفسير آياته ، وفهمَ كُنهِ لسان العرب ومراداتها الفهمَ الواضحَ السديد ...

هذا ، مع أَنَّ (مجازَهم) هذا لا يعدو أَنْ يكونَ سرابًا خادعًا وشبحًا موهومًا ، ليس له أدنى نصيب في عالم الحقيقة والعلم ، إذ هو وليدٌ لقيط ، أعجميُّ النشأة ، غريب المنبت ، مقطوع الأصل ، هجينُ الساق والفرع ...

إنَّ أَحدًا من سلف هذه الأُمّة - المشهود لهم بكلِّ أَوجه الفضل والعلم - لم يسبق له وأن قال بأَنَّ في القرآن الكريم أَلفاظًا تُحمل على الحقيقة وأُخرى تُحمل على المجاز ، بل أَخذوها جميعًا على حقيقتها ، من غير تأويل أو تحريفٍ أو تجويز ، وما مقولةُ المجاز إلَّا مقولة محدثة .. ، ابتدع القولَ بها وشنشن وطنطنَ فيها زمرةٌ أَعجميةُ اللسان والفهم والهوى ، ليسوا بحُجّة في اللغة أو الفقه أو التفسير ...

فالمجازُ - في حقيقة أمره وجوهره - ليس إلَّا بدعةً اعتزالية كلاميّة ، دأبتْ طائفةٌ من رجال الاعتزال على وضع أسسها وتأصيل بوادرها ، وتوطيد دعائمها ، ما فتئوا يعزفون على وترها ، حتى انطلى أمرُها على عامة المسلمين ، فقال كثيرٌ منهم بقولهم ، وحذوا حذوهم في إقرارها ، والتنادي إلى تدارسها ، دون أن يتنبَّهوا إلى جملة الأخطار والمفاسد ، التي تلحق بجناب عقيدة التوحيد ، وقدسيّةِ كلام وحي الله المنزّل ، من جرَّاءِ الانحراف وراء هذه المقولة المذهلة ...

إنه لم يثبت عن أحدٍ من سلف هذه الأمة - صحابةً وتابعين - أنه قال بالمجاز ، أو ورد ذكرُ اسمه على لسانه ، كما لم يثبت مثلُ ذلك عن أحدٍ من أئمة الإسلام السابقين ، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي والثوري وابن عُيينة وأمثالهم ، ولا عن أحدٍ من علماء اللغة المتقدمين أيضًا ، كسيبويه وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي والكسائي والفرّاء وأبي زيد الأنصاري ومَن في طبقتهم ...



إنَّ الذين ابتدعوا القولَ بالمجاز ، زمرةٌ من المعتزلة وصيارفة علم الكلام ، لا أحد غيرهم ، ثم ردّد قولَهم طائفةٌ من علماء المتأخرين ، من الذين لم يفطنوا لبواعث المكيدة وأسرارها ...

ويأبى اللهُ إِلَّا أنْ يبعث في هذه الأمة ، من يتنبَّه إلى هذه البواعث والأسرار ، فكان أن ظهر من قال بِنفي المجاز عن القرآن الكريم ، كابن خويز منداد المالكي ، وداود ابن علي الأصبهاني ، وابن القاصّ الشافعي ، ومنذر بن سعيد البلوطي ، وأخيرًا الشيخ العلّامة محمد الأَمين الشنقيطي ، الذي ألف كتابًا ماتِعًا بعنوان : « منع جواز المجاز في المنَزَّل للتعبُّد والإعجاز » .

بل وظهر من أنكر وجودَ المجاز في القرآن الكريم ولغة العرب بالكليَّة ، كأبي إسحاق الإسفراييني ، وابن تيمية في « فتاويه » ، وتلميذه ابن القيّم في « الصواعق المرسلة » ، حيث عقد فصلًا مطوَّلًا بعنوان : « فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهميّة لتعطيل حقائق الأَسماء والصفات وهو طاغوت المجاز » ...

وقد ذكر فيه أكثر من خمسين وجهًا ، في إبطال حجج القائلين بالمجاز ، وكشف عواره ، وما له سيِّء الأثر على عقيدة المسلم ، وتوجيه آيات الله تعالى في كتابه العزيز .

وهناك كتاب - بين أيدي الناس اليوم - منسوب إلى الإمام ابن القيم ، وعنوانه « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن » ، وهو كتاب نُسب إلى ابن القيم وليس له ، لمغايرة أسلوبه ومنهجه لمنهج ابن القيم أولًا ، ولقوله بالمجاز فيه وهو من أَشَدّ منكريه ، والمطلعين على مفاسده وأَخطاره ثانيًا .

وممن حقّقَ القولَ في عدم صحةِ نسبةِ هذا الكتاب إلى ابن القيم ، الشيخ بكر ابن عبدالله أبو زيد ، وذلك في كتابه « التقريب لفقه ابن قيم الجوزية » ...

... أمَّا أولئك العلماء الذين درجوا على إثبات المجاز في القرآن واللغة - ومنهم

أئمة أعلام و مشهود لهم بالفضل والعلم والصلاح – فإنَّ قولنا ببدعية القول بالمجاز ، لا يعني بحال أنَّنا نُبَدِّعُهُم ، أو نطعنُ فيهم ، ونجرح في تقواهم وإخلاصهم في خدمة هذا الدين ، أو ننتقص من علمهم ، فهم عظام كبار ، أهلُ ورع وفضل ، غير أنَّ هذا لا يمنع من أن يردَّ اللاحقُ على السابق ، ويستدرك بعضًا مما خفي عليه ، ويعلن الوجهَ الذي يراه حقًا ، مادام الأمرُ لا يزال في حيّز الاجتهاد ، لا يتعدّاه إلى دائرة الثوابت والنصوص ، وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والإمام مالك وأحمد ابن حنبل ، أنهم قالوا : « ليس أحدٌ إِلَّا يؤخذُ من قوله ويُترك إِلَّا النبي ﷺ » .

هذا إضافة إلى أنَّ الكثيرَ منهم قد اكتفى بمتابعة غيره في هذه المسألة من غير أَنْ يُعملَ نظرَه الثّاقب في سبر أغوارها ، وتشخيص جوانبها ، والبحث عن ذيولها ، وملاحقة حيثياتها ، وما ينتجُ عن القول بها من مفاسد وأخطار ، وله في ذلك عذره ، فإنَّ عنده من الاهتمامات الأُخرى والمسائل الأخصّ ما يَشغله ...

... إِنَّ من القواعد الشرعية المعتبرة لدى الجميع ، أَنَّ « درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح » ، وأنَّ كثيرًا من مُستجدات الأمور والحوادث ، التي لم يرد النصُّ الصحيح الصريح بحرمتها أو كراهتها ، إِنَّما يُصارُ إلى اعتماد شيء من هذه الأحكام حيالها « سدًّا للذريعة » وقطعًا لبوادر الفساد والشرّ قبل وقوعهما ، إذا كانت هذه المستجدات معبرًا يُوصِلُ إلى شيء من ذلك .

وللقول بالمجاز مفاسدُ لا تحصى ، في مجال جحد الأسماء وتعطيل الصفات ، وصرف كلام الوحي المقدس – إلهيًّا كان أُمَّ نبويًّا – عن مراده الواضح ووجهه الجليّ ، والتلاعب بالنصوص الشرعية وليّ أَعناقها ، بل وتوجيهها إلى غيرِ دلالاتها الحقيقيّة – الّتي ما جاءت تلكم النصوص إِلّا لإِبلاغ الناس بهذه الدلالات والمعاني ، وتعبيدهم بمقتضياتها – بما يفتحُ المجالَ رحبًا واسعًا ، أمام المتلاعبين بدين الله وشرعه ، أن يعيثوا كما يشاؤون ، ويمرحوا كيفما يريدون ...



لذا ، فإنَّ إغلاق باب القول بالمجاز ، وردع الناس عن الخوض فيه وتفتيق مسائله وتشقيق دقائقه ، تحقيقٌ لمصلحة عظمى ، ودرءٌ لمفسدة كبرى ، لا يكون الوصولُ إليه إلَّا بشيء من ذلك ...

(للبحث صلة)

دفاع عن أهل الحديث

سلطان بن محمد الشمّري

هذه قصيدة كتبتها ردًّا على الطاعنين بأَهل الحديثِ ، وعُلماء السنة ، وأَسأل الله أَنْ يوفِّقنا لما يحبُّه ويرضاه .

يا من بآخر كلِّ ليل ينزل ... ويقول هل من مستغيث يَسأَلُ
إِنّي وقفت بباب جودك سائلًا ... متذللاً ودموع عيني تهملُ
فاغفر وجاوز كلَّ سوء إِنني ... من زمرة لك بالسجود تذللوا
والله لو عرف المحبُّ خطيئتي ... لرأيته من بعد حبٍّ يجهلُ
أَو قُرِّنت بالراسيات إِساءَتي ... أَبصرتها من هولها تتزلزلُ
فلَئِنْ عقلت لأَبكينّ لما مضى ... من زهرة الأَعمار يوم أُسلسلُ
وَلأَشْدُدُنَّ على الأَنامل حسرة ... إِذ ليس غيرك يُرتجى ويؤمَّلُ
لكنني رُغْمَ الأَسى متمسّك ... بعقيدة الأَسلاف لا أَتحوّلُ
ولذاك أَرجو نيل ما قدمته ... عند الإِلٰه فإِنَّه لا يبخلُ
نَبِّئ سُمَيَّةَ أَنَّي قد عِفْتُها ... وغرامَها إِذ ليس مِثْلي يُخْذَلُ
إِذِ إِنني أَرسلت أَشعاري إِلى ... أَهل العقيدة مغرمًا أَتغزلُ
أَهل الحديث أُحبُّهم وأُحبُّهم ... وأُحبُّهم وبغيرهم لا أَقبلُ
نبئت أَنَّ أَبا جهالةَ عابهم ... تبّت يداه ورُضَّ منه المِفْصلُ

وعليه دائرة الإساءة كلَّما	ذكر المصلُّون الإلٰه وهلّلوا
يا جاهلًا أَوما علمت بأنَّهم	أَهل الحديث وبالحديث تجمّلوا
ينفون عنه كلام أَذناب الأُولى (١)	سلبوا الصفات كمالها أَو أَوّلوا
يا جاهلًا هم أَهل دينك عندما	حاد الجميع عن الهدى وتحوَّلوا
يا جاهلًا ماذا قرأت وما الّذي	أَتقنت حتّى ترتضي وتُعدّلُ
اقبع مكانك لست من أَهل الهُدى (٢)	ليس المُجرِّح للرِّجال(٣) مؤهّلُ
يا ناقدًا إِنَّ الذين تحبُّهم	مالوا عن الدرب السويّ وبدّلوا
أَوَما قرأت كلامهم عند استوى (٤)	أَم أَنَّ عينك أَصبحت لا تعملُ
أَوَليس يجدر أَنْ تعظِّمَ قَدْرَهُم	إِذ راغ (٥) يحمي ديننا ويُؤَصِّل
ويبيّن القول السديد مُجَرَّدًا	عن كلِّ رأيٍ للضلالة يوصلُ
بل لم يكن بِدْعًا(٦) بهذا كلّه	بل قبله كلُّ الأَئمّة أَصَّلوا
سفيان والشعبيُّ أَحمدُ بعدهم	آثارهم بيني وبينك تفصلُ(٧)
وابن الحسين ومالك وأَبو الفدا (٨)	شهب بساحتك الجديبة تنزلُ
أَهل الحديث كما النجوم مكانهم	ولهم على متن السحائب منزلُ

(١) الأولى : بمعنى الذين ، وهي لغة عند العرب .

(٢) الهدى هنا بمعنى العلم ، وفي الحديث « مثل ما بعثني الله من الهدى » أي : العلم .

(٣) الرجال : أي : علم الرجال والجرح والتعديل .

(٤) انظر - مثلاً - « تفسير الظلال » لسورة « طه » وسورة « الحديد » عند هذه الكلمة .. والله المستعان .

(٥) كلمة راغ تعني : بادر بخفة ، وقد امتدح به إبراهيم بقوله : ﴿ فراغ ﴾ في موضعين من القرآن .

(٦) بدعًا : أوّل ، وانظر « تفسير ابن كثير » عند قوله تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعًا من الرسل ﴾ .

(٧) وذلك مع القرآن والسنّة الصحيحة .

(٨) ابن الحسين : هو الإمام الآجري ، ومالك : هو ابن أنس ، وأبو الفدا : هو ابن كثير رحمهم الله جميعًا .

يا ناقدًا هم ثمرة الأَحباب هم ... في فمّ أَصحاب الضلالة حنظلُ

يا أَيُّها السلفيُّ كن متمسكًا ... بهُدى الرسول (عن الأَدلّة تسألُ)

واغضب لدينك ولْتكن ذا فطنة ... يضع الأُمور مكانها وينزّلُ

أَهلَ العقيدة أَخرجوا أَرماحكم ... وسيوفكم فالأَمر ليس يؤجّلُ

عضّوا على سنن الرسول وهديه ... وتأمّلوا فيما يقول تأمّلوا

وادعوا بجنح الليل أَكرم سيد ... وتنقّلوا جنح الظلام تنفّلوا

ولْتصبروا إنَّ الحياة سريعة ... هذا نكفّنه وذلك يحملُ

رحم الإِله مشايخي وأَحبّتي ... ما قام في ليل الدُّجى متنفّلُ

إِنَّ الدينَ يُسر

أَمَةُ اللهِ أُمّ مالك

كثيرًا ما يردِّد الناسُ هذه العبارة ، ولكنهم - في معظم الأحيان - لا يريدون بها مدح الإسلام أو تأليف القلوب نحوه ، ولكنهم يريدون بها تسويغَ أفعالهم التي تكون مخالفة للشَّرع ، فهي عندهم كلمة حق أُريد بها باطل .

وعندما يريد الفرد منا أن يُصلحَ ما يلمسه مخالفًا للشرع احتج المخالفون عليه بقولهم : « الإسلام دين يسر » ويَشرَعون في وضع الرخص التي تتفق وأهواءَهم ، ظانين بذلك أنهم أقاموا الحجَّة على من ينصحُهم باتباع الشَّرع من كتاب وسنة .

ولا بد لهؤلاء المخالفين أن يعلموا أن الإسلام « دين يسر » ولكن في اتباع ما أمر الله به ورسولُه عليه السلام ، وأن الإسلام « دين يسر » باتباع ما يسره الله لنا ورسوله ورخّصاه لنا حين الحاجة لهذه الرخص ، وعند وجود تحرّج من اتباع الأصل .

وأصلُ عبارة « إن الدين يسر » قطعةٌ من حديث نبوي شريف ، رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام : « إن الدين يسر ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلَّا غلبه ، فسدِّدوا وقاربوا ، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والرَّوحة وشيء من الدُّلْجة » .

وقد فسر عبارةَ « إن الدين يسر » الحافظُ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله تعالى - في كتابه الفريد « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » (١ / ١١٦) قائلًا : « أي : دين الإسلام ذو يُسر ، أو سُمِّيَ الدِّينُ يسرًا مبالغة بالنسبة للأديان قبله ، لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصرَ الذي كان على مَنْ قبلهم ، ومن أوضح الأمثلة له أنَّ توبتهم كانت بقتل أنفسهم وتوبه هذه الأمة بالإقلاع والعزم » ا.هـ

ولو نظرنا في الحديث بدقّة ونظرنا إلى ما بعد عبارة « الدين يسر » نجد أن

الرسول عليه السلام يرشدنا إلى أن المسلم يجب أن لا يتشدد في أمر عبادته ، فيتعدى على أمر الدين ، بأن يبتكر ويُحْدِثَ في الدين ما ليس منه من أجل أجر أكثر ، كالثلاثة الذين أرادوا إحداث عبادات جديدة ؛ فقال أُحدُهم : لا أتزوج النساء ، وقال الآخر : أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الثالث : أقوم الليل كله ، فنهاهم الرسول عليه السلام عن ذلك ، وأرشدهم إلى أن يسدِّدوا في أعمالهم ما استطاعوا ، وأن يتقرَّبوا إلى الله بالعبادة التي فرضها الله عليهم ، وأن لا يُحْدِثوا في الدين ما ليس منه ، لأنَّهم لن يستطيعوا ذلك ، فلن يشادَّ الدينَ أَحدٌ إِلّا غلبَه .

فعبارة « الدين يُسر » تعني : أن دين الله الذي أنزله كله يسر بأحكامه وتشاريعه ولو تُرِك الأمر للإنسان ليُحدِث فيه ما قدر أحدٌ على عبادة الله .

فإذا لم يجد المخالفون ما يقولونه بخصوص الحديث السابق هربوا إلى أحاديث أخر يحتجُّون بها على تساهلهم في أمور الدين .

ومن هذه الأحاديث قولُه عليه الصلاة السلام : « إن الله يحب أن تُوتى رخصه كما يكرة أن تؤتى معصيته » ، وفي رواية : « كما يحب أن تؤتى عزائمه » ، وأما الحديث الآخر فهو قوله عليه الصلاة والسلام : « يسِّرا ولا تعسِّرا ، وبشِّرا ولا تنفِّرا ، وتطاوعا ولا تختلفا » ، رواه البخاري (٤ / ٢٦) ، ومسلم (٥ / ١٤١) .

والحديث الثالث قوله عليه الصلاة والسلام : « يسِّروا ولا تعسِّروا ، وبشِّروا ولا تنفِّروا » ، رواه البخاري (٧ / ١٠) .

أما الحديث الأول فيجب أن نعرف أن رُخَص الدين الإسلامي كثيرة ، منها : إفطار الصائم عند سفره ، وقضاء المسبوق صلاته ، وقضاء الصلاة لمن نام أو سهى عنها ، وصيام من لا يجد الهدي في الحج للمتمتِّع ، والتيمم عند عدم وجود الماء أو عدم القدرة عليه ... وغيرها الكثير من الرخص التي لا تُستَخدم إلا عند التحرُّج من عمل الأصل .

ولا بد من الانتباه إلى أن هذه الرخص هي من شرع الله عزَّ وجلَّ وسنّة رسوله

عليه الصلاة والسلام بإذنٍ من ربه تبارك وتعالى ، ولا دخل لأي مسلم - أيًا كان - أن يأتي برخصة بدون دليل ، لأنه إحداثٌ في الدين ما ليس منه .

وتأمل أخي المسلم الآية الخامسة والثمانين بعد المئة من سورة البقرة ، وهي تتحدث عن الصوم ورخصة الإفطار لمن كان مريضًا أو على سفر ، ثم قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ، فهذه الآية تبين مفهوم اليسر الرباني ، وهو أنه من عند الله وحدَه لا شريك له أو بتشريع من رسوله عليه السلام وَحْيًا من اللهِ سبحانَه ، وتُبين الآية أيضًا أن اليسر باتباع حكم الله تعالى لاشريك له وشريعته .

هذا بالنسبة لمفهوم الحديث الأول .

أما الحديثان الثاني والثالث ، فاحتجاج أهل الأهواء والمخالفات الشرعيّة بهما باطل وتحريف لأقوال الرسول ﷺ عن حقيقة معانيها وخروج بالنصوص عما أريد بها ، وتفسير الحديثين السابقين يتعلق بالدعاة للإسلام ، ففيهما يرسخ الرسول عليه السلام قاعدةً هامةً من قواعد أصول الدعوة لله وهي الدعوة باللين والرفق ، فأول ما يبدأ الدعاة حين دعوة الكفار البدء بالصلاة ثم الصيام ثم الزكاة ، ثم يوضّحون للناس سنة الرسول عليه السلام ، ثم يُبيّنون لهم ما هو واجب ومستحب ومكروه من الأعمال ، فإذا لاحظوا خطأً من الناس بسبب جهل أو نسيان فليصبروا وليدعو الناس بالرحمة والرفق واللِّين ، قال تعالى : ﴿ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلب لانفضّوا من حولك ﴾ . [آل عمران : ١٥٩] .

وبعد فهم تلك الأحاديث ، وتوضيح معنى الرُّخص والتيسير فيها أقول لهؤلاء الذين يحرفونها ويبدِّلون معانيها من أجل إشباع أهوائهم : اتقوا الله واتّبعوا ما أمركم واجتنبوا ما نهاكم عنه ، وكفاكم تحريفًا لسنة نبيه ﷺ ، واتقوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفسٍ ما كسبت ، واتقوا يومًا تُحْرَمون فيه من ورود حوض النبي عليه الصلاةُ والسلام بما بدَّلتم في دين الله ، وحرفتم في سنته عليه السلام .

أرجو من الله الحي القيوم أن يهدينا وكافة المسلمين لاتباع كتابه وسنة نبيه، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما يعلمنا ويقينا شر البدع والتحريف ، وشرَّ التغيير والتبديل .

ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

« تذكيرًا للخاصة ، وبيانًا للعامَّة »

محمد إبراهيم شقرة

ما أشد حاجةَ الأمَّةِ في كل زمانٍ ، أَن تُقيم بنيان حياتها - في عقيدتها وعبادتها ، وعاداتها ، وكلِّ شؤونها - على الإسلام العظيم ، الذي بعث الله به نبيَّه محمَّدًا ﷺ ، وارتضاه لعباده ، وأمرهم بالدُّخول فيه ، والاستقامة عليه ، ووسم كلَّ من خالف عنه في أوامره ونواهيه ، أو رضي لنفسه غيره ، أَو وجد في نفسه حرجًا منه - أَيَّ حرج - بما يستأْهِلُه من كفرٍ ، أَو فسقٍ ، أَو ظلمٍ ، فبعد أَنْ هداهم إِلى القصد فيه ، وأبانَ لهم المحجَّة ، وأوضح لهم معالم الطريق بما شرع على لسانِ نبيِّه عليه الصَّلاة والسلام ، فإنه لم يبق لهم حجَّةٌ يلقون بها ربَّهم يوم القيامة .

ومن جميل نعمة الله على هذه الأُمة أَن جَعَل لها من أَنفسها في كلِّ جيلٍ ، طائفةً أَورثها مُهِمَّةَ النبيِّ المبعوث لها بشارةً ونذارةً رحمةً وهدايةً ، وانتدبها إِلى القيام بها حقَّ القيام ، ﴿ ولتكن منكم أمةٌ يدعون إِلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ، وجعل كلامهم - وفلاحُ الأُمة يكون بهم - أَثرًا مترتبًا على قيامهم بهذه المهمة الجليلة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ .

وجعل الخيرية وصفًا باقيًا في هذه الأُمة ما دامت هذه الطائفة منها تؤَدِّي هذه المهمة ، وتعقد خناصرها على حقِّها ، ولا تفلت منها إِلا من عجزٍ أَو إِكراه .

فقال سبحانه : ﴿ كنتم خير أُمَّةٍ أُخرجتْ للنّاسِ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

وهذه المهمة واسعةُ الزَّمان والمكان ، فزمانُها الدهر ، ومكانها الأرض ، فهي

تحيط بالأُمم والشعوب كافة ، وتمشي إليها جهادًا ، وبلاغًا حيثما كانت في هذه الأرض ، فإنْ وقفت الأئمَّةُ بهذه الأُمة عند حدود الأرض التي تقيم عليها ولم تصب بها شعوبها وقبائل في أَقطارها ، وقعد بها عجزها عن الوفاءِ بحق هذه المهمة ، وأخذت تدُور بها حول نفسها - كأنَّما جعلت حمىً لها في أَرضها وفي أنفسها - فإنها حينئذٍ تنقلب بهذه المهمة على عقبيها ، ولا يكون لها حتى لنفسها من نفسها حظٌّ من هذه المهمة ، وهو ما هو كائِن الآن فيها ، والله المستعان وحده .

من هنا فقد كان حقًّا علينا - في هذه الحقبة الزمنية العصيبة ، التي تَعصِفُ بالأُمة أَهوالُها ، وتتجارى بها مِرَّةُ أَهوائها ، وتَجلِبُ عليها الأُمَمَ بكل مكرها ، أَن نُظْهر العامَّةَ فيها على ما تجهله من هذه المهمة ، ونذكِّر خاصّتها بواجبها حيالها ، حتى تَأْتلف في تفكيرها على منهجٍ واحد ، وينتظمَها في تصوُّرِها نظامٌ واحد ، وتمضي في تعاونٍ وثيق على سواء الطريق .

إنَّ الإِسلام العظيم بقواعده الكلية الثابتة ، وبأصوله العامة الباقية ، وببراهينه المحكَمة الباهرة ، قد أقام للناس منهاجًا تعليميًّا تربويًا متكاملاً ، أساسه الكتاب الكريم والسُّنَّةُ المطهرةُ ، وفَهْمُ السَّلفِ الصَّالح العملي لهما ، ومن هذا المنهاج يكون النظر الواضح الشامل الدقيق إلى كل ما يطرأُ على الحياة الإِنسانية من مستجداتٍ إِيجابيةٍ ، أو متغيراتٍ سلبيةٍ ، وبما يهدي إليه هذا النظر يكون التعامل العمليُّ النَّظريُّ مع هذه المستجدات والمتغيِّرات على هدى من قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أَحْسن ﴾ ، ومن قوله تعالى : ﴿ ومن أَحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين ﴾ ، ومن قوله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أَدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ ، فهذه الآيات ترسم المَهْيَعَ ، الذي يعلوه الداعية المؤمن في كل زمان وفي كل مكان و اتباعًا للسَّلف الصَّالح ، واقتداءً بأَئمَّة الهدى من القرون المفضلة الاولى ، التي أوفت بوجداناتها ، وأَرواحها ، وعقولها على المورد العذب الصافي ، تستقي منه ، من

اليد التي فجَّرته في أرض الجزيرة الجُرُز ، فإذا الأرضُ كلُّها تستقي من غُدُرِه ، وتنهل من سواقيه .

وما كان للقرون الآتيات من بعد تلك القرون إلا أن تُعنى بالنظر الدَّقيق في سيرة تلك القرون ، فتلمّ ببصائرها ، وترتاد مواردها ، لتأخذ عنها أحسن ما عندها - وكلُّه حسن - فلا يقع بصرُها إلا على علم ، ولا يُصيبُ حسُّها إلا نورًا يهدي ، وهدىً ينير ، ينتفي به الجهل ، ويربو به العلم ، ويستقيم به الأمر ، ويُهاضُ به جَناحُ المنكر .

وأَطلع على الدنيا القرنُ السادس ، واجتمع على سطحه نُثارُ عِلْمٍ من علم القرون الثلاثة الأُولى ، وما أَن أبصرت به عيون النابهين الهداةِ من طلاب العلم حتى تسارعت إليه أَيديهم تتناهبه ، لكنَّ يدًا منها كان لها من القوة والحرص ما لم يكن لسواها ، فأمسكت على عُظْمه من غير أن يكون ليد فضلٌ عليها ، إلا ما كان من فضل الله عليها ، وفضل الله يؤْتيه من يشاء ، ففازت عليها جميعًا ، وبرعت في صناعة العلم براعةً ، أَعجَزَت البراعاتِ كلَّها أن تُدركها ، وأَمَرَّت قُدُراتها الفذةَ المبدعة على عقول العلماءِ وطلاب العلم ، وجمعت إليها علومَ السابقين ، وفتحت نوافذ العلم وأَبوابه على مصاريعها للَّاحقين ، وأَقبلت عليها العقول من كل حدب وصوب تقدم لها على استحياءٍ صناعتها ، وتعرض عليها في وجلٍ وتردُّد بضاعتها ، ثمَّ لا تلبث - في أيام معدودات - أن تعود موقورة بمعارفَ لم ترد بها من قبل ولم تحط علمًا بها ، فبعضها يمضي يرتدي دثار شكر المنعم المتفضل ، وبعضها وبعضها نَخَّ (أَي : أَسرع) به المسير موقورًا ، فانقُطِعَ به في بعض الطريق فالتاث في عقله أمره ، وخَفِيَ عليه حاله ، وفَقَدَ صواب الرأْي ، وعاد عليه باللائمة أن أَخذ عن تلك اليد الجامعة النَّثارَ المباركَ ، إذ قدَّر أنه لا يستطيع صبراً على حمل هذا الوقر والمضي فيه في صعدات المستقبل ، فانقلب يطعن على تلك اليد البارة التي أحسنت إليه وأَوقرته علمًا .

إنَّها يدُ الإمام ابن تيمية الحرَّانيِّ النميري الدِّمشقي ، شيخ الإسلام ، وعلم



الإيمان ، وسيف الحق ، وعمادِ الفضل ، وسَجْلِ الهدى ، باعث السُّنَّة ، وخافِضِ شوكة النفاق ، ومُخْمِد صوت البدعة ، وناكئ جراحات الأهواء ، وشادخ رأس الضلالة ، ومقطِّع أحشاء الزندقة ، ومقرِّح أجفان السِّفلة الأَوغادِ أَبناء اللُّكَعات ، وفاقئُ عين وحدة الوجود والحلول ، وكاشف زيوف الإرجاء والاعتزال وزيوغ التصوف ، ومبير أَحلاس الشرك الخفيِّ منه والظاهر ، أقبل على الله فأَقبل الله عليه .

فكان محرابَ عبودية ، ومخلاة طاعةٍ ، ووسادَ معرفةٍ ، وقنديل هدايةٍ ، ومتَّكأَ معروف ، ساد الزمان وعيونه مفتوحة ، وأَحلَّه علمُهُ كلَّ مكان والناس على صعيده أَيقاظ ، ومشى برداء التقوى فوق الورود والأشواك .

رحم الله ابن تيمية ، وأعظم للأمة فيه العزاء ، وكأَنَّما أَراد الله له أَن لا يكون لأَحدٍ يدٌ عليه لا في حياته ولا من بعد موته ، إلا أَنْ تكون يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان علمه الذي خطه بيمينه ، هو عزاءه في نفسه ، وهو عزاء الأمة فيه ، فكان فضل الله عليه عظيمًا ، إذ جعل فضلاً له على الأُمة في حياته ومن بعد موته ، كرامةً لا تورث ، ومجداً لا يُطاول ، وسؤددًا لا يقاوَل .

ولْندع القلم يخط لنا نبذًا يسيرةً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، يجتنيها من ميراثه الضخم الذي حفظه الله سبحانه بحفظه دينه (في الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، قرأته الأَجيال والقرون من بعده كلامًا ، وتَناقلته عنه أَحاديث وأَخْباراً ، وحَفظه لنا صدر التاريخ سيرة رائقةً رفيعةً .

وفي نقولات ابن تيمية رحمه الله غُنيةٌ لنا عن سواها ، فقد أَوفى بنا بها على الغاية ، وقام بها بواجبٍ جاب أَقطارها الأرض ، يضع عن كواهل الناس إثم القعود عنه ، ويبرئ ذمتهم من التَّقصير فيه .

قال رحمه الله **أولاً** في فضل الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أَنزلَ الله به كتبه ، وأَرسل

به رسله ، وهو من الدين » ، وقال أَيضًا : « هو من أوجب الأَعمال وأَفضلها وأَحسنها » .

وقال رحمه الله **ثانيًا** في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« لا يجب على كل أَحدٍ بعينه ، بل هو على الكفاية ، كما دلَّ عليه القرآن » يُلمح رحمه الله بقوله إلى قول الله تعالى : ﴿ **ولْتكن منكم** أُمَّة يدعون إلى الخيرِ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ يقول أَهل التأويل : الأَمر بالمعروف من فروض الكفايات ، وللمتصدِّي له شروط ، قال الضحاك : هم الصحابة والمجاهدون والعلماء والخطاب للجميع ، لأَنهم لو تركوه أَثموا جميعاً .

وقال رحمه الله **ثالثاً** في صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر :

إِنَّ النيَّة المحموده التي يتقبلها الله ، ويثيب عليها : أن يراد الله بذلك العمل ، والعمل المحمود : الصالح ، وهو المأمور به ، وإذا كان هذا حدَّ كلِّ عمل صالح ، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون هكذا في حقِّ نفسه ، ولا يكون عمله صالحاً إِن لم يكن بعلمٍ وفقهٍ ...

ثم قال : فلا بدَّ من العلم بالمعروف والمنكر ، والتمييز بينهما ، ولا بدَّ من العلم بحال المأمور والمناهي .

ثم قال : ولا بدَّ من الرفق كما قال عليه السلام : « ما كان الرفق في شئ الا زانه ، ولا كان العنف في شيء إلا شانه » ، ولا بد أن يكون حليماً صبوراً على الأذى ، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أَكثر مما يصلح ، كما قال لقمان لابنه : ﴿ وأْمر بالمعروف وانْه عن المنكر واصبر على ما أصابك إِن ذلك من عزم الأُمور ﴾ ، وقال مخاطباً نبيه محمداً عليه السلام : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ ، فلا بدَّ من هذه الثلاثة العلم ؛ والرِّفق ، والصبر : العلم قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والرِّفق معه ، والصبر بعده ، ذلك أنَّ الأَمر بالشئ مسبوق بمعرفته ، فمن لا يعلم

المعروف لا يمكنه الأَمر به ، والنَّهي عن المنكر مسبوقٌ بمعرفته فمن لا يعلم المنكر لا يمكنه النهي عنه .

وقال رحمه الله **رابعاً** في أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« إِنَّ الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون تارة بالقلب ، وتارة باللسان ، وتارة باليد ، فأمّا القلب فيجب بكل حال ، إذ لا ضرر في فعله ، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن كما قال عليه السلام : « وليس وراء ذلك من الإِيمان حبةُ خردل » .

ولا بد هنا من التنبيه إِلى أَنَّ الأصل في هذا هو قوله عليه السلام : « من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أَضعف الإِيمان » ، والأمة كلُّها إزاء هذا الحديث مكلَّفةٌ بهذه الأمة ، فذوو السلطان والإمارة والرياسة والقدرة واجبٌ عليهم تغيير المنكرات باليد (رمز القوة) ، وأهل العلم والفقه والقلم واجبٌ عليهم تغيير المنكر باللسان (رمز العلم والبيان) ، وأما العامَّة في الأمة فلا يملكون في التغيير إِلا النفرة القلبيَّة ، والمهاجرة ، وما يسمَّى بالمقاطعة الأَدبية ، كما وقع من الصحابة رضوان الله عليهم حين أمرهم النبيُّ ﷺ أَن يقاطعوا إِخوانهم الثلاثة المتخلفين عن غزوة « تبوك » .

وبتعاون الأُمة بأقسامها الثلاثة يتحقق المقصود من هذه المهمة ، واذا تَخلَّى قسم عن القدر المطلوب منه ، أو عزم على القيام بما ليس مطلوباً منه ، فقد اضطرب حبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال رحمه الله **خامسًا** في بيانِ بعض ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

١- « أن لا يُعتدى على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بُغضهم أو ذمِّهم ، أو نهيهم أو هجرهم ، أو عقوبتهم ، بل يقال لمن اعتدى عليهم : عليك نفسكَ لا يضرك من ضلَّ إذا اهتديتَ ، كما قال سبحانه : ﴿ ولا يجرمنَّكم شنآنُ قوم

على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أَقرب للتَّقوى ﴾ .

وكثير من الآمرين الناهين قد يتعدَّى حدود الله إما بجهلٍ وإما بظلمٍ ، وهذا باب يجب التثبُّتُ فيه ، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين » .

٢- أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد ، فذلك داخل في قوله تعالى : ﴿ عليكم أَنفسكم ﴾ وفي قوله : ﴿ إذا اهتديتم ﴾ .

وأَقولُ : يَحسُن بالآمر والناهِي أن ينظر في ذاته ، فيقبل عليها إِصلاحًا ؛ علمًا وعملاً ، فإذا علم شيئاً عمل به ، وإذا جهله جهد أَن يتعلمه ، فإذا ما رأى من نفسه غلبة لها ، وتمكّنًا من إصلاحها ، واقتدارًا على الائْتِمار والانتهاء بما سيأمر به وينهى عنه ، أقبل على من يرى أَنهم في حاجةٍ إلى الأَمر والنهي سواه ، وإِلّا فإِنَّه مواقعٌ إثماً صريحًا بمخالفته عن قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كَبُرَ مقتًا عند الله أَن تقولوا ما لاتفعلون ﴾ ، فإن الآمر الناهي لا ينال ثمرة سعيه بدعوته الناسَ ، إلا إن رأوا فيه صدق قوله بموافقته عمله ، لذا فإن على الآمر الناهي أن ينصرف إِلى نفسه يصلحها ، وأن يسأَل من يمحضه النصح عن عيوبه ، فإنَّ الآخرين يرون فيه ما لا يرى هو من نفسِه ، ورحمَ اللهُ امرءًا أَهدى الناسُ إِليه عيوبَه ، فصبر وشكر وغفر .

وهذا ضابط من ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا ينبغي أن يفوت أهل المنهج الحق ، الذين يزعمون أنهم على بيضاءَ نقية ، يدعون الأمَّة إِلى التَّصفية والتربية . فالنفوس لا تصفو إلا بمجاهدتها ، ولا تحسن تربيتها ، إلا بالجد والمثابرة ، فالحذر الحذر من الاغترار ، الذي يُباعد من الجنة ، ويدني من النار ، وخير لمن لا يفقه هذا الضابط ، أو يفقهه ثم يدعه أَن يمتثل قوله عليه السلام : « من حسن إِسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وقال رحمه الله **سادسًا** في الآثار المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« من يريد أن يأمر وينهى ، إما بلسانه وإما بيده مطلقًا ، من غير فقه ولا حلم ، ولا صبر ، ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يقدر عليه وما لا يقدر ، فيأتي بالأَمر والنهي ، معتقدًا أَنه مطيع لله ولرسوله ، وهو معتدٍ في حدوده » .

ثم يقول : « وجماع ذلك داخل في القاعدة العامَّة ، فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، أو تزاحمت ، فإِنه يجب ترجيح الراجح منها ، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد ، وتعارضت المصالح والمفاسد ، فإِنَّ الأَمر والنهي - وإِنْ كانَ متضمنًا تحصيل مصلحة ودفع مفسدة - فينظر في المعارض له ، فإِن كان الذي يفوت من المصالح ، أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به ، بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته » .

ولعل في كلام تلميذ شيخ الإِسلام ابن تيمية ، الإِمام ابن قيم الجوزية رحمه الله ، زيادة بيان وإِيضاح لكلام شيخه في هذا ، أورده رحمه الله تعالى في كتابه القيم « إعلام الموقعين » ، فقال رحمه الله تعالى : « فإِنكار المنكر أربع درجات :

الاولى : أن يزول ويخلفه ضدُّه .

الثانية : أن يقلَّ وإن لم يزُل بجملته .

الثالثة : أن يَخْلُفَهُ ما هو مثله .

الرابعة : أن يَخْلُفَهُ ما هو شرٌّ منه .

فالدّرجتان الأُوليان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرَّمة ، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشِّطرنج كان إِنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة ، إلا إِذا نقلتهم منه إِلى ما هو أحبّ إِلى الله ورسوله ، كرمي النُّشَّاب وسباق الخيل ونحو ذلك ، ، وإذا رأيت الفساق اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاءٍ

وتصدية ، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة اللهِ فهو المُراد ، وإلّا كانَ تركُهم على ذلكَ خيرًا من أَن تفرِّغَهم لما هو أَعظم من ذلك ، فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك ، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المُجون ونحوها ، وخِفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى » .

رحم الله ابن القيم فقد برع في الصناعات العقلية كلّها ، ووقف على أبوابها فلا يجتاز واحدٌ عتَبَةً من عتباتها إلا بإذنه ، ولكأنَّه رحمه الله قد رأَى ببصيرته ما يجري في أرض الإسلام اليوم ، فوضع لهم هذه الدرجات ، ورسم لهم الطريق إليها وعلَّمهم كيف يرقونها ، وأيم الله إنَّه لنعم التلميذ لنعم الشيخ ، وحريٌّ أَن يُذكر إن ذُكر شيخه ، وأن يحظى من ثناء العلماء وطلاب العلم ما حظي شيخه ، وأَن يلقب بلقب شيخه فيقال له : شيخ الاسلام .

وإننا لنحمد الله سبحانه على أن أعاد في الناس مدرسة شيخ الإسلام ، وصار لها شيوخٌ وتلاميذ في كل أرجاء المعمورة ، وعمرت بيوت المسلمين المتقين العقلاء بكتبه ورسائِله وفتاواه .

ومن المضحك المبكي معًا أن لا زال في المسلمين من يطعن عليه ، ويسبُّه ، ويلعنه ، بل ويكفِّره ، ولا أدري إن كان هؤلاء الظانُّون بأنفسهم ظن السوء يظنون أَنهم ملاقو ربهم ، وأنهم إليه راجعون ، وأَنَّهم معروضون عليه للحساب ، فماذا سيقولون لربهم ، وقد حملوا أَوزارًا لا تطيقها الجبال ؟

أنصح لهؤلاءِ أن يُنيبوا إلى ربِّهم ، وأن ينخلعوا من آثام عِرض هذا الإِمام الرباني المجاهد ، وأَن يكونوا على المنهاج الذي أَسَّسه وأَصّله .

واللهُ مَعَ الصابرين ...

الإسلام والتربية

الدكتور خالد محمد علي الحاج

ظهرت التربية في الإسلام منذ بدء ظهوره ، وذلك على يد أُستاذ البشريّة الرسولِ الكريمِ ﷺ وحاملِ رسالةِ فخر الإنسانيّةِ الّذي أَرسله الله تعالى إِلى النّاس كافّة ، يعلِّمُهم أُمورَ دينهم ودنياهم ، ويرشدُهم إِلى الطريق المستقيم ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمّيين رسولًا منهم يَتْلوا عليهم آياتِه ويُزكّيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ وإِن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مُبين ﴾ ، وهكذا ؛ فقد كان رسول الله ﷺ هو أَوّلَ معلم في الإِسلام .

لقد قامت التربية الإِسلاميّة منذ بدء ظهورِها على أَمرين : هما الكتاب والسنّة .

ولمّا كان القرآن كتابًا ثابتًا منذ أُنزل حتّى اليوم ، يحفظه المسلمون ويرجعون إِلى أَحكامه ، ويهتدون بآياته ، وكانت السنّة النبويّة مدوّنة كذلك ، ويحفظها أَئمّة المسلمين ، وهي تعدُّ مكمّلة لكتاب الله ومفصّلة لأَحكامه ، ونبراسًا يهتدي بها المسلمون في سلوكهم فلا غرابة - والحالة هذه - أَن يمتاز الإِسلام بضرب خاص من التربيّة تختلف في أَهدافها ووسائلِها عن أَلوان التربية الأُخرى التي سادت حضارات الإِسلام شتى على مرّ الزمان ، واعتمدت على دعائم مغايرة لتعاليم الإِسلام .

إِنَّ موضوع التعليم ومناهجه موضوع جليل الشأن عند كلِّ الأُمم ، وفي كلِّ العصور - قديمها وحديثها - ، وقد عني به الباحثون من العلماء والفلاسفة وأَلّفوا فيه الرسائل وكتبوا فيه الكتب ، ولا يزال موضع اهتمام المجددين والمفكرين والأَئمّة .

وصفوة القول : إِنَّ العلم أَساس كلِّ إِصلاح ، وتاج كلِّ نهضة ، والتعليم ليس سوى السبيل إِلى نشر العلم وتثقيف العقول وتهذيب النفوس ، وإِخراج النّاس من

الظلمات إلى النُّور .

منزلة العلم في القرآن والسنة :

١ - موقف القرآن من العلم .

إنَّ المتأمِّل للقرآن الكريم يجد آيات كثيرةً تحثُّ الإنسان على التفكُّر والتدبّر وتثني على من سَلَك هذا السبيل ...

ومن أَمثلة ذلك قوله تعالى :

١ - ﴿ أَوَلَم يتفكَّروا في أَنفسهم ما خَلَقَ اللهُ السموات والأَرضَ وما بينهما إلّا بالحقِّ ﴾ .

والنَّاظرُ في كتاب الله العزيز يجد أَنَّ أَوّل شيء نادى به القرآن هو القراءة والحثّ على طلب العلم ، ومن ذلك :

٢ - قال تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربِّك الَّذي خَلَقَ خَلَقَ الإنسانَ من عَلَق اقرأ وربُّك الأَكرم الّذي علَّمَ بالقَلَم علَّم الإنسانَ ما لم يعلم ﴾ .

ففي هذه الآيات المباركة دعوةٌ للعقل الإنساني إلى التأمُّل والتدبُّر في خلق الإنسان وكيفيّة تكوينه ، وهذا ما يسمّى اليوم بعلم التشريح .

وكذلك نجد بعض الآيات الكريمة تتحدّث عن التأمُّل والتدبُّر في خلق الإنسان ونشأته والمراحل التي مرَّ بها ، ومن ذلك :

٣ - قال تعالى : ﴿ فلينظرِ الإنسانُ ممَّا خُلِقَ خُلِقَ من ماءٍ دافقٍ يخرجُ من بين الصُّلبِ والترائبِ ﴾ .

وقال أَيضًا : ﴿ ولقد خَلَقنا الإنسان من سُلالةٍ من طين ثمَّ جعلناه نُطفةً في قرارٍ مكين ثمَّ خَلَقنا النُّطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقْنا المُضْغةَ عظامًا فكسونا العِظامَ لحمًا ثمَّ أَنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أَحسن الخالقين ﴾ .

ولا شكَّ أَنَّ هذا الوصف الدقيق فيه إِشارة صريحة للعقل الإِنسانيّ بأَنْ ينشط ، ويبذل كلَّ ما في وسعه من أَجل التعرُّف إِلى خصائص أَعضائه وسائر ما يتعلّق بجسده ... وكذلك نجد في كتاب الله آيات كثيرة تشدُّ العقل الإِنسانيّ إِلى دراسة علم الفلك والتعرُّف إِلى أَسرار الكون ومخلوقات الله ، ومن ذلك :

٤ – قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذي جَعَلَ الشمسَ ضِياءً والقَمَرَ نورًا وقدَّره منازِلَ لتعلموا عَدَدَ السنينَ والحِساب ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وبالنجمِ هُم يَهْتَدون ﴾ .

ومن خلال هذه الآيات وغيرها يمكن التعرُّف إِلى نوع العلاقة القائمة بين الإِنسان وبعض المخلوقات التي سخّرها الله لخدمة هذا الإِنسان .

وكذلك فقد بيّن سبحانه وتعالى فضل العلم والعلماء في كثير من الآيات الكريمةِ ، ومن ذلك قوله تعالى :

١ – ﴿ يرْفعِ اللهُ الَّذين آمنوا منكم والذين أُوتُوا العلمَ دَرَجات ﴾ .

يُروىٰ عن ابن عباس رضي الله عنه قوله معلّقا على هذه الآية : « للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام » .

وكذلك فقد قال عزّ وجلّ :

٢ – ﴿ قُل هلْ يَسْتوي الَّذين يعلمُون والَّذين لا يعْلَمون ﴾ ؟!! أَولم يكف بالعلم وأَهليه الشرف الأَصيل والمجد الأَثيل أَمثالُ هذه الآيات الكريمة الواردة في آيِ التنزيل ...

٢ – موقف السنّة من العلم :

لقد اهتمت السنّة الشريفة غاية الاهتمام بطلب العلم وتشجيع العلماء ، فقد كانَ ﷺ يحثُّ أَصحابه على تفهُّم أُمور دينهم ودنياهم ...

فقد كان – عليه الصلاة والسلام – يأَمر أَصحابه بنشر العلم ويوصي بطلاب

العلم خيرًا ، ومن أَمثلة حثّه أَصحابه على طلب العلم قوله :

١ - « طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم » [١].

وقد جعل ﷺ العلم من الأُمور التي لا ينقطع أَجرها بعد الموت ، فقال :

٢ - « إِذا ماتَ ابن آدم انقطع عمله إِلّا من ثلاث : صدقة جارية ، أَو علم ينتفع به ، أَو ولد صالح يدعو له » [٢] .

ولم يقتصر الأَمر عند هذا الحدِّ ، بل إِنَّه ﷺ وجّه عنايته واهتمامه لجميع مرافق الحياة ، إِذ شمل جميع جوانب النواحي الإِنسانيّة ، ومن أَمثلة ذلك :

أَنّه كان يعقد الأَلوية ويقسّم الجيش ويجهّزه بالسلاح ، وكان يرسل بعض الجند من أَجل الاستطلاع ، ومن ذلك أَنّه أَرسل حذيفة بن اليمان إِلى معسكر المشركين من أَجل الوقوف على أَخبارهم، وفي ذلك يروى الحاكم عن حذيفة أَنَّ رسول الله ﷺ قال له :

« انطلق يا حذيفة إِلى معسكر المشركين ، فأتني بخبرهم ، وبالذي يريدون إِذا أَصبحوا فإِنّه قد بلغني بعض الخبر ، ولا تحدّثنَّ حدثًا حتّى ترجع إِليّ » [٣] .

وأَمثلة ذلك كثيرة ...

كما اعتنى ﷺ بالنواحي الاقتصاديّة والزراعيّة والصحيّة والاجتماعيّة .

وكذلك ، فعن فضل العلم يقول ﷺ : « من سَلَكَ طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إِلى الجنّة ... وإِنَّ العلماء ورثة الأَنبياء ... ﴾ » [٤].

---

(١) حديثٌ حسنٌ لغيره .

(٢) رواه مسلم وغيره .

(٣) « المستدرك » (٣ / ٣١) و « دلائل النبوّة » (٣ / ٤٥١) وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبيّ .

(٤) رواه أَحمد وأَبو داود والترمذي وابن ماجه .

ونختم هذه المقام عن منزلة العلم في السنّة وأَهميته بقوله ﷺ : « بلِّغوا عنّي ولو آية ... » [١] .

أَهداف التربية الإِسلاميّة

لم يكن هدف التربية الإِسلاميّة دنيويًّا محضًا كما كان عند اليونان والرومان ، ولم يكن دينيًّا محضًا كما كان عند المسيحيّة في الصدر الأَوّل ، وإِنّما كان دينيًّا ودنيويًّا معًا ، فقد كانوا يرمون إِلى إِعداد الفرد المسلم للدنيا والآخرة ، ومن يتأَمَّل نصوصَ القرآن الكريم والسنّة الشريفة وآثار السلف الصالح يرى بوضوح ما يدلُّ على ذلك .

ومن نصوص القرآن في ذلك قوله تعالى : ﴿ وابْتَغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرة ولا تنسَ نصيبَك من الدنيا ﴾ .

وإِذا كانت أَهداف التربية – في القديم والحديث – تختلفُ فيما بينها ، وتكاد تتفق في النهاية في الغاية من التربية ، وهي إِعداد المواطن الصالح ، فإِنَّ الإِسلام يتّجه إِلى ما هو أَبعد من ذلك ، ويجعل الغاية من التربية هي إِيجاد الإِنسان الصالح ، الذي يلتزم منهج القرآن الكريم ، ويتأدّب بأَدب الإِسلام ، الإِنسان العالميّ الذي يعتقد أَنَّ الناسَ كلَّهم خلق الله ، فهم إِخوة في الخليقة ، ولن يتفاضلوا بالعصبيّة والقبليّة ، ولا يفرّقهم الجنس أَو اللون ، أَو يستعبد بعضهم بعضًا ، لأَيِّ سبب من الأَسباب ، فالنّاس كلّهم سواسية كأَسنان المشط : ﴿ إِنَّ أَكرمكم عند الله أَتقاكم ﴾، فقد جاء في الحديث الشريف : « كلّكم لآدم وآدم من تراب » [٢] .

والناس كلّهم صائرون إِلى الله عزَّ وجلّ في النهاية ، فهم إِخوة في المصير ، قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتهى ﴾ .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

والناس إِخوة في الإِنسانيّة ؛ لأَنّهم جميعًا خلقوا من نفس واحدة ﴿ يا أَيّها النّاس اتقوا ربّكم الذي خَلَقَكم من نفسٍ واحدة وخَلَقَ منها زوجها وبثَّ منهما رِجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الَّذي تساءلونَ به والأَرحامَ إِنَّ الله كانَ عليكم رَقيبًا ﴾ .

وعلى الناس أَن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئًا ، قال تعالى ﷺ : ﴿ وَقَضَى ربُّك أَلّا تعبدوا إِلّا إِيّاه وبالوالدين إِحسنًا ﴾ .

وكذلك ؛ فالناس كلّهم إِخوة في الاتجاه ﴿ فَأَينما تُولُّوا فثمَّ وجهُ الله ﴾ .

والتفاوتُ الحقيقي هو التفاوتُ في الدين والتقوى : ﴿ إِنَّ أَكرمَكم عند الله أَتقاكم ﴾ .

وبعد ؛ فهذه لمحة سريعة لأَهداف التربية الإِسلاميّة ، التي كان من أَهمِّ أَهدافها تربية أُمَّة من الأُمم لتحمل هذا الدينَ الخالدَ إِلى الناس جميعًا ، هذه التربية الموافقة للفطرة البشريّة ، والمتلائمة مع النفس الإِنسانيّة ، لا تحيد قِيد نملة عن الجِبِلّة التي فطر اللهُ الناس عليها .

أَثر التربية الإِسلاميّة في سلوك الفرد

جاء الإِسلام الحنيف ليربي الإِنسان - الخليفة في الأَرض - ليربيه قلبًا وروحًا وجسدًا وعقلًا ، ويربّيه سلوكًا وأَخلاقًا ، ويرتفع به إِلى الأُفق الأَعلى أُفق الإِنسانيّة ، آخذًا بيده حتّى يحيله في النهاية صورة حيّة من تصورات الإِسلام للإِنسان الكامل ، ويصنع منه طاقة كونيّة فعّالة تهيمن على الكون وتسخّره لتحقيق الخلافة في الأَرض .

وهكذا ؛ فالإِسلام يجعل من هذا الإِنسان قوة عزيزة ، لا تذلُّ ولا تضعف ، ولا تهن ولا تجبن ، بل تواجه الأَحداث في إِيمان وثقة من عون الله الكبير المتعال .

هذه القوّة الملهمة ، ستجاهد أَعداء الله في الأَرض وأَعداء البشريّة ، وهي بالتالي مطمئنة بوعد الله ونصره ﴿ ولينصرنَّ الله من يَنصُره إِنَّ الله لَقَويٌّ عزيزٌ ﴾ .

لقد نزل القرآن العظيم منجّمًا ، ليتدبّر في عمق ، وتنفّذ تعاليمه على أَنماط الحياة ، ويكون منهجًا ودستورًا وقائدًا ودليلًا .

نقولُ : دستورًا ؛ أَي : دستودًا للحياة الفرديّة والجماعيّة وقائدًا لها ، يوجّهها إِذا بعدت ، ويبصّرها إِذا أَخطأت ، ويأخذ بيدها بعيدًا عن وعورة الحياة ، ومزالق الطريق .

وعليه ، فإِنَّ من يتدبّر القرآن الكريم يبدو له جليًا أَنَّ الإِسلام عبارة عن نظام حياة يسمّى دينًا [١] .

يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ هذا القرآنَ يهدي للتي هي أَقوم ﴾ .

وكلُّ من يتناول القرآن الكريم بالتلاوة والتدبّر يرى أَنَّه كتاب عقيدة وتشريع وكتاب تربية وتوجيه ، ودعوة من الله تعالى للإِنسان لدراسة الكون والحياة ، دراسة متأنية ، هادئة ، ليعرف ويتعلم ويفهم ويتدبّر ، ومن ثمَّ يتّجه الاتجاه الصحيح .

إِنَّ في كتاب الله المبارك منهجًا متكاملًا في التربية ، وهو منهج من الدّقّة والشمول بحيث لا يترك جزئيّة من جزئيّات الإِنسان دون أَن يلقي عليها الضوء ...

إِنَّ منهج القرآن في التربية يختلف كلَّ الاختلاف عن كلِّ المناهج البشريّة ، ويختلف في تصوره للإِنسان كذلك عن كلِّ التصوّرات الأَرضيّة له ... وهنا يكمن السبب في نجاح المنهج الإِسلاميّ في تربية الأَفراد حيث فشلت مناهج الآخرين ...

تباين التصوّر الإِسلامي للإِنسان عن غيره

الإِنسان في منهج الإِسلام ليس روحًا فقط ، كما تدّعي بعض المذاهب الفلسفيّة ، وأَنّه ليس عقلًا فقط ، كما تصوّره قادة الفكر اليونانيّ قديمًا ، ونادت به بعض المذاهب التي تدّعي التقدميّة في عالمنا المعاصر ، كما أَنّه ليس جسدًا فحسب

---

(١) انظر الدكتور عبدالرحمن عميرة « منهج القرآن في تربية الرجال » (ص ١٤) .

كما اعتبرته دولة الرومان وأسبرطن بخاصة [١] .

فالإِنسان في منهج الإِسلام السويّ هو : عقل وجسد وروح ، وأَيُّ تجاهل لأَي من هذه الثلاث يبعد الباحث عن التصوّر الصحيح للإِنسان .

وهكذا ؛ فالإِنسان في التصوّر الإِسلاميّ يختلف عن التصوّر الذي نادت به المدرسة (الداروينيّة) [٢] من أَنّه ثمرة لتطوّر العَفن وتخمّر الطين .

فالإِنسان الذي خلقه الله في أَحسن تقويم عند (داروين) خرج من باطن الأَرض ، فهو من صنع الطبيعة ﴿ أَلا ساءَ ما يحكمون ﴾ ؟! ...

أَمّا في التصوّر الإِسلامي ؛ فالإِنسان خلق من طين الأَرض ، فهو من صنع الله الذي أَتقن كلَّ شيء ؛ قال تعالى : ﴿ لقد خلقْنا الإِنسانَ في أَحسنِ تقويم ﴾ .

وخلاصة القول : فالإِنسان عند المدرسة (الداروئيّة) خلاصة التربية الأَرضيّة وكفى ...

والإِنسان في منهج الإِسلام : قبضة من طين الأَرض ونفخة من روح الله ...

قال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنّي خالق بَشَرًا من طين فإِذا سوّيته ونفختُ فيه من رُوحي فَقَعُوا له ساجدين ﴾ .

وهكذا يتبيّن لنا أَنَّ الإِنسان الذي أَكرمه الله وحمّله الأَمانة هو في نظر (داروين) وأَتباعه مبتوت الصلة إِلّا بالأَرض ؛ من باطنها خرج وإِليها يعود ، وفي منهج الإِسلام العادل الإِنسان هو الخليفة في الأَرض ، ودنياه طريق إِلى آخرته ، قال تعالى : ﴿ وأَنَّ إِلى ربّك المُنْتَهى ﴾ .

وكذلك نجد الاختلاف الشاسع في التصوّر الإِسلاميّ للإِنسان عمّا توصَّل

---

(١) انظر « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للشيخ أَبي الحسن النّدوي .

(٢) نسبة إِلى داروين الإِباحي الملحد ، وهو صاحب كتاب « أَصل الأَنواع » .

إِليه فرويد اليهودي الخبيث الذي قرّر في مجمله : « إِنَّ الطاقة الجنسيّة هي الكيان الحقيقي للإِنسان »[(١)]، وما دامَ الأَمر كذلك ، فهي الدافع وهي المحرّك وهي الموجّه !!؟ فهل هذا هو الإِنسان يا من انسلختم عن الإِنسان ... وطبّقتم تعاليم الشيطان !؟ .

إِنَّ منهج الإِسلام لا يُغفل الطاقة الجنسيّة وأَثرها في حياة الإِنسان ، ولكنّه لا يعطيها أَكثر ممّا تستحقّ، فهي طاقة من طاقات الإِنسان ، وهي وسيلة وليست غاية ...

ومن المعلوم أَنَّ الجنس في منهج الإِسلام وسيلة لاستمرار النوع البشريّ ... يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يا أَيُّها النّاس اتقوا ربَّكم الذي خَلَقكم من نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زوْجها وبثَّ منهما رِجالًا كثيرًا ونساءً ﴾ .

والجنس - في الشرع الحنيف - وسيلة للسكن والراحة والمودّة والرحمة ، قال عزّ من قائل : ﴿ وَمِن آياتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم من أَنفسكُم أَزواجًا لتسكنوا إِليها وجَعَلَ بينَكم مودَّة ورحمة ﴾[(٢)].

هذا هو الجنس في منهج الإِسلام ، دافع ولكنّه ليس كلّ الدوافع ، وجزئيّة في تركيب الإِنسان لا تتعدّى قدرًا محددًا .

الإِنسان ليس هو إِنسان (كارل ماركس) ١٨١٨ - ١٨٨٣ اليهودي الشيوعي ، وإِنجلز فريدريك (١٨٢٠ - ١٨٩٥) وهما صاحبا التفسير المادي للتاريخ ، وهما اللذان حاولا تفسير الإِنسان من الخارج وحصر تاريخ البشريّة في البحث عن الطعام[(٣)] .

الإِنسان في التصوّر الإِسلاميّ ليس هو إِنسان القوّة ، أَو الخاضع لها عند (جون

---

(١) راجع « منهج القرآن في التربية » (ص ١٦) .

(٢) انظر كتابنا « الكشاف الفريد » (١ / ٤٤٥) وما بعدها .

(٣) للمزيد راجع « منهج القرآن في تربية الرجال » (ص ١٧) وما بعدها .



ديوي الأَمريكي ١٩٥٢) أَو الإِنسان الذي ترتبط حياته بالقهر الاجتماعيّ الذي لا يراعي مشاعر الفرد ورغباته ، كما قرّر ذلك (دوركايم) صاحب التفسير الجمعي للتاريخ [١] .

الخلاصة

إِنَّ الإِنسان في منهج الإِسلام العظيم هو خَلْقٌ من خَلْقِ الله سبحانه ، وهو الذي أَعلن مولده بنفسه : ﴿ إِنِّي خالق بشرًا من صلصال من حمإٍ مسنونٍ ﴾ ، وعلّمه وأَدّبه ﴿ الرّحمن علَّم القرآن خَلَقَ الإِنسانَ علَّمَه البيان ﴾ وهداه خالقه سبحانه إِلى الطريق المستقيم ، ووضّح له طريق الخير والشرّ ﴿ وهديناه النجدين ﴾ ، وكذلك فقد أَعطى الله سبحانه الإِنسان الإِرادة ليفرّق بين الحقِّ والباطل وبين الفجور والتقوى ﴿ ونفسٍ وما سوّاها فأَلْهَمَها فجورَها وتقْواها ﴾ ، وزوّده خالقه سبحانه بالإِدراك ووسائله ﴿ وجعلَ لَكُم السَّمْعَ والأَبصارَ والأَفئدة ﴾ ، كما أَنَّه عزَّ وجلّ أَنزل لهذا الإِنسان منهجًا للتربية والتوجيه ، ذلك المنهج الربّانيّ الذي يتناول الإِنسان من تاريخ ولادته ، وتتبّعه طفلًا ويافعًا وشابًا وكهلًا حتّى يموت ...

فهذا المنهج الإِلٰهي المتكامل لا يقبل تنمية ولا تكميلًا ، لأَنّه من صنع الله ، فلا يملك إِنسان - كائن من كان - أَن يضيف إِلى منهج الله شيئًا ، ولا يملك أَن يعدل فيه قليلًا ولا كثيرًا ... أَجل ، ولتسمع الدنيا كلّها أَنَّه منهج متكامل قويم ، لأَنَّه من لدن اللطيف الخبير ، فهو ﴿ الَّذي خَلَق فسوَّى والذي قدّر فَهدى ﴾ .

بعد هذا العرض والمقارنة نستخلصُ أَنَّ صانعَ منهجِ التربية الإِسلاميّة الصالحة هو صانع الجهاز الآدميّ - البشريّ - وموجده ، والخبير بكلِّ خلجة من خلجاته ، وبكلِّ خليّة من خلايا جسمه ، وبكلِّ ذرّة من ذرّات تكوينه [٢] .

---

(١) انظر المرجع السابق .

(٢) لمعرفة المزيد راجع « منهج القرآن في تربية الرجال » (ص ١٦ - ١٩) .



﴿ هو أَعلم بكُم إِذْ أَنشأكم من الأَرض وإِذ أَنتم أَجِنَّة في بُطون أُمَّهاتكم ﴾ ، الله سبحانه وتعالى هو الأَعلم بما يصلح البشريّة كلّها في كلِّ زمان ومكان ، وبما يصلح لها في مجال التربية والتوجيه والسلوك الاجتماعي والتشريع والحكم والاقتصاد وكلٍّ ما لا تصلح البشريّة إِلّا به ، وصدق الله - سبحانه - حيث يقول : ﴿ أَلَا يعلمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيفُ الخبيرُ ﴾ .

وبعد ؛ فهذه أَخي القارىء - وفقك اللهُ للحقِّ والخير - بعض اللفتات الإِسلاميّة والمواقف القرآنيّة ، حيال التربية الحقّة والسلوك السويّ ، سُقْناها إِليك وهي مقتبسة من المنهج الإِلٰهي الذي ارتضاه الله تعالى منهجًا ودستورًا ...



نماذج من سيرة الدعاة إلى الله الحلقة الأولى

د: صالح بن غانم السدلان

الحمد لله الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب ، وشرع لعباده هذا الدين ، وسنَّ لهم منهج الطريق المستقيم ، ليعيشوا آمنين مطمئنين ودعاةً إلى الخير مصلحين ، نحمده على آلائه ، ونشكره تبارك وتعالى على نعمائه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أرضه وسمائه ، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخاتم أَنبيائه ، أَرسلَه على فترة من الرسل فأظهر به الحق ، وأرشد به الخلق ، صلّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابه ، وأتباعه ، وأحبائه ، الذين حملوا من بعده علم الدين ولواءه ، يدعون من ضل إلى الهدى ويبصِّرون بنور الله ويصبرون على الأذى ، فرضي الله عنهم أجمعين ، وعمن سار على دربهم ونسج على منوالهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين ..

أما بعد :

فإن القرآن الكريم أرسى قواعد الدعوة ومبادئها ، وعيّن وسائلها وطرائقها ، قال تعالى : ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال عزَّ مِن قائلٍ : ﴿ قل هذه سبيلي أَدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أَنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وعلى هذا استمر عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله وإِيضاح الحق حتى أظهر الله الدين على يديه ، وأتم عليه وعلى أمته النعمة ، ثم بعد أن توفي ﷺ حمل

أصحابه رضوان الله عليهم من بعده مشاعل هذا النور ، وساروا على الطريق ، فدعوا إلى اللّه وانتشروا في أرجاء المعمورة ، دعاة للحق ، وهُداة للخلق ، لا يخشون في الله لومة لائم ، يبلِّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، هداة مهتدين ودعاة مصلحين .

ومن المعلوم أنه كلما تأخر الزمان ، وابتعد الناس عن آثار الرسالة ، حدثت البدع وفشا الجهل وانتشرت الخرافات واشتدت غربة الدين ، وظن الناس أن الدين هو ما وجدوا عليه آباءهم ، وإنْ كانَ بعيداً عنه ، ولكن الله تعالى لا يخلي الأرض من قائم لله بحُجّة لا تثنيه عن عزيمته قوة ، ولا توهنه عن قصده شدة .

وقد أخبر ﷺ بأن طائفة من أُمته لا تزال على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وقد وقع مصداق ما أخبر به ﷺ ، فلاَ يزال - بحمد الله - فضل الله على هذه الأمة يتوالىٰ بظهور المجددين ممن قيضهم الله ليجدِّدوا للأمة أمر دينها ويعيدوها إلى إسلامها الصحيح ونبعها الصافي المتمثل في كتاب اللّه تعالى وسنَّة نبيِّه ﷺ ، فكانوا - بحق - كالطَّود الأشم في وجه الأعاصير ، والنجم الهادي في الليالي الحالكات .

وفي هذه العجالة يسعدني أن أذكر طرفًا من سيرتهم ، ونموذجًا من صبرهم وثباتهم ، سائلاً المولى عز وجل أن يوفِّقَ دعاة اليوم أن يكونوا صورة صادقة لما كان عليه سلفهم ، ويجعلوا من أنفسهم دعاة الى الله بأقوالهم وأفعالهم ، وأن يكون قصدهم بجهادهم وتحملهم التبعات هداية الخلق إلى الإسلامِ الصحيح ، وتعليمهم كما علّمهم معلِّمُ البشريّةِ محمد بن عبدالله ﷺ ، وبذل النصيحة لهم ، ولهم في رسولهم الكريم ﷺ ، وخلفائه الأبرار أسوة حسنة ؛ ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وسيشمل الحديث النقاط التالية :

أولاً : إمام الدعاة وقدوتهم محمد بن عبد الله ﷺ :

أ - مراحل الدعوة النبوية .

ب - خصوم الدعوة ومسالكهم لمحاربة الدعوة ورجالها .

جـ - الهجرة إلى المدينة عامل من عوامل تأمين الدعوة الإسلامية .

٢- نوح عليه السـلام .

٣- إبراهيم عليه السلام .

٤- يوسف عليه السلام .

٥- سليمان عليه السلام .

٦- عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٧- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

٨- الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

ثانيًا : عوامل الصبر والثبات .

ثالثًا : العوامل التي تضمن نجاح الدعوة .

أولاً : إمام الدعاة وقدوتهم نبي الهدى محمد بن عبدالله ﷺ :

١- مراحل الدعوة النبوية :

إن من أروع ذكريات هذه الأمة الإسلامية في فجر دعوتها تلكم المواقف البطولية التي كان قطب رحاها سيد الأمة ، ومنقذها بهدى الله من الضلالة ، والبشير النذير الذي أخذ بحُجزاتها أن تهاوى أو ترسب في قيود الذلة والاستكانة .

ومن حقِّ الأمة الإسلامية أنْ تزهو بتلك المواقف الكريمة التي لم تكن إلا لتقرير قضية عادلة ، هي قضية الإسلام وتنظيم العلائق بين الخالق والمخلوق ، ثم بين الإنسان وأخيه الإنسان .

لقد صمد الرسول ﷺ ثلاثة عشر عامًا يغالب الطُّغيان ، ويصاول موجات الباطل ، ويستعذب الأذى ويحتمل الصِّعاب ، برحابة صدر ورباطة جأش وطمأنينة نفس ومضاء عزيمة ويقين ثابت بأن الله تعالى سوف يُعلي كلمته ، وينصر دينه ، ويؤيِّد عبده ولو كره المشركون وأعداء الله الجاحدون .

تُطالعنا سيرته عليه الصلاة والسلام أنه بُعث على رأس الأربعين من عمره بعد أن اكتمل شبابه ، واشتد أزره أو تهيأ لأمر الله الذي اختاره له ، فتلقى النبي ﷺ أوامر عديدة للقيام بالدعوة ؛ قال تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهِّر والرجز فاهجر ولا تمنُن تستكثر ولربك فاصبر ﴾ .

أوامر يسيرة في الظاهر - ولكنها بعيدة المدى والغاية قوية الأثر والفعل ، يأمر اللّه نبيَّهُ ﷺ بأن يقوم بالإِنذار - والإِنذار هو أظهر ما في الرسالة - وتوجيهٌ له ﷺ بأن يوقظ البشرية ، ويخلِّصها من أدران الشرك والفساد ويدلها على طريق الخير ، قبل فوات الأوان ، وإشارة إلى ما سيلقاه من أذى المعاندين وسخرية المخالفين ، وآمرٌ له بالصبر على كل ذلك بقوة وجلادة لا لينال حظًّا من حظوظ نفسه ، بل لمجرد مرضاة ربه وهداية خلقه وظل رسول اللهِ ﷺ يدعو إلى الله سراً طيلة ثلاث سنوات ؛ فبدأ بألصق الناس به وآل بيته وأصدقائه وكل من يتوسم فيه خيرًا ممن يعرفهم ويعرفونه ، فأجابه جمع عرفوا في التاريخ الاسلامي بالسابقين الأولين ، ثم تنزل الوحي يكلِّف رسول الله ﷺ بمعالنته قومه ومجابهة باطلهم ومهاجمة أصنامهم .

وبدأت المرحلة الثانية وهي الدعوة إلى الله جهرًا ، وجاء نداء السماء بالأمر بإظهار الدعوة ، قال تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، فدعا الرسول ﷺ فعمَّ وخصَّ ، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينه وبينهم وأن عصبيّة القرابة التي يقوم عليها القوم آنذاك قد ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله تعالى ، ولم يزل الرسول ﷺ كذلك حتى نزل قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ ، فقام رسول الله ﷺ يُنكر على خرافات الشرك وترهاته ،

ويذكر حقائق الأصنام ويضرب بعجزها الأمثال ، فهاجت قريش وماجت بالغرابة والاستنكار ، وأخذت تستعد لحسم هذه الدعوة التي اندلعت فجأة ، ويخشى أن تأتي على تقاليدها وموروثاتها ، ولجأت إلى أساليب شتى تقمع بها هذه الدعوة وتتخلص منها ، وهاك البيان :

٢- خصوم الدعوة ومسالكهم لمحاربة الدعوة ورجالها

كثيرًا ما تقابل الدعوات المخلصة التي يقوم بها الدعاة والمصلحون بالصدود والإعراض من جانب الصلف والكبرياء ، وكثيراً ما يلقى الدعاة إلى الله من أهل الشر والدعاة إليه صدودًا وإعراضًا وسخرية واستهزاءً وتعذيباً وإيذاءً ، وها هي قريش تتفجر بمشاعر الغضب وتموج بالغرابة والاستنكار حينما سمعت صوت الحق يرجّ دويُّه في أرجاء مكة ، فتلجأ إلى السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب ، وقصدها من ذلك تخذيل المسلمين وتوهين قواهم بما يصفون به الرسول من تُهَم كاذبة ، وشتائم هزيلة فمرة ينادونه بالجنون ومرة يصمونه بالسحر والكذب ومرة يشوهون ما جاء به ويثيرون الشُّبهات والدعايات الكاذبة وينشرون الإيرادات الواهية حول دعوته ، ولمّا لم تفلح هذه البذاءات ولم تنجح هذه الافتعالات انتهى بهم المطاف إلى أن يصمموا على قتله وتفريق دمه بين القبائل ... وأنى لهم ذلك !!

قال تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نورهِ ولوكره الكافرون ﴾ [الصف : ٨] .

وما أشبه اليوم بالبارحة !! فأعداء الدعوة والنَّاقمون عليها يحاربونها بشتى الوسائل والطرق ، ويقفون في وجهها وقفة العداء والكيد والتضليل ويتّهمون رجالها - زورًا وبهتانا - بالرَّجعية والتخلف عن مسايرة ركب الحضارة ، وما على الداعية إلا أن يستمسك بعزّته ولا يفرِّط في رسالته ولا يفتُر عن الدعوة إلى الله ، فقد كان ﷺ يتحلى بالصبر والاستمرار على الدعوة ويجمع القلوب ويقرر أمر العقيدة السليمة ويغرس المبادئ الصحيحة في قلوب أصحابه بالتؤدة والأناة والحكمة والقوة ، ويوطِّن



نفسه على مواجهة العواصف العاتية ويجاهر بالنصيحة ، ويطلبُ الإِصلاح ويكون مثلًا أَعلى في كلّ شيء لتؤثِّر دعوته في القلوب ، وتؤثر في النفوس وتؤتي ثمارها الطيبة بإذن الله .

٣- الهجرة إلى المدينة عامل من عوامل تأمين الدعوة الإِسلامية .

إنَّ هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كانت مَعينًا فيّاضًا بالتَّضحية والفداء ، ومن أعظم المواقف التي وَقَفَها الرسول ﷺ من خصومه ، إذ غيَّر به مجرى الأحداث وضيَّع على خصومة فرصة الانتقام وأحبط مسعاهم ، وبلبل أفكارهم وأثبت فشلهم ، وأسفر عن تأييد الله له ، وحمايته من كيد الكائدين ، وطيش الطغاة والجاحدين .

إن النبي ﷺ حين عزم على الرحيل من مكة إلى المدينة أحكم خطة هجرته وأعدَّ لكل فرض عدته ، واستجمع كل أسباب الحيطة والحذر ، واستفرغ جهده في سبيل تأمين دعوته ، مستشعرًا قوة اليقين في نفسه وروعة الإيمان في قلبه ، وقد أصبح هو ومن آمن معه من أصحابه بعد بيعه العقبة الثانية - كما تعلمون يشعرون بأن قوة جديدة تقف إلى جانبهم وأن أرضًا طيبة تتهيأ لاستقبالهم ، من أجل ذلك أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة من مكة إلى المدينة ؛ فصاروا يتسللون من مكة في ظلام الكتمان والخفاء ، يحذرون قريشًا ويخشون خطرها ويرجون ألا تحول بينهم وبين الانتقال من هذا الوسط الخبيث وتلك البيئة الفاسدة إلى جوِّ المدينة الطاهر الجميل ، وهكذا أَشرقت المدينةُ بنور الحقّ ، وانتشرت فيها مبادئ الإِسلام ، وأصبحت مكانًا يأمن فيه المسلمون على أنفسهم من أذى المعتدين وطغيان الظالمين وقبل كل شئ هم قد أمنوا على دينهم ، الذي هو أعز عليهم من كل شئ وينضوون تحت لوائه ، وأخذوا في المدينة يدعون إلى الله ويؤدون العبادة ، آمنين مطمئنين .

(للبحث صِلَةٌ ...)

وقفات مع كتاب

« السلفيّة مرحلة زمنيّة مباركة لا مذهب إسلامي »

لمحمد سعيد البوطي

الحلقة الثانية

محمد فريز منفيخي

مناقشة الباب الثاني : تطبيقات عمليّة على المنهج

ينتقلُ المؤلّفُ في البابِ الثاني المسمّى (تطبيقات عمليّة على المنهجِ الجامعِ) وفي القسم الأَوّل – منه – المعنون (أُصول وأَحكام لا مجالَ للاختلاف فيها) ، حيثُ يستعرضُ المؤلّفُ كما ذكرَ في السطرِ الثالثِ من الصفحةِ (٩٩) : « ونحن هنا إِنَّما نسردُ طائفةً منها تطبيقًا لمقتضى المنهجِ الَّذي عرفناهُ » ، ثمَّ يعددُ المؤلفُ ستة عشر أَصلًا يصفها في الصفحة (١٠٦) السطر ٦ بأَنّها « أَبرز الأُصول والأَحكام الَّتي لا مجال للاختلاف فيها عند من التزم بالمنهج الجامع لفهم دين الله عزَّ وجلَّ وشرائع الإِسلام » ، ويؤكدُ ذلك في الصفحة (١٠٧) السطر ٥ « أَنَّ هذه الأُصولَ والأَحكام الَّتي فرغنا من بيانِها ، وأَكّدنا أَنْ لا مجالَ لوقوعِ الاختلافِ فيها على ضَوْء المنهج الجامع ».

ثمَّ يَسيرُ قدمًا في حكمه فنجد في الصفحة (١٠٨) السطر ٥ قوله : « ممّا لا شكَّ فيه أَنْ يستلزم فسق المنكر أَو ابتداعه وانحرافه من خطّةِ الهدايةِ والرُّشد ، وحسب ذلك غواية وضلالًا » ويتابعُ في السطر ١١ :

« فلئن كانَ الاعتمادُ على هذا المنهجِ أَمرًا متفقاً عليه ، ولا مجالَ للاختلافِ فيه ، فلا شكَّ أَنَّ الأَخذَ بهذه الأُصولِ والأَحكامِ المنبثقةِ عنه ، بل المنبثقة عن بنودِهِ المتفقِ عليها والمجمعِ على كيفيّةِ فهمها والتطبيق عليها هو أَيضاً أَمرٌ متفقٌ عليه ، ولا مجالَ للاختلاف فيه » .

لم نبتعدْ كثيرًا عن أَحكامِ المؤلفِ الأَحدَ عشرَ الَّتي سبقَ أَن ناقشناها ، الّتي كان آخرها في الصفحة (٩٤) ، الَّتي أَكّدَ فيها أَنَّ المنهجَ الجامع لا بدَّ وأَن يُنتجَ خلافات بين اللغويين ثمَّ بينَ علماءِ الشريعةِ بدءًا من العقائد ، وانتهاء بفقهِ السلوك وأَحكامِه ، وحتّى إِنَّ هذا المنهجَ الجامع لا يتكفل على أَقلِّ تقدير بتوفير عوامل الاتفاق وسدّ منافذ الاختلاف ، معتبراً ذلك من حكم الله الباهرة لنفاجأ بعد خمس صفحات بما ذكرناه أَعلاه من أَحكام قطعيّة لا مجال للاختلاف فيها ، فكيف نوفِّقُ بين الرأيين ؟! كيفَ نصفُ المنهجِ الجامع بما وصفه به في المائة صفحة الأُولى من الكتاب ، ثمَّ يستخرجُ على ضوئه أَحكامًا يصفها بأَنّها لا مجالَ للاختلاف حولَها ، ودونَ أَن يبيّنَ لنا أدلّة هذه الأُصول ولا مصادرها ولا كيفيّة استخراجها وَفقَ أُصول المنهج الجامع لنتعلم هذا الأُسلوب ونبرع فيه !!!

ولكنّه اعتذرَ عن ذلك في الصفحة (١٠٧) السطر الأَوّل « ولولا خوفُ شرودِنا عما نحن بصدده لَفَصَّلْنا القول في بيان وجه الدلالةِ القطعيّةِ على هذه الأُصول من خلال موازين هذا المنهج الجامع المتفق عليه ، ولكنَّ ذلك يبعدنا جدًّا عمّا نحن بصدده ، وهو الموضوعُ الَّذي عقدنا فصول هذا الكتاب لمعالجته وبيان وجهِ الحقّ فيه » ، فإِمّا أَن يكونَ موضوعُ ٤١٪ من الكتاب خروجاً كلّه عن الموضوع ، ولا علاقة له بعنوان الكتاب ! وإِمّا أَن يكون بحثاً مفيداً للمسلم فكان عليه بيانه !

سنستعرضُ الأُصول الواردة في هذا الكتاب ، ونناقشها لنبيّن كيف يمكنُ أَلّا تكون متفقاً عليها بما لا يدعُ هناك أَيّ مجال للخلاف حولها :

الأَصل الأَوّل : يؤكدُ فيه المؤلفُ « بأَنَّ الدينَ عند اللهِ الإِسلام ، وكلمة الإِسلام بمعناها العام الَّتي وردت في القرآن الكريم ، وهذه بدهيّة وردت بالقرآن الكريم في آيات كثيرة ، ولا تحتاج إِلى قواعد منهج أَو ميزان لاكتشافها .

الأَصل الثاني : هو أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحد في ذاتِه وصفاته ، وهذا أَيضاً أَمر بدهيّ من بدهيان الإِسلام ، ولا يحتاجُ لجهد كبير لتأكيده أَكثر من سورةِ الإِخلاص .

الأُصل الثالث : صفات الله تعالى ثابتة له بإثباته إيّاها لنفسه ، وهذه أيضاً من بدهيات القرآن الكريم .

أمّا قولُ المؤلفِ : « فهي قديمةٌ قِدَمَ ذاته ، وكلامه من صفاته فهو قديم غير مخلوق » فهو من كلام المناطقةِ المعتمد على الفلسفةِ اليونانيّة المترجمةِ من اللغةِ العربيّةِ أَصلاً ، وقد قضى على زندقتها علماءُ المسلمين الأَفذاذ ، وعلى رأسهم أَبو حامد الغزالي حيث درسَ - كما هو معلوم - جميع فلسفات الزنادقة وردَّ عليها ، وأَثبتَ الفكر الإِسلاميّ بأَلفاظه ومنطقه ، وهكذا فإنَّ علينا - نحن مسلمي اليوم - أَلّا نستعيرَ أَيّاً من أَلفاظ المتكلمين للتعبير عن الأُصول الإِسلاميّة ، وإِنّما نتكلّم بما تكلّم به اللهُ في القرآن الكريم ، وبما ثبتَ عن رسوله الكريم ، وبما تداوله السلف الصالح ، لا نحيدُ عنها ولا نفترقُ ، وهذه لغةُ الإِسلام الّتي نستطيع التعبير عن الحقائق بمنطقها ولغتها ، وفي ذلك كفاية لكلِّ عاقل .

أمّا كلمتا (قديم) و (محدث) فهما من مُصطلحات الفكر اليوناني الّتي وضعوها لجهلهم بالأَديان السماويّة ، وبحقيقةِ الخالق والخلق ، ولجهلهم أَيضاً بالعلوم الحديثه ، الّتي وضّحت قضايا الكون ومعنى الزمن ، وقد علمنا الآنَ أَنَّ الزمنَ هو وحدةُ الحركةِ بين المتقدم والمتأخر ، وبما أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ هو خالقُ الأَكوانِ وخالقُ حركتها المنضبطة بالثانيةِ ، هو بالتالي خالقُ الزمن ، لذلك فقبلَ أَن يخلقَ اللهُ الكواكبَ وحركتها الدقيقة لم يكن هناك زمن ، وبالتالي يسقطُ السؤال عن القبليّة والبعديّةِ الّتي يدخل فيها عنصرُ الزمن واضحاً ، وكذلك يسقطُ السؤال عن القدم والحداثةِ بالنسبةِ لله عزّ وجلّ ، وتبقى الحقيقةُ الأَزليّةُ ، وهي أَنَّ هناك خالقاً واحداً هو الأَوّلُ ، وليس معه شيءٌ ، وهناك مخلوقات أَوجدها وخلقها اللهُ بأَمره مثل الكواكب والأَكوان وما عليها ، والإِنسان ونسله والمخلوقات الأُخرى الّتي لا نراها ، وقد أَخبرنا الله عنها مثل الملائكةِ والجانّ .

والقرآنُ الكريم هو كلام الله عزّ وجلَّ الّذي أَنزله وحيًا بواسطة الملَك جبريل

على قلب رسول الله ﷺ ، ونَقَلَه إِليه بكلِّ الأَمانةِ والدقّةِ لفظاً ونطقاً ، هذه عبارات الإِسلام وعُلمائه وهي كافية وافية ، ولا حاجة بنا - نحن المسلمين - لنستعير لغة أَحد لنعبّرَ بها عن ديننا ، ففي لغتنا القرآن الكريم ما يغني عن أَيّةِ أَلفاظ أُخرى .

الأَصل الرابع : تنزيه الله عن الشبه والنظير والتحيز والتجسد ، وهذا الأَصل متضمن بالأَصل الثالث ومتفق تماماً مع اتجاهات مذهب الإِمام أَحمد ومنهج السلف الصالح .

الأَصل الخامس : يقول المؤلف في هذا الأَصل : « الخيرُ والشرُّ وفعل الإِنسان وغير ذلك من الكائنات ؛ إِنّما هو بمشيئةِ الله وخلقه » ، يعود المؤلف هنا إِلى استخدام لغة الفلاسفة للتعبير عن الحقائق الإِسلاميّة ، وذلك بقوله : « إِنَّ كلَّ ما عدا الله فهو حادث بالضرورةِ إِذ إِنّه مخلوق ، والخلقُ لا يصدرُ إِلّا ابتداء ، وقد ناقشنا قضيّة القدم والحداثة سابقاً » !

هنا نسأل المؤلف : هل للخير والشر وفعل الإِنسان من الكائنات كما ذكر في الأَصل الخامس ؟ طبعاً لا نعتقد أَنَّه يقصد ذلك ، إِننا لا نهتم بالدفاع عن فكر المعتزلة ، فهم وقضاياهم انتهوا في وقتهم ، ولم تعد مماحكاتهم الفكريّة تشغل أَحداً الآن ، إِلّا أَننا نتبعُ صريح نصّ القرآن الكريم كلام الله تعالى إِذ يقول : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إِلى عالم الغيب والشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، ويقول تعالى : ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إِنّي عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إِنّه لا يفلح الظالمون ﴾ [الأَنعام : ١٢٥] .

ولا يتسعُ المجال هنا لذكر جميع الآيات الحاثّة على العمل ، إِذن فما دامت هناك محاسبة على العمل فلا بدَّ أَن يكونَ الإِنسان حرّا في اختيار عمله وتنفيذه وإِرادته ، وهذا عين العدل الإِلهي .

أَمّا لغةُ الفلاسفة واصطلاحتهم فلا يسعنا لا استخدامها ولا مناقشتها ؛ لأَنّها تختلفُ في مبدئها ومُنتهاها عن الفكر الإِسلاميّ ، عن كلامِ الله عزَّ وجلَّ ، ووصفه لنفسه في كتابه الكريم ، وهو ما نحرصُ على فهمه والكلام بأُسلوبه لا غير .

الأَصل السادس : قضيّة القضاء والقدر وهداية الله وتوفيقه لعباده ؛ لا شكَّ في يقين المسلمين بها ، إنّما يمكن الإِضافة بشأن طبع الله على قلوب الضالين الجاحدين إنّما يتمّ بسبب ضلالهم وجحودِهم ، وليس لظلم الله إِيّاهم أَو قسرهم على طريق الشقاء لا سمحَ الله .

الأَصل السابع : التفريق بين الكفر الاعتقادي والفسق بالذنوب ، هو من الأُمور المتفق عليها أَيضاً .

الأَصل الثامن : رؤية الله تعالى يوم القيامة مؤكّدة بصريح الكتاب والسنّة النبويّة المطهرة .

الأَصل التاسع : سؤال الملكين وعذاب القبر مؤكّدٌ أَيضاً بصريح الكتاب والسنّة النبويّة المطهرة .

الأَصل العاشر : حبُّ الصحابة والسلف مستحسن ، ولكن ليس له دخل بالعقيدة نفسها ، لكن من يحبُّ الله ويحبُّ رسولَه الكريم لا بدَّ وأَن يتبع ذلك حبّ من يحبّهم من صحابة رسول الله والتابعين ، وبكلّ مؤمن بالله والأَخص من ذلك حبّ من يحبّ الله من الأَحياء ، وهذا ما أَكّده رسول الله ﷺ بحديثه الصحيح : « لن تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتّى تحابُّوا ، أَلا أدلُّكم على شيءٍ إن فعلتموه تحاببتم ؟ أَفشوا السلام بينكم » .

الأَصل الحادي عشر : جمع كلمة المسلمين على أُصول الهداية والرُّشد أَصل مؤكّد ، ويستتبعُ ترك كلّ ما من شأنه تفريق فهم المسلمين لدينهم بسبب منهج تمّ اكتشافه بعد عهد السلف الصالح يفرّق ولا يجمع ، يشتتُ الأَفكار ولا يُوَحِّدها .



الأَصل الثاني عشر : أَشراط الساعة الّتي أَخبر عنها الصادقُ المصدق ثابتة بالكتاب والسنة .

الأَصل الثالث عشر : إِنكار الابتداع مطابق لنصّ حديث رسول الله ﷺ .

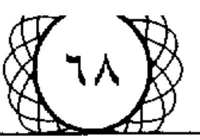
الأَصل الرابع عشر : احترام أَئمةُ المذاهب في اجتهاداتهم وأَعمالهم شيءٌ جيد ، وهم قدوة صالحة لنا ولعلمائنا على الأَخص ليتأسوا طريقهم في استنباط الأَحكام وفق الكتاب والسنّة والرأي ، وذلك لما استجدَّ من ظروف ومعاملات وأَوضاع لم تكن في عصورهم ، كنقل الأَعضاء وأَطفال الأَنابيب والتلقيح الصناعي والمعاملات الماليّة الجديدة .

الأَصل الخامس عشر : الإِقبال على تعلُّم العلوم والتعمّق فيها هو فرض إِلهي ، تمَّ إِنزاله في أَوّل آية من آيات القرآن الكريم ﴿ اقرأ باسم ربِّك الَّذي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسانَ من عَلَق اقرأ وربُّك الأَكرم الَّذي علَّم بالقلم علَّمَ الإِنسان ما لم يعلم ﴾ .

ولا ريبَ أَنَّ تعلُّمَ المنطق اليوناني القديم والفلسفة غير الإِسلاميّة تُعدُّ من إِضاعةِ الوقت الّتي تقرِّب من تعلّم الضارَ من العلوم ، إِنّما العلم المطلوب تعلّمه هو كلّ علم نافع لحياة الإِنسان ومعيشته ولاكتشاف إِعجاز خلق الله في الآفاق وفي النفس .

الأَصل السادس عشر : إِنَّ الدين هو إِيمان وإِسلام وإِحسان ، وهو نصّ حديث رسول الله ﷺ .

ومن استعراضنا لهذه الأُصول نجد أَنَّ سبعاً منها يتعلّق باللهِ عزَّ وجلَّ وهي من الثوابت ، وأَربعاً منها حول عذاب القبر وأَشراط الساعة والبدع والإِيمان والإِسلام والإِحسان ، وهي أَيضاً من الثوابت في الدين ، ثمَّ خمسة أُصول عامّة حول عدم كفر المسلم بذنب ، وضرورة التعلُّم ، وهو من المتممات الّتي تعدّ من أَساسيّات الإِيمان والعقيدة ، وهنا يمكن أَن نسأَلَ المؤلف : لماذا اقتصر استعراضه على هذه الأُصول فقط دون كثير من المبادئ الإِسلاميّة المبثوثة في كتاب الله وسنّة نبيّه ؟ ونستطيعُ أَن نخمّن



الجواب على ذلكَ بأَنَّ هذه الأُصول فقط هي نتاج المنهج الجامع الّذي تم ابتداعه وتسجيله فيما بعد ، وهذا يعني ببساطة أَنَّ المنهج الجامع على ضوء هذه الأُصول المحدودة قاصر عن فهم الدين الإسلاميّ ، علاوة على شرح هذا الدين .

ثمَّ ينتقل المؤلف بعد ذلك في (ثانيًا) ليوضح بعض الشذوذ والانحرافات الّتي يقول عنها : إِنه لا ريب في بطلانها ! ثمَّ ليناقش قضايا الكفر والتصوّف ، ثمَّ ينتقل لبحث مسائل وآراء لم يتمخض وجه الصحّة أَو البطلان فيها مثل النصوص المتشابهة ثمَّ البدعة والتصوف ، وضمّن ذلك ثلاثين صفحة سماها وقفة مع ابن تيميّة ، الّتي حاول أَن يوضح فيها بعض العبارات الفلسفيّة الّتي دخلت بعض مؤلفات ابن تيميّة ، والتي يمكن أَن تمسَّ أَو تخالفَ ما أَجمعَ عليه السلف الصالح من الصفات ، وهذه الوَقْفة ما كان لها أَن تكتب لعدّة أَسباب ، نلخصها كما يلي :

١ - أَنّ صاحبَ المؤلفات قد انتقل إِلى رحمة ربّه منذ مئات السنين ، وبالتالي لا يمكنه الدفاع عن نفسه .

٢ - يمكن أَن تكون هذه الشذرات من المغالطات الّتي وقف عندها المؤلف في كتابات ابن تيميّة مدسوسة عليه ، كما أَشار المؤلف إِلى وقوع ذلك في مؤلفات ابن عَرَبي !

٣ - إِذا كان كلُّ إِنسان يؤخد منه ويردُّ عليه فلماذا لا يكتفي المؤلف بأَغلب المؤلفات القيّمة الّتي تركها ابن تيميّة ، ويتجاوز بعض النقاط الّتي لا تهم لا المتكلمين والفلاسفة ، وهم قلّة بالنسبة لعدد المسلمين المستفيدين من علم ابن تيميّة .

٤ - إِذا كان المؤلف يقول في حاشيته على وقفته مع ابن تيميّة في الصفحة (١٥٨) إِن : « مقتضى منهج النقد الإِسلامي في هذه الحال حسن الظن بالباحث الّذي لم يعرف سوى الخبر وترجيح أَنّه استقر على هذا الحق ، وتجاوز ذلك الباطل ، وهذا ما سننتهي إِليه في هذه الوقفة ، وهو ما ينبغي أَن يعامل به كلُّ الكاتبين والباحثين

من العلماء المشهود لهم بالخير » ! فلماذا يناقض المؤلف نفسه ، ويكتب هذه الوقفة الّتي استغرقت ثلاثين صفحة ؟ وما فائدتها للقارئ الّذي يمكن ألّا يلتفت إلى بضعة سطور في مؤلفات كثيرة مفيدة ؟

مناقشة الباب المعنون : (التمذهب بالسلفيّة بدعة لا يقرّها اتّباع السلف) !

بعد أَن تجاوزنا ٢١٧ صفحة من الكتاب أَي بنسبة ٨٤ ٪ منه ، ولم نعثر بعد على أَي أَثر لعنوان الكتاب ، إِلّا أَننا وجدنا في الصفحة (٢٢١) عنوان الباب الثالث المذكور أَعلاه ، هذا الباب يستغرق فقط ٣٨ صفحة من الكتاب ؛ أَي : بنسبة ١٥٪ منه ، فإِذا في هذا الباب .

يكرر المؤلف في هذه الصفحات فكرة واحدة ، وهي كما جاءت في الصفحة (٢٢١) السطر ١٢ : « أَي : التمذهب بمذهب جديد اسمه السلفيّة يقوم على عصبيّة الانتماء شيء آخر لا شأنَ له بالاتباع المطلوب ، بل لا يتفق معه ، ثمَّ يعطينا فكرة تاريخيّة على ظهور مذهب السلفيّة » - كما يسميه - فيقول في بداية الصفحة (٢٣١) : « ولقد أَصغينا طويلاً ، ونقّبنا كثيراً فلم نسمع بهذا المذهب في أَيّ من عصور الإِسلام الغابرة » ، ثمَّ في الفقرة التالية : « وهكذا فقد مرَّ التاريخ الإِسلاميّ بقرونه الأَربعة عشر دوّن أَن نسمع عن أَيٍّ من علماء وأَئمةِ هذا القرون أَن برهان استقامة المسلم على الرُّشد يتمثل في انتسابهم إِلى مذهب يسمّى السلفيّة ، وفي السطر الأَخير من الصفحة نفسها يقول المؤلف : « لعلّه مبدأ ظهر هذا الشعار - السلفيّة - كانَ في مصر إِبان الاحتلال الانجليزي لها ، وأَيّام ظهور حركة الإِصلاح الديني الّتي قادها وحمل لواءها كل من جمال الدين الأَفغاني ومحمد عبده » ، ريشرح لنا معنى هذا الشعار بقوله في الصفحة ٢٣٣ السطر ٥ : « فقد كان الشعار الَّذي رفعه أَقطاب هذه الحركة الإِصلاحيّة هو السلفيّة ، وكان يعني الدعوة إِلى نبذ الرواسب الّتي عكّرت على الإِسلام طُهره وصفاءه من بدع وخرافات ، وتقوقع في



أَقبية العزلة ، وبعد عن الحياة » .

ويضيفُ في السطر ١٤ : « لقد كان من الممكن ربط هذه المعاني السليمة السامية التي تعبّر عن حقيقة الإِسلام في كلّ عصر بشعار آخر غير كلمة السلف أَو السلفيّة ، وهل ثمّة شعار أَلصق بهذه المعاني وأَصدق في التعبير عنها من كلمة الإِسلام ذاتها !؟ » ، ويضيف المؤلف بعداً تاريخيّاً ثانياً فيقول في الصفحة (٢٣٥) السطر ١٢ : « وقد كان بين المذهب الوهابي هذا والدعوة الّتي حملها رجال الإِصلاح الديني في مصر قاسم مشترك يتمثّل في محاربة البدع والانحرافات ، لا سيّما بدع المتصوفة ، فراجت كلمة السلف والسلفيّة بين أَقطاب المذهب الوهابي » .

ويضيفُ في الصفحة (٢٣٦) السطر ٥ : « ليوحوا إِلى الناس بأَنَّ أَفكار هذا المذهب لا تقف عند محمد بن عبدالوهاب بل ترقى إِلى السلف ، وأَنّهم بتبنِّيهم لهذا المذهب أُمناء على عقيدة السلف وأَفكارهم ومنهجهم في فهم الإِسلام وتطبيقه » .

ويعرف المؤلف « السلفيّ » في الصفحة (٢٣٧) الفقرة الثانية فيقول : « السلفيُّ اليوم كلُّ من تمسّكَ بقائمة الآراء الاجتهاديّة المعنيّة ، ودافع عنها وسفّه الخارجين عليها ، نسبهم إِلى الابتداع » ، أَمّا من أَين تعرّف المؤلف على المذهب السلفيّ فلم نجد إِلّا ثلاثة مصادر :

« المصدر الأَوّل : الصفحة (٢٣٨) الفقرة الثانية بقوله : « كنّا نصلّي العشاء جماعةٍ ذات ليلة في إِحدى البلاد العربيّة ... فقام أَحد الحاضرين ، وكان سلفيّ المذهب ، وفارق الجماعة » .

المصدر الثاني : الصفحة (٣٤٠) الفقرة الثالثة : « ولقد أَصغيتُ إِلى أَحدهم يُلقي محاضرة في إِحدى الندوات يحدد فيها معالم المذهب السلفي » .

المصدر الثالث : الصفحة (٢٥٧) السطر ٣ : « وردت كلمة في كتاب « حوار مع المالكي » لعبدالله بن سليمان بن منيع : « لقد تتابعت سموم هذا الضالّ

المضلّ على العقيدة السلفيّة فيما ينشره من مؤلفات » .

ويلخص المؤلف النتيجة الّتي وصل إليها في نهاية الصفحة (٢٤١) بقوله : « لقد اتضح إذن أخي القارئ بما لا يدع مجالاً للريب أَنَّ السلفيّة مذهب جديد مخترع في الدين ، وأَن بنيانه المميز قد كوَّنه أَصحابه من طائفة من الآراء الاجتهاديّة في الأفكار الاعتقاديّة والأَحكام السلوكيّة اقتفوها وجمعوها من آراء اجتهاديّة كثيرة قال بها كثير من علماء السلف وخيرة أَهل السنّة والجماعة » .

يتوقف المؤلف عن هجومه على السلفيّة ، ويستدرك في الصفحة (٢٤٦) الفقرة الثالثة فيقول : « على أَنَّ إِغلاق هذا الباب لا يعني بالضرورة تخلّي هؤلاء الإِخوة عن آرائِهم ومذاهبهم الاجتهاديّة الّتي انتهوا إِليها واقتنعوا بها بل المطلوب منهم بمقتضى الشرع وقواعده أَن يتمسكوا بما انتهت إِليه جهودهم الاجتهاديّة الصحيحة ، ولا يسعهم إِلّا ذلك ، وأَنا شخصيّاً مقتنع بكثير من تلك المذاهب والآراء ، آخذ نفسي بها ، وأُدافعُ عنها بما أَملكه من الحجج والبراهين العلميّة » !

ويضيفُ في الخاتمة والخلاصة الصفحة (٢٥٣) السطر ٤ : « ... لوجدتني أُؤيد السلفيّة في كثير أَو بعض ما يذهبون إِليه » وفي آخر صفحتين من الكتاب (٢٥٨) الفقرة الثالثة : « وصفوة القول : إِنّنا لا نريد من هؤلاء الإِخوة أَن يتخلّوا عن آرائِهم الاجتهاديّة الّتي اقتنعوا بها ، بل لا نملك أَن نريدَ منهم ذلك ، بل إِنّهم في أَنفسهم لا يملكون فيما يقضي به الشرع إِلّا أَن يتمسكوا بها » ، ويضيف المؤلف بأَنَّ كلَّ المطلوب من السلفيين في - الصفحة نفسها السطور الأَخيرة - « أَنَّ ينتبهوا إِلى أَنَّ المسلمين يسعهم أَن يأخذوا في هذه المسائل وأَمثالها بما قد يهديهم اجتهادهم إِن كانوا أَهلاً للاجتهاد ضمن دائرة المرسوم لهم جميعاً ، ولا عليهم أَن يتفقوا في نتيجة اجتهاداتهم هذه أَو يختلفوا فيها ، فكلُّهم مقبول بفضل الله ورحمته ومأَجور » .

إِذا أَردنا أَن نناقشَ المؤلف في ما ذهب إِليه في هذا الباب الأَخير ، فإِننا نجد

الأَفكار التالية :

١ - يؤكد المؤلف أَنَّ التمذهب بالسلفيّة من ظواهر القرن الهجري الحاليّ ، وليس له أَبعاد تاريخيّة قديمة .

٢ - يقولُ المؤلف : إِنَّ شعار السلفيّة رُفع في مصر إِبان الاحتلال الإِنجليزي من قِبَل دعاة الإِصلاح الديني هناك ، أَي : إِنَّ هذه الكلمة عدت شعار حركة ، وليست مذهباً دينيّاً .

٣ - يضيفُ المؤلف أَنَّ كلمةَ السلف والسلفيّة راجت بين أَقطاب المذهب الوهابيّ ، وهنا أَيضاً يشير المؤلف أَنَّ السلفيّة ليست مذهباً دينيّاً ، ولكنّها كلمة راجت بين أَقطاب مذهب آخر هو المذهب الوهابي ، ونقول : إِنّه لم يدَّعِ أَحدٌ وجودَ مذهب باسْم المذهب الوهابيّ ، إِنّما هي حركة إِصلاح ديني أَيضاً لمحاربة البدع معتمدة على مذهب الإِمام أَحمد بن حنبل .

٤ - كما أَنَّ رفع شعار الاقتداء بالسلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ ، والتابعين وعدم اعتبار هذا الاقتداء مذهبا جديداً في الدين يعدُّ تنفيذاً لوصية الرسول « عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين من بعدي » .

٥ - ينتقلُ المؤلف من شعار السلفيّة إِلى تعريف السلفيّ بأَنّه كلُّ شخص متماسك الأَركان ، له مطبوعاته ، وله مبادئه وآراؤه ، بحيث يمكن الاطّلاع عليها ومناقشة أَدلتها وشروحاتها ، وتبيان ما يتفق منها مع الشريعة المطهرة ، وما يختلف معها ، ولكنّها حالات فرديّة خاصّة ، شاهدها المؤلف كما يصرّح في مصادره الّتي عدّدناها سابقاً .

٦ - يدفعنا المؤلف معه دفعاً إِلى القول إِنّه يتبيّن بما لا يدع مجالاً للريب أَنَّ السلفيّة مذهب جديد مخترع في الدين ، وهو ما لم نجد له سنداً لا من مؤلف ولا من داعية ولا من كتاب ، فهل يكفي أَن يلتقي المؤلف بشخصين ! ويقرأ كتاباً فيه كلمة

أَو كلمتين ! أَن يندفع إِلى تأليف كتاب كامل ليقول لنا : إِنّه ظهرت بدعة جديدة في الدين يريد وقفها !؟

٧ - يتراجع المؤلف تراجعاً كاملاً عن انتقاده السلفيين ، فأَطلق عليهم إِنّهم إِخوة ، وأَنَّ عليهم أَن يتمسكوا بآرائِهم ومذاهبِهم الاعتقاديّة ، وأَكّد أَنّه شخصيّاً مقتنع معهم بكثير من تلك المذاهب والآراء ، وأَنّه يأَخذُ نفسه بها ؛ أَي : يطبقها تماماً ، ويدافع عنها بكلِّ الحجج والبراهين ، ويؤكّدُ هذه المقولة في ثلاثة مواضع في آخر الكتاب وخاتمته .

فيا سبحان الله إِذا كان مَن كتب الكتاب كلّه في انتقادِهم وتبيان خطأ اتجاههم ، وبدعة مذهبهم يرى أَنّهم على حقّ ، ويطلبُ منهم عدم التراجع عن آرائهم ، وأَنّه مقتنع معهم بها ، ويدافعُ عنها ، فما المشكلة إِذن ؟!! ولماذا تمَّ تأليف هذا الكتاب ؟!! ولماذا وضع له هذا العنوان ؟!!

٨ - هل يطلب المؤلف شيئاً من السَّلَفيِّين ؟ أَبداً ، لا يطلب منهم شيئاً ، لأَنّهم على حق في جميع آرائهم الاجتهاديّة ، وإِنّما انصبَّ غَضَبُ المؤلف على القول بوجود مذهب سلفي أَوعقيدة سلفيّة ، حَسْبُ .

٩ - يتلطف المؤلف أَخيرًا مع الإِخوة السلفيين ، ويرجوهم رجاء واحدًا لا غير وهو أَن ينتبهوا إِلى أَنَّ بقيّة المسلمين من غير مجتهدي السلفيّة يسعهم أَن يأخذوا باجتهادات أُخرى غير تلك السلفيّة ؟! ولم ندرِ هل يتفق المؤلف معها أَيضاً أَم أَنّه يلتزم فقط بالتزامات السلفيين ؟! وبالتالي يخالف معهم بقيّة المسلمين ، إِلّا أَنّه يُطمئننا جميعاً بأَنَّ المسلمين كلّهم مقبول بفضل الله ورحمته ومأجور ، والحمد لله على ذلك لنا جميعاً .

١٠ - خلاصة القول : إِنَّ عنوان هذا الكتاب لا يتفق أَبداً مع مضمونه ، إِذا أَنَّ البابَ الثالث الّذي يعكس العنوان يتشكل من ٣٨ صفحة فقط من الكتاب ، وحتّى

هذا الباب الَّذي يتوقع منه أَن ينتقد السلفيين فيه ، ويبيِّن وجهة نظرِهِ ، ودلائله في ذلك ، تبيّن منه أَنَّ المؤلفَ يؤيدهم ويلتزم اجتهاداتهم ، ويدافع عنها ، ولا يطلب منهم شيئاً ، بل كلُّ ما يطلبُه منهم أَن يتسامحوا مع بقيّة المسلمين في آرائِهم واجتهاداتِهم ، وكلّهم مقبول من الله ومأْجور .

أَمّا بقيّةُ الكتاب وأَغلبه - الّذي طرح فيه المؤلف المنهج الجامع الّذي يصرّح فيه بأَنّه معتمد لتفسير النصوص الإِسلاميّة والمصادر التشريعيّة - فقد وجدنا فيها اختلافاً كثيراً ، وبأَنَّ هذا المنهج الميزان يولّد من الخلافات والتناقضات أَكثر من أَن يحلّها بصريح قول المؤلف ، ووجدنا المؤلف في الباب الثاني يخالف منهجه الجامع ، ويستعرض ستةَ عشر أَصلاً ، يؤكدُ بأَنّه لا مجالَ للاختلاف فيها أَو عليها ، وقد ناقشنا بعضها ، وتبيّن وجود بعض الاختلافات فيها على عكس ما يؤكد المؤلف ، وهذا هو مصداق قول الله عزَّ وجلَّ في كتابِه الكريم : ﴿ أَفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيها اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء : ٨٢] .

وهذه الاختلافات في فكر المؤلف نفسه دليل على بشريته ، وكلّ الّذي نطلبه من المؤلف أَن يعيدَ قراءة كتابه على ضوء ما قلنا وقال غيرنا لمحاولة تقليل هذه الاختلافات إِلى أَدنى حدٍّ ممكن !

واللهُ وليُّ التوفيق ، وهو الهادي إِلى سواء السبيل .

حول قصيدة البُردة

د . محمد المغراوي

إنَّ من أَهمِّ مساوئ الفكر الصوفيّ - قديمًا - حضّه الناسَ على قراءة القصائد الشعريّة البدعيّة ، ممّا أدّاهم إلى ترك كتاب الله وراءهم ظهريًّا .

وكذلك فعلوا في وقتنا الحاضر ، فجنّدوا أَنفسهم للسير في هذه المسيرة المشؤومة ، والتي مفادها الإِعراض عن كتاب الله وعن سنّة رسوله ﷺ ، وجعلوا هذه المسيرة المشؤومة ضمن دعوتهم الإِسلاميّة المزعومة ، وألّفوا في ذلك الكتب والمقالات، يبينون للنّاس فيها مشروعيّة هذا العمل ، وكأَنَّ أُمة محمد ﷺ تجهل ما صحَّ عن رسول الله ﷺ في الشعر المباح الذي يخضع لكلِّ موازين المباح ؛ فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، وينزلون هذه الأحكام غي غير موضعها .

أَمّا إِنشاد قصيدة أَو قراءتها أَحيانًا ، فهذا أَمر صحَّ عن رسول الله ﷺ أَنّه سمع شعرًا ، بل قال : « إِنَّ من الشعر لحكمة » ، ولكنَّ اجتماع المُسلمين اجتماع القُربة إِلى الله لم يكن إِلّا على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، أَمّا ما يُفعل في الوقت الحاضر من ضرب الدفوف وتلحين القصائد ، فلا شكَّ أَنّه من فعل المخنّثين ، والدفاع عن هذا الأَمر هو نصرة للباطل .

هذا من جهة .

ومن جهة أُخرى ضياع القرآن بين أَظهر المسلمين حفظًا وقراءةً وعملًا ، وتكالب جميع أَعداء الإِسلام عليه بكلِّ وسائلهم ،وضيقوه بجميع مناهجهم ، وأَبعدوه من ساحة عملهم ، فهلّا اجتمع المسلمون على نصرة كتاب الله حفظًا وعلمًا

وعملًا ، ولكنْ كيف يَشتغل بكتاب الله من يطلب المناصب الدنيوية ويشارك في كلّ شرٍّ بزعم أنّه يريد نشر الإِسلام ، وهو لعَمْر الله هدمٌ لكيانه وتَشْويةٌ لمعالمه ؟!

ولو كان هذا العمل الباطل الذي يقوم به الصوفيّةُ - وتبعهم فيه الحركيّون - صحيحًا ، لكان سلفنا الصالح أَحقّ به ، وكما قيل : فاقد الشيء لا يعطيه ، فهم فاقدون لقدر كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، ولا يحسنون إِلّا البهرجة واللغط ، وما سوى ذلك من دعوة لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ فهم بعيدون منها ، وهم جاهلون لها ، نسأل الله السلامة والعافية .

وهاك مثالًا توضيحًا لذلك قصيدة البردة المعروفة المشهورة مع توضيح يسير وتنبيه صغير لما في أَبياتها من الشرك والغلوّ ، حتّى يعلم القرّاء خطر هذا الموضوع ، وأَثره السلبي على أُمّة محمد ﷺ .

*** تعريف بالشاعر البوصيري :**

لقد كتب الأُستاذ عبدالبديع صقر نقدًا لـ « البردة » ، وكتب مقدمة على البوصيري وقصيدته ، رأيت من المفيد أَن أَنقلها في هذأ البحث ؛ ليعلم القرّاء خطر هذا الموضوع .

قال الأُستاذ عبد البديع :

« لقد ولد البوصيري ببلبيس من أَعمال محافظة الشرقيّة ٦٠٨هـ / ١٢١٢م ؛ أَي : في عهد الدولة الأيوبيّة ، واسمه محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي ، وينسب إِلى بلدة أَبو صير من أَعمال بني سويف بمصر ؛ لأَنَّ أُمّه منها ، وأَباه من بلاد المغرب ... وكان البوصيري معدودًا من الشعراء المجيدين ، يعالج فنّ الكتاب والشعر ...

ومن أَشهر قصائده « البردة » التي مطلعُها :

أَمن تذكُّر جيران بذي سَلَم

والهَمْزيّة التي مطلعها :

كيف ترقى رقيَّك الأَنبياءُ

ومعارضة قصيدة « بانت سعاد » التي مطلعها :

إِلى متى أَنْت باللّذّات مشغول

وتوفي المؤلف سنة ٦٩٦هـ / الموافق ١٢٩٦م ؛ أَي : قبل أَكثر من سبعة قرون ...

ويتضحُ من هذه الترجمة المختصرة الواردة في الكتب المعتمدة أَنَّ الرَّجل كان معدودًا في الشعراء ، وليس من الفقهاء ولا العلماء ، كما أَنَّ انحداره من عائلة مغربيّة يعطي احتمالًا بأَنْ يكون له ارتباطٌ بالفاطميين ، شأنه في ذلك شأن أَحمد البدوي والشعرانيّ وأَبي الحسن الشاذليّ ، كما أَنَّ مصر في تلك الأَيام كانت في قمّة التأثّر بالصوفيّة واتجاهات العبيديين الفاطميين ، بل إِنَّ تلك الفترة من التاريخ الإِسلاميّ كان لها تأثير مهمّ جدًّا على مصر خاصّة وعلى باقي بلاد الإِسلام عامّة ؛ إِذ كانوا ينقلون دائمًا عن مصر ، ويعتبرونها من أَهمّ مراكز الثقافة الدينيّة .

وقد نجح الأَيُّبيّون في القضاء على الدولة الفاطميّة سياسيًّا ، وغيَّروا منهج الدارسة في المدارس الكُبرى ، ولكنّهم لم يستطيعوا أَن يقضوا تمامًا على الأَفكار المسيطرة على أَذهان الشعب في مصر وجاراتها، بسبب استناد تلك الأَفكار إِلى عاطفة الحبِّ لرسول الله ﷺ ، متمثلًا في آل بيته ؛ فقد دأَبَ الفاطميّون خلال قرنين من الزمان على تعميق هذه العاطفة في النفوس ؛ باعتبارها كانت من الدعائم الرئيسيّة في تثبيت أَقدام الغزاة القادمين من المغرب .

إِنّ الدعوة الفاطميّة ساعدت على انتشار الأَفكار الصوفيّة ؛ لأَنّها تخدم أَهدافها وتتمشّى مع سياستها ، فازدهر التصوّف في هذه الفترة ، ولم يستطع الحكّام الأَيّوبيّون أَن يحاربوا الصوفيّة كما حاربوا الفاطميّة ، بل تظاهروا بأَنّهم منهم ، وتقرّبوا إِليهم ،



وكانوا في سبيل كسب عواطف الجماهير يتعمّدون إظهار محبتهم لهم وتوقيرهم إيّاهم .

*** ظروف كتابة القصيدة :**

قالوا في سبب تسميتها : إنَّ المؤلف كان أُصيب بمرض عُضال لم ينفع فيه العلاج ، لكنّه كان يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ، فرآه في المنام ذات ليلة يغطيه ببردته الشريفة ، ولما قام الرجل من نومه ؛ لم يجد مرضًا ولا ألمًا ، فحصلت له حالة من الانجذاب والهيام في حبِّ الرسول ﷺ ، وأنشأ فيه هذه القصيدة « البردة » وغيرها من القصائد التي لا تكاد تخرج عن مضمونها .

قلت : كيف تصحُّ هذه الرؤية ، والقصيدة مباينة لدعوة التوحيد التي جاء بها النبيّ ﷺ كما سيأتيك تفصيلُه وبيانُه ؟!

وقد اشتهرت هذه القصيدة ، وترجمت إلى عدّة لغات ، وصار النّاس يتعبّدون بتلاوتها في المولد والمناسبات ، وفي تشييع الجنائز ، وشغلوا بها حتّى عن تلاوة القرآن الكريم .

ومن ضِمن أَبيات القصيدة قولُه :

مَولاي صَلِّ وسَلِّمْ دائِمًا أَبدًا   على حَبيبِك خَيرِ الخَلْقِ كُلِّهِمِ

فهذا البيت (عندهم) ينبغي قراءته بعد كلِّ بيت من أَبيات هذه القصيدة ، وذلك لما يروى أَنَّ الإمام الفرنوي كان يقرؤها كلَّ ليلة ليرى النبيّ ﷺ في منامه ، فلم تُيسّر له الرؤيا ، فشكا ذلك إلى شيخ كامل ، فقال له : إنَّ لها شرطًا ، وهو أَنْ تصلي بالصلاة التي كان يصلي بها الإمام البوصيري رضي الله عنه على النبيّ ﷺ ، وهو قوله :

مَولاي صَلِّ وسَلِّمْ دائِمًا أَبدًا   على حَبيبِك خَيرِ الخَلْقِ كُلِّهِمِ

عقب كلّ بيت من أَبيات القصيدة ، وإنْ شقَّ على القارئ ؛ فيكفي بترديده

بعد كلِّ فصل من فصولها .

وحكمة اختيار هذا أَنَّ الإمام البوصيري رضي الله عنه أَنشد هذه القصيدة بين يدي النبيّ ﷺ في منامه ، حتّى أَتى إِلى قوله :

فمبْلَغُ العِلْمِ فيه أَنَّه بَشَرٌ ....

ولم يستطع تكميل البيت ، فقال له النبيّ ﷺ : اقرأ ، فقال رضي الله عنه : إِنّي لم أُوفَّق للمصراع الثاني ، فقال له عليه الصلاة والسلام : قل :

.... وأَنَّه خَيرُ خلقِ اللهِ كُلِّهِمِ!!

فالاعتراض عليه يأتي من عدّة وجوه :

الأَوّل : فهمنا لقول الله تعالى : ﴿ ولقد كَرّمْنا بني آدم وحَمَلْناهم في البَرِّ والبَحْر ورَزَقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كَثيرٍ ممّن خَلَقنا تفضيلًا ﴾ ، والرسول ﷺ من بني آدم ، ولم تقل الآية : فضّلناهم على جميع من خلقنا ؟

الثاني : أَنَّ الرسول ﷺ قال : « أَنا سيّد ولد آدم ولا فخر » [(١)] ، ولم يقل : أَنا سيّد العالمين ، وكان ذلك في موقف يحتاج للاستعلاء بالدين الذي ختمت به الرسالات ، ولكنّه في أَكثر من موضع قبل ذلك وبعده كره أَن نفضله على الأَنبياء والمرسلين ، وأَكّد الأُخوّة ووحدة الهدف ؛ تمشيًا مع نصوص القرآن الكريم ، في مثل قولِه تعالى :﴿ لا نُفَرِّق بينَ أَحدٍ مِنهم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولم يُفرِّقوا بَيْنَ أَحدٍ مِنْهُم ﴾ .

الثالث : أَنَّ رسول الله ﷺ نهى عن مدحه في مواضع كثيرة من أَحاديثه الصحيحة :

فمن ذلك ما ورد عن أَنس ؛ قال : جاء إِلى النبيّ ﷺ رجل ، فقال : يا خير

---

(١) رواه مسلم .

البرية ! فقال رسول الله ﷺ : « ذاك إبراهيم » . رواه مسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ قال : سمعت النبيّ ﷺ يقول : « لا تطروني كما أَطرت النّصارى عيسى ابن مريم ؛ إِنَّما أنا عبدالله ، فقولوا : عبدالله ورسوله » ، رواه البخاري ومسلم .

أَمّا قوله : « لما يروى » ؛ ففيه دلالة على ضعْف السند بسبب البناء للمجهول ، فمن الذي روى ؟!

وقال الناشرُ المجهولُ : « إِنَّ الشيخ الفرنوي كان يقرأ القصيدة ليرى النبيّ ﷺ».

فهذا يدلّ على ضعف إدراك الشيخ الفرنوي ، فرؤية الرسول ﷺ لا توضع في ميزان الأَعمال ، وإِنَّ كثيرًا من الذين رأوه في حياته ماتوا كفّارًا ، ومنهم بعض أَقربائه ، ثمَّ إِنَّ الرسول لا يتوصل لرؤيته في المنام بتلاوة قصائد الشعر ، وقد أَمرنا الله بالصلاة عليه لا بمدحه ولا بتلاوة الأَشعار بين يديه .

عن المقداد بن الأَسود قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب » رواه مسلم .

وقال الناشر أَيضًا : « وقد أَنشدها البوصيري بين يدي النّبيّ ﷺ في منامه » .

ما الدليل على صحّة هذا الكلام ؟ وهل ثبت أَنَّ النبيّ ﷺ يستقبل في قبره الشعراء ويستمع إلى قصائد المديح ؟!

قال : « ثمَّ إِنَّ الرَّسول أَكمل له شطر البيت بقوله عن نفسه : « وإِنّه خيرُ خلق الله كلهم » .

وواضح أَنَّ هذا افتراء على رسول الله ﷺ ، فإِنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وما علَّمْناه الشعر وما ينبغي له ﴾ [يس : ٦٩] ؛ فلا هو بشاعر ولا بكاهن ، ولم يقل شعرًا في حياته قطّ ، فضلًا عن أَن يقوله بعد أَن انتقل إِلى جوار ربّه عزَّ وجلّ .

والآن ندخل إِلى أَبيات القصيدة :

إِنَّها تبدأ بالبيت المعروف :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمٍ مَزَجْت دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلةٍ بِدَمِ

وهذا من أَعذب الشعر ومن أَكذبه أَيضًا ؛ لأَنَّه يزعم أَنَّ مجرّد تذّكره لهؤلاء الجيران جعل دموعه تنزل مختلطة بالدماء ، وليته فعل ذلك على المجازر الّتي حصلت في أَيامه من عدوان الكافرين على حرمات المسلمين ، أَو من المجاعة التي حصلت للنّاس في إِبّان حياته .

نماذج من الضلالات والشركيّات في قصيدة البردة :

قال الشاعر :

وكَيْفَ تدْعُو إِلى الدُّنيا ضَرُورةُ مَنْ لولاهُ لم تَخْرُج الدُّنيا مِنَ العَدَمِ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَونينِ والثقليـ ـنِ والفَريقينِ من عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ

أَقول : ما هذا الكلام ، فهل الدنيا خلقت من أَجل النبيِّ ﷺ منذ أَنْ خلقهاالله وإِلى أَن تقومَ الساعة ؟!

فالدنيا خُلقت وخُلق الخلق فيها من أَجل عبادة الله وحده ؛ قال الله تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإِنسَ إِلّا ليعبدون ﴾ ، والنبيّ ﷺ هو أَحد عباد اللهِ المخلصين ، فلو سمع النبيُّ ﷺ هذا البيت من البوصيري لاستتابه ، فإِنْ تاب ، وإِلّا ضرب عنقه .

وقد وَرَدَ عنه ﷺ في أَقلِّ من هذا الغضبُ والإِنكارُ ، حيث تنتهك حرمة التوحيد والعقيدة :

كما في « المسند » وغيره في الرجل الذي قال له : ما شاء الله وشئت ، فقال له : « أَجعلتني لله ندًّا ؟ ما شاءَ الله وحده » .

وصحَّ عنه ﷺ في الرجل الذي سمعه يخطب ، فقال : ومَن يعصهما - أَي الله ورسوله - ؛ ، فقال له النبيُّ ﷺ : « بئس الخطيب أَنت » .



ولم يرض ﷺ في يومٍ من الأَيّام الشركَ به أَو بغيره مع الله تعالى ، فكيف لو سمع مثل هذا الكلام ؟!

وقوله : لا طِيبَ يَعْدِلُ ضمَّ أَعظُمَهُ طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ ومُلْتَثِمِ

أَقول : ما هذا الكلام ؟! فمتى كان تقبيل التراب واستنشاقه من القربات ؟! فهذا الفعل هو عمل المشركين الذين يعظّمون الأَحجار والأَشجار ، ويعتقدون نفعها وضرّها ، وكيف وأَمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقول في الحجر الأَسود : « واللهِ إنَّك حجر لا تضرُّ ولا تنفعُ ، ولولا أَنّي رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » ؟!

فعمر رضي الله عنه يقتدي برسول الله ﷺ في هذا الفعل ، ويعلم أَنَّ تقبيل الأَحجار والأَشجار والتراب هو من فعل المشركين ، الذين يعتقدون فيها نفعًا أو ضرًّا ، فهذا من البوصيري الغلوُّ المنهيُّ عنه ، فمتى كان حبّ رسول الله ﷺ بتقبيل التراب واستنشاقه ، فلو رأى رسول الله ﷺ من يفعل ذلك لاستتابه ؟!

قال البوصيري :

يا أَكرمَ الخَلْقِ ما لي من أَلُوذُ به وِاكَ عندَ حُلولِ الحَادِثِ العَمِمِ

أَقول : وأَين ربُّ العالمين ؟! ومتى كان النبيُّ ﷺ محلّ لياذة في غيابه ؟!

فلو قال البوصيري :

يا خالق الخلق ما لي من أَلوذ بِهِ سِواكَ عِنْده حُلُول الحادِثِ العَمِمِ

لكان مصيبًا ومحقًّا ، ولكن غلوّه أَوقعه في الشرك الصريح ، فإِذا لم يكن هذا شركًا ؛ فما في الدنيا شرك أَبدًا .

فهذا الكلام لا يجوز أَن يقال إِلّا في خالق الخلق ، أَمّا المخلوقون – وعلى رأسهم رسول الله ﷺ – فوصفهم بهذا الوصف شرك لا مِرية فيه .

قال البوصيري :

فإنَّ من جُودك الدُّنيا وضَرَّتَها . ومِنْ علُومِك عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

أَقول : وماذا أبقى البوصيري لخالق الخلق إذا كانت الدنيا والآخرة من جود النبيِّ ﷺ ، ومن بعض علومه علم اللوح والقلم ؟!

فالذين قتلهم الخليفة الرابع عليّ رضي الله عنه كما في « البخاري » على ما ادّعوه فيه لم يصل إلى هذا الذي ادّعاه البوصيري للنبيّ ﷺ !

فقاتل الله المؤولين والمعتذرين عن هؤلاء المشركين الذين نشروا الشرك في أُمّة محمد ﷺ منذ قرون باسم محبّة النبيِّ ﷺ ، وهي لعَمْر الله بعض له ، ونقض لدعوته من أَوّلها إلى آخرها .

وهكذا الأَمر في باقي الأبيات التي فيها من الشرك والغلو ما هو واضح لكلِّ ذي عقيدة سليمة .

وقصائد البوصيريّ وأَشباهه كلّها من هذا الوادي ، فقصيدة الهمزيّة المشهورة فيها من البلايا والعظائم ما تنبو عنه الأَسماع وتتقطّع له الأَكباد ، وقصائد الصوفيّة في جميع العصور معظمها من هذا الباب .

ومن هنا يعلم أَنَّ الصوفيّة كان لهم الحظّ الوافر في نشر الشرك في أُمّة محمد ﷺ علمًا وعملًا وإنشادًا وتأليفًا ، وما يزالون حتّى الآن يتغنّون بالشرك وينشرونه بكلِّ وسائلهم ، نرجو الله تعالى أَن يكفي المسلمين شرّهم .

واقرأ القصيدةبنفسك ، وتمعَّن بها ؛ تجد محالَّ الخطر والانحراف والغلو تختفي وراء كلِّ بيت وكلّ كلمة ، والكلام على أَخطاء البردة كلّها يستغرق صفحات كثيرة .

ومن جهة أُخرى ؛ فليعلم أَنَّ قضيّة السماع - للقصائد والإنشاد - عند الصوفيّة أَمر قديم ، وقد ذكره القشيري في « رسالته » ، وقد ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيميّة ردًّا صحيحًا ، وسأَنقل في هنا بعض ردّ الشيخ على هذا الباطل على طريق

الاختصار ، ومن أَراد الاستيفاء ؛ رجع إِلى كتاب « الاستقامة » ؛ فإِنَّ فيه الرَّدّ الوافي على هذا السماع الباطل ، وفنّد فيه حجّة المخرفين وأَدلتهم المزعومة .

سئل شيخ الإِسلام تقي الدين أَبو العباس أَحمد بن تيميّة رضي الله عنه عن صفة سماع الصالحين : ما هو ؟ وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربه هو من القرب والطاعات أَم محرّم أَو مباح ؟ فأَجاب :

« الحمد للهِ ربِّ العالمين ، وأَشهد أَن لا إِله إِلّا الله وحده لا شريك له ، وأَشهد أَنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أَصلُ هذه المسألة أَنْ يفرّق بين السماع الذي ينتفع به في الدين وبين ما يرخّص فيه ؛ رَفْعًا للحرج ، وبين سماع المتقربين وسماع المُتَلَعِبينَ ، فأَمّا السماع الذي شرعه الله لعباده ، وكان سلف الأُمّة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم ؛ فهو سماع آيات الله ، وهو سماع النبيين والمؤمنين أَهل العلم وأَهل المعرفة ؛ فإِنَّ الله تعالى ذكر من ذكره من الأَنبياء عليهم السلام في قوله :

﴿ أُوْلئكَ الذينَ أَنعمَ اللهُ عليهم من النَّبيّين من ذُريّة آدم وممّن حملنا مع نوح ومن ذُريّة إِبراهيم وإِسرائيل وممْن هدينا واجتبينا إِذا تتلى عليهم آياتُ الرحمن خرّوا سجدًّا وبكيًّا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنّما المؤمنون الذين إِذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإِذا تُلِيَتْ عليهم آياتِه زادتْهم إِيمانًا وعلى ربِّهم يتوكّلون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الذين أُوتوا العلمَ من قبلِه إِذا يُتْلى عليهم يَخرُّون للأَذقان سُجَّدًا يبكون ويزيدهم خُشوعًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وإِذا سمعوا ما أُنزل إِلى الرَّسول ترى أَعينهم تفيضُ من الدَّمع ممَّا عرفوا من الحقِّ ﴾ .

وبهذا السماع أَمر الله تعالى في قوله : ﴿ وإِذا قُرِئَ القُرآنُ فاستمعوا له وأَنصتوا



لعلّكم تُرحمون ﴾ .

وعلى أَهله أَثنى تعالى ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ فبشِّر عباد الذين يستمعونَ القولَ فيتَّبعونَ أَحسنَه ﴾ .

وقوله تعالى في الأُخرى : ﴿ أَفلا يتدبَّرون القُرآنَ أَم على قلوبٍ أَقفالُها ﴾ .

فالقول الذي أُمروا بتدبره هو الذي أُمرو بسماعه .

وقال تعالى : ﴿ كتابٌ أَنزلناهُ إِليك مُبارَكٌ ليدَّبّروا آياتِه ﴾ .

وكما أَثنى تعالى على هذا السماع ذمَّ تعالى المعرضين عن هذا السماع :

فقال تعالى : ﴿ وإِذا تُتْلى عليه آياتُنا ولّى مُستكبرًا كأَنْ لم يسمعها كأَنَّ في أُذنيه وقرًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآنِ والْغَوْا فيه لعلّكم تغلبونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وإِذا قرأتَ القرآنَ جعلْنا بينَك وبين الذينَ لا يؤمنونَ بالآخرة حجابًا مستورًا وجعلنا على قُلُوبهم أَكنّةً أَنْ يَفْقَهوه وفي آذانِهم وقْرًا ﴾ .

وهذا هو السماع الذي شرعه الله للمسلمين في صلواتهم وخطبهم ؛ كصلاة الفجر ، وصلاة العشاءين ، وفي غير ذلك .

وعلى هذا السماع كان أَصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون ، وكانوا إِذا اجتمعوا أَمروا واحدًا منهم يقرأ ، والباقي يستمعون ، وكان عمر يقول لأَبي موسى : ذكّرنا ربّنا ، فيقرأ وهم يستمعون .

وهذا هو السماع الذي كان النبيُّ ﷺ يشهدُه مع أَصحابه ، ويستدعيه منهم ؛ كما في « الصحيحين » عن عبدالله بن مسعود : أَنَّ النبيَّ ﷺ قال له : « اِقرأ عليَّ » ، قال : قلت : أَقرأُ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : « إِنّي أُحبُّ أَن أَسمعه من غيري » ، فقرأتُ عليه سورة النساء ، حتّى وصلتُ إِلى هذه الآية : ﴿ فكيفَ إِذا جِئْنا



مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بشهيدٍ وجئنا بكَ على هٰؤلاءِ شهيدًا ﴾ ، قال : « حسبُك » ، فإذا عيناه تَذْرِفان .

وهذا هو الدِّين كان النبيُّ يسمعه وأَصحابه .

كما قال تعالى : ﴿ لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنين إِذ بعثَ فيهم رسولًا مِنْهُم يتْلوا عليهم آياتِه ويُزكّيهم ويُعلِّمُهم الكتابَ والحكمة ﴾ .

والحكمة هي السنّة .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعبدَ ربَّ هذه البلدةِ الَّذي حرَّمها ولهُ كلُّ شيءٍ وأُمِرتُ أَنْ أَكونَ من المُسلمين وأَن أَتلوَ القرآنَ فمن اهتدى فإِنَّما يهتدي لنفسِه ومن ضلَّ فقُلْ إِنَّما أَنا من المُنْذِرين ﴾ .

وكذلك غيره من الرُّسل صلوات الله عليهم .

قال الله تعالى : ﴿ يا بني آدم إِمّا يأْتينّكم رُسُلٌ مِنْكُم يقصُّون عليكم آياتي فمن اتّقى وأَصلحَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

وكذلك يُحتجُّ عليهم يوم القيامة :

كما قالَ تعالى : ﴿ يا معْشَرَ الجنِّ والإِنسِ أَلم يأْتِكم رُسُلٌ منكم يقصُّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاءَ يومِكم هذا قالوا شهدنا على أَنفسنا وغرَّتْهُم الحياةُ الدنيا ﴾ الآية .

وقد أَخبر الله تعالى أَنَّ المعتصمَ بهذا السماع مهتد مفلح ، والمعرض ضالٌّ شقيٌّ :

قال الله تعالى : ﴿ فإِمّا يأتينّكم منِّي هُدَى فمن اتّبعَ هداي فلا يَضلُّ ولا يشقى ومن أَعرض عن ذكري فإِنَّ له معيشة ضنكًا ونحشره يومَ القيامة أعمى قال ربِّ لم حشرتني أعمى ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ ومَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الرّحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرينٌ ﴾ .

وذِكْرُ اللهِ يرادُ به تارة ذكر العبد ربَّه ، ويراد به الذِّكْر الذي أَنزله الله ؛ كما قال تعالى : ﴿ وهذا ذكْرٌ مبارِكٌ أَنزلناه ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أَوَعجبْتُم أَنْ جاءَكم ذِكْرٌ من ربِّكم على رجلٍ منْكُم لينذِركُم ﴾ .

وقال : ﴿ يا أَيُّها الذين نُزِّل عليه الذِّكْرُ إِنَّكَ لمجْنون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكرٍ من ربِّهم مُحْدثٍ إلَّا استموه وهم يلعبون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وإِنَّه لذكرٌ لكَ ولقومِكَ ﴾ » .

وهذا السماع له آثار إِيمانيّة من المعارف القدسيّة والأَحوال الزكيّة ما يطولُ شرحُا ووصفُها ، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار الجلد ، وهذا مذكور في القرآن ، وهذه الصفات موجودة في الصحابة ، ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب والصراخ والإِغماء والموت في التابعين .

فهذا السماع هو أَصل الإِيمان ؛ فإِنَّ الله تعالى بعث محمدًا رسولًا إِلى الخلق أَجمعين ؛ ليبلغهم رسالات ربّهم ، فمن سمع ما بلّغه الرسول ، فآمن به ، واتبعه ؛ اهتدى وأَفلح ، ومن أَعرض عن ذلك ؛ ضلَّ وشقي .

وأَمّا سماع المُكار والتصدية ؛ فالتصْدية هي التصفيق بالأَيدي ، والمكاء مثل الصفير ونحوه ؛ فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ وما كانَ صلاتهم عند البيتِ إِلّا مُكاء وتصْدية ﴾ .

فأَخبر الله تعالى على المشركين أَنّهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت باليد قربة ودينًا ، ولم يكن النبيّ ﷺ وأَصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ، ولا حضروه قط ، ومن قال : إِنَّ النبيّ ﷺ حضر ذلك ؛ فقد كذب على باتفاق أَهل المعرفة بحديثه وسنّته .

وبالجملة ؛ قد علم بالاضطرار من دين الإِسلام أَنَّ النبيّ ﷺ لم يشرّع لصالحي



أُمته وعبادتهم وزهادهم أَن يجتمعوا على استماع الأَبيات الملحنة مع ضرب بالأَكفِّ أَو ضرب بالقضيب أَو الدفّ ، كما لم يبح لأَحد أَن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والسنّة والحكمة ، لا في باطن الأَمر ولا في ظاهره ، لا لعامي ولا لخاص » .

أَقول : هذا هو القولُ الحقُّ في هذه المسألة ، وماذا بعد الحقِّ إِلّا الضلال ، واللهُ الهادي إِلى سواء السَّبيل . الاختلاف و الائتلاف .

بين عالم وحاكم

عمر بن أحمد الأحمد

إنَّ نظرة سريعة على تاريخ الدولة العباسية السياسي والعلمي - وبخاصة عصر المأمون فما بعده - ليعطينا الصورة الحقيقية لذلك العصر ، وكيف أثّر رجل عرف بالعلم ففرّق الأمة بعد أَن كانت مجتمعة على أمر جامع ... ثم وبعد سنين مديدة يأتي الخليفة المتوكّل ليجمع شمل الأمة ، ويسد ما انثلم وتصدَّع في جدرانها إلى آخر ما سيأتي معنا ، وفي هذا بيان واضح من خلال الاستقراء التاريخي أن زمام أمور الأمة هي بيد الحاكم وبيد الأَئمة ، فهاتان هما المرجع إليهما بعد الله .

فالحكّامُ والعلماء أُولو الأَمر ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأَطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .. ﴾ واختلفت أقوال المفسرين في أولي الأمر على أَقوالٍ أَظهرها أَنّهم العُلماء والحُكّام .

العصر العباسي السياسي والعلمي :

قامت الدولة العباسية سنة (١٣٢ هـ) ، وكانت في ظاهر الدعوة علوية هاشميّة ثم تغيَّرت فأَصبحت تكيد للعلويين ، وهذه الفئة - أي : العلوية - هي من أَبناء زين العابدين منهم : زيد صاحب المذهب « الزيدي » ، وجعفر الباقر وغيرهما ، وقد كان لزيد هذا التقاء مع رئيس الاعتزال واصل بن عطاء يناقشه ويناظره ، يقول محمد أبو زهرة في كتابه « الإمام زيد » (ص ٣٩ فقرة ٣٠) : « ولكن أيصحُّ أَنَّ زيدًا تتلمذ على واصل في هذه المرحلة ؟! إِن الرَّجُلَين كانا في سنٍّ واحدة ، فقد ولد كلاهما سنة (٨٠ هـ) أو قريبًا من ذلك ، ويظهر أنهما عندما التقيا كان زيد في سن

قد نضجت ، لأَنَّ واصلًا لا يمكن أنّ يكون في مقام من يدرس مستقِلًّا إلّا إذا كان في سنّ ناضجة ، ولهذا نرى أن التقاء زيد رضي الله عنه بواصل بن عطاء كان التقاء مذاكرة علمية ، وليس التقاء تلميذ ... ، فنرى أن مذهب الاعتزال - بغضٍّ النظر عن أَقسامه - قد بدأ بالولادة والتزامن مع ولادة الدعوة إلى العصر العباسي أو قبله .

وفي سنة (١٣٢ هـ) قامت الدولة العباسية التي كان من أَبرز شعاراتها إِيصال الحكم إلى آل البيت ، ولكن استطاع العباسيون الاستئثار بالحكم مما أثار حفيظة المحبين للدولة العباسية في بداية الأمر ولاستنكافِهم عنهم ، ومن المعلوم أن اعتماد هذه الدولة على العنصر الفارسي ثم العنصر التركي كان له أَسوأُ الأثر على الدولة ، ومن ثم تكون فريسة سهلة بيد أَعدائها ، بل إنّ الأمر أصبح مضحكًا ! فبعد قتل المتوكل تجرّأ الأَتراك على الخلفاء فأصبحوا يعزلون ويولّون ويقتلون .. قال الشاعر :

خليفة في قفص ... بيـن وصيــف وبغــا
يقول ماقـالا له ... كمــا تقول الببْغــا[1]

تعاقب الخلفاء العباسيون على كرسي الخلافة إلى أن جاء المأمون سنة (١٩٨ هـ) فشايعَ (المعتزلة) وقرّبهم ورأى ما بينهم وبين الفقهاء من خلاف ، فكان يعقد المناظرات بين الفريقين ، لينتهوا لرأي واحد ، ولكنه سقط سقطة ما كان لمثله أن يقع فيها ؛ وهي أنه أَراد - أو من حوله - أن يحمل الفقهاء والمحدثين على رأي المعتزلة بالقرآن بقوة السلطان ، وما كانت قوة الحكم لنصرة الآراء وحمل الناس على غير ما يعتقدون ، وإذا كان من المُحرَّم الإكراه في الدين ، فكيف يحل حمل الناس على عقيدة ليس في مخالفتها كفر ؛ فقد حاول أن يحمل الفقهاء على القول بخلق القرآن ، فأجابه بعضهم إلى رغبته تقيّة ورَهبًا ، لا إيمانًا واعتقادًا ، وتحمَّل آخرون العنت

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٢٠) ، وانظر « الرحلة المتوكلية إلى دمشق » د. صادق جودة .

والإرهاق والسجن الطويل ، ولم يقولوا غير ما يعتقدون ، واستمرّت تلك الفتنة طول خلافة المعتصم والواثق لوصية المأمون بذلك ... ولما جاء المتوكل رفع هذه المحنه .. وترك الأمور تأخذ سيرها ، والآراء تجري في مجاريها وللناس فيها ما يختارون »[١].

وقبل مجيء المأمون كانت المعتزلة لم تجد من يعارضها من الخلفاء ، لأنها لم تأبه للسياسة وأهلها ، فقد كان جل همهم هو إعمال الفكر وقرع الحُجَّة بالحُجَّة ، حتى قرَّبهم المأمون ، وجعل مذهب الاعتزال هو المذهب الرسمي - كما تقدَّم - ثم جاء بالفتنة وأَقعدها بين المسلمين أحمد بن أبي دُؤاد ، وتصدَّى لها إمام أهل السنة والجماعة وتلميذه محمد بن نوح [٢] ، ولكنَّ الأخير مات وصلى عليه الإمام أحمد .

قال أَحدُ أئمة الزيدية رحمه الله : « لا رحم الله ابن أبي دُؤاد ، رأى كلمة المسلمين مجتمعة حتى جاء وفرقها [٣] » .

قال الذهبي رحمه الله في « السِّيَر » (١١ / ٢٣) :

وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القدرية ، ثم ظهرت المعتزلة في البصرة ، والجهميّة والمجسِّمة بِخُراسانَ في أثناء عصر التابعين مع ظهور السنة وأهلها إلى بعد المئتين ، فظهر المأمون الخليفة - وكان ذكيًّا متكلمًا ، له نظر في المعقول - فاستجلب كتب الأوائل ، وعَرَّب حكمة اليونان ، وقام في ذلك وقعد ، وخبّ ووضع ، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها ، بل والشيعة فإنه كان كذلك ، وآل به الحال إلى أن حمل الأُمّة على القول بخلق القرآن ، وامتحن العلماء ، فلم يمهَل ، وهلك لعامهِ وخلى بعده شرًّا وبلاءً في الدين ، فإن الأُمة مازالت على أن القرآن العظيم كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله ، لا يعرفون غير ذلك ، حتى نبغ لهم القول بأنه كلام الله مخلوق مجعول ،

(١٠) « أبو حنيفة ، فقهه - عصره - آراؤه » محمد أبو زهرة .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (١١ / ٢٣٨) .

(٣) « العواصم والقواصم » لابن الوزير .

وإنه إنما يضاف إلى الله تعالى إضافة تشريف ، كبيت الله ، وناقة الله ؛ فأنكر ذلك العلماء ، ولم تكن الجهمية يظهرون في دولة المهدي والرشيد والأمين فلمّا ولي المأمون ، كان منهم ، وأظهر المقالة » .

عصر الخليفة المتوكل السياسي والثقافي (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ)[١] :

برز دور الأَتراك في هذا العهد حتى خشيَ منهم الخليفة المتوكل مما اضطره الأمر إلى إبعادهم ، ولعل من أبرز الأسباب التي جعلت المتوكل يعزم على الاستقرار في دمشق وتقريب علماء السنة والخوف من هذا العنصر الذي بدأ يشكل جرثومة مهلكة في جسم الدولة في هذا الحين حِرْصَهُ أن تكون الأمة مجتمعة في عقيدتها ، وقد لجأ المتوكل رحمه الله في سبيل تحقيق ذلك إلى إبطال جميع الأفكار التي سادت المجتمع العباسي قبله فحلَّ المشكلة - مشكلة القول بخلق القرآن - منذ أيام المأمون التي أوجدت شرخًا في جسم المجتمع الإسلامي ، وباعدت بين فئاته المختلفة ، وذلك بأن أَصدر المراسم الخليفية تنهى الناس في الأعصار والأمصار الأخرى عن الخوض في مثل هذه الأمور ... »[٢] ، بل إن الأمر لم يقف عند هذا الحدِّ فكانت المراسم تقضي بمضايقة أهل الذمة وأمر بأن يتميزوا بلباسهم وعمائمهم ومساكنهم وأَعيادهم[٣].

من هذا الموقف السياسي وخاصة من قِبَلِ الأتراك نرى أن المتوكل أَراد أن يُحيطَ نفسه بأكبر قوة ضاربة ضد الأتراك ، العنصر الذي صار يشكل عبئًا ثقيلًا على الخلافة ، ولا يوجد طريق يمكن أن يجتمع المسلمون عليه **إلا طريقٌ واحدٌ هو طريق أَهل السنّة والجماعة ، طريقة السلف الصالح ، فوقف أمام القدرية والمعتزلة** وتصدى لبعض الحركاتِ الهدامة التي ظهرت في المجتمع الإسلامي كحركة محمود

---

(١) « البداية والنهاية » (٥ / ٣٢٤) .

(٢) « الرحلة المتوكلية إلى دمشق » بتصرف يسير .

(٣) « البداية والنهاية » (٥ / ٣٢٧) .

ابن الفرج النيسابوري، الذي ادعى النبوة ، وتخلص منه ومن أَتباعه ، ولقد شبه بعض المؤرخين عصر المتوكل بعصر الصديق لقتله أَهل الردّة لأَنه نصر الحقَّ وردَّه عليهم حتى رجعوا إلى الدين ، وبعصر عمر بن عبدالعزيز حين رد مظالم بني أمية ، وقد أظهر السُّنَّة بعد البدعة ، وأَخمد أهل البدعة وبدعهم بعد انتشارها واشتهارها فرحمه الله [١] .

الخاتمة :

رحم الله الخليفة المتوكل رحمة واسعة الذي قتل سنة (٢٤٧ هـ) ؛ فلقد حرص على توحيد كلمة المسلمين ، لأنهم يدٌ واحدةٌ على من ناوَأهم وعاداهم وعادى طريقة السَّلف طريقة أبي بكر وعمر وهي الطريق الحق ، فعليك بها وإِيّاك وبنيّات الطريق .

فهاتان صورتان واضحتان من صور التاريخ الإسلامي المشرق ، صورة فرقت المسلمين متّسمة بالعلم رغم وجود السلطان ، وصورة وحّدت المسلمين متّسمةً بالسلطة رغم وجود العلماء .

وطريق التوحيد لم يكن على طريقة أهل الاعتزال أو القائلين بالقدر ، بل على طريقة أهل السنة والجماعة ، فهي هداية إلى الطريق وهداية في الطريق .

وهذا يُظْهِرُ أهمية دور العلماء وأنهم لهم الدور البارز في نصرة هذا الدين أو خذلانه ، وما الخلفاء إلا أداة تتحرك بيد العلماء وأَمْرِهم شعروا أو لم يشعروا ، فالله الله بالالتفاف حول علماء أهل السنة وعدم قذعهم أَو الاستهانة بهم ، لأنهم هم الناصحون لهذه الأمة .. الآخذين بيدها إلى شاطيء الأمان وواحة الإيمان .

---

(١) « البداية والنهاية » (٥ / ٣٦٤) .

المؤتمر السنوي الثامن لجمعية القرآن والسنّة في أَمريكا الشماليّة.

د . محمد الجبالي

أَقامت جمعيةُ القرآن والسنّة في أَمريكا الشماليّة مؤتمرَها السنويّ الثامن في مدينةِ توليدو في ولايةِ أَهايو ، تحت عنوان « منهج التربية الربانيّة » وذلك في الأُسبوع الأَخير من شهر رجب الفرد ١٤١٥ هـ .

وقد دعتْ الجمعيّةُ عدداً من أَهلِ العلمِ وطلابِه المعروفين في عدّةِ بلادٍ إِسلاميّةٍ ، كان منهم : الشيخ محمد صفوت نور الدين ، والشيخ محمد موسى نصر ، والشيخ جعفر الشيخ إِدريس ، والشيخ عقيل القطري ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ سليم الهلاليّ ، والشيخ رشدي أَدهم إِمام مفتي مسلمي اليونان وغيرهم .

وقد قامَ هؤلاءِ المشايخُ - جزاهم اللهُ خيراً - بإِلقاءِ عددٍ من المُحاضراتِ المنهجيّةِ ، وأَقاموا الندواتِ العلميّةِ ، وشاركوا في اللقاءاتِ التربويّةِ النافعةِ ، ممّا كانَ له كبير الأَثرِ وعظيمُ الفائدةِ في نفوسِ الحاضرين .

وقد أَعدَّ الأَخُ أَبو عبدالرحمن محمد معتزّ الحلّاق كلمةً حولَ شعارِ المؤتمر نوردُها بتمامها لفائدتها وأَهميتها :

﴿ ولكن كونوا ربّانيين بما كنتُم تعلّمون الكتابَ وبما كنتم تدرسون ﴾ .

العالم الربّانيّ : قال الإِمام ابن القيّم رحمه الله : « معنى الربّانيّ في اللغةِ : الرفيعُ الدرجة في العلم ، العالي المنزلة فيه ، وعلى ذلك حملوا قولَه تعالى : ﴿ لولا ينهاهم الربّانيّون ﴾ ، وقالَ ابن عباس : « حكماء فقهاء » ، وقال أَبو رزين : « فقهاء وعلماء » ، وقال أَبو عمر الزاهد : سأَلتُ ثعلباً عن هذدا الحرف - وهو الربانيّ - فقال :

سألتُ ابنَ الأَعرابيّ فقال : « إِذا كانَ الرَّجلُ عالماً عاملاً معلماً قيل له : هذا ربّانيّ ، فإن خرج عن خصلة منها لم نقل له : ربّانيّ » .

فالربّانيّ – إِذن – **هو الَّذي يربّي الناسَ بمنهج اللهِ ، ويتدرّج بهم حتّى يصل بهم إِلى المستوى الرَّفيعِ الَّذي يريدُه الله .**

وقالَ الواحديُّ : « فالرّبانيُّ منسوبٌ إِلى الربِّ على معنى التخصيصِ بعلم الربِّ ، أي : يعلمُ الشريعة وصفاتِ الربِّ » .

وقالَ المبرّد : « الرَّبانيُّ الَّذي يَرُبُّ العلمَ ويَرُبُّ الناسَ به ؛ أَي : يعلمُهم ويصلحُهم » .

وعلى قولِه ؛ فالربّانيُّ مِن رَبَّ يَرُبُّ ربّاً ؛ أَي : يربيه ، فهو منسوبٌ إِلى التربيةِ ، يُربّي علمه ليكملَ ويتمَّ بقيامِه عليه وتعاهده إِيّاه كما يربي صاحبُ المالِ مالَه ، ويربّي الناس به كما يُربي الأَطفالَ أَولياؤهم .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « العالمُ الربّانيّ هو المُعَلِّم » ، أَخذه من التربيةِ ؛ أَي : يُربّي الناسَ بالعلمِ ويُربّيهم به كما يُربّي الطفلَ أَبوه .

وقال سعيدُ بن جبير : « هو الفقيه العليم الحكيم » .

وقال سيبويه : زادوا أَلفاً ونوناً في الربانيّ إِذا أَرادوا تخصيصاً بعلمِ الرَّبِّ تباركَ وتعالى » .

ومعنى قولِ سيبويهِ رحمه الله : أَنَّ هذا العلمَ لمّا نسبَ إِلى علم الرَّبِّ تعالى الَّذي بعثَ به رسولَه وتخصّصَ به ، نُسِبَ إِليه دون سائرِ من علَّمَ علماً .

فالعالمُ الربّانيُّ هو الَّذي لا زيادةَ على فضلِه لفاضلٍ ، ولا منزلةَ فوقَ منزلتِه لمجتهد .

وقد دخلَ في الوصفِ له بأَنّه ربّانيّ وصفُه بالصفاتِ الّتي يقتضيها العلمُ لأَهلِهِ ، ويمنعُ وصفه بما خالفها .

ولقد فسَّر بعضُ أَهلِ العلمِ هذه الآيةَ الكريمةَ بقولِهم : هم الَّذين يربّونَ الناسَ بصغارِ العلمِ قبل كبارِه ، أَي : تربية الناسِ على المنهجِ الصحيح المصفّى ، الَّذي ليس فيه غَبَشٌ أَو دَخَنٌ ، بدقيقِ المسائلِ قبل جليلها .

هكذا كانَ منهاجُ رسولِ اللهِ ﷺ مع صحابتِه عند فجر الدعوةِ ، إِذ جاءهم في بيئة كثرت فيها المفاسدُ والفتنُ والشوائبُ ، فبوحي الله له بدأَ بتصفيتها وتنقيتِها حتّى غدت كما قالَ ﷺ : « قد تركتُكم على البيضاءِ ، ليلها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إِلّا هالك » .

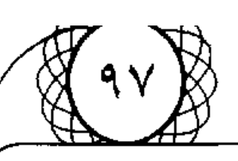
ولقد فهم الإِمامُ ابنُ القيّمِ رحمه الله في كتابِه « مفتاح السعادة » معنى الربانيّة من قولِه ﷺ : « العلماءُ ورثةُ الأَنبياءِ » ، فقال : « فيه تنبيهٌ لأَهلِ العلمِ على تربيةِ الأُمّةِ كما يربّي الوالدُ ولدَه ، فيربّونهم بالتدريج والترقي من صغارِ العلمِ إِلى كبارِه وتحميلهم منه ما يطيقونَ ، كما يفعلُ الأَبُ بولدِه الطفلِ في إِيصالِه الغذاء إِليه ، فإِنَّ أَرواح البشر بالنسبة إِلى الأَنبياءِ والرسل كالأَطفال بالنسبةِ إِلى آبائِهم ، بل دون هذه النسبةِ بكثيرٍ ، ولهذا كلُّ روح لم يربّيها الرسل لم تُفلحْ ولم تصلح لصالحة ، كما قيل :

ومن لا يُرَبِّيهِ الرّسولُ ويسقِهِ لُبانًا له قد درَّ من ثَدي قُدسِهِ

فذاك لقيط ما لَهُ نِسْبَةُ الوَلا ولا يتَعدَّى طورَ أَبناءِ جنسِهِ

التربية : وتطلقُ كلمةُ التربيةِ في اللغةِ على النَّماءِ والزيادةِ والرفعةِ ، وتطلقُ أَيضاً على التنشئةِ والتغذيةِ ، والتغذيةُ أَعمُّ من أَن يكونَ الغذاءُ ماديّاً أَو معنويّاً ، فالمرادُ بالتغذيةِ - من معاني التربيةِ - توفيرُ حاجاتِ الإِنسانِ من الطعامِ والشرابِ حتّى يكتملَ جسمه ، ويتمتع بالصحة والعافية ، ويتمكنُ من السعي في الأَرضِ ينبشها ويستدرّ خيراتها ، ويكتشفُ مجاهلها ، فيستخرج كنوزها الَّتي لا تحصي عدًّا .

.فالمعنى الاصطلاحيّ للتربيةِ هو : العملُ بمختلفِ الأَساليبِ والوسائلِ الَّتي لا



تتعارضُ مع شرعيّةِ الإسلامِ على رعايةِ الإنسانِ وتعهده حتّى يَصيرَ سيداً في هذه الأَرضِ ، سيادة محكومة بالعبوديّةِ التامّةِ للهِ ربِّ العالمين .

التربية النبويّة الربانيّة : وعليه ؛ فإننا لا يمكنُ أَن نمكّنَ لمنهجِ اللهِ في الأَرضِ من جديدٍ إلّا بالدعوةِ والتربيةِ ، إذ هما يساعدانِ على إيجادِ من يأتي بالنصرِ ، بل من يحرسُ ويحافظُ على هذا النصر .

والإتيانُ بالنصرِ شاقٌّ ، وحمايةُ وحراسةُ النصرِ أَشقُّ ، على أَنَّ لنا في منهجِ رسول اللهِ ﷺ حين مكّن لدينِ اللهِ في الأَرضِ أَوّلَ مرّةٍ الأُسوةَ والقدوةَ : ﴿ **لقد كانَ لكم في رسولِ اللهِ أُسوةٌ حسنةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجو اللهَ واليومَ الآخرَ وذكرَ اللهَ كثيراً** ﴾ .

حيثُ بدأَ ﷺ يجاهدُ بالدعوةِ والتربيةِ ، وأَطالَ النفسَ في ذلك حتّى إذا استقامت النفوسُ ، وطهرت القلوبُ لم يحتج إلى أَيِّ لونٍ آخرَ من المجاهدة .

وهذا في الحقيقةِ هو المنهاجُ النبويُّ في سيرِ الدعوةِ وانتظارِ ثمرتِها :

إذ قد مَكَثَ رسولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ عشرةَ سنةً يدعو إلى اللهِ وحدَه ، والإيمانِ برسالتِه واليومِ الآخرِ ، في كلِّ صراحةٍ ووضوحٍ ، لا يُكني ، ولا يلوّح ، ولا يلين ، ولا يستكينُ ، ولا يداهنُ ، ويرى في ذلكَ دواءً لكلِّ داءٍ .

وقامت عليه قريش ، وصاحوا به من كلِّ جانبٍ ، ورموه عن قوسٍ واحدةٍ ، وأَضرموا البلادَ عليه نارًا ليحولوا بينَه وبين أَبنائِهم وإخوانِهم ، فتقدّم معه ﷺ فتية من قريش لا يستخفهم طيشُ الشبابِ ، ولا يستهويهم مطمعٌ من مطامعِ الدنيا ، إنّما همّتُهم الآخرة ، وبغيتُهم الجنّة .

فما كانَ من قريش إلّا ما توقعوه فقد نشرت كنانتها ، وأَطلقت عليهم كلَّ سهم من سهامها ، فما زادهم كلُّ ذلك إلاّ ثقةً وتجلُّداً وقالوا : ﴿ **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلّا إيماناً وتسليماً** ﴾ .

فلم يزدهم هذا البلاءُ والاضطهادُ إلّا متانةً في عقيدتِهم ، وحمية لدينِهم ، ومقتاً

للكفرِ وأَهلِه ، وإِشعالاً لعاطفتِهم ، وتمحيصاً لنفوسِهم ، فأَصبحوا كالتِّبرِ المسبوك واللُّجَين الصافي ، وخرجوا من كلِّ محنة خروج السيف بعد الجلاءِ .

هذا والرسولُ ﷺ يغذي أَرواحَهم بالقرآنِ ، ويربّي نفوسهم بالإِيمان ، ويُخضعُهم أَمام ربّ العالمين خمس مرّات في اليوم عن طهارة بدن ، وخشوع قلب ، وخضوع جسم ، وحضور عقل ، فيزدادون في كلِّ يوم سمو روح ، ونقاء قلب ، ونظافة خلق ، وتحرراً من سلطان الماديّات ، ومقاومة الشهوات ، ونزوعاً إِلى ربِّ الأَرض والسموات .

ولم يزل رسول الله ﷺ يربيهم تربيةً دقيقةً عميقةً ، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسِهم ، ويزكّي جمرة قلوبِهم ، ولم تزل مجالس الرّسول ﷺ تزيدُهم رسوخاً في الدينِ ، وعزوفاً عن الشهواتِ ، وتفانياً في سبيلِ المرضاة ، وحنيناً إِلى الجنّة ، وحرصاً على العلمِ ، وفقهاً في الدين ، ومحاسبة للنفس .

وانحلت العقدة الكبرى - عقدة الشرك والكفر - فانحلّت بعدَها العُقَد كلّها وجاهدهم الرّسولُ ﷺ جهادَه الأَوّل ، فلم يحتج إِلى جهاد مستأنف لكلِّ أَمر ونهي .

وانتصر الإِسلام على الجاهليّةِ في المعركةِ الأُولى ، فكانَ النصرُ حليفه في كلِّ معركة ، حتّى خَرَجَ حظُّ الشيطان من نفوسِهم ، بل حظّ نفوسهم من نفوسِهم ، وأَنصفوا من أَنفسِهم إِنصافَهم من غيرِهم ، وأَصبحوا في الدنيا رجالَ الآخرة ، وفي اليومِ رجال الغد ، لا تجزعهم مصيبةٌ ، ولا تبطرهم نعمةُ اللهِ ، ولا يشغلهم فقر ، ولا يطغيهم غنى ، ولا تلهيهم تجارة ، ولا تستخفنّهم قوة ، ولا يريدون عُلُوّاً في الأَرضِ ولا فساداً ، وأَصبحوا للناسِ القسطاط المستقيم : ﴿ قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أَنفسِكم أَو الوالدين والأَقربين ﴾ .

وطّئت لهم أَكناف الأَرض ، وأَصبحوا عصمةً للبشرية ، ووقاية للعالم ، ودعاة

إِلى دين الله ، واستخلفهم رسول الله ﷺ في عملِه ، ولحق بالرفيقِ الأَعلى قريرَ العين من أُمته ورسالتِه .

أَمضى رسولُ اللهِ ﷺ سنواتٍ في مكّة ، جاهداً في غرسِ العقيدةِ الإِسلاميّة أَو بعثها وتربيتها في نفوس الصحابةِ الأَوائل ، لتكونَ أَساساً متيناً لتربيةٍ ربّانيّةٍ ، عميقةِ الأَثر ، بعيدة المرمى ، واسعة الشمول ، ومنبعاً ثرياً للبطولاتِ والعبقريّات الّتي كانت فيما بعد نتائج عفويّة لهذه التربية العظيمة .

بين الماديّة والربانيّة : ولئن كانت التربية الغربية المعاصرة هي تحقيق النمو والحياة ، ونقل الحضارة والثقافة من جيل إِلى جيل ، رغبة في المزيد من رفاهيّةِ الحياةِ ، واستمتاعاً بها ، وتعلّقاً بلذاتِها ، وإِشباعها لغرائزِ الإِنسان من غير توجيه إِلى هدف أَسمى ، كما وصلت إِلى أَكثر مدارسنا ، وطبّقت في معظم مناهجنا ، بشكلها العلمانيّ .

ولئن كان ذلك قد دعا فلاسفة التربية الغربيّة إِلى بنائِها على أَساس نفسي ، يقوم على دراسة النفس كما هي ، بغرائزِها وتفكيرها ووظائفها وسلوكها وعلى أَساس اجتماعيّ ، يدرس واقع المجتمع البشري ومتطلباته من وجهة نظرِهم الحاديّة ، على أَساس عقليّ فلسفيّ ، يعلل الكون والحياة تعليلاً ماديّاً ، مبنيّاً على جمود العقل ، والوقوف عند معطيّات الحواس ، وإِنكار كلّ ما وراء هذه الحياة من أَسبابٍ أَو غايات ربّانيّة أَو دينيّة .

لئن كان كلّ ذلك فإِنَّ التربية الربّانيّة قد قامت على تزكيّة النفس الإِنسانيّة ، عن طريق توجيه العقل ومشاعره ، ليستدلَّ بتأمُّل هذا الكون ، وتأمّل نفسه ، على وجود الخالق وحكمته وعنايته وعظمته وتدبيره وقدرته ، ورحمته بالإِنسان ، ثمَّ ليمارس حياته على أَساس محبّة الخالق والخضوع له ؛ فيجدد نفسه وطاقاته بمناجاة ربّه وطاعته ، وباستخدام ما سخر اللهُ له في هذا الكون من قوى وكائنات ، وهو يستهدف في ذلك كلّه تحقيق مرضاة الله ، وتحمّل الأَمانة الّتي حمَّله إِيّاها من تحقيق

الخلافة على الأَرض والسيادة على ما سخّر الله له ، بقصد شكر الله ، وتحقيق شريعتِه وعبادته ، والدعوة إِلى تحقيق هذه المعاني في سائر المجتمعات البشريّة .

وعلى هذا فليس من المعقول أَن تكونَ أُسس التربية الإِسلاميّة القائمة على تزكية النفس والسمو بها إِلى خالقِها مثل أُسس التربية الغربيّة المعاصرة القائمة على الانحدار بالنفسِ إِلى غريزتِها وماديّتها ، ولا شبيهة بها ، ولا مشتركة معها في العناوين اشتراكاً كليّاً : ﴿ وما يستوي الأَعمى والبصير ولا الظلماتُ ولا النُّور ولا الظلّ ولا الحرور وما يستوي الأَحياءُ ولا الأَمواتُ إِنَّ اللهَ يسمعُ من يشاءُ وما أَنت بمسمع من في القبور ﴾ .

وقد أَنطقَ اللهُ بعضَ مفكري الغرب ، فاعترفَ بهذا الطهر والرقيّ عند المسلمين ، بعدما أَذهلته هذه الظاهرة الّتي لم يعرف التاريخُ لها مثيلاً !

تقول الدكتورة فاليري الإِيطاليّة : « ليت شعري كيف تسنّى لهؤلاءِ المجاهدين غير المدرّبين أَن ينتصروا على شعوب تفوقهم مدنية وثروة ، وتزيد عليهم ذرية ومراساً للحروب ؟ وكيف استطاعوا أَن يبسطوا سلطانهم على بلاد متسعة الأَرجاء ؟ وأَن يحتفظوا بفتوحاتِهم هذه ، يوطّدوا هذا الصرح العظيم الَّذي ثبتَ أَمامَ حروبٍ شديدة ، استمرت قروناً عديدة ، فلم تَقْوَ على هدمِه ونقضِ بنيانه الشامخ المتين ؟ » .

ثمَّ تجيبُ عن تساؤلاتِها فتقولُ : « أَخَذَ الناسُ الّذين دهشوا لهذا الانقلابِ الاجتماعيِّ الدينيِّ السياسيِّ يتساءلونَ عن سببِهِ الأَوّل : ولكنَّ الكثيرين منهم كانوا لا يبصرونَ أَو تعمّدوا إِغماضَ عيونِهم ، فظلّوا يتخبّطونَ طويلاً في مجاهلِ الغلطِ والشططِ ، ولم يدركوا أَنَّ القوّةَ الإِلهيّة هي التي أَعطت الإِشارةَ الأُولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق » .

فلا بدَّ لنا إِذن من تعلُّم المنهجِ الّذي رُبّي عليه المسلمون الأَوائل ، الَّذين فتحوا المعمورةَ في زمانِهم ، وبلغوا رسالة ربِّهم ، وكانوا رحمة للعالمين ، لا بدَّ من تعلُّمِه ووضعِه موضعَ التطبيقِ إِن أَردنا الفلاحَ والرُّشد .

وقد أُلقيت في المؤتمرِ المحاضرات الآتية :

١ - منهج التربية الربانيّة ؛ أُسس وضوابط / الشيخ سليم الهلالي .

٢ - نماذج قرآنيّة في التربية الربانيّة / الشيخ عقيل المقطري .

٣ - معالم التربية النبويّة / الشيخ محمد صفوت نور الدين .

٤ - أَثر الجهاد في تربية الأُمّة / الشيخ أَبو عبدالعزيز .

٥ - القدوة الحسنة وأَثرها في التربية / الشيخ محمد موسى نصر .

٦ - الطفولة والتربية النبويّة / الشيخ محمد المهدي .

٧ - التربية الربانيّة وقصور المناهج الغربيّة / الشيخ جعفر الشيخ إِدريس .

وشاركَ الشيوخُ في لقاء أَدبيّ ، حيث طرقت قضايا أَدبيّة هادفة من الشعر والحكمة والقول الرفيع والنكت العلميّة في مختلف العلوم في التفسير والحديث واللغةِ ، وقد تفاعلَ الحضور للدلالة على انتفاعهم بما سمعوا .

وفي اليوم الأَخير شاركَ الشيوخ في لقاء مفتوح مع الحضور ، تجاذبوا فيه أَطراف الحديث ، وتبادلوا النصح لتخطي العثرات في اللقاءات القادمة بإِذن الله .

ورافقَ هذا البرنامج برنامجان موازيان أَحدهما للمسلمين الناطقين بغير العربيّة ، حيث كانت الترجمة الفوريّة يقوم بها عدد من طلاب العلم المتمرسين ، وآخر للنساء ، وكانت هناك عناية بالأَطفال تتلائم مع قدراتهم الجسميّة والعقليّة والنفسيّة ، قام بها أَهل الاختصاص في مسأَلة الطفولة .

وقد انتهى المؤتمر على خير وبركة ، وقد افترقت الأَجساد وبقيت الأَرواح متآلفة على حبِّ الله ورسوله وولاء للمؤمنين ، آملين أَن يتجددَ اللقاءُ ، وأَن يسددَ الله الخطواتِ على منهج سلف هذه الأُمّة المرحومة .



الكوثري والكوثريّة

الشمس السلفي الأفغاني

الكوثريّة تعرفُ بعرض عقيدة إِمامها الكوثري (١٣٧١هـ) وذِكر نماذج من خرافاته وشركياته، وبذلك يعرف مناقضته لأُصول التوحيد عامّة و«توحيد الألوهيّة».

فأَقول وباللهِ أَصول وأَجول :

إِنَّ للكوثريّ مقالتين شنيعتين مسمومتين فتّاكتين لإِثبات خرافاته وشركياته :

المقالة الأُولى : بعنوان : « بناء المساجد على القبور ، والصلاة إِليها » [١] .

والمقالة الثانية بعنوان : « محق التقول في مسألة التوسل » [٢].

كما أَنَّ له تعليقاتٍ على « السيف الصقيل » المنسوب إِلى التقي السبكي (٧٥٦ هـ) ، وله تعليقات أُخرى ومقدمات لعديد من الكتب يبثّ في غضونهاسمومًا فتّاكة ضدّ « توحيد الأُلوهيّة » لدعم مزاعمه الشركيّة [٣] .

ومن هنا نعرف أَنَّ هذا الكوثري والكوثريّة ومن سايره من بعض الديوبنديّة كالبنّوري (١٣٩٧هـ)[٤] حاولا جهارًا رفع أَلوية الجهميّة وأَلوية القبوريّة في آن واحد،

---

(١) « مقالات الكوثري » (١٥٦ - ١٥٩) .

(٢) « مقالاته » (٣٧٨ - ٣٩٧) .

(٣) مقدمة الكوثري لكتاب « البراهين الساطعة » لسلامة القضاعي الصوفي الهندي (٧ - ٨) .

(٤)

ولا يزالون يحاولون ذلك إِلى يومنا هذا .

وينحل ما في هاتين المقالتين وغيرهما من تعليقات من الخرافات الشركيّة إِلى ما يلي من الفقرات :

١ - جواز بناء القبب والمساجد على القبور وأَنّه أَمر متوارث [١].

٢ - عدم جواز هدم القباب والمساجد المبنيّة على القبور ، وأَنه أَمر توارثته الأُمّة الإِسلاميّة .

فمِن نصّ الكوثري في ذلك ردًّا على بعض مَنْ [٢]يرى هدمها منكرًا عليه متعجبًا منه :

« فعلى هذا الرأي من صاحب التوقيع يجب على أَولياء الأُمور في بلاد الإِسلام أَن يمسكوا بمعاول الهدم ليُعْمِلوا في هدم قباب الصحابة وأَئمّة الدين وصالحي الأُمّة في مشارق الأَرض ومغاربها ، والمساجد المضافة إِليهم ، وقباب ملوك الإِسلام وأُمراء الإِسلام وغيرهم من كلِّ قطر ؛ مع توارث الأُمّة من خلاف ذلك خالفًا عن سالف » [٣].

قلتُ : تدبّر في استنكار هذا الخرافي وتعجبه !!

ومن المعلوم أَنَّ من واجب الأمراء والولاة المبادرة إِلى هدمها ، وعلى ذلك سلف هذه الأمّة ، وهو مذهب أَئمّة السنّة .

وأَنْ لا حجّة في توارث الجهّال العوام الطغام .

٣ - يجوز الصلاة في المقبرة ، ويجوز الصلاة في مسجد اتُّخذ قرب رجل صالح بقصد التبرُّك بآثاره ، وإِجابة دعائه هناك ، وقصد الاستظهار بوجه من الوجوه

---

(١) « مقالات الكوثري » (١٥٦ - ١٥٧) .

(٢) لم أَعرف من هو ؟

(٣) « مقالات الكوثري » (١٥٦ - ١٥٧) .

أَو وصول أَثر من آثار عبادة ذلك الولي إِليه [١] .

قلت : وزيارة القبور وشدّ الرحال إِلى تلك المساجد المبنيّة لهذه الأَغراض من أَسباب الشرك .

٤ - يجوز إِيقاد السرج والشموع على القبور ؛ تعظيمًا لروح الميت المُشرقة على تراب جسده كإِشراق الشمس على الأَرض ؛ إِعلامًا للنّاس أَنّه ولي ليتبرّكوا به ، ويدْعوا عنده ، فيستجاب لهم، وهذا أَمر جائز لا منع فيه ، والأَعمال بالنيّات [٢] .

قلت : تدبّر أَيُّها المسلم في خرافات هذا الرَّجل كيف يدعو جهارًا إِلى الوثنيّة المجوسيّة دون حياء ولا وازع .

٥ - إِنَّ النبيّ ﷺ يشفع في البرزخ ، ويعلم بسؤال السائل .

ثمّ استدلَّ الكوثري بالمنام الذي هو من حجج العوامّ [٣] .

٦ - إِنَّ النبيّ ﷺ يعلم علم اللوح والقلم ، وليس الغيب ،ولا العلم كلّه مافي اللوح فقط [٤] .

قلت : قد تبيّن للناس أَنَّ الكوثريّ والكوثريّة خُرابيُّون جدًّا في هذا [٥].

ولا شكَّ أَنَّ ممّا في اللوح حركات هذا العالم كلّه ،وما بعد هذا الكون ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وكلُّ صغير وكبير مستطر ﴾ [٦].

---

(١) « مقالات الكوثري » (١٥٧) .

(٢) « مقالات الكوثري » (١٥٨) ، نقلًا عبدالغني النابلسي الصوفي الخرافي الحنفي .

(٣) « مقالات الكوثري » (٣٨٩) .

(٤) « مقالات الكوثري » (٣٧٣) .

(٥) قارن هذا بما في « البريلويّة » (٨٨ - ٩٧) للعلاّمة إِحسان إِلهي .

والبريلويّة : فِرْقة ضالّة قائمة فكرها على الغلوّ والخرافة والانحراف .

(٦) القمر : ٥٣ .

ومن ذلك الأُمور الخمسة التي نصَّ اللهُ تعالى على أَنّها لا يعلمها أَحد غير الله تعالى :

قال جلّ وعلا : ﴿ إِنَّ الله عنده علم الساعة وينزّل الغيثَ ويعلمُ في الأَرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غدًا وما تدري نفسٌ بأَيِّ أَرضٍ تموتُ إِنَّ اللهَ عليم خبير ﴾ .

كما تبيّن للناس أَنَّ الكوثريّ والكوثريّة من المشبِّهة الأَقحاح .

ولكن لا من جهة واحدة ، بل من جهتين :

□ **الأُولى** : أَنّهم عطّلوا كثيرًا من صفات الله تعالى ، وحرّفوا نصوصها إلى أَن شبّهوا الله تعالى في صفات النقص بالإِنسان الأَبكم والحيوانات العجماوات والجمادات الصامتات بل المعدومات والممتنعات .

□ **والثانية** : أَنّهم شبّهوا المخلوق في صفات الكمال بالله تعالى ، كما ترى ههنا ، فالطريقةُ الأُولى طريقةٌ يهوديّةٌ ، والثانيةُ طريقةٌ نصرانيّةٌ [١] .

والكوثري والكوثريّة قد جمعوا بين هاتين الاثنتين .

٧ - يجوز زيارة القبور للبركة بها والدعاء عندها فيستجاب لهم ، كما يجوزُ زيارةُ القبور للاستعانة بنفوس من الأَخيار من الأَموات في استنزال الخيرات ودفع الملمّات [٢] .

---

(١) انظر « درء التعارض » (٧ / ٨٦ - ٨٨ ، ٩٥ ، ٢٦٠ - ٢٦١) و « الوصيّة الكبرى » (٤٩ - ٥٠) ، « مجموع الفتاوى » (٣ / ٣٧١ - ٣٧٢) كلُّها لشيخ الإِسلام ابن تيميّة و « شرح الطحاويّة » (٢٣٧) للعلّامة ابن أَبي العزّ الحنفي .

(٢) « مقالات الكوثري » (٣٨٥) ، و« تبديد الظلام » (١٦٢) ، عن التفتازاني الحنفي الماتريدي الخرافي وقارنه بـ « عقيدة البريلويّة » ، انظر البريلويّة (٥٦ - ٦١) ، تجد العَجَب العجاب ، وتحكم على الكوثريّة أَنّهم خرافيّون بدون ارتياب .



قلت : تدبّر أَيُّها المسلم الموحّد إلى قلّة حياء هذا الرَّجل القبوري ، كيف يصرّح جهارًا بما هو من صميم عقيدة مشركي العرب الوثنيّة .

بل كان مشركو العرب يدعون الله تعالى وحده لدفع الملمات كما أَخبر الله عنهم .

ومصدر الكوثري في هذا الشرك الأَكبر الأَظهر هو فيلسوف الماتريديّة التفتازاني (٧٩٢ هـ) الذي تابع القرامطة الباطنيّة .

والذي ادعى أَنّه رأى النبيّ ﷺ يقظةً لا منامًا ، فتفل في فيه فتضلّع علمًا ونوراً !!

٨ - يعتقد الكوثري أَنَّ أَرواح الأَولياء تظهر منها آثار في أَحوال هذا العالم ، فأَرواح الأَولياء هي المدبّرات لهذا العالم [1] .

وعلى هذا الكفر البواح والشرك الصراح حمل قوله تعالى : ﴿ والمدَبِّرات أَمرًا ﴾ .

وسلف الكوثري في هذا الكفر هو الفخر الرازي فيلسوف الأَشاعرة (٦٠٦ هـ) .

وقد كنّا نظنُّ أَنَّ هؤلاء الغلاة وقعوا فيما يضاد توحيد الألوهيّة .

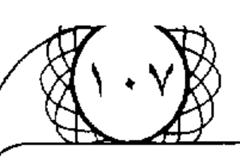
ولكن تبيّن الآن أَنّهم ارتكبوا الشرك حتّى في الربوبيّة وتدبير هذا العالم .

والله تعالى وفّق العلامة الألوسيّ مفتى الحنفيّة ببغداد (المتوفّى سنة ١٢٧٠ هـ) فوقف لهم بمرصاد وردَّ كيدهم في نحرهم ، كفانا الله شرّهم .

٩ - يقول الكوثريُّ : إِنَّ مواقد الأَولياء معدّة لفيضان أَنوار كثيرة منهم على

---

(١) « مقالات الكوثري » (ص ٣٨٢) ، و « تبديد الظلام » (ص ٦١) .



الزائرين كما يشاهده أَهل البصائر [١] .

قلت : سلفه في هذه الخرافة هو الجرجاني الحنفي (٨١٦ هـ) الذي أَوصلته عقليته الفاسدة إِلى عقيدة وحدة الوجود حتّى باعتراف أَهل مذهبه وشهادة ذوي مشربه [٢] .

١٠ - إِنَّ تلك النفوس لمّا فارقت أَبدانها فقد زال الغطاء ، وانكشف لها عالم الغيب .

فثبت انتفاع الزائرين بزيارة الموتى والقبور [٣] .

قلت : قصده بهذا إِثبات التصرّف وعلم الغيب لأَرواح الأَولياء ، ليدعو النّاس إِلى الاستعانة بهم في الكربات بحجّة أَنّهم يسمعون ويعلمون ويتصرّفون .

وتعامى عمّا قاله أَئمّة الحنفيّة :

« إِنْ ظنَّ الميت يتصرّف في الأُمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر » [٤].

وما قالوا : « مَنْ قال : أَرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر » [٥] .

١١ - يجوز النداء للرسول ﷺ بعد وفاته لتفريج الكربات ، وأَنَّه عمل متوارث بين الصحابة رضي الله عنهم [٦] .

---

(١) « مقالات الكوثري » (ص ٣٨٦ ، و « تبديد الظلام » (ص ١٦٢) .

(٢) انظر خرافاته في معنى « الظلّ » و « ظلّ الإِله » و « الغوث » و « القطب » و « الأَوتاد » في « تعريفاته » (ص ٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٧ - ٢٢٨) .

(٣) « مقالات الكوثري » (ص ٣٨٣) .

(٤) « البحر الرائق » (٢ / ٢٩٨) ، و « ردّ المختار » (٢ / ٤٣٩) ، قبيل باب الاعتكاف .

(٥) « الفتاوى البزازيّة » المسمّاة « الجامع الوجيز » على هامش « الفتاوى الهنديّة » (٦ / ٣٢٦) ، و « البحر الرائق شرح كنز الحقائق » (٥ / ١٢٤ « وفي ط (٥ / ١٣٤) .

(٦) « مقالات الكوثري » (٣٩١) .

كما يجوز النداء له ﷺ في غيبته [١] .

قلت : هذه بعينها عقائد الوثنيّة .

١٢ - حرّف الكوثريُّ ما ورد من نصوص التوسل والوسيلة في الكتاب والسنّة إلى يلي :

أَنَّ « التوسُّل » لغةً وشرعًا هو التوسل بذات الولي وشخصه في حضوره وغيبته ، وبعد موته ، وبذلك جرت الأمّة طبقة فطبقة رغم كلّ مفتر أَفّاك [٢] !

قلت : الكوثري هو الأَفاك المفتري المقوِّل المتقوّل .

١٣ - أَنَّ « التوسل » بدعاء الحيّ ، وطلب الدعاء من المتوسَّل به - ليس من « التوسّل » لا لغة ولا شرعًا [٣] .

١٤ - أَنَّ الفرق بين التوسل به ﷺ في حياته وبين التوسّل به ﷺ بعد مماته - بجعل الأَوّل جائزٌ دون الثاني - مأَخوذ من اليهود [٤] ، بل أَحدثه غلاة المنافقين من اليهود [٥] .

١٥ - يجوز استعمال لفظي الاستعانة والاستغاثة في صدد التوسُّل [٦] .

١٦ - حرّف الكوثري قصّة توسّل عمر بن الخطّاب بالعباس رضي الله

---

(١) « مقالات » (ص ٣٨٩) .

(٢) « مقالات الكوثريّة » (ص ٣٧٨ - ٣٨٠ ، ٣٨٦) .

(٣) « مقالات » (ص ٣٨٧) .

(٤) « تبديد الظلام » (ص ١٥٥ - ١٥٦) ومصدره « دفع الحصنى » (٦٤) .

(٥) انظر « مقدمة الكوثري لـ « البراهين الساطعة » لسلامة القضاعي الهندي الصوفي النقشبندي .

(٦) « مقالاته » (ص ٣٩٥ - ٣٩٦) .



عنهما [١] فقال : « عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل به ﷺ إلى التوسّل بالعباس رضي الله عنه لم يكن لأَجل أَنَّ الرسول ﷺ ميت لا يسمع النداء ، أَو أَنَّ التوسّل بالأنبياء بعد موتهم لا يجوز ؛ بل من حمل صنيع عمر رضي الله عنه هذا على قصر التوسّل به ﷺ في حياته – فقد حرّف الحديث ، وحاول المحال ، ونسب إلى عمر ما لم يخطر له على بال ، وأَبطل السنّة الصحيحة بالرأي [٢] .

قلت : ظَهْرُ الأَرض لم يخلُ عن أَهل العلم وطالبي الحقّ والإنصاف حتّى ممّن يعظّمهم الكوثريّ أَو يُعَظّمونَه !! فليتدبّروا في تلبيس الكوثيري وتدليسه ، وتحريفه ، وتزويره وقلبه للحقائق ، وكونه آية فيما يقال : « رمتني بدائها وانسلّت » .

هل صنيع عمر رضي الله عنه حجّة للكوثريّ أَم حجّة عليه وعلى ذويه من القبوريّة الخرافيّة والجهميّة الصوفيّة ؟ وهل توسّل الخلف كتوسّل السلف ؟

معاذ الله سبحان الله عمّا يصفون .

فقد قال العلامة المحدّث أَنور شاه الكشميري الديوبندي الملقب (عندهم) بإمام العصر (١٣٥٢ هـ) في شرح توسّل عمر بالعباس رضي الله عنهما :

« ليس في التوسّل المعهود الذي يكون بالغائب حتّى قد لا يكون به شعور أَصلًا ، بل فيه توسّل السلف : وهو أَنْ يقدّم رجلًا ذا وجاهة عند الله تعالى ، ويأمره أَن يدعو لهم ثمّ يحيل عليه في دعائه .

---

(١) ونصّ القصة على ما روي عن أَنس رضي الله عنه : « أَنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب ، فقال : « اللهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا ، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبينا فاسقنا » قال : « فيسقون » .

رواه البخاري في « الاستسقاء » باب سؤال الناس الإمام ... » (١ / ٣٤٢ – ٣٤٣ ، و« فضائل الصحابة » ، باب ذكر العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه (٣ / ١٣٦٠) .

(٢) « مقالات الكوثري » (ص ٣٨٠) .



كما فعل بعباس رضي الله عنه عمِّ النبيِّ ﷺ .

ولو كان فيه توسّل المتأخرين لم احتاجوا بإذهاب عباس رضي الله عنه معهم ، ولكفى لهم التوسّل بنبيهم بعد وفاته أَيضًا .

ثمَّ ذكر دعاء العباس رضي الله عنه (١) .

وقال أَيضًا : « واعلم أَنَّ التوسُّل بين السلف لم يكن كما هو المعهود بيننا ، فإِنّهم إِذا كانوا يريدون أَنَّ يتوسّلوا بأَحد كانوا يذهبون بمن يتوسلون به أَيضًا معهم ، ليدعو لهم ، ثمّ يستعينون بالله ويدعونه ...

أَمّا التوسُّل بأَسماء الصالحين - كما هو المتعارف عليه في زماننا - بحيث لا يكون للمتوسلين بهم علم بتوسلنا ، بل لا يشترط فيه حياتهم أَيضًا ، وإِنّما يتوسل بذكر أَسمائهم فحسب ، زعمًا منهم أَنَّ لهم وجاهةً عندالله وقَبولًا فلا يضيّعهم بذكر أَسمائهم فذلك أَمر لا أُحبُّ أَنْ أَقتحم فيه ...

وأَمّا قوله تعالى : ﴿ وابتغوا إِليه الوسيلة ﴾، فذلك وإِنْ اقتضى ابتغاء واسطة ، لكن لا حجّة فيه على التوسُّل المعروف بالأَسماء فقط .

وذهب ابن تيميّة إِلى تحريمه ، وأَجازه صاحب « الدر المختار » ، ولكن لم يأت بنقل عن السلف » (٢) .

قلت : كلام العلامة أَنور شاه هذا - مع ما فيه من بعض الملاحظات - يردُّ كيدَ الكوثريّ وأَمثاله في نحورِهم من كلِّ ثرثريّ ، وأَنَّ تمسكهم بنصوص الكتاب والسنّة وحملهما على التوسّل المبتدع الخَلَفيّ باطلٌ وتحريف وتحميل لها ما لا يحتمل .

وتبين للناس من هو المفتري الأَفّاك ؟ ومَنْ هو المحرّف ؟ ومن الذي تابع اليهود ؟

---

(١) « فيض الباري » (٢ / ٣٧٩) .

(٢) « فيض الباري » (٣ / ٤٣٤ - ٤٣٥) .

ومن حاول المحال ؟ هل هو العلامة أَنور شاه ، أَم الكوثريّ ؟!

ولا تخفى على النّاس أَنَّ منزلة العلامة أَنور شاه عند الكوثريّ رفيعة جدًّا ، وقد بالغَ في إِجلاله وإِكباره [١] .

أَمّا مبالغات الكوثريّة في إِجلال العلامة أَنور شاه ، وما نسجوه غُلوًّا فيه ، فشيء لا يخطرُ بالبال .

ولكنَّ الكوثري في مسألة التوسّل قد رماه بأَنّه مفتر أَفّاك من حيث لا يشعر .

وقد صرَّح شرّاح قصّة توسل عمر بالعباس – بما فيهم كبار أَئمّة الحنفيّة – بأَنَّ هذا من باب التوسّل إِلى الله تعالى بدعاء الحيّ بمعنى أَنَّ ذلك الحيّ يدعو للمتوسل [٢] ، وليس ذلك من قبيل توسّل أَهل البدع الماتريديّة أَو الكوثريّة وغيرهم من القبوريّة كالبريلويّة .

وللعلامة الآلوسي المفسّر مفتي الحنفيّة ببغداد (١٢٧٠ هـ) مبحث علمي دقيق في تفسير آية الوسيلة ، ومعنى توسّل عمر بالعباس رضي الله عنه ، والفرق بين توسّل السلف وبين توسّل الخلف من أَهل البدع ، فهو كافٍ شافٍ لقلع نسج الكوثريّ والكوثريّة وغيرهم من أَهل البدع فراجعه [٣]

---

(١) انظر « مقالات الكوثري » (٣٥٩.- ٣٦٠) ، ومقدمة أَبي غدّة الكوثري لكتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » (ص ٦ ، ٢٦) .

(٢) انظر « بهجة النفوس » بشرح مختصر « صحيح البخاري » المسمّى « جمع النهاية في بدء الخير والغاية » (٢ / ٦٠) لأَبي محمد عبدالله بن الأَزدي الأَندلسي (٦٩٩هـ) و « عمدة القاريء » للبدر العيني الحنفي (٧ / ٣٢ – ٣٣) ، و « شرح الطحاويّة » لابن العزّ الحنفي (ص ٢٦٣) ، و « البدور البازغة » للإِمام ولي الله الدّهلويّ إِمام الحنفيّة في وقته (ص ٢٠٤) ، على ما نقله شيخنا العلامة محمد طاهر بن آصف الحنفي الملقّب بشيخ القرآن في كتاب « البصائر » (ص ١٧) وأَقرّه ، ولم أَجده في « البدور » .

(٣) « روح المعاني (١ / ١٢٥ – ١٢٩) ، ولا تنس أَيضًا ما كتبه أَئمّة السنّة من الكتب القيّمة ومن أَهمّها « التوسل والوسيلة » لشيخ الإِسلام ، و « التوسُّل » لشيخنا الأَلبانيّ .

وإذا عرف القرّاء الكرام أَنَّ توسُّل الخلف غير توسّل السلف ، وأَنَّ توسُّل الخلف بعيد عن مقصود نصوص التوسُّل في الكتاب والسنّة ، فنقلب على الكوثريّ الآن ما قاله هو بلسانه وكتبه ببنانه ، قال :

« إِنَّ حمل النصوص والآثار على المصطلحات التي ظهرت بعد عهد التنزيل بدهور بعيد عن تخاطب العرب وتفاهم السلف بهذا اللسان العربيّ ، ومن زعمَ ذلك فقد زاغَ عن منهج الكتاب والسنّة ، وتنكّب سبيل السلف الصالح ، ومسلك أَئمّة أُصول الدين ، ونابذ لغة التخاطب ، وهجر طريقة أَهل النقد في الجرح والتعديل والتقويم والتعليل » (١) .

قلت : هكذا أَخزى الله هذا الكوثري حتّى صار فريسة للتناقض الواضح الفاضح ، وانتحر بشفرته التي سطّر ، بحث صارت حجته منقلبة عليه ، وحمل نصوص الشرع على المصطلحات البدعيّة ، ومنها التوسّل القبوريّ .

١٧ - طَعَنَ الكوثريُّ - لغلوّه في الخرافات القبوريّة - في حديثين صحيحين ، رواهما مسلم وغيره :

○ **الأَوّل** : حديث جابر رضي الله عنه في النهي عن تجصيص القبور .

○ **والثاني** : حديث علي رضي الله عنه في الأَمر بتسوية القبور المشرفة (٢) .

١٨ - تشبث الكوثري لدعم خرافاته القبوريّة حتّى بالمنامات (٣) ولكن لا بمنامات سلف هذه الأُمّة وأَئمّة السنّة ؛ بل بمنام الفخر الرّازي (٦٠٦هـ) ، ومنام « الفردوسي » الذي تشبث بمشورة روح « رستم » الكافر الفاجر ، فوقع في خزي مبين (٤) .

---

(١) « تعليقات الكوثري على « الأَسماء والصفات » للبيهقي (ص ٤٥٥) .

(٢) انظر بيانَ خيانتِه في تضعيفها ، وكشف كذبه وزوره في كتابينا « الماتريديّة » (٣ / ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٣) انظر « مقالات الكوثري » (٣٨٢ - ٣٨٣) .

(٤) الفردوسي : هو أَبو القاسم حسن بن محمد الطوسي الشاعر الفارسي مؤلّف « شاه =

١٩ - يدعو الكوثري إلى التحاكم والفزَع إلى أَساطين الكلام والتفلسف ؛ أَمثال الرازي (٦٠٦ هـ) والتفتازاني (٧٩٢ هـ) والجرجاني (٨١٦ هـ) وغيرهم لحلّ أَخطر المسائل المتعلقة بتوحيد الأُلوهيّة وما يضادّه من الشرك أَو ما يوصل إليه [١].

وقد عرف أَلبّاء القرّاء حقيقة توحيد المتكلمين وحقيقة معرفتهم له ، وما يضادّه فالتحاكم إلى أَمثالهم ،والتعامي عن طريقة سلف هذه الأُمّة وأَئمّة السنّة عين الضلال والإِضلال .

هذه كانت نبذة عن عقيدة الكوثري ، ومناقضته لتوحيد الأُلوهيّة .

تبيّن بها لطالبي الحقّ والإِنصاف - ولا دواء لأَدواء أَهل الاعتساف - أَنَّ الكوثري عريق في قبوريته ، كما هو غريق في جهميته .

وفي هذا القدر كفاية .

□ وأَمّا أتباعه الكوثريّة :

فهم ليسوا بأَحسن حالًا من الكوثري ، وفيما يلي ذكر أَربعة (كبار) منهم :

١ - أَحمد خيري (١٣٨٧هـ) ، وهو حنفي ، ماتريدي ، كوثري ؛ بل هو قبوري خرافي ، بل رافضي له ميل إلى الباطنيّة ، وكان يسبُّ شيخ الإِسلام سبًّا شنيعًا فظيعًا ، وهو الّذي أَلّف كتابًا في ترجمة « الكوثري » بعنوان « الإِمام الكوثري » مطبوع في أَوّل مقالات الكوثريّ .

= نامه » أَلّفه للسلطان محمود سبكتكين توفي بعد (٣٨٤ هـ) « كشف الظنون » (٢ / ١٠٢٥ - ١٠٢٦) ،وأَمّا « رستم » فهو ابن « فرخ زاد » ؛ كان كافرًا مجموسيًّا ، وثنيًّا ، قائدًا للفُرس ، ملكًا لهم نيابة عن « بوران » بنت كسرى .

وهو الذيالذي قد فعل الأَفاعلي ضدّ المسلمين حتّى قتله الله تعالى يوم « القادسيّة » ، راجع للتفصيل « البداية والنهاية » (٧ / ٢٦ - ٢٧ ، ٤٤) .

(١) « مقالات الكوثري » (٣٨١ - ٣٨٢) و « تبديد الظلام » (١٦٠ - ١٦٢) .

وكان يقرأ « قصيدة البردة » [1] على شيخه الكوثري ويقول متعجّبًا منكرًا بعد ما ذكر بعض المتصوفة :

« أفيعقل أَنَّ هؤلاء العلماء الأَعلام كلّهم أَشركوا من أَجلّ سواد عيني ابن عبدالوهاب النجدي ؟ وهل لأَنّه لا يفهم روائع المعاني التي في البردة نرمي عقولنا ، ونسبُّ سلفنا ، ونطيع النجدي المتعسّف ؟ » [2].

ومن نماذج إِجلاله للكوثري وشتائمه لشيخ الإِسلام ما يقول في قصيدة له :

وغاب عن الدنيا بغيبةِ زاهدٍ حديثٌ وتوحيدٌ وفقهٌ عريقه

ويعصمُ بالبرهان رأي أَئمّةٍ ويقصم شريرًا تَفَشَّى مروقُه

ثمَّ قال في الحاشية : « المراد بالشرّير » ابن تيميّة .. وكان الأُستاذ حربًا على ابن تيميّة وعلى سواه ممّن حادوا عن جادّة الدين » [3].

وقال : « كان من اللاعبين بدين الله » [4].

قلت : أَيّ توحيد غاب بغيبة زاهد الكوثري ؟ فإِنّه توحيد الجهميّة وتوحيد القبوريّة ؟

---

(١) للبوصيري الصوفي محمد بن سعيد البوصيري الدلامي الصنهاجي (٦٩٤ هـ) .

انظر ترجمته وقصة خرافية لقصيدته البردة في « الوافي بالوفيات » (٣ / ١٠٥ - ١١٣) ، وهو غير البوصيري المحدّث أَحمد بن أَبي بكر بن إِسماعيل الكنّاني (٨٤٠ هـ) صاحب « مصباح الزجاجة » .

انظر ترجمته في « الضوء اللامع » (١ / ٢٥١ - ٢٥٢) ، وللحنفيّة الماتريديّة ولاسيما من كان منهم في البلاد التركيّة والروميّة شغف عظيم بهذه القصيدة ، فقد تهافتوا عليها تهافت الفراش على النّار ، راجع « كشف الظنون » (٢ / ١٣٣١ - ١٣٣٦) .

نقول : انظر « ص ؟؟؟ » من هذا العدد من (**الأَصالة**) لمعرفة نقد إِجمالي لهذه القصيدة . (**الأَصالة**) .

(٢) « الإِمام الكوثري » (٥٢ - ٥٣) وقوله : « وهل ... » ركيك صكيك .

(٣) المرجع نفسه (ص ٧٨ - ٧٩) .

(٤) الإِمام الكوثري » (ص ٢٣) .



وإذا كان أَمثال ابن تيميّة من اللاعبين بدين الله !

فهل يكون الكوثري والكوثريّة أَنصار دين الله !

وأَمّا كلمته الوقحة : « ... شريرًا تفشّى مروقُه » .

فقد ذَكَّرَتْني قولَه تبارك وتعالى عن تأسُّف المشركين في نار جهنّم ، وندامتهم على ما ارتكبوه من البهتان والعدوان على أَولياء الرحمٰن بعد فوات الأَوان : ﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالًا كنّا نعدّهم من الأَشرار اتخذناهم سخريًّا أَم زاغت عنهم الأَبصار ﴾ ، لعن الله الأَشرار ، وقاتل الفجّار .

٢ - كوثريّ آخر يدعى : « محمد يوسف البنوري » (١٣٩٧ هـ) كان علّامة في المعقول والمنقول ، وكان من العلماء الأَفذاذ الأَذكياء ، وكان من كبار أَئمّة الديوبنديّة ، ولكن أُصيب بداء الكوثري المفتري .

فقد شغفه الكوثريّ حبًّا ، وكتب مقدمة فتّاكة مسمومة لمقالات الكوثريّ سايره في جميع ضلالاته وشركياته وشتائمه لأئمّة السنّة وسلف هذه الأُمّة ، فقد كشف هذا الرَّجل بهذه المقدمة عن حقيقته وحقيقة الديوبنديّة البنوريّة .

٣ - الشيخ رضوان محمد رضوان المصري .

وهذا هو الذي تولّى كِبْرَ جمع مقالات الكوثريّ وطبعها [١] .

وهذا دليل قاطع على كونه خرافيًّا كبيرًا .

وربما ظنّ أَنَّه كسب بجمع هذه المقالات رضوان الرحمٰن ، ولكنَّه اكتسب رضوان الشيطان وسخط الرحمٰن .

٤ - الشيخ عبدالفتّاح أَبو غدّة السوري أَبو الزاهد الكوثري .

وهو على حظٍّ وافرٍ من العلم ، قد حصَّلَ كثيرًا من العلوم كما حصَّلَ جانبًا من الدنيا .

---

(١) كما صرّح به البنوري في مقدمته لـ « مقالات الكوثري » : ل .

ولكنّه أُصيب بداء الكوثريّ ، فصار أَبا غدّة حقًّا ، بل أَبا غُدَدٍ صدقًا [١] .

وهو مستوطن في بلاد نجدٍ ، وهي بلاد التوحيد والسلفيّة [٢].

وأَطرق رأسه إِطراق الكرى خوفًا من سيف البُرهان والسلطان .

يبثُّ في غضون تعليقاته سموم سلفه وشيخه الكوثري بطرق خفيّة سريّة لا ينتبه لها إِلّا من عرف السنّة وأَهلها والبدعة وأَهلها حقَّ المعرفة [٣] .

وكان يصرّح ويجاهر في خطبه على المنبر في بلده - قديمًا - بما كان يرتكبه ضدّ التوحيد والسنّة وأهلهما من البهتان والعدوان ، ولا سيّما ضدّ من يسميهم « الوهابيّة » كعادة خلطائه من أَهل الأغراض والأَمراض ، ويرميهم بأَنواع من التهم ومنها العداء والضغينة لرسول الله ﷺ ، ولكن لما نزلَ البلاد النجديّة -بلاد التوحيد- اكتفى ببثِّ السموم بطرق سريّة ، مع شيءٍ من المداراة والتملّق ، ولسان حاله ينشد :

دارهم ما دمت في دارهم وأَرضهم ما دمت في أَرضهم [٣]

ولشيخنا الأَلباني كلمة عنه تصلح « رسالة » وهي مطبوعة في مقدمة « شرح الطحاوية » منذ سنين كثيرة ، كشف فيها عن كثير من مخازيه ، وقد اعترف بصحّة تقسيم التوحيد إِلى الربوبيّة والأُلوهيّة والصفات [٤] .فإِن كان من إِخلاصه لا لغرضه ، ففيه دواء لبعض مرضه .

وقد كتبتُ رسالة بعنوان « العمدةُ لكشف الأَستار عن أَسرار أَبي غدّة » .

ولكن فوجئت برسالة قيّمة للدكتور بكر بن عبدالله أَو زيد حفظه الله وعليها « تقريظ » لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله تعالى عنوانها :

---

(١) « الغدّة » : طاعون الإِبل ، انظر « القاموس » .

(٢) أمّا عند الكوثريّة فهي بلاد الشرك والوثنيّة .

(٣) راجع مقدمة الأَلباني على « شرح الطحاويّة » (ص ٤٤) .

(٤) « كلمات في كشف أَباطيل وافتراءات » (ص ٣٧) .



« براءة أَهل السنّة من الوقيعة في علماء الأُمّة » [١] .

فكفى الله المؤمنين القتال ، وبهذه الرسالة قد عرفه كثير ممن جهلوا حقيقته ، ولعلّ رسالتي تظهر فتظهر شيئاً من سيرته وسريرته .

وقد ذكرت بعض نماذج لمسايرته لشيخه الكوثري في كتابي « الماتريديّة » (١ / ٣٧٠) وفيما يلي مثال آخر يدلُّ على كونه عريقًا في البدع القبوريّة :

ذكر أَبو غدّة قصّة رحلته إِلى الهند وزيارته لقبر الإِمام العلّامة عبدالحي اللكنوي (١٣٠٤ هـ) رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وذكر أَنَّ أُسرة هذا الإِمام أَحسنوا في ضيافته .

وذكر أَنّه مدفون في بستان الأَنوار ، وبجانبه مسجد تقام فيه الصلوات !

ثمَّ قال : « ورأيت قبر الشيخ عبدالحي رحمه منحوتًا من المرمر الرخام الأَبيض ، ومكتوبًا عليه قول تلميذه « عبدالعلي المِدْراسيّ » [٢] ، من قصيدة له في رثائه ... :

أَيُّها الزوّار قف واقرأ على هذا المزار

سورة الإِخلاص والسبع المثاني والقنوت[٣] »

أَقول : لي عليه تنبيهات :

أ - أَنَّ من المعلوم بالاضطرار من دين الإِسلام أَنَّ البناء على القبر وتشييده وجعله مزيّنًا بهذه الصورة من أَكبر الجرائم المستوجبة للعنة ، ومن أَعظم أَسباب الشرك ، وهو من صنيع اليهود والنصارى .

---

(١) وكان الأَنسب أن تسمّى : « براءة أَهل السنّة » عن وقيعة أَهل البدعة » .

(٢) هو العلامة عبدالعلي بن مصطفى الأَسى المدارسي الحنفي الماتريدي من كبار علماء الهند (١٣٢٧هـ) ترجمته في « نزهة الخواطر » (٨ / ٢٦٦) .

(٣) أنظر مقدمة أَبي غدّة لـ « الرفع والتكميل » (ص ٨) الطبعة الأُولى ، و (١٤ - ١٥) ، الطبعة الثانية المزيدة المنقحة (١٤٠٧هـ) .

ب - أَنَّ من الواجب المهمّ هدم مثل ذلك .

ج - أَنَّ هذا المنكر الشنيع الفظيع يجب إِنكاره ، إِمّا باليد بهدمه ، وإِمّا باللسان ، وعلى أَقلِّ تقدير بالجنان .

وأَبو غدّة لم يفعل واحدا من ذلك ، ولم يتمعّر وجهه وجبينه في الله تعالى ، وكيف ينكر على ذلك أَبو غدّة ؟

وهو لا يراه منكرًا ، وربّما يراه تعظيمًا للمقبور وإِكرامًا له ، ثمّ أُسرة المقبور أَحسنوا ضيافته ، فكيف ينكر عليهم ، وهم قد أَلقموه لقمة بل لُقَمًا ؟!

خلق الله للحروب رجالًا ورجالًا لقصعة وثريد

د - تزيين مثل قبر أَمثال هذا الإِمام المبجل المعظم في مثل بلاد الهند المكتظّة بالشركياتِ القبورية ، والخزعبلات الصوفيّة - ليس إِلّا دعوة للشرك والوثنيّة .

هـ - أَين ورد في الكتاب والسنّة قراءة سورة الإِخلاص والسبع المثاني والقنوت على القبر أَو وقت زيارة القبور ؟ مع تصريح كبار أَئمّة الحنفيّة بأَنَّه لا يجوز لزائر القبور إِلّا ما ورد في السنّة الصحيحة من الدعاء لأَهلها كما كان رسول الله ﷺ يفعله [1] .

... وبعد ؛ فهذه نبذةٌ عامّة عن الكوثريّ والكوثريّة ، لعلَّ اللهَ سبحانه يهدي بها بعضَ مَن لا يزالُ غافلاً من الطيِّبين المُخلصين مِمّن راج عليهم تلبيس المُلَبِّسين ، وتزيين المُزَيِّنين ، واللهُ المستعان .

---

(١) انظر « فتح القدير » للإِمام ابن الهمام (٢ / ١٤٢) ، و « البحر الرائق » للإِمام ابن نجيم (٢ / ١٩٦) ، و « الفتاوى الهنديّة » (١ / ١٦٦) و « ردّ المحتار » (٢ / ٢٥٩) .



مسائل وأجوبتها

العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ

السؤال : نفساء طهرت ، ثم نزل منها الدم بعد أيام ، فهل يُعَدُّ هذا دم استحاضة ، أم غيره ؟

الجواب : إذا كانت تجاوزت مدة النفاس الأكبر ، وهي أربعون يومًا ، فهذا الدم بلا شك دم استحاضة ، وليس دمَ نفاس ، وإن كانت طهرت في ظنِّها قبل إتمام الأَربعين فمن المحتمل أن يكون تطهرها قبل انتهاء الأربعين خطأ منها وحينذاك ينظر إلى الدم الذي عرض لها ، فإن كان دمًا أسودَ كدم الحيض والنفاس عادة تُعَدُّ نفسها لم تطهر بعد ، وتُمسك عن الصلاة وعن الصيام ونحو ذلك مما هي ممنوعة منه شرعًا .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

سؤال : امرأة عليها قضاء أيام من رمضان الماضي بسبب الحيض ، والآن هي حامل ، ورمضان وشيك القُدومِ ، ولا تستطيع أن تقضي إلا بعد انقضاء شهر رمضان القادم ، فكيف تتصرف ؟

الجواب : إذا كان بإمكانها قضاء أيام رمضان المترتبة عليها بعد رمضان ، فتفطر وتقضيها فيما بعد ، بمعنى وجوب القضاء على التراخي، المهم تبرّئ ذمّتها من هذه الفريضة ، لكن إذا افترضْنَا أنها ماتت قبل أن تبرىء ذمتها ، فيجب عليها حينئذٍ أن توصي بإخراج كفارة عنها ، والكفارة واردة هنا في مثل هذه الحالة .

أما إذا لم تكن حاملًا ولا مرضعًا وفاتها أيامٌ من رمضان بسبب الحيض ، فعليها



القضاء ، وإذا اتصل معها الحمل والرضاع فيجوز أَنْ تُؤَخِّر ، ثم تقضي بدون فدية ولا كفارة .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

سؤال : امرأةٌ حامل أَفطرت النصف الأول في رمضان ، عملًا برخصة الفطر لها ، بناء على حديث : « إنَّ الله وضع الصوم عن الحامِل والمرضع » ، وبنيةِ أنه ليس عليها قضاء ، وإنما الفدية فقط ، حسب فتوى ابن عباس رضي اللهُ عنه ، ثم نفست النصف الثاني من رمضان ، وحرم عليها الصيام أثناء مدة النفاس بسبب النفاس ، فهل يجب عليها قضاء أيام النفاس التي أفطرتها ؟ وإذا كانت اعتبرت نفسها مرضعًا أثناء فترة النفاس ، فهل يسقط عنها وجوب القضاء ، بناء على الحديث السابق ؟

الجواب : إذا وَافَقَ أنها صارت بنفاسها مرضعًا ، فالجواب كما كان وضعها وهي حامل ، ليس عليها قضاء ، وإنما عليها الفدية .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

السؤال : هل يجوز إخراج زكاة الفطر قبل موعدها بأيام أو أسابيع ؟

الجواب : هذا لا يجوز ، لأنَّه يُضادُّ الحكمة التي رمى إليها الشارع من جراء إخراج زكاة الفطر ، فهو أراد أن يغني الفقراء عن السؤال في يوم العيد ، فإذا أخرجها قبل العيد بمدة أسبوع أو أكثر ، فلا شك أن الغاية تنتفي من جراء هذا العمل ، لأن الفقير ينتفعُ بالصدقةِ في تلك الأيام التي استلمها فيها ، فيأتي يوم العيد ، فيمكن أن يكون محتاجًا فقيرًا .

وبخاصّةٍ مع وُرودِ علّة الحُكم في ذلك أنّها « طُهرة للصائمِ » ، وهذا لا يكونُ إلّا بعد انتهاءِ شهر الصيام .



فلم يكن القصد من زكاة الفطر أن يغنيه الشارع عن السّؤال في رمضان ، وإنما عن السؤال والحاجة في يوم العيد ، فيمكن مع بعض التسامح أن نسمح للمتصدِّق بسبب الظروف الحاضرة ، وبُعد الأمكنة أن يخرج زكاته قبل يوم أو يومين ، وبهذا وردت آثار صحيحة عن بعض الصحابة أنهم تساهلوا في يوم أويومين .

السنة بين أعدائها وأتباعها

الحلقة الثانية

سليم بن عيد الهلالي

لهذا الحديثِ دلالاتٌ عدّة منها :

أولًا : أنّه دليل من دلائل النبوة ، وعَلَم من أعلامها ، فقد وقع ما أخبر به المصطفى ﷺ حقًّا ، ورأيناه في الواقع صدقًا .

قال البيهقي رحمه الله في « دلائل النبوة » (١ / ٢٥) : « وهذا خبر من رسول اللهِ ﷺ عما يكون من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعد »

وقال (٦ / ٥٤٩) : « باب ما جاء في إخباره بشبعان على أريكته يحتال في رد سنته بالحوالة على ما في القرآن من الحلال والحرام دون السنة فكان كما أخبر ، وبه ابتدع من ابتدع وظهر الضرر » .

وقال العلامة المباركفوري في « تحفة الأحوذي » (٧ / ٤٢٥) : « وهذا الحديث دليل من دلائل النبوة وعلامة من علاماتها ، فقد وقع ما أخبر به ، فإن رجلًا خرج في الفنجاب من إقليم الهند ، وسمّى نفسه بأهل القرآن ، وشتان بينه وبين أهل القرآن ، بل هو من أهل الإلحاد ، وكان قبل ذلك من الصالحين ، فأضله الشيطان وأغواه وأبعده عن الصراط المستقيم ، فتفوّه بما لا يتكلم به أهل الإسلام ، فأطال لسانه في ردِّ الأحاديث النبوية بأسرها ردًا بليغًا ، وقال : هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله تعالى وإنما يجب العمل على القرآن العظيم دون أحاديث النبي ﷺ ، وإن كانت صحيحة متواترة ومن عمل على غير القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ !! وغير ذلك من أقواله الكفرية ، وتبعه على



ذلك كثير من الجهال ، وجعلوه إمامًا ، وقد أفتى علماء العصر بكفره وخَرَّجوه من دائرة الإِسلام ، والأمر كما قالوا » أ . هـ

وحكى مثل قول المباركفوري الشيخ أبو الحسن عبيدالله بن محمد الرحماني في « مرعاة المفاتيح » (١ / ٢٥٨) فقال : « والحديث دليل من دلائل النبوة ، وعلم من أعلامها ، فقد وقع ما أخبر به كما لا يخفى على أَهل الهند ، سيما أَهل الفنجاب من باكستان » .

وقال العظيم آبادي في « عون المعبود » (١٢ / ٣٥٧) : « ولقد ظهرت معجزة النبي ﷺ ووقع ما أخبره به ، فإن رجلًا خرج في الفنجاب من إِقليم الهند ... وذكر مثل المباركفوي » .

قلت : فإذا وقع ما أخبر به الرسول ﷺ على الجملة ، فقد رأيناه بالتفصيل ، ودونك البيان والتفصيل الذي ذكره الرسول ﷺ :

قال ﷺ : « لا أُلفينَّ » بالنون المؤكدة من الإلفاء ، أي : لأَجِدَنَّ ، جزمًا لذلك ، نهاهم أن يقعوا في هذه الحالة على سبيل المبالغة .

وقوله ﷺ : « متكئًا » حال .

وقوله ﷺ : « على أريكته » أي : على سريره الممهد المزين بالحلل والأثواب .

قلت : أراد بهذا صفة أهل التَّرَفُّه والدَّعَة الذين لزموا البيوت ، وقعدوا عن طلب العلم والاهتمام به ، كما هو عادة المتكبر المتجبر .

وأظهر مثال لهذه الحال صنيع أَفَّاك ليبيا الأَشِر ، الذي استبعد الأحاديث النبوية من مصادر التشريع ، وشكّك في دواوين السنن وبخاصّةٍ ما تلقتها الأمة بالقبول ، وزعم أن القرآن وحده لا يتطرق إليه الشك[1].

(١) انظر جريدة « السياسة » الكويتية الصادرة في ١٢ / ٧ / ١٩٧٨م ، وجريدة « الرأي العام » الكويتية الصادرة في ١٧ / ٧ / ١٩٧٨م .

وأثر هذه المعجزة النبوية يتجلى في أمرين هامين :

الأول : أنها تكتب الجزم بثبوت السنة المطهرة الصحيحة بحروف بارزة لا تمحوها عوارض الشبهات التي يثيرها أعداء السنة .

الآخر : أنها توحي أن السنة المطهرة الصحيحة وحي يوحى فقد ظهر صدقها بعد عهد النبوة وتحقق الغيب الذي أخبرت به ، والرسول ﷺ لا يعلم الغيب إلا ما أراه الله سبحانه وتعالى .

وبذلك يزداد حرص المسلم على السنة ، ويعضّ عليها بالنَّواجذ ، ويذبُّ عن حياضها بالنَّفس والنَّفيس .

ثانيًا : وضّح منزلةَ السنة في الإسلام ، وبيّن أنه لا يُستغنى عنها بالقرآن ، وأنَّ الشريعة الإسلامية ليست قرآنًا فحسب ، وإنما قرآن وسنة .

ثالثًا : قرر أن السنة مثل القرآن[1] في :

١ - الاعتبار . ٢ - وجوب الطاعة . ٣ - لزوم التكليف . ٤ - وحي من عند الله .

قال ابن حزم في « الإِحكام في أصول الأحكام » (٢ / ٢٢) : « صدق النبي ﷺ ؛ هي مثل القرآن ، ولا فرق في وجوب طاعة كل ذلك علينا ، وقد صَدَّق الله

---

(١) وقد زعم بعض النوكى المغفلين من أعداء السنة أن هذا اللفظ موجب لضعف الحديث لأنه يخالف محكم التنزيل : ﴿ قل لئن اجتمعت الإِنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ .

ولقد أوعبت بحمد الله في نقض عرى هذه الشهبة ، كما ستراه في حلقة قادمة تأتي إن شاءَ اللهُ تعالى ، ولكن لتعلم وهاءها أنبيك بأمرين :

١- أن المثلية المنفية في الآية ليست هي عين المثلية المثبتة في الحديث كما هو ظاهر لأُولي النهي .

٢- أن المثلية المنفية في الآية ، هي إتيان الثقلين بمثل القرآن ، ولم تقل : إن الله عاجز عن ذلك والسُّنَّة كما هو مقرر بالأَدلة وحي يوحى ، فتدبر (!) .



تعالى هذا إذ يقول : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . وهي مثل القرآن في أن كل ذلك وحي من عند الله قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

فهي إِذن :

١- تُفَسِّــر القــرآن . ٢- تُقَيِّد مطلق القرآن . ٣- تُخَصِّصُ عمومَ القرآن .
٤- تفصِّل مجمل القــرآن . ٥- توضِّح مبهمَ القـــرآن . ٦- تَنْسَــخُ القــرآن .
٧- تبين مشكل القرآن .

رابعًا : وجوب طاعة الرسول ﷺ استقلالًا ؛ لأنَّ حديثه ﷺ حجة بنفسه .

قال البغوي رحمه الله في « شرح السنة » (١ / ٢١) : « وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتاب ، وأنه مهما ثبت عن رسول اللهِ ﷺ كان حجة بنفسه » .

خامسًا : السنة النبوية أتت بأحكام شرعية زائدة عمّا وَرَدَ في كتاب الله .

سادسًا : السنة المطهرة تشتمل على الأحكام الشرعية الخمسة .

سابعــًا : خبر الواحد الثبت حجة بنفسه في الأحكام والعقائد ، قال الإمام الحافظُ ابن قيم الجوزية في « مختصر الصواعق المرسلة » (٢ / ٤٠٢) : « حديث أبي رافع الصَّحيح عن رسول الله ﷺ قال : « لا ألفين أحدًا منكم مُتَّكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري ، يقول : لا ندري ما هذا ! بيننا وبينكم القرآن ، ألا وإني أُوتيت الكتاب ومثله معه » ، ووجه الاستدلال أن هذا نهي عام لكل من بلغه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أن يخالفه أو يقول : لا أقبل إلا القرآن ! بل هو أمر لازم ، وفرض حتم بقبول أخباره وسننه ، وإعلام منه ﷺ أنها من الله أوحاها إليه ، فلو لم تفد علمًا ، لقال من بلغته : إنها أخبار آحاد لا تفيد علمًا ، فلا يلزمني قبول ما لا علم لي بصحته ، والله تعالى لم يكلفني العلم بما لم أعلم صحته ولا اعتقاده ، بل هذا بعينه هو الذي حذر منه رسول الله ﷺ أمته ونهاهم عنه ، ولما علم أنَّ في هذه الأمة من



يقوله حذرهم منه ، فإنَّ القائل : إن أخباره لا تفيد العلم ، هكذا يقول سواء : لا ندري ما هذه الأحاديث ، وكان سَلَفُ هؤلاء يقولون : بيننا وبينكم القرآن ، وخَلَفُهم يقولون : بيننا وبينكم أدلة العقول ، وقد صرحوا بذلك ، وقالوا : نقدم العقول على هذه الأحاديث آحادها ومتواترها ، ونقدم الأقيسه عليها » أ.هـ

وقد بسطت القول في وجوب الأَخذ بحديث الآحاد في الأَحكام الشرعيّة والعقائد على حدٍّ سواء في كتابي « الأَدلة والشواهد على وجوب الأَخذ بخبر الواحد في الأَحكام والعقائد » وهو ثلاثة أَجزاء .

الجزء الأَوّل : ردّ هذه الفرية بالقواعد الأُصوليّة .

الجزء الثاني : تنقيح مقالات العلماء وأَنهم اعتمدوا حديث الآحاد في العقيدة والأَحكام الشرعيّة .

الجزء الثالث : الأَحاديث المتواترة التي ردّها دعاة هذه البدعة لجهلهم وقلّة علمهم .

(وللحديث صِلَةٌ ..)

التنبيهات والإشارات

لتقوية المجهول إذا روى عن الثقات

حمد العثمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أَجمعين ، وبعد :

فلمّا رأيتُ إنكارَ البعض لتقوية المجهول برواية الثقات عنه ، واعتبار ذلك مذهبًا ضعيفًا متساهلًا لا يعوّل عليه المحققون من أَئمّة الجرح والتعديل ، كتبتُ جملة مِنْ الإِشارات في تنبيه أَرباب القول المذكور إِلى تعديل كثيرٍ من الأَئمّة لرواية بعض المجهولين لرواية الثقات عنهم :

قال ابن أَبي حاتم : سألتُ أَبي [١] عن رواية الثقات عن رجل غير ثقة ممّا يقويه ؟ قال إِذا كانَ معروفًا [٢] بالضعف لم تقوه روايتهم عنه ، وإِذا كان مجهولًا نفعه رواية الثقة عنه . اهـ

وقال ابن أَبي حاتم [١] : سألتُ أَبا زرعة عن رواية الثقات عن رجل ممّا يقوي حديثه ؟

قال – أَي العمري – : قلت : الكلبيّ روى عنه الثوري ، قال : إِنّما ذلك إِذا لم يتكلّم فيه العلماء ، وكان الكلبيُّ يُتكلّم فيه .

وقال ابن دقيق العيد في تعليقه على حديث أَبي هريرة رضي الله عنه [٣]

---

(١) « الجرح والتعديل » (٢ / ٣٦) .
(٢) هذا قيد مهمّ ، لئلّا يرد عليه من تُكلّم فيه .
(٣) « الإمام » (١ / ٨ / أ) .



« هو الطَّهور ماءه الحلُّ ميتته » : ورجّح ابن مندة أَيضًا صحته لأَنَّه قال : فاتفاق صفوان والحلّاج في الرواية عن سعيد يوجب شهرة سعيد بن سلمة ، وإِطلاق يحيى بن سعيد وسعيد بن سلمة على المغيرة بن أَبي بردة ما يوجب شهرة المغيرة وصار الإِسناد مشهورًا .

وقال أَيضًا (١) :

وأمّا الجهالة المذكورة في سعيد بن سلمة فقد قدّمنا من كلام ابن مندة ما يقتضي رواية الحلاج عنه مع صفوان ، وذلك على المشهور عند المحدثين يرفعُ الجهالة عن الراوي ، وأَمّا المغيرة بن أَبي بردة فقد ذكرنا أَيضًا من كلام ابن مندة موافقة - يحيى بن سعيد لسعيذ بن سلمة في الرواية عن المغيرة ، وهو مشهور أَيضًا من طريق ابن مندة . اهـ

وهذا ابن عبدالبر (٢) لمّا ساق حديث حذيفة « اقتدوا باللذين من بعدي » ذكر قول أَبي بكر البزار : حديث العرباض بن سارية في الخلفاء الراشدين حديث ثابت صحيح ، وهو أَصحُّ إِسنادًا من حديث حذيفة « اقتدوا اللذين من بعدي » لأَنَّه مختلف في إِسناده وتكلّم فيه من أَجل مولى ربعي وهو مجهول عندهم .

تعقبه بقوله :

هو كما قال البزار ؛ حديث عرباض حديث ثابت ، وحديث حذيفة حديث حسن ، وقد روى عن مولى ربعي عبدُ الملك بن عمير وهو كبير . اهـ

وقال الحافظ الذهبيّ في ترجمة مالك بن الخير الزّبادي (٣) :

مصري محلُّه الصدق عن أَبي قبيل ، عن عبادة مرفوعًا : ليس منّا من لم

---

(١) « الإِمام » (١ / ٨ / ب) .

(٢) « جامع بيان العلم وفضله » (ص ٥٤٩) .

(٣) « ميزان الاعتدال » (٣ / ٤٢٦) .

يبجّل كبيرنا » .

روى عنه حيوة بن شريح وهو من طبقته ، وابن وهب وزيد بن الحباب ورشدين .

قال ابن القطّان : هو ممّن لم تثبت عدالته - يريد أنّه ما نصَّ أَحد على أنّه ثقة - ! وفي رواة الصحيحين عددٌ كثير ما علمنا أنَّ أَحدًا نصَّ على توثيقهم ، والجمهور على أَنَّ من كان من المشايخ قد روى عنه جماعة ، ولم يأت بما ينكر عليه أَنَّ حديثه صحيح . اهـ

وقال أَيضًا في نقده لكتاب « الوهم والإيهام » لابن القطّان [١] في تعليقه على حديث « ما رأيت أَحدًا أَشبه صلاة برسول الله ﷺ من عمر بن عبدالعزيز » : فيه وهب بن مأنوس ،مجهول ، فأَظنُّ أَبا محمد [٢] قنع برواية جماعة عنه ، وذا شيء لا مقنع فيه ، فإِنَّ عدالته لا تثبت بذلك .

فقال الذهبيُّ مُتَعَجِّبًا : خالفك في هذا خلق . اهـ

هذه إِشاراتٌ سريعة ، وتنبيهات مُجْمَلَةٌ ، لعلّها تُفيد الطالبين ، وتنفعُ الراغبين ، واللهُ الموفّقُ .

---

(١) (ص ١٠٨) رقم : ٥٨ .

(٢) يعنى عبدالحقّ الإشبيلي .

أشعارٌ تربويّة إيمانيّة

خير الدين وانلي

الله

مَنْ أَوْجدَ الحياة　　في تُرْبَةٍ مَواتْ[١]
من أنبتَ النَباتْ ؟　　لا ربَّ إلّا اللهْ
مَنْ علَّمَ الطُّيورْ　　أَنْ تبنيَ الوُكورْ
من لَوَّنَ الزُّهُور ؟　　جلَّ القديرُ اللهْ
مَنْ أَبْدَعَ الإنسانْ　　وعَلَّمَ البيانْ ؟
وأنزلَ الفرقانْ　　نُورًا ؟ فَجَلَّ اللهْ
عزَّ الذي أَنْزَلْ　　قُرآنَه الأَكْمَلْ
وشَرْعَه الأَمثَلْ[٢]　　على ابْنِ عبْدِ اللهْ
مَنْ فَجَّرَ الأَنهارْ　　وحَرَّكَ البِحارْ
وأَخرجَ النَّهارْ　　بعدَ الدُّجى[٣] ؟ اللهْ
مَن مُرْسِلُ الرِّياحْ　　وفالقُ الإِصْباحْ[٤]
مَنْ مُلْبِسُ الأَرواحْ　　أَجسادَها ؟ اللهْ

---

(١) الموات : ما لا روح فيه .
(٢) الأَمثل : الأَفضل .
(٣) الدجى : الليل والظلمات .
(٤) الإصباح : أَوّل النهار .



يا حيُّ يا قيوم[١] يا مُجريَ النُّجومْ
يا مُنْشِىءَ الغيومْ آمنْتُ يا اللهْ
يا ربُّ علِّمنا يا ربُّ سلِّمنا
يا ربُّ أَكْرِمْنا بالعَفْو يا اللهْ
واجْمَعْ على الإيمانْ والهدْي[٢] والقُرآنْ
ذُرِّيَّةَ الإِنسانْ يا ربُّ يا اللهْ
وارْفَعْ لِواءَ الدِّين مِنْ غَرْبِها للصِّينْ
يا ربَّنا آمينْ انْصُرْنا يا اللهْ
أَنتَ الذي تَسْمَعْ أَنْتَ الذي تَرْفَعْ
غُفْرانَكَ الأَوسَعْ رُحْماكَ[٣] يا اللهْ

الحمد لله

قَطيعانِ في أَرضِنا والسَّماء قطيعُ غيومْ وسَخْلاتُ[٤] شاءْ
فماءٌ ورَعْد بِتِلْكَ الغُيومْ وهذا حليبٌ وعَذْبُ الثُّغاء[٥]
نُجومٌ على الأَرض لا كالنُّجوم بساطٌ مُوَشَّى[٦] بأَبهى رسومْ
تُحَرِّكُه الريح ذاتَ اليَمين وذاتَ الشمالِ فتنسى الهُمومْ
تَبارَكْتَ يا مَنْ جَعَلْتَ الربيعْ شبابَ السنينَ وحُلْمَ الجَميعْ

---

(١) قيّوم : قائم بذاته .
(٢) الهدي : السيرة والطريقة وخير الهدي هدي محمد ﷺ .
(٣) رحماك : طلب الرحمة منه سُبحانه .
(٤) السخلات : وليدات الشاة .
(٥) الثغاء : صوت الشاة .
(٦) مُوشّى : مطرّز .



جَمالُ الخلائقِ عَنْ خالقٍ يَنِمُّ[1] وإِبْداعُها عَنْ بَديعْ[2]

المؤمن

المؤمنُ نورُ الآفاقِ وحبيبُ اللهِ الخلّاقِ
يَسْعى للخُلْدِ بلا كَلَلٍ فنعيمُ الخُلدِ هو الباقي
رِضْوانُ المولى غايتُهُ إِحقاقُ الحقِّ رسالتُه
خَفَقَتْ في العالَمِ رايتُهُ والنَّصرُ لِبَندِ خَفّاقِ
المؤمنُ بُركانٌ ثائرْ في وجْهِ الطاغوتِ الجائرْ
سَفّودٌ في عينِ الغادِرْ سَيْفٌ في تلكَ الأَعناقِ
المؤمن لا يرضى ظلمًا لا يرضى خسْفًا أو هضْمًا
لا يرضى للدنيا حُكْمًا إلاّ قانون الخلّاق
المؤمنُ عنوان الطُّهْرِ وعَفافُ الزَّنْبَقِ والزَّهْرِ
كالمِسْكِ تَضَوَّعَ بالعُطْرِ كالنّهر الصافي الرقْراقِ
أَخلاقُ المؤمنِ إيثارُ والقُدْوةُ فيهِ الأَنصارُ
والضيفُ عزيزٌ والجارُ أَكرِمْ بحَميدِ الأَخلاقِ
إِيمانُ المؤمنِ أَطْوادُ وسِلاحُ المؤمنِ رَعّادُ
سَعْدٌ للكونِ وإِسْعادُ وضياءُ جميعِ الأَحداقِ

---

(١) ينمُّ : يُخبر .

(٢) البديع : المبدع .

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

■ **ماذا بعد غروزني ؟!**

يقوم الجيش الروسي الدموي منذ شهورٍ باجتياح ساحقٍ لأرض المسلمين الشيشان الآمنين في بلادهم وديارهم ، وهذه الحملةُ العسكريةُ لا يخفى على المسلمين أهدافها وأبعادها ، فمن أهم أهدافها القضاء على أيٍّ أمل للمسلمين الشيشان في قيام دولة مستقلّة على أَرضهم تُهدِّدُ روسيا وحُلفاءها ، وللأسف الشَّديد إِن أكثر دول العالم - ومنها مُعظم الدول العربية والإسلامية - اعتبرت هذه الحرب الطاحنة مسألة داخلية لاشأن للعرب والمسلمين فيها (!) .

وسكوت الدول الغربية ونفاقها إنما يظهر عندما تكون الحرب ضدّ الإسلام والمسلمين ، أما لو كان الأمر يتعلّق بدولة صليبية مُعْتدى عليها أو مصالح ذاتية راجعة إلى الكفَّار أنفسهم ؛ فإنه حينئذٍ تظهر الاحتجاجات والشَّجب والاستنكار الشَّديد ، ولكنَّ المسلم يعلم يقينًا أنَّ الكفر ملَّةٌ واحدةٌ ، وأنه لا يُرتَجىٰ منهم خيرٌ للمسلمين ، ولن ينتظر المسلمون منهم نصرًا أو تأييدًا ، لأن النصر من عند الله يهبه لمن ينصر دينه ، كما وعد ووعده الحق ﴿ ولينصرنَّ الله مَنْ ينصره إنَّ الله لقويٌّ عزيز ﴾ .

ويبدو أنَّ الجيش الروسيَّ وقيادته ظنُّوا إنَّهم في نزهة في بلادهم الشيشان ، ونسوا ما أصابهم من دروس قاسية في بلاد الأفغان ، والآن يحاولون أن يُخفوا هزائمهم ويحفظوا ماء وجوههم ، أمام شعوبهم لما قاموا به من مجازفة طائشة ، وليعلم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أن لا عزَّة لهم إلا بالتمسُّكِ بدينِهم ، والالتزامِ

بأَحكامِه جميعِها ، ، وأنَّ الاستسلام لأَعدائهم لن يزيدهم إلا ذلًا وتشريدًا ومقتًا من الله .

ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ .

■ **أحداث البحرين :**

يشكل الرافضة الشيعة نسبةً ليست قليلةً من الشعب البحريني ، ومع ازدياد أَعدادهم كلَّ يوم – على حساب أهل السنَّة والجماعة – يزداد خطرهم ، فهم الخطر الدَّاهم للبحرين خصوصًا وللخليج عمومًا ، لأنهم توارثوا الأحقاد وتواصوا بها عبر الأجيال ، وانتشروا في المؤسسات العامة والخاصة حتى ملاءوا السهل والواد ، وبين حين وآخر يقومون بحركات وثورات وفتن لزعزعة هذا البلد الآمن ، والمطلوب من أهل البحرين عمومًا أن يتيقظوا لهؤلاء الرافضة ومخططاتهم ، فإن مواقفهم عبر التاريخ مشهودة معلومة ، وهم خَلْفَ كل فتنة وبلية أصابت أهل السنة قديمًا وحديثًا في كثير من الأمصار .

وواجب أهل السنة أن يشدوا من أزر إِخوانِهم في قمع فتنة هؤلاء ، وأن يتَّحدوا فيما بينهم ويتناسوا خلافاتهم ، وأن لا يُجَرُّوا إلى معارك مع حكوماتِهم ، لا تخدم إلا مصلحة أَعدائهم ، مع دوام المناصحة والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والعمل على تكثير سوادهم في مقابل الزيادة الهائلة في أَعدائهم الرافضة يوميًا بحكم زواج المتعة المشروع عند الرافضة !!!

فهل يدرك أهل السنة في البحرين خطورة المرحلة القادمة ، فيرصُّوا صفوفهم ، ويقفوا على أرض صلبة حتى لا تقتلعهم الفتن وتعصف بهم المحن ، فيندموا حيث لا ينفع الندم !؟

جنَّب الله إِخواننا أهل السنة في البحرين وغيرها الفتن ماظهر منها وما بطن .

القراء منهم وإليهم

التحرير

✉ وصلت **الأصالة** رسالة من الأخ خالد بن ضيف الله السعيد – الرياض – المملكة العربية السعودية ، يقول فيها : لقد سررنا كثيرًا عند خروج الأعداد الأولى من هذه المجله التي تعني بالشؤون الإسلامية العلمية ، وخصوصًا أنَّ خروجها في زمن كَثُرَت فيه المجلاتُ الهابطةُ السَّاقطةُ التي لا هدف ولا غاية لها سوى محاربة الله ورسوله ودينه والعياذ بالله ، فأسأل اللهَ أن يوفِّقكم إلى المزيد من التَّقدم ، والأخ الفاضل يشكو تأخُّرَ وصول المجلة إليه، رغم اشتراكه بها ، وإِلحاحه في الحصول عليها.

✍ **الأصالة** : نرحِّب بك يا أخ خالد ونأسف عن تأخُّر وصول **الأصالة** إليك ، والحقيقة أنه لا يد لنا نحن أُسرة التحرير في ذلك ، لأنَّ أَمر اشتراكات **الأصالة** داخل دول الخليج من شأن الأخ الموزع ، وقد ذكرنا له بعض شكواكم ، وَوَعَدَنا خيرًا ، آملين أن يسعنا حلمك وصبرك وسترى خيرًا إن شاء الله ، ومعذرة إليك مرة أخرى ، والله يحفظك .

✉ ووصلت إلى **الأصالة** رسالة من الأخت في الله أُمِّ الفاروق عمَّان – جبل الحسين .

تقول فيها : يسرُّنا بدايةً أن نشكركم الشُّكر الجزيل على إِصدار مجلة **الأصالة** والتي نجد فيها – نحن الفتيات المسلمات الملتزمات بمنهج السنة والكتاب إن شاء الله – أصالتنا المنشودة ، ونسعى إلى الاشتراك في هذه المجلة دائمًا ، وشراء أَعدادِها الصادرة أوّلًا بأول لكي نقرأ مواضعيها الثمينة وأخبارها الهادفة ، فجزاكم الله عنا كل خير ، وإن مجلتنا الغراء **الأصالة** هي من أوائل المجلات المختصة بمنهجِ السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وحبّنا لهذه المجله دفعنا إلى أن نرقى بها إلى درجات الكمال

البشري ، الذي يجعل الجميع يهفو إلى قراءتها واقتنائها والاطلاع عليها .

وكلّنا أمل بكم أيها الأخوة الأفاضل أن تحوز مجلتنا **الأصالة** على بعض من اهتمامكم في شؤون المرأة .

وتقترح الأخت الفاضلة المشاركة في زاوية في **الأصالة** تهتم بشؤون المرأة مشاركة منها في الخير لدعم مسيرة المرأة .

✍ **الأصالة** تشكر الأخت الفاضلة أم الفاروق وتشكر لها مشاعرها الصادقة نحو **الأصالة** وتشيد بموقفها تجاه **الأصالة** وأسرة تحريرها ونرحب بك يا أخت أمّ الفارق زميلة لـ **الأصالة** ، ونرحب بمشاركتك راجين أن تُرسلي لنا بعض إنتاجك لنعمل على دراسته ونشر ما يتيسّر نشره ضمن زاوية المرأة التي أَشرتِ إليها ، بارك الله فيك وفي أمثالك من الأخوات الفاضلات ، ولا ريب أن ما ستقدِّمينه سيعمل على إثراء مجلتنا **الأصالة** وجزاك الله خيرًا .

✉ ووصلت إلى **الأصالة** من الأخ أسامه غندر كوسه ، يقول فيها : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

أولًا : نحن نتابع هذه المجلة الغالية على قلوبنا ، ونسأل الله عز وجل أن يوفق القائمين عليها لما يحبُّ ويرضى .

والأخ يشكو في رسالته عدم وصول الأعداد إليه ، رغم اشتراكه ودفعه قيمة الاشتراك لسنة واحدة ، ويأمل أن يصله تفسير لما حدث ، ويدعو بالتوفيق لـ **الأصالة** وأسرة تحريرها .

✍ و**الأصالة** تشكر الأخ أُسامة غندر على رسالته ومشاعره ، أما بخصوص تأخر الأعداد في الوصول إليك فنرجو منك الأتصال بالأخ عبدالله الدوسري موزع **الأصالة** عندكم مع التماس العذر له ولنا ، فالتأخر الذي وقع لك ليس مقصودًا ،والتقصير من طبع البشر، ونحن حريصون على وصول الأعداد لأصحابها ، والله يحفظكم .

دوائر متقاطعة

التحرير

لقد تداعتْ (الأُمَمُ) و (هيئتُها) على ديارِ الإسلامِ حتّى كَثُرتْ (الأَخلاطُ) ؛ فسرت في جسمِ الأُمّةِ أَمراضُ التَّميّعِ العقديِّ والسلوكيِّ تحت شعاراتٍ (برّاقة) ودعايةٍ (مضللة) من (نبذ) التعصب ، و (محاربة) التَّطرُّفِ ، و (قَمْعِ) الإِرهابِ ، الأُخوّةِ في (الانسانيّة) ، و (التعايشِ) بين أَبناءِ إِبراهيمَ ، فانفرطَ العقد وسقطتْ واسطتُه في الشَّرَكِ بلا ثمنٍ ، وثارَ الدَّخنُ ، وظهرتْ الإِحنُ ... فرفعَ الَّذينَ في قلوبِهم مرضٌ عقيرتَهم : ﴿ فَتَرى الَّذين في قلوبِهم مَرَضٌ يُسارعونَ فيهم يقولونَ نخشى أَن تصيبَنا دائرةٌ فعسى اللهُ أَنْ يأْتيَ بالفتحِ أَو أَمرٍ من عندِه فيصبحوا على ما أَسرُّوا في أَنفسِهم نادمين ﴾ .

وهذه كلماتٌ تحصِّنُ المسلمَ ليبقى في عرينه ، ولا يغادرَه فيألف العيشَ على الدِّمن .

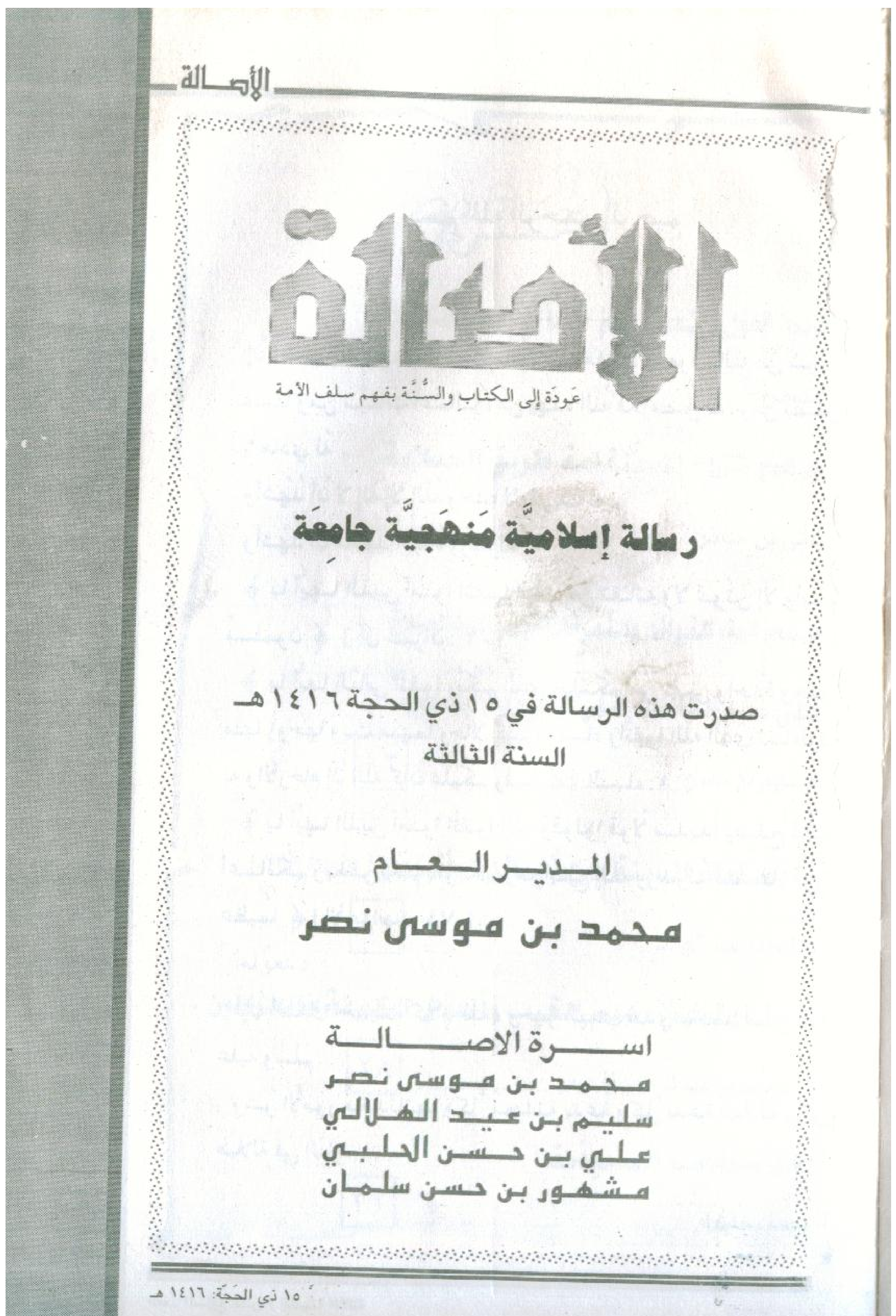
أَلم يسمعْ هؤلاءِ المتهوِّكونَ قولَه تعالى : ﴿ ما كانَ إِبراهيمُ يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كانَ حنيفاً مُسلماً ﴾، وقوله : ﴿ وقالوا كُونوا هُوداً أَو نصارى تهتدوا بَلْ ملّةَ إِبراهيمَ حنيفاً وما كانَ من المُشركينَ ﴾ .

أَلم يتدبّرْ الخوالفُ قولَه جلَّ جلالُه الَّذي يقرعُ الآذان : ﴿ لتجدَنَّ أَشدَّ الناسِ عداوةً للَّذينِ آمنوا اليهودَ والَّذينَ أَشركُوا ﴾ الآية ؟

أَلم يأْنِ للمتغافلينَ أَن يعلموا الحقيقةَ ؛ ﴿ ولن ترضى عنْكَ اليهودُ ولا النصارى حتّى تتبعَ ملّتَهم ﴾ .



ولكن ؛ نحن على بيّنةٍ في ربِّنا : ﴿ ولا تحسبَنَّ اللهَ غافلاً عمّا يعملُ الظالمون إنَّما يؤخرهم ليوم تشخصُ فيه الأَبصار . مهطعين مقنعي رؤوسِهم لا يَرْتدُّ إليهم طرفهم وأَفئدتُهم هواء . وأَنذرِ الناسَ يومَ يأْتيهمُ العذابُ فيقول الَّذين ظلموا ربّنا أَخرنا إلى أَجلٍ قريبٍ نجب دعوتَكَ ونتبعِ الرُّسلَ أَولم تكونوا أَقسمتم من قبلُ ما لكم زوال . وسكنتم مساكنَ الذين ظلموا أَنفسَهم وتبيَّنَ لكم كيفَ فعلْنا بهم وضربنا لكمُ الأَمثالَ . وقد مكروا مكرهم وعند اللهِ مكرهم وإِنْ كانَ مكرُهم لِتزولَ منه الجبالُ . فلا تحسبنَّ اللهَ مخلفَ وعدِه رُسُلَه إِنَّ اللهَ عزيزٌ ذو انْتقام ﴾ .



الأصالة

عَودَة إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

رسالة إسلاميَّة مَنهَجيَّة جامِعَة

صدرت هذه الرسالة في ١٥ ذي الحجة ١٤١٦ هـ
السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للَّه نحمده ونَستعينُهُ ونَستغفرُهُ، ونَعوذُ باللَّه من شرورِ أنفُسنا ومن سَيِّئات أعمالنا، مَن يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ لهُ، ومَن يُضلل فلا هاديَ لهُ.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ.

وأَشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورَسولُهُ.

﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقوا اللَّه حَقَّ تُقاته ولا تَموتُنَّ إلا وأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكُم الَّذي خَلَقَكُم من نَفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا اللَّه الَّذي تَساءَلون به والأرحام إنَّ اللَّه كانَ عَليكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقوا اللَّه وقولوا قَولاً سَديداً يُصلحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّه ورَسولَهُ فقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١].

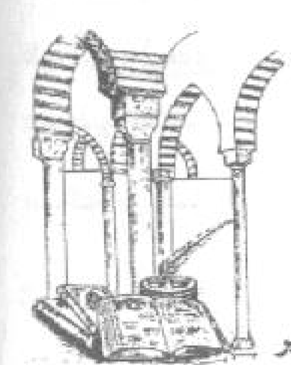
أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديث كلامُ اللَّه، وخيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ صلَى اللَّه عليه وسلَم.

وشرُّ الأُمورِ مُحدثاتُها وكلُّ مُحدثةٍ بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

المحتوى

تعظيم شأن العلماء



التحرير

لقد أولى الإسلامُ العلمَ والعلماءَ أهميةً بالغةً ، وأعطاهما منزلةً سامقةً ، قال تعالى :

﴿ يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فبيَّن الله في هذه الآية رفعة العلماء من بين الأمة على سائر الناس ، وأنَّ لهم درجات فوق درجات غيرهم بدرجات .

كيف لا ، وهم أهل خشيته وأهل ولايته ؟! قال تعالى : ﴿ إنَّما يخشى اللهَ منْ عباده العلماءُ ﴾ ، فالعلماء الربانيون العاملون ، هم الذين يخشون الله حقًّا بشهادة الله لهم .

ومن لا يخشى الله فليس بعالمٍ ، ولو حاز أعظم الشهادات ، وأعلى الدَّرجات العلمية .

ولما كانت الحاجةُ إلى العلم شديدة حتى في أظلم عصور الجهل بدأ الله بالعلم ، مع أنَّ الحاجةَ إلى دعوة الناس للأخلاق والفضائل آكد وألزم ، قال تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربُّك الأكرم الذي علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، فلشرف العلم بدأ الله به ، ولأنه أصل الفضائل ومنبع المحاسن بدأ الوحي به .

وأصل صلاح البشرية بالعلم ، فالعلمُ هو وسيلة الإصلاح الأُولى ، قال تعالى : ﴿ هو الذي بَعَثَ في الأُميِّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويُزَكِّيهم ويعلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانُوا منْ قَبلُ لفي ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ .

وقد امتنَّ اللهُ على عباده بالعلم مشيراً إلى عظم هذه النِّعمة ، فقال : ﴿ والله أخرجكم من بُطُونِ أُمَّهاتكم

لا تعلمون شيئًا وَجَعَلَ لكم السَّمعَ والأبصارَ والأفئدةَ ﴾ .

وجعل اللهُ العلماءَ شهداءَ في أرضه على توحيده وعبادته ، قال تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائمًا بالقِسْطِ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ، فبدأ بنفسه وثنى بملائكة قُدُسه ، وثلَّث بأهل العلم من خلقه .

وبيَّن اللهُ سبحانه أنَّ التربية الربانية إنما تحصل بالتعليم والتدريس، القائمَين على المنهج الصحيح ، قال تعالى : ﴿ ولكنْ كُونُوا ربّانيِّين بما كُنتم تُعلِّمون الكتابَ وبما كُنْتم تَدْرُسُون ﴾ .

وجعل الله العلماء خلفاء رسله وورثة أنبيائه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ العُلماءَ ورثةُ الأنبياء وإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا ديناراً ولا درهمًا ، وإنَّما ورَّثوا العلمَ، فمن أخذ به أخذ بحظّ وافرٍ »

وطاعتُهم فيما أصابوا به الحقَّ واجبةٌ ، لأنهم هم أُولو الأمر الديني ، الّذين أمر الله بطاعتهم بعد طاعته سُبحانه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ .

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبجيل العلماء وتوقيرهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس منّا مَنْ لم يعرف لعالمنا قدره » .

فالواجب على الأمة تعظيمُ شأنِ العلماء وتقديمُهم ، والكفُّ عن زلاتهم وهفواتهم ، وهفواتُهُم الاجتهادية وإنْ كَثُرتْ فلا تحطُّ من أقدارهم ، ولا تُسوِّغ لأحد نبزهم أو لمزهم أو التطاول عليهم ، فالمجتهد مأجور أصاب أم أخطأ ، والله لم يتعبد الأمة بزلات العلماء : « فكلُّ رجل يُؤخذُ من قوله ويُردُّ عليه ، إلا النبيَّ صلى الله عليه وسلم » كما قال الإمام مالك رحمه الله ، ولكنَّ الردَّ ينبغي أن يكونَ بأدب ، ورفقٍ ونُصحٍ ، ومحبةٍ، لا بتشهيرٍ ، وقذف، ولعن ، وتكفير ، وتحقير ، فكل ذلك ليس من أخلاق المسلمين.

وقد نبتت في هذا الزمان نابتةُ سوء ؛ أُناسٌ لا همَّ لهم إلا الطَّعن في العلماء، والتحريض عليهم ، والتنفير منهم ، فتارة يتهمونهم



بالعمالة ! وتارة يتهمونهم بالجهل بفقه الواقع ! وتارة بأنهم أتْباع ذيل بغلة السلطان ! وتارة بأنهم لا يعرفون إلا الحيض والنفاس، كل ذلك من أجل أنْ يَعْلوا على ظهورهم ، ويصرِفُوا وجوهَ النَّاس إليهم !!

أمَا عَلِمَ هؤلاء أنَّ مِنْ علامة أهل البدع الوقوعَ في أهل العلم ، العاملين، الربانيين ، الذين ما شَهِدَتْ عليهم الأمةُ إلا خيراً؟

وقد استغلَّ هؤلاء – أصْلَحَهَم الباري – كلَّ وسيلةٍ للطَّعن في علمائنا ، وذلك من خلال المنابر ، والصُّحُف ، والأشرطة ، وأحدثوا في الأمة فتَنًا ، لا قِبَلَ للمسلمين بإطفائها ، أو إخمادها ، ورحم الله الحافظَ ابن عساكر حيث قال : « لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في منتقصهم معلومة ، ومن تناول العلماء بالثَّلْبِ ، ابتلاه الله بموت القلب » .

وإنَّ عدمَ الإصغاء لتوجيهات العُلماء ونصائحهم – وبخاصَّةٍ في القضايا الكِبَار – يُوجِد الفتنَ ، والدَّمار ، والغلوَّ ، والانحراف ، والتاريخ أكبرُ شاهدٍ على ذلك قديمًا وحديثًا .

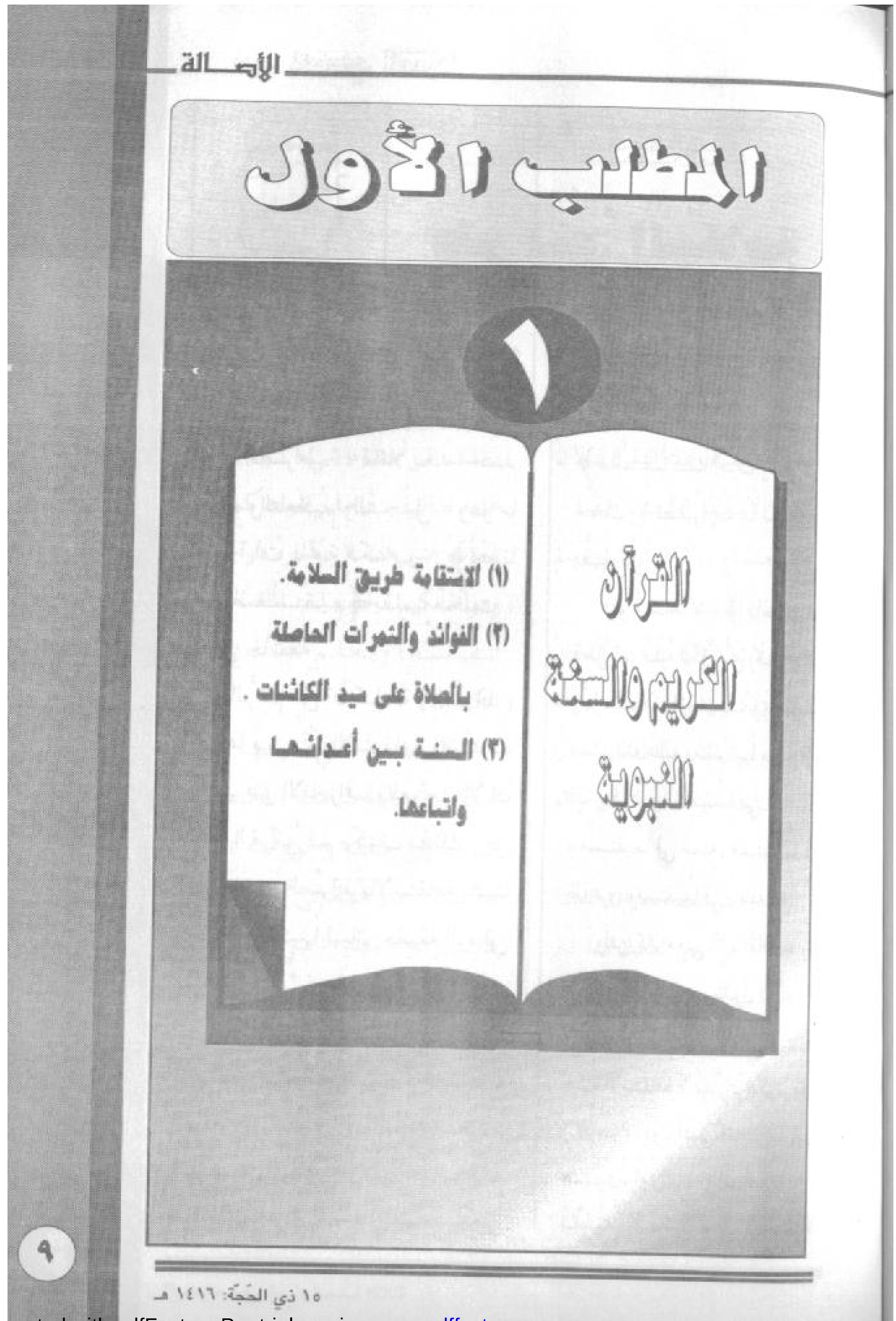
فهل تدرك الأمةُ منزلةَ علمائها المخلصين العاملين ، ليأخذوا بيدها إلى سبيل الرَّشاد ؟!

وما ذلك على الله بعزيز .

□□□□□

قال صالح بن جناح :

تعلَّم إذا ما كنت ليس بعالم	فما العلم إلا عند أهل التعلُّم
تعلَّم فإن العلم زينٌ لأهله	ولن تستطيعَ العِلْم إن لم تعلَّم
تعلم فإن العلم أزين بالفتى	من الحلَّة الحسناء عند التكلُّم
ولا خير فيمن راح ليس بعالم	بصيرٍ بما يأتي ولا متعلِّم


المطلب الأول
١
القرآن الكريم والسنة النبوية
(١) الاستقامة طريق السلامة.
(٢) الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على سيد الكائنات .
(٣) السنة بين أعدائها واتباعها.

الاستقامة

طريقُ السَّلامة

علي بن حسن

يَدْعو المسلمُ ربَّهُ في كُلِّ يومٍ وليلةٍ بضعَ عشرةَ مَرَّةً (دعاءً واجباً مفروضاً) أنْ يهديَهُ سويَّ الصِّراط..، قائلاً بعد الحمد والثناءِ والتعظيمِ والتَّبجيلِ – وهو ما تحويه آياتُ فاتحة الكتاب –: ﴿اهْدنا الصِّراطَ المستقيم﴾ بقلبٍ مُخْبِتٍ، ونفسٍ خاشعة.

وبالرُّغم من أنَّ كلمة (الصِّراط) وحدَها مُشعرةٌ بالاستقامة والسَّداد، والبُعد عن الانحراف والعوَج، إلاَّ أنَّ النصَّ القرآنيَّ لم يكتف بذلك، بل أكَّد وصفَ الصِّراط بالاستقامة تثبيتاً لمعناه، وتأكيداً لبيان حقيقة أثرِه في نفسه.

والكلامُ في الاستقامة، وأثرها في سلامة القلب، وخُضوع الجوارح، كثيرُ الجوانب ومُتَعَدِّدُ الشُّعَب، لكنَّ آيةً من كتاب اللّه سبحانه أعطت – بما تضمَّنته من جوامع المعاني – قدْراً كبيراً من الإيضاح والبيانِ والظهور؛ ألا وهي قولُه تعالى في سورة هود: ﴿فاستَقِمْ كما أُمرتَ ومَن تابَ مَعَكَ ولا تَطْغَوا إنّه بما تعملون بصير﴾.

فقولُهُ سبحانَه: ﴿فاستَقِمْ﴾ فعلُ أمرٍ مُلزِمٌ لكلِّ مَن رضي باللّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّد صلى الله عليه وسلم نَبيّاً ورسولاً، أن يكونَ مستقيمًا في علمه، ومستقيمًا في عَمله، مستقيمًا في ظاهره، ومستقيمًا في باطنه.

ولئن كان معنى الاستقامة ظاهراً – أيضاً – في مدلول الالتزام والطاعة، لكنَّ النصَّ القرآنيَّ أكَّد أنَّ هذه الاستقامة لا بُدَّ أنْ تكونَ وَفْقَ (الأمر)، دُون أدْنى انحرافٍ إلى هوًى، أو رأيٍ، أو عادةٍ، أو تَقْليد؛ ﴿فاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ﴾

بالكتاب والسُّنَّة ، وبالهدْي الصَّحيح ؛ كما قال ابْنُ عُيَيْنَةَ : «استقمْ على الأمر»، وقال ابنُ قُتيبة : «امْضِ على ما أُمِرتَ به»[1] .

﴿ وَمَن تابَ مَعَكَ ﴾ مَن أقبلَ على الله سبحانه ؛ بالتوبة ، والإنابة، والرجوع عن المعصية على درجاتها كافّةً .

وهذه المعيّةُ – هُنا – يُراد بها أيضًا الاعتصامُ وعدمُ التفرُّق ، لأنَّ المؤمنين لا يكْمُلُ إيمانُهم – حقًّا – إلا بالاجتماع ، ولا تصلُحُ شؤونُهم – صدقًا – إلاّ بالتوحُّد .

﴿ ولا تَطْغَوْا ﴾ فَتُجاوِزوا الحدَّ المرسومَ لكم بضوابطه الشرعيَّة المعتبرة، سواءٌ أكان هذا التَّجاوُزُ غلوًّا في مُخالفة ، أو تعصُّبًا لرأي ، أو تلبُّسًا ببدعة .

وقد اختلفَتْ عبارات أئمّة السَّلَف[2] في معنى الطغيان هنا :

فورد عن ابن عبّاس قولُهُ : « لا تَطْغَوْا في القرآن ، فَتُحلُّوا وتُحَرِّمُوا ما لم آمُرْكم به » .

وورد عن ابن زيد أنه قال : « لا تعصوا ربَّكم ولا تُخالفوه » .

وورد عن مُقاتل قولُهُ : « لا تخلطوا التَّوحيدَ بشركٍ »[3] .

ولئن اختلفت العبارات هَا هُنا ، لكنها جميعًا تدلُّ على معنًى واحدٍ مُؤتلفٍ غيرِ مُختلف ؛ ألا وهو مُجاوزة الحدِّ .

﴿ إنَّه بما تعملون بصيرٌ ﴾ لا يغيبُ عن بصرِه شيءٌ ، ولا تخفى عليه خافيةٌ ، فيعلمُ ظواهركم ، ولا تعزُبُ عن علمه وبَصَره دواخِلُكُم وبواطِنُكُم ، فيعلمُ المُصلحَ من المُفسِدِ ، ويعلمُ الصَّادقَ من الكاذب .

فالاستقامةُ التي أُمر بها المسلمُ استقامةٌ عامّةٌ شاملَةٌ ؛ فكما أنّها تتوجَّهُ إلى عمله وجوارحه ، فإنّها – أيضًا – مُتَوَجِّهةٌ إلى علمه ونيَّته ، مّما سيؤثّر – بعد – في سلوكه مع نفسه، ومُعاملته مع ربِّه، ومُعاشرته مع إخوانه . ❑

❑❑❑❑❑❑

(١) «زاد المسير» (٤/١٦٤).

(٢) كما في المصدر السابق نفسه.

(٣) وقع في «زاد المسير»: بشك، ولعلّ الأنسب ما أثبتُّه.

الفوائد والثمرات

الحاصلة بالصلاة على سيد الكائنات

« صلى الله عليه وسلم »

مشهور بن حسن

للصلاة على رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم فوائد وثمرات وبركات في الدّارين، نجمعها [1] في الآتي:

الأولى : امتثال أمر اللّه سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿إن اللّه وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾

الثانية : موافقته سبحانه في الصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم : وذلك وارد في الآية السابقة ، وفي أحاديث كثيرة ، يأتي بعضها.

والصلاتان مختلفتان، فصلاتنا عليه صلّى اللّه عليه وسلم دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف ، وقد فصل هذا الإمام ابن القيم في « جلاء الأفهام » وكذا شيخه ابن تيمية في « تفسيره » (٤ / ٥٩٢).

الثالثة : موافقته الملائكةَ في ذلك، وذلك وارد في الآية السابقة.

الرابعة : حصول عشر صلوات من اللّه على المصلّي مرة.

أخرج مسلم في « صحيحه » (رقم ٤٠٨) عن أبي هريرة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم قال: « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً ».

الخامسة : أنه يكتب له عشر حسنات.

ورد ذلك في بعض طرق حديث أبي هريرة السابق، أخرجه أحمد (٢ / ٢٦٢) ، وإسماعيل القاضي في: « فضل الصلاة على النبي صلّى اللّه عليه وسلم » (رقم ١١)، وأبو يعلى (١١ / رقم ٦٥٢٧)، وابن حبان (٣ / رقم ٩٠٥) ، وإسناده حسن.

---

(١) وهي مذكورة – عدا التاسعة – في « جلاء الأفهام » لابن القيم، وسردها، دون الأدلة.

السادسة : أنه يرفع له عشر درجات .

السابعة : أنه يمحى عنه عشر سيئات .

أخرج النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٢) بإسنادٍ صحيح عن أنس مرفوعاً:

«مَن صلى عليَّ صلاةً واحدةً، صلى اللّه عليه عشر صلوات ، وحطَّ عنه بها عشر سيِّئات ، ورفعه بها عشر درجات » .

الثامنة : أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه .

التاسعة : الخروج من الظلمات إلى النور .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى :« إنَّ الذِّكر يوجب صلاة اللّه عز وجل وملائكته على الذاكر ، ومن صلى اللّه تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كلَّ الفلاح ، وفاز كل الفوز ، قال سبحانه وتعالى :﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾، فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته ، إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من اللّه تبارك وتعالى وملائكته ، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأيُّ خير لم يحصل لهم؟! وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم ؟! فيا حسرةَ الغافلين عن ربِّهم ماذا حُرِموا من خيره وفضله ؟!، وبالله التوفيق »[(١)] .

قلت: وصلاة اللّه تعالى وملائكته يتحصل عليها العبدُ إنْ صلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ يدخل ضمن قوله: ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ .

ولي جزء مفرد – يسر الله إتمامه – في أسباب الخروج من الظلمات إلى النور، وعنوانه «فتح من العزيز الغفور» .

العاشرة : أنها سبب لطيب المجلس ، وأن لا يعود حسرةً على أهله يوم القيامة .

أخرج ابن حبان في «صحيحه» (٣/ رقم ٥٩١) بسندٍ صحيح على شرطِ

(١) «الوابل الصيب» (ص١٠٠)

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم:«ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله فيه ، ويصلّون على النبي صلّى الله عليه وسلم، إلا كان عليهم حسرةً يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب» .

الحادية عشرة : أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمَّه .

أخرج الترمذي (٢٤٥٧)، وأحمد (٥/ ١٣٦)، والحاكم (٢ / ١٥٣)، وعبد بن حميد في « المسند » (رقم ١٧٠ – المنتخب)، و إسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلم »(١٤)، ومن طريقه السبكي في « طبقاته » (١ / ١٧٣)، وابن شاهين في « الترغيب والترهيب » (الرقم ٢١) عن أبي بن كعب قال : « كان رسول الله صلى الله عيه وسلم إذا ذهب ربع الليل ، قام ، فقال : « يا أيها الناس ! اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموتُ بما فيه ، جاء الموت بما فيه» .

قال أُبيٌّ : قلت : يا رسول الله ! إني أُكثر الصَّلاةَ عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ما شئت . قلت : الربع ؟ قال : ما شئت ، وإن زدتَ فهو خير. قلت: النصف ؟ قال : ما شئت ، وإن زدتَ فهو خير . قال : أجعل لك صلاتي كلها قال : إذاً تُكفى همَّك ، ويغفر لك ذنبك» .

وإسناده فيه كلام، عبدالله بن محمد بن عقيل ، ضعَّفه الأكثر ، ومشاه جماعة من الأئمة الكبار ، كأحمد ، وابن المديني ، والترمذي .

وللحديث شاهد عن حبان بن منقذ عند الطبراني (٤ /رقم ٣٥٧٤) ، وإسناده حسن في الشواهد ، وانظر:« مجمع الزوائد » (١٠ /١١٨) .

وسبب كفاية الله عبده ما أهمه : صلاته – عز وجل – عليه ، المتحصِّلة من صلاة العبد على نبيّه صلوات الله وسلامه عليه .

الثانية عشرة: أنها تَهْدي صاحبها إلى طريق الجنة، وتخطيء بتاركها عن طريقها .

أخرج التيمي في «الترغيب» (رقم ١٦٥٨–ط زغلول) و (رقم١٦٨٥–ط دارالحديث)، وابن الأعرابي في «معجمه»، (رقم ٣٥٤)، والبيهقي في « السنن» (٩/ ٢٨٦)، وفي « الشعب» (٢ /رقم ١٥٧٤–ط زغلول) و(٤ /٢٠٦ الهندية)،

و« الدعوات الكبير » (١٥٤)، وابن شاهين في « الجزء الخامس من الأفراد » (رقم ٨١)، وابن الجراح في « الخامس من الأمالي »، والرشيد العطار، وأبو موسى المديني في « الترغيب » كما في « القول البديع » (ص ١٤٦) بإسنادٍ حسن عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: « من نسي الصلاة عليّ خَطيء طريق الجنّة ». وهو صالح في الشواهد .

الثالثة عشرة : أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والارض ، فإن المصلّي طالبٌ من اللّه أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرِّفه ، والجزاء من جنس العمل ، فلا بُدَّ أن يحصل لِلْمُصَلّي نوع من ذلك .

الرابعة عشرة : أنها سبب للبركة في ذات المصلّي وعمله وعُمُره وأسباب مصالحه، لأنَّ المصلي داعٍ ربَّه أن يبارك عليه وعلى آله ، وهذا الدُّعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.

الخامسة عشرة : أنها سبب لنيل رحمة الله له ، لأن الرحمة إما في معنى الصلاة ، كما قاله طائفة ، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح ، فلا بُدَّ للمصلي عليه من رحمة تناله .

وهناك ثمرات وبركات ، بعضها صحَّ في الأثر ، والآخر له حظ وافر في النَّظر المنضبط بأصول أهل السنة والجماعة .

وهنالك ثمرات واردة في أحاديث ضعيفة مرسلة ، نأتي – إن شاء اللّه تعالى – على ذكر ما تبقى من القسمين الأولين في عددٍ قادمٍ ، يسر اللّه ذلك بمنه وكرمه.

وصلى اللّه وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه .



الحلقة الثالثة

السنة بين أعدائها و أتباعها

سليم بن عيد الهلالي

السنّة وحي يوحى:

إنّ السنّةَ المطهّرةَ محفوظةٌ بحفظ الله لها ، فهي والقرآنُ وحيٌ من لدن حكيمٍ عليمٍ.

وهي مسالةٌ أحببتُ التنبيه عليها لأهمّيتها ، لأنّها تؤكّد أنّ السنّة المطهرة محروسةٌ من الضّياع محفوظةٌ من الزّوال مأمونة الاختلاط بغيرها وهاك أيّها المسلم! الأدلّةَ تترى لتدحض باطلَ مَنْ أراد بالسنّة سوءاً!، فيطمئنَّ قلبك ويزدادَ إيمانُك ، فَتَعَضَّ بالنّواجذ على هدي نبيّك محمد صلى الله عليه وسلم وسنّة خلفائه الراشدين المهديين.

أولاً : القرآن الكريم :

أ- قال تعالى : ﴿واذكروا نعمةَ الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾.

وقال جلّ ثناؤه : ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾.

فالمرادُ بالحكمة في هذه الآيات البيّنات : سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله تعالى : ﴿واذْكُرْنَ ما يُتلى في بُيوتكنّ من آيات الله والحكمة﴾ وهل كان يُذكر في حجرات الرسول صلى الله عليه وسلم إلاّ القرآن الكريم وسنّته المطهرة؟!

قال الإمام الشافعيّ رحمه الله :

«فذكر اللهُ الكتابَ وهو القرآن ، وذكر الحكمة ، فسمعتُ من أرضى من أهل العلم يقول : الحكمة سنة رسول الله ، وهذا يشبه ما قال ، والله أعلم ، لأنّ القرآن ذُكر وأُتبعته الحكمة ، وذَكَر اللهُ منّتَهُ على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة ، فلم يَجُز – والله أعلم – أن يقالَ: الحكمةُ ها هنا إلاّ سنة رسول الله ، وذلك أنّها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله ، وحتّم على النّاس اتباع أمره ، فلا يجوز أن يقال لقول :فرض، إلا لكتاب الله ثم

سنة رسوله». [(١)] ا.هـ

وقال إمام أهل التفسير ابن جرير الطبري – رحمه الله – «الحكمة، يعني: وما أنزل عليكم من الحكمة، وهي: السنن التي علمكموها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وسنّها لكم» [(٢)].

وقال القرطبيُّ – رحمه الله –: «الحكمة هي السنّة المبيّنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، مراد الله فيما لم ينصّ عليه في الكتاب» [(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – «.... والحكمة، قال غير واحد من السّلف: هي السنّة، وقال أيضاً طائفة كمالك وغيره: هي معرفة الدين والعمل به، وقيل غير ذلك.

وكلُّ ذلك حقٌّ، فهي تتضمّن التمييز بين المأمور والمحظور، والحقُّ والباطل، وتعليم الحقّ دون الباطل، وهذه السنة التي فُرِّق بها بين الحقّ والباطل، وبيّنت الأعمال الحسنة من القبيحة، والخير من الشرّ» [(٤)].

وقال الشوكانيُّ – رحمه الله –: «والحكمة، قال المفسرون: هي السنّة التي سنّها لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم». [(٥)]

ويعضد أقوال هؤلاء الأئمّة أنّ الله سبحانه وتعالى بيّنَ في كتابه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بُعثَ ليعلّم النّاس الكتاب والحكمة ويزكّيهم، قال تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بَعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين﴾.

وقال: ﴿هو الذي بعثَ في الأُمّيينَ رَسُولاً منهم يتلُو عليهم آياته ويُزَكّيهم وَيُعَلّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين﴾.

وهل علّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين إلاّ القرآن الكريم والسنّة المطهرة؟!

وبذلك تظهرُ دلالةُ الآيات بأنّ الحكمة التي أنزلها اللهُ مع القرآن الكريم هي سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب– قال تعالى: ﴿إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾، وليس من شكٍّ أنّ الذكر أول ما يشمل كتاب الله

(١) «الرسالة» (ص٧٨) (٢) «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢/٢٩٦). (٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٣/١٥٧). (٤) «معارج الوصول» (ص ٢٢) (٥) «فتح القدير» (١/٢٤٢)

العزيز ، لقوله جلَّ شأنه : ﴿ وهذا ذِكْرٌ مباركٌ أنزلناهُ أفأنتم له منكرون ﴾ وقوله : ﴿ إنَّ الذين كفروا بالذِّكر لمّا جاءهم وإنّه لكتاب عزيزٌ . لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ ﴾ .

وقوله : ﴿ وإنه لَذِكْرٌ لكَ ولقومِكَ وسوفَ تُسألون ﴾ .

وعند التحقيق يشمل السنّة النبويّة الشّريفة ، لقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما نزل إليهم ولعلّهم يتفكّرون ﴾،لأنَّ الذكر المذكور في هذه الآية مُنْزَلٌ ليبين للنّاس ما نُزِّلَ إليهم، فهو تبيانٌ وتفصيلٌ ، لِمَا نزَّله الله مجملاً ، وهذا أمر السنّة ، فقد شَرَحَتْ مُشكِلَه ، وفصَّلَت مُجملَه ، وبيَّنَتْ معناه .

(وبيان ذلك) : أنَّ الصلاة والزكاة ذُكِرتَا في القرآن مُجْمَلَتَين فجاءت السنّة وبَيَّنَتْ مواقيتها ، ومقاديرها ، وكيفيتها ، وعدد ركعاتها ،و . . .

وكذلك جلُّ شرائع الإسلام .

وبذلك نجزم أنَّ السنّة تدخلُ في عموم قوله تعالى : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ .

ونقتصر هنا على شطر الآية الأولى ، وسيأتي الكلامُ على الآخير قريباً إن شاءَ الله تعالى .

ج- قال تعالى : ﴿ وما يَنطِقُ عَنِ الهَوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، إنَّ هذه الآيات تشمل كلَّ ما ينطق به الرسول ، ولم تُفرِّق بين قرآنٍ وسنّةٍ ، فهي على عمومها حتّى يأتي نصٌّ يخصصها بالقرآن ويخرج السنّة ، وهيهات هيهات!

ويزيد الآية وضوحًا : أنَّ القرآن الكريم قرر في غيرِ موضع أنَّ الرسول ما عليه إلاّ البلاغ المبين ، كقوله تعالى : ﴿ فإنّما عليه ما حُمّل وعليكم ما حُمِّلْتُمْ وإنْ تُطيعوه تهتدوا وما على الرّسول إلا البلاغُ المبين ﴾ .

بل إنَّ الله جلَّ جلاله أمر الرسول صلّى الله عليه وسلم أن يتبع الوحي : ﴿ واتَّبِعْ ما يُوحَى إليكَ من ربّك ﴾ وأمره أن يخبر النّاس بهذه الحقيقة : ﴿ قل إنّما أتبع ما يُوحى إليّ مِنْ ربّي ﴾ .

ثانياً : السُّنّةُ :

أ- عن المقدام بن معدي كَرِب رضي الله عنه قال : قال رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم :« ألا إنّي أُوتيتُ الكتابَ ومثله معه »[1] .

---

(١) مضى تخريجه .

١- قال الخطابي - رحمه الله - في «معالم السنن»:

«يحتمل وجهين:

أحدهما: أنَّ معناه أنّه أُوتي من الوحي الباطن غير المتلوّ، مثل ما أُعطي من الظاهر المتلوّ.

والثاني: أنّه أُوتي الكتاب وحيًا يُتلى، وأُوتي من البيان مثله، أي: أذن أن يبيّنَ ما في الكتاب فيعمّ ويخصّ، ويزيد عليه ويشرح ما في الكتاب، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قَبوله، كالظاهر المتلوّ، من القرآن».

٢- قال البغويّ - رحمه الله - في «شرح السنّة» (١/٢٠٢): «أراد به: أنه أُوتي من الوحي غير المتلوّ، والسنن التي لم ينطق القرآن بنصها، مثْلَ ما أوتي من المتلوّ؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ويُعلِّمهم الكتابَ والحكمة ﴾. فالكتاب هو القرآن، والحكمة، قيل: هي السنّة.

أو أُوتي مِثْلَهُ في بيانه، فإنَّ بيانَ الكتابِ إلى الرسولِ صلّى اللّه عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الذِّكرَ لتُبيِّنَ للنّاسِ ما نُزِّل إليهم ﴾».

٣- قال ابن حزم - رحمه الله - في «الإحكام» (٢/ ٢٢):

«صدقَ النبيّ صلى الله عليه وسلم، هي مثل القرآن، ولا فرق في وجوب طاعة كلّ ذلك علينا، وقد صدّق اللهُ تعالى هذا القول، إذ يقول: ﴿ مَن يُطع الرّسولَ فقد أطَاعَ الله ﴾.

وهي أيضاً مثلُ القرآن في أنَّ كلَّ ذلك وحي من عند الله تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى ﴾.

عن أبي هريرة وزيد بن خالد - رضي الله عنهما - قالا:

كنّا عند النبيِّ صلّى اللّه عليه وسلم، فقام رجل، فقال: أنشُدك الله ألا ما قضيتَ بيننا بكتاب الله فقام خصمُه، وكان أفْقَهَ منه، فقال: اقضِ بيننا بكتابِ الله وائذن لي، قال: قل، قال: إنَّ ابني هذا كان عسيفاً [1] على هذا، فزنى بامرأته، فافتديتُ منه بمئة شاة وخادم، ثمّ سألت رجالاً من أهل العلم فأخبروني أنّ على ابني جلد مئة وتغريب عام، وعلى امرأته الرَّجم، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما

(١) هو الأجير.

بكتاب الله جلَّ ذكره ، المئة شاة والخادم ردٌّ ، وعلى ابنك جلدُ مئة وتغريب عام، واغدُ يا أُنيسُ ! على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها »، فغدا عليها، فاعترفت ، فرجمها ». [(١)]

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٣ / ٢٤٣):

« واقتصر البخاري هنا عليه لدخوله في غرضه من أنَّ السنّة يطلق عليها(كتاب الله) ، لأنها بوحيه وتقديره ، لقوله تعالى: ﴿ وما ينطقُ عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ».

قلت : رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالجلد والتغريب ، وليس التغريب في القرآن ، فظهر أنَّ سنّة رسول الله يطلق علها كتاب الله، فافهم .

ثالثاً : أقوال أهل العلم :

١- قال التابعيُّ الجليل حسّانُ بن عطيّة – رحمه الله –:

« كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسُّنَّة، كما ينزلُ بالقرآن ، يعلمه إياها كمايعلمه القرآن » [(٢)]

٢- قال الخطيب البغدادي – رحمه الله – في « الفقيه والمتفقه » (١ /٩٠-٩١):

« قال بعض أهل العلم : لم يَسُنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُنَّةً إلاَّ بوحي » ونقل ذلك عن أجلاء السلف مثل : طاوس اليماني ، وحسان بن عطيّة، و الأوزاعيّ ، وغيرهم .

٣- قال ابن القيّم – رحمه الله – في « مختصر الصواعق المرسلة » (٢ / ٣٤٠).

« إنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيّه الحكمة كما أنزل عليه القرآن ، وامتنّ بذلك على المؤمنين ، والحكمة

(١) أخرجه الشيخان – واللفظ للبخاري في إحدى رواياته – ،وأبو داود (٤ / ١٥٣)، والترمذيّ (٤ / ٣٩) وقال : حديث حسن صحيح ، والنّسائي (٨ / ٢٤٠-٢٤١)، وابن ماجه (٢ / ٨٥٢)، ومالك (٢ / ٨٢٢) ، والشافعيّ في « الرسالة » (ص ٢٤٨-٢٥٠)، و« الأم » (٦ / ١٣٣)، وابن الجارود في « المنتقى » (٨١١)، والدارمي (٢ / ١٧٧)، والطيالسيّ ،(١ /٢٩٨-٢٩٩- منحة المعبود) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٣٣٠٩و١٣٣١٠)، وأحمد(٤ /١١٥-١١٦)، والبيهقي(٨ /٢١٢و٢١٣و٢١٩و٢٢٢) ، والحميدي (٨١١) وغيرهم.

(٢) أخرجه الدارميّ (١ / ١٤٥)، والخطيب في « الكفاية » (ص١٢)، و « الفقيه والمتفقّه » (١ / ٩١) بسند صحيح، واللالكائيّ في « شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة » (١ / ٨٥)، وأبوداود في « المراسيل » (ص٥٥)، وابن نصر في « السنّة » (ص١١٦) وغيرهم، وقال الحافظ في « الفتح » (١٣/ ٢٩١) : « أخرجه البيهقيّ بسند صحيح ».

هي السنّة ، كما قالَ غيرُ واحد من السّلف ، وهو كما قالوا ؛ فإنّ الله تعالى قال : ﴿ واذكُرنَ ما يُتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة ﴾ ، فنوّع المتلوَّ إلى نوعين: آيات الله ، وهي القرآن الكريم ، والحكمة وهي السنّة ، والمرد بالسنة ما أُخذ عن رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم سوى القرآن ، كما قال صلّى اللّه عليه وسلم:« ألا إنّي أوتيت الكتابَ ومثلَه معه»، وقال الأوزاعيّ عن حسّان ابن عطيّة: كان جبريل ينزل بالقرآن والسنّة ، ويعلمه إيّاها كما يعلّمه القرآن ، فهذه الأخبار التي زعمَ هؤلاء أنّه لا يستفاد منها علم ، نزل بها جبرائيلُ من عند الله عزَّ وجلَّ كما نزل بالقرآن ، وقال إسماعيل بن عبد الله : ينبغي حقًّا أن تحفظوا عن رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم فإنّها بمنزلة القرآن » .

وقال (٢ / ٣٦٩ - ٣٧٠) : « قال الذين يقولون: أخبار رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم تفيد العلم : قال الله تعالى : ﴿ وما يَنطقُ عن الهوى. إنْ هو إلا وحيٌ يوحى ﴾، وقال تعالى آمراً نبيّه أن يقول : ﴿ إنْ أتبع إلاّ ما يوحى إليّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّنَ للناسِ ما نزّل إليهم ﴾ قالوا : فعُلم أنّ كلامَ رسولِ الله صلّى اللّه عليه وسلم في الدين كلّه وحيٌ من عند الله وكلُّ وحي من عندالله فهو ذكر أنزله الله ، وقد قال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ ، فالكتابُ القرآن ، والحكمة السنّة ، وقد قال النبيّ صلّى الله عليه وسلم : « إنّي أوتيت الكتابَ ومثله معه » فأخبر أنه أوتي السنّة كما أوتي الكتاب ، والله قد ضَمِن حفظَ ما أوحاه إليه ، وأنزله عليه ليقيم به حجّته على العباد إلى آخر الدهر، وقالوا : لو جاز على هذه الأخبار أن تكون كذباً لم تكن من عند الله ، ولا كانت مما أنزله الله على رسوله وآتاه إيّاه تفسيراً لكتابه ، وتبياناً له ، وكيف تقوم حجته على خلقه بما يجوز أن يكون كذباً في نفس الأمر ؟! ، فإن السنّة تجري مجرى الكتاب ، وبيان المراد ، فهي التي تعرّفنا مراد الله من كتابه ، فلو جاز أن تكون كذباً وغلطاً لبطلت حجة الله على العباد » .

٤ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في « الإيمان »(ص ٧٣) : « وأما الرسول فينزل عليه وحي القرآن ،

ووحي آخر هو الحكمة ، كما قال صلى الله عليه وسلم :« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ».[1]

وقال حسّان بن عطية :« كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن ».[2]

٥- قال ابن كثير - رحمه الله - في « تفسيره » (١ / ٣):

« والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن ، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن ».

٦- قال أبو البقاء في « كُلّيّاته » (ص٢٨٨):

« والحاصل أنَّ القرآن والحديث يتّحدان في كونهما وحياً منزلاً من عندالله بدليل ﴿إن هو إلاّ وحي يوحى﴾ إلاّ أنّهما يتفارقان من حيثُ إنَّ القرآن هذا المنزل للإعجاز والتحدي به بخلاف الحديث ».

والسنة بعضها بوحي جليٍّ مثل الأحاديث الدالة على أن جبريل عليه السلام كان ينزل على رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم بالسنّة ، منها:

أ- عن صفوان بن يعلى بن أميّة ، أنَّ يعلى كانَ يقول : ليتني أرى رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم حين ينزّل عليه الوحي ، فلمّا كان النبيُّ صلّى اللّه عليه وسلم بالجعرانة [3] وعليه ثوبٌ قد أظلَّ عليه ومعه النّاس من أصحابه ، إذ جاءه رجلٌ متَضَمّخ [4] بطيب، فقال : يا رسول الله ! كيف ترى في رجل أحرم في جبة بعد ما تَضمّخَ بطيب؟ فنظر النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم ساعة فجاءه الوحي ، فأشار عمر إلى يعلى - أي : تعال - فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا هو محمرّ الوجه يغطُّ كذلك ساعة ، ثم سُرِّيَ عنه ، فقال :« أين الذي سَألني عن العمرة آنفًا؟» فالتمس الرجل فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: « أما الطيب الذي بك فاغسله

---

(١) مضى تخريجه .

(٢) مضى تخريجه

(٣) بكسر أوله إجماعاً ،وبكسر عينه ، وتشديد رائه . أو تسكين العين ، وتخفيف الراء ، وهي ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، انظر « معجم البلدان » (٤ / ١٤٢).

(٤) التضمخ : التلطخ بالطيب وغيره ، والإكثار منه .« نهاية ».

ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك».[1]

ب- عن أنس رضي الله عنه قال : بلغ عبدَ الله بنَ سلام مقدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيٌّ ، قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خبّرني بهنّ آنفاً جبريلُ» قال : فقال عبدالله : ذاكَ عَدوُّ اليهود من الملائكة ، فقال صلّى اللّه عليه وسلم :«أمّا أوّلُ أشراط الساعة فنارٌ تحشرُ النّاسَ من المشرقِ إلى المغرب ، وأمّا أول طعام يأكلُه أهل الجنّة فزيادةُ كبد الحوت ، وأمّا الشّبهُ في الولد فإنّ الرَّجلَ إذا غشيَ المرأة فسبقها ماؤه ، كان الشَّبهُ له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها» ، قال : أشهدُ أنّكَ رسولُ الله ، ثم قال : يا رسول الله ! إنّ اليَهودَ قومٌ بُهتٌ ، وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك ، فجاءت اليهودَ ، ودخل عبدالله البيت ، فقال رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم :« أي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟» قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« أفرأيتم إن أسلم عبدالله ؟» قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبدالله إليهم ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله ، فقالوا : شرُّنا وابن شرِّنا ، ووقعوا فيه».[2]

وبعضها بوحي غير جليٍّ ، وهو النفث في الروع ، فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إن روح القدس نفث في روعي : أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنَّ أحدكم استبطاءُ الرِّزقِ أن يطلبه

(١) أخرجه الشيخان، وأبو داود، (٢ / ١٦٤-١٦٥) ،والنسائي (٥ / ١٣٠ و ١٤١)، وأحمد (٤/ ٢٢٢ ، ٢٢٤)، والدار قطني (٢/ ٢٣١)، والحميدي (٧٩٠-٧٩١)، وابن الجارود (٤٤٧) ،وابن خزيمة (٢٦٧١) وغيرهم.

(٢) أخرجه الشيخان وأحمد.

بمعصية الله ، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته»[1].

والرؤيا الصادقة ، فعن عائشة أمّ المؤمنين – رضي الله عنها – أنها قالت : كان أوّل ما بُدِئ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[2].

السّنة من الذّكر المحفُوظ :

اعلم – أيها الموفّق إلى الحقّ بإذن الله – أنّ السنة المطهرة محفوظة بحفظ الله لها ، وهاك برهان قولنا :

أولاً : قال جلّ ثناؤه :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾.

إنّ هذه الآية الكريمة دلت على حفظ السنة اقتضاءً ولزوماً :

أمّا اقتضاء ، فالسنة وحي من الله كما سبق بسط هذا المعنى ، والوحي ذكر منزل ، لأن الذكر اسم واقع على كل ما أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم.

وأمّا لزوماً ، فقد تعهد الله بجمع القرآن وحفظه ، قال تعالى ذكره : ﴿ إن علينا جمعَه وقرآنَه ﴾.

قال ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» (٢٩/ ١١٨):

«يقول تعالى ذكره : إن علينا جمع القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبّته فيه».

ثم تعهد الله ببيان القرآن وشرح مجمله ، قال سبحانه وتعالى :﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾.

قال ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ١١٩):« أي : بيان ما فيه من حلاله ، وحرامه ، وأحكامه لك مفصلة».

والسنة شارحة ومبينة لكتاب الله ، لأن الرسول مأمور ببيان القرآن للناس كما هو مقرر في آية النحل ، ومن تكفل بحفظ المبيَّن والمشروح فقد تكفل بحفظ الشارح والمبيِّن ، فلو كان بيانه عليه السلام لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمونةً سلامتُهُ فقد بطل الانتفاع بنص القرآن ، فبطلت الشرائع المفترضة علينا فيه.

ثانياً : وربانيُّو الأمة على هذا التصور ، منهم :

١– ابن حزم رحمه الله.

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٢٠٨١).

(٢) جزء من حديث صحيح ، أخرجه البخاري ، ومسلم ، وغيرهما.

قال في « الإحكام في أصول الاحكام » (١/١٢١-١٢٢):

« قال الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم :﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، وقال تعالى آمراً نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول :﴿ إن أتَّبع إلا ما يوحى إلي ﴾ وقال تعالى :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، وقال تعالى :﴿ لتبين للنَّاس ما نزل إليهم ﴾ ، فصح أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كله في الدين وحي من عند الله عز وجل لا شك في ذلك.

ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل ، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، و كل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لا يضيع منه وأن لا يحرف منه شيء أبداً تحريفاً لا يأتي البيان ببطلانه ، إذ لو جاز غير ذلك لكان كلام الله تعالى كذباً وضمانه ضائعاً ، وهذا لا يخطر ببال ذي مُسْكة عقل ، فوجب أن الدين الذي أتانا به محمد صلى الله عليه وسلم محفوظ بتولي الله تعالى حفظه ، مبلغ كما هو إلى كل من طلبه ممن يأتي أبداً إلى انقضاء الدنيا ، قال تعالى : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ .

فإذ ذلك كذلك ، فبالضرورة ندري أنه لا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع، لا يتميز عن أحد من الناس بيقين ، إذ لو جاز ذلك لكان الذكر غير محفوظ ، ولكان قول الله تعالى :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ كذباً ووعداً مخلفاً ، وهذا لا يقوله مسلم » .ا. هـ

٢- ابن القيم رحمه الله.

نقل كلام ابن حزم الآنف ، وأقره ، واستحسنه في « مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » (٢/٣٨٩) ، فقال :« وهذا الذي قاله أبو محمد حق في الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول عملاً واعتقاداً، دون الغريب الذي لم يعرف تلقي الأمة له بالقبول » .ا.هـ

٣- ابن الوزير اليماني رحمه الله .

قال في « الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم » (١/٣٢-٣٣):

« قال تعالى في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿ وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، وقال

عز وجل فيما أوحاه إلى رسوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، وهذا يقتضي أن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال محفوظة، وسنته لا تبرح محروسة، فكيف ينكر هذا المعترض على أهل السنة ويشوش قلوب الراغبين في حفظها، ويوعر الطريق على السالكين إلى معرفة معناها ولفظها؟!» ا.هـ

٤- وقد سئل عبدالله بن المبارك رحمه الله: أما تخشى على هذا الحديث أن يفسدوه؟ قال: «كلا! فأين جهابذته؟! ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾»[(١)].

قلت: مقالة ابن المبارك مأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدولُهُ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[(٢)].

□□□□□

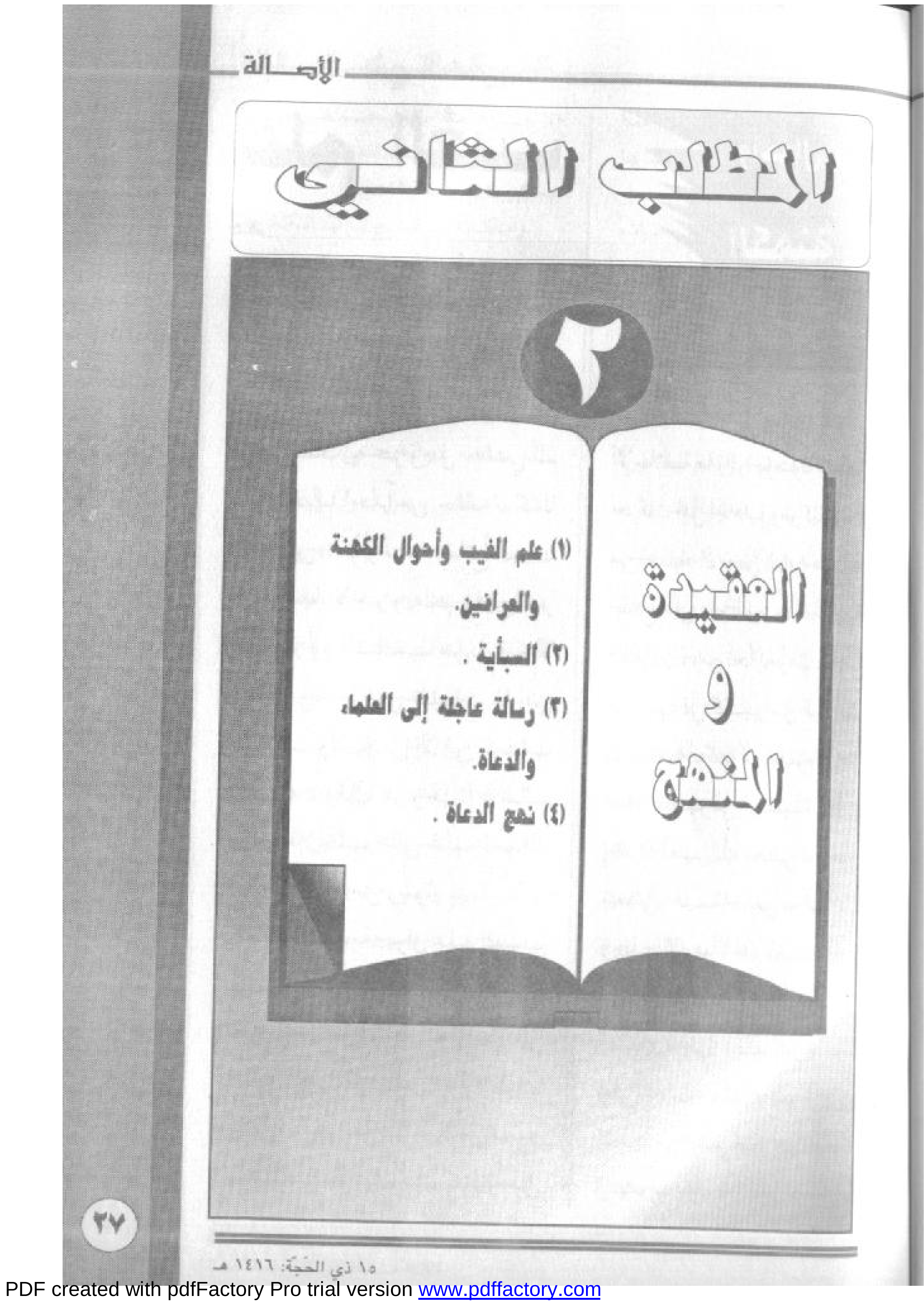
---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١/٦٠)، والخطيب البغدادي في «الكفاية» (ص٣٦-٣٧) بإسنادين مختلفين وهو ثابت، وذكره السيوطي في «تدريب الرواي» (١/٢٨٢).

(٢) حسن لشواهده: أخرجه البيهقي في «السُّنن الكبرى» (١٠/٢٠٩)، وفي «دلائل النبوة» (١/٤٣-٤٤)، وابن عدي في «الكامل» (١/١٥٣و٢/٧١١)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/٣٥٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/٥٨-٥٩، ٥٩)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/١٧)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٩)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص١)، وأبو بكر الآجرّي في «ذكر الأمر بلزوم الجماعة» (١/١)، والحازمي في «الفيصل» (٢/١)، وابن بطة في «الإبانة» (١/١٢٩/١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٢٣٢/٢ و٦/٣٢٦/٢)، وعبد الغني المقدسي في «العلم» (٢/٤٤/٢)، و«الكمال» (١/١٢/٢) وغيرهم من طرق عن معان بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلاً.

قلت: وقد روي موصولاً عن جماعة من الصحابة، وإن كانت أحاديثهم لا تخلو من مقال فإن بعضها يصلح شاهداً يتقوى به المرسل. وقد جمعتها وتكلمت عليها حسب قواعد علم الحديث في «جزء مفرد» سيصدر قريباً إن شاء الله.

والحديث صححه الإمام أحمد وحسنه الحافظ العلائي، وابن الوزير اليماني، والقسطلاني، وابن القيم، وغيرهم.


المطلب الثاني
٢
العقيدة
و
المنهج
(١) علم الغيب وأحوال الكهنة والعرافين.
(٢) السبأية .
(٣) رسالة عاجلة إلى العلماء والدعاة.
(٤) نهج الدعاة .

علم الغيب وأحوال الكهنة والعرافين

محمد عبدالرحمن الخميّس

الحمد للهّ ، والصلاة والسلام على رسول اللّه ، وبعد :

فإنَّ علم الغيب مما استأثر به الحق سبحانه وتعالى ، وهو من أخص صفاته عز وجل ، التي لم يشرك فيها أحداً من خلقه ، كما قال تعالى : ﴿وعنده مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتابٍ مبينٍ﴾ ، وقال عز وجل: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول﴾ .

فمن اعتقد جواز علم الغيب لنفسه أو لغيره فقد كفر ، فإنَّ هذا مما لم يُطلع اللّه عليه أحداً من خلقه : لا ملَكاً مُقرَّباً ، ولا نبيّاً مرسلاً .

ولشديد الأسف فإنَّ كثيراً من جهال العوامّ ، في بعض البلدان الإسلامية ما زالوا يؤمنون ببعض خرافات أهل الجاهلية وشركياتهم ، من اعتقاد أن بعض الناس عندهم اطلاع على علم الغيب ، كالكهنة والعرافين ، ومن نحا نحوهم ، وهذا موجود في كثير من البلدان الإسلامية ، كما هو معلوم ، وهو خلل خطير في العقيدة ، لأنه إشراك لغير اللّه تعالى مع اللّه تعالى، فيما اختص به اللّه عز وجل، ألا وهو : علم الغيب ، وفي الحديث :«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد» ، ثم إنه يفسد على كثير من الناس أمور حياتهم ، فإنهم قد ينفقون الكثير من المال ،

لأجل تحصيل علم الغيب عند هذا المزعوم ، وقد يخبره بأشياء بعضها صدقٌ ، وبعضها كذب، بل معظمها كذب، فتنقلب حياته رأساً على عقب ، حيث إنه يتصرف في حياته على ضوء ما يلقيه إليه ذلك الكاذبُ المدعي علم الغيب.

قال اللّهُ في كتابه مخاطباً نبيه صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء اللّه ولو كنت أعلم الغيبَ لاسْتَكْثَرْتُ من الخير وما مسَّنيَ السوء إنْ أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ فإذا كان النبي صلى اللّه عليه وسلم لا يعلم الغيب ، بل ينفي ذلك عن نفسه صراحة ، فغيره من باب أولى ، إذ كان هو الأحق منهم بذلك ، لأنه أفضل بني آدم على الإطلاق ، فإذ قد ورد نفي علم الغيب عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فغيره من باب أولى .

والذي أوقع كثيراً من العامة في هذا المزلق الخطير ، هو ما رأوه من إخبار بعض أولئك الكذابين ببعض الأخبار الصادقة ، فيعظم فيهم اعتقادهم ، ويصدقونهم فيما يخبرون به بعد ذلك .

وهكذا ينفتح باب الكذب والدَّجل على مصراعيه ، ويصبح هؤلاء الكذابون من أولياء اللّه الصالحين – بزعمهم – وينسى هؤلاء الجهال أموراً ، منها :

١ – أنَّ علم الغيب مما استأثر اللّه بعلمه ، وأنه حتى إخبار بعض الأنبياء بشيء من أمور الغيب إنما هو بما أعلمه اللّه لهم ، ولم يعلموه ابتغاءً من عند أنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً .إلا من ارتضى من رسول ﴾ .

٢ – أنَّ كثيراً ممن يدَّعون علم الغيب ، ليسوا من أهل الصلاح والتُّقى ، بل منهم الفاجر والزِّنديق، وهم يقعون في كثير من المحرمات ، كالخلوة بالأجنبيات، وأكل الحرام ، ونحو ذلك ، وهذا يدل على أن الإخبار ببعض المغيَّبات قد يقع من غير الصالحين ، بل من غير المسلمين

أصلاً ، فكيف يكون أولئك من الأولياء؟!

٣- أنّه لو كان عالم الغيب بما عرفه على الإيمان الصّادق لكان أحقَّ الناس به رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وقد سبق نفيُ علم الغيب عنه صلى اللّه عليه وسلم بدليله.

٤- أنّه لو كان هؤلاء صادقين حقّاً في دعواهم علم الغيب ، لدفعوا عن أنفسهم ما قد ينزل بهم من الآفات والشرّ.

وأما الطريق التي يتوصل بها هؤلاء الكذابون إلى الإخبار عن بعض المغيبات فهي كما يلي:

١- أنَّ بعضهم يكون له اتصال بالشياطين من الجن ، فيلقون إليه بعضاً من الأمور التي يخطفها الجنّيُّ من الحق ، فيكذب معها ذلك الكذاب مئةَ كذبة ، كما في الحديث : أنَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم سئل عن الكهّان ، فقال: «ليسوا بشيء». فقالوا : يا رسول اللّه! إنهم يحدثوننا بشيء فيكون حقّاً ؟! فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : «تلك الكلمةُ من الحقّ يخطفها الجنّيُّ ، فيقرّها في أذن وليّه، فيخلطون معها مئةَ كذبة» متفق عليه.

٢- أنَّ بعض الناس قد يكون عنده شيء من (الفراسة) والقدرة على استقراء ما يجول بخاطر مَنْ أمامه ، فيخبرهم ببعض الأشياء فيعجبون به ، ويظنون به الولاية ، مع أنَّ هذه القدرةَ موجودةٌ عند كثيرٍ من الكفّار في بلاد الكفر ، وموجودةٌ عند بعض الأطباء النفسانيّين وغيرهم.

٣- أنَّ بعض هؤلاء يستعين ببعض الأعوان له ، يندسُّونَ وسط (الزبائن) فيعرفون من الشخص اسمه ، وشيئاً من حياته ، وعن أي شيءٍ يستفسر ، فإذا عرفوا ذلك ألقوه وأوصلوه إلى ذلك الدّجال بطَريقةٍ أو بأخرى ، فيواجه به (الزبون) ويظن أن (الشيخ) يعلم كل شيء عن الماضي ، ومن ثَمَّ فإنّه يتقبل كل ما يقوله عن المستقبل وغيبيّاته.

وفي الختام ، فإنني أُحَذِّرُ كل

مسلم صادق أن يفسد دينه وعقيدته ، ودنياه وآخرته بالتردد إلى الكهنة والعرافين ، واستخبارهم، وتصديقهم ، فإنَّه كفرٌ كما سبق ، وعليهم بالتوبة إلى اللّه تعالى من ذلك ، إن كانوا قد وقعوا فيه ، وعليهم بتصحيح عقيدتهم ، والتعرف إلى ما يصلحها وما يفسدها ، فإنّه أوكد الواجبات ، واللّه من وراء القصد ، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

ألمْ يأن تركي لا عليَّ ولا ليَا	وعزمي على ما فيه إصلاحُ حاليا
وقدْ نالَ منّي الشّيبُ وابْيضَّ مفرَقي	وغالتْ سوادي شُهبةٌ في قذاليا
أُصوِّتُ بالدُّنيا وليستْ تُجيبُني	أُحاولُ أن أبقى وكيفَ بقائيا
وأبقى صَريعاً بينَ أهلي جنازةً	ويَحوي ذوو الميراث خالصَ ماليَا
أقولُ لنفسي حينَ مالتْ بصفْوِها	إلى خَطَراتٍ قدْ نَتَجْنَ أمانيَا
هَبيني منَ الدُّنيا ظَفِرتُ بكلِّ ما	تمنَّيتُ أوْ أُعطيتُ فوقَ أمانيَا
ألَيْسَ اللَّيالي غاصِبَاتي بمُهجَتي	كما غَصَبتْ قَبْلي القُرونَ الخَوَاليَا
ومُسْكِنَتي لحْداً لدَى حُفرةٍ بها	يطولُ إلى أُخرى اللَّياليْ ثَوائيَا
أخافُ إلهي ثمَّ أرجُوا نَوالَهُ	ولكنَّ خَوْفي قاهرٌ لرَجائيَا
على إثْرِ ما قدْ كانَ منّي صَبَابةً	لَياليَ فيها كنتُ للّه عاصِيَا
فإنّي جديرٌ أنْ أخافَ وأتّقي	وإنْ كنتُ لمْ أُشركْ بذي العرشِ ثانيَا
وأدّخرُ التّقوى بمجهود طاقَتي	وأركبُ في رُشْدي خلافَ هوائيَا (١)

(١) الديوان (شرح التبريزي) ص ٥٩٤-٥٩٦ .

السبأية

يوسف خليفة

بعد أنْ فشلت المواجهةُ العسكريةُ المباشرة والعلنية بين أتباع الحقّ من المسلمين وأتباع الباطل من اليهود ، فهُزم اليهودُ شرَّ هزيمة ، وأُخرجوا من المدينة المنورة ، لمكرهم ، وكيدهم ، وتآمرهم على النبي صلى اللّه عليه وسلم ووقوفهم في صف المشركين في غزوة الأحزاب ، بعد هذا بدأ الكيدُ اليهوديُّ ، فصدرت الأوامرُ السّرّيّةُ لمقارعة الإسلام والتظاهر بالخشوع ، والتّقوى ، والصّلاح ، ومن بين هؤلاء الخبثاء عبداللّه بن سبأ ، فمن هو هذا المجرم ؟؟ وما هي أعماله الإجراميّة التي قام بها ؟؟ وما هي أهمُّ الأفكار الخبيثة التي دعا لها بين النّاس؟؟

عبداللّه بن سبأ :

هو من يهود اليمن ، أمّه حبشيّة، ويلقب بابن السّوداء ، اعتنق الإسلام ظاهراً ، وأبطن يهوديته ، قدم إلى المدينة النبوية واستوطن بها ، تظاهر بالصّلاح والتقوى ، وفي سنة ٣٢ هجرية بدأ يؤلّب النّاس على سيدنا عثمان بن عفان رضي اللّه عنه ، فكان ابن سبأ يتنقل في البلاد الإسلامية ، يثير النّاس ضد عثمان ابن عفان رضي اللّه عنه ، فرحل إلى البصرة ، فطرده النّاس منها ، ورحل إلى الكوفة فَطُرِدَ منها ، فسافر إلى الشّام ، فلم يجد من يتجاوب معه ، فخرج إلى مصر ، وهناك وجد من يؤيّدُه ، فبدأ بنشر أفكاره الباطلة ، كالرّجعة والوصاية، وبدأ هذا المجرم باتهام الخلفاء أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، رضي اللّه عنهم ، بالتعدّي على حق علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه بالخلافة ، فكان يُحَرّضُ النّاس على الخلفاء ، ويدعو النّاس إلى أن ينهضوا لإعادة الحق لأهله.

يقول المؤرخ أبو الفتح

الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل»(ص١٧٤): «السبابية: أصحاب عبدالله بن سبأ الذي قال لعلي رضي الله عنه: أنت، أنت، يعني أنت الإله، فنفاه إلى المدائن.

وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام مثل ما قال في علي رضي الله عنه وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه، ومنه انشعبت أصناف الغُلاة.

زعم أن علياً حيّ لم يمت، ففيه الجزءُ الإلهي، ولا يجوز أن يستولي عليه، وهو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسّمه، وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك، فيملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئَتْ جوراً.

وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي رضي الله عنه، واجتمعت عليه جماعة، وهم أول فرقة قالت بالتّوقّف، والغيبة، والرجعة وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي رضي الله عنه..».

دور ابن سبأ في الفتنة الكبرى:

كان في الكوفة الأشتر النخعي، وهو من أتباع ابن سبأ، وفي البصرة حكيم بن جبلة وهو أيضاً من أتباع ابن سبأ، وفي مصر كان عبد الرحمن بن عديس البلوي، فحاول هؤلاء السبأيون وأتباعُهم الوثوبَ على الولاة عام ٣٤ هجري لكنهم فشلوا، فخططوا لفتنةٍ أكبر وأوسع، فاتّفقوا على التجمع في موسم الحج عام ٣٥ هجري لإثارة الفتنة، وفعلاً توافدوا في اثنتي عشرة فرقة: أربع فرق من مصر، وأربع فرق من البصرة وأربع فرق من الكوفة، ووصلت الوفود مكة المكرمة، وكان عددهم يصل إلى ثلاثة آلاف شخص، وبعد انتهاء موسم الحج وعودة سيدنا عثمان بن عفان إلى المدينة المنورة، لحق به المتآمرون، واجتمعوا به في المسجد النبوي، وطلبوا منه التنازل عن الخلافة، فرفض عثمان رضي الله عنه طلبهم، فهاجوا وحملوا عليه، يريدون قتله، وحاصروه، ومنعوا عنه الماء والزاد، وبعد أيام تمكّنوا من دخول الدارِ عليه، فعاجله أحدُهم بحربةٍ، فطعنه، فاستشهد عثمان

رضي الله عنه على إثرها ، وهو صائم يقرأ القرآن ، وكان هذا في ١٨ / من ذي الحجة / سنة ٣٥هجرية .

بعد وفاة عثمان رضي الله عنه تولى الخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فاستمر ابنُ سبأ في دعوته الخبيثة ، ونشر أفكاره الضالّة ، حتى وصل به فكرُه الخبيثُ إلى درجة تأليه علي ، فكان ابنُ سبأ أوّل من كَفَرَ من الرّافضة ، وقال : علي رب العالمين !! فأحرق عليٌّ أتباعه بالنار ، كما ذكر ابن قتيبة في كتابه« المعارف » (ص ٣٤٠) ، وهذا العمل لم يزدهم إلا ضلالاً ، فقالوا : إنه لا يحرق بالنار ، إلا الله ، فهو لا شك إله!!

ويذكر خير الدين الزِّركْليُّ في كتابه « الأعلام » أن ابن عساكر نقل عن الصادق (أنّه لما بويع علي ، قام إليه ابن سبأ ، فقال له : أنتَ خَلقتَ الأرض ، وبسطتَ الرزقَ ، فنفاه إلى ساباط المدائن ، حيث القرامطة وغلاة الشيعة) [1].

فضح عقيدة السبأية :

السبأية هم أتباع عبدالله بن سبأ ، وكان منْ أشدّ الدُّعاة ضد عثمان بن عفان وولاته، تدرّج في نشر أفكاره، ومفاسده بين النّاس ، وموضوعها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأخذ ينشر بين النّاس أنه وجد في التوراة أنَّ لكُلِّ نبيٍّ وصيّاً، وأنَّ عليّاً وصيُّ محمد وأنّه خيرُ الأوصياء، ويقول : عجبت لمن يقول برجعة المسيح ، ولا يقول برجعة محمد صلى الله عليه وسلم ! ثم تدرَّج بهذا ، حتى قال بالوهيّة علي رضي الله عنه ، ولقد هَمَّ علي بقتله إذ بلغه عنه ذلك ، ولكن نهاه عبدالله بن عباس ، وقال له : إنْ قَتَلْتَه اختلف عليك أصحابُك ، وأنت عازم على العودة لقتال أهل الشام ، فنفاه إلى المدائن.

وإنَّ من هؤلاء السبئيين من كان يقول : إنَّ الإلهَ حلَّ فيه ، وفي الأئمة من بعده ! وهو قولٌ يوافق بعض الدّيانات القديمة ، التي تقول بحلول

(١) « الأعلام» خير الدين الزِّركليّ (٤ /٨٨)

الآلهة في البشر ، وإن روح الآلهة تتناوب الأئمة إماماً بعد إمام ، كما كان يقول المصريون القدماء في الفراعنة [١].

طه حسين ينكر شخصية ابن سبأ:

يقول طه حسين في كتابه «الفتنة الكبرى» (٢/ ٩٠):

«إنَّ المؤرخين أعرضوا عن ذكر عبدالله بن سبأ ، لأنَّهم تبيَّنوا أنَّ أمرهُ مُتكلَّفٌ منحولٌ قد اختُرِع بأخَرَة».

ويرى أنَّ خصوم الشيعة من أهل السُّنَّة وغيرهم ، هم الذين وضعوا أمرَ ابن السَّوداء ليدخلوا في أصل الشيعة عناصر يهودية ، إمعاناً في الكيد لهم، والنيل منهم !..

ويقول طه حسين أيضاً (١/ ١٩٠)، عن الفتنة التي أدَّت إلى قتل عثمان بن عفان : «إنما كانت فتنةً عربيةً ، نشأت من تزاحم الأغنياء على الغنى والسُّلطان ، ومن حَسَد العامة لهؤلاء الأغنياء» .

ويقول طه حسين : « إنَّ الرُّواة أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها ، وإنها لم ترد في المصادر المهمة ، وإنَّ ابن سعد لم يذكرها ، وإن البلاذري لم يذكرها في « أنساب الأشراف »، وإنَّ الذي ذكرها هو الطبري ، وأخذها عنه المؤرِّخون الذين جاؤوا من بعده» .وهكذا نرى أنَّ طه حسين يُقَلِّلُ من دور ابن سبأ في الفتنة الكبرى ، حتى ينكر وجود هذه الشخصية ، ويزعمُ أنَّها منحولة ومتكلفة !! ، مع أنَّ دورَ ابن سبأ واضحٌ في الفتنة الكبرى ، كما ذكر ذلك ابن الأثير في كتابه « الكامل في التاريخ » ، وكذلك الطبري في « تاريخ الأمم والملوك » ، وكذلك ذكره كثيرٌ من المؤرِّخين والكتّاب المتقدِّمين والمتأخِّرين ، أذكر منهم على سبيل المثال :

الشهرستاني في « الملل والنحل »، وعبد القادر البغدادي في« الفرق بين الفرق »، وابن قتيبة في «المعارف» ، وابن عبد ربه في «العقد الفريد» ، وكذلك من كُتَّاب الشيعة من ذكر ابن سبأ مثل: الكشي في كتابه «معرفة الناقلين عن الائمة الصَّادقين»، والنَوبختي في كتابه

(١) «تاريخ المذاهب الإسلامية» لأبي زهرة (ص٣٣-٣٨) .

« فرق الشيعة » ، وصاحب كتاب « روضة الصّفا » .

وكذلك ذكر ابنَ سبأ عددٌ آخر من المؤرِّخين الثقات ، منهم : الإمام الذهبي ، وابن خلدون ، وابن حزم ، والإمام ابن تيمية في « الفتاوى الكبرى » ، وابن حجر وغيرهم .

ومن الكتاب المعاصرين من ذكر ابن سبأ وكشف شخصيته، منهم :

الشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ محب الدين الخطيب، والأستاذ أنور الجندي، وخير الدين الزركلي، وسعيد الأفغاني، وعبد الرحمن بدوي، وعبد الله عودة ، ود . يوسف العش في كتابه « تاريخ الدولة الأموية »، ومحمد الصباغ، ومحمد بسام ملص، والشيخ إحسان إلهي ظهير - رحمه الله -، وسليمان ناجي وغيرهم.

إنَّ ما ذكره طه حسين في ابن سبأ ما هو إلا ترديد لكلام المستشرقين الذين يدافعون عن اليهود ، والذين يقولون : إنَّ الفتنةَ الكبرى بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه هو خلاف عربي عربي ، ليس لليهود وأحفادهم أي دور فيه ، وهذا دأب أعداء الإسلام ، يثيرون الفتن ، ثم يختفون إلى حين.

إنَّ طه حسين قد اتّبع المستشرق (كيتاني) في رأيه في ابن سبأ ، وردَّد ما قرأه في فصول متفرقة من « دائرة المعارف الإسلامية » التي كتبها المستشرقون ، ومعظمهم من اليهود ، حسب ما اعترف به طه حسين في خاتمة كتابه « الفتنة الكبرى » .

إنَّ ادِّعاء طه حسين أنَّ المصادر المهمة لم تذكر دورَ ابن سبأ في الفتنة .

والسؤال الذي يَعرِضُ نفسه ، إن لم يكن كتاب « تاريخ الأمم والملوك » للإمام الكبير الطبري من الكتب التاريخية المهمة والموثوقة فما هي الكتب المهمة التي هي حاضرة بين أيدينا ، وهل كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الأثير أيضاً من الكتب غير المهمة؟؟ .

عقائد السبأية :

- **الرجعة**: يعتقد السبأيون أنَّ سيدنا علياً رضي الله عنه سيرجع ، ويملأ الأرض عدلاً ، كما مُلئت جوراً، وقال ابن سبأ لمن أخبره بوفاة

علي بن أبي طالب: لو أتيتنا بدماغه في صرة لن نصدِّق. ويعتقد أتباعُه برجوع كل إمام لهم بعد موته.

- **تأليه سيدنا علي:**

كان ابنُ سبأ يقول لعلي بن أبي طالب: أنت، أنت، يعني: أنت الإله، فنفاه علي إلى المدائن، وحرَّق بعضَ أتباعه.

- **الحق الإلهيّ**

كان ابنُ سبأ ينشرُ بين العامَّة أنَّ عليّاً رضي الله عنه هو صاحب الحقّ الأول في الخلافة، وأنَّ الخلفاء الذين سبقوه - رضي الله عنهم - اعتدوا على حقه في الخلافة، ونزعوها منه، وهذه النظرية هي من أصل فارسي، عبرت مع الفرس إلى اليمن موطن ابن سبأ، وكان يتَّهم الأمويّين، ويقول فيهم أنهم مستبدون، يعتقدون أنَّ العراقَ بستان قريش.

- **الولاية والوصاية:**

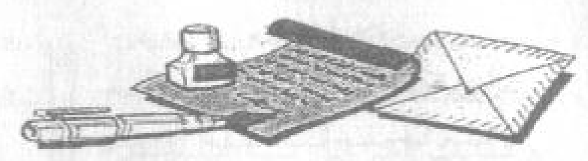
قال ابن سبأ: إنَّ لكلِّ نبي وصيّاً وعليٌّ وصيُّ محمد، وإنَّ عثمان أخذها - يعني الخلافة - بغير حقِّها، وطلب من النَّاس أنْ يثوروا عليه ليأخذوها منه، ويولُّوا عليهم عليّاً، وكان ابنُ سبأ يقول: إنَّ هارون وصيّ موسى، وعليّ وصيّ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلَّم.

ووضع أتباعه بعض الأحاديث، منها: (بني الإسلام على خمس: الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم والحجّ والولاية)، ولم ينادَ بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير.

هذا ما استطعنا أن نُبيِّنه عن السبأية ومعتقداتهم.

وأخيراً، نسأل اللّه السَّلامَة من الفتن ما ظهر منها وما بطن، واللّه الموفِّق لكلِّ خير، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبينا محمَّدٍ، وآله وصحبه أجمعين، والحمد للّه رب العالمين. □

يا قسوةَ القلب! مالي حيلةٌ فيك	ملكتَ قلبي فأضحى شرُّ مملوك
حجبتَ عنّي إفادات العلوم، فلا	يشفيك ذكرٌ ولا وعظٌ يداويك
وما تماديك من كسب الذنوب ولـ	ـكنَّ الذُّنوبَ أراها من تماديك
لكنْ.. تماديك من كسب نشأت به	وكلُّ داءٍ بقلبي من عواديك
أنت الطَّليعةُ للشَّيطان في جسدي	فليس يدخلُ إلا مِنْ نواحيك
لمَّا فسحْتَ بتوفير الحظوظ له	أضحى معَ الدَّم يجري في مجاريك



رسالة عاجلة إلى العلماء والدعاة

سعود بن ملوح العنزي

إن من العلل التي بدأت تستشري بين بعض طلبة العلم - في هذه الآونة - قلّة الارتباط بالعلماء النّاصحين الحريصين على توجيه الشباب -خاصة - وتزويدهم بما آتاهم اللّه من علم ، وخبرة في مجال التَّربية و الدعوة إلى اللّه عزَّ وجلَّ.

فإنَّ المشاهَدَ من بعض طلبة العلم، هو الحرصُ على سرعة البُروز، ممّا يؤدي بالطالب إلى الوُلوج في مَسالكَ وعرة يُخشى عليه من نتائجها.

وليت الأمر اقتصر على هذا فحسب ، بل إنَّ البعض بدأ يلمزُ - ولو منْ طرفٍ خَفيٍّ - بعضَ عُلمائنا في هذا الزَّمن ، بل قد ظهرت بعض الردود (اللاعلميَّة) التي يردُّ بها هؤلاءِ الناشؤون - من غير تأدُّبٍ - على فطاحلة هذا الزمن ، ممن أمضوا أكثر أعمارهم بين جدران مكْتباتهم، وصفحاتِ كتبهم ، ومَيَادين توجيههم ودعوتهم،حتّى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء ، واللّهُ ذو الفضلِ العظيم.

ولقد بَدأتْ نتائج تسرُّع هؤلاء الشَّباب تظهرُ على الساحة ، وذلك من خلالِ الردودِ ، والفتاوي (الجاهزة) الخطيرة التي بدأت تجودُ بها قرائح هؤلاء النابهين !

فإنَّ الذي يعيشُ قريباً من هذه الفئة ، يعرف حالَهم التي انْتَهَوْا إليها من تخبُّطٍ في طلب العلم ، ومنهج الدّعوة إلى اللّه تعالى ، والسببُ في ذلك هو ارتباطُ هؤلاء الشباب بالكتبِ دون العلماء !! مما كان له أثرٌ سَيِّىءٌ في تحصيلهم العلميِّ ، ومنهجهم الدعويّ.

ويصعبُ التعرُّض في هذه العجالة إلى كثيرٍ من الفتاوي والمسائلِ - بل والمعارك - التي تدورُ رحاها بين

هؤلاء القوم ، ولكن سأكتفي بالتنبيه على مسألة واحدة كثرُ الخوضُ فيها في الفترة الأخيرة ، وتعالت فيها أصواتُ (المُفتين منهم) ، ألا وهي مسألة (التبديع) ، وبالتالي (الهجر) المترتّب على ذلك ! فقد حمي وطيس المعركة في هذه المسألة ، وفتن فيها ثلة غيرُ قليلة من طلبة العلم ، فكَثُرَ القولُ بتبديع فلان ووجوب هجر علاّن ، من غير ارتباط بالضوابط التي عني بها علماؤنا ، وقعّدوا لها القواعد ، فليس من اليسير على أحداث أسْنان سُفَهاء أحلام - كما لا يستطيعُ كلُّ أحد قرأ حروفاً ، أو سَمعَ كلمات ، أو نظر شيئاً من الكتب - أنْ يُمَيِّزَ بين البدع وغيرها بسهولة ويُسر ، بل لا بدَّ لمن أرادَ التمييز بين البدع وغيرها ممّا استجدَّ أنْ يَكونَ عارفاً بشيئين اثنين :

الأول : سيرة الرسول صلى اللّه عليه وسلّم وسنّته ، حتّى تكونَ عنده كالأصل والقاعدة التي منها ينطلقُ في التمييز بين السُّنن والبدع .

الثاني : معرفة علم أُصول البدع ، ليسهل عليه تطبيقُ القواعد وتخريجُ الفروع على الأُصول .

وليسَ من شكّ أنَّ معرفةَ هذين الأصلين والتمكّن من فهمهما ، تعطي طالبَ العلم ركائزَ قويّة يخرجُ من خلالها بأحكام ثابتة رصينة بعيدة عن الشكّ والخطأ والارتياب .

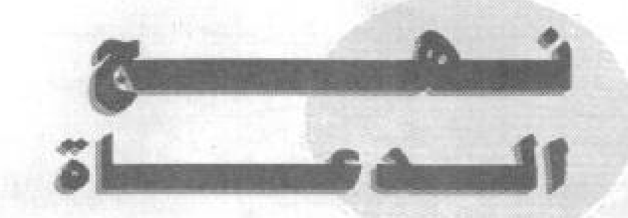
وليت شعري ، أنّى لطُوَيْلب علم تطفّل على بعض الكتب أن يحصلَ على التأصيل العلميّ لهذه المسائل وغيرها ؟!

وإنَّ الحالةَ التي تعيشها هذه الفئةُ من (الناس) لتنذرُ بخطرٍ كبير، وشرٍّ مستطير ، فإنّني ألحظُ تزايدَ أعداد هذه النوعيّة ، كما أنّني أحس بنسائم الحزبيَّة المُنتنة قد بدأت تهبُّ على قلوب هؤلاء المتعالمين ، وبدأ الهوى يأخذ له مكاناً في القلوب .

ولا شكَّ أنَّ هذا يوجبُ على علمائنا ودعاتنا - وفّقهم اللّه - تدارك هؤلاء القوم ، والحدّ من هذه الموجة الخطيرة قبل مزيد من الانحراف ، ومزيد من التطاحن .

كما أنّني أدعو مجلّتنا الغرّاء « الأصالة » أنْ تعرضَ البحث والمناقشة لإيجاد العلاج الناجع لهذه المسألة وأخيّاتها .

واللّهَ تعالى نسألُ أنْ يأخذَ بأيْدينا جَميعاً لما يحبّه ويرضاه ، وهو تعالى من وراء القصدَ . ❑



الحلقة الأولى

نهج الدعاة

عبد العظيم بدوي

﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنَّ ربَّكَ هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (١) .

هذه الآية قد تضمنت على وجازتها دستور الدعوة إلى اللّه عز وجل ، ولذلك قال الفخر الرازي بعد أن ذكر مباحثها : « واعلم أن هذه المباحث تدل على أنه تعالى أدرج في هذه الآية الكريمة هذه الأسرار العالية الشريفة ، مع أنَّ أكثَر الخَلق كانوا غافلينَ عنها ، فظهر أن هذا الكتاب الكريم لا يهتدي إلى ما فيه من الأسرار ، إلا مَنْ كان من خواصِّ أولي الأبصار » (٢) .

والمباحث التي في هذه الآية هي :

ماهي الدعوة ؟؟ وما فضلها ؟؟ وما حكمها ؟ إلأمَ تكون ؟ وسائلها ؟

أما الدعوة فهي لغة: مأخوذة من الدعاء ، وهو النداء لجمع الناس على أمرٍ ما ، وحثّهم على العمل له ، قال تعالى :﴿ واللّه يدعو إلى دار السلام ﴾(٣) .

والدعوة في اصطلاح العلماء : جمع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، قال تعالى :﴿ ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾(٤) .

والدعوة إلى اللّه تعالى وظيفة المصطفين الأخيار من النبيين وأتباعهم المؤمنين، قال تعالى لنبيه صلى اللّه عليه وسلّم : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى

---

(١)[النحل :١٢٥]

(٢)« التفسير الكبير» (١٤١/٢٠)

(٣)[يونس:٢٥]

(٤)[آل عمران:١٠٤]

الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾[1] .

وفضل الدعوة عظيم ، قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ [2] ففي هذه الآية التنبيه على شرف الدعاة والثناء عليهم ، وبيان أنهم أحسن الناس قولاً ، لأنهم يدعون الناس إلى الله ، ويرشدونهم إلى اتباع الحق واجتناب الباطل ، وفعل الخير وترك المنكر.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله »[3] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » [4] ، ويوم خيبر أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية لعليّ ، وقال له : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم »[5] .

فتخيل أيها المسلم إعظمة الذي يأتيك من الأجر! فكيف لو هدى الله على يديك ملايين ؟ فهنيئاً لك أيها الداعية هذا الخير العظيم ، فكيف تنشغل أيها المسلم عن الدعوة إلى الله وتترك هذا الخير العظيم ؟! أما علمت أنك حين تنشغل بالدعوة إلى الله تنام ويأتيك أجر ، وتموت ويأتيك أجر ؟! أفلا يحملك هذا الفضل الا تدخر وسعاً، ولا تألوَ جهداً إلا بذلته في الدعوة؟

الا يحملك هذا الفضل العظيم أن تدعوَ الناس سراً وجهاراً ، وليلاً

---

(١)[يوسف:١٠٨].

(٢)[فصلت: ٣٣].

(٣) مسلم (١٨٩٣/١٥٠٦/٣) ، وأبو داود ٥١ /٣٧-٣٨ / ٤) ،والترمذي (٢٨١٠/ ١٤٧-١٤٨ / ٤).

(٤) مسلم (٢٦٧٤/٢٠٦٠/٤) ، وابن ماجه (٢٠٦ / ٧٥ / ١) ، والترمذي (٢٨١٤ / ١٤١ / ٤)، وأبو داود (٤٥٨٥/ ٣٦٣/ ١٢).

(٥) البخاري (٣٧٠١/ ٧٠/ ٧) ، ومسلم (٢٤٠٦ / ١٨٧٢ / ٤).

ونهاراً ، طمعاً في هذا الأجر العظيم الذي هو خير لك من الدنيا وما فيها؟! أنسيت قول الله تعالى :﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ [1] وأي فضل عليك أعظم من أن يصطفيك الله ، ويجتبيك للعمل في الدعوة إليه ؟! أما تعلم أن هذا العمل عمل المرسلين الذين اصطفاهم الله من خلقه ، وعمل المصطفَيْنَ من أتباعهم ؟! فكما اصطفى الله الأنبياء لهذا الواجب ، اصطفى من جملة الأتباع من يقوم بهذا الواجب أيضًا ، إنك والله لو عقلت لبكيت على عدم كونك من الدعاة ، لأنك لست من المصطفَيْنَ ، لذا كان النبي صلى الله عليه وسلّم يقول :« من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين» [2] ففُهم منه أن من لم يتفقّه في الدين لم يرد الله به خيراً ، فكيف بمن تفقه في الدين وفقّه الناس فيه ؟ كيف بمن تعلّم وعلّم ؟ إنّه والله لمغبوط ، كما قال صلى الله عليه وسلّم « لا حسد إلا في اثْنَتَيْنِ : رجلٌ آتاه الله مالاً ، فسلّطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلّمها» [3].

ثم اعلم يا عبدالله ! أنَّ الدّعوةَ إلى الله عزّوجلّ من فروض الدّين ، وواجباته الكفائية ، التي تجب على عموم الأمة ، فإنْ قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وإنِ اتّفقوا على تركها ، أو قام بها من لم يَكْفِ قيامُه بها أثموا جميعاً ، قالَ تعالى : ﴿ كنتم خير أُمة أُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [4].

وقال تعالى :﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف

(١) [يونس : ٥٨] .

(٢) البخاري (٣١١٦/٢١٧/٦) ، ومسلم (١٠٣٧/٧١٨/٢) ، وابن ماجة (٢٢٠/٨٠/١).

(٣) البخاري (٧٣/١٦٥/١) ، ومسلم (٨١٦/٥٥٩/١) ، وابن ماجة (٤٢٠٨/١٤٠٧/٢).

(٤) [آل عمران : ١١٠] .

وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[(١)] .

وإنما لُعن بنو إسرائيل ، وطُردوا من رحمة الله ، وباءوا بغضبٍ من الله ، بتركهم القيام بواجب الدعوة إلى الله ، قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[(٢)] .

ولذا حذر النبي صلى الله عليه وسلّم من الاتفاق على ترك القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال صلى الله عليه وسلّم : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مرّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خَرْقاً ، ولم نُؤْذِ مَن فَوْقَنا ، فإنْ تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[(٣)] .

وقال أبو بكر رضي الله عنه : يا أيها الناس ! إنكم تقرؤن هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسَكم لا يضرّكم من ضلَّ إذا اهتديتم ﴾[(٤)] وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : « إنّ الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمّهم الله بعقابٍ منه »[(٥)] .

فالدعوة إلى الله من فروض الكفاية إذا قام بها من يكفي حاجة الناس إليها ، فإذا كان بالناس حاجة ، ولم يَكْفِ القائمون بالدعوة حاجتهم ، لم يسقط الواجب عن الأمة ، وتعيّن على كل مَنْ يقوى على النهوض بهذا الواجب أن ينهض به .

(١) [آل عمران : ١٠٤] .

(٢) [المائدة: ٧٨ ، ٧٩] .

(٣) البخاري (٥,١٣٢/٢٤٩٣) وهذا لفظه ، والترمذي (٣/٣١٨/٢٢٦٤) بنحوه .

(٤) [المائدة: ١٠٥] .

(٥) الترمذي (٤/٣٢٢/٥٠٥٠) ، وأبو داود (٤٣١٦ / ٤٨٩ - ٤٩٠ / ١١) ، وابن ماجه (٤٠٠٥ / ١٣٢٧ / ٢) .

وقد تتعيّن الدّعوة على شخص أو أشخاص في مكان لا يوجد غيرهم يدعو إلى اللّه على بصيرة ، فيتعيّن عليهم أن يقوموا بهذا الواجب ، وإلا أثموا أجمعون .

هذه هي الدّعوة ، وفضلها ، وحكمها .

أمّا إلامَ تكون ؟ فإن اللّه تعالى قال في هذه الآية: ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك ﴾ ، وقال في آية أخرى :﴿ وادعُ إلى ربك ﴾ (١) ، ووصف النبيَّ صلى اللّه عليه وسلّم بكونه ﴿ داعيًا إلى اللّه ﴾ (٢) وأمره أن يصدع بذلك ، فقال : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه ﴾ (٣) ، وقال له :﴿ وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ﴾ (٤) .

فالدعوة لا تكون إلا إلى اللّه ، وإلى سبيل اللّه ، وإلى صراط اللّه ، ولا تجوز الدعوة إلى سبيل فلان أو طريق فلان ، ولا إلى مذهب فلان ، ولا إلى رأي فلان، ولا تجوز الدعوة إلى حزبٍ ، أو تنظيمٍ ، أو جماعةٍ ، بل يجب أن تكون الدعوة إلى اللّه مَحضَةً ، وإلى سبيل اللّه خالصةً .

قال ابن تيمية – رحمه اللّه – : « أمر اللّه سبحانه نبيه بالدعوة إلى اللّه تارة، وتارة بالدعوة إلى سبيله ، وذلك أنه قد عُلم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر لا بد فيما يدعو إليه من أمرين : الأول : المقصود المراد . والثاني : الوسيلة والطريق الموصلة إلى المقصود . فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى اللّه ، وتارة إلى سبيله ، فإنه سبحانه هو المقصود المراد بالدعوة .

فالدعوة إلى اللّه تكون إلى دينه ، الذي هو درجات ثلاث : الإسلام والإيمان، والإحسان .

والإسلام هو أن تشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأنَّ محمداً رسول اللّه ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت .

(١) [القصص : ٨٧] .
(٢) [الأحزاب : ٤٦] .
(٣) [يوسف : ١٠٨] .
(٤) [المؤمنون : ٧٣] .

والإيمان هو أن تومن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر.

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فهذا الدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم. ولذا لما سأل جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الثلاثة وأجابه بما ذكر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه: «ذاك جبريل ، أتاكم يعلمكم أمر دينكم»[1].

« وأما سبيل الله : فهو ما رسمه الله سبحانه ، وأنزله على رسوله ، فكان قرآناً ، وكان سنةً ، وسبيل الله ، بحسب القرآن الكريم والسنة الشريفة ، يتبلور ويتمركز في :

- **التوحيد في مجال العقيدة**
- **الرحمة في مجال الأخلاق.**
- **العدل في التشريع.**

وسبيل الله كما صوّره جعفر بن أبي طالب : توحيدُ الله وعبادتُه وحده، وصدقُ الحديث ، وأداءُ الأمانة ، وصلةُ الرحم ، وحسنُ الجوار ، والكفُّ عن المحارمِ والدماء ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، والصيامُ ، والبعدُ عن الفواحشِ ، وقولِ الزور ، وأكلِ مال اليتيم ، وقذفِ المحصنة »[2].

وأما وسائل الدعوة : فإنها الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدل الأحسن ، وإنما تنوعت الوسائل لتنوّع المدعوِّين ، فالمدعوون – وهم الناس كافة – على ثلاثة أقسام:

الأول : الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقيّة والعلوم اليقينة ، وهؤلاء يُدعون بالحكمة ، وهي : الدلائل القطعيّة اليقينيّةُ .

الثاني: الذين تغلب على طباعهم المشاغبة والمخاصمة لا طلب المعرفة الحقيقيّة

---

(١) مسلم (٨/٣٦/١) ، والترمذي (٢٧٣٨/ ١١٩/ ٤) ، وأبو داود(٢٦٧٠/ ١٢) ، والنسائي (٨/٩٧) ، وابن ماجه (٦٣/٢٤/١).

(٢) « الجهاد » د. عبد الرحيم محمود.

والعلوم اليقينية ، وهؤلاء يجادَلون المجادلة التي تفحمهم وتلزمهم .

الثـالـث : الذين لم يبلغوا في الكمال حدّ الحكماء ، ولا في النقصان حدّ المشاغبين المخاصمين ؛ بل هم باقُونَ على الفطرة الأصيلة والسلامة الخَلقية ، وما بلغوا درجة الاستقراء لفهم الدلائل اليقينية ، والمعارف الحكمية ، وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة .

ولكون الحكمة أعلى الدلائل وأشرفها ، والمدْعوّينَ بها هم الكاملين الطالبين للمعارف الإلهية والعلوم الحقيقية – وقليل ما هم – جيء بها أولاً ، ولكون الجدل أدنى الدلائل ، إذ ليس المقصود منه الدعوة ، وإنما المقصود إلزام الخصم وإفحامه ، ولا يستعمل إلا مع الناقصين الذين تغلب عليهم المشاغبة والمخاصمة ، وليسوا بصدد تحصيل تلك العلوم ذُكر آخراً .

ولكون الموعظة الحسنة دون الحكمة وفوق الجدل ، والمدعوون بها هم المتوسِّطونَ الذين لم يبلغوا في الكمال حدّ الحكماء ، ولا في النّقص درجة الجدال ، وسطت بين الأمـــريـــن [1] ! وعلى ذلك يكون معنى الآية :﴿ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة... ﴾ أي : ادع الأقوياء الكاملين إلى الدين الحق ، بالحكمة ، وهي : البراهين القطعية اليقينية ، وعوام الخلق بالموعظة الحسنة ، وهي : الدلائل اليقينية الإقناعية ، وكَلِّم المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن الأكمل ، ولا تحقد عليه ، ولا تغلظ له القول ، ليعلم أنه ليس غرضك إهانته وإفحامه ، وإنما غرضك إقناعه والوصول به إلى الحق .

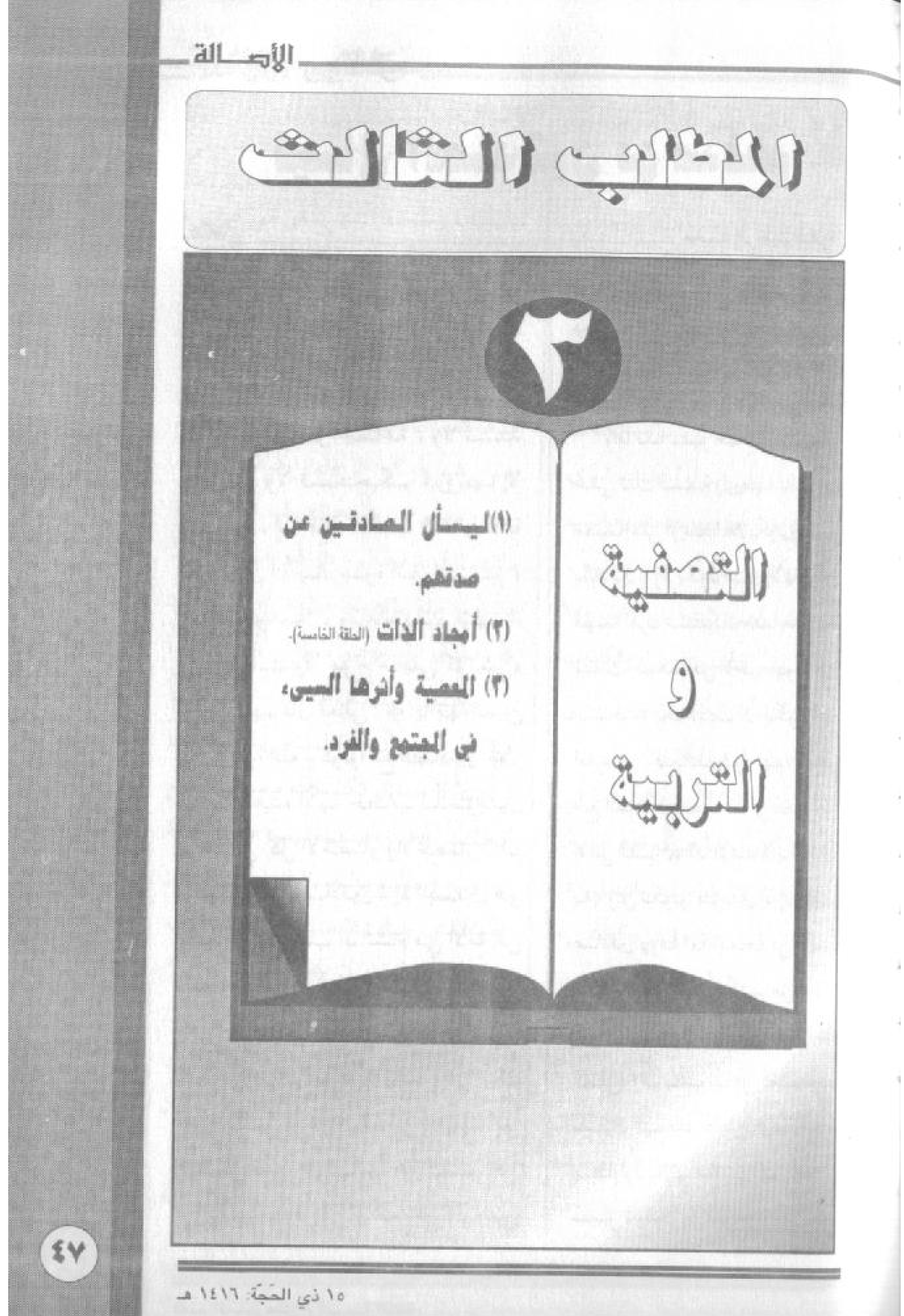
وعليك أيها الداعية أنْ تتفرَّس في المدعوين ، فتعرف بفطنتك أصنافهم ، والوسيلة التي تناسبهم كما عليك أن تتفرَّس فتعرف بحكمتك ما يناسبهم ، فتدعوهم إليه وتذكرهم به ، فلا تتكلم معهم في موضوع لا ينفعهم ، ولا تترك ما يحتاجونه .

نسأل الله أن يرزقنا السَّدادَ في الرأي ، والإصابةَ في القولِ ، وأنْ يرزقنا الحكمةَ ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .❑

(وللبحث صلة) .

---

(١) « التفسير الكبير » (٢٠/١٤١)


المطلب الثالث
٣
التصفية
و
التربية
(١) ليسأل الصادقين عن صدقهم.
(٢) أمجاد الذات (الحلقة الخامسة).
(٣) المعصية وأثرها السيىء في المجتمع والفرد.

ليسأل الصادقين عن صدقهم

محمد إبراهيم شقرة

الصّدقُ جماعُ الأخلاقِ ،ومعدن الفضائل ،وأساسُ التقوى ، من أخذ به فقد أخذ بحظ وافر من الخَير، ومَنْ ودَعه فقد آوى نفسه إلى خُسرٍ وشرٍّ ، ولا يستقيمُ أمرُ الجماعة ، ولا تشتد مِرّتُها ، ولا تستحكم عروتُها إلا بالصدق ، لذا فقد خاطب اللّه جماعة المؤمنين أنْ يُلزموه أنفسهم ، إخلاصاً،وعملاً ، وبرهاناً يقوم فيهم – من غير أمْتٍ ولا عوجٍ – على كل شيء في حياتهم قال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وكونوا مع الصادقين ﴾ .

وفي هذه الآية خطاب للمؤمنين كافةً في كل الأمصار والأعصار : أن يكونوا مع الصادقين ، إذ الصدق هو السّمةُ التي يجب أنْ تُشام في الأُمّة من ذاتها، ومن غيرها ، لا تغيب عنها ساعة من ليل أو نهار ، وكيف يكون للأمة أن تأذن لها أن تغيب، وهي تلك السّمة التي تقتات بها من فضلها كل الفضائل التي عاشت بها مذ كانت ؟!

وعليه فإن الأمّة المسلمة ، وهي تُخاطَب بلزوم الصدق بكونها جماعة ، لا تخاطب بذلك إلا ليكون منها التعاون على أن تظلّ سِمةُ الصدق باقيةً فيها أبد الدّهر ، هذا أوّلاً .

وأما ثانياً : فهو خطاب لها بالثبات على تلك السّمة ولزومها ، لتبقى مقيمةً على الإيمان ، فلا يكون إيمانٌ إلا بالصدق ، ولا يكون صدق إلا بالإيمان، فهما أمران مشتبكان متداخلان، لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر، فهو بذلك سبحانه يخاطبهم أنْ يكونوا مع أنفسهم ، فلكأنّما يقول لهم : اثبتوا مع أنفسكم بأنفسكم في أنفسكم على الصدق، لأنّ الإيمان لا يكون إلا به، ولن تكونوا مؤمنين إلا إنْ كنتم صادقين ، وهذا ما نلمحه في الآيات التي جاءتْ تُثْبِتُ لكثيرٍ من الناس كذب دعواهم أُموراً لا تثبت أمام العقل، وهم ينسبونها إلى أنفسهم إما بنسيان أنّهم بشرٌ عاجزون وإما بكذب يتطاولون به إلى ما ليس لهم إليه من سبيل ، وذلك من مثل قوله سبحانه:

﴿ قل يا أيها الذين هادوا إنْ زَعَمْتُم أنّكم أولياءُ للّه مِنْ دون الناس فتمنوا الموت إنْ كُنتم صادقين ﴾ ، ومن مثل قوله أيضًا : ﴿ أإله مَعَ اللّه قُلْ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ .

وخطاب اللّه سبحانه جماعة المؤمنين في الآية بلزوم الصدق ، يشبه خطابه إياهم في آية أُخرى بلزوم الإيمان، وذلك قوله سبحانه: ﴿ ياأيها الذين آمَنوا آمنوا باللّه ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنْزَلَ من قبل ﴾، فهو سبحانه يخاطب المؤمنين بلزوم الإيمان ، وهم لازموه ، فهو يقول لهم : اثبتوا على الإيمان وما يقتضيه من التصديق برسوله والكتاب الذي جاء ، والكتب المنزلة على الأنبياء والرسل من قبله .

وأشباه هاتين الآيتين ونظائرهما في القرآن كثيرٌ ، إما بصريح لفظ الإيمان والصّدق، وإما بلفظ مقتضياتهما ، مما يهديان إليه ، فلازم الشيء كالشيء ذاته .

ولكي تبقى صورة الصدق بلفظه وبمعناه حاضرةً في عقل الأمّة وقلبها ، في كل زمان – فلا تكون لها حُجّة في المخالفة عنها – فقد جعل اللّه سبحانه الصدق وصفًا لكل شيء تهتدي به الأمّة إليه – يستوي في هذا زمان نُزول الوحي ، وما يأتي بعده من أزمنة – في الدنيا والآخرة، بدءًا من نفسه الشريفة سبحانه وجعله آيات تتلى في قرآنه ، وكلمات عذابًا بليغةً أجراها من وحيه على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام، تتفتق بها أذهانُ المؤمنين عن استجابة طائعة ، وإخبات منيب، وشوق فائق ، وتبقى مرقومةً على صفحات قلوبهم بمداد النور ، وتظلُّ محفوظةً في أوعية صدورهم بأوكية الرجاء والخوف معاً .

ووصفَ اللّه سبحانه نفسه الشريفة بالصّدق ، فقال : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللّهُ فاتّبعوا ملّةَ إبراهيم حنيفاً ﴾ ، وقال : ﴿ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسولُه ﴾ .

ووصف كتابه المحكم بالصّدْق ، فقال : ﴿ وتمّتْ كلمةُ ربّك صدْقاً وَعَدْلاً لا مبدِّل لكلماته وهو السّميع العليمُ ﴾ ، ووصف نبيه صلى اللّه عليه وسلّم بالصدق ، فقال : ﴿ والذي جاء بالصّدْق وَصَدَّقَ به أولئك هم المفلحون ﴾ .

ووصف أنبياءَهُ – عليهم الصلاة والسلام – بالصّدق ، فقال : ﴿ ووَهَبْنا لَهُم مِنْ رَحْمَتِنا وَجَعَلْنا لَهُم لِسانَ صدْقٍ عَليًا ﴾ .

ووصف أصحاب نبيه – رضوان اللّه

عليهم – بالصدق ، فقال : ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ ورسُوله أولئك هم الصَّادقُون ﴾ ، وقال : ﴿ من المؤمنين رجَالٌ صدقوا ما عَاهَدُوا اللَّهَ عليه ﴾ .

ووصف يوم القيامة بالصّدق ، فقال : ﴿ إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادق ﴾ .

وَوَصف ثوابَ المؤمنين الصَّادقين عند ربِّهم يومَ القيامة بالصدق ، فقال : ﴿ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ .

فهل يكون للمؤمن ، وهو يبصر بالصدق وصفًا لكل هؤلاء ، أن يكون غير صادق ؟ ، حاشا ؛ أن لا يكون صادقًا ، بل إنَّ الصِّدق لَيُلْزِمُه ذاته ، ولا ينفك عنه ، إن حدَّث نفسه بغيره ، وليس في وسعه ذلك ، إن كان يعلم المنزلة التي توقفه بين الرَّجاء والخوف ، أما إنْ كان يجهلها – وليس هو بجاهلها ؛ إلا منْ كبر يتغشّاه رداؤه – فإنَّهُ بذلك يضنُّ على الصِّدق بنفسه ، أما الصِّدق فله شأنه مع الصَّادقين .

لا شكَّ أنَّ الإنسان حين يحيط علمًا بالصِّدْق الواقع وصفًا على هذه الأشياء ، فإنَّه لا يملك إلا أنْ يكون على وفاق لهذا العلم ، فلا يكون ثَمَّة إلا صادقًا ، فيسلك نفسه في نظام الصِّدق والصَّادقين ، الذين أخذ اللّه العهد عليهم أن يكونوا صادقين ويحوز شرف النسبة إليهم ، بما وفَّوا بالعهد الذي أخذ عليهم ، فكانوا عند حسن ظنهم باللّه ، فأبرموا به وفاءً بعهده ، فكانت نسبتهم إلى الصدق شهادةً من اللّه ، تسعى بين أيديهم – بما صدقوا – مُنيلَتَهُم نعيمًا ، ما كان لهم رجاء صدق في الدنيا ، شاقهم إلى لقاء ربهم سبحانه، فكان بصدق رجائهم في الصِّدق ثوابُ صدق .

وهل يكون لمؤمن أن لا يستقيم على جادَّة الصدق ، وهو يعلم يقينًا أنَّه ماثلٌ يومًا بين يدي ربه سبحانه ليسأله عن صدقه ، في كلِّ ما هداه إليه بوصف الصِّدق ، فلا يضلُّ عنه، ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادقِينَ عَنْ صدقهم وأعدَّ للكافرين عَذابًا أليمًا ﴾ .

إنها صورة صادقة ، يتقابل فيها الضِّدان ، اللذان يزدحمُ عند أسبابهما الخلق ، فالصدق له أسبابه وأهله ، والكذب له أسبابه وأهله ، والحرب سجالٌ بينهما جميعًا ، لكن الغلبة في النهاية للصدق وأسبابه وأهله ، فما كان اللّه ليذر الصدق إلا وأمرهُ ظاهر ، وإنْ طَالَ أمدُ الحرب بينه وبين الكذب .

ولا يكون الصادق صادقًا حَقًّا ، إلا بصدقه مع اللّه ، ومع نفسه ، ومع الناس

مؤمنهم وكافرهم على حدٌ سواء ، صدقه مع الله في توحيده وعبادته إياه ، وصدقه مع نفسه ، في إخلاصه وحسن تصوره وتجرده ، وصدقه مع الناس ، من كان منهم مؤمنًا فبموالاته إياه ، وحبّه ، والنّصح له ، والإمساك عن ظُلمه ، ومن كان منهم كافرًا ، فبدعوته إلى الإيمان ، وصدق حرصه ان يتحول من الكفر إلى الإسلام ، وأنْ لا يحمله شنآنه إياه لكفره على أن لا يعدل معه .

بمثل هذا يكون صادقًا حقًا ، لا يخشى في ثباته على صدقه إلاّ اللّه وحده فتنتفي عنه صفة المنافقين ، من مثل قوله سبحانه فيهم :﴿ يَسْتَخْفُونَ من النّاس ولا يستخفون من الله ﴾ ، ومن مثل قوله سبحانه : ﴿ فاللّه أحقُّ أنْ تخْشَوه إنْ كُنْتم مؤمنين ﴾ ، ومن مثل قوله سبحانه : ﴿ يَقُولونَ بأفواههم ما ليسَ في قلوبهم ﴾ .

والناظر البصير في حال الأمّة ، يجزم أو يكاد بأنْ ما حلَّ بها من بلاء، وما حاقَ فيها من وباءٍ ، وما حقَّ عليها منْ انتقاصٍ في أرضها وإجراء ، وما ينتظرها من فتنٍ مضمرةٍ في ظهر الغيب ، ما كان من ذلك شيءٌ كان أو سيكون ، إلا حين نأتْ عن الصدق، وحطّت برحالها على عتاب الآمال الخادعة ، المُدثّرة بالكذب ، والموشّاة بالإفك ، وكان منها إجماعٌ على العدول عن الصدق فيما تفعل أو تقول ، أو تتصوّر ، يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم ، خاصّتهم وعامتهم ، تقيُّهم وفاسقهم!!

ولقد علمت الامة كلُّها – الخاصة منها والعامّة – أن اللّه سبحانه ، قد أوجب عليها الصّدق معه ، في الأخذ بالعهد والميثاق ، وجعله آياتٍ تتلى في كتابه ، وأبان لهم عن مآل المُريبين فيه ، الناكثين له ، العادلين عنه، ليفيدوا من ذلك كلّه عبرة ، يحبسُون عندها أنفسهم عن العدول الناكث المريب ، وآتاهم منه علمًا لم يكن لأمةٍ غبرت ، فما كان منها إلا أنْ أخذت بسمت من كانت منها العبرة، قال تعالى :﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا . ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدَّ للكافرين عذابًا أليمًا ﴾ .

وعلمتْ بهذا الميثاق المأخوذ عليها، أنها ليست على شيءٍ إلا بصدقها ، وحفظها ربُّها سبحانه في أنفسها ، لا يكون إلا بالأخذ الصّادقِ بهذا الميثاق، وحفظه على وفاق ما قضى اللّه أن يكون الآخذ به ، وإلا فهي ناكثته ، ناقضته ،

مُريبةٌ منه .

ولعلَّ الواقعَ الأليمَ الذي اتخذت منه الأمة رداءً لها ، يُنبيك عن إفلات الميثاق من يدها ، وأنها على بوار في أمورها كلِّها ، حين تركت لنفسها الأمّارة أن تُغويها بإفلات الميثاق من يدها ، فلم يعد في وسعها أن تمسك بشيء منه ، ومع تداول الأيام صار الميثاق نسيًا منسيًّا، فقد غاب عن قلبها غيابًا يحسب معه ان الأمة لم يأتها نبأ هذا الميثاق شأن أهل الكتاب ، إذ نبذوه وراء ظهورهم، فصار حال الأمة حال أهل الكتاب ، حتى صدق فيها قوله عليه الصلاة السّلام : « لتتبعنُ سَنَنَ من كان قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع . . » .

وكان الحرصُ على الأخذ بالميثاق، قد أوفى بالأمة على رحبة الصِّدق ، بكلِّ ما وعاه القرآنُ من الصدق وصفًا لما أسلفناه، مما وصفه اللّه سبحانه ، فكان ائتلاف من الأمة ، في عقيدتها في ربها، وفي عبادتها إياه ، فكانت به واحدة في تصورها وسلوكها ، لم تختلف على ذلك ، إلى أنْ أمعنَ فيها الشّيطانُ ، يزرع في صدورها ونفوسها الشهوات والشبهات ، حتى غدَت مَطايا مذلَّلةً لتلك الشَّهوات والشُّبهات ، تُوجِّهها حيث تشاء ، وتمشي بها في كل وعر وسهل ، تدوس الشوك والزهر ، وتأكل الخبط والعشب ، لا تعرف طعمًا لما ينفعها ولا ذوقًا لما يضرُّها ، ولا مصيرًا لما ينتظرها .

وإذا ما ألمَّ المرءُ بواقع الأمَّة السيِّيء الأليم ، يذكر قوله عليه الصلاة والسلام :« ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلا واحدةً »، فيعلم انه ما كان ليصيب الأمة ما أصابها لو أنها لزمت الصدق ، ورغبت أن تكون صادقةً في لزومها له ، لتكون على وِرْده العذب مع معنى قوله سبحانه : ﴿ وكونوا مع الصَّادقين ﴾ .

ثم إنَّ المرء لا يبصر شيئًا يؤمِّله أن تزحزح الأُمَّة نفسها عن هذا الواقع السَّيِّء الأليم ، إنه لا يبصر إلا ما يزيد من لصوقها له ، يُبصرُ فرقةً واختلافًا ، على الصِّدق ، وفيه ، وبه، ومنه ، لماذا ؟ لأنَّ الأهواءَ برقت في الأمَّة ثناياها ، وسَارتْ على أرضها في خيلاءَ حاربة عليها ، وأنالَتْها منْ رَغائبها ولذَّاتها ما نسيتْ معه قولَهُ سبحانه : ﴿ وكونوا مع الصَّادقين ﴾، وبَسَطَتْ لها كفَّها بجواهرَ زائفة حَسبتْ أنها بالغةٌ بها تالد المجد وطارفَهُ ، وزيَّنت لها الكذبَ وأسبابَه ، حتى صار فيها – أو كاد– سجيَّةً موهوبة ، تحمد نفسها بنفسها

عليها .

فالإعلام بكل وسائله ، المنظور منها ، والمسموع ، والمقروء ، لا يذكّرُ إلا بالشياطين التي تسترق السَّمعَ من السَّماء ، تأخذ كلمةً مما تسمع من حديث الملائكة ،وتبني عليها مئةَ كذبة، ثم تلقي بها إلى أوليائها في مِنَّة مستكبرة ، لا تحسر إلا عن إمعانٍ منها في إغواءٍ ، أخذه كبيرهم عهداً على نفسه يومَ أُخْرِجَ من الجنَّة ، ﴿ فبعزَّتك لأُغوينَّهم أجْمَعين . إلا عبادَك منهم المخلَصين ﴾ ، حتى كأنّي بقائل الإعلامِ يقول - وهو يستحضر في نفسه مقولةَ إبليس هذه - : إنَّ التشبُّهَ بإبليسَ فلاحٌ!!!

والأحزاب السياسية التي تُركِضُ خيولَها الهزيلةَ في حلبات الصِّراع السياسي ، وتتنافس تنافسًا مضحكًا مبكيًا - في آنٍ معًا - على كراسي النِّيابة والسلطة ، رؤوسها لا تفكر إلا بما يُمْلى عليها ، وألسنتها لا تعرب إلا بما حُشيتْ به هذه الرؤوس ، و «نعم ولا» ، كلمتان أو حرفان لا يفهم معناهما بالمتبادر مما وضعا له في اللغة ، فـ « نعم » قد تصبح عند هذه الأحزاب « لا » ! و « لا » قد تصير « نعم » ! ثم هما لا تتحرك بهما ألسنة هذه الأحزاب ، إلا إنْ أذنَ لها أن تَتحرَّك ، ذلكم أن ذيولها طويلةٌ جداً ، تتجاوز حدود الوهن الذي تتغنَّى به ، وتشيد بأمجاده ، وتدَّعي أنها تعمل من أجل هوائه ومائه ، وترابه، وإنسانه !! ، تُمسك عليها أيْدٍ لا تُرى ، وإن كان يُسمع لها حسيسٌ ، من تأوُّهاتٍ مكتومةٍ ، وأنَّاتٍ مكظومة ، تتسرب من مسامِّ الرِّقاب المسمَّنة بالوعود الكاذبة ، الموفور لحمها من حرام الكسب ، فقد أبت تلك الأحزابُ على نفسها، إلا أن ترغب بنفسها عن الصدق ، الذي رعاها إليه ربُّها العظيم سبحانه، وأبان طريقه رسولُه صلوات اللّه عليه وسلامه .

والجماعات والأحزابُ الإسلامية - التي تتوهَّمُ ، وتُوهمُ الأُمَّة - أنَّها تعمل للإسلام ، وتسعى لاستئناف الحياة الإسلامية ، والعودة بالأُمَّةِ إلى الحكم بشريعته ، لا تقلّ سوءاً في حالها عن الأحزاب السياسية ، ولو صدقت ربَّها لما أعرضَتْ عن مثل قوله: ﴿ ولا تَنازَعُوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ ، فأيُّ إسلامٍ هذا الذي تنتحله كلُّ جماعةٍ أو حزبٍ منها ؟ وتدَّعي به أنها على أفضل مما عليه غيرها ؟!

لقد جعلت هذه الأحزابُ والجماعاتُ دينَ الإسلام مذاهبَ وأديانًا

مختلفة متباينة ، يكادُ كلُّ دين منها أو مذهب لا يلتقي مع سواهُ من المذاهب والأديان ، التي تتناءَى بها هذه الأحزاب والجماعات بعضها عن بعض ، وما أصْدَقَ فيها جميعًا – إذ أبوا الصِّدق مع اللّه – مثل قوله سبحانه: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أمرهم بينهم زُبُرًا كُلُّ حزب بما لديهم فرِحُون ﴾ ومثل قوله: ﴿ إنَّ الذين فرَّقوا دينَهم وكانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُم في شيءٍ ﴾.

ولو صَدَقُوا اللّه لكان خيرًا لهم ، وصدقُهُمُ اللّهَ لا يكونُ إلا على نحو ما صَدَقَتِ القرونُ الفُضْلَى ، فكان به صلاحها ، وما لم يكن في تلك القرون دينًا ، فلن يكونَ اليومَ دينًا ، ولا يصلحُ آخرُ الأُمّة إلا بما صلح به أوّلها ، والأمرُ الأوّل العتيقُ هو الذي تَصلُحُ به ، سواءٌ أكان في العقيدة، أم كان في الأحكام الشّرعية، التي هي التعبير العمليّ للعقيدة، ولكن أين الصِّدْقُ من هذه الأحزاب والجماعات، وكلُّها تظنُّ أو تعتقد أنها لا تصدر في كلِّ أمرها، إلا عن تصوّر واضح للإسلام عقيدةً وأحكاماً، على منهج الكتاب والسُّنة؟! ولو كان منها النَّصَفَةُ لأنفسها ، لعمدت إلى دفاترها كلِّها فَمزَّقتها، وألقَتْ بها بعيداً، بل ولأحرقَتها، كيلا يجول بخاطرها يوماً أن تعود إلى التَّفكير فضلاً عن النَّظر فيها.

هذا ما يقتضيه الصِّدق، لو كانت منَ الصِّدق أو إليه من سبيل!!! ولستُ أحسبُ أنه بغائب عن تلك الجماعات والأحزاب، أنَّ فيها الصدق وفيها غيره ولا بدّ، فكيف لنا أن نعرف الصِّدق من غيره؟!!.

نعرفه بالمعيار الذي لا يخطىء، وبالميزان الذي لا يظلم، ألا وهو «الكتاب والسنة بفهم القرون المفضلة»، فمن ابتغى وراء ذلك فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً، وكان للصِّدق عدوًّا مُبيناً!!

والعلماءُ –وما أضلَّ سعيهم– وليت زماننا خلا منهم– إلا من كان منهم على فهم القرون المفضَّلة لكتاب الله وسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم– فغير هؤلاء، عقبةٌ كأداء في طريق الدعوة، وليس يقوى على قطع هذه الطريق ، إلا كل ذي بأس شديد، مُتسربل بسلاح لا يفلُّ، وشجاعة لا تدفع: سلاح العلم الصحيح وشجاعة الإيمان، وقليل هم أولئك الذين سَعدوا بهما معاً.

ولا أحسب إلا أنّه قد صدق في علماء هذا الزمان قول نبّينا صلى الله عليه وسلم:« إن اللّه لا يقبضُ العلم انتزاعاً، ولكن ينزعُهُ بموت العُلماء،

حتى إذا لم يَبْق عالمٌ اتَّخذ النَّاس رؤوساً جُهَّالاً، فاستفتوهم فأفتوهم بغير علم، فضلّوا وأضلّوا»، وأظهر دليل بهديك إلى ما دلَّ عليه هذا الحديث، تلك الشحناء المثقلة بردم الجهل، التي يتخاصم إليها وبها طوائف من يسمّون بالعلماء في زماننا هذا!!.

وعلى الرغم من كثرة ما يؤلَّف ويكتب، فإنّك لا تكاد تجد في هذه الأكداس من المؤلفات والكتب، إلا القليل مما ينفع اللهُ به الناس، فقد حقَّ عليها نبوءة الرسول صلّى الله عليه وسلم، من ظهور القلم، وشيوع الجهل وارتفاع العلم، وإلا، **فمتى كان الخلافُ في الفتوى، وتوارد الآراء المختلفة على المسألة الواحدة سبباً في التّعادي، والتطاعن، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه ؟**

وكأنّي بهم على مثل ما أخبر نبيّنا عليه السلام: «الناس كإبل مئة، لا تكاد تجد فيها راحلة...».

إنَّ نظرةً عَجْلى في سيرة القرون المفضلة، لتقفنا على الحرص الشديد، الذي جعل من الآراء المختلفة، المتواردة على المسألة الواحدة، سبباً في ألفتهم، ومودة قلوبهم، وتنافسهم في خير العلم، وتعاونهم على تيسير أسبابه بعضهم لبعض.

فأين من أولئك طوائف متسارعة اليوم في مسائل معدودات من الجمّ الغفير، والعدد الوفير من مسائل العلم، تتدافع عند بدهياتها، وتتناطح أمام ما انتهت إليه فُهومُ الأسلاف فيها ؟! إنهم آسادٌ ضاريةٌ على بعضهم، نعاماتٌ مستسلمةٌ أمام غيرهم.

لقد غابت التَّقوى، وعميت السُّبل على الخشية — ثمرة العلم — فمتى يعرف أهلُ العلم أنَّ للعلم حقًّا صادقاً عليهم، لا يُعرف إلا بثماره، ولا يُدرك إلا بجنى ينعه؟!

ومتى يعرف أهلُ العلم أن للأمّة حقًّا صادقاً عليهم، بأنْ ترى فيهم الأُسوةَ الحسنةَ، في السَّمت، والسُّلوك، والائتلاف الجميل، ومجانبة الأهواء السَّافكَة للتَّقوى، والتَّناصح فيما بينهم على أساس من الإخلاص والعلم الصحيح؟!

وأُمراءُ الأمّة أين يقعون، من دائرة الصِّدق؟

لقد نَشبَتْ بينهم وبين الأُمَّة حربٌ مكتَّمة زماناً، ثم تفجَّرت في بعض أجزاءِ من أرضِ الإسلام، واستطار شَرَرُها، وتفرَّق لظاها حتى كادت أن تدخل كلَّ بيتٍ من مدرٍ أو وَبر، والعقلاءُ من الأُمَّة ينظُرون في فَزع

وَرُعْب ، مما يقدرون أن سيكون في مقبل الأيام، ويقولون في أنفسهم وفي ملأ، جاهرين بأصواتهم : أنْ يا قومنا ! أجيبوا داعي الله ، وكفكفوا دموع الإسلام المدرارة ، واغسلوا عن جبينه الهمَّ الذي صنعته أيديكم ، واقطعوا حبال الشر الموتَّرة بينكم ، وهلاَّ كان فيكم جميعاً عقل لما أخبركم به نبيُّكم صلى الله عليه وسلم من بغضاء تكون بينكم في آخر الزمان تقطِّع المودَّات ، وتُعَمِّق في جذور العداوات ، وتجعل من كل فريق منكم باغياً على الآخر ، حتى بأثارة الحب أن كانت تكون ، وجاثياً على ركبته يفوِّق سهمه إلى ظهر الآخر في حرص تُمليه عليه بغضاؤه الآثمة !!

إنكم لستم عاجزين أن تلتقوا في منتصف الطَّريق ، ويدع الأُمراءُ بعض ما هم عليه مما سعت به العداوة بينهم وبين الأُمَّة ، وهو كثير كثير ، وليس يخفى عليهم أنَّ الأُمَّة لا يرضيها أن تبقى فيها المنكراتُ صارخةً بأعلى صوتها ، جاثية على رُكبها فيها ، مطمئنةً أنها لا تنال بأذى في أرضها .

وتبدع الأُمَّة كؤوس الخيال ، تديرها بسقَّاط الأسمار ، وهي تعلم أنَّ للأمَرَاء حدوداً ليسوا يقدرون على تجاوزها ، لا رغبةً منهم في الكيد لأُمَّة ، ولا حرصاً على إذكاء نار العداوة والبغضاء فيها — منهم من الأُمَّة التي هم نتاجها — بل من عجزٍ ليسوا بمُغمضين عيونهم عنه ، ولا بمنكريه!!

وأحسب أن لو كان تلاقٍ بين الأُمَّة وبين أُمرائها في وسط الطَّريق، لأُزهقت كثير من سُبُل العداوة .

وبعد : فليس بعجب أنْ تستقرَّ نار العداوة المحرقة ، بين طوائف الأُمَّة كلها، وتكون في بعضٍ منها حماسة لا يقلُّ تسعُّرها عن نار العداوة تلك ، وكل من النارين تسعى لأختها ، حتى يلتقيا معاً في جزءٍ من أرض الإسلام ، والويل لتلك الأرض ، ولمن عليها ، مما يكون من تَسَعُّر تَيْنِكُم النارين ، ويومئذٍ ينظر العقلاءُ في أنفسهم ، فلا يجدون لعقولهم مكاناً في صدورهم ، ولا حسّاً ينبئ عن إدراكٍ في جوارحهم ، ولا حدْساً يقدرون على شيءٍ من الظنِّ في عواقبهم .

وليس يُنَبِّئُكَ عن الخبيء مثلُ ظهوره، ولا عن المستور مثل شروره ، ولا عن المشهود مثل شهوده ، فإلى أين، إلى أين .... ؟!!!□

□□□□□

الحلقة الخامسة

أمجاد الذات

محمد موسى نصر

النّاسُ في بناءِ أمجادِهم على ضربين:

الأوّل: أمجادٌ دنيويّة، كأن يسعى أحدُهم ليكون وجيهاً، أو غنيّاً، أو رئيساً، أو نجماً فنيّاً.

الثاني: أمجادٌ دينيّةٌ، كأنْ يصبحَ أحدهم مديراً لمؤسسة تعليميّة، أو معهدٍ شرعيٍّ، أو قاضياً، أو مفتياً، أو ذا لقبٍ دينيٍّ مرموقٍ، صاحبَ فضيلة، أو صاحبَ سماحة، أو استاذاً يشارُ إليه بالبنان، أو علاّمةَ زَمانه بلا منازعٍ!

وأكثرُ هؤلاء وأولئك يركبون الصعبَ والذّلول للوصول إلى قمّة مجدهم، وبعضهم - بل أكثرُهم - يستخدمون وسائلَ غيرَ شرعيّة للوصول إلى قمّة هرم مجدهم.

والذي يعنينا في هذا المقام أصحابُ الصنف الثاني، أي: ذوو الأمجاد الدينيّة، فقد قنعَ أكثرُ العاملين في حقلِ الدعوة الإسلاميّة بما في أيديهم، بل تقوقعَ كلُّ واحد منهم ضمنَ دائرةٍ مغلقةٍ لا يخرجُ منها، ولا يتجاوزُها إلى ما هو أجدى وأنفعُ منها، ويحسبُ أنّه - لا أقولُ - على شيءٍ،! بل على كلِّ شيء، وقد وسعَ عملُهُ كلَّ خيرٍ، وأخذَ ينظرُ إلى الآخرينَ نظرةَ ازدراءٍ واحتقارٍ وتقزيم، فلا يرى إلاّ نفسَه من منظارِ نفسه، فلا يكبّر إلاّ عملَه، ولو سئلَ عن غيره لاعتبرَ مدحَه لغيره - ولو كانوا معه على الطريقِ والمنهجِ والعقيدة - قدحاً وذمّاً فيه، فيسعى بكلِّ حيلةٍ وواسطةٍ لتوهين غَيره، إما بغمزه أو لمزه أو نخزه نخزات سامّةً خفيّةً، إنْ لم تَقتله اليوم، قتلتْه، أو أدمتْه، في الغد، أو بَعد غدٍ، فالقنابلُ الصوتيّةُ والدخانيّةُ وإن لم

تقتل فهي تروّعُ وترعبُ ، وتعملُ في النفوس أشدّ من عملِ الكؤوس.

لقد كانَ أسلافُنا لا يرونَ أنفسَهم شيئاً أمامَ إخوانهم ، ولا يسلبونَ الآخرينَ حقوقَهم ، ولا ينازعونهم الشهرةَ والرئاسةَ.

إنّ كثيراً من المتدينين أشركوا أنفسَهم مع الله ، يومَ أن والَوْا في أنفسِهم وهجروا لأنفسِهم ، وعادوا لأنفسِهم ، زاعمينَ - أكثرُهم - أنّ خلافَهم مع زيد أو عمرو خلافٌ منهجيٌّ ! وكأنّهم وحدَهم أربابُ المنهج وأوصياؤه ومُنَظِّروهُ ، يحددونَ معالمه ، ويرسمونَ حدوده ، يعرفونَ مداخله ومخارجَه.

لقد تشبّع كثيرٌ من الدُّعاة وطلاّب العلمِ بما لم يُعطوا ، وألبسوا أنفسَهم ثياباً ليست لهم ، وغرّهم أن قد قيل فيهم كذا وكذا مع قناعتهم وقناعة القريبينَ منهم أنّهم ليسوا كذلك ، ولا قريباً من ذلك ، ومع ذلك يخادعون أنفسَهم ويمنّونها الأمانيّ.

إنّ البلاءَ ليسهلُ ويهونُ عندما يكونُ الداءُ ظاهراً معلوماً ، وحينما يكونُ العدوُّ مكشوفاً من الخارج ، ولكن يعظمُ الداءُ ويشتدُّ البلاءُ حينما يكونُ داءُ الرّجل من نفسه.

لقد قنعَ بعضُ الدعاة بإصلاح مظهرهم دون مداواة نفوسهم ومعالجة أدوائهم ، وتزكية نفوسهم ، ليكتبَ لهم الفلاح ﴿قد أفلحَ من زكّاها وقد خابَ من دسّاها﴾.

لقد اختلت الموازينُ اليومَ عن موازينِ الأمس ، فغدا العالمُ عندَ النّاسِ هو اللسِنَ عليمَ اللسانِ ، أو الخطيبَ المصقعَ ، أو المؤلفَ البارع ، أو صاحبَ اللقبِ والشهادة، مع أنّ العالمَ ، وطالبَ العلم ، والداعيَ إلى الله ، هو الذي يخشى اللّهَ ويتقيه ، وهو الذي يَزهدُ في دنياه ، ويُقْبِلُ على آخرته أو هو الذي يقومُ ليلَه ، ويصومُ نهارَه ، أو هو الذي يتعلم ويعلّمُ ابتغاءَ وجه الله ، لا لينالَ بعلمه دنيا فانيةً أو جاهاً عريضاً ، أو منصباً رفيعاً ، أو ليصرفَ وجوهَ النّاسِ إليه ، أو ليشارَ إليه بالبنان.

إنّ العالمَ حقّاً وطالبَ العلم حقّاً هو الذي يُؤْثِرُ مصلحةَ الأمّة والجماعة على مصلحته الفرديّة ، فيعملُ على بناء أمجاد الأُمّة قبل أن يفكرَ أو يخطو خطوةً واحدةً في بناء أمجاده الشخصيّة ، فالدينُ كلّنا له

نـداء ، ومن أظلـمُ ممن راح يمتطي الدينَ لخدمة نفسه ، وبناء أمجاده وأحلامه، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذهبُ جُفاءً وأمّا ما ينفعُ النّاسَ فيمكثُ في الأرض ﴾ .

﴿ ولَنُسكِنَنَّكُمُ الأرضَ من بعدهم ذلك لمن خافَ مقامي وخافَ وعيدِ ﴾ .

مع العلم فاسلك حيث ماسلك العلمُ	وعنه فكاشف كلَّ من عنده فهمُ
ففيه جلاءٌ للقلوب من العمى	وعونٌ على الدين الذي أمرُه حتمُ
وإني رأيتُ الجهل يُزري بأهله	وذو العلم في الأقوام يرفعه العِلْمُ
يُعدُّ كبيرَ القوم وهو صغيرهم	وينفذ منه فيهمُ القول والحكمُ
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم	فصحبتهم زين وخلطتهم غُنمُ
ولا تعْدُوَنْ عيناك عنهم فإنهم	نجومٌ إذا ما غاب نجم بدا نجمُ
فوالله لولا العلم ما اتّضح الهدى	ولا لاح من غيب الأمور لنا رسمُ

المعصية وأثرها السيىء في المجتمع

رائد بن صبري بن أبي علفة

إنَّ للمعاصي والذنوب آثاراً كبيرةً، ونتائجَ خطيرةً على المجتمع والفرد ، وقد بيّن اللّهُ لنا هذه الآثارَ أكملَ تبيين منذ أن وقعت المعصيةُ الأولى ، ولنأخذ بعضاً من النصوصِ القرآنيّة ، والأحاديث النبويّة ، والآثارِ السلفيّة التي احتوت على ذكرِ هذه الآثار: قال تعالى :﴿ وعصى آدمُ ربَّه فغوى ثُمَّ اجتباهُ ربُّه فتابَ عليه وهدى قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعضٍ عدوّ فإمّا يأتينّكم منّي هدى فمن اتَّبعَ هُدايَ فلا يضلّ ولا يشقى ومن أعرضَ عن ذكري فإنّ له معيشةً ضنكاً ونحشُرُه يومَ القيامة أعمى قال ربِّ لم حشرتني أعمى . وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتكَ آياتُنا فنسيتَها وكذلك اليومَ تُنسى وكذلك نجزي من أسرفَ ولم يؤمن بآياتِ ربِّه ولَعذابُ الآخرة أشدُّ وأبقى ﴾ .

فهذه الآياتُ تضمّنت ذكرَ جملة من الآثارِ السيّئة الناتجة عن المعصية ، فبَيَّنَ اللّهُ عزَّ وَجَلَّ أنَّ مآلَ المعصية إلى الغيِّ الذي هو الفسادُ ، فكأنَّه يقولُ : مَنْ عصى اللّه ؛ أفسدَ اللّه عليه معيشتَه في الدنيا ، وهذا المعنى مذكورٌ أيضاً في هذه الآيات ، فقوله تعالى : ﴿ فمنِ اتَّبعَ هُدايَ فلا يَضِلُّ ولا يشقى ﴾ لازِمُه أنَّ مَنْ لم يتبعْ هدى اللّه ؛ فإنّه يضلُّ ويشقى ، والآياتُ بعد تصرِّحُ أكثرَ فأكثر ، ﴿ وَمَنْ أعرضَ عَنْ ذكري فإن له معيشةً ضنْكاً ﴾ ؛ أي : إنَّ لَهُ الشّقاءَ والضّيقَ قال ابن كثيرٍ في « تفسيره » (٣/ ١٦٤) :« أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره

بل صدره حرج لضلاله ، وإن تنعم ظاهره ،ولبس ما شاء ،وأكل ما شاء ، وسكن حيث شاء ؛ فإن قلبه مالم يخلصْ إلى اليقين والهدى فهو في قلق ، وحيرة ، وشك ،فلا يزال في ريبة يتردد ، فهذا من ضنك المعيشة ».

وكم رأينا وسمعنا عن أناس يملكون من الأموال ملايين ، ينتحرون بإلقاء أنفسهم من أماكن مرتفعة ،فما هو السبب الذي يجعل بعضهم يفعل ذلك ؟ إنه ما منْ شك ضنك العيش الذي جناه بسبب إعراضه عن ذكر الله ،ومآله يوم القيامة إن لم يتب قوله تعالى: ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴾ أن يحشر يوم القيامة أعمى ، ويُترك في النار ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ ، والمراد بالنسيان : تركه في النار جزاءً وفاقًا فكان العقاب من جنس العمل .

وانظر إلى آثار ونتائج المعاصي في قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرجْ لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباءوا بغضب من اللّه ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللّه ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

فهذه الآية أيضاً احتوت على عدة آثار ، منها :

أولاً : أن اللّه حكم عليهم بدنيَّة العيش ، لما طلبوا ذلك ، فوقع عليهم ما كانوا يطلبون ، فقد استبدلوا البقل والقثّاء والفوم والعدس والبصل – الذي هو أدنى– بالمن والسلوى–الذي هو خير.

ثانياً : ضربت عليهم الذلّة ، التي هي الذلّ والصغار ، وليس هذا فحسب ، بل وضربت عليهم المسكنة، التي هي الفقر والخضوع ،

وألزمهم وقضى عليهم بها .

ثالثاً : أنهم باءوا وانقلبوا بغضب من الله تعالى .

وتدبر قول الله تعالى :﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ، ومعنى يخالفون عن أمره ؛ أي : يعرضون عن أمره نتيجة الفتنة ، التي تشمل الردة ، والقتل ، والزلزال ، والأهوال ، والسلطان الجائر ، والطبع على القلب ، ثُمَّ بَعدَ ذلك العذاب الأليم .

وقد جاءَ رجلٌ إلى الزبير بن بكار ، فقال له : يا أبَا عبد الله ! من أين أُحرمُ؟ قال : من ذي الحليفة ؛ من حيثُ أحرمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنّي أُريدُ أن أُحرمَ من المسجد ، فقال : لا تفعل ؛ قال : إنّي أُريدُ أن أُحرمَ من المسجد من عند القبر ، قالَ لا تفعل ؛ فإنّي أخشى عليكَ الفتنة ، قال :أيُّ فتنَة في هذا ؟ إنما هي أميالٌ أزيدها ، قال : وأيُّ فتنة أعظمُ من أن ترى أنّك سبقتَ إلى فضيلة ، قصَّرَ عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ إنّي سمعتُ اللهَ تعالى يقول : ﴿ فليحذر الذين يخالفونَ عن أمره أن تُصيبَهم فتنة أو يُصيبَهم عذابٌ أليمٌ ﴾ .

من آثار المعصية كذلك : الإغراقُ بالماء ، قال تعالى حاكيًا عمّا فَعَلَ بقوم نوح : ﴿ مّما خطيآتهم أُغرقوا فأُدخلوا ناراً فلم يَجدُوا لهم من دون الله أنصاراً ﴾ .

ومن الآثار أيضًا : الدمارُ الشاملُ ، قال تَعالى :﴿ وإذا أردنا أن نهلكَ قريةً أمَرنا مُتْرفيها فَفَسقوا فيها فحقَّ عليها القولُ فدمّرناها تدميراً ﴾ . وكتابُ الله مليءٌ بذكر هذه الآثار .

وأمّا السنّة فهي أيضًا كذلك ، وأكتفي بذكرِ مثالين اثنين : الأوّل احتوى على ذكرِ الصَّغارِ والذلَّة ، فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « بُعثت بين يدي الساعة بالسيف ، حتّى يُعبدَ اللهُ وحدَه لا شريك له ، وجعل رزقي تحتَ ظلِّ رمحي ، وجعلَ الذلُّ والصغارُ على من خالفَ أمري ، ومن تشبّه بقومٍ فهو منهم» . لقد كتبَ اللهُ عزَّ

وجلَّ الذِّلَّة والصَّغارَ على مَنْ خالفَ أمرَ اللَّه وأمْرَ رسول اللّه ، ومن أرادَ أن يعرفَ تفسيراً حقيقيًّا لهذا الحديث ؛ فعليه أن ينظر إلى أرضِ الواقع ؛ فإنّه يجدُ ما أخبَرَ به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم ، فقد أصبَحَ المسلمونَ في هذهِ الأيّام أذلاء، سَيطرَ عليهم الأعداءُ، في سائرِ البقاع والأرجاء، وليس هذا فحسب ، فقد عملوا بهم تقتيلاً وتنكيلاً، علماً بأنَّ المسلمين ليسوا بقلّة ، ولكنّهم كما أخبرَ عنهم رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلّم « غثاء كغثاء السيل » ، ويشهدُ لهذا الحديث الحديثُ الآخرُ ، وهو الحديث الثاني :

قال صلى اللّه عليه وسلّم : « إذا تبايعتم بالعِينة ، وأخذْتُم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهادَ ، سَلَّط اللّهُ عليكُم ذلاًّ، لا يَنزعهُ عنكم ، حتّى تَرْجعوا إلى دينكم » .

والذلّ المذكورُ في هذا الحديث ، هو نَفسُ الذلّ المذكور سابقاً ، وعلى كلِّ حال ؛ فالمسلمونَ في أيّامنا هذه، تفرّقوا (أيديَ سبأ) ، فأصبحوا (عبابيد) ، وتفرّقوا (شماطيط) ، ولا حولَ ولا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم .

أمَّا ما جاءَ في الآثار السَّلفية : فقال ابن الجوزيّ في كتابه « تلبيس إبليس » (٢٢٧) :

« عن أبي عبد اللّه بن الجلاء قال : كنتُ أنظرُ إلى غلام نصرانيٍّ ،حسن الوجه ، فمرَّ بيَ أبو عبد اللّه البلخي ، فقال : إيش وقوفك ؟ فقلت :يا عمٍّ ! أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار ؟ فضرب بيده بين كتفي ، وقال : لتجدن غبَّها،ولو بعد حين ، قال : فوجدت غبَّها بعد أربعين سنة ، نسيت القرآن » .

وأخيراً ؛ ليعلم كل واحد فينا أن المعصية لا ينحصر أثرها في الذات ، بل إن أثرها يتعدى إلى الأبناء ، فتؤثر فيهم سلبًا ، كما أن الطاعة تؤثر في الأبناء إيجابًا ، وهذان الأمران مقرَّران في كتاب اللّه ، قال تعالى :﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا

خافوا عليهم فليتقوا اللّه وليقولوا قولاً سديداً ﴾، هذا هو التأثير السلبي أمّا الإيجابي ، فقوله تعالى : ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ .

لقد حفظ اللّه الكنز للغلامين بسبب صلاح أبويهما ، فكانت ثمرة العمل الصالح واضحة جلية،يتعدّى أثرها إلى الأبناء .

وأخيراً ؛ليعلم كل واحد فينا أن المعصية تعرف في وجه العاصي وكلامه ، وما أسر فيه من سريرة إلا ألبسه اللّه رداءها ، إن خيراً فخير ، وإن شرًّا فشرٌّ، لذا قال تعالى لنبيه صلى اللّه عليه وسلّم : ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهُم ولتعرفنهم في لحن القول واللّه يعلم أعمالكم ﴾

﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج اللّه أضغانهم ﴾ .

وروي عَنْ أمير المؤمنين عُثمان ابن عفان رضي اللّه عنه أنه قال : « ما أسر أحد سريرة إلا أبداها اللّه على صفحات وجهه وفلتات لسانه » .

وقال بعض السلف :« واللّه إني لأعرف معصيتي في خلق امرأتي ، وحرن دابتي » .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .❑

❑❑❑❑❑

يا سائلي عن موضع التقليد خُذْ ... عنّي الجواب بفهم لبٍّ حاضرِ

وأصغِ إلى قولي ودِنْ بنصيحتي ... واحفظ عليَّ بوادري ونوادري

فإذا اقتديت فبالكتاب وسنة الـ ... مَبعوث بالدِّين الحنيف الطَّاهر

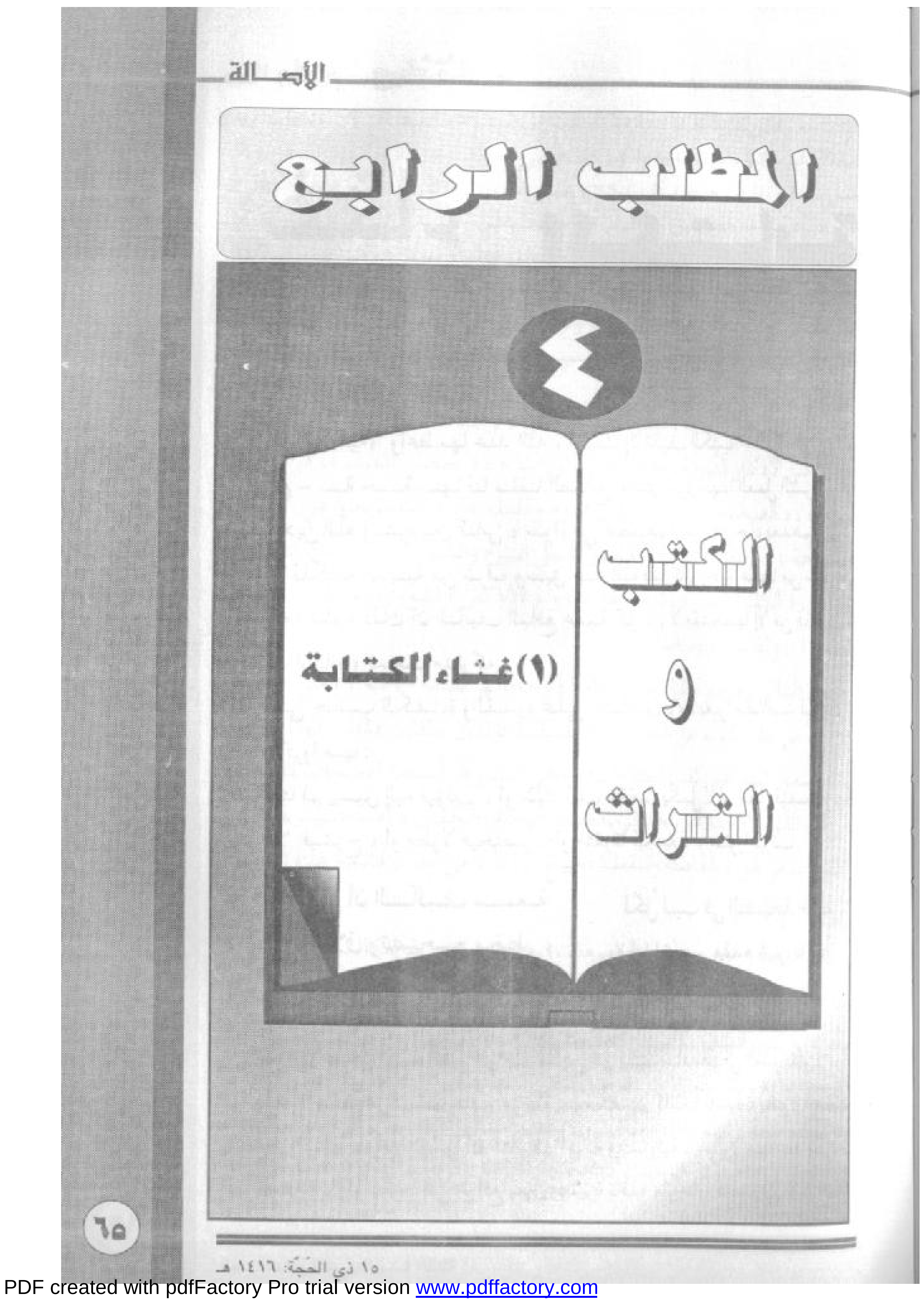
ثم الصحابة عند عَدْمك سنةً ... فأُولاك أهلُ نهىً وأهل بصائر

وكذاك إجماع الذين يلونَهم ... من تابعيهم كابرًا عن كابر

إجماع أمتنا وقول نبينا ... مثل النصوص لدى الكتاب الزاهر

وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد ... ومع الدَّليل فملْ بفهم وافر

وعلى الأصول فقسْ فروعك لا تقس ... فرعاً بفرع كالجهول الحائر


المطلب الرابع
٤
الكتب
و
التراث
(١) غثاء الكتابة

غثاء الكتابة

يزيد حمزاوي

لا يشك أحد أن الكتابة – وبخاصة الإسلامية – هي من انبل الاعمال الدينية، وأعظمها عند الله ، حيث إن تأليف الكتب – التي تبين وتعلم الإسلام – سنة حسنة سنها لنا سلفنا الصالح ،الذي انبرى بهذا العمل الشريف إلى حفظ دين الله ونشره بين الناس ، سواء في عصرهم أو في من جاء بعدهم ، لكن رغم ما للكتابة الدينية من شرف وسبق عند الله فما كان يجرؤ عليها من شاء ،ولا كتابة ما شاء ، ذلك أن التأليف النافع عقبة كؤود ، لا يقتحمها إلا من فاض زاده وقويت أركانه واتسعت مداركه .

فإلى جانب الكفاءة والقدرة على التأليف ، وضعوا مقاصد لذلك ، فذكروا منها:

شيئاً لم يسبق إليه فيؤلف ، أو شيئاً ألف ناقصاً يكمل ، أو خطأ فيصحح ، أو مشكلاً فيشرح ، أو مطولاً فيختصر ، أو متفرقًا فيجمع ، أو منثوراً فيرتب.

ألا فاعلمَنْ أن التآليف سبعةٌ ... لكلّ لبيب في النصيحة خالصِ
فشَرْحٌ لإغلاق وتصحيح مخطيء ... وإبداع حبر مقدم غير ناكصِ
وترتيب منثور وجمع مفرّق ... وتقصير تطويل وتتميم ناقصِ

فما بال صغار طلبة العلم اليوم ، الذين لم يشتد ساعدهم في العلم بعد ، ولم ينالوا منه حظاً وافراً ، بضاعتهم مزجاة ، وسلْعتُهم كاسدةٌ فاسدة ، يظنون أنفسهم مؤلفين وكُتّابًا ، ولم يعلموا أن التأليف أمانة ومسؤولية ، يسألون عنها يوم يكشف عن السرائر ، ولو نظروا إلى الواقع بعين بصيرة نافذة ، لوجدوا كتبهم في الأسواق في

زيادة دائمة ، لكن آثارها قليلة ، عديمة المنفعة ، زهيدة الفائدة ، لا لأن معلوماتها ضئيلة أو غير صائبة ، بل لأنها عديمة البركة ، فهي حروف جامدة ، وكلمات صامتة وجمل يابسة ، وفقرات جوفاء ميتة ، الكلام على صفحاتها كثير ، لكن العلم الرباني والنور النبوي بين غلافيها قليل ، وليتهم التزموا بمقاصد التأليف التي ذكرناها آنفاً ، بل إنهم يسارعون إلى التأليف والكتابة في مسائل قتلت بحثاً ، ومباحث صالت وجالت فيها أقلام الفطاحلة قديماً وحديثاً ، فلا يكاد يمر يوم حتى تقذف فيه بطون دور النشر ،وأرحام المطابع بعشرات الكتب والرسائل (الجديدة القديمة) إلى الساحة أو بالأحرى إلى رفوف المكتبات ، الجديدة في ورقها وغلافها ، القديمة في محتواها ومعلوماتها .

وأضربُ على ذلك أمثلة ، فعلى قلّة اطلاعي ؛ وجدتُ أكثرَ من أربعين كتاباً ورسالةً عن الأذكار النبويّة ، منها : « المأثورات » ، « حصن المسلم »، « الأذكار النبوية » ، « الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة » ، « النصيحة في الأذكار الصحيحة » ، « مختصره » ، « تحقيق عمل اليوم والليلة » ، « أذكار الصباح والمساء» ، « الكلم الطيب » ، « تحقيقه » ، و « الأذكار » للنوويّ و« تحقيقه» لعدة محققين!!.. والقائمة طويلة جداً .

المثال الثاني : موضوع المرأة بصفة عامة ، وحجابها بصفة خاصة ، فعلى طاولتي الآن أزيدُ من عشرة كتب عن حجاب المرأة المسلمة لمؤلّفين سلفيينَ فقط ، دون غيرهم وقد اجتمعوا كلّهم على نفسِ المعلومات ، وهي الشروط السبعة للحجابِ الشرعيّ المعروفة، اللّهمّ إلا اختلافٌ واحد في قضيّة الوجه والكفين ، أما غير ذلك ، فالمعلومات هي هي ، بالفاصلة والنقطة أحياناً ، ولا داعي لذكر قائمة هذه الكتب كما فعلنا مع الأذكار .

المثال الثالث : موضوع الأسماء والصفات، وإثباتها على طريقة السلف الصالح ، فهناك عشرات التاليفات تؤلّف كلّ سنة عن هذا الموضوع، علماً أنها كلّها عالة ومنقولة من كتب السلف ، لا سيّما كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيّم، فمن أراد الخيرَ حقّاً للأمّة ، فما عليه إلا أن يطبع وينشرَ كتب هذين الشيخين، فهي كافية ، ووافية ، وواضحة ، تُعلّمُ الجاهل وتكشفُ زيف الضالين المضلّين ، من الفرق الضالة في العقيدة ، والمنحرفة في التوحيد ، فلا حاجة للتاليف في هذا الموضوع بعدها .

وأُحبُّ أن أسردَ قصةً عن شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله ،حيثُ أرسل إليه قاضي واسط يناشدهُ تأليف كتاب عن العقيدة السلفيّة الصحيحة ، بعدما انتشرت في العراق بدعة المعطلة و المؤولة ، فرفض شيخُ الإسلام الكتابةَ ، وردَّ على قاضي واسط بكلام ملخصُهُ :

إنَّ العقيدةَ السلفيّة الصحيحة ، موجودةٌ وواضحةٌ في كتب السَّلف الصالح ، فعليكم أن ترجعوا إليها ،فلا أرى فائدة من كتابة كتاب عن العقيدة ، وهي موجودة منذ قرونٍ ، فألحَّ قاضي واسط في طلبه مرّة ثانية ، لخطر أهل البدعة وعدم وجود من يردّ عليهم ، فاستجابَ شيخ الإسلام لطلبه ، فألفَ ما اشتهر بـ« العقيدة الواسطيّة » نسبةً إلى واسط .

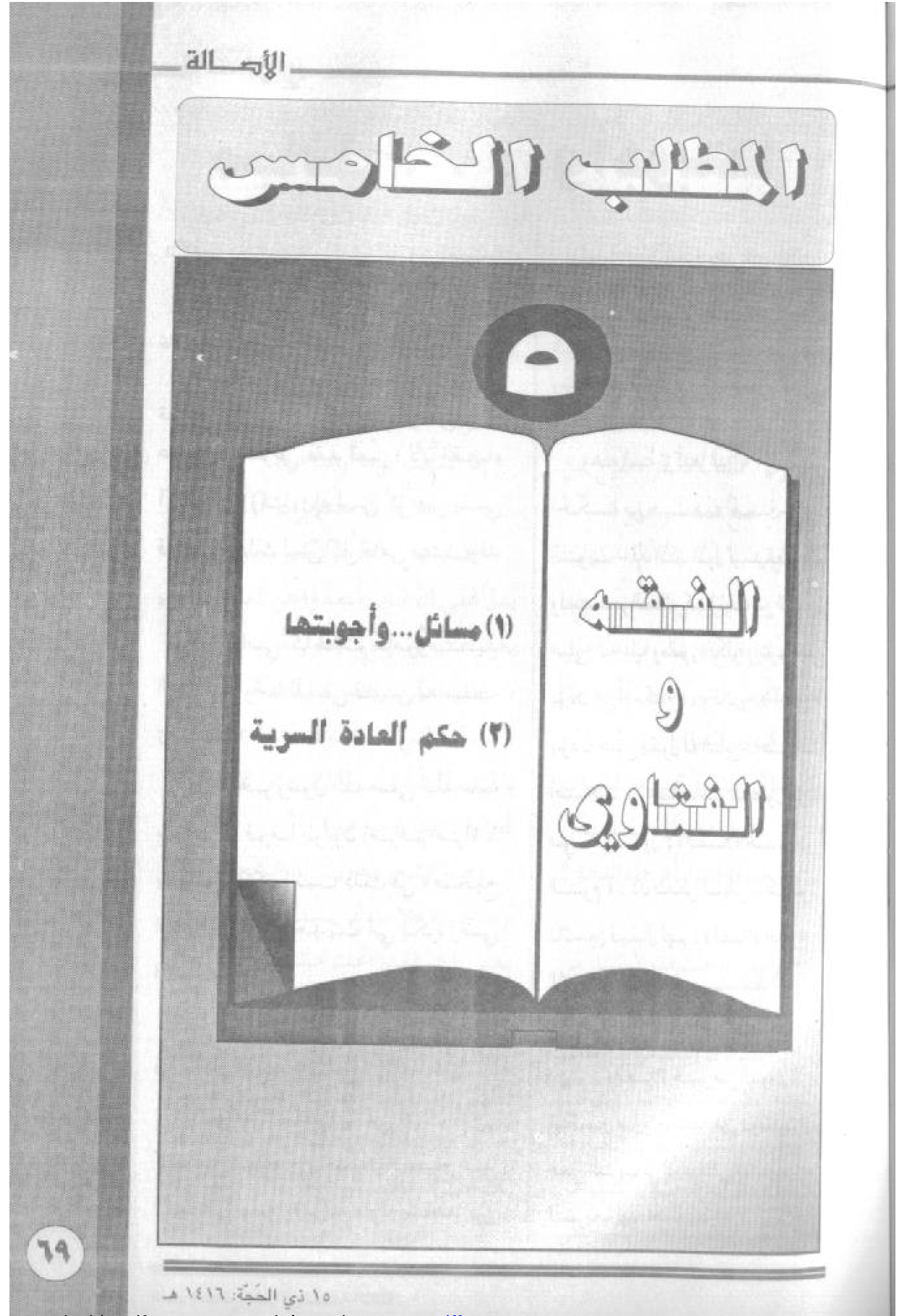
فلم لا يأخذ كتّابُنا هذا الموقفَ عبرةً لهم ، فَيَدَعوا (موضةَ) التأليف في الأذكار، والحجاب ، والأسماء ، والصفات !! أم أنَّ هناك أموراً أُخرى في خبايا الزوايا بين الكاسبين – عفواً – الكاتبين ، وأصحاب دور النشر ، نحن عنها غافلون !!؟

وأتذكّر أنّي منذ ثلاث سنوات استغربتُ من كلّ هذه التأليفات ، وتعجبتُ ممن يقرؤها كلّها ، ودهشتُ كيف يجرؤ بعضُ من قرأ كتاباً أو كتابين في مصطلح الحديث على التحقيق والتخريج ، بل الاجتهاد في المعضلات ، والفصل في الخلافيّات ، فسألتُ الشّيخَ أبا إسحاق الحويني – حفظه الله – عن ذلك ، فأجابني باللّهجة المصريّة : « إنَّ الأمرَ أصبحَ أكل عيش »، أي : كما نقول نحن في الجزائر : « الخُبزة » ، فقد بلغ السيل الزُّبى ، وأضحى الأمرُ منكراً خبيثاً ، وانحرافاً عن جادّة المنهج ، وعقبة في طريق الدعوة ،فلا ينبغي السكوت عن هذا المنكر أو التواطؤ عليه؛ ونتمنى أن يكونَ الشّيخُ الحوينيّ مخطئاً في ظنّه ، مثل ما نتمنّى أن لا يُصبح التأليف للكتب الدينيّة نزوةً لإشباع شهوة حبِّ المال والشّهرة ،يُبتغى للذّات ، لأنَّ الأصلَ في التأليف أنّه وسيلة دعويّة تصبُّ مع الوسائل الأخرى – التي فرّطَ فيها إخواننا – في منبع واحد ، وهو الدعوة إلى الله ، وتحقيق العبوديّة المطلقة للّه ، فلا يجوزُ بحالٍ من الأحوال ، أن يصير هذا المقصدُ السّامي ، والهدف النّبيلُ ، عبثاً علمياً ، وترفاً فكرياً ، بين أيدي النفعيين والوصوليين .

فهذا ما عندي ، فإنْ أصبتُ فَمِنَ الله ، وإنْ أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان .

وسبحانَك اللّهم ! وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت ، أستغفرك ، وأتوبُ إليك .




المطلب الخامس
٥
الفقه
و
الفتاوى
(١) مسائل...وأجوبتها
(٢) حكم العادة السرية

مسائل . . . وأجوبتها

العلاّمة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني

سؤال : هل يجوزُ للمرأةِ أن تكون قاضيةً ؟

الجواب : لا يجوزُ للمرأةِ أن تكونَ قاضية ، ومن زعمَ أنَّ القضاءَ هو إخبار عن حكم شرعيٍّ فقد قصَّر ؛ لأنَّ القضاء أكثر من الإفتاء؛ إذ ليس كلُّ من يفتي قاضياً وكذلك ليس كلُّ قاضٍ مفتيًا ،وقد يجتمعان.

إنَّ القاضي كالحاكم مأمورٌ بتنفيذ الإفتاء ، وأمّا المفتي فليس له سلطة تنفيذيّة .

وقد أخبر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنَّ قوماً يولّون أمرهم امرأة لا يفلحون ، كما ثبت ذلك في « صحيح البخاريّ » من حديث أبي بكرة رضي اللّه عنه .

سؤال : هل التثويب في الفجر يكون في الأذان الأوّل أم الثاني ؟

الجواب : التثويب في الأذان الأوّل كما هو صريحٌ في حديث صحيح عند النّسائي وابن خزيمة ، وله شاهد من حديث ابن عمر رضي اللّه عنه أنَّ التثويب كان في الأذان الأوّل على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، هذا من حيثُ الرواية .

وهذه السنّة تؤكّدها الدراية ، والنظر في الحكمة من حيث هذه الجملةُ - أي : التثويب - فإنَّ الأذان الأوّل ليستيقظ النائم وليتسحّر الصائم كما ثبت عن الرّسول صلى اللّه عليه وسلم : « فكلوا واشربوا حتّى يؤذّن ابن أُمّ مكتوم » ، وكان رجلاً أعمى لا يؤذِّنُ حتّى يقول له النّاس : أصبحتَ أصبحتَ ... فهنا يناسبُ أن يقول المؤذّن في الأذان الأوّل : « الصلاة خير من النوم » ؛ لأنّ بعض النّاس يكونونَ نائمين فيقال لهم : « الصلاة خير من النوم »، أمّا بعد أن يستيقظ النّاس ، ويتوافدوا على المساجد فما الحاجة لأن يقالَ لهم : « الصلاة خير من النوم » ؟! إنَّ النائمين صاروا مستيقظين ، ولذلك فإنَّ جعل التثويب في الأذان الثاني منافٍ للحكمة التشريعيّة لهذه الجملة .

وعلى هذا تلتقي الرواية والدراية معاً ، في بيان أنّ جملة «الصلاة خير من النوم» إنّما هي في الأذان الأوّل ، دون الأذان الثاني.

لكن من المؤسف جداً أنْ نرى النّاس في أيّامنا هذه على خلاف هذه السنّة ، فينبغي على دعاة السنّة توجيهُ النّاس وإرشادهم بالتي هي أحسن لكي يتهيأ الجوُّ لتقبُّلِ هذه السنّة ، كما كانت على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

سؤال : الكتاب المسمّى «معراج ابن عباس» هل تصحُّ نسبته لابن عباس ؟

الجواب : لا تصحُّ نسبةُ هذا الكتاب لعبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما ، وقد تكلمتُ عن معراج ابن عباس في ردّي على الدكتور البوطي المنشور بعنوان : «دفاع عن الحديث النبويّ والسِّيرة».

سؤال : يتداولُ كثير من الشباب الإسلاميّ أشرطة عليها أناشيد تسمّى إسلاميّة ، فما هو الصوابُ في هذه المسألة ؟

الجواب : إذا خَلَتْ هذه الأناشيدُ من المعازف وآلات الطرب فأقول مبدئيّاً : لا بأس بها بشرط أن تسلَم من المخالفات الشرعيّة كالاستغاثة بغير اللّه ، والتوسّل بالمخلوقين ، وكذلك لا يجوزُ اتخاذها ديْدَناً، لأنّ ذلك يصرف الشباب المسلم عن تلاوة كتاب ربّهم وتدبّره ، والذي حضّ عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في أحاديث كثيرة صحيحة ، منها قوله : «من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منّا» وقوله : «اقرأوا القرآن وتغنّوا به قبل أن يأتي أقوام يتعجّلونه، ولا يتأجّلونه ، فتغنّوا به» .

ومن تأمّل حالَ الصّحابة – رضي اللّه عنهم – لم يجد في حياتهم مثل هذه الأناشيد ، فهم كانوا رجال حقائق ، وليسوا رجال تسلية .

سؤال : يقول الشاعر أبوالقاسم الشابي :

إذا الشّعبُ يوماً أرادَ الحياة
فلا بُدَّ أن يستجيبَ القدر

الجواب : هذا هوالكفر بعنيه ، وهو يدلُّ على أنّ النّاس ابتعدوا عن العلم ، فلم يعرفوا ما يجوزُ وما لا يجوزُ للّه وحده ، وما لا يجوزُ لغيره ، وهذا من الغفلة وهي من الأسباب التي جعلت هذاالشاعر يقول ذلك، وأن تتبنّى ذلك بعض الإذاعات العربيّة نشيداً قوميّاً عربيًّا !

وهذا الشعر يقول : إذا الشّعب يوماً أرادَ الحَياة فلا بُدَّ أن يستجيبَ القدر ، يعني : أن القدر تحت مشيئة الشّعب ! وهذا عكس قول ربِّ العالمين : ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاءَ اللّهُ ربُّ العالمين﴾ ، اللّهم اهدنا فيمن هديت ، ولا تُزغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة، إنّك أنتَ الوهّاب .❏

حكم العادة السرية

للعلاّمة الشيخ عبد العزيز بن باز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ، أما بعد :

فقد كَثُرت الأسئلةُ عن حكم الاستمناء المُسمى بالعادة السرية .

الجواب : الاستمناء باليد محرم في أصح قولي أهل العلم ، وهو قول جمهورهم ،لعموم قوله تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانُهم فإنَّهم غيرُ مَلومين ﴾ (١) فأثنى سبحانه على من حفظ فرجه ، فلم يقضِ وطرَه إلاَّ مع زوجته أو أَمَته، وحكم بأنَّ مَنْ قضى وطره فيما وراء ذلك – أيًّا كان – فهو عادٍ، متجاوزٌ لما أحلّه اللّهُ له ، ويدخل في عموم ذلك الاستمناء باليد ، كما نبَّه على ذلك الحافظُ ابن كثير وغيره ، ولأنَّ في استعماله مضار كثيرةً ، وله عواقبُ وخيمةٌ ، منها : إنهاك القُوى ، وضعفُ الأعصاب .

وقد جاءت الشّريعةُ الإسلاميَّةُ بمنع ما يضرُّ الإنسان ، في دينه ، وبدنه ، وماله وعرضه .

قال الموفَّقُ ابنُ قدامة رحمه اللّه في كتابه «المُغني» : « ولو استمنى بيده ، فقد فعل مُحَرَّماً » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى في «مجموع الفتاوى» : « أمّا الاستمناءُ باليد ، فهو حرامٌ عند جمهور العلماء ، وهو أصحُّ القولين في مذهب أحمد ، ولذلك يُعَزَّرُ مَنْ فَعَلَهُ ، وفي القول الآخر هو مكروهٌ ، غيرُ محرَّمٍ ، وأكثرهم لا يبيحونه لخوف العنت ولا غيره »(٢) اهـ.

(١) [المؤمنون :٥ – ٦] .

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٤ / ٣٢٨) .

وقال العلامة محمد أمين الشنقيطي – رحمه الله – في تفسيره « أضواء البيان »[1] ما نصه : « المسألة الثالثة : اعلم أنه لا شك في أنّ آية ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ هذه التي هي ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ تدل بعمومها على منع الاستمناء باليد ، المعروف بجلد عميرة ، ويقال لها : الخضخضة ، لأنَّ من تلذَّذ حتَّى أنزل منيَّه بذلك قد ابتغى وراء ما أحَلَّه اللّه ، فهو من العادين بنصِّ هذه الآية الكريمة المذكورة هنا ، وفي سورة سأل سائل [المعارج] .

وقد ذكر ابن كثير أنَّ الشّافعيَّ ، ومن تبعه ، استدلّوا بهذه الآية على منع الاستمناء باليد .

وقال القرطبيّ : قال محمد بن عبد الحكم : سمعتُ حرملةَ بن عبد العزيز قال : سألتُ مالكاً عن الرَّجُل يجلد عميرة ؟ فتلا هذه الآية : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ إلى قوله : ﴿ العادون ﴾ قال مقيِّده – عفا اللّه عنه وغفر له – [الشنقيطي] – : الذي يظهر لي أن استدلال مالك ، والشافعي ، وغيرهما من أهل العلم بهذه الآية الكريمة على منع جلد عميرة – الذي هو الاستمناء باليد – استدلالٌ صحيح بكتاب اللّه ، يدلُّ عليه ظاهر القرآن .

ولم يَرد شيء يعارضه من كتاب ولا سُنَّة ، وما روي عن الإمام أحمد – مع علمه ، وجلالته ، وورعه – من إباحة جلْد عميرة ، مستدلا على ذلك بالقياس قائلاً : هو إخراج فضلة من البدن ، تدعو على الفصد والحجامة ، كما قال في ذلك بعضُ الشُّعراء :

إذا حَلَلْتَ بوادٍ لا أنيسَ به
فاجْلِد عميرةَ لا عارٌ ولا حرجُ

فهو خلافُ الصَّواب ، وإنْ كان قائلُه في المنزلة المعروفة التي هو بها ، لأنّه قياسٌ يخالف ظاهرَ عمومِ القرآن والقياسُ إنْ كان كذلك رُدَّ بالقادح ، المسمى « فساد الاعتبار » كما أوضحناه في هذا الكتاب المبارك مراراً ، وذكرنا فيه قول صاحب « مراقي السعود » :

والخُلْفُ للنَّص أو اجْماعٍ دعا
فساد الاعتبار كلُّ من وعى

[1] « أضواء البيان » (٥ / ٧٦٩) .



فالله جلَّ وعلا قال : ﴿ والَّذين هم لِفُروجهم حافظون ﴾ ، ولم يستَثْنِ في ذلك البتة ، إلاَّ النَّوعين المذكورين في قوله تعالى : ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾ وصرح برفع الملامة في عدم حفظ الفرج عن الزوجة والمملوكة فقط ، ثم جاء بصيغة عامة شاملة لغير النوعين المذكورين، دالّة على المنع ، هي قوله : ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ ، وهذا العموم لا شكَّ أنه يتناول بظاهره ناكح يده ، وظاهر عموم القرآن لا يجوز العدول عنه إلا لدليل ، من كتاب ، أو سنّة ، يجبُ الرُّجوع إليه ، أما القياسُ المخالف له ؛ فهو فاسدُ الاعتبارِ كما أوضحنا ، والعلم عند الله تعالى » اهـ .

وقال أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصِّدّيق الحسني الإدريسي في كتابه « الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء » أو « العادة السرية من النّاحيتين الدينية والصحية » ما نصه : « الباب الأول في تحريم الاستمناء ،و بيان دليله : ذهب المالكية ، والشافعية، والحنفية وجمهور العلماء إلى أنَّ الاستمناءَ حرامٌ ، وهذا هو المذهب الصَّحيحُ ، الذي لا يجوز القول بغيره ، وعليه أدلةٌ كما يتبين بحول الله تعالى :

الدليل الأول : قول الله تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانُهم فإنَّهم غيرُ ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ وجه الدّلالة من هذه الآية الكريمة ظاهرٌ ، فإنَّ اللَّهَ تعالى مدح المؤمنين بحفظهم لفروجهم ، مما حرَّم عليهم ، وأخبر برفع الحرج واللوم عنهم في قُربانهم لأزواجهم ، وإمائهم المملوكات لهم مستثنياً ذلك من عموم حفظ الفرج، الذي مدحهم به ، ثم عقَّب بقوله تعالى : ﴿ فمن ابتغى ﴾ أي : طلب ﴿ وراء ذلك ﴾ أي : سوى ذلك المذكور ، من الأزواج والإماء ، ﴿ فأولئك هم العادون ﴾ أي : الظالمون ، المتجاوزون الحلالَ إلى الحرام ، لأنَّ العادي هو الذي يتجاوزُ الحدَّ ، ومتجاوزُ ما حدّه الله ظالمٌ ، بدليل قوله تعالى ﴿ ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [1]،

---

(١) [البقرة : ٢٢٩] .

فكانت هذه الآيةُ عامةً في تحريم ما عدا صنفي الأزواج والإماء ، ولا شكَّ أن الاستمناءَ غيرُهما ، فهو حرام، ومُبْتغيه فهو ظالم بنصِّ القرآن » ثم استرسل في ذكر الأدلة ...

إلى أن قال :

« **الدليل السادس** : ثبت في علم الطِّب أنَّ الاستمناء يورث عدة أمراض ، منها :

أنه يُضعفُ البصرَ ، ويقلِّل من حدَّته المعتادة ، إلى حدٍّ بعيد .

ومنها : أنَّه يضعفُ عضوَ التَّناسل ويحدث فيه ارتخاءً جزئياً أو كلياً، بحيث يصبح فاعلُه أشبه بالمرأة ؛ لفَقْده أهمَّ مميزات الرُّجولة التي فضَّل اللّه بها الرجلَ على المرأة ، فهو لا يستطيع الزَّواجَ ، وإنْ فُرِض أنه تزوَّج فلا يستطيع إعفافَها ، وفي ذلك مفاسد لا تخفى.

ومنها : أنه يورث ضعفاً في الأعصاب عامة ، نتيجة الإجهاد الذي يحصل من تلك العملية .

ومنها : أنه يورثُ اضطراباً في آلة الهضم ، فيضعف عملها ، ويختل نظامها .

ومنها : أنه يوقف نمو الأعضاء ، خصوصًا الإحليل والخصيتين ، فلا تصل إلى حدّ نموها الطبيعي .

ومنها : أنه يورثُ التهاباً منوياً في الخصيتين ، فيصير صاحبه سريع الإنزال إلى حدٍّ بعيد ، بحيث يُنزِل بمجرد احتكاك شيء بذكره أقل احتكاك .

ومنها : أنه يورثُ ألماً في فقار الظهر ، وهو الصُّلب الذي يخرج منه المنيّ ، وينشأ عن هذا الألم تقويس الظهْرِ وانحناؤه .

ومنها : أنه يُحل ماء فاعله ، فبعد أن يكون منيُّه غليظاً ثخيناً ، كما هو المعتاد في منيّ الرَّجل ، يصير بهذه العملية رقيقاً خالياً من الدودات المنوية ، وربما تبقى فيه دويدات ضئيلة ، لا تقوى على التلقيح ، فيتكوَّن منها جنينٌ ضعيفٌ ولهذا نجد ولد المستمني – إنْ وُلد له– ضعيفاً بادي الأمراض ، ليس كغيره من الأولاد الذين تولَّدوا من منيٍّ طبيعي .

ومنها : أنه يورث رعشة في بعض الأعضاء كالرِّجلين .

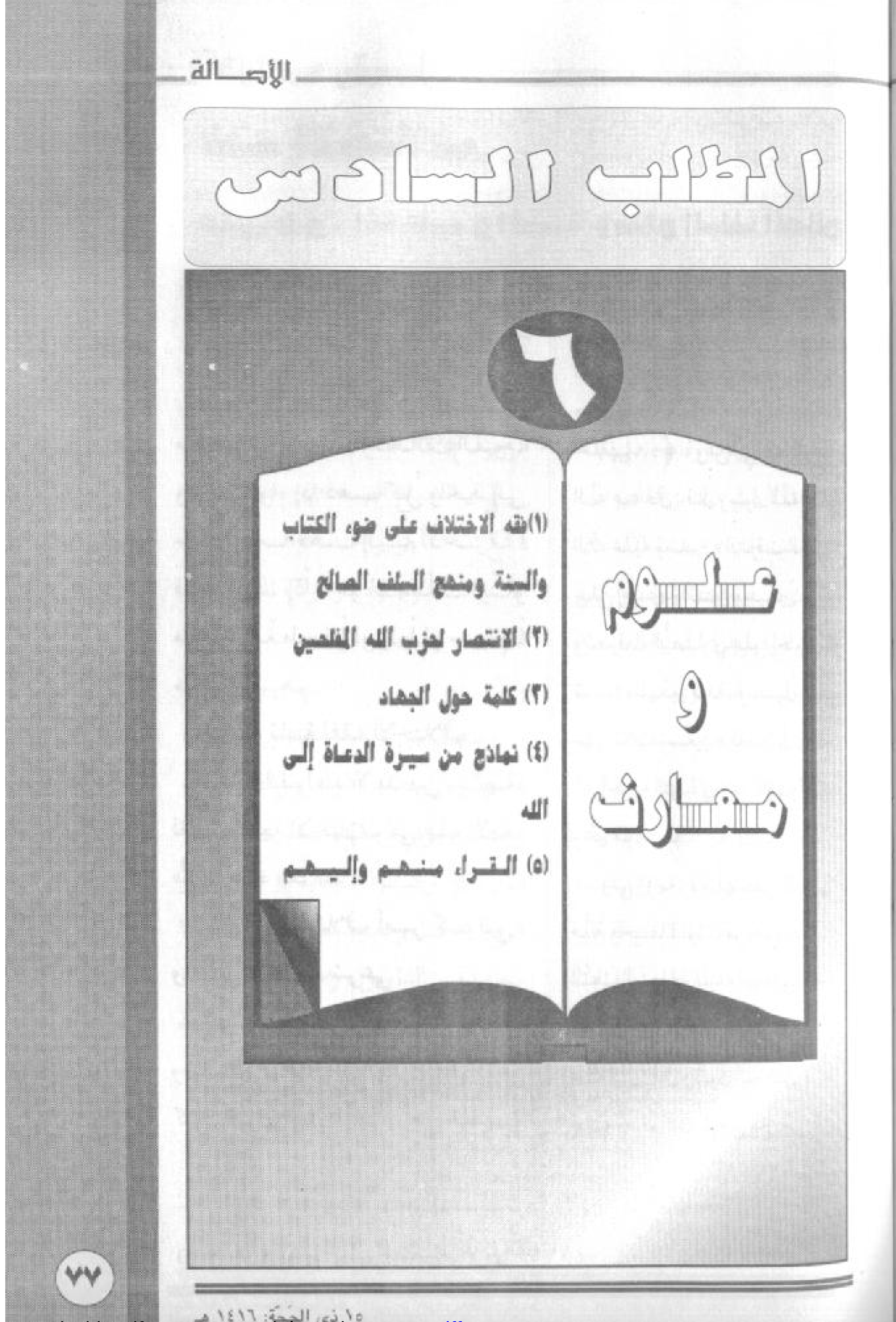
ومنها : أنه يورث ضعفاً في الغُدد المُخِّية ، فتضعف القوَّة المدركة، ويقلّ فهمُ فاعله بعد أن يكون ذكياً ، وربما يبلغ ضَعْفُ الغدد المُخِّيَّة إلى حدٍّ يصل معه خبلٌ في العقل » ا.هـ.

وبذلك يتَّضحُ للقراء تحريمُ الاستمناء بغير شكٍّ ، للأدلة والمضار التي سبق ذكرها ، ويلحق بذلك استخراجه بما يصنع على هيئة الفرج من القطن ، ونحوه ، والله وليُّ التَّوفيق ، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد ، وآله ، وصحبه . ❑

❑❑❑❑❑

◀قال محمد بن صُبيح ابنُ السَّماك : علمتُ أن اليهود لا يَسُبُّون أصحاب موسى عليه السلام ، وأنَّ النصارى لا يَسُبُّون أصحاب عيسى عليه السلام ، فما بالك يا جاهلُ سَبَبْتَ أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلّم ، وقد علمتَ من أين أتيت ، لم يَشْغَلْك ذنبُك ، أمّا لو شَغَلَك ذنبُك لخفت ربَّك ، لقد كان في ذنبك شُغُلٌ عن المسيئين ، فكيف لم يَشْغَلْك عن المحسنين ، أمَا لو كنتَ من المحسنين لَمَا تناولت المسيئين ، ولرجوتَ لهم أرحم الراحمين ، ولكنك من المسيئين ، فمن ثَمَّ عِبْتَ الشهداء والصالحين ، أيُّها العائبُ لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلّم لو نمْتَ لَيْلَك وأفطرت نهارك لكان خيراً لك من قيام ليلك وصومِ نهارك مع سُوء قولك في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم فويحك ! لا قيامَ ليلٍ ولا صومَ نهارٍ وأنت تتناول الأخيار ، فأبْشرْ بما ليس فيه البشرى إن لم تتب مما تسمع وترى ، ويحك ! شرُّ الخلف خَلَفٌ شَتَم السَّلفَ ، والله لَوَاحدٌ من السَّلفِ خيرٌ من ألفٍ من الْخَلَف .

« الجليس الصالح » (٢ / ٣٩٢) .


المطلب السادس
٦
علوم
و
معارف
(١)فقه الاختلاف على ضوء الكتاب
والسنة ومنهج السلف الصالح
(٢) الانتصار لحزب الله المفلحين
(٣) كلمة حول الجهاد
(٤) نماذج من سيرة الدعاة إلى
الله
(٥) القراء منهم وإليهم

فقه الاختلاف

على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح

سالم بن صالح المرفدي

للاختلاف في اللغة معانٍ متقاربة منها: عدم الاتفاق على الشيء، وعدم التساوي، تقول: خالفته مخالفة وخلافاً، وتخالف القوم، واختلفوا، إذا ذهب كلٌّ واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر (١) فالاختلاف إذاً ؛ هو أن يَسْلُكَ فردٌ أو مجموعةٌ طريقاً أو رأياً أو منهجاً مخالفاً لغيرهم.

قواعد ثابتة لفقه الاختلاف:

وهذه القواعد لا بد من بيانها، لفهم طبيعة الاختلاف في هذه الأمة، فأولى هذه القواعد:

١- الاختلاف أمر كوني، والنهي عنه أمر شرعي:

قدّر الله تعالى بحكمته البالغة، ومشيئته النافذة، أنْ تفترق هذه الأمة كما افترق أهل الكتاب من قبلهم، قال تعالى: ﴿ ولو شاءَ ربُّك لجعَل النَّاس أمـةً واحـدةً ولا يَـزالـونَ مختلفين. إلاَّ مَن رَحِم ربُّك ولذلك خلقهم... ﴾ ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهودُ على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرَّقت النَّصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد وغيرهم.

وفي رواية: «كلُّهم في النَّار إلا ملَّة واحدة، قالوا: ومن هي يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتتبعنَّ سنن من كان

(١) انظر «المصباح المنير» للفيومي (ج١/ ١٧٩).

قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب، لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!»[1] أخرجه البخاري ومسلم.

ورغم وقوع هذا الافتراق حسب سنة الله الكونيَّة، إلاّ أن الله تعالى قد نهى عنه في كتابه، وسنة نبيّه، وأمر بالتزام طريق الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وجعل لها علامات لا يضل عنها من أخلص قلبه في طلب الحق، وحديث الافتراق شكَّكَ في صحته البعض ولكن الناظر المتبصر في طرق رواياته يجزم بصحَّته، خصوصاً وأنَّ هناك أحاديث صحيحة مستفيضة في تشبّه هذه الأمة بمن قبلها ومن أبرزها ظاهرة الافتراق عن المنهج الحق، وقد نهى الله تعالى عن هذا التشبُّه بقوله: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا منْ بعد ما جاءهمُ البيّناتُ وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ ﴾[2]

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: « ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمَّةَ أن يكونوا كالأمم الماضينَ؛ في افتراقهم، واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع قيام الحجة عليهم »[3].

وقال سبحانه: ﴿ ولا تكونوا من المشركين من الّذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً كُلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحون ﴾[4].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: « مع أنَّ الدّينَ واحدٌ، وهو إخلاص العبادة للّه وحده، وهؤلاء المشركون فرقوه، مِنهم مَن يعبد الأوثانَ والأصنام.

ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم يهود، ومنهم نصارى، ولهذا قال: ﴿ وكانوا شيعاً ﴾ أي: كلُّ فرقة تحزَّبتْ وتعصَّبت على نصر ما معها من الباطل، ومنابذة غيرهم، ومحاربتهم ﴿ كل حزب بما لديهم ﴾

(١) وجه الدلالة من هذا الحديث أنه كما افترقت اليهود والنصارى فيما بينهم، فكذلك هذه الأمة ستفترق فيما بينها.

(٢) [آل عمران: ١٠٥].

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٩٠).

(٤) [الروم: ٣٢].

من العلوم المخالفة لعلوم الرسل ﴿ فرحون ﴾ به يحكمون لأنفسهم بأنه الحقّ وأنّ غيرهم على باطل، وفي هذا تحذيرٌ للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقاً، كل فريق يتعصّبُ لما معه من حقٍّ وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرُّق، بل الدين واحدٌ، والرسولُ واحدٌ و الإله واحد، وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها اللّه وربطها أتمّ ربط، فما بال ذلك كله يُلْغَى؟! ويُبنى التفرق، والشقاق بين المسلمين، و على مسائل خفية، أو فروع خلافية، يضلل فيها بعضهم بعضاً، ويتميَّز بها بعضهم على بعض، فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان، وأعظم مقاصده التي كاد بها المسلمين». (١)

٢-ليس كل اختلاف افْتراقًا :

وذلك أن الاختلافَ لفظ عام يندرج فيه أنواع، منها الافتراق كما سيأتي معنا ، و الافتراق لغة :من المفارقة، وهي المباينة، والمفاصلة، وفي اصطلاح العلماء، هو: الخروجُ عن السنّة والجماعة في أصلٍ من أصول الدين الكلية، سواء العقديّة، أو العمليّة.

ومن الأسف أنّ بعض طلبة العلم يرتبون على بعض مسائل الاختلاف الجائز الافتراق، وهذا خطأٌ فاحشٌ،والذي أوقعهم في هذا: أنهم جهلوا أصول الافتراق، ومتى، وكيف يكون؟ وكذلك عدم العلم بما يسع فيه الاختلاف، وما لا يسع، ويتضح الفرق بين الاختلاف السائغ والافتراق بما يلي:

أ- أن الافتراق لا يكون إلا في أصول كبرى كليَّة، لا يسع فيها الاختلاف ، ثبتت بنصٍّ قاطع، أو بإجماعٍ، أو استقرت منهجاً علمياً لأهل السنّة والجماعة، لا يختلفون عليه، وعلى ذلك فلا يجوز أن يوصم المسلم بأنه من الفرق الهالكة، إلا إذا كان ابتداعُه في الأمور التالية:

معنى كلّي في الدين، أو قاعدة من قواعد الشّريعة، أو أصل من الشرع عامّ، أو الجزئيات الكثيرة،

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان »(٦ / ١٢٨) .

بحيث تعود على كثيرٍ من الشَّريعة بالمعارضة، وقد سُئل شيخ الإسلام عن حدِّ البدعة التي يعدُّ بها الرَّجلُ من أهل الأهواء؟ فاجاب : « والبدعة التي يعد بها الرَّجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنَّة مخالفتها للكتاب وللسنَّة، كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة... » [1].

ب- أن الاختلاف السَّائغ يكون عن اجتهاد وحسن نية، ويؤجَرُ عليه المخطيء إذا كان مُتحرّياً للحقِّ، باحثاً عنه، بينما الافتراق لا يكون عن بذل الجهد في طلب الحق، وحسن النية، وإنما عن اتباع للهوى.

ج- أن الافتراق يتعلَّق به الوعيد، وكلُّه شذوذٌ وهلكة، أما الاختلاف السَّائغ فليس كذلك، مهما بلغ هذا الاختلاف بين المسلمين [2].

٣- الحق واحد لا يتعدد :

سواء في الأمور العمليَّة، وهذا من البَدَهيّات، وذهب بعضهم [3] إلى أن كل مجتهد مصيب [4]، وهو قول متهافت، وفي بيانه غنى عن تكلُّف بطلانه، ومع ذلك نورد بعضَ الأدلة على بطلانه، وهي كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [5] ودلالة الآية واضحة.

فكل ما كان فيه اختلاف تضاد، فالحق فيه واحد، لأن ما كان من عند اللّه تعالى لا يوجد فيه اختلاف، والعقل الصحيح يوافق النقل الصريح في إنكاره : «أن يقال لزيد: إن فعلت هذا الفعل فانت مأجور عليه، وفي الجنة ، وأنت آثم عليه، وفي النار، في وقت واحد ، ولا أن يكون بفعل واحدعاصياً للّه عز وجل بذلك

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/٤١٤).

(٢) وقد بين الفرق بينهما الشيخ الفاضل ناصر العقل في محاضرته القيمة « مفهوم الافتراق » ثم طبعت في كتاب.

(٣) منهم قطب الصوفية الشعراني في كتابه «الميزان»!!

(٤) ولكن أطلق بعض العلماء كلمة (مصيب) على من كان له أجر في اجتهاده وإن أخطأ، والصواب أن يُقال : لكلِّ مجتهد نصيب .

(٥) [النساء :٨٢].

الفعل مطيعاً له في وقت واحد »[1].

هذه هي أهم القواعد الثابتة، التي تُعَدُّ مدخلاً لفقه الاختلاف.

أقسام الاختلاف:

استقرأ العلماء الأدلة الواردة في موضوع الاختلاف، فتبين أنه على قسمين، وكل قسم يندرج تحته أنواع:

فالقسم الأول: اختلاف مذموم:

وهذه هي أنواعه:

١- ما يذم فيه كلا الطائفتين المتنازعتين، كقوله تعالى في اختلاف النصارى: ﴿فأغرينا بينهم العداوةَ والبغضاءَ إلى يوم القيامة﴾ [المائدة:١٤]، وفي وصف اختلاف اليهود: ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها اللّه﴾ [المائدة:٦٤] وكذلك اختلاف أهل الأهواء والبدع، فيما بينهم، قال تعالى: ﴿إنّ الذين فرّقوا دينَهم وكانَوا شِيعاً لستَ منهم في شيء﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وأيضاً ما يقع فيه التنازع بين المسلمين في اختلاف التنوع، وجحد كل طائفة ما عند الأخرى من الحق.

٢- ما يذم فيه إحدى الطائفتين، وتحمد الأخرى، ويسمى: اختلاف تضاد، وهو: أن يكون أحدُ القولين حقّاً والآخر باطلاً، قال تعالى: ﴿...ولكن اختلفوا فمنهم مَنْ آمن ومنهم من كفر ولو شاء اللّه ما اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣] وهذا مباينة عن الحق بالكفر، وأما المباينة عن الحق بالبدعة، فهو في حديث الافتراق المشهور، فعن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يارسول اللّه؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

---

(١) انظر مبحثاً جيداً لهذه القاعدة في كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (٥/ ٦٨)، و«جامع بيان العلم وفضله»: (باب ذكر الدليل في أقوال السلف على أنّ الاختلاف خطأ وصواب) للحافظ ابن عبد البر.

وفي بعض الروايات: «هي الجماعة»(1).

فأوضح الرسولُ صلّى الله عليه وسلّم أنّ هذه الفرقَ كلَّها هالكةٌ، إلا من كان على منهج السلف الصالح، قال الإمام الشاطبي «إن قوله عليه الصلاة والسلام: «إلا واحدة» قد أعطى بنصّه أنّ الحقّ واحدٌ لا يختلف، إذ لو كان للحقّ فرق أيضاً؛ لم يقلْ: «إلا واحدة»، ولأنّ الاختلاف منفيٌّ عن الشريعة بإطلاق، لأنها الحاكمة بين المتخالفَيْن؛ لقوله تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى اللّه والرَّسُول ﴾»(2).

فهذه أنواع الاختلاف التي ذمَّها الكتاب والسنة.

القسم الثاني: اختلاف جائز:

وهو على نوعين:

فالنوع الأول: اختلاف المجتهدين فيما يسوغ فيه الاجتهاد، فإن من رحمة اللّه تعالى بهذه الأمة: أنْ جعل أمر دينها يُسراً، ليس فيه عسر، وبعث نَبيَّنا محمداً ﷺ بالحنيفية السمحة، فقال سبحانه: ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج: ٧٨] ومن هذه الرحمة عدم تأثيم المجتهد المخطىء، بل حصوله على الأجر لجهده في طلب حكم اللّه تعالى، قال اللّه تعالى: ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾ [الأحزاب: ٥]. وعن عمرو بن العاص رضي اللّه عنه قال: قال: رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، فاصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ، فله، أجر واحد». رواه البخاري.

وإيضاحاً لما مضى، أقول: قسَّم كثيرٌ من العلماء مسائل الدين إلى أصول كلية وفروع جزئية، ومسائل الأصول ومسائل الاجتهاد(3)، وسواء في المسائل العلمية أو العملية، وعلى هذا جرى شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام الشاطبي — رحمهما اللّه تعالى —، قال شيخ الإسلام:

(1) انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني.

(2) «الاعتصام» (٢/٢٤٩)

(3) ولا نقول كما يقول الذين لا يعلمون: إن الدِّينَ لبابٌ وقشور! فإنَّ هذا سوء أدبٍ مع اللّه تعالى، بل الدِّينُ كله لبابٌ، أصولهُ وفروعهُ.

« . . .بل الحقّ أن الجليل من كل واحد من الصنفين مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع »[1] ، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة قولهم: « لأهل السنة والجماعة أصول ثابتة بالأدلة ، يبنون عليها الفروع، ويرجعون إليها في الاستدلال على المسائل الجزئية، وفي تطبيق الأحكام على أنفسهم، وعلى غيرهم »[2] .

ومن ذلك يتبيّن لنا: أن المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد، هي في الدقيق من المسائل العلمية والعملية، أما مسائل الأصول فلا يجوز فيها الاجتهاد، ومن أمثلة الجليل في الخبريات :إفراد اللّه تعالى بما يستحقه، ووجود الملائكة، والجن، والبعث، وعذاب القبر، والصّراط، ونحو ذلك من القضايا الظاهرة التي تسمى بالأصول، وأما الفروع في الخبريّات، فهو كل دقيق، مثل: رؤية النبي صلى اللّه عليه وسلّم لربه، وسماع الموتى في قبورهم لكلام الأحياء، ووصول ثواب الأعمال -غير الدعاء - للميت بعد موته، وأمثال ذلك، قال شيخ الإسلام :« ولهذا كان أئمة الإسلام متفقين على تبديع من خالف في مثل هذه الأصول، بخلاف من نازع في مسائل الاجتهاد، التي لم تبلغ هذا المبلغ في تواتر السنن عنه، كالتّنازُع بينهم في الحكم بشاهد ويمين، وفي القسامة ، والقرعة، وغير ذلك من الأمور التي لم تبلغ هذا المبلغ »[3] .

ومع ذلك، فإن الأمر ليس على إطلاقه بحيث يبتدعُ من يشاء بحجة الاجتهاد السائغ ، لذلك كان هناك ضوابط لهذا الاجتهاد، وهي:

١- أن لا يكون على المسألة دليل قطعي الثبوت والدلالة، إذ لا يجوز الاجتهاد في معرض النص، وأضرب لذلك مثلاً بقوله تعالى:﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة

(١) « مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٦).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع أحمد الدويش(٢ / ١٥٤).

(٣) « مجموع الفتاوي » (٤/ ٤٢٥).

كاملة ﴾ [البقرة:١٩٦] فهذه الآية دليل قطعي الثبوت لأنها من القرآن الكريم، وقطعية الدلالة في وجوب صيام عشرة أيام لمن لم يجد الهدي، وهو متمتع.

٢– أن يكون الدليل على المسألة مِمَّا يَحْتَمِلُ أوجهًا، مثاله في ظني الثبوت، ما ذهب إليه بعض علماء أهل السنة من استحباب تحريك السبابة في التشهد، بينما ذهب البعض الآخر من العلماء إلى أن زيادة التحريك في الحديث شاذة! ومثاله في ظني الدلالة قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ [البقرة:٢٢٨]، فذهب بعض العلماء إلى أنَّ المراد بالقرء هو الطهر، بينما فهم الآخرون أن المراد هو الحيض، ولكلا القولين وجهٌ في اللغة.

٣– أن لا يكون الاجتهاد في مسألة من مسائل الإجماع، أو ما استقر منهجاً علمياً لأهل السنة والجماعة.

٤ـ أن يصدر الحكمُ على المسألة من مجتهدٍ استكمل شروط الاجتهاد، كما بيَّنها العلماءُ في مُصنَّفاتهم في أصول الفقه.

٥– أن يكون الاستنباط قائماً على منهاج أهل السنة في النظر والاستدلال، ومن ذلك: أن يكون له سلف فيما ذهب إليه من اجتهاد من علماء هذه الأمة، الذين شُهِد لهم بالإمامة في الدين.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه القيم «فضل علم السلف على الخلف»: «فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث، فإنهم يتّبعون الحديثَ الصحيح حيث كان، إذا كان معمولاً به عند الصحابة، ومن بعدهم، أو عند طائفة منهم، فأما ما اتفق السَّلفُ على تركه، فلا يجوز العمل به، قال عمر بن عبد العزيز: خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم، فإنهم كانوا أعلم منكم»[1].

تبَّين مما سبق النَّوعُ الأول من أنواع الاختلاف السائغ.

أما النوع الثاني، فهو اختلاف التنوع:

ومثاله: ما حدث بين الصَّحابة في

(١) «ثلاث رسائل للحافظ ابن رجب» (ص١٤٠ – تحقيق محمد العجمي).

القراءات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فعن عبدالله بن مسعود قال:

سمعت رجلاً قرأ آية سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلّم يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلّم، فذكرتُ ذلك له، فعرفتُ في وجهه الكراهيةَ، وقال: «كلاكما محسن، ولاتختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».

وأفضل من كتب عنه من العلماء وفصّله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: «واختلاف التنوُّع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقّاً مشروعاً، كما في القراءات، التي اختلف فيها الصحابة حتّى زجرهم عن الاختلاف رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وقال: «كلاكما محسن»، ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، إلى غير ذلك مما قد شُرع جميعه، وإنْ كان قد يقال: إنَّ بعض أنواعه أفضل، ثم نجد لكثير من الأمّة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة، وإيتارها، ونحو ذلك! وهذا عين المحرم، ومن لم يبلغ هذا المبلغ، فتجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر، أو النهي عنه ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلّم، ومنه ما يكون كل من القولين، هو في معنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان كما قد يختلف كثيرٌ من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسمّيات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك، ثم الجهل، أو الظلم، يحمل على حَمْد إحدى المقالتين، وذم الأخرى، ومنه ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنزاعات جداً، ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قوم قد سلكوا هذه الطريق، وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين، ثم الجهل أو الظلم، يحمل على ذمّ

إحداهما، أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم ،أو بلا نية، وبلا علم»[1].

فإذا وقع التنازع بين بعض المسلمين في هذا القسم من الاختلاف، صار هذا الاختلاف مذموماً، كما تبيّن فيما مضى، وفي حديث عبد الله بن مسعود حول الاختلاف في القراءات، قال صلى الله عليه وسلّم: «كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا، فهلكوا».

قال شيخ الإسلام: «نهى النبي صلى الله عليه وسلّم عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق، لأنّ كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلّل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا، ولهذا قال حذيفة لعثمان: «أدرك هذه الأمة لا تختلفْ في الكتاب، كما اختلف فيه الأمم قبلهم» لما رأى أهلَ الشّام والعراق يختلفون في حروف القرآن الاختلافَ الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلّم، فأفاد ذلك شيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مُشابهتهم»[2].

أدب الاختلاف فيما يجوز فيه الخلاف:

وضع الإسلام مبادىء خُلُقيَّة عانية للمسلم السائر على منهج السنَّة النبوية، في تعامله مع إخوانه، الذين اختلف معهم في المسائل الاجتهادية، ناهيك بذلك قول الرحمة المهداة «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[3]، فمن الآداب:

١- رحابة الصدر في استقبال ما يصلك من بيان خطأ ذهبتَ إليه، وأن تعلم أن هذا من باب النصيحة، يهديها أخوك في الله إليك، واعلم أنّ ردَّك للحقّ، وغضبك لنفسك هو من الكبر أعاذنا الله، فقد قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلّم: «الكبر بطر الحق،[4] وغمط الناس» رواه مسلم. وهناك أمثلة

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/١٣٢-١٣٤).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/١٢٧-١٢٨).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والإمام أحمد. انظر «السلسلة الصحيحة» (٤٥).

(٤) بطر الحق: أي: دفعه وردّه على قائله.



كثيرة حول هذا الأدب الفاضل أوضحها سلفُنا الصالحُ، منها:

ما رواه الحافظ ابن عبد البر قال: «وأخبرني غير واحد عن أبي محمد قاسم ابن أصبغ قال: لما رحلت إلى المشرق نزلتُ القيروان، فأخذت على بكر بن حماد حديثَ مسدَّد، ثم رحلتُ إلى بغداد، ولقيتُ النّاسَ، فلما انصرفتُ عدتُ إليه لتمام حديث مسدَّد، فقرأتُ عليه يوماً حديث النبي صلى اللّه عليه وسلّم: «إنه قدم قوم من مُضر (مجتابي النّمار)، فقال لي: إنما هو (مجتابي النِّمار)، فقلت له: (مجتابي النِّمار)، هكذا قرأتُه على كل من قرأتُ عليه بالأندلس، والعراق، فقال لي: بدخولك العراق تُعارضنا، وتفخر علينا، ثم قال لي: قم بنا إلى ذلك الشيخ، لشيخ كان في المسجد، فإن له بمثل هذا علماً، فقمنا إليه، وسألناه عن ذلك، فقال: إنما هو «مجتابي النِّمار»، كما قلت، وهم كانوا يلبسون الثياب مشقَّقة، جيوبهم أمامهم، والنِّمار جمع نمرة، فقال بكر بن حماد وأخذ أنفه: رغم أنفي للحق، رغمَ أنفي للحق، وانصرف»[1].

أرأيت أخي في اللّه - رعاك اللّه - إلى هذا الإنصاف العجيب، كم نحن في حاجة إليه اليوم؟! ولكن هيهات أن يكون ذلك إلا لمن خلصت نيته لله تعالى، فها هو ذا الإمام مالك رحمه اللّه يقول: «ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف»[2] فما بالك بزماننا هذا الذي كثرت فيه الأهواء؟!، نعوذ باللّه من مضلات الفتن.

٢- أن تنتقي أحسنَ الكلام وأطيبَهُ في مناظرتك مع أخيك، فاللّه تعالى يقول: ﴿ وقولوا للنَّاس حُسناً ﴾ [البقرة:٨٣]، وعن أبي الدرداء أن النبي صلى اللّه عليه وسلّم قال: « ما مِنْ شيءٍ أثقلَ في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن اللّه يبغض الفاحشَ البذيء». رواه الترمذي.

٣- أن تكون مناظرتك لأخيك بالتي هي أحسن للّتي هي أقوم، ويكون رائدك في ذلك الحق وبيانه، لا الانتصار للنفس الأمّارة بالسوء، شيمتك فيما تقول الإخلاص، فإنْ وصل الأمر بك مع أخيك إلى المماراة، فقل له: سلام، واتلُ عليه قولَ الرسول صلى اللّه عليه وسلّم: « أنا زعيمٌ ببيت في رَبَض الجَنة لمن ترك المراء وإن كان محقّاً». رواه أبو داود عن أبي أمامة الباهلي.

وذكر الإمام الحافظ ابن عبد البر عن زكريا بن يحيى قال: سمعت الأصمعي يقول: قال عبداللّه بن حسن: « المراءُ يفسدُ

(١) «مختصر جامع بيان العلم وفضله» (ص١٢٣) اختصره الشيخ أحمد بن عمر المحمصاني.
(٢) المصدر السابق (ص١٢٠).

الصَّداقة القديمة ويحلُّ العُقْدَة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة»[1].

وعن جعفر بن عوف قال:
سمعت مسْعراً يقول يخاطب ابنه كدَاماً:

إنّي منحتُك يا كدامُ نصيحتي
فاسمع لقول أبٍ عليك شفيق
أما المزاحةُ والمراءُ فدَعْهُما
خُلُقان لا أرضاهما لصديق
إنّي بلوتُهما فلم أحْمَدْهما
لمجاورٍ جاراً ولا لرفيق[1]

وقد ضرب لنا السلف الصالح أروع الأمثلة في أدب الخلاف، ومن ذلك:

ما رواه البخاري ومسلم عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لُدغتُ، قال: فما صنعتَ؟ قلت: ارتقيتُ، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشَّعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصين أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حمة»، قال: أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس...»، إلى آخر الحديث.

فانظر إلى هذا الأدب الرفيع، من وارث علم ابن عباس رضي الله عنهما، لم يعنّفه، بل جعله محسناً، حيث عمل بما لديه من دليل، ثم بيّن له الأفضليَّة باستدراكٍ لطيفٍ مُدَعَّماً بالدليل.

أخيراً، فإننا نصل من خلال هذا الحديث إلى النتائج التالية:

١- أن الاختلاف وإن كان أمْرًا قدريّاً إلا أنه يجب علينا أن نتوقاه، ولا نحرص على الخلاف السائغ ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً.

٢- أن المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد لها ضوابط وشروط، ينتظمها العلم، والإخلاص، لا اتباع الظن، وما تهوى الأنفس.

٣- لأهل السنة والجماعة منهجهم في فقه الاختلاف، مستقى من الكتاب، والسنة، ومن آدابه: التأدب بأخلاق السلف الصالح في تعاملهم مع بعضهم البعض عند الاختلاف.

٤- لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرمي أخاه بالافتراق عن منهج أهل السنة والجماعة، إلا بعلم وعدلٍ، لا بظلم وجهل.

٥- لا يجوز الخلط بين مسائل الاجتهاد وبين الافتراق، وكذلك بين من ابتدع بدعةً جزئيةً وبين مَنْ فارق السُّنَّةَ ببدعةٍ كليّة.□

(١) «مختصر جامع بيان العلم وفضله» (ص / ٢٧٨).



سعد بن شايم العنزي

الحمد لله الذي جعل على كلِّ فترةٍ من الرُّسل بقايا من أهل العلم، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ قد هدوه؟! فما أحسن أثرهم على الناس! وما أقبح أثر الناس عليهم!

فهم جند الله الغالبون، وحزبه المفلحون، والله يتولّى الصَّالحين، فما أشرفهم على الله ! فهم حملة دينه، وما أقربهم من الله! فهم ورثة أنبيائه، فقد أشهدهم على أعظم مشهود، فقال – وهو أحسن القائلين –: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ﴾.

ورفعهم على بني جنسهم، فقال: ﴿ يرْفَع اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العِلم دَرَجات ﴾.

وجعلهم مرجعَ الأنام فقال: ﴿ فاسألوا أهلَ الذِّكرِ إن كُنتم لا تَعْلمون ﴾، فإليهم يرجعون، ومنهم يصدرون.

وليس كلُّ من صعد المنبر، وهزَّ أعواده، وطيَّش القلوب، بخطب رنَّانة، وعباراتٍ طنَّانة، كان عالماً، يصدر عنه ويورد، ولا كل مَنْ حرَّر مقالاً، أو حبَّر كتاباً كان عالماً.

بل العالم من أفنى عمره في تحرير العلم وخدمته، يصدر عن الوحيين بفهم السلف الصالحين، امتزج العلم بدمه، وقُذف في قلبه، فلا ينطق إلا بعلم، راسخ القلب، ثابت القدم، مُلىءَ علماً مِنْ أخمصِ قدميه إلى مشاش رأسه.

فليس كلُّ من صعق ونعق يكون عالماً، بل إننا في زمان كثير خطباؤه، قليل عُلماؤه؛ كما قال ابن مسعود.

فهؤلاء الحزب المصلحون– الذين جعل الله لهم لسان صدق في العالمين، ومقام إحسان في علِّيِّين –

جعلهم أصحابُ الأهواء غرضاً.

وهذه سنّة المبطلين في الطّعن في أهل السنة السلفيين، فمرةً يسمونهم «خُلوفاً»، ومرةً «حَشْوِيَّةً»، ومرة «أصحاب حواش وفروع»، ومرةً «علماء سلاطين» ومرةً «عُملاء»، ومرةً «علماء حيض ونفاس»، ومرة «لا يفقهون الواقع»، وهكذا في سلسلة لا تنقطع- قطع الله حلوقهم- وهي «شِنْشِنةٌ نعرفها من أخزم» ومن يناصر مبطلاً فقد ظلم! كل ذلك إما طعناً بالسنة التي يحملها، وينافح عنها، أو لأنّه خرج عن تنظيمهم الحزبي!!

فـ«العالم الذي لم ينتمِ إليهم يلقب بأنه (ليس واعياً)، أو (غير واعٍ للواقع)، أو (غير فاهمٍ للواقع) وإلصاق التُّهم الكاذبة بالعلماء والتنفير منهم والنظر إليهم بعين السخط والاستصغار، وهكذا، تشييد جسرٍ ممتدٌ من الغمز واللمز لعلماء الأمة والتنقص بهم، بل وصل الحال إلى التكفير فما دونه مما يستخرجونه من قاموس منظارهم الحزبي.

وما هذا من شهوة التكفير لدى بعض الفرق الغابرة ببعيدٍ، والبعيد بمفاوز عن مناهج جماعة المسلمين»[1].

إنّ إهانةَ علماء السَّلف – أمواتهم وأحيائهم – مُحرَّمةٌ شرعاً، بل إنَّ تنقُّصهم وازدراءهم أو الاستخفاف بهم أشدُّ إثماً وأعظم جرماً من إهانة غيرهم، فإهانة العلماء لا تقتصر على ذواتهم، بل تتعدى إلى ما يحملونه من علمٍ ودينٍ، والله يدافع عن الذين آمنوا، وهو يتولى الصَّالحين.

بل إنَّ الطّعنَ بالعَلماء بريدُ المروق من الدِّين، ﴿فلْيحذر الذين يُخَالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنةٌ أو تصيبهم عذابٌ أليم﴾.

و«اعلم – وفقني الله وإيّاك لمرضَاته، وجعلني وإيّاك ممن يخشاه، ويتقيه حق تقاته – أنَّ لحومَ العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من

(١) «حكم الانتماء» (ص١٢١) للعلامة الشيخ بكر أبو زيد.

اختاره اللهُ منهم لنعش العلم، خُلُقٌ ذميم»[1].

واعلم – رحمني الله وإياك – أنَّ حُبَّ علماءِ السَّلَفِ – أحيائهم وأمواتهم – مِنْ سَلامة المعتقد وصِحَّة الدِّين، قال ابن أبي حاتم الرازي: سمعت أبي يقول: «علامةُ أهل البدع الوقيعةُ في أهل الأثر، وعلامة الزَّنادقة تسميتهم أهل السنة حَشْويَّة، يريدون إبطال الآثار»[2].

قال قُتيبةُ بن سعيد: «إذا رأيتَ الرَّجُل يُحبُّ أهل الحديث، مثل: يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق ابن راهويه... وذكر قوماً آخرين، فإنّه على السُّنة، ومن خَالف هؤلاء، فاعْلَم أنه مبتدعٌ»[3].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «إذا رأيت بصرياً يحبُّ حماد بن زيد فهو صاحبُ سُنَّة»[4].

وقال الطَّحاويُّ في «عقيدته»:[5]

«وعلماءُ السَّلف من السَّابقين ومن بعدهم من التَّابعين – أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنَّظر – لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السَّبيل» ا.هـ.

فإذا رأيتَ الرَّجلَ يحبُّ عبدالعزيز بن باز، وناصر الدين الألباني، ومحمد الصالح العثيمين، ومن حدا حدوهم من أهل السنة والأثر فاعلم أنه على السبيل، ومن لا، فلا.

وهكذا – امتداداً لسلسلة المبطلين – تطالعنا المطابع التجارية بين الفينة والفينة بكتابات رخيصة، خرجت من قلوب حاقدة، جاعلةً علماء السنة هدفاً تصطاد به قلوبَ الضُّعفاء والسُّذَّج، ومتوهمة أنَّ هؤلاء العلماء يسكتون على الباطل!!!!.

فتبًّا لكم وتبًّا، ولا كَثَّر اللهُ من أمثالكم، فما أرخصكم عليه، حتى جعلكم تقعون في أقربِ عباده إليه.

---

(1) «تبيين كذب المفتري» (ص٢٥١) لابن عساكر الحافظ.
(2) أخرجه اللالكائي (١/١٧٩).
(3) أخرجه اللالكائي (١/٦٧).
(4) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/١٨٣)، وعنه اللالكائي (١/٦٢).
(5) مع «الشرح» (ص٤٩١).

حتى إذا أخذكم لم يُفلتكم ﴿وَلَتَعلَمُنَّ نبأه بعد حين﴾، إنّ سكوتَ العلماء عن الدّفاع عن أنفسهم، ليس حياءً أو خوفاً من هؤلاء «الصنائع»، ولكن حلماً وصبراً، وهم يظنّون من أبناء ملّتهم من يدافعُ عنهم ولكنكم قد خذلتُموهم أحوج ما يكونون إليكم، وأصبحتم وراء أعدائهم تلهثون، كسبوكم بكتاباتهم «الفكرية» التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وبخُطبهم النّارية، فجعلوكم لعلمائكم أعداءً، ووراء منتقصيهم تركضون أسراباً!

وخذ مثالاً على ذلك - رزيةً من الرّزايا العظام - فلقد خُدعَ شاب غرير، غرّته كلماتُ هؤلاء «الصنائع»، وتهويلاتهم، بحماية الدّين، وأنّ العلماء «عملاء» للسّلاطين، يُضَيّعُون الدّين، فجاء هذا الشّابُّ إلى أحد المشايخ الفضلاء يسأله عن علاّمةٍ في هذا الزّمان، عرفه الناس بخدمة الدين، والورع المتين. فقال له: ياشيخ! هل ترى أنْ أستمرَّ بطلب العلم على الشيخ «فلان» بعد أن أصبح عميلاً؟؟!!

بالله! كم في الأمة من غرِّير مثل هذا؟!

إنّ هؤلاء الضحايا تلاميذُ هذه المدارس الفكرية المحدثة، وكيف لا يقولُ الشّبابُ بمثل هذا القول وهم يربّون على هذا النهج؟!

تريدون مثالاً لصحة كلامي؟ خذوا ما كتبه كاتب - هو عند (بعض) شبابنا من المقدّمين الأخيار - ، فكتب - وبئس ما كتب - في مجلة له، وسماها بـ «السنة» ظلماً وزوراً، وما فيها من اسمها سوى «حروف المعجم»، فقال - وبئس ما قال - (1): «...وصنف آخر يأخذون ولا يخجلون، ويربطون مواقفهم بمواقف سادتهم... فإذا استعان السادة بالأمريكان انبرى العبيد إلى حشد الأدلة التي تجيز هذا العمل، ويقيمون النكير على كل من يخالفهم، وإذا اختلف السّادةُ مع إيران الرافضة، تذكّر العبيدُ خبث الرافضة، وانحراف مناهجهم، وعداوتهم لأهل السنة، وإذا انتهى الخلاف سكت العبيدُ،

(1) عدد ذي الحجة١٤١٢هـ ص٢٩-٣٠ زاوية «مع القراء» تحت عنوان (المساعدات الرسمية).

وتوقفوا عن توزيع الكتب التي أعطيت لهم!! هذا الصنف من الناس يكذبون ... يتجسسون... يكتبون التقارير، ويفعلون كل شيء يطلبه السادة منهم.. وهؤلاء قلّة، والحمد لله، ودخلاء على الدعوة والعمل الإسلامي، وأوراقهم مكشوفة، وإن أطالوا لحاهم، وقصّروا ثيابهم، وزعموا بأنهم حماة للسنة [1]، ولا يضير الدعوةَ الإسلاميةَ وجود هذا الصنف من الناس؛ فالنفاق قديم، وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة»!! وقال: «يا إخواننا! لا تغرنّكم هذه المظاهر، فهذه المشيخة صنعها الظالمون، ومهمة فضيلة الشيخ لا تختلف عن مهمّة كبار رجال الأمن...»! إلى آخر هرائه..

فبالله عليك – أخي المسلم – ترجو وراء هذا المفتون نهضة بالأمة وهو يطعنها في قلبها.

وهكذا يُربّى على هذا الفكر المنحرف شبابنا، فهذه المجلة يحرص عليها بعض الشباب بل «بعض الدعاة!!» حرصاً كبيراً، حتى إنهم يتناقلونها بينهم بالتصوير!!

ولا عجب فهذا زمان تَمَشْيُخ الرُّوَيْبضة، وهؤلاء «الصنائع» كَثّرَ لا كثّرهم الله، علموا أنَّ بقاء العلماء على مكانتهم، شجىً في حلوقهمْ، فأخذوا بالتَّصيد بالمياه العكرة، فشبّهوا على الجهلة بما لا شبهه فيه، فأظهروا العلماءَ بلباس سوء، وضعف، وعدم فقه للواقع!

وهكذا – على هذا المنوال أيضاً – تخرج علينا مجلة «المجتمع [2]» لا جمع الله شمل المبطلين – بكتابة لمرتزق بئيس، يطعن بإمام من أئمة أهل السنة، وهو العلامة: (ناصر الدين الألباني).

وهي سنّة لهذه «المجتمع»، أخذت معها عهداً وميثاقاً بالتّربّص لعلماء السُّنة أتباع السلف، لتظهرهم بمظهر السوء ﴿ ولا يحيقُ المكر السَّيِّئُ إلا بأهله ﴾. وليست هذه بالأولى من «المجتمع»، ولا عجب من أهلها، فهم عن مذهبهم

(١) تنبه، فمن الذي قام بحماية السنة إلا السَّلفيُّون؟

(٢) في عددها (١٠٦٤) بتاريخ١٤/٣/١٤١٤هـ(ص٢٤-٢٥).

يُبينون، ولمنهجهم يُشيدون، لكن العجب كل العجب ممن لايزال معها على وصال، وقد تبيّن منها الحال!!

إنها بالهجر أحق، ما لكم لا تستيقظون ؟! ما لكم إذا تَبَيَّنَ خطأ داعية خالف فيه الحق، أزبدتم وأرعدتم، وقلتم: أراد هدم الإسلام، ورميتم من أبان الحقَّ، وصوَّب الخطأ بكل سوء وفاحش من القول، ما لكم إذا طُعن بالعلماء صراحاً، سكتُّم ، كأنكم لا تسمعون؟!

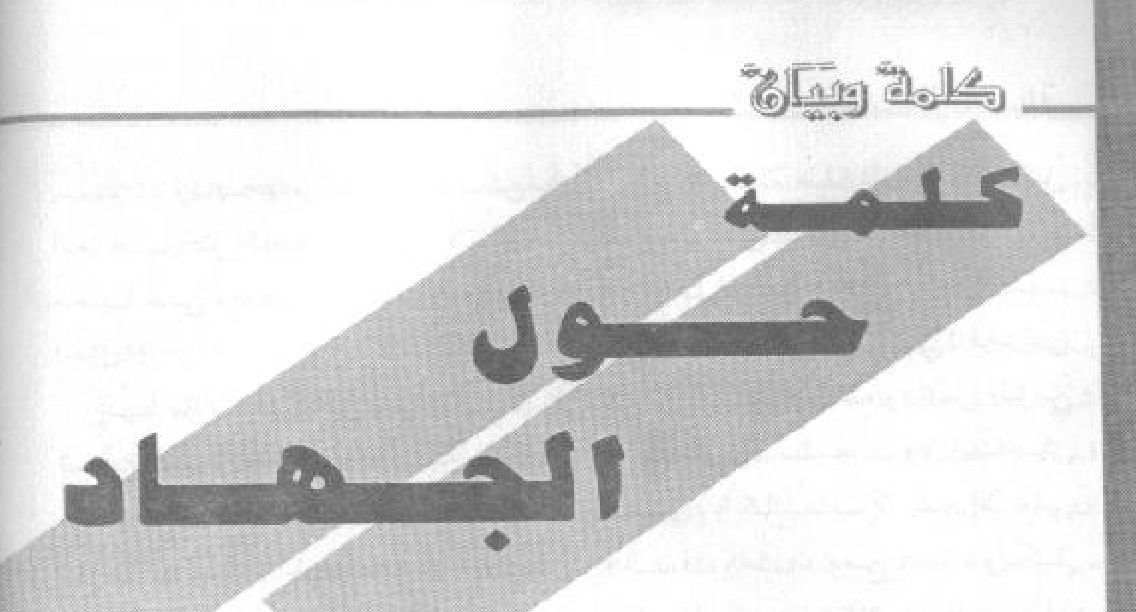
فهذا البائس «الجولاني» يزيد سواد «المجتمع» سواداً – وما ضرَّ المسكينُ سوى نفسه – بتلك المهاترات من أولئك النفر، الذين لو جمعوا في مَسْك واحد لما بلغوا شأو الشيخ ولا نصيفه، ولكن نحن في زمان يتكلم فيه «الرُّويبضة»، ويسكُت الحكيم!!

فقد جاء هذا المسكين بكلّ فاحشٍ من القول، وساقط من الكلام، لأناسٍ شتَّى، يجمعهم المشربُ الحزبي السياسي! فانتقى من كلامهم أفحشه و«ليس المؤمن بالطّعان ولا باللعان ولا الفاحش البذيء» كالذُّباب لا يقع إلا على «القاذورَات»، ومع هذا، وبكل وقاحة ينكر على تلامذة الشيخ أن ينافحوا عن شيخهم.

أحـرامٌ على بَلابله الدَّوح
حلالٌ للطَّير من كُلِّ جنسِ

نسأل الله تعالى أن يحفظ لنا علماءنا، ويكلأهم برعايته، وأنْ يدفَع عنهم كلَّ سوء وأن يهديَ هؤلاء المبطلين ، أو يمحقَهم، ويكشف لشباب الأمة عوارَهم ليَحذَرُوهم، وصلى الله على نبّينا محمد، وعلى آله، وصحبه،وسلَّمَ.□





كلمة حول الجهاد

يوسف سليمان

قال الله سبحانه وتعالى :﴿ ولولا دفعُ اللّه الناسَ بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن اللّه ذو فضل على العالمين ﴾ .

وإذا كان اللّه عزّ وجلّ قد أخبر عن أهل الكفر والشر أنّهم لا يزالون يتربصون بالخير وأهله الدوائر، ويصدون عن سبيل اللّه من آمَن به ويبغونها عوجاً ، فإنّ فساد الحياة الإنسانية نتيجة لا مفر منها ، إذا لم تجد هذه القوة الشريرة من يدفعها من أهل الخير والإيمان .

وإن من يستقرئ تاريخ الإنسانية، يجد أنّ صلاح أهل الأرض كان دائمًا مرهونًا بعزة المؤمنين ، وقيادتهم للبشرية ، وأن فساد الناس كان مرتبطًا بخلوّ القيادة الإنسانية من هذه الفئة من الناس .

ما هو الجهاد ؟ الجهاد كما عرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه – ت (٧٢٨ هـ) ، قال : « الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه اللّه ويرضاه من الإيمان ، والعمل الصالح ، ومن دفع ما يبغضه اللّه من الكفر والفسوق والعصيان » .[العبودية : ١٠٤] .

وعرَّفه بعض أهل العلم بـ(بذل الوسع ، واستفراغ الجهد ، في قتال الحربيين في سبيل اللّه) .

قلت : وقولهم :الحربيين أولى من قولهم :الكفار ، لأنه ثمة كُفَّار

ليسوا حَرْبيِّين، كالنساء والصبية والشيوخ والرهبان، وثمة مسلمون حربيُّون كقطاع الطرق.

ما هي الحرب ؟ لغةً : هي القتال، وقيل : هي الترامي بالسهام، والمجالدة بالسيوف والطعان في الرماح.

والحرب تعريفها في اصطلاح القانون الدولي العام : هي صراع مسلح بين دولتين فأكثر، تحكمه مبادئ القانون الدولي.

قلت : وقولهم: بين دولتين فأكثر، خرج به النزاعات الداخلية.

- الفرق بين الجهاد والحرب من حيث:

أ- الدوافع:

الجهاد دوافعه أقصاها : إزالة الحواجز الطاغوتية التي تحول بين الناس واختيارهم ، أي :كسر الحواجز المادية التي تحول دون عبادة الله.

وأما دوافع الحرب فهي ليست دوافع شريفة البتة ، فهي إما أنْ تكون اقتصادية وإما سياسية ، وإما أيدلوجية ، وأما قومية ، وإما شخصية ... إلخ.

ب- النتائج والآثار:

عند دخول المحاربين في الإسلام يصير لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، في حين أن هذا الأمر منتفٍ تمامًا في الحروب ، إذ إنّ شروط الطرف القوي تُملى على الطرف الضعيف، وذلك واضح في معاهدة الرومان مع القرطاجنيين، ومعاهدة (فرساي).

- حكم الجهاد:

الراجح من أقوال أهل العلم أنّ الجهاد فرض كفاية في الجملة.

الدليل قوله تعالى :﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضرر والمجاهدون في سبيل اللّه بأموالهم وأنْفسهم فضّل اللّه المجاهدين بأموالهم وأنّفسهم على القاعدين درجة وكُلاًّ وعد اللّهُ الحسنى ﴾.

ووجه الدلالة من الآية:

١- قوله تعالى :﴿ فضّل اللّه المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ والمفاضلة بين شيئين تدل على أنّ كلا الشيئين ذو فضل ولكن أفضل أحدهما من الآخر، فالمفاضلة تكون بين مأجورَيْنِ لا بين مأجور وموزور.

٢- وكذلك قوله تعالى:

﴿ وكُلاً وعد اللّه الحسنى ﴾ فاللّه لا يعد تاركي فرض العين بالحسنى، فلو كان الجهادُ فرضَ عين لما وعدهم اللّه بالحسنى.

وأحب أن أنبّه أن الجهاد في حال كونه فرض كفاية يشترط له رضا الوالدين وهو شرط (وجوب) على الراجح من أقوال أهل العلم، ولكن في حال تعيُّن الجهاد فإن رضا الوالدين غير ملتفت إليه.

وفي «صحيح البخاري» عن عبداللّه بن عمرو، قال: جاء رجل إلى النبي صلى اللّه عليه وسلّم فاستأذنه في الجهاد، فقال: أرضي والداك؟ قال نعم :قال: ففيهما فجاهد»، وبهذا يقول جمهور أهل العلم.

وأما أنه يتعين وجوبه، ففي ثلاث حالات، فيصبح فرض عين:

أ- إذا احتُلت أرض المسلمين، أصبح الجهاد فرض عين في حق أهل الأرض المحتلة، فإذا لم يكفوا لرد العدو أصبح فرض عين على مجاوريهم، وإذا لم يكفوا أصبح فرض عين على مجاوري مجاوريهم وهكذا.

ب- وكذلك يجب إذا استنفر الإمام أقواماً بعينهم، فإنه لازم في حقهم، لقوله تعالى:﴿ ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل اللّه اثّاقلتم إلى الأرض ﴾، وقوله صلى اللّه عليه وسلّم فيما روى البخاري ومسلم عن ابن عباس، قال صلى اللّه عليه وسلّم :« وإذا استنفرتم فانفروا ».

ج- عند المواجهة والتقاء الصفَّين وتقابل الرضفين، لقوله تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللّه كثيراً ﴾ وفي الحديث الثابت في «الصحيح» أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم عدَّ من الكبائر الفرارَ يوم الزحف.

ولا أعلم في هذا بين أهل العلم خلافاً.

واللّه سبحانه وتعالى أسأل، وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أتوسل، أن ينفع بما كتبت، والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات .□

الحلقة الثانية

نماذج من سيرة الدعاة إلى الله

د.صالح بن غانم السدلان

٢- نوح عليه السلام

نوح عليه السلام: لقد تكرر اسم نوح عليه السلام في القرآن الكريم خمساً وأربعين مرّة نذكر بعضاً منها بذكر الآيات والسور التي ورد اسمه فيها، ثم نعقب بذكر نموذج من هديه في الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ [العنكبوت : ١٤].

وقال تعالى: ﴿ إنَّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليم قال يا قوم إنّي لكم نذيرٌ مُبينٌ. ﴾ [نوح : ١-٢]

اقتضت سنّة الله تعالى في خلقه أن تعترض دعوةَ الإيمان نماذجُ من الفتن، وألوانٌ من الصّعاب، والعقبات، والعوائق التي يتذرّعُ بها أعداءُ الله، للوقوف في وجه الدعوة وأصحابها، وها هو تاريخ البشرية الطّويل من لدن نوح عليه السلام إلى يومنا هذا، مليء بالقوى المرصودة في طريق الدّعوة إلى الله معلنة تبجّحها واستعلاءها وتمردها بلا حياء ولا حرج ... وقد لبث نوحٌ في قومه عُمراً طويلاً مديداً ألف سنّة إلا خمسين عاماً، ثم لم يؤمنْ له إلا القليلُ، فأخذهم الطُّوفان، وهم ظالمون.

وفي الآية التي بعدها من سورة نوح التي تقصُّ قصته مع قومه، وتصف تجربةً من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية، وشوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال والحق والباطل.

إن نوحاً عليه السلام تتمثل فيه صورة الكفاح النبيل الطويل، لإقرار

حقيقة الإيمان والإصرار والثبات والجهد المضني والعناء المرهق.

فعلى الداعية إلى الله أن يستلهم هذه العبر، ويُجابه الصّعابَ، وينهض بواجبه، ويدأب على الدعوة، ويتحيّن كلّ فرصة ويضع نصب عينيه جهاد النبيين وإصرار المرسلين على أن تكون كلمة الله هي العليا، أيًّا كانت المشاق، ومهما كانت المتاعب.

٣- إبراهيم عليه السلام

إنَّ إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً، مائلاً عن كلّ ملة إلا الإسلام، معتقداً أنَّ الإسلام هو الرّسالة الأولى والأخيرة إلى جميع البشر، وكذا اعتقد من جاء بعده من ذريته: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، حتّى أسلموا هذه العقيدة ذاتها إلى موسى، وعيسى، عليهما السلام، ثم آل الأمر أخيراً إلى ورثة إبراهيم من المسلمين.

وقصة إبراهيم مع قومه في القرآن الكريم تُرينا أنَّ نظام الحياة، ومنهج السُّلوك، وقواعدَ الأخلاق والآداب لن تقوم ولن تثبت إلا إذا ارتبطت بالعقيدة ارتباط الروح بالجسد.

إنَّ إبراهيم كان في ريعان شبابه، حينما آتاه الله رُشدَه، فاستنكر عبادة الأصنام وحطّمها، وذلكم أنه نظر بعقله وقلبه - بوعي وحكمة - إلى آلهتهم، فهَزِىءَ بها، وسخر منها، وكسّرها إلى قطع صغيرة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما سخر من عقولهم، وتأفف منهم قائلاً: ﴿أفٍّ لكم ولما تعبدونَ من دون الله....﴾ [الأنبياء:٦٧]، عندها أخذتهم العزة بالإثم، كما تأخذ الطغاة والعاجزين دائماً، حينما يفقدون الحجّة، ويعوزهم الدليل، فيلجأون إلى القوة الغاشمة، والعذاب الغليظ: ﴿قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾، ولكنَّ رحمة الله وتأييده الملازمين للدعاة أبداً أبطلت قولهم، وأحبطت كيدهم: ﴿قُلنا يا نارُ كوني بَرداً وسلامًا على إبراهيم﴾، فانظر أخي الداعية بعين البصيرة إلى أبي الأنبياء؛ لقد ابتُلي فصبر، وأُعطي فشكر، وكانت الخاتمةُ الكريمة اللائقة به، وبصبره الجميل، أنْ جعل اللهُ من ذرّيته خير أمة

أخرجت للناس ، يهدون بأمر الله ، ويقيمون شرع الله، على هدىً وبصيرة ، فلا بدَّ لأصحاب الدعوات أنْ يحتملوا تكاليفها ، وأن يصبروا على التكذيب بها ، والإيذاء من أجلها ، ولا بد أن يثبتوا على الحقِّ ، مهما كان الثَّمن ، ومهما كانت التَّضحيات .

قال تعالى :﴿ ولقد آتينا إبراهيم رُشْدَهُ منْ قَبلُ وكُنَّا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التَّماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كُنتم أنتم وآباؤكم في ضَلال مُبين . قالوا أجئتنَا بالحقِّ أم أنت من اللاعبين . قال بل ربُّكم ربُّ السَّموات والأرضِ الذي فَطَرهُنَّ وأنا على ذلكم منَ الشَّاهدين . وتاللّه لأكيدَنَّ أصنامكم بعد أن تُولُّوا مُدبرين . فَجَعَلهُم جُذَاذاً إلا كبيراً لهم لعلَّهم إليه يرجعون. قالوا مَنْ فَعَل هذا بآلهتنا إنهُ لمن الظَّالمين. قالوا سَمِعْنَا فتىً يَذْكُرُهُم يقال له إبراهيم. قالوا فَأْتوا به على أعين الناس لعلَّهم يشهدون . قالوا أأنت فَعَلْتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرُهم هذا فَاسْألوهُم إنْ كانُوا ينطقُونَ . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون اللّه ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم . أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون اللّه أفلا تعقلون . قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين . ونجَّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين . وجعلْناهُم أئمة يَهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعلَ الخيرات وإقامَ الصَّلاة وإيتاءَ الزَّكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ [الأنبياء: ٥١-٧٣] .

وبعد هذا البيان: فلا عجب أن نرى الثَّناء العظيم من اللّه تعالى ، بأنْ جعله عليه السلام أبا الأنبياء وإماماً للحنفاء، وقدوةً للمرسَلين ، وهو المختار من بين الرسل بالخلَّة والاصطفاء، ومنه تتفرَّع شجرةُ النبوَّة. وهو رمز الإيمان؛ ابتلي فصبرَ، وانتصر فشكر ، فكان عبداً وفيّاً ،

فجعله الله أمةً وحده واتخذه خليله، قال تعالى :﴿ إنَّ إبراهيمَ كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ واتَّخذَ اللَّهُ إبراهيمَ خليلاً ﴾ فأجيبوا دعاة الإسلام نداء أبيكم إبراهيم في البشرية ﴿ ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من النّاس فمن تبَعني فإنه منّي ومن عصاني فإنك غفورٌ رحيم ﴾ [إبراهيم: ٣٦] واصبروا، وصابروا، وثابروا، وادعوا، ولاتياسوا، واتقوا الله، لعلكم تفلحون .

٤- يوسف عليه السلام :

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، ذُكر اسمُه في ستة وعشرين آية من القرآن الكريم ؛في سورة يوسف ، والأنعام ، وغافر ، وقد وصفه الله بالصدّيقية ، ولهذا يسمى : الصدّيق يوسف ، أو يوسف الصدّيق ، وهو من أشهر أنبياء بني إسرائيل ، جاء قومه بالبيّنات ، ودعاهم إلى التّوحيد ، ونَبْذ عبادة الأصنام ، ومرَّ عليه السّلامُ بمحَنٍ شديدة ، وحياةٍ عصيبة تنقّل فيها بين العُسر واليُسر، والشدَّة والرَّخاء، والضّيق والسعة ، حسده إخوته ، فدبَّروا له المكيدةَ ، وألقوه في الجُبِّ ، ولولا تأييدُ اللّه له، ورحمته به ، لكان من الهالكين، وأحبّته امرأة العزيز ، وراودته عن نفسه ، ولكنَّ اللّه حفظه من كيدها ونجاه ﴿ فاستجاب له ربُّه فصرف عنه كيدهنَّ إنّه هو السميع العليم ﴾ ، ودخل السجن ظلمًا وعدواناً ، ومكث فيه بضع سنين ، وانتهز الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة ، ويهزَّ كلَّ قوائم الشِّرك والطاْغوت والجاهلية ، ويفصح عن عقيدته ودعوته: ﴿ إنّي تركتُ ملَّةَ قومٍ لا يؤمنونَ باللّه وهم بالآخرةِ هم كافرون . واتبَّعتُ ملَّةَ آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نُشركَ باللّه مِنْ شيء ذلك مِنْ فَضْلِ اللّه علينا وعلى الناس ولكن أكثر النّاس لا يَشْكُرون ﴾ [يوسف:٣٧-٣٨] .

وذلك شأن أولي الفضلِ من الناس، لا يفقدون صفاء دينهم ، إنْ فَقدوا صفاء دُنياهم ، ولا يهونون أمام أنفسهم، أمام نكبة حلَّت بهم ، فإنَّ تكاثرَ المصايب إشارةٌ إلى ما يُرشد من خير ، وما يراد له من كرامة

وما رأيناه في هذه العجالة من قصّة يوسف عليه السلام ، يؤكد أنّ عظم المنزلة مع ثقل الأحمال ، ومعاناة الصّعاب .

٥- سليمان بن داود عليهما السلام :

ورث سليمان أباه داود ، وكان مع حداثة سنه من ذوي الفطانة والذّكاء ، وحُسن التدبير والسياسة، وقد أعطاه اللّه الحكمة وحسن القضاء .

قصَّ علينا القرآن قصّة سليمان مع ملكة سبأ (بلقيس) ، وهي قصةٌ رائعةٌ قصّها اللّه على رسوله صلى اللّه عليه وسلّم ، وضمّنها خيرَ التعاليم والمواعظ ، تثبيتاً له ولأمّته على الحق ﴿ وكلاًّ نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك ﴾ .

إنّ هدهداً كشف لسليمان عليه السلام ما عليه مملكة سبأ من الشّرك والضّلال ، فبعث إليهم سليمان أن يُسلموا لربِّ العالمين ، فحاولوا استرضاءهُ عنهم بالمال ، فلم تُغنهم المحاولة شيئاً، فقد رفض المال ، وأنذرهم جنوداً لا قِبَل لهم بها ، وحينئذ نزلوا على ملك سليمان وجاءوا مسلمين ، لأنهم أيقنوا هم وملكتهم أن سليمان عليه السلام ليس ممن يعمل للمال ، وأنه لا بد آخذهم بالبأس الماحق إنْ لم يسلموا، نعم؛ أرادت بلقيس – وقد توقّد ذكاؤها وفطنتها – أن تختبر حقيقة سليمان ، فلم تحاول أن تُرشيه بالمال وإلا كانت غَبيةً، وإنما أرسلت له هدية لتسكّتَه بها ، إنْ كان ممن يرضون بذلك ، وإن كان من أرباب العقائد والإيمان بما يدعوها إليه في خطابه فسوف يردُّ الهدية ، ولا يقبل إلا السّيف ، فلما تبّين لها أنّه صاحبُ مبدأ ، وداعيةُ توحيد ، لم تتأخّر في مبايعته والدُّخول في مملكته ، قال تعالى على لسان بلقيس :﴿ وإنّي مُرسلةٌ إليهم بهدية فناظرةٌ بم يرجعُ المرسلونَ ﴾ وقال تعالى على لسان سليمان لما وصله رسول بلقيس بالهدية : ﴿ فلما جاء سُليمانَ قال أتُمدُّونَنِ بمالٍ فما آتانيَ اللّه خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجعْ إليهم فلنأتينَّهم بجنودٍ لا قِبل لهم بها ولَنُخْرجَنَّهم منها أذلَّةً وهم صاغرون ﴾ .

فعلى الدُّعاة إلى اللّه أن يفرّقوا للنّاس بين الأحوال المشروعة للهدية والأحوال الممنوعة لها، فالهدية المشروعة إذا كانت وسيلةً من وسائل

الدعوة إلى الله ، وترسيخ المودة بين المسلمين ، وتقوية وشائج المحبة بينهم، وممنوعة إذا أريد من ورائها إبطال حق أو إحقاق باطل ، أو إعاقة الداعية إلى الله عن إكمال مسيرته ، وظهور دعوته .

٦- عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عمر بن الخطاب بن نفيل ، ثاني الخلفاء الراشدين ، يعدّ من أقوى رجال التاريخ شكيمةً ، وأشدّهم بأساً ، وأسدّهم رأياً، وأبعدهم نظراً ، وأعفّهم نفساً ، وأطهرهم ذمّة ، وأنقاهم سريرةً ، حياته جديرة بأن تُدرس درساً وافياً دقيقاً ، تلحّ على من يُطالعها أن يعتبر بالعبر ، ويتعظ بالمواعظ ، ويقتبس من تلك الأخلاق القويمة ، والخصال الكريمة ، ليستفيد منها ، وينتفع بها ويفيد غيره .

إنّ عمرَ رضي الله عنه كان يقدّر المسؤوليّة حقّ قدرها ، والقيام بالعمل المنوط به من أهم مبادئه ، وكان يبغض أن يكون الإنسان خالياً عن العمل ، عالةً على غيره ، لأن الفراغ مفسدة ، وقد أمر المنقطعين إلى العبادة أن يعملوا ، ويحصلوا على أرزاقهم ، ومن أقواله :« إنّ كان الشغل محمدة فالفراغ مفسدة » .

وقال رضي الله عنه :« لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللّهم ارزقني ! وقد علم أنّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وإن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض » ، وهو بهذا يطبق قواعدَ الإسلام العملية ، فالإسلام دينُ عملٍ ، ونشاطٍ وسعي وليس دينَ كسلٍ ، وقعودٍ ، وتوانٍ ، وغفلةٍ . قال تعالى :﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكُلوا من رزقه وإليه النُّشور ﴾ [الملك:١٥] ؛ وكان رضي الله عنه – مع عظم شأنه، ورجاحة عقله ، واشتهار عدله وفضله ، وتمسكه بكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم – متواضعاً يحب أن يعرف عيوبه ، إنْ كانت له عيوب ، حتّى يصلحها ، ولا يتمادى في الخطأ، لذلك قال : «أحب الناس إليّ من رفع عيوبي » .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يسمي أصاحبه بخير صفاتهم، التي امتازوا بها ، فسمى أبا بكر «صدّيقاً» ، وسمى عمر بن الخطاب

« الفاروق » ، وسمي خالد بن الوليد « سيف الله » ، نعم فهو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلّم ، فقد كان عمر رضي الله عنه جريئاً ، مُهاباً ، مقداماً ، لا يحب الاختفاء ، ولا يبالي بالأعداء ، جعل الله الحقّ في قلبه ، وعلى لسانه ، وفرّق به بين الحق والباطل .

من حكمه وكلماته المأثورة رضي الله عنه :

١- « ثلاث مهلكات : شحٌّ مطاع ، وهوى مُتَّبع ، وإعجاب المرء بنفسه » .

٢- « حسبُ الرجل ماله ، وكرمه دينه ، ومروءته خلقه » .

٣- « تعلّموا العلم للعلم ، وعليكم بالسكينة والعلم ، وتواضعوا لمن تتعلّمون منه ، ليتواضع لكم من تُعلّمونه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم » .

وهكذا يرسم عمر لقادة المسلمين ودعاتهم قواعدَ عامةً في الدَّعوة ، والأخلاق ، والتواضع ، والعدل ، والاهتمام بشؤون الدَّعوة ، وتوجيه من يحتاج إلى التوجيه والإرشاد ، وذلك على ضوء كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فما أحرانا أن نهتدي بهديه ، ونحتذي حذوه ، ونعمل بالدِّين ظاهرًا وباطنًا .

٧- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

شيخ الإسلام ابن تيمية كان شعلةً لا تنطفئ ، وقوةً لا تلين ، ودرسًا لا ينمحي ، وخلّف أثرًا عظيمًا ، وجهادًا جبارًا ، ذو الفضائل المتكاثرة ، والحجج الباهرة ، إمام الأئمة ، بركة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، برهان المتكلمين ، وقامع المبتدعين ، سيف المناظرين ، رافع لواء الدين ، حجة المسلمين ، لاحقٌ بالصّالحين ، والمشبَّه بالماضين : أبو العباس تقي الدين ابن تيمية رحمه الله .

إليك أخي الداعية طرفًا من سيرته ، ونموذجًا من دعوته : جاء هذا العالمُ في وقتٍ عمَّ فيه الجهلُ ، وانتشر فيه الظلامُ ومدّ الفسادُ أخطبوطه في أعناق المصلحين ، ودعاة

الإسلام ، يحاول خنق أنفاسهم ، فجاء هذا الحبر ، ووضع شعلة القرآن، ونور السنّة ، على طريق المسلمين ، وهداهم إلى التّوحيد الصحيح ، والعقيدة السّلفية الصافية، ونبذ الخلافات المذهبية ، والطُّرق الصوفية، والفرق الضالة ، فكان نصيبُه من الحاقدين على الدعوة والدعاة أن اضطهدوه واتهموه بالضعف في الدين ، والمروق من الإسلام – وحاشاه أن يكون كذلك – ، ولكنه كان ثابت الجأش ، قوي القلب ، صادقًا في توكله ، واعتماده على ربه.

لقد هال ابنَ تيمية أن يرى المسلمين في عصره ، وقد أتى عليهم حينٌ من الدّهر ينحرفون عن التّوحيد الخالص ، ويتّخذونه لفظًا فقط ، يُتمتمون به في تسبيحاتهم ، وصلواتهم ، ويتساقطون على قبور الأنبياء ، والأولياء ، يستغيثون بهم ، ويدعونهم في الشّدائد ، وينذرون لهم ، فسارع إلى إنقاذهم مُتَحَمِّلاً جميع الأذى منهم ، فألف الكتب والرسائل الكثيرة ، داعيًا المسلمين إلى تطهير عقائدهم من الشرك ، ولكن كبُر ذلك على مدّعي العلم ، والمقلّدة ، والخرافيين منهم ، فضاقوا به ، وبدعوته ، ووشوا به إلى الحكّام، واتّهموهُ بالكفر ، فزجّوا به أعماق السجون ، تارة في القاهرة ، وتارة في دمشق ، وتارة في الإسكندرية ، ومع ذلك لم يَحُلِ السّجنُ بينه وبين دعوته الإصلاحية ، ولم تَفْتُر له همةٌ طوال مدّة سجنه ، وعكف على التّأليف والتّصنيف ، وبقيت آثارهُ شاهدةً على صدقه في دعوته ، وإخلاصه لربِّه ، فطاب حيًّا وميتًا رحمه اللّه.

٨- الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه :

إن إرادة اللّه غالبةٌ ، وجنده هم المنصورون ، لقد ارتفعت في جنبات أرضِ نجد كلمةُ التوحيد الخالصة لله تعالى ، وكان هذا إيذانًا بتدمير دولة الطّاغوت التي تمثلها قباب الموتى ، وأضرحة الأولياء ، وما يغري به الشيطان أتباعه من الاستعانة ، والاستغاثة بالشجر ، والحجر ، والأصنام ، مهما طال المدى ، فإنه لا بد للظلام أن ينقشع ، وللصبح أن ينجلي ... وجاءت جيوشُ الدعوة

السّلفية : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تزلزل العروش ، وتقوّض التيجان ، وتزيل الممالك ، وترهب أعداء الله ، وأعداء دينه.

والذي أحبُّ أن أُنبّه الأنظار إليه : أنَّ هذه الدعوة في إبّان قيامها تعرضت ككل الدعوات لسيل جارف من الاتهامات الباطلة ، ولكن بعزمٍ صادق ، ويقينٍ لا يتزعزع ، وعقيدة تملأ القلب والوجدان ، انبرى الإمام لهؤلاء الأدعياء ، يردُّ كيدَهم في نحورهم ، ويُبيّنُ للأمة الإسلاميّة حقيقةَ ما يدعو إليه ، مجاهداً في كلِّ موقع ، محاربًا في كلِّ ميدان ، مؤمنًا بربّه ، واثقًا من تأييده ونصره له ، حتى لقي ربّه.

وليس بخاف على أحد ما وقع لآل سعود وآل الشيخ ، على يد محمد علي والي مصر ، بتحريض من السلطان العثماني ، فقد جاء جيش الظلم إلى نجد ، ودخل الدرعية ، وسلّط المدافع عليها ، فحصد أهلها، وخرّب دورها ، وهدم حصونها ، وقتل كثيراً من آل سعود، وآل الشيخ ، وأخذ الكثيرَ منهم أسرى إلى مصر.

وصمد أتباع الدعوة السلفية ، لتلك الحرب الضارية ، وواجهوها بسلاح الحق ، الذي يدعون إليه ، وقطعوا دابر الشرك ، وقمعوا البدع والضلالات ، وكشفوا الشّبهات عن هذا الدّين الحنيف ، ولا تزال – بحمد الله تعالى – أعلامُ الدّعوة السّلفية عاليةً خفّاقة في بقاع الأرضِ، لا تؤثّر فيها الحوادث ، ولا تتغيّر بالوقائع ، ثابتةً على المنهج الحقّ بقوّة وإصرار.

ولم يكن قصدُنا من هذه الإشارة التطويل في البيانِ ، إنما أردنا أخذ العبرة والعظة ويكفي أن نستشعر أن هناك فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، وأنَّ الحقَّ دائمًا منصورٌ ، وإنْ قلَّ أهلُه، وأنَّ الباطلَ مُنكسٌ مدحورٌ، وإنْ ملأَ الأرض خزيه . . . والله الموفّق، والهادي إلى سواء السبيل.

ثالثاً : عوامل الصّبر والثّبات :

إنَّ العقيدة المتينة معين لا ينضب للنشاط الموصول ، والحماسة المدّخرة، واحتمال الصّعاب ، ومواجهة الأخطار ، وتلك طبيعة الإيمان ، إذا تغلغل في النفوس ، فإنه

يضفي على صاحبه قوة طبع في سلوكه كله ، فإذا تكلم كان واثقًا من قوله ، وإذا اشتغل كان راسخًا في عمله ، وإذا اتّجه كان واضحًا في هدفه ، فما دام مطمئنًا إلى الفكرة التي تملأ عقله ، وإلى العقيدة التي تعمر قلبه ، فقلّما يعرف التَّرَدُّدُ سبيلاً إلى نفسه ، وقلّما تزحزحه العواصفُ العاتيةُ عن موقفه ، لا يستبعده العرفُ الغالبُ ، ولا تتحكّم فيه التّقاليدُ السّائدة ، ولو أدّى تصحيحها إلى أن يبذل فيها نفسه ، ويُضَحّي فيها بدمه ، ما دام واثقًا فيما يراه أنه الحق ، فليزم الدّاعيةَ إلى اللّه أن يكون رجلَ مبدأ متميزًا ، يعاشر الناس على بصيرة من أمره ، إنْ رآهم على صواب ، تعاون معهم ، وإن رآهم مخطئين ، جابههم بآراء حُرَّةٍ ، وأفكارٍ صريحةٍ ، وحقائق واضحة تكشف لهم عن خطئهم ، لا يخشى في اللّه لومة لائم ، ولا تعنيه قوة النقد أو جراحات الألسنة، وغير حاسب لرضا الناس أو بغضهم حسابًا ولا وزنًا ، فماذا عسى أن يفعل الناس لامرئ اعتز بإيمانه واستشعر القوة لِصلته بربه واستقامته في دينه ؟! إنهم لو تألّبوا عليه جميعًا ، ما نالوا منه قليلاً ولا كثيرًا.

ويجب على الدّاعية إلى اللّه أن يوطِّن نفسه ، ويظل موفورَ الثّقة ، بادي الثّبات ، بقلب لا تعلُق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة ، فقد أكّدَ اللّهُ أنّ الابتلاء لا محيص عنه لكي نأخذ استعدادنا للنوازل المتوقّعة ، ولا تذهلنا المفاجآت ، قال تعالى :﴿ ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ [محمد :٣١] ، وقال تعالى: ﴿ وإن تصبروا وتتّقوا فإنَّ ذلكَ من عَزْمِ الأمور ﴾ [آل عمران:١٨٦] ، وقال تعالى مخاطبًا نبيّه صلى اللّه عليه وسلّم ، الذي احتمل ما احتمل ، وعانى من أمر الدّعوة ما عانى ، بعيداً من كل سندٍ وظهرٍ ، إلا لله وحده ، ثم من آمن بدعوته ، قال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أُولو العَزْمِ من الرُّسل ولا تَسْتَعْجِل لهم كأنّهم يوم يَرَوْنَ ما يوعدون لم يَلْبَثوا إلا ساعةً من نهارٍ بلاغٌ فهل يُهْلَكُ إلا القومُ الفاسقون ﴾[الأحقاف:٣٥].

وعليه؛ فإنّ من عوامل الصبر

والثبات أن لا يتملّق الدّاعية ، أو يداهن على حساب دعوته ، أو يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته ويحط من قدره ، بل عليه أن يكون صريحاً يواجه الناس بقلب مفتوح ، ومبادئ معروفة .

رابعاً : الوسائل التي يتخذها الداعية لضمان نجاح دعوته :

للدّعوة أثرٌ كبيرٌ في فلاح الأمم وتسابقها في مضمار الحياة الزاهرة ، وهذا ما يجعلها بالمكانة السّامية ، ويجعل صاحبها عزيز الجانب ، قويَّ الإرادة ، إذا أخذ بالوسائل التي تضمن له – بإذن اللّه – نجاح دعوته، ومن هذه الوسائل :

أولاً : أن يتّصف بمكارم الأخلاق، ويتحلّى بالشّيم النّبيلة ، والشمائل الكريمة ويتّسم بالجد ، والوقار ، والمروءة ، وسموّ الأخلاق ، والترفّع عن سفاسف الأُمور .

ثانياً : أن يُحسن اختيار الوقت : ومعناه أن يختار وقتاً مناسباً ، يكون الناس فيه على استعداد للتلقّي ، فيذكّر حيثما وجد فرصةً للتّذكير ، ومنفذاً للقلوب ، روى البخاري في « صحيحه » عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال :كان النبي صلى اللّه عليه وسلّم يتخوّلنا بالموعظة في الأيام ، كراهة السآمة علينا[1] .

قال الحافظ رحمه اللّه : « باب ما كان النبي صلى اللّه عليه وسلّم يتخولهم (أي : يتعهّدهم) ، بالموعظة والعلم ، كي لا ينفروا : ..... والمعنى : كان يراعي الأوقات في تذكيرهم ، ولا يفعل ذلك كل يوم ، لئلا يملّوا ، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، والضابط : الحاجة ، مع مراعاة وجود النشاط »[2] .

ثالثاً : أن لا يؤذي مشاعر السامعين، بأن يكون دائماً متشائماً، عابساً ، كارهاً لكل وضع ، ثائراً على كل واقع ، مُتَفَنّناً في سرد العيوب في الأفراد أو في المجتمعات – إلا لتصوير واقع بقصد علاجه أو تحسينه– ويحسن أن تكون عنده النكتة الأدبية ، والابتسامة الرفيعة ، والأخوّة الحميمة ، والقلب الواسع ، والأمل العريض ، وآيات القرآن خير شاهد على ذلك ، قال تعالى:

(١) أخرجه البخاري : كتاب العلم : باب :١١ :(١/ ٢٥ – ط استانبول) .

(٢) «فتح الباري » (١/ ١٦٢–ط السلفية) .

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

رابعاً: أن يلزم الوقار وحسن السمت، واتزان النظرات، وتقسيم الموضوع، ليسهل استيعابه وفهمه لدى السامعين، ويعرض الموضوعات التي يهتم بها الناس، أو تضيف إليهم جديداً، ويتحسس الداء فيضع له الدواء.

خامساً: إن النفس تستأنس بالمثل، ويلمع في جوانبها ضوء من وضوحه، وجمال حكمته، فعلى الداعية إلى الله أن يحرص على ضرب الأمثال، لتقريب المعنى إلى الأفهام، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يورد الأمثال المروية في حديثه، ولا يرى بذلك بأساً، فالمثل حكمة، والحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وقد اجتمعت ميزات المثل في عبارات القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فجرت بذلك على الألسنة، زادت بها ثروة الأمثال وشرفت، قال تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ [الحشر: ٢١].

ومن العبارات النبوية التي صارت مثلاً بل أمثالاً، قوله صلى الله عليه وسلّم: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

وقوله: «إن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى» (١) وغير ذلك، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب «الإتقان» للسيوطي، وغيره من الكتب الأدبية، التي عنيت بالأمثال القرآنية، والنبوية، والعربية.

سادساً: أن يعني بنفسه، بأن يكون في لباسه، ورائحته، ومظهره، مألوفاً، لا صاحب لباس شهرة، أو أن تصدر عنه حركات غير مألوفة وقد وَرَدَ عن مالك رضي الله عنه أنّه قال: «ما أحب لامرئ أنعم الله عليه، ألا يرى أثر نعمته عليه، وخاصة أهل العلم» (٢)

وكان رضي الله عنه يعطي نفسه عند التحديث عن رسول الله صلى

(١) الحديث لم يثبت، فاقتضى التنويه. (**الأصالة**).

(٢) «مالك – آراؤه، وعصره، وحياته، وفقهه» (ص٤٦-٤٧) لمحمد أبو زهرة، ط. دار الفكر العربي – مصر.

الله عليه وسلّم سمتاً أحسن ومظهراً أروع ما يكون ، فكان إذا حدث توضأ ، ولبس أحسن ثيابه ، ولم يكن يجلس على المنصة إلا إذا حدَّث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

أخي الداعية!

إنك تدعو إلى أشرف دعوة ، وتدعو إلى الإصلاح ، وائتلاف القلوب والمشاعر ، وستقابل في دعوتك بالصدود ، والإعراض ، إن ضاق صدرك ، ولم تستلهم الرشد ، وعوامل الفلاح ، وستدخل كلمتك إلى سويداء القلوب ، وتصادف موقعا من النفوس ، إن دعوت إلى اللّه بالحسنى واتخذت القدوة والأسوة من نبي الهدى صلى اللّه عليه وسلّم ، والسلف الصالحين ، من الصحابة ، والتابعين ، ومن سار على دربهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى اللّه على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، وسلّم ❑

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

أيها الطالبُ الحريصُ تعلَّم ... أنَّ للحقِّ مذهبًا قد ضللْتَه

ليسَ يُجدي عليك علمك إلاَّ لم ... تك مستعملاً لما قد علمتَهْ

قدْ لعَمْري اغتربت في طلب العلـ ... ـم وحاولتَ جمعَهُ فجمعتَهْ

ولقيتَ الرجالَ فيه وزاحمْـ ... ـتَ عليه الجميعَ حتى سمعْتَهْ

ثم ضيَّعْتَ أو نَسِيْتَ وما ينـ ... ـفعُ علمٌ نسيتَه أو أضعْتَهْ

وسواءٌ عليكَ علمُكَ إن لم ... يُجد علمًا عليك أو ما جهلْتَهْ

كم إلى كم تخادعُ النَّفسَ جهلاً ... ثم تجري خلاف ما قد عرفتَهْ

تصفُ الحقَّ والطريقَ إليه ... فإذا ما عَمِلْتَ خالفْتَ سَمْتَهْ



وصلت « **الأصالة** » رسالة من الأخ الكريم أيمن الدقاق أبوحذيفة الشامي، مندوب جمعية البر – فرع كراتشي – باكستان، تفيضُ بالمشاعر الأخويّة الصادقة نحو **الأصالة** وأهلها يقول فيها:

بعد التحيّة والاحترام، دفعني بياضُ صفحاتكم المستمدّ من النور الذي أُنزلَ على نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلم الكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح، والذي أصبحَ غريباً عند كثير من المسلمين، فطوبى للغرباء الذين يرفعونَ هذا اللواء، دفعني هذا لأن أسطِّر لكم هذه الأحرف والكلمات، وأُعلنَ فيها محبتي لكم في الله، ودعائي لكم بالتوفيق.

والأخ الفاضلُ يطلبُ الاشتراك في **الأصالة**.

الأصالة: نقولُ للأخ أيمن: جزاكَ اللهُ خيراً على هذه الكلمات الطّيبة، ونحن نبادلك الحبَّ في الله، ونعتذرُ لك أشدَّ الاعتذارِ عن تأخُّر وصول الأعداد إليك، علماً بأن قيمةَ الاشتراك قد وصلتنا، ولكنّ الذي يُؤْسَف له أنّ رسالتكم فُقِدَت فترةً طويلةً حتّى جرى البحث عنها بدقة، والأعداد في طريقها إليك، مع رجاء التماسِ العذرِ لإخوانكم، ومرحباً بك أخاً وزميلاً لـ « **الأصالة** » وأسرة تحريرها.

وصلت **الأصالة** رسالة من الأخ سامح عبد الله حسين أبو الشيخ من فلسطين، يقول فيها:

الإخوة القائمين على مجلّة « **الأصالة** » .. لقد أثلجَ صدري عندما علمتُ أنّ هناك مجلة إسلاميّةً جامعةً تنتهجُ نهجَ السلف الصالح في العقيدة والمنهج والأحكام الشرعيّة دونَ لبس، ولكنه الدليل ثمّ الحكمُ الشرعيّ، وهذا هو نهجُ

صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، ثم يختم رسالته بقوله: وآخر الحديث أسألُ الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا ممن يستمعون القولَ فيتبعون أحسنَه، وأن يجعل مجلّة «**الأصالة**» منبَر نور لتكملَ مشوارَ المجلاّت الأخرى التي تسيرُ على نفسِ المنهج.

الأصالة: نشكرُ الأخ سامح، ونرحب به أخاً وزميلاً لـ **الأصالة**، ونرجوا الأخ سامح وإخوانه العملَ على نشر «**الأصالة**» بين المسلمين في فلسطينَ والمتابعة المتواصلة لأعدادها، ليعم الخير، ويزداد النفع مع رجاء تبليغ سلام أسرة تحرير **الأصالة** لكل الإخوة في العقيدة والمنهج في فلسطين الغالية.

أما بخصوص مقاليك، فسنعرضهما على اللجنة المختصة، آملين أن يجدا طريقَهما للنشر قريباً إن شاء الله.

ووصلت إلى «**الأصالة**» رسالة من الأخ عمر بن عبد الرحمنَ اندهوفن – هولندا، يبعثُ فيها بأحرِّ سلامه لشيخنا العلامة الألبانِي وأُسرةِ تحرير **الأصالة**، ويتمنى للجميع التوفيقَ.

الأصالة: نشكر الأخ عمر على اهتمامه بـ«**الأصالة**» والمشايخ الذي يكتبون فيها، ونعلمُك يا أخ عمر! أننا كلَّمنا الشيخ حفظه الله بخصوص كتبه وترجمتها إلى الهولنديّة، فأشار أن نخبركم بضرورة الاتصال به لترتيب هذا الأمر.

وفَّق اللهُ الجميعَ لما يحبُّ ويرضى.

فإن جهلتَ ما سُئلتَ عنهُ ... ولم يكن عندك علمٌ منه
فلا تقل فيه بغير فهم ... إنّ الخطا مُزرٍ بأهل العلم
وقلْ إذا أعياك ذاكَ الأمرُ ... ما لي بما تسألُ عنهُ خُبرُ
فذاك شطرُ العلم عند العُلَما ... كذاك ما زالت تقولُ الحكما

مسك الختام

من الأمراض الفتّاكة التي لا يكاد يسلم صاحبها من الهلاك يوم القيامة، ومن مَقْت الناس وازدرائهم في الحياة الدنيا(العُجب)، كغيره من الشرور التي تُلمسُ وتُحسّ، وآثاره تُرى وتُشاهد على (الكثير)، إلا من رحم ربّي، وقليل ما هم، وكان سلفُنا الصّالحُ - رحمهم الله تعالى - يمتازون بفرط التواضع واستصغار النّفس، وهم يتميزون على الخلف بذلك، فهم أبعد الناس عن الغرور، والادلة والشواهد على ذلك كثيرة وفيرة، نكتفي بواحدٍ منها:

أخرج البخاري(رقم ٤٧٥٠)، ومسلم (رقم ٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها ضمن حديث (الإفك) الطويل، قولها:

« ولشأني في نفسي كان أحقر من أنْ يتكلّم اللّهُ فيَّ بوحيٍ يتلى، ولكن كنتُ أرجو أنّ يرى رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم رؤيا يُبرِّئني اللّهُ بها ».

قال الإمام ابن القيم معلقاً على المقولة المذكورة:

« فهذه صدّيقة الأمة وأم المؤمنين، وحِبُّ رسول رب العالمين، وهي تعلم أنّها بريئة مظلومة، وأنّ قاذفيها ظالمون مفترون عليها، قد بلغ أذاهم إلى أبويها، وإلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وهذا كان إحقارها لنفسها، وتصغيرها لشأنها، فما ظنك بمن صام يومًا أو يومين، أو شهراً وشهرين، وقام ليلة أو ليلتين، وظهر عليه شيء من الأحوال، ولاحظوا أنفسهم بعين استحقاق (الكرامات) و(المكاشفات) و(المخاطبات) و(المنازلات) و (إجابة الدعوات)، وأنهم ممن يُتبرك بلقائهم، ويُغتنم صالح دعائهم، وأنّهم يجب على الناس احترامهم، وتعظيمهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، فيُتمسح بأثوابهم، ويُقبّل ثرى أعتابهم، وأنّهم من اللّه بالمكانة التي ينتقم لهم لأجلها ممن تنقصهم في الحال، وأن يؤخذ من أساء الأدب عليهم من غير إمهال، وأن الإساءة عليهم ذنب لا يكفره شيء إلا رضاهم، ولو كان هذا من وراء

كفاية لهان، ولكن من وراء تخلّف، وهذه (الحماقات) و(الرُّعونات) نتائجُ الجهل الصحيح، والعقل غير المستقيم، فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه، غافل عن جرمه وذنبه، مغترٌ بإمهال الله له عن أخذه بما هو فيه من الكبر والإزراء على مَن لعله عند الله خير منه.

نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، وينبغي للعبد أنّ يستعيذ بالله أنّ يكون عند نفسه عظيماً، وهو عند الله حقيراً »(١).

وهذه الصورة المذمومة، كانت شائعة ذائعة في وقت الإمام ابن القيم عند الصوفية والمبتدعة، وها هي بدأت تطلُّ برأسها عند بعض طلبة العلم، فلسان حالهم إن لم يكن قالهم يردد ما ذكره ابن القيم عن هؤلاء (المغرورين) ، فالواحد منهم، إن قرأ (صفحة) أو (صفحتين)، أو كتاباً وكتابين، أخذ يسوّد على القرطاس، وينفخ في الناس، ويذكر أنّ له (اختيارات) و(اجتهادات) و(ومؤلفات)!! وكأنّه من عجزه، وقلة دينه وورعه، وبسبب عُجبه وغروره بنفسه، يقول : «أنا أبو اعرفوني »، فلا يسلم من لسانه عالم ولا (فاضل)، وإن مدح عالماً أو(فاضلاً) ففي مقام ذكره نفسه فحسب، وليس من باب مراعاة (إفادة لفظة، أو ودّ لحظة).

واسمع عافاك الله من هذا الدّاء إلى الفرق بين السلف والخلف: « فقد كان السلف مع حسن القصد، وصحة النية يخافون من الكلام، وإظهار المعرفة والفضيلة، واليوم يُكثرون الكلام مع نقص العلم، وسوء القصد، ثم إن الله يفضحهم، ويلوح جهلهم وهواهم، واضطرابهم فيما علموه، فنسأل الله التوفيق والإخلاص »(٢).

فكن أخي القارىء! سلفي النهج، سلفي الخلق، سلفي العقيدة، فلا تعمل إلا بما تعلم، ولا تعمل ما لا تعلم، وعلم ما تعلم، ولا تمنع من أراد أنْ يعلم، فذهاب الإسلام من هؤلاء الأربعة،« فما ظنك إذا انضم إليها كبر، وفجور، وإجرامٌ، وتجرهم

---

(١) من « جلاء الأفهام » (ص١٢٦-١٢٧).

(٢) « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٤٦٤-٤٦٥).

على الله؟ نسأل الله العافية»(١).

فإن فعلت، فما إخالك إلا ناجيًا، قال معمر:« لقد طلبنا هذا الشأن، وما لنا فيه نية، ثم رزقنا الله النية من بعد» وقال:« كان يقال: إن الرجل يطلب العلم لغير الله، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله».

نعم، يطلبه أولاً، والحامل له حبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهل عنه، وحبُّ الوظائف، ونحو ذلك، ولم يكن علم وجوب الإخلاص فيه، ولا صدقَ النية، فإذا علم، حاسب نفسه، وخاف من وبال قصده، فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم، وعلامة ذلك أنْ يقصر من الدعاوى، وحب المناظرة، ومن قصد التكثر بعلمه، ويُزري على نفسه، فإن تكثَّر بعلمه، أو قال: أنا أعلم من فلان، فبعداً له(٢).

والحاصل: أنَّ السلامة لطالب العلم في الدَّارَيْن أنَّ يبتعد عن (العجب) و (الكبر)، وأن يسلم من آثارهما، وأن يزري على نفسه، ولا يتكثَّر بعلمه، فلا هو في القراءة، كأبيّ، ولا في التأويل كابن عباس، ولا في القضاء كعلي، ولا في الفرائض كزيد، ولا في الأمانة كأبي عبيدة، ولا في صدق اللَّهجة كأبي ذر، ولا في الفقه كمالك، ولا في الحديث كأحمد، ولا في اللغة كأبي عبيد، ولا في الشعر كأبي تمّام، ولا في العبادة كالفُضيل، ولا في الحفظ كالثوري، ولا في الأخبار كالواقدي، ولا في الزهد كالكرخي، ولا في النحو كسيبويه، ولا في العروض كالخليل، ولا في الخطابة كابن نباتة، ولا في الإنشاء كالقاضي الفاضل، ولا في الكتابة كابن البوّاب، والله الموفق للخيرات، والهادي للصالحات، وهو سبحانه الواقي. □

□□□□□

فإذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤/٥٢٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/١٧).

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة
بفهم سلف الأمة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرَّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة: العدد الثامن عشر

١٥ محرم ١٤١٩هـ

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم / ١٣٢٨/٣/٤

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديد، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

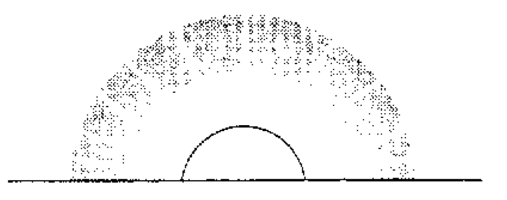


المحتوى

المحتوى



أمُّ المفـــاخـــر



ساقت إليك حـديثَهـا وعلومَـهـا　　أمُّ المفـــاخـــر آيـة الرحــــمن

حيٍّ المجلة والأصــالة إسـمُـهــا　　والحق منبـــرها بلا كـــتـــمـــان

نادت إلى النهج القويم صـراطهـا　　نـهج الحـديث الـثـابت الأركـان

ودعت لفـهم السالفين أولي النُّهى　　أصحـاب أحـمد تابعي الإحسان

فـيـهـا علومُ الدين سنة أحـمـد　　وعـلوم نـصٍّ جـــاء بالقـــرآن

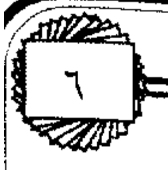
رُغِـمَتْ أنوفُ الحاسـدين فـإنهم　　يتــهـوكـون القـول بالبـهـتـان

مـاتوا ومـا مـاتت أصـالةُ منبـر　　والله حـــافظُ منهج الفـــرقـــان

إن يجـهلوها لا تعـابُ لجـهلهم　　قـولوا كـمـا شـئـتم من الهَـذَيان

إنّي عـلى نـهج الأصـــــالة تـابعٌ　　منهـــاجَ أحـــمـــد دائم الأزمـــان

يحيى عبد الحميد المداينة



القضايا الكبار

التحرير

تعيش الأمة الإسلامية في هذه الأعصار فوضى علمية دبت في أوصالها فخلخلت بنيانها، وتظهر بوضوح في مجال الفتوى، والسياسة، ونشر تراث السلف الصالح.

فنحن نرى من هب ودب يُفتي، وينظِّر، ويطلق الأحكام؛ بدعوى: أنه لا يوجد كهنوت في الدين، ولا أحد يحق له أن ينصب نفسه قيّماً عليه!

لقد ارتدى كثير من أنصاف الفقهاء عباءة الفتوى بهذا التعليل العليل؛ فترى أحدهم يجهل الضروريات ويفتي في المعضلات، ويتساءل عن الصغير وهو جريء في استحلال حرمات الكبير...

فحري بالمخلصين البكاء؛ فقد بكى ربيعة الرأي يوماً فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ظهر في الإسلام أمر عظيم؛ استفتي من لا علم له.

لقد كان السابقون الأولون لا يفتون حتى يشهد لهم العلماء الربانيون؛ قال مالك رحمه الله: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك».

إنه أمر محزن ومخيف: أن ترى الأقزام يتسابقون في إصدار الأحكام في القضايا العظام.

قال سفيان الثوري: «أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بُدّاً من أن يفتوا».

إن الجرأة على الفتوى لا تدل على العلم أو الرسوخ، بل هي علامة عكس ذلك.

قال سفيان بن عيينة: «أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً».

إن هؤلاء المتصدرين قبل التأهل يصدق فيهم قول سفيان الثوري: «بعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السرّاق».

وأما في مجال نشر تراث السلف وتحقيقه؛ فنبتت نابتة في أرض جرداء راموا البروز قبل النضوج وتزببوا قبل أن يحصرموا، وتهافتوا مثل الفراش على مقام العلم؛ في التحقيق، والنشر، والتأليف، واقتحموا قمم عدول الأمة السالفين تحت راية نشر تراثهم، وتحقيق تواليفهم، فحلوا في رحاب العلم معولاً يهدم حماه، ويخرق سياجه.

ولقد زاد تنمرهم إقبال العامة على مجالسهم تعجباً، وإلقاء السمع إلى قصصهم طرباً(!).

وقوي توثبهم عندما تساقط تجار الفكر على نتاجه لتبذُّلهم، وفتحت دكاكين الكتب أبوابها لرخصهم.

وأما السياسة الشرعية؛ فكم من قضية شغلت الأمة سنين عدداً، وحار الراسخون فيها: تسابق الأدعياء إلى التنظير فيها، فتراهم يستبيحون الدماء والفروج بأدنى حيلة، وأسهل وسيلة.

وجزى الله بعض مشايخنا خيراً فقد قال: «المسائل الكبار بحاجة إلى أهل العلم الكبار».

وعلى الجملة؛ فقد ظهر في ساحة المسلمين ما أخبر به الصادق المصدوق؛ فقد ضيعت الأمانة؛ إذ وسد الأمر إلى غير أهله، ووضع النصاب في غير محلِّه، وطلب العلم عند الأصاغر... فإذا بالمخلص يقلب كفيه تأسفاً وحزناً لانفتاح الفتنة التي صرعت عدة المستقبل وأمل الغد في أحضان الأدعياء.

ولكن لا تغرنكم البرقة، فإنها فجر كاذب، ولا تهولنكم المفاجأة، فإن الجهابذة ينخلونهم نخلاً، فيبقى اللباب، وتعيش على النخالة دواب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه: تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».

وكلٌّ يقوم حسب وسعه وطاقته على

منهاج النبوة؛ فإن النصح لكل مسلم ميثاق نبوي.

والأصالة مع عودتها بقوة وثبات -بإذن الله- لتفتح صفحاتها لأسلات أقلام العلماء وطلاب العلم. فهي منبر لكل مسلم مخلص داع إلى الله على بصيرة. ليشاركوها في مهمتها الإصلاحية التجديدية التربوية؛ ليذبوا عن الإسلام والسنة براثن الشرك والخرافة؛ ليعود يتلألأ نقياً صافياً بثوب الرسالة كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وكما فهمه الصحابة الأخيار والتابعون الأبرار.

❐ ❐ ❐

قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ [النساء: ١١٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه.

معالم الصراط المستقيم

الشيخ د. محمد موسى آل نصر

لقد أمر الله عباده المؤمنين أن يسلكوا صراطه المستقيم، وأن يسألوه الثبات عليه، والهداية إليه فلا تقوم لهم صلاة إلا إذا سألوه الهداية لهذا الصراط المستقيم سبع عشرة مرة في الصلوات الخمس، ولا يتم لهم ذلك حتى يستعيذوا من سبيلين:

الأول: سبيل المغضوب عليهم، وهم اليهود.

الثاني: سبيل الضالين، وهم النصارى.

وهذان السبيلان هما منبع الفساد والانحراف.

قال بعض السلف: «من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى».

لأن اليهود عرفوا الحق وحرفوه وانحرفوا عنه، والنصارى عبدوا الله بلا علم، فعملوا بلا علم، فعدم العمل بالعلم يفضي إلى غضب الله، والجهل والعمل بلا علم يفضي إلى الضلال.

والمتدبر لقوله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ يعلم أن هذا الصراط واجب الاتباع، وأنه سبيل الهداية الوحيد، وأن من انحرف عنه يمنة أو يسرة ضل وتاه في سبيل الضلال، وتخبط خبط عشواء، وأخذ يدور حول نفسه كما يدور الحمار في رحاه، وكان في تيهه وضلاله وحيرته وتخبطه كتيه اليهود عندما خالفوا أمر ربهم وقالوا لنبيهم موسى كليم الله: ﴿**اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون**﴾.

وفيه أن الحق واحد في مقابل الباطل لا يتعدد ولا يتنوع، قال تعالى: ﴿**الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور**﴾.

فانظر -رحمك الله- كيف جمع الظلمات التي تمثل الباطل، وأفرد النور الذي يمثل

الحق.

وهكذا؛ فإن صراط الحق واحد هو سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

وسبل الشيطان كثيرة، ولذلك جمعها الله بقوله: ﴿**ولا تتبعوا السبل**﴾.

وفيه أن ما يسمى بالتعددية في الأنظمة الديمقراطية باطلٌ؛ لأنه تكثير لسواد الشيطان وحزبه، وتحقيق لسياسة فرعونية قديمة: ﴿**إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً**﴾ وهي ظاهرة مَرَضِيَّة في الأمة؛ لأنها تفرقها وتبعدها عن الحق الذي عبّر عنه ربنا بالصراط المستقيم، وإقرارها والاعتراف بها اعتراف بتلك السبل الشيطانية التي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «**وهذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو له**»، وأصحابها هم الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة: -الذي فيه- «**فهل بعد هذا الخير من شر؟** قال: **«نعم؛ دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه في النار**».

ففيها التحذير من التفرق في الدين، والاختلاف على الحق القويم، والتنكب عن الصراط المستقيم؛ لأنه سبيل الضلال.

وفيها عدم الاغترار بالكثرة والغثائية؛ لأنها ليست دليلاً على الحق، ولا هادية إليه، ولا عاصمة من الانحراف، بل هي قاصمة إلا أن تكون على هدى من الله وكتاب منير.

وهذا ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل**»، فالحق لا يعرف بالكثرة، وما مدح الله الكثرة يوماً؛ قال تعالى: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾، وقال: ﴿**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**﴾، وقوله: ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾، وقوله: ﴿**وما آمن معه إلا قليل**﴾.

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في

حديث افتراق الأمم: «... **وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هم الذين على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» وقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله**»، وقوله في وصف الغرباء: «**قوم صالحون قليلون في قوم سوء كثيرين؛ من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**».

وهكذا كان الحق وأهله دائماً، فمن أظلم ممن سوّى بين المسلمين والمجرمين بين أهل الصراط المستقيم وأصحاب السبل الشياطين: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون**﴾.

ومعرفة الصراط المستقيم وأهله لا بد لها من بصر وبصيرة؛ فالأعمى لا يحسن النظر، والجاهل لا يتقي تطاير الشرر: ﴿**فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم**﴾؛ أي: أنت ومن معك. والله الموفق.

❒ ❒ ❒

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي	جعلت الرجا مني بعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل	تجود وتعفو مِنَّةً وتكرما

رأي آخر في الإعجاز العلمي

الشيخ سعد الحصين

لا بد ـ أولاً ـ من افتراض حسن النية في كل من يحاول اجتذاب الناس إلى دينهم مهما ظهر من مجافاته طريق الصواب؛ فقد قال تعالى عن أضلّ عباده: ﴿**إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون**﴾، ولكن لا بد من إظهار انحرافه عن منهاج النبوة حتى لا يغترّ به الآخرون.

ومن أسوأ الأمثلة على ذلك: ربط كلام الله اليقيني بالنظريات الحديثة في الكون والحياة، وكلّها ظنية قابلة للتغيير، والتبديل، والإهمال.

يعيد بعض الباحثين بداية الانحراف إلى ما يأتي:

١ـ محاولة بعض المفسرين الماضين سد الثغرات المتوهمة في قصص الأنبياء بالتفاصيل المأخوذة من التوراة والإنجيل؛ غافلين عن حكم اقتصارها في كتاب الله على مواطن العظة.

٢ـ الاحتجاج بشعر العرب على القرآن، بدلاً من الاحتجاج بالقرآن على اللّغة؛ كما احتجّ الأشاعرة على تأويل الاستواء بالاستيلاء بـ «قد استوى بشر على العراق» وتأويل الكرسي بالعلم بـ: «ولا يكرسئ علم الله مخلوق»؛ صرفاً للّفظ عن ظاهره.

٣ـ الاحتجاج بالرأي المخالف لمنهاج السنة في فهم الأمة انتصاراً للمذهب؛ كما احتج الخوارج على ضلال عثمان وعلي رضي الله عنهما بقول الله تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ مؤكدين رأيهم بحديث موضوع: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعثمان: «بك تفتح»، وقال لعلي: «أنت إمامها وزمامها وقائدها تمشي فيها مشي البعير».

وكما احتج الإمامية على حصر الولاية في علي - رضي الله عنه - والأئمة من نسله - بقول الله تعالى: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ وأنها نزلت في علي رضي الله عنه إذ سأله سائل وهو راكع في صلاته؛ فأومأ إليه بخنصره، فأخذ خاتمه فيه.

ولعل أول من وقع في شبهة الإعجاز العلمي في القرآن الغزالي (ت٥٠٥) في «إحيائه» إذ ادّعى أن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم، بعدد كلماته مضاعفة أربع مرات! بادعائه أن لكل كلمة ظاهراً وباطناً!! وحداً ومطلعاً!!، وفي كتابه «جواهر القرآن» يخصص الفصل الخامس لبيان اشتمال القرآن على جميع العلوم أو الفنون الدنيوية!

وكما فتح الباب للخلط بين التصوف والإسلام؛ فتح الباب للخلط بين الفكر والفقه في نصوص الوحي؛ فجاء من بعده الرّازي (ت٦٠٦) فزاد الطين بلة.

ثم استفحل الأمر فجاء ابن أبي الفضل المرسي (ت٦٥٥) فاستخرج الهندسة من قوله تعالى: ﴿**انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب**﴾، والجبر والمقابلة من الحروف في أوائل السور.

وفي هذا العصر الذي بهر أبصار المسلمين وبصائرهم بنظريّاته ومخترعاته، حصل من ذلك أشياءُ؛ فإذا كان الكواكبي (ت١٣٢٠) هو السابق للابتداع في التفسير بمثل عزوه التصوير الفوتوغرافي إلى قول الله تعالى: ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً**﴾! فإن لواء الابتداع في هذا الأمر معقود للشيخ طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨) ففي مؤلفه: «الجواهر في تفسير القرآن» (٢٦ مجلداً) كثير من المضحكات المبكيات منها:

استخراج تحضير الأرواح من قول الله تعالى: ﴿**فقلنا اضربوه ببعضها كذلك**

يحيي الله الموتى﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى...﴾.

واستنبط من الآيات أن يكون محضر الأرواح ذا قلب نقي خالص كالعزير وإبراهيم وموسى في الآيات المذكورة!

وبهرت لغة العصر سيد قطب فوصف كلام الله «بالتصوير الفني»، و«التصوير الرّباني»، و«الموسيقى الحادّة التقاسيم»، و«الموسيقى المطمئنة المتموّجة»!!

ومصطفى محمود تكلم عن «سمفونية الفاتحة» وعن «الشفرة والرمز والألفاظ المطلسمة» في القرآن، وفي محاولة كل منهما ـ الأديب والطبيب ـ في تفسير القرآن ما يفوق ذلك افتئاتا على اللفظ والمعنى، وانحرافاً عن شرع الله ومنهاج خيار الأمة.

وإذا لم يقف علماء المسلمين في وجه هذا الهجوم الشّرس على تفسير كلام الله بغير علم ولا هدى، من قبَل الأدباء والوعّاظ والورّاقين وتجّار الدّين، فليس من المستبعد أن يحدث في الإسلام ما حدث في النّصرانية عندما أرادت اللّحاق بركب العصر العلمي، فأدخلت في تفسير الأناجيل دراسات في الفلك، والرياضة، والعلوم الطبيعية، والفنون التطبيقية، ولما تغيّرت النظريات مع الزمن ـ كما يحدث دائماً في النظريات الظنّيّة ـ فقد الدّين النصراني احترامه بين أكثر أهله، وقد رأينا اليوم انصراف الشباب المسلم عن تفاسير الأئمة في القرون الأولى ـ وهم أهل اللغة التي أُنزل بها القرآن، وأهل العلم الشرعي المستنبط من الوحي ـ إذ أعشاهم البريق المؤقت للتفاسير العصرية عن التمييز بين الحقيقة والخيال.

وإعجاز القرآن عرفه المسلمون الأوائل ـ القدوة ـ في فصاحته وبلاغته وحججه البالغة وإخباره عن غيب لا يعلمه إلا من أنزله.

وبدعة الاعجاز العلمي ـ كما بيّناها للقرآن ـ لا تعدو أن تكون إهانة للقرآن وإعلاء لنظريات الملحدين.

وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد.

اغتنم خمساً قبل خمس

الشيخ عبد العظيم بدوي

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»[1].

هذه موعظة جامعة ونصيحة غالية من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وصفه ربه بأنه ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾، وما أحوجنا إلى هذه الموعظة ونحن نرى الأيام تمر، والسنين تنقضي، ورصيد أحدنا من الحسنات قليلاً، لأننا ضيعنا حياتنا في اللهو واللعب، وأنفقنا أوقاتنا في الغناء والطرب، وقضينا شبابنا في اللذات والشهوات، فاسمعوا وعوا: ﴿**من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخَّرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّق وأكن من الصالحين، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون**﴾.

لقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل: أن يغتنم حياته قبل وفاته؛ فالحياة نعمة عظيمة، وكل يوم من أيامها نعمة، ولقد كان صلى الله عليه وسلم إذا بعثه الله من نوم يقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[2].

ذلك أن هذا اليوم يمكن فيه أن يتوب، ويمكن المحسن أن يزيد من إحسانه، ولقد قال صلى الله عليه وسلم: «**خيركم من طال عمره وحسن عمله**»[3]، فطول العمر مع العمل الحسن يبلغ الدرجات العلى

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٣٠٦).

(٢) رواه البخاري (٦٣١٢/ ١١٣/ ١١)،

(٣) رواه الترمذي (٢٤٣٢/ ٣٨٧/ ٣).

والنعيم المقيم، ولقد فرّق النبي صلى الله عليه وسلم بين موت أحدهما قبل الآخر بأسبوع: فعن عبيد الله بن خالد السلمي قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين، فقتل أحدهما، ومات الآخر بعده بجمعه، فصلينا عليه، فقال صلى الله عليه وسلم: «**ما قلتم؟**» فقالوا: دعونا له، وقلنا: اللهم اغفر له وألحقه بصاحبه، فقال صلى الله عليه وسلم: «**فأين صلاته بعد صلاته؟ وصومه بعد صومه؟ وعمله بعد عمله، كان بينهما كما بين السماء والأرض**»[1].

فانظروا - رحمكم الله - كيف سبق الأخ الذي مات على فراشه أخاه الشهيد، وارتفعت درجته فوق درجته بسبب أسبوع متعه الله به؟ فكيف لو عاش بعده سنة أو أكثر، فاغتنموا - رحمكم الله - حياتكم؛ فإن الموت يأتي بغتة.

وقد أجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعداً لذلك، فالله الله عباد الله ولا تتخذوا دينكم لهواً ولعباً، ولا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور: ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير**﴾.

فاغتنموا حياتكم، فإن الله تعالى قد أخبرنا أن الموتى يطلبون الرجعة إلى الدنيا عند الموت لما رأوا من قيمة الحياة، قال تعالى: ﴿**حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت**﴾.

قال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولا أن يجمع الدنيا

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٧/ ١٩٨/ ٧)، والنسائي (٧٤/ ٤).

ويقضي الشهوات، لكنه تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله[١].

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون، وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحَدكم الموتُ فيقول رب لولا أخّرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّق وأكن من الصالحين**﴾ فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل التأخير ولو لزمن يسير؛ ليستعتب ويستدرك ما فات، وهيهات هيهات، كان ما كان، وأتى ما هو آت: ﴿**وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخّرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال**﴾.

ومما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باغتنامه: الصحة والفراغ: «**وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك**»؛ فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، والفراغ كنز بين أهله لا يراه إلا المشغولون، ولذا أثر عن علاَّمة الشام جمال الدين القاسمي رحمه الله أنه كان يمشي مع بعض رفاقه فمرّ بمقهى فرأى الناس يلعبون، فأطرق مليّاً، فسئل عن ذلك؟ فقال: لو أن هؤلاء يبيعونني أوقاتهم لاشتريتها!

فاغتنم يا عبد الله صحتك، واستعن بها على صيام النهار، وقيام الليل، ومجاهدة الأعداء، والرواح إلى المساجد، والغدو في طلب العلم، قبل أن تبتلى بالمرض فتتمنى أن تصوم فلا تقدر، وأن تصلي قائماً فلا تستطيع، وأن تخرج إلى المسجد فلا تحملك رجلاك، وهناك تندم على أيام كنت فيها قادراً على ذلك كله وتركته.

واملأ فراغك بما ينفعك من صالح

(١) ابن كثير (٣/٢٥٥).

الأعمال قبل أن تشغل، وهنالك في وسط الشغل تتمنى ساعة تقرأ فيها كتاباً، أو تحضر فيها درساً فلا تجد، فتندم على ما ضيعت من ساعات بل سنين.

واعلم يا عبد الله أنك إذا اغتنمت صحتك وفراغك في طاعة الله، ثم مرضت أو سافرت كتب لك أجر ما كنت تعمل في صحتك وفراغك، كما صرّح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «إذا مرض العبد كتب له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً»[(١)]، ولكن أكثر الناس عن ذلك غافلون.

ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»**[(٢)].

وأصل الغبن في البيع والشراء: الوكس يقال: غبنه، يغبنه إذا خدعه فأراد النبي صلى الله عليه وسلم: أن يبين أن المخدوع حقيقة ذو الصحة والفراغ، الذي لم يستفد من صحته وفراغه، فكأنما كان معه جوهرة نفيسة فباعها ببعرة لا قيمة لها.

قال ابن بطّال: «معنى الحديث: أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكتفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن، بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون».

وقال ابن الجوزي: «قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها

(١) رواه البخاري (٢٩٩٦/ ١٣٦/ ٦).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢/ ٢٢٩/ ١١).

في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم».

وقال الطِّيبي: «ضرب النبي صلى الله عليه وسلم للمكلف مثلاً بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله، ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال، وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان ومجاهدة النفس وعدو الدين ليربح خيري الدنيا والآخرة، وعليه أن يجتنب مطاوعة النفس ومعاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح، وذلك أعظم الخسران»[(١)].

ولقد أخرج هذا الحديثَ البخاريُّ في «صحيحه» في أول كتاب الرقاق، ثم اتبعه بحديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله علي وسلم قال: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**»[(٢)].

قال ابن المُنَيِّر: «مناسبة إيراد حديث أنس مع حديث ابن عباس الذي تضمنته الترجمة: أن الناس قد غبن كثير منهم في الصحة والفراغ لإيثارهم لعيش الدنيا على عيش الآخرة، فأراد الإشارة إلى أن العيش الذي اشتغلوا به ليس بشيء، بل العيش الذي شغلوا عنه هو المطلوب، ومن فاته فهو المغبون»[(٣)].

لذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم أشد حرصاً على أوقاتهم منا، فبينا ترى منا من لا يعرف كيف يشغل وقته، ويملأ فراغه، فتسمعه يقول لصاحبه: تعال نضيع الوقت، أو نقتل الوقت، ترى منهم الحرص على الدقيقة، بل على اللحظة والثانية، وتراهم يتواصون بذلك:

فها هو ابن الجوزي رحمه الله يقول

---

(١) انظر «فتح الباري» (٢٣١/ ١١).

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٢/ ٢٢٩/ ١١) رواه مسلم .

(٣) «فتح الباري» (٢٣١/ ١١).

لولده: أي بني: «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»؛[(١)] فانظر إلى مضيّع الساعات كم ضيّع من نخلات؟!»[(٢)].

وأُثر عن بعضهم أنه كان إذا قيل له: قف أكلمك، قال: امسك الشمس!

وكان بعضهم إذا دخل عليه زواره أكرمهم وأحسن ضيافتهم، فإذا طال بقاؤهم قال: ألا تنصرفون.

ومما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باغتنامه: الشباب.

إن الشباب هو فترة البذل والعطاء والجهاد، وهو الفرصة الذهبية في العمر كله؛ فمن استغل شبابه فيما ينفعه فاز ونجا، وأظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومن ضيّع شبابه في الشهوات والملذات خاب وخسر: إن مات فجأة ندم، وإن هرم ندم، لأنه إن مات انقطع عمله، وإن هرم انحنى ظهره، وضعف قدمه، وخفّ سمعه وبصره، فلا يقوى على ما يريد من الأعمال الصالحة إن أرادها، وصدق القائل:

ألا ليت الشباب يعود يوماً … فأخبره بما فعل المشيب

فيا أيها الشاب: ليكن نهارك في الصيام، وليلك في القيام، وسعيك إلى المساجد، وإياك أن يكون نهارك في اللهو، وسهرك في الترف، وسعيك إلى معصية الله، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك.

وأما الغنى؛ فالغنى من نعم الله، ويجب على من أنعم الله عليه به أن يعرف فضل الله عليه، وسرّ هذا الفضل، وقد صرح سليمان عليه السلام بهذا السرّ في قوله وقد رأى عرش بلقيس بين يديه

(١) رواه الترمذي (٣٥٣١/ ١٧٤/ ٥).

(٢) انظر رسالة ابن الجوزي «لفتة الكبد إلى نصيحة الولد».

فقال: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر﴾، فعلى العبد أن يغتنم فرصة غناه، وأن ينفق من مال الله الذي آتاه، وليحذر كل الحذر من إمساك فضل الله والبخل به، فإن الله تعالى قال: ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير**﴾.

❒ ❒ ❒

نزهة المؤمن الفِكَر	لذة المؤمن العبر
نحمد الله وحده	نحن كلٌّ على خطر
رُبَّ لاهٍ وعُمرهُ	قد تقضَّى وما شعر
رب عيش قد كان فو	ق المنى مُونِق الزَّهَر
في خرير من العيون	وظل من الشجر
وسرور من النبا	ت وطيّب من الثمر
غيرته وأهله	سرعة الدهر بالغِيَر
نحمد الله وحده	إن في ذا لمعتبر
إن في ذا لعبرة	للَّبيب إن اعتبر

وحدة الأديان أو التقريب بينها

اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى وحدة الأديان؛ دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات، والمطارات، والساحات العامة، والدعوة إلى طباعة القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل في غلاف واحد... إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات، وندوات، وجمعيات في الشرق والغرب مؤتمرات.

وبعد التأمل والدراسة؛ فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام - المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون - أنه لا يوجد على وجه الأرض دين سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ [آل عمران: ٨٥].

والإسلام بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانياً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن كتاب الله تعالى - القرآن الكريم - هو آخر

كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يُتعبد الله به سوى القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثاً: يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نُسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم؛ منها قول الله تعالى: ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم**﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله جل وعلا: ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**﴾ [البقرة: ٧٩]، وقوله سبحانه: ﴿**وإنَّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**﴾[آل عمران: ٧٨].

ولهذا فما كان منها صحيحاً فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو مُحَرّف أو مُبَدّل، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أفي شك يابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي**».

رابعاً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمداً صلى الله عليه

وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿**ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رَسولَ الله وخَاتَمَ النبيين**﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد صلى الله عليه وسلم، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حياً لما وسعه إلا اتباعه صلى الله عليه وسلم ـ وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك ـ كما قال الله تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾ [آل عمران: ٨١].

ونبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعاً لمحمد صلى الله عليه وسلم، وحاكماً بشريعته، قال الله تعالى: ﴿**الذين يتبعون الرسول النَّبيَّ الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل**﴾ [الأعراف: ١٧٥].

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً**﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات.

خامساً: من أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وتسميته كافراً، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البينة**﴾ [البينة: ١]، وقال جل وعلا: ﴿**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية**﴾ [البيِّنة: ٦]، وغيرها من الآيات.

وثبت في «صحيح مسلم» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أهل النار**».

ولهذا؛ فمن لم يكفّر اليهود والنصارى فهو كافر، طرداً لقاعدة الشريعة: «من لم يُكفّر الكافر فهو كافر».

سادساً: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية:

فإن الدعوة إلى وحدة الأديان والتقارب بينها وصَهرها في قالب واحد دعوة خبيثة ماكرة.

والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله جل وعلا: ﴿**ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً**﴾ [النساء: ٨٩].

سابعاً: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة:

إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر.

وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وعلا يقول: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾ [التوبة: ٢٩]، ويقول جل وعلا: ﴿**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين**﴾ [التوبة: ٣٦].

ثامناً: إن الدعوة إلى وحدة الأديان إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عز وجل،

وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، ومحرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعاً: وتأسيساً على ما تقدم:

١ـ فإنه لا يجوز لمسلم ـ يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ـ الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢ـ لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق ـ القرآن الكريم ـ والمحرف، أو الحق المنسوخ ـ التوراة والإنجيل.

٣ـ كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة بناء مسجد وكنيسة ومعبد في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة لأهل الأرض يجوزُ التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله؛ تعالى الله عن ذلك، كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس بيوت الله، وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ [آل عمران: ٨٥]، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ بالله

من الكفر وأهله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «مجموع الفتاوى» (/ ١٦٢ ٢٢) :

«ليست - أي ؛ البيع والكنائس - بيوت الله ، وإنما بيوت الله المساجد ، بل هي بيوت يُكفر فيها بالله ، وإن كان قد يذكر فيها ، فالبيوت بمنزلة أهلها كفار ، فهي بيوت عبادة الكفار» .

عاشراً : ومما يجب أن يُعلم أن دعوة الكفار بعامة ، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة ، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن ، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام ، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه ، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيى عن بينة ، قال الله تعالى : ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ [آل عمران : ٦٤] .

أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم ، وتحقيق أهدافهم ، ونقض عُرى الإسلام ومعاقد الإيمان ؛ فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون ، والله المستعان على ما يصفون ، قال تعالى : ﴿**واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**﴾ [المائدة : ٤٩] .

وإن اللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس ، فإنها توصي المسلمين بعامة ، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته ، وحماية الإسلام ، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته ، والكفر وأهله ، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة ؛ وحدة الأديان ، ومن الوقوع في حبائلها ، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها

بينهم .

نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن ، وأن يجعلنا هداة مهتدين ، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا ، وبالله التوفيق ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية للبحوث العلمية والإفتاء .

❒ ❒ ❒

قال تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾ [القلم:٣٥، ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ [البقرة: ١٢٠].

السلفيون والسياسة

الشيخ سليم الهلالي

إنَّ السلفية تنفي بمعناها ومبناها ومغناها أي امتداد لحركة حزبية سياسية تجعل الحكم غاية لا وسيلة، تعمل لبلوغه بكل مكر ودهاء وحيلة، وتتخذ الإسلام شعاراً حتى إذا بلغت ما أرادت وحلقت فيما استباحت مرقت في سبيله!.. وذلك أن السياسة في أفكار كثير من المنتسبين إليها العاملين في ساحتها تعني: القدرة على المراوغة والمناورة، وفن صياغة الأجوبة الحَمَّالة والأفعال الحلزونية التي تأخذ شكل الإناء الذي توضع فيه ولونه وطعمه ورائحته(!).

هذه السياسة في نظر السلفيين قرين النفاق؛ لأنها تميع للعقيدة، وتخدير للحس الإسلامي، وقَتْلٌ للشعور الإيماني، وحلٌّ لرابطة الولاء والبراء، وخديعة لعامة المسلمين اتخذها فجار الدعاة سُلَّماً بدعوى أن يدرأ مظلمة، أو يشفع في مسلم، أو يخفف ضرراً أو يزيل منكراً... ولقد رأينا عامة أولئك يَتَغَيَّرُون ولا يُغَيِّرون، وأمثلهم طريقة لا يخرج في دوامة السياسة سالماً لم يظفر من الغنيمة بالإياب.

ولكن هذا لا يعني أن السلفية لا تهتم بأمر المسلمين، ولا تفقه واقعهم، ولا تسعى حثيثاً لاستئناف حياة إسلامية راشدة على منهاج النبوة، ومن ثَمَّ تطبيق حكم الله في الأرض، ليكون الدين كله لله لا شريك له، وينشر العدل في البلاد والعباد... ولذلك جعلت هذا هدفاً من أهدافها تسعى لتحقيقه، وتعمل على بلوغه، وتدعو المسلمين بعامة والدعاة بخاصة أن يشدوا على يديها لتكون كلمتهم واحدة.

وعلى الرغم من ذلك نرى بعض من زَبَّبَ قبل أن يُحَصْرِمِ، وَطَارَ قبل أن يُرَيِّش، يزعم أن الدعوة السلفية المعاصرة

ليست السياسةُ من منهجها! والدليل عنده أن استئناف الحياة الإسلامية لم يكن من أهدافهم التي اعتادوا ذكرها على الغلاف الأخير من كتبهم!

إن هذا الوهم يريد أن ينقض وإن حاول قائلة أن يقيمه؛ ليتخذ عليه درجة عند أقرانه وشيطانه الذي يوحي إليه زخرف القول غروراً. . . ودونك البيان مما ينبغي أن يتصور قبل ذلك ومعه وبعده:

١- إن استئناف الحياة الإسلامية على منهاج النبوة، وإنشاء مجتمع رباني، وتطبيق حكم الله في الأرض تطرحه الدعوة السلفية لا رغبة ولا رهبة لأنها دعوة تمتد أصولها إلى الصدر الأول، وتتبع جذورها مما أصله العلماء الربانيون على مدار القرون فهي امتداد لهم، ومنهجها في التغيير هو منهجهم، فهي تقتدي ولا تبتدي، وتتبع ولا تبتدع، وهي والحال كذلك على نقيض الدعوات المعاصرة التي تدعي السبق في كل شيء، وكأنها نبتة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

٢- إن الأهداف العامة التي تطرحها الدعوة السلفية هي أهداف كلها تغيير:

فالرجوع بالأمة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة: هو تغيير لواقع الأمة.

وتصفية ما علق بحياة المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره وتحذيرهم من البدع المنكرة، والأفكار الدخيلة الباطلة، وتنقية السنة من الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت صفاء الإسلام وحالت دون تقدم المسلمين: هو تغيير لواقع الأمة.

وإن تربية المسلمين على دينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه مما يكفل لهم رضوان الله في الدنيا والآخرة، ويحقق لهم السعادة والمجد: هو تغيير لواقع الأمة.

وإن إحياء الاجتهاد العلمي الصحيح في ضوء الكتاب والسنة، وتقييد ذلك بقواعد فهم السلف الأول لنزيل الجمود المذهبي،

ونقمع التعصب الحزبي؛ ليعود المسلمون إخواناً، ويتعاهدوا على منهج الله أعواناً: هو تغيير لواقع الأمة.

٣ـ هذا أولاً، وأما الذي معه؛ فإن هذه الأهداف العامة بمجموعها تعني استئناف حياة إسلامية ولكن على منهاج النبوة، فذكر هذه المسألة لاحقاً هو من باب ذكر الخاص بعد العام.

٤ـ وأما بعد ذلك فإن السلفيين يسلكون منهج التغيير القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله تعالى: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾، فساحة التغيير هي النفس البشرية حتى تستقيم على منهج الله؛ فتؤهل للاستخلاف.

والتمكين وعد، وتغيير ما في النفوس شرط، ولن يتم الوعد إلا بتحقق الشرط: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾.

ولذلك نرى شيخنا الألباني ـ شامة الشام وحسنة هذه الأيام ـ مدح الكلمة المشهورة: «أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم لكم على أرضكم» لمطابقتها لمنهج التغيير القرآني... ولم يمدحها لافتتانه بمنهج قائلها الحزْبيّ!

ورب قائل يقول: إن منهج التصفية والتربية غير واضح؛ فلمثله يقال:

عليَّ نحت القوافي من معادنها

وما عليَّ إذا لم تفهم البَقَرُ

إن هذا المنهج أوضح من الشمس، ولكن قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد(!).

إن هذا المنهج هو منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله به ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويُكَوِّن منهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾... إنه العلم والتزكية ولن

نال العلم إلا بالتصفية، ولن نحقق التزكية إلا بالتربية.

وهو فهم ورثة الأنبياء عدول الأمة الذين يكشف الله بهم الغمة ويزيل الظُّلمة ويكسر جور الظَّلَمة؛ كما أخبر صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن بشواهده: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».

وهو المنهج الذي يَحُول بين عدة المستقبل وأمل الغد من شباب اليقظة الإسلامية والارتماء في محاضن الأدعياء أو الانتماء لأحزاب جوفاء كما في الحديث المتفق عليه: «**إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**».

والدعوة السلفية بذلك لا تتطلع إلى الصدام مع الحُكَّام والأنظمة؛ لأنها تضع في اعتبارها إصلاح ذلك كله لأن ذلك جزء من الأمة التي تسعى لإصلاحها وانتشالها من الحمأة الوبيئة التي أركست نفسَها فيها؛ لأن الحكم والحاكم ليس غاية عندها بل وسيلة ليعبد الله وحده ويكون الدين كله لله.

وثمت أمر آخر وهو أنَّ قطع الرأس وقلب نظام الحكم سيفرز ـ لزاماً ـ نظاماً أشد وأطغى، ورأساً أظلم وأبقى.. ومن كان في ريب فليسأل فقهاء الواقع(!).

وكذلك فإن النظام الإسلامي لا بد له من سند يسنده ويدافع عنه مما يتعرض له من كيد الأعداء وخذلان الأدعياء ﴿**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**﴾.. ولن يكون المسلمون سنداً للرسل من بعد الله تعالى إلا إذا تربوا على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.. فهذا الجهاد الأفغاني كان له سند من أهله... لكن هذه القاعدة اشتغلت بالمواجهة قبل التربية فلما بلغت سدة الحكم

فإذا بها تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثاً، وتتنازع فيما بينها، وتفشل، وتذهب ريحها، وتخرّب ما بنت، وتهدر ما جنت، والمتربصون ينتظرون فرصتهم...

إذاً؛ لا بد من التصفية والتربية على المنهج النبوي الصافي الذي تضلّع منه جيل القدوة الأول وقرن الأسوة الأمثل محمد والذين معه.

ومع ذلك كله فإن السلفيين لا ينكرون على العاملين ضرورة التغيير، ولكنهم ينكرون عليهم مناهجهم في التغيير التي لا تسمن ولا تغني من جوع بل يركبها المستعجلون والمتفعون ليقدموا الشباب المسلم قرابين.. ويقيموا العقابيل بسبب استعجالهم، ومن ثم تهافتهم على موائد اعدائهم... وسنة الله خلْقَة لما أكده العالمون بقولهم: من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه.

وينكرون المناهج الترقيعية التي تمكّن للطغاة، وتجعلهم يستخفون بالمسلمين، ويجعلونهم شيعاً وأحزاباً بأسهم بينهم شديد... ومن ثمَّ تمييع العقيدة الإسلامية بل القضية الإسلامية برمَّتها.

وينكرون المناهج الانقلابية الثورية التي يكون وقودَها المسلمون، وتتأخر الدعوة بسببها سنوات كثيرات.

هذا الذي ينكره السلفيون ويحذّرون منه، حاديهم في ذلك كله قوله تعالى ﴿**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾.

والله الموعد... وللحديث بقية.



أدب الرسائل ورسائل الأدب

الشيخ محمد إبراهيم شقرة

كان للرسائل في قرون خلت أدب، تفردت به أقلام طائفة من كتَّاب العربية، شُهروا به، على ما كان عندهم من فضل علم في شتى الفنون والمعارف، وفضل الله سبحانه يؤتيه من يشاء من عباده.

ولقد غاضَ أو كاد مع الأيام، واندثر أو كاد مع الشهور والأعوام، وصار - إذا ذُكر - شيئاً من التأريخ، يُذكَرُ ولا يُعلَمُ، ويُشَامُ ولا يُنالُ.

وهيهات لمثل هذا الأدب أن يعود، إلا إن سيقت إلينا أسبابه، واجتُلبت علينا دواعيه، ومن أهمها وأحسنها مودات معقودة عُراها، وصدور نقية طاهرة تخاف سراً وعلانية مَن براها.

ولقد رأيت في رسالة أخي وصاحبي وأحد أنبل أصفياء مودتي فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، التي وردتني قبل شهرين أو زيادة على ذلك، ما هو جدير بأن يكون الرد عليها ظاهراً في الناس، فيذكرون به شيئاً مما كان فيهم من قبل، فيكون لهم فيه عبرة، يصلح عليها بعض أمرهم، ويقيسون عليها بعض ما يظنونه بريئاً من عيبهم، فيردون إلى حق غفلوا عنه، وينْأوْنَ عن باطل أصابوا منه، ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما صاروا إليه، وهذا شأن المؤمن، لا ينبغي أن يغيب أو يضل عنه، والله يهدي إلى الحق، وإلى صراط مستقيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

من المحب: محمد إبراهيم شقرة.

إلى أخيه المحب: الشيخ ربيع المدخلي، نزيل المدينة المنورة، حفظه الله ووقاه، وسدَّد على درب الهدى خطاه.

الحمد لله الذي جعل لنا من ديننا مُعتصماً، والصلاة والسلام على من جعله للأمة هدى ورحمة.

أما بعد: فقد وَرَدَتْني رسالتك المختصرة اللطيفة، تفيض أدباً ورِقّةً، ويشيع في حروفها وكلماتها صادق المودة، وتُنْبِئ معانيها عن رعاية حُرمات المسلمين، فجزاك الله خير الجزاء، وجزاء الخير، وأحسن إليك، وزادك من لدنه علماً وأدباً، وصدقاً وغيرة، وحرصاً على مودة إخوانك، إنه سميع مجيب.

حين يُلاذ القلم بمعقد الحق، أو يُليذُ نفسه القلم به، أو يرتاد بما يدخر جوفُهُ مرتادَ خير، تُنْبِئُ عنه الحروف التي يرسمها مداده، أو يرتاد هو سبيلاً، يعرف منه صاحبه أنه يشوقه إلى ما سواه من صور التعبير، بما أودعته الأيام جوفه، وأسكَنَتْهُ التجارب قلبَه؛ فإن لصاحب هذا القلم أن يفرح جداً، لأن قد صار يعرف عنه ما يريد، فينقل إلى الآخرين عنه ما يريد، فيخطُّ بشقَّيْ سنّه ما يحب مما يريد، من غير أن يكلفه شططاً، فيخفق فيما يُراد منه، أو يشق عليه إظهار ما يريده منه صاحبه، حتى وهو محكمٌ عليه ثلاثة أصابعه.

ولعل ما يكون بين القلم وبين صاحبه من ذلك، ما يجعل - من لطافة الحس، وسرعة التصور والتصوير، وحسن التدبر والتفكير، وخفة الحركة في التقديم والتأخير - أموراً، تُمسي مع الأيام، أقرب إلى الطَّبع الجِبلِّي منها إلى التطبُّع الناشئ من الإلف بينهما، فيكون لزوم الوفاء على نحو يكتسب صفة التعبُّد الاختياري المحبوب لله سبحانه، البعيد عن التكلف المذموم، فيكون من ذلك كله سرعة الأخذ والتلقي بين القلم وبين صاحبه، حتى لكأنما هما معاً، الفكرة، وطريقة الأداء والتفكير، والكلمة المعبرة عن الفكرة نفسها، والجملة التي يتدثرها المعنى المراد منها.

وينبغي لطالب العلم أن يحمل من هم الكلمة والقلم واللسان، الناقل إلى مسامع الناس، ما لا يحمله غيره من الآخرين، إذ لا سبيل إلى النجاة مما يحمله من ذلك الهم، إلا أن يضع الكلمة في مواضعها التي أراد الله وقدَّر أن تُوضع فيها، كي تظل مكنونة بقدسيتها، لا يلامسها

ضعف، ولا يحوم حولها خلل، ولا يمسها وهن ولا نصب، فتبقى على حالها التي أراد الله أن يكون عليها.

وقد جَرَيْتُ في حياتي - والحمد لله - أن أبقى مُقيماً على الكلمة التي وضعها الله في الأرض، كي يتحاكم الناس إليها، من غير أن يجدوا في أنفسهم حرجاً مما تقضي فيهم، ثم لا يكون عليهم بها غُمَّة، ولا ريب، وأنا أعلم أنَّ من رضيَ بها فله الرِّضا، ومن سخط فعليه سخطه، حتى يَفيءَ راضياً إلى ما قَضَت به.

ولربما - بل هو الحق - كان يكون حظِّي - إنْ قيس بغيره - الأقل الأدنى، بيد أنه حظ - على ما هو عليه - يُسْعِفُني - ولا بدَّ - في أمرين، كل واحد منهما أراه على وجه الصواب فأحبه، أو على وجه الخطأ فأُبعدُ عنه، ولا أجدني حيالاً إلا ساعياً في الأول على أحسن ما يكون السعي، بحرص ورضا، وفي الثاني على أحسن ما تكون المجافاة عنه راغباً عنه إلى سواه.

ومرضاة الله سبحانه لا تتحقق للعبد المسلم إلا وهو مائل بين أمر بفعل وبين نهي بترك، لا يُؤْثِرُ أمراً على أمره، ولا ينتهي عن منهيٍّ إلا بنهيه، حتى إذا وافاه الأجل، كان على فقه سليم من قوله تعالى: ﴿**اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾.

ولقد نظرت في نفسي فوجدتني على مثل حد السيف في أرض انتقصت أطرافها، ورُعيَ حتى هشيمها، وانقطع بالوَبْلِ عن غُدْرِها، وسيمت من أعدائها، ومُلئت جَوْراً بأكفانها، وانتُهبت من تحتها زرابيُّها، وسيقت إليها قبائح الأوغاد بأكلها وشرابها، ونيحَ عليها من فوق ومن تحت أديمها، حتى لكأنما ما جُعلت إلا مهاداً لمستبيح حرماتها، وغاصب خيراتها.

وليس يَجْمُلُ بأهل منهج الحق الموسوم بفقه الكتاب العزيز والسنة الشريفة المطهرة - وعلى منهج سلف الأمة - أن تتجافى قلبوهم عن أمر بكراهته، أو أن تأتلف عليه بحبه، إثباتاً أو نفياً، إن كانت الغاية

واحدة، والسبيل إليها واحدة، والعين الناظرة الراعية لها واحدة.

ولما رأينا اختلافاً شديداً يُنشبُ أظفاره في صدور فئة من إخوان لنا ـ كانوا قبل على بيضاء نقية ـ ويُفرِّقُ بينهم في تنازع مُسْتَحرٍّ على لظى جَمْر لا يُصْبَرُ عليه إلا بالهوى، ويُركسُ أوائل مودَّاتهم في ضرّاء ـ لا تَذَرُ من شيء أتت عليه إلا جعلته هباءً منثوراً ـ علمنا أنَّ أمره لا يقف عند حدٍّ، يُقْبَلُ فيه هجر ثلاث، ولو كان كذلك لقلنا في أنفسنا: الحمد لله على نعماء تحمل في داخلها ضرّاء! لكنه أمر أظلّنا بظُلّة دكناء، شديدة الحرارة، انهلّت بوابل سوئها الكالح الأسود، حتى ملأ الأودية ففاضت، وأكل أطرافها فبادت.

ولقد علمت مما قرأت وسمعت، وعلم معي كل ذي فؤاد بصير، أننا في وقتنا هذا أحوج ما نكون إلى التناصح البريء من شوائب الدنيا، ورغائب الأهواء، كي لا يكون منه جُنّةٌ واقيةٌ من أمر يُكْرَهُ لذاته أو لأسبابه الواصلتنا بها، وبخاصة حين توالت على أرضنا وتدافعت أجزاء فتنة مارت بحمأتها، واستعرت بلظاها، وعَلَتْ بصريرها، وأمعنت فينا بسوء نكرها أن تُصيب من لا يُضمرُ في صدره إلا حبَّ الخير للأمة وللحق الذي يهدي إليه في غير تكلُّف ولا رغبة عنه في ساعة عُسرى، أو رغبة فيه في ساعة يسرى.

ولا أزكّيكَ يا أخي العزيز ـ وأنت الربيع المعطاء بخيره، وقد طاف بك الخريف ـ إن قلت: إنك من أولئك النفر القليل، عرفت ذلك منك منذ نَيِّف وثلاثين عاماً، حين كنت أعمل أستاذاً في الجامعة الإسلامية، وكنت واحداً من طلابها النُّجَباء الفُطَناء، القاصدين في الأمر الجليِّ البهيِّ، على جادة العلم السوي، على فطرة كانت سمَةَ ظاهرة في سلوك أوائل طلاب الجامعة، الذين بَصُرُوا برسالتها، وأدركوا من أوّل يوم ولَجُوا بابها، أنَّ عليهم ثقلاً من المسؤولية لا يستطيع حملها، إلا كل ذي عزم رشيد شديد.

ثم كنت يا أخي العزيز من بعد واحداً من أولئك النَّفَر، عَرَفْتك صحائف الكتب ورفوف خزائنها، وحلَقُ الدَّرس وأفذاذ عُلمائها، وأبواب المكتبات والعُكَّفُ على أرائكها، وآثرت أن تكون صوتاً عالياً من أصوات دعوة الحق، التي أرسى قواعدها في جزيرة العرب شيخ الإسلام المجدّد، يُجَلْجِلُ عالياً، مُتَوَثِّباً في رجاء، يرى من وراء التُّخوم أفواجاً من التلاميذ والمريدين، يَقْدُمُون إليه من كل الآفاق والأقطار، تَسُرُّهم الدعوة والإخلاص لها، وسرت على قدمه، وقلبك مُشْرَئبٌّ إلى سَلَفه شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن قبلهما إلى القرون الثلاثة المفضلة المباركة.

ولقد عرف القاصي والدَّاني أنك بما آتاك الله من بصر في منهج هذه الدعوة المباركة، وصبر على مداومة السَّير في ركبها، وربْص أمل لقطف ثمارها، وليس يُعابُ أحدٌ بعيب أو بعيوب، لا تُنْبئُ عن سوء مكر فيه، أو لؤم طَبْع، أو سفاهة خَلَّة، وكما قيل قديماً: كفى بالمرء نُبْلاً أن تُعَدَّ معايبُه.

ومن في الناس يخلو من مثل هذا، أو من شيء من دونه، أو من فوقه بقليل؟، ومن يعيب بمثل هذا فهو عائب نفسه أوَّل ما يعيب، فليكن من عيب نفسه على حذر.

وخيار الناس في زماننا من أحبَّه الناس على مثل ما فيه من هذا العيب، وأرجو أن أكون أنا وأنت ومن تُحبُّ على مثله.

وإذا كانت الغيرة الشريفة تَمْثُلُ بالإنسان أمام بصيرته، لتقوده إلى ما يُخالف به - عن مألوف العُرْف، أو تسوقه إلى ما لا يرضى به الناس عنه، أو تُميلُهُ عن باطل - ولو بدا في أعين الناس حقيراً لا يُؤْبَهُ له، لما يُقَدِّرُ هو في نفسه أن يكون فيه من ضرَّاء تنزل فيهم - فإنه يكون من أعظم عيوبه أن يدعه لعبرة، لأنَّ فيه ما يُنيلُهُ من شرف الأمر وعزّته، ما زَهدَ فيه، وآثر به سواه على نفسه، ومثل هذا ما ينبغي أن يكون فيه الإيثار، بل إنه ربما كانت الأثرة فيه مقبولة مستحبة!

ومما يحزن حقاً أنَّ كثيراً من إخواننا في وقتنا هذا، غَدَوْا على غير صواب، وقد زهدوا في شرف المروءة أو مروءة الشرف، وأوبقوا أنفسهم في سرف المخيلة أو مخيلة السَّرَف، وأضلوا أنفسهم في تيه الغرور أو غرور التِّيه، وباتوا من هذا كله ومن سواه مما يشبهه على بيداء جَفَلَتْ منها أسباب الحياة، وأمعنوا في عداوة كانت يد الرحمة قد طَمَرتها في أعماق غابر الزمن، فأبت عليهم شراهة النفوس إلا استخراجها، وبَعْثَها من جديد، وإيقاظ حسّها الخامد، حتى لقد صاروا بها إلى بغضاء غالية عاتية، اسْتاقَتْهم في مجّانة سكرى إلى غنائم، إن أصابت فما تصيب إلا زيادة من عداوة، أو انتهاباً من مودة، وأشرفت بها على مرغمة، مدهوقة كأسها بأخلاط من السوء والشر، لا تطفئ ظمأ، ولا تُذهب جوعاً، لا أمل في النجاة منها، إلاّ أن تكون عزيمة تشدهم إلى أوطاب مرحمة صافية، وانتبهت من صدورهم مودة أرضعتهم من لُبانها زماناً أصابوا به رجاء أن يكونوا على سنن القرون الثلاثة الخالية، لا تفرِّق بينهم إلا أيام وليال، اشتدت مُسرعة في رحيلها، حتى أجاءتهم إلى أرض القرن الخامس عشر، في كفاف عيش، وقصد غُربة.

ولقد رأيتني أدرك تماماً ـ مذ وعيت مسؤولية الدعوة ـ أن اليد الأمينة، والكلمة الحكيمة، والفكرة السليمة، هي خير ما ألزم به نفسي من حق الرعاية لإخوان وأبناء ممن وفقهم الله سبحانه وتعالى لانتهاج السبيل الأقوم، والدأب والصبر على المعاناة الفائقة التي منحتها جهدي، من غير أن أجد في نفسي ملالة تصرفني عنهم، ولا حرجاً يُقعدني عن نصرتهم ونصحهم، لا أفرق في ذلك بين جماعة وبين أخرى، ولا بين واحد وبين آخر، فالكل عندي سواء، ما دمت أرى عنده إصغاء لحق، ومجانبة لباطل، فالحق عندي ـ والحمد لله ـ مُقدم على النفس، والولد، والأهل، والصديق ما دام حقاً، وحتى المخالف ـ ولو كان على غير الهدى ـ فإن حقه مصون، لا

يندفع عنه، ولا يُغصَب منه، ولا يتوارى منه أو يحاد به عنه، ولو كان غير ذلك لكان واقعاً في النهي القرآني: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ والحق هو لُبابُ العدل، وجرثومته، ولا يُدفع باطل إلا بحق، وليس ثمة حق - وإن بدا ضعيفاً - إلا ويأتي يوم عليه يُزْهقُ به الباطل.

ولست أرى لإخواني جميعاً - في هذا وغيره - إلا ما أرى لنفسي، ولست إخالها إلا سنة تُحْمَد، ويُحْمد الآخذ بها، وأولاهم بها هم الأشياخ، لتكون بهم القدوة والمثل، فلا يرى أحدهم إلا حيث يحسن أن يراه الله سبحانه؛ يملأ عيون الناس إجلالاً وهيبة، لا يقع في أسماعهم من كلامه إلا أحسنه، ولا يقع أبصارهم على حروف وكلمات يخطها قلمه إلا زاد بها نبالة ورفعة، ولا يوافقون سلوكاً منه يشرف به إلا وكان بعض شرف منه ينيلهم شيئاً من فضله، وهكذا يظل الأشياخ قدوات متحركة، منظورة، مسموعة، مقروءة، لا يحيد عنها سمع، ولا ينبو عنها بصر، ولا يشيح عنها قلب، ومالم يحرص الأشياخ على مثل هذا الأمر الخطر، فإنهم ليسوا أهلاً لأن يكونوا على حد تصور شيء، مما تجول فيه خواطرهم، أو يتحرك في نفوسهم، يظنون أنهم به على شيء مما يطمعون أن يكونوا عليه.

وأرجو أن لا أكون مغالياً فيك إن قلت: إنك واحد ممن لهم قدم راسخة في عمل الدعوة بقلمك، ولسانك، وغيرتك، كما أرجو أن لا أكون جافياً عنك إن قلت: حسن منك أن نظن - والظن فيك حسن - أنك لو أوتيت الحكمة من كل أطرافها فإنها منتقصة بحدة فيك - قائمة على غيرة صادقة إن شاء الله - يعرفها الأدنون المحبون لك، والأبعدون المجلبون عليك بأقلامهم وألسنتهم، كانت فيمن قبلك من الأغيار، لكن ذلك ليس عذراً، فالحكمة تقضي أن يكون الحلم مع العلم، والرسول عليه

السـلام هو القـائل: «**إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم**»، والداعية العالم حلمه من علمه، وعلمه من حلمه، وهما زينته التي يزهو بها، ولا يجمل في عيون الناس إلا بهما معاً.

وإن سألتني عن حبي، فأرجو أن لا أكون غالياً فيك مرةً أخرى إن قلت: إنك من الفئة القليلة التي تستوجب على الناس حبها، بحدتها الجِبِلِّيَّة، التي لا يذهبها التكلف، ولا ينقصها ما يقول الناس عنك، مدحاً أو ذماً.

ولنقف معاً - قليلاً - عند كتابي «سيد قطب بين الغالين فيه والجافين عنه» لتعلم وليعلم الناس معك أن قد صُغته مرضاة الحق، وقد رأيت لزاماً عليَّ أن أقول فيه قولاً لم يقل فيه من قبل - وقد كان والحمد لله - ولست بمكرر ما كتبت فيه، ولا بمعيد ما سطرت عنه، فقد أفضى الرجل - رحمه الله تعالى - إلى ما قدم، وكان له في الناس ذكر، أذكرهم بأولئك الناس الذين مضوا من قبل على مثل ما كان منه أو على أفضل مما كان منه.

ولعله قد بَلَغك يا أخي - أعزك الله - أن الغالين في سيد قطب رحمه الله - إلا نفراً قليلاً منهم - لم يرضهم ولم يعجبهم ما قرءوا عنه في كتابي، كما أن الجافين عليه كان منهم مثل ما كان من الغالين! وهذا من الفريقين يدل على غياب الإنصاف من أنفسهم، وطغيان العاطفة على عقولهم، فالغالون رأوا في ما سطر قلمي شيئاً حسبوه من ظلم أو من جهل أو من استكبار - لا يرد مواردهم التي وضعوا لذواتهم بواحد من تلك الثلاثة، وحسبوا أيضاً بهذه الثلاثة، أن سيد قطب - رحمه الله - ملك لهم، وليس لأحد من غيرهم أن يقول فيه قولاً، حتى لو كان فيه كل النَّصَفَة والعدل، فباءوا - بذلك - بما باءوا به من سوء، وحاق بهم ما كانوا قد غلوا به، ألا ساء ما يفعلون.

أما الجافون، فقد رأوا فيما كتبت نصرة

للغالين، وجنوحاً إليهم، ومظاهرة لهم عليهم، لذا فإن من حقِّ الرجل رحمه الله، وعفا عنه ـ ومن حقي أنا، ومن حق العلم على الفريقين معاً أن يعيدوا قراءة الكتاب مرة أخرى وأخرى، كيلا لا يكون منهم ما كان من ذلك (الغالي في نفسه، الجافي عن أمر ربه، المغرور بشخصه، الذاهب مع هواه، من غير أدب ولا وفاء) حين قرأ (زعم) أو قُرئ عليه، أو نَقَل إليه بعض من قرأ كتابي «هي السلفية»، فما لبث حتى قال فيّ ما لم يقل (مالكٌ في الخمر)!، فأصاب بقوله (مقتل نفسه) وأوردها حوبة، لا أدري والله كيف يلقى الله بها غداً، ويزعم (ذلك الغالي، الجافي، المغرور. . .) أنه داعية من دعاة السلفية، ألا بئس ما يدّعي!

وإني يا أخي الشيخ ربيع لأبرِّئُكَ من سوء صنيع ذلك المدعي المغرور، لما أعرفه عنك من خلال الخير، ومزايا يحرص فضلاء النَّاس أشد الحرص عليها.

وإني لأبرئُ نفسي من أن أكون غالياً في سيد أو جافياً عليه، إذ الحق أحق أن يتبع، لأنه حق، ولقد مضى سيد رحمه الله على درب قافلة تنشد الخير للأمة في مواطنه، يحدوها الأمل الصابر أن تنال من عطاء ربها ما يُرجِّيها في حسن ثواب الآخرة والدنيا معاً؛ كذلك نحسبه والله حسيبه.

وإذا كان من حقِّ سيد رحمه الله علينا أن نظهر للناس محاسنه، فمن حقِّنا عليه ـ لو كان حياً ـ أن يرجع عن المثالب التي وقع فيها، وإذ هو قد فارق الحياة، وصار إلى القبر، وثوى تحت التراب، فإنَّ حقنا عليه، يصير حقاً له علينا، وحينئذ لا بد من إظهار المثالب الشرعية والعلمية التي وقع فيها، وهذا شيء حسن جميل، يحمد فاعله، ويُذمُّ تاركه.

وحسن جميل أيضاً ـ بل هو الأحسن والأجمل ـ أن يكون إظهار تلك المثالب، إظهاراً علمياً مجرداً، بريئاً من الطعن على الرجل، وإغلاظ الكلام له، والتشديد

عليه، وماذا على المظهر تلكم من عيب أو ضير، لو كان ليناً هيِّناً سهلاً، مكتفياً إظهارها على أنها علميةٌ يحذر منها؟

وحتى على فرض أن الرجل رحمه الله كان يُبيت فيما كتب سوءاً، فإنَّ سوءه لا يدفع إلا بإشهاره وإظهاره فحسب، وما دام أمره خفياً، فليس لنا أن نجاوز حدود الظاهر، والله هو يتولى السرائر.

وأما الذين غلوا فيه وعظموه، وسلّموا بما قال وكتب تسليماً، من غير نظر في عاقبة، ولا بصر في أثر! فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وما مثل الرجل ومثلهم إلا ما قيل قديماً: «إن كان غيري قد جنى، فما ذنبي أنا»، وظاهرةُ الغلو في الأشخاص صارت سائرة شائعة، بل لقد صارت معدودة في فضائل بعض الجماعات الإسلامية!!

وأما المقدمة التي قدم بها للكتاب الأخ الفاضل الأستاذ زهير الشاويش، فليعلم:

أولاً: أنه كتبها من غير إذن منّي، وما علمت بها إلا بعد ظهور الكتاب، وكان الأولى أن يستأذنني، بيد أنه فيما يبدو قاس الأمر على صنيعه أوّل مرة، حين قدَّم لكتابي «مراحل العمل من أجل نهضة إسلامية»، وكان المكتب الإسلامي آنذاك قد تولى طباعته ونشره، جزاه الله خيراً، ولم يكن مني إنكار عليه بمقدمته تلك.

ثانياً: ثم - وعلى أن نيَّته على غير ما كان ينبغي أن تكون - فلماذا لا نغفر له؟ ثم أليس حسن الظن بالمسلم - حتى وإن كان له من قبل عمل يساء به الظن بمثله - أولى من سوء الظن به؟! فلا ينبغي أن يحمل الأمر أكثر مما يستحق.

وأخيراً: يا أخي الشيخ ربيع والله كنت في رسالتك نعم الأخ المعترف بجميل المودة والوفاء، التي لا يستقيم أمر دعاة الحق إلا بها، وعليها، ومنها، وفيها، من غير أن يمن واحد على أخيه إن صنع له معروفاً، أو أحسن إليه بيد، أو أناله من بر.

ولقد أذكرني أدبك الجم في رسالتك، بسوء صنيع نظراء لك قمعوا الأدب قمعاً

من نفوسهم، وظنّوا بضراء باهظة واقعوها أنّهم يحسنون صنعاً للدعوة، وكان منهم نكران سعدوا به وأسعدوا الشياطين معهم، وطعون تقيّأتها أفواههم تعاف رائحتَها آنافُ الصالحين، وتلذُّ بها آنافُهم وآنافُ من يتابعهم على قبيح فعلهم وقولهم، فلماذا لا يكون لهم مثل ما هو لك، من الأدب والمودّة وصدق النُّصح؟!!

وإن كنت ذاكراً أحداً بالفضل، ممن آتاهم الله علماً، وأدباً، ووفاء، ، صدعاً بالحق، وثباتاً عليه، فإنما أذكر أخانا وصاحبنا وصديقنا العزيز العالم الشيخ بكر أبو زيد، لا أعلم اثنين - في زماننا هذا - يجدر أن يكون كلٌّ منهما عوناً للآخر مثلكما، ولا ينبغي أن تكون نتوءاتٌ أحدثها خلافٌ في الرأي بينكما مانعةً أحدكما ذلك، وأهل العلم في كل زمان هم هم، لكنَّ لأهل منهج الحق منهم دونهم جميعاً من الأسباب الجامعة، والصفات اللافعة، ما ليس لسواهم، مما لا يحسن معه أن يكون فيهم تفرق بخلاف في رأي ما.

فكونا على مثل ما يرجو إخوانكم وأبناؤكم منكم ولكم، ولا تنسيا - ولا ننسى نحن معكم - أن الأمة - وقد أحاطت بها الفتن من كل جانب، وحطت فوق أرضنا في غير شفقة، وأماطت اللثام عن وجوهها الكالحة القبيحة - في أمَسِّ الحاجة إلى كل جهد يبذل من أهل العلم، وما لم تر الأمة فيهم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة، فإنَّ الشُّقة ستظل بعيدة بينهم، إلا ما شاء الله سبحانه.

أدعو الله تعالى أن يجمعنا على كلمة سواء، وأن يملأ قلوبنا بخشيته، وأن يصلحنا بطاعته، وأن يُبغِّضنا في معصيته، وأن يرزقنا الإخلاص في محبته.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على من ترجى للناس شفاعته.

محبكم الوفي: أبو مالك

المـرآة

الشيخ علي بن حسن

عندما يكتب الأخ المؤمن عن أخيه، أو يتكلم عنه؛ فإنه يتكلم أو يكتب من منطلق الأخوة الصادقة، المبنية على المحبة الحقيقية؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»[1]؛ لذا فإنه يكتب بنفس طيِّبة، ويتكلم بروح نيِّرة، ليس في ذلك كلِّه أيُّ تشنجات أو انفعالات.

وكيف يمكن أن يكون شيء من تلك التشنُّجات أو هاتيك الانفعالات فيما يقدِّمه لأخيه المؤمن وهو إنما يفعل ما يفعله كأنما هو يرى نفسه أمام المرآة؛ يراها بشفافية الإخلاص، يراها بحقيقة الصورة دون زيوف أو معالجات باهتة، يراها من غير تغرير أو غرور؛ وهذا ما يشير إليه - تماماً - قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن مرآة المؤمن**»[2].

فالمرآة - أخي المؤمن - ترى نفسك فيها كما هي؛ على حقيقتها، وكذلك - بنص هذا الحديث - فإنك بنظرك لأخيك كأنك ترى نفسك.

فهل تحب الخير لمن في المرآة أمام عينيك؟!

هل تحب أن تجلب السوء لنفسك؟!

هل تحب أن يقال فيك بالتجنِّي والظلم؟!

هل تحب أن تُقْبِلَ عليك جيوش الغيبة والبهتان؟!

الجواب الأوحد: لا.

---

(١) حديثٌ حسن له طرق متعدِّدة، منها: عن البراء بن عازب عن أحمد (٤/ ٢٨٦) وعن معاذ عند أحمد أيضاً (٥/ ٢٤٧) وعن أبي ذر عند أحمد أيضاً (٥/ ١٤٦) وعن ابن مسعود عند الطيالسي (٣٧٨) وغير ذلك.

(٢) انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٢٧).

فهل تحب ذلك لإخوانك؟!

«أحبَّ للناس ما تحب لنفسك»(١).

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٢).

.. وقد يسأل سائل، أو يقول قائل: فلماذا نحوج أنفسنا للوصول إلى درجة الكتابة أو القول؟! أليس التناصح منزلة قبل ذاك؟!

فأقول: ما يُنَبَّه عليه قسمان:

الأول: ما كان تصرفاً شخصياً، أو خطأً ذاتياً، كملاحظة غرور، أو استدراك زلل، أو بيان غلط، مما يتعلق بالشخص نفسه.

الثاني: ما له علاقة بعلم أو عقيدة أو منهج؛ فهذا لا بد من بيانه - وبخاصة إذا اشتهر ونقل - ولكن بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

فالخلط بين هذين القسمين يؤدي إلى نتائج قبيحة، وإفرازات غير صحيحة...

ثم إن ذلك كلّه مُوَجَّهٌ إلى من صحَّ منهجه، واستقامت عقيدته، وظهرت دعوته.

أمّا مَن كان -أصلاً- ذا منهج منحرف، وفكر مغلوط: فالأمرُ -معه- له أبوابٌ أخَرُ..

هكذا تكون المرآة صافية واضحة، وتكون القلوب نقية بيِّنة، فلا تكدر الشوائب صفو النفوس، ولا تعكر العوائق نقاء القلوب...

والله يهدي إلى الصواب بإذنه.

❒ ❒ ❒

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧٢).

(٢) متفق عليه.

ألفاظنا في ميزان الشرع

الأستاذ: إبراهيم بن محمد المعازي

إنَّ تحديد المباني اللغوية، ووضوح دلالة معانيها اللغوية أمر ذو قيمة في البناء الثقافي للأمة إلى درجة أصبح كثير من الباحثين والمؤلفين يُفردون صفحات في مقدمة مؤلفاتهم لمعجم المصطلحات المستعملة والدلالات التي أرادوها من استعمال هذه المصطلحات، وهي طريقة محمودة ثقافياً، حتى لا يحمَّل الكلام أكثر مما يحتمل، ولا يقوَّل الإنسان ما لم يقل.[(١)]

لهذا حَري بكل مسلم أن يعرف موقع كلامه في الاستعمال؛ فيتخير من الألفاظ الجائزة، التي لم يكرِّه الشرع استعمالها، أو لم يأت نص بتحريم استخدامها، وسألقي الضوء - إن شاء الله تعالى - على بعض الألفاظ الشائعة على ألسنة الناس وأقلامهم، بالبيان، والتمحيص، والتنبيه على تركها، أو الاستعاضة بغيرها من مرادفاتها اللغوية الحسنة، سداً في بعضها لذرائع الشرك وتحقيقاً للتوحيد:

أولاً: تسمية العنب بالكَرْم، أو إطلاق الكَرْم على المكان الذي فيه شجر العنب، كقول بعض الناس اليوم: كَرْم العنب، وهذه التسمية نهى الشارع الحكيم عنها خروجاً مما كان عليه أهل الجاهلية، فقد جاء في «صحيح» الإمام مسلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تسموا العنب بالكرم فإنَّ الكَرْم قلب المؤمن**».

قال الإمام الخطابي: «أشفق النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم حُسْنُ اسمها إلى شرب الخمر المتخذ من ثمرها، فسلبها هذا الاسم».

وقد وجَّه النبي صلى الله عليه وسلم

(١) «في شرف العربية»، الدكتور إبراهيم السامرائي، (ص ١٣) بتصرف.

أمته، باستخدام لفظ آخر وهو العنب بدلاً من الكَرْم[1].

ثانياً: إطلاق بعض الناس مقولة: هلك الناس، وذلك عند فساد الناس وتغير حالهم، أو ما يشاكلها من العبارات الأخرى، كقول بعضهم: فسد الناس؛ فقد روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وإذا قال الرجل: هلك الناس؛ فهو أهلكُهُم**»: برفع الكاف في «أهلكهم».

وهذا القول إذا أُطلق فيه تفصيل: قال الحميدي: فإن أطلق على سبيل الاحتقار والازدراء، وتفضيل نفسه عليهم، فهو أهلكهم؛ أي أسوأ: منهم حالاً فيما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، وقد يقوده هذا الأمر إلى العُجْب بنفسه، ورؤيته أنَّ له فضلاً عليهم، وأنَّه خير منهم فيهلك.

وأمّا إن قال ذلك تحزناً وإشفاقاً لما يرى في الناس في أمر دينهم من بُعْد وانسلاخ فلا بأس في ذلك. والله أعلم.

وهذا - من قبل - قولُ الإمام مالك رحمه الله.

ثالثاً: تساهل الناس بإطلاق لفظ (سيِّد) على الفسَّاق والمنافقين والمتهمين بدينهم؛ أخرج الإمام أبو داود في «سننه» من حديث بريدة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل**».

فالسيد يطلق على الذي يفوق قومه، ويرتفع قدره عليهم بالحلم، والفضل، والكرم، ونحوها من الصفات الحميدة، ولا بأس بهذا أن يطلق على المسوَّد إن كان فاضلاً خيراً، إما بعلم، أو صلاح، فقد جاء في «صحيح الإمام البخاري» من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: أن النبي

(١) من كتابَي «الأذكار» للإمام النووي، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» بتصرف.

صلى الله عليه وسلم صعد بالحسن بن علي رضي الله عنهما المنبر، فقال: «**إنَّ ابني هذا سيد، ولعلَّ الله تعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**» فأطلق كلمةَ (سيد) على الحسن، والحسن معروف قدره ورتبته.

وقد تحققت هذه النبوءة، كما ذكرت كتب التأريخ الموثوقة؛ فقد تنازل الحسن لمعاوية في الحكم، وذلك بعد توليته ذلك بنحو شهرين، والله أعلم[(١)].

رابعاً: نعت بعض الناس أنفسهم بالخباثة، أو بالحقارة، أو نحو ذلك من الأوصاف والنعوت، وقد جاء الشارع الحكيم بتكريه إلحاق هذه الأوصاف القبيحة للأنفس، وتعليمهم الأدب في استعمال الحسن من الألفاظ وهجر القبيح؛ لأنَّ لفظ الخبث فيه إيحاء وإشارة إلى الخبث والخبيث.

جاء في «صحيح الإمام مسلم» من حديث سهل بن حنيف وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يقولنَّ أحدكم: خبثت نفسي ولكنْ ليقل: لقِست نفسي**»[(١)].

خامساً: إشراك بعض الناس وجمعهم بين مشيئة الله تعالى ومشيئة الآخرين، بقولهم: ما شاء الله وشاء فلان، أو قول بعضهم: لولا الله وفلان، فقد جاء في «سنن أبي داود» بإسناد صحيح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**».

فالواو في اللغة تفيد الجمع والتشريك، وثم للعطف مع الترتيب والتراخي، وهذا فيه إرشاد وأدب وسد لذرائع الشرك[(١)].

سادساً: استعمال (لو) كإشعار بعدم الصبر والأسى على أمر انقضى وفات، مما لا يمكن استدراكه، فالواجب التسليم

(١) من كتابي الاذكار للإمام النووي وفتح المجيد ٭ شرح كتاب التوحيد بتصرف.

بالقدر، والقيام بالعبودية الواجبة على أكمل وجوهها.

جاء في «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزنَّ، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**».

وهذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبداً، فهو يشتمل على إثبات القدر والكسب والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهراً وباطناً في حالَتي حصول المطلوب أو عدمه[(١)].

سابعاً: استعمال كلمة (زعم)؛ أي: بمعنى قال، قال أهل اللغة: زعم سيبويه كذا وكذا؛ أي: قال.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**بئس مطية الرجل زعموا**».

وفي هذا إشارة إلى مقولة الكفار في إنكار البعث، كما يخبر ربنا سبحانه وتعالى عنهم: ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن**﴾.

ثامناً: الاستثناء في الدعاء كقول البعض في دعائه: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، وغير ذلك.

جاء في «صحيح الإمام البخاري» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يقلْ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم النية، فإن الله لا مكره له**».

فاللائق بمن سأل الله تعالى أن يعزم المسألة، فالله تعالى يعطي، وعطاؤه دائم

(١) من كتابَي «الأذكار» للإمام النووي، و«فتح المجيد» شرح كتاب التوحيد بتصرف.

مستمر، بخلاف العبد، فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجة ما، أو لخوف أو لرجاء، بخلاف رب العالمين، فإنه تعالى لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، ، كلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين[١].

تاسعاً: الادعاء على مسلم بـ: اللهم اسلبه الإيمان، أو القول له: يا كافر، أو يا عدو الله ورسوله، وليس هو كذلك.

جاء في «صحيحي الإمام البخاري ومسلم» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما؛ فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**».

فليحذر المسلم هذا المنزلق الخطير، الذي تاه فيه كثير[١].

عاشراً: الدعاء بدعوى الجاهلية، جاء في «صحيح الإمام البخاري» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**».

أو استعمال ألفاظهم كتسمية شهر الله المحرم صفر، أو استعمال ألفاظ مذمومة في عادة الناس حال المخاصمات والمشاجرات، كقول البعض: يا تيس! يا حمار! يا كلب! وغيرها فهذا قبيح لأمرين:

أحدهما: أنَّ فيه إيذاء.

ثانياً: أنه كذب.

أو قول بعضهم: اجلس على اسم الله، والصواب: اجلس باسم الله، أو سبّ المسلم من غير سبب شرعي يجوِّز ذلك.

فقد جاء في «صحيحي البخاري ومسلم» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سباب المسلم فسوق**» أو

(١) من كتابَي «الأذكار» للإمام النووي، و«فتح المجيد» شرح كتاب التوحيد بتصرف.

الدعاء والاستغفار للكفار؛ قال تعالى: ﴿**ما كان للنبي والذين معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**﴾[١].

الحادي عشر: اعتياد كثير من الناس إذا أراد أن يحلف على شيء، فيتورع عن الحلف بالله تصوناً أو إجلالاً، فيقول مستعيضاً عن ذلك: الله يعلم ما كان كذا، أو الله يشهد ما كان كذا وكذا ونحوه، وهذا إن كان صاحبها متيقناً من الأمر فلا بأس، وإن كان غير متيقن أو كاذب، فهو من أبشع وأقبح القبائح، لأنه تعرض للكذب على الله، والإخبار عنه بشيء لا يتيقن كيف هو! وفيه كذلك تعرُّض لوصف الله تعالى بأنه يعلم الأمر على خلاف ما هو، فينبغي للمسلم اجتناب هذه العبارات خشية تحقق هذا منه، فتزل قدم بعد ثبوتها. نسأل الله العافية[١].

الثاني عشر: سبُّ الريح عند هيجانها، فقد جاء في «سنن أبي داود» بسند صحيح عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تسبّوا الريح**...».

وقد أرشدنا إلى هدي عند اشتدادها بقوله: «**فإن رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**».

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «لا ينبغي لأحد أن يسبَّ الريح؛ فإنها خلق لله تعالى مطيع وجند من أجناده، يجعلها رحمة ونقمة إذ شاء. كما قال تعالى: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾[١].

الثالث عشر: سبّ الديك، فقد جاء في «سنن أبي داود» بإسناد صحيح عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال

(١) من كتابَي «الأذكار» للإمام النووي، و«فتح المجيد» شرح كتاب التوحيد بتصرف.

رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**لا تسبّوا الدّيك ؛ فإنه يوقظ للصلاة**» .

وكذلك سب الحمى جاء في «صحيح الإمام مسلم» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب ـ أو أم المسيب ـ ، فقال : «مالك يا أم السائب ـ أو يا أم المسيب ـ تزفزفين؟» ، قالت : الحمى لا بارك الله فيها ، فقال : «**لا تسبي الحُمَّى ؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد**»[١] .

واللهُ الموفّق للصواب .

❒ ❒ ❒

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك لسانك»[٢].

وقال لسفيان الثقفي وقد قال له: ما أخوف ما تخاف علي؟! فأخذ بلسان نفسه، وقال: «هذا»[٣].

---

(١) من كتابَي «الأذكار» للإمام النووي ، و«فتح المجيد» شرح كتاب التوحيد بتصرف .

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح .

(٣) أخرجه مسلم .

المستقبل الاقتصادي للأمة الإسلامية

الشيخ مجدي وردة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: أيها الإخوة الكرام: بُشرى اقتصادية أزفُّها إليكم جميعاً، وهي بُشرى حتميةُ الحصول؛ لأن الله عز وجل قد أوحاها من فوق سبع سماوات إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وذلكم أنه قال في الحديث الصحيح: «**إن الله زَوَى لي الأرضَ؛ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أمتي سيبلغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي منها**»؛ أي: سيبلُغُ مُلكُ هذه الأمة المباركة مشارق الأرض ومغاربها؛ فلا داعي إذن للقلق على المستقبل الاقتصادي لهذه الأمة، ولا داعي للتباكي على الإسلام، فالإسلام آت آت، والإسلام منتشر؛ فقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يَترِكُ اللهُ بيت مَدَرٍ ولا وبَرٍ إلا أدخلهُ اللهُ هذا الدِّينَ بعزِّ عزيز أو بذُلِّ ذَليل، عزاً يُعزُّ به الإسلام وذُلاً يُذِلُّ به الكُفر**»؛ أي: سينتشر الإسلام في الأرض كما انتشر فيها الليل والنهار، وسيدخل الإسلام كل بيت في الدنيا سواءٌ كان من بيوت الحَضَر أو من بيوت البادية.

فليست القضية... هل ينتشر الإسلام أم لا؟

وليست القضية... هل يتم التمكين لهذه الأمة أم لا؟

ولكن القضية... هل يتم ذلك على أيدينا أم لا؟

القضية هي: هل نحن أهلٌ لذلك؟ أم يستبدل الله بنا قوماً غيرنا يُعزُّ بهم دينه وتسود بهم الأمة من جديد؟.

قال تعالى: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾.

ثم إن هناك أمراً هاماً يَدقُّ فَهمُهُ على كثير من المسلمين، بل لا أستحي ههنا أن أقول: إن بعض المنظِّرين لبعض الحركات الإسلامية وكذلك بعض الواضعين للخطط الخمسية والخمسينية لا يدركون هذا الأمر وتلك الحقيقة! وهي: أن سنة الله وعادته سبحانه مع الأمة المسلمة تختلف تماماً عن سنته مع الأمم الأخرى التي إذا أخلصت للدنيا نالوها وعُجِّلَت لهم طيباتهم فيها، ونالوا منها بقدر ما بذلوا من الأسباب المادية الدنيوية، بينما الأمة المسلمة غير ذلك؛ فمهما بذل المسلمون من الأسباب المادية الدنيوية، ومهما واكبوا مسيرة التقدم والتقنية، بل حتى لو فعلوا ـ تماماً بتمام ـ كما فعلت الأمم الأخرى، فإنّه لا تعود لهم القوة، ولا تعود لهم السيادة، ولا تعود لهم الريادة، إلا إذا عاد أبناء هذه الأمة ـ حكاماً ومحكومين ـ إلى ما كان عليه الأوائل من التمسك بقرآن الله عز وجل، وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

ولا يُفهَمُ من هذه الكلمة أنه لا حاجة لوضع البرامج والخطط، بل المُتَعَيِّنُ أن نأخذ من هذه الأمور بأحسنها، ولا بد من استفراغ الوُسع وبذل المستطاع ومُواكبة أكثر الوسائل تقدماً ما لم تشتمل على معصية الله سبحانه.

أيها الأخوة:

إن بعض الذين يتكلمون باسم الإسلام ويجتمعون حول الموائد المستديرة ممثلين لدُوَلهم وشعُوبهم الإسلامية هم من الواقعين في بعض أنواع الشرك الأكبر بالله عز وجل، وهو أعظم مخالفة للإسلام.

إن وجود هذه المفارقات العجيبة بين أبناء هذه الأمة لهو أكبر دليل على أنها تُقَضّي عقوبة الله بأن جعلها في مؤخرة الرَّكب، وفي ذيل الأمم، وجعل مُقَدَّراتها في أيدي ألدِّ أعدائها من أحفاد القردة والخنازير وعبد الطاغوت بعد أن كانت خير أمة أخرجت للناس.

فلا بد للأمة من العودة الحميدة والرجوع

الرشيد إلى كتاب الله عز وجل وإلى الصحيح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولله دَرُّ إمام أهل المدينة مالك بن أنس، حيث قال ـ ما من شأنه أن يُكتَبَ بماء الذهب ـ؛ قال رحمه الله: «ولن يَصلُحَ حالُ آخر هذه الأمة إلا بما صلَح به أوَّلها، وما كان يومئذ ديناً فهو اليوم دين، وما لم يكن يومئذ ديناً فهو اليوم ليس بدين».

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلني وإياكم من المُتَبَصِّرين بعواقب الأمور، كما أسأله سبحانه أن يجعلني وإياكم ممَّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❐ ❐ ❐

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المُعَدُّ لكل ما يتوقع

يا من يُرَجَّى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن ... امنن فإن الخير عندك أجمع

أمالي نظام المُلْك

الشيخ مشهور بن حسن

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فهذه «أمالي نظام الملك الوزير السلجوقي في الحديث»، نعمل على تحقيقها: بضبط نصها، وتخريج أحاديثها، وآثارها، وأشعارها، وننشرها في مجلتنا «الأصالة» ـ على حلقتين ـ ليرتبط تراثنا العريق بحاضرنا الغريق، بحسبي أن يقع النفع بها، من قبل طلبة العلم الجادين المشمِّرين.

وهذا «الأمالي» ننشرها عن نشرة ظهرت في مجلة «معهد المخطوطات العربية»[1] المجلد الخامس، عدد جمادى الأولى، سنة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩م، (ص٣٤٩ ـ ٣٧٩)، وهي محققة عن نسختين خطيتين في المكتبة الظاهرية؛ وهما ضمن مجاميع:

الأولى: ضمن مجموع تحت رقم (١١٥)، يشتمل على خمسة عشر جزءاً في «الأمالي» المتنوعة وعلى هذا القسم منه ـ على وجه الخصوص ـ سماعات، وهي نسخة (أ).

والثانية: ضمن مجموع تحت رقم (٢٧٢ ـ حديث) أو يحتوي على عشرة أجزاء في التفسير والحديث واللغة والأدب والفقه، ويقع هذا المجموع في (٥٢) ورقة، وثاني هذه الأجزاء «أمالي نظام الملك»، وفي نهايته أيضاً سماعات، وهي نسخة (ب).

---

(١) وفيها أخطاء وتصحيفات جهدنا على تصويبها والتنصيص عليها، والله الموفق للخيرات، والهادي للصالحات.

وهذه الأمالي تقع في مجلسين اثنين، واحتوت على أربعة وعشرين حديثاً وأثراً، تضمن المجلس الأول اثني عشر حديثاً، والثاني مثله.

وقيمة هذه الأمالي أنها مسندة.

وليست هذه «الأمالي» هي جميع ما أملى نظام الملك، فإنه رحمه الله تعالى أملى مجالس عديدة في مدن مختلفة، ومناسبات متنوعة، قال الرافعي في «التدوين» (٢/ ٤٢٠): «كان له مجالس إملاء، وخرّج له الفوائد أحمد بن محمد بن أبي العباس الأصبهاني في مجلّدة ضخمة، وفيها: ...» وأورد أحاديث ليست في جزئنا هذا.

وقال ابن الصلاح في «طبقات فقهاء الشافعية»: (١/ ٢٤٦): «سمع الحديث؛ فأكثر، وروى وأملى بالعراق وخراسان وأصبهان، وأرّان، وسائر البلاد، وحضر مجلسه الحفاظ وغيرهم، ورغب في السماع منه، والرواية عنه».

وكان رحمه الله تعالى يقول؛ كما في «وفيات الأعيان» (٢/ ١٢٩): «إني أعلم أني لست أهلاً لذلك، ولكن أريد أن أربط نفسي في قطار النَّقلة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وتورد لنا كتب الإملاء طرفة جرت في إحدى مجالسه ذكرها السمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» (ص٦٧) بصدد شروط المستملي، وأن لا يكون بليداً، قال نقلاً عن شيخ له بأصبهان: «كنا في مجلس لنظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الوزير، فأملى: أفٍّ للدنيا الدَّنية، دار همٍّ وبليَّة، فقال المستملي - وهو سليمان بن إبراهيم الحافظ -: وفليَّة، فقيل له: وبليَّة، فقال: وقليَّة، فقيل له: وبلية، فقال: ونلية. فضحك الجماعة، فقال النظام: اتركوه».

*** ترجمة موجزة لنظام الملك:**

- هو الوزير الكبير، نظام الملك، قوام الدين، أبو الحسن بن علي بن إسحاق

الطوسي، عاقل، سائس، خبير، سعيد، متديِّن، محتشم، عامر المجلس بالقرَّاء والفقهاء.

ـ أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد، وهي المشهورة بـ «النظامية»، وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغب في العلم، وأدرَّ على الطلبة الصلات، وأملى الحديث، وبُعد صيته.

ـ ولد سنة ثمان وأربع مئة.

ـ سمع من أبي مسلم محمد بن علي الأديب صاحب ابن المقرئ، وأبي حامد أحمد بن الحسن الأزهري، والقشيري، وأبي سهل الحفصي، وغيرهم.

ـ كان منبع الجود والإفضال، ذا معدلة وأمانة، وصلاح وديانة، صاحب صفح، وحلم، ووقار، وأناة، وصمت، وفيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم، يعجبه من يُبين له عيوب نفسه، فينكسر ويبكي.

ـ قتل صائماً في رمضان، أتاه باطني في هيئة صوفي يناوله قصة؛ فأخذها منه، فضربه بالسكين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله، وذلك ليلة الجمعة سنة خمس وثمانين وأربع مئة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

* **مصادر ترجمته:**

«المنتظم» (٩/ ٦٤ ـ ٦٨)، و«منتخب السياق» (رقم ٥٣٣) و«الكامل في التاريخ» (١٠/ ٢٠٤ـ٢٠٦)، و«السير» (١٩/ ٩٤)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٤/ ٣٠٩ـ٣٢٩)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ١٤٠ ـ ١٤١)، و«النجوم الزاهرة» (٥/ ١٣٦)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥).

وأخيراً... أسأل الله بأسمائه وصفاته، أن يرزقنا فهماً في كتابه، وعملاً على وفق سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والتزاماً بمنهج أصحابه الهداة المهديين، وأن ييسر لنا خدمة تراثنا العظيم وأن يسدّدنا ويوفقنا في ذلك، وأن يلهمنا الصواب

والرشد فيما نقول ونفعل، وما ذلك على الله بعزيز، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المجلس الأول:

وقد أملاه في المدرسة النظامية ببغداد وفي يوم الثلاثاء، ثالث عشر المحرم سنة ٤٨٠ هـ.

رواية الشيخ الإمام أبي نصر أحمد بن عبد القاهر الطوسي.

رواية ولد الإمام محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الطوسي عنه.

رواية الشيخ الإمام شمس الدين أبي القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن عبد القاهر الطوسي.

رواية محمد بن أبي الفتح بن حسن النقاش الواسطي عنه.

قرأه عليه إبراهيم بن أبي عبد الله بن أبي نصر الحلبي الشافعي، عفا الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

١- أخبرنا المولى نظام صدر الإسلام قوام العالم غياث الدولة، شمس الملة، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق، رضى أمر المؤمنين، رضي الله عنه، وختم بالخير مدته، يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم من سنة ثمانين وأربع مئة في مدرسته المعمورة من شرقي بغداد. قال: أنا الشيخ أبو بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي[1] بنيسابور رحمه الله، وقال: ثنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله، قال: ثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، قال: ثنا قتيبة ابن سعيد، قال: ثنا مالك بن أنس، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن عمرو بن سُليم الأنصاري، عن قتادة السُّلمي - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه

(١) هكذا في (أ) وفي (ب) «المقري» ولعلها الصواب.

وسلم قال: «**إذا أتى**[(١)] **أحدكم إلى المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس**».

رواه البخاري ومسلم [رضي الله عنهما][(٢)] في «صحيحيهما» من حديث مالك بن أنس وغيره، ورواه مسلم أيضاً في[(٣)] الصلاة، عن أبي بكر بن أبي [شيبة][(٤)]، عن حسين بن علي الجعفي[(٥)]، عن زائدة بن قدامة الثقفي، عن عمرو[(٦)] بن يحيى الأنصاري، عن محمد بن يحيى بن حيَّان، عن عمرو بن سُليم[(٧)]، فكأني سمعته من هذا الطريق عن مسلم [رضي الله عنه][(٨)].

٢- أخبرنا أبو منصور شجاع بن علي الشيباني بأصفهان، قال: ثنا أبو بكر محمد[(٩)] بن عبيد الله الكسائي المقرئ، وعلي بن محمد بن الحسين بن عوف[(١٠)] قراءةً عليهما، قالا: ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحافظ، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله [بن مسلم][(١١)] الكاتب، قال: ثنا محمد بن عبد الله بن حفص وعبد الرحمن

(١) كذا نسخة (أ) وفي (ب) «جاء».

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ).

(٣) في نسخة (ب) زيادة «المسند»!!

(٤) «سلمة»!! وهو خطأ.

(٥) في نسخة (أ): «حنفي».

(٦) في نسخة (أ) «عمر»! والصواب ما أثبتناه.

(٧) في (ب): «سلمة» وهو خطأ.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من نسخة (أ).

(٩) في نسخة (أ) أبو بكر بن محمد.

(١٠) في نسخة (أ) «عرفه».

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من نسخة (أ).

ابن سعيد عن الشعبي[(١)] قال: سمعت النعمان بن [بشير رضي الله عنه][(٢)] يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول[(٣)]: «**إن الحلال بيِّن وإن[(٤)] الحرام بيِّن، وبين ذلك أمور متشابهات**» وربما قال: مشتبهات[(٥)]. وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: إن حمى الله حماوان، حمى الله تعالى ما حرم، وأن من يرمح حول الحمى يوشك أن يخالط فيه».

صحيح متفق عليه من حديث الشعبي.

أخرجه البخاري في كتابه في عدة مواضع: أحدها في البيوع عن محمد بن المثنى عن ابن عدي، عن ابن عون.

وأخرجه مسلم في كتابه في عدة مواضع أيضاً، منها في البيوع عن عبد الملك بن شعيب بن الليث، عن أبيه عن جده عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال، عن عون بن عبد الله كلاهما، عن الشعبي فكأني سمعت هذا الحديث من هذا الطريق من شيخ مسلم [رحمه الله][(٦)] ووقع لنا بحمد الله ومنِّه [عالياً][(٧)].

٣- حدثنا علي بن حرب، قال: [ثنا الحسين الأشهب قال][(٨)]: ثنا أبو بكر محمد بن أحمد[(٩)] بن الحسن الطاهري، قال: ثنا محمد بن عياش العياشي، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن

(١) في نسخة (أ) «الشعيثي».

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من نسخة (أ).

(٣) في نسخة (أ) «يقول: ثم يقول».

(٤) هكذا في نسخة (ب) ساقطة من نسخة (أ).

(٥) في نسخة (ب) «مشتبه» والصواب ما ذكرناه.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من نسخة (ب).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقطة من نسخة (ب).

(٨) ما بين المعقوفتين ساقطة من نسخة (ب).

(٩) بعدها زيادة في نسخة (أ) (المعروف بالأخوين، حدثنا).

عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة! إن لكم عند الله موعداً فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا[1]، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة وينجينا من النار؟! فيكشف الحجاب - تبارك وتعالى - فينظرون إليه جل[2] وعز، فما أعطاهم الله [تعالى][3] شيئاً أحب إليهم من النظر إليه [جل وعز]**»[4].

انفرد مسلم بإخراجه فرواه في كتابه عن القواريري: عن ابن مهدي، وعن أبي بكر، عن يزيد بن هارون كلاهما عن حماد بن سلمة.

٤- أخبرنا شجاع بن علي الأصبهاني، قال: ثنا محمد بن إسحاق بن محمد[5] الحافظ، قال: ثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي، قال: ثنا محمد بن فارس[6] أبو عبد الله البلخي، قال: ثنا حاتم الأصم، عن شقيق بن إبراهيم، عن [إبراهيم بن أدهم عن][7] مالك بن دينار عن أبي مسلم الخولاني، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو صليتم حتى تكونوا كالحَنَايا وصُمتم حتى تكونوا كالأوتار، ثم كان الاثنان أحب إليكم**

(١) في نسخة (أ) «ميزاننا».

(٢) نسخة (أ) «عز وجل».

(٣) ساقطة من نسخة (أ).

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ).

(٥) في نسخة (أ) «امنده».

(٦) في نسخة (أ) بعد كلمة فارس زيادة «حدثنا».

(٧) ما بين المعقوفتين ساقطة من نسخة (أ).

من[(١)] **الواحد لم تبلغوا الاستقامة»**[(٢)].

٥- أخبرنا محمد بن أحمد أبو بكر[(٣)] بأصبهان، قال: ثنا محمد [بن أحمد][(٤)] ابن الحسن، قال: ثنا محمد بن عياش[(٥)] الجصاص، قال: ثنا أبو هاشم [ابن أبي][(٦)] خداش، قال: ثنا المعافى، عن عبد الأعلى ابن أبي المساور، قال: قدم عدي بن حاتم الكوفة[(٧)]، فأتيته في أناس من فقهائهم وأنا شاب؛ لنأخذ حديثاً[(٨)] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نعم. قال: قلت يا رسول الله: ما الإسلام؟ قال: **«شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**[(٩)] **وتؤمن**[(١٠)] بالأقدار خيرها وشرها وحلوها ومرها»[(١١)].

٦- أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله ابن إبراهيم الفقيه [رحمه الله][(١٢)]، قال:

---

(١) في نسخة (ب): «كن».

(٢) رواه إبراهيم بن أدهم في «مسند» (٢٣) وهو باطلٌ؛ لحال محمد بن فارس؛ وانظر «لسان الميزان» (٥/ ٣٣١) لابن حجر.

(٣) في نسخة (أ) «ابن أبي بكر».

(٤) ما بين القوسين ناقص من (٢٧٣ ظ).

(٥) في (٢٧٣ ظ) «عباس».

(٦) ما بين القوسين زيادة عن (٢٧٣ ظ) والصواب - أبو الهيثم خالد بن خداش.

(٧) في الأصل «الملوفة» وفي (٢٧٣ ظ) «الكوفة» وهي الأصح.

(٨) في (٢٧٣ ظ) «قلنا حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نعم.

(٩) في (٢٧٣ ظ) وأن محمد محمد.

(١٠) في (٢٧٣ ظ) ونؤمن.

(١١) رواه ابن ماجة (٨٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٥) وفي سنده عبد الأعلى بن أبي المساور - وهو ضعيف متروك، وبه أعلّه الهيثمي.

(١٢) ما بين القوسين زيادة عن (٢٧٣ ظ).

ثنا محمد بن أحمد بن القاسم[(١)] قال: ثنا محمد بن الحسن أبو بكر المقري، قال: ثنا محمد بن الفضل الطبري، قال: ثنا هارون البزاز، قال: ثنا الفضل بن دكين[(٢)]، قال: ثنا بن إلياس[(٣)] عن المقبري.

عن أبي هريرة [رضي الله عنه][(٤)] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أتاني جبريل عليه السلام [فعلمني الصلاة]**[(٥)] **فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم فجهر فيها**»[(٦)].

٧- أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد ابن علي القاضي، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد البزاز، قال: [أنى][(٧)] عبد الله بن محمد بن زياد الحافظ، قال: ثنا حاجب بن سليمان، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا الوليد بن كثير، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن عبد الله[(٨)] بن عمر، عن أبيه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الماء[(٩)] يكون بأرض الفلاة وما ينوبه من السباع والدواب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا كان الماء قلتين**[(١٠)] **لم ينجسه**

(١) في (٢٧٣ ظ) «القاسم».

(٢) في (٢٧٣ ظ) «ركين».

(٣) في (٢٧٣ ظ) «خالد بن خداش» عن المقري.

(٤) ما بين القوسين عن (٢٧٣ ظ).

(٥) ما بين القوسين زيادة عن (٢٧٣ ظ).

(٦) رواه ابن النجار - كما في «جمع الجوامع» (٩٦٨٥ - ترتيبه) وهذا أيضاً من الأحاديث الضعيفة لضعف سنده.

(٧) «أنى» زيادة عن (٢٧٣ ظ) وهي اختصار أخبرني.

(٨) في (٢٧٣ ظ) زاد كلمة «عن» بعد عبد الله.

(٩) في (٢٧٣ظ) «الماء ملون» وأظنها لا تستقيم.

(١٠) في (٢٣٧ظ) «ملس» بدون نقط.

شيء»[١].

٨- أخبرنا أبو نصر علي بن عبيد الله الكاغدي، قال: أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خورشيد، قال: أني أبو بكر النيسابوري، قال: ثنا أحمد بن يوسف السلمي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا أبو جعفر الرازي[٢]، عن الربيع ابن أنس، [عن أنس بن مالك رضي الله عنه»[٣]: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت شهراً يدعو عليهم ثم تركه، [وأما][٤] في الصبح فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا[٥].

٩- أخبرني أبو منصور محمد بن أحمد السيني[٦]، وأبو نصر علي بن عبيد الله الأصفهانيان[٧] قالا: أنا إبراهيم بن عبيد الله[٨] أبو إسحاق، قال: أنا[٩] عبد الله ابن محمد بن زياد الفقيه، قال: ثنا بحر بن نصر قال: ثنا يحيى بن حسان، قال: ثنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن سعيد ابن جبير وطاوس، عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله [. . . .][١٠] يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن، فكان يقول: «**التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته،**

(١) رواه أصحاب «السنن» وغيرهم وهو غير صحيح، وهو معروف بحديث القلتين.

(٢) في (٢٣٧ظ) الداري.

(٣) ما بين القوسين زيادة عن (٢٧٣ظ).

(٤) ما بين القوسين زيادة عن (٢٧٣ظ).

(٥) وهو حديث صحيح روته كتب السنن في باب القنوت.

(٦) في - ١١٥ - الشيتي، والصحيح ما أثبتناه. انظر «اللباب» (ج١/ ٥٩٠).

(٧) في - ٢٧٣ - الأصبهانيان.

(٨) في - ٢٧٣ - أخبرنا عبد الله بن إسحاق.

(٩) بياض في الأصل. وفي - ٢٧٣ - صلى الله عليه وسلم.

(١٠) حديث صحيح رواه مسلم وغيره.

سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»[١].

١٠- أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن زاهر الطوسي، قال: أنبأ أحمد بن الحسين[٢] الجربي، قال: ثنا حاجب بن أحمد الطوسي، قال: ثنا محمد بن حماد قال: سمعت ابن عيينة يقول: (قال عيسى عليه السلام): إن للحكمة أهلاً[٣] إن منعتها [أهلها] كنت جاهلاً، فكن كالطبيب العالم يضع دواءه حيث ينفع»[٤].

١١- حدثنا أحمد بن علي الإمام كتابة، قال: قرأت على أحمد بن محمد الفقيه، عن أبيه[٥] ثني محمد بن يحيى قال: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سمعت الشافعي رحمة الله عليه يقول: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيت [النبي][٦] رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٢- سمعت أبا الحسن[٧] بن عبد الله [بن محمد][٨] يقول: سمعت إبراهيم بن أحمد البلخي يقول: سمعت أبا نصر أحمد

---

(١) في (٢٧٣ظ) «الحسن الحرش» والصواب الجربى كما في اللباب حرف الجيم.

(٢) في (٢٧٣ ظ) «أهل».

(٣) «أهلها» زائدة عن (٢٧٣ ظ).

(٤) هذا من الأثر المشهور وليس بحديث كما لا يخفى، وقد رواه الدارمي (١/ ١٠٦)، وابن عبد البرّ في «الجامع» (٦٩٩)، وسنده صحيح.

(٥) في (٢٧٣ ظ) «عن إبراهيم بن محمد».

(٦) «النبي» زيادة (٢٧٣ ظ)، والأثر: رواه البيهقي في «المدخل» (٦٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٩) بسند صحيح.

(٧) في (٢٧٣ ظ) «الحسين».

(٨) ما بين القوسين زيدة عن ظ (٢٧٣).

ابن محمد الشاشي بالشاش يقول: سمعت عمر بن القاسم[١] البصري يروي عن الربيع بن سليمان المرادي، قال: كنت مع أبي عبد الله بن محمد بن إدريس الشافعي رحمة الله [عليــه][٢] لما دخل مصر خاف المالكية وجلس في داره ولم يخرج إلى الناس، فقال له جماعة من أصحابه: يا أبا عبد الله: لو خرجت وجلست للناس[٣]، وسمعوا من كلامك لرجعوا عن قول مالك وأخذوا بقولك. قال: فأطرق الشافعي رحمة الله عليه[٤] إلــى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه وجعل يقول[٥]:

أأنثــــر دراً وسط سَــــارحـــة النَّعَمْ	أأنظُم منثـــوراً لراعــــيَـــــة الغَنَمْ
لَعـمـري لئن[٦] ضُيِّـعْـتُ في شـرِّ بَلْدَة	فلست مُـضـيـعـاً بينهـم غُـرَر الكَلم
فــإنْ فَـــرَّجَ الله اللطيفُ بلُطْفــــه	وصــــادفتُ أهلاً للُعلوم وللحكَمْ
بَثَثتُ مُـفـيـداً واستَـفَـدتُ ودَادَهم	وإلا فَـــمَكْنونٌ لديَّ وَمُكْتَــــتَمْ
فـمن مَنَحَ الجُـهَّـالَ علمـاً أضَـاعَـهُ	ومَن مَنَع المستَـوجـبين فَـقَـد ظَلَم[٧]

سمع الجميع هذا الجزء من أوله إلى آخره على الشيخ الصالح محمد بن أبي الفتح بن حسن النقاش الواسطي، بحق سماعه عن شيوخه محمد بن محمد بن علي بن عمرون الحلبي له، بقراءه إبراهيم بن أبي نصر الحلبي الشافعي في يوم رابع عشر رجب من سنة ثلاثة عشرة وستمائة بحلب المحروسة.

---

(١) في (٢٧٣ ظ) «القاسم».

(٢) «عليه» ساقطة من (٢٧٣ ظ).

(٣) في (٢٧٣ ظ) «إلى الناس».

(٤) في (٢٧٣ ظ) «فأطرق الشافعي رحمه الله ساعة إلى الأرض».

(٥) في (٢٧٣ ظ) «وأنشأ».

(٦) في الأصل «ولقد» والتصحيح من (٢٧٣ ظ).

(٧) أورد هذه القصة وتلك الأبيات السُّبكي في «طبقاته» (ج١ ص ١٥٥).

مسائل وأجوبتها

لشيخنا المحدث العلامة الألباني

السؤال الأول:

هل هناك فروق بين الحوار الذي يدور بين أهل السنة وبين الخطاب الذي يوجه من سُنّي إلى مبتدع؟.

وما هي؟

الشيخ: لا شك أن الفروق قد تكون تارة قائمة، وقد لا تكون؛ ودائرة الفرق بين ما يجري بين أهل السنة أنفسهم من حوار أو نقاش، وما يجري بين أهل السنة من جهة والمبتدعة من جهة أخرى: واضحةٌ بيِّنةٌ؛ ذلك أن المفروض أن ما يجري من نقاش وحوار وردود بين أهل السنة أنفسهم إنما يكون من باب قوله تبارك وتعالى: ﴿**والعصر... وتواصوا بالصبر**﴾ فأي نقاش أو حوار يدور بين أهل السنة فلا بد أن يكون منطلقه نابعاً من مثل هذه الآية: ﴿**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾.

وكذلك ينبغي أن يكون الأمر بين أهل السنة من جهة وبين المخالفين لهم في السنة - وهم المبتدعة - من جهة أخرى، ولكن قد يختلف الأسلوب بين أهل السنة أنفسهم وبين أهل السنة والمبتدعة من جهة أخرى؛ فالمفروضُ حينما يجري النقاش بين أهل السنة أنفسهم أن يلاحظوا في ذلك قوله تعالى الذين طبع به المسلمين عامة: ﴿**رحماء بينهم**﴾ أما حينما يجري النقاش بين هؤلاء المسلمين من أهل السنة وبين أهل البدعة فقد يكون هناك شيء من الشدة والقسوة في الأسلوب يتلاءَم مع هذه البدعة على بدعتهم، هذا فارق بين أهل السنة مع بعضهم البعض من جهة، وأهل السنة حينما يناقشون أو يردون على أهل البدعة من جهة أخرى.

ولكن ينبغي أن نلاحظ في كل هؤلاء وهؤلاء أمراً لا نزكي به طائفة دون أخرى

أو تطعن في طائفة دون أخرى بسبب الإخلال بمبدأ قوله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة**﴾ فكثيراً ما يقع حينما يرد سُنّي على سُنّي أن الرد لم يلتزم فيه الحكمة بل يلتزم فيه ما هو أهم من ذلك مما أشار إليه ربنا عز وجل في مثل قوله تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ فيقع في كثير من الأحيان أولاً سوء الأسلوب في الرد على بعضهم البعض، فهذا مع الأسف يتجلى الآن في العصر الحاضر حديثاً بصورة كنا نود ألا نراها واقعة في المجتمع السُّنّي الذي نسميه نحن بالمجتمع السلفي، هذا ما يبدو لي جواباً على هذا السؤال.

السؤال الثاني:

هل ترون أن أصل فكرة العمل الجماعي اليوم بدعة وحرام، أوأن نقدكم يتناول أخطاء التطبيق؟

الشيخ: لا، العمل الجماعي ليس هناك مجال لإنكاره، اذا لم يقترن بالتحزب.

والعمل الجماعي، يشمله عديد من الآيات الكريمة ﴿**وكونوا مع الصادقين**﴾، ﴿**ولا تحاضون على طعام المسكين**﴾، ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ فمثل هذا التعاون الجماعي ليس هناك مجال لإنكاره إطلاقاً؛ لأن الإسلام قائم على هذا التعاون، ولكن الظاهرة التي تبدو في العصر الحاضر قد انحرفت عن هذه الغاية من التعاون على البر والتقوى: هي التي خالطها كثير من التحزب والتعصب، إلى درجة أنه صار أمراً مهضوماً مقبولاً عند كثير من الدعاة كالتكتل باسم التحزب، ونحن نعلم أن الله عز وجل قد نهى في كثير من الآيات القرآنية عن التحزب والتعصب لطائفة أو لجماعة لها نظامها الخاص، ولها منهجها الخاص، ولو لم يكن هذا النظام وهذا المنهج مطابقاً للسنة من كل جانب أصبح التحزب اليوم فرقة تمثل ما حذر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أحاديثه التي تعتبر تبياناً وتفصيلاً

لمثل قوله تبارك وتعالى: ﴿**ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون**﴾.

ولا يخفى على كل مسلم اليوم كثرة الأحزاب المنتشرة في العالم الإسلامي، وأن لكل حزب منهجه ونظامه، وأن هذه الأحزاب متنافرة متباغضة - على خلاف المقصود من التكتل والتجمع الإسلامي - لكلٍ منهاجُه، وكل رئيسُه، ولكُلٍّ طائفتُه، وكل هذه الطوائف لا تلتقي بعضها مع بعض، وهذا بلا شك مما تشمله عموم الآية السابقة ﴿**ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون**﴾.

خلاصة الأمر: التكتل والتجمع في سبيل العمل بالإسلام الذي كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام أمر واجب لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان كما يقال، بل لن تقوم قائمة المسلمين ولن يتحقق المجتمع الإسلامي ولن تقوم الدولة الإسلامية إلا بمثل هذا التجمع لكن شرطه أن لا يكون عصبية لشخص أو لطائفة دون أخرى، وإنما يكون التعصب لله فيما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم وعلى منهج السلف الصالح.

السؤال الثالث:

ما هو حدُّ الاعتدال في اهتمام المسلم بالسياسة اليوم ضمن ضوابطها الإسلامية؟

الشيخ: إذا كان المقصود بالسياسة سياسة الأمة فالحقيقة أن السياسة ليست من عمل فرد من أفراد الأمة وإنما هي من واجبات الدولة المسلمة إذا كان المقصود بالسياسة - كما هو المتبادر - سياسة الأمة وإدارة شؤونها لما فيه صالح دينها ودنياها.

فإذا كان المقصود بالسياسة هو هذه السياسة التي تدار بها الأمة فهذا فرض كفاية، ولكن ليست على الأفراد الذين لا يملكون دولة ولا صوله، ولا يملكون ضراً ولا نفعاً.

أما تلقي الأخبار لمعرفة ما عليه واقع المسلمين والضعف والانصراف عنه - كما نقول نحن : من التصفية والتربية - عن تصفية الإسلام مما دخل فيه والانصراف إلى تربية المسلمين على هذا الإسلام المصفى، فمعرفة هذه الأوضاع العامة المحيطة بالمسلمين لا بد منه لأن الأمر كما قال الشاعر العربي القديم مقتبساً ذلك من حديث صحيح :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

قلت : هذا مستنبط من حديث ؛ وعنيت به حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي جاء في «صحيحَي البخاري ومسلم» : **كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني** » فمعرفة ما عليه المسلمون من الهوان والضعف والعز لصرفهم عن ذلك إلى الأخذ بوسائل العلم والقوة والمَنَعَة فهذا واجب من الواجبات .

أما التوسع في تلقي الأخبار ومعرفة المعارك والسياسات الغربية فهذا من باب العلم بالشيء خير من الجهل به، هذا نحن لا ننكره، ولكن لا نتحمس له كثيراً، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقم أمر أصحابه على معرفة وتتبع أخبار أعدائه بدقة بمقدار ما كان يهتم عليه الصلاة والسلام بتعليم أصحابه من جهة وتربيتهم على أمر الله عز وجل من جهة أخرى .

هذا اعتقادنا في السياسة بقسميها الذين ذكرتهما آنفاً .

السؤال الرابع :

هل ترون أن وسائل الدعوة توقيفية كالصلاة والصوم وسائر العبادات؟ أم أن الدعوة عبادة في أصلها اجتهادية تقوم على فقه النصوص والمصالح الشرعية المعتبرة والمرسلة في وسائلها مثل العلم والأمر بالمعروف؟!

الشيخ : نعم، أنا أعتقد أن الوسائل

تختلف من زمان ومكان، وهذا أمر لا ينكره فقيه وعالم بالكتاب والسنة.

الوسائل تختلف من زمان ومكان ولكن التوسع في استعمال هذه الوسائل يحتاج إلى علم بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الهدي والسنة، وضابط ذلك أنه لا يجوز الإعراض عن الوسائل التي تعاطاها الرسول بحجة أن الزمان اختلف، فإذا كان هناك وسيلة من الوسائل تؤيد ما كان عليه الرسول عليه السلام مثل هذه الوسائل التي نحن نستعملها الآن من التسجيل، والطباعة، ووسائل النشر الميسرة، لتقريب العلم إلى الأماكن البعيدة، فهذه لا ينكرها أحد.

ونحن نعلم أن كثيراً من دعاة الإسلام يتخذون من الوسائل ما لم يأت بها الشرع، بل قد تكون مما قرر الشرع خلافها! وفي ظني أن السبب في مثل هذا الاتخاذ لمثل هذه الوسائل هو الجهل بالإسلام، ولسنا بحاجة إلى ضرب الأمثلة؛ ولكن نقولُ: إن كثيراً من الوقت قد ضاق من الأحزاب والجماعات الإسلامية القائمة اليوم لا يوجد فيها علماء بالكتاب والسنة، وأكثر القائمين على هذه الجماعات هم من الشباب المتحمسين للإسلام، ثم من الذين لم يُفَرِّغوا أنفسهم لدراسة الإسلام كتاباً وسنة وعلى منهج السلف الصالح.

والكلام في هذا المجال يطول ويطول، ولنضرب الآن مثلاً بالخلاف الذي تشب في الخروج من رمضان ما بين دولة وأخرى حيث أن بعض الدول صامت ٢٩ يوماً، وبلد أخرى أكملته ٣٠ يوماً! فهناك في بعض من البلاد الغربية كأمريكا مثلاً بعض الدعاة الاسلاميين يعلنون الاعتماد لإثبات الهلال في الدخول في الشهر والخروج منه على علم الفلك، وهم إما أنهم يجهلون الحقّ أو أنهم يتجاهلونه، وكما يقال: أحلاهما مُرٌّ.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«**نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا أو أشار عليه السلام ثلاث مرات الشهر هكذا وهكذا وهكذا أي: ثلاثين ثم قال: الشهر هكذا هكذا هكذا**» أي: تسع وعشرون.

وفي بعض الروايات الصحيحة: «**فإن غم عليكم فأتموا الشهر ثلاثين يوماً**» والآن في كثيرٍ من البلاد التي يتحكم فيها بعض الفلكيين يثبتون هلال رمضان بالحسابات الفلكية، والرسول عليه السلام قد ألغى هذه الوسيلة ـ ولو أنها وسيلة علمية ـ، فإن العلم قد يطلع عليه أفراد قليلون، وفي بعض البلاد بينما الوسيلة الشرعية التي جعلها الرسول عليه السلام دليلاً على دخول شهر جديد أو انتهاء هذا الشهر هي وسيلة فطرية طبيعية مرئية بالرؤية البصرية وليست البصيرية العلمية التي يمكن أن نشرك كل الناس العلم بها فلا يجوز إذاً إلغاء مثل هذه الوسيلة التي جاء بها الإسلام بدعوى أن الزمن ارتقى وتغير، فظهر من بياني السابق أنه لا ينبغي الآن اتخاذ وسيلة كان بإمكان الرسول عليه السلام أن يتخذها.

والبحث في هذا يطول جداً ولابن تيمية بحث رائع جداً في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» وأنا ألخص ما استطعت من كلام ابن تيمية: الوسائل التي تحدث في زمان ومكان تنقسم إلى قسمين: وسيلة وُجد المقتضي للأخذ بها في عهده عليه السلام ولم يؤخذ بها فإحداثها بدعة، ووسيلة لم يكن للمقتضي للأخذ بها في عهد الرسول عليه السلام وجودٌ:

قال: يُنظر: إن كانت هذه الوسيلة المقتضي لإحداثها والأخذ بها هو تقصير المسلمين في تطبيق أحكام الدين فلا يجوز الأخذ بها.

وإلاّ؛ فجائزٌ.

والله الموفِّقُ.

القراء منهم وإليهم

التحرير

تعتذر أسرة (**الأصالة**) عن التأخُّر الذي حصل في الرد على رسائلهم، وخصوصاً الأخوة الذين أرسلوا رسائلهم على عنوان جمعية النور والإيمان في بيروت! فقد وصلت إلى رئيس التحرير في عمان بعد أكثر من سنتين وقد وصلت تلك الرسائل مفتوحة!!

والآن فلم يبق لمجلة **الأصالة** علاقة بهذه الجمعية، ولم تكن من قبل تابعة لها كما ظنّ بعض الأخوة فيما ذكروه في رسائلهم.

ومع ذلك فقد نبهنا القراء الكرام إلى عنوان المراسلة، وأنّه عنوان رئيس التحرير المثبت على آخر صفحة من غلاف المجلة.

*وصلت إلى (**الأصالة**) رسالة من المكتب التنفيذي الولائي لحركة حماس في الجزائر يقولون فيها: «بحثنا عن الخبر الصادق والخبرة الإعلامية يشرفنا جداً أن نرسل إليكم طلبنا هذا المتمثل في طلب تزويدنا بـ(مجلتكم...) وذلك استجابة للطلبات الملحة لمئات الشباب الذين يترددون علينا بحثاً عن الخبر الصادق والخبرة الإعلامية.

الأصالة تشكر المكتب التنفيذي لحركة المجتمع الإسلامي على رسالته، وسنعمل ـ إن شاء الله ـ على تلبية رغبة عشرات الرسائل التي تردنا من الجزائر الشقيق من خلال إيجاد وكيل لنا في ذلك البلد المسلم العزيز على قلوبنا ـ سائلين اللهُ أن يُفَرِّج الكرب الذي حلَّ فيه ـ واقبلوا صادق المودة والتقدير.

*الأخ أبو عروة معمر بن قاسم بن طاهر التوقي ـ اليمن ـ مأرب ـ.

بعث إلى **الأصالة** رسالة قال فيها:

إنني أرغب في القراءة والاستفادة من هذه النسخ من المجلة التي أتمنى الحصول

عليها لما فيها من الفوائد الغزيرة، ومن فتوى شيخنا محمد ناصر الدين الألباني وهي لا توجد في اليمن نهائياً فنرجو الإفادة من كيفية الحصول عليها.

الأصالة: نشكر الأخ أبا عروة، ونتمنى له التوفيق في الحصول على إعداد الأصالة، ويمكن ذلك من خلال إرسال اشتراك بقيمة الأعداد الماضية، وستصله على عنوانه إن شاء الله، ولكم من أسرة الأصالة كل محبة وتقدير.

*وصلت إلى (**الأصالة**) رسالة من مكتبة البحوث والتراث الجامعة الإسلامية بهكتل يطلبون فيها إرسال إعداد من المجلة على عنوانهم بطريقة الاشتراك المجاني.

الأصالة: نفيد الأخ الأمين العام أنه لا مانع لدينا بشرط أن يجدوا جهة خيرية تتبرع لهم بهذا الإشتراك على حسابها حيث أن إمكانيات المجلة ـ الآن ـ لا تسمح لها بفتح باب الاشتراك المجاني، وقد أهبنا بأهل الخير كثيراً أن يساهموا في دعم المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي من خلال الاشتراك في أعداد من مجلة الأصالة لإرسالها للجمعيات والمؤسسات الإسلامية التي لا تسمح لها الإمكانيات الاشتراك في مجلة الأصالة ولا زلنا ننتظر!!

وشكراً لأمين مكتبة البحوث والتراث، ومرحباً بكم أصدقاء لمجلة الأصالة.

*وصلت إلى رئيس تحرير مجلة الأصالة رسالة طيبة من جمعية الحافظ ابن عبد البر للتعريف بالتراث الإسلامي بمراكش المغرب يقولون: «نشكر لكم جهودكم الحثيثة في خدمة العلم والثقافة الإسلامية، ونرجو منكم التعاون معنا في قضايا الفكر والتراث الإسلامي وأن تبادلونا إنتاجكم وإصداراتكم وأن تخصوا جمعيتنا بكل اعداد مجلتكم.

الرئيس اسطيري جمال.

الأصالة: تشكر جمعية الحافظ ابن عبد البر على هذه الرغبة الصادقة في التعاون

المثمر، ونحن على استعداد، ونرحب بهذا التعاون، آملين أن ترسلوا لنا ـ أيضاً ـ إنتاجكم العلمي، وسنرسل لكم ـ قريباً إن شاء الله ـ بعض الأعداد من مجلتنا الأصالة، واقبلوا تحيات أسرة مجلة الأصالة، والله يحفظكم.

*وصلت إلى مجلة (الأصالة) الرسالة التالية من الأخ الفاضل أحمد بن نجا الرحيلي نزيل المدينة المنورة يقول فيها: المكرم رئيس تحرير مجلة الأصالة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فيسرُّني أن أشارك في مجلتكم الأصيلة «الأصالة» بهذه المقطوعة الشعرية المتواضعة في الثناء على الشيخ العلم الإمام الجهبذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وذلك قياماً ببعض الواجب تجاه علماء الإسلام العالمين العاملين:

خمسون عاماً

رعى الإله رُبى الشـام التي حـضنت	نقّادة العصر ذا التحقيق والنظر
خمسون عاماً من التنقيب قد أفلت	بين الصحائف لا تسأل عن السهر
أروى الغليل القَصَبُ بمشكاة وسلسلة	في طلعها العالي من الثمر
نضارة الحق في إحسانِ منظره	ملاكة القول لا عيٍّ بلا حصر
تبقى القوافي عقيماً عن فرائدها	إذا رأت جبل المعارف العطر

والأصالة تشكر الأخ الرحيلي على هذه المشاركة، وترحب بنشر نتاجه الشعري في الذب عن الدعوة السلفية وبيان فضائلها، ومناقب دعاتها من علماء الأمة وفقهاء الملة، وترجو له التوفيق والسداد.

... فللحق جولات

التحرير

يُشكل على كثير من الشباب المسلم ظهور الباطل في بعض الفترات! وانتشار المنكر في كثير من الأوقات! وفشو البدعة في معظم المجتمعات! . . . مما يجعلهم يضعفون، أو يهلعون أمام التصور المظلم لواقعهم الأليم! .

فنقول لهؤلاء: إن كان للباطل جولة، فللحق جولات، وإن كان للمنكر دولة، فللمعروف دُول . . . ولو بعد حين .

وأبشروا ـ يا شباب الإسلام ـ وأمِّلوا؛ فإنَّ سَلْوانا جميعاً قول رب العالمين سبحانه وتعالى: ﴿**فأما الزبد فيذهب جُفَاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**﴾، وقوله: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره . . .**﴾

فالحكم بغير ما أنزل الله . . . زبد وجفاء .

والابتداع في الدين . . . زبد وهَرَاء .

وانتقاص أقدار العلماء . . . زبد وغثاء .

وتهاون الأمة في الشرع . . . زبد وهباء

والحزبية المظلمة السوداء . . . زبد وفتنة صلعاء .

ونقائض ذلك كله من إشاعات الخير، وعلامات البر . . . نفعٌ ومنفعة .

فمهما طال الليل . . . فنهايته فجر .

ومهما امتد الظلم . . . فعاقبته إلى زوال وخسر .

ومهما اشتد الضَّنْك . . . فخاتمته اضمحلال . . .

ومهما ضعفت الأمة . . . فمآلها قوة ونصر .

وحسبنا الله ـ فإنه بكل جميل كفيل ـ وهو مولانا ونعم الوكيل .



عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة : العدد التاسع عشر

١٥ / ذو القعدة / ١٤١٩هـ

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم ٤ / ٣ / ١٣٢٨



إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءَلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ .

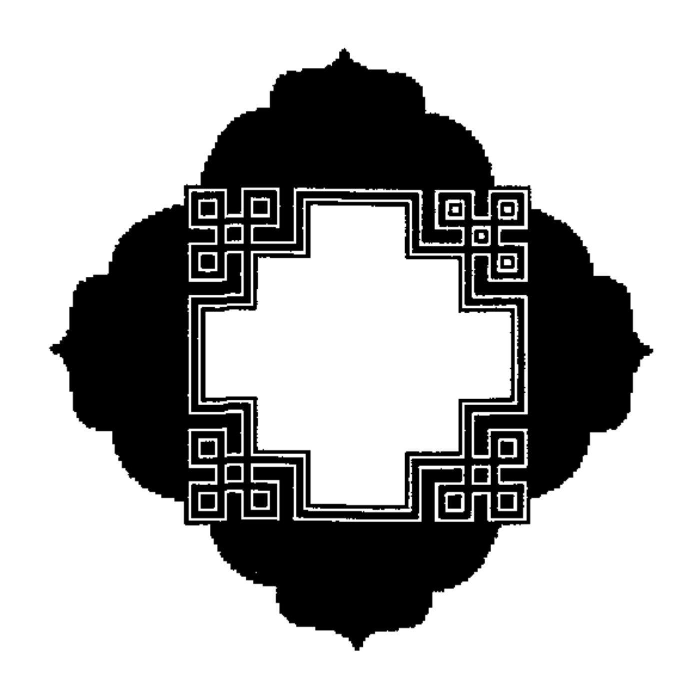
(النساء : ١)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

(الأحزاب : ٧٠ ، ٧١)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل مُحدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .





هل جاعت فأكلت أولادها؟

□ هو مثل يضرب لمن فعل ما تفعله القطط بعد ولادتها ببعض أبنائها ؛ حيث تعمل على أكل بعضهم وهجر بعضهم الآخر . . . ويا له من مثل سيِّىء يضرب حين يتنكر الإنسان لقرابته وإخوته ولذوي الصحبة الطويلة ، والعشرة ، والعيش ، والملح ؛ كما يقال(!)

إننا نرى تآكلاً شَرِهاً داخل الكثير من الجماعات الدَّعوية حتى وصل الأمر - وللأسف الشديد - إلى من يدَّعون الانتساب إلى المنهج الحق ؛ منهج الكتاب والسنة ، وسبيل سلف الأُمة ، فانظر يميناً تَرَ صراعات وخلافات شديدةً ، وارجع البصر شمالاً تَرَ اقتتالاً ، وتضليلاً ، وتبديعاً ، فقلما يخلو مسجد من مساجد المسلمين من محن وإحن ، وفتن ومنازعات ، مع قول الله عز وجل : **﴿ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُم﴾** .

وقد وصف الله أصحاب نبيه بالرحمة ؛ فقال : **﴿محمدٌ رسولُ اللَّه والذينَ مَعَه أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم﴾** .

وقال ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ؛ كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» .

ولئن كان الاختلاف قدراً كونياً للأمم والشعوب ؛ فإنَّ الله تعالى ذم أهله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ قال تعالى : **﴿وَلاَ يَزالون مُخْتَلِفين إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّك﴾** .

فاستثنى أهل رحمته من الخلاف المذموم الذي يفرّق الأمة ، ويجعلها شيَعاً وأحزاباً .

وقال تعالى : **﴿وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون﴾** .

فجعل سبحانه التفرق شعار المشركين ، لا سبيل الموحدين الذين أمروا باتباع صراط مستقيم واحد : **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله﴾** .

والخلاف المعتبر وقع للسلف الصالح فلم يفرق لهم جمعاً ، أو يبعثر لهم صفاً ، أو يقطع لهم رحماً ، أو يؤدي إلى فجور في الخصومة .

لكن من المؤسف والمؤلم حقاً أن تجد أصحاب الأمس أعداء اليوم . . . ولماذا؟ لا لشيء يستحق هذا العداء وهذه الشحناء وتلك القطيعة بل في الغالب أهواء جامحة ، ودنيا فانية ، وحظوظ نفسية للشيطان حظ وافر في أكثرها ، وقد ذم الله المشركين والمنافقين ؛ لأنهم لا يرعون عهداً ، ولا قرابة ، ولا مودة : ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ .

فما أحوجنا إلى أخلاق السلف الصالح وإلى تربيتهم وتزكيتهم ؛ لنكون حقاً سلفيين لا بالمظهر فحسب وإنما بالمخبر والجوهر أيضاً ، لا بالدعوى العريضة وإنما بالواقع والحقيقة ، لا بالشعارات وإنما بالشواهد والبيِّنات الواضحات .

فمن ادعى ما ليس فيه

فضحته شواهد الامتحان

فهل من حدٍّ ونهاية لهذه الصراعات والنزاعات والحروب الداخلية ؛ التي تطحن أهلها طحناً ، وتجعلهم مثار الشماتة من أعدائهم ، وتجعل من ديارهم خراباً يباباً ، وتصدُّ الناس عن دعوة الحق ؛ فيتخطفهم الشيطان وأولياؤه وهم لا يشعرون؟!

اللهم سلِّم سلِّم(!!)

قال الفاروق رضي الله عنه:

"نحن قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".



□ يُشْكِل على بعض جهلة المخالفين لمنهج أهل السنة في العقيدة ـ المضطربين في أفكارهم، المختلفين في آرائهم ـ شيء من الآيات، أو الأحاديث المتعلقة بأسماء الله سبحانه وصفاته، فتراهم يخبطون فيها خبط عشواء، بكلام لا يقوم على علم، ولا ينبني على منهج.

وأوّل ما يلاحظه المتأمل في طريقتهم وأُسلوبهم: ضرب النصوص بعضها ببعض حتى يسلم لهم مرادهم، ويخلص لهم مقصودهم.

ومن الأمثلة الدالة على ما قلت: كلامهم في قوله تعالى: ﴿وما كانَ رَبُّكَ نسيّاً﴾ مقارنة مع آيات كريمة أُخرى فيها ذكر النسيان؛ لكن لمعنى آخر.

وهؤلاء القوم (نسُوا) في خضمّ تربصهم بأهل السنة كثيراً من المسلّمات العلمية الثابتة، كقاعدة المشترك اللفظي؛ أي: الكلمة الواحدة التي لها أكثر من معنى، وأكثر من مدلول، وإنما يعرف المراد بالسياق والسباق.

فإلزاماً من هؤلاء لأهل السنة (!) وقعوا في تفسيرات مضطربة متناقصة.. وإمعاناً مني في (نسيان) ما قالوا أو كتبوا سأكتفي بذكر وجوه الصواب في هذه المسألة، فأقول وبالله التوفيق:

الأصل في معنى (النِّسيان): التَّرْك، ثم استعمل بمعنى: الغفلة والذهول(*).. وفي كلا المعنيين وردت آيات القرآن الكريم بحق الله سبحانه وتعالى، بمعنى (الترك) إثباتاً، وبمعنى (الغفلة) نفياً:

أما المنفي ـ وهو الغفلة ـ ففي قوله تعالى: **﴿وما كان ربُّك نَسِيًا﴾**، ومنه قوله سبحانه: **﴿لا يضلُّ ربي ولا ينسى﴾**.

وهذا بيِّن جليٌّ واضح.

وأما المعنى المثبت ـ وهو الترك والإهمال ـ ففي قول الله سبحانه خطاباً لمن غفل عن أمره، وترك حكمه: **﴿قال كذلك أتتك آياتنا فَنَسِيتَها وكذلك اليوم تنسى﴾**.

وفي قوله سبحانه: **﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾**.

وفي قوله: **﴿نَسُوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾**.

وفي قوله: **﴿وقيل اليومَ ننساكم كما نَسِيتم لقاءَ يومكم هذا﴾**.

وفي قوله: **﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم﴾**.

فهذا كله نسيان (يقابل) ذلك النسيان، وترك جزاء غفلة، وإهمال جزاء ذهول.

أفليس المنهج في ذلك مؤتلفاً غير مختلف، ومتفقاً غير مفترق؟!

أفليست دلالات النصوص تعطي هذه المعاني كلاً بحسْبها، دونما خبط من غير ضبط؟!

والله الهادي. ■

(*) انظر: «بصائر ذوي التمييز» (٥/٤٩ـ٥٠) للفيروزآبادي.

اتق المحارم

بقلم: الشيخ عبد العظيم بن بدوي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهنّ أو يعلم بهنّ، فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسولَ الله! فأخذ بيدي فعدَّ خمساً، وقال:

«اتق المحارمَ تكن أعبدَ الناس، وارضَ بما قسم اللَّهُ لك تَكُنْ أغْنَى الناسِ، وأحسنْ إلى جَارِك تَكُنْ مُؤْمِناً، وأحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسك تكنْ مُسْلماً، ولا تُكْثِرِ الضَّحِك؛ فإن كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلْبَ»[1].

هذه كلمات من جوامع الكلم، رغَّب النبي ﷺ في أخذها للعمل بها ولتعليمها، من باب تكميل النفس ثم تكميل الآخرين؛ كما قال تعالى: ﴿والعَصْر. إنَّ الإنسانَ لفي خسر. إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فكمّلوا أنفسهم ﴿وتواصَوْا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ لتكميل غيرهم.

* وقول أبي هريرة: «أنا»؛ أي: أنا آخذ عنك هذه الكلمات، وفيه إشارة إلى ما كان عليه من الحرص على الخير رضي الله عنه.

* وقوله: «فأخذ بيدي»؛ أي: لعدّ هذه الكلمات، أو لأنه ﷺ كان عند التعليم يأخذ بيد من يعلمه.

* وقوله: «فَعَدَّ خمساً»؛ أي: من الخصال، أو من الأصابع على ما هو المتعارف واحدة بعد واحدة، وقال: «اتق المحارم تكن أعبد الناس»؛ أي: احذر الوقوع في جميع ما حرم الله عليك. والله عز وجل يقول: ﴿وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم﴾ فالمحرمات المقطوع بها مذكورة في الكتاب والسنة، كقوله تعالى:

﴿قل تَعَالَوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكم وَإِيَّاهُم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون﴾.

وقوله تعالى: ﴿قل إنما حرم رَبِّي الفواحشَ ما ظهر منها وما بَطَن والإثم والبَغْيَ بِغَيْر الحَقِّ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٧/٣٧٧/٣).

تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ .

وفي المطاعم يقول تعالى : ﴿قل لا أَجِدُ فيما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُه إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لَحْمَ خنزيرٍ فإنه رجس أو فسقاً أُهِلَّ لغير الله به﴾ .

وقال تعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أَكل السَّبُع إلا ما ذكَّيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾ .

وفي المشارب قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرَ والمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ .

وفي المناكح قال تعالى : ﴿حرّمت عليكم أُمَّهَاتِكم وبناتكم وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأُمهات نسائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وَأَنْ تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رَحِيماً﴾ .

وفي المكاسب قال تعالى : ﴿وَأَحَلّ الله البيع وحرّم الربا﴾ .

وأما السنة ففيها ذكر كثير من المحرمات :

كقوله صلى الله عليه وسلم : «إن الله حرّم بيع الخمر ، والميتة ، والخنزير ، والأصنام»[٢] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «كل مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وكل خمر حرام»[٣] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «إن دِمائكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام»[٤] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «يَحْرُمُ من الرَّضَاعة ما يحرم من النسب»[٥] .

فما ورد التصريح بتحريمه في الكتاب والسنة فهو محرَّم ، وقد تستفاد الحرمة من النَّهْي ، كما تستفاد من الوعيد الشديد المترتب على الفعل .

فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : «اتق المحارم تكن أعبدَ الناس» ؛ أي : من أعبدهم ؛ لأنه يلزم من ترك المحارم فعلُ الفرائض ، فباتِّقاء المحارم تبقى الصحيفة نقية من التبعات ، فالقليل من التطوع مع ذلك ينمو وتعظم بركته ، فيصير ذلك التقي من أكابر العباد .

ويلزم من ذلك أن يكون العبد عالماً بالواجب ليقوم به ، وعارفاً بكل محرّم فيجتنبه ، ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم : «طَلَبُ العلم فريضة على كل مسلم»[٦] . ولقد بيّن الله سبحانه أن تعظيم المحارم خير للعبد فقال : ﴿ذلك ومن

(٢) أخرجه البخاري (٤/٤٢٤/٢٢٣٦)، ومسلم (٣/١٢٠٧/١٥٨١) وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم (٣/١٥٨٧/٧٥/٢٠٠٣)، وابن ماجه (٢/١١٢٤/٣٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣/٥٧٣/١٧٣٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥/٢٥٣/٢٦٤٥)، ومسلم (٢/١٠٧١/١٤٤٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه (١/٨١/٢٢٤).

يُعَظِّم حُرُمَاتِ اللَّهِ فهو خيرٌ له عند ربه﴾ قال ابن كثير[7] رحمه الله : ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه **﴿فهو خيـر له عند ربه﴾** ؛ أي : فله على ذلك خير كثير ، وثواب جزيل ، فكما أنَّ على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل ، فكذلك على ترك المحرمات ، واجتناب المحظورات .

* وقوله صلى الله عليه وسلم : «وارضِ بما قسم الله لك تَكُنْ من أغنى الناس» ؛ أي : اقنع بما أعطاك الله ، واجعله حظك من الرزق ، تكن أغنى الناس ، فإن من قنع ؛ استغنى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «ليس الغِنَى عن كَثْرَةِ العَرَضِ ، ولكن الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[8]

قال ابن بطال : معنى الحديث : ليس حقيقة الغنى كثرة المال ؛ لأن كثيراً ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أُوتي ، فهو يجتهد في الازدياد الإلحاح في الطلب ، فكأنه ليس بغنيٍّ .

وقال القرطبي : معنى الحديث : أن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس ، وبيانه : أنه إذا استغنت نفسه ؛ كفت عن المطامع فعزَّت وعظمت ، وحصل لها من الحظوة ، والنزاهة ، والشرف ، والمدح ؛ أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه ؛ فإنه يورطه في رذائل الأُمور ، وخسائس الأفعال ، لدناءة همته وبخله ، ويكثر

(٧) تفسير القرآن العظيم (٣/٢١٨).

(٨) أخرجه البخاري (٦٤٤٦/٢٧١/١١)، ومسلم (١٠٥١/٦٧٢/٢)، والترمذي (٢٤٧٩/٣٥/٤).

من يذمُّه من الناس ، ويصغر قدره عندهم ؛ فيكون أحقر من كل حقير ، وأذل من كل ذليل .

قال الحافظ ابن حجر : والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله ، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ، ولا يلح في الطلب ، ولا يلحف في السؤال ، بل يرضى بما قسم الله له ، فكأنه واجد أبداً .

والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أُعطي ، بل هو أبداً في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه ، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف ، فكأنه فقير من المال ، لأنه لم يستغن بما أعطي ، فكأنه ليس بغني[9] .

فارض - يا عبد الله - بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : «من أصبح منكم آمناً في سِرْبه ، مُعَافىً في جَسَده ، عنده قُوتُ يَوْمه ، فكأنما حِيزتْ له الدنيا بحذافيرها»[10] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «قد أفلح من أسلم ، وكان رزقه كفافاً ، وقنّعه الله بما آتاه»[11] .

قال الله تعالى : **﴿ولا تمدَّنَّ عينيك إلى مَا مَتَّعْنَا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا**

(٩) الفتح (٢٧٢/ ١١).

(١٠) أخرجه الترمذي (٢٤٤٩/ ٥/ ٤أ)، وابن ماجه (٤١٤١/ ١٧/ ١٣/ ٢).

(١١) أخرجه مسلم (١٠٥٤/ ٧٣٠/ ٢)، والترمذي(٢٤٥٢/ ٦/ ٤)، وابن ماجه (٤١٣٨/ ١٦/ ١٣/ ٢).

لنفتنهم فيه ورزق ربك خَيْرٌ وأبقى﴾ .

وإذا رأيت من هو أكثر منك مالاً وولداً ، فاعلم أن هناك من أنت أكثر منه مالاً وولداً ، فانظر إلى من أنت فوقه ، ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فإلى هذا أرشدك المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : «انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»(١٢) .

* قوله صلى الله عليه وسلم : «وأحسنْ إلى جارك تكن مؤمناً» :

قد أمر الله بالإحسان إلى الجيران ؛ فقال تعالى : **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أَيمانكم﴾** .

وقد كثرت الأحاديث أيضاً في ذلك ، منها :

قوله صلى الله عليه وسلم : «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه»(١٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليحسن إلى جاره»(١٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»(١٥) .

فإذا لم تقدر على الإحسان إلى جارك ؛ فكُفَّ عنه أذاك ، وإذا لم يكن مؤذياً لك ؛ فليزمك الصبر عليه ، حتى يجعل الله لك فرجاً .

قال الحسن : «ليس حسن الجوار كفَّ الأذى ، ولكن حسن الجوار احتمال الأذى» .

أما أذى الجار ؛ فمحرم ؛ لأن الأذى بغير حق مُحَرَّم على كل أحد ، ولكن في حق الجار ما هو أشد تحريماً ؛ فعن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : «أي الذنب أَعظم؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» . قيل : ثم أيّ؟ قال : «أن تقتل ولدك مخافة أن يَطْعَمَ مَعَك» . قيل : ثم أيّ؟ قال : «أن تُزاني حليلة جارك»(١٦) .

وعن المقداد بن الأسود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما تقولون في الزِّنَا؟» ، قالوا : حَرَامٌ ؛ حرّمه الله ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لأن يزني الرجل بِعَشْرِ نِسْوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره» ، قال : ثم سألهم عن السرقة ، قالوا : حرام ، حرمه الله ورسوله ؛ فهو حرام إلى يوم القيامة ، قال : «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من

---

(١٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٣/ ٢٢٧٥/ ٤)، والترمذي(٢٦٣٢/ ٧٥/ ٤)، وابن ماجه (٤١٤٢/ ١٣٨٧/ ٢).

(١٣) أخرجه البخاري (٦٠١٤/ ١٠)، ومسلم (٢٦٢٤/ ٢٠٢٥/ ٤).

(١٤) أخرجه مسلم (٤٨/ ٦٩/ ١).

(١٥) أخرجه الترمذي (٢٠٠٩/ ٢٢٤/ ٣).

(١٦) أخرجه البخاري (٤٤٧٧/ ١٦٣/ ٨)، ومسلم (٨٦/ ٩٠/ ١).

بيت جاره»(١٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن» ، قيل : من يا رسول الله؟ قال : «من لا يأمن جارهُ بوائقه»(١٨) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يدخل الجنةَ من لا يَأْمَنُ جارُه بوَائِقَهُ»(١٩) .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحثّ الجيران على التهادي ، والصلة ، وكان ينهى عن احتقار ما يقدمه الجار لجاره .

فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «تهادوا تَحَابُّوا»(٢٠) .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا نساءَ المؤمنات لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارَتِها وَلَو فِرسِنَ شَاةِ»(٢١) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أبا ذر! إذا طبختَ مَرَقَةً فَأَكْثِرَ مَاءَها ، وتعاهد جيرانك منها»(٢٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله إنَّ لي جارتين ، فإلى أيّهما أُهدي؟ قال : «إلى أَقْرَبهما منك باباً»(٢٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً» ؛ أي : كامل الإيمان ؛ لأنَّ الإيمان يزيد وينقص ؛ كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح .

* وقوله صلى الله عليه وسلم : «وأحبَّ للناس ما تُحِبُّ لنفسك تَكُنْ مسلماً» ؛ أي : كامل الإسلام ، وهو يفيد أنه على قدر نقصان هذا الحب ينقص الإسلام .

وقد رتب النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الخصلة دخول الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم : «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فلْتدركه منيّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحبُّ أن يؤتى إليه»(٢٤) .

وإنما يصل المرء إلى هذه الرتبة بكمال سلامة صدره ؛ من الغش ، والغل ، والحسد ، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه ، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم ، والإيمان يقتضي خلاف ذلك ، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن

(١٧) أخرجه أحمد (١٨٧/ ٧١/ ١٦).
(١٨) أخرجه البخاري (٦٠١٦/ ٤٤٣/ ١٠).
(١٩) أخرجه مسلم (٤٦/ ٦٨/ ١).
(٢٠) أخرجه البيهقي(١٦٩/ ٦).
(٢١) أخرجه البخاري (٢٥٦٦/ ١٩٧/ ٥)، ومسلم (١٠٣٠/ ٧١٤/ ٢)، والفرسَن: الظلف.
(٢٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٥ – ١٤٢/ ٢٠٢٥/ ٤).
(٢٣) أخرجه البخاري (٢٥٩٥ / ٢١٩ / ٥) و (٥١٣٣ / ٦٣ / ١٤).
(٢٤) أخرجه مسلم (١٨٤٤/ ١٤٧٢، ٤٧١/ ٣)، والنسائي (١٥٣/ ٧).

ينقص عليه منه شيء .

وفي الجملة ينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، فإنْ رأى في أخيه المسلم نقصاً في دِينه اجتهد في إصلاحه ، وإنْ رأى في غيره فضيلة فاق بها عليه فيتمنى لنفسه مثلها ، فإنْ كانت الفضيلةُ دينيةً كان حسناً ، وَقدْ قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لا حسدَ إلا في اثنتين : رجلٍ آتاه الله مالاً فسلّطه على هَلَكَتِهِ في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها»[٢٥] .

وإن كانت دنيوية فلا خير فيها ، وقد قال تعالى : ﴿ولا تتمنّوا ما فضَّلَ اللهُ به بعضَكُم على بعضٍ﴾ .

وقال تعالى عن قارون : ﴿فَخَرَجَ على قومه في زينَتِه قال الذين يريدون الحياةَ الدُّنيا يا ليتَ لنا مثلَ ما أوتي قارون إنه لذو حظٍّ عظيم﴾ فلما خسف الله به وبداره الأرض قال الذين تمنَّوا مكانه بالأمس : ﴿ويكأنَّ اللهَ يبسطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ من عبادِهِ ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا وَيْكَأَنَّه لا يفلح الكافرون﴾ .

* وأما قوله صلى الله عليه وسلم : «ولا تكثر الضحك ؛ فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب» ؛ ففيه النهي الظاهر عن كثرة الضحك ، وبيان علة النهي ؛ وهي : «أن كثرة الضحك تميت القلب» ؛ أي : تجعله مغموراً في الظلمات ، بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة ، ولا يدفع عنها شيئاً من مكروه ، وحياته وإشراقه مادة كل خير ، وموته وظلمته مادة كل شر ، وبحياته تكون قوته ، وسمعه ، وبصره ، وتصور المعلومات وحقائقها على ما هي عليه .

وفي الحديث إيذان بقليل الضحك لا سيما للمصلحة ، وهذا هو هدي النبيين ، وعباد الله الصالحين .

قال تعالى عن سليمان عليه السلام ـ لما سمع قول النملة ـ : ﴿فتبسّم ضَاحِكاً من قولها﴾ .

وعن سعد بن أبي وقاص قال : كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين (أي : أثخن فيهم وعمل فيهم عمل النار) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد : «ارم فِداك أَبِي وأُمِّي» ،قال : فنزعت له بسهم ليس فيه نصل ، فأصبت جنبه ، فسقط ، فانكشفت عورته ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى نظرت إلى نواجذه[٢٦] وسروره صلى الله عليه وسلم بإصابة الرجل ، لا بانكشاف عورته ؛ فإنه المنزه عن ذلك . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «وإني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً ، رجل يخرج من النار حَبْواً ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها ، فيخيّل إليه أنها ملأى ، فيرجع ، فيقول : يا رب! وجدتها ملأى ، فيقول : اذهب ، فادخل الجنة ،

---

(٢٥) أخرجه البخاري (٧٣/ ١٦٥/ ١)، مسلم(٨١٦/ ٥٥٩/ ١).

(٢٦) أخرجه مسلم (٢٤١٢/ ١٤٧٦/ ٤).

فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملأى ، فيرجع . فيقول : يا رب! وجدتُها ملأى ، فيقول : اذهب فادخل الجنة ، فإنَّ لك الدنيا وعشرة أمثالها ، فيقول : تسخر مني - أو : تضحك مني - وأنت الملك؟!» ، فلقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ، وكان يقول : «ذلك أدنى أهل الجنة منزلاً»[٢٧] .

ولكن هذا الضّحك منه صلى الله عليه وسلم كان على غير عادته ، فقد كان جُلَّ ضحكته التبسم ؛ فعن سماك بن حرب ، قال : قلت : لجابر بن سَمُرَة : أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم ، كثيراً ، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت الشمس قام ، وكانوا يتحدَّثون فيأخذون في أمر الجاهلية ، فيضحكون ويبتسم[٢٨] .

وقيل لعمر : هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال : نعم ، والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي .

ولقد بلغ من سماحة الإسلام أن جعل التبسم وطلاقة الوجه عند لقاء الأخ لأخيه من الصدقات .

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : «لا تَحْقِرنَّ من المعروف شَيْئاً ، ولو أَنْ تَلْقَى أخاك بوجه طَلْق»[٢٩] .

إن الإسلام دين واقعي ، لا يحلّق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة ، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع ، ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، ولكنه يعاملهم بشراً ، يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، لذلك لم يفرض عليهم - ولم يفترض فيهم - أن يكون كُلُّ كلامهم ذِكراً ، وكل صمتهم فكراً ، وكل فراغهم في المسجد ، وإنما اعترف بهم ، وبفطرهم ، وغرائزهم التي خلقهم الله عليها وقد خلقهم سبحانه يفرحون ، ويمرحون ، ويضحكون ، ويلعبون ،كما خلقهم يأكلون ، ويشربون ، فلا بأس على المسلم أن يفكه ويمزح بما يشرح صدره ، ولا حرج عليه أن يروّح نفسه ونفوس رفقائه بلهو مباح ، على أن لا يجعل ذلك ديدنه وخلُقه في كل أوقاته ، ويملأ به صباحه ومساءه ، فينشغل به عن الواجبات ، ويهزل في موضع الجد ، ولذا قيل : أَعْط الكلام من المزاح ، ما يُعطي الطَّعامَ مِن الملح .

هذا ، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(٢٧) أخرجه البخاري (٦٥٧١/ ٤١٨ و٤١٩/ ١١)، ومسلم (١٨٦/ ١٧٣/ ١).

(٢٨) أخرجه مسلم (٦٧٠/ ٤٦٣/ ١) والنسائي (٨٠ و ٨١/ ٣).

(٢٩) أخرجه مسلم (٢٦٢٦/ ٢٠٢٦/ ٤).

وقفات مع موالد بعض الأولياء

الشيخ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس

□ الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله تعالى قد حذر من الابتداع في الدين والإحداث فيه بغير حق، وجعل ذلك تشريعاً بغير إذن الله تعالى، فقال عز وجل: **﴿أَمْ لَهُم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾** وقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

ومن أخطر البدع والمنكرات في زماننا، تلك الموالد التي جرى العمل على الاحتفال بها في كثير من البلدان الإسلامية، مما يقام في أوقات معينة من العام، ويتكرر كل عام، وبعض من هذه الموالد قد يستمر لعدة أيام، وفيها من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وأعظم هذه المفاسد: الطواف بالأضرحة التي عملت للمقبورين من أنبياء، وأولياء، وغيرهم، وطلب قضاء الحوائج منهم، وتقديم النُّذور لهم، وهذا كلُّه إشراكٌ بالله العظيم، ثم ما يلي ذلك من تعطيل بيوت العبادة وهجرها والاجتماع فيها بذكر الموالد يوماً أو أياماً، وكذلك تحول هذه الموالد إلى مواسم للسرقة، والدَّعَارة، وشرب المسكرات، والتفاخر بأنواع الفجور والمنكرات، مما لا ينكره عاقل، وكذلك التعبد بما لم يأذن به الله تعالى من عبادات وأوراد مبتدعة محدثة، فيها من الشركيات ما لا يعلمه إلا الله.

وكل هذه الموالد لا أصل لها في دين الله تعالى، وليست من هدي رسول الله ﷺ، ولا أصحابه، ولا التابعين لهم بإحسان، فلا هُم أقاموها، ولا استحسنوها، ولا أقروها، ولو كانت خيراً لسبقونا إليه:

وكلُّ خيرٍ في اتّباع من سلف
وكلُّ شَرٍّ في ابتداع من خلف

ومما يبعث الأسى والحزن أن بعض من تقام لهم الموالد، ويسمَّون بالأولياء الصالحين، ليسوا بأولياء، ولا صالحين، بل عندهم أنواعٌ خطيرة من الابتداع في الدين،

والضلال في العقائد ، بل منهم من بلغ به ضلال العقيدة حداً خطيراً ، وأنا أشير باختصار إلى ثلاثة من أصحاب الموالد ، الذين تقام لهم الموالد ، وأشير إلى شيء من عقيدتهم ، فأقول :

الأول: المناوي:

فمن عقائده : أن النبي ﷺ مخلوق من نور الله تعالى ، فهو جزء من الذات القدسية ، وأن المخلوقات الأُخرى هي من نوره ﷺ ، إلى غير ذلك من أقواله الباطلة في دين الله ، والتي لا دليل عليها ، بل هي رجم بالغيب ، فمن ذلك قوله : «ولما تعلقت إرادة الله بتكوين الكائنات علوية وسفلية ، وبدئها بأشرف العالمين أُصولاً ، وأرفعهم في المقام ، خلق نور محمد من صفاء بياض أنوار ذاته القدسية ، فدار بالقدرة ، وتقلب في خزائن الغيب ، حيث شاء الملك العلاّم» ويقول : «ثم خلق منه -من نور محمد- العرش ، والكرسي ، واللوح ، والقلم . . .» إلخ ، وقال : «ومنه خلق العرش والكرسي ، وخلق الجن والإنس ، وخلق البدر والشمس ، وخلق اللوح والقلم . . .» راجع (١٣-١٤) من موالده .

وهذا كلُّه باطل ، خطير ، عظيم ، مناقض للنصوص الشرعية ، حيث أمر الله تعالى نبيَّه محمَّداً ﷺ أن يعلن بشريته ، فقال تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ وبيَّن أصل خِلْقة الجن ، والملائكة ، والإنس ، فقال تعالى : ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجانَّ من مارج من نار﴾ وقال النبي ﷺ : «خلِقت الملائكة من نور ، وخلق الجانّ من مارج ، وخلق آدم مما وصف لكم» ، ولو كان النبي ﷺ منْ نُور اللَّه مَا مَات ، وقد حَكَمَ اللَّه بِموْته ، حَيْثُ قَالَ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾ ومن ضلاله قوله : «لمَّا رام آدمُ القرب من حواء قَالَتْ لَه الملائكة : حتى تؤدِّي صداقها بالكمال والتمام ، فقال ما هو؟ قالوا : أن تصلي على محمد بن عبد الله ثلاث مرات ، وفي رواية : عشرين عددية ، ففعل ، فجرى وجوب الصداق في ذريته على مر الدهور والأعوام» .

ولا ندري من أين جاء بهذا الكلام العجيب؟! وما إسناده؟! ومن الذي أخبره بذلك؟! هذا أمر عجيب!

وقال أيضاً : «ولمّا خلق الله أدم من طين ، وتكاملت أوصافه البشرية ، أَمر الروح أن تدخل في جسده ، فمكثت في رأسه مائة عام ، وفي صدره مائة عام ، وفي ساقه مائة عام ، ثم أسكن نور محمد في ظهره . . .إلخ» (ص١٤) وهذا يتناقض مع ما ذكره أولاً من خلق آدم من نور محمد ﷺ ، ولا أعرف من أين جاء بكل ذلك؟! وله ضلالات أخرى

غير ما ذكر .

الثاني: أبو بصير:

فإنه كان مِنَ الغَالين في شأن النبي ﷺ ، حتى إنَّهُ جعل ليلة مولده خيراً من ليلة القدر ، يقول : «ليلة القدر أراها أحْسَنَ»!! فخالف بذلك كتاب الله ، وإجماع الأُمة ، حيث قال تعالى : ﴿لَيْلَةُ القَدر خير من ألف شهر﴾ .

وأظهرَ القول بإحياءِ والديْ رسول الله ﷺ ، وهو معتمِد على حديث موضوع كذب ، يخالف ما صح عن النبي ﷺ مما يخالفه .

وأتى بأشياء مغيبة لا دليل عليها ، وفيها من الغلوّ ما لا يخفى ، كما قال : وبشّرت دوابُّهم به بعمله ، ونطقت ليلة بفضله ، والوحش في الشرق هو الخبير : فهو لو سن المغرب البشير ، هذه البراري وكذا البحور : حيتانها لبعض بشير ، وكأنما كان يعرف لغة الطير والوحش .

وقال أيضاً : «وجاد ربي للنساء أن حملت في عامها ذُكوراً»

وكأنه عَلِمَ عِلْمَ الغيب ، وأجرى إحصائيات أثبتت أن مواليد ذلك العام كانوا كلهم ذكوراً .

ويجيز التوسل بذات النبي عليه السلام ، حيث يقول : «يا ربنا! بجاهه عليك ، إنا توسّلنا به إليك» ، وهذا التوسل توسل بدعي ، لا يجوز ، ولم يُرشد إليه النبيُّ ﷺ ، ولم يفعله أحد من أصحابه لا في حياته ﷺ ولا بعد موته .

وضلاله كثير غير ما ذكر .

الثالث: الشيخ عبده الشهير بـ (الحمصي)

وأقواله تكشف بوضوح عقائد شركيّة ؛ كالقول بوحدة الوجود وكعقيدة الحلول ، وفظاعة الغلو في شأن رسول الله ﷺ .

يقول الحمصي : «الحمد لله الذي أظهر من باطن خفاء عماء ليل هوية الأحدية ، مطالع أنوار فجر صبح حضرة الحقيقة المحمدية ، ثم سلخ منها جميع العالم ، فكانت للأشياء في نسابة دم ، فرفع بها ووضع ، وفرق وجمع ، وقرب وأبعد ، وأشقى وأسعد ، فهي كلمة الفصل ؛ التي لم تَزَلْ رَاجِعَةً لِلأَصْل ، ونقطة الشكل ؛ التي بها سر الوصل ، ونور الكاف ؛ عند أهل الأعراف ، قديمة في الفم ، حادثة في الجسم ، معناها الوجود ، ومجلاها الحدود ، سارية في الأزمان ، كالشمس في الأكوان . . .» إلخ ، راجعه مقدمة «مولده» (ص١) وهذا فيه إخبار بأن النبي ﷺ هو أبو الوجود كله ، وهذه طامّة كبرى .

وادعى كذا للغير ضلاله -أن النبي ﷺ

يعلم الغيب»- قال : «وأشهده مالك الملك ذو الجلال والإكرام مفاتيح الغيب» .

فكذب بذلك ، وخالف قول الله تعالى : ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت**﴾ الآية .

وضلاله كثير غير ما ذكر .

والمقصود من كلامنا هذا : بيان مدى الجرم في حق الإسلام والعقيدة الذي يتمثل في إقامة الموالد لأمثال هؤلاء وغيرهم ، بل حتى لمن كان صالحاً في نفسه ، وما تمثله هذه الموالد من تعدٍّ خطير على شرع الله تعالى ، وتقول على الله بغير علم ، وابتداع في دينه ، وإعراض عن السنة ، وإقامة للبدعة ، واتباع للهوى ، وإغضاب للرحمن ، وإرضاء للشيطان ، ونشر للفجور ، وطمس لمعالم الشريعة الغراء ، فالواجب على المسلمين في كل البلاد ؛ العودة إلى طاعة رب العباد ، والإعراض عن طرق الغواية والضلال ، وتنكب مظاهر الشرك والابتداع .

والله الهادي إلى سواء السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

■ ■ ■

لا تطلبوا الحوائجَ في غير حينها، ولا تطلبوها إلى غير أهلها، ولا تطلبوا ما لستم له بأهلٍ؛ فتكونوا للمنع خُلَقاء.

طغيان القلم

بقلم : الشيخ د. محمد موسى نصر

□ كرَّم اللهُ القلم ؛ بأن جعله أول مخلوق ؛ كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر .

وأقسم به لشرفه وشرف ما يتوصل به إليه ، فقال : ﴿ن والقَلَمِ وما يَسطُرون﴾ ؛ فأقسم بهذا على أن دعوة نبينا محمد ﷺ مسندة إلى رجل معصوم يتمتع بكامل العقل والقوى ، لذلك أَعقب ذلك بقوله : ﴿ما أَنْتَ بِنِعمَة ربِّك بِمَجنون﴾ ؛ لأن الجنون آفة مانعة من التكليف والتبليغ والدعوة ، وهو من أسباب الطغيان .

لذلك فمن كان به جنون لا يصلح لحمل القلم ، ولا الخط به ، فكيف إذا أسند هذا القلم إلى مجنون من مجانين الأرض ، فإنه لن يكون إلا فتكاً بالأمة إذ هو كمجنون أعطي قنبلة أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل .

ولأهمية القلم في العلم وتدوينه ، ورد ذكره في مواطن أخرى من الكتاب العزيز ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ ما في الأرضِ من شجرةٍ أَقْلامٌ والبَحْرُ يَمُدُّه من بعده سبعةُ أَبْحرٍ ما نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ .

ولأهمية القلم ، وعلوِّ شأنه في الإسلام ؛ فإنه بالإضافة إلى أن الله تعالى أقسم به في سورة القلم التي سميت باسمه أول ما قرع سمع النبي ﷺ من آيات الذكر الحكيم تعظيم شأن القلم في أول سورة أنزلهاالله على نبيه ، قال تعالى : ﴿الَّذي عَلَّم بالقلم ، علَّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾ .

فلأهمية العلم . ووسائل تحصيله بَيّن الله لنا ذلك من خلال سورة العلق ؛ لأن المجتمع الجاهلي كان أُميّاً لا يقرأ ، ولا يكتب إلا ما ندر ، وهي آفة الآفات على مر العصور ، وكر الدهور ، فبداية الإصلاح البشري تكون

بالعلم المقروء والمتلو .

ولما كان المقروء عرضة للنسيان . . . فالضياع ؛ أوجب الإسلام تدوينه عن طريق الكتابة ؛ فالقلم هو القلم مهما تغيرت أشكاله ووسائله .

وهو أمانة في عنق حامله لا ينبغي أن يستعمله إلا في الرسالة التي أرسل بها النبيون وورثتهم من العلماء ، فإساءة استغلال القلم كإساءة استغلال السلاح كلاهما يفضي إلى الدمار في العقول والنفوس ، ولذا قال فيه الشاعر :

إذا اهتزَّ في طِرْسِهِ مُعْجَباً

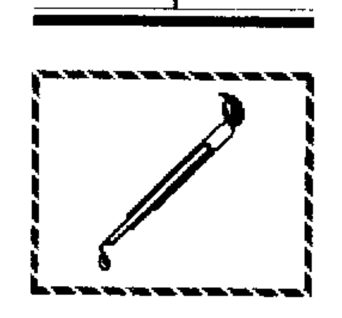
أذل شعوباً وأعلى شعوباً

فعلى أرباب الأقلام أن يتقوا الله في أقلامهم ، لأن القول أمانة منوطة في أعناقهم ، والله سائلهم عن هذه الأمانة ، التي عرضها على السموات والأرض والجبال فأبت أن تحملها ، وارتجفت من أهوالها أيّاماً كما جاء في بعض التفاسير .

فلا يحل لصاحب قلم آمن بالله ربًا وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً : أن يطغى قلمه ، فيجمح عن الحق ، ويجنح إلى الباطل ، والطغيان من خلال قذف الآخرين ، والاستهزاء بهم ، والسخرية ، والتجهيل ، والتسبيح بحمد نفسه ، أو حمد غيره دون حمد ربه .

فالأقلام خلقت لتقديس الله وتعظيمه ، والدعوة إليه ، وتعريف الخلق بربهم ، ومعبودهم الحق ، لا التزلف إلى أهل الدنيا ، ولا ترويج البدع ، ولا المدح الكاذبِ الذي أُمِرْنا أن نحثوَ في وجوه أصحابه التراب ـ ولا الدعوة إلى المناهج الفاسدة وغيرها .

فما أحوج كثيراً من الأقلام إلى الكسر ، وأصحابها إلى الحَجْر ؛ لأنهم أَساؤا استخدامها ، وامتطوا بها متن الباطل ؛ ليصلوا بها إلى حظوظ أنفسهم . . . فالله المستعان .



مناظرة أهل الكتاب

الشيخ سعد الحصين

□ الدّعوة إلى الله عبادة، والعبادة لها طريق مستقيم واحد، لا يجوز تغييره ولا تبديله، ولا العدول عنه مهما تغيّر الزّمان، والمكان، والأحوال: وحي الله في كتابه، وسنة رسوله، وسبيل المؤمنين في القرون الخيّرة: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونُصله جهنم وساءت مصيراً﴾**، وإن عدل عنه أكثر الأفراد، والجماعات، والأحزاب الموصوفة بالإسلامية، والمنتسبة إلى الدعوة: **﴿قل لا يستوي الخبيث والطيّب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾**.

واقتداء بمنهاج النبوة والرسالة يجب أن يتجه اهتمام الداعي إلى الله لإصلاح المنتسبين إلى الإسلام أولاً، قبل أهل الكتاب والمشركين: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**.

وأكثر المنتسبين إلى الإسلام بعد القرون الخيّرة خالفوا آخر وأهم وصايا النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد عن أبي عبيدة رضي الله عنه: كان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم: «... واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبورأنبيائهم مساجد»، وما رواه مسلم عن جندب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك»، وما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قال: فلولا ذلك لأُبْرِزَ قبره غير أنه خُشي أن يُتّخذ مسجداً.

ونافس المنتسبون للإسلام والسنّة ـ اليوم ومنذ قرون ـ اليهود على مساجد قبور أنبيائهم، ونافسوا النّصارى على مقامات الخضر، ونافسوا فرق الضلال على مزارات ومشاهد شعيب، والحسين، وزينب و(أسماء يصعب حصرها) ما أنزل الله بها من سلطان، وما هي إلا أساس أوثان، وأنصاب، وأصنام

المشركين من عهد نوح ، فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : «أولئك (أوثان قوم نوح) أسماء رجال صالحين ، لمّا ماتوا أوحى الشيطان إلى مَن بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً» ، وفيما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ـ في مرض موته عن قبور وصور القديسين في كنائسهم ـ : «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بَنَوْا على قبره مسجداً ، وصوّروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» .

واليوم برز لدعوة أهل الكتاب ومجادلتهم من لم يعرف منهاج النبوة في الدين والدّعوة ، ولا ظهر منه إنكار للشرك وما دونه من البدع ؛ التي يتقرب بها أكثر المنتسبين إلى الإسلام إلى الله ، وانصرف إلى دراسة التوراة والإنجيل للردّ على أهلها أكثر مما انصرف لتدبر كتاب الله والعمل به وتبليغه .

وهذا النّهج انحراف عن منهاج الشريعة وسنن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الدعوة إلى الله على بصيرة كما أمر الله : البدء بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة أولاً وقبل كل شيء «حتى يوحدوا الله» ، ثم إلى تحكيم شريعة الله في العبادات ثم المعاملات ، وبيان ما أحلّ الله وما حرّم وتحبيب الخالق إلى خلقه : **﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾** ، **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** والحكمة هي السنة : **﴿وأنزَل عليك الكتاب والحكمة﴾** ، **﴿واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾** .

وقد خصّ الله أهل الكتاب بنهي المسلمين عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، مع دخولهم في عموم الآية الأُخرى : **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وإليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾** .

وليس من الإحسان سبّ كتبهم واتهامها بفساد اللغة والتناقض في القصص كما يفعل أبرز مجادليهم اليوم ؛ فقد نهى الله عن سبّ آلهة المشركين حتى لا يسبّوا الله : **﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغير علم﴾** وصدق الله : لقد دفع سبّ المسلم التوراة والإنجيل إلى سبّ النصراني القرآن ، واتهامه بمخالفة قواعد اللغة العربية ، والتناقض في القصص .

والالتزام بشرع الله في الدعوة ببيان فضل الإسلام وتصديقه لما قَبْله من الرسالات خير من مهاجمة أهلها ، وقد تبين لمكاتب دعوة الجاليات في المملكة صحة ذلك عملياً ، والله أعلم وأحكم .

■ ■ ■

من أدب الرسائل ورسائل الأدب

بقلم : الشيخ الأستاذ محمد بن إبراهيم شقرة

□ رسالتي هذه إلى أبنائي المبثوثين في أرجاء الأرض : مشارقها ومغاربها ، مَن أعرف منهم ومن لا أعرف ، من أحسن منهم إليَّ ومن أساء ، من أقبل عليَّ سليم الصدر ومن أعرض في وحره ؛ فإن لهم جميعاً في عُنقي حقاً يجب الوفاء به من غير ميز بينهم ، فقد وسعتُهم بحبِّي وعفوي ، وإشفاقي وشفقتي ، فمن أخذ بما فيها فهو الذي أحبُّ ، ومن غُصَّ بكلماتها فذا الذي هو أحبُّ ، وإن أريد إلا الإصلاح والنُّصح والبلاغ ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد :

أي بنيَّ العزيز ، وفقه الله ورعاه ، وسدّد على درب الخيْر خطاه فإن المرء لا يعمد أن يكتب بقلمه ، لأقرب الناس ، وأحبهم إليه ، وأدناهم منزلةً منه ، إلا حين تجمد الحروف على لسانه ، وتستعجم الكلمات في فمه ، أو حين لا يجد منه حسن إصغاء لحديثه ، أو حين يكون بعيداً نائياً عنه ، لا يسمعُه إن أراد أن يحدِّثه ، وإنه لأحب إليَّ أن تكون كلها ، إلا أن تكون الثانية ، فحينئذ وددت لو لم تكن ، وإن كانت ستكون ، فلدقائق معدودات ، بل لثوان مسرعات .

ولعل الأمر وقع على غير ما أحب ، لعله وعلى غير ما تحب أنت أيضاً ، وإذ أن الأمر كان ، فلست واجداً أمامي سوى قلمي -الذي طالما بثثته نَجْوايَ ، فلم يستطل عليَّ بلسانه ، ولم يلو عني بعنانه ، وما بخل عليَّ يوماً بحسن بيانه -أفضي إليه بمكنون فؤادي ، في صمت بلا همس ، وألم بلا دمع ، وحزن بلا تأوُّه ، وأنا بين ظَنَّين اثنين ، لست أُرجح أحدهما على الآخر ، غير أن ما صرت إليه من عناء ، وتلبثت على رمضاء ، وقرار على رماد ، يؤزرني شديداً للكتابة ، محتسباً ما أمضين من جهد ساعات فيها عند الله ، أرجو ثوابها يوم لا ينفع نفساً إلا صالح عَمَلٍ أسلفته لها .

ولعل هذا وحـــده يكفي ، ولكن يا بني تعلم ، أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبها كيف يشاء ، والأمر أولاً وآخراً بيده ، من هنا فقد بتٌّ على ما يشبه اليقين أن سيكون لكلماتي هذه قبول عندك ، تلقاه رضاً من الله عليك ، وحبّاً في صدور الناس ، تجد له حلاوة في قلبك ، وتذرف بها عيناك دمعة من فرح ، وترتسم بها بسمة وارف ظلها على شفتيك ، من رغبة في رجاء فيما عند الله ، وتحدث راحة تشيع في صدرك من حرص على إحسان ، امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً**﴾ ، وتستذكر بها أن الجنة عند أقدامهما .

واعلم يا بني -والذي أخرجك من عدم ، وسوّاك بفطرة السَّدَم ، وخلقك لتعبده ، فَإمَّا إلى زلَّة مهلكة ، وإما إلى ثبات على الصراط للقدم- أنك ما كنت عندي يوماً -ولا تزال- إلا ذلك الوليد الصغير ، الذي جَاءَ على حين لهفة ، يدثِّره الشوق الآمل ، ويزَمِّله الشِّعار النَّاعِم ، وَيَحُوطه الحُبُّ الراحم ، عشنا بك وفيك فرحةً عارمةً ، ظلّت في حياتنا -ورجائي في الله كبير أن تبقى- زَمَاناً ، حتى إني لأكاد وأنا أَستذكرها ، أقول : إنها أحلام اليقظة ، ما لبثتْ أن تبدّدت على مرارة الواقع ، بيد أن ظنّي بِالله حسنٌ ، فهو المحيي العظام وهي رميم ، والله على جمعها إذا يشاء قدير .

واعلم يا بني العزيز ، أَن عمر الإنسان ينقضي بانقضاء الليالي والأيام ، ويذهب بذهاب الشهور والأعوام ، ويفنى بفناء الظنون والأوهام ، وليس بالعاقل ذلك الذي لا يبتدر أجله المحتوم بالصالحات ، وتنقطع به لذائذ البدايات عن نوال متاعب النهايات ، ومقاطع الغايات .

واعلم يا بني : أن عمر الإنسان يبدأ في النَّقص منذ اللحظة التي يولد فيها ، وكلّما رقى في سلّم عمره يوماً نزل فيه يوماً ، حتى إذا وصل أعلى السلم كان قد وصل في الوقت نفسه أدناه ، ويقف الإنسان في هذا السلّم عند اليوم الذي يبلغ فيه سنّ الرشد ؛ ليبدأ يعقل عن ربه سبحانه الخطابات السماوية ، على مقتضى الحكمة الإلهية ، بما يوافق عقيدة التوحيد التي ارتضاها ربُّ العباد للعباد .

وفي هذا اليوم يكون التحول ، الذي لا يصلح أمر العبد بعده إلا بخضوعه واستجابته لهذه الخطابات التكليفية ، فإن العبد مال عنها ، أو زاغ عن مراد الله فيها ، وامتطى ظهر الهوى ، واعتلى متن الرغائب ، فقد أصار نفسه إلى غير رشد ، وأفلت زمامه من يد التوفيق ، وأسلمها إلى غير عافية الهوى ، ثم هو من بعد موبقها -عياذاً بالله- إلى غمرة العذاب ، ولا رادّ له عنها ، إلا أن

تدركه رحمة من ـ الله سبحانه- بعد مسٍّ عذاب يطول بذنْبه أو يقصر ، وليس يغيب عنه يومئذ : أن الله سبحانه قد أملى له حياته ، ووسعه حلمه ، فلمَ يَلمْ نفسه بسوء عمله ، كي يكفّها عن غرور ألمَّ بها ، فعقرها ، وأوثقها إلى طُنُبه .

واعلم يا ولدي العزيز : أن الله لم يملك الإنسانَ عمره ، بل جعله إليه وحده ، ينهيه متى شاء ، ويقطعه كيف أراد ، وأراده أن يسعى منذ أن يكلّفه ، وإلى أن يلقاه ، في طواعين المخبتين ، وإخبات الطائعين ، ثم ليقف بين يديه ليسأله : عن عمره فيم أفناه؟ وعن جسده الذي أحاطه إهاب عمره فيم أبلاه؟ وعن ماله الذي حازه بجهد عمره فيم أنفق؟ وعن علمه الذي زيّن به عمره ماذا عمل به؟ فاحرص يا بني أن لا تنفق ساعة من عمرك هذا ، إلا وأنت قابض بقلبك ، وكلتا يديك على حبل عبادته ، وعروة طاعته ، في صدق إخلاص له ، وحسن استقامة على أمره ونهيه ، فَأْت ما أمرك الله ، مخلصاً له الدين ، ودع ما نهاك عنه نادماً على ما فرط منك .

واعلم يا بني : أن للطاعة نوراً يديم الهداية إليها ، وأن للمعصية ظلمة تغطي القلب لن تزول إلا باجتنابها وقطع الوصل بها ، والحسنات يا بني يذهبن السيِّئات ، فإنهن إذا اجتمعن على العبد ، أمسكت بجمع يدها بناصيته ، واقتادته بها إلى شفا جرف فانهار به في نار جهنم .

واعلم يا ولدي : أن الله سبحانه قد هيّأ للطاعة سبلها ، ودلّ العبد عليها ، وهداه إليها ، وجعل للمعصية أسبابها ، وعرّف العبد بها ، وحذّره منها ، والطاعة يلازمها الاطمئنان والتوفيق ، والمعصية يلازمها القلق والتّحيُّر ، فإذا لم يكن من الله عون لك في درء السيِّئات ، وجلب الحسنات ، فقد صنعت لنفسك سربالاً أسود قاتماً ، لا يراه الناس بعيونهم ، ولكن يعرفه الصالحون بقلوبهم ، فينأون عنك ، ويفردونك بعزلة ، يضعونك فيها بين مخالب الشيطان ، فتكون له صيداً سهلاً لذيذاً ، يسّرك لنفسه في أيَّة ساعة من ساعات حياتك ، بل وفي كل دقيقة ، فلا تملك إلا أن تطيعه في كل ما يوسوس به إليك ، وأنت فرح لا تداخلك في طاعته ندامة ، ولا يخالطك في الاستجابة لوسوسته إلا السرور والرضا .

واعلم يا ولدي : أن الزمان قد تقارب ، فصارتِ السَّنةُ شهراً ، والشهر أُسبوعاً ، والأُسبوع يوماً ، واليوم ساعة ، والساعة كضرمة نار ، والعمر يجري معها ما تجري الريح بغبار يثيره عَصْفُها ، فلا تدعنَّ عمرك يا بني منهوباً ، مبدّداً ، مسلوب الإِرادة ، حتى إذا ما دنا الأجل ، على مهل أو عجل -ولا يدري العبد أيأتيه الموت في مهده ، أم في

شبابه ، أم في شيخوخته- قلتَ : ليتني فعلت وفعلت ، واللّيت هذه لا تدفع ضراً ، ولا تأتي بشيء ينفع ، وهذا هو العجز والكسل ، فلا يكونن منك ذلك يا بني ، ووالله ما كان لستَ تدركه في شبابك وأنت مدبر عن الحياة ، وتنسى هذا الحق له وأنت في صدر القوة والشباب .

واعلم يا بني : أنه ليس أفسد للفطرة ، ولا أضر بصبغة الله في النفس ، من أن ينزع العبد عن نفسه عذار الحياء ، ويهتك عنها ستر الله ، والحياء يا بني شعبة من شعب الإيمان ، وبه يعانق العبد رجاء الإحسان ، وينال ما ينال من الخير من فيض الرحمن ، وأولى ما يكون الحياء من الله ، أما الحياء من الناس ، فهو شيء يسير جداً جداً من الحياء الذي ينبغي لله سبحانه ، وليس من التقوى أن يستحيي العبد من عبدٍ مثلِه ثم لا يكون منه حياء من ربه ، فيصيب في خفية من الناس ، فكيف أن يقارف ذنباً من غير حياء من الله -والله الأحق أن يستحيا منه- فذاك شرك أصابه أو يصيبه من تَعَمِّي السبيل عليه إلى رحمة الله سبحانه ، فاحرص رعاك الله يا ولدي على أن يظل الحياء من الله هو الدثار ، والحياء من الناس هو الشعار ، فإذا ما كان الحياء للعبد شعاراً ودثاراً ، فقد أمن العاقبة ، وأنال نفسه من البر ما لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه ، ولو وقف العبد بنفسه عند الحياء من الناس ، لما صلح عليه بأمر الآخرة ، لأن للناس أعرافاً وعادات بسطت رواقها ، ثابتة في أرض حياتهم ، ومع الأيام لا يجد -من خلع عذار الحياء من الله- بداً من أن يخلع الحياء من الناس ، ويشق عليه أن يخالف عن العادات والأعراف التي فشت وشاعت فيهم ، وكلما طال به عمره -أو لِتَقُل نقص- صار الحياء شيئاً غير مرضيٍّ عنده فيخالطهم بعاداتهم وأعرافهم ، ولا يسأل من بعد -إلا أن يكون غير خارج عن تِلْكُم العادات والأعراف فيعرف في لجة الحياء التي رضي للناس فيها لأنفسهم أن يكونوا في أوهاق الشرك ، والوثنية والفسوق والعصيان ؛ طاعة للشيطان ، وتمرّداً على دين الرحمن .

واعلم يا بني : أنه لا يَجْمُلُ بمن خلقه الله حرّاً ، عزيزاً ، سويّاً ، أن يختار أن يكون عبداً لغيره ، وأن يسلم أمر نفسه لغير ربه ، وأن ينزل لغير من سوّاه فأَحسن خلقه ، ولا أعون للإنسان على أن يبقى ، سويّاً ، عزيزاً ، حرّاً من صحبة الأخيار ، فأَلْزِمْهم نفسك ، وأَلْزِم نفسك إياهم ، ولا تفرّط فيمن تعرف خلَّة الصدق والوفاء منه ، ولا يكونن منك إليه إلا المودة الصادقة ، والنُّصح الأمين ، والرِّفق الحليم ، ولا تنس قول نبينا عليه الصلاة والسلام : «إنما مَثلُ الجليس الصالح ، وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل

المسك إما أن يُحْذِيَك ، وإما أن تبتاعَ منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة» .

ولعلك تخطئ جداً ، وجداً تخطئ إن أنت فرّطت في صديق صالح ، حتى وإن وجدت منه أحياناً ما تكره ، فليس في البشر من يخلو مورده من شيء يكره ، ولو أن الناس لم يخطئوا لما عرف فيهم ولا منهم الصواب ، ولعلَّ هذا شيء من معنى قوله عليه السلام : «لو أنكم لم تذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون فيستغفرون ، فيغفر لهم» ، فهي حيلة في البشر أودعها الله فيهم ، وعزيزٌ جدّاً ، ومؤلم جداً ، أن يرى المرء ولده وهو يدع الأخيار ، وينأى بنفسه عنهم ، ليكون أقرب مودّة إلى من يحب أن يكونوا موضع ريبة ، والحذر منه ، وقد رأيت التشبيه الذي ساقه لنا البشير النذير ، كيلا يكون من حجة لأُمته عليه يوم القيامة ، فحاذر بنيَّ -رعاك الله- صحبة الفُجّار ، أهل السوء ، قرناء إبليس ، واستمسك بأهل الفضل والإحسان ، يكن ذلك لك عوناً على كل خير تحرص عليه في حياتك .

واعلم يا بني أن حسن الخلق ثروة عظيمة ، من فقدها ؛ فقد أقبل على فاقة ، وأحلَّ بنفسه خسارة ، وأضاع دنياه ، وربما أضاع الكثير من أُخراه ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : «إن أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة حسن الخلق» ، ويقول : «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» ، ويقول : «إن حُسْنَ الأَخْلاَق يطيل في الأعمار ، ويعمّر الديار» ، فلا تكن يا بني مفرِّطاً في هذه الثروة التي لا تكلفك - إنْ كلّفتك -إلا أن تنال أجراً وفيراً ، وإن أنت أضعتها فقد حصدت بيدك لنفسك شرّاً يا بني ، ولا يصلح أمر العبد في الدنيا بين الناس ومعهم ، إلا بحسن الخلق ، ولعلَّ ما يولَّد مع الإنسان من نفرة في الطباع ، وسوء في الأخلاق ، وغلِظة في اللسان ، لا يطول بقاؤه في المسلم ، إلا ريثما يزول ، وذلك بتذكُّره أنه سيخسر قرب النبي ﷺ في الآخرة ، أما في الدنيا ، فإنه يخسر مودّة الناس ، والانتفاع بالخير الذي يكون مِنْهُم ، ولا يبقى على واحد يستأنس به ، ويحبُّه ، ويرضاه لمودته .

واعلم يا بني أن تقوى الله سبحانه ، هي الذخيرة التي لا تعدلها ذخيرة ، فهي وصية الله للأُمم كافة على ألسنة رسلهم : ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ وهي حصن الولاية ، : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ، وهي التي ينتفي بها الزيغ ، ويذهب عن النفس بها الشتات والقلق ، ويأنس بها المرء في

وحشة الحياة ، ولا يصيب إلا الهناءة والرضا ، وتفويض الأمر كله لخالقه ، وليس نوالها إلا بالشيء العزيز لمن رغبها ، وأرادها لنفسه ، وأدار كأس حياته في أرجائها الواسعة .

وهي أولاً وقبل كل شيء وصية المصطفى ﷺ : «اتق الله حيثما كنت وأَتْبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلقٍ حسن» فانظر رعاك الله هذه الوصية بعين بصيرتك ، وتدبرها بفطنة قلبك ، واجعلها شعار نهارك وليلك .

واعلم يا بني ، أن أعظم الإحسان للنفس لا يكون بمثل مداركة المرء الخطأ الذي كان منه ، ومسارعته من قبل أن تحوّل إلى عادة فتسهل عليه من بعد الخطيئة ، فيصيب منها ما لا قبل بردّه عن نفسه ، ويستسهل وعرها قبل سهلها ، وحَزْنَها قبل أمتها ، وهل يكون من بعد ذلك قادراً على مجانبتها والخروج من عَنَتها؟! والله سبحانه يقول : ﴿**والله يحب المحسنين**﴾ ، وأي إحسان أعظم من أن يحسن العبد لنفسه بطاعة الله ، وطاعة نبيّه ، وأخذه إياها بعزائم القربات؟!

وليس عيباً للإنسان يا بني ، أن يكاشف نفسه هو بما أصاب من ذنب ، وقارف من خطيئة ، ليعود عليها باللائمة المنيبة إلى الله سبحانه ، الرّاجمة بمثقلات الندم ، العاقرة ما يساوره من الذنوب والآثام من قبل أن تحل بقربة فتغريه بأسبابها ، وهو -ولا ريب- يعلم من نفسه ، ما لا يعلم منها إلا الله ؛ هل هو على عزيمة صادقة في أمره؟! أم أنه يفرُّ منها وصوت من أعماقه يدعوه في كل ساعة : أن يا عبد الله! أسرع إلى نفسك بالتوبة والإنابة إلى ربك من قبل أن يأتيك أجلك ، وأنت مقيم على ما يسخط الله عليك ، فالله سبحانه يغفر الذنوب جميعاً ، ويتوب على العباد إن هم تابوا وأنابوا ، وهو سبحانه غافر الذنب فلا تشرد ، وقابل التوب فلا تيأس وشديد العقاب فلا تفرط ، والعبد إن حاذر الخطيئة من خشية الله ، وحرص على الطاعة من رغبة فيما عنده من ثواب طامعاً في رحمته ، كان على خير عافية بين هاتين المنزلتين تستاقه منها كلاء الله سبحانه في سداد أمر ، وهناءة رغبة ، وشفافية حاله ، إلى واسع النعيم المقيم .

واعلم يا بني ، رعاك الله أن سهام القضاء لا تخطئ مواقعها ، وأن ما أصاب العبد منها لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فإذا ألمَّ بالعبد ما يكره -وظن أنه بذنب قارفه ، أو من بلاء حلَّ به ـ ؛ فليس له منه منجىً ، إلا أن يعجل إلى توبة من ذنبه هذا ، وعمل صالح يقيم عليه ، لا ينبغي عنه حولاً في نفسه ، ثم يرفع يديه إلى الله في إخبات رضيٍّ ، وتسليم تامٍّ ، وتفويض خالص ، فيكون دعاؤه بإذن ربه سهاماً قويّة

مصائبة تدفع عنه القدر، وكم عرفت الدنيا من أولئك الصالحين، الذين كان البلاء يلوذ بهم، والشدّة تستكين بين أيديهم، تُستَمْطَرُ بهم السماء، وتُستنبت الأرض، وتُكفُّ البأسَاءُ والضراء عن الأخيار والأشرار من العباد، وما دام حيّاً فهو بين نعمة تمشِ من بين يديه، وبين بلية تتبعه من ورائه لتنال منه، وتارة تتقدم هذه، وتتبعه تلك، لكنه لا يدري في أيهما الخير له **﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**، وكم هُم أولئك الذين غرقوا في الترف ولا حظ لهم من نعيم الآخرة؟! وكم هم أؤلئك الذين تشقّقت جلودهم من الفقر، وهم أسعد الناس -بصبرهم وتقواهم وتسليمهم أمرهم كلّه لربّهم- في الدنيا والآخرة؟!

واعلم يا بني، رعاك الله أن الصدق أملك للّسان من الكذب، ولا والله ما حُفظ اللسان بمثله، وأنه ليس أضيع له من الكذب، ولا جرَّ البلاء لصاحبه مثله، ولا قادهُ إلى المعاطب إلا هو، فاجعل منه لسان صدق في حياتك ومن بعد موتك، يكن لك عافية تردُّ عنك حرَّ العذاب، ويغدق عليك فرحاً لم تعرف أسرع منه، وينيلك من حب الله والعباد ما لا يكون إلا به وحده، ولو عقل الإنسان ما يدركه بالصدق ما فكّر في الكذب يوماً، ولو علم ما يعقبه له الكذب ما جانب الصدق ساعة، وليس يَسْهُل الكذب إلا على من عقل الشيطان لسانه إليه، ونفث من روعه فيه، وأغراه بعاجل منفعة به، فكن من الكذب على حذر، ولا تزهد بكلمة من الصدق، فالصدق زاد المتقين، والكذب جراب الفاسقين، وما حذّر ربُّنا عباده مِنْ شيء فِي كتابه ما حذّرهم من الكذب وحضَّهم على الصدق، فعاقبته إلى نُجح، فانظر يا بني ما تختار لنفسك، فإما أن ينجيك، وإما غير ذلك، فتسعد بالأُولى، وتشقى بالثانية لا قدّر الله، واستبصر بمن جرى ذكرهم على ألسن الخلائق والتاريخ.

وَاعلم يا بني أن الفشل لا يكون بما يدركه الإِنسان من خسران ما كان يرجو من منافع دنيوية، إنما الفشل الباهظ، الذريع، المروّع ما يفوته من عمل يُفَوِّت عليه أجر الآخرة، ونعيم الجنة، وعمل الآخرة هو الطاعة كلُّها، ما هدينا إليه بآي القرآن، وسنة نبيٍّ الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام، والإخلاص فيها، وتجريدها من الرياء وغيره، مما به ينتقص الثواب، فاستمسك يا بني بهما، فما ضلت الأُمة ولا شقيت إلا حين إعراض السواد الأعظم منها عنهما، وأخلِصْ لله في طاعته، وإياك إياك أن تحقر عملاً ما، فإنه ربما كان إرجاحاً لكفَّة عملك الصالح يوم توزن الأعمال بميزان لا يبخَسُ العبد به شيئاً،

وإني لأعجب كيف يستيئس المؤمن من إدراك شيء فاته ، يحسبه خيراً ، أو من درء شيء عنه يحسبه شراً ، والله هو الذي يقدّر الخير والشر ، والعبد لا يدري أيهما أنفع له أو أضر ﴿عسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ ، فما عليك إلا السعي بالأسباب التي هيّأها الله ، واحتساب ما أصابك عنده ، وتفويض الأمر إليه ، ثمَّ والصبر على ما يكون أو الشكر .

واعلم يا بني أن من أفضل كسب العبد ما ينفع به الناس ، ويكسب حبَّهم ، ويدفع أذاهم ، وأن الوالدين والأقربين هم أولى الناس بهذا ، وليس بالعاقل من يكسب ودّ الناس ، ويصنع الخير لهم ، ويحرص على أسبابه ، ثم إذا علم أن مثل ذلك يكون لوالديه وذوي قرباه ، قبض يده به عنهم ، وصدّهم ، وأنالهم من أذى لسانه ، وسوء خُلقه ، واستطالته بجهله ، وإبراده بسوء تفكيره وتدبيره ، ما لا يحسب به إلا على عداوة كابحة كالحة ، واعلم أن الربح والخسارة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا بما أذن الله وشرع ، وأباح وحظر ، وأمر ونهى ، فكن على بيّنة من أمرك في هذا كلّه .

بنيَّ رعاك الله :

ما وددت أن أكتب إليك ، وكم وددت أن يكون ما كتبت حديثاً معك ، لكن هَذَا كُلّه لك ، فالقلب مليءٌ بأخلاط وأوشاب ، يشق عليك ميزُها ، وفصلها بعضها عن بعض ، فأكتفي بهذا الذي كتبت ، وأسأل الله أن يوفقك ، ويهدي قلبك ويذهب ما بك من سوء التصور والتفكير ، ويردك إليه بحسن طاعة ، والبعد عن معصيته .

وأرح أبويك من عَناء ما يقاسيان من أجلك ، فرِضا الله من رضاهما وفيه ، ولا يوفق الولد بمثل ما يوفق بطاعته ربه ، ثم بطاعته والديه ، فاحرص -عليك من الله سلامه ورضوانه- أن لا يكون منك لك ، وإليك ، وعليك ، وبك ، وفيك ، إلا الحرص على الجنة ، وانزع ثوبك الذي أَلِفته ، وارتد ثوباً آخر غيره ، ثوب الطاعة .

واعلم يا بني ، أن شرف الإنسان في كسبه رزقه بكدِّ يمينه ، وعرق جبينه ، ولا خير في إنسان يتوكأ في رزقه على غيره ، وكفى به ضيعة أن يعوِّل على أحد ، فإما يعطيه ، وإما يمنعه ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وعزُّ المسلم في صونه نفسه عن مَنِّ الناس بعطيّتهم ، فلا تدع الوقت يمضي وأنت غافل عن نفسك ، حتى إذا ما أيقنت أن الأمر جدٌّ لا هزل ، وأن عاقبة الإنسان إلى عجز يلجئه إلى ذي لُؤْم ، أو إلى ذي قرابة منَّان ، أو إلى صديق قُلَّب ، قلت في نفسك ، والندامة عاضّة بقوارضها يدك :

يا ليتني أطعت أُمِّي وأبي في نُصْحِهما

ورضيت الذي رَضِياهُ لي ، فاستبق يا ولدي لنفسك من الصالحات ، ما لا يقام عوج العبد إلا به ، وليتك يا بني لا تضيع شيئاً مما أذكره لك ، وأنصحك بِهِ ، فإهابي الضعيف خيوطه تجارب السنين ، التي لا عدّ لها ولا حصر ، ولا تجعل بيني وبينك حجاباً ، تواري به صفحة وجهك مني ، لتخفي عني من سريرة صدرك ما لا قبل لك بإخفائه .

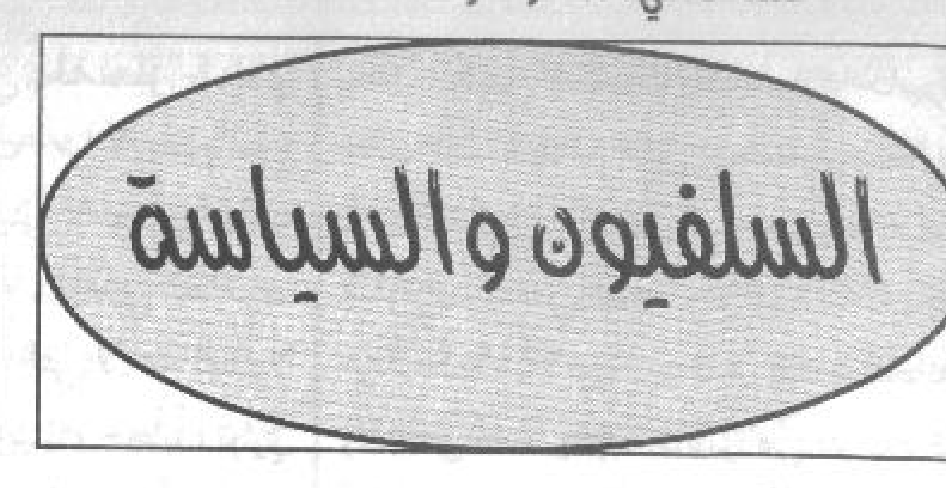
وإياك أن تقول : اليوم ، أو غداً ، أو بعد غد ، فذاك التسويف الذي يورد الندامة ، ويزهق روح العمل ، ويُردي سربال القنوط .

وآخر ما أقوله لك : احرص أَشد الحرص ، على أن يخرج والداك من الدنيا وهما راضيان عنك ، وليس الكاسب رضاهما كالخاسرة ، فطب نفساً إن لم تكن خصماً لهما يوم القيامة بين يدي الله سبحانه ، فإنهُ لِمَنْ شِقْوةِ العبد في الدنيا والآخرة أن لا يكون الولد خصماً لأبويه بين يدي الله سبحانه ، ولا تنْسَ أن لا يكون حاضراً في قلبك دائماً قوله سبحانه : ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً**﴾ وقول النبي ﷺ : «بَعُدَ من أدرك أبويه أو أحدهما عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة» ، واسلموا أبنائي أينما كنتم جميعاً : لدينكم ، وأُمَّتكم ، وآبائكم ، وأُمَّهاتكم .

■ ■ ■

قال أيوب السختياني رحمه الله:

"إذا بلغني موت أخ لي: فكأنما سقط عضو مني".





□ تقدّم ذكر السياسة التي نكرهها وننكرها ، ولا نحبُّ أن نذكرها ، ونبرأ إلى الله من أغلالها ، وإصرها ، وشرِّها ؛ فهي قرين النفاق ، وبريد الخداع ، وسُلَّم الذين يعبدون الله على حرف .

أما السِّياسة بمعناها الإسلامي النقي ، وواقعها الإيماني التقي التي ترعى شؤون الأُمة الربانية التي تأخذ بيد البشرية إلى مدارج التقدم ، وميادين الرقي ؛ فيتميز السعيد من الشقي ، فهذا أمر دونه الأرواح والمُهج ، وإن حاول الخالفون أن يثيروا علينا الرَّهج .

إن السياسة الشرعية تعني : الإحاطة بالأحكام السلطانية ، ومعرفة حقوق الراعي والرعية ، وتقويم الحقائق بالموازين الشرعية ، إذن فهي رعاية شؤون الأُمة الإسلامية .

ولقد كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء ، أما هذه الأُمة فيسوسها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ؛ لأن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر .

ولقد كان لعلماء هذه الملة أكبر نصيب من ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسَعَوا يربّون قرون هذه الأُمة على منهج النبوة علماً ، وعملاً ، وسلوكاً ، حاديهم في ذلك قوله سبحانه : **﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾** .

والرباني : هو العالم البصير بسياسة الناس ؛ فيربِّيهم على صغار العلم قبل كباره على منهاج النبوة .

وصغار العلم : هي المسائل والأعمال التي يطيقونها ، وليس كما يتوهم أنصاف المتفقهين ، وأرباع المثقفين ، وأسداس المتعالمين : أنها الأمور التي يحلو لهم تسميتها بالمسائل الفرعية ، أو الهامشية ، أو السطحية ، أو القشور ؛ فإن هذا التقسيم بدعة ، وقسمة ضيزى ؛ كما بينتها في كتابي «دلائل الصواب إلى إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب» .

إن أولى الأولويات : مسائل التوحيد ؛

والعقيدة، والإيمان؛ فالعقيدة أوّلاً لو كانوا يفقهون كما علمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فأول ما تدعوهم إليه أن يعبدوا الله وحده» وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾.

بهذا التصور الإيماني تكون الأمة عاملة في كل الأوقات، حتى إذا لاقوا العدو ثبتوا؛ لأنهم يعلمون أن الجنة تحت ظلال السيوف.

ولذلك فإن تكليف الأُمة أفراداً وجماعات ما لا تطيق؛ لأنها ليس لها إلى ذلك طريق جهل مركب، واتباع لِبُنيَّات الطريق... وهذا ما يقصده شيخنا محدث العصر وحافظ الوقت أبو عبدالرحمن الألباني حفظه الله بقوله: «من السياسة ترك السياسة الآن».

إن هذه النظرة الصائبة هي التي آل إليها أمر كثير من الدعاة الذين اشتغلوا بالسياسة من بواكير الصبا، ولكنهم رأوها بأخرة لا تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً، ولا تهدي من اتبع مساربها سبيلاً، بل كانت ظهيراً للمجرمين على تقتيل الدعاة الإسلاميين دون أن تهتز في المسلمين شعرة أو يضطرب منهم قلب!

إن المطلوب الآن: هو إيجاد القاعدة الإيمانية الصلبة التي ينبني عليها كيان الأمة كلها في سبيل تحقيق العبودية الشاملة الكاملة لله رب العالمين، والتي تصطبغ بها كل مناحي حياة الناس.. فهل أعطى الإسلاميون هذا الاتجاه شيئاً من اهتمامهم؟!

إن تكوين القاعدة الإسلامية لا يعني تجميع أشتات من الأهواء والفرق؛ فإنها لو بلغت الحكم فعندئذ يفجر أعداء الإسلام هذه الألغام الموقوتة؛ فتصبح هذه الأشتات أحزاباً تتصارع على السلطة، وعندئذ سيلقي أعداء الإسلام في ظلال أجهزة إعلامهم المرئية والخفية للجماهير المسلمة؛ قائلين لهم: انظروا ماذا يصنع هؤلاء الذين ملؤوا الدنيا صراخاً على الدولة الإسلامية، وإقامة حكم الله في الأرض..! وهكذا يصبح الإسلاميون مَثَل السوء لأُمتهم، وما يجري على أرض أفغانستان المسلمة ليس عن أُولي الألباب بغائب، وما يحدث في الجزائر المسلمة ليس عن المتابع للأحداث ببعيد.

ولذلك قد يغتر كثير من الدعاة بالحماسات العاطفية للجماهير، ويخدعه كثرة الأصابع المرفوعة، ويغره حشود المهرجانات المجموعة؛ فيقع على أُم رأسه، وأمامنا بسطة من التجارب المعاصرة؛ ووفرة من البراهين. تدل على خطورة هذه النظرة السطحية العجلى القاصرة، منها تجربة الشيخ حسن البنا في مصر؛ فقد فرّت جموع

الإخوان التي كانت تهتف له في المركز العام في القاهرة عندما وقعت الضربة عام ١٩٤٨م . نعم ، لقد فروا إلى غير رجعة ؛ كما قال محمد قطب في كتابه «واقعنا المعاصر» (ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩) : «فرت كثير من الجموع التي كانت تتحلق حول الإمام الشهيد[1] في درسه الأسبوعي ، فتملأ المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين ، وتملأ الشوارع المتفرعة حوله حين رأت أن الأمر ليس عرضاً قريباً ، ولا سفراً قاصداً ، وإنما هو جهاد وعذاب .

كما فرت الجموع التي كانت تستقبل الإمام الشهيد كلما تنقل في مدن القطر أو في أريافه في رحلاته الدائمة ؛ التي لم يكن يفتر عنها»[2] .

وتجربة جبهة الإنقاذ في الجزائر التي بلغ عدد أتباعها ملايين كثيرة ، وفازت بالانتخابات البرلمانية بنسبة عالية ومع ذلك فقد قلبت لها قوى الاستكبار العالمي وقوى المكر الداخلي ظهر المجن على مرأى العالم وسمعه .

فهل يقف المستعجلون لحظة تدبر ؛ ويقرون أنهم ارتكبوا في حق دينهم وأمتهم وأنفسهم ، حماقات كلّفتهم صفوة شباب اليقظة الإسلامية أم على قلوب أقفالها؟!

■ ■ ■

---

(١) هذا ما يطلقه مفكرو جماعة (الإخوان المسلمين) على (مؤسس حركتهم) وهو الثبات على الحقيقة ، ومخالفة للشرع .

(٢) ذكْرُ لهذا الكتاب ليس تزكية له ، ولكنه من باب ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ ، ولقد بينت أباطيله وافتراءه على منهج السلف الصالح ، وأنه رأس حربة أفراخ الخوارج المعاصرين في رسالة مستقلة هي : «عقد الخناصر في بيان أباطيل كتاب واقعنا المعاصر» .

قال عمر بن ذر لأبيه: "يا أبت ما لك إذا تكلمت أبكيت الناس، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟".

فقال: "يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة!".

الإعلام الإسلامي في مواجهة التغريب

الشيخ د. صالح بن غانم السدلان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإن الدعوة إلى الله تعالى غايتها تبليغ الرسالة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

وكان عماد التبليغ سابقاً الكلمة: منطوقة ومكتوبة ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وما زالت الكلمة إلى اليوم هي المجال الرحب، والميدان الفسيح، لتبليغ الدعوة وإعلان الرسالة؛ فبانتهاء الطور السري للدعوة الإسلامية في مكة ـ وهو طور قصير واستثنائي ـ بدأت مسيرة الإسلام الإعلامية والعلنية:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وكان من نماذج عرض الدعوة هذا القول المحدد: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ الآية، أي: أعلمتكم بما عندي فأصبحنا جميعاً: أنا وأنتم سواء في معرفة العقيدة التي أنادي بها! فإن انصرفتم بعد ذلك فعن تجاهل لا عن جهل،

(*) «الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية النظرية والتطبيق» من (ص ٢٧٨ ـ ٢٨٩) «بتصرف»، (ص ٢٩٦ ـ ٣٠٩) «بتصرف»، و«بحوث ودراسات في الدعوة والإعلام» (ص ٢٢٠)، و«وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي» (ص ٧٢) وما بعدها، و«مناهج التعليم في المساجد وأسلوب التدريس فيها» (ص ١٩)، «مكانة الاتصال الشخصي في الإعلام والدعوة» (ص ٣٦ ـ ٧١) «بتصرف».

إذ إني أفرغت جهدي في البلاغ المبين! إن ما أدعو إليه معروف لكم، كما هو معروف لي!!

فكما أن رسالة الإسلام عامة إلى الخلائق، لا يشذ منها أحد، فكذلك قواعد الإسلام يجب أن تقدم كلها عن طريق أجهزته العاملة؛ فلا يخفى منها شيء بحيث يكون الداعي والمدعو سواء في الإحاطة بمحتويات هذا الدين دقيقها وجليلها.

إن الجهاد باللسان، وهو بذل الجهد باللسان ضد الانحراف للعودة إلى حظيرة الإسلام، أو للدخول من جديد من أول ما يدخل فيه تبليغ الدعوة، وإقامة الحجة على الكافرين، والمنافقين، والفاسقين، قال تعالى: ﴿فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾.

أي: بالقرآن، وتشمل الدعوة باللسان القول والتبليغ به هو جهاز الدعوة الإعلامي والثقافي، والتربوي، والإرشادي قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾.

وقل هذه: أداة إعلامية ذات ثلاثة عناصر متحدة: «القول، والقائل، والمخاطب»، وصياغتها في فعل إمر إلزامٌ من اللّه للمسلم بأن يقول الحقيقة، ولا يكتمها، والتزام من المسلم بأن ينطق ولا يصمت، ويعلن ولا يسر.

لهذا كان للقول أهمية كبرى في الدعوة إلى الله تعالى سواء كان هذا القول ملفوظاً أو مقروءاً، أو مسموعاً، فالكلمة المنطوقة، أو الصورة المرئية، أو المسموعة المرئية؛ تشترك مع القوة البشرية المتمثلة في الداعية بمختلف صفاته وخصائصه تعزيزاً له، وتمكيناً لأداء رسالته، وما قد يظنه بعض الناس صعوبة في طريق الدعوة إلى الإسلام اليوم إنما هو المهاد عينه والتطبيق ذاته، فالإعلام المعاصر مجموعة أجهزة ووسائل تختصر مساحات المكان، ومسافات الزمان، وتخاطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت ممكن.

وهذه الأجهزة أشد خطراً من المدارس، والجامعات، ودور التعليم الأُخرى؛ فهي تخاطب جميع فئات الأُمة صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً؛ متعلمين وغير متعلمين، أغنياء وفقراء، ولا شك أن توجيه الصحافة، والإذاعة المسموعة، والمرئية، والمسرح، وفنون الغناء، والتصوير، وغيرها من الأجهزة: تضمن تشكيل أجيال وفق قيم ومناظير مختلفة؛ في قليل أو كثير عن روح الإسلام

وعقيدته . ونحن المسلمين ننظر إلى الإعلام ، وإلى وسائله الرائعة في هذا العصر الحديث على أنها إمكانات ضخمة لنشر دعوة الحق ، وأخذ الناس بها ، خصوصاً الأجيال الناشئة . . .! لهذا فإن صوت الإسلام في ميدان الإعلام يجب أن يكون جهيراً ، فالتعريف بالله الواحد ودينه الحق قضية لا تعالج بفتور واسترخاء .

وإذا كان هناك من يعتبرون الإلحاد ذكاءً وتقدماً ، ويبذلون في سبيل نشره جهوداً مضنية ، فإن حملة الإسلام سيكونون أطول نفساً ، وأشدَّ غيرةً ، وأرسخ قدماً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللّه أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ﴾ ويعني هذا : أن الإعلام الإسلامي وثيق الإيمان برسالته ، عظيم المغالاة بها ، وأن الصبغة العقيدية والعبادية لا يمكن أن تنفك عن أعماله ووسائله المختلفة ، وأجهزة الإعلام ؛ عندما تؤدي دورها ، والحالة هذه هي ميادين جهاد ومعاهدة دعوة ومساجد صلاة ومدارج تقوى ورضوان .

إن إعلامنا الإسلامي بوسائله السمعية : كالإذاعة ، والندوة ، والخطبة ، والمناقشة ، والدرس ، إلى غير ذلك ، ووسائله البصرية كالتلفاز ، والمسرح ، والفيديو ، وغير ذلك ، ووسائله المقروءة ، كالصحف ، والمجلات ، والكتب ، والنشرات إلى غير ذلك ، ووسائله الشخصية كالمقابلات ، والدعوة الفردية ، والمحادثات الهاتفية ، والمجاملات ، وغير ذلك ـ صورة لما نقول ، ونؤمل ، وصدى لما ننشر من خير الحياة والأحياء ، وأجهزته هذه حين تنهض بواجبها تغرس العقائد والعبادات التي تتبناها ، وتعلي شعاراً واحداً في برامجها ووسائلها كلّها ، ويصبح الإسلام في حياتنا الراهنة عقيدة وشريعة : ديناً ودنيا ، فكراً وأسلوباً ، منهجاً ودستوراً ، ولئن كان الإعلام ـ أمس ، واليوم ، وغداً ـ في هذه المرتبة العليا من الجدوى والنفاذ والتأثير ؛ فلا بد أن تصاغ النظرية الإسلامية في الإعلام وفق خطة تطبيقية منظمة في الإعداد البشري الإعلامي ، وفي المادة الإعلامية ، وفي تطويع هذه المادة ؛ لتؤدي دورها في حقل الدعوة الإسلامية ، وإذا أخذنا في الحسبان مجموعة الاعتبارات الآتية أدركنا أهمية الإعلام ودوره في التربية ، والإعداد ، والتوجيه ، والتثقيف :

* فهناك ملايين من المسلمين مازالوا أُميين ، مصدر معلوماتهم الرئيسي الاتصال بالمتعلمين ، وبالوسائط التقليدية مع الاستماع إلى المذياع ، أو مشاهدة التلفاز ،

فإذا لم توجه هذه الوسائل التوجيه السليم والفعال يمكن أن تتلوث معلوماتهم ، وتشوه أفكارهم .

* هناك ملايين من النساء لا إعلام لديهن ، سوى الأساليب التقليدية من مخاطبة ، ومشافهة مع جاراتهن ، ويأتي بعد ذلك المذياع يلتقطن منه الأخبار ، ويستمعن للأغاني والتمثيليات ، ونستطيع عن طريق الأركان المخصصة للمرأة في الإذاعة والصفحات المخصصة لها في الجرائد والمجلات أن نغرس فضائل كثيرة ، وأن نزود الفتيات والأُمهات بنصائح تعين على إنشاء جيل قوي منتج .

* هناك ملايين من الأطفال والشباب يتتبعون أخبار الكرة ، والرياضة ، ونجوم الفن ، والمجتمع ؛ في جلساتهم ، ومنتدياتهم ، وسهراتهم ، وملتقاهم عبر الإذاعة ، والتلفاز ، ويتساقطون على سماع ومشاهدة الأفلام الخليعة ، والمسلسلات الهابطة .

لهذا يبدو من الضروري أن تفكر أجهزة الثقافة والإعلام ، والدعوة والإرشاد ؛ في وسيلة تقترب من هذه التجمعات ، وتوجيهها من الداخل ، فعن طريق تنظيم ميسر لدروس ، ومناقشات ، وحوار ، وتفاعلات ؛ يمكن تطعيم كثير من المستمعين ، والمشاهدين ؛ بأفكار حية ومقاومة بدع منتشرة ومكافحة آفات متفشية .

الإعلام المقروء :

كما أن من قضايا التناقضات الموجودة أنه لا توجد مجلة تخاطب الشباب ؛ كما تخاطبه مجلات تبث أفكاراً مدسوسة ، ومعلومات مشوشة ، كصباح الخير ، وروز اليوسف ، وغيرها من المجلات التي على نهجها ؛ فلا بد من عمل إحصاء عما يقرؤه الشباب ، ولا بد من وضع الإطار الثقافي الصحيح لملء الفراغ الفكري لدى الشباب ، فيستطيع أن يأخذ قضية إسلامية في جيبه ، أو يجد مجلة إسلامية أمامه ، أو يجد فيلماً هادفاً موجهاً يراه ؛ لا بد أن تترابط هذه القضايا ، ويكون منها زاد للشباب ، وإلا تلقّفته المباديء الباطلة ، والدعوات الزائفة الأُخرى .

إننا إيماناً منا بجدوى الإعلام ، وعمق أثره ، واقتناعاً بأن للإسلام نظريته الإعلامية المتميزة نرسخ الإقناع بأن الإخراج التلفزيوني ، والتحرير الإذاعي ، والصحفي ؛ هو لسان عصرنا وأن من فقه الدعوة خطاب الناس بلسان عصرهم ، ووسائل زمانهم ، وأن أجهزة الإعلام الحديثة تيسير جديد أمام التطبيق الإسلامي ، والدعوة إلى اللّه ؛ إذا

أحسن الدعاة التكيف معها ، وتطويعها للإسلام .

وبعد ، فلئن كان للإعلام هذه الأهمية ، ويتبوأ هذه المكانة خاصة في زماننا ؛ فما هو واقع الإعلام في بلدان العالم الإسلامي؟! وما هي مكانته بين وسائل الإعلام العالمية؟!

فإذا أردنا الإجابة على هذين السؤالين بصراحة تحجُمنا عن المجاملة ، أو التحامل ؛ نقول :

إننا نعيش في عصر أقل ما يوصف به أنه عصر الحروب الإعلامية ، والصراع البارد ؛ لنشر الأفكار والمباديء ، وليس أدل على ذلك من الوسائل الضخمة ، والإمكانات الهائلة للإعلام ؛ التي يسّرتها المخترعات الحديثة ومن سوء حظ المسلمين في هذا العصر أن أعداءهم قد سبقوا إلى امتلاك هذه الوسائل الرهيبة من وسائل الإعلام ، وأجادوا فنونه إجادة خيالية تفوق الوصف ، فما يبنيه الإعلام الإسلامي في سنوات يهدمه الإعلام المضاد في لحظات ، وبسبب ذلك وجد دعاة الإسلام أنفسهم في حرب غير متكافئة ؛ امتلك فيها الباطل وسائل متقدمة جداً لنشر أفكاره ، وبث سمومه ، بينما المسلمون لا يملكون إلا وسائل ؛ لا أقول بدائية ، لكنها لا تقوى حتى على إبقاء ما لدي المسلمين من عقائد وإيمان .

نحن لا ننكر أنه بذلت جهود مباركة ـ تدعم العقيدة ، وتنير للناس دروب الحق ، ولكن لم تكن أقوى مما تبثه المؤسسات الإعلامية الكافرة من سموم ؛ فقد تربى جيل بعد جيل في ظل هذه المؤسسات يؤمن بالقيم الدخيلة ، ولا هدف له إلا التقليد ، والجري وراء كل جديد دون أصالة إعلامية إسلامية ، والسبب في ذلك : أن المؤسسات الإعلامية في بلادنا يسير فيها كل شيء كيفما اتفق كنهر متدفق زاخر ماؤه ، يتدفق هنا وهناك دون قصد ، أو غاية ، فما يبث من برامج دينية عبر إذاعة القرآن وغيرها قليل ، لا يطاول ، بل لا يقاوم ما تذيعه الإذاعات المحلية والبرامج العامة من برامج هابطة ، لا يستثنى من ذلك قطر أو مصر في العالم الإسلامي كله ، وكان من نتائج هذا التقصير المنهجي ما يرى اليوم من نقص في الثمرات ، أو تعثر في الخطوات ، ومن غياب عن الصراع الإعلامي العالمي ، وأنه لعجز غير معلل ثقافياً ، وغير مسبب منطقياً .

فلنعالج هذا التقصير بالوسائل الممكنة ، ولتكن المرحلة الأُولى في العلاج منع الازدواجية في الإذاعات الإسلامية ، والتجديد والابتكار في وسائل الإعلام ،

حتى يخدم العقيدة، وينافح للدعوة، ومن البرامج الطموحة التي يجب أن تضاء وسائل الإعلام بها:

* الدعوة لوحدانية اللّه سبحانه وتعالى والعبودية الخاصة له وحده دون سواه.

* تحرير الإنسان من عبودية العباد، وإنقاذه من سيطرة الأهواء، والشهوات، والغرائز.

* الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

* إعلان حكم اللّه في كل أمر من الأمور.

* مواجهة الحملات الإعلامية المعادية، وتنشيط الروح الجهادية عند المسلمين.

* ترقية اهتمامات الناس، والسمو بعقولهم.

* محو الأُمية بأشكالها المختلفة؛ أُمية الفكر والحرف.

* السعي لتوحيد الأُمة فكراً، وسلوكاً، وولاء، وإيجاد التعارف والتآلف بين أبنائها.

* تبني القضايا الإسلامية والمطالبة بحقوق المسلمين المستضعفين، وتعريف الناس بالأقليات الإسلامية، وما تتعرض له.

* تعرية الحضارة الغربية والشرقية الزائفتَين.

* تنقية الفكر الإسلامي من الشوائب التي علقت به.

إلى آخره من البرامج النافعة الهادفة، والتي تتفق مع قواعد الشرع، وتعالج قضايا العصر.

فإذا كان فيما تقدم بيان لأهمية الإعلام؛ فإن من أهم مادته الجاهزة التي صيغت بعناية، وانتقيت موضوعاتها؛ ما تزخر به المساجد في العالم الإسلامي، وفي كل بقعة، والمتمثل في الخطبة، والندوة، والمحاضرة، والدورات العلمية أعظم وسيلة للدعوة، ونشر الوعي، والثقافة المتوازنة، والتي تربي الخلق والضمير عبر تتابع الأجيال.

وبهذا يجد رجال الإعلام بغيتهم، ويحققون رغبتهم، حيث تعطُّشهم للمادة الإعلامية، والكلمة التوجيهية.

هذا ما تيسر جمعه في هذه المحاضرة.

وفق اللّه الجميع لما يحبه ويرضاه، وصلى اللّه على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

■■■



تخريج أحاديث وآثار الجزء الأول من

«أمالي نظام الملك 2»

بقلم الشيخ

مشهور بن حسن

آل سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه.

أما بعد:

فهذا تخريج من رأس القلم، للأحاديث، والآثار، والأشعار؛ لما نشر في العدد الماضي من «أمالي نظام المُلْك».

وآثرتُ - لانفصاله عن أصله - أن أذكر طرف الحديث والأثر، ليظهر نوع ترابط بين التخريج ومتن النَّص.

وإن كان هذا لا يغني عن الرجوع إلى ما نشر في العدد السابق، بحيث يكشف عن الطريق والمخرج هناك، فانتبه لذلك، تولّى الله هداك.

[١]

حديث «إذا أتى أحدكم إلى المسجد؛ فليركع ركعتين قبل أن يجلس».

أَخرجه المصنّف من طريق مالك في «الموطأ» (١٦٢/١)، وإِسناده صحيح.

وأخرجه من طرق عن عامر بن عبد الله بن الزبير: البخاري (٤٤٤، ١١٩٣) ومسلم (٧١٤) وأبو داوود (٤٦٧، ٤٦٨) والترمذي (٣١٦) والنسائي (٥٣/٢) وابن ماجه (١٠١٣) وأحمد (٢٩٥/٥، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣١١) وعبد الرزاق (١٦٧٣) والحميدي (٤٢١) وابن أبي شيبة (٣٣٩/١) والدارمي (٣٢٣/١ - ٣٢٤) وابن خزيمة

(١٨٢٥ ، ١٨٢٦ ، ١٨٢٧) وأبو عوانة (١/٤١٥) والبيهقي (٣/٥٣) والبغوي (٤٨٠) .

وأخرجه مسلم (٧١٤) من طريق ابن أبي شيبة ، وسيأتي تتمته عند المصنف في كلامه على الحديث ، وفي المطبوع «عن عمرو بن سلمة! فكأني سمعته» ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

[٢]

حديث النعمان بن بشير : «إنّ الحلال بيِّن ، وإن الحرام بيِّن ، وبين ذلك أُمور متشابهات» .

أخرجه البخاري (٢٠٥١) وأبو داوود (٣٣٢٩) والنسائي (٧/ ٢٤١) و (٨/٣٢٧) وأبو نعيم (٤/٢٧٠ ، ٣٣٦) من طريق عبد اللّه بن عون ، والبخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) وأبو داوود (٣٣٣٠) وابن ماجه (٣٩٨٤) وأحمد (٤/٢٧٠) والدارمي (٢٤٥٢) والبيهقي (٥/٦٤) وأبو نعيم (٤/٣٣٦) من طريق زكريا بن أبي زائدة ، والبخاري (٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) وأحمد (٤/٢٧١) والبيهقي (٥/٢٦٤) من طريق عروة بن الحارث أبي فروة الهمداني والترمذي (١٢٠٥) وأحمد (٤/٢٧١,٢٩٩) من طريق مجالد ، ومسلم (١٥٩٩) من طريق عون بن عبد اللّه ، ومطرف وعبد الرحمن بن سعيد ، كلهم عن الشعبي به .

وفي المطبوع : «محمد بن عبد اللّه بن حفص (كذا) ، وعبد الرحمن بن حماد الشعبي»!!

[٣]

حديث صهيب : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى منادٍ : يا أهل الجنة! إن لكم عند اللّه موعداً ،فيقولون : وما هو؟ . . الحديث .

أخرجه مسلم (١٨١) والترمذي (٢٥٥٢) و (٣١٠٥) والنسائي في «تفسيره» (٢٥٤) وابن ماجه (١٨٧) وأحمد (٤/٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٦/١٥ ـ ١٦) وعنه ابنه عبد اللّه في «السنة» (٢٧١) والطيالسي (١٣١٥) وهناد في «الزهد» (١٧١) والدارمي في «الرد على

الجهمية» (٥٤ ـ ٥٥) وابن منده في «الإيمان» (٧٨٢ ، ٧٨٣، ٨٧٤، ٨٧٥ ، ٨٧٦) وابن جرير في «التفسير» (١٧٦/٢٦) وأبو عوانة (١٥٦/١) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٨٠ ـ ١٨١) والآجرِّي في «التصديق بالنظر» (٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) والطبراني (٧٣١٤، ٧٣١٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٧٧٨، ٨٣٣) والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٤٦) و «الاعتقاد» (ص ١٢٤) و «الأسماء والصفات» (ص٣٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة به .

[٤]

حديث عمر : «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا الاستقامة» .

أخرجه المصنف من طريق محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى وهو ابن منده ، والحديث في كتابه «مسند إبراهيم بن أدهم» (رقم ٢٣) وعنه الديلمي في «الفردوس» (رقم ٥١٢٤) ومن طريق ابن منده . . أيضاً ابن عساكر ، كما في «كنز العمال» (٦٣٢١) وقال : «مالك بن دينار لم يسمع من أبي مسلم» ، قلت : والخبر باطل ، آفتُه محمد بن فارس ، قال الذهبي في «الميزان» (٣/٤) : «لا يعرف ، وقد أتى بخبر باطل ، مسلسل بالزهاد» .

وانظر «اللسان» (٣٣٨/٥) و«تنزيه الشريعة» (٣١١/٢) .

وفي المطبوع : «كالحفايا»! و «ثم كان الإنفاق أحبّ إليكم في . . .»!

و «الحنية» : القوس ، الجمع (حَنِيّ) ، و (حنايا) ، لأنها محنية ، أي : معطوفة .

ومراده من «ثم كان الاثنان» أي : الدنانير والدراهم ، واللّه أعلم .

[٥]

حديث عديٍّ : «قلت : يا رسولَ اللّه! ما الإسلام؟ قال : «شهادة أَنْ لا إله إلاّ اللّه ، وأنّي رسولُ اللّه ، وتؤْمن بالأَقدار ؛ خيرِها وشرِّها ، حُلُوِها ومرِّها» .

إسناده ضعيف جدّاً ، عبدالأَعلى بن أَبي المساور ، قال يحيى : «ليس بشيء» ، وقال البخاري : «منكر الحديث» ، وقال ابن

حبّان : «كان ممّن يروي عن الأَثبات ما لا يشبه حديث الثقات ، حتّى إذا سمعها المبتدىءُ في هذه الصناعة ؛ علم أَنّها معمولة» .

انظر «تاريخ ابن معين» (٣٣٩/٢ ، رواية الدوري) و«التاريخ الكبير» (٧٤/٢/٣) و«المجروحين» (١٥٦/٢ ـ ١٥٧) و«الضعفاء الكبير» (٦١/٣) و«الكامل» (١٩٥٣/٥) و«تاريخ بغداد» (٦٨/١١) و«تهذيب التهذيب» (٩٨/٦) .

[٦]

حديث أبي هريرة : «أتاني جبريل عليه السلام ، فعلّمني الصلاة ، فقرأ : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، فجهر فيها» .

إسناده واهٍ بمرّة ، فيه أبو بكر المقري ، وهو النقاش المفسّر ، متّهم .

قال الخطيب : «حديثه مناكير بأسانيد مشهورة» .

وخالد بن إلياس : متروك الحديث ، كما في «التقريب» ، وهو آفة الحديث ، وأخرجه من طرق عنه الدارقطني في «السنن» (٣٠٧/١) ، وصوّب الدارقطني في «العلل» (٨/رقم ١٤٥٨) وقفه على أبي هريرة ، وهو من قوله عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤١٢/١) .

وفي الأصل «المقري»! بدل «المقبري» .

[٧]

حديث ابن عمر : «إذا كان الماء قلّتين لم ينجّسه شيءٌ» .

أخرجه من طريق أبي أسامة به : أبو داوود (٦٣) وابن أبي شيبة (١٤٤/١) وعبد بن حميد (٨١٧ ـ المنتخب) وعنه ابن الجوزي في «التحقيق» (١/) ـ وابن جرير في «تهذيب الآثار» (رقم ١١٠٦ ـ مسند ابن عباس) وابن حبان (١١٨) والطحاوي في «المشكل» (٢٦٦/٣) والدارقطني (١٣/١ ـ ١٢) والحاكم (١٣٢/١ ـ ٣٣) والبيهقي (ـ/٢٦٠،٢٦١) والجورقاني في «الأباطيل» (٣٢١) .

والحديث صحيح بمجموع طرقه ، وخرجته من طرق أُخرى في تعليقي على «الطهور» (رقم ١٦٦) وأوردت له طرقاً وشواهد ، وانظر : «نصب الراية» (١٠٤/١ ـ ١١٢) و «التمهيد» (٣٢٩/١) و «التلخيص الحبير» (٢٨/١ ـ

٣١) و «تنقيح التحقيق» (١/١٩٤ ـ ١٩٨) و «الإرواء» (١/٦٠) .

و «جـزء تصـحـيح حـديث القلتين» للعلائي ، وقد صوّب الخطابي في «معـالم السنن» (١/٣٦) وتبعه العلائي في «جزئه» (رقم ٢٣) هذا الطريق ، وبيّنا أن أبا أسـامـة حماد بن أسامة القرشي كان يقول مرة بدلاً من (محمد بن جعفر بن الزبير) : محمد بن عباد بن جعفر) ، فاضطرب فيه!

[٨]

حـديث أَنس : أَنّ رسـول الله ﷺ قنت شهراً يدعو عليهم ، ثمّ تركه ، وأمّا في الصبح ؛ فلم يزل يقنت حتى فـارق الدنيا .

إسناده ضعيف ، والحديث مداره على أبي جعفر الرازي ، قال ابن المديني : كان يخلط ، وقال أبو زرعة : كان يهمُ كثيراً ، وقال ابن حبان : كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، انظر «ميزان الاعتدال» (٣/٣٢٠) و«تاريخ بغداد» (١١/١٤٦) و «التـــهــــذيب» (١٢/ ٥٧)

وأخرجه من طريقه : عبد الرزاق (٣/١١٠) وابن أبي شيبة (٢/٣١٢) وأحمد (٣/١٦٢) والدارقطني (٢/٣٩) والطحـاوي في «شـرح مـعـانـي الآثار» (١/٢٤٨) والبـيـهـقي (٢/٢٠١) .

[٩]

حديث ابن عباس : «كان رسول اللّه ﷺ يعلّمنا التشهد كما يعلمنا القرآن ، فكان يقول : . . .» الحديث .

أخــرجــه من طريق الليث به : مــسلم (٤٠٣) وأبو داوود (٩٧٤) والترمـذي (٢٩٠) والنســائي (٢/٢٤٢ ـ ٢٤٣) وابن مــاجــه (٩٠٠) وابـن المـنـذر في «الأوسـط» (٣/رقم ١٥١٨) وابن خــزيمة (٧٠٥) والطبـــراني (١١/رقـــــم ١٠٩٩٦,١٠٩٩٧,١١٤٠٦) والبيهقي (٢/١٤٠) .

[١٠]

أثر عيسى عليه السلام : «إن للحكمة أهلاً إن منعْتـهـا أهلهـا كنت جـاهلاً ؛ كـالطبـيـب العــالم يضع دواءه حـيـث ينفع» .

أخـرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٢٧٣) من طريق عبد اللّه بن أحمد : ثني أبي عن

سفيان بن عيينة ، قال عيسى عليه السلام ؛ وذكره ، وسقط من المطبوع : «قال عيسى عليه السلام» .

وأخرجه من طرق عن عيسى عليه السلام ، قوله :

الدارمي (١٠٦/١) والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص٥٧٦) والخطيب في «الجامع» (رقم٧٨٣) وابن عبد البر في «الجامع» (رقم ٦٩٧) ، وما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، وأثبتناه من مصادر التخريج .

[١١]

قول الشافعي : «إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث ؛ فكأني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم .

أخرجه عن الشافعي قوله من طريق آخر : البيهقي في «المدخل» (رقم ٦٨٩) وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٩/٩)

[١٢]

قصة الشافعي عندما دخل مصر وخاف المالكية فجلس في بيته ، وقوله شعراً عندما سأله أصحابه الخروج للناس .

أورد هذه القصة مع الأبيات : ابن أبي حاتم في : « مناقب الشافعي» (١٩٦) والبيهقي في «مناقب الشافعي» (٧٢/٢) وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٣/٩) والسبكي في «طبقات الشافعية» (٢٩٤/١) وياقوت في «معجم الأدباء» (٣٠٧/١٧) .

والأبيات في «حماسة الظرفاء» (١٧٥/١) و«محاضرات الأدباء» (٤٦/١) و «الذخائر والأعلاق» (ص٣٦) و «المنهج الأحمد» (٦٩/١) و «الجوهر النفيس» (ص٣٦) ومنسوبة للشافعي .

وبلا نسبة في «جامع بيان العلم» (رقم٧٠١) و «شرح عين العلم» (٣٠/١) و «غذاء الألباب» (٥٧/١) و «الكنز المدفون»(ص٢٣٥) .

وقع في المطبوع تصحيف وتحريف في كثير من الأبيات ، صوّبناه من مصادر التخريج .

ففيه في البيت الثاني : «بفهيم غرر» ، وفي الثالث : «فإن خَرَج»! ووفي الرابع : «ثبت معيداً»! و«وإلا فمخزون» .

إصلاح حديث النفس

بقلم : سعد بن محمد آل عبد اللطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

يهمل بعض المربين ، والمهتمين بقضايا تزكية النفوس وتربية القلوب الاعتناء بـ «إصلاح حديث النفس» واستثمارها في بناء المسلم عقيدةً وعملاً وسلوكاً .

ولعل من أهم أسباب إهمال هذا الجانب الجهل بخطورته وأثره في الأعمال الظاهرة والباطنة .

إن الأعمال بمثابة الشجرة ، التي بذرها الخواطر وأحاديث النفس وأرضها وتربتها القلب .

وقد تكون هذه الشجرة طيبة ، وقد تكون خبيثة بحسب البذور والتربة .

وعندما نحاول تشخيص مرض وعلاجه ؛ نبدأ من البدايات والأسس الأولى له .

وعندما نتساءل عن الطريق المناسبة في تزكية نفوسنا وتربية قلوبنا أو معالجة انحراف الأمة الإسلامية ، لا بد من البحث عن الجذور والأسس والأسباب التي تفضي إلى هذه الانحرافات وتلك الأمراض .

وهذه محاولة لتلمس البدايات المبكرة لتلك الأمراض والانحرافات من خلال معرفة وإدراك أثر أحاديث النفس وخطورتها سلباً أو إيجاباً .

اعلم : أن مراتب القصد خمسة : الهاجس ، ثم الخاطر ، ثم حديث النفس ، ثم الهم ثم العزم .

وفي هذا قيل :

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا
إلا الأخير ففيه الاختلاف وقعا
فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همّ فعزم كلّها رفعت

١ ـ أهمية أحاديث النفس في أعمال القلوب :

ذكرنا أن من مراتب القصد العزم وكان قبله هم ، وقبله أيضاً حديث النفس ؛ فمن صلح حديث نفسه صلح عزمه ، والإنسان محاسب على العزم ؛ يقول النووي رحمه الله في شأن العزم : «وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة لعزم القلب المستقر ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إنّ الذين يُحِبُّونَ أنْ تَشيعَ الفاحِشَةَ في الذين آمنوا لَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿اجْتَنِبوا كثيراً من الظّنِّ إنَّ بعضَ الظَّنِّ إثْمٌ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة ، وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقاره ، وإرادة المكروه وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها والله أعلم»[1] .

ويقول ابن الجوزي رحمه الله : «إذا حدث نفسه بالمعصية لم يؤاخذ ؛ فإن عزم وصمم زاد على حديث النفس ، وهو من عمل القلب»[2] .

ويصف ابن قيم الجوزية رحمه الله «الفكرة» بأنها تحديق القلب إلى جهة المطلوب التماساً له ، ويقول : «والفكرة فكرتان : فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة ، وفكرة تتعلق بالطلب والإرادة . فالتي تتعلق بالعلم والمعرفة فكرة التمييز بين الحق والباطل ؛ والثابت والمنفي ، والتي تتعلق بالطلب والإرادة هي الفكرة التي تميز بين النافع والضار ، ثم يترتب عليها فكرة أخرى في الطريق إلى حصول ما ينفع فيسلكها ، والطريق إلى ما يضرّ فيتركها»[3] .

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١/ ١٥١ ، ١٥٢) .

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٣٥)

(٣) «مدارج السالكين» (١/ ١٤٦) .

٢ ـ أهمية أحاديث النفس في أعمال الجوارح :

إذا أدركنا أهمية حديث النفس في أعمال القلوب أدركنا أهميتها بالنسبة لأعمال الجوارح ، وأهل السنة والجماعة يرون تلازم بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح ، وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير : « . . . ألا أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ؛ ألا وهي القلب»[٤] .

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله : «إذا عرف هذا فأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة فهما مبدأ لجميع الأفعال والحركات ، كما أن البغض مبدأ كل ترك وكفّ»[٥] .

ويقول شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره ، فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «أصدق الأسماء حارث وهمّام»[٦] ؛ فالحارث : الكاسب الفاعل ، والهمام فعال من الهمّ أول الإرادة ، فالإنسان له إرادة دائماً ، وكل إرادة فلا بدّ لها من مراد تنتهي إليه ، فلا بدّ لكل من عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته ، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك فلا بدّ أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله ، فيكون عبداً لذلك المراد المحبوب»[٧] .

وبه نعلم أن كل إنسان له إرادة وعمل ، وأن هناك ترابط وتلازم بينهما ، وأن مبدأ كل عمل يسير «الإرادة» ، وأن كل إرادة لا بدّ لها من مراد تنتهي إليه إرادته ، وأنّ كل إنسان «عبد» فمن لم

---

(٤) البخاري (٥٢) ، ومسلم (١١/ ٢٦ نووي) .

(٥) «إغاثة اللهفان» (٢/٤٩٦) .

(٦) الحديث ليس في الصحيحين ولكن رواه أبو داود (٤٩٥٠) .

(٧) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٩٦) .

يكن عبداً لله كان عبداً لغيره من مال أو قبر أو وثن . . . إلخ .

ومن هنا ندرك منزلة الإرادة ـ والتي يأتي قبلها حديث النفس وبعدها العمل ـ في تحقيق التوحيد والعبودية لله عزّ وجلّ .

يقول ابن قيم الجوزية : «مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات ، والتصورات تدعو إلى الإرادات ، والإرادات تقتضي وقوع الفعل»[8] .

ويوضّح منزلة إصلاح النفس في إصلاح حديث النفس وتزكيتها قائلاً : «ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار ، وإصلاح الأفكار أسهل من الإرادات وإصلاح الإرادات ، أسهل من تدارك فساد العمل ، وتداركه أسهل من قطع العوائد»[9] .

٣ ـ أهمية حديث النفس من خلال الأحاديث النبوية :

ونورد أمثلة من الأحاديث النبوية لنعرف من خلالها أهمية حديث النفس سواء أكانت هذه الأحاديث النفسية سلبية يحذر الشارع منها أو إيجابية يحث عليها .

* قوله ﷺ : «من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدّم من ذنبه»[10] .

قال ابن حجر رحمه الله : «المراد به ما تسترسل به النفس معه ، ويمكن المرء قطعه لأن قوله يحدث يقتضي تكسباً منه ، فأما ما يهجم من الخطرات والوساوس ويتعذر دفعه فذلك معفو عنه»[11] .

* قوله ﷺ : «من مات ولم يغز ولم يحدّث به نفسه مات على شعبة

(٨) «الفوائد» (٣٠٦) .

(٩) «الفوائد» (٣٠٩) .

(١٠) البخاري (١٥٩) ، ومسلم (٣/ ١٠٨ نووي) .

(١١) «فتح الباري» (١/ ٣١٣) .

من نفاق»[١٢] .

* عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال : «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم سيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض»[١٣] .

قال النووي : «وفي هذا الحديث فضيلة النية في الخير ، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نية ، وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنّى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه ، والله أعلم»[١٤] .

* وقوله ﷺ : « . . . فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[١٥] .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه ؛ فليستعذ بالله ، ولينته»[١٦] .

* وقوله ﷺ : «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار ، قيل : فهذا القاتل ، فما بال المقتول؟ قال : «إنه أراد قتل صاحبه»[١٧] .

* وعن أبي كبشة الأنماري أن النبي ﷺ قال : « . . . إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتقي ربه فيه ، ويصل به رحمه ، ويعلم الله فيه

---

(١٢) رواه مسلم (١٣/ ٥٦ نووي) .

(١٣) البخاري (٣٨٣٩) ، ومسلم (١٣/ ٥٧ نووي) .

(١٤) «مسلم بشرح النووي» (١٣/٥٧) .

(١٥) البخاري (٦٤٩١) ، ومسلم (٢/١٤٩ نووي) .

(١٦) البخاري (٣٢٧٦) ، ومسلم (٢/ ١٥٤ نووي) .

(١٧) البخاري (٧٠٨٣) .

حقاً ؛ فهذا بأفضل المنازل . وعبد رزقه علماً ولم يرزقه مالاً ؛ فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم الله فيه حقاً ؛ فهو بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعلم فلان ؛ فهو بنيته ، فوزرهما سواء»[١٨] .

وهنا يأتي سؤال هل يعاقب العبد على الإرادة بلا عمل؟

هناك من قال : لا يعاقب ، وله أدلته ، وهناك من قال : يعاقب ، وله أدلّته أيضاً .

والقول الصحيح : التفصيل في المسألة ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «والفصل في ذلك أن يقال فرق بين الهم والإرادة ، فالهم قد لا يقترن به شيء من الأعمال الظاهرة فهذا لا عقوبة فيه . . . والإرادة الجازمة فلا بدّ أن يقترن بها مع القدرة ، فعل المقدور ولو بنظرة أو حركة رأس ، أو لفظة ، أو خطوة أو تحريك بدن . . . ففي هذه الحالة يستحقّ العقاب»[١٩] .

٤ ـ العلاج والتوجيه الصحيح للأحاديث النفسية :

قد يقول قائل : قد عرفنا أهمية الخواطر وأحاديث النفس ، وأثرها على أعمال الظاهر والباطن ، وعرفنا أهميتها من خلال الأحاديث النبوية ولكن ما هو التعامل والتوجيه المناسب للأحاديث النفسية واستثمارها في الخير وميادينه ، وإليك بعض التوجيهات في هذا الشأن :

أ ـ العناية الدائمة والاشتغال المستمر في تحقيق العبودية القلبية لله تعالى بحيث يسلم القلب من شعب النفاق

---

(١٨) الترمذي (٢٤٢٧) وقال : «حديث حسن صحيح» .

(١٩) «مجموع الفتاوى» (٧/٥٢٧) .

والكفر ، ولا يصبح لهذه الشعب مكان في القلب ، ذلك أن القلب هو محل هذه الأحاديث النفسية ، فإذا امتلأ هذا بالإيمان والتقوى والصدق ، لم يصبح للحديث النفسي السيىء مكاناً فيه ، أما إذا كان القلب فارغاً من ذلك فعليه السلام كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

ب ـ التقلل من الحياة المادية المعاصرة ، والتخفف منها ، فإنها تقسي القلب وتطلق العنان للأحاديث النفسية الدنيوية ، كما أن الحياة المعاصرة بماديتها وصخبها ، وتسارع الأحداث والفتن ، كل هذا وغيره لم يدع لأحدنا الفرصة الكافية للعناية بتربية القلب ، ومن ذلك إصلاح أحاديث النفس ، وصرفها عن الدنيا وملذّاتها إلى الآخرة وأحوالها وأهوالها .

جـ ـ ذكر الله والتعوّذ من الشيطان عند ورود هذه الأحاديث النفسية السيئة ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ .

فقد أرشد رسولنا ﷺ إلى ذلك فيما ذكر أن الشيطان يأتي أحدنا فيقول من خلق كذا؟ . . . حتى يقول من خلق الله؟ فيخبر نبيّنا محمد ﷺ أنه إذا وصل إلى هذا الحال فعلى من أصيب بهذا أن يستعيذ بالله ، ويذكر الله ، وينتهي عن هذه الوساوس .

ت ـ الاشتغال بالعلم النافع والعمل الصالح ، والتدبر في الكون وفي أحوال الآخرة وأهوالها .

ث ـ «وجماع إصلاح ذلك : أن تشغل فكرك في باب العلوم والتصورات بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه ، وفي الموت وما بعده بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه ، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة والنار ، وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها ، وفي باب الإرادات والعزوم أن تشغل نفسك بإرادة ما ينفعك إرادته ، وطرح إرادة ما يضرّك

إرادته»[٢٠] .

٥ ـ ليس باستطاعة الإنسان أن يميت الخواطر والأحاديث النفسية ويستأصلها من جذورها ، لذا يجب على صاحب هذه الأحاديث النفسية ألا يغلو ويبالغ في الجزع والهلع من الأحاديث النفسية السيئة ؛ لأن لهذا الجزع آثار سلبية عكسية ، حيث تصبح هذه الخواطر أشد إلحاحاً على القلب وتعرّضاً له ، وقد يصاب صاحبها بأحوال نفسية سيئة حينما يعطي هذه الأحاديث النفسية أكبر من حجمها ، ويعظم من شأنها ؛ فيتحول إلى وسواس دائم .

انظر إلى حال نبينا محمد ﷺ حينما شكا أصحابه ما يجدوه في أنفسهم يتعاظم أحدهم أن يتكلّم به ؛ فقال ﷺ يطمئن أصحابه : «وقد وجدتموه؟» قالوا : نعم ، قال : «ذاك صريح الإيمان»[٢١] فكانت بشرى لهم وطمأنينة نزلت برداً وسلاماً على صدورهم ، ولكن ذلك بعد توفّر شرط مهم وهو كراهية هذه الأحاديث النفسية وعدم الرضا بها ، عدم الاسترسال معها وإطلاق العنان لها .

٦ ـ علوّ الهمة : إن طموحات الإنسان تكون منبثقة بحسب اهتماماته وهواجسه :

فمن كان اهتمامه وهاجسه المال ؛ كان سعيه وهمته وتفكيره وحركاته وسكناته في تحصيل هذا المال .

ومن كان هاجسه الإسلام والذبّ عنه ونصرة أهله ؛ كان عمله وسعيه وحركاته وسكناته في سبيل ذلك .

وكل إناءٍ بما فيه ينضح .

وفيما يصبح الإسلام ونصرته هو الهاجس عندنا يملأ أفق حياتنا نستيقظ وننام عليه ؛ يصبح من السهل علينا تغيير واقع الأمة والنهوض بها من كبوتها .

---

(٢٠) «الفوائد» (٣١٠) .

(٢١) مسلم (٢/ ١٥٣ نووي) ، وأبو داود (٥١١١) .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

فهل المسلمون الآن بين غازٍ ومحدّث نفسه بالغزو، كما في الحديث السابق، حتى يسلم من النفاق وشعبه والذلِّ ودركاته؟!

٧ ـ أن يتذكر الواحد منا ويستحضر أن الله عزّ وجل على علم بما تخفي صدورنا، وبما يجول في القلوب من أحاديث نفسية سيئة أو تافهة فيستحي أحد من ربه، فيسارع بطرد هذه الخواطر والأحاديث، وينشغل بالمفيد.

«وأنت تجد في الشاهد أن الملك من البشر: إذا كان بعض حاشيته وخدمه من هو متمنٍّ خيانته مشغول القلب، والفكر بها ممتلىء منها، وهو مع ذلك في خدمته وقضاء أشغاله، فإذا اطلع على سره وقصده، مقته غاية المقت، وأبغضه، وقابله بما يستحقه، وكان أبغض إليه من رجل بعيد عنه جنى بعض الجنايات، وقلبه وسره مع الملك غير منطوٍ على تمني الخيانة ومحبتها والحرص عليها، فالأول يتركها عجزاً واشتغالاً بما هو فيه وقلبه ممتلىء بها، والثاني يفعلها وقلبه كاره لها ليس فيه إضمار الخيانة ولا الإصرار عليها، فهذا أحسن حالاً وأسلم عاقبة من الأول»[٢٢].

٨ ـ إدراك منزلة الأحاديث النفسية سلباً وإيجاباً، واجتناب الأحاديث النفسية السلبية، وطلب الأحاديث النفسية الإيجابية والاشتغال بها:

«فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحَبِّ الذي يوضع في الرحى، ولا تبقى تلك الرحى معطلة قط، بل لا بد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملاً وحصىً وتبناً ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه»[٢٣].

---

(٢٢) «الفوائد» (٣١٠).

(٢٣) «الفوائد» (٣٠٨).

فقهاء آخر زمان

قدم علينا بعض فقهاء من بلاد الأعاجم ، وكان قاضياً ببلده ، فرأيت على دابته الذهب ، ومعه أتوار الفضة ، وأشياء كثيرة من المحرمات ، فقلت : أي شيء أفاد هذا العلم؟! بلى والله ؛ قد كثرت عليه الحجج .

وأكبر الأسباب قلة علم هؤلاء بسيرة السلف وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم!

إنهم يجهلون الجملة ، ويتشاغلون بعلم الخلاف ، ويقصدون التقدم بقشور المعرفة ، وليس يعنيهم سماع حديث ، ولا نظر في سير السلف . . . ويخالطون السلاطين ، فيحتاجون إلى التزيّي بزيهم ، وربما خطر لهم أن هذا قريب ، وإن لم يخطر لهم ؛ فالهوى غالب بلا صاد . . . وربما خطر لهم أن يقولوا : هذا يحتمل ويُغفر في جانب تشاغلنا بالعلم . . . ثم يرون العلماء يكرمونهم لنيل شيء من دنياهم ، ولا ينكرون عليهم .

ولقد رأيت من الذين ينتسبون إلى العلم من يستصحب المردان ، ويشتري المماليك ، وما كان يفعل هذا إلا من قد يئس من الآخرة .

ورأيت من قد بلغ الثمانين من العلماء وهو على هذه الحالة .

فاللهَ اللهَ يا مَن يريد حفظ دينه ، ويوقن بالآخرة!

إياكَ والتأويلات الفاسدة ، والأهواء الغالبة ؛ فإنك إن ترخَّصت بالدخول في بعضها ؛ جرَّك الأمر إلى الباقي ، ولم تقدر على الخروج لموضع إلفِ الهوى .

فاقبل نُصحي ، واقنع بالكِسْرَة ، وابعُد عن أرباب الدنيا ؛ فإذا ضجَّ الهوى ؛ فدعه لهذا . . . وربما قال لك : فالأمر الفلاني قريب! فلا تفعل ؛ فإنه ـ لو كان قريباً ـ يدعو إلى غيره ، ويصعب التلافي .

فالصبرَ الصبرَ على شَظَف العيش! والبعدَ عن أرباب الهوى! فما يتمُّ دين إلا بذلك ، ومتى وقع الترخُّصُ ؛ حمل إلى غيره ؛ كالشاطئ إلى اللجَّة . . . وإنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، ووجهٌ أصبحُ من وجهٍ . . . وإنما هي أيام يسيرة .

«صيد الخاطر» الإمام ابن الجوزي (ص٥٩٠) ، طبعة دار ابن خزيمة .

زخرفة المساجد وتزويقها

بقلم: علي بن عبد العزيز الشبل

حث القرآن والسنة وقام إجماع العلماء على وجوب عمارة المساجد تحقيقاً لتوحيد الله والإيمان به وحده لا شريك له لقوله تعالى: ﴿ما كانَ للمُشْرِكينَ أنْ يَعْمُروا مساجِدَ اللّه شاهِدينَ على أنْفُسِهِم بالكُفْرِ أولئكَ حَبِطَتْ أعْمالُهُم وفي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ . إنَّما يَعْمُرُ مساجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ وأقامَ الصّلاةَ وآتَىٰ الزَّكاةَ ولم يَخْشَ إلاّ اللّهَ فعَسَى أوْلئكَ أنْ يَكُونوا مِنَ المُهْتَدِينَ﴾ .

فنفى سبحانه في هذه الآية من سورة التوبة عمارة أهل الشرك والضلال لمساجده وحصرها على الذين آمنوا به وباليوم الآخر .

وعمارة المسجد تكون بأمرين :

الأول : بناؤه مادياً ؛ ليسمى هذا البناء مسجداً .

الثاني : عمارته بإقامة شعائر الله فيه وهي الصلاة والجمع والذكر .

جاء في «الصحيحين» من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» .

إذا تقرر هذا ، فإنه قد ظهرت بين المسلمين بدع تتعلق بزخرفة المساجد وتزويقها وتشييدها ، والتكلف الكبير في بنائها مع

التباهي في ذلك والتشهر فيه والمفاخرة جهلاً من الكثير من الناس ، وظنّاً من بعضهم أن هذا هو المقصود من قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿يا بَني آدَمَ خُذوا زينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ . . .﴾ .

فهذا الفهم لا يصح من الآية ، ولا يعرف عند سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ـ أعلم الناس بالقرآن ومعانيه ودلالاته ـ فالأمر بالزينة في الآية المراد به كما جاء ذلك عن السلف هو ستر العورات عند المساجد ، والطهارة للصلاة بالطهارة الشرعية ، لأن طائفة من المشركين كانوا يطوفون بالبيت عرايا ؛ فنهانا الله عن ذلك .

ولا يفهم من الآية الكريمة : أن الزينة هي إظهار الزخرفة والنحت والتزويق في بيوت الله ـ كما هو الحال في الكثير منها ـ بسبب ورود النهي عن ذلك صريحاً في السنة وعن كبار الصحابة أئمة الهدى رضي الله عنهم .

ففي «سنن أبي داود» وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أمرت بتشييد المساجد» .

ثم قال ابن عباس : لتزخرفنّها كما زخرفت اليهود والنصارى .

التشييد : هو بناء المسجد بالجصّ ، وزخرفته ، والتطويل في ذلك .

وروى البخاري معلقاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أمر ببناء المسجد قال : «أكنَّ الناس من المطر» ، وقال : «إيّاك أن تحمّر أو تصفّر ـ يعني الطلاء الملون ـ فتفتن الناس» .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : «يتباهون بها ـ أي المساجد ـ

ثم لا يعمرونها إلا قليلاً» .

وصار من أشراط الساعة ما رواه أحمد والنسائي عن أنس بن مالك مرفوعاً : «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» .

في هذا المعنى يفسر البغوي كلام ابن عباس السابق في «شرح السنة» فيقول : «إن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرفوا وبدلوا أمر دينهم . وأنتم تصيرون إلى مثل حالهم ، وسيصير أمركم إلى المراءاة بالمساجد والمباهاة بتشييدها وتزيينها .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا حلّيتم مصاحفكم وزوقم مساجدكم فالدمار عليكم .

ومن حال مَن قبلنا في المساجد ، والذي تابعهم فيه بعض المسلمين ما في الصحيحين من حديث عائشة : أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عن الجميع ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها بأرض الحبشة ، وما فيها من التصاوير ؛ فقال ﷺ : «أولئك إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوَّروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله» .

قال ابن تيمية : فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

والزخارف ونحوها في المساجد من أهم الشواغل والصوارف للمصلي عن الخشوع في صلاته هذا معروف واقعاً .

وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خميصة ذات أعلام فلما قضى صلاته قال : «اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم ؛ فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي» .

رواه مسلم عن عائشة .

فهذه ملاية ذات أشكال وأعلام فما بالك بالمساجد المليئة بالزخرفة والتفنن فيها ، حتى إن بعضها أشبه بالمتاحف منها بالمساجد؟

وروى سعيد بن منصور في «سننه» عن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذؤيب قال : دخلت مع ابن عمر مسجداً بالجحفة ، فنظر إلى شرفات المسجد ، فخرج إلى موضع فصلى فيه . ثم قال لصاحب المسجد : إني رأيت في مسجدك هذا ـ يعني الشرفات ـ شبهتها بأنصاب الجاهلية ، فمُرْ أن تكسر .

وروى أهل السير أن الوليد بن عبد الملك بن مروان لما وسع مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وأطال بعمارته وزخرفه بالفسيفساء وأدخل حجرات الرسول وقبره فيه ، طاف بالمسجد ومعه أبان بن عثمان بن عفان ـ أحد فقهاء المدينة ـ فقال له : أيُّ هذا البناء أو بناؤكم ـ يلمزه بتوسعة عثمان للمسجد ـ؟ فقال له أبان منكراً صنيعه بموقف علماء السلف ؛ قال : بنيناه بناء المساجد ، وبنيتموه بناء الكنائس .

من خلال هذا الذي سقته يتضح للجميع : أن زخرفة المساجد وتزويقها والتكلف في بناءها مما حذرته الشريعة ، ومما يذهب عن المسجد هيبته وطبيعته .

وفّق الله الجميع للعمل بالسنة ، ومجانبة البدع والمحدثات .

●●●

أحكام فقهية تهمّ الحجّاج والمعتمرين

بقلم : الشيخ علي رضا بن عبد الله

١ ـ حكم المرور بين يدي المصلي في المسجد الحرام :

صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يديه» رواه البخاري ومسلم .

وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم حديث يخصص هذا الحكم ـ لو صح ـ من حديث المطلب بن وداعة أنه : « رأى النبي ﷺ يصلي بما يلي بني سهم والناس يمرّون بين يديه وليس بينهما سترة» .

وقد استدلّ بهذا الحديث بعض العلماء على جواز المرور بين يدي المصلي في المسجد الحرام ومنهم السيد سابق في «فقه السنة» (١/ ٥٨١) وقال : هذا من خصائص المسجد الحرام .

قلت :الحديث ضعيف ؛ لأن في إسناده جهالة فلا يصلح لبناء حكم عليه بالاتفاق .

٢ ـ حكم دخول مكة بغير إحرام :

قال في «فقه السنة» (٦٥٨/١) : «يجوز دخول مكة بغير إحرام لمن لم يرد حجاً ولاعمرة سواء أكان دخوله لحاجة تتكرر كالحطاب والحشاش والسقا والصياد وغيرهم ، أم لم

تتكرر كالتاجر والزائر وغيرهما ، وسواء أكان آمناً أو خائفاً» .

ثم نقل عن ابن حزم الحافظ قوله : «دخول مكة بلا إحرام جائز ؛ لأن النبي ﷺ إنما جعل المواقيت لمن مرّ بهنّ يريد حجاً أو عمرة ، ولم يجعلها لمن لا يريد حجاً ولا عمرة . . . فلم يأمر الله تعالى قط ولا رسول الله عليه الصلاة والسلام بأن لا يدخل مكة إلا بإحرام فهذا ما لم يأت في الشرع إلزامه» .

٣ ـ حكم إحياء ليلة العيد :

لا يشرع إحياء ليلة العيد للحاج لعدم ثبوته عن النبي ﷺ . . . وأما غير الحاج فلا يشرع له تخصيص ليلة العيد ـ عيد الأضحى أو عيد الفطر على السواء ـ بالقيام ذلك لأن الحديث الذي روي في فضل إحياء تلك الليلتين لا يثبت عن رسول الله ﷺ وهو : «من قام ليلتي العيد محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» .

فهذا الحديث من مرويات ابن ماجه في «سننه» وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٥٢/٢) عن إسناده : «رواته ثقات إلا أن بقية مدلس وقد عنعنه» .

ثم ذكر حديثين آخرين لا يصلحان للاستشهاد بهما لشدة ضعفهما فيبقى الحديث ضعيفاً لا تقوم به حجة .

٤ ـ حكم الاستشفاع برسول الله ﷺ

من الأخبار المكذوبة قصة الأعرابي الذي ينقلهما العتبي بقوله : «كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول : ﴿ولو أنَّهم إذْ ظلَمُوا أنْفُسَهم جاءُوك فاسْتَغْفَروا اللّهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسول لَوَجدوا اللّهَ توّاباً رحيماً﴾ .

وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت في القاع أعظمه
فطاب من طيبهنّ القاع والأكمُ
نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

قال : ثم انصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال : «الحق بالأعرابي وبشره أن الله قد غفر له» .

وهذه القصة المكذوبة تكلّم عليها العلماء قديماً وحديثاً ، وبيّنوا ضعفها الشديد ونكارة متنها العظيمة ، ومخالفتها للعقيدة الإسلامية الصحيحة المستقاة من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة وعمل السلف الصالح .

فاحذر أيها الحاج من طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ أو من الملائكة أو الصالحين أو غيرهم فإن الله تعالى قال : ﴿قُلْ للّهِ الشَّفاعَةُ جميعاً﴾ .

وقال : ﴿مَنْ ذا الّذي يَشْفَعُ عندَهُ إلاّ بإذْنِهِ﴾ ، والرسول ﷺ لا يشفع يوم القيامة إلا بعد إذن الله تعالى له بالشفاعة كما لا يشفع إلا فيمن حدّ له ربّ العزة والجلال من أهل التوحيد ؛ فعليك باتباع السنة ، واحذر أكاذيب المضللين ؛ فقد قال تعالى :

﴿ إنّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ويغْفِرُ ما دُونَ ذلك لِمَنْ يَشاءُ﴾

جعلنا الله هداة مهتدين .

بيان كذب ما ينسب إلى الإمام أحمد

سعد بن شايم العنزي

ما ينسبه الغزالي إلى الإمام أحمد من التأويل

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية : «وأما ما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنابلة : أن أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» و«قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن» و«إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن» .

فهذه الحكاية كذب على أحمد ، لم ينقلها أحد بإسناد ، ولا يُعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه ، وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد الغزالي مجهول لا يعرف له علم بما قال ، ولا صدقه فيما قال»[1] .

قلت : قد علمت كذب هذه الحكاية التي بها وبأمثالها يشنع الأشاعرة وأضرابهم ؛ كابن السبكي في «طبقاته» على الحنابلة[2] ويقولون : إن أحمد بريء منهم : ظانين أن أحمد من المتأولين لأخبار الصفات

وعليه : فإليك بيان هذه الأحاديث ، ومنهج أحمد والسلف في تلقيها :

- أما الحديث الأول : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» فلا يصح ، أخرجه ابن عدي (٢/ ١٧) والخطيب في «تاريخه» (٦/ ٣٢٨) وغيرهما ، قال ابن تيمية : «روي بإسناد لا يثبت»[3] .

وقال ابن الجوزي : «لا يصح» ، وقال ابن العربي : «هذا حديث باطل ، فلا

---

(١) الفتاوى (٥/ ٣٩٨) .

(٢) إذا أطلق الحنابلة في مقابلة الأشاعرة ، فالمراد السلفيون ؛ فإنهم كانوا حاملي لواء السنة .

(٣) الفتاوى (٦/ ٣٩٧) .

يلتفت إليه» .

وذكر طرقه العلامة الألباني في «الضعيفة» (١/ ٢٥٧)[٤] وقال : «فالحديث باطل على كل حال» ، وبعضهم يرويه موقوفاً على ابن عباس ، ولا يصح أيضاً .

- الحديث الثاني :«إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن»

هذه اللفظة تفرد بها شبيب أبو رباح عن أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٥٤١) في حديث : « ألا إن الإيمانَ يمانٍ ، والحكمة يمانية ، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» الحديث .

والناس من أصحاب أبي هريرة يروونه دونها في «الصحيحين» و«المسند» وغيرها ، وشبيب ؛ قال عنه أبو الحسن ابن القطان : «شبيب لا تعرف له عدالة» ، ووثقه ابن حبان على عادته ، وتبعه العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٩٢) والهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٦) والحافظ في «التقريب» .

(٤) طبع المكتب الإسلامي .

وسكت عنه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ٣٥٨) .

وعليه ؛ قال الألباني عن هذه الزيادة : «هي عندي منكرة ، أو على الأقل شاذة»[٥] .

قلت : والنكارة بها أولى ؛ لأن راويها لا تعرف له عدالة ، وجاء بما يخالف الثقات ، وهذه حال الضعفاء .

- الحديث الثالث : «قلوب العباد بين أُصبعين من أصابع الرحمن»

حديث صحيح ، رواه غير واحد من الصحابة ؛ منهم :

١- عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم (٨/ ٥١) ، وأحمد (٢/ ١٦٨) وغيرهما .

٢- أنس بن مالك عند الترمذي ، وابن ماجه ، وعبد الله ابن أحمد في «السنة» .

٣- جابر بن عبد الله عند أبي يعلى الموصلي في «مسنده» .

- وبعد ؛ فإليك البيان :

قال شيخ الإسلام : «أما الحديث

(٥) السلسلة الضعيفة (٣/ ٢١٧) .

الأول ؛ فقد روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت ، والمشهور[٦] إنما هو عن ابن عباس ، قال : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، فمن صافحه وقبَّله فكأنما صَافَح الله وقبَّل يمينه» ، ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه ، إلا على من لا يتدبر ؛ فإنه قال «يمين الله في الأرض» فَقَيَّدَه بقوله : «في الأرض» ، ولم يطلق ، فيقول : يمين الله ، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم اللفظ المطلق .

ثم قال : «فمن صافحه وقبَّله فكأنَّما صافح الله وقبَّل يمينه» ، والمعلوم أنَّ المشبَّه غير المشبه به ، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً ، ولكن شبه بمن يصافح الله ، فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله ، كما هو معلوم عند كل عاقل»[٧] .

قال شيخ الإسلام أيضاً :

«وأما الحديث الثاني ؛ فقوله : «من اليمن» يبين مقصود الحديث ؛ فإنه ليس لليمن اختصاص بصفات الله تعالى حتى يظن ذلك ، ولكن منها جاء الذين يحبهم ويحبونه ؛ الذين قال فيهم : ﴿**من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية سأل عن هؤلاء فذكر قوم أبي موسى الأشعري ، وجاءت الأحاديث الصحيحة ، مثل قوله : «أتاكم أهل اليمن أرق قلوباً ، وألين أفئدة ، الإيمان يماني ، والحكمة يمانية» ، وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة ، وفتحوا الأمصار ؛ فيهم نفّس الرحمن عن المؤمنين الكربات ، ومن خصص ذلك بأويس ؛ فقد أبعد»[٨] .

---

(٦) وهذا لا يعني أنه يصححه ؛ فإنه لم يثبت .

(٧) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٧) ، والأصل : أن يطوى البحث في هذا الخبر ، ولا يشرح ؛ لعدم ثبوته ، لكن ابن تيمية أراد أن يبين للذين يشنعون على السلفيين رواية أمثال هذه الأخبار ، وزعمهم أنهم حشوية لا يعرفون ما يروون عمق فهم السلف ، وأن عقولهم أنظف من عقول المبتلين بالكلام ، وأن السلف لا يروون ما يتضمن التشبيه .

(٨) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٨) .

- قال العلامة محمد بن صالح العثيمين :[9] «وهذا الحديث على ظاهره ، والنفس فيه اسم مصدر ينفس تنفيساً مثل فرّج يفرج تفريجاً وفَرَجاً ، هكذا قال أهل اللغة ، كما في «النهاية» و«القاموس» و«مقاييس اللغة»[10] قال في «مَقَايِيس اللُّغة» : «النفس كل شيء يفرج به عن مكروب» فيكون معنى الحديث : أَنْ تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة ، وفتحوا الأمصار ؛ فيهم نفّسَ الرحمن عن المؤمنين» .

وإتماماً للفائدة ، وبياناً لمنهج الإمام أحمد وشيوخه السلفيين ؛ في تقرير العقيدة ، أسوق فصلاً في بيان منهاج السلف في تقرير العقيدة :

قال عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» (٥٠٠) : حدثني أبي رحمه الله : نا معاذ بن معاذ : ثنا حماد بن سلمة : نا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله عزّ وجلّ : ﴿**فلما تَجَلَّى رَبُّه للجبل جعله دكّاً**﴾[11] . قال : هكذا يعني : أخرج طرف الخِنصر ، قال أبي : أراناه معاذ ، فقال له[12] حميد الطويل : ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال : فضرب صدره ضربة شديدة ، وقال : من أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد؟ حدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ تقول أنت ما تريد إليه[13]؟!

حدثني أبي قال : حدثني من سمع معاذاً يقول : وددت أنه حبسه شهرين

---

(٩) في «القواعد المثلى» (ص٥١) طبعة الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٨هـ .

(١٠) وهكذا في «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٤/ ١٠) .

(١١) الأعراف : ١٤٣ .

(١٢) الضمير يعود إلى ثابت ، كما هو مصرَّحٌ في رواية ابن أبي عاصم

(١٣) سنده صحيح على شرط مسلم ، والحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٥) والترمذي (٣٠٧٤) والحاكم (٢/ ٣٢٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨١) وصححه الترمذي ، والحاكم ، والألباني - وقالا : على شرط مسلم - وابن كثير في «تفسيره» .

يعني : لحميد[١٤] .

وروى أيضاً (٥٠١) عن سعيد[١٥] عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ : ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ قال : هكذا ، وأشار بطرف الخنصر ؛ يحكيه[١٦] .

وروى أيضاً عن عطاء[١٧] عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : مرَّ يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس ، قال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه –وأشار بالسبابة– والأَرْضين على ذه ، والماء على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، وجعل يشير بأصابعه؟ فأنزل الله عزّ وجل : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حق قدره﴾[١٨] الآية[١٩] .

وروي أيضاً : (٤٨٩) عن عبدالله[٢٠] عن النبي ﷺ : «إن الله يمسك السموات على أصبع»[٢١] قال أبي : جعل يحيى[٢٢] ، يشير بأصابعه ، وأراني أبي كيف جعل يشير بأصبعيه ، يضع أصبعاً أصبعاً ، حتى أتى على آخرها .

وقال أيضاً : (٤٩٥) نا أحمد بن إبراهيم : سمعت وكيعاً يقول : نُسلّم هذه الأحاديث ما جاء ، ولا نقول : كيف هذا؟ ولا لم كذا؟ يعني : مثل

---

(١٤) ظاهر الانقطاع .

(١٥) هو ابن أبي عروبة .

(١٦) صحيح ، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢١١) من طريق أُخرى عن سعيد ، صححها الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢١١) وفيه متابعة لحديث حماد عن ثابت المتقدم ، وله شاهد عند ابن أبي عاصم (٤٨٤) عن عكرمة عن ابن عباس ، وسندها ضعيف .

(١٧) هو ابن السائب .

(١٨) أخرجه أحمد (١/ ٢٥١) والترمذي (٥/ ٣٧١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (١٠٦) وشرطه فيه الصحة ، وفيه عطاء بن السائب ، وقد اختلط ، والراوي عنه متأخر .

وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الترمذي» .

(١٩) الزمر .

(٢٠) هو ابن مسعود .

(٢١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٥٠) ومسلم (٤/ ٢١٤٧) وغيرهما بنحو حديث ابن عباس المتقدم ، وليس فيه الإشارة إلى الأصابع .

(٢٢) هو ابن سعيد القطان راوي الحديث .

حديث ابن مسعود : «إن الله عزّ وجلّ يحمل السموات على أصبع ، والجبال على أصبع» ، وحديث أن النبي ﷺ قال «قلب ابن آدم بين إِصْبُعَين من أصابع الرحمن» ونحوها من الأحاديث .

وروى أيضاً (٤٩٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «إذا ضرب أحدكم ؛ فليتجنّب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته»[٢٣] .

حدثني أبي : سمعت الحميدي -وحدثني سفيان بن عيينة بهذا الحديث- ويقول : هذا حق ، ويتكلم ، وابن عيينة ساكت ما ينكر عليه .

وروى أيضاً الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تُقَبِّحُوا الوجه ، فإن الله خلق الوجه على صورة الرحمن» .

أخرجه أحمد ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٩) وابن خزيمة في «التوحيد» ، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٩٨) من هذا الطريق ، ورجاله «ثقات» ، وقد أُعلّ بعنعنة الأعمش وحبيب ، فهما مدلسان ، والله يغفر لهما ، والحديث يفهمه السلف على ظاهره ، وصححه أحمد ، وابن راهويه ، وكثير من السلف ، إلا أنّ ابن خزيمة ضعفه[٢٤] وتأول حديث أبي هريرة ، وتبعه بعض المتأخرين ، وتأويله ليس من عمل السلف ، ومن أخطأ من السلفيين في تأويله ؛ فله عذر عند ربه ، لأن أُصوله سلفية سليمة ، ولكن لم يصحّ عنده الحديث ، ومن أصولنا السلفية أن لا نعمل ، أو نعتقد إلا ما صح ثبوته .

فلذلك لا نلحق من تأول شيئاً من النصوص وله عذر بأهل الضلال من

---

(٢٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٤) والبخاري (٦٢٧٧) ومسلم (٤/ ٢٠١٦ ط عبد الباقي) .

(٢٤) وقد فصل القول في تضعيفه شيخنا الألباني حفظه الله ورد على من صححه في «الضعيفة» (١١٧٦) (الأصالة) .

جهمية وغيرهم ، بل نعذرهم ونقول : الأمر عندهم مشتبه ، ولهم من رحمة الله سعة ، قال أبو العباس ابن تيمية في «التسعينية» : «لا ريب أن من لقي الله بالإيمان بجميع ما جاء به الرسول مُجْملاً ، مقراً بما بلغه من تفصيل الجملة ، غير جاحد لشيء من تفاصيلها ، أنه يكون بذلك من المؤمنين ، إذ الإيمان بكل فرد من تفصيل ما أخبر به الرسول ، وأمر به غير مقدور للعباد إذ لا يوجد أحد إلا وقد خفي عليه بعض ما قاله الرسول ﷺ .

ولهذا يسع الإنسان في مقالات كثيرة لا يقر فيها بأحد النقيضين ، لا ينفيها ، ولا يثبتها ، وإذا لم يبلغه أن الرسول نفاها أو أثبتها ، ويسع الإنسان السكوت عن النقيضين في أقوال كثيرة ؛ إذا لم يقم دليل شرعي بوجوب قول أحدهما .

أما إذا كان أحد القولين هو الذي قاله الرسول دون الآخر ؛ فهنا يكون السكوت عن ذلك وكتمانه من باب كتمان ما أنزل الله من البيان والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب ، ومن باب كتمان شهادة العبد من الله ، وفي كتمان العلم النبوي من الذم واللعنة لاتمة ما يضيق عنه هذا الموضع .

وكذلك إذا كان أحد القولين متضمناً لنقيض ما أخبر به الرسول ﷺ والآخر لا يتضمن مناقضة الرسول ؛ لم يجز السكوت عنها جميعاً ، بل يجب نفي القول المتضمن لمناقضة الرسول ﷺ ولهذا أنكر الأئمة على الواقفة في مواضع كثيرة حين تنازع الناس» .

وروى عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٠٨) من طريق عباد بن العوام ، قال : قدم علينا شريك ، فسألناه عن الحديث : «إن الله ينزل ليلة النِّصْفِ من شعبان»[٢٥] .

---

(٢٥) هذا الحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٣٨) والترمذي (٧٣٩) وابن ماجه (١٣٨٩) قال الترمذي : سمعت محمداً (يعني : البخاري) يضعف هذا الحديث أ .هـ .

قلت : لا تلازم بين تضعيف البخاري له وبين قول المعتزلة ، فالمعتزلة يردون تبعاً لأصولهم =

قلنا: إنَّ قوماً ينكرون هذه الأحاديث!!

قال: فما يقولون؟

قلنا: يطعنون فيها.

فقال: إن الذين جاءوا بالقرآن، وبأنَّ الصلوات خَمْسٌ، وبحج البيت، وبصوم رمضان، فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث..

قلت: سندها صحيح.

وفي رواية: فقلت: يا أبا عبد الله إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث.

قال: فحدّثني بنحو أحاديث في هذا.

وقال: أما نحن أخذنا ديننا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم؛ عمن أخذوا؟

= الفاسدة، والبخاري والمحدثون يضعفونه لعلل في سنده، وأورد البخاري حديثاً في معناه في «صحيحه»، وهو حديث النزول آخر الليل، وهو سلفي صرف.

وقد فصل القول في تصحيح حديث ليلة النصف من شعبان شيخنا الألباني في «الصحيحة» (١١٤٤) (الأصالة).

قال عبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٣٣): سألت أبي رحمه الله عن قوم يقولون: لما كَلَّمَ الله عزّ وجلّ موسى، لم يتكلم بصوت، فقال أبوك: بلى، إن ربي عزّ وجلّ تكلم بصوت.، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت.

وقال عبدالله أيضاً (٥٨٧): حدثني أبي: نا وكيع بحديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبدالله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه قال: إذا جلس الرب عزّ وجلّ على الكرسي فاقشعر رجل - سماه أبي- عند وكيع، فغضب وكيع، وقال: أَدْرَكْنَا الأعمشَ وسفيانَ يحدثون بهذه الأحاديث لا ينكرونها[٢٦].

وروى ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٥) بسند صحيح عن طاوس عن ابن عباس، قال: حدث رجل بحديث

(٢٦) هذا الخبر عن عمر ضعيف، فإسرائيل سمع من أبي إسحاق بعد اختلاطه، وأبو إسحاق مدلس، وقد عنعن.

وهو مخالف لما صح أن الكرسي موضع قدمي الرب. لكن الشاهد هو إنكار السلف على من ينكر ما ثبت للرب من صفات ولعل وكيعاً يصحح هذا!!

أبي هريرة[٢٧] فانتفض ، قال ابن عباس : ما بال هؤلاء يجدون[٢٨] عند مُحْكَمِه ، وَيَهْلِكُون عِنْدَ متشابهه» .

وبهذا أختم كلامي ، وأسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبيل المؤمنين ، الذين أنعم الله عليهم ، ويلزمنا كلمة التقوى ، إنه وليُّ ذلك ، والقادر عليه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

(٢٧) قال الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢١٢) : «لم أقف على من نبّه على المراد بهذا الحديث ، ويغلب الظن على أنه حديث : «إن الله خلق آدم على صورته» ، وهو حديث صحيح مخرج في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٦٠)» أ.هـ .

(٢٨) قال الشيخ ناصر الألباني في «ظلال الجنة» (٢١٢/١) : «كذا في المخطوطة ، ولعله : يحيدون ؛ أي : يجتهدون ، ويهتمون لفهم المعنى المراد من القرآن عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه ؛ لأنهم لا يهتمون لفهم معناه الحقيقي مع التنزيه ، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ يصرفهم عن ذلك التأويل أو التفويض» .

مثِّل وقوفك يوم الحشر عريانا
مستعطفاً قلق الأحشاء حيرانا
النَّار تزفر من غيظ ومن حنقٍ
على العصاة وتلقى الرَّبَّ غضبانا
يا ربِّ لا تخزنّا يوم الحساب ولا
تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

الفتاوى

للعلامة المحدث / محمد ناصر الدين الألباني

● **سؤال ١:**

هناك بعض المساجد تصلي النساء فيها تحت المسجد (البدروم) أو في دور علوي للمسجد. ونحن نساء نصلي في هذه المساجد أحياناً مقتديات بالإمام من حيث لا نرى الإمام ولا المأمومين. وأحياناً يكون المسجد مصلّى الرجال: فيه مكان كبير شاغر؛ هل صلاتنا صحيحة؟ إذا كنّا لا نرى الإمام أو أحداً من المأمومين؟ علماً بأنه أحياناً ندخل المسجد ونحن لا نعلم في أي ركعة هو. وهل يجوز في هذه الحال الاقتداء بمكبر الصوت فقط؟ وهل يصح أن نقتدي بالإمام ونحن في الدور العلوي أو السفلي. علماً بأن المسجد في بعض الأحيان يكون فيه سعة؟

□□□

○ **جواب ١:**

الجواب على قسمين :

القسم الأول :

أن الصلاة والحالة هذه صحيحة مادامت النساء تُصلي في المسجد ؛ سواء كان في القسم الأعلى أو الأدنى ، ما دُمن يسمعن تكبيرات الانتقال من الإمام ؛ من القيام ، إلى الركوع ، إلى السجود .

القسم الثاني :

فلا ينبغي للنساء أن يُصلين هذه الصلاة إلا إذا كان مكان الرجال قد غصَّ بالمصلين ولا يجدن في مؤخرة الصفوف مكاناً لهنَّ ، في هذه الحالة ؛ يجوز لهن أن يصلين في القسم الأعلى من المسجد ، أو الأدنى منه ، أما إذا كان في المسجد الذي يصلي فيه الإمام وخلفه الرجال مكان شاغر ، فلا يجوز للنساء أن يصعدن إلى القسم الأعلى ، أو أن ينزلن إلى القسم الأدنى

بحيث لا يريْن حركات الإمام ، أو حركات المقتدين به ، والسبب في هذا يعود إلى أمرين اثنين :

الأمر الأول :

أن النبي صلى اللّه عليه وسلم حين قال : « خير صفوف الرجال أولها ، وشرُّها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرُّها أولها» ؛ إنما عني ذلك : الأرض التي كان يصلي فيها النبي وأصحابه من خلفه ، وليس النساء في قسم أعلى أو أدنى ، والسر في هذا : أن مكبِّر الصوت قد يخفى أحياناً ، وقد يتعطل تارة ؛ فتتعرض صلاة المقتديات في القسم الأعلى أو الأدنى الذي لا يرين منه صلاة المصلين من الرجال خلف الإمام للبطلان .

فخلاصة هذا الجواب : أن الصلاة في القسم الأعلى أو الأدنى صحيحة ، ولكن لا يجوز أن يتقصدن الصلاة في ذلك المكان إذا كان في مصلى الرجال فُسحة بحيث يُمكن للنساء أن يُصلين في مؤخرتها .

● **سؤال ٢:**

إذا اختلفت المرأة مع زوجها في رأي فقهي: مثل السفر بدون محرم فهل له أن يُجبرها على رأي فقهي عموماً؟

□□□

○ **جواب ٢:**

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضّل اللّه بعضهم على بعض﴾ ، ففي مثل هذه المسألة لا بُدَّ أن ينفذ رأي أحد الزوجين إما الزوج ، وإما الزوجة ، ولا شك ولا ريب أن الرجل ؛ مادام أن اللّه عزّ وجلّ فرض على المرأة أن تطيعه ؛ فلا عبرة برأيها ـ والحالة هذه ـ وعليها أن تطيعه ، ولكن قبل ذلك عليهما أن يتطاوعا ، وأن يتفاهما ، فإذا وصل الأمر إلى النقطة التي جاء السؤال عنها ؛ فالجواب أنها يجب أن تطيعه وألا تخالفه .

□□□

● **سؤال ٣:**

ما أمثل طريقة للدعوة بالنسبة للنساء؟

○ **جواب ٣:**

أنا أقول للنساء : قرن في بيوتكن ، وليس لكُنَّ شأن بالدعوة ، أنا أنكر استعمال كلمة الدعوة بين الشباب بأن هؤلاء من أهل الدعوة ، كأن الدّعوة صارت «موضة» العصر الحاضر ، فكل

إنسان يعرف شيئاً من العلم أصبح داعية!
ولم يقف الأمر عند الشباب حتى انتقل الأمر إلى الشابات ، وإلى ربّات البيوت ، وأصبحن ينصرفن في كثير من الأحيان عن القيام بواجب بيوتهن ، وبعولتهن ، وأولادهن منصرفات عن هذه الواجبات ، بما ليس واجباً عليهن ، ألا وهو أن تقوم بالدعوة .

الأصل في المرأة أن تقرَّ في بيتها ، ولا يُشرع لها أن تخرج إلا لحاجة مُلحّة ، لقول النبي صلى اللّه عليه وسلم : «وبيوتهن خير لهن من الصلاة في المساجد .

ونحن نرى الآن ظاهرة منتشرة بين النساء : يُكثرن الخروج إلى المساجد لصلاة الجماعة ، فضلاً عن صلاة الجمُعة ، وبيوتهن خير لهن ، إلا إذا كان هناك مسجد فيه إمام عالم ، يُعلم الحاضرين شيئاً من علوم الدين ؛ فتخرج المرأة للصلاة إلى المسجد ، للاستماع إلى العلم ، فلا مانع من ذلك ، أما أن تنشغل المرأة بالدعوة (!) فلتقعد في بيتها ، ولتقرأ من الكتب التي يجهزها لها زوجها ، أو أخوها ، أو بعض محارمها ، ثم لا مانع بأن تتخذ يوماً تدعو النساء للحضور عندها ، أو تخرج هي للحضور في دار إحداهن ، وذلك خير من أن تخرج الجماعة من النساء ، أن تخرج واحدة إليهن خير لهن من أن يخرجن كلهن إليها ، أما أن تنطلق وتسافر وربما تسافر بغير محرم ، ويسوغ لها ذلك أنها خرجت للدعوة ، هذه من بدع العصر الحاضر لا أخصُّ بذلك النساء فقط ، بل حتى الشباب الذين أولعوا بالتحدث بالدعوة وهم بَعْدُ في ضحضاح من العلم .

□□□

● **سؤال ٤:**

هناك حديث، يقول: "بارك اللّه في المرأة الملساء" وحديث: "إنكم في زمان: من ترك عُشراً لدينه: فقد نجا" ما مصدرهما؟ وما مدى صحتهما؟

□□□

○. **جواب ٤:**

أما الحديث الأول : «بارك اللّه في المرأة الملساء» ؛ هذا حديث لا أصل له ، ولا يمكن أن يوجد في الشرع مثل هذا التبديل ؛ ذلك كون المرأة ملساء ، أو كونها مشعرانيّة هذا أمر لا ملك ولا طوق لأحد في أن يكون أملس أو ملساء أو مشعرانيّة ، هذا خلق اللّه ، وهذا يقابل ببعض

الأحاديث الموضوعة التي فيها ذمٌّ في نوع من البشر ، ويصفهم بصفات لا يتميز بها الزنج عن البيض ، يمكن يكون مثلاً البيض من هذه الصفات السيئة ؛ كما يمكن أن يكون الزنوج ، فكون الإنسان يكون أملس أو مشعرانياً ، كونه أبيض الخلقة أو أسود الخلقة تماماً ككونه طويلاً أو قصيراً ، لا يمدح ولا يذم بشيء من ذلك ، ولا سيما والقضية نسبية ، بعضنا ينظر إلى الزنوج نظرة ازدراء ؛ لسواد أبدانهم ، الزنوج وقد ينظر بعض الزنوج إلى البيض النظرة نفسها ، وفي عبارة معروفة يسمونهم : «الزنبرص» يعني : أبرص .

هذه قضايا نسبية ، يستحيل بالنسبة للإنسان الكامل أن يربط مدحاً أو قدحاً في شيء لا يملكه الإنسان ، إنما المدح والقدح يكون فيما يصدر من هذا الإنسان المكلف ، سواء كان أبيض ، أو أسود ، أملس أو أشعر .

أما حديث : «أنتم في زمان من ترك في عُشر ما أمر به هلك . . ؛

فهذا الحديث رواه الترمذي بإسناد ضعيف ، وقد رواه بعضهم بلفظ آخر ، وهو مخرّج في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» .

□□□

● سؤال ٥:

هل يجوز للمرأة أن تتصرف في مالها بغير إذن زوجها، وإذا علمت المرأة مسبقاً أن زوجها لا يوافق بالتصرف في مالها وإن كان للصدقة، وكذا تصرّفها بحليِّها الذي اشترته من مالها من غير إذنه: فما الحكم؟

□□□

○ جواب ٥:

الحكم واضح في هذا الأمر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : «لا يجوز لامرأة أن تتصرف في مالها إلا بإذن زوجها» .

وهو حديث حسن صحيح ؛ حسن لذاته ، وصحيح لطرقه ، وأن كل ما يظن أنه يخالف هذا الحديث ؛ فليس يصح الاعتماد عليه وادعاء أنه مخالف للحديث .

وأما حديث تصدق النساء بالخواتم والأقراط ونحو ذلك ؛ كما في «الصحيح» فإن هذا يجاب عنه من وجوه كثيرة :

منها : أنه يمكن أن يكون ذلك التصدق بإذن من أزواج النساء .

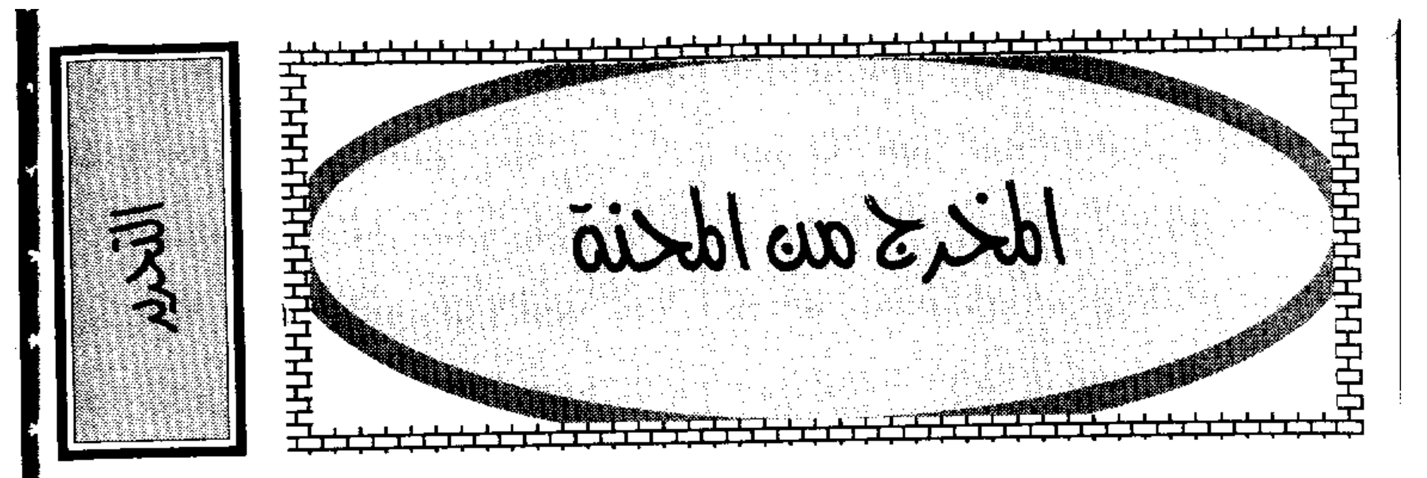
ويمكن أن يكون ذلك بعد أن يستقر هذا الحكم الذي جاء في الحديث .

ولذلك فننصح كل امرأة مسلمة ملتزمة للعمل بالكتاب والسنة أن لا تتصرف في مالها بغير إذن زوجها ؛ لأن ذلك يكون مدعاةً وسبباً لإثارة الخلافات بين الزوجين ، وقد يكون عاقبةُ ذلك سيئة جداً .

وإذا كان هناك زوج جبار ظالم لزوجته ، فهي تستطيع أن ترفع أمرها إلى القضاء الشرعي وبخاصة أن القضاء الشرعي اليوم للنساء وبصورة أخص في هذه المسألة كلّهم متفق أن للمرأة أن تتصرف في مالها بدون إذن زوجها ؛ فإذا رفعت الأمر إلى القضاء ، وحكم القاضي بأن هذا اعتداء من الزوج على الزوجة ، ولها أن تتصرف في مالها ، إلا إذا كان الزوج يرى أنها مسرفة وحينئذٍ القاضي سيمنعها ولو كان يتبنى أن الأصل في هذه المسألة الحل ، وجواز التصرف ، لكن سوف لا يسمح لها أن تتصدق تصدّقاً يوقعها في الإسراف ، وتبذير المال ، والله أعلم .

إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع.

ولا يظهر الود السليم إلا من القلب المستقيم.



تموج في الناس اليوم فتن كثيرة، ومحن خطيرة، لا يعرفون لهم طريقاً يخرجون منها، ولا يعلمون لهم سبيلاً ينقذهم من بين براثنها:

فبعض هذه المحن اقتصادية؛ شلّت بها حركتهم، وخارت منها قواهم.

وبعض هذه المحن اجتماعية؛ دمرت من خلالها أخلاقهم، وعُطلّت عبرها مصالحهم.

وبعض هذه المحن فرديَّة؛ ذهبت نتيجتها عقولهم، وانمحت إثرها تواريخهم.

وهذا كله - مُجْتَمعاً -انعكس على وجودهم، وصار أثراً مؤثراً في كيانهم؛ فصار (هؤلاء) -جرّاء ذلك- أُلعوبة بأيدي أعدائهم، وأُرجوحة تروح وتجيء كما تأخُذها الريح(!)

ينظرون يميناً . . . لعلهم يجدون ملجأ أو مغارات.

ينظرون شمالاً . . . لعلهم يرون مفرّاً أو وزراً.

ينظرون أمامهم . . . لعل طريقاً تسلك بهم للنجاة.

ينظرون خلفهم . . . لعل فارساً على حصان أبيض يشق الأرض ليتناوشهم.

ينظرون إلى فوق . . . إلى باب يُفتح من السماء يكون فيه مخرج مما هم فيه.

وينظرون إلى تحت لعل الأرض تبتلعهم؛ ليعيشوا في العوالم (السفلية) حياة خيراً مما هم عليه.

أوهام يعيشون عليها.

أوهام يؤمّلون أنفسهم بها.

أوهام ينعشون فيها خيالاتهم.

وكل ذلك هباء . . . يطير في الهواء.

الحل أيها القوم بين أيديكم ، وأمام نواظركم ، وجاهز بانتظاركم :

فهل من مقبل إليه؟!

وهل من سائر عليه؟!

إنه الإسلام ، دين الله الخالد ، دستور الخلائق ، وهادي البشرية ، ومصلح الأكوان .

ومن عجب ـ والعجائب كثيرة ـ أنّهم جربوا الكثير ... من شيوعية ، إلى بعثية ، إلى قومية ، إلى إقليمية ، إلى وطنية ، إلى ديمقراطية ، إلى (دكتاتورية) ... فلم يجد ذلك فيهم شيئاً ، ولم يصلح لهم شأناً ، بل (هم) جميعاً في ازدياد من السوء ؛ وعلى جميع الاتجاهات والنواحي ، ماديّة ، ومعنوية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وأخلاقية ... إلخ .

﴿وَمَنْ يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم لَيَصُدُّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم إذْ ظلمتم أنفسكم أنكم في العذاب مشتركون . أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين . فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نُرِينّك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذي أُوحي إليك إنَّك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون﴾ .

ذِكر لك ولقومك ... «شرف لك ولقومك»[1] .

وسوف تسألون : «عن هذا القرآن ؛ وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له؟!»[2] .

فمن أعرض : فالنار موعده ، الذل مصيره ، والهوان مآله ...

﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال ربي لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١٩٥) .

(٢) «المصدر نفسه» (٤/ ١٩٥) .

آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ .

فلو ملأ الأسماع صوته في الدنيا فهو منسي في الآخرة .

ولو ملأ الدنيا ضجيجاً بإعلامه وأتباعه فهو مخذول في الآخرة .

ولو ملأ الدنيا صَخَباً بخطبه ، فهو كأمثال صغار النمل –يوم القيامة– يوطأ تحت أقدام المؤمنين المفلحين . . . يقاد إلى سجن بولس فوقه نار الأنيار .

هذه هي المعادلة ، وهذه هي الموازنة ، وهذه هي أوجه المقابلة .

عمل بالكتاب والسنة . . فوز ونجاة .

إعــــراضٌ ، وتحكم ، وظلم . . بوار مسبت .

﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً﴾ .

فأيهم أقوم قيلاً وأحسن مقيلاً؟!

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:

"إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا؛ قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة.

وإذا رضيت بموائد الدنيا؛ فاتتها تلك الموائد".



عودةٌ إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَفِ الأمّة

رسالــةٌ إسلاميَّــةٌ مَنهَجِيَّــةٌ جامِعَــةٌ

العــددُ الثَّاني

١٥ جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ

التَّـــحريـــر

محمَّد موسى نَصر

سليــم الــهلالــي

مشهور حسن سلمان

علي بن حسن

المُـــراسَـــلات : الأُردن :

عَـمَّـان (ص . ب) : ٦٢٠٥٢٠

أو: الزَّرقاء (ص . ب) : ٣٣٦٩

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفِرُهُ، ونَعوذُ باللّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء:١] .

﴿ ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب:٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

فاتحة القول

أصالة (الأصالة)

التحرير

(الأصالةُ) فكرةٌ استولت على العقول، فكانت (عقيدةً) مشدودةَ العقدِ ببرهان القرآن، ثمَّ فاضت على أَسِلَّات (الألسنة)؛ فكانت كلاماً مشرقَ الجوانب بنور الحكمة، ثمَّ جاشت على أسنَّة (الأقلام)، فكانت كتابةً في صحائِفَ .

ومهما اشتدَّ الظَّلامُ ومدَّ مدَّه، وانتشر الظُّلمُ وجهدَ جهدَه، وبلغ الغاية من الشِّدَّة، فما ينال من « العقائد » نيلاً، نعم؛ تُصاب (الألسنة) بالسُّكوت، لكنْ ... إلى حينٍ، وتبلى (الأقلامُ) بالانكِسارِ، لكنْ ... إلى أوانٍ، ومع هذا فالسُّكوتُ خيرٌ مِن نشر الأباطيل، ولكن قديماً قيل : « أكبر أعوان الظَّلمة : كلام الطَّالحين، وسكوت الصَّالحين » !

وإن كان سكُوتُنا في فترةٍ مضت، فهو لحكمةٍ شاءها اللَّه عزَّ وجل، فقد كَمُلَت الخبرةُ أو كادت، واستحكمت التَّجرِبة ونضجت، فنحن نعلم أنَّ (سكوت) العاقل مُختاراً في وقتٍ يَحسُنُ السُّكوتُ فيه خيرٌ من أن ينطق مختاراً في وقت لا يَحسُنُ الكلام فيه، وكلُّ نَطقةٍ تمليها الظُّروفُ لا (العقائد)، تُثمر سكتةً عن الحق، ما من ذلك بُدّ .

فـ (الأصالة) لها من اسمها نَصيبٌ، فهي لسانُ حقٍّ لا ينخرسُ ولا يخبو، وسيفُ صدقٍ لا ينثلمُ ولا ينبو، فـ (الصُّحُفُ) في لسان العُرف كـ (الصَّحائف) في لسان الدِّين، منها صحائفُ الأبرار، ومنها صحائفُ الفجّار، فصحيفتنا للأبرار، أبوابها إليهم مُشرَعةٌ، حيَّةٌ في نفوسهم، متمثّلةٌ في أفكارهم، موقظةٌ مشاعرهم، تشتاقُ إليهم، ويشتاقونَ لها، لأنَّهم سيرونَ فيها - إنْ شاء اللَّه تعالى - مَدَداً من النُّصرة، وفيضاً من القوَّة، تحمل في طيَّاتها الدِّين، مدعَّمة بالكتاب وصحيح السنَّة وَفقَ فهم سلف الأُمَّة .

أمَّا (الفجَّار) فهي صواعقُ حقٍّ مرسلةٌ عليهم، تدمغُ باطلَهم، وتدفع شُبَهَهم، وتكشفُ شرورَهم، وتدكُّ حصونهم، وترميهم بشُهُب (الحُجَج) وقذائف (البراهين) من كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ .

وأخيراً ... فـ (الأصالة) أصيلةٌ في طرحها، ومنهجها، ومواضيعها، تعلم أنَّ (بيع القلم واللِّسان أقبح من بيع الجندي للسِّنان) وهي (تجري على ما تُريد) لا (على ما يُراد منها)، تُرَدِّدُ مع الزَّبَّاءِ - قبلَها - قولَها : « بيدي لا بيد عَمروٍ » .

نرجو أن يجد القارئُ (الأصالةَ) سلوةَ الظاعن، وأُنسَ المقيم، وأن تكونَ لساناً يفيضُ بالحكمةِ المستمدَّةِ من كلام اللَّه، وكلام رسوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، والذي يَرمي بالشَّرر على المبطلينَ والمعطِّلين والمُخذِّلين .

وأن تكونَ سَيفَ حقٍّ سُلَّ في وقتٍ نِيلَ فيه من دعوةِ الإسلامِ الشَّاملةِ: (السَّلفيَّة) و (أعلامها) الأبرار، دفاعاً عن الإيمانِ ... والمؤمنين .

﴿ مِنَ المؤمنينَ رجالٌ ﴾

سليم بن عيد الهلالي

الرُّجولة صفةُ كمالٍ ترقى بالمجتمع المسلم إلى علياء الاستقامة وقمّة الاستقرار، فهيَ :

• تَطَهُّرٌ ﴿ فيه رِجالٌ يُحِبُّونَ أن يتطهَّروا واللَّهُ يحبُّ المُطَّهِّرين ﴾ [التوبة:١٠٨] .

• وحافزٌ لعبوديَّة اللَّه وحده : ﴿ رجالٌ لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ اللَّه وإقامِ الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة يخافونَ يوماً تتقلَّبُ فيهِ القلوبُ والأبصار ﴾ [النُّور:٣٧].

• وثباتٌ في الموقف، وصدقٌ في العهد : ﴿ مِنَ المؤمنينَ رجالٌ صدقوا ما عاهَدوا اللَّهَ عليهِ فمنهم مَن قضى نحبهُ ومنهم مَن ينتظرُ وما بدَّلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب:٢٣] .

• وتنظيمٌ لعلاقة الذَّكر بالأنثى : ﴿ الرِّجالُ قوَّامونَ على النِّساء بما فضَّلَ اللَّه بعضَهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أَموالِهم فالصَّالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيبِ بما حَفِظَ اللَّه ﴾ [النِّساء : ٣٤] .

﴿ وَلَهُنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعروف وللرِّجالِ عليهنَّ درجة ﴾ [البقرة:٢٢٨].

فلا جَرَم أنْ يصفَ اللَّهُ عزّ وجلّ أصحابَ محمَّد ﷺ بالرُّجولة ... نعم، لقد كان أصحابُ رسول اللَّه ﷺ رجالاً، تبوَّؤا العلمَ والإيمانَ والغيرةَ على دينهم وعِرضِهم، فقد كانوا أذلَّةً على المؤمنين، أعزَّةً على الكافرين .

نعم؛ قد : « كان أصحاب النَّبي ﷺ يتبادحونَ بالبطِّيخ، فإذا كانت الحقائق

كانوا هم الرِّجال »[1]... هكذا - واللّهِ - الرِّجالُ ...

وللّهِ دَرُّ القائل :

رجالٌ صفت أخلاقُهم وتمخَّضت

وليس الكريمُ المحضُ مثلَ المُمَزَّجِ

أمّا إذا استنوق الرِّجالُ، فقد ذهبت الغيرةُ على الدين والعرض، وصدق القائل :

أبنيَّ إنَّ من الرِّجال بهيمةً

في صورةِ الرَّجل السَّميعِ المُبصِرِ

فَطِنٌ بكُلِّ مصيبةٍ في مالهِ

فإذا أُصيب بدينه لم يَشعُرِ

وإذا استبعرت النِّساء، فقد كَثُر الخَبَثُ ... فالهلاكُ الهلاكُ :

ما كانت العذراءُ تُبدي سِترَها

لو كان في هذي الجموعِ رجالُ

وعندئذٍ لا ينفعُ البُكاءُ على الأطلال، أو ضربُ الأمثال، أو تذكيرُ الأجيال؛ لأنَّ المقالَ سيكونُ كما قال عليٌّ - رضي اللّه عنه - لشيعته : « يا أشباهَ الرِّجال ولا رجال، حُلومُ الأطفال وعُقول ربَّات الحِجال » .

أو كما قالت أُمُّ أبي عبداللّه الأقمر - آخر مُلوك الطوائف - :

اِبكِ مِثلَ النِّساءِ مُلكاً مُضاعاً لم تُحافِظْ عليه مِثلَ الرِّجالِ

فيا مُسلمُ يا عبدَاللّه :

كُن رَجُلاً رِجْلُهُ في الثَّرى

وهامَةُ هِمَّتِهِ في الثُّريَّا

(١) رواهُ البخاري في « الأدب » (٢٦٦) بسند حسن، و (يتبادحون): يتضاربون .

وجوب تعاون المسلمين على البر والتقوى

محمد موسى نصر

عن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« ... واللَّهُ في عون العبد ما كانَ العبدُ في عونِ أخيهِ » أخرجه مسلم في « صحيحه » .

أمر اللَّهُ سبحانه وتعالى بالتَّعاون على البرِّ والتَّقوى، وأكَّده رسولُه عليه الصَّلاة والسَّلام بقوله وفعله .

قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعُدوانِ ﴾، فالتَّعاوُن المحمودُ شرعاً هو : ما كانَ في اللَّه، وللَّه، وأعانَ على طاعة اللَّه، وما سوى ذلكَ فليسَ منَ اللَّهِ في شيء، وأصحابه آثمون؛ لتعاونهم على معصية اللَّه سبحانه وتعالى .

والنَّبي ﷺ هوَ أوَّلُ واضعَ لِلَبِنَةِ التَّعاون في صرح العمل الإسلامي فهو - عليه الصَّلاة والسَّلام، وفي أوَّل يومٍ من هجرته، وفي أوَّل ساعة من وصوله إلى المدينة المنوَّرة - ندبَ الصَّحَابةَ رضي اللَّه عنهم فشمَّروا جميعاً عن سواعدِ الجدِّ، وبدؤوا ببناءِ المسجد؛ ليُصبحَ أول قاعدة من قواعد الدَّعوة الإسلاميَّة، وشارك النَّبيُّ ﷺ بنفسه في بناء المسجد؛ ليكونَ حافزاً قويّاً لهم على العمل الجادِّ المخلص، وليبيِّنَ لهم : أنَّ الإسلامَ دينُ عملٍ وجهادٍ وتعاونٍ، وأنَّ القائد المسلم ينبغي أن يكونَ متواضعاً، وأن لا يستكبرَ عن العمل مع رجاله وجُنده، فلمَّا رأى الصَّحابة رضي اللَّه عنهم نبيَّهم ﷺ يعمَلُ بيديهِ الشَّريفتينِ معَهم تفانَوْا في العملِ .

والأمرُ نَفسُه قد وقَعَ في حفرِ الخندقِ - ذلكم الخندقُ الطَّويلُ العظيمُ الذي احتاج إلى جهدٍ كبير - ولولا مشاركة النَّبي ﷺ بنفسِه في العمل لما استطاعَ الصَّحابة رضي اللّه عنه حفرَه قبلَ هجومِ الأحزابِ عليهم، وقد أدركَ النَّبيُّ ﷺ أهميَّة التَّعاون وعِظَمَ أثرِه في بقاء المجتمعات، فما كانَ منه عليه الصَّلاة والسَّلام إلَّا أن آخى بينَ المهاجرينَ والأنصار، فتعاونوا على البرِّ والتَّقوى، وضربوا بإخائهم أروع الأمثلة في المحبَّة والصِّدق والإيثارِ، وحبُّ الخيرِ لإخوانِهم ما لم يشهد التَّاريخُ له مثيلاً، مما أورث في قلوب المهاجرينَ حبَّ الأنصار؛ لأنَّ حبَّ الأنصارِ للمهاجرينَ وتعاونهم معهُم وإيثارهم على أنفسهم لم يكن - البتَّةَ - لغرضٍ دُنيويّ، وإنَّما كانَ حبّاً في اللَّه وابتغاءاً لمرضاته .

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أنس رضي اللّه عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال : « لا يؤمنُ أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه » .

● الأُمَّة الإسلاميَّة كالبنيان الواحد :

والنَّبيُّ ﷺ يُشبِّه الأمَّة بالبنيان المتراصِّ المركبِ من اللَّبِنات، وكلُّ فرد من أمَّة النَّبي ﷺ لبنةٌ في هذا البناء، فلا بدَّ لكمال هذا البناء وسلامةِ بنيانه من سلامة هذه اللَّبِنات وتماسُكها، أمَّا إذا تفكَّكت وتهلهلت تصدَّع البناء وانهار، وكذلك الأمَّة الإسلاميَّة؛ أفرادها لبناتٌ في المجتمع الإسلامي، لا بدَّ من تَضافر جهودِهم واجتماع كلمتهم على طاعة اللَّه سبحانه وتعالى وعلى ما يعودُ على أمَّة الإسلامِ بالخيرِ .

وما أصاب المسلمينَ على مرِّ العصورِ من وَهَنٍ وضَعفٍ وتسلُّطِ أعدائهم عليهم إلَّا بعدَ تفكُّكهم وضعفِهم وقلَّة تعاونهم فيما بينهم، والتَّأريخُ يشهد لما نقول كما حدَثَ أيَّامَ المغول والصَّليبيين، وفي الأندلس وفلسطين، وكذا اليوم في البوسنة

قال تعالى : ﴿ واعتَصِموا بحبلِ اللّهِ جميعاً ولا تفرّقوا ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ ولا تَنازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذهَبَ رِيحُكُم ﴾ أي: قوّتكم .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً. وشبَّك بينَ أصابعه » متّفق عليه .

قال القرطبي رحمه اللّه تعالى : « هذا تمثيلٌ يُفيد الحضَّ على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأنَّ ذلكَ أمرٌ متأكدٌ لا بدَّ منه، فإنَّ البناءَ لا يتمُّ ولا تحصلُ فائدته إلّا بأنْ يكونَ بعضه يُمسك بعضاً، ويُقوّيه وإن لم يكن ذلك انحلّت أجزاؤُهُ وخَرِبَ بناؤه، وكذلك المؤمنُ لا يستقلُّ بأمر دُنياه ودينه إلّا بمعاونة أخيه ومعاضدته، فإن لم يكن ذلك عَجِزَ عن القيامِ بكلِّ مصالحه ومقاومة مضارِّه، فحينئذ لا يتمُّ له نظامُ دنياهُ ولا دينِه ويلحقُ بالهالكين » .

ومجالاتُ التَّعاون بينَ المسلمينَ كثيرة جدّاً: فهم يتعاونونَ في مساجدهم على طاعة ربِّهم، فعلماؤهم يعلّمونَ عامّتهم ويفقهونهم في دينهم، ويتعاونونَ في جهادهم على قتال أعدائهم وحماية دينهم وأعراضهم وأوطانهم .

ولقد رأينا ما أصابَ المسلمينَ في بعض ديار الإسلامِ من هوانٍ شديدٍ ناتجٍ عن تسلُّطِ الأعداءِ عليهم، وذلك عندما تخلَّى عنهم أبناءُ دينهم وعقيدتهم، فنالَ منهم العدوُّ ما نالَ من قتلٍ وأسرٍ وتشريدٍ، فأصابهم ما أصاب أصحابَ الحكاية المشهورة التي تُروى في كتب الأدب الذين قِيلَ فيهم المثل المشهور : « أُكلت يومَ أُكِلَ الثّورُ الأبيض » !

فالعدوُّ الماكرُ اللّئيمُ يعرفُ متى ينقضُّ على هذه الأمّة، فأوّل عمل يقوم به تشتيتُ جمعهم، وتفريقُ كلمتهم، والوقيعةُ بينهم، فإذا تفرّقوا خلا بهم على انفراد .

ولقد حذَّرَ النّبي من ذلك بقوله عليه الصَّلاة والسَّلام :

« ما من ثلاثة في قرية ولا بادية لا يقيمونَ صلاة الجماعة إلَّا استحوذَ عليهم الشَّيطان، فعليكُم بالجماعة فإنَّما يأكلُ الذِّئبُ منَ الغنم القاصية »[1]، أي: المتخلِّفة عن القطيع، المنفردة وحدها؛ لأنَّ نجاتها وسلامَتها ببقائها مع جماعتها من الأغنام، وكذلك يُقال لهذه الأمَّة التي تداعَت عليها الخصومُ والأعداء كتداعي الأَكَلَةِ إلى قصعتها .

فالاجتماعُ قوَّةٌ والتَّفرُّقُ ضعفٌ وتَشتُّت وهوان.

تأبى الرِّماحُ إذا اجتَمَعنَ تكسُّراً   وإذا افتَرقنَ تكسَّرَت آحادا

فالتَّعاونُ مطلوبٌ من الجميع؛ أفراداً وجماعاتٍ، وعلى المستويات كافَّة، في البيت، وفي السُّوق، وفي المسجد، وفي الحقل، وفي المصنع، وفي الحرب، وفي السِّلم، وفي كلِّ ميادين العمل .

ولا بدَّ من المحبَّة والإخاء، لدوام التَّعاون بينَ المسلمينَ، فالنَّفسُ البشريَّةُ لا تأنس إلَّا بمن تحبّ، فالأرواحُ جنودٌ مجنَّدة فما تعارف منها ائْتَلَفَ وما تناكر منها اختلف، ولذلك رغَّب النَّبيُّ ﷺ أمَّته أن تتعارف فيما بينها، وأن يزورَ بعضُها بعضاً، ووضع حقوقاً للمسلم بأدائها والمحافظة عليها تَدخُلُ المودَّةُ إلى قلوبهم؛ فزيارة المريض إذا مرض، وتشميتُ العاطس أذا عطس، وردُّ السَّلام على من عرفت ومن لم تعرف، ومشاركتُهم في أفراحهم، والشعورُ معهم في مصايبهم وأحزانهم، كل ذلك قواعد متينةٌ لبقاء المودَّة بينَ المسلمين واستمراريتها، وهي سببٌ مباشرٌ لتعاونهم بعضهم مع بعضٍ .

وعن النُّعمان بن بشير رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمَّى » متَّفق عليه .

---

(١) رواه أبو داود والنسائي عن أبي الدَّرداء، انظر « صحيح الترغيب » (٤٢٥) .

ففي هذا الحديث تعظيمُ حقوق المسلمين، والحضُّ على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضاً .

ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام : « لا تحاسدوا، ولا تناجشوا[1]، ولا تباغضوا، ولا تدابروا[2]، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد اللَّهِ إخوانا : المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، التَّقوى ههنا - ويشيرُ إلى صدره ثلاث مرَّات - بحسب امرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعِرضُه » رواه مسلم .

فانظر رحمك اللَّهُ إلى مجتمع سَلِمَ من هذه الآفات والأمراض كيف يكون قويّاً سليماً يتعاون أبناؤه فيما بينهم ويتحابُّونَ في اللَّه، وينصر قويُّهُم ضَعِيفَهُم !؟ وهذا هو سرُّ فلاح أسلافنا وانتصاراتهم على أعدائهم وتمكين اللَّه لهم في الأرض .

فهل نُدرك - حقيقةً - ما كانَ عليه أسلافنا من التَّعاون وحب الخير للآخرين فنفُوزَ كما فازوا، وبذلك يُحَقِّقُ اللَّهُ لنا ما وَعَدَنا في كتابه وسنَّة رسوله، نسألُ اللَّه أن يكونَ ذلكَ قريباً .

وآخِرُ دعوانا أنِ الحمد للَّه ربِّ العالمين .

□ □ □ □ □

---

(١) النجش : الزيادة في الثمن بقصد أن يغرَّ غيره .

(٢) التدابر : التقاطع .

البلاء بين الدَّفع والاستدعاء

عبدالله الصَّالح العُبَيلان

الابتلاءُ من سنن الله في الحياة، بل من أعظم مقاصد خلق العباد، قال تعالى: ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً ﴾ فلا بدَّ منه لجميع النَّاس؛ مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى: ﴿ أحسِبَ النَّاسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يُفتَنون ولقد فتنَّا الذينَ من قبلهم فَلَيَعلَمَنَّ اللهُ الذينَ صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين ﴾، وقال تعالى: ﴿ وما كانَ الله ليذرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَميزَ الخبيث من الطيِّب ﴾، وقال تعالى: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يأتِكُم مَثَلُ الذين خَلَوا من قبلكم مسَّتهُم البأساءُ والضرَّاءُ ... ﴾ الآية .

وهذا الابتلاء يكون بأشياء كثيرةٍ أعظمُها تكليفُهم بالتَّوحيد ومن ثمَّ مكمِّلاته من الأمر والنَّهي .

ومن ذلك الابتلاءُ بالمصائب والآلام كالمرض وفَقْدِ الأحبَّة، ليعلمَ اللهُ الذين صدقوا ويعلمَ الكاذبين، بل حتى ما يُعطى الإنسان في هذه الحياة من مالٍ ومنصبٍ وجاهٍ بَلْهَ العلم الشَّرعي وكونه من عِداد أهل العلم هذا من الابتلاء والاختبار وإذا كان الابتلاء ممَّا قضت به سنَّةُ اللهِ في الحياة فإنَّ ابتلاء الدُّعاة إلى الله عزَّ وجل ممَّا جرت به السنَّة الإلهيَّة .

وأيضاً فهم يُبتَلون بأذى الكفرة والفَجَرةِ بالقول والكيد واليد .

قال تعالى: ﴿ ولقد كُذِّبت رُسُلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدِّلَ لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ ولقد نعلمُ أنَّك يَضيقُ صدرُك بما يقولونَ فسبِّح بحمدِ ربِّك وكُن

من السّاجدين واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فاصبر إنَّ وعد اللّه حقٌّ ولا يستخفنَّك الذين لا يُوقِنُونَ ﴾ .

قال ابن كثير في « تفسيره » (٣/٧٠) : « أي يحملونك على الخفّة والطّيش بعدم الصّبر » .

والدُّعاةُ إلى اللّه يكيد لهم أهلُ الباطل ويفترونَ عليهم الكذبَ؛ لأنّهم قوم ضالّون وجاهلون .

وقد أُوذيَ الصّحابةُ في مكّة أشدَّ الأذى، وكانَ ﷺ يأمرهم بالصّبر: « صبراً آل ياسر إنَّ موعدكم الجنَّة »، فعلى الدّاعي المسلم أن يقابل الأذى الذي يلقاه بالصّبر الجميل كما فعل الرّسول ﷺ وصحابته الكرام، ومن قبلهم رسل اللّه، فإنَّ هذا الصّبر مما ينعقد عليه عزم المؤمنين وتتجه إليه إراداتهم ﴿ واصبر على ما أصابكَ إنَّ ذلك من عزمِ الأُمور ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لَتُبلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم وَلَتسمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتّقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور ﴾ .

وإذا كانَ البلاءُ والابتلاءُ مما يصيب الدُّعاةَ إلى اللّه وبهذا جَرَت سنّةُ اللّه، فهل معنى ذلك أنَّ على الدّاعي المسلم أن يستدعي البلاء ويعمل على وقوعه ولا يجوزُ له دفعه ؟

في المسألة إيضاحٌ وبيانٌ؛ لأنَّ هذه المسألة يقع فيها الاشتباهُ والخلطُ بسبب قصور الفهم، لا بسبب سوء النيّة والقصد !

ولشرح ذلك كلّه أذكر ما يلي :

أوّلاً : المطلوبُ من الدّاعي المسلم أن يدعو إلى اللّه على بصيرة بالوسائل والكيفيّات المشروعة التي بيّنها القرآن الكريم وطبّقها الرّسول ﷺ وأخذها عنه أصحابُه ومَن بَعدَهُم مِن سَلَف الأُمّة الصّالحين، فإذا أدّت هذه الوسائل إلى أذى يصيب الدّاعي فعليه أن يتقبّله بالصّبر لا بالجزع، وبالثّبات لا بالفرار .

ثانياً : إذا كانَ للدّاعي المسلم مندوحةٌ من الأذى – أي : يستطيع أن يتوقّاه ولا

جب عليه أن يقابله - فعليهِ أن يتوقّاه حسب الظُّروف والأحوال، فقد يباح له الابتعاد عنه
عدم مباشرة ما يستدعيه، وقد يجب عليه الابتعاد وعدم مباشرة ما يستدعيه لأنَّ الابتلاء
صعبٌ على النَّفس فلا يجوز الحرص عليه ولا الرَّغبة فيه، لأنَّ فيه فتنة مجهولة العاقبة .

وقد يُحِسُّ المسلمُ من نفسه القدرةَ على الثَّبات، ومن ثمَّ لا يُبالي بالابتلاء، بل ربما رغب فيه إمَّا طمعاً بثواب اللّه، وإمَّا لِتَدَخُّلِ وسوسةِ الشَّيطان ليقال عنه : ما أثبته ! وما أصبره على البلاء ! فإذا نزل البلاء، ضَعُف عن الاحتمال ووقع في الافتتان .

قال شيخ الإسلام : وقد قال تعالى لمن هو أفضلُ من هؤلاء المشايخ : ﴿ ولقد كنتُم تَمَنَّونَ المَوت من قبل أن تَلقَوهُ فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾، وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كَبُرَ مقتاً عندَ اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون إنَّ اللّه يُحِبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنَّهم بنيانٌ مرصوص ﴾ .

وفي « التِّرمذي » وغيره - بسندٍ صحيحٍ - أنَّ بعض الصَّحابة قالوا للنَّبي ﷺ : لو علمنا أي العمل أحب إلى اللّه لعملناه ! فأنزلَ اللّه تعالى هذه الآية .

وقد قال تعالى : ﴿ ألم ترَ إلى الذينَ قيلَ لهم كُفُّوا أيديَكم وأقيموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة فلمَّا كُتِب عليهم القتالُ إذا فريقٌ منهم يخشونَ النَّاسَ كخشية اللّه أو أشد خشية وقالوا ربَّنا لِمَ كَتَبتَ علينا القتالَ لولا أخَّرتنا إلى أجلٍ قريب ... ﴾ الآية .

فهؤلاء الذينَ كانوا قد عزموا على الجهاد وأحبُّوه لمَّا ابتلُوا به كرهوه وفرُّوا منه، وأين أَلَمُ الجهاد من أَلَمِ النَّار وعذابِ اللّه الذي لا طاقةَ لأحدٍ به، ومثل هذا ما يذكرونه عن سَمنُون المحبّ أنَّه كان يقول :

وليس لي في سِواكَ حظٌّ فكيفما شئتَ فاختَبِرني

فأخذه العُسرُ من ساعته - أي: حُصِرَ بولُه - فكان يدور على المكاتب ويفرِّق على الصِّبيان ويقول : ادعوا لعمِّكم الكذَّاب » . أ . هـ

ثالثاً : روى مسلم من حديث أنس رضي اللّه عنه أنَّ رسولَ اللّه ﷺ عاد رجُلاً من المسلمينَ قد خَفَتَ، فصارَ مثلَ الفرخِ .

فقال رسول الله ﷺ : « هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إيَّاه ؟ » .

قال : نعم، كنت أقول : اللَّهمَّ ما كنت معذِّبني به في الآخرة، فعجِّله لي في الحياة الدُّنيا .

فقال رسول الله ﷺ : « سبحانَ الله ! لا تُطيقُه، أو : لا تستطيعه، أفلا قلت : اللَّهمَّ آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النَّار » .

قال : فدعا الله فشفاه .

قال شيخ الإسلام معقِّباً على هذا الحديث : فهذا أيضاً حمله خوفه من عذاب النَّار، ومحبَّته لسلامة عاقبته على أن يطلب تعجيل ذلك في الدُّنيا وكان مخطئاً في ذلك غالطاً [(١)].

وروى أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث حذيفة بسند صحيح أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

« لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه » .

قالوا : وكيف يذل نفسه يا رسول الله ؟

قال : « يتحمَّل من البلاء ما لا يطيق » .

رابعاً : من الأدعية المأثورة الثَّابتة أن يسأل المسلمُ ربَّه العفو والعافية؛ والعافيةُ يدخل فيها المعافاة من الابتلاءِ والمؤذيات، وهذا يدلُّ على أنَّ التخلُّص والخلاص من أذى أهل الباطل ممدوحٌ ومحمودٌ غير مذمومٍ .

□ □ □ □ □

(١) « مجموع الفتاوى » (١٠/٦٩٣) .

مسائل عصريَّة في السِّياسة الشرعية

محمَّد ناصر الدِّين الألباني
ومقبل بن هادي الوادعي، وآخرون .

إنَّ الحمد لِلَّه، نحمده، ونستعينه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده اللَّه فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك به .

وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله .

أمَّا بعد :

فإنَّ اللَّه قد أخذ العهد والميثاق على العلماء أن يبيِّنوا للنَّاس ما نُزِّل إليهم؛ قال تعالى : ﴿ وإذْ أخَذَ اللَّهُ ميثاقَ الَّذينَ أوتوا الكتابَ لتُبيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا تَكتُمونَه ﴾ .

ولعن الَّذين يكتمون الحقَّ فقال : ﴿ إنَّ الذينَ يكتمونَ ما أنزلنا من البيِّناتِ والهُدى من بعد ما بيَّنَّاه للنَّاس في الكتابِ أولئك يَلعَنُهُم اللَّهُ ويلعَنُهُم اللَّاعنونَ إلَّا الذينَ تابُوا وأصلَحوا وبيَّنوا فأولئك أتوبُ عليهِم وأنا التوَّابُ الرَّحيم ﴾ .

وتوعَّد من كتم العلم بالنَّار فقال : ﴿ إنَّ الذين يكتمونَ ما أنزلَ اللَّه منَ الكتابِ ويشترونَ بهِ ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلونَ في بطونِهم إلَّا النَّارَ ولا يُكلِّمهُم اللَّه يومَ القيامةِ ولا يُزكِّيهم ولهم عذاب أليم ﴾ .

وعملاً بقوله ﷺ : « الدين النَّصيحة » .

قلنا : لمن يا رسول اللَّه ؟

قال : « للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم » رواه مسلم .

ونظراً لما تعيشه الأمّة الإسلاميّة من أحداث، وما يُحاك ضدها من مؤامرات من أهمّها الأفكار المستوردة الدخيلة التي أفسدت على الأمّة عقيدتها وشريعتها؛ فكان لزاماً على من آتاهم اللّه علم الشّريعة أن يبيّنوا حكم اللّه في الأمور التّالية :

١ - الدّيمقراطيّة :

وهي عند واضعيها ومعتنقيها: حكم الشّعب نفسه بنفسه، وأنَّ الشّعب مصدر السّلطات جميعاً . وهي بهذا الاعتبار مناقضة للشّريعة الإسلاميّة والعقيدة، قال تعالى: ﴿ إنِ الحُكمُ إلّا للّه ﴾، وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون ﴾، وقال : ﴿ أم لهم شُركاءُ شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللّه ﴾، وقال : ﴿ فلا وربِّك لا يؤمنونَ حتى يحكِّموك فيما شجر بينهم ﴾، وقال تعالى : ﴿ ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ .

ولأنَّ الديمقراطيّة نظام طاغوت، وقد أمرنا أن نكفر بالطّاغوت قال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن باللّه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها واللّه سميع عليم ﴾، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كلِّ أمَّة رسولاً أنِ اعبدوا اللّه واجتنبوا الطّاغوت ﴾، وقال : ﴿ ألم ترِ إلى الذين أُوتُوا نَصيباً من الكتابِ يؤمنون بالجبتِ والطّاغوتِ وَيقولونَ للّذينَ كَفَرُوا هؤلاءِ أهدى مِنَ الّذينَ آمَنوا سَبيلاً ﴾ .

فالديمقراطيّة والإسلام نقيضان لا يجتمعان أبداً !

إمّا الإيمان باللّه والحكم بما أنزله، وإمّا الإيمان بالطّاغوت والحكم به، وكل ما خالف شرع اللّه فهو من الطاغوت .

ولا عبرةَ بمن يحاول أن يجعلها من الشورى الإسلامية، لأنَّ الشورى فيما لا نصَّ فيه ولأهل الحل والعقد من أهل الدين والورع، والديمقراطيّة بخلاف ذلك كما سبق .

٢ - التَّعدُّديَّة :

وهي فرع عن الديمقراطيَّة، وهي قسمان :

تعدديَّة سياسيَّة .

وتعدديَّة فكريَّة عقائديَّة .

أمَّا التَّعدديَّة العقائديَّة : فمعناها أنَّ النَّاسَ في ظلِّ النِّظام الدِّيمقراطي لهم الحريَّة في أن يعتقدوا ما يشاؤون، ويمكنهم الخروج من الإسلام إلى أيِّ ملَّة ونحلة أخرى حتى ولو كانت يهوديَّة أو نصرانيَّة أو شيوعيَّة أو اشتراكيَّة أو علمانيَّة، وتلك هي الردَّة بعينها .

قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين ارتدُّوا على أدبارهم من بعد ما تبيَّن لهم الهدى الشيطانُ سوَّل لهم وأملى لهم ذلك بأنَّهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل اللَّه سنطيعكم في بعض الأمر واللَّه يعلم إسرارهم ﴾، وقال تعالى : ﴿ ومن يرتدَّ منكم عن دينه فيمتْ وهو كافرٌ فأولئك حبطت أعمالُهم في الدُّنيا والآخرة وأولئك أصحابُ النَّار هم فيها خالدون ﴾، وقال : ﴿ ومن يَبتَغِ غير الإسلامِ ديناً فلن يُقبَلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

وأمَّا التَّعدُّديَّة السياسيَّة : فهي فتح المجال لكافَّة الأحزاب بِغَضِّ النَّظر عن أفكارها وعقائدها لتحكم المسلمين عن طريق الانتخابات، وهذا فيه مساواة بين المسلم وغيره .

وهذا خلافٌ للأدلَّة القطعيَّة التي تُحرِّمُ أن يتولَّى المسلمين غيرُهم، قال تعالى : ﴿ ولن يجعل اللَّهُ للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾، وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا اللَّه وأطيعوا الرَّسولَ وأُولي الأمرِ منكم ﴾، وقال تعالى : ﴿ أفنجعلُ المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكُمون ﴾ .

ولأنَّ التَّعدديَّة تؤدي إلى التَّفرُّق والاختلاف الموجب لعذاب اللّٰه قال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالَّذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيِّنات وأولئك لهم عذابٌ عظيم ﴾، وموجبٌ أيضاً لبراءة اللّٰه ورسوله ممَّن يفعل هذا، قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً لستَ منهم في شيء ﴾ الآية .

ومن حاول أن يجعل هذه التَّعدديَّة تعدديَّةَ برامجَ لا مناهجَ أو على غرار الخلاف المذهبي بين علماء الإسلام، فالواقع يردُّه، ولأنَّ برنامج كل حزب منبثق من فكرِهِ، وعقيدتِهِ؛ فبرنامج الاشتراكي منطلق من مبادئ الاشتراكيَّة، والعلماني الدِّيمقراطي من مبادئ الدِّيمقراطيَّة ... وهلمَّ جرّاً .

٣ - التَّحالف والتَّنسيق مع الأحزاب العلمانيَّة :

ومعنى التَّحالف هو الاتِّفاق بين المتحالفين على أمور ينصر بعضهم بعضاً فيها .

والتَّنسيق - كما في « لسان العرب » (١٢/٢٣٠) -: النَّسق من كلِّ شيء؛ ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، والتَّنسيق : التَّنظيم، هو أبلغ من التَّحالف، والتَّنسيق على نصرة الدِّيمقراطيَّة، والتَّعدديَّة، والرَّأي، والرَّأي الآخر، وتداول السُّلطة سلميّاً الذي أبرمته الأحزاب الإسلاميَّة في أكثر من بلد إسلامي مع الأحزاب العلمانيَّة كان من آخر ذلك ما وقع للتَّجمع اليمني للإصلاح مع حزب البعث العربي الاشتراكي، وهذا التَّحالف والتَّنسيق حرام؛ لأنَّه تعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوان ﴾، وقال : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النَّار وما لكم من دونِ اللّٰه من أولياء ثمَّ لا تنصرون ﴾، وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخِذُوا بِطانةً من دونكم لا يألُونكم خَبالاً ودوا ما عَنِتُّم قد بَدَت البغضاءُ من أفواهِهم وما تُخفي صدورُهم أكبرُ قد بيَّنَّا

لكم الآياتِ إن كنتم تعقلون ﴾ ولأنَّ من لوازم هذا التَّنسيق والتَّحالف أن يُوادَّ بعضهم بعضاً، وفيه إخلالٌ بمبدأ الولاء والبراء، وهما من أوثق عرى الإيمان والله يقول : ﴿ ومن يتولَّهم منكم فإنَّه منهم ﴾، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام :

« المرءُ مع من أحب » ! متَّفق عليه .

وقد استدلَّ المُتحالفون المنسِّقون بأدلَّة لا تدلُّ على ما أرادوا؛ فمن أدلَّتهم :

(١) تحالُف النَّبي ﷺ مع اليهود .

والجواب من وجوه :

أ - لم يصحَّ ذلك مسنداً لأنَّه معضل .

ب - بنود تلك الوثيقة المُستَدَلّ بها على فرض صحَّتها تخالف مضمونَ التَّحالف الموجود .

جـ - اختلافُ حكم اليهود عن حكم المُمْتَنِعين عن تطبيق شرع الله .

د - ليسوا مُضطَرِّين إلى هذا التَّحالف لأنَّ الضَّرورة الشَّرعيَّة غيرُ محققَّة؛ لأنَّ شرط الضرورة غير موجود .

هـ - لو صحَّ فإنَّ ذلك التَّحالف منسوخٌ بأحكام الجزية .

و - كان رسول الله ﷺ يُمَثِّلُ الدَّولة الإسلاميَّة، **وليس لجماعةٍ أو حزبٍ في طور الدَّعوة إلى الله أن تجعل نفسَها مقام الدَّولة الإسلاميَّة** .

ز - اليهود كانوا ضمن رعايا الدَّولة الإسلاميَّة ولم يكن تحالف النِّد للنِّد .

ومن أدلَّتهم :

(٢) حلف خُزاعة .

أ - والصَّحيح أنَّهم كانوا مسلمينَ، حيث جاء في السِّيرة: (ثمَّ أسلمنا فلم ننزع يداً، وقتلونا رُكَّعاً وسجداً) .

ب - على فرض كونهم مشركين فحكم الكافر الأصلي يختلف عن حكم

الممتنع عن تطبيق شرع الله .

جـ - اختلاف مضمون ما يقوم عليه التَّحالفُ الآن عن مضمون حلف خُزاعة؛ فبنود اتِّفاقيَّة الأحزاب سبقت الإشارة إليها، وأمَّا بنود حلف خُزاعة فلم يكن فيه تنازلٌ عن حقٍّ ولا رضىً بباطل .

ومن أدلَّتهم :

(٣) جِوَارُ المُطعِم بن عديّ وأبي طالب لرسول الله ﷺ .

والجواب : أنَّ ذلك فيه تنازلٌ .

○ تناقضات المتحالفين :

مرَّة يقولون : أحزاب علمانيَّة، ومرَّة يقولون : التَّعدديَّة تعدديَّة برامج وليست مناهج، ومرَّة يقولون : الحزب الفلاني على حاله الآن مرتدّ ولكن جاء تائباً فمن ثَمَّ حكموا بإسلامهم وتوبتهم، فلماذا يحتجُّونَ بأنَّ النَّبي ﷺ حالف اليهود والمشركين ؟ وإنْ حكموا بردَّتهم فكيف تحالفوا معهم ؟ وهذا تناقُضٌ، وعلى فرض صحَّة توبتهم، فيلزمهم شرعاً الأمور التَّالية :

أ - إعلان براءتهم من كل ما اعتقدوه واشتهروا به وبيان اعترافهم بخطأ منهجهم الذي سلكوه .

ب - التَّخلِّي عن كل ما يُصادِمُ الإسلامَ ظاهراً وباطناً .

ومن أدلَّتهم :

(٣) صلح الحُديبية :

والجواب :

أ - تلك الدَّولة الإسلاميَّة لها حقُّ إبرامِ الصُّلح مع المحاربين فيما تراه مصلحة راجحة على المفسدة .

ب - لم يكن في صلح الحديبية تنازل جوهريّ كحال المتحالفين مع الأحزاب؛ فبدل (الرَّحمن الرَّحيم) كتب : (باسمك اللّهم)، وأمّا عدم كتابة رسول اللَّه فليس فيها دليل على أنَّه ينفي الرِّسالة عن نفسه بل قال : « واللَّه إنِّي لرسول اللَّه » .

جـ - ما وقع من المصالحة كان فيها مصلحة راجحة ألا وهي تعظيم حرمات اللَّه، فأين هذه من المفسدة العظيمة التي ترتبت على التَّحالف والتَّنسيق ؟

د - واختلاف حكم الكافر الأصلي عن حكم الممتنع عن الشَّريعة .

٤ - الانتخابات السِّياسيَّة :

فهي بالطَّريقة الديمقراطيَّة حرام أيضاً لا تجوز، لأنَّه لا يشترط في المنتخَب والنَّاخِب الصِّفات الشَّرعيَّة لمن يستحق الولاية العامَّة أو الخاصَّة، فهي بهذه الطَّريقة تُؤدِّي إلى أن يتولى حكم المسلمين من لا يجوز توليته ولا استشارته ولأنَّ المقصود بالمنتَخَب أن يكون عضواً في مجلس النُّواب التَّشريعي والمجالس النِّيابيَّة التي لا تحتكم إلى كتاب اللَّه وسنَّة رسوله وإنَّما تتحاكم إلى الأكثريَّة؛ فهي مجالس طاغوتيَّة لا يجوز الاعتراف بها، فضلاً عن أن يسعى المسلم إلى إنشائها ويتعاون في إيجادها وهي تحارب شرع اللَّه ولأنَّها طريقة غربيَّة من صنع اليهود والنَّصارى ولا يجوز شرعاً التَّشبُّه بهم .

ومن يقول : إنَّه لم يثبت في الشَّرع طريقة معيَّنة في اختيار الحاكم فمن ثمَّ فلا مانع من الانتخابات .

يُقال له : ليس صحيحاً أنَّه لم يثبت ذلك في الشَّرع فما فعله الصَّحابة من كيفيَّات الاختيار للحاكم فكلها طرق شرعيَّة .

وأمَّا طريقة الأحزاب السِّياسيَّة فيكفي في المنع منها أنَّه لا يوضع لها ضوابط

وتؤدّي إلى تولية غير المسلم وليس أحد من الفقهاء يقول بجوازِ ذلك .

٥ - العمل السياسي :

ميثاق الشّرف !

مضمون هذا الميثاق اتّفاقهم على أن لا يُكَفّر بعضهم بعضاً وترسيخ مبدأ الدّيمقراطيّة ! وحكم الإسلام في هذا أنّه يكفر من كفره اللّه ورسوله ويفسق من فسقه اللّه ورسوله ويضلل من ضلله اللّه ورسوله، وليس في الإسلام صكوك حرمان وغُفران، وتكفير المسلم العاصي ليس من منهج أهل السنّة والجماعة ما لم يستحل المعصية .

وأمّا الدّساتير الوضعيّة ومنها دستور الجمهوريّة اليمنيّة فقد بيَّن علماء اليمن ما فيه من ثغرات ومخالفات بما أغنى عن إعادته .

طريقةُ دعوتِنا إلى اللّه التي يجبُ أن يفهمَها الجَميعُ :

١ - ندعو إلى كتابِ اللّه وسنّةِ رسوله بالحكمَةِ والمَوعظةِ الحسنةِ على فَهم السّلف .

٢ - نعتبرُ أهمّ واجباتِنا الشّرعيّة مواجهةَ الأفكار المستوردة والبدع الدّخيلة على الإسلامِ، بالعلم النّافعِ والدّعوةِ إلى اللّه ونشر الوعيِ، وتصحيحِ المعتقداتِ والمفاهيمِ، وجمعِ كلمةِ المسلمين على ذلك .

٣ - نرى أنّ الأُمّة ليست بحاجة إلى ثورات واغتيالات وفِتَنٍ، ولكنّها بحاجةٍ إلى التّربية الإيمانيّة والتّصفية الفكريّة، وهذه من أنجح الوسائل لإعادةِ الأُمّة إلى عزّها ومجدها .

○ وختاماً نحبُّ أن ننبّه إلى أنَّ مِن دوافعِ هذا البيان أنّنا رأينا بعض

العلماء يتكلَّم باسم الإسلام وعلماءِ اليمن في مسائل تبنَّتها بعض الأُحزاب الإسلاميَّة، وأرادَت بذلك أن تُعطيها الصِّفة الشَّرعيَّة في توجيهها السِّياسي على رُغمِ ما فيه من تناقُضات وأخطاء شرعيَّة علماً بأنَّهم لا يُمثِّلونَ إلّا أنفسهم وحزبهم الذي ينتمونَ إليه، والعبرةُ إنَّما هي بالدَّليلِ لا بالكثرةِ والقال والقيل .

وصلَّى اللَّه على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبِهِ أجمعين .

والحمد للَّه ربِّ العالمين .

صدرت هذه الفتوى من بعض علماء أهل السنَّة والجماعة إلى عموم المسلمين، وها هي توقيعاتهم :

الاسم	التوقيع	الاسم	التوقيع
مقبل بن هادي الوادعي	[illegible]	[illegible]	[illegible]
محمد بن عبد الوهاب الوصابي	[illegible]	[illegible]	[illegible]
محمد بن عبد الله الإمام	[illegible]	عبد الله محمد [illegible]	[illegible]
		[illegible]	[illegible]
[illegible] بن عمر [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]		

مباحث عقيديَّة

تحذير البريَّة من عبادة الأصنام البشريَّة

محمد موسى نصر

قال تعالى : ﴿ وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتَكم ولا تَذَرُنَّ وَدًّاً[1] ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويَعوقَ ونَسراً ﴾ [نوح:٢٣] .

وقد ذكر ابنُ عبَّاس رضي اللَّه عنه : « أنَّ هذه الأسماء كانت لرجال صالحين من قوم نوح، وأنَّهم لما ماتوا سوَّل الشَّيطان لقومهم، وزيَّن لهم أن ينصبوا لهم صوراً، ويسمُّوها بأسمائهم حتى ينشطوا في العبادة إذا رأوهم ! ولم يعبدوهم آنذاك، حتى هلك أولئك القوم - الذين نصبوا تلك الأنصاب - وعمَّ الجهلُ فيمن خَلَفَهُم: عبدوهم من دون اللَّه تعالى »[2].

وقد أخرج البخاري في « صحيحه »[3] عن ابن عبَّاس قال : « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بَعدُ :

وأما وَدّ : فكانت لكلب في دِومة الجندل .

وأمَّا سُواع : فكانت لِهُذيل .

وأمَّا يَغوث : فكان لمِراد، ثمَّ لبني غطيف بالجرف عند سبأ .

وأمَّا يَعوق : فكانت لهمدان .

(١) قرأ أبو جعفر ونافع : « وُدّاً » بضم الواو والباقونَ من العشرة بفتحها .

(٢) « تفسير ابن عبَّاس ومرويَّاته من كتب السنَّة » (٢ / ٩١١) تأليف الدكتور عبدالعزيز الحميدي .

(٣) « صحيح البخاري » برقم (٤٩٢٠) كتاب التَّفسير : سورة نوح عليه السَّلام .

وأمَّا نَسْر : فكانت لحِمْيَر، لآل ذي الكَلاع » .

قلت : وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وقد أضلوا كثيراً ﴾ قولان للعلماء :

أحدهما : وقد أضلَّت الأصنام كثيراً من النَّاس، أي : ضلوا بسببها .

الثَّاني : وقد أضلَّ الكبراء كثيراً من النَّاس .

قلت : وهذا واقع مشاهد؛ فكم فُتن النَّاسُ بأكابر مجرميها؛ فعظَّموهم أكثر من تعظيمهم للَّه، وعبدوهم من دون اللَّه؛ فقد زيَّنوا لهم الباطل، فشايعوهم عليه، وجعلوه دينهم وديدنهم تبعاً لأصنامهم البشريَّة الطَّاغوتيَّة، ورُفعت تماثيلُهم وأصنامُهم فوق الرُّؤوس ! فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون .

فانظر - رحمك اللَّه - كيف آل الجهلُ بالنَّاس فألقاهم في حمأة الشِّرك ومستنقعه الآسن بعد أن استمرُّوا على التَّوحيد قرابة الألف عام، فلمَّا عبدوا هذه الأصنام الحجريَّة التي هي رموز لهؤلاء الصَّالحين عمَّ الشِّركُ والخرافةُ الأرضَ، فأرسل اللَّه أوَّل رسول إلى الأرض نوحاً عليه السَّلام، يُجَدِّدُ ما اندرس من التَّوحيد، ويجتثُّ الشرك من جذوره ويقتلع الطَّاغوت من أساسه، ولما أُشربت القلوبُ حبَّ هذه الاصنام وعبادة الطَّاغوت لم يُؤمن مع نوح إلَّا قليل، كما قال تعالى : ﴿ ربِّ إنِّي دَعَوتُ قَومي لَيلاً ونَهاراً فَلَم يَزِدهُم دُعائي إلَّا فِراراً ﴾، إلى قوله تعالى : ﴿ ... وقال نوحٌ ربِّ لا تَذَر على الأرضِ مِنَ الكافِرينَ دَيَّاراً إنَّكَ إن تَذَرهُم يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إلَّا فاجِراً كفَّاراً ﴾ [نوح:٥،٦ - ٢٥،٢٦] .

وقد أُوحي إليه من قبل : ﴿ وأُوحي إلى نوحٍ أنَّه لن يؤمنَ من قومك إلَّا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾ [هود:٣٦] .

□ لا يلزم أن تكون الأصنام حجريَّة فحسب :

يُخطئ كثير من النَّاس بله الدُّعاة حينما يظنُّونَ أنَّ الشَّرائع جاءت تنهى عن

عبادة الأصنام الحجريَّة فحسب !

أمَّا الأصنام البشريَّة فليست داخلة في النَّهي والتَّحذير، ومن اعتقد ذلك فليسَ يحمل من العلم مِثقالَ قِطمير ولا نَقِير، فإنَّ القرآن حذَّر من الأصنام البشريَّة أشدَّ من الأصنام الحجريَّة؛ كيف والأصنام البشرية أصل الشِّرك في الأوثانِ الحَجريّة ؟!

حينما دخل النَّبي ﷺ مكَّة فاتحاً حطَّم الأصنام الحجريَّة التي كانت تعبدها العرب وتعظِّمها حول الكعبة، وحطَّم بنصر اللَّه له كلَّ الأصنام البشريَّة التي اتخذت نِدّاً من دون اللَّه تشرع للنَّاس ما لم يأذن به اللَّه من طقوس الجاهليَّة الجهلاء، وقد قال رسول اللَّه ﷺ لعليٍّ رضي اللَّه عنه : « لا تدع تمثالاً إلَّا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلَّا سوَّيته »[1].

حتى لا تُعبد هذه الأصنام والأوثان من دون اللَّه .

□ الفرق بين الصَّنم والوثن :

قال العلماء : الصَّنم ما نحت على صورة إنسان أو حيوان؛ كأصنام الجاهليَّة، وعجل بني إسرائيل، والجندي المجهول - زعموا - في زماننا !!

والوثن : ما ليس له صورة كالقبر والصَّخرة والشَّجرة ونحو ذلك .

والنَّاس قد فتنوا قديماً بالأصنام والأوثان، وحديثاً - أيضاً - ولكن بأصنام بشريَّة تمشي على الأرض عليها الطيلسان والهيلمان .

والأنبياء حذروا من ذلك أشدَّ تحذير، فهذا موسى عليه السَّلام يأخذ بلحية أخيه يجرُّه إليه لمَّا عبد بنو إسرائيل العجل : ﴿ قالَ يا هارونُ ما منعكَ إذ رأيتَهُم ضَلُّوا ألَّا تَتَّبِعَنِ أفَعَصَيتَ أمرِي قالَ يا ابنَ أُمَّ لا تأخُذْ بِلِحيَتِي وَلا بِرَأسِي إنِّي خَشِيتُ أن تقولَ فرَّقتَ بينَ بني إسرائيلَ ولمْ ترقُب قَولي ﴾ [طه:٩٢،٩٤] .

(١) رواه مسلمٌ عن عليٍّ رضي اللَّه عنه .

وهذا إبراهيم عليه السَّلام يشكو إلى ربّه فتنة الأصنام فيقول : ﴿ واجنبني وَبَنِيَّ أن نعبُدَ الأصنامَ ربِّ إنّهنَّ أضلَلن كثيراً من النَّاس ﴾ [إبراهيم:٣٥،٣٦] ولم يقر له قرار، ولم يهدأ له بال حتى حطَّم تلكم الأصنام كلَّها .

ولم يكتف عليه السَّلام بتحطيم الأصنام الحجريَّة حتى حطَّم أكبر صنم بشري في زمانه وهو « نمرود » الذي نازع اللّه ربوبيَّته حينما قال - فيما حكى اللّه عنه - : ﴿ أنا أُحْيِي وأُمِيتُ قال إبراهيمُ فإنَّ اللّه يَأتِي بالشَّمسِ من المشرق فَأتِ بِها مِن المَغرِب فَبُهِتَ الذي كفرَ واللّهُ لا يَهدِي القَومَ الظَّالمين ﴾ [البقرة:٢٥٨] .

ومن بعده موسى عليه السَّلام حطَّم صنماً بشريًّا طاغوتيّاً زعم أنَّه ربّ بني إسرائيل الأعلى الذي يجب عليهم ألَّا يتَّخذوا إلـهاً غيره، فقال فيما حكى اللّه عنه : ﴿ أنا ربُّكم الأعلى ﴾ وقال : ﴿ ما علمتُ لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامانُ على الطِّين فاجعَل لي صرحاً لعلي أطَّلِعُ إلى إلهِ موسى وإنِّي لأظنُّه منَ الكاذبين ﴾ [القصص:٣٨] .

وبينَ قولِه الأوَّلِ في دعواه الرُّبوبيَّة وقولِه الثَّاني في دعواه الألوهيَّةَ زمانٌ لم يُمهله اللّهُ بعدَه شيئاً، فأخذه اللّهُ أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ، فجعله اللّه نكالَ الآخرة والأولى، وعبرة لكلِّ فراعنة الأرض من الأصنام البشريَّة التي تُعبد من دون اللّه، وهكذا يفعل اللّه بكل من نازعه في كبريائه وعظمته .

وفي الحديث القدسي : « العظمة إزاري والكبرياء ردائي ومن نازعني فيهما عذَّبته »[1].

ومن مظاهر العبوديَّة لغير اللّه: القيام على رؤوس العظماء والكبراء، والانحناء لهم، ورجوع القهقرى إذا انصرفوا من عندهم، والغلوُّ في مدحهم وطاعتهم في معصية اللّه، وتقديم طاعتهم على طاعة اللّه، وتقديم القرابين تعظيماً لهم ونفاقاً،

(١) رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة، انظر « الصحيحة » (رقم:٥٤١) .

والتَّحاكم إلى ما شرعوا لهم من نُظُم ودساتير تخالف شريعة القرآن وتصادم سنَّة سيِّد الأنام، والوقوف بين أيديهم خاشعين لا يتحرَّكون، بل لا يرمشون، كأنَّ على رُؤوسهم الطَّير : ﴿ أم لَهُم شُرَكاءُ شَرَعُوا لهم من الدِّينِ ما لَم يأذن بِهِ اللَّهُ ﴾ .

وإذا كان أهلُ العلم قد عَدّوا من أطاع العلماء في اجتهاداتهم الخاطئة التي خالفوا فيها الشَّريعةَ السَّمحةَ - بَعدَ تبيُّن خَطئها - قد اتَّخذوهم أرباباً، فكيف الشَّأن فيمن أطاعَ طواغيت الأرض الذين لا يُحَكِّمُونَ شرع اللَّه، ويسعون لإطفاء نور اللَّه ﴿ وقالوا ربَّنا إنَّا أطعنا سادَتنا وكُبراءَنا فأضلُّونا السَّبيلا ربَّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾[1] [الأحزاب:٦٧،٦٨] .

فمن كان هذا شأنه حُشر مع أصنامه وأوثانه جميعاً ﴿ فَكُبكِبوا فِيها هُم والغاوون وجنودُ إبليسَ أجمعونَ قالوا وهم فيها يَختَصِمون تاللَّه إن كنَّا لفي ضلالٍ مُبين إذ نُسَوِّيكُم بربِّ العالَمين ﴾ [الشعراء:٩٤-٩٨]، ﴿ وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا ربَّنا أَرِنا الَّذَينِ أضلَّانا مِن الجنِّ والإنسِ نَجعلهما تحتَ أقدامِنا ليكونا من الأسفَلين ﴾ [فصلت:٢٩] .

قلت : فَعلَ اللَّهُ بهم ذلك جزاءَ تكبُّرهِم وتغطرُسِهم وبَطَرِهم يُجازيهم اللَّهُ هذا الجزاءَ تبكيتاً لهم وحسرة وندامة؛ كيف وقد ثبت في السنَّة الصَّحيحة[2] أنَّهم يُحشرون على أمثال الذرِّ في صور الرجال يطؤهم النَّاس بإقدامهم جزاءً وفاقاً !

فهل يُدرِكونَ ؟ وهل يعون ؟ فيتداركوا أنفسهم قبل فوات الأوان !

نعوذ باللَّه من مصيرهم ومنقلبهم ﴿ وَسَيَعلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .

---

(١) قرأ عاصم وحده بالباء، وقرأ التِّسعة من القراء العشرة ﴿ كثيراً ﴾ بالثاء .

(٢) كما رواه الترمذي وأحمد، وانظر « صحيح الجامع » (٨٠٤٠) .



كانت الفُرقةُ وفتنةُ الأهواء التي بيَّن رسولُ اللّه ﷺ أخبارَها، وحدَّد أسبابَها، وأرشد إلى علاجها أعظمَ ما ابتُليت به الأمَّةُ الإسلاميَّةُ والملَّةُ المحمَّديَّة، فتقطَّعت الأمَّة أمماً، وأضحت الملَّة شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون؛ فكثرت النِّحل، وتعادى المسلمون فيما بينهم .

وهذه الفِرَقُ التي ضلَّت أشاعت الوَهَنَ، وفتحت للأعداء الأبواب، وأرشدتهم على الثَّغرات، فقوَّضت أركانَ وحدة الأمَّة الإسلاميَّة وقوَّتها .

ولكنَّ اللَّه أبى إلَّا حفظ دينه وإتمام نوره؛ فغرس غرساً وصنعهم على عينه واستعملهم بطاعته فامتشقوا حسام العلم، وتسنَّموا غارب الحق، لينفوا عن الدِّين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فأمعنوا في حجج الباطل وشبهاته وأعوانه نحراً وتقتيلاً ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلاً ﴾ .

ولما كثر المدَّعون طولبوا بإقامة البيِّنة على صحَّة دعواهم، فتنوَّع المدَّعون بالشُّهود، فقيل لهم : لا تقام البيِّنة، ولا تثبت الدَّعوى، ولا يصح البرهان إلَّا بشهادة : « ما أنا عليه وأصحابي » .

فتأخَّرت الخلائق كلها، وثبَّت اللَّه إخوان رسول اللَّه ﷺ الذين درجوا على أثره في سائر شؤونهم : العقيدة والسلوك والتَّربية والعبادة والدَّعوة والسياسة، وفهموا الوحيين الكتاب والسنَّة بفهم سلف الأمَّة : الصَّحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

والكلامُ في الطَّائفةُ المنصورةِ وعليها مِن وجوهٍ :

أوّلاً : الأحاديث النَّبويَّة في النَّهي عن افتراق الأمَّة الإسلاميَّة :

١ - عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ :

« افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرَّقت النَّصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة » .

أخرجه أصحاب « السُّنن » عدا النَّسائي بإسنادٍ حسن .

وفي الباب عن جماعة مِن الصَّحابةِ، مِن ذلك :

أ - عن معاوية رضي اللَّه عنه، وفي حديثه زيادة : « وإنَّه سيخرج من أمَّتي قوم تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عِرق ولا مِفصَل إلَّا دخله » .

أخرجه أبو داود وغيره بإسنادٍ حسن .

ب - عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، وفي حديثه زيادة : « كلها في النَّار إلَّا واحدة، وهي الجماعة » .

قلت : وله عنه طرق لا تخلو من مقال، ولكنَّها بمجموعها تتقوَّى ويصبح الحديثُ حسناً .

ت - عن عوف بن مالك رضي اللَّه عنه وفيه زيادة نحو حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه .

أخرجَهُ ابنُ ماجَه وغيرُه، بإسنادٍ حسنٍ .

ث - عن أبي أُمامة الباهلي رضي اللَّه عنه في قصَّة طويلة وفيه زيادة : « السَّواد الأعظم » .

أخرجه اللَّالكائي وابن أبي عاصم وغيرهما، وسنده حسن .

جـ - عن سعدِ بن أبي وقَّاص رضي اللَّه عنه وفيه زيادة نحو حديث أنس بن

مالك رضي اللّه عنه .

وسنده فيه ضعف .

حـ - حديث عبداللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما وفيه زيادة : « ما أنا عليه اليومَ وأصحابي » .

وهو حسن بشواهده كما بينته في رسالتي « درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب » .

وفي الباب عن عمرو بن عوف المزني، وأبي الدَّرداء، وأبي أُمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك - مجتمعين في حديثٍ واحدٍ !! - وهي ضعيفة جدًّا؛ فلا يُلتفت إليها .

ومن هذه الأحاديث جاء وصف الفرقة الباقية على الأصل التي عضَّت على السنَّة بنواجذها بـ « النَّاجية »؛ لأنَّها نجت من الخلاف، وستنجو - بإذن اللّه - من النَّار .

ثانياً : أحاديث الطَّائفة المنصورة :

أ - عن معاوية رضي اللّه عنه قال : سمعت النَّبي ﷺ يقول :

« لا يزال من أُمَّتي أمَّةٌ قائمة بأمر اللّه لا يضرُّهم من خَذَلهم، ولا من خالَفَهم حتى يأتي أمرُ اللّه وهم على ذلك » .

قال عُمير - أحد رواة الحديث - : قال مالك بن يَخَامِر : قال معاذ : « وهم بالشَّام » .

فقال معاوية : هذا مالكٌ يزعم أنَّه سمع معاذ بن جبل يقول : هم بالشَّام .

أخرجه الشَّيخان، وللحديث ثماني طرق عن معاوية .

٢ - حديث المغيرة بن شعبة رضي اللّه عنه بلفظ :

« لا يزال النَّاس من أُمَّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر اللّه وهم كذلك » .

أخرجه الشيخان .

٣ - حديث عمر بن الخطَّاب رضي اللّه عنه بلفظ :

« لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق حتى تقوم السَّاعة » .

أخرجه الحاكم وغيره بإسناد على شرط الشيخين .

٤ - حديث ثوبان رضي اللّه عنه بلفظ :

« لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللّه وهم كذلك » .

أخرجه مسلم .

٥ - حديث عِمران بن حُصين رضي اللّه عنهما بلفظ :

« لا تزال طائفةٌ من أمَّتي يُقاتلونَ على الحق ظاهرينَ على من ناوأهم حتى يقاتل آخرُهم المسيحَ الدَّجال » .

أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما بإسناد صحيح على شرط الستة .

٦ - حديث جابر بن عبداللّه رضي اللّه عنهما بلفظ :

« لا تزال طائفة من أمَّتي يقاتلونَ على الحق إلى يوم القيامة، قال : فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم : تعال صلِّ لنا، فيقول : لا إنَّ بعضكم على بعض أمير؛ تَكْرِمَةَ اللّه عزَّ وجل لهذه الأمَّة » .

أخرجه مسلم .

٧ - حديث سلمةَ بن نُفَيل رضي اللّه عنه بلفظ :

« الآن جاء القتال؛ لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على النَّاس يرفع اللّهُ قلوبَ أقوام فيقاتلونهم ويرزقُهم اللّه عزَّ وجل وهم على ذلك، ألا إنَّ عقر دار المؤمنين بالشَّام والخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

أخرجه أحمد والنَّسائي بإسناد صحيح على شرط مسلم .

٨ و ٩ - حديث عبدالله بن عمرو وعُقبة بن عامر رضي الله عنهم بلفظ :

« لا تزال عصابةٌ من أمَّتي يقاتلونَ على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم السَّاعة وهم على ذلك » .

أخرجه مسلم .

١٠ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ :

« لا تزال طائفة من أُمَّتي قوَّامةً على أمر الله لا يضرُّها من خالفها » .

١١ - حديث قُرَّة رضي الله عنه بلفظ :

« إذا فسد أهلُ الشَّام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمَّتي منصورين لا يضرُّهم من خالفهم حتى تقوم السَّاعة » .

أخرجه الترمذي وابن ماجه بإسناد على شرط الشيخين .

١٢ - حديث جابر بن سَمُرة رضي الله عنه بلفظ :

« لن يبرحَ هذا الدينُ قائماً يقاتلُ عليه عصابةٌ من المسلمين حتى تقوم السَّاعة » .

أخرجه مسلم .

١٣ - حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه بلفظين :

الأوَّل : « ولا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الدين عزيزةً إلى يوم القيامة » .

أخرجه اللَّالكائي .

الثَّاني : « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحقِّ حتى تقومَ السَّاعة » .

أخرجه مسلم .

١٤ - حديث أبي عِنَبةَ الخَوْلاني رضي الله عنه بلفظ :

« لا يزال اللهُ يغرس في هذا الدِّين غرساً يستعملُهم في طاعته إلى يوم القيامة ».

أخرجه ابن ماجه وغيره بإسناد حسن .

وفي البابِ عن غيرهم .

وعلى الجُملة فأحاديثُ الطَّائفة المنصورة متواترةٌ كما نصَّ على ذلك جماعةٌ مِن أهلِ العلم؛ منهم شيخ الإسلام ابن تيمية في « اقتضاء الصِّراط المستقيم » (ص:٦)، والسيوطي في « الأزهار المتناثرة »، والزَّبيدي في « لقط اللآلئ المتناثرة » (ص:٦٨)، والكَتَّاني في « نظم المتناثر » (٩٣)، وشيَخنا الألباني حفظه اللَّه في « صلاة العيدين » (ص:٣٩-٤٠)؛ وغيرهم .

ومن هذه الأحاديث جاء وصف الطَّائفة بـ « الظَّاهرة على الحق » الثَّابتة عليه و « المنصورة »؛ لأنَّ اللَّه يكلؤها برعايته، ويصنعها على عينه حتى يأتي أمره وهم كذلك .

ثالثاً : أوصاف الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة هل بينها تعارض وتغاير ؟

وردت الأخبارُ الصَّحيحةُ عن رسول اللَّه ﷺ بتعيين أوصاف الفرقة النَّاجية والطائفة المنصورة منهجاً وحالاً، وسنتكلَّم في هذا المقال عن المنهج :

أمَّا المنهج فقد وردت ثلاثةُ ألفاظ بتحديد ملامحه :

١ - « ما أنا عليه وأصحابي » كما في حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما .

٢ - « الجماعة » كما في حديث أنس وسعد رضي اللَّه عنهما .

٣ - « السَّواد الأعظم » كما في حديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه .

وهذه الألفاظ النَّبويَّة الصَّحيحة تتفق ولا تفترق، وتأتلف ولا تختلف، وتجتمع ولا تمتنع كما بيَّن ذلك الآجُرِّي رحمه اللَّه في كتابه المستطاب « الشَّريعة » (ص:١٤-١٥) فقال :

« ثمَّ إنَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه سُئلَ : مَن النَّاجية ؟ فقال عليه الصَّلاة والسَّلام في حديث : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » وفي حديث : « السَّواد الأعظم » وفي حديث : « واحدة في الجنَّة وهي الجماعة » .

قلتُ أنا - القائل الآجُرّي - : ومعانيها واحدةٌ إن شاء الله » .

قال راقم هذه الحروف : صدق وبر، فالأمر كما قال :

هذه الطَّائفة المنصورة هي الجماعة؛ لأنَّ الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك، كما عَرَّفها الصَّحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

عن عَمرو بن ميمون الأَوْدي رحمه الله قال :

قَدِمَ علينا معاذُ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ فوقع حُبُّه في قلبي، فلزمتُه حتى واريته في التُّراب بالشَّام ثمَّ لزمتُ أفقه النَّاس بعده عبدالله بن مسعود فذكرَ يوماً عنده تأخير الصَّلاة عن وقتها فقال :

صلوا في بيوتكم واجعلوا صلاتكم معهم سُبحَةً .

قال عَمرو بن ميمون : فقيل لعبدالله بن مسعود : وكيف لنا بالجماعة ؟

فقال لي : يا عَمرو بن ميمون إنَّ جمهور الجماعة هي التي تفارقُ الجماعة إنَّما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك[1].

وقد نقله العلامة أبو شامة في كتابه المستطاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » (ص ٢٢) محتجّاً به على قوله :

« وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمرادُ به لزومُ الحقِّ واتِّباعُه وإن كان المتمسِّك به قليلاً والمخالف كثيراً؛ لأنَّ الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النَّبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ولا نظر إلى كثرةِ أهل الباطل بعدهم (وذكره) » .

واستحسن هذا الكلامَ العلّامةُ ابن قيم الجوزية في كتابه الفذ « إغاثة اللَّهفان من

(١) أخرجه اللّالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة » (١٦٠)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/٣٢٢/١٣)؛ وصحح إسناده شيخنا الألباني في « مشكاة المصابيح » (٦١/١) وهو كما قال .

مصائد الشيطان » (٦٩/١) فقال :

« وما أحسنَ ما قال أبو محمد بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتابه « الحوادث والبدع » (وذكره) » .

قلت : لقد تبيَّن لذي عينين أنَّ الجماعة هي من وافق الحق ولو كان وحده، وهذه الطَّائفةُ المنصورةُ وُصفت في أحاديث الرَّسول ﷺ بأنَّها ظاهرةٌ على الحق، وكذلك لفظ الطَّائفة يقع على الواحد فما فوق في لغة العرب .

قال أديب الفقهاء وفقيه الأدباء ابن قتيبة الدِّينَوَري في كتابه النَّافع الطيِّب « تأويل مختلف الحديث » (ص:٤٥) :

« قالوا : وأقل ما تكون الطَّائفة ثلاثة ! وغلطوا في هذا القول لأنَّ الطَّائفة تكون واحداً وثلاثاً وأكثر لأنَّ الطَّائفة بمعنى القطعة والواحد، وقد يكون قطعة من القوم، وقال اللّه تعالى : ﴿ وَلْيَشْهَد عذابَهُما طائفةٌ من المؤمنين ﴾ يريد الواحدَ والإثنين » أ . هـ .

قلت : وهذا ما اتَّفق عليه أئمَّة اللُّغة والدين كما بينته في كتابي « الأدلَّة والشَّواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد » (٢٣/١) .

فلا جَرمَ أن تكون هذه الطَّائفةُ المنصورةُ هي الجماعة .

وهي السَّواد الأعظم لأنَّها الجماعة .

قال ابن حبان في « صحيحه » (٤٤/٨) :

« الأمر بالجماعة بلفظ العموم والمراد منه الخاص؛ لأنَّ الجماعة هي إجماع أصحاب رسول اللّه ﷺ، فمن لزم ما كانوا عليه وشذَّ عمَّن بعدهم لم يكن بشاقٍّ للجماعة ولا مفارقٍ لها، ومن شذَّ عنهم وتبع من بعدهم كان شاقّاً للجماعة، والجماعة بعد الصَّحابة هم أقوامٌ اجتمع فيهم الدين والعقل والعلم ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه وإن قلَّت أعدادهم لا أوباش النَّاس ورعاعهم وإن كثروا » .

وقال إسحاق بن راهويه :

« لو سألت الجُهّال عن السّواد الأعظم لقالوا : جماعة النّاس، ولا يعلمون أنّ جماعةَ عالمٌ متمسّك بأثر النّبي ﷺ وطريقه فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة »[1].

قال الإمام الشّاطبي في كتابه القيم « الاعتصام » (٢/٢٦٧) مؤكّداً هذا الفهمَ السُّنّيّ الصّحيحَ :

« فانظر حكايته تتبيّن غلط من ظنّ أنّ الجماعةُ هي جماعةُ النّاس وإن لم يكن فيهم عالم وهو فهَمُ العوام لا فهم العلماء، فَلْيُثَبِّت الموفقُ في هذه المزلّة قدمَه لئلّا يضلّ عن سواء السّبيل، ولا توفيق إلّا باللّه » أ . هـ

قلت : تدبّر أيّها الأخ هذه الكلماتِ الغالياتِ واحفظها؛ فإنّها تُزيل عنك إشكالاتٍ أوجبها حملُ أحاديث رسول اللّه ﷺ المتقدّمة في التّفرّق على وهم العامّة، وتوهمِ أنصافِ الفقهاء، وتدحض شبهات أثارها دعاة الفرق الضالّة الّذين ردوا هذه الأحاديث بدعوى أنّها تخالف الواقع حيث تحكم على جماهير الأُمّة الإسلاميّة بدخول النّار ظنّاً منهم أنّ جماهير الأُمّة الإسلاميّة يَدِينون ببدعهم وضلالاتهم، وما فطنوا أنّ جماهير الأمّة الإسلاميّة تجذبُهم الفطرةُ السّليمةُ إلى العقيدة الصّحيحة - إن شاء اللّه - ولذلك تمنّى رؤوسُهم أن يموتوا على دين العجائز .

ولا شكّ أنّ هذه الطّائفةَ المنصورةَ هي على ما كان عليه النّبي وأصحابه لأنّها على الحق، والحقُّ هو ما كان عليه النّبي وأصحابه؛ فمن بقي على ما كانت عليه الجماعة قبل التّفرّق وإن كان وحده، فإنّه حينئذ هو الجماعة .

ولقد بحثنا في الفرق قديماً وحديثاً فلم نجد أحداً اجتمعَ على موافقة رسول اللّه ﷺ وأصحابه إلّا أهلَ الحديثِ وأتباعِ السّلف؛ فإنّهم على قَدَم رسولِ اللّه ﷺ وأصحابه رضي اللّه عنهم - عقيدة وسلوكاً وتربية ودعوة وسياسة - سائرون وبهذا

(١) أخرجه أبو نُعيم في « حلية الأولياء » (٩/٢٣٩) .

تتَّضح معالم منهج الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة أنَّه : **الكتاب والسنَّة بفهم سلف الأمَّة**؛ محمَّد والذين معه ومن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وأنَّه **دعوةٌ إلى توحيد الأمَّة** على هذا الفهم لأنَّه اعتصام بحبل اللَّه، وأنَّه هو **المؤهَّل لإعادة مجد هذه الأمَّة المفقودة** وتحقيق أملها المنشود، لأنَّه **الدينُ المؤسَّسُ على الفطرة**، واللَّهُ بالِغ أمرِهِ .

كلماتٌ مُضيئةٌ

○ قال الزاهدُ القدوةُ حاتمٌ الأصمُّ - يرحمهُ اللَّه - : تَعاهَدْ نَفسَكَ في ثلاثٍ :

إذا عملتَ؛ فاذْكُر نَظرَ اللَّهِ إليكَ .

وإذا تكلَّمتَ؛ فاذْكُر سَمعَ اللَّهِ منكَ .

وإذا سكتَّ؛ فاذْكُر علمَ اللَّهِ فيكَ .

○ وقال رحمه اللَّه :

أَفرَحُ إذا أصابَ مَن ناظَرني، وأحزَنُ إذا أخطأَ .

○ قال الإمامُ أحمد بن حَرْب : عبدتُ اللَّهَ خمسينَ سنةً، فما وجدتُ حلاوةَ العبادةِ حتى تركتُ ثلاثةَ أشياءَ :

تركتُ رضى النَّاسِ؛ حتى قَدَرْتُ أن أتكلَّم بالحقِّ .

وتركتُ صُحبةَ الفاسقينَ؛ حتى وجدتُ صُحبةَ الصَّالحينَ .

وتركتُ حلاوةَ الدُّنيا؛ حتى وجدتُ حلاوةَ الآخرةِ .

شيخ الإسلام ابن تيميّة والتَّتار

علي بن حسن

قليلةٌ هيَ المواقف التي تَطبَعُ بَصَماتِها بجلاءٍ ونصاعةٍ في سِجلِّ التَّاريخ، فهي ذكرى وعبرةٌ وحافزٌ ودافعٌ لكل من يطَّلع عليها أو ينظر إليها .

ومن هذه المواقفِ الجليلةِ ننتقي - اليومَ - موقفاً كريماً رشيداً، لتذكير أبناء العصر، ومثقَّفي الأمَّة، وربطهم بأصالة أجدادهم وأمجاد آبائهم لينفضوا غُبارَ الغفلَة عن عقولهم؛ فيكونوا خير خلَف لخيرِ سلف :

شيخ الإسلام ابن تيميَّة المتوفى سنة (٧٢٨هـ) رحمه اللَّه .

عاش هذا الإمامُ الجِهبِذُ فترةً عصيبةً هي فترةٌ من أصعب وأعصى فترات تاريخنا الإسلامي بطولِهِ وعرضِهِ، فاضطربت مفاهيمُ النَّاس، واختلَّت موازينُهم، وانقلبت حقائقُهم، ودخلت الشَّوائبُ دينَهم، وهاجمهم الغُزاةُ والمُعتدون في سُويداء بلادهم .

فوقف لهذه الصِّعاب جِلَّةٌ من أهل الدِّين والعلم، على رأسهم مُقَدَّمُهم وإمامُ عصرهم شيخُ الإسلام وعَلَمُ الأعلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيميَّة النُّميري رحمه اللَّه تعالى رحمة واسعة، فواجهها برباطةِ جأشٍ، وثباتِ قلبٍ، وصدقِ عزيمةٍ، وحُسن توجُّهٍ إلى اللَّه سبحانه .

وسنذكر له - رحمه اللَّه - موقفاً خَفِي على الكثير مِمَّن عرفه رحمه اللَّه،

أو سمع به، أو قرأ له، وهذا الموقفُ يتمثَّلُ في تلك الوقفةِ الجهاديَّةِ المباركةِ التي خاضها رحمه اللَّه ضدَّ أعداء الأمَّة الإسلاميَّة من التَّتارِ الذين أَقْصَوا كتاب اللَّه سبحانه وتعالى واستبدلوه بمناهجَ رقَّعوها من عند أنفسهم سمَّوها « الياسق » كما ذكره الإمام ابن كثير في « تاريخه »[1] !

لقد تمثَّلت في هذا الموقفِ أعظمُ صور التَّضحيةِ والفِداء المنبثقةِ من العقيدة الصَّحيحة والمنهاجِ القويم، ولم يأت هذا الموقفُ العظيمُ عَفوَ الخاطر، ولم يصدر عن فراغ، إنَّما جاء بعد حياةٍ مُفعَمةٍ بالصَّبر ومليئةٍ بالعلم والدَّعوة .

في أحد أيَّام شهر رمضان المبارك من سنة (٧٠١هـ) كانت معركة « شقحب » المشهورة، وقبل ذلك بأيَّام كانت بداية شرارتها، إذ وقف شيخ الإسلام ابن تيمية يَحلِفُ للأُمراء والنَّاس : إنَّكم في هذه الكرَّة لمنصورون، فيقول له الأمراء : قل إن شاء اللَّه، فيقول : إن شاء اللَّه تحقيقاً لا تعليقاً .

قال الإمامُ ابنُ كثير - في « البداية والنهاية » (١٤/٢٥-٢٦) - مُعلِّقاً على هذا : وكان يتأوَّل في ذلك أشياء من كتاب اللَّه، منها قوله تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقِب به ثمَّ بُغِيَ عليه لينصرنَّه اللَّه إنَّ اللَّه لعفوٌّ غفور ﴾ .

ثمَّ قال ابنُ تيمية بعد ذلك لأحد أصحابه : يا فُلان، أوقفني موقف الموت .

فساقَهُ صاحبهُ إلى مُقابلةِ العدو، وهم مُنحدرونَ كالسَّيل، تلوحُ أسلحتُهم من تحت الغبار المنعقد عليهم .

ثمَّ قال له : يا سيِّدي، هذا موقفُ الموت، وهذا العدوُّ قد أقبل تحت

---

(١) « البداية والنهاية » (١٣/١١٧) .

هذه الغبرة المنعقدة، فدونك وما تُريد .

فرفع ابن تيمية طرفه إلى السَّماء، وأشخص بصره، وحرَّك شفتيه طويلاً، ثمَّ انبعثَ وأقدم على القتال .

قال صاحبه : وأمَّا أنا فَخُيِّلَ إليَّ أنَّه دعا عليهم، وأنَّ دُعاءه استُجيب منه في تلك السَّاعة .

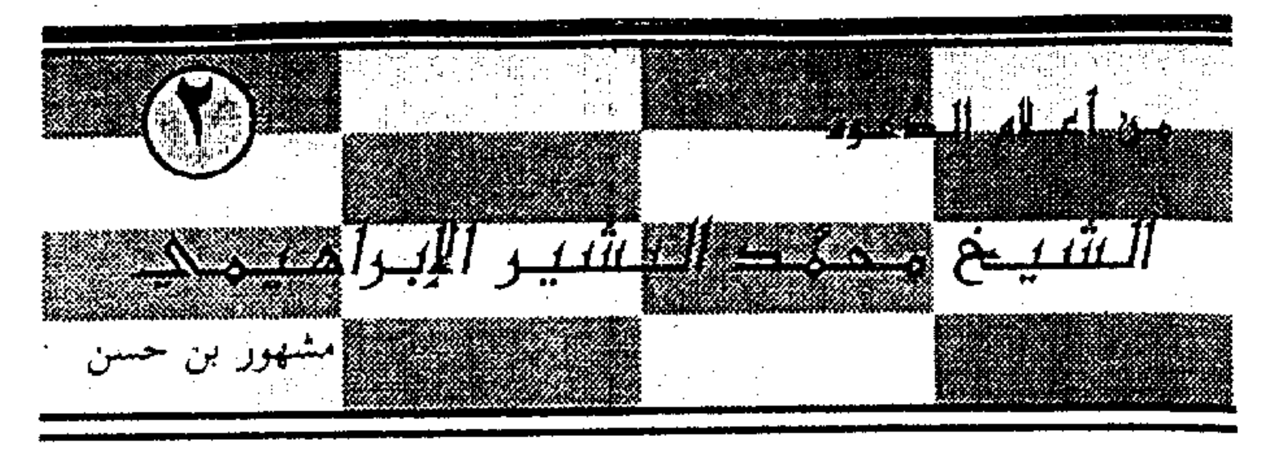
وقال : ثمَّ حالَ القتال بيننا والالتحام، وما عُدت رأيتُه، حتى فتح اللَّه ونَصَرَ، وانحازَ التَّتار إلى جبل صغير، عصموا نُفوسهم به مِن سيوف المسلمين تلك السَّاعة، وكان ذلك آخر النَّهار .

قال صاحبه : وإذا أنا بالشيخ وأخيه - وكان معه - يَصِيحان بأعلى صَوتَيهِما تحريضاً على القتال، وتخويفاً للنَّاس مِن الفرار، فقلت : يا سيِّدي ! لك البشارة بالنَّصر، فإنَّه قد فتح اللَّهُ ونصر، وها هم التَّتار مَحصُورنَ بهذا السَّفح، وفي غدٍ إن شاء اللَّه يُؤخذونَ عن آخِرهم .

قال : ثمَّ رأيتُ الشَّيخ يحمد اللَّه تعالى، ويُثني عليه بما هو أهلُه، ثمَّ دعا لي في ذلك الموطنِ دُعاءً وجدتُ بركته في ذلك الوقت وبعده .

هذه صورةٌ جهاديَّةٌ مَجيدة ينبغي تأمُّلُها وإدامةُ النَّظر فيها، وإعمالُ الفكر في دوافعها وثمارها لنأخذ منها العبرة، ونسير حِذاءَها حتى يفتحَ اللَّه سبحانه بالفلاح، ويأذن بالنَّصر؛ دون تعجُّلٍ مُفسِدٍ، ولا مُواجهةٍ نُجرُّ إليها !

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الذينَ آمنوا منكم وعمِلوا الصَّالحات لَيَستَخلِفَنَّهم في الأرضِ كما استخلفَ الَّذينَ من قبلِهم وليُمَكِّنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم ولَيُبَدِّلَنَّهم مِن بعد خَوفِهم أمناً يعبدونني لا يُشركون بي شيئاً ﴾ .



تكلَّمنا في الحلقة الأولى عن شخصيَّة هذا العلَم وعن سلفيَّته، وقلنا : إنَّ دعوته قامت على ركائز، نستطيع حصرها فيما يلي :

أوَّلاً : إصلاح العقيدة .

ثانياً : مقاومة الصُّوفيَّة المبتدعة .

ونتابع في هذه الحلقة الكلامَ عن ركائز دعوته، فنقول :

ومنها أيضاً :

ثالثاً : محاربة الفهم الخاطئ للإسلام .

يرى الشيخ الإبراهيمي أنَّ المُتاجرينَ باسمِ الدِّين كانَ لهم أسوأ الأثر على عقولِ النَّاسِ، حيثُ خَدَّروها بالأوهام، وملأوها بالخرافات والادِّعاءات التي ليست منَ الدِّين الحنيف في شيء، فكان فِعلُهم مُشوِّشاً للإيمان عندَ العامَّة، مانعاً للتَّفاعُل الرُّوحي المتعقِّل مع تعاليم الإسلام .

ومكمنُ خطر هؤلاء أنَّ رأس مالهم التَّدجيل والتَّخريف، وبضاعتهم في هذه الأمَّة المسكينة التي أحكموا الحيلة في تخديرها بالرُّؤى والمنامات، وزعزعوا عقيدتها باللَّه بما أثبتوه لأنفسهم من التَّصرُّف في الكون أحياءً وأمواتاً، ومن مشاركة الخالق فيما تفرَّدَ به منَ الأمرِ والخلق، وأفسدوا فطرتها الدِّينيَّة بما ابتدعوه

لها من عباداتٍ (ميكانيكيَّة) هيَ إمَّا زيادةٌ في الدِّينِ أو نقصٌ فيه .

وظهرت آثار هذه المحاربة في التَّركيزِ أوَّلاً على إصلاح عقيدة النَّاس، وعلى محاربة الصُّوفيَّة المبتدعة التي كانت منتشرة آنذاك .

ومن آثارها أيضاً :

محاربته التَّعصُّب المذهبي المقيت : وكان الإبراهيمي يركِّز على هذا أشدَّ التَّركيز، وكان يَعُدُّ التَّعصُّب المذهبي سبباً من أسباب تفرُّق المسلمين، فها هو يقول وهو يتكلَّم بهذا الصَّدد :

« هذه العصبيَّة العمياء التي حدثت بعدهم - أي : الفقهاء والأئمَّة الأربعة على وجه الخصوص - للمذاهب والتي نعتقد أنَّهم لو بُعِثوا من جديد لأنكروها على أتباعهم » .

ويقول : « وقد طغت شرور العصبيَّة للمذاهب الفقهيَّة في جميع الأقطار الإسلاميَّة، وكانَ لها أسوأ الأثر في تفريق كلمة المسلمين، وأنَّ في وجه التَّاريخ الإسلامي منها لَنُدوباً » .

ويرى شيخنا الإبراهيمي أنَّ **سبب الوحدَة الحقيقيّ هو الدِّين**، وأنَّ ما يجتمع عليه النَّاس مِن غيرِهِ آفاقٌ ضيِّقَةٌ ! فها هو يقول :

« الأوطان تجمع الأبدان، واللُّغات تجمع الألسنة، وإنَّما الذي يجمع الأرواح ويؤلِّفها ويَصلُ بينَ نَكِرات القلوب فيعرفها هو الدِّين، فلا تلتمسوا الوحدة في الآفاق الضيِّقة، ولكن التمسوها في الدِّين، والتمسوها في القرآن، تجدوا الأفق الأوسع، والدَّار أجمع، والعديد أكثر، والقوى أوفر » .

ويرى الشيخ الإبراهيمي أيضاً أنَّ ابتعاد النَّاس عن المفهومِ الحقيقي للإسلامِ

يجلب لهم لا محالة التَّفرق والتَّشرذم، ومن مستلزمات ذلك الاعتماد على أسسٍ ما أنزلَ اللَّهُ بها من سُلطان، فتجد هؤلاء المبتعدين يَعتَمدونَ تارة على علم الكلام، ويُقدِّسونَ (العقل)، وتجد بعضهم الآخر ينخلع تماماً عن ذلك، ويغرق في الكلامِ عن الرُّوحِ، فها هو يصرِّح بأنَّ الجدل وعلم الكلام : « هو مبدأ التَّفرُّق الحقيقي في الدِّين، لأنَّ المتكلِّمينَ يزعمونَ أنَّ علومهم هيَ أساسُ الإسلامِ، والصُّوفيَّة يقولونَ : أنَّ علومهم هيَ لُبابُ الشَّريعة وحقيقتها » .

فهو - رحمه اللَّه تعالى - عالج جميع الأسباب التي يجتمع عليها فئات من النَّاس، ويتَّخذونها أساساً فيما بينهم على الالتقاء على شارة ما، أو اسمٍ معيَّن، أو مذهبٍ فقهيّ، أو عقليّ، أو روحيّ، ولذا ترى عنده من السَّماحةِ، وبُعدِ الأُفقِ، وسَعة الصَّدر، ما هوَ حقيقٌ بمثله، بحيث كانَ مصلحاً حقّاً، بعيداً عن التَّعصُّبات المقيتة، نابذاً القوالب الحزبيَّة الضيِّقة، فهوَ لا يعمل لاسمٍ أو رسمٍ، وإنَّما للإسلام ذات الإسلام بفَهم سلَف الأُمَّة الصَّالحين .

وكانَ - رحمه اللَّه تعالى - إيجابيّاً في دعوته، انطلقَ من أُسس راسخة في الإصلاح، وأوجزَ مهامَّ هذا الإصلاح بقوله :

« إيصال النَّفع والخير إلى الأُمَّة، ورفع الأُمِّيَّة والجهل عنها، وحثّها على العمل وتنفيرها من البطالة والكسل، وتصحيح فهمها للحياة وتنظيف أفكارها وعقولها من التَّخريف، وتنظيم التَّعاون بينَ أفرادها وتمتين الصِّلة والثِّقة بينَ العامَّة والخاصَّة منها، وتعليمهم معاني الخير والرَّحمة والإحسان لجميع الخلق » .

والإصلاح عندَ الإبراهيمي له جوانب عديدة، ومرتكزات كثيرة وميادين شتَّى، نتكلَّم عليها في حلقةٍ قادمةٍ إن شاءَ اللَّه تعالى .

التَّطرُّف الدِّيني ... معنى !!

محمد إبراهيم شقرة

التَّطرُّف الدِّيني بمعناه الاصطلاحي، ليس جديداً في قاموس المصطلحات التي عرفتها الأمَّة في حياتها، فهو مصطلح قديم، عُرف بألفاظٍ أخرى، أغنته الأيَّام المؤتزرة بالمصائب والبلايا، التي تَحُطُّ رحالها في كلِّ يومٍ بين ظهراني هذه الأمَّة، تصنعها على عيوننا المعاصي الآخذةُ برقاب بعضها البعض، تُشقّق معانيها تشقيقاً من آثار تلك المعاصي، وتُصفّق لها من فرحٍ نفوسُ السفهاء، وتَخِبُّ إليها في اللَّيل والنَّهار أقدامُ الجهلاء .

والتطرُّف في اللُّغة مصدر، فعله : تطرَّف، أي : أتى الطرف، وطرفُ الشَّيء نهايته، ومنه، تطرّفت الشمس : دنت واقتربت، ومنه، تنحّى، ويقال : تطرّف في كذا، إذا جاوز حدَّ الاعتدال فيه، ولم يتوسَّط، ويقال أيضاً : طرفت النَّاقة : إذا تطرَّفت، أي : رعت أطراف المراعي، ولم تختلط بالنُّوق التي ترعى .

وبالتَّأمُّل قليلاً في المعنى اللُّغوي للتَّطرُّف، نعرف العلاقة بينه وبين المعنى الاصطلاحي له، وهو : « عدم التَّوسُّط في الدِّين »، أي : (مجاوزة حدّ الاعتدال في الدِّين)، وهو معنى اتَّسعت رقعتُه في عقول النَّاس اتِّساعاً جاوز الحدَّ، فتطرَّفوا فيه تطرُّفاً لا تُسَوِّغُه عقول الحكماء، وهذا المعنى للتَّطرُّف كان يعرف بالتَّشدُّد، أو بالغلو في الدِّين .

وجاء ذكره في آيات من القرآن، وأحاديثَ من سُنَّته عليه الصَّلاة والسَّلام، فمن القرآن قولُه تعالى : ﴿ قُل يا أهلَ الكِتَابِ لا تَغلُوا في دِينكُم غيرَ الحقِّ ﴾ [المائدة:٧٧]، وقولُه تعالى : ﴿ يا أهلَ الكتابِ لا تغلوا في دينكُم ولا تقولوا على

اللَّهِ إِلَّا الحقَّ ﴾ [النِّساء: ١٧١] .

ومن السنَّة قوله ﷺ : « إيَّاكُم والغُلو في الدِّين فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدِّين »[١] قاله عليه الصَّلاة والسَّلام وهو يعلِّم أصحابه كيف تكون الحصيات التي يرمون بها الجمرات، ومنها قولُه ﷺ : « إنَّ هذا الدِّينَ متين، فأَوغِلُوا فيه برِفقٍ »[٢].

وكان عليه الصَّلاة والسَّلام لا يُشدِّد على أصحابه إلَّا في نهي عن شيء حرَّمه اللَّه، وهذا في حقيقته لا يُعَدُّ تشديداً، ولعلَّ في حديث النَّفر الثَّلاثة - الذين سألوا أزواجَ النَّبي ﷺ عن عبادته فتقالُّوها[٣] - ما نعرف به معنى الغلو والتَّشديد، أو ما صار يُعرف بالتَّطرُّف، فقد أرادَ أولئك النَّفر أن يتجاوزوا في عبادتهم هديَ النَّبي ﷺ فيها، فواحدٌ كان يقوم اللَّيل ولا ينام، وثانٍ كان يصوم ولا يفطر، أمَّا الثَّالثُ فكان لا يتزوَّج النِّساء، فخرجوا بذلك عن حدِّ الاعتدال الذي رسمته الشَّريعةُ، وانتهى إليه الرَّسول ﷺ، فما كان لهم أن يتجاوزوا ما انتهى إليه نبيُّهم، وإلَّا كانوا كما قال لهم رسولُ اللَّه ﷺ مُحذِّراً ومُنبِّهاً : « من رغب عن سنَّتي فليس منِّي » .

هذا ومِثلُه هو الغلو، **أمَّا أن يعملَ الإنسانُ ما أُمر به كأَّه من غير ما فرقٍ بين مكروه وحرام، راغباً في الاقتداء برسول اللَّه ﷺ ساعياً في الحصول على رضوان اللَّه في الآخرة، في غير رِيَاء ولا سمعة، فلا يُقال في مثله: إنَّه غلو، بل يُقال فيه : اتِّباع واقتداء لمن نهى - ابتداءً - عن الغلو والتَّشديد في الدِّين .**

والغلوُّ بهذا المعنى لا يختلف من زمان إلى زمان، ولا من مكان إلى مكان؛ لأنَّ اللَّه سبحانه شرع لنبيِّنا ﷺ ولأمَّته من الدِّين ما شرع للأنبياء والمرسلين جميعاً،

(١) رواه أحمد والنسائي عن ابن عباس، انظر « الصحيحة » (١٢٨٣) .

(٢) رواه أحمد عن أنس، وانظر « صحيح الجامع » (٢٢٤٦) .

(٣) متفق عليه .

والأنبياء أبناء عَلّات، دينهم واحد[1]، ولو كان لِبُعدِ الزَّمان أو لاختلاف المكان تأثيرٌ في معنى الغلو، لكان له أثر في جوهر الشَّرائع التي بعث اللَّهُ بها سبحانه رسله وأنبياءه، وهذا شيءٌ لم يكن قط، فبأيِّ حديثٍ إذاً نمتري، وبأيِّ عقل ننظر ونقدر ؟

والتطرُّف بمعناه الاصطلاحي الحادث لم يُلتفت فيه إلى المعنى الشرعي الصَّحيح المراد من الآيات والأحاديث التي ذكرناها، فقد اتَّسعت رقعته في عقول النَّاس اليوم اتِّساعاً جاوز الحد، حتى صار هو تطرُّفاً في ذاته ثمَّ ينشأ منه تطرُّف وتطرُّف وهكذا، فلا نتنهي به إلى تعريف أو حدٍّ يُساغ عقلاً أو ذوقاً، وصارت العقول تتنازعه تنازعاً شديداً، وصار عندَ كلِّ عقل معنىً للتَّطرُّف يختلف عن المعنى الذي رضيه العقل الآخر، ولعلَّ بعض العقول جمعت هذه المعاني كلها وأخرجت منها جميعاً معنى واحداً للتطرُّف .

ولا يشكُّ عاقلٌ أنَّ هذا التَّباين الواضح في معنى التَّطرُّف ناشئٌ من قصور النَّظرة عن الشُّموليَّة لمفهوم الدين كله الذي أمر اللَّه المؤمنين جميعاً بالدُّخول فيه، والعمل به كله، ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا ادخلوا في السِّلم كافَّة ولا تتَّبعوا خطوات الشَّيطان إنَّه لكم عدوٌّ مبين ﴾ .

وحسبنا لمعرفة هذا التَّباين للتطرُّف أن نلقي السَّمع لما تنطق به ألْسِنَة المُنَظِّرين في العالم الإسلامي، حين يُعرِّفون التطرُّف، وإن كانوا جميعاً يلتقون على تعريف واحد له، منظور فيه إلى **النُّظم السياسيَّة** التي تسود بلاد المسلمين، ولسنا في هذا المبحث بصدد ذكره أو نقده، وإنَّما نكتفي بالإشارة إلى أنَّهم يعينون بوصفِ التطرُّف كلَّ مُلتزمٍ بالدِّين، داعٍ إلى اللَّهِ، مبتغٍ تطبيقَ الكتابِ والسُّنَّة !!

وسأُوردُ هنا بعضَ تعاريف التَّطرُّف، أسرقُها أمثلةً لعشرات - إن لم يكن مئات - من التَّعاريف، ومعذرةً من القول أنَّها تعاريفُ، فهي لم تأخذ شكل التَّعريف

---

(١) متفقٌ عليه عن أبي هريرة، وأبناءُ علّات، أنَّهم إخوةٌ لأبٍ واحدٍ وأُمَّهاتٍ شتَّى .

بحرفيَّة دلالته على مسمَّاه، بقدر ما أخذت شكلَ الأعراف التي تسودُ مجتمعاً من المجتمعات فترةً طويلة أو قصيرة من الزَّمن، ثمَّ تنتهي، إمَّا لضعفها، وإمَّا لانقراض الفئة أو الطَّائفة التي حملتها وتبنَّتها فتصبحُ لكثرة تداولها وسرعة الإقبال عليها أشبهَ ما تكون بالتَّعاريف، لذا؛ فإنَّني سمَّيتها تعاريفَ وإن كانت ليست بتعاريف :

ففي بعض بلاد المسلمين يرى التَّطرُّف الدِّيني على أنَّه : رفض العادات الغربيَّة التي يَكثُرُ شيوعُها الآن في بلاد المسلمين .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : رفضُ بعض النَّاس المعاصي والآثام التي لا يتأثَّم منها آخرون .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : عدمُ الانسجام جُملةً مع الأفكار والمذاهب الدَّخيلة .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : العملُ على التزام ما يُستطاع من شرائع الإسلام وعقائده .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : الجهرُ بقوَّةٍ في الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ودعوة النَّاس إلى الخير .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : العودةُ بالأمَّة إلى الأصول العلميَّة الصَّحيحة التي جعلت منها أُمَّةً قويَّة قبل أن ينزل بساحتها الهوانُ .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : لزومُ العمل بالكتاب والسنَّة، والوقوف مع سيرة السَّلف الصَّالح في التَّحاكم إليهما .

... وهكذا؛ فإنَّك واجدٌ نفسَك أمام مصطلح تعدَّدت معانيه ودلالاته، لستَ بقادر على تخيُّر واحد منها، إذا كنت غيرَ عارفٍ لطبيعة الحياة الاجتماعيَّة، وربما يكون عجزُك عن هذه المعرفة في بلدٍ عشت فيه وستقضي، لأنَّك غيرُ منسجم فكريّاً على الأقل أو اجتماعيّاً مع المجتمع الذي تعيش فيه، وقد تكون النُّفرة بين المجتمع وبين الفرد ناشئةً من شيء خارج عن إرادة ذلك الفرد؛ كالفقر، أو خُلُق الحياء، أو شيء

نفسي مَحض، إزاء ذلك لا يكون الفرد بقادر إلّا على النُّفرة، لأنّها السَّبيل الوحيد الذي يَخلُصُ به إلى راحته النَّفسيَّة، مما يتصوّر أنَّ النَّاس جميعاً يعادونه .

وتَبَعاً لهذا التَّعريف - أو قل : أعراف التَّعاريف للتَّطرف - أخذ التَّطرُّفُ أشكالاً مختلفة، وصوراً متعدِّدة، يراها الإنسانُ في كلِّ مكان يذهب إليه من عالمنا الإسلامي الفسيح الجَنَبات، المتباعد الأطراف، يراها مجتمعة، أو منفردة، فالحياةُ الاجتماعيَّةُ في بلدٍ ما تختلف عنها في بلدٍ آخر، واختلاف هذه الحياةِ يُوجد فروقاً واسعة في التَّفكير العقلي لدى الفئة المثقَّفة في هذا البلد أو ذاك، يتبعه قطعاً الاصطلاحُ على تعريفٍ جديدٍ للتطرُّف .

ولا أجفو الحقيقةَ إذا قلت : حتى المنتمون بولاءات فكريَّة دينيَّة يختلفون هم أنفسهم في تعريف التطرف، كلٌّ منهم يراه بمنظاره الفكري الخاص، ولو كانت هناك نظرةٌ شموليَّةٌ تسعهم جميعاً، تردُّهم بالرُّؤية الصَّحيحة إلى كلمات النُّبوَّة، لرأوا فيها غُنية عن التَّخبُّط في اختيار تعريف، أو وضع مصطلح جديد للتطرُّف، يَركُمونَهُ على المُصطلحات الأُخرى، بفارق قريب بينه وبين تلك المصطلحات : أنَّ هذا أُحدث بمنظارٍ يسمَّى إسلاميّاً، وتلك أُحدثت بمنظار ليس إسلاميّاً، واختلاف المنظار لا يعني اختلاف المرئيِّ، فالمرئيُ واحدٌ، رغم اختلاف المنظار، والنَّتيجة : زيادة في التَّعاريف، وفرقة في الرَّأي .

ولا أكونُ هازئاً إذا قلت : إنَّ التطرُّف بهذا الاختلاف المتباعد بين معانيه وصوره وأشكاله، أصبح أُسلوباً من أساليب المتعة الذِّهنيَّة، للتَّرويح عن النَّفس، والتَّخفيف من كُروبها وأحزانها إذا أثقلت عليها وطأتها، أو وسيلة للهروب من الواقع الأليم الذي يُقاسيه الأفراد في المجتمعات، أو سُلَّماً يرتقي فيه بعض النَّاس، يبتغونَ السُّمعة والشُّهرة، يصرفون به أنظار النَّاس إليهم، أو سبباً للطَّعن على الإسلام والنَّيل من أحكامه وشرائعه وعقائده، والانتقاص من صلاحيَّته للحياة الإنسانيَّة .

كلماتٌ .. في الدَّعوة والمنهاج :

السَّلفيَّة ... و ... الحزبيَّة ...

علي بن حسن

يَتوهَّمُ الكثيرُ مِن النَّاسِ عندَ ذِكرِ اصطلاحِ (السَّلفيَّة) و (السَّلفيِّين) وجودَ حزبٍ، أو نشوءَ حزبيَّةٍ، أو غيرَ ذلك ممَّا قَد يَرِدُ على أذهانهم، أو يَخطُرُ على بالهم !

وليسَ لذلك كُلِّه حقيقةٌ واقعيَّةٌ ألبتَّةَ في المنهجِ السَّلَفيِّ القويم، أو في أفكار حَمَلَتِهِ ودُعاتِهِ؛ إذ (السَّلفيَّة) تعني - بحقٍّ - **الإسلامَ الصَّحيحَ الشَّاملَ الذي أنزَلَهُ اللَّهُ سبحانهُ على محمَّدٍ ﷺ**، وليست هي مُسمَّىً محصوراً بفئةٍ من النَّاس، فهي انتسابٌ إلى (السَّلفِ) الممدوحين في الكتاب والسُّنَّة[1]، فكلُّ مَن فَهِمَ دينَه على ما فَهِمَهُ سَلَفُ الأُمَّةِ الصَّالحونَ، فهو (سَلَفيٌّ)؛ سواءٌ أَذكرَ ذلك صراحةً وجهاراً، أم سكتَ عن ذِلكَ خشيةً أو (وسوَسةً) !!

فالسَّلفيَّةُ لا يَسَعُها حِزبٌ، ولا تَحويها جماعةٌ، ولا تنتظمُها حَركةٌ، وإنَّما هي تَسَعُ المسلمين كلَّهم؛ جماعاتٍ وأفراداً، لأنَّها الإسلامُ بشمولِهِ، كتاباً وسُنَّةً، بفهم السَّلفِ الصَّالح رضي اللَّه عنهم .

فالواجبُ على الأُمَّةِ مُقارنةُ واقِعها؛ فكراً، وعَمَلاً، وتصوُّراً، وتنفيذاً : بمنهجِ

(١) وقد سبق في العدد الأوَّل من (**الأصالة**) : لماذا المنهجُ السَّلفيُّ ؟ - للأخ سليم الهلالي - سرد الأدلَّة في ذلك .

السَّلفِ في فهمهم وتطبيقهم لهذا الدِّين العظيم .

وإذْ نَذكُرُ (السَّلفيَّة)، ونُكرِّرُها - مُؤكِّدينَ الانتسابَ إلى السَّلف، والتشرُّفَ بذلك - إنَّما نُريدُ بذلك قَطْعَ الطَّريقِ على أولئكَ الَّذينَ يُريدونَ في عَمَلهم (الإسلامي) وتطبيقاتهم (الدَّعويَّة) وتنظيراتهم (الحركيَّة) إبقاءَ حَبْل (الاجتهاد) في (الفكر الإسلامي) مُلقىً على غاربهِ، دونَ ضوابطَ أو قواعدَ، سِوى مصالحِهم المنظورةِ في أذهانهم، أو عصرانيَّتِهم النابعةِ مِن تفكيرهم، أو عقلانيَّتِهم[1] المأسورةِ بأفكارِ الغربِ، وبالتَّالي تَطويعُ النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ تَبعاً لذلك كلِّه !!

فإن قال قائلٌ - بعدَ ذا -: لعلَّ في هذه (التَّسميةِ) فتحاً لبابِ تحزُّبِ يُكتتم !

فالجوابُ، أنْ : لا، وذلك لأمرين اثنين :

الأوَّل : أنَّ (السَّلفيَّة) نسبةٌ مُشرِّفة، **مُشَرَّفَةٌ** لأُولئكَ المذكورين بخيريَّةِ الفهم، وخيريَّةِ التَّصوُّرِ، وليست اسماً مَحصوراً بفئةٍ لها بطاقاتٌ حزبيَّة، أو تصوُّراتٌ عصبيَّة !

الثَّاني : أنَّ تَميُّزَ أهلِ الحقِّ بحقِّهم لا يجعلهم مُشارِكينَ - بالمخالفةِ - لمن انحَرَفوا عن سواءِ النَّهجِ، أو مُشابهينَ لمن حادوا عن سويِّ السَّبيلِ .

فلا غضاضةَ - بحمدِ اللَّه - البتَّةَ على مَن انتسَبَ إلى السَّلفَ؛ ليسَ فقط بالمقالِ، وإنَّما بالسَّمتِ والنَّهجِ والفِعال، وبخاصَّةٍ في هذه الفترةِ العصيبةِ من الزَّمن؛ التي كَثُرَ فيها المُدَّعون للحقِّ، وكَثُرَ فيها أدعياءُ الدَّعوةِ، فلا بدَّ من تمييْزِ

(١) وفي كتابي « العقلانيُّون : أفراخُ المعتزلة العصريُّون » تفصيلٌ مطوَّلٌ .

منهجيٌّ صادقٍ - موافقٍ للحقِّ غير مُخالفٍ عنه - يَقُضُّ مضاجعَ المنحرفين، ويُبطِلَ فِرى المُموِّهين، يُوافقُ الخُبرُ فيه الخَبَرَ، ويكونُ به الدُّعاةُ قائمينَ بدعوتهم حقَّ القيام .

وَرَحِمَ اللَّهُ شيخَ الإسلام ابنَ تيميَّة القائل[1] :

« **لا عَيْبَ على مَن أظهرَ مذهبَ السَّلف، وانتَسبَ إليه، واعتزى إليه، بل يجبُ قَبولُ ذلك منه بالاتفاق، فإنَّ مذهبَ السَّلف لا يكونُ إلّا حقّاً** » .

ونشرُ نورِ هذا المنهج بين النَّاس، وجعلهُ الشِّعار والدِّثار لحياتهم - شُعوباً وأُمماً، حُكَّاماً ومحكومين - هو أمرٌ تتمنَّاهُ النُّفوسُ، وتَتوقُ إليه القلوبُ والعقولُ، ويجتهد في تحصيلهِ المُخلِصون .

فإذا حصلَ - بمنّة اللَّه ولو بعدَ حينٍ - انتشارُ هذا المنهجِ الحقِّ، وخفتَت تلك الأصواتُ النَّاشزةُ المخالفةُ له هنا وهناك، وأصبحت « الأُمَّةُ في قالب الإسلام الصَّحيح، خاليةً من البدعِ والأهواءِ؛ كما كان الصَّدرُ الأوَّلُ ومُقدَّمةُ السَّلفُ الصَّالح : لغابَت هذه الألقابُ المُميِّزةُ، لِعَدَمِ وجودِ المناهضِ لها »[2].

فَلْيَهنأْ دُعاةُ منهجِ السَّلفِ الحقِّ باستعلائِهم على كلِّ تقوقعٍ وتحزُّبٍ، و (لْيَنعَمُوا) بشمولِ دعوتهم لكلِّ صاحبِ فطرةٍ - لم تُغيِّرها الشَّوائبُ - من جميعِ المسلمين، (وَلْيَفرَحِ) المتحزِّبونَ بحزبيَّتهم، ومقاييسهم (الخاصَّةِ جدّاً)، فليسَ هناك مَن يُنافسهُم فيها، أو يَتطاوَلُ بعُنقِه لمجاراتِهم بها !!

واللَّهُ الهادي إلى سواء السَّبيل .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٤/١٢٩) .

(٢) « حكم الانتماء » (ص:٣٢) فضيلة الشيخ بكر أبو زيد .



فِقهُ الخَطيبِ وَأَثَرُهُ في استِجابَةِ المُستَمِع

حسين العوايشة

أخرج الإمام مسلم في « صحيحه » (٨٦٩) من حديث أبي وائل – رحمه الله – قال :

« خَطَبَنا عمَّار، فأوجزَ وأبلَغ، فلمَّا نزلَ قُلنا : يا أبا اليقظان ! لقد أبلغتَ وأوجَزت، فلو كنتَ تنفَّست »[١].

فقال : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إنَّ طول صلاة الرَّجل وقصر خطبته مَئِنَّةٌ من[٢] فقهه، فأطيلوا الصَّلاة واقصُروا[٣] الخُطبة، وإنَّ من البيان سِحراً » .

وعن جابر بن سَمُرة السُّوَائي رضي الله عنه قال : « كان رسولُ الله ﷺ لا يُطيل الموعظةَ يوم الجمعة، إنَّما هُنَّ كلمات يسيرة »[٤] .

(١) أي : أطَلتَ، وأصله أنَّ المتكلِّم إذا تنفَّسَ استأنفَ القول وسهُلت عليه الإطالة . « النِّهاية » .

(٢) أي : علامةُ مَن يُتحقَّق من فقهه، وحقيقتها مكان لقول القائل : مِئنة فقيه . « فيض القدير » .

(٣) هذا في الخطبة التي فيها مفتاح الخير ومنبع التَّوجيه، فلا تلين لتفصيلات وتفريعات فإنَّه يحضرها الصَّغير والكبير والمريض والصَّحيح والعامّي والمتعلِّم .

أمَّا في غير ذلك فلك أن تطيل وتقصر على قدْر همَّة الحاضرين وعزمهم في دروس علميَّة وجلسات في مختلف علوم الدِّين .

(٤) « صحيح سنن أبي داود » (٩٧٩) .

« إنَّ طول صلاة الرَّجل وقصر خطبته مِئنَّةٌ من فقهه »!

ما السرُّ الذي جعل طول صلاة الرَّجل وقصر خطبته من علامات فِقهِه ؟

أقولُ : أيّ موضوع يتخيَّره الخطيب هو علم ودعوة إلى العمل :

إنَّه يدعو لإصلاح النُّفوس وحُسن مراقبة اللَّه تعالى .

إنَّه يدعو لإصلاح الصَّلاة وتحقيق معنى الخشوع فيها .

إنَّه يدعو لمجاهدة النَّفس .

إنَّه يدعو لـحُسن المعاملة مع أفراد المجتمع .

إنَّه يدعو للجهاد في سبيل اللَّه تعالى .

إنَّه يدعو للبر والخير والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر .

وكُلُّ ماذكرتُ هو من باب العلم والدَّعوة، وأمَّا المضي للصَّلاة فهو العمل بمقتضى ما ذُكر كلّه .

فالآن بعد تلك الخطبة الدَّاعية إلى العلم، جاء دور العمل .

يقف المسلم بين يدي ربِّه يودِّع الدُّنيا ويزهّد فيها .

إنَّه يستمدُّ في الصَّلاةِ قوَّة القلب وشجاعة الفؤاد ليأتمر بما أُمِر، وينتهي عمَّا نُهي عنه، ويعمل بما سَمِع .

فإن سمعَ في الـخطبة عن الصَّلاة ومنزلتها في الدِّين فقد جاء دور تحقيق هذه المعاني .

وإن سَمع في الخطبة عن مجاهدة النَّفس؛ فقد آن أوان مجاهدة النَّفس، وتصبيرها على الرُّكوع والسُّجود والخشوع .

وإن كانت الخطبة تنهى عمَّا حرَّم اللَّه تعالى؛ فها هي الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال اللَّه تعالى : ﴿ إنَّ الصَّلاةَ تنهى عن الفحشاءِ والـمُنكَر ولَذِكرُ اللَّهِ أكبرُ واللَّه يعلمُ ما تَصنَعون ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

وجاء هذا مؤكَّداً في الحديث الصَّحيح الثَّابت عن رسول اللّه صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم لـمَّا قيلَ له : إنَّ فُلانا يُصلِّي اللَّيل كله، فإذا أصبح سَرَق !

فقال صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه : « سينهاه ما تقول »، أو قال : « ستمنعه صلاته »[1].

وإن كانت الخطبة تأمر بالمعروف، فالصَّلاة أعظم معروف وخير موضوع[2]، وإنَّ العبد في صلاته ليستمدّ العون من اللّه تعالى في كلِّ خير وبرّ، من خشوع، وصوم، وزكاة، وحج، وجهاد، وخُلُق حَسَن، وترك كل مُنكر وشرّ وفجور .

لعلَّ الخطبة كانت تأمر بالجهاد في سبيل اللَّه، فمن استطاع أن يجاهد نفسه في تحسين صلاته واستمداد العون من اللَّه تعالى، فقد ثبتَ في الجهاد، وإلَّا فلن يستطيعه، وهل يُقاتِلُ الأعداء إلَّا لأنَّهم كَفروا باللَّه وتركوا الصَّلاة .

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه : أنَّ النَّبي ﷺ كانَ إذا غزا بنا قوماً؛ لم يكن يغزو بنا، حتى يُصبح وينظر، فإن سمعَ أذاناً كفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغارَ عليهم »[3].

نعم؛ ألصَّلاة هي العمل، هي سبب صلاح النُّفوس، إنَّها النُّور[4] والشِّفاء، بها وبالصَّبر يُستعان، قال اللَّه تعالى : ﴿ واستعينوا بالصَّبر والصَّلاة وإنَّها لكبيرَةٌ إلَّا على

---

(١) رواه أحمد والبزَّار والطَّحاوي في « مشكل الآثار » وغيرهم بإسناد صحيح . وانظر التَّعليق على الحديث في « الضَّعيفة » (١٦/١) .

(٢) لقوله ﷺ : « الصَّلاة خيرُ موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر » . رواه الطَّبراني في « الأوسط » وهو حسن بشواهده .
وانظره في « صحيح التَّرغيب والتَّرهيب » رقم (٣٨٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠)، ومسلم (٣٨٢) .

(٤) قوله ﷺ : « ... والصَّلاة نور » .
أخرجه مسلم (٢٢٣) .

الخاشعين ﴾ [البقرة:٤٥] .

وفي الحديث :

« أوَّل ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصَّلاة، فإن صَلَحَت صَلَح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر علمه »[1].

إنَّ فقه الرَّجل أن يقصُر الخطبة التي دَعَت للجهاد؛ ليمضي إلى الصَّلاة ليُصلِح أمر جهاده، ويستعين بصلاته ليُوفَّق في ذلك .

وإنَّ من فقهه أيضاً أن يقصر الخطبة التي تدعو لحُسن الخُلُق، ليمضي إلى الصَّلاة ليُصلِح خُلُقَه ويستعين بصلاته على ذلك .

ومن فقهه كذلك أن يقصر الخطبة التي تدعو إلى بذل المال في سبيل الله، ليمضي إلى الصَّلاة؛ فتنهاه عن البخل وتُصلِح له أمر بَذْله وإنفاقه .

وهكذا الشَّأن مع سائر الأعمال، فالصَّلاة تيسِّر سبيل الطيِّبات، وتأمر العبد بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وتبدِّد له الصِّعاب .

ولمن غضَّ الطَّرف عن الصَّلاة أقول :

كم من مريد للجهاد لم يُصِبْهُ !

وكم من راغب في تحسين الخُلُق لم يَنَلهُ !

وكم مِن مُحبٍّ لبَذْل المالِ لم يَظفر به !

ثمَّ تَعالوا نسأل أنفسنا :

أوَما تَضَجَّر الكثير من مجاهدين مقاتلين !

أوَما تأَفَّفَ الكثير من حُجَّاج ومزكِّينْ !

(١) أخرجه الطَّبراني في « الأوسط » بإسناد لا بأس به، وغيره .
وانظر « صحيح التَّرغيب والتَّرهيب » برقم (٣٦٩) .
والشَّطر الأوَّل منه له طرق وشواهد كثيرة .

أوَما تحوقل كثير من صائمين ومتصدِّقين !

فهذا كلُّه بسبب عدم إحسان الصَّلاة؛ « ... مئنَّة من فقهه » .

هذه هي دلائل الفقه وأمارات الفهم .

وكم من أناس يجهلون مدلول الفقه ومعناه !

روى الدَّارمي عن عِمران المِنقَريّ قال :

« قلتُ للحسن يوماً في شيء : أما هكذا قال الفقهاء ؟

قال : ويحك هل رأيت فقيهاً ؟! إنَّما الفقيه الزَّاهدُ في الدُّنيا، الرَّاغبُ في الآخرة، البصير بأمر دينه، المداوِم على عبادة ربِّه » .

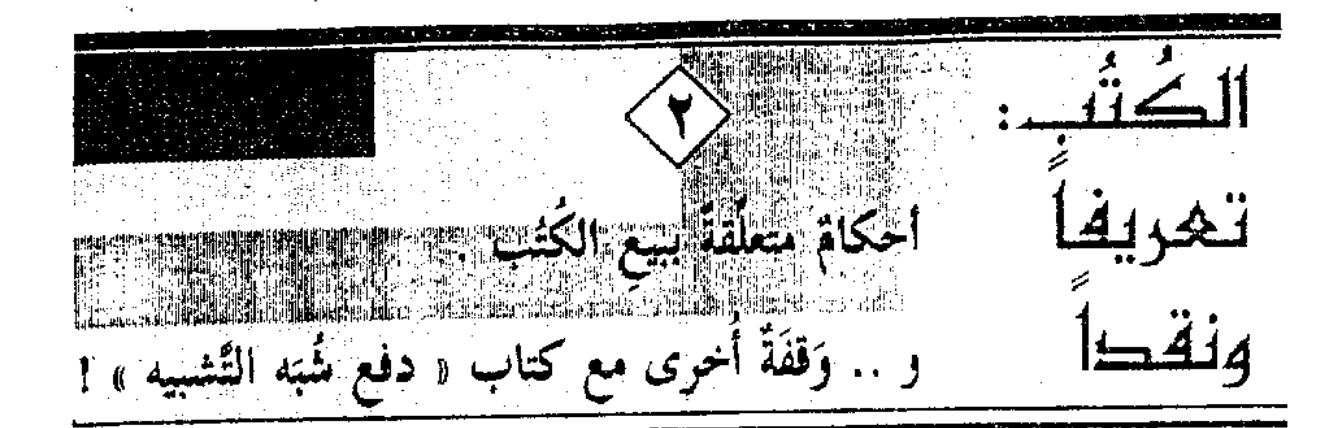
ويُحكى أنَّ أحدهم قال للشَّعبي يوماً : أجبني أيُّها الفقيه العالم، فقال : ويحك لا تُطْرِنا بما ليس فينا، الفقيه مَن تورَّع عن محارم اللَّه، والعالم من خشي اللَّه، وأينَ نحن من ذلك !

هذا المعنَى الشَّامل للفقه والفقيه؛ أن يُبلِّغنا العِلمُ الزُّهدَ في الدُّنيا، والرَّغبة في الآخرة والتَّورُّع عن محارم اللَّه، والتَّبصُّر بأمر الدِّين، والمداومة على عبادة اللَّه تعالى؛ وأشدُّ ما يتمثَّل هذا ويتحقَّق في الصَّلاة .

فلنكن من أهل العمل لا من أهل القول والنَّظريَّات المجرَّدة وَلْنُقْبِلْ على صلاتنا بكلِّياتنا، نودِّع الدُّنيا ونستقبل الآخرة، ولننظر ما نُقدِّم لغد من بر وصلاة، ولنتذكَّر قبلَ أن نُصلِّي أنَّنا سَنُحاسَبُ أوَّلَ ما نُحاسب على الصَّلاة، وأنَّ بصلاحها صلاحَ سائر الأعمال وبفسادها فساد سائر الأعمال .

ها هو العمل فحيَّ هلا .

ها هو الصِّدق لمن أرادَ أن يتَّقيَ اللَّه ويكون مع الصَّادقين .



كلمةٌ :

نَنصحُ إخوانَنا طلبةَ العلمِ بأن يكونَ شعارُهم : « مَعَ المحبرة إلى المقبرة »، وَنَنصحُ لهُم بأن لا ينقطعوا عن التَّحصيل والطَّلب، سواء بمجالسة العلماء والجثو على الرُّكب بينَ أيديهم، وهذا أسهل وأنفع وأمتع، أم بالانكباب على القراءة ومتابعة النَّافع الجيِّد مما يُنشر ويُحقق، من تراث الأقدمين والمُحدَثين، فإنَّ في السَّاحة العلميَّة هذه الأيَّام - وللَّه الحمد والمنَّة - إقبالاً ونشاطاً على التَّحصيل العلمي، مما يُنْبِيءُ عن مستقبل زاهر، وعودة من الأمَّة إلى دينها؛ اعتقاداً وعملاً وسلوكاً، وما ذلك على اللَّه بعزيزٍ .

ولكن هذا النَّتاج العلميَ الهائل التي تقذف به بطون المطابع، ويُعرض على رفوف دور النَّشر، ليسَ كلُّه سواءً، فمنه المهم - وهو على درجات - ومنه الذي ليسَ منه نفعٌ ولا جَدوى، والقسم الثَّالث : هو الضَّارُّ السَّاقط - وهو على دركات -

ولذا رأينا من الأهمِّيَّة بمكان أن يكونَ في مجلَّتنا (**الأصالة**) بابٌ للتَّعريفِ بالكتُب ونقدِها، ويتضمَّن ذلك شيئاً مِن : الأُحكام الفقهيَّة المتعلِّقة بالكتُب الشَّرعيَّة، عسى أن يراعيها المؤلِّفونَ والمُحقِّقونَ والبائعونَ والمشترونَ

والمستعيرونَ للكتُب .

وستُتابعُ الكلامَ اليومَ في أمرين :

الأمرِ الأوَّلِ : الأحكامِ المتعلِّقة ببيع الكُتب .

والأمرِ الثَّاني : كتاب « دفع شُبَه التَّشبيه » بتقديمات محقِّقه التي شغّب فيها على النَّهج السَّلفي في عدَّة مسائلَ، منها باب الصِّفات، وسنوالي - إن شاء اللَّه تعالى - الكلامَ عليها في حلقاتٍ قادمةٍ أيضاً .

١ - الأحكام الفقهيَّة المتعلِّقة بالكتُب الشَّرعيَّة :

● بيع الكتب :

على النَّاشرين أن يتَّقوا اللَّه في اختيار المواضيع التي تنفعُ النَّاس، وتصحح عقائدهم، وتقوِّم عباداتهم، ولتكن قاعدتهم : « نشر ما يحتاجه المطَّلعونَ لا ما يطلبونه » ! فقد تطلب العامَّةُ كثيراً من الكُتب المضلِّلة، ويكون لها رواج، وتعود على دور النَّشر بالرِّبح المادي العاجل !! فإن اجتمعت حاجة النَّاس في كتاب نافع؛ مع طلبهم له، وشغفهم به؛ فَحَسَنٌ، ولكن لا بُدَّ من استحضار الثَّواب في اختيار هذا الكتاب، حتَّى يكون النَّاشر صاحب رسالة زيادةً عن استثمار المال والتِّجارة؛ فإنْ فعل ذلك فهو مأجورٌ عند اللَّه سبحانه وتعالى إن شاء اللَّه تعالى .

سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه تعالى - عمَّن نسخ بيده « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » و « القرآن » وهو ناوٍ كتابة الحديث وغيره، وإذا نسخ لنفسه أو للبيع هل يُؤجَر ؟

فأجاب بعد أنْ مَدَحَ « الصَّحيحين » و « كتب السُّنن » و « المسند » و

« الموطَّأ » بما نصُّه :

« ويُؤجَر الإنسان على كتابتها، سواء كتبها لنفسه أو كتبها ليبيعها، كما قال النَّبي ﷺ : « إنَّ اللَّه يدخل بالسَّهم الواحد الجنَّة ثلاثة : صانعه، والرَّامي به، والمُمِدّ به »، فالكتابةُ كذلك، لينتفع به، أو لينفع به غيره، كلاهما يثاب عليه »[1].

قلت : وكذلك الكتاب النَّافع، فكما أنَّ اللَّه سبحانه يُثيب مُؤلِّفَه عليه فإنَّه يثيب ناشره أيضاً .

ولكن لا بدَّ من مراعاة ما يلي :

■ **يَحرُمُ بيعُ الكتب المشتملة على الشِّرك وعبادة غير اللَّه تعالى :**

قال ابنُ القيِّم - رحمه اللَّه تعالى - في مبحث البيوع المحرَّمة :

« وكذلك الكُتب المشتملة على الشِّرك وعبادة غير اللَّه، فهذه كلها يجب إزالتها وإعدامها، وبيعُها ذريعةٌ إلى اقتنائها واتِّخاذها، فهو أولى بتحريم البيع من كلِّ ما عداها، فإنَّ مفسدة بيعها بحسب مفسدتها في نفسها »[2].

■ **يحرم بيع كتب الخرافات والشَّعوذة :**

قال الوَنْشَرِيسي : « وسُئل بعضهم عن كتب الشُّعَفاء والتَّواريخ المعلوم

---

(1) « مجموع الفتاوى » (١٨/٧٤-٧٥) .

والحديثُ الذي ذكرهُ شيخُ الإسلامِ ضعيفٌ؛ انظر تخريجه في « تخريج فقه السيرة » (ص:٢٢٥-٢٢٦ / للغزالي) لشيخنا .

ولكنَّ عمومَ معناهُ الذي استدلَّ به له شيخُ الإسلام صحيحٌ يشهدُ له قولُه ﷺ في الحديث الذي رواه مسلمٌ : « مَن دلَّ على خيرٍ فلهُ مثلُ أجر فاعلِهِ » .

(2) « زاد المعاد » (٥/٧٦١) .

كذبها، كـ « تاريخ عنترة » و « دلهمة » والهجو والشعر، والغناء، ونحو ذلك،
هل يجوز بيعها أم لا ؟

فأجاب : لا يجوز بيعها ولا النَّظر فيها .

وأخبر الشيخ أبو الحسن البَطَرْني أنَّه حَضَرَ حلقة فتوى ابن قِدَاح فسُئِل عمَّن يسمع حديث عنترة هل يجوز إمامته ؟

فقال : لا تجوز إمامته ولا شهادته .

وكذلك حديث دلهمة لأنَّها كذب، ومستحلُّ الكذب كاذب، وكذلك كتب الأحكام للمنجّمين، وكتب العزائم بما لا يُعرف من الكلام »[1].

قلت : أمَّا إمامته فصحيحة، لأنَّ مَن يُسقط الصَّلاة عن نفسه يُسقطها عن غيره، ولكن لا ينبغي أن يخطبها إلَّا من كان أهلاً لها، ورجلٌ هذا حالُه ينبغي أن يُمنع منها، ولكن هذا على وجه التَّمام والكمال، واللَّه أعلم .

■ **لا يجوز بيع كتاب كثير الأخطاء إلَّا بعد البيان :**

سُئِلَ ابن رشد - رحمه اللَّه تعالى - عن رجل اشترى مصحفاً، أو كتاباً، فوجده ملحوناً كثير الخطأ غير صحيح، ويريد أن يبيعه، هل عليه أن يُبيِّنَ ؟ وإنْ بيَّنَ لم يُشْتَرَ منه .

فأجابَ على ذلك، بأن قال : لا يجوز أن يبيع حتى يُبيِّنَ ذلك، وباللَّه التَّوفيق .

قلت : فإن كانَ لا يجوز بيع الكتاب الملحون كثير الخطأ في الرَّسم والمبنى، فالمنع أولى فيه إن كان في المضمون والمعنى .

(١) « المِعيار المُعرب » (٦/٧٠) .

وعليه : فعلى بائعي الكتب أن يتّقوا اللّه سبحانه، فيُبيِّنوا الأخطاء العامّة لبعض الكُتب المشهورة، وبخاصّةٍ للمبتدئين في طلب العلم والعوامّ، إذ (يُفترض) في هؤلاء البائعين أن يكونوا ذوي معرفة جيِّدة بأحوال الكُتب، ولو من باب إتقان الصّنعة، ولو كانَ ذلكَ - في أقلّ الأحوال - عن طريق من يثقونَ به من طلبة العلم الذين يتردَّدونَ عليهم .

والأمثلة على ذلك كثيرة لا تُحصَر، نأتي على بعضها فيما بعد إن شاء اللّه تعالى .

٢ - وقفةٌ أُخرى مَعَ .. الكُتُب المُضلِّلة :

كتاب « دفع شُبه التَّشبيه » لابن الجوزي، بتحقيق (!!) وتعليق (!!) حسن السّقاف !!

بيّنّا في الحلقة الأولى اضطراب ابن الجوزي في الأسماء والصّفات، وأنَّ مُحقّقي الحنابلة أنكروا عليه هذا الكتاب، وأنَّه لا يجوز التّعويل عليه في بيان عقيدة الإمام أحمد خاصّة، والحنابلة عامّة .

ونتعرض في هذه الحلقة إلى أمرٍ كُنّا وعدنا به في الحلقة الأولى، وهو (هل ثبت التّأويل عن أحدٍ من السّلف ؟) .

ولقُرب العهد بالكلام عن عقيدة الإمام أحمد؛ أتَعَجَّل في بيان خطأ محقق الكتاب (!) في نسبة التّأويل في الصّفات لهذا الإمام الجليل، وأُعرِّج على منهجِ جملةٍ من الحنابلة ممّن تأثّر بهم ابن الجوزي - رحمه اللّه تعالى - .

قال محقق الكتاب تحت عنوان (إثبات التّأويل عند السّلف) (ص:١٢) في الرّقم الرّابع ممّن وقع التّأويل - على زعمه - في كلامه؛ ما نصّه

الحرف :

« الإمام أحمد بن حنبل يؤوِّلُ أيضاً :

روى الحافظ البيهقي في كتابه « مناقب الإمام أحمد » – وهو كتاب مخطوط[1] – ومنه نقل الحافظ ابن كثير في « البداية والنِّهاية » (٣٢٧/١٠) فقال:

« روى البيهقي عن الحاكم، عن أبي عمرو بن السمَّاك، عن حنبل أنَّ أحمد بن حنبل تأوَّل قول اللّٰه تعالى : ﴿ وجاءَ ربُّكَ ﴾ أنَّه جاء ثوابه .. ثمَّ قال البيهقي : وهذا إسنادٌ لا غُبارَ عليه » انتهى كلام ابن كثير .

وقال ابن كثير أيضاً في « البداية » (٣٢٧/١٠) :

« وكلامه – أحمد – في نفي التشبيه، وترك الخوض في الكلام، والتَّمسُّك بما ورد في الكتاب والسنَّة عن النَّبي ﷺ وعن أصحابه » انتهى .

قلت : نعم؛ كلام ابن كثير الأخير حقٌّ، فإنَّ أحسن وَصْف وُصِفَ به الإمامُ أحمد في نظري أنَّه تابعي جليل تأخَّر به الزَّمن، وهو يدلُّ على أنَّ الخوض في الكلامِ لم يكن من منهجه، المستلزم العدول عن ظواهر النُّصوص، ولا سيَّما في باب الصِّفات .

أمَّا ما نقله البيهقي عن أحمد؛ فعليه المؤاخذات التَّالية :

أوَّلاً : إنَّ للإمام أحمد في باب أصول الدِّين من الأقوال المُبَيِّنة لما تنازع فيه النَّاس ما ليس لغيره، ومن أقواله المؤيَّدة بالكتاب والسنَّة واتِّباع سبيل السَّلف الكثيرُ الطيِّب، ولهذا كان جميع من ينتحل السنَّة من طوائف الأمَّة – فقهائها ومتكلِّميها وصوفيَّتها – ينتحلونه .

ولهذا لـمَّا كان أبو الحسن الأشعري وأصحابه منتسبينَ إلى السنَّة والجماعة : كان منتحلاً للإمام أحمد، ذاكراً أنَّه مقتدٍ به متَّبعٌ سبيلَه .

وكانَ بين أعيان أصحابه - أعني الأشعريّ - من الموافقة والمؤالفة لكثير من أصحاب الإمام أحمد ما هو معروف، حتى إنَّ أبا بكر عبدالعزيز يذكر من حجج أبي الحسن في كلامه مثل ما يذكر من حجج أصحابه؛ لأنَّه كانَ عنده من متكلِّمة أصحابه .

وكان من أعظم المائلين إليهم التَّميميُّونَ : أبو الحسن التَّميمي، وابنه، وابن ابنه، ونحوهم .

وكانَ بينَ أبي الحسن التَّميمي وبينَ القاضي أبي بكر الباقلاني من المودَّة والصُّحبة ما هو معروف مشهور .

ويحتج ابن الجوزي بكلام هؤلاء التَّميميِّين؛ ومن تأثَّر بهم من الحنابلة وغيرهم، بل إنَّ الحافظ أبا بكر البيهقي في كتابه الذي صنَّفه في « مناقب الإمام أحمد » - لمَّا ذكر اعتقاده - اعتمد على ما نقله من كلام أبي الفضل بن عبدالواحد بن أبي الحسن التَّميمي، وله في هذا الباب مصنَّف ذكرَ فيه من اعتقاد أحمد ما فهمه، ولم يذكر فيه ألفاظه، وإنَّما ذكر جمل الاعتقاد بلفظ نفسه، وجعل يقول : « وكان أبو عبدالله ... » وهو بمنزلة من يصنِّف كتاباً في الفقه على رأي بعض الأئمَّة، ويذكر مذهبه بحسب ما فهمه ورآه، وإنْ كان غيره بمذهب ذلك الإمام أعلم منه بألفاظه وأفهم لمقاصده، فإنَّ النَّاسَ في نقلِ مذاهب الأئمَّة قد يكونونَ بمنزلتهم في نقل الشَّريعة .

ومن المعلوم أنَّ أحدهم يقول : حكم الله كذا، أو حكم الشَّريعة كذا،

بحسب ما اعتقده عن صاحب الشَّريعة؛ بحسب ما بلغه وفهمه، وإن كان غيره أعلم بأقوال صاحب الشَّريعة وأعماله وأفهم لمراده[1].

ثانياً : هذه الرِّواية غلطٌ على الإمام أحمد، فإنَّ حنبلاً تفرَّد بها عنه، وهو كثير المفاريد المخالفة للمشهور من مذهبه، فإذا تفرَّد بما يخالف المشهور عنه، فالخلَّال وصاحبه عبدالعزيز لا يثبتونَ ذلك رواية، وأبو عبدالله بن حامد وغيره يثبتونَ ذلك رواية .

ذكره ابن القيم، وعقَّب عليه بقوله :

« والتَّحقيق أنَّها روايةٌ شاذَّةٌ مُخالفةٌ لجادَّة مذهبه » .

ثمَّ ذكرَ الطَّريقَ الثَّالث لأصحاب أحمد، وهي : إنَّ حنبلاً ضبط ما نقل، واختلفوا في تخريج هذا النَّص، ثمَّ أسهب في تفصيل ذلك[2].

وما رجَّحه ابن القيم هو الصَّواب في هذا الباب، وهو ما نقله أبو يعلى الفرَّاء عن أبي إسحاق بن شاقلَّا، قال بعدَ أن ذكرَ رواية حنبل :

« هذا غلطٌ من حنبلٍ لا شكَّ فيه، وأراد أبو إسحاق بذلك أنَّ مذهبه حمل الآية على ظاهرها في مجيء الذَّات، هذا ظاهر كلامه، واللَّه أعلم »[3].

وسيأتي في العدد القادم - إن شاء اللَّه - على بيان خطأ ما نسبه للأئمَّة الأعلام من أنَّهم ذهبوا للتَّأويل، بعون اللَّه سبحانه وتعالى .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٤/١٦٦-١٦٨) .

(٢) « مختصر الصَّواعق المرسلة » (٢/٢٦٠-٢٦١) .

(٣) « إبطال التَّأويلات » (١/١٣٢) .



الأسرةُ تلك اللَّبنَةُ التي تُشكِّلُ أساسَ المجتمع، وتتكوَّن من أفرادٍ تقومُ بينهم علاقاتٌ دائمةٌ، تكادُ تكونُ أكثرَ العلاقات الإنسانيّة أهمِيَّة .

لذا كانَ لا بدَّ من قواعد للسّلوك تحكُمُ هذه العلاقاتِ وتُنظِّمُها، حتى تكونَ على خيرِ ما يُرام وتُؤتي أُكُلَها، متمثِّلاً في صَبغِ الحياة الأُسَرِيَّة بالانسجام والتَّعاون التّامَّين .

والعَلاقاتُ الأُسرِيَّةُ علاقاتٌ بينَ الزَّوجينِ من جهة، والآباء والأبناء من جهةٍ ثانيةٍ، والأبناء بعضهم ببعض من جهةٍ ثالثةٍ .

سـلـوكُ الـزَّوج :

١ - ليسَ من العَيبِ - بل إنَّ منَ الأدَبِ - أن يُشارك الزَّوجُ في الاعتناءِ بشؤونه الخاصَّة كإصلاح الثَّوب أوَ نحوِ ذلك .

٢ - من اللاّئق ألّا يقتصر الرَّجلُ على خدمة نفسه، فالزَّوجةُ تقُومُ بأعباء المنزل الكثيرة، إذن فمن الأدَبَ أن يَمُدَّ الزَّوجُ يدَ المساعدةِ لزوجتِه في المنزلِ في حالاتِ الحاجة، كالمرضِ والولادةِ وما شابَه ذلك .

٣ - الزَّوجُ المثاليُّ هوَ مَن يتعاون مع زَوجتِه بِحُسْنِ الـمُعاشَرَةِ وحُسن الـخُلُق، بكلِّ ما في اللَّفظين من معنى، بل إنَّ أفضل الأزواج معاملةً لزوجاتِهم هم أفضل النَّاس في نظر الإسلام، وهذه الـمُعاشرة بالمعروف يجب أن تَتَّسِـمَ بها الحياةُ الزَّوجيَّةُ حتى

عند الطَّلاق .

٤ - ينبغي الحذر من اتِّصاف العلاقة بيَن الزَّوجين بالجديَّة القاتلة ! فإنَّ اتِّصاف الحياة العائليَّة بالصِّبغة العسكريَّة يُعَدُّ سبباً من أسباب الفشل، ونذيرَ سوء .

٥ - من لُطف الزَّوج وحسن خُلُقِهِ تلبيةُ طلبات زوجته إذا لم تكن ممنوعة شرعاً، والإسراف أكلاً وشُرباً ولِبساً في مقدِّمة الممنوعات الشَّرعيَّة .

٦ - يجدر بالزَّوج تخصيصُ وقتٍ للَّهو مع زوجته .

٧ - العلاقة بيَن الزَّوجين يجب أن تكون ذات صبغة خاصَّة، ولا يمكن أن تكونَ كذلك، إلَّا إذا بادرَ الزَّوجانِ إلى تحطيمِ الحواجزِ بينهما، فلا يتحرَّج الزَّوج أن يشرب من الكأس[1] التي شربت منها زوجته مثلاً .

٨ - ليس هناك إنسانٌ كاملٌ، فقد يرى الزَّوجُ في زوجتِه خِصالاً لا تنسجم مع مزاجه وطبيعته، فإن كانت هذه الخِصالُ لا تتعارض مع أصول الشَّريعة أو طاعة الزَّوج وحقوقه، فعليه حينئذٍ ألَّا يحاولَ تغيير شخصيَّتها لِتَتَّفِقَ مع مزاجه .

وعليه أن يتذكَّر دائماً أنَّ لكلٍّ من الزَّوجين شخصيَّة تختلف عن شخصيَّة الآخر، وأن يتذكر أيضاً أنَّه إن كان في زوجته صِفاتٌ لا تُعجبه، فإنَّ فيها صفاتٍ أُخرى لا بدَّ أن تُعجِبه .

٩ - لا يكن رمضانُ عائقاً في طريق مُلاطفة زَوجتك كتقبيلها **إذا كنت متمكِّناً من نفسك**، إذ إنَّ الممنوع في نهار رمضان هو الجماع فقط .

١٠ - لا تَتَبَّعَ أخطاء زوجتك وتُحصيها عليها، فإنَّ كثرة اللَّوم والعتاب يُفسد العلاقة بينكما ويُهدِّد الحياة الزَّوجيَّة، فتغافل عن يسيرِ زلَّة زوجتك وأَقِل عثراتها .

١١ - لا تتردَّد إذا كنت مقتدراً أن تحسن لزوجتك في الكسوة والطَّعام، وأن تكونَ كريماً في الإنفاقِ عليها بحدود إمكانيَّتك .

(١) فائدةٌ : لا تُسمَّى الكأسُ كأساً إلَّا وفيها الشراب. « مختار الصحاح » (ص:٥٦٠) .

١٢ - لا تتهاون في وضع حد لارتكاب أيِّ مخالفة شرعيَّة في المنزل أو خارجه ترتكبها الزَّوجة، وقد يكون هذا هو السَّبب المهم الموجب لغضبك، فلا تنفعل لأيِّ سبب .

١٣ - ما سبق لا يعني أن تتسيَّب الأمور نتيجة للمرونة، فكلَّما شعرت أنَّ الأمر قد يتسيَّب، وازن ذلك بنوع من الجدِيَّة والحزم، دونَ أن تكونَ فيها غِلظةٌ أو قسوةٌ .

١٤ - المرأة هيَ سيِّدة المنزل المسؤولة عنه، فلا تحاول أن تتدخَّل في أمور لا تدخل في دائرة اختصاصك ومسؤوليَّاتك كالطَّعامِ أو ترتيبِ المنزل .

١٥ - احذر أن تُعاقب زوجتك أو تعاتبها على خطأ ارتكبته بحضور الآخرين، ولو كانوا أبناءك، فإنَّ ذلك أمرٌ ينافي اللَّياقة، ويؤدِّي إلى إيغار الصُّدورِ .

١٦ - إذا اضطررت لإنزال عقوبة بزوجتك، فليكن ذلك هو هجرك لها في الفراش، ولا تهجر إلَّا في البيت وتجنَّب السباب والشَّتائم والضَّرب ووصفها بالقبح، فتلك الأمور لا تليق بالزَّوج النَّاجح .

١٧ - غيرتك على زوجتك أمرٌ محمودٌ يدلُّ على حبك لها، ولكن شريطةَ ألَّا تبالغ في هذه الغيرة، فتنقلب عندها أمراً مذموماً .

١٨ - دخول المنزل : لا تفاجئ أهلك بغتة، وادخل عليهم على علم منهم ثمَّ سلِّم عليهم، واسأل عنهم وعن أحوالهم، ولا تنسَ أن تذكر اللَّه عزَّ وجلَّ عند دخولك المنزل .

١٩ - احذر نشر الأسرار المتعلِّقة بالوِقاع، فذلك أمر محظور وحرام .

٢٠ - حافظ على نظافة فمك وطيب رائحته باستمرار .

٢١ - لا تعني القوامةُ أن تستغلَّ ما فضَّلك اللَّه به عليها فتضرّها أو تظلمها .

٢٢ - احترامُك لأهل زوجتك وإكرامُك لهم احترامٌ وإكرامٌ لها، حتى بعد وفاتها، شريطة ألَّا يصاحب ذلك محظور شرعيّ كاختلاط أو خلوة .

٢٣ - كثرة المزاح تقود إلى قلّة الهيبة وعدم الاحترام، فلا تكثر المزاح مع زوجتك .

٢٤ - تذكّر أنّ الوفاء بالشّروط التي تعهّدت بها لزوجتك في عقد زواجكما أمر في غاية الأهميّة والضّرورة، فلا تهمل ذلك بعد الزّواج .

٢٥ - إذا خاطَبتَ زوجتك أو عاتبتها أو تحدَّثت معها، فاختر اللُّطف والطيّب من الألفاظ والعبارات، ولا تعاتبها أمامَ الآخرينَ أو أمامَ أولادك .

٢٦ - ليسَ لك أن تطلب من زوجتك العمل خارج المنزل أو الإنفاق عليك من مالها .

٢٧ - لا تُكلّف زوجتَك ما لا تُطيق من الأعمال، وخذ في عين الاعتبار بيئتها التي نشأت فيها، فخدمة البدويّة ليست كخدمة القرويّة، وخدمة القَويَّة واستعدادها ليست كخدمة الضّعيفة .

٢٨ - ليس في وجوب خدمة المرأة لزوجها ما ينافي مشاركة الرّجل لها في ذلك، إذا وجد الفراغ، بل إنّ ذلك من حسن المعاشرة بين الزّوجين .

يتبع في العدد القادم - إن شاء اللّه - .

o o o o o

مسائلُ وأجوبتُها

للعلّامة المحدِّث محمَّد ناصر الدِّين الألباني

مَدخلٌ : هذا البابُ يحوي بين سطورِهِ الإجابةَ على ما يُشكِلُ على الإخوة القُرّاءِ مِن مسائل علميّة فقهيّة، أو مباحث حديثيّة أو عقيديّة، أو غير ذلك مِن مُهمّات تتّصل بشرعِ اللّهِ سبحانهُ .

وسنقومُ - إن شاءَ اللّه - بعرضِ ما يَرِدُنا من ذلك على شيخنا العلّامة محمّد ناصر الدّين الألباني، للإجابة عليه، فجزاه اللّهُ خيرَ الجزاء .

وعليهِ؛ فإنّنا نُرحِّب باستفسارات القرّاء وأسئلتهم، سائلين اللّهَ سُبحانهُ النّفعَ والتّوفيقَ :

التحرير .

○ تحديدُ النَّسلِ :

سؤال / ١ : ما حُكمُ تحديدِ النَّسل ؟

□ جواب :

هذا الذي يُحدِّد نسلَه **بدونِ سببٍ مشروعٍ** أراهُ أحمقَ إنْ لم يكُن كافراً بالقضاءِ والقَدرِ، ذلك لأنَّ الذي يُحدِّدُ نسلَهُ بثلاثةِ أبناءٍ - مثلاً - وصارَ عمرُهُ خمسينَ سنةً ! لم يخطُر ببالِه الموتُ، أو أن تأتي عاصفةٌ تأخذُ أولادَه الثّلاثة فيبقى إلى آخر حياتِه كالأبتر ليسَ له نَسلٌ؛ فالّذينَ يُحدِّدونَ النَّسلَ لا يُفكّرون في الذي يُفكِّر فيه كلُّ مسلمٍ وهو القَدَر الذي يتصرَّف بالإنسان كيف يشاء لا كيفَ شاؤا هُم؛ فهذا في الواقعِ غَفلَةٌ شديدةٌ، **وحُرمةٌ ظاهرةٌ** .

○ **تنظيمُ النَّسل :**

سؤال / ٢ : هَل يَختَلِف حُكمُ تنظيمِ النَّسل عن تحديدِه ؟

□ جواب :

تنظيمُ النَّسلِ فيه تفصيلٌ، فأقولُ :

هذا المسمَّى « التنظيم » ممَّا ابتُلي به المُسلمون اليومَ في بلادِ الإسلام، فهو له صورٌ مَرجعُها إلى الدَّافع على التَّنظيم؛ مَثلاً : إذا كان الدَّافعُ على التنظيم وَصفَ الأطبَّاءِ المُسلمين النَّاصحين، نصيحةً منهم للزَّوجين بهذا التَّنظيم المدَّعى، ومُحافظةً على صحَّة الزَّوجةِ التي انحرَفَت عن طبيعتها لسَبَبِ كونها وَلوداً كثيرةَ الولادةِ !

فإذا كان هذا التَّوجيهُ نصيحةً مِن طبيبٍ حاذقٍ مسلمٍ : فيكون ذلك عُذراً شرعياً للتَّنظيم .

هذا مِثالٌ لما يجوزُ من التَّنظيم .

مثالٌ معاكسٌ له : إذاكان الدَّافعُ عليه هو الفَقرَ (!) أو الحسابات المادية التي يُعنى بها الكفَّار عادةً !! فترى أحدهم يقول : أنا وزوجتي اثنان، وعندي ولدان !! وخامسهُم كلبُهم !! فهذا المال الشهري الذي يأتينا يكون على قدرٍ يكفينا، وفقط (خمسة) !

هذا لا يجوزُ في الإسلام؛ لأنَّ هذا الدافعَ نابعٌ من المنطق الجاهلي الذي وُعظوا به نَهياً ومنعاً، كمثل قول اللّه تبارك وتعالى : ﴿ وَلا تَقتُلوا أولادَكُم خَشيَةَ إملاقٍ، نحنُ نَرزُقُكم وإيَّاهم ﴾، لا سيما والمُسلمون مؤمنون بأنَّ المولودَ يأتي ورزقهُ مَعه، لأنَّه قبلَ أن يَخرجَ إلى عالم الدُّنيا قُدِّر عليه رزقهُ وهو في بطنِ أُمِّه؛ كما بيَّنت السنَّة المشرَّفة .

فمثل هذا التَّنظيم – بهذا الدَّافع له – لا يجوزُ البتَّة .

وأمَّا ما قَد يُسوِّغه به (البعض) مِن مُسوِّغاتٍ فارغة .. فلا مكان له شرعاً .

○ الأناشيد :

سؤال / ٣ : ما هو حُكمُ الأناشيد المُتداولة بين كثيرٍ من الشباب، ويُسمُّونها (أناشيد إسلاميَّة) ؟

□ جواب :

إذا كانت هذه الأناشيدُ ذاتَ معانٍ إسلاميَّة، وليس معَها شيءٌ مِن المعازف وآلات الطَّرب **كالدُّفوف والطُّبول** ونحوها، فهذا أمرٌ لا بأسَ به .

ولكنْ؛ لا بدَّ من بيانِ شرطٍ مهمٍّ لجوازها؛ وهو أنْ تكون خاليةً من المُخالفات الشَّرعيَّة، كالغُلُوِّ ونحوِهِ .

ثم شَرطٌ آخرُ؛ وهو عدمُ اتِّخاذها دَيدناً، إذ ذلك يصرفُ سامِعيها عن قراءَة القرآن الذي وَرَدَ الحضُّ عليه في السُّنَّة النبويَّة المطهَّرة، وكذلك يصرفهُم عن طَلَبِ العلمِ النَّافعِ والدَّعوةِ إلى اللَّه سبحانه .

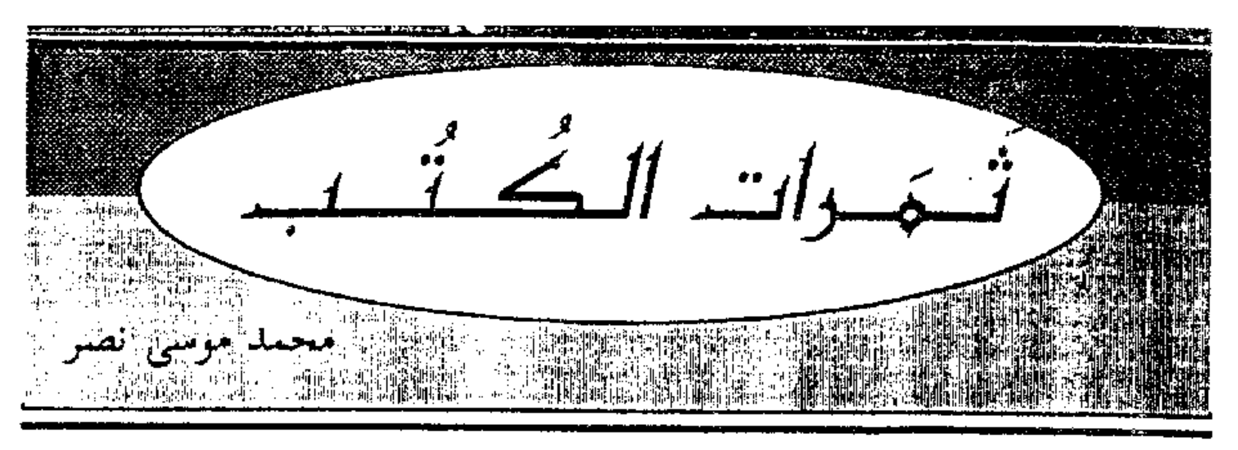
أمَّا استعمالُ (الدفوف) مع الأناشيد؛ فجائزٌ للنِّساء فيما بينهنّ دون الرجال، وفي العيد والنِّكاح فقط .

○ « تفسير المنار » ما لَهُ وما عليه :

سؤال / ٤ : ما هو رأيُكم في « تفسير المنار » للسيّد رشيد رضا ؟

□ جواب :

« تفسير المنار » تفسيرٌ جيِّدٌ – إجمالاً – وهو يُعالجُ مشاكلَ المسلمين اليومَ، وفيه بحوثٌ اجتماعيةٌ وسياسيَّةٌ وتاريخيةٌ لا توجَد في كتب التَّفاسير المعروفة سابقاً، بل لا توجَد في كُتب المعاصرين؛ لأنَّ السيّد رشيد رضا عالمٌ كبيرٌ وسياسيٌّ مسلمٌ، لكنْ في الوقت نفسه **له انحرافاتٌ عن السنّة** في كثيرٍ من مِنَ المواطن، مثلُ أحاديث عيسى والدجَّال والمهدي، وكذلك له فتاوى في أول أمرِهِ مخالفةٌ للحقِّ، ولكنَّه – بَعدُ – اعتَذَرَ عن بَعضِها .



هذه كلماتٌ سِمانٌ؛ مُنتقاةٌ مِن بُطونِ الكُتبِ، تحوي فوائدَ منثورةً مُهمَّةً، يستفيدُها طالبُ العلمِ خاصَّةً، وينتفعُ بها المسلمون عامَّةً :

• نَصيحةٌ عُمَريَّةٌ :

أخرج الخطَّابي رحمه اللَّه في « العزلة » (ص:٥٨) عن وَديعةَ الأنصاري قال : سمعت عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه يقول وهو يَعِظُ رجلاً : « لا تتكلَّم فيما لا يُعنيك، واعتزل عدوَّك، واحذر صديقك إلَّا الأمين، ولا أمين إلَّا من يخشى اللَّه عزَّ وجل ويطيعه، ولا تَمشِ مع الفاجر فيعلِّمَك من فجوره، ولا تُطلعه على سرِّك، ولا تشاوِره في أمرك، إلَّا الذين يخشونَ اللَّه سبحانه » .

• أخلاقُ النَّاس :

« النَّاس في أخلاقهم على سبع مراتب :

فطائفةٌ تمدح في الوجه وتذم في المغيب؛ وهذه صفة أهل النِّفاق من العيَّابين، وهذا خُلُقٌ فاشٍ في النَّاس غالبٌ عليهم .

وطائفةٌ تذمُّ في المشهد والمَغِيب؛ وهذه صفةُ أهل السَّلاطة والوقاحة من العيَّابين .

وطائفةٌ تمدح في الوجه والمغيب؛ وهذه صفة أهل المَلَق والطَّمع .

وطائفةٌ تذمُّ في المشهد وتمدح في المغيب؛ وهذه صفة أهل السُّخف والحمق .

وأمَّا أهلُ الفضلِ فيُمسِكون عن المدح والذم في المشاهدة، ويُثنون بالخير في المغيب، أو يمسكون عن الذَّم .

وأمَّا العيَّابون البُرآءُ من النِّفاق والقِحَةِ فيُمسِكون في المشهد ويذمُّون في المَغِيب.

وأمَّا أهلُ السَّلامة فيُمسِكون عن المدح وعن الذمِّ في المشهد والمغيب، ومن كلٍّ من أهل هذه الصِّفات قد شاهدنا وبلونا » .

« مداواة النُّفوس » (ص:٤٧-٤٨) لابن حزم رحمه اللَّه.

• إلـى الـعـقـلانـيِّـيــن (!) :

قال الإمامُ الرَّبَّانـيُّ ابن قيِّم الجوزيَّـةِ :

« المعارضةُ بين العقلِ والنَّقلِ هي أصلُ كلِّ فسادٍ في العالم، وهي ضدُّ دعوةِ الرُّسل مِن كلِّ وجهٍ؛ فإنَّهم دَعَوْا إلى تَقديمِ الوحيِ على الآراءِ والعُقولِ، وصارَ خصومُهُم إلى ضدِّ ذلك؛ فأتباعُ الرُّسل قدَّموا الوَحيَ على الرَّأيِ والمَعقولِ، وأتباعُ إبليسَ - أو نائبٍ من نوَّابِهِ - قدَّموا العقلَ على النَّقل !

وقال محمَّدُ بن عبدالكريم الشَّهرستانيّ في كتابه « المِلَل والنِّحَل » [٩/١] :

اِعلَم أنَّ أوَّلَ شُبهةٍ وقعَت في الخَلْقِ شُبهةُ إبليسَ، ومَصدرُها استبدادُهُ بالرَّأيِ في مُقابلةِ النَّصِّ، واختيارُهُ الهوى في مُعارضةِ الأمرِ، واستكبارُهُ بالمادَّةِ التي خُلِقَ منها - وهي النَّارُ -، على مادَّةِ آدمَ - وهي الطِّينُ - !!

وتشعَّبت عن هذه الشُّبهةِ شبُهاتٌ !! » .

« مختصر الصَّواعق المُرسلة » (٢٩٣/١) .

للعلَّامة الموصليّ .

• التَّكَلُّفُ في القراءة :

قال الإمامُ حمزةُ الزيَّات رحمه اللَّه : « إنَّ لهذا التَّحقيقِ منتهىً ينتهي إليه ثمَّ يكون قبيحاً؛ مثل البياض له منتهى ينتهي إليه فإذا زادَ صارَ بَرَصاً، ولما أُخْبِرَ رحمه اللَّه أنَّ بعض أصحابه همز حتى انقطع زِرُّه قال : « لم آمُرْهم بهذا كله » .

« المرشد الوجيز » (ص:٢١١) لأبي شامَة، وكتاب « السبعة » (ص:١١) لابن مجاهد - رحمهما اللَّهُ - .

• لا تَشكو إلاَّ إلى اللَّه :

الجاهلُ يشكو اللَّهَ إلى النَّاس؛ وهذا غايةُ الجهل بالمشكو والمشكو إليه، فإنَّه لو عرف ربَّه لما شكاه، ولو عرف النَّاس لما شكا إليهم، ورأى بعض السَّلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقَتَه وضرورتَه فقال : يا هذا ! واللَّهِ ما زدتَ على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك، وفي ذلك قيل :

وإذا شكـوتَ إلى ابـنِ آدم إنَّـمـا تشكو الرَّحيمَ إلى الذي لا يرحم

والعارفُ إنَّما يشكو إلى اللَّهِ وحدَه، وأعرفُ العارفين مَن جعل شكواه إلى اللَّه من نفسِه لا من النَّاس، فهو يشكو من مُوجبات تسليط النَّاس عليه، فهو ناظرٌ إلى قوله تعالى : ﴿ ومَا أصَابكُم من مُصيبةٍ فبما كَسَبَت أيديكم ﴾، وقولِهِ : ﴿ وَما أصابَكَ مِن سيِّئةٍ فمِن نفسِكَ ﴾، وقوله : ﴿ أوَ لمَّا أصابَتكُم مُصيبةٌ قد أَصَبتم مِثلَيها قلتُم أنَّى هذا قُل هو من عندِ أنفُسِكم ﴾ .

فالمراتبُ ثلاثةٌ : أخسُّها أن تشكو اللَّهَ إلى خلقه، وأعلاها : أن تشكو نفسَك إليه، وأوسطُها : أن تشكو خلقه إليه » .

« الفوائد » (ص:٨٨) للإمام ابن القيم رحمه اللَّه .

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

لم يعد بمقدورِ المرءِ أن يُلَملمَ الخرق لأنَّهُ اتَّسعَ على الرَّاقع، ولا الثَّوبَ من أطرافِهِ لأنَّهُ خَلَقٌ؛ فهو بحاجةٍ إلى تجديد، ليعيش المرء حميداً أو يموتَ شهيداً .

١ - مشكلات الحدود .. لماذا الآن ؟

تفجرت على امتداد رقعة العالم الإسلامي - هذه الأيَّامَ - نزاعاتٌ حدوديَّةٌ بين دول المسلمين في آن واحد (!) .

○ إنَّ المسلمين عامَّة وأولي الأمرِ بخاصَّة يعلمونَ علم اليقين أنَّ هذه الحدود رسمتها يد سايكس وبيكو على أنقاض الدولة الإسلاميَّة (الذَّائبة) ! فما بالُنا ثبَّتناها ودافعنا عنها وجعلناها شيئاً مُقَدَّساً تراق من أجله دماء المسلمين بأيدي المسلمين ؟!

○ ثمَّ مَن الذي حرَّك هذه المشكلات الحدوديَّة في هذا الوقت ومعاً ؟!

أليسوا هُم الذين ابتدعوها لِيُشعِروا المسلمين بأنَّهم لا يزالون بحاجةٍ إلى حمايتهم من بعضهم بعضاً ؟!

○ ما بالنا نجعل هذه المُشكلةَ مُشكلةً (أساسيَّةً) بينما الرجل الأبيض في أوروبة يستفتي شعبه لإلغاء الحدود بين دول أوروبة والتَّوقيع على الوحدة التي تقتضيها معاهدة « ماسترخت » ؟!

○ وتدبروا يا أُمَّةَ الإسلام قوله تعالى : ﴿ إنَّ هذه أُمَّتُكم أُمَّةً واحدةً وأنا رَبُّكم فَاعبُدونِ ﴾، وقوله : ﴿ وإن هذه أُمَّتكُم أُمَّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتَّقون ﴾ .

٢ – محاكم التفتيش في آخر معاقل الإسلام في أوروبة :

لا يزال (صراع الثَّأر) على قدم وساق يستأصل المسلمين البشناق في البوسنة والهرسك آخر معاقل المسلمين في أُوروبة على مرأى ومسمع دعاة الإنسانيَّة، بل محرريها من إنسانيتها (!) فلم تحرك هيئة (اللمم) ساكناً، ولم يَخطُ مجلس (الفتن) خطوة لإيقاف هذه المجازر التي تُذَكِّرنا بمحاكم التفتيش في الأندلس، كما شهد الأعداء أنفسهم بذلك : فَمِن كَشفٍ عن « المقابر الجماعيَّة التي هُشِّمَت فيها الرُّؤوس بالفؤوس، إلى انتهاك الأعراض، إلى استرقاق أطفال المسلمين لتنصيرهم ... » إلخ .

ويشتدُّ العَجبُ عندما نرى الوجومَ قد غشي أُمَّةً فلم تسارع إلى نصرة إخوانٍ لهم، ومَدِّهم بالعدة والعتاد واللباس والزَّاد، أو بالوقوف – على الأقلّ – في وجه الظلم والاستبداد .

لمثل هذا يذوبُ القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

٣ – الانتخابات الأمريكيَّة ... (!) :

عاش كثير من سكان العالم الإسلامي على أعصابهم يتابعون نتائج استطلاعات الرَّأي الأمريكي (!!) كلٌّ يريد أن يفوزَ أحد مرشحي الرِّئاسة الأمريكيَّة، ومن قبل ذلك فعلوا في « الانتخابات اليهوديَّة » !!!

وكأنّ فوز أحد هؤلاء الكفرة الفجرة سيحُلُّ مشاكل العالم الإسلامي، أو سَيُعيد الحقوق المغتصبة لأصحابها .

وفي غمرَةِ ذلك نَسَوْا :

أنَّ الأفعى لا تلد إلّا أفعى، وأنَّ الذِّئبَ لا يأكل لحم ذئب .

وأنَّ جميع الكفَّار يتسابقون في خدمة بعضهم بعضاً .

وأنَّ كل واحدٍ منهم يستلُّ سيفه لاستئصال الإسلام، واجتثاثِ أهله من الأرض .

فمهما تغيَّرَ - الآنَ وَمن قَبلُ - الرؤساءُ الأمريكان .. فإنَّ (الخطَّ) المَرسومَ لهم .. لن يتغيَّر .. وَ (الإطارَ) المُحدَّدَ (لسياستهم) وَ (تحرُّكاتهم) .. لن يُتَعدَّى !

أيُّها المسلمون ! تذكَّروا قوله تعالى : ﴿ والَّذينَ كفروا بعضُهُم أولياءُ بعضٍ إلاَّ تَفعَلوهُ تكُن فتنَةٌ في الأرض وفسادٌ كبير ﴾ .

٤ - جاران : الصومال والسودان :

الصوماليون يموتون جوعاً، أو ينتظرون فتات موائد « العم سام »، ومِن قبلهم السودانيون كانوا كذلك؛ عندما مُنعوا من زراعة أراضيهم، واستغلال ثروات بلادهم ...

ولكنْ بين عشيَّةٍ وضحاها، وعندما خرج السودانيون من « القمقم » .. فإذا هُم يُصدِّرونَ الحبوب واللحوم و ... و ... !

وينبغي أن نتذكر دائماً :

أنَّ أُمَّةً لا تأكل مما تزرع ولا تلبس ممَّا تصنع لن يكون لها وزن في عالم اليوم (!)

لأن الاقتصاد قوة أخطر من السلاح في عالم اليوم !!

ألم يكن من أسباب انهيار الدب الشيوعي وتفتته ... الاقتصاد ؟!

ألم تر أنَّ القلب الأمريكي يضطرب أمام الاقتصاد الياباني ؟!

إنَّنا نتطلَّع إلى ذلك اليوم الذي فيه يتحقق قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم:

« لا تقوم السَّاعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً »[١].

﴿ واللَّهُ غالبٌ على أمره ولكن أكثر النَّاس لا يعلمون ﴾ .

... ونحنُ - إنْ شاءَ اللَّهُ - واثِقونَ ومُنتَظِرون .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٧) (٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

القُــرّاء منهُـم وإليـهِـم

التحرير

أعِزّاءَنا القراء الكرام :

إنَّا نلمحُ الفرحةَ العارمةَ التي استقبلتم بها العدد الأوَّل من مجلَّتكم الغرّاء (**الأصالة**) حيث جَدَّدَتِ الأملَ، وأنارتِ الطَّريقَ لشُداةِ المنهج الحق، والقول الصِّدق، فقد اشتدَّ شوقُ (العالَم) الإسلامي إلى مجلّته، واتَّصلَ حنينه أو طال انتظاره، وأصبح - لتعلُّقه بمثل فكرة هذه المجلَّة - يُوجِّه العتاب القاسي إلى كلِّ مَن يُظَنُّ فيه الخير والمقدرة على حمل هذا العبء الثَّقيل .

كنَّا نعلم مدى تشوُّق الأمَّة إلى (مجلَّتها)، وكنَّا معها نُعَلِّلُ النَّفس بالآمال نَرقُبُها، فلمَّا أصبحت (حقيقة) واقعة لا دافع لها، تهلَّلت ملامحُ السَّامعين، وطفح البِشرُ على وجوههم، وتُنوقلت الآمال، وجُليَت الأقلام التي علاها الصَّدأ من طول ما أُغمدت .

وما كنَّا - ولله الحمدُ والمنَّة - حينَ وعدنا بها هازلين ولا مُعلّلين، وإنَّما نحن - إن شاء اللَّه - على طريقنا مصمّمون، نتسلَّح بقوَّة اليقين في اللَّه، وعزم الإرادة، ونتحلَّى بالحرص والنَّشاط، فنرجو أن لا تكذِّبنا الظُّنون، وأن لا تعترضنا المعاكسات ولا العراقيل، وألَّا تُوقِفنا (المثبِّطاتُ)؛ مؤيَّدينَ برضى اللَّه سبحانه، ومن ثَمَّ بحرص الشَّباب المسلم الغيُور على دينه المتعطِّش لإقامة الحياة الإسلاميَّة على منهج السَّلف الصَّالح، المتميِّز بثباته وإصراره على الحق، تصديقاً لبشرى رسولنا الكريم ﷺ: « لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرينَ على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه » .

وبعد : فنُجَدِّد - أخي المسلم الكريم - التَّرحيب والدَّعوة إلى كلِّ مشاركة طيِّبة جادَّة نافعة تتوافق مع نَسَقِ هذه المجلَّة .

الحُبُّ في اللهِ .. وَ .. الوَلاءُ

التحرير

إنَّ قاعدة الحبّ والبغض في اللّه وحده لا شريك له هي التي تحدّد للمؤمن جهة الولاء الوحيدة الفريدة التي تتّفق مع صفة الإيمان، وتنبثق عنه .

إنَّ عبدَ اللّه حقاً مَن يُرضيه ما يُرضي اللّه ورسوله ﷺ، ويُسخطه ما يُسخط اللّه ورسوله .

وحسبه ما أحبّه اللّه، فيهجر ما أبغضه اللّه، فيوالي أولياء اللّه، ويعادي أعداء اللّه، هذا الذي ملأ الإيمان قلبه، فوجد له حلاوة وطراوة ونداوة .

فلا مجال للتّمحل، أو التّأوّل، ولا فرصة لتمييع المنهج الإسلامي، لأنَّ المسألة في صميمها هي العقيدة، ومحلها الولاء للّه ولرسوله والمؤمنين، والالتقاء على منهج اللّه والتّفرّق عليه .

﴿ أم حسبتم أن تُترَكوا ولـمّا يعلَم اللّه الذين جاهدوا منكم ولم يتّخذوا من دون اللّه ولا رسوله ولا المؤمنينَ وَليجةً واللّهُ خبيرٌ بما تعملون ﴾ [التّوبة:١٦] .

وقال ﷺ : « سبعة يظلهم اللّه في ظلّه يومَ لا ظلَّ إلّا ظلّه : الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربّه، ورجلٌ قلبه معلّق بالمساجد، **ورجلان تحابّا في اللّه اجتمعا عليه وتفرّقا عليه**، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقالَ : إنّي أخاف اللّه، ورجلٌ تصدّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، ورجل ذكرَ اللّه خالياً ففاضت عيناه » متّفق عليه .

إنَّ الالتزام دائماً يكون بالمنهج الإسلامي الصّحيح؛ بما شرعه اللّه، وتجسّم أسوة

حسنة في حياة رسول الله ﷺ، فهذا هو المقياس الحقُّ، وليس الالتزام بالأنساب، أو الأشخاص، أو الجماعات، أو الأحزاب، أو المذاهب، أو الفرق، أو الحكومات، أو الشُّعوب، أو الشيوخ !!

إنَّ الخلل والعلل تَتسلَّل إلى الحياة الإسلامية من الصُّدود والعدول عن هذا المقياس أو محاولة اختلاسه من يد العبد المسلم، ومن ثَمَّ تكون العصمة الكاذبة التي تُخلع على الأشخاص الذين أُلبسوا هالة التَّقديس، ووضعوا فوق النَّقص والنَّقد، حيث تَمُدُّ المُسَوِّغاتُ المُضحِكَةُ المُبكِيَةُ رأسَها، والتي وُضعت لتصرُّفاتهم وأخطائهم التي تتناقض أصلاً ورأساً مع ما يُحِبُّه اللَّه ويرضاه، ويَبرَأُ منه المنهج الإسلامي الصَّحيح .

ومن هنا تبدأ مرحلة السُّقوط حيث تبدأ عمليَّة تخديم الأهداف الإسلاميَّة الصَّادقة والقيم الرَّبانيَّة لا خدمتها :

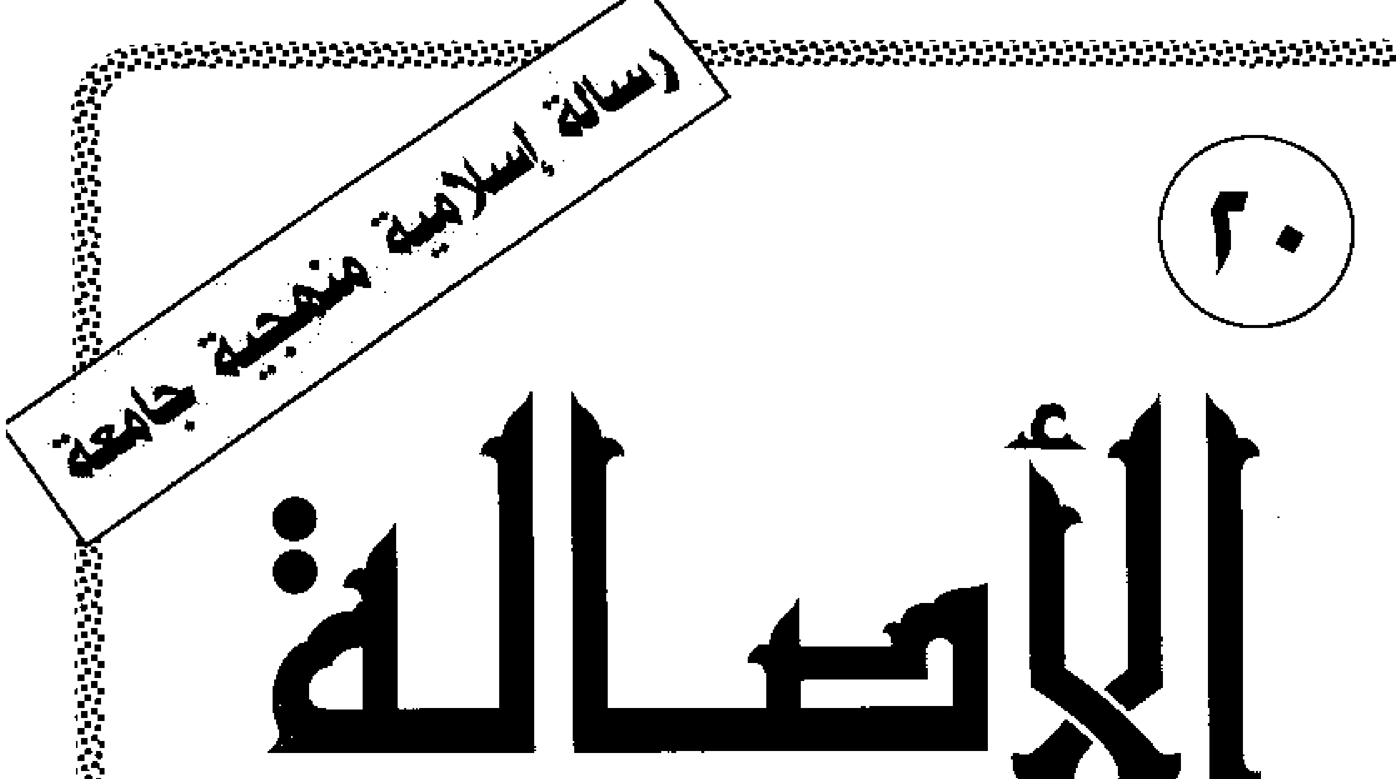
يا ويلَ مصائبِ أُمَّتنا   إسلامٌ يخدم تنظيما

حينئذ تبدأ الأحكامُ تُفصَّل على الأشخاص، والحِيَلُ تؤصَّل حتى تُصبح لها مصنَّفات .

ولا ينبغي للعبد الذي يحب اللَّهَ ورسولَه، ويحبّ في اللَّه ويبغض في اللَّه، ويُعطي في اللَّه ويمنع في اللَّه، ويصل للَّه ويقطع للَّه، أن يظنَّ أنَّ الدَّعوة إلى التزام المنهج الإسلامي الصَّحيح في الولاء والبراء والحب والبغض وعدم التزام الأشخاص، والشَّارات واليافطات، ارتداد إلى الفرقة وبعثرة الجهود .

إنَّ هذا الأصل الذي ترتبط به علاقات المسلمين ليس من الأمور الاختياريَّة، إنَّما هو تصحيح لمسيرة الدعوةِ الإسلاميَّة، وإلغاء الإقطاعات البشريَّة من حياة المسلمين والتزام بالإسلام الَّذي ارتضاه اللَّه لنا ديناً، وبيَّنَهُ رسولُه ﷺ أَتَمَّ بيان، وفصَّلهُ أحسن تَفصيل .

المُحتَوى



عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة : العدد العشرون

١٥ / محرم / ١٤٢٠هـ

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم ٤ / ٣ / ١٣٢٨



إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءَلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ .

(النساء : ١)

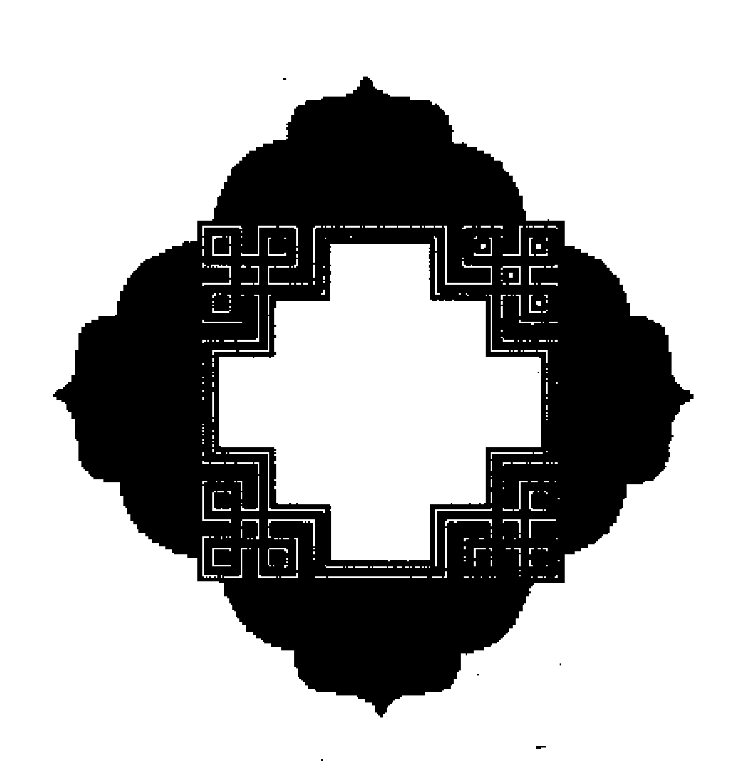
﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

(الأحزاب : ٧٠ ، ٧١)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل مُحدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

□□□



التنضيد الإلكتروني والإخراج الفني

دار الحسن للنشر والتوزيع / هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ / فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ / ص.ب ١٨٢٧٤٢ / عمان ١١١١٨ / الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوان العلانية أعداء السر

يقصد مجالس أهل العلم الخاصة ودروسهم العامة نفر ليس لهم رغبة فيما عندهم، بل حبًا في كشف منهج من قصدوه؛ ليروا هل يوالي من يوالون، ويعادي من يعادون، وليرقبوا أعماله، ويروا أفعاله، ويسمعوا أقواله لعلهم يظفرون منه بزلة؛ فيطيروا بها في الآفاق، أو يرون عثرة؛ فيضخمونها كعادة أهل النفاق، أو يتناقلون هفوة في حق عالم أو طالب علم ليحدثوا بها بين الأحبة النزاع والشقاق؛ فليحذر الموفق من قصدهم فإنهم ليسوا سواء.

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله:

"دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك، فليس لك منهم مال ولا جمال؛ إخوان العلانية أعداء السر، إذا لقوك تملقوا لك، وإذا غبت عنهم سلقوك، ومن أتاك منهم كان عليك رقيبًا، وإذا خرج كان عليك خطيبًا، أهل نفاق ونميمة وغل وحقد وخديعة.

ولا تغتر باجتماعهم عليك، فما غرضهم العلم، بل الجاه والمال، وأن يتخذوك سلمًا إلى أوطارهم، وحمارًا إلى حاجاتهم، وإن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد الأعداء عليك، ثم يعدون ترددهم إليك، دالة عليك، ويرونه حقًا واجبًا عليك، ويعرضون لك أن تبذل عرضك ودينك وجاهك لهم، فتعادي عدوهم، وتنصر قريبهم، وخادمهم ووليهم، وتنتهض لهم سفيهًا، وقد كنت فقيهًا، وتكون لهم تابعًا خسيسًا، بعد أن كنت متبوعًا رئيسًا".

هذه الحكاية من البداية إلى النهاية....

ورحم الله الخطابي فقد تكلم بلسان الجميع.

التحرير

* * *



بقلم الشيخ فتحي عبد الله سلطان

التوحيد وأثره في الولاية الشرعية

يقول الله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ .

سياق الآيات يدلّ على ثمة شروع في تفصيل قصة الفتية أصحاب الكهف ، وأن الله تعالى يقصّها على نبيّه بالحق والصدق الذي ما فيه من شك ولا شبهة بوجه من الوجوه .

أي : لا تسأل عن خبرهم ، نحن نقصّه عليك بالحق المطابق للواقع من كل وجه حتى تظهر لك مقاصده العلمية الموجبة لتحصيل الشرائع العملية .

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ :

﴿نحن﴾ تقديم الضمير المنفصل ضمير القاص مع ما فيه من التبجيل والتعظيم للإخبار عن المفرد بصيغة الجمع ويا له من قاص ، وهو الله تعالى فلا بدّ من اليقين والتذكير والتثبيت .

﴿نقص﴾ استحضار القصص إشارة إلى استمرارها والاتعاظ بها على مرّ الأزمان .

﴿عليك﴾ اهتماماً بشخصية الرسول ﷺ ؛ لأنّه هو حامل هذا الدين والمبلِّغ له ، مع ما في التركيب من معنى الفوقية ؛ إشارة إلى الاتعاظ بالقصة والعمل بفحواها وعدم الاستئناس بها فقط ، ولذا لم يقل «لك» .

﴿نبأهم﴾ والنبأ فيه معنى الخبر جليل الشأن كما قال تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ وخبر هذه حاله موجب لشد الانتباه ، ومن ثم التفكير فيه وتأمله ، كل ذلك إشعار بأن مصادر التلقي هي من الوحي ، فلا حاجة ألبتة للسؤال عن أخبارهم ، فقد تولى الله تعالى الإخبار عنهم وحياً مطابقاً للواقع ، فليس في قصصهم ولا قصص غيرهم زيادة ولا نقصان ، وتلقيه ﷺ قصص هؤلاء الفتية من الله تعالى موجب لتحصيل اليقين من قصصهم فيترتب على ذلك آثار عملية ودعوية فضلاً

عن التذكر والتثبيت ، يقول تعالى : ﴿وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [هود : ١٢٠] .

﴿إنّهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هُدى﴾ :

تصدير الآية بـ ﴿إنّ﴾ لتوكيد مضمون الآية ، ومعلوم أن كلمة ﴿الفتية﴾ من جموع القلة ـ أي دون العشرة ـ : إشارة إلى أنهم قلة وهذا الوصف متعلّق بتحقيق الغربة والاغتراب ، وهي غربة الحال والعقيدة والمنهج كما كانت هي غربة أوطان بالنسبة لهم .

والفتى : هو الشاب الحديث السنّ ، وقد استعمل هذا اللفظ في باب المدح والذمّ بحسب السياق ، فقد ورد في آيات أخر كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيْم﴾ الأنبياء .

ووصف أصحاب الكهف بالفتوة وارد على سبيل المدح من وجهين :

الأول : إن هؤلاء الفتية لما آمنوا واستجابوا لمنادي الإيمان آنذاك كانوا في سنّ الشباب والقوة ، آثروا الإيمان على الكفر ، فهم وجهوا فتوّتهم نحو تحصيل الإيمان والثبات عليه ، وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/٦٦) : «إنهم الفتية وهم الشباب أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً . . .» .

الوجه الثاني : إن لفظ الفتى وإن كان مشعراً بالاستضعاف إلا أنه استضعاف محمود لا مذموم ؛ فاستحقوا بموجبه شمولهم بالنصر والدفع عنهم ، وهذه سنة كونية تجري لصالح الرسل والدعاة .

إيثار أصل الإيمان ثم السعي لتكميله:

﴿آمنوا بربّهم﴾ والإيمان ها هنا ذكر مطلقاً دون قرنه بالعمل الصالح وإن كان العمل داخلاً فيه دخول الشيء في مسمّاه ؛ لإيثار الأصل الإيماني الذي هو التوحيد ؛ أي بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان ، زادهم اللّه من الهدى الذي هو العلم النافع والعمل الصالح»[1] .

ذلك أن الإيمان وكما هو معلوم متضمن للمجمل والمفصل ، فهم آمنوا بمجمله وأصله الذي هو التوحيد ؛ فشكر الله تعالى إيمانهم فزادهم من فضله الذي هو الهدى المتضمّن للعلم النافع والعمل الصالح .

بين تحصيل الإيمان وزيادة الهدى:

إن فعل الإيمان نسب إليهم فهو صادر منهم تحصيلاً وسعياً لا إلهاماً وكشفاً . والذي معهم ـ ابتداءً ـ هو أصل الإيمان وهو التوحيد بقرينة إطلاقه وذكر الهدى المتضمن للعمل الصالح في سياقه فالإيمان في الآية

متوجه إلى التوحيد بقرينة السياق ، فثمة عموم وخصوص بين الإيمان والهدى عند الجمع بينهم والإفراد ، فإذا أفرد أحدهما بالذكر يكون متضمناً للآخر ، والعكس صحيح ، وثمة قرينة أخرى ، وهي أن اسم الرب تعالى أضيف إليهم ﴿آمنوا بربهم﴾ ، وذكر الربوبية مع الإيمان هو من باب قرن الإلهية بالربوبية ، كما هو المعتاد في السياقات القرآنية لمن تأمل .

وإضافة اسم الرب إليهم تشريفاً وتربية لهم ، فقد خصّهم الله تعالى بتربيتهم على التوحيد .

أما بالنسبة لزيادة الهدى ، فثمة فائدة أخرى ، ذلكم أن المزاد عليهم من الله تعالى وارد في لفظ الهدى لا بلفظ الإيمان ، فلم يقل الله تعالى زدناهم إيماناً بل ﴿وزدناهم هدى﴾ مع أن ما عندهم هو من جنس الإيمان ، والسبب في هذا التقديم والإيثار يرجع إلى :

أولاً : إنّما المقصود تكميل الإيمان بمجمله ومفصله ، بأصله وفروعه ، بعلمه وعمله ، بأساسه وبنيانه . . . فالفتية لما آمنوا إيماناً مجملاً زادهم اللّه تعالى إلى الإيمان المفصل الذي جاء ذكره في الآية بلفظ الهدى ، لئلا يتوهم أحد أن الزيادة هي في جنس الأصل فقط ، بل أن المزاد عليهم وإن كان من جنس ما عندهم لكن هو زائد على قدر ذلك في الإجمال والتفصيل .

ثانياً : وهم سعوا إلى سبيل الرشاد هداية واستجابة فزادهم اللّه تعالى ووفقهم إلى هداية أخرى أكمل وأتمّ من الأولى فاجتمعت عندهم الهدايتان : هداية الإرشاد وهداية التوفيق .

ثالثاً : ولما كان غالب تعلّق الهدى إنما بتكميل القوة العملية المتفرعة علىٰ تكميل القوة العلمية ، كان إيثار الهدى في هذا السياق من باب تكميل وتهذيب القوة العملية ، والاعتناء بالتزكية .

رابعاً : ولعلّ ثمة فائدة أخرى :

هؤلاء الفتية لما آثروا الإيمان على الكفر ، والتوحيد على الشرك فقد جاهدوا في الله توحيداً وإيماناً ، فلا بدّ من هدايتهم إلى أكمل سبل الهداية كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ﴾ فكل من يجاهد في الله توحيداً لا بدّ وأن يهدى إلى كل سبل الهداية لا إلى سبيل واحدة ؛ أي إلى كل شرائع الإيمان وشعبه ولوازمه وثماره . . .

وقرينة هذا التوجيه ظاهرة في تنكير الهدى في الآية ، إذن هي للتعميم ولتعظيم النعمة المزادة عليهم وتفخيمها ، فتأمّل .

تنبيهات:

١ ـ الآية دلت بمنطوقها على أن الإيمان يزيد وينقص ؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، يزيد بالأسباب الموجبة لزيادة الإيمان وسعي العباد لتحصيله ، وينقص

بتركها وعدم إرادة الانتفاع بها ، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة .

٢ - إن إيمان الفتية تحصل عندهم بطريقة الاستجابة إلى منادي الرسل وواعظ الإيمان في القلب ، فضلاً عن حصوله بمقتضى العلوم الفطرية التي سلمها الله تعالى من التلوث بدفع المعارض لها ، في حين ذهب البعض إلى أن إيمان هؤلاء حصل بمقتضى الإلهام(!)

وهذا خلاف معهود تحصيل الإيمان ، إذ لو كان هو المقصود لنوّه السياق له من قريب أو بعيد وما تقدم من إيضاح كافٍ لرده .

أثر تجريد التوحيد على الأعمال القلبية:

هؤلاء الفتية الممدوحة صفتهم قد اجتمعت فيهم خصال تفرقت في غيرهم ، فكانوا علماء بين قوم جهال ، وكانوا مؤمنين وسط قوم كفار ، وكانوا موحِّدين وسط قوم مشركين ، وهذه الحال والوصف من موجبه إعلان العداء لهم ، فما كان منهم إلا الثبات .

فبإيمانهم هذا آثروا محبة الله على محبة سواه ، وآثروا الفرار إليه على مصاحبة الأصحاب والأهل والأحباب ، فتحققت خصلة إيثار المحبوب في عمل القلب ، فكرهوا الردة ، وكرهوا ما كان عليه قومهم ، لذا أظهر الله على لسان بعضهم : ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ .

ومن كانت هذه خصاله ذاق حلاوة الإيمان ؛ يقول رسول الله ﷺ : «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» . متفق عليه .

فهؤلاء الفتية لما وجدوا أثر حلاوة الإيمان فقاموا لله في ذاته قومة التوحيد والدعوة إلى سبيله تعالى والتعريف به ، رباً ومعبوداً ، وبأسمائه وصفاته .

وفي هذا المعنى الدقيق يقول ابن قيم الجوزية في «المدارج» (٣/٦٧) :

ومن كانت هذه خصاله ذاق حلاوة الإيمان؛ يقول رسول الله ﷺ : "ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار". متفق عليه.

«فإن هؤلاء ـ أي الفتية ـ كانوا بين قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر، فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق وذاقوا حلاوته وباشر قلوبهم فقاموا من بين قومهم، وقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً﴾، والربط على قلوبهم يتضمّن الشدّ عليها بالصبر والتثبيت وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفرّوا بدينهم إلى الكهف».

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾:

والربط على قلوبهم يتضمّن الشد عليها بالصبر والتثبيت وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان وهو عكس الخذلان، فالخذلان حلّه من رباط التوفيق فيغفل عن ذكر ربه، ويتبع هواه، ويصير أمره فرطاً»[2]. ويقول الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» (٤/٢٩):

«أي ثبتنا قلوبهم وقوّيناها على الصبر، حتى لا يجزعوا ولا يخافوا من أن يصدعوا بالحقّ، ويصبروا على فراق الأهل والنعيم والفرار بالدين في غار في جبل لا أنيس به، ولا ماء ولا طعام.

ويفهم من هذه الآية الكريمة: أن من كان في طاعة ربه جلّ وعلا يقوى قلبه، ويثبته على تحمل الشدائد، والصبر الجميل».

و﴿إذ﴾ هنا ظرفية والربط متعلق بوقت قومتهم؛ أي حين قاموا، وقد حصل بثمرة وجدهم للإيمان، فربط على قلوبهم برباط التوفيق حتى يتصل بذكر ربه، ويتبع مرضاته، ويجتمع عليه شمله فلا يخذل، ذلكم أن أخذل الخذلان خذلان القلب، فلا يسلم لحكم الله الشرعي والكوني تسليماً فيبقى هذا القلب دائراً بين الشبهة والشهوة ومن كانت هذه حاله فهو فارغ القلب مخذول الحال لا يتمكن من النزول في منازل الصبر أو القيام في مقام الدعوة، وقلوب هؤلاء الفتية لم تكن فارغة من الإيمان أصلاً أو كمالاً لما ربط الله على قلوبهم، كما ربط الله تعالى على قلب أم موسى لما فرغ، يقول تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠].

وليس بالضرورة أن يفرغ القلب من أصل الإيمان؛ لأن ذلك من قبيل الكفر، بل قد يفرغ من قبيل الإنابة والخشية والخوف والتصدع واليقين ما يوجب انتقاص إيمان العبد بحسبه.

الربط بالتأييد والنصر في مقام الدعوة:

قال القرطبي في «تفسيره» (١٠/٣٦٥ ـ ٣٦٦): ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾؛ يحتمل ثلاث معان:

١ ـ أن يكون هذا وصف مقامهم بين يدي الملك الكافر.

٢ ـ أنهم أولاد عظماء تلك المدينة فخرجوا وراء تلك المدينة . . . فقاموا جميعاً فقالوا . . .

٣ ـ أن يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله تعالى ومنابذة الناس، كما تقول: قام فلان إلى أمر كذا إذا عزم عليه بغاية الجد . .».

والأقوال الثلاثة وإن كانت محتملة المعنى لكن الثالث أظهر.

﴿إذ قاموا﴾: أي نهضوا بهمة ونشاط وقصد وعزم لاتّباع المقصود . . . فهم بهذا الوصف نزلوا في مقام الدعوة إلى الله تعالى وصارت حالاً لهم لا ينفكّ عنهم؛ فقولهم التوحيد، وعملهم التوحيد، وجهادهم التوحيد؛ فحققوه قولاً وعملاً ودعوة وجهاداً ومقاماً وحالاً . . . «وإذا تعلّقت همة العبد في الله تعالى طلباً صادقاً خالصاً محضاً فتلك هي الهمة العالية، فمن كان كذلك فلا يقدر على التمهل بل تلزمه بطلب المقصود. وصاحب هذه الهمة سريع وصوله وظفره بمطلوبه ما لم تعقه العوائق، وتقطعه العلائق . .»[٣].

فهؤلاء الفتية في قومتهم للصدع بالحق كانت همتّهم عالية.

همة اتصلت بالله تعالى طلباً وقصداً.

وهمة اتصلت بخلقه دعوة ونصحاً، فوجدت مطلوبها ومقصودها بالإخلاص، وطلبها بالصدق وطريقها بالمتابعة قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

تحقيق التوحيد قولاً وعملاً، والاستدلال على المطلوب بجنس استدلال الرسل.

فقاموا قومة في ذات الله تعالى توحيداً، فشرعوا بادىء بدء بأجل مقصد من مقاصد الرسل الضرورية ألا وهو مقصد التعريف بالله ربّاً ومعبوداً وبأسمائه لتبنى على هذا المقصد مطالب الرسالة الأخرى.

شرعوا بالتعريف بالتوحيد مستدلين بجنس استدلال الرسل قالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ﴾ ولم يقولوا: (رب السماوات والأرض ربنا) وفي إيثار تقديم

> فكان إيمانهم توحيداً وقومتهم توحيداً وقولهم توحيداً واستدلالهم إلى التوحيد فطرياً فاستحقّوا بموجب ذلك وصف الولاية الشرعية؛ لهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في "المجموع" (٢٢/١٧): "وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة".

الرب مضافاً إليهم على تقديمه مضافاً إلى السماوات والأرض مع ما فيه من إظهار اعترافهم بأنهم مربوبون للّه تعالى وإقرارهم بما في أنفسهم علي ما حولهم من العوالم فإنه يدل أيضاً على أنهم استدلوا بالله تعالى على معرفة الأشياء ، لا بالأشياء والخلق على معرفة الله ، وإن كان الثاني يتحصّل به المطلوب ، لكن استدلال الرسل هو الأكمل والأحكم ، وبهذا قال تعالى في تقرير استدلالهم : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فالرسل صلوات الله عليهم استدلوا بالله تعالى على الأشياء وهذا استدلال تام ، فكان استدلال أصحاب الكهف من جنس هذا الاستدلال بهذا ، قال تعالى : ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ .

فكان إيمانهم توحيداً ، وقومتهم توحيداً ، وقولهم توحيداً ، واستدلالهم إلى التوحيد فطرياً ، فاستحقّوا بموجب ذلك وصف الولاية الشرعية ؛ لهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «المجموع» (٢٢/١٧) : «وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة» أ.هـ .

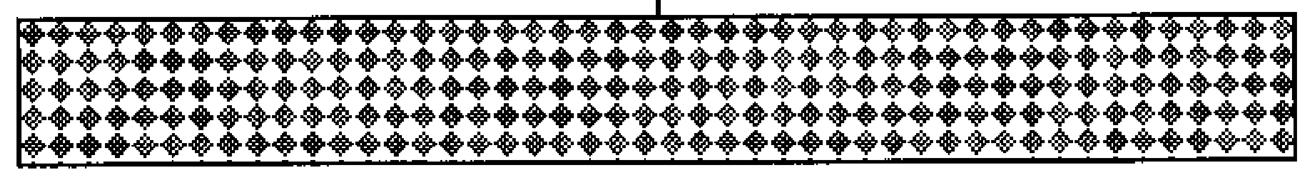
وسيأتي - إن شاء الله تعالى - في العدد القادم الكلام على المقصود من قومتهم ، وتحقيق أن المراد بها توحيد الإلهية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

● الهوامش :

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١٤/٥) .

(٢) انظر «مدارج السالكين» (٣/٦٧ - ٦٨) .

(٣) من كلام ابن القيم في « المدارج» (٣/٣ - ٤) .



كان يقال: امش ميلاً وعد مريضاً، وامش ميلين واصلح بين اثنين، وامش ثلاثة أميال وزر أخاً في الله.

[عيون الأخبار ٣ / ٣٢]

بقلم: الشيخ الدكتور أحمد طاهر أويس

إصلاح ذات البين

إن من أفضل الأعمال وأقرب القربات إلى الله إصلاح ذات البين بين المسلمين، ومنع وقوع فساد ذات بينهم. والمسلم إذا لم يستطع أن ينفع المسلمين ولو قليلاً؛ فعليه أن يكف شره عن المسلمين.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «الإنسان ثلاث مائة وستون عظماً، أو ستة وثلاثون سلامى، عليه في كل يوم صدقة، قالوا: فمن لم يجد؟ قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قالوا: فمن لم يستطع؟ قال: فليعن ضعيفاً، قالوا: فمن لم يستطع ذلك؟ قال: فليدع الناس شره».

وقبل أن نتناول الكلام في إصلاح ذات البين؛ نريد أن نتعرف أولاً على الأشياء التي تفسد ذات بين المجتمع الإسلامي، سواء أكانت العلاقات الاجتماعية والأسرية والفردية، وكيفية منع وقوع إفساد ذات البين؛ لأن الوقاية خير من العلاج.

فمن الأشياء التي يتولد منها إفساد ذات البين ويجب مقاومته:

١ - البغي، والظلم، والحسد، والأنانية، والعصبية، والشح، والبخل، وحب الظهور، واحتقار الناس، والتكبر عليهم، وظلمهم، وأخذ أموالهم بالباطل، وضربهم، وقتلهم، وإذلالهم.

عن هريرة عن النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم؛ لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام؛ عرضه، وماله، ودمه. التقوى ها هنا - وأشار إلى القلب -، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ يَسْخَرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُوْنُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾.

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والشحّ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم،

حملهم أن يسفكوا دماءهم ، واستحلّوا محارمهم» .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث كعب بن مالك عن النبي ﷺ : «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف» .

مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾

روى الشيخان من حديث حذيفة : أن النبي ﷺ قال : «لا يدخل الجنة

يجب على الأفراد أو الفئات المسلمة الذين تحدث بينهم وبين غيرهم مشاكل وقلاقل: أن يحترموا من يأتيهم لإصلاح ذات البين، وأن لا يستنكفوا عن قبول نصائحهم، والانقياد للحق والعدالة، فإن الكبر: بطر الحق، وغمط الناس. ولأن عدم تقديرهم لجهود إخوانهم سيثبط همة من سيقوم بتلك المهمة النبيلة، وسيكون سبباً في بُعْد الناس عن القيام بإصلاح ذات البين، وبذلك ينتشر الفساد والشر في المجتمع الإسلامي.

٢ ـ المزاح ، والغيبة ، والنميمة ، والشتم ، والطعن في أعراض الناس ، وأنسابهم ، وبلدانهم ، وآبائهم ، والتفاخر ، وإثارة النعرات القديمة الجاهلية ، وتربية الأولاد على هذه العادة الجاهلية .

قال تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

قتّات» ؛ أي : نمام .

وروى مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «اثنتان في الناس هما بهم كفر ؛ الطعن في الأنساب ، والنياحة على الميت» .

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «لينتهينّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ؛ إنما هم فحم جهنم ، أو ليكونُنّ أهون على الله من

الجعل الذي يدأ الخرأ بأنفه . إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء ؛ إنما هو مؤمن تقي ، أو فاجر شقي . الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من التراب» .

٣ ـ سوء الظنّ بالناس ، فإن الشخص أو الفئام من الناس أو القبيلة قد يستحوذ عليهم الشيطان ، ويلبس عليهم فيسيئون الظنّ بإخوانهم ؛ فيخيّل إليهم أنّ الآخرين أعداء لهم ، وأنهم يدبّرون لهم المكايد ، وقد يتحدّثون بتلك الظنون ، فيعرف الجانب الآخر ما لدى إخوانهم من الظن السّيّىء ؛ فتنشأ العداوة بين الجانبين .

وقد حذرنا الله ورسوله من الظنّ السيىء ، فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ . وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﷺ : «إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث» .

٤ ـ التناجي بالإثم والعدوان ، وهو منهيٌ عنه ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً﴾ .

أخرج مسلم من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه» .

٥ ـ المنافقون والمرجفون والنفعيون الذين يخدمون الشيطان وجنده الذين لا يألون جهداً في إفساد الأمة الإسلامية .

فالكفار أعداء للأمة الإسلامية عامة ، قال تعالى : ﴿لاَ يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالاً وَدُّوْا مَا

الإصلاح

يكون على حسب القدرة، فإن استطاع ان يصلح بالقوة ويوقف الفتنة فعل، وإن لم يستطع فباللسان والمال، فإن لم يستطع ذلك فبكراهيته إفساد ذات البين، وأن لا يساهم في إشعال الفتنة، ولا يشارك في إراقة دماء المسلمين، وسلب أموالهم، وهتك أعراضهم.

وليتذكر قول الصادق المصدوق : «إن بين ايديكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. قالوا: فما تامرنا؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم».

عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُوْرُهُمْ أَكْبَرُ﴾ . وقال عزّ من قائل : ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوْا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾ .

٦ ـ عدم الصبر وعدم التحمل ، واللجوء إلى الانتقام والثارات الجاهلية ، وترك التحاكم إلى الشرع ثم إلى العقل والفطرة ، فإذا حصل البغي والظلم جانباً من المجتمع ، وقوبل هذا البغي من الجانب الآخر بالانتقام والثأر ؛ فإن الوضع ينفجر وتسود الفوضى .

وأمرنا الله ورسوله بالصبر والتحمل ؛ فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . وقال ﷺ للأنصار : «فإنكم ستلقون أثرة من بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» .

٧ ـ التقصير في إقامة دين الله من فعل الواجبات وترك المنهيات ، وضعف الإيمان في القلوب ، وفقدان خشية الله . فعند ذلك تضطرب أحوال المجتمع ؛ لأن المجتمع إذا ضيعوا حق الله تعالى عليهم ، فمن باب أولى أن يضيعوا حقوق العباد بينهم .

قال تعالى : ﴿وَلاَ تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ نَسَوْا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيْثَاقَهُمْ فَنَسَوْا حَظّاً مِمّا ذُكِّرُوْا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ﴾ .

بهذه النقاط السبعة التي ذكرناها عرفنا الأسباب التي تؤدي إلى إفساد ذات البين ، ومعرفة المرض وتشخيصه نصف العلاج .

ويمكننا الآن أن نتكلم عن إصلاح ذات البين ضمن النقاط الآتية :

١ ـ فضل إصلاح ذات البين .

هناك آيات وأحاديث كثيرة تتحدث عن مكانة إصلاح ذات البين وفضائلها وثواب من يقوم بهذه المهمة الشريفة ، وتأمر المسلمين على القيام بهذه الشعيرة الإسلامية ، فهي من فروض الكفايات ، وقد تكون فرض عين على شخص معين إذا كان لديه مؤهلات تمكنه من إنجاح هذه المهمة دون غيره .

قال تعالى : ﴿فَاتَّقُوْا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ .

وقال تعالى : ﴿لاَ خَيْرَ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوْفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً

عَظِيْماً﴾ .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوْا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ .

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء : أنّ النّبيّ ﷺ قال : «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؛ إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة» .

٢ ـ من أين نبدأ الإصلاح؟

نبدأ إصلاح ذات البين أولاً بتذكير الناس وتخويفهم من عقابه ، والترغيب في ثواب الله ، والحث على اتباع سيد المرسلين محمد ﷺ ، والتخلّق بأخلاقه ، والتأدّب بآدابه ، وتطبيق شريعة الله في أمورهم والتحاكم إليها . ويؤمر الناس بأداء الواجبات من الصلاة والصوم والصدقة وترك المنهيات والمبتدعات والخرافات ، ويوعظ الناس بإخلاص العبادة لله وحده ، ومراقبته في السر والعلن ؛ لأن أخطر شيء يتولد منه الإفساد ذات البين هو الإفراط في حقوق الله على العباد .

٣ ـ شروط المصلح .

إصلاح ذات البين أمر جليل لا يحسنه كل أحد ؛ فيجب أن يكون الذي يقوم بهذه المهمة مخلصاً : يخاف الله في السر والعلانية ؛ عادلاً عارفاً بحقيقة القضية .

٤ ـ الإصلاح يكون على حسب القدرة ، فإن استطاع أن يصلح بالقوة ويوقف الفتنة فعل ، وإن لم يستطع فباللسان وبالمال ، فإن لم يستطع ذلك فبكراهيته إفساد ذات البين ، وأن لا يساهم في إشعال الفتنة ، ولا يشارك في إراقة دماء المسلمين ، وسلب أموالهم ،

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «الإنسان ثلاث مائة وستون عظماً، أو ستة وثلاثون سلامى، عليه في كل يوم صدقة، قالوا: فمن لم يجد؟ قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قالوا: فمن لم يستطع؟ قال: فليعن ضعيفاً، قالوا: فمن لم يستطع ذلك؟ قال: فليدع الناس شره»

رجال إسناده ثقات، رجال الصحيحين.

وهتك أعراضهم .

وليتذكر قول الصادق المصدوق : «إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي» قالوا : فما تأمرنا؟ قال : كونوا أحلاس بيوتكم» .

وروى أبو داود من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يزال المسلم مُعْنِقاً[1] في دينه ما لم يصب دماً حراماً فإذا أصاب دماً حراماً بَلَّحَ[2]» .

٤ ـ الدعاء في ظهر الغيب للمتخاصمين والمتقاطعين ، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء . والدعاء سلاح قوي وهو العبادة .

٥ ـ يجب على الأفراد أو الفئات المسلمة الذين تحدث بينهم وبين غيرهم مشاكل وقلاقل : أن يحترموا من يأتيهم لإصلاح ذات البين ، وإن لا يستنكفوا عن قبول نصائحهم ، والانقياد للحق والعدالة ، فإن الكبر ، بطر الحق وغمط الناس ، ولأن عدم تقديرهم لجهود إخوانهم سيثبط همة من سيقوم بتلك المهمة النبيلة ، وسيكون سبباً في بعد الناس عن القيام بإصلاح ذات البين ، وبذلك ينتشر الفساد والشر في المجتمع الإسلامي .

نسأل الله تعالى أن يصلح ذات بيننا ، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين .

* الحواشي :

(١) طويل العنق ، الذي له سوابق في الخير . (الأصالة) .

(٢) أي أعيا وانقطع . (الأصالة) .

قال ابن شُبْرُمة: إذا سرَّك أن تَعْظُمَ في عَيْنِ مَن كنتَ في عينه صغيراً، ويَصغُرَ في عينك من كان في عينك عظيماً، فتعلَّم العربيّةَ، فإنها تُجريك على المَنطِق وتُدنيك من السُّلطان. ويقال: النحو في العلم بمنزلة المِلح في القِدر والرَّامِك في الطِّيب. ويقال: الإعرابُ حِليَةُ الكلام ووَشْيُهُ.

بقلم: الشيخ الدكتور محمد بن موسى بن نصر

الرجولة في الكتاب والسنة

إن من مصائب هذا الزمان الذي لا تعد ولا تحصى: فَقْدَ كثيرٍ من الذُّكور رجولتهم؛ فليس كل ذكر رجلاً ولو أطال شاربه، حتى قام معه إذا قام أو قعد معه إذا قعد، فالرجولة ليست بفتل الشارب ولبس البنطال والصراخ في المجالس؛ إنما الرجولة أن يتصف صاحبها بالرجال شكلاً ومضموناً، مظهراً ومخبراً، ظاهراً وباطناً.

وقد عرف العلماء الرجولة فقالوا: الرجل: الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة.

قال الراغب الأصفهاني: الرجل تختص بالذَّكَر من الناس قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ [الأنعام: ٩] ويقال للمرأة: رَجُلَة: إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها.

قال الشاعر: لم ينالوا حُرمة الرَّجُلَة[١].

ويقال للغلام إذا شبّ واحتلم رجلاً، وجمعه رجال.

وفي التنزيل: ﴿وَاسْتَشْهِدوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُم﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وجمع الجمع رجالات، وقد يكون الرجل صفة يعني بذلك الشدة والكمال.

وقد نهى النبي ﷺ عن ترجل المرأة إذا صارت كالرجل، وفي الحديث أنه: «لعن المترجلات من النساء» وهنّ اللاتي يتشبّهن بالرجال في زيّهم وهيئاتهم ومشيهم وغير ذلك.

وعليه فيمكن تعريف الرجولة بأنها اتصاف المرء بما يتصف به الرجل عادة[٢].

والرجولة في أظهر معانيها: اتصاف الإنسان بما يوصف به الرجال عادة من نحو تحمل الأعباء الثقال، ومن أبرز ذلك تحمل الرسل الكرام لأعباء الرسالة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم﴾.

وفيه دليل على أنّ أعباء الرسالة لا تقوى على حملها النساء؛ لذلك اقتضت

إن التربية الغربية بأفكارها وثقافتها وقوانينها تعمل على تخنيث الذكور وقتل الرجولة فيهم، مثلما تعمل على ترجيل المرأة وتسلطها على الرجل. وسلب القوامة من يده وسحب البساط من تحت رجليه حتى يغدو هو وشماعة الأثاث سواءً بسواء.

حكمة الله أن يبعث الرسل من جنس الرجال، لا من جنس النساء، وأن تكون الأمامة الكبرى للرجل لا للمرأة، وقد مدح الله الرجال في صدقهم بعهدهم، وأن إخلافهم للعهد يتنافى مع هذه الرجولة قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢].

ومدحهم الله بحب التطهّر فقال: ﴿فِيْهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوْا﴾ [التوبة: ١٠٨].

ومدحهم باشتغالهم بعبادته وطاعته وعدم انشغالهم بدنياهم عن طاعته وذكره وعبادته قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

وجعل الله القوامة للرجل على المرأة فقال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُوْنَ عَلَى النِّساءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم﴾[النساء: ٣٤].

فضل جنس الرجل على المرأة فقال: ﴿وَلِلرِجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وجعل الرجل يقابل امرأتين في الشهادة قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُوْنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[البقرة: ٢٨٢]

والرجولة من صفات النبيين قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلْنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ [يونس: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾[يوسف ١٠٩].

والرجولة أعلى صفات الذكورة، قال تعالى: ﴿غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النور: ٣١].

أما السنة النبوية المطهّرة فقد ورد فيها ذكر الرجولة والرجال.

فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل

من النساء غير مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنّ سعد بن عبادة الأنصاري قال : يا رسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً ؛ أيقتله؟! قال : «لا» . قال سعد : بلى والذي أكرمك بالحق ، فقال رسول الله ﷺ : «اسمعوا إلى ما يقول سيدكم»[٤] .

قلت : والحديث بمنطوقه ومفهومه يدل دلالة صريحة واضحة على أن الذي لا يغار على زوجته ليس رجلاً ، بل قد صرّحت بعض الأحاديث بأنه ديوث ، والجنة عليه حرام .

فهل هذا الذي يقرّ الخبث في أهل بيته رجلاً؟

وهل ذاك الذي يسمح لزوجته بالتبرج رجلاً؟ وهل هؤلاء الذين يسمحون لبناتهم بالاختلاط بالرجال في ميادين عملهم ، ويختلون بهم في مكاتبهم رجالاً؟!

كلا والذي نفسي بيده ، فكم هي الجناية عظيمة ، وكم هي فداحة الخطب حينما فقد الذكور رجولتهم ، فأصبحوا لا ترى من رجولتهم إلا أشباحاً وسراباً ، ولكن الرجولة في واد وهم في واد آخر .

إن التربية الغربية بأفكارها وثقافتها وقوانينها تعمل على تخنيث الذكور وقتل الرجولة فيهم ، مثلما تعمل على ترجيل المرأة وتسلطها على الرجل ، وسلب القوامة من يده وسحب البساط من تحت رجليه حتى يغدو هو وشماعة الأثاث سواءً بسواء .

فكم هم هؤلاء الذين سُلِبت منهم رجولتهم بقصد أو بغير قصد في مجتمعاتنا؟! حتى غدوا أصفاراً على الشمال ، لا وزن لها ولا قيمة . . . والله المستعان .

● الهوامش : ــــــــــــــــ

(١) «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ص ١٨٩) .

(٢) «الكليات» للكفوي (١/ ٣٩٣) .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .



بقلم: الشيخ سعد الحصين

في الولاء والبراء الشرعي والحركي

الولاء؛ لله ولرسوله وللمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾.

والبراء؛ من أعداء الله ورسوله وشرعه، وهم الكافرون والمشركون بالله في عبادته مهما كان انتماؤهم وشعارهم.

فمناط الولاء: الجمع بين صحة المعتقد (بإفراد الله بالعبادة)، وصلاح العمل (باتباع السنّة)، وفي هذا جماع الخير كلّه، وقد مدح الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في أكثر من خمسين آية، وفي معناها ما يصعب حصره.

ومناط البراء: الشرك في الاعتقاد (بدعاء غير الله معه تقرباً إليه)، والابتداع في العمل (بعبادة الله على نحو لم يأذن به الله) قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيْرَ سَبِيْلِ المُؤْمِنِيْنَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيْراً﴾.

وسبب الجهل بهذه الحقيقة النّاصعة في حاضرنا: أنّ جميع الحركات الفكرية (الموصوفة بالإسلامية) نشأت في بلاد يحتلها ويحكمها غير المسلمين من يهود أو نصارى أو وثنيين أو ملحدين؛ فانحرفت عقيدة الولاء والبراء إلى مسار ضيّق بتطبيقها على فئة واحدة من البشر؛ هم الحكّام.

وسوّل الشيطان لدعاة الفكر المحدثين أن «التكتيك المرحلي» يقتضي التركيز على معاداة الحاكم والسّكوت عن أخطاء الرعية: الشرك فما دونه، بحجة أن أولئك كفار، وهؤلاء مسلمون يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما خالف العقيدة والسّنّة من أقوالهم أو أفعالهم فهو ناتج عن جهل يسهل تغييره ووراءه إيمان عميق تغطّيه العادات والتقاليد، والمرحلة

الحاضرة تستدعي جمع الصفوف وراء فكرة واحدة يتفق عليها الجميع : إجلاء المحتلّ الكافر من ديار المسلمين .

ولمّا خرجت جيوش الاحتلال من البلاد المسلمة والكافرة بانتهاء دور الاحتلال العسكري الأجنبي ، وجدت الحركات الفكريّة على اختلاف شعاراتها أن ليس في صالحها تغيير الهدف الذي جمع الناس حولها ؛ فحوّلت العداء إلى الحاكم المسلم .

أما الولاء فقد حصره كلّ حزب «إسلامي» في نطاقه : لقادته وأتباعه والموالين له . ومن باب أولى بقي كذلك .

ولو كان «الحزبيون الإسلاميون» يحكّمون ما أنزل الله (شعارهم الحركي) لعرفوا من الآيات المحكمة في كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ﷺ الصحيحة الصريحة :

* أن عقيدة الولاء والبراء في الشريعة منافيةٌ للتعصّب الفردي أو الحزبي أو القبلي أو الجغرافي ، قال الله تعالى : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا فِي قُلُوْبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ﴾ . وأنّها (ككل عبادة أخرى) لا بدّ أن تتّصف بالإخلاص لله وحده والطّاعة لله ولرسوله ، لا تشوبها أي شائبة من الهوى وقصد الدّنيا ، قال الله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ﴾ .

روى البخاري ومسلم في "الصحيحين" عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات: فميتته جاهلية"..

* أن الله تعالى أمر بطاعة ولي الأمر المسلم : ﴿يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا أَطِيْعُوا اللَّهَ وأَطِيْعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُم﴾ ، وبيّنت السنّة أنّ طاعة ولي الأمر المسلم فرض عين لا يسقطه ظلمه أو جوره أو فسوقه أو فجوره ؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : أنّ رسول الله ﷺ قال : «إنّها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» .

(والأثرة: الاستئثار بالأموال والمتاع الدنيوي، والأمور المنكرة: هي في الدين) قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «تؤدّون الحقّ الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم».

وروى مسلم في «صحيحه» عن حذيفة بن اليمان ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنّون بسنّتي» قلت: كيف أصنع إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك».

وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات؛ فميتته جاهلية».

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات؛ مات ميتة جاهلية».

فكيف بمن يخرج عن طاعة أميره المسلم؛ ويفارق جماعة المسلمين، ويهاجر من ديار الإسلام إلى ديار الكفر في هذا السبيل؟

وفي «صحيح مسلم»: عن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخّرون (أو يميتون) الصلاة عن وقتها؟» قلت: فما تأمرني؟ قال: «صلّ الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصلّ؛ فإنها لك نافلة»؛ لم يأذن رسول الله ﷺ لخيار الأمة - فضلاً عن سفهائها - بإظهار مخالفة ولي الأمر المسلم حتى لو أخّر صلاة الجماعة عن وقتها، ومعلوم أنّ الصّلاة إذا أخرت عن وقتها عمداً بطلت.

* أن الاستثناء الوحيد من عموم الأمر بطاعة ولاة الأمر: تنفيذ الأمر بمعصية الله؛ كما ثبت في «الصحيحين» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره إلاّ أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

ومع ذلك لا يجوز له الخروج عن الطاعة مطلقاً فيما ليس فيه معصية؛ كما قال الله تعالى في طاعة الوالدين: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾.

وكلّ منتمٍ إلى جماعة خاصة أو حزب أو طريقة أو فرقة (وإن وصفت زوراً بالإسلاميّة) فهو متشيّع لها ولأميرها ومنهاجها منعزل بذلك عن جماعة المسلمين. وليس التشيّع المنكر خاصّ بالأخذ عن آل البيت وحدهم، بل هم خير من يتشيّع لهم لو كان التشيّع لبشر (غير معصوم) شرعاً.

وكما نهى الله المؤمنين عن اتباع سبيل الكافرين، وأباح التّعامل معهم، وأمر بالعدل فيهم والإحسان في مجادلتهم، ونهى عن الاعتداء عليهم.

ومع ظهور المعاصي في بلاد المسلمين: الشرك فما دونه؛ لم يؤمر أحد باقترافها.

* أن تفريق جماعة المسلمين إلى فرق وأحزاب وجماعات وطرق وطوائف بحجة توحيد الصّفّ والكلمة، وتحكيم ما أنزلَ الله، أمر يخالف الشرع المبين والعقل المستقيم؛ فالتفرّق منافٍ للتجمّع والاتحاد، وقد نهى الله عنه في محكم كتابه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

وكلّ منتم إلى جماعة خاصة أو حزب أو طريقة أو فرقة (وإن وصفت زوراً بالإسلاميّة) فهو متشيّع لها ولأميرها ومنهاجها منعزل بذلك عن جماعة المسلمين.

وليس التشيّع المنكر خاصّ بالأخذ عن آل البيت وحدهم، بل هم خير من يتشيّع لهم لو كان التشيّع لبشر (غير معصوم) شرعاً.

* أنّ الدعوة إلى الله على بصيرة (كما شرعها الله لرسله ولأتباعهم من بعدهم) عامّة لجميع أهل الأرض: رعاة ورعية، شباباً وشيوخاً، ذكوراً وإناثاً، مسلمين وكافرين؛ يُدعون أولاً وقبل كل شيء وعلى كل حال، بالأمر بإفراد الله بالعبادة والتحذير من الشرك وأهله وذرائعه، ثم إلى العبادات العمليّة والمعاملات والأخلاق الشرعية، ويذكّرون بآلاء الله ويرغّبون في رضاه وثوابه ويخوّفون من غضبه وعقابه.

ومن يعرف واقع المنتمين إلى الإسلام اليوم ويتحرّى العدل؛ يعترف بأن كثيراً من الرعايا أسوأ من أكثر الرعاة في الشرك والمعاصي وتحكيم قوانين البشر وأهوائهم، والله الموعد.



بقلم : الشيخ أبي أسامة سليم الهلالي

ضوابط الهجر الشرعي

إن هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة صورة مشرقة من حياة السلف الصالح الأول : تذكر المسلم بالأسباب الوقائية من جذام أهل البدع وسيل أهل الأهواء العرم ، وتحصن القاعدة الإسلامية من شوائب الآراء المضلة .

إن الزجر بالهجر باب من الفقه الأكبر كبير ، ولهذا تراه شاخصاً في كتب اعتقاد السلف الصالح أهل الحديث ؛ لأنه ينضوي تحت سلطان الأصل العقدي العظيم «الولاء والبراء» الذي مداره على الحب والبغض في الله ولله ، والذي هو رحى العبودية وقطب التوحيد .

ولذا ينبغي زجر أهل البدع بالهجر ، وهجرهم بالحجر استصلاحاً لحالهم ، ليضعفوا عن نشر بدعهم ؛ فيأرزوا إلى جحورهم ؛ فتكون كلمة الوحي كتاباً وسنة هي العليا في حياة المسلمين .

وهكذا تبرز معالم التميّز العقدي الذي يقي من المدّ البدعي ، ويقمع استشراف أهل الأهواء المضلة للاستشراء بين الأمة ، ويعصم عدة المستقبل من شباب اليقظة الإسلامية من الفتن التي صرعتهم في أحضان الأدعياء ، وجعلتهم يتهافتون كالفراش على موائد دعاة الضلالة الذين يدعون إلى النار حتى كثرت الأخلاط ؛ فسرى في أوصال المجتمع المسلم أمراض التميع العقدي والسلوكي تحت شعارات براقة وشارات مضللة فانفرط العقد وسقطت واسطته في الشَّرَك بلا ثمن ؛ فثار في العلوم الشرعية الدخن ، وظهرت في النفوس الإحن على السنن ، فكان ولا بد من التحصن بالنأي عن قوم لا يستطيع السُّنّي أن يوفّي الدين حقه بين ظهرانيهم ، ولذلك شرع الزجر بالهجر ، ولكن للهجر المشروع أحكاماً وضوابط بسطتها في رسالتي «مطلع الفجر في أحكام الزجر بالهجر» ، ودونك إياها :

١ - الأصل في الهجر المنع بين المسلمين ، ولذلك حَرَّم الإسلام البغضاء

والحسد والتدابر، وحض على التوادّ والتعاطف والتراحم، وما شرع من الهجران فهو للحاجة؛ لأنه قد يكون في بعض الأحايين لا بد منه للمعالجة لبعض الأدواء في النفوس، والحاجة تقدر بقدرها، وقدرها ثلاثة أيام، وعلى ذلك جملة من الأحاديث النبوية الصحيحة:

أ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»[1].

ب ـ عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال؛ يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[2].

ت ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا هجرة بعد ثلاث»[3].

وفي رواية: «فمن هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار»[4].

ث ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»[5].

ج ـ عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يكون لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاثة؛ فإذا لقيه سلم عليه ثلاث مرار كل ذلك لا يردّ عليه؛ فقد باء بإثمه»[6].

ح ـ عن عبد الله بن مسعود قال: ألا إن محمداً ﷺ قال: «إن قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق، ألا لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق الثلاث»[7].

لقد دلت هذه الأحاديث بمنطوقها على عدم حل هجرة المسلم لأخيه المسلم فوق

إن هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة صورة مشرقة من حياة السلف الصالح الأول، تذكر المسلم بالأسباب الوقائية من جذام أهل البدع وسيل أهل الأهواء العرم، وتحصن القاعدة الإسلامية من شوائب الآراء المضلة.

ثلاث ليال ، وبمفهومها على إباحتها في الثلاث .

قال النووي : «قال العلماء : في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال ، وإباحتها في الثلاث الأول بنص الحديث ، والثاني بمفهومه .

قالوا : وإنما عفى عنها في الثلاث ؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك ، فعفي عن الهجرة في الثلاثة ؛ ليذهب ذلك العارض»[٨] .

ويستثنى من ذلك هجر من له سلطة مادية أو معنوية إن دعت حاجة شرعية لذلك ، وكذلك تأديب من يظهر المنكرات حتى يتوب منها ، ودعاة البدع والأهواء يجوز هجرهم على التأبيد .

وهذه استثناءات تشهد لها السنة الصحيحة ، وتطبيق السلف لذلك .

والنوع الأول يكون ممن له سلطة مادية كالزوج ، فقد حصل هذا من النبي ﷺ حيث هجر بعض نساءه شهراً .

عن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث : أن أم سلمة أخبرته : أن النبي ﷺ حلف أن لا يدخل على بعض أهله شهراً ، فلما مضى تسعة وعشرين يوماً غدا عليهن - أو راح - فقيل له : يا نبي الله حلفت أن لا تدخل عليهنّ شهراً ، قال : «الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً»[٩] .

ويكون من الإمام والمطاع ؛ كما في قصة كعب بن مالك .

قال ابن عبد البرّ رحمه الله : «وهذا الحديث وإن كان ظاهره العموم ، فهو عندي مخصوص بحديث كعب بن مالك ، حيث أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يهجروه ، ولا يكلموه هو وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة ؛ لتخلفهم عن غزوة تبوك ، حتى أنزل الله توبتهم وعذرهم ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يراجعوهم الكلام .

وفي حديث كعب هذا دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه إذا بدت له منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له ، وزجراً عنها»[١٠] .

ويكون من الأب ؛ كما فعل عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما مع بعض أبنائه .

عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر : أن النبي ﷺ قال : «لا يمنعن رجل أهله أن يأتوا المساجد» ، فقال ابن لعبد الله بن عمر : فإنا نمنعهنّ . فقال عبد الله :

أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا؟! قال : فما كلمه عبد الله حتى مات[11] .

وأما من له سلطة معنوية ؛ فكما هجرت عائشة رضي الله عنها ابن أختها عبد الله بن الزبير[12] .

وأما هجر دعاة البدعة ؛ فقد دلت السنة الفعلية على مشروعيته ، وورد عن كثير من السلف ومن بعدهم هجران أهل البدع ومنابذي السنة ، فقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهجر صبيغ بن عسل الذي كان يسأل عن مشكلات القرآن[13] .

عن عبد الله بن مغفل أنه رأى رجلاً يخذف ؛ فقال له : لا تخذف ؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ـ أو كان يكره الخذف ـ وقال : «إنه لا يصاد به صيد ، ولا ينكأ به عدو ، ولكنها قد تكسر السن ، وتفقأ العين» ، ثم رآه بعد ذلك يخذف ؛ فقال له : أحدثك عن رسول الله ﷺ : أنه نهى عن الخذف ـ أو كره الخذف ـ وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا[14] .

قال البغوي رحمه الله: "قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رضي الله عنهم، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره، ويتبرأ منه، ويتركه حياً وميتاً، فلا يسلم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته، ويراجع الحق".

والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا.

قال النووي رحمه الله : «فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم ، وأنه يجوز هجرانه دائماً ، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ، ومعايش الدنيا ، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائماً ، وهذا الحديث مما يؤيده مع نظائر له كحديث كعب بن مالك وغيره»[15] .

وهذا موقف السلف بعامة ؛ كما قال

شيخ الإسلام: «الهجر على وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات، يهجر حتى يتوب منها، كما هجر النبي ﷺ والمسلمون: الثلاثة الذين خلفوا، حتى أنزل الله توبتهم، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر، ولم يهجر من أظهر الخير وإن كان منافقاً، فهنا الهجر هو بمنزلة التعزير.

والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات، كتارك الصلاة والزكاة، والتظاهر بالمظالم والفواحش، والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع وهذه حقيقة قول من قال من السلف والأئمة: أن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم، ولا يصلى خلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم، ولا يناكحون، فهذه عقوبة حتى ينتهوا، ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية، لأن الداعية أظهر المنكرات، فاستحق العقوبة، بخلاف الكاتم، فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، مع علمه بحال كثير منهم»(١٦).

قال البغوي رحمه الله: «قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رضي الله عنهم، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره، ويتبرأ منه، ويتركه حياً وميتاً، فلا يسلم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته، ويراجع الحق.

والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا.

قال كعب بن مالك في قصة تخلفه وتخلف صاحبيه: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك على ما (وساقه بإسناده).

وفيه دليل على هجران أهل البدع على التأبيد، وكان رسول الله ﷺ خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه؛ فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم، وعرف رسول الله ﷺ براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين

متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم»[17].

وإجماع السلف من الصّحابة ومن تبعهم من علماء الملة وفقهاء الأمة على هجران أهل البدع نقله أيضاً الخلال وأبو يعلى وابن عبد البر والغزالي وغيرهم.

وبهذا يتضح: أن النهي عن الهجر فوق الثلاث محمول على من لم يكن هجرانه شرعياً[18].

وسيأتي الكلام على شرط كون الهجر شرعياً في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

● الهوامش:

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٢).

(٤) صحيح ـ أخرجه أبو داود (٤١٩٤)، وأحمد (٣٩٢/٢ و٤٥٦) بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦١).

(٦) حسن ـ أخرجه أبو داود (٣١٩٤) وغيره بإسناد حسن.

(٧) صحيح ـ أخرجه الطيالسي (٣٠٦) بإسناد صحيح.

(٨) «شرح صحيح مسلم» (١١٧/١٦).

(٩) أخرجه البخاري (٥٢٠٢).

(١٠) «التمهيد» (١١٧/٦ ـ ١١٨).

(١١) أخرجه أحمد (٣٦/٢) بإسناد صحيح.

(١٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٣ و٦٠٧٤ و٦٠٧٥).

(١٣) لهذه القصة طرق كثيرة ذكرها الدارمي (٥٥/١ ـ ٥٦)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٥٦، ٥٧)، والآجري في «الشريعة» (ص ٧٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١١٣٦، ١١٣٩، ١١٤٠).

قلت: وهي لا تخلو من مقال، لكن يشد بعضها بعضاً.

وقد أوعب الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١٩٨/٢ ـ ١٩٩) فذكرها بعدة ألفاظ، وصحح بعض أسانيدها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٢٤٨/٤): «فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضي الله عنه، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً، والله أعلم».

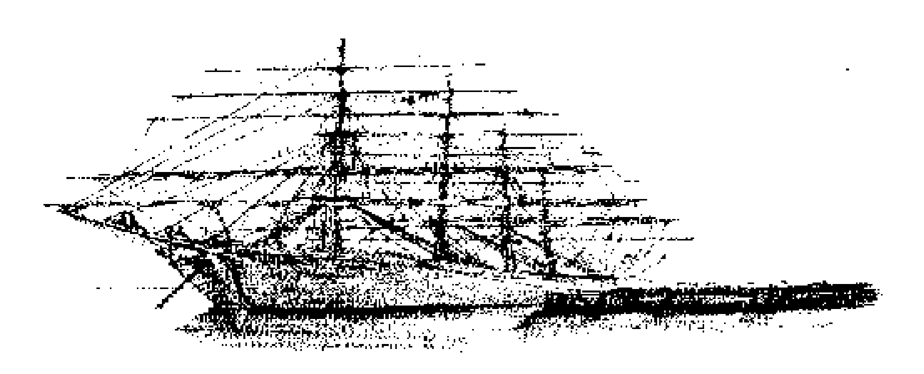
(١٤) أخرجه البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤) (٥٦).

(١٥) «شرح صحيح مسلم» (١٠٦/١٣).

(١٦) «مجموع الفتاوى» (٢٠٤/٢٨ ـ ٢٠٥).

(١٧) «شرح السنة» (٢٢٤/١ ـ ٢٢٧).

(١٨) «فتح الباري» (١٢٤/٨).



الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز

نصيحة وذكرى

أيها الإخوة في الله:

أوصيكم بتقوى الله ؛ فإنها وصيته سبحانه ، وهي وصية رسوله عليه الصلاة والسلام .

قال الله جل وعلا : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ أُوْتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ . . .﴾ الآيات .

وقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُوْلُوا قَوْلاً سَدِيْداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيْماً﴾ .

وقال عزّ وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ وَلاَ تَكُوْنُوا كَالَّذِيْنَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُوْنَ لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُوْنَ﴾ .

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الفائزين .

أيها الإخوة في الله:

الواجب على كل مكلف من الرجال والنساء ، من العجم والعرب ، من جميع أجناس بني آدم ، الواجب على الجميع تقوى الله ، فقد خلقوا لهذا ، ليعبدوا الله ، وهم مأمورون بذلك ؛ كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْنِ﴾ ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُم تَتَّقُوْنَ﴾ .

وبعث الله الرسل بذلك فقال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوْتَ﴾ .

وهذه العبادة التي خلقوا لها ، وأمروا بها ، وبعث بها الرسل هي : التقوى ،

وهي الإيمان والهدى ، وهي الإسلام والبرّ ، وطاعة الله ورسوله .

فالواجب على جميع الثقلين ـ الإنس والجن ـ أن يتقوا الله ، وأن يحققوا هذه العبادة بتوحيد الله والإخلاص له ، وطاعة أوامره ، واجتناب نواهيه ، والوقوف عند حدوده ، رجاء ثوابه ، وحذر عقابه سبحانه وتعالى .

*** ضرورة التفقه في الدين:**

ولا سبيل إلى هذا إلا بالتفقه في الدين ، والتعلم حتى يعرف المؤمن والمؤمنة ما هي العبادة التي خلقوا لها ، وما هو الإسلام ، وما هو الإيمان فلا بد من التعلم .

ويقول الرسول ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة» .

فالواجب ـ كما ذكرنا ـ التفقه في الدين والتعلم حتى يعرف كل واحد لماذا خلق ، وما هو الواجب عليه وحتى يعبد الله على بصيرة وعلى علم ، فعبادة الله هي توحيده وطاعته وهي تقواه والإيمان به وبرسوله وطاعة الأوامر واجتناب النواهي . . . هذه هي التقوى .

ووصيتي لكم جميعاً ولنفسي هي تقوى الله والعناية بالتفقه في الدين ، والتبصر حتى يعي كل واحد ما أوجب الله عليه وما حرم عليه ، وحتى يدعو إلى الله على بصيرة أينما كان .

فالواجب عليكم أيها الإخوة وأيها الأبناء التفقه في دين الله والتبصر والدعوة إلى الله والعمل بشريعته وتوجيه الناس إلى الخير وتحذيرهم من الشر وأن تكونوا قدوة في الخير بأن تتعلموا وتعملوا وتدعوا إلى الله وتكونوا قدوة لغيركم بإيمانكم وسيرتكم وأخلاقكم فإن طالب العلم مقتدى به ينتفع بقوله وعمله وسيرته.

*** التوحيد أعظم منزلة:**

وأهم منازل التقوى وأعظمها وأساسها توحيد الله ، وهي معنى شهادة أن لا إله

إلا الله ؛ أي لا معبود بحق إلا الله ، وهكذا الإيمان بالشهادة الثانية ؛ شهادة أن محمداً رسول الله والتدبر في معناهما ، وهما أصل الدين وأساس الملّة ، فيوحّد الله ويخلص له العبادة ، ويؤمن برسوله ﷺ ، وأنه رسول الله إلى جميع الثقلين الجنّ والإنس ، وأنه خاتم الأنبياء ، وأن الواجب اتباعه والاستقامة على دينه ، ثم بعدها الصلوات الخمس فهي عمود الإسلام ، وأهم الفروض بعد الشهادتين ، فالواجب المحافظة عليها ، والتفقه فيها والتواصي بها مع أهلك وجيرانك فهي كما قال رسول الله ﷺ : «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة» .

ثم الزكاة وهي عمود الإسلام بعد الشهادتين والصلاة ، فهي الركن الثالث من أركان الإسلام ، ثم الصيام ، ثم الحج ، هذه هي أركان الإسلام الخمس ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «بني الإسلام على خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت» .

وأوجب الله علينا الصيام كما أوجبه على الذين من قبلنا وجعله وسيلة للتقوى .

فالواجب على جميع المكلفين من المسلمين صيام رمضان مع صيانته عما حرم الله ، يقول النبي ﷺ : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلّقت أبواب جهنم وصفّدت الشياطين» .

وقال ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه» .

ويقول النبي ﷺ : يقول الله عزّ وجلّ : «كلّ عمل ابن ادم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف . يقول الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «الصيام جُنّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن سابّه أحد أو قاتله ، فليقل إني امرؤ صائم» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» فأوصيكم في

هذا الشهر العظيم بصيامه وقيامه ، وأن يصان عما حرم الله حتى يكون صيامكم مكفراً لسيئاتكم .

ولا بد من صيانة الصيام والقيام عما حرم الله ، والتواصي بطاعته عزّ وجل ، وفي العشر الأخيرة يستحب إحياؤها بالعبادة حيث كان رسول الله ﷺ في العشر الأوائل يقوم وينام ، وكان في العشر الأخيرة يشد مئزره ، ويحيي ليله ؛ فأوصيكم بسنته كما فعل عليه الصلاة والسلام .

وأوصيكم أيضاً بالعناية بالفقراء والمساكين ، ورحمتهم والإحسان إليهم ، ومواساتهم ، ونوصيكم بالإكثار من قراءة القرآن ، ومن فعل الأعمال الطيبة ، والإكثار من الصلاة والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . . . كل هذا مطلوب في جميع الأوقات وفي كل زمان لكن يشرع للمؤمن أن يضاعف من ذلك في رمضان ويستحب له أن يكثر من قراءة القرآن في أيامه ولياليه ، ويكثر من الصدقات وفعل الخير ، لأن هذا الشهر العظيم له مزية وله فضل ، والأجر فيه مضاعف ، فلا بد من الاستكثار من عمل الخير والمسارعة إلى ذلك .

*** طالب العلم قدوة للآخرين:**

فالواجب عليكم أيها الإخوة وأيها الأبناء التفقه في دين الله والتبصر ، والدعوة إلى الله والعمل بشريعته وتوجيه الناس إلى الخير ، وتحذيرهم من الشر ، وأن تكونوا قدوة في الخير ، بأن تتعلموا وتعملوا ـ وتدعوا إلى الله ـ وتكونوا قدوة لغيركم بإيمانكم وسيرتكم وأخلاقكم فإن طالب العلم مقتدى به ينتفع بقوله وعمله وسيرته ، فأوصيكم بتقوى الله والدعوة إليه ، والاستقامة على دينه ، حتى تكونوا قدوة لغيركم في طاعة الله ورسوله ، والاستقامة على دينه ، والتخلق بالأخلاق .

ـ نسأل الله للجميع التوفيق والمزيد من كل خير ، كما أسأله سبحانه أن يمنحنا وإياكم وسائر المسلمين الثقة بالدين والثبات عليه ، وأن يجنبنا وإياكم مضلات الفتن وهمزات الشيطان ، إنه جل وعلا جواد كريم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ـ نبينا محمد ـ وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

الإسراف والتبذير

الإسراف والتبذير:

المعنى اللغوي للإسراف : هو مجاوزة الحد[1] ، وقد ذكر القليوبي هذا المعنى اللغوي في تعريفه للإسراف ، ولكن بعض العلماء خصّ استعمال الإسراف بالنفقه والأكل .

يقول الجرجاني في «تعريفاته» : «الإسراف تجاوز الحد في النفقة . وقيل : أن يأكل الرجل ما لا يحل له ، أو يأكل ما يحل له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة . وقيل : الإسراف تجاوز الكمية ، فهو جهل بمقادير الحقوق . وقيل : هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس»[2] .

ومما سبق نستطيع القول : إن الإسراف هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان أو قول ، وإن كان في الإنفاق أشهر .

وكما يكون الإسراف في الشر يكون في الخير ، كمن تصدق بجميع ماله كما في قوله تعالى : ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾[3] .

والإسراف كما يكون من الغني ، فقد يكون من الفقير أيضاً ، لأنه أمر نسبي .

والإسراف يكون تارة بالقدر ، ويكون تارة بالكيفية ، ولهذا قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ : «ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف ، وإن كان قليلاً»[4] .

وكذا قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «من أنفق درهماً في غير حقه فهو سرف»[5] .

التبذير : هو تفريق المال وإنفاقه في السرف . قال تعالى : ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيْراً﴾[6] ، وخصّه بعضهم بإنفاق المال في المعاصي ، وتفريقه في غير حق[7] .

ويعرّف بعض الفقهاء التبذير بأنه : «عدم إحسان التصرف في المال ، وصرفه فيما لا ينبغي ، وأما صرف المال إلى وجوه البر فليس بتبذير ، وصرفه في الأطعمة النفيسة التي لا تليق بحاله تبذير»[8] .

وعلى هذا فالتبذير أخص من الإسراف ؛لأن التبذير يستعمل في إنفاق المال في السرف أو المعاصي ، أو في غير

حق، والإسراف أعم من ذلك، لأنه مجاوزة الحد، سواء أكان في الأموال أم في غيرها، كما يستعمل الإسراف في الإفراط في الكلام أو القتل وغيرهما.

وقد فرّق ابن عابدين بين الإسراف والتبذير من جهة أخرى، فقال: «التبذير يستعمل في المشهور بمعنى الإسراف، والتحقيق أن بينهما فرقاً وهو أن الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي، والتبذير: صرف الشيء فيما لا ينبغي»[9].

ومثله ما جاء في «أدب الدنيا والدين»: «التبذير: الجهل بمواقع الحقوق، والسرف الجهل بمقادير الحقوق»[10].

ويقول الراغب الأصفهاني: «إن التبذير في الحقيقة أقبح من الإسراف لأن بجانبه حقاً مضيعاً، ولأنه يؤدي بصاحبه إلى أن يظلم غيره، ولهذا قيل إن المبذر أقبح لأنه جاهل بمقدار المال الذي هو وعليه، فالإسراف والتبذير بينهما علاقة عموم وخصوص، تخضع لقاعدة: «إذا اجتمعا اتفقا، وإذا افترقا اختلفا»[11].

أسباب الإسراف والتبذير:

وللإسراف والتبذير أسباب وبواعث توقع فيه، وتؤدي إليه، نذكر منها[12]:

١ - جهل المسرف بتعاليم الدين الذي ينهى عن الإسراف بشتّى صوره، فلو كان المسرف مطلعاً على القرآن الكريم والسنة النبوية لما اتصف بالإسراف الذي نُهي عنه ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا**﴾[13].

فعاقبة المسرف في الدنيا الحسرة والندامة ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوْماً مَحْسُوْراً**﴾[14]، وفي الآخرة العقاب الأليم والعذاب الشديد ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيْمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لاَ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيْمٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِيْنَ**﴾[15].

ومن نتيجة جهل المسرف بتعاليم الدين مجاوزة الحد في تناول المباحات، فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى السّمنة وضخامة البدن وسيطرة الشهوات، وبالتالي الكسل والتراخي، مما يؤدي به إلى الإسراف.

جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنهما مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من

السرف»[١٦] .

٢ ـ النشأة الأولى : فقد يكون السبب في الإسراف إنما هي النشأة الأولى ، أي الحياة الأولى[١٧] ، ذلك أن الفرد قد ينشأ في أسرة حالها الإسراف والبذخ ، فما يكون منه سوى الاقتداء والتأسي .

ولعلنا بهذا ندرك شيئاً من أسرار دعوة الإسلام وتأكيده على ضرورة اتصاف الزوجين والتزامهما بشرع الله وهديه ، قال تعالى : ﴿وَانْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِيْنَ مِن عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُم﴾[١٨] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أنّ النبي ﷺ قال : «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[١٩] .

٣ ـ الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغي أن تكون .

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغي أن تكون ، ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا أنها لا تثبت ولا تستقر على حال واحدة . والواجب يقتضي أن نضع النعمة في موضعها ، وندّخر ما يفيض عن حاجتنا الضرورية من مال وصحة إلى وقت آخر .

٤ ـ السعة بعد الضيق : وقد يكون الإسراف سببه السّعة بعد الضيق ، أو اليسر بعد العسر ، ذلك أن كثيراً من الناس قد يعيشون في ضيق أو حرمان أو شدة أو عسر ، فإذا هم صابرون محتسبون ، وقد يحدث أن تتبدل الأحوال فتكون السّعة بعد الضيق ، أو اليُسْر بعد العُسْر ، وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط أو الاعتدال فينقلب على النقيض تماماً ، فيكون الإسراف والتبذير .

٥ ـ صحبة المسرفين : وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي صحبة المسرفين ومخالطتهم ، ذلك أن الإنسان غالباً ما يتخلق بأخلاق صاحبه وخليله ، إذا أن المرء كما قال ﷺ : «على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل»[٢٠] .

٦ ـ حب الظهور والتباهي[٢١] : وقد يكون الإسراف سببه حب الشهرة والتباهي أمام الناس رياءً وسمعة ، والتعالي عليهم ، فيظهر لهم أنه سخي وجواد ، فينال ثناءهم ومدحهم ، لذا ينفق أمواله في كل حين وبأي حال ، ولا يهمه أنه أضاع أمواله وارتكب ما حرّم الله .

٧ ـ المحاكاة والتقليد : وقد يكون سبب

الإسراف محاكاة غيره وتقليدهم حتى لا يوصف بالبخل ؛ فينفق أمواله كيفما كان من غير تبصر أو نظر في العاقبة التي سينتهي إليها[٢٢] .

٨ ـ الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف والتبذير : وقد يكون السبب في الإسراف والتبذير إنما هو الغفلة عن الآثار المترتبة عليهما ، ذلك أن للإسراف آثاراً ضارّة ، وللتبذير عواقب مهلكة ، ولقد عرف من طبيعة الإنسان أنه غالباً ما يفعل الشيء أو يتركه ، إذا كان على ذكر من آثاره وعواقبه ، أما إذا غفل عن هذه الآثار ، فإن سلوكه يختل ، وقد تبين من خلال دراسة ميدانية [٢٣] عن المشكلات الاقتصادية التي تواجه الشباب أن معظم التعبيرات الحرة من أفراد عينة البحث كانت تعبّر عن التبذير والإسراف في غير مكانه بنسبة ٢,٨٪ ومن نماذج تعبيراتهم الحرة : «إنني مبذر أذهب إلى المحل وأنا لا أحدد ما سأشتري» ، «عدم التوازن في النفقات وعدم تنظيم الصرف» ، «أحياناً أضع مالاً في غير مكانه الصحيح» ، «عدم قدرتي على حفظ نفسي من صرف المال» ، هذه التعبيرات تبرز حاجة الشباب خاصة إلى المنهج الإسلامي في معالجة ظاهرة الإسراف والتبذير وإنفاق المال في كل ما هو شرعي وغير ضار .

نماذج من الإسراف والتبذير:

يذكر الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله صوراً من الإسراف فيقول : «من الإسراف الأكل فوق الشبع ، ومن الإسراف الاستكثار من المباحات والألوان ، ومن الإسراف أن يضع على المائدة من ألوان الطعام فوق ما يحتاج إليه للأكل ، ومن الإسراف أن يأكل وسط الخبز ويدع حواشيه ، أو يأكل ما انتفخ من الخبز كما يفعله بعض الجهال يزعمون أن ذلك ألذّ ، ومن الإسراف التمسح بالخبز عند الفراغ من الطعام من غير أن يأكل ما يتمسح به ، ومن الإسراف إذا سقط من يده لقمة أن يتركها . . ثم يقول رحمه الله : وأمر اللباس نظير الأكل في جميع ما ذكرناه»[٢٤] .

ويذكر أبو الحسن الماوردي رحمه الله نماذج من التبذير فيقول : «من التبذير أن ينفق ماله فيما لا يجدي عليه نفعاً في دنياه ، ولا يكسبه أجراً في أخراه ، بل يكسبه في دنياه ذمّاً ، ويحمل إلى آخرته إثماً ، كإنفاقه في المحرمات ، وشرب الخمر وإتيان الفواحش وإعطائه السفهاء من

المغنّين والمُلْهين والمساخر والمضحكين ، ومن التبذير أن يشغل المال بفضول الدور التي لا يحتاج إليها وعساه لا يسكنها أو يبنيها لأعدائه ولخراب الدهر الذي هو قاتله وسالبه ، ومن التبذير أن يجعل المال في الفُرُش الوثيرة والأواني الكثيرة الفضية والذهبية التي تقل أيامه ولا تتسع للارتفاق بها . .»[٢٥] .

ثم يقول : «وكل ما أنفقه الإنسان مما يكسبه عند الله أجراً ويرفع له إليه منزلة ، أو يكسب عند العقلاء وأهل التمييز حمداً فهو جود وليس بتبذير وإن عَظُمَ وكَثُرَ . وكل ما أنفقه في معصية الله التي تكسبه عند الله إثماً وعند العقلاء ذماً فهو تبذير وإن قلّ ونزر»[٢٦] .

وليس واقع العالم الإسلامي ببعيد عن هذه النماذج وتلك الصور[٢٧] ، ونذكر فيما يلي نماذج أخرى من التبذير والتبديد ، وأشكالاً من الإسراف والسفه ، وألواناً من الهدر والضياع ، نتيجة السلوك الاستهلاكي غير الرشيد في واقع العالم الإسلامي ، من ذلك[٢٨] :

١ ـ الخمور والمخدرات والدخان : هذه صنوف استهلاكية ضارة من شأن الإنفاق عليها أن يستنفذ جانباً من القوة الشرائية العامة ، هذا الجانب يعد ضياعاً ، بمعنى أنه كان سيصرف على الضروريات لو لم يصرف عليها . ونجد العالم الإسلامي يستهلك مواد مخدّرة بمئات الملايين من الدولارات[٢٩] ، وقد أوضحت الدراسات التي شاركت فيها منظمة الصحة العالمية ؛ أنه في الوقت الذي بدأ فيه التدخين يقل في بعض أجزاء العالم بفضل زيادة الوعي الصحي في هذه البلدان ، فإنه من المؤسف تعاطي التبغ مثلاً ازداد في بلدان العالم الإسلامي ، وبلغت نسبة الزيادة في آسيا ٣٠٪ ، أما في إفريقيا فقد زادت نسبة تعاطي التبغ بدرجة كبيرة بلغت ١٧٠٪[٣٠] .

وفي دراسة أخرى أعدّها أحد الباحثين أوضح فيها أن حجم الأموال التي تنفق على عمليات الاتجار بالمخدرات في الوطن العربي تجاوز مبلغ ٥٠ مليار دولار سنوياً[٣١] .

٢ ـ الإفراط في الطعام : إن الإنسان إذا أكثر من الطعام ، لم يستطع له هضماً ، حيث يصاب بالتخمة وعُسر الهضم ، وقد يحدث أن تصاب المعدة بالاتساع والتمدد نتيجة الإفراط في تناول الطعام فيفقد المرء شهيته للأكل وإن تناول طعاماً لم

يستطع له هضماً ، فقد يصاب نتيجة لذلك بالإسهال أو الإمساك ، كما أن الإسراف في الطعام يؤدي إلى البدانة ، ومن ثم يتعرض الإنسان لأمراض القلب وارتفاع الضغط وأمراض الكلى والسكر .

ولا تقتصر مشكلة الإسراف في الطعام على استهلاكه ، بل تمتد لتشمل بعض السلوكيات المرتبطة به ، وفي هذا الصدد تشير بعض الدراسات التي أجريت في الكويت أن ما يُلقى ويتلف من مواد غذائية ويوضع في صناديق القمامة كبير إلى الحد الذي قد تبلغ نسبته في بعض الحالات ٤٥٪ من حجم القمامة . وفي مدينة الرياض أظهرت دراسة أعدتها أمانة مدينة الرياض عن نفايات المدينة أن كمية النفايات اليومية لكل فرد من نفايات المواد الغذائية تبلغ ١٠٦٠ جراماً ، والملاحظ في دول الخليج العربي أن كمية المواد الغذائية التي تلقى في القمامة كبيرة جداً بالمقارنة مع غيرها من دول العالم[٣٢] .

٣ ـ الإعلان والعادات الشرائية الخاطئة : من أهم مظاهر الضياع في الاستهلاك ، الخسارة الاقتصادية الناجمة عن الجهل والخرافة في شراء الضروريات . فالعادات الشرائية تميل لأن تكون ثابتة مهما كانت خاطئة ، وغالباً ما يقوم استهلاك الفرد على أساس عشوائي مرتجل لا على أساس رشيد ، إذ هو يستند على عادات شرائية غالباً ما تكون خاطئة ، ويستمر الفرد في أدائها ، لأنه وجدها هكذا أو بدافع التقليد لغيره .

ومن أوضح الأمثلة للعادات الشرائية الخاطئة : أن الناس يشترون التفاح للونه الأحمر وليس لقيمته الغذائية ، كما يفضّلون الخبز الأبيض والأرز المقشور على الخبز الأسمر والأرز غير المقشور ، وهما الأفضل من الوجهة الغذائية . فإذا أمكننا بأية طريقة تعليم المستهلك الأصناف التي تعطي قيمة غذائية قصوى أقل نفقة لاقتصدنا الكثير من العمل الإنتاجي ، وهذا ما تناوله بالتفصيل هنري هاراب[٣٣] في كتابه «تعليم المستهلك» .

ويعد الإعلان مسئولاً إلى حد كبير عن تكوين مثل هذه العادات الشرائية الخاطئة ، فقد يعمد المعلنون إلى تشكيك الناس في سلع قديمة أو سلع جديدة في حوزتهم لم تبل أو تستنفد بعد ، لينصرفوا عنها إلى شراء سلع جديدة ، وهذا أيضاً يمثل ضياعاً في الموارد الاستهلاكية .

ومن خلال الدراسات والتحقيقات[٣٤] التي أجريت تبيّن أن الإعلانات التجارية تمارس دوراً كبيراً في خداع المستهلك ، وفي دفعه إلى المزيد من الشراء لأشياء كثيرة لا حاجة به إليها فعلاً ، وهذا هو الإسراف بعينه ، بل وتمارس الإعلانات دوراً في تقلب البواعث الوجدانية كالتقاليد وحب التميز والزهو والطموح والدهشة وما إلى ذلك من خلجات النفس التي تسعى الإعلانات لإثارتها في الإنسان .

٤ ـ جنون الأزياء وتعدد أنماط المنتجات : إن تغيرات الأزياء والنماذج المتعددة إن هي إلا تقلبات مفتعلة لحمل المستهلكين على الشراء ، مع أنها لا تعكس رغباتهم ، وقد تتنافر مع أذواقهم إلى حد كبير ، وهم إذ يقبلون عليها فإنما يفعلون ذلك تحت تأثير الحملات الإعلانية الواسعة النطاق التي تولّد في نفوسهم شعوراً بأنهم يكونون متأخرين إذا لم يقبلوا عليها ، وتبدو هذه الظاهرة بوضوح في أزياء النساء ، كما امتدت أيضاً إلى السيارات وأجهزة المذياع والتلفزيون والأثاث وبعض السلع التموينية[٣٥] ؛ إذ أصبح الأغنياء يغيّرون هذه الأشياء سنوياً ليتمشوا مع الطراز الحديث .

والمستهلك قد يترك بعض السلع قبل أن يحصل على الفائدة المرجوة منها ، أو قبل أن تصبح غير صالحة للاستعمال ، وهذا ما يعبر عنه اقتصادياً بنقص في جملة الإشباع العام ، وهو من أبرز نواحي الضياع في النظام الاقتصادي .

٥ ـ الإنفاق العسكري : وهو من أهم مظاهر الضياع في الموارد الاستهلاكية ؛ وذلك لاستنفاذه لجانب كبير من ميزانيات الدول التي كانت ستعود على الجميع بالنفع الكثير ، لو أنفق على المشروعات والخدمات العامة لرفع مستوى المعيشة .

وإن كان هذا الإنفاق العسكري قد يتمخّض عنه اكتشافُ فنٍّ إنتاجيٍّ يفيد في القطاع المدني خاصة في الدول النامية .

غير أن من السمات الرئيسة للدول النامية ومنها الدول الإسلامية وجود العديد من بنود الإنفاق الحكومي التي تتسم بالضخامة والتبذير والضياع ، ولا تتحقق التنمية إلا بضغط بنود الاستهلاك الحكومي التي تتسم

بالإسراف والتبذير[٣٦] .

والجدول التالي يبين حجم الإنفاق العسكري وأثره على محاولات التعليم والصحة وغيرها من الخدمات :

ترشيده أو تكامله بين الأقطار العربية سوف يتيح موارد إضافية لمجالات التنمية البشرية ومن أهمها قطاع التربية والتعليم .

الآثار المترتبة على الإسراف والتبذير:

لا شك أن هناك العديد من النتائج

حجم الإنفاق العسكري في الوطن العربي(*)

الإنفاق العسكري ٪ إلى الناتج القومي		الانفاق العسكري ٪ إلى الصحة والتعليم	واردات أسلحة بالمليون دولار	صافي المساعدات للتنمية ٪ إلى الانفاق العسكري	أفراد القوات ٪ المسلحة إلى المعلمين
١٩٦٠	١٩٨٦	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٦	١٩٨٦
٥,٤	١٢	١٧٧	١٢,٢٥	١٠٨	١٩٨

(*) مصدر الجدول: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي . تقرير عن التنمية البشرية في العالم ١٩٩٠م. نيويورك جدول ١٨.

يبيّن الجدول أن الإنفاق العسكري منسوباً إلى الناتج القومي قد ارتفع من ٥,٤٪ عام ١٩٦٠م إلى ١٢٪ عام ١٩٨٦م ، وأنه يعد من أعلى نسب الإنفاق بمعايير أخرى كالإنفاق على الصحة والتعليم أو الخدمات الاجتماعية الأخرى ، وأن أفراد القوات المسلحة يبلغون ضعف عدد المعلمين تقريباً . ومن ثم فإن تخفيض الإنفاق العسكري أو

والآثار السيئة المترتبة على شيوع ظاهرة الإسراف والتبذير ، ومن ذلك[٣٧] :

١ ـ الإسراف وخطره على العقيدة :

الإسراف يرفع مستوى معيشة الفرد والأسرة رفعاً كاذباً يفوق الدخل الحقيقي المستمر ، ثم لا تكاد المكاسب الجانبية تزول ولا يبقى سوى الدخل الحقيقي ، حتى يلجأ كثير من المسرفين إلى طرق غير شريفة لاستمرار التدفق النقدي

وتحقيق المستوى العالي من الإنفاق الذي اعتادوه فتمتد اليد بشكل أو بآخر فيقعوا تحت وطأة الكسب الحرام ، ذلك أن المسرف قد تضيق به أو تنتهي به موارده ، فيضطر تلبية وحفاظاً على حياة الترف والنعيم التي ألفها إلى الوقوع في الكسب الحرام ، وقد جاء في الحديث : «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به»[٣٨] .

٢ ـ الإسراف نوع من التسرع والتهور : الإسراف نوع من التهور والتسرع وعدم التبصر بعواقب الأمور ، وقد يكون دليلاً على عدم الحكمة في تحمل المسئولية ، وكل ذلك يؤدي إلى وخيم العواقب وسيىء النتائج ؛ فهو يقتل حيوية الأمة ، ويودي بها إلى البوار والفساد ، ويملأ القلوب حقداً وضغينة ، ويقضي على حياة الأمن والاستقرار كما أن فيه كسراً لنفوس الفقراء ، وبطراً لأهل الغنى[٣٩] .

٣ ـ الإسراف ودواعي الشر والإثم : فالسرف داع إلى أنواع كثيرة من الشر ؛ لأنه يحرّك الجوارح إلى المعاصي ويشغلها عن الطاعات ، كما أنه يحرك الغرائز الساكنة أو الكامنة في هذه النفس ، وحينئذ لا يؤمن على الفرد من الوقوع في الإثم والمعصية ؛ فالشيطان أعظم ما يتحكم في الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن ، بحسب ابن آدم لُقَيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسه»[٤٠] .

٤ ـ الإسراف وتأثيره على البيئة : يعتبر الإسراف سبباً رئيسياً من أسباب تدهور البيئة واستنزاف مواردها . وهو وإن كان متعدد الصور والأساليب ، إلا أنه يؤدي بشكل عام إلى نتيجة واحدة : إهلاك الحرث والنسل ، وتدمير التوازن البيئي[٤١] .

٥ ـ الترف والدعوة إلى النعومة والليونة : يؤدي الترف إلى النعومة والليونة ، التي تدفع الناس إلى الرذائل ، وتقعد بهم عن الجهاد والتضحية ، وفي ذلك أعظم الخطر على الأمة .

٦ ـ التبذير والهوى : التبذير مما يأمر به الهوى ، وينهى عنه العقل ، وأحسن الأدب في هذا تأديب الحق سبحانه حين قال : ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾[٤٢] .

فالإنسان قد يعطي رزق شهر في يوم ، فإذا بذّر فيه بقي شهراً يعاني البلاء ، وإذا

دبّر منه عاش شهراً طيب النفس .

٧ ـ عدم الرعاية والاهتمام بالآخرين :

ذلك أن الإنسان لا يراعي الآخرين ولا يهتم بهم غالباً ، إلا إذا أضناه التعب وغصته الحاجة ، كما أُثر عن يوسف عليه السلام لما سُئل : لا نراك تشبع أبداً؟ قال : أخاف إن شبعت أن أنسى الجياع[٤٣] ، والمسرف مغمور بالنعمة من كل جانب ، فأنّى له أن يفكر أو يهتم بالآخرين .

● الهوامش :

(١) ينظر : ابن منظور «لسان العرب»(٤٨/١١) ، والفيروزآبادي «القاموس المحيط» (١٥٦/٤)٠

(٢) ينظر : القليوبي «حاشية منهاج الطالبين» دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي ، د . ت . (٢٤٨/٣) ، وابن عابدين «حاشية رد المحتار» (٤٨٤/٥) ، والجرجاني «التعريفات» (ص ٣٨) .

(٣) سورة الأنعام : ١٤١

(٤) الراغب الأصفهاني «المفردات في غريب القرآن» (ص ٢٣٠) .

(٥) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٨٧م ، (٧٢/١٣) .

(٦) سورة الإسراء : ٢٦ .

(٧) ينظر : ابن منظور «لسان العرب» (٥٠/٤) .

(٨) ينظر : النووي «تحرير ألفاظ التنبيه» ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٨هـ ، (ص ٢٠٠) .

(٩) ابن عابدين «حاشية رد المحتار» (٤٨٤/٥) .

(١٠) أبو الحسن الماوردي «أدب الدنيا والدين» ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، (ص ١٨٧) .

(١١) الراغب الأصفهاني «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ (ص ٢١٦) .

(١٢)ينظر : السيد محمد نوح «الإسراف أسبابه وآثاره وعلاجه» ، مجلة الاقتصاد الإسلامي ، بنك دبي الإسلامي ، دبي ، ع ٥٠ ، محرم ١٤٠٦ هـ ، (ص ١٧ ـ ٢٥) ، ورفعت أحمد الغامدي «أسباب الإسراف ومضاره وموقف الإسلام منه» مجلة الرابطة ، مكة ، ع ٢٨١ ، ذو الحجة ١٤٠٨هـ ، (ص ٣٨) .

(١٣) سورة الأعراف : ٣١ .

(١٤) سورة الإسراء : ٢٩ .

(١٥) سورة الواقعة : ٤١ ـ ٤٥ .

(١٦)ينظر : ابن مفلح المقدسي «الآداب الشرعية والمنح المرعية» ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ١٣٩١ هـ ، (٢٠١/٣) .

(١٧) جريدة الجزيرة «أين التربية الاقتصادية؟ لا تعوّدوهم على الإسراف» ، حوار ، ع ٧٠٤٦ ، ٩/ ٧/ ١٤١٢هـ ، (ص ٩) .

(١٨) سورة النور : ٣٢ .

(١٩)أخرجه البخاري في «صحيحه» ، كتاب النكاح . ينظر البخاري «صحيح البخاري» ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، توزيع مكتبة العلم ، جدة ، ١٩٨١م ، (٩/٧) .

(٢٠) أخرجه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن غريب ، وأحمد والحاكم وقال : صحيح ، ووافقه الذهبي ، وحسّنه الألباني ، ينظر : الألباني «صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير» (رقم ٣٥٣٩) .

(٢١) جريدة المدينة «الإسراف والتبذير في المناسبات» ، تحقيق ، ع ٨٩٧٩ ، ١٤١٢/٦/٩هـ . (ص ٢) .

(٢٢) مجلة الدعوة «الإسراف والتبذير من المسئول» ، تحقيق ، ع ١٢٥٠ ، ١٤١٠/١٢/٢٧ هـ . (ص ٢٠ ـ ٢٣) .

(٢٣) وليد شلاش شبير «مشكلات الشباب» ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ، (ص ٢٨٠) .

(٢٤) محمد بن الحسن الشيباني «الكسب» (ص ٧٩ ـ ٨٣) .

(٢٥) أبو الحسن الماوردي «نصيحة الملوك» ، تحقيق خضر محمد خضر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٣ هـ ، (ص ٣٦) .

(٢٦) أبو الحسن الماوردي «نصيحة الملوك» (ص ٣٦) .

(٢٧) ينظر : مجلة المقتطف «تبذير الشرق وتدبير الغرب» ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ع٥ ، (ص ١١٠ ـ١١٢) ، وع٦ ، (ص ١٢٨ ، ١٣١) . و مجلة الدعوة «المبذرون» ،

تحقيق ، ع ١٠٣٠ ، ١٤٠٦/٦/١٥هـ ، (ص ١٤ ـ ٢٠) . ومجلة لواء الإسلام «الإسراف في الأفراح والمآتم» ، ع ١٠ ، جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ ، (ص ٦٥٢ ـ ٦٥٣) .

(٢٨) ينظر : عبد المغني سعيد «نحو الرشد الاقتصادي» (ص ١٧٤ ـ ١٨٢) . ود . نادر فرجاني «هدر الإمكانية» ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٥م ، (ص ٤٩ ـ ٧٩) ، ومحمد عبد القادر الفقي «الإسراف وتأثيره على البيئة» ، مجلة منار الإسلام ، الإمارات ع ٨ شعبان ١٤٠٩هـ (ص٣٨ـ٦٥)

(٢٩) ينظر : لؤلؤة صالح آل علي «الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة» ، دار ابن القيم ، الدمام ١٤٠٩هـ ، (ص ٤٨٩ ، ٥٤١ ، ٥٩١) ، وجريدة الندوة «المخدرات الخطر القاتل : العالم العربي يستهلك مواد مخدرة بمئات الملايين من الدولارات» ، تحقيق ، ع ٩١٦٤ ، ١٤٠٩/٨/١٦هـ ، (ص ١١) .

(٣٠) مجلة النور «الاستعمار السجائري» ، تحقيق ، الكويت ، ع ٧٢ ، صفر ١٤١٠هـ ، (ص ٦ ـ ١٠) .

(٣١) مجلة الاقتصاد الإسلامي «٥٠ مليار دولار سنوياً تنفق في الوطن العربي على المخدرات» ، دبي ، ع ١٣١ ، شوال ١٤١٢هـ ، (ص ١٨) .

(٣٢) محمد عبد القادر الفقي «الإسراف وتأثيره على البيئة» (ص ٥٥ ـ ٥٦) .

(٣٣) H. Harrap, "The Education of The Consumer", Mc Graw Hill, New York, 1950, p 60 - 85.

(٣٤) ينظر : د . نعيم أبو جمعة «الخداع الإعلاني وأثره على المستهلك في دولة الكويت» ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ، الكويت ، ع ٥٠ ، شعبان ١٤٠٧ هـ ، (ص ١٥ ـ ٧٣) . وجريدة اليوم «الإعلانات التجارية والإسراف» ، تحقيق ، ع ٦٨٣٢ ، ١٤١٢/٨/٢٥هـ ، (ص ١١) .

(٣٥) ينظر : ياسر عبد الحميد الخطيب «سيكولوجية المستهلك السعودي وتصرفاته الشرائية وأثر ذلك على السياسات التسويقية في قطاع السيارات» ، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم إدارة الأعمال ، كلية التجارة ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ ، (ص ٣١٠ ـ ٣٤٠) ، غير منشورة . ود . صديق محمد عفيفي «تأثير اعتبارات الموضة على سلوك المستهلك» دراسة ميدانية في مدينة القاهرة . مجلة المحاسبة والإدارة والتأمين ، كلية التجارة ، جامعة القاهرة . القاهرة ، ع٢١ ، ١٩٧٤م ، (ص ١٨٤ ـ ١٩٤) .

(٣٦) ينظر : د . زغلول النجار «قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر ، كتاب الأمة (٢٠) ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر ، ١٤٠٩هـ ، (ص ٦٦) . وسيد خليل «مواكب الإسراف الحكومي مستمرة» تحقيق ، مجلة لواء الإسلام ، القاهرة ، ع ٨ ، ربيع الآخر ١٤١٠ هـ ، (ص ١٨ ـ ٢١) . ود . محمد شوقي الفنجري «الإنفاق العسكري وتجارة الموت» ، جريدة الشرق الأوسط ، الرياض ع ٣٠٨٧ ، ١٤٠٧/٩/١٥هـ ، (ص ١٤) .

(٣٧) السيد محمد نوح «الإسراف أسبابه وآثاره وعلاجه» (ص ١٧ ـ ٢٧) . وعبد الله الجعيثن «الإسراف وخطره على العقيدة» ، مجلة الدعوة ، الرياض ، ع ١١٢٨ ، ١٤٠٨/٦/٢٠ ، (ص ٢٤) . ومجلة البيان «عواقب التبذير» ، لندن ، ع ١٣ ، ذو الحجة ١٤٠٨هـ ، (ص ٤ ـ٧) .

(٣٨) أخرجه البخاري في «صحيحه» ، كتاب العلم (٣٧/١) .

(٣٩) د . حمد الجنيدل «نظرية التملك في الإسلام» مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ ، (ص٨١) .

(٤٠) رواه الترمذي في «الزهد» ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، رقم ٢٣٨١ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أيضاً ابن حبّان وابن ماجه والحاكم وصححه الذهبي . ينظر : ابن الأثير «جامع الأصول في أحاديث الرسول» ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة الحلواني بيروت ١٣٩١هـ ، (٤١٠/٧)

(٤١) محمد عبد القادر الفقي «الإسراف وتأثيره على البيئة» (ص ٥١) .

(٤٢) سورة الإسراء : ٢٦ .

(٤٣) أورد هذا الأثر : محمد قره علي «سنابل الزمن» ، مؤسسة نوفل ، بيروت ١٩٨٦م ، (ص ٢٦٤) .

قلت : أخرجه الدينوري في «المجالسة» (رقم ١٩٢) بسند واه جدًا ، وأورده ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢٠٤/٢) وغيره ، كما بيّنه الأخ مشهور محقق «المجالسة» (الأصالة) .

* * *

بقلم : الشيخ علي بن حسن الحلبي

طبعة (أبو صهيب الكرمي) من «صحيح البخاري»

استرعى انتباهي - قبلَ شهورٍ قليلة - نسخةٌ أنيقةٌ ، جميلةُ - المظهر - من «صحيح البخاري» ؛ مطبوعةٌ في مجلّد واحد فاشتريتُها ، وقلّبتُ صفحاتها ، ونظرتُ ما فيها ؛ فرأيتُ أُموراً مِن الواجبِ التنبيهُ عليها ، والتحذير منها ، فأقول :

ناشرُ هذه الطبعة بيتُ الأفكارِ الدوليّة ، وكُتب على غِلافها : (**اعتنى به : أبو صُهَيْب الكرمي**) ، وقد قال هذا (الكرمي) - من ضمن ما قال عن صَنيعه في نسخته - : (**مصحَّحَةُ الأخطاءِ التي وقعَ فيها المُحققّون**) فدفعني ذلك حثيثاً - إلى النظر (!) شيئاً ما (!) فيها ؛ لمعرفة حقيقتها ، وكَشف خوافيها!! فرأيت عجباً غريباً ، وشاهدتُ أمراً مُريباً!! من **السَّقطِ ، والتحريفِ ، والخَلَل ، والتَّزيُّد** ، و . . . و . . . و . . . في بِضع عشَرات - فقط - من الصَّفحات التي نظرْتُها ، وقَلَّبْتها ، **ومن غَير استقصاءٍ ، ولا تَتبُّع!!**

ولولا أنّي على معرفةٍ (!) بأبي صُهَيْب الكَرميّ - هذا - ودعاويه (المتشبِّعة) - من قبلُ! - لَما صنعتُ ذلك ، ولأعرَضْتُ عمّا هُنالك ؛ **فكلٌّ يخطىءُ ، وكلٌّ يغلَطُ!** لكنّ الأمر مع (هذا) مختلف!! لما هو عليه (حقيقةً) من معرفة - **ولا أقول : عِلْم!** - وفِكرٍ ، وتصورٍ[1]!! فضلاً عن وجوبِ ردِّ تغريره بالناس ، ولُزومِ دفع اغترارهم بنُسختهِ وكلامه!!

ولمن لا يعرفُ الكرميَّ - هذا - أقولُ : هو (حسان عبد المنان) **المُنكَشف حاله عند أهل العلم! والمعروف مآله عند طلبة العلم!!** فأرادَ (المُسَيْكين) - **تحت ضغط** (واقعه) (!) وما هو فيه - أن (يغيّر) شيئاً من صورته (!) كي (**يستطيع**) أن (**يُمرّر**) ما عنده **تحت غطاء آخر!!!** حتى لو كان ذلك (المُغَيَّر) **اسمه وشهرته!!** فلا حول ولا قوّة إلا بالله ؛ مستعيذاً به - جلّ في علاه - ، من كلّ من أرداه هواه .

ولقد نقدَ هذا (**الجَباليّ! الطيبيّ! المقدسيّ! الكرميّ!**) - بل نقضه - شيخُنا

العلامة الألبانيّ ـ حفظه الله ، وقوّاه ، وعافاه ـ في مواضعَ متعدّدة من كتابِهِ ـ «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ـ مجلّدات : ١ ، ٢ ، ٦ ـ الطبعات الجديدة ـ ؛ من ذلك ما وصفه في (٢/٧٨١) ـ منها ـ بأنه **(الجاني على نفسه ، وعلى سنّة نبيّه ﷺ)!!** ، ووصفه في (٦/٩٦٩ و١٣٥٦) ـ أيضاً ـ بـ : **(الهَدَّام)!!** وفي (١/٢/٩٣٠) بـ **(مُضعِّف الأحاديث الصحيحة)!!** ووصفه في كتابه «تحريم آلات الطرب» (ص ٣٢) بـ **(المعتدي على الأحاديث الصحيحة)** ، وقال في (١/٢/٩٤٦) ـ من «السلسلة» ـ : **(فالخلاف بيننا وبينه أصوليّ جذريّ . . . شأنه في ذلك شأن كل الفرق الضّالة قديماً وحديثاً . .)!!** وقد ذكره في (١/١/٢٧) ـ بعد السقاف المبتدع ـ قائلاً : (﴿**تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾)[٢]!! ، ووصفه في (١/٢/٩٤١) بأنّه : **(مغرمٌ بالمخالفة والمشاكسة)!!**

وفي كتاب : «تحريم آلات الطرب» ـ أيضاً ـ رُدود أخرى عليه ؛ منها قوله (ص ٣١) ـ بعد أن وصفه بـ **(الخروج على المحدثين والفقهاء)!** قال : **(الذي اشتطّ في تتبُّع الأحاديث الصحيحة وتضعيفها ، مخالفاً لحُفّاظ الحديث ونُقّاده ، مُتظاهراً أنّه مجتهدٌ في ذلك غيرُ مُقلّد! مموِّها على القُرّاء بأمورٍ مُخالفة للواقع!!** وقد تيسّر لي الردّ عليه في بعض ما ضعّف ، **وبيّنت أنه متسلّق على هذا العلم ، يريد البروز والظهور ، ويَصدُق عليه قول الحافظ الذهبي : «وكيف يطير ولمّا يُرَيِّش؟!»** ومن تلك الأحاديث حديث البخاري [في تحريم المعازف] ، **وقد تفنّن في تضعيفه ، وجاء بما لم تأتِ به الأوائل! حتى ولا ابن حزم!! وقد بيّنت جهله في ذلك ، وإنكارهُ ، وقلبه للحقائق . . .)** . . .

. . . فإلى ملاحظاتي العلميّة (السريعة) عليه ؛ عسى أن يعتَبِر ويتَّعظ ؛ ليعلم ـ ويوقن ـ أنّ الأساليب **(الحلزونيّة)** الملتفة لا تُجدي ولا تصلُحُ ـ ولا سيّما في العلم ـ ، **وأن العلم فضّاح لغير أهله** ، وأنّ الصراط المستقيم هو أعدَل الطرق ، وأيسرها ، وأقربُها إلى الرّشاد والسّداد ؛ **لعلّه يكون له ـ من نفسه ـ معرفة بحقيقة نفسه ، والله الهادي :**

ـ زاد في الصفحة الأولى ـ وهي برقم (٢١) في العمود الثاني ، عند الحديث (٣) ـ حرف (لا) بين قوله : «قبل أن ينزِع

إلى أهلِه» ، وقــوله : «ويتــزوَّد لذلك» ؛ فـصــارت الجــملة هكذا : «لا ويتــزوَّد لذلك»!!

ـ سقط من (ص ٤٥) ـ العمود الأول ـ (ح ٩٩) في آخـره عـبـارة بين قـوله : «لِما» ، وقوله : «مَن قال» ، وهي : «رأيتُ من حرصِك على الحديث ؛ أسعدُ النّاس بشفاعتي يومَ القيامة»! فصارت العبارة مع السَّقط ـ هكذا ـ : «لما من قـال : لا إله إلا الله»!!

ـ سـقط من (ص ٧٢) ـ بعـد حديث (٢٥٣) ـ قـول البـخـاري : (وقـال يزيد بن هارون ، وبُهز ، والجُدِّيّ : عن شُعبة : قـدرَ صاع)!

ـ فـي (ص ٨٢) (ح ٣١٥) زادَ بـين قـوله : (أن امـرأة من الأنصـار قـالت للنبيّ ﷺ) ، وقوله : (كـيف أغتسل) ؛ كلمة (لا) ، فـصارت العبـارة ـ هكذا ـ : (قـالت للنبي ﷺ : لا كيف أغتسل)!!

ـ (ص ٨٩) (ح ٣٤٨) سـقطت بعـد

ولولا أنّي على معرفـة (!) بأبي صُهَيْب الكَرميّ ـ هذا ـ ودعاويه (المتشبِّعة) ـ من قـبلُ! ـ لَما صنعتُ ذلك، ولأعرَضْتُ عمّا هُنالك؛ فكلٌّ يخطئ، وكـلٌّ يغلَطُ! لكنّ الأمـر مع (هذا) مـخـتـلف!! لِما هو عليـه (حقـيـقةً) مـن معـرفـة ـ ولا أقـول: علْم! ـ وفكر، وتصـوّر!! فضـلاً عن وجوب ردّ تغريره بالـناس، ولُزوم دفع اغترارهم بنُسـخته وكلامه!!

ـ سـقطت جملة الصلاة على النّبيّ ﷺ من سند حـديث برقم (١٦٢) في الصفحة (٥٦) .

ـ سقطت من (ص ٦٣) ، (ح ٢٠٥) من آخر الحديث كلمةُ (خُفَّيْه)!

قـوله : (رأى رجـلاً مُعـتــزلاً لم يُصلِّ) عبـارةُ : (في القـوم ، فـقـال : يا فـلان! ما منعك أن تُصلِّي)!!

ـ في الصفحة نفسها ، والحديث نفسه زاد بعد قـوله : (في القـوم) عبارة : (فـقال

ﷺ)!!

- (ص ٩٢) (ح ٣٦١) سقط قولُهُ: (ما السُّرى يا جابر؟!) من السطر (ا - في العمود الثاني) بعد قوله: (فلما انصرف قال)!!

- (ص ٩٩) (ح ٣٩٩) سقط من سند الحديث بين (إسرائيل)، و (عن البراء بن عازب) قوله: (عن أبي إسحاق)!!

- حذفَ حرف (الفاء) من قوله: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْس وقَبْلَ غُرُوْبِهـا)، وذلك في الصفحة (١٢٨)، عند الحديث (٥٧٣)! ليتسنّى له وضعُ الجملة بين قوسَي آية (!) فإنه ليس في تلاوة القرآن: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّك قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْس وقَبْلَ غُرُوْبِها)، وإنّما التلاوة بغير (فاء)؛ بل بحرف (الواو)؛ ولو أنّه جعلها هكذا: (فـ ﴿سَبِّحْ...﴾)؛ لتخلّص من ذا، ولم يضطرّه ذلك - بعد - إلى الإخلال بالأمانة العلمية!!!

- (ص ١٣٣)، (ح ٦٠٨) وقعَ خللٌ عجيب في العبارة آخر الحديث؛ فقد جعلها: (حتى يخطُر بين المرء ونفسه يقول: كذا، لِما اذْكُر كذا، ارْذُك لَم يَكُن) وهذا عجيب! والصواب: (حتى يخطُر بين المرء ونفسه؛ يقول: اذكُر كذا، اذْكُر كذا، لِما لم يَكُنْ...)!!

ثم ضَبط يخطر؛ بكسر الطاء المهملة، والصّواب ضمُّها؛ كما في «مختار الصحاح» - (ص١٤١)، (ح ٦٦٤) سقط من الإسناد قول: (قال)، بعد قوله: (قال: الأسود)!

- في الصفحة نفسها والحديث نفسه، جعل كلمة (الأسود) مجرورة!!

- (ص ١٤٣) (ح ٦٧٠) سقط من السطر الرابع من العمود الأول كلمة (رجل) من قوله: (فقال رجل من آل الجارود)!

- (ص ١٦٥) (ح ٨٠٦)؛ وضع كلمة (حجاب) في قوله: (ليس دونَه سحابٌ)، مكان كلمة (سحاب).

- أضاف كلمة (عن) بين قوله: (أُمِرَ)، وقوله: (النّبي) في (ص ١٦٦)، (ح٨٠٩).

- سقطت عبارة (عن مسروقٍ) من سند (ح ٨١٧)، (ص ١٦٧)!!

- (ص ١٦٩)، (ح ٨٢٧) سقطت عبارة (بن عبد الله) من قوله: (عن عبد الله بن عبد الله) في سند الحديث!!

- سقطت (ص ١٧٢)، (ح ٨٤٦) من

قـوله : «أصـبـح من عـبـادي مـؤمن بي وكافر» كلمة (بي)!!

- (ص ١٧٤) ، (ح ٨٥٥) سـقط مـن آخره قوله : (وقال أحـمد بن صالح) - بعد حـديث يونس - : (عن ابن شـهـاب ، وهو يُثبت قول يونُس)!!

- نَبَّه (ص ١٧٦) إلى أنّ حـديثي (٨٧٤ ، ٨٧٥) غـيـر واردين في النسـخـة اليونينية ، وإنّما زِيْدا من «الفتح»!! مع أن الحديثين مع بابهـما واردان في آخر الجزء الأول من المجلد الأول!

- (ص ١٩٢) ، (ح ٩٦٤) جـعـلَ (سِخابَهُ) مكانَ (سِخابَها)!

- (ص ١٩٣) ، (ح ٩٦٩) أسقطَ كلمة (العَشْر) من أوّل الحديث!

أقول : هذه هي النسخة (!) مصحّحة الأخطاء التي وقع فيها المحقّقون! فكيف لو لم تكن؟!

. . . وقد سكتُّ - بل أعرضتُ - عن أضعاف أضعاف أمثال هذه الأخطاء ؛ مما غلب على ظَنّي أنه أخطاء مطبـعـيّة ، لا أغلاط (طَبْعيّة)[٣]!!

* الهوامش : ______

(١) فـهـو عـقـلاني النزعة والتوجّه ؛ ولكن بثوب : حدثنا! وأخبرنا!! ولمعرفة شيء من أدلة ذلك (!) انظر كتابي «برهان الشرع في إثباب المسّ والصرع» (ص ٦ و٧ وغيرها) ، وكتاب «تحريم آلات الطرب» (ص ١٦٦) لشيخنا الألباني .

(٢) ووصـفـه في كـتـابه «تحريم آلات الطرب» (ص ٣١) بأنّه : (ظِلّ السقّاف)!!

(٣) وله في تعليقه على كتاب «حجة الوداع» لابن حزم - نشـر (بيت الأفكار الدوليـة) أيضـاً - : أغـلاطٌ علمـيّة أخرى - متنوِّعـة - من الجـهـل بأسـمـاء الرواة ، وأخطاءِ العزو ، والأحكام الإسنادية ، وغير ذلك كثيرٌ ؛ مما لا يتّسع هذاالمقام لذكره!!

ولمعـرفـة شيء من أمـثـال ذلك - وأشـبـاهه - تُنْظر مـقـدّمـتي على «مـفـتـاح دار السـعـادة» (١/٤٨ - ٩٩) ؛ ففـيـها تعقّبات - كثيرة جداً - على (بعض) تخاريجه وتخاريفه!!

● ● ●

قال أحمد بن صالح بن أبي معشر:

إذا كنت تغضب من غير ذنب
وتعتب من غير جرمٍ عليّا
طلبت رضاك فإن عزّني
عددتُك مَيْتاً وإن كنت حيّا



بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

عالم المغرب.. القاضي عياض وكتابه «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»

يعد القاضي عياض في طليعة الرعيل الأول من علماء المغرب الذين طار ذكرهم كلّ مطار على اختلاف الأجيال والأعصار، حتى قال قائلهم: «لولا عياض ما ذكر المغرب». وشاع ذلك في كتبهم، ودار على ألسنتهم في مجال التباهي والافتخار.

اسمه ونسبه ومولده:

هو الإمام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن موسى ابن عمرو، «وقيل: ابن عمرون» بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي.

وترجع نسبته إلي يحصب بن مالك؛ قبيلة من حمير. وسبتة مدينة مشهورة بالمغرب، سكنها جدُّه بعد تحوله من الأندلس إلى فاس، وولد سنة ستٍ وسبعين وأربع مئة (٤٧٦هـ)[1].

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ القاضي عياض على عفة وصيانة، مرضيّ الحال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفاً بالنبل والفهم والخدمة، طالباً للعلم على كِبَر - فإنه لم يحمل العلم في الحداثة -، حريصاً عليه، مجتهداً فيه، معظماً عند الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم، والاختلاف إليهم، إلى أن برع زمانه، وساد جملة أقرانه؛ فكان من حفاظ كتاب الله تعالى، مع القراءة الحسنة، والنغمة العذبة، والصوت الجهير، والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه. وكان من أئمة الحديث في وقته، أصوليًا، متكلّماً، فقيهاً، حافظاً للمسائل، عاقلاً للشروط، بصيراً بالأحكام، نحويًا، شاعراً مجيداً، كاتباً بليغاً، خطيباً، حافظاً للغة

والأخبار والتواريخ ، حسن المجلس ، نبيل النادرة ، حلو الدعابة ، صبوراً ، جميل البشرة ، جواداً سمحاً كثير الصدقة ، دؤوباً على العمل ، هيّناً من غير ضعف ، صلباً في الحق ، وبلغ في التفنن في العلوم ما هو مشهور ومعلوم[٢] .

رحلاته:

أخذ العلم عن أشياخ بلده سبتة ، وأول شيء أخذ عن الحافظ أبي علي الغساني إجازةً مجردة ، وكان يمكنه السماع منه ، فإنه لحق في حياته اثنين وعشرين عاماً[٣] .

ورحل القاضي أبو الفضل إلى الأندلس سنة سبع وعشرين وخمس مئة طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين ، وأبي الحسين بن سرّاج ، وغيرهم ، ولم يطل مكثه بقرطبة . وعلى الرّغم من ذلك فإنه تأثّر كثيراً عند خروجه منها ، حتى أنه صوّر حالته وقد أرمدت عيناه من كثرة البكاء ، وأصبحت عظام صدره هواءً ؛ أي : خالية فارغة ، ويريد : أن فؤاده فارق جوانحه وخلا منه صدره ، وبقي عند أهل قرطبة ، وذلك بقوله :

أقول وقد جدّ ارتحالي وغرّدت
حداتي وزُفّت للفراق ركائبي

وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي
وصارت هواءً من فؤادي ترائبي

ولم يبق إلا وقفةٌ يستحثّها
وداعيَ للأحباب لا للحبائب

رعى الله جيراناً بقرطبة العُلا
وجاد رباها بالعهاد السواكب

وحيّا زماناً بينهم قد ألفته
طليق المحيّا مستلان الجوانب

أإخواننا بالله فيها تذكّروا
مودّة جار أو مودّة صاحب

غدوت بهم من برّهم واحتفالهم
كأنّي في أهلي وبين أقاربي[٤]

وخرج من قرطبة إلى مُرْسية سنة ثمان وخمس مئة طالباً المحدّث أبا عليّ الصَّدفي ؛ فوجده مختفياً بسبب عرض القضاء عليه ، ووجد الرّحالين إليه قد نفدت نفقات بعضهم ، ومنهم من ابتدأ كتاباً لم يتمّه ، فأخذ أكثرهم في الرجوع إلى موطنهم ، وتربّص بعضهم ، ومكث أبو الفضل شهرين لا يقع على خبر سوى الظنّ بكونه هنالك ، وقابل أثناء ذلك بأصوله وكتب منها ما أمكن على يد خاصّةٍ من أهله ، إلى أن وصل كتاب

قاضي الجماعة : أبي محمد بن منصور بحلّ القاضي أبي علي من القضاء ، ووصل كتابه أيضاً إلى القاضي عياض ، معلماً له بذلك ؛ إذ كان يكرم عليه أبو الفضل ، وعلم برحلته إليه ، فخرج أبو علي من اختفائه وجلس للتسميع ، فسمع عليه القاضي عياض كثيراً ولازمه ، وكان له به اختصاص فحصل له سماعٌ كثير في أمدٍ يسير ، ولقي في رحلته هذه جماعة من أعلام الأندلس ، وأجازه أبو علي الجيّاني .وعاد القاضي عياض من رحلاته هذه ، وهو البحر الذي لا ساحل له في العلم ، المحيط الذي لا قرار له ، عاد وهو طاقة هائلة من التجارب ، وصوت مدوٌّ بالحقّ ، ومرشدٌ حكيم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فأجلّه أهل سبتة ، وأجلسوه للشورى ، ثم وُلّيَ قضاء بلده مدةً طويلةً حُمدت سيرته فيها ، ثم نُقل إلى قضاء غرناطة في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة ، ولم يطل أمره بها ، ثم ولّي قضاء سبتة ثانياً(٥) .

وفاته:

لما ظهر أمر الموحّدين أول إمرة المهدي بن تومرت ؛ كان القاضي عياض من أول السابقين إلى الدخول في طاعتهم ، فرحل من سبتة إلى لقاء أمير الموحّدين بسلا ، فأكرم وفادته وأجزل له العطاءَ والصلة ، وعندما اضطرب أمر الموحّدين ذهب القاضي عياض إلى عاصمة الجنوب (مراكش) ، وفي غزوة «نحودكالة» خرج مع الذين خرجوا لها ، فمرض فاستأذن في الرجوع فأذن له ، فرجع إلى مراكش ، ومكث بها نحواً من

لقد كانت أوقات القاضي عياض موزعة على ثلاثة أعمال رئيسة: القضاء والتأليف والإقراء لما يؤلفه. ودارت مؤلفاته على ثلاثة علوم: الفقه والتاريخ والحديث. والطابع العام لكتبه: هو طابع الرواية.

ثمانية أيام في المرض ، فكانت بعدها وفاته ليلة الجمعة ، جُمادى الآخرة ، سنة (٥٤٤هـ) . وقيل كانت وفاته في شهر رمضان من السنة نفسها ، وهنالك من يقول : إنه توفي مسموماً سمّه يهودي بمراكش ، وقيل إنه خنقه ، ودفن بالحومة المسماة «بباب إيلان»[٦] ، وهو أحد رجالات مراكش السبع المشهورين الذين قيل فيهم :

بمراكش لاحت نجومٌ طوالع
جبالٌ رواسي بل سيوف قواطع
فمنهم أبو يعقوب ذو الغار يوسف
إليه تشير بالأكف الأصابع
ونجل أبي عمران عياض الذي
إلى علمه في الكون تصغي المسامع

ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى عليه رحمه الله تعالى كل من ترجم له ؛ قال ابن كثير في ترجمته :

«أحد مشايخ العلماء المالكية ، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة ، له شعر حسن ، وكان إماماً في علوم كثيرة كالفقه ، واللغة ، والحديث ، والأدب ، وأيام الناس»[٧] .

وقال النووي فيه : «هو إمام بارع متفنن ، متمكن في علم الحديث والأصول والفقه والعربية ، وله مصنفات في كل نوع من العلوم المهمة ، وكان من أصحاب الأفهام الثاقبة» .

قال الإمام أبو القاسم خلف عبدالملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الأنصاري المغربي في كتابه المعروف بـ «الصلة» : «قدم القاضي عياض الأندلس طالباً للعلم ، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وجمع من الحديث كثيراً ، له عناية كثيرة به ، واهتمام بجمعه وتقييده ، وهو من أهل اليقين في العلم ، والذكاء واليقظة ، والفهم»[٨] .

وقال ابن العماد الأصبهاني ملخصاً مناقبه : «وبالجملة فإنه كان عديم النظير ، حسنة من حسنات الآباء ، شديد التعصب للسنة ، والتمسك بها ، حتى أمر بإحراق كتب الغزالي لأمر توهمه منها[٩] ، وما أحسن قول من قال فيه :

ظلموا عياضاً وهو يحلم عنهم
والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الراء عيناً في اسمه
كي يكتمه وإنه معلوم
لولاه ما فاحت أباطح سبتة
والنّبت حول خبائها معدوم»[١٠]

ولا عجب؛ فعياض في المشرق وفي المغرب، وفي كل البلاد الإسلامية الأخرى: جدير بأن يكون له ولكتبه المكانة المرموقة، والصيت الذائع، مع الإكبار والإجلال، والتقدير والاحترام.

وأن يُخلّد ذكره، وينشر فضله بين العالمين في كل مكان.

مؤلفاته:

لقد كانت أوقات القاضي عياض موزعة على ثلاثة أعمال رئيسة : القضاء والتأليف والإقراء لما يؤلفه . ودارت مؤلفاته على ثلاثة علوم : الفقه والتاريخ والحديث . والطابع العام لكتبه : هو طابع الرواية .

والعلم كما يقول الزمخشري : مدينة أحد بابيها الرواية ، والثاني : الدراية ، وسعة رواية عياض هي التي أحلّته المحل الأول في الفقه المالكي وجعلت أبناء عصره يعوّلون عليه في حل ألفاظ مدوّنة سحنون ، وضبط مشكلاتها ، وتحرير رواتها ، وهي التي مكنت له من أسباب التفوق في تأليف كتب الحديث التي سنقتصر في مقالتنا هذه ؛ الحديث عن واحد منها ، ومن أجلّها قدراً ، وأنبهها ذكراً ، وأكثرها دلالة على عظم مكانته في فنون الرواية .

ألف القاضي عياض في شرح الحديث ثلاثة كتب هي : «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» ، و«إكمال المعلم» أكمل فيه كتاب أبي عبد الله محمد بن علي ابن عمر المازري الفقيه المحدّث ، أحد الأعلام ، والمشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه «المعلم بفوائد كتاب

مسلم» ، وشرح حديث أم زرع وأسماه «بغية الرائد لما في حديث أم زرع من الفوائد» ، وألّف في علوم الحديث كتاباً واحداً هو كتاب «الإلماع»[11] .

وكتب القاضي عياض بالجملة مفيدة ، وأثنى عليها كثير من العلماء : قال الحافظ الذهبي : «تواليفه نفيسة ، وأجلّها وأشرفها كتاب «الشفا» ؛ لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة ، عمل إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق . والله يثيبه على حسن قصده ، وينفع بـ «شفائه» ، وقد فعل»[12] .

* الهوامش : ــــــــــــ

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٢١٢ ـ ٢١٣) ، و«البداية والنهاية» (٢٢٥/١٢) .

(٢) «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» (ص ١٦٩) .

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢١٣/٢٠) .

(٤) «نفح الطيب» (٣٢٧/٤) .

(٥) «الديباج المذهب» (ص ١٦٩ ـ ١٧٠) .

(٦) «تاريخ قضاة الأندلس» (ص ٩٥) . و«الديباج المذهب» (ص ١٧٢) .

(٧) «البداية والنهاية» (٢٢٥/١٢) .

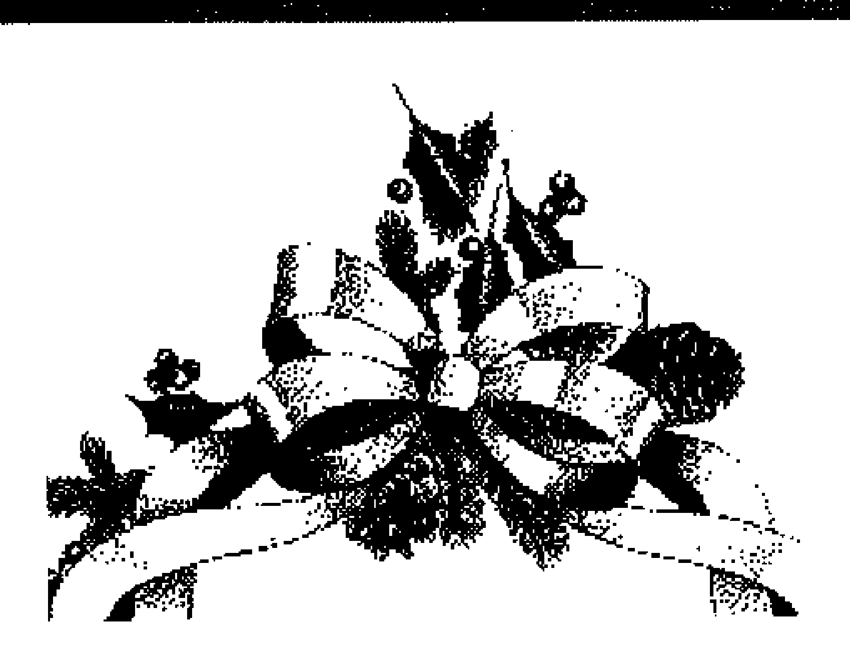
(٨) «تهذيب الأسماء واللغات» (٤٣/٢) . وانظر «تذكرة الحفاظ» (١٣٠٥/٤) .

(٩)قال اللكنوي : «وأخذ على الإمام الغزالي في «الإحياء» عدة مسائل ، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها» «الرفع والتكميل» (ص ٢٤٦) .

(١٠) «شذرات الذهب» (١٣٩/٤) .

(١١) انظر مؤلفاته في «معجم المؤلفين» (١٦/٨) و«تاريخ بروكلمان» .

(١٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١٦/٢٠) .



بقلم: الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقره

الجائزة الفيصلية

هذه الكلمة ألقيت بمناسبة حصول شيخنا محدث العصر أبي عبد الرحمن الألباني حفظه الله على «الجائزة الفيصلية» تقديراً لجهوده في خدمة السنة النبوية المطهرة.

وقد حال مرضه دون حضور هذا المقام؛ نسأل الله أن يعافيه ويشفيه ويبارك في جهوده نصرة لدينه ودفاعاً عن سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد انتدب شيخنا عافاه الله الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقره لينوب عنه في ذلك المقام. (الأصالة).

الحمد لله الذي علّم بالقلم، وأقامنا به على قصد الأمم، وجعلنا باتباع نبيه محمد ﷺ خير الأمم؛ أما بعد:

فإن بصائر ثلاثاً ظلّت تتقلب في أصلاب القرون مريرةً، لا تختلف إحداها، ولا تبطيء عن صنويها، لم تحكم مرتها يد صناع، لتكون ثلاثاً في واحدة، وواحدةً بثلاث، بل هي نعمة جليلة، أفضل الله بها، بأمره وحكمته غضةً ملداء سابغةً، لتشخص أمام هذا الجمع الرافل بحلل السؤدد والعلم والأدب، على أمر قد قدر لها في يومها المبارك هذا، في مكانها الطيب هذا، في شهرها المحرم هذا، فتكون آية سنية مبصرة في أرض الجزيرة، شفيفة القوام، طاهرة الإهاب، زاهية الرداء، غير وجلةٍ، ولا حييّةٍ، ولا مستكبرةٍ، لكأنما نسجت في لحمتها وسداها، من صفاءِ سماءِ الجزيرة، ونقاء رملها وترابها، ونبل سجاياها.

ولقد كانت زيادة حظوة برغبة من العلامة الشيخ «محمد ناصر الدين الألباني»، أنالنيها على صحبة ربث على عقود ثلاث لمرض طالت صحبته، منعه من الجمعة والجماعة خلفني بها على جائزته الفيصلية بنبالة البصيرتين الشريفتين، فحباً وكرامة له، وقرة عين لي، لا تطرف إلا بخير وفيه.

ويتحدث الناس عن هذه البصائر؛ بإنشاءها وخبرها، وحقها والأحق بها، والجلي بها الآخذ بعنانها بلسان عربي مبين، يستنبط البيان الرفيع من منابعه الأولى، ويروي أصولها بلوابن الفصاحة التالدة الخالدة، ويعيد للعقول المؤمنة بعروبتها

الصريحة ما ذهب به اليأس أن يكون لتراث لغة الضاد بعث جديدٌ ، ولا والله ما يجمل بالعربية ولا بالمؤمنين بتراثها أن يجد اليأس سبيلاً إليها ، لأن الله أراد لها البقاء ، ما دام قرآن وسنة جاهرين بصوتيهما ، آبين على يد التبديل والانتقاص أن تنال منهما ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

وقد ظلت الألباب الراشدة ، تتلقّى هذه البصائر برغب وشوق في آفاق المستقبل المكنون في معاطف الغيب ، لا تختلف في صورة ، ولا في حرفٍ ، ولا في حال ، بضغثها الجامع ثلاثتها فهو من ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شيءٍ﴾ وأحاط علمه بالأزمان كلّها ، في عمق السرمد ، وبعد الأزل ، وامتداد الحاضر ، على أوفر ما تكون حسناً ، وإحكاماً وظهوراً .

فالبصيرة الأولى : بصيرة الملك ، التي زرع شجرتها في أرض الجزيرة ، وتعهدها حتى استطالت ساقها ، ولامست أديم السماء بفروع التوحيد الخالص ، وضربت في أعماق الأرض بجذور الشريعة الغراء ـ الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وجزاء الخير ، وقام على رعايتها من بعده أبناؤه الغيّر ، وسقوها بالذّنوب التي سقاها بها أبوهم الأغر الأبلج ، فكانت في أيديهم أمانة مصونة غالية ، بعيدة المنال إلا من أيديهم ، فأوتهم إلى أفيائها الظليلة ، ودنت منهم بثمارها الطيبة الشهية ، وكانت لهم وللمسلمين جميعاً نعمة فكهة رخية ، وسيظلون فيها ماداموا مستمسكين بسيرة السابقين الأولين من أسلافنا الصالحين المصلحين ، وكما خلفهم وتركهم عليها الملك المؤسس الباني ، يؤدون حقها بالشكر لله عليها ، والقيام على دين الحق في عقيدته وشريعته بالوسطية العادلة ، من غير تفريط فيها ، ولا إفراط بالعمل بها ، ولا جحود أو تهاون في الشيء اليسير أو الكثير منها ، وقانون الله لا يتخلف ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ .

والبصيرة الثانية : بصيرة العلم : التي ثنياها ، كتاب الله تعالى ، وسنّة نبيّه محمد عليه الصلاة والسلام ، ومدخلها بشقي الوحي والمسجدان العظيمان ، ومأزرها الحرمان الآمنان ، ووليجتها القبلتان التوأمان ، اصطفى الله لهذه البصيرة في كل قرنٍ من يدفع عنها تأويل الجاهلين ويدرأ عن أصولها وفروعها تحريف المبطلين ، ويبين للناس زيف ما ألحقه به مكر الجفاة المفسدين ﴿وَمَكْرُ

أُوْلـئِكَ يَبُوْرُ﴾ ، فمن علم الله سبحانه أنه الأهل لها والأقدر على حملها ، كرمه ونعمه وجعلها إليه ، فكان الإمام المجدد الأول الذي جاء على فترة من المصلحين : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وكان من ذريته من بعده ، مَنْ يذَكِّرُ بشيء من معنى قوله تعالى : **﴿وَوَهَبْنا لَهُ إسْحـاقَ ويَعْقُوبَ وجَعَلْنا في ذُرِيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتَابَ﴾** ومن جاء من بعدهم من إخوانهم وتلاميذهم مَنْ يُذَكِّر بشيء من معنى قوله سبحانه : **﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِيَّاتِهِمْ وإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُم وهَدَيْنـاهُم إلـى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْم﴾** . وآل ميراثهم جميعاً إلى واحد من بقية السلف ، علماً ، وورعاً ، وزهداً ، يذكر بشيوخ الإسلام الأولين ، هو : الشيخ الوالد عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز ، أطال الله في عمره ، وجمله بعافيتي القلب والبدن .

وكانت كل واحدة من البصيرتين سربالاً لأختها تقيها ، ورداءً لها يصدقها ، تسيران معاً جنباً إلى جنب في تعاون أثير ، منقطع النظير ، فكان العالم بذلك في الجزيرة تذكرة بالماضين السابقين ، ومثلاً يحتذى في الآتين واللاحقين ، ورفد خير موصولاً للمجدين المخبتين ، وكان الأمير بهذا العالم وكل منهما في مكانه ، يداً حازمة راحمةً ، القوي عنده ضعيف حتى يؤخذ الحقّ منه ، والضعيف عنده قوي حتى يؤخذ الحق له ، ولا تجد قوام أمرها ، ولا قوة سلطانها إلا بصلاحها وصلاح العالم معها .

وأما البصيرة الثالثة : فبصيرة الجزاء ، التي توافي المحسن بإحسانه **﴿وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾** . وهي في الدنيا ومنها حلة سيراء ، تزدهي بمن يرتديها ، وتغلو بالذي يعطاها ، إن كانت من غير طلعة ولا إشراف نفس ، ولا تحسر على فواتها ، ولا توهن من عضده ، أو تقعده عن الأمانة التي وسّده الله إيّاها ، وما أضيع قط من يحرص عليها ، وهو موقن بأن رزقه سابق بالذهاب أجله ، أما ما يكون من حسن جزاء العلم في الآخرة ؛ فيوفّاه أهله بغير حساب ، وأجمعت البصيرتان أمرهما أن يدعا للجائزة الفيصلية الرفيعة الشأن ، تختار من تريد لتكون جزاءً وفاقاً له ، فأجالت بصرها في الآفاق ، فأشامت في أفق الشام شامةً جميلةً ، مكتوباً فيها : هنا ديوان الأثر ، وناشر السنة ، ومحدّث العصر ، «محمد ناصر الدين الألباني» ، يكاد سناها يملأ الآفاق كلها ، وما كادت الجائزة الفيصلية الرفيعة التي كانت بعض تكريم للملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله تبصر بهذا الاسم ؛

حتى عادت مسرعة لتقول للبصيرتين : لقد جئتكما من الشام بنبأ يقين ، إني وجدت من يسعدني أن أكون بعضاً من جزائه في الدنيا ، لأكون من الشهداء لكم أنّكم يا أبناء عبد العزيز ممن قيل فيهم قديماً : لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذوو الفضل ، فاهنأوا بما منّ الله عليكم ، وعرفتم الحق في لأهله فأدّيتموه ، ولقد كانت هذه منكم يداً بيضاء لهذا الشيخ الجليل ، ونصرة لدعوة الحق ، التي أحياها وجاهد فيها الإمام محمد عبد الوهاب ، فثأتم بها وقدة نفوس كزت ، واسبتم بها وغرة قلوب كظت ، فأبشروا وأملوا خيراً ، فوالله ما نصر مؤمنٌ مؤمناً في موطن يظلم فيه ، إلا ونصره الله في موطن لا يكون فيه الناصر إلا الله وحده ، فكونوا أنصار الله ، ووالله ما كان لكم في الأرض تمكين إلا لأنكم نصرتموه ، ولا أبقى الملك فيكم إلا لأنكم عززتموه ، ومن أصاب من مثل هذه النعمة شيئاً ، فقد أصاب خيراً كثيراً ، فاحفظوها بما حفظ الله ، وعضوا على الأمر العتيق الأول بالنواجذ ، واعلموا أنّكم في أعين الناس المثل المحتذى ، بتحكيم شريعة الإسلام بمقتضى التوحيد الحق ، فلا يؤتين فيه لا قدر الله من قبلكم ، فتؤتون أجركم مرتين ، وأسعد الناس في الدنيا والآخرة من كان شعاره ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى خَيْرٌ﴾ .

وبعد : فإني ـ وبالنيابة عن شيخنا عيبة السنّة ، الفقيه المثاني محمد ناصر الدين الألباني ، وعن كل محبّيه ، ولسنا نوفي خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز حقّه بالثناء على أمره أن تمنح الجائزة الفيصلية للجدير بها ـ فأدعو له قائلاً : جزاك اللّه خيراً ، وأطال في عمرك بالعدل ، والإصلاح ، وتحكيم شريعة القرآن ، وأنالك من فضله ما يقربك بطاعته إليه .

وإن للشيخ ناصر حقاً عظيماً علينا ، لا يقوم بمال ، ولا يوفاه إلا بأن يكون له حظٌّ من دعائنا في ظهر الغيب ، وتوقير في صدورنا حريٌّ بمثله في غيبةٍ وشهودٍ .

وهكذا أيها الجمع الرافل بحلل السؤدد والعلم والأدب ، نلتقي اليوم هذه البصائر الثلاث على أرض الجزيرة على أحسن ما يكون اللقاء ، وهو لقاءٌ متجدد عزيز ، يغري به فوح طيوب خزامى الرياض .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشاعر عبد الله العثيمين

أبيات قيلت في مستهل تقديم

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

الفائز بجائزة الدراسات الإسلامية في حفل تسليم الجائزة مساء ١٤ / ١١ / ١٤١٩هـ

مدّي ـ عنود القوافي ـ للمسنّ يداً ... إن لم يرق لك وداً فارحميه ندىً

لا تحرميني يمنى ما حظيتُ بها ... إلاّ وكان لروحي لثمها مددا

أعيذُ لطفك أن ينأى بجانبه ... وقد جعلت له قلبي الولوع فدا

فإن صددت فهل في الشيب ملتجأٌ ... لمن على الصفح من أربابه اعتمدا؟

عذر المقدِّم إن خانته مقدرةٌ ... أنّ المقدَّم ، فضلاً ، أدرك الأمدا

شيخٌ رنت لبلوغ المجد همّته ... مذ كان يروي صباه من صبا بردى

وأترعت سنّة الهادي مشاعره ... حباً فغذّ إليها سيره الرشدا

يغالب الدرب وثّاباً أخا ثقةٍ ... مستنجداً في سراه الواحد الأحدا

فما رأى من حديث في ذخائرها ... إلا وحقّق منه المتن والسّندا

حتى غدا علَماً من رام غُرّتها ... ألفى لديه إليها مسلكاً وهُدى

تنبيه الأنام على مسألة القيام

قال رسول الله ﷺ :

«مَن أحَبَّ أن يَتَمَثَّل لـــــه النَّاسُ قِيــامــاً؛ فَلْيَتَبَوأ مَقْعَدَه مِن النّار».

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧) ، وأبو داود (٥٢٢٩) ، والترمذي (١٢٥/٢) ، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٠/٢) واللفظ له ، وأحمد (٩٣/٤ و١٠٠) ، والدولابي في «الكنى» (٩٥/١) ، والمخلص في «الفوائد المنتقاة» (ق١٩٦/٢) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ق٥١/٢) والبغوي في «حديث علي بن الجعد» (٢/٦٩/٧) ، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢١٩/١) .

من طرق عن حبيب بن الشهيد عن أبي مجلز قال :

«دخل معاوية بيتاً فيه عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عامر ؛ فقام ابن عامر وثبت ابن الزبير وكان أدربهما[1] ؛ فقال معاوية : اجلس يا ابن عامر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (فذكره) .

وقال الترمذي : «حديث حسن» .

قلت : بل هو حديث صحيح ؛ رجال إسناده ثقات رجال الشيخين ، وأبو مجلز اسمه لاحق بن حميد ، وهو ثقة ؛ وحبيب بن الشهيد ثقة ثبت ؛ كما في «التقريب» فلا وجه للاقتصار على تحسينه ، وإن سكت عليه الحافظ في «الفتح» (٤٢/١١) ، لا سيّما وله طريق أخرى ؛ فقال المخلص في «الفوائد» :

حدثنا عبدالله : نا داود : نا مروان نا مغيرة بن مسلم السراج عن عبدالله بن بريدة قال :

«خرج معاوية فرأهم قياماً لخروجه ؛ فقال لهم : اجلسوا فإن رسول الله ﷺ قال «من سره أن يقوم له بنو آدم ، وجبت له النار» .

قلت : وهذا إسناد صحيح ؛ رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير شيخ المخلص عبدالله ، وهو الحافظ أبو القاسم البغوي ، ومغيرة بن مسلم السراج وهما ثقتان بلا خلاف ، وداود هو ابن رشيد ، ومروان هو ابن معاوية الفزاري الكوفي الحافظ .

وقد تابعه شبابة بن سوار : حدثني المغيرة بن مسلم به إلا أنه قال : «من أحب أن يستجم[٢] له الرجال . . .» والباقي مثله .

أخرجه الطحاوي (٣٩/٣٨/٢) والخطيب في تاريخ بغداد (١٩٣/١٣) .

وللحديث عنده (٣٦١/١١) شاهد مرسل في قصة طريفة .

أخرجه من طريق عبدالرزاق بن سليمان بن علي بن الجعد قال : سمعت أبي يقول :

«لما أحضر المأمون أصحاب الجوهر ، فناظرهم على متاع كان معهم ، ثم نهض المأمون لبعض حاجته ، ثم خرج ، فقام كل من كان في المجلس إلا ابن الجعد ؛ فإنه لم يقم ، قال : فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب ، ثم استخلاه ، فقال له : يا شيخ ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك؟ قال : أجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي ﷺ ، قال : وما هو؟ قال علي بن الجعد : سمعت المبارك بن فضالة يقول : سمعت الحسن يقول قال النبي ﷺ (فذكره باللفظ الأول) قال : فأطرق المأمون متفكراً في الحديث ، ثم رفع رأسه فقال : لا يشترى إلا من هذا الشيخ ، قال : فاشترى منه في ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار) .

قلت : فصدق في علي بن الجعد ـ وهو ثقة ثبت ـ قول الله عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ

اللَّهَ يَجْعَل لَه مَخْرَجاً ويرزُقْه من حيثُ لا يَحتَسِب﴾ .

ونحو هذه القصة ما أخرج الدينوري في «المنتقى من المجالسة» (ق١/٨ ـ نسخة حلب) : حدثنا أحمد بن علي البصري قال :

«وجه المتوكل إلى أحمد بن المُعَذَّل[٣] وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم ، فقام الناس كلهم إلا أحمد ابن المعذَّل ، فقال المتوكل لعبيدالله : إن هذا الرجل لا يرى بيعتنا ، فقال له : بلى يا أمير المؤمنين ولكن في بصره سوء ، فقال أحمد بن المعذَّل : يا أمير المؤمنين ما في بصري من سوء ، ولكنني نزهتك من عذاب الله تعالى ، قال النبي ﷺ : «من أحب أن يَتَمَثَّل له الرجال قياماً ؛ فليتبوأ مقعده في النار» فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه» .

وروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/١٧٠/٢) بسنده عن الأوزاعي حدثني بعض حرس عمر بن عبدالعزيز قال :

«خرج علينا عمر بن عبدالعزيز ونحن ننتظره يوم الجمعة ، فلما رأيناه قمنا ، فقال : إذا رأيتموني فلا تقوموا ، ولكن توسعوا» .

* * *

فقه الحديث:

دلنا هذا الحديث على أمرين :

الأول : تحريم حب الداخل على الناس القيام منهم له ، وهو صريح الدلالة بحيث أنه لا يحتاج إلى بيان .

الآخر : كراهة القيام من الجالسين للداخل ، ولو كان لا يحب القيام ، وذلك من باب التعاون على الخير ، وعدم فتح باب الشَّر ، وهذا معنى دقيق دلنا عليه راوي الحديث معاوية رضي الله عنه ، وذلك بإنكاره على عبدالله بن عامر قيامه له ، واحتج عليه بالحديث ، وذلك من فقهه في الدين ، وعلمه بقواعد الشريعة ، التي منها «سد الذرائع» ، ومعرفته بطبائع البشر ، وتأثرهم بأسباب الخير والشر ،

فإنك إذا تصورت مجتمعاً صالحاً كمجتمع السلف الأول لم يعتادوا القيام بعضهم لبعض ، فمن النادر أن تجد فيهم من يحب هذا القيام الذي يرديه في النار ، وذلك لعدم وجود ما يذكِّره به ، وهو القيام نفسه ، وعلى العكس من ذلك إذا نظرت إلى مجتمع كمجتمعنا اليوم ، قد اعتادوا القيام المذكور ؛ فإن هذه العادة لا سيما مع الاستمرار عليها فإنها تذكِّره به ، ثم إن النفس تتوق إليه وتشتهيه حتى تحبُّه ، فإذا أحبَّه هلك ، فكان من باب التعاون على البر والتقوى أن يترك هذا القيام ، حتى لمن نظنه أنه لا يحبه خشية أن يجرَّه قيامنا له إلى أن يحبه ، فنكون قد ساعدناه على إهلاك نفسه وذا لا يجوز.

ومن الأدلة الشاهدة على ذلك أنك ترى بعض أهل العلم الذين يظن فيهم حسن الخلق ، تتغيَّر نفوسهم إذا ما وقع نظرهم على فرد لم يقم له ، هذا إذا لم يغضبوا عليه ، ولم ينسبوه إلى قلة الأدب ، ويبشروه بالحرمان من بركة العلم بسبب عدم احترامه لأهله بزعمهم ، بل إن فيهم من يدعوهم إلى القيام ، ويخدعهم بمثل قوله أنتم لا تقومون لي لجسم من عظم ولحم ، وإنما تقومون للعلم الذي في صدري!! كأن النبي ﷺ عنده لم يكن لديه علم!! لأن الصحابة كانوا لا يقومون له ، أو أن الصحابة كانوا لا يعظمونه عليه السلام التعظيم اللائق به! فهل يقول بهذا أو ذاك مسلم؟!

ومن أجل هذا الحديث وغيره ذهب جماعة من أهل العلم إلى المنع من القيام للغير ، كما في «الفتح» (١١/٤١) ثم قال :

«ومحصول المنقول عن مالك : إنكار القيام ، ما دام الذي يقام لأجله لم يجلس ، ولو كان في شغل نفسه ، فإنه سئل عن المرأة التي تبالغ في إكرام زوجها ، فتتلقاه وتنزع ثيابه ، وتقف حتى يجلس؟ فقال : أما التلقي فلا بأس به ، وأما القيام حتى يجلس فلا ، فإن هذا

فعل الجبابرة ، وقد أنكره عمر بن عبدالعزيز» .

قلت : وليس في الباب ما يعارض دلالة هذا الحديث أصلاً ، والذين خالفوا فذهبوا إلى جواز هذا القيام بل استحبابه ، استدلوا بأحاديث بعضها صحيح ، وبعضها ضعيف ، والكل عند التأمل في طرقها ومتونها لا ينهض للاستدلال على ذلك[4] :

ويؤيده ويوضحه : كراهته صلى الله عليه وسلم قيام النّاس له :

"ما كان في الدُّنيا شَخْصٌ أَحَبَّ إليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوْه لم يقوموا له، لما كانوا يعلمون من كَراهِيَته لذلك".

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٤٦) ، والترمذي (١٢٥/٢) ، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٩/٢) ، وأحمد (١٣٢/٣) ، وأبو يعلى في «مسنده» (ق١٨٣/٢) واللفظ له .

من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس به .

وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»

قلتُ : وإسناده صحيح على شرط مسلم .

وهذا الحديث مما يقوي ما دل عليه الحديث السابق : من المنع من القيام للإكرام ؛لأن القيام لو كان إكراماً شرعاً ، لم يجز له ﷺ أن يكرهه من أصحابه له ، وهو أحق الناس بالإكرام ، وهم أعرف الناس بحقه عليه الصلاة والسلام .

وأيضاً ؛ فقد كره الرسول ﷺ هذا القيام له من أصحابه ، فعلى المسلم - خاصة إذا كان من أهل العلم وذوي القدوة - أن يكره ذلك لنفسه اقتداء به ﷺ ، وأن يكره لغيره من المسلمين لقوله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير» ؛ فلا

يقوم له أحد ، ولا هو يقوم لأحد ، بل كراهتهم لهذا القيام أولى بهم من النبي عليه الصلاة والسلام ، ذلك لأنهم إن لم يكرهوه إعتادوا القيام لبعضهم البعض ، وذلك يؤدي بهم إلى حـبِّهم له ، وهو سبب يستحقون عليه النّار ؛ كما في الحديث السابق ، وليس كذلك رسول الله ﷺ ، فإنه معصوم من أن يحب مثل هذه المعصية ، فإذا كان مع ذلك قد كره القيام له ، كان واضحاً أن المسلم أولى بكراهته له[٥] .

ولقد جمع النبي ﷺ الأدب الجمّ في قوله صلى الله عليه وسلم : «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه»[٦]، فمعرفة حق العالم يستلزم التأدّب معه في حضرته وغيبته لكن هذا لا يستلزم العبودية له كما هو شأن بعض الصوفية والغلاة من المشايخ ، ومن ذلك : القيام للعالم إذا دخل المجلس ، فهذا لا ينبغي أن يكون في المجتمع الإسلامي المنقّى المصفى ؛ لأن جهد الدعاة الإسلاميين حقاً هو أن يقتربوا من المجتمع الإسلامي الأول الذي لا يمكن أن يُعاد كما كان ، وإنما الأمر كما قيل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

فنحن نحاول أن نتشبه بأولئك الأفراد الأخيار ، ونحاول أن نوجد مجتمعاً يكون شبيهاً بذلك المجتمع الأول الأزهر في ذلك العصر الأنور لذلك فلا بُدَّ أن يكون دائماً نصب أعيننا فعل ما فعلوا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ؛ لأن الحقيقة كما أشار إليها قوله عليه الصلاة السلام في الحديث الصحيح : «ما أمرتكم من شيء فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»[٧] ؛ فالأشياء العملية محصورة لا تقبل الزيادة فمن ذلك إكرام العلماء ببعض المظاهر منها القيام له ولغيره إذا دخل مجلساً من مجالس ، ما أقول مجالس العلم ، هذا واضح جداً أن طلاب حينذاك ما ينبغي أن يقوموا لهذا

العالم لكن إذا دخل مجلساً ليس مجلس علم هل من العلم النافع ومن العمل الصالح أن يقوم أهل المجلس لذاك العالم الداخل إلى المجلس؟

الجواب :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ، ومن هو الشخص الوحيد الفريد الذي ينبغي أن يُحتذى به دون غيره هو كما نعلم جميعاً محمد رسول الله ، وأهل العلم يعلمون وليس هذا مما فيه يختلفون .

الآن العالم الإسلامي كله مخالف - إلا من رحمه الله - للهدي النبوي المتقدم في ذلك ، أهل العلم لا ينكرون على أصحابهم وعلى عامة الناس فيما إذا دخل أحدهم مجلساً وقاموا له والذين قاموا له إكراماً وتعظيماً زعموا ما هكذا كان المجتمع الأول . إذاً علينا نحن أن نتوجه دائماً إلى التشبه عملياً بالمجتمع الأول .

وهذه من الأمور التي يجب على أهل العلم بل على طلاب العلم أن يهتموا بها ، لإنك إذا كنت صادقاً في تشبهك بالرسول ﷺ فانشر بين أصحابك أنك تكره هذه الظاهرة ؛ أي : تواضع كما تواضع الرسول عليه السلام .

وكان الرسول يكره هذا القيام ؛ فتجاوب الناس معه ؛ لأنه كان حقيقة يكره هذا الشيء ، فإذا كان العالم مقتدياً بالرسول عليه السلام فلينشر بين أصحابه . هذا أولاً .

وثانياً : من باب سدِّ الذريعة ؛ أي العالم إذا اعتاد الناس أن يقومون له تشوقت نفسه لهذا القيام فقد يأتي زمن حينما يرى تلميذه البار المحب له المخلص له كان يقوم له ثم إذا به لا يقوم ؛ فستجري مناقشة ثم معاتبة ثم ربما أكثر من ذلك بين العالم وبين التلميذ ؛ لأن هذا العالم اعتادت نفسه حبَّ هذا القيام فأوقعه في هذا الحب المكروه المحرم اعتياد الناس له . وقد أردت : أن أذكر العلماء وطلاب العلم ألا يسايروا المجتمعات ؛ لأن هذه المسايرة ليس لها حدود اليوم فقد

تخرج بدعة فنقول : هناك ما هو أهم من ذلك ، وغداً بدعة أخرى ، ونقول : كما قلنا في الأولى حتى يصبح المجتمع بعيداً عن العمل بما جاء به الإسلام بمثل هذه التأويلات وهذه التسويغات الباطلة .

* الهوامش : ــــــــــ

(١) وفي رواية البخاري «ارزنهما» ولعلها أصح .

(٢) أي يجتمعون له قياماً .

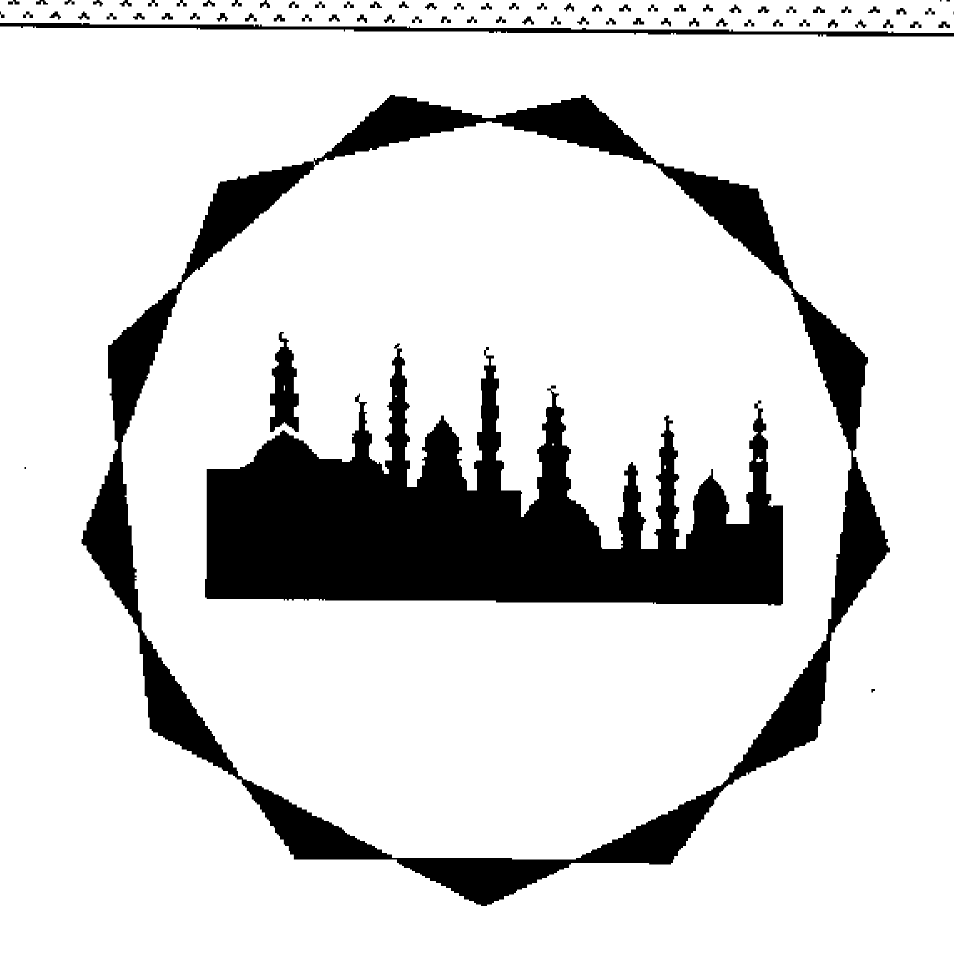
(٣) في «الصحيحة» (١/٦٩٦) : «أحمد بن العدل» في المواطن كلها ، والصواب : ما أثبتناه لوروده في «المجالسة» (٣٤٢) ، ولنص من ترجم له على ذلك ، كما في «سير أعلام النبلاء» (٥١٩/١١) ؛ وقال ابن فرحون في «الديباج المُذْهَب» (ص٣١) «وفيه كثير من يقول : أحمد بن المعدل ؛ بدال مهملة ، وصوابه بمعجمة» (الأصالة) .

(٤) «السلسلة الصحيحة» (٣٥٧) ، وانظر لزاماً «الصحيحة» (٦٧) .

(٥) «السلسلة الصحيحة» (٣٥٨) .

(٦) «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٥٤٤٣) .

(٧) متفق عليه .



من خطب السلف

كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم لم تُخْلَقوا عَبثاً، ولن تُتركوا سُدًى، وإنَّ لكم معاداً ينزل اللهُ فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخَسِر من خَرَجَ من رحمة الله وحُرِمَ جنّةً عرْضُها السماواتُ والأرضُ.

ألم تعلموا أنه لا يأمَنُ غداً إلا مَنْ حَذِرَ اليومَ وخاف، وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقين كذلك، حتى تُرَدّ إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تُشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قَضَى نَحْبَه، حتى تُغيّبوه في صَدْعٍ من الأرض في بطن صَدْعٍ غير مُوَسَّد ولا مُمهَّد، قد فارَقَ الأحبابَ وباشرَ الترابَ، وواجه الحسابَ، فهو مُرتَهَنٌ بعمله، غنيٌّ عما ترك، فقير إلى ما قدّم.

فاتّقوا الله قبل انقضاء مَواقيته ونزولِ الموت بكم.

أما إني أقول هذا وما أعلم أنَّ عند أحدٍ من الذنوب أكثرَ مما عندي، فأستغفرُ الله وأتوبُ إليه.

ثم رفع طَرَفَ رِدائه على وجهه؛ فبكى، وأبكى من حوله.

بقلم : الشيخ سعود بن ملوح العنزي

خطبة الجمعة والفقه الواقع

أدخل كثيرٌ من الخطباءِ إلى موضوع خُطبة الجمعة ما ليس منها ، وصرفوها عما شرعت لأجله ؛ فأحدثوا منهجاً جديداً لم تكن عليه خطب الرسول ﷺ ولا خطب الخلفاء الراشدين من بعده ، ولا مَنْ بعدهم من الأئمة .

هذا المنهج ابتدعه خطباء أُولعت نفوسهم بالسياسة ، فحوّلوا خُطَبَ الجمعة إلى خطب للتحليلات السياسية ، والتي أخذت مادتها من الجرائد والمجلات والإذاعات!! ، حتى لا تكاد تسمع آية واحدة أو حديثاً واحداً في خطبهم ، مع أنّ السّلف رحمهم الله كانوا يعيبون على الخطبة التي ليس فيها آيات من كتاب الله وأحاديث من سنة رسول الله ﷺ ، ووسط هذا الزخم من التحليلات السياسية ـ التي تبث عبر خطبة الجمعة ـ ضاع المستمعون الذين حضروا ؛ ليتفقهوا في أمور دينهم ، وليجدوا من يرقق قلوبهم بعد أن شغلت بأمور معاشها سبعة أيام عدداً ، فيأتي المسلم على أمل أن يجد آيةً تَسْمُو بنفسه أو حديثاً يرقّ لسماعه قلبُه ، فلا يجد إلا تكراراً لما يسمعه في نشرات الأخبار!!

وقد نسي هؤلاء الخطباء ـ أو تناسوا ـ أنّ أكثر المستمعين إليهم لا يُحسنون أداء عباداتهم التي تتكرر منهم في اليوم والليلة على الوجه الصحيح ، بل إنّ من هؤلاء المستمعين من هو واقع في أمور شركية تنافي التوحيد خلط بها عبادته يظن أنه بذلك يحسن صنعاً ، فلا شك أن هذا وأمثاله في أشد الحاجة إلى من ينتشلهم من هذه الشركيات ، ويصحح لهم عباداتهم .

ولكن ـ مع كل أسف ـ نجد تجاهلاً وإعراضاً كبيراً من قبل خطباء السياسة وأدعياء (الفقه الواقع)[1] عن هذه المهمة العظيمة ، التي لأجلها بُعث الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه .

ولقد كانت هذه الخطب السياسية

سبباً في وقوع كثير من الفتن ، فبدلاً من أن تكون منابرهم مشاعل هداية أصبحت وقوداً لنيران الفتن التي راح ضحيتها كثير من الأنفس البريئة ، والتي لا زالت أمتنا تصطلي بلهيبها ، والواقع اليوم شاهد على صدق هذا!

ولأن هؤلاء الخطباء لهم علينا حق النصيحة ، فإنني أدعوهم إلى أن يتقوا الله في أمة محمد ﷺ ، وأن يهجروا هذا المنهج المبتدع الذي استحدثوه ، وأن يلتزموا في خطبهم هديَ الرسول ﷺ وخلفائه من بعده .

قال العز بن عبدالسلام[٢] رحمه الله :

«ولا ينبغي للخطيب أن يذكر في الخطبة إلا ما كان يوافق مقاصدَها ؛ من الثناء والدعاء ، والترغيب والترهيب ؛ بذكر الوعد والوعيد ، وكل ما يحثّ على طاعةٍ ، أو يزجُر عن معصيةٍ ، وكذلك تلاوة القرآن .

وكان النبي ﷺ يخطب بسورة (ق) في كثير من الأوقات[٣] ؛ لاشتمالها على ذكر الله ، والثناء عليه ، ثم على علمه بما توسوس به النفوس ، وبما تكتبه الملائكة على الإنسان من طاعة وعصيان ، ثم تذكر الموت وسكراته ، ثم تذكر القيامة وأهوالها ، والشهادة على الخلائق بأعمالها ، ثم تذكر الجنة والنار ، ثم تذكر النشور والخروج من القبور ، ثم بالوصية في الصلوات ، فما خرج عن هذه المقاصد فهو مبتدع ، ولا ينبغي أن يذكر فيها الخلفاء ولا الملوك ولا الأمراء[٤] ؛ لأن هذا موطن مختص بالله ورسوله ، بما يحث على طاعته ، ويزجر عن معصيته ﴿وأنَّ المساجدَ لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ (الجن : ١٨) ، ولو حدث بالمسلمين حادث فلا بأس بالتحدث فيما يتعلق بذلك الحادث ، مما حث الشرع عليه ، وندب إليه ، كعدو يحضر ، ويحث الخطيب على جهاده ، والتأهب للقائه .

وكذلك ما يحدث من الجدب ، الذي يستسقى لمثله ، فيدعو الخطيب بكشفه» .

قال ابن العطار[٥] رحمه الله :

«وينبغي أن تكون الموعظة في كل وقت وزمان ، على حسب حاجةِ الناس إليها مِمّا يجهلونه من الأحكام الشرعية ، والتنزيهات الربانية ، وما يحمل على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ، وعلى قِصَر الأمل في الأمور الدنيوية دون الأُخروية ، وما يحمل على الإيمان بالبعث

والنشور ، والجنة والنار ، وعلى العمل والإخلاص فيه ، وعلى التناصف ، والتواصل ، والتراحم ، وترك التقاطع والتدابر والتظالم ، وعلى التعاون على البر والتقوى ، ونصر المظلوم ، ونصر الظالم بمنعه من الظلم ، وحث[٦] ولاة الأمر على العدل والإنصاف ، والإحسان ، وترك الجور والإثم والعدوان ، وحث الناس على القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي سبب لرفع البلاء ، والنصر على الأعداء ، وعدم تعميم العذاب ، واستجابة الدعاء من رب الأرباب ، وإنزال البركات ، وغفْر الذنوب والتّبِعات .

ويذكر فضلَ الأزمنة والشهور والأعوام[٧] ، ويحث على الصلاة والصيام ، والحج وإقامة الشعائر والمناسك والقيام .

وهكذا كان رسول الله ﷺ والخلفاءُ الراشدون ، والأئمة والعلماءُ العارفون ، واعتمادهم في خطبهم ووعظهم وتذكيرهم ، ومقصودُهم بإنذارهم وتبشيرهم .

فهذا هو السنة ، وما عداه فهو البدعة» .

وقال ابن قيم الجوزية[٨] رحمه الله :

«وكان مَدَارُ خُطَبِه ﷺ على حمد الله ، والثناء عليه بآلائه ، وأوصاف كَمَالِهِ ومحامِدِهِ ، وتعليم قواعد الإسلام ، وذكر الجنة والنار والمعاد ، والأمر بتقوى الله ، وتبيين موارد غضبه ، ومواقع رضاه ، فعلى هذا كان مَدَارُ خطبه» .

وقال[٩] أيضاً :

«وكان يُعَلِّمُ أصحابَه في خطبته قواعدَ الإسلام ، وشرائعَه ، ويأمرهم ، وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي» .

وقال البيهقي[١٠] رحمه الله :

«أُحِبُّ أنْ يُخلص الإمامُ الخطبةَ بحمد الله ، والصلاة على رسوله ﷺ ، والعظة والقراءة ، لا يزيد على ذلك»[١١] .

وقال[١٢] أيضاً :

«أخبرنا عبدالمجيد عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما الذي الناس يدعون به في الخطبة يومئذ ، أَبَلَغَكَ عن النبي ﷺ أو من بعد النبي ﷺ ؟

فقال : لا ، إنما أُحدث ، إنما كانت الخطبة تذكيراً»[١٣] .

وقال الشيخ صديق حسن خان[١٤] رحمه الله :

« . . . ثم اعلم أنّ الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس

وترهيبهم ، فهذا في الحقيقة روح الخطبة التي لأجلها شرعت» .

وقد عَدّ الشُّقَيْري رحمه الله في كتابه «السنن والمبتدعات» (ص : ٩٠) من بدع خطبة الجمعة : جعلها عارية عن الوعظ والإرشاد والتذكير ، والترغيب والترهيب ، والأمر والنهي .

وقال ابن قدامة[١٥] رحمه الله وهو يعدد فروضَ الخطبة :

«الثالث : الموعظة ؛ لأن النبي ﷺ كان يعظ ، وهي القصد من الخطبة ، فلا يجوز الإخلال بها» .

فالحاصل[١٦] : أنّ روح الخطبة : هو الموعظة الحسنة ، من قرآن وغيره ، كما سبق من كلام بعضِ العلماء .

والظاهر من محافظته ﷺ في خطبة الجمعة على الأمر بتقوى الله ، والتحذير من غضبه ، والترغيب في موجبات رضاه ، وقراءة القرآن ، وجوب ذلك ؛ لأنّ فعله ﷺ بيان لما أجمل في آية الجمعة ، وقد قال ﷺ : «صلوا كما رأيتموني أصلي»[١٧] .

وقال بعضهم : مواظبته ﷺ دليل الوجوب ، قال في «البدر التمام» : «وهو الأظهر . والله أعلم» .

ووصف جابر بن سمرة خطبة النبي ﷺ ، وما كان موضوعها ومحتواها ، وأوجز ، قال رضي الله عنه :

«كانت للنبي ﷺ خطبتان ، يجلس بينهما ، ويقرأ القرآن ، ويذكّر الناس»[١٨] .

وألخص هنا ما ينبغي أن يكون عليه الخطيب في خطبته[١٩] ، فأقول : إنّ عليه أموراً ، منها :

١ ـ إرشاد العامّة إلى معرفة الله تعالى ، وما يجب أن يثبت له من الصفات العلية ، وما يجوز في حقه تعالى وما لا يجوز ، وما للرسل والأنبياء من مثل هذا عليهم الصلاة والسلام .

٢ ـ تعليمهم أركان الدين من صلاة وصوم وحج وزكاة ، وبيان فائدة آدابها لهم ، ومنافعها العائدة عليهم في الدنيا والآخرة .

٣ ـ دعوتهم إلى الخير ، وصرفهم عن ناحية الشرّ ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وحثّهم على التمسك بالدّين وآدابه وفضائله ، وما أمر الله تعالى به ورسولُه ﷺ .

٤ ـ تحريضهم على العمل والاجتهاد في ذلك ، وتقرير أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴿فَمَن يعمل مثقالَ

ذرة خيراً يَرَه . ومن يعمل مثقالَ ذَرّة شرّاً يَرَه﴾ (الزلزلة : ٧ ، ٨) .

٥ ـ حضهم على التعاون في المشروعات ، وتربية البنين والبنات ، وعلى الدخول إلى كل أمر من بابه ، وطلب كل رغبة من أسبابها ، وحفظ الأمانة ، واستشعار الأخوة ، التي هي مصدر حياة الأمم ومشرف سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ (آل عمران : ١٤٥) .

٦ ـ تطهير قلوبهم من الأوهام الفاسدة التي قد تجر إلى الاعتقادات الباطلة ـ وما أكثرها عند المسلمين اليوم ـ حتى يخضعوا الخالق السماوات والأرضين ، وقاهر الناس أجمعين ، وحتى يقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام : ٧٩) ، وكما أمر رسول الله ﷺ أن يقول : ﴿إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام : ١٦٢) .

فيا خطباء السياسة! أيّ حالة هذه التي تدعوكم إلى سلوك هذا المنهج وبين أيديكم سيرة الرسول ﷺ وخلفائه ، والتي لم يكن فيها شيء مِمّا جئتم به في خطبكم السياسية!! ، وها هي كتب السنة والتاريخ بين أيدينا ناطقة بمنهج سلفنا ، فكل ما أحدث على خلافه فأقل أوصافه أنه بدعة في الدين ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فتعالوا بنا ـ جميعاً ـ ننتظم في سلك قوله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ . أولئكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُم أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الذينَ ابيضَّتْ وُجُوهُهُم فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران : ١٠٤ ـ ١٠٧) .

* هوامش

(١) ولا أقول فقه الواقع ، فتأمل .

(٢) «فتاوى العز بن عبدالسلام» (ص : ٧٧ ـ ٧٨) .

(٣) في «صحيح مسلم» (٨٧٣) وغيره عن أم هشام بنت حارثة قالت : «ما أخذت ﴿ق والقرآن المجيد﴾ إلا على لسان رسول الله ﷺ

يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس».

(٤) نقل القرطبي في «تفسيره» (١٠٧/١٨) عن الزمخشري قوله: «فإن قلتَ: كيف يفسّر ذكر الله بالخطبة، وفيها غير ذلك!!

قلت: ما كان من ذكر رسول الله ﷺ، والثناء عليه، وعلى خلفائه الراشدين، وأتقياء المؤمنين، والموعظة والتذكير، فهو في حكم ذكر الله. فأمّا ما عدا ذلك من ذكر الظلمة، وألقابهم، والثناء عليهم، والدعاء لهم، وهم أحقّاء بعكس ذلك، فهو من ذكر الشيطان، وهو من ذكر الله على مراحل» أ. هـ.

قلت: الصواب أنه لا مانع من الدعاء للولاة الظلمة بالهداية ونحو هذا بشرط أن لا يتخذ سنة وكأنه جزء من خطبة الجمعة، والكلام السابق للزمخشري منبعث من (اعتزاليته) وعقيدتهم في الولاة.

(٥) «أدب الخطيب» (ص: ١٢٥ ـ ١٢٦).

(٦) بالقيود المعتبرة شرعاً!

(٧) الثابت فضلُها في القرآن وصحيح السنة!

(٨) «زاد المعاد» (١٨٨/١).

(٩) «زاد المعاد» (٤٢٧/١).

(١٠) «معرفة السُنَن والآثار» (٣٧٣/٤).

(١١) انظر: «الأم» (٢٠٢/١ ـ ٢٠٣).

(١٢) (٣٧٣/٤).

(١٣) انظر: «الأم» (٢٠٣/١) ـ باب ما يكره من الكلام في الخطبة وغيرها ـ.

(١٤) «الروضة الندية» (٣٤٥/١).

(١٥) «الكافي» (٣٢٨/١).

(١٦) انظر: «القول المبين في أخطاء المصلين» (ص: ٣٨٧).

(١٧) أخرجه البخاري.

(١٨) أخرجه مسلم رقم (٨٦٢).

(١٩) انظر: «تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ» لأحمد فريد (ص: ١١ ـ ١٢).

* * *

شخصية المسلم

عندما بنى الإسلامُ شخصيّةَ المسلم كان بناؤه لها بناءً متميّزاً ؛ ضبط فيه جوانبها جميعاً ؛ علمياً ، وعقائدياً ، ومنهجيّاً ، وأخلاقيّاً ؛ فجاءت الشخصيّةُ المسلمةُ متكاملةَ التصوُّر ، قويَّة البُنية ، رابطةَ الجأشِ ، ثابتةَ الأركانِ .

وعليه ؛ فإنّ المسلم الحقّ هو الذي تنضبط أفعاله ببناءِ الشخصيّةِ ـ هذا ـ ، وترتبطُ أقواله بِبُنيتِه الإيمانيّة الراسخة ـ تلك ـ .

فلا خَوَر ، ولا جُبْنَ ، ولا تردُّد ، ولا تراجع ، بل اطمئنانٌ ، واستقرار ، وثباتٌ بإصرار .

وبِقَدْر الخَلَل الذي يتسلّل إلى هذه الشخصيّة ـ بِبُنيتها وبنائها ـ بِقَدْرِ ما يكون التفلُّت ، والتنكُّب ، والاهتزاز ؛ فلا قول يثبتُ ، ولا وَعْدَ يمضي ، ولا عهد يؤكّد!

فلْنتأمّل (أُناساً) هكذا سلوكُهم ، و(فئة) هذا سبيلُها : هل تستطيع ـ بهذا وذاك ـ أن تقفَ على أقدامها؟! وأن تقوم بواجباتها؟!

هل تستطيعُ أن يكونَ لها من أنفسِها القِوَامُ الحقُّ الذي به تعلو فوق نقصها ، وتسمو فوق تقصيرها؟!

هل تستطيع أن تكونَ مؤثِّرةً فاعلةً؟! فإن كانت ؛ فهل سيكون أثرها إيجابيٌّ الحقيقة ، جليٌّ الطريقة؟!

أم أن الأمورَ ـ في حالها ومآلها ـ ستكون تابعةً للنزعات النفسيّة ، والتصوُّرات الشخصيّة ـ سلباً وإيجاباً ، وسروراً وانزعاجاً ، وبسطاً وانقباضاً؟!ـ .

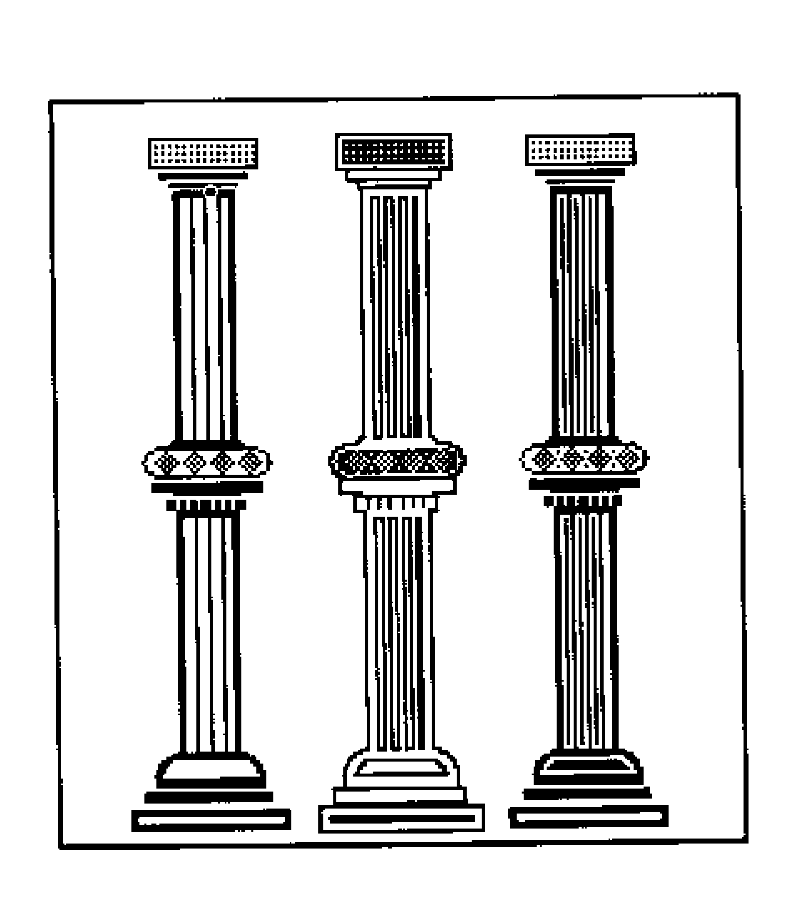
وأخيراً :

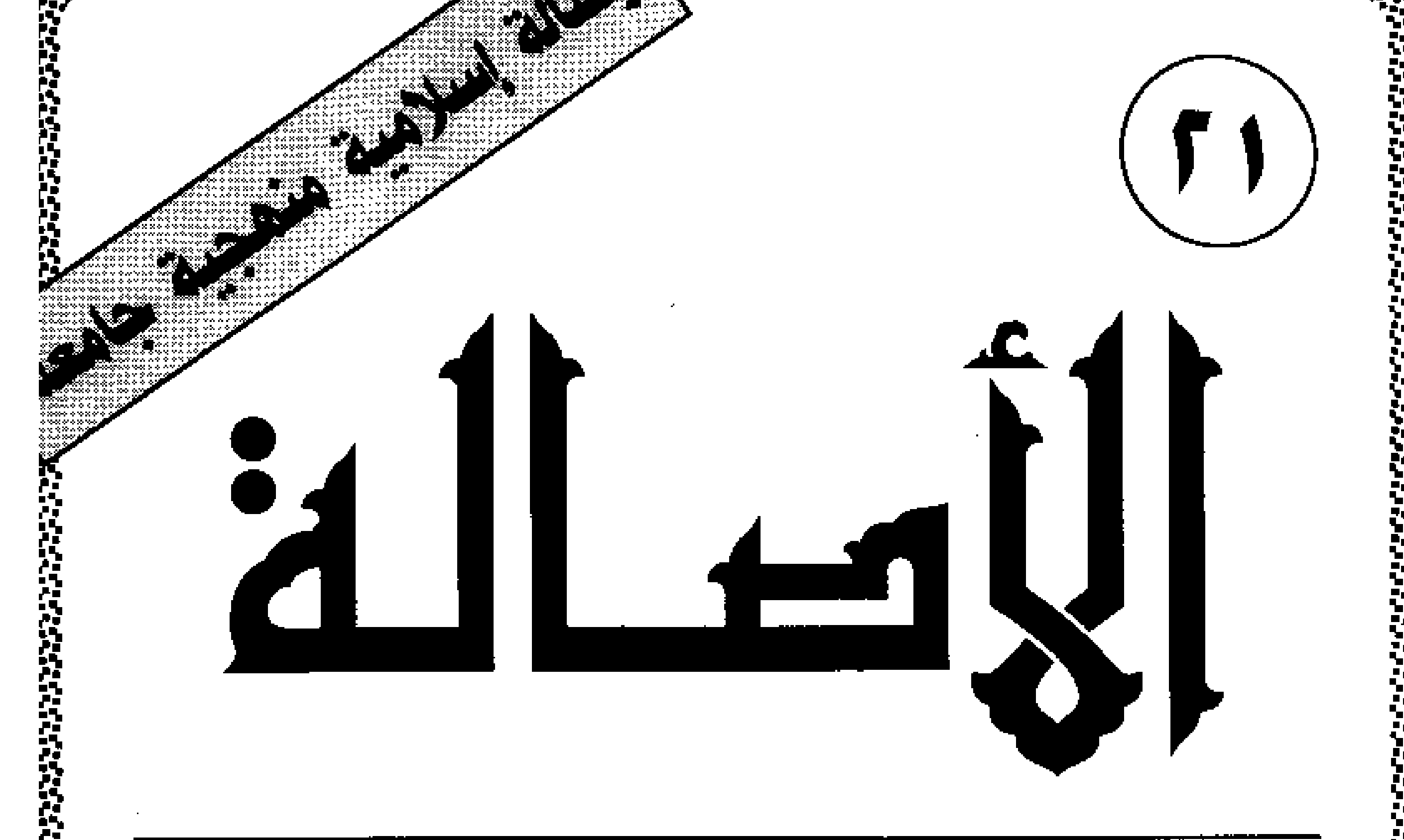
ما أجملَ الهديَ النبويَّ الذي هو

الأُسوةُ التّامةُ ، والقدوةُ الكاملةُ ؛ حيث جعل النبيُّ ﷺ : «العَدْلَ في الغَضَبِ والرِّضا» (١) من علامات النجاة وأساليبها ، وأسباب السعادة ، وأكرِم به وصفاً رفيعاً يُكلّلُ الشخصيّةَ المسلمةَ ببهاء الظاهر ونقاءِ الباطن . والله الموفق

* الهوامش :

(١) «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٢) .





عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة : العدد الواحد والعشرون

١٥ / ربيع الآخر / ١٤٢٠هـ

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم ٤ / ٣ / ١٣١٨



إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءَلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ .

(النساء : ١)

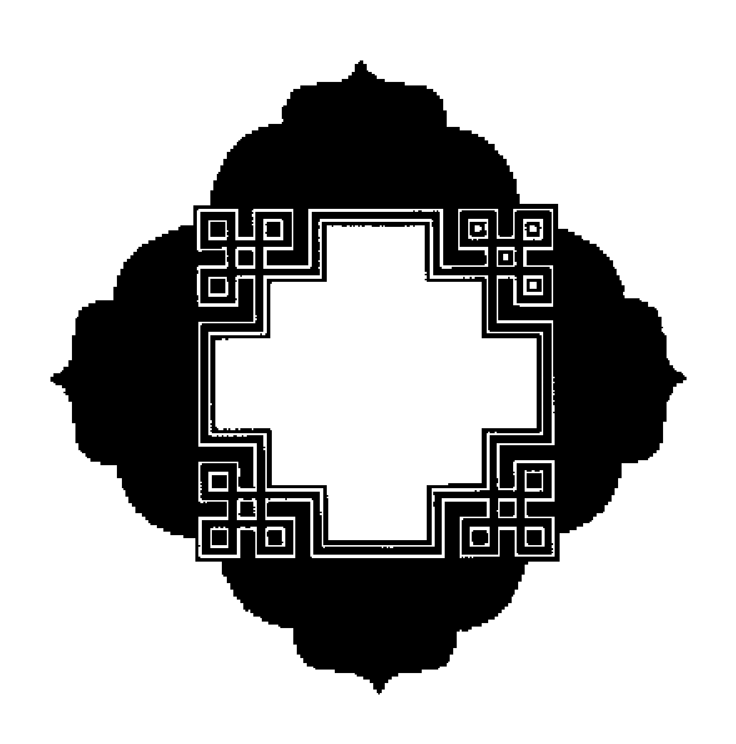
﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

(الأحزاب : ٧٠ ، ٧١)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل مُحدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

المحتويات



التنضيد الإلكتروني والإخراج الفني

دار الحسن للنشر والتوزيع / هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ / فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ / ص.ب ١٨٢٧٤٢ / عمان ١١١١٨ / الأردن

التحرير

الاستقامةُ على الطريقةِ... من لها؟

داعي الله على بصيرة يرى عين اليقين أن الطريقة القرآنية السُّنِّيَّة علمية وعملية وشمولية وعدلية ؛ علمية في منهجها ، عملية في سيرها ، شمولية في دلائلها ، عدلية في حكمها وقضائها .

ومع ذلك فهي قائمة على التوحيد الخالص ، ومحض المتابعة للوحيين : الكتاب والسنة الصحيحة ، والتزام فهم السلف ـ رضي الله عنهم ـ .

وورثت دعوة الرسل ـ صلى الله عليهم وسلم ـ ، وطريقتهم في مقاصد ضرورية ، ومطالب شرعية ، فكان التعريف بالله تعالى أصلها ورأسها ، وتبيين السبيل الموصل إليه شرعتها ومنهاجها ، والتذكير باليوم الآخر وعدها ووعيدها .

فالسائر عليها ومعها وبها يتنزّل في منازلها ، ويسعى لتكميل مراتبها حتى يكون عبداً لله تعالى ؛ يُخلص عمله له ، ويصون عبادته من قوادحها وشوائبها ، ويستقيم على الأمر فعلاً ، وعلى النهي تركاً ؛ فَيُحْكِمُ مُحْكَمَهَا ، ويلتزم بأحكامها ، ويتدبر حكمتها ، لا يلتفت عنها يمنة ولا يسرة ، يتذكر دائماً قول الله تعالى : ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوا**﴾ .

ولذلك ؛ فالنفس المطمئنة المفتقرة إلى ربها ، الناظرة في أحوالها ، المطمئنة بإيمانها تعلم أنه لا سبيل لسعادتها وانشراحها إلا بعلمٍ من هذه الطريقة ترفع به جهلها ، وبعدلٍ منها ترفع به ظلمها ، وإلا فهي ظلومة جهولة ﴿**وحَمَلَها الإِنْسانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ .

. . . نعم إنها طريقة المؤمنين الكُمَّل ، ومسلك المحسنين الخُلَّص . . . إنهم السلف الصالح الذين حملوا نصوص الكتاب والسنة علماً وعملاً ، سلوكاً وتربية . . . وكان علمهم بمقتضى هذه الطريقة ليس منكبّاً على أنفسهم لأنهم زُكُّوا من حب أنفسهم لأنفسهم ؛ ففاض خيراً على غيرهم ، فقاموا بهذه الطريقة

دعوة وولاء واستعلاء .

إذن ؛ فحاجة الأمة الواعية المختارة إليها حاجة ضرورية فوق كل حاجة تستجلب بها عملاً مفقوداً ، وتحفظ بها منهجاً موجوداً ، وتحقق بها أملاً منشوداً ، عَلِمَه مَنْ عَلِمَه ، وجهله من جهله ، ووالاه من والاه ، وعاداه من عاداه ؛ سواء استعجل فيه أهل الحق أو استبطؤوا فإن جولة الحق آتية ، وصولة الإيمان نافذة ، والمآل الحسن والعاقبة الحميدة لأهل هذه الطريقة السديدة ، الذين استقاموا عليها بمحض توحيدهم لربهم ، وحسن متابعتهم لنبيهم ﷺ ، وملازمتهم للتقوى في سرهم وعلانيتهم ؛ فنالوا بذلك سعادة الدارين ، يقول الله تعالى : ﴿**وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾ .

فالواجب منهم هو الولاء التام والحب المطلق لها ولأهلها وللسائرين المرابطين على ثغورها .

فيعلم أهلها أن ولاءهم لها شرط في استقامتهم ، وأن استقامتهم دليل على ولائهم ؛ فيجمعون بين الاستقامة عليها ، والولاء التام لها ولأهلها .

والكثير - في يومنا هذا - لا يعطون ولاءهم لهذه الطريقة القرآنية السنية السلفية إلا بالقدر الذي هم يريدون ، ذلكم أن هذا الولاء والحب يتصادم مع مصالحهم وأهدافهم . . . فموانع الولاء عند هؤلاء كثيرة وكثيرة جداً ؛ منها ما هو ظاهر ، ومنها ما هو باطن تحت عناوين خطيرة ؛ تارة تكون باسم «الاحتواء» ، وأخرى بعنوان «المصلحة» ، وطوراً بزعم : «ترشيد الصحوة» ، وأخيراً بدعوى : «تجذير الدعوة» . . . وهم مع ذلك كله يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب حتى إذا حقق أحدهم مراده ، وبلغ مرامه ؛ كشر عن أنيابه ؛ فسقط المنهج من نواجذه ، فصال وجال ، وقعقع وفرقع ، وأزبد وأرعد ، لينال من الطريقة وأهلها!

ولكن هيهات هيهات . . . فمن حفظه الله لا ضيعة عليه ، ومن دافع الله عنه فلا حزن ولا خوف عليه .

﴿**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ .



بقلم الشيخ فتحي عبد الله سلطان

التوحيد وأثره في الولاية الشرعية

المقصودُ من قومتِهم توحيدُ الإلهية:

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - في «تفسيره» (١٥/٥) : «فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية ، ولهذا قالوا : ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَهاً﴾ . . . فجمعوا بين الإقرار بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية ، والتزام ذلك وبيان أنه الحقّ ، وما سواه الباطل» .

فوافقوا بذلك منهج الرسل وسيلة ومقصداً ، فطريقتهم في الاستدلال هي من جنس استدلال الرسل ، ومقصودهم هو أيضاً من جنس مقصود الرسل في الدعوة إلى الله - تعالى -

وتأكيداً لهذا المقصود نفوا دعاء غير الله نفياً مؤبداً لأنهم علموا أن أخص شيء في توحيد الإلهية هو إفراد الله - تعالى - بالدعاء قولاً وقصداً وعملاً . . .

فهم آثروا المعنى الخاص للعبادة على معناها العام ، فالدعاء أخص العبادة ؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : «الدُّعاء هو العبادة» .

وهم في هذا المقام نزلوا منزلة الإحسان لَمّا تذوّقوا حلاوة المناجاة لربِّ العالمين ، وذوقهم هذا ما هو إلا ثمرة التعبد بالأسماء والصفات وأثرها في الخلق والأمر ؛ فهم استحضروا اسم الله (الرقيب) لما في هذا الاسم من المعاني المقتضية للعلم والعمل .

الإحسان في توحيد الله:

إن إيثار الدعاء على المعنى الجامع للعبادة من موجبه ذوق حلاوة المناجاة باستحضار معنى القرب والمعيّة كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيْبٌ أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .

وإحسانهم هذا أثمر لهم استقامة على طريق الهداية ، فما كان منهم إلا أن التفتوا إلى قومهم دعوة ونصحاً لهم .

﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطَاً﴾ :

أي : قولاً مائلاً عن الحقّ إلى الباطل ،

فهو من : شطّ الشيء ؛ إذا طفح ومال ، وهذا القول منهم هو من كمالِ إخلاصهم - لله تعالى - ، وتجريدهم التوحيد من العلائق والشوائب والحجب .

فهم قدحوا في حظوظ أنفسهم ابتداء ، وردّوا كل قول مضاد للتوحيد حتى لو كان قولاً صادراً منهم ، ذلكم أنّ الإحسان في توحيد الله تعالى قولاً وعملاً وقصداً لا يكون إلا إذا :

● استحضر العبد أسماء الله -تعالى- علماً وعملاً ، وفقه معناها وأثرها في العالمين العُلوي والسفلي ، وهذا من باب تحقيق توحيد الإلهية بطريقة التعبد بالأسماء والصفات ، ويا له من باب عالي المطالب رفيع المقاصد .

● صيانة الظاهر والباطن من الاعتراض على الحكم الشرعي الديني أو القدري الكوني[1] .

● القدح في حظوظ النفس وعلائقها .

فهؤلاء الفتية لما قالوا : ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذَنْ شَطَطاً﴾ فهم استحضروا موجبات الدعاء من الأسماء والصفات أولاً .

وقدحوا في حظ أنفسهم ، وجرّدوا ظاهرهم وباطنهم من الاعتراض على حكم الله الكوني والشرعي ثانياً ، فتأمّل .

﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ :

لما فقهوا عقيدتهم وذكروا ما منّ الله به عليهم من الإيمان والهدى والتقوى التفتوا إلى ما كان عليه قومهم ، وبدأوا بواقعهم

قدح (أهل الكهف) في حظوظ أنفسهم ابتداء، وردّوا كل قول مضاد للتوحيد حتى لو كان قولاً صادراً منهم، ذلكم أنّ الإحسان في توحيد الله -تعالى- قولاً وعملاً وقصداً لا يكون إلا إذا:

*** استحضر العبد أسماء -الله تعالى- علماً وعملاً وفقه معناها وأثرها في العالمين العُلوي والسفلي، وهذا من باب تحقيق توحيد الإلهية بطريقة التعبد بالأسماء والصفات، ويا له من باب عالي المطالب رفيع المقاصد.**

يصفونه وصفاً دلّ على فقههم بأحوال هذا الواقع لا كدعاة اليوم الذين جعلوا الدعوة إلى توحيد الله آخر الأمر، هذا إن كان ثمّة دعوة إليه بنتيجة الأمر!!

فأول أمر أدركه هؤلاء الفتية في واقع قومهم هو ما عليه قومهم من الشرك وفساد العقيدة، وهذا بحدّ ذاته أمر يستدعي الاهتمام واستفراغ الجهد في إبطاله وإزالته .

والآية صدّرت قولهم بـ ﴿هؤلاء﴾ لما في تقديم اسم الإشارة في هذا الموضع من التحقير لقومهم بما هم عليه من الشرك بالله وفساد المعتقد .

وهذا التحقير لقومهم كان من فقههم للواقع فقهاً مستنداً على ضرورة اعتماد التوحيد أساساً في التقييم؛ فقدّموا أولاً الشرك وأنه الخطر الأول في واقع عصرهم آنذاك وما يترتب عليه من موجبات الهلاك ومقتضيات الدمار .

وهؤلاء الفتية قد أوتوا قوة علمية في جدل خصومهم ويقيناً يعضده؛ لذا قالوا : ﴿لَوْلاَ يَأْتُوْنَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ .

﴿لولا﴾ : حرف تحضيض؛ أي : حث المقابل على الإتيان بالسلطان المبين والدليل الظاهر مع علمهم بعجز قومهم عن الإتيان به، وهذا راجع إلى اليقين وقوة الأدلة المتحصّلة عندهم من جهة الإيمان مع ضعف ما عند خصومهم من الأدلة .

والآية : «دليل على فساد التقليد، وتأكيد بأن إقامة الحجة على إلهية غير الله وتأثيره ووجوده محال»[٢] .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ .

أي : لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب بادعاء أنّ له شريكاً كما افتراه عليه قومهم أصحاب الكهف[٣] .

وكان صدور الحكم منهم على قومهم وقع بعد إقامة الحجة عليهم، ومطالبتهم وحثّهم على الإتيان بالبرهان إن كانوا صادقين .

وكان إصدار الحكم على عسكر الشرك بعد إقامة الحجة وبعد أن استيأسوا منهم إجابةً لمنادي الإيمان هو العدل الذي دلت عليه مقاصد الرسل .

حينذاك أعلن عسكر الشرك المخذول عداءه وشنّ حربه على أهل التوحيد، فلا سبيل ساعتئذ إلا الالتجاء إلى الله -تعالى- والفرار إليه : ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِيْنٌ﴾، ولهذا لم

يكن لهم من سبيل إلا الاعتزال .

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾ .

حتى كُرمت هذه الفئة بنصر الله ، وهو نجاة الطائفة المؤمنة وانتصارها ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ؛ فكان دفاع الله ـ تعالى ـ عنها على أرض الواقع بإجراء قانوني الدفع والمدافعة لصالحها ، وتعطيل السنن الكونية لنفعها .

و ﴿إذ﴾ في الآية : للتعليل ؛ كما رجح ذلك الشنقيطي في «أضواء البيان» ؛ أي : ولأجل اعتزالكم قومكم ؛ فأووا إلى الكهف ، وهذا يدل على أن اعتزالهم الكفار هو من أسباب لطف الله ورحمته بهم ، وبموجب ذلك يكون التجاؤهم إلى الكهف ليس هرباً من الخلق بل نصر وتكرمة لهم ، وهو من جنس الإنابة والفرار إلى الله ؛ كما قال -تعالى- في التجاء النّبي ﷺ وصاحبه إلى الغار بأنه نصر : ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا﴾ الآية .

تنبيــــه:

ذكر أهل التفسير في الاستثناء الوارد في الآية : ﴿إِلاَّ اللَّه﴾ وجهين :

الأول : أنه منقطع .

والثاني : متصل .

ورجح القرطبي الأول ، والأظهر في الترجيح هو الثاني ؛ كما رجّح ذلك الشنقيطي ، وحمله على ذلك أظهر لأمرين :

الأول : الوارد في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (وَمَا يَعْبُدُوْنَ منْ دون اللّه) قال قتادة : هذا تفسيرها ، ولا يخفى على أهل العلم ما لمرويّات التفسير من أثر في ترجيح معنى الآية .

الثاني : أنّ الترجيح المذكور ينسجم مع مقاصد القرآن الضرورية من جهة أنّ المشركين كانوا يقرّون بالخالق ، ولكن أشركوا في توحيد العبادة ، وعليه يكون معنى الآية : وإذ اعتزلتموهم وما يشركون في عبادة الله تعالى ؛ أي : كانوا يعبدون الله والأصنام .

رعاية الله تعالى للفارين إليه :

ثم كانت الرعاية لهم : ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُم

مِرْفَقًا﴾ :

وهذه الرعاية هي ثمرة اعتزالهم للشرك وأهله ، فكل من يعتزل المشركين ويتبرأ من شركهم ويفرّ إلى الله فرار الموحّدين يَجعل له :

١ ـ هبة دينية ودنيوية من رحمة الله ـ تعالى ـ .

٢ ـ الهداية إلى سبل الرشاد والخير والعافية

٣ ـ ثناء حسن يعلو على كل ثناء .

وفي ذلك يقول الله -تعالى- : ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ .

فاجتمعت لهؤلاء الفتية هذه الثمار تكرمة الله -تعالى- لهم على توحيدهم وجهادهم وعزلتهم ، وفي هذا المعنى يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في «تيسير الكريم الرحمن» (٥/١٦) : «فحفظ أديانهم وأبدانهم ، وجعلهم من آياته على خلقه ، ونشر لهم من الثناء الحسن ما هو من رحمته بهم ، ويسّر لهم كل سبب حتى المحلّ الذي ناموا فيه ، كان على غاية ما يمكن من الصيانة» اهـ .

نعم ؛ اجتمعت لهم خصال محمودة وعطايا ممدوحة : صيانة المحل ، ورعاية الحال ، وحفظ الاعتقاد .

وكان حصول صدور الحكم منهم على قومهم بعد إقامة الحجة عليهم، ومطالبتهم وحثّهم على الإتيان بالبرهان إن كانوا صادقين.

وكان إصدار الحكم على عسكر الشرك بعد إقامة الحجة وبعد أن استيأسوا منهم إجابةً لمنادي الإيمان هو العدل الذي دلت عليه مقاصد

فائدة:

لقد كرّم الله -تعالى- أصحاب الكهف بما هيّأ لهم من الأسباب الكونية والشرعية في حفظهم وتثبيتهم وتمكينهم حتى إنّ كثيراً من السنن الكونية آنذاك عُطلت تحقيقاً لذلك ، وليس هذا التعطيل والتأثير مقصوداً لذاته ؛ أي : لمجرّد التأثير الكوني في خرق العادة ، بل تعدّاه إلى مقاصد دينية أخرى ؛ فالخرق للأحوال الكونيّة والسنن القدرية إنّما يأتي تابعاً للمقصود الديني الشرعي ؛ فالخرق في الكونيّات لا ينفع إذا لم يكن حادثاً للدين تابعاً له .

فالذي حصل للفتية في كهفهم من

الآيات الدالة على عظمة الله -تعالى- سواء السماوية منها أو الأرضية ؛ إنما لتكميل عبوديّتهم ، وتثبيت قوائم دعوتهم ، وترسيخ حقائق إيمانهم ، وليكونوا آية لغيرهم ، وذكرى للناظر في أحوالهم . . . فكرّموا بمقتضى ذلك . . . بالخرقين الديني والكوني ، والثاني تابع للأول ، وهذا ظاهر في كثير من الآيات لمن تأمّل :

﴿فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّىءِ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُم مِرْفَقاً﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ذلكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ .

وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ .

وقوله -تعالى- : ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِم لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها﴾ .

أهم ما يرشد إليه النصّ:

١ ـ قصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة .

٢ ـ تحقيق التوحيد قولاً وعملاً ودعوة وحالاً واستدلالاً شرطٌ في الولاية الشرعية .

٣ ـ تلقّي القصص من الوحي من موجبه تحصيل اليقين المثمر للعمل والانقياد .

٤ ـ هؤلاء الفتية لما آثروا أصل الإيمان شكر الله -تعالى- إيمانهم ؛ فزادهم من الهدى المتضمّن للعلم النافع والعمل الصالح .

٥ ـ ذكر الربوبية مع الإيمان هو من باب قرن الإلهية بالربوبية كما هو الغالب في السياقات القرآنية .

٦ ـ كان إيثار الهدى في الآية من باب تكميل القوة العملية وتهذيبها ، والاعتناء بالتزكية .

٧ ـ كل من يجاهد في ذات الله توحيداً وإيماناً لا بدّ وأن يُهدى إلى سبل الهداية وشرائع الإيمان .

٨ ـ طريقة تحصيل الإيمان بمقتضى العلوم الفطرية المسلّمة من المعارض ، فضلاً عن طريقة الاستجابة إلى الوحي ، هي أكمل طريقة .

٩ ـ هؤلاء الفتية الممدوحة صفتهم قد اجتمعت فيهم خصال تفرّقت في غيرهم ؛ فنالوا بمقتضى ذلك وصف الإمامة في الدين .

لقد كرم الله -تعالى- أصحاب الكهف بما هيّأ لهم من الأسباب الكونية والشرعية في حفظهم وتثبيتهم وتمكينهم حتى إنّ كثيراً من السنن الكونية آنذاك عُطلت تحقيقاً لذلك. وليس هذا التعطيل والتأثير مقصوداً لذاته: أي: لمجرّد التأثير الكوني في خرق العادة. بل تعدّاه إلى مقاصد دينية أخرى: فالخرق للأحوال الكونيّة والسنن القدرية: إنّما يأتي تابعاً للمقصود الديني الشرعي؛ فالخرق في الكونيّات لا ينفع إذا لم يكن حادثاً للدين تابعاً له.

١٠ ـ كانت لهؤلاء الفتية أعمال قلبية أثمرت ذوق حلاوة الإيمان ، من أخصّها محبّة اللّه تعالى ، وإيثار المقصود على سواه .

١١ ـ لما وجدوا حلاوة الإيمان أثمر وجدانُهم تعريفاً ودعوةً إلى التوحيد ، وقياماً في ذات الله -تعالى- .

١٢ ـ قد يفرغ القلب من أمور توجب انتقاص الإيمان بحسبها كالإنابة والخشية والتصدّع واليقين ؛ حينئذٍ يربط على القلب برباط التوفيق حتى لا يخذل .

١٣ ـ صاحب الهمّة العالية اتصلت همته باللّه -تعالى- طلباً وقصداً واتصلت بخلقه دعوة ونصحاً ، فوحّدت مطلوبها بالإخلاص ، وطلبها بالصدق ، وطريقها بالمتابعة .

١٤ ـ أول ما يجب من مطالب الرسل الضرورية مطلب التعريف بالله -تعالى- ربّاً ومعبوداً وبأسمائه وصفاته ، وعلى هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة الأخرى .

١٥ ـ كان استدلال الفتية استدلالاً فطرياً تامّاً من جنس استدلال الرسل ؛ فهم استدلّوا بالله -تعالى- على خلقه ، لا بخلقه عليه.

١٦ ـ كان المقصود من قومتهم هو توحيد الإلهية ؛ فوافقوا منهج الرسل وسيلة ومقصداً واستدلالاً .

١٧ ـ من ثمرة عملهم بالتوحيد أنهم علموا أنّ أخصّ شيء في توحيد العبادة هو إفراد الله -تعالى- بالدعاء قولاً وقصداً

وعملاً.

١٨ ـ على قدر التعبد بالأسماء والصفات ، والعلم بأثرها في الخلق والأمر يتذوق العبد حلاوة المناجاة لربّ العالمين ، وينزل في منازل المحسنين.

١٩ ـ إذا لم يقدح العبد في حظ نفسه ويجرد ظاهره وباطنه من الاعتراض ؛ كان موجب ذلك انتقاص الإيمان بحسبه.

٢٠ ـ لما بدأ الفتية بواقعهم يصفونه ، ويشخصون خطورة الشرك في قومهم دلّ ذلك على فقههم بأحوال هذا الواقع لا كدعاة اليوم الذين جعلوا الدعوة إلى توحيد الله تعالى آخر الأمر .

٢١ ـ هؤلاء الفتية قد أوتوا قوة علمية في جدل خصومهم ويقيناً يعضده ؛ فأعجزوا قومهم عن الإيتاء بالسلطان البيّن ، والدليل الظاهر.

٢٢ ـ من العدل الواجب الذي دلت عليه مقاصد الرسل هو تأخير إصدار الحكم على المشركين حتى تقام الحجة الرسالية عليهم ، وبعد الاستيئاس من إجابتهم لمنادي الإيمان.

٢٣ ـ إذا أعلن عسكر الشرك المخذول عداءه وحربه على أهل التوحيد ، فلا سبيل حينئذٍ إلا الالتجاء إلى الله -تعالى- ، والفرار إليه ، والأخذ بأسباب الثبات والنصر.

٢٤ ـ كان من دفع الله -تعالى- عن أصحاب الفئة المؤمنة على أرض الواقع أن أجرى قانونَي الدفع والمدافعة لصالحها ، وعطّل السنن الكونية لنفعها.

٢٥ ـ التجاء الفتية إلى الكهف لم يكن هرباً من الخلق بل التجاء ونصر وتمكين ، وهو من جنس الإنابة إلى الله -تعالى- ، والفرار إليه.

٢٦ ـ اجتمعت لهؤلاء الفتية خصال محمودة وعطايا ممدوحة ، فصان الله -تعالى- محلّهم ، ورعى حالهم ، وحفظ اعتقادهم .

٢٧ـ ما حصل للفتية في كهفهم من العجائب والتأثير في السنن الكونية العلوية والسفلية إنّما هو لتكميل المقصود الديني ، والخوارق تابعة للدين حادثة له[5] .

الحواشي :

(١) انظر موضوع الإعراض في «مدارج السالكين» (٢/٦٩ـ٧٠).

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (١١/١٣).

(٣) «أضواء البيان» للشنقيطي (٤/٣٢).

(٤) في الآية دليلٌ على أن من مقاصد الخرق والتأثير الكوني حصول فائدة مطلوبة من العباد ، وهي : العلم بالكلمات الشرعية ، والعمل بمقتضاها ، فالله -تعالى- بعثهم ، ليتساءلوا ، وليبحثوا ، ويتعلّموا حقائق الأشياء.

(٥) انظر كلام شيخ الإسلام في الخوارق (١١/٣١٩ وما بعدها) «مجموع الفتاوى»

بقلم : الشيخ الدكتور محمد بن موسى بن نصر

الراحمون يرحمهم الرحمن

قَبّل النبي ﷺ الحسن بن علي -رضي الله عنهما- وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع : تقبلون أبناءكم ، والله إن عندي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً! فقال النبي ﷺ : «من لا يرحم لا يُرحم» .

إن الرحمة في ديننا شملت الدنيا والآخرة والإنسان والحيوان والطير والبيئة .

قال ـ تعالى ـ : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ .

وقد وصف الله ـ تعالى ـ نفسه بالرحمة ، ووصف بها أنبياءه وعباده الصالحين .

قال تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللّٰه وَالَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ .

ولقد جعل الله بعثة النبي ﷺ رحمة للعالمين ، قال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ﴾ .

ولفظ (العالمين) عام يشمل عالم الإنس والجن والحيوان ، والطير ، وأمم البر ، وأمم البحار .

ولقد أمر الله بالرحمة في كل شيء ، وعند كل عمل ؛ فأنت تذبح ذبيحتك ترحمها بالتسمية ، وشحذ المدية ، قال ﷺ : «إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وإذا قتلتم فأحسنوا القِتل وليحدّ أحدكم شفرته ولْيُرِحْ ذبيحته» .

ولقد غفر الله لإحدى بغايا اليهود لرحمتها لكلب كاد يقتله العطش حيث ملأت موقها بالماء ؛ فأمسكت بفي الكلب فسقته ، فشكر الله لها صنيعها وغفر لها .

وهذا نبينا ﷺ يرى بعض الصحابة قد أخذ فراخ قُبّرة ، وهي تصيح فوق رؤوس الصحابة فقال : «من فجع هذه بولدها ردّوا إليها أولادها؟!» .

وكلما كان الإنسان ضعيفاً فقيراً كان توجُّه الرحمة إليه أكثر ، وكان الرفق به

أوجب ، لذلك نهى ربنا عن زجر اليتيم والإساءة إليه ، قال ـ تعالى ـ : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيْمَ فَلاَ تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ .

وقال ﷺ : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» .

وكان ﷺ يمسح على رأس اليتيم ويقول : «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى» .

وأمر بالعناية بالأطفال والنساء والشيوخ فقال وهو يودع أصحابه وأمته : «الصلاة وما ملكت أيمانكم» . «استوصوا بالنساء خيراً» وقال : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» .

إن الرحمة أمر فطري أودعه الله في قلوب مخلوقاته حتى السباع الضارية منها فهي ترحم أولادها والله أرحم بخلقه من الأم بولدها ، ولذلك خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أودع عنده تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ، وأنزل إلى الأرض رحمة واحدةً يتقاسمها الإنسان والحيوان .

ولقد ذم رسو الله ﷺ من تجرّد من الرحمة ولم ينل نصيباً وافراً منها ، لذلك زجر قاطعي الأرحام فقال ﷺ : «الرحم معلقة بالعرش تقول : من قطعني فاقطعه ، ومن وصلني فصله» .

وفي رواية : «إن الرحم تتعلق بعرش الرحمن يوم القيامة تقول : هذا مقام العائذ بك من القطيعة فيقول لها الله : أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك فتقول : رضيت ربِّ» .

وذم الحكام الظلمة الذين لا يرحمون شعوبهم فقال : «إنَّ شرَّ الرِّعاء الحُطَمة» .

ولقد سمّى الله نفسه الرحمن الرحيم فهو رحمن الدنيا والآخرة ، وهو واهب الرحمات ، ولذلك أمر بها في كل مقام وحال ، والمسلم يبدأ عمله بتسمية الله الرحمن الرحيم ليبارك له في عمله ، فكل عمل يخلو من الرحمة لا بركة فيه ولا خير فيه ، ورحمة العباد بعضهم بعضاً سبب لنزول رحمة الله عليهم .

قال ﷺ : «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» .

اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض ، واجعلنا رحماء بيننا كما كان أصحاب نبيك ، وارحم موتانا ، وولِّ علينا أهل الرحمة من عبادك يا رحمن يا رحيم .

* * *

بقلم الشيخ الدكتور إبراهيم الرحيلي

مواقف أهل البيت من الرافضة ومن عقيدتهم

أئمة أهل بيت النبي ﷺ كسائر أهل السنة في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة، وبعدهم عن الحق وهم من أشد الناس ذماً ومقتاً لهم وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم.

فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الرافضة وتأصيلهم عقيدة أهل السنة:

ما ثبت عن علي رضي الله عنه وتواتر عنه أنه قال ـ وهو على منبر الكوفة ـ: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما[1].

وعنه رضي الله عنه أنه قال: لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفتري[2].

وفي الصحيحين أنه قال في حق عمر عند تشييعه: ما خلفت أحداً أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أسمع كثيراً رسول الله ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما[3].

وهذه الآثار الثابتة عن علي رضي الله عنه تناقض عقيدة الرافضة في الشيخين رضي الله عنهم وتدل على براءة علي رضي الله عنه من الرافضة ومن عقيدتهم، وتوليه للشيخين وسائر أصحاب النبي ﷺ، وحبه لهم، وإقراره للشيخين بالفضل عليه، وعقوبته من فضله عليهما، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر. فرضي الله عنه وعن سائر أصحاب النبي ﷺ الطيبين المطهرين من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الرافضة والخوارج المارقين.

ثم من بعد علي رضي الله عنه جاءت

أقوال أبنائه ، وأهل بيته ، في البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم ، وانتصارهم لعقيدة أهل السنة .

وإليك طرفاً من أقوالهم في ذلك :

قـول الحسن بن علي رضي الله عنهما :

عن عمرو بن الأصم ؛ قال : قلت للحسن : إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ؛ قال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله[٤] .

وروى أبو نعيم : قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما : إن الناس يقولون : إنك تريد الخلافة ، قال : كانت جماجم العرب في يدي ، يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت ، فتركتها ابتغاء وجه الله ، وحقن دماء أمة محمد ﷺ[٥] .

قـول الحسين بن علي رضي الله عنهما :

كان يقول في شيعة العراق ـ الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر ثم تفرقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه ـ : اللهم إن أهل العراق غروني وخدعوني ، وصنعوا بأخي ما صنعوا ، اللهم شتت عليهم أمرهم وأحصهم عدداً[٦] .

ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده رضي الله عنه هو وعامة من كان معه من أهل بيته ، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة . فكان مقتله رضي الله عنه مصيبة عظيمة ، ومأساة جسيمة ، يتفطر لها قلب كل مسلم . تولى كبرها هؤلاء الشيعة الذين يظهرون اليوم تحسرهم وندمهم على مقتل الحسين بإقامة تلك المآتم المبتدعة في يوم عاشوراء من كل سنة ؛ فقبحهم الله ما أكذب دعواهم في ولاية أهل البيت ، وأعظم غدرهم وخذلانهم لهم!!

قول علي بن الحسين رحمه الله :

ثبت عنه أنه قال : يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ، ولا تحبونا حب الأصنام ، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً[٧] .

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه جاءه نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ، فلما فرغوا ؛ قال لهم : ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا : لا . قال : فأنتم الذين تبوؤا الدار والإيمان من

قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه أولئك هم المفلحون؟ قالوا : لا . قال : أشهد أنكم لستم من الذي قال الله عز وجل : ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾[8] ، اخرجوا فعل الله بكم[9]!!

قول محمد بن علي (الباقر) :

عن محمد بن علي أنه قال :

أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول[10] .

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه قال لجابر الجعفي : إن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ، ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويزعمون أني أمرتهم بذلك ، فأخبرهم : أني أبرأ إلى الله تعالى منهم ، والله بريء منهم ، والذي نفس محمد بيده لو وليت ، لتقربت إلى الله بدمائهم . لا نالتني شفاعة محمد ، إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله غافلون عنهما[11] .

وعن بسام الصيرفي قال : سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال : والله إني لأتولاهما ، وأستغفر لهما ، وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا هو يتولاهما[12] .

قول زيد بن علي -رحمه الله- :

عن زيد بن علي أنه قال : كان أبو بكر إمام الشاكرين ثم تلا ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾[13] ، ثم قال : البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي[14] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

ولهذا كانت الشيعة المتقدمون، الذين صحبوا علياً، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان، وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر.

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه قال : البراءة من أبي بكر وعمر البراءة من علي رضي الله عنهم ؛ فإن شئت فتقدم ، وإن شئت فتأخر[15] .

قول جعفر بن محمد (الصادق) :

عن عبدالجبار بن عباس الهمداني : أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة ، فقال : إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم ، فأبلغوهم عني : من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة ؛ فأنا منه بريء ، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر ؛ فأنا منه بريء[16] .

وعن سالم بن أبي حفصة ؛ قال : سألت أبا جعفر وابنه جعفر عن أبي بكر وعمر فقال : يا سالم! تولهما وابرأ من عدوهما ، فإنهما كانا إمامي هدى ، ثم قال جعفر : يا سالم! أيسب رجل جده؟ أبو بكر جدي ، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[17] .

وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول : ما أرجو من شفاعة علي شيئاً ، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله ، لقد ولدني مرتين[18] [19] .

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال : إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة .

وعنه أنه قال : برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر[20] .

قال الذهبي معقباً على هذا الأثر : قلت هذا القول متواتر عن جعفر الصادق ، وأشهد بالله إنه لبار في قوله ، غير منافق لأحد ، فقبح الله الرافضة[21] .

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت ، الطيبين ، الطاهرين ، الذين تدعي الرافضة إمامتهم وولايتهم ، وينسبون إليهم عقيدتهم ، جاءت موضحة ومبينة موقفهم من الرافضة ، ومن دينهم وبراءتهم منهم ومن كل ما يلصقونه بهم من عقائدهم المكفرة ، ومطاعنهم على خيار الصحابة ، وأمهات المؤمنين ، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة أهل السنة ، ظاهراً وباطناً ، في كل كبير وصغير ، فهي عقيدتهم التي بها يدينون ، وعليها يوالون ويعادون ، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم ، فرحمهم الله رحمة واسعة ، وقبح الله الرافضة ما أعظم فريتهم عليهم وأشد أذيتهم لهم .

ثانياً : أقوال المنسوبين للتشيع[22] من

الأئمة المتقدمين :

روى اللالكائي عن ليث بن أبي سليم ؛ قال : أدركت الشيعة الأولى ما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً[٢٣] .

وعن سلمة بن كهيل أنه قال : جالست المسيب بن نجبة الفزاري في هذا المسجد عشرين سنة ، وناساً من الشيعة كثيراً ، فما سمعت أحداً منهم تكلم في أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير ، وما كان الكلام إلا في علي وعثمان[٢٤] [٢٥] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ولهذا كانت الشيعة المتقدمون ، الذين صحبوا علياً ، أو كانوا في ذلك الزمان ، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر ، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان ،

هذه هي أقوال أئمة أهل البيت، الطيبين، الطاهرين، الذين تدعي الرافضة إمامتهم وولايتهم، وينسبون إليهم عقيدتهم، جاءت موضحة ومبينة موقفهم من الرافضة، ومن دينهم وبراءتهم منهم ومن كل ما يلصقونه بهم من عقائدهم المكفرة، ومطاعنهم على خيار الصحابة، وأمهات المؤمنين، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة أهل السنة، ظاهراً وباطناً، في كل كبير وصغير فهي عقيدتهم التي بها يدينون، وعليها يوالون ويعادون، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم.

وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر[٢٦] .

وروى اللالكائي عن إبراهيم بن أعين قال : قلت لشريك[٢٧] : أرأيت من قال : لا أفضل أحداً ، قال : هذا أحمق أليس قد فضل أبو بكر وعمر[٢٨]؟

وعن سليمان بن أبي شيخ ؛ قال : لقي عبدالله بن مصعب الزبيري شريكاً فقال : بلغني أنك تنال من أبي بكر وعمر؟ فقال شريك : والله ما أنتقص الزبير ، فكيف أنال من أبي بكر وعمر[٢٩]!!

وعن حفص بن غياث ؛ قال : سمعت شريكاً يقول : قبض النبي ﷺ واستخار المسلمون أبا بكر ، فلو علموا أن فيهم أحداً أفضل منه كانوا قد غشُّونا ، ثم استخلف أبو بكر عمر ، فقام بما قام به من الحق والعدل ؛ فلما حضرته الوفاة جعل الأمر شورى بين ستة فاجتمعوا على عثمان ، فلو علموا أن فيهم أفضل منه كانوا قد غشونا[٣٠] .

قال علي بن خشرم : فأخبرني بعض أصحابنا من أهل الحديث أنه عرض هذا على عبدالله بن إدريس ، فقال ابن إدريس : أنت سمعت هذا من حفص؟ قلت : نعم . قال : الحمد لله الذي أنطق بهذا لسانه ، فوالله إنه لشيعي ، وإن كان شريكاً لشيعي[٣١] .

قال الذهبي معقباً : قلت : هذا التشيع الذي لا محذور فيه ـ إن شاء الله ـ إلا من قبيل الكلام فيمن حارب علياً رضي الله عنه من الصحابة ، فإنه قبيح يؤدب فاعله . . .[٣٢] .

وعن سلمة بن شبيب قال : سمعت عبدالرزاق[٣٣] يقول : ما انشرح صدري قط أن أفضل علياً على أبي بكر ـ فرحمهما الله ـ ورحم الله عثمان وعلياً ، من لم يحبهم فما هو بمؤمن أوثق عملي حبي إياهم[٣٤] .

وعن عبدالرزاق أيضاً أنه قال : أفضل الشيخين بتفضيل علي إياهما على نفسه ، كفى بي إزراء أن أخالف علياً رضي الله عنه[٣٥] .

وروى اللالكائي عن أبي السائب عتبة بن عبدالله الهمداني قال : كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان . . . وكان بحضرته رجل ذكر عائشة بذكر قبيح ، من الفاحشة . فقال : يا غلام! اضرب عنقه ، فقال له العلويون : هذا رجل من شيعتنا ، فقال : معاذ الله

هذا رجل طعن على النبي ﷺ ، قال الله عز وجل : ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ (٣٦) ، فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث ، فهو كافر اضربوا عنقه . فضربوا عنقه وأنا حاضر (٣٧) .

الحواشي :

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/١٠٦ ، وابن أبي عاصم في السنة ص٥٥٦ ، وصححه الألباني في ظلال الجنة ، وأخرجه اللالكائي ٧/١٣٦٦ ـ ١٣٩٧ ، ورواه أبو نعيم في كتاب الإمامة ص٢٤٣ ، ومحمد بن عبدالواحد المقدسي في النهي عن سب الأصحاب ص٧٣ ، وأبو حامد المقدسي في رسالة في الرد على الرافضة ص٢٩٦ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن حديثه عن براءة علي رضي الله عنه من الرافضة : وقد تواتر عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر . وبذلك أجاب ابنه محمد بن الحنفية . فيما رواه البخاري في صحيحه منهاج السنة ١/١١ ـ ١٢ ، وانظر الأثر في البخاري (كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً) . فتح الباري ٧/٢٠ ح٣٦٧١ .

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ٢/٥٦٢ ، وابن أبي عاصم في السنة ص٥٦١ ، وأبو حامد المقدسي في رسالة في الرد على الرافضة ص٢٩٨ .

(٣) أخرجه البخاري في (كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب) فتح الباري ٧/٤١ ، ح٣٦٨٥ ، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر رضي الله عنه) ٤/١٨٥٨ ، ح٢٣٨٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/١٤٨ ، وفي فضائل الصحابة ٢/١٧٥ ، وأورده الذهبي في السير ٣/٢٦٣ .

(٥) حلية الأولياء ٢/٣٧ .

(٦) أورده الذهبي في السير ٣/٣٠٢

(٧) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٣٩٨ ، وأورده أبو نعيم في الحلية ٣/١٣٧ ، والذهبي في السير٤/٣٩٠ .

(٨) سورة الحشر آية ١٠ .

(٩) أورده أبو نعيم في الحلية ٣/١٣٧ .

(١٠) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥/٣٥٥أ ، وأورده الذهبي في السير ٤/٤٠٦ ، وأبو حامد المقدسي في الرد على الرافضة ص٣٠٢ .

(١١) أخرجه محمد بن عبدالواحد المقدسي في النهي عن سب الأصحاب ص٧٥ ، وأورده البيهقي في كتاب الاعتقاد ص٣٦١ ، وأبو حامد المقدسي في الرد على الرافضة ص٣٠٣ .

(١٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٥/٣٢١ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥/٣٥٥ب ، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٩/٣٢١ ، والذهبي في السير ٤/٤٠٣ ، وأبو حامد المقدسي في الرد على الرافضة ص ٣٠٤ .

(١٣) سورة آل عمران من الآية : ١٤٤ .

(١٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/١٣٠٢ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/٣٢٤ب ، وأورده الذهبي في السير ٥/٣٩٠ .

(١٥) أخرجه محمد بن عبدالواحد المقدسي في النهي عن سب الأصحاب ص٧٥ .

(١٦) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٥٩/٦ .

(١٧) أخرجه عبدالله بن أحمد في كتاب السنة ٥٥٨/٢ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٠١/٧ ، وأورده الذهبي في السير ٢٥٨/٦ .

(١٨) قال الذهبي في ترجمة جعفر بن محمد : «وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي ، وأمها هي أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر ، ولهذا كان يقول : ولدني أبو بكر الصديق مرتين» . سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٦ .

(١٩) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٠١/١٧ ، وأورده الذهبي في السير ٢٥٩/٦ .

(٢٠) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٦ .

(٢١) سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٦ .

(٢٢) التشيع في اصطلاح العلماء المتقدمين هو : تقديم علي على عثمان ، دون التعرض للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقد تقدم في كلام الذهبي أن هذا قد وجد في التابعين وتابعيهم مع الدين ، والورع ، والصدق .

(٢٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٠٢/٧ ، وأورده الذهبي في السير ٢٥٥/٦ .

(٢٤) أي : في المفاضلة بينهما رضي الله عنهما .

(٢٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٦٨/٧ .

(٢٦) منهاج السنة ١٣/١ .

(٢٧) هو : شريك بن عبدالله النخعي ، القاضي أبو عبدالله ، أحد الأعلام ، كانت وفاته سنة سبع وسبعين ومئة . قال عنه الذهبي : فيه تشيع خفيف على قاعدة أهل بلده . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠٠/٨ ـ ٢٠٢ .

(٢٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٦٩/٧ ، وأورده الذهبي في السير ٢٠٥/٨ .

(٢٩) أورده الذهبي في السير ٢٠٦/٨ .

(٣٠) المصدر نفسه ٢٠٩/٨ .

(٣١) المصدر نفسه .

(٣٢) المصدر نفسه .

(٣٣) هو : عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري ، أبو بكر الصنعاني . قال ابن حجر : «حافظ ، مصنف ، شهير ، عمي في آخر عمره ، وكان يتشيع» . تقريب التهذيب ص٣٥٤ .

(٣٤) أورده الذهبي في السير ٥٧٤/٩ .

(٣٥) المصدر نفسه .

(٣٦) سورة النور الآية : ٢٦ .

(٣٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٦٩/٧ .



بقلم الشيخ أبي أسامة سليم الهلالي

ضوابط الهجر الشرعي

٢ـ أن يكون هجراً شرعياً :

ينبغي أن يكون الزجر بالهجر لأهل البدع ديانة ؛ لأنه من باب العقوبات الشرعية بل هو من جنس الجهاد في سبيل الله ، وهو دال على منزلة الإسلام ، والسنة في قلوب أتباعه .

فالهجر من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله ، ولا يكون مشروعاً إلا لحق الله لا لهوى النفس ، حظوظها ؛ فالطاعة لا بدّ أن تكون خالصة لله وموافقة لأمره ، فتكون خالصة صواباً ، ولذلك فالهجر لحقّ النفس ينقض الإخلاص ، والهجر على خلاف الأمر ينقض المتابعة .

وهجر أهل البدع المشروع على نوعين :

الأول : هجر التعزير : وهو من العقوبات الشرعية التي يوقعها المسلم على أهل الأهواء على وجه التأديب حتى يتوب المبتدع ويفيء إلى أمر الله .

قال تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكتاب أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُم إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (النساء : ١٤٠) .

وقال : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُم حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام : ٦٨) .

ولما كان المقصود بالهجر زجر المبتدع وتأديبه ورجوعه إلى جماعة المسلمين ؛ فإن الشرع يزن الأمور بميزان عدل فلا إفراط ولا تفريط على قاعدة رعاية المصالح وتكثيرها ، ودرء المفاسد وتقليلها .

قال شيخ الإسلام : «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم ، وقلتهم وكثرتهم ؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن

مثل حاله ، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً ، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف ، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحتهم لم يشرع الهجر .

بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر ، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين ؛ كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم ، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعون في عشائرهم ، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم ، وهؤلاء كانوا مؤمنين ، والمؤمنات سواهم كثير ؛ فإن في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم ، وهذا كما أن الشروع في العدو القتال تارة ، والمهادنة تارة ، وأخذ الجزية تارة ، كل ذلك بسبب الأحوال والمصالح .

وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل .

ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع ؛ كما كثرت القدر في البصرة ، والتنجيم بخراسان ، والتشيع بالكوفة ، وبين ما ليس كذلك ، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم ، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطريق إليه»[١٩] .

وقال رحمة الله : «وعقوبة الظالم وتعزيره مشروط بالقدرة ؛ فلهذا اختلف حكم الشرع في نوعي الهجرتين : بين القادر والعاجز ، وبين قلة نوع الظالم والمبتدع وكثرته وقوته وضعفه ، كما يختلف الحكم بذلك في سائر أنواع الظلم من الكفر والفسوق والعصيان ، فإن كل ما حرمه الله فهو ظلم ؛ إما في حق الله فقط ، وإما في حق عباده ، وإما فيهما .

وما أمر به من هجر الترك والانتهاء وهجر العقوبة والتعزيز إنما هو إذا لم يكن فيه مصلحة دينية راجحة على فعله ، وإلا فإذا كان في السيئة حسنة راجحة لم تكن سيئة ، وإن كانت مكافئة لم تكن حسنة ولا سيئة ...

فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأموراً بها ، كما ذكره أحمد عن أهل خراسان إذ

ذاك : إنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية ، فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة ، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي .

وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة ، فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم ، فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس.

وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة ، خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله ، أو خرج خطاباً لمعين قد علم حاله ، فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول ﷺ ، إنما يثبت حكمها في نظيرها .

فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً ، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به ، فلا يجب ولا يستحبّ ، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات .

وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية ، فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية ؛ بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهي الكاره ، أو وقعوا فيها أو قد يتركونها ترك المنتهي الكاره ولا ينهون عنها غيرهم ، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها ، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً ، فهم بين الغالي فيه والجافي عنه ، والله سبحانه أعلم»[٢٠] .

قال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد : «فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة كانت مشروعية هجر المبتدع قائمة على أصلها ، وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فلا المبتدع ولا غيره يرتدع بالهجر ولا يحصل المقصود الشرعي لم يشرع الهجر ، وكان مسلك التأليف خشية زيادة الشر . . .

ومن أهم المهمات هنا : إذا كانت الواجبات لدى أهل السنة مثل : التعليم ، والجهاد ، والطب ، والهندسة ، ونحوها تتعذر إقامتها إلا بواسطتهم ؛ فإنه يعمل على تحصيل مصلحة الجهاد ومصلحة التعليم وهكذا مع الحذر من بدعته ،

واتقاء الفتنة به وبها ما أمكن، وبقدر الضرورة، فإذا زالت عاد أهل السنة إلى الأصل في الهجر، وأبعد المبتدع»[٢١].

الثاني: الهجر الوقائي المانع.

قال ابن عبدالبر رحمه الله: «ولا هجرة إلا لمن ترجو تأديبه أو تخاف من شره في بدعة أو غيرها»[٢٢].

وقال: «وأجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه أو يولد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه، فإن كان كذلك فقد رخص له في مجانبته وبعده»[٢٣].

ومدار هذا النوع على قوله ﷺ: «مَن سمع بالدجال؛ فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات»[٢٤].

وعلته أن القلوب ضعيفة والشبه خطافة، ولذلك وظف السلف هذا النوع في حياتهم العملية ضد البدعة ودعاتها لكيلا يظفر مبتدع بنيل مناه في إلقاء شبهاته وإظهار دعوته وحفاظاً على عدة المستقبل وأمل الغد من ناشئة المسلمين حتى لا يصرعوا في محاضن الأدعياء دعاة البدع وأئمة الضلالة الذين يتكلمونه بكلام ظاهره كنقد الذهب، وباطنه أحرق للقلوب من اللهب.

ومفردات هذا النوع:

١ ـ عدم مجالستهم.

٢ ـ عدم الدخول عليهم ومخالطتهم.

٣ ـ عدم مشاورتهم.

٤ ـ عدم الاستماع والإصغاء إليهم.

٥ ـ عدم مجادلتهم ومناظرتهم.

وأقوال السلف في بيان ذلك طافحة بها كتب السنة[٢٥]، ولذلك جعله الإمام أحمد أصلاً من أصول السنة؛ فقال: «وترك الخصومات والجلوس مع أهل الأهواء»[٢٦].

وقال ابن بطة رحمة الله معلّقاً على حديث عمران بن حصين المتقدم: «هذا قول الرسول ﷺ، فالله يا معشر المسلمين لا يحملن أحداً منكم حسن ظنّه بنفسه وما عهد من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول: أداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق

من الجرب ، وأحرق للقلوب من اللهب .

ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ، ويسبونهم في مجالسهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباسطة ، وخفي المكر ، دقيق الكفر حتى صبوا إليهم»[٢٧] .

قال شيخ الإسلام: "وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم. فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله. فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجرة إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً. وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف. بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحتهم لم يشرع الهجر.

بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر. والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين؛ كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم لما كان أولئك كانوا سادة مطاعون في عشائرهم. فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم. وهؤلاء كانوا مؤمنين. والمؤمنات سواهم كثير؛ فإن في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم. وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة. والمهادنة تارة. وأخذ الجزية تارة. كل ذلك بسبب الأحوال والمصالح.

وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل.

ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع؛ كما كثرت القدر في البصرة. والتنجيم بخراسان والتشيع بالكوفة. وبين ما ليس كذلك. ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم. وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطريق إليه".

قلت : وهذا النوع ينبغي إعماله في كل وقت وعدم إهماله ؛ لئلا يصبوا إليهم من لم تتمكن السنة من سويداء قلبه لصغره أو لجهله ، والوقاية مقدمة على العلاج كما لا يخفى .

٣ ـ الهجر لا يكون لمجرد ارتكاب فعل مختلف في حكمه بين الأئمة الأعلام ، أو لتعثر في زلة لا يخلو منها إمام ، أو هفوة لا يسلم منها كل واحد من الأنام ، لذلك ينبغي التفريق بين من أخطأ بعد تحري الحق وبذل الجهد ، ومن تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه فلا يدع عرقاً ولا مفصلاً إلا داخله ، فالأول مجتهد أخطأ ، والآخر بدعي متسرع ما أبطأ .

والاجتهاد الخطأ ليس كالابتداع أصلاً ووصفاً ونتيجة :

أما الأصل ؛ فإن الشرع قد دل على أن الهوى هو المتبع في البدع ، فهو مقصودهم ، ودليل الشرع تبع في حقهم ، فإذا خالف دليل الشرع أهواءهم تأولوه ، فإن استعصى عليهم ردّوه ، ويتبعون شبهة وافقت أغراضهم ، ويبتغون فتنة نالت إعجابهم .

قال مولانا الحق :﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ . . .﴾ الآية (آل عمران : ٧) .

فأثبتَ اللهَ جلاله الزيغ أولاً ، ثم اتباع المتشابه منه ، وهو خلاف المحكم الواضح المعنى الذي هو أم الكتاب ومعظمه ، على هذا القليل ، فتركوا المعظم المحكم إلى القليل المتشابه ، الذي لا يعطي مفهوماً واضحاً ؛ إلا برده إلى المحكم .

فانظر رحمك الله كيف اتبعوا أهواءهم أولاً في مطالبة الشرع بشهادة الله .

وقال جلّ جلاله : ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾ (الأنعام : ١٥٩) .

ألم تر كيف نسب التفريق إليهم ، ولو كان التفريق في مقتضى الدليل لم ينسبه إليهم ، ولا أتى به في معرض الذم ؛ وليس ذلك إلا اتباع الهوى .

وإنما يأتي التفريق بعد وضوح الصراط المستقيم اتباعاً لبُنيَّات الطريق .

قال جل ثناؤه : ﴿وَأَنَّ هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوْهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُوْنَ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

وأما المجتهد الراسخ ؛ فلا يبتدع بداءة ، وإن وقع منه فإنما يقع فلتة ، وبالعرض لا بالذات ؛ لأنه لم يقصد اتباع المتشابه ؛ أي : لم يتبع هواه ، ولا جعله عمدة ، وعلامة ذلك أنه ظهر له الحق أذعن له ، وأناخ بفهمه في رحابه مقراً به .

ولذلك ؛ فالابتداع يقع ممن لم يتمكن من علمه ، حيث لم يصح بسبار العلم أنه من المجتهدين ، فهو الحري باستنباط ما خالف الشرع ، فإذا اجتمع له مع ذلك الجهل بمقاصد الشرع الهوى الباعث عليه في الأصل ، فكيف إذا انضاف إليه شبهاً ظنها شرعية على صحة ما ذهب إليه؟! فيتمكن الهوى من قلبه تمكناً لا يمكن في العادة الانفكاك عنه ، فيجري منه مجرى الكَلَب من صاحبه ؛ كما جاء في حديث الفرق[٢٨] .

والكَلَب داء عُضال ، لا يرجى شفاءه ، وكذلك البدع .

وهو أيضاً خبيث معد ، كذلك البدع

وعلى هذا يحمل قول رسول الله ﷺ : «إن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة»[٢٩] .

أي أن البدع تتجارى بأهلها ، فتحول بينهم وبين التوبة على الغالب ، والله غالب على أمره ، لكن أكثر الناس لا يعلمون .

وأما الوصف ، فإن من اتبع هواه كان ضالاً .

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَىً مِنَ اللَّهِ ...﴾ (القصص : ٥٠) .

وقال تعالى : ﴿وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ﴾ (ص : ٢٦) .

وأما المجتهد الذي يتحرى مواقع الحق ، ولكنه يزل عنها أحياناً ، فيسمى ما صدر عنه خطأً أو غلطة أو زلة .

وأما النتيجة ؛ فإن كل مبتدع مذموم آثم .

قال ﷺ : «كل بدعة ضلالة»[٣٠] .

وبيان مصير الضلالة ، وأنها في النار ، تعلم أن معناها الإثم لا الخطأ ، حيث حمل بعضهم لفظ : (ضلالة) على الخطأ ؛ لأن ذلك من معانيه .

بينما كل مجتهد مأجور .

قال ﷺ : «وإذا حكم الحاكم ، ثم

أصـاب ؛ فله أجـران . وإذا اجـتـهـد ، ثم أخطأ ؛ فله أجر»[31] .

وبهذه الإشارات يتبين الفرق الشاسع بين المبتدع والمجتهد الذي أخطأ ، وقد أدغمت في ثناياها علماً جمّاً ، يدركه من شم رائحة العلم بأدنى تأمل ، وأما من تبع هواه فبينه وبين ذلك حجاباً مستوراً وحجراً محجوراً ؛ لأنه يرى ظلام الباطل نوراً ، واعتقاد الحق ثبوراً .

الحواشي :

(١٩) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧) .

(٢٠) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢١١ ـ ٢١٣) .

(٢١) «هجر المبتدع» (ص ٤٥ ـ ٤٦) .

(٢٢) «تمهيد» (٦ / ١١٩) .

(٢٣) «المصدر نفسه» (٦ / ١٢٧) .

(٢٤) صحيح ـ أخرجه أبو داود (٥١٣٤) وأحمد (١٣٤/٤) والحاكم (٤ / ١٣٥) وغيرهم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما بإسناد صحيح .

(٢٥) وبخاصة «الإبانة» لابن بطة و«الشريعة» للآجري و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي وغيرها .

(٢٦) «أصول السنة» رواية عبدوس بن مالك العطار (ص ٣٠) .

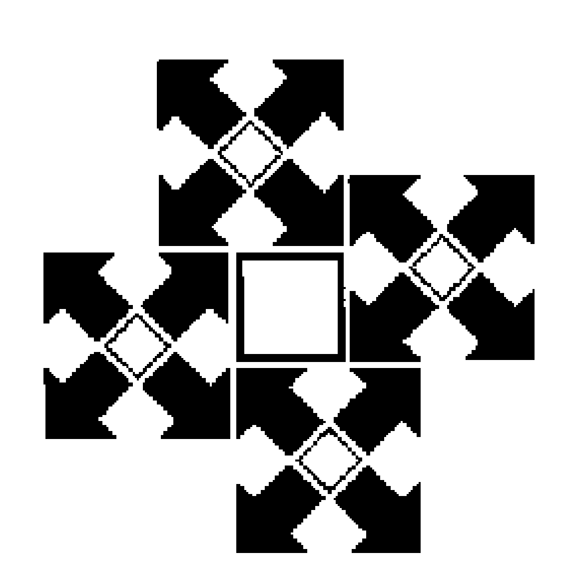
(٢٧) «الإبانة» (٣ / ٤٧٠) .

(٢٨) انظره مخرّجاً في كتابي «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة» .

(٢٩) حسن ـ كما في «الصحيحة» لشيخنا (١٩٦٠) .

(٣٠) أخرجه مسلم (٨٦٧) ، وزاد النسائي (٣ / ١٨٨ ـ ١٨٩) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ١٣٧) بإسناد صحيح : وكل بدعة ضلالة .

(٣١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .



بقلم الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري

أسماء المؤلفات والتحقيقات المطبوعة والمخطوطة(*)
للشيخ العلاّمة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني

هذا مسرد علميٌّ دقيقٌ ؛ حرصت فيه على تتبع أسماء الأعمال العلمية التي قام بها أستاذنا العلامة الشيخ أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني - أطال الله بقاءه ونفع به ، وعافاه وقواه - على مدار ستين سنة - أو أزيد - ؛ سائلاً الله تبارك وتعالى أن ينفع بها أهل السنة النبوية ، ومحبي علمائها ، والله الموفق[1] .

وهي هذه :

١- آداب الزفاف في السنة المطهرة - تأليف ، (ط) .

٢- الآيات البيِّنات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات ، للآلوسي - تحقيق وتخريج ، (ط) .

٣- الآيات والأحاديث في ذم البدعة - تأليف ، (خ) .

٤- الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة - تأليف ، (ط) .

٥- أحاديث الإسراء والمعراج - تأليف ، (خ/رقم ٤٢) .

٦- أحاديث البيوع وآثاره - تأليف ، (خ) .

٧- أحاديث التحري والبناء على اليقين في الصلاة - تأليف ، (خ/رقم ١٤) .

٨- الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ضعّفها - أو أشار إلى ضعفها - ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» - تأليف ، (خ/رقم ٨٣) .

٩- الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أمهات الكتب الفقهية - تأليف[2] ، (خ/رقم ٤٠) .

١٠- الأحاديث المختارة ، للضياء المقدسي - تحقيق وتخريج ، (خ) .

١١- الاحتجاج بالقدر ، لابن تيمية - تحقيق ، (ط) .

١٢- أحكام الجنائز ـ تأليف ، (ط) .

١٣- أحكام الركاز ـ تأليف ، (خ) .

١٤- الأحكام الصغرى ، للإشبيلي ـ تخريج وتعليق وتحقيق ، (خ) .

١٥- الأحكام الوسطى[٣] ، للإشبيلي ـ تخريج وتعليق وتحقيق ، (خ) .

١٦- أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب ، لابن دِحْية ـ تحقيق وتخريج ، (ط) .

١٧- الأذكار ، للنووي ـ تعليق وتخريج[٤] ، (خ) .

١٨- إرشاد النقاد في تيسير الاجتهاد ، للصنعاني ـ تخريج وتعليق ، (خ/رقم ٥٦ ـ ١) .

١٩- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ـ تأليف ، ثمانية مجلدات ، (ط) .

٢٠- إزالة الدَّهش والوَلَه عن المتحير في صحة حديث «ماء زمزم لما شرب له» ـ تخريج ، (ط) .

٢١- إزالة الشكوك عن حديث البروك ـ تأليف ، (خ/رقم ٢٤) .

٢٢- الأسئلة والأجوبة[٥] ـ تأليف ، (خ/رقم ٩٥) .

٢٣- أسباب الاختلاف ، للحميدي ـ تحقيق ، (خ) .

٢٤- أسماء الكتب المنسوخة من المكتبة الظاهرية ـ إعداد ، (خ) .

٢٥- إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، للقاسمي ـ تخريج وتعليق ، (ط) .

٢٦- أصول السنة واعتقاد الدين ، للحميدي ـ تحقيق ، (خ) .

٢٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، لابن القيم ـ تخريج (تحت الطبع) .

٢٨- اقتضاء العلم العمل ، للخطيب البغدادي ـ تحقيق وتخريج وتعليق ، (ط) .

٢٩- الإكمال في أسماء الرجال ، للتبريزي ـ تحقيق ، (ط) .

٣٠- الأمثال النبوية ـ تأليف ، (خ/رقم١٩) .

٣١- الإيمان ، لابن أبي شيبة ـ تحقيق وتخريج وتعليق ، (ط) .

٣٢- الإيمان ، لابن تيمية ـ تعليق ، (ط) .

٣٣- الإيمان ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق وتخريج وتعليق ، (ط) .

٣٤- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، لأحمد شاكر ـ تعليق

(مجلدان)[6] ، (ط) .

٣٥- بداية السُّول في تفضيل الرسول ، للعز بن عبدالسلام ـ تحقيق وتخريج .

٣٦- بغية الحازم[7] في فهارس مستدرك الحاكم ـ إعداد ، (خ) .

٣٧- بين يدي التلاوة ـ تأليف ، (خ) .

٣٨- تأسيس الأحكام شرح بلوغ المرام ، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ـ تعليق ، (طبع منه الجزء الأول) .

٣٩- تاريخ دمشق ، لأبي زرعة ـ رواية أبي ميمون ـ تحقيق وتعليق ، (خ) .

٤٠- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ـ تأليف ، (ط) .

٤١- تحريم آلات الطرب[8] ـ تأليف ، (ط) .

٤٢- تحقيق معنى السنة ، لسليمان الندوي ـ تخريج ، (ط) .

٤٣- تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق ، للربعي ـ تأليف ، (ط) .

٤٤- تخريج أحاديث كتاب مشكلة الفقر ، للقرضاوي ـ تأليف ، (ط) .

٤٥- تخريج حديث أبي سعيد الخدري في سجود السهو ـ تأليف ، (خ) .

٤٦- ترجمة الصحابي أبي الغادية ، ودراسة مرويات قتله عمار بن ياسر[9] ـ تأليف ، (خ/رقم٦٨) .

٤٧- تصحيح حديث إفطار الصائم ـ تأليف ، (ط) .

٤٨- التعقيب على رسالة الحجاب ، للمودودي ـ تعليق ، (ط) .

٤٩- التعقيب المبعوث على رسالة السيوطي الطُّرثوث ـ تأليف ، (خ) .

٥٠- التعليق الرغيب على الترغيب والترهيب ـ تأليف ، (خ) .

٥١- التعليق على رسالة كلمة سواء ـ تعليق وردّ ، (خ/رقم٧١) .

٥٢- التعليق على سنن أبي ماجه ـ تخريج ، (خ)[10] .

٥٣- التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد ، للَكنوي ـ تعليق وتحقيق ، (خ) .

٥٤- التعليقات الجياد على زاد المعاد ـ تأليف ، (مفقود) .

٥٥- التعليقات الحسان على الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ، لابن بَلْبان ـ تأليف ، (خ) .

٥٦- التعليقات الرضية على الروضة الندية ، لصديق حسن خان ـ تأليف (ثلاثة مجلدات)[11] ، (ط) .

٥٧- تلخيص أحكام الجنائز ـ تأليف ،

(ط) .

٥٨- تلخيص حجاب المرأة المسلمة ـ تأليف ، (خ) .

٥٩- تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ ـ تأليف ، (ط) .

٦٠- تمام المنة في التعليق على فقه السنة ـ تأليف ، (ط) .

٦١- تمام تمام المنة في التعليق على فقه السنة ـ تأليف ، (خ/رقم٦ ـ ١) .

٦٢- تمام النصح في أحكام المسح ـ تأليف ، (ط) .

٦٣- التمهيد لفرض رمضان ـ تأليف ، (خ/رقم٨٥) .

٦٤- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، للمعلمي ـ تحقيق وتعليق (مجلدان) ، (ط) .

٦٥- تهذيب صحيح الجامع الصغير وزيادته والاستدراك عليه ـ تأليف ، (خ)[١٢] .

٦٦- التوحيد ، محمد أحمد العدوي ـ تخريج وتعليق ، (خ) .

٦٧- التوسل أنواعه وأحكامه ـ تأليف ، (ط) .

٦٨- تيسير انتفاع الخلان بـ «ثقات ابن حبان» ـ تأليف ، (خ) .

٦٩- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب ـ تأليف (لم يتم) ، (خ/رقم٥) .

٧٠-جلباب المرأة المسلمة[١٣] ـ تأليف ، (ط) .

٧١- الجمع بين ميزان الاعتدال للذهبي ، ولسان الميزان لابن حجر . (خ) .

٧٢- جواب حول الأذان وسنة الجمعة ـ تأليف ، (خ/رقم٧٤) .

٧٣- حجاب المرأة ولباسها في الصلاة ، لابن تيمية ـ تحقيق وتعليق وتخريج ، (ط) .

٧٤- حِجة النبي ﷺ ـ تأليف ، (ط) .

٧٥- حِجة الوداع[١٤] . (خ/رقم٩) .

٧٦- الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ـ تأليف ، (ط) .

٧٧- الحديث النبوي ، لمحمد الصباغ ـ تخريج .

٧٨-حقوق النساء في الإسلام ، لرشيد رضا ـ تعليق ، (ط) .

٧٩- حقيقة الصيام ، لابن تيمية ـ تخريج ، (ط) .

٨٠- حكم تارك الصلاة ـ تأليف ، مطبوع بإعدادي وتقديمي ، وإشراف شيخنا[١٥] ، (ط) .

٨١- الحوض المورود في زوائد منتقى ابن الجارود - تأليف ، (خ) .

٨٢- خطبة الحاجة - تأليف ، (ط) .

٨٣- الدعوة السلفية ؛ أهدافها وموقفها من المخالفين لها - تأليف ، (خ) .

٨٤- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي في «فقه السيرة» - تأليف ، (ط) .

٨٥- ديوان الضعفاء والمتروكين ، للذهبي - تحقيق وتعليق ، (خ) .

٨٦- الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد[16] - تأليف ، (ط) .

٨٧- رجال الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم - إعداد ، (خ/رقم٥٢) .

٨٨- الرد على أرشد السلفي - تأليف ، وهو مطبوع ضمن كتاب الرد العلمي لـ علي بن حسن الحلبي ، وسليم الهلالي ، (ط) .

٨٩- الرد على التعقيب الحثيث[17] ، للحبشي الهرري - تأليف ، (ط) .

٩٠- الرد على رسالة الشيخ التويجري في بحوث من صفة الصلاة - تأليف ، (خ) .

٩١- الرد على السخاف فيما سوّده على «دفع شبَه التشبيه» - تأليف ، (خ/رقم٦٤ - ١) .

٩٢- الرد على الشيخ إسماعيل الأنصاري في مسألة الذهب المحلّق - تأليف ، وهو مطبوع ضمن كتاب «حياة الألباني وآثاره» للأخ الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني ، (ط) .

٩٣- الرد على عز الدين بليق في «منهاجه» - تأليف[18] ، (خ) .

٩٤- الرد على كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة» ، لمحمد عبدالحليم أبو شقة - تأليف ، (خ) .

٩٥- الرد على كتاب «ظاهرة الإرجاء» ، لسفر الحوالي - تأليف ، (خ) .

٩٦- الرد على كتاب «المراجعات» ، لعبدالحسين شرف الدين الرافضي - تأليف ، (خ/رقم٣٣) .

٩٧- الرد على «هدية البديع» في مسألة القبض بعد الركوع - تأليف ، (خ) .

٩٨- الرد المفحم على من خالف العلماء وتشدد وتعصب ، وألزم المرأة بستر وجهها وكفيها وأوجب ، ولم يقنع بقولهم : إنه سنة ومستحب - تأليف ، (خ/رقم٩٠) .

٩٩- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار[19] ، للصنعاني - تحقيق

وتعليق ، (ط) .

١٠٠- الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير - تأليف ، (خ)[٢٠] .

١٠١- رياض الصالحين ، للنووي - تخريج ، (ط) .

١٠٢- زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض على من أوجب الصلاة على البشير النذير في التشهد الأخير ، للخيضري - تحقيق وتعليق ، (خ/رقم١٧١) .

١٠٣- الزوائد على الموارد[٢١] - تأليف ، (خ) .

١٠٤- سؤال وجواب حول فقه الواقع - فتوى ، مطبوعة بإعدادي وإشراف شيخنا ، (ط) .

١٠٥- سبل السلام ، للصنعاني - تعليق ، (خ) .

١٠٦-السفر الموجب للقصر - تأليف ، (خ/رقم٣٨) .

١٠٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - (ستة مجلدات ، والسابع تحت الطبع ، والثامن مخطوط لم يتم) - تأليف ، (ط) .

* * *

الحواشي :

* ما أُتبع بحرف : (ط) ؛ فهو مطبوع ، وما أُتبع بحرف : (خ) ؛ فهو مخطوط ، والرقم الذي في نهاية بعض الأسماء هو رقمه في خزانة كتب شيخنا .

(١) وإن فسح الله في العمر ، وسدد في العمل ؛ ففي النفس التوسع في هذا المعجم ، وذكر كثير من الفوائد المتعلقة بهذه الكتب ، إما من حيث مناهج تصنيفها أو تتبع الرادين عليها ، وكذلك ذكر طبعاتها وناشريها . . . ونحو ذلك .

(٢) وقد أرسل شيخنا إلى وزارة الأوقاف الكويتية (سنة ١٣٨١هـ) بمقدمة هذا المشروع ، وكلامه على الثلاثة أحاديث الأول ؛ لينشروه في مجلتهم ، ثم لم يأته جواب!!

(٣) وقد كان شيخنا يعزو إليه - قديماً - باسم «الأحكام الكبرى» ، ثم ترجح لديه - بعدُ - أنه «الوسطى» .

(٤) وهو أصلاً تلخيصٌ لكتاب «نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار» للحافظ ابن حجر - وقد كان مخطوطاً يومئذٍ - .

(٥) منها : حكم قراءة القرآن على الموتى ، وحكم المولد ، وقضاء الصلاة الفائتة بغير عذر ، وذهاب المرأة مع النساء إلى التراويح ، وتكرار الجمعة . . . وغير ذلك .

(٦) وهو مطبوع بتحقيقي .

(٧) وقع في قائمة كتاب الأخ الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني - مختصر حياة الألباني - (ص٧٧) : المازح! وهو تطبيع طريف!!

قلت : وفي قائمته - جزاه الله خيراً - أوهام عدة! ونواقص كثيرة متعددة!!

(٨) وله اسم آخر ؛ هو : الرد بالوحيين وأقوال أئمتنا ، على ابن حزم ومقلديه المبيحين للمعازف والغنا ، وعلى الصوفيين الذين اتخذوه قربة ودينا .

(٩) وأما «تسديد الإصابة إلى من زعم نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة» ؛ فليس هو اسم كتاب معين ، وإنما هو اسم لسلسة علمية تحوي كتباً متعددة ؛ فتنبه .

(١٠) وهو غير «صحيح سنن ابن ماجه» ، و«ضعيفه» .

(١١) وهو مطبوع بتحقيقي .

(١٢) وهو الذي يعمل فيه شيخنا ـ الآن ، ومن أكثر من عام ـ بهمة عالية ، ونشاط موصول ؛ على ما ألمّ به ـ شفاه الله وقواه ـ من أمراض في الفترة الأخيرة ؛ إلا أن الله ـ سبحانه ـ وله الفضل والمنة ـ عافاه من أكثرها .

وقد منّ الله علي ـ وله الفضل والتوفيق ـ أن أكون منذ بضعة شهور ملازماً للشيخ ـ حفظه الله ـ يومياً ، في تصنيف هذا الكتاب ، خادماً له في مادّته ، معيناً له في تأليفه ، سائلاً ربي سبحانه أن يجزيه عني وعن الأمة خيراً ، وأن يزيده فضلاً وبراً .

(١٣) وهو المطبوع قديماً باسم «حجاب المرأة المسلمة» ، ثم ارتأى شيخنا تغييره إلى هذا الاسم في طبعاته الجديدة ، المنقحة والمزيدة .

(١٤) ولعله ـ هو ـ «الحج الكبير» الذي يشير إليه شيخنا أحياناً .

(١٥) ومن العجب العجاب : تشكيك بعض الكُتّاب(!) بنسبة هذا الكتاب بغير حق ولا صواب وانظر الكتاب الآتي برقم (٩٥) .

(١٦) وقد كان تأليف هذه الرسالة بناءً على طلب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ .

(١٧) وأما كتاب «الرد على الجهمية» للدارمي ـ المثبت على غلافه اسم شيخنا ـ : فإن تحقيقه منسوب للشيخ ، وليس له! كما أجابني شخصياً قبل نحو عشر سنوات أو زيادة عندما سألته عنه .

(١٨) وهو مجلد متوسط ، وقد طبع منه بضع مقالات ـ فقط! ـ قبل نحو خمس عشرة سنة في جريدة الرأي الأردنية!!

(١٩) وقد رأيت بخطه تسميته له : «التعليقات الخيار» .

(٢٠) وقد كتب شيخنا على طرّته ـ بخطه ـ : «المؤلف لا يرغب بطبع هذا الكتاب ؛ لأنه من أوائل أعماله العلمية . ناصر» .

قلتُ : مع أنّ هذا الكتاب ـ بالرغم من هذهِ الملاحظة ـ فيه فوائد عالية ، وتنبيهات غالية .

(٢١) هو «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» ، للهيثمي ، وقد استدرك عليه شيخنا عشرات الأحاديث التي فاتته مما هي على شرطه!

«إنّ تزكية النفوس مسلّمٌ إلى الرسل وإنما بعثهم الله لهذهِ التزكية وولاهم إياها وجعلها على أيديهم دعوةً، وتعليماً وبياناً وإرشاداً لا خلقاً ولا إلهاماً، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم»

ابن القيم في «المدارج» (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٥)

الشيخ الدكتور صالح بن غانم السدلان

قواعد تأهل الفرد المسلم للعلم الشرعي [١]

تأهيل الفرد المسلم للعلم الشرعي يكون أولاً : بتكوين اتجاه إيجابي فعال نحو أهمية هذا العلم للفرد وللأمة وتكوين الشعور بالتذوق العلمي وروح التضحية من أجل العلم والاستمرار في طلبه خدمةً للأمة ورفعاً لمكانتها ثم بتكوين الطموح في البحث في أغوار هذا العلم والوقوف على أسرار الكون وتكوين روح الالتزام بالعلم وتكوين الشعور بالمسؤولية العلمية بحيث لا يقوم المسلم بشيء إلا وهو على بينة وعلم به ولا يتعلم شيئاً إلا وينزع إلى العمل به مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿**ولا تقف ما لي ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ (الإسراء : ٣٦) .

فلابد أن يستشعر المسلم أنه مسؤول عن تعلم دينه وتربية نفسه بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل ثم بعد ذلك هو مسؤول إذا أصبح أبا عن تربية أولاده وأهله ومسؤول عن تربية أهله وتعليم جيرانه ومجتمعه بقدر الاستطاعة فالإسلام يريد من التربية الذاتية للمسلم أن يصوغه صياغة إيجابية حية فلا يسكت عن ضيم يصيبه ولا يرضى بمنكر في ساحته ولا يتغاضى عن الخنا في داره يشغل وقته آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يرمق من حوله فيتأثرون به ويؤثرون فيه صلاحاً وإصلاحاً كما فعل النبي ﷺ في إصلاح الرعيل الأول ؛ حين عين لهم الهدف وتركهم يرشدون الناس بل والبشرية قاطبة .

لهذا يجب أن يترجم العلم الشرعي إلى منهج فكر وأسلوب حياة ونظام تنشئة ورعاية شريعة ورؤية صادقة لعلاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون والحياة إنه عملية توجيه ورعاية وتنمية للإنسان يصبح في عقيدته وفكره وعلمه وجسمه وسلوكه بعامه تجاه نفسه وغيره وتجاه ما سخره الله له في

الكون نابع من شريعة الله التي أنزلها مقتدياً بسنة النبي ﷺ .

إن الله تعالى إنما خلق السماوات والأرض ونزل الأمر لنعلم أنه على كل شيء قدير وأنه قد أحاط بكل شيء علماً فيكون هذا دليلاً على معرفته ومعرفة صفاته كما قال تعالى : ﴿**الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً**﴾ (الطلاق : ١٢) .

وإذا كانت العلوم تنقسم من حيث إفادتها إلى نافع وضار فالمسلم مطالب بالاستفادة والاستزادة من العلم النافع وهو المعني بقول الله تعالى : ﴿**وقل رب زدني علما**﴾ (طه : ١١٤) .

وللعلوم النافعة أسس وركائز يجب أن نعيها عند تأهيل الفرد المسلم للعلوم الشرعية منها :

* موافقتها للكتاب والسنة وعدم معارضتها أو محاداتها بالشرع في كل جزء من جزئياتها .

* العمل بها فيما يعود بالخير على الفرد والمجتمع نشراً وتعليماً ومنهجاً وفكراً .

* يجب الإخلاص فيها وتقديم النية الصالحة والبعد عن الهوى والمقاصد السيئة .

* ربط السلم التعليمي بمنهج السلف معياراً لضبط قواعد التعليم والتعلم على هديهم الرشيد .

* مراعاة الظروف والمتغيرات والمستجدات على المجتمع الإسلامي والاستفادة من استخدام الوسائل التعليمية الحديثة التي تساعد على تعلم العلم الشرعي حفظاً وفهماً وتأصيلاً وتلقيناً .

* يعد التدرج من أهم وسائل تلقي العلوم الشرعية وإحدى دعائم تحقيق الأهداف التربوية . . . ولو رجعنا إلى تاريخ التعليم في الإسلام لوجدنا الأصول والقواعد التي كان السلف الصالح يتبعونها في منهج التلقي عن رسول الله ﷺ من حيث الإطاقة والتدرج في التكليف والتعليم وفهم المواقف والمناسبات المختلفة والمتابعة والسؤال والحوار والمناقشة واستخدام كل وسيلة ممكنة لتوضيح المواقف التعليمية وغير ذلك كثير مما لا يتسع له المقام .

فتلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون

مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً ، فيلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حين ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم .

فعلى العلماء والمربين أن ينتبهوا إلى هذا الأمر فيربوا طلابهم بالتدرج والترقي من صغار العلم إلى كباره وتحميلهم منهم ما يطيقون ، كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه فإن أرواح البشر بالنسبة إلى الأنبياء والرسل كالأطفال بالنسبة إلى آبائهم بل دون هذه النسبة بكثير .

إنه يجب أن يبتدئوا بالأهم فالمهم مراعين التدرج فإنه سنة الله في الكون ، يجب أن يبدأ التعليم الشرعي بكتاب الله أولاً ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن ثم بالحديث وعلومه ، ثم بالأصول من علم الفقه ، ثم بفروعه وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ، ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ، وليقتصر من شائع علم اللغة على ما يفهمون منه كلام العرب دون التعمق بل بما يتعلق بفهم الكتاب والسنة .

فتلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً ، فيلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حين ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم.

فالعلم الشرعي بناء متكامل لشخصية الإنسان المؤمن بحيث تجعلنا لا نقف عند صلاح عقيدته في الفكر فحسب بل نمتد بالإصلاح إلى عقله واستقامة منهجه بالبحث والتكامل وطلب الدليل ومسلكه وتعامله وتحليه بالآداب الشرعية والنظم المرعية واتزانه العاطفي وتوجهاته وكل حركاته وسكناته .

الحاشية : ______

(١) انظر في هذا الموضوع : معالم بناء نظرية التربية الإسلامية لمقداد يالجن ص٨٠ ، والمحور الأول ص١٣ - ١٢٢ ، والمحور الثالث ص١١٣ ، وحديث أبي الدرداء في طلب العلم ، ص٤٠ - ٤١ - ٥٤ - ٥٥ .

الشيخ الدكتور عثمان معلم محمود الصوملي

الفرق بين الجهاد في سبيل الله والخروج على الحكام

أولاً: مفهوم الجهاد:

تعريف الجهاد في الشرع هو: قتال الكفار لإعلاء كلمة الله والمعاونة على ذلك، كما ورد في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الجهاد، فقال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم»[١].

وبنحو ذلك فسر العلماء الجهاد فقال ابن حجر: بذل الجهد في قتال الكفار[٢].

وقال القسطلاني: قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله[٣].

وقال صاحب الدر المختار: الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله[٤].

وقد يطلق الجهاد في النصوص الشرعية على غير قتال الكفار كما قال ﷺ: «الجهاد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[٥].

ولكن لفظ الجهاد إذا أطلق فالمراد به قتال الكفار لإعلاء كلمة الله، ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقرينة تدل على المراد.

قال ابن رشد: وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[٦].

والذين أمرنا بقتالهم هم:

١- الكفار الأصليون سواء كانوا أهل كتاب أو مجوس أو مشركين.

٢- المنافقون إذا أظهروا نفاقهم لقوله تعالى: «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين...»، على اختلاف في كيفية جهادهم.

٣- المرتدون.

٤- المحاربون المفسدون في الأرض.

٥- البغاة.

وأدلة ذلك مبسوطة في غير هذا

الموضع .

وأحاديث فضائل الجهاد منطلقة على جهاد الكفار .

والجهاد الصحيح المستوفي لشروطه هو الذي يتمناه كل محب لدينه ، قال النبي ﷺ : «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»(٧) .

وفي هذا العصر اختلطت المفاهيم فصار قطاع كبير من الشباب لا يفهم من كلمة الجهاد إلا محاربة الحكام مع ما يستلزمه ذلك في الغالب من الفتنة بين المسلمين .

والنبي ﷺ كما حث على الجهاد في سبيل الله فكذلك حذر من القتال الذي يقع بين المسلمين بغير حق وشدد في أمر دماء المسلمين .

ومن عجائب هذا الزمان أننا نجد كثيراً من الشباب يتألم لما يحصل للمسلمين في البوسنة والهرسك من جانب الصرب الأرثوذكس المتعصبين ، مع العلم بأن الدولة في البوسنة علمانية وتصرح بذلك ، وكذلك الشعب هناك لا يقارب مسلمي الصومال في التمسك بالإسلام ، ومع ذلك يتحمسون للقتال في الصومال . فهل الدماء التي يريقها الشباب هنا أرخص من دماء البوسنيين هناك؟ أم أن الأشقاء يغتفر في قتلهم ما لا يغتفر في قتل الأباعد؟

والمقصود أن قضية الأسماء مهمة ، فالجهاد في سبيل الله كما أراد الله لا يكون إلا حقاً ، بينما قتال الحكام يفصل فيه الأمر بين قتال من أتى كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان ومن ليس كذلك .

والسلف كانوا يستخدمون لفظ الخروج عندما يعبرون عن هذا المعنى ، والمعتزلة كانوا يستعملون لفظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهذا ما سنتعرض له في المبحث القادم إن شاء الله .

ثانياً: الخروج على الحكام:

عندما انتشرت فتنة تكفير المسلمين في أواخر العقد الأخير من القرن الهجري الماضي في القطر الصومالي انبرى لرد تلك الفكرة بعض الدعاة الغيورين ، ورأوا فيه إفساداً للدعوة وتخريباً لمنهج أهل السنة والجماعة ، ورجعوا إلى كتب السلف ونهلوا من كتب ابن تيمية وابن القيم فاستفادوا وأفادوا .

وقد تعافى الشباب من تلك الفكرة

عموماً .

أما مسألة تكفير الحكام فلم يعيروها أي اهتمام يذكر .

وأعطيت الحرية للشباب في هذا المجال كل يؤمن بما يحلو له ، وكأنه ليس لأهل السنة في القضية مقال ، وانعكس هذا الإهمال على الدعوة لاحقاً .

ومعلوم أن العذر بالجهل قاعدة قطعية عند أهل السنة للنصوص الكثيرة في ذلك .

قال الشيخ عبدالرحمن المعلمي : من رضي بالإسلام ديناً ولو إجمالاً فالأصل فيه أنه معذور في خطئه وغلطه ، ومن لم يرض بالإسلام ديناً فالأصل فيه أنه غير معذور ، ولا يخرج أحدهما عن أصله إلا ببيان واضح .

هذا في الحكم الظاهر ، فأما عند الله عز وجل فالمدار على الحقيقة . . . وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحكم في من أسلم أنه على إسلامه وإن ظهر منه خلاف ذلك ما لم يتضح أمره ، فمن ذلك قصة ذات أنواط . . . ومن ذلك حديث الصحيحين عن عتبان بن مالك في صلاة النبي ﷺ في بيته ، وفيه : فقال قائل منهم : أين مالك بن الدخش؟ فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله ، فقال النبي ﷺ : «لا تقل ذلك ألا تراه قد قال : لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟» . قال : الله ورسوله أعلم ، أما نحن فوالله لا نرى وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» .

وذكر الشيخ قصة حاطب بن أبي بلتعة وعذر النبي ﷺ إياه مع ما ظهر منه ، إلا غير ذلك من الأحاديث .

فليحتط امرؤ لنفسه وليتق تكفير الناس ، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «أيما رجل قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما» .

وقد ترجم البخاري في صحيحه لهذا الحديث (باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال) .

قال الشيخ المعلمي : فأما كف النبي ﷺ عن قتل من ثبت نفاقه فقد بين سبب ذلك بقوله ﷺ : «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» كما في الصحيحين .

ولأنهم كانوا إذا سئل عن كلماتهم الخبيثة جحدوها واعتذروا عنها وأظهروا التوبة فأمر الله تعالى بالإعراض عنهم، قال سبحانه: ﴿**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضو عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**﴾ (التوبة: ٩٥)[٨].

وقد طبقت قاعدة العذر بالجهل على الشعب، أما الجهاز الحاكم فلم تقبل لهم أية معاذير فيما يتعللون به لتركهم تحكيم الشريعة.

وقد تقرر عند أهل السنة أن مجرد ترك الحكم بما أنزل الله في قضية ما أنه لا يكون كفراً مخرجاً من الملة، وإنما هو من الكبائر.

وقد يقع في ذلك جهلاً منه بالحكم بعد الاجتهاد كما قد يحصل أحياناً من القضاة.

هذا إذا لم يصاحب ذلك الترك جحد ذلك الحكم المعلوم بالضرورة من دين الله، أو اعتقاد أنه لا يصلح لهذا العصر أو أن ما حكم به أفضل من حكم الله، أو أنهما متساويان، أو أنه يجوز الحكم بغير ما أنزل الله وإن أقر بأن تحكيم الشريعة واجب وأنه أفضل من الحكم الوضعي.

فهناك كفر اعتقادي وكفر عملي.

ولذلك ورد عن بعض السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فإلئك هم الكافرون**﴾ أنه كفر دون كفر.

وثبت عن ابن عباس أن المعني بالآية هو الجاحد، وأما من أقر ولكن لم يحكم به فهو ظالم فاسق.

أخرج ذلك عنه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة[٩].

وإن كان ظهر من بعض حكام هذا العصر الرفض الصريح للشريعة وعدم قبولها والالتزام بها، فهؤلاء لا يستراب في كفرهم، لكن تعميم التكفير خطأ وجهل من قائله.

وقد يقع من بعض الجهال من الحكام وغيرهم الانخداع ببعض المقالات الكفرية التي يجهلون حقائقها ولوازمها كالقول بالديمقراطية ونحوها، فلا يسارع إلى تكفيرهم إلا بعد قيام الحجة عليهم وتوفر الشروط وانتفاء الموانع، فإن الفعل قد يطلق عليه أنه كفر ويحذر منه لكن عند التطبيق على المعيّن يحتاج الأمر إلى التريث والأخذ بعين الاعتبار مسألة قيام

الحجة وتبين الحجة ـ والذي يقيم الحجة هو العالم العدل .

ولا يفهمن أحد من كلامنا أننا ندافع عن المجرمين ، بل نتبع أهل العلم فيما حققوا من هذه المسائل .

وهل إذا قرر أحد أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر عند أهل السنة يجوز أن يقال له : أنت تدافع عن أصحاب الكبائر أو تتعاطف معهم؟

هذا ما يتعلق بالتكفير ، أما الخروج على الحاكم فيفصل فيه الأمر ، فإن كانت جماعة المسلمين ـ ممثلة بعلمائها الحقيقيين ـ رأت منه كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان فإنه حينئذٍ يجوز الخروج عليه بعد استكمال القدرة .

وهذا لا يكون إلا بعد إنذاره وعدم تنحيه سِلْماً .

وإن كان مسلماً ولم يظهر منه الكفر البواح الذي يستعلن به فإنه لا يجوز الخروج عليه إن كان يقيم الصلوات الخمس .

ومعلوم أن بعض الأمراء كانوا يميتون الصلاة ويخرجونها عن وقتها ، ومع ذلك فإن الرسول ﷺ لم يأمر بقتالهم ، لأن ذلك فسق .

لا يسارَع إلى التكفير إلا بعد قيام الحجة عليهم وتوفر الشروط وانتفاء الموانع ، فإن الفعل قد يطلق عليه أنه كفر ويحذر منه لكن عند التطبيق على المعيّن يحتاج الأمر إلى التريث والأخذ بعين الاعتبار مسألة قيام الحجة وتبين المحجة . والذي يقيم الحجة هو العالم العدل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما الأمراء الذين كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها ، ونهى النبي ﷺ عن قتالهم ، فإن قيل إنهم كانوا يؤخرون الصلاة إلى آخر الوقت فلا كلام ، وإن قيل ـ وهو الصحيح ـ إنهم كانوا يفوّتونها ، فقد أمر النبي ﷺ الأمة بالصلاة في الوقت ، وقال : «اجعلوا صلاتكم معهم نافلة» ونهى عن قتالهم ، كما نهى عن قتال الأئمة إذا استأثروا وظلموا الناس حقوقهم ، واعتدوا عليهم ، وإن كان يقع من الكبائر في أثناء ذلك ما يقع . ومؤخرها عن وقتها فاسق ، والأئمة

لا يقاتلون بمجرد الفسق ، وإن كان الواحد المقدور قد يقتل لبعض أنواع الفسق كالزنا وغيره . فليس كلما جاز فيه القتل ، جاز أن يقاتل الأئمة لفعلهم إياه ؛ إذ فساد القتال أعظم من فساد كبيرة يرتكبها ولي الأمر[١٠] .

والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله ﷺ : «خيار أئمتكم الذي تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم . قال : قلنا : يا رسول الله! أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال : «لا ما أقاموا الصلاة ، لا ما أقاموا الصلاة»[١١] .

قال الشوكاني : فيه دليل على أنه لا يجوز منابذة الأئمة بالسيف مهما كانوا مقيمين للصلاة[١٢] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها ؛ قالت : إن رسول الله ﷺ قال : «إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع . قالوا : أفلا نقاتلهم؟ قال : لا ، ما صلوا[١٣] .

فهذان الحديثان وما يماثلهما يوضحان أن الأمراء مستثنون من الإنكار عليهم باليد .

قال الأثرم : تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فكثرت عنه وعن الصحابة والأئمة بعدهم رضي الله عنهم يأمرون بالكف ويكرهون الخروج وينسبون من خالفهم في ذلك إلى فراق الجماعة ومذهب الحرورية وترك السنة[١٤] .

قال البربهاري : لا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار . . . وليس في السنة قتال السلطان ، فإن فيه فساد الدنيا والدين[١٥] .

وانظر سيرة الإمام أحمد مع الولاة الذين كانوا يكرهونه على القول بخلق القرآن ، وهي مسألة كفرية كما قال ابن القيم :

ولقد تقلد كفرهم خمسون في
عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنـ
ـهم بل حكاه قبله الطبراني

يعني : أن خمس مئة عالم يرون كفرهم أي الجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن .

ومع ذلك لم يكن يكفرهم الإمام أحمد لقيام الشبه عندهم وتزيين علماء السوء لهم ، وكان أيضاً لا يرى الخروج

عليهم .

قال حنبل بن إسحاق : وفي ولاية الواثق اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبدالله : أبو بكر بن عبيد وإبراهيم بن علي المطبخي وفضل بن عاصم فجاؤوا إلى أبي عبدالله ، فاستأذنت لهم فقالوا : يا أبا عبدالله! هذا الأمر قد تفاقم وفشا - يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك - فقال لهم أبو عبدالله : فما تريدون؟ قالوا : أن نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه فناظرهم أبو عبدالله ساعة وقال لهم : عليكم بالنكرة في قلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم انظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر ودار في ذلك كلام كثير لم أحفظه . ومضوا ودخلت أنا وأبي على عبدالله بعد ما مضوا فقال أبي لأبي عبدالله : نسأل الله السلامة لنا ولأمة محمد ﷺ وما أحب لأحد أن يفعل هذا وقال أبي : يا أبا عبدالله هذا عندك صواب؟ قال : لا . هذا خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر(١٦) .

وأما من قاتل الولاة في العصر الأول فكانوا متأولين ، لكن النصوص تدل على عدم جواز الخروج ، قال شيخ الإسلام بعد كلام سبق : وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور ، كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو شر منه ، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه . فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم ، فيصبر عليه(١٧) .

وقال ابن تيمية أيضاً : وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير . كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة ، وكابن الأشعث الذي خرج على عبدالملك بالعراق ، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان ، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً ، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء .

وغاية هؤلاء إما أن يُغلبوا وإما أن يَغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة ، فإن عبدالله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً ، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور . وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهزموا وهزم

أصحابهم ، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا . والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا ، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة ، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم ، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال ، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم [(١٨)] .

ثم قال بعد كلام طويل : ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم [(١٩)] .

ويرى بعض الفقهاء إجماعهم على ذلك إذ يقول : حرمة الخروج على الإمام الجائر مأخوذ من إجماع الطبقة المتأخرة من التابعين [(٢٠)] .

الحواشي : ـــــــــــــــ

(١) مسند الإمام أحمد ١٤/٤ .

(٢) فتح الباري ٢/٦ .

(٣) إرشاد الساري ١٣/٥ .

(٤) حاشية رد المحتار لابن عابدين ١٢١/٤ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند وابن حبان والحاكم وصححاه .

(٦) مقدمات ابن رشد ٣٦٩/١ . هذه النقول السابقة ملخصة من كتاب «أهمية الجهاد» للعلياني ص١١٦ ـ ١١٧ .

(٧) صحيح مسلم ١٥١٧/٣ رقم ١٩١٠ كتاب الإمارة باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو .

(٨) انظر في هذه النقول في كتاب العبادة للمعلمي ص٦٥٣ ـ ٦٥٩ باختصار وتصرف يسير ، والكتاب مخطوط ، عندي مصورته .

(٩) تفسير الطبري ٣٥٧/١٠ الأثر رقم ١٢٠٦٣ .

(١٠) مجموع الفتاوى ٦١/٢٢ .

(١١) أخرجه مسلم ١٤٨١/٣ كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم .

(١٢) نيل الأوطار ١٩٧/٧ .

(١٣) أخرجه مسلم ١٤٨١/٣ كتاب الإمارة باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع .

(١٤) الناسخ والمنسوخ له في آخر باب كف الأيدي عن قتال الأئمة وهو مخطوط محفوظ برقم ١٧٠٣ في مكتبة الشيخ حماد الأنصاري .

(١٥) شرح السنة للبربهاري ص٢٩ .

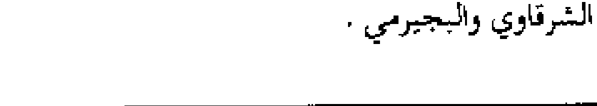
(١٦) الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٤/٢ ـ ٥ .

(١٧) مجموع الفتاوى ١٧٩/٢٨ ـ ١٨٠ .

(١٨) منهاج السنة النبوية ٥٢٧/٤ ـ ٥٢٨ .

(١٩) نفس المرجع السابق ٥٢٩/٤ ـ ٥٣٠ .

(٢٠) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة تأليف عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص٤١٥ ناقلاً عن الشرقاوي والبجيرمي .



خير الدين وائلي

الحقيقـــة

لم أقُلْها في صراحَـــهْ

وهي للوِجدانِ راحَــهْ

لم تكُن فرصةُ قولِ

الحقّ لي يوماً مُتاحهْ

إنّ قولَ الحقّ صعبٌ

في الشعوبِ المستباحهْ

إنّ قومي في ضَلالٍ

لا يودّون اطّراحَهْ

ما أتاهم من نَصوحٍ

عبقريٌّ ذي رجاحهْ

مرشدُ العميانِ أعمى

أو لَئيمٌ ذو وقاحهْ

والجهالاتُ استبدّتْ

مالئاتٍ كلَّ ساحهْ

عادةُ الإنسانِ صعبٌ

تركُها حتى المباحهْ

مركبٌ في البحرِ يجري

ليس للموجِ استراحهْ

نام رُبّانٌ وما الأحلامُ

تجدي في المِلاحهْ

مزّقت ريحٌ شراعاً

أطلَقَت منه صِياحهْ

بَيْدَ أنّ الموجَ لم يسمع

ولم يخفض جناحهْ

فاستغاثَ الركْبُ بل ناحوا

فلم تُجْدِ النياحه

* * *

إنّ من قد سيمَ ذُلاً

لا يرى في العزّ راحهْ

طائرُ الأقفاصِ لا

يستعذبُ العيشَ بساحهْ

من يعِشْ في ظلّ سوطٍ
تاركاً أمْراً بمعروفٍ

يكسر الظلمُ جناحهْ
ونهياً عن قباحهْ

لا ترُمْ من تربّى
فهو يخشى كل نقدٍ

خانعاً دفعاً براحهْ
يحسَبُ النصحَ استباحهْ

يُذْهِبُ الإذلالُ ريحَ
خائفٌ من كلّ ظلٍّ

المرءِ يُنْسيه سلاحهْ
كلّ همسٍ أو نواحهْ

لا يقولُ الحقّ خوفَ
عيشُهُ أكلٌ ونومٌ

الضُّرّ بل يخشى افتضاحهْ
مثلَ أنعامٍ مراحهْ

إنّ الساعي إلى الرشاد الموصوف بالخشية يحتاج إلى الدليل الهادي المفصل، فهو يحتاج إلى الظفر بهذا الدليل أولاً، ويحتاج إلى أن يهتدي به وينتفع ثانياً، ويحتاج إلى أن ينزل على قلبه الأسباب الهادية، ويصرف عنه الأسباب المعوّقة ثالثاً. فإذا حصل للعبد غفلة وذهول استذكر هذه العلوم فضلاً عن العلوم والإرادات الفطرية فزال عنه الإعراض وتذكر بهذه العلوم والإرادات مطالب القرآن الكبرى.

من كلام شيخ الإسلام بتصرف في المجموع (٤/ ٣٦)

بقلم عمر الأحمد

مِن ضلالات الغماري في تعليقه على «التمهيد»

إن كتاب «التمهيد» لابن عبدالبر من أعظم الموسوعات الفقهية التي تعرض المسائل الفقهية بأدلتها من الكتاب والسنة وآثار الصحابة وأقوال الفقهاء من التابعين ، ومن أدمن النظر أُتي علماً جماً ، قال الذهبي : قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام وكان أحد المجتهدين ـ : ما رأيت من كتب الإسلام مثل «المحلى» لابن حزم ، وكتاب «المغني» للشيخ موفق الدين . قلت : صدق الشيخ عز الدين ، وثالثهما : «السنن الكبير» ، ورابعها : «التمهيد» لابن عبد البر . فمن حصل هذه الدواوين ، وكان من أذكياء المفتين ، وأدمن المطالعة فيها فهو العالم حقاً (١٨/١٩٣ سير) . وقد قال ابن عبدالبر عن كتابه في كتابه :

سمير فؤادي من ثلاثين حجة
وصاقل ذهني والمفرج عن همي
بسطت لهم فيه كلام نبيهم
لما في معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يهتدى به
إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم

وقد كانت لي ـ من فضل الله ـ قراءة في التمهيد ، وقد أزعجني! ما رأيت في تحقيق المجلد السابع من تحقيق الغماري[1] وبعض تعليقاته ، والتي شوهت جمال الكتاب في تأويل بعض صفات الله فكان مني أن أنصح لأمتي بالتحذير من هذا . والله أسأل أن ينفعني بما كتبت ، وقلت : قال الذهبي : فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولا تقول إن معنى اليد القدرة ، ولا أن معنى السمع والبصر العلم ، ولا نقول أنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول : إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها . قوله : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ الشورى : ١١ ، ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ الإخلاص : ٣ ، (سير

(٢٨٤/١٨) .

وهذه الرسالة صغيرة في حجمها وأرجو أن يتقبلها ربي بقبول حسن وما كان من حق فمن الله وما كان فيها من نقص فمن نفسي والشيطان ، وسميتها «التسديد عن تعليقات الغماري في التمهيد» .

قال الغماري : لا يجوز إطلاق هذا في جانب الله تعالى ، لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة ، وفي ترجمة ابن حبان من طبقات الشافعية : أن أبا إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي ؛ قال : سألت يحيى بن عمار عن ابن حبان؟ قلت : رأيته؟ قال : وكيف لم أره؟! ونحن أخرجناه من سجستان ، فإن له علم كثير ، ولم يكن له كبير دين قدم علينا فأنكر الحد لله ، فأخرجناه من سجستان .

قال السبكي : انظر ما أجهل هذا الجارح وليت شعري من المجروح؟! مثبت الحد لله أو نافيه! وقال الحافظ العلائي تعليقاً على هذه الحكاية : يا لله العجب! من أحق بالإخراج والتبديع وقلة الدين؟ (ص١٤٢ تعليق ٥٠) .

قلت : قال الذهبي في السير في ترجمة ابن حبان في مورد هذه القصة ؛ قال : إنكاركم عليه بدعة أيضاً والخوض في ذلك مما لم يأذن به الله ، ولا أتى نص بإثبات ذلك ، ولا نبغيه ، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وتعالى الله أن يحدّ أو يوصف إلا بما وصف به نفسه ، أو علمه رسله بالمعنى الذي أراد ، ولا كيف **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** ، (٩٧/١٦ ترجمة ابن حبان) .

وقال في موضع آخر من كتاب السير(٨٦/٢٠) عند ترجمته لأبي القاسم التيمي ؛ قال : وقد سئل رحمه الله : هل يجوز أن يقال : لله حد أو لا؟ وهل جرى هذا الخلاف في السلف؟ فأجاب : هذه مسألة أستعفي من الجواب عنها لغموضها ، وقلة وقوفي على غرض السائل منها .

لكني أشير إلى بعض ما بلغني ، تكلم أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارات مختلفة محصولها أن حد كل شيء موضع بيونته عن غيره ، فإن كان غرض القائل ليس لله حد ؛ لا يحط علم الحقائق به ؛ فهو مصيب ، وإن كان غرضه بذلك : لا يحيط علمه تعالى نفسه ؛ فهو ضال ، أو كان غرضه الله تعالى بذاته في كل مكان فهو أيضاً ضال .

قال الذهبي : الصواب الكف عن إطلاق ذلك ، إذا لم يأت فيه نص ولو فرضنا أن المعنى صحيح ، فليس لنا أن نتفوه بشيء لم يأذن به الله خوفاً من أن يدخل القلوب شيء من البدعة ، اللهم احفظ علينا إيماننا .

قال : روى الشيخان عن ابن مسعود ؛ قال : جاء رجل من أهل الكتاب ، وفي رواية حبر اليهود ، فقال : يا أبا القاسم! أبلغك أن الله عز وجل يحمل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والخلائق على إصبع ويقول : أنا الملك أنا الملك ، قال : فرأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ، ويلاحظ أن المتكلم بالأصابع يهودي ، واليهود مجسمون ، وأن النبي ﷺ ضحك تعجباً من جهله وتلا الآية يوحي بتلاوتها إلى أن القبضة واليمين فيها معناهما القوة والاقتدار ، لا الكف ولا الأصابع . (ص٤٨ ت٦٤)

قلت : وفي توضيح ذلك قال الذهبي في (السير١٨/٢٤٨) : فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إن معنى اليد : القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر : العلم ، ولا نقول : إنها جوارح ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ، ونقول : إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله : **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** ، **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾** .

وذكر ابن خزيمة في كتابه التوحيد - (ص٥٣ ، دار الكتب العلمية ، باب ذكر إثبات الله الخالق البارئ جل وعلا) - قال : والبيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه ثم ساق الأدلة على ذلك من القرآن والسنة .

قال ابن خزيمة : باب إثبات الأصابع لله عز وجل ثم ساق الأدلة على ذلك في كتاب التوحيد (ص٩٧) ، وكذلك في الرد على من أول اليد والأصابع بالقوة والقدرة .

قال ابن خزيمة في كتابه : جل ربنا على أن تكون أصابعه كأصابع خلقه وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه وقد أجل الله تعالى قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق الباري بحضرته بما

ليس هو من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ، ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدأ نواجذه تصديقاً وتعجباً لقائله لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق رسالته .

قال : روى البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ، قال الحافظ في الفتح : وقع في هذا الموضع يكشف ربنا عن ساقه وهو من رواية سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ، ثم قال في قوله عن ساقه نكرة ، ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة ، عن زيد بن أسلم بلفظ : «يكشف عن ساقه» ، قال الإسماعيلي : هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة ، لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين ، تعالى الله عن ذلك ليس كمثله شيء . اهـ . وحفص أقوى لأنه ثقة ، وسعيد صدق .

قلت : قال البيهقي في «الأسماء والصفات» : باب ما ذكر في الساق ثم ذكر الحديث السابق وذكر كذلك حديث رواه الإمام ومسلم وهو من رواية آدم بن أبي إياس مختصراً وقال في هذا الحديث : «يكشف ربنا عن ساقه» .

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

قال شيخ الإسلام (٣٥٩/٦) في الفتاوى حول تفسير قوله تعالى : ﴿يوم يكشف . . .﴾ قال : ومثل هذا لا ليس بتأويل ، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناه المعروف ، ولكن كثير من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولاته له ، ثم يريدون حرفه عنه ويجعلون هذا تأويلاً .

قلت : فإثبات صفة الساق لله عز وجل الأدلة في هذا متظافرة متظاهرة ، ولا يلزم من إثبات الساق لله عز وجل تشبيهها بسوق المخلوقين تعالى الله عز وجل عن ذلك ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فالإنسان له ساق والشجرة لها ساق والكلب له ساق ؛ فلا نشبه أحد ساق أحد . فكيف نشبه ونتمثل بعد ذلك تعالى الله عن ذلك ، وربما احتجنا إلى التأويل في هذه الآية

وهو كناية عن شدة الأمر ولا يعني ذلك نفي صفة الساق هذه عن الله عز وجل .

قال ابن عبدالبر : . . . وأنه يدخل في النار يده . . . قال الغماري : لم يأت ذلك أي حديث مرفوع مقطوع به .

قلت : بل قد ورد في حديث النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله . . . وذكر فيه : «فيقولن ربنا! قد أخرجنا من أمرتنا ، فلم يبق في النار أحد فيه خيرٌ . قال : ثم يقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع الأنبياء ، وشفع المؤمنون ، وبقي أرحم الراحمين . قال : فيقبض قبضة من النار ـ أو قال قبضتين ـ ناس لم يعملوا لله خيراً قط . . .» ، رواه الإمام البخاري (ح ٧٤٣٩) .

في ص١٥٠ ت٦٨ :

قال : لكن العقيدة لا يكفي فيها رواية الثقات ؛ بل لابد فيها من خبر يفيد التعليم .

قلت : هذه الشنشنة لا يدرى ما الذي يقصد منها ؛ فإن كانت الأخبار التي يستدل منها على حكم مستندة إلى السنة الصحيحة سواء كانت هذه السنة من طريق الآحاد أو من طريق التواتر ، ولا شك أن جلّ أحاديث العقيدة آحاد ـ أقول ـ إن كان هذا الحكم الذي يرد من . . . الطريقين فإنه لا ينظر هل يكتفى به رواية الثقات من عدمها إذا وردت السنة بصحة ذلك الخبر فتكون العقيدة المتلقاة عن رسول الله ﷺ وقد أفاد الظن التعيني فإنها تؤخذ ولا يرد عليها ما ذكر الغماري من استدراكه .

وإن كانت هذه الأخبار الواردة عن الله بواسطة رسول الله ﷺ والمبلغة لنا عن رواية الثقات فهي تفيد خبر التعيين فهذه مقولة صحيحة لكن . . . . من المعنى المقصود ـ وهذا إحساناً منا الظن بالغماري ـ وإلا فإن هذا الكلام الصادر عن أبي عبيد القاسم بن سلام وهو بالمكان الذي يعرف له في علم الحديث لم يقل هذا اعتباطاً وإنما قاله لأنه قد تقرر عند علماء الحديث أن رواية الثقات مقبولة ومعمول بها ، قال ابن عبدالبر ٢/١ التمهيد : وقد أجمع المسلمون على جواز قبول الواحد السائل المستفتي لما يخبره به العالم الواحد إذا استفتى فيما لا يعلمه ، وقبول خبر الواحد العدل فيما يخبر به مثله ، وقد أفردت لذلك كتاباً موعياً كافياً[٢] والحمد لله .

قال شيخ الإسلام بن تيمية في الفتاوى ٤١/١٨ : وخبر الواحد المتلقي القبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري .

وأنت كما ترى فإن الكلام متوجه إلى قبول خبر الواحد فكيف به برواية الثقات؟! هل تحتاج إلى تساؤل أنها تفيد التعيين أو لا تفيد .

ص١٤٩ ت٦٧ :

قال : لم يرد هذا مرفوعاً ، ولكنه كلام ابن عباس رواه بن خزيمة في كتاب التوحيد ، ومثل هذا لا يقبل إلا من المعصوم .

قلت : قال الذهبي في مختصر العلو : عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره ، رواته ثقات ، وأخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٥٨٢/٢ ط دار العاصمة . قال الألباني : وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات .

قلت : وهذا لا يقال بالرأي ولابد أن عندابن عباس خبر من عند المصطفى ﷺ فكيف وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه حديث مرفوع؟!

الحواشي :

(١) هو عبدالله بن الصديق الغماري ، وقد رأيت للغماري في بعض تأليفه رأيته يحكم على حديث الجارية بالشذوذ ، رأيه غير صحيح . ولا أدري هل ينكر هذا الحديث أم أنه ينكر ذات الحكم وهو أن الله في السماء .

(٢) هو كتاب «الشواهد في إثبات خبر الواحد» قاله محقق المجلد الأول من التمهيد .

* * *

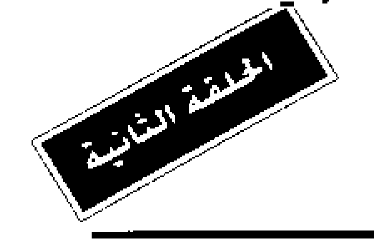
يقول تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[الكهف: ٢٨]

[دلّت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماماً للناس من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضي ربه، فقدّمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما منّ الله به عليه].

"تيسير الكريم الرحمن للسعدي" ـ رحمه الله تعالى ـ (ص٤٢٥)



بقلم الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

مشارق الأنوار على صحاح الآثار

مشارق الأنوار على صحاح الآثار:

موضوعه : قال ابن خلّكان وهو يعدد مصنفات القاضي عياض المفيدة : «ومنها «مشارق الأنوار» وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة ، وهي : الموطأ والبخاري ومسلم»(١٣) . قلت : وموضوع كتابنا : هو تحقيق نصوص «الموطأ» و«الصحيحين» بالإضافة لتفسير غريب الحديث ، قال ابن فرحون : «وكتاب «مشارق الأنوار» في تفسير غريب حديث «الموطأ» والبخاري ومسلم ، وضبط الألفاظ ، والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات ، وضبط أسماء الرجال»(١٤) .

القاضي عياض يصف المشتغلين بالرواية في عصره:

وقد ألّف القاضي عياض هذا الكتاب ؛ لأنه رأى المتأخرين «قد تساهلوا في الأخذ والإدلاء ، حتى أوسعوه اختلالاً ، ولم يألوه خبالاً ، فتجد الشيخ المشهود بشأنه وثنائه ، المتكلف مشاق الرحلة للقائه ، تنتظم به المحافل ، ويتناول الأخذ عنه ما بين عالم وجاهل . وحضوره كعدمه ، إذ لا يحفظ حديثه ، ويتقن أداءه وتحمله ، ولا يمسك أصله ؛ فيعرف خطأه وخلله ، بل يمسك كتاب سواه ، بمن لعلّه لا يوثق بما يقوله ولا يراه . وربما كان مع الشيخ من يتحدث معه ، أو غدا مستغلاً نوماً أو مفكراً في شؤونه حتى لا يعقل ما سمعه ، ولعل الكتاب المقروء عليه لم يقرأه قط ، ولا علم ما فيه ، إلا في نوبته تلك ، وإنما يوجد سماعه عليه في حال صغره بخط أبيه ، أو غيره ، أو ناوله بعض متساهلي الشيوخ كتباً لا يعلم سوى ألقابها ، أو أتته إجازة فيه من بلد سحيق بما لا يعرف وهو طفل ، أو حبل حبلة لم يولد بعد ولم ينطق . ثم يستعار للشيخ كتاب بعض من عرف سماعه في شيوخه ، أو يشتريه من السوق ، ويكتفي

بأن يجد عليه أثر دعوى بمقابلته وتصحيحه، والآخذون عن ذلك الشيخ يتساهلون كذلك، فلا يضبطون ما يكتبون. وقد يتشاغلون أثناء السماع بمحادثة الجلساء، وربما حضر مجلس الشيخ صبي لم يفهم بعد عامة كلام أمه، فيعتدّون بصحة سماعه إذا كان قد أوفى أربعة أعوام. ويحتجون بحديث محمود بن الربيع الذي يقول فيه: «عقلت عن النبي ﷺ مجّة مجّها في وجهي وأنا ابن أربع سنين»[١٥]، وليس في عقل محمود هذه المجة حجة على عقله لكل شيء من أمره أو من حوله إلى غير ذلك من ألوان تساهل الآخذ والمأخوذ عنه». ثم قال: «إن أكثر سماعات الناس في عصره وفي أزمان كثيرة من قبله كان بهذا السبيل وأنه لذلك كثر في الكتب التغيير والفساد. وشمل ذلك كثيراً من المتون والإسناد، وشاع التحريف، وذاع التصحيف»[١٦].

أمثلة على التصحيف والتحريف من «مشارق الأنوار»:

نقلنا عن القاضي عياض أن التصحيف قد وقع كثيراً للمحدثين، ومن الأمثلة التي ساقها في كتابه القيّم «مشارق الأنوار» تلك الرواية التي في الصحيحين وفيها: «فأنفجنا أرنباً فنفجت» أن أثارها الصحابة من مجثمها، وثبت وعَدَت. تصحفت هذه الكلمة على أبي عبد الله المازري فرواها (بعجنا) أي شققنا بطنها، واعتبر القاضي عياض هذا تصحيفاً قبيحاً، لأنه تتمة الرواية أنهم سعوا عليها، فلغبوا؛ أي: تعبوا، فسعى أحدهم وهو الراوي فأدركها، فأتى بها أبا طلحة فذبحها. فلو كانوا قد أخذوها أولاً وشقوا بطنها لما سعوا بعد حتى يدركوها ويذبحوها، وهذا من النظر الدقيق في نقد المتن عند القاضي عياض[١٧].

ومن ذلك ما اتفقت عليه نسخ «صحيح مسلم»، وهو قول الراوي: «كنت شاكياً بفارس، فكنت أصلّي قاعداً، فسألت عن ذلك عائشة رضي الله عنها...».

اعتبر القاضي أبو الوليد الكناني قوله: (بفارس) وهماً، لأن عائشة لم تكن بها، بل الصواب (شاكياً نقارس) وهي أوجاع المفاصل[١٨].

ومن ذلك أيضاً ما روي في باب جمع عثمان رضي الله عنه للمصحف، فإنه أمر بكل

صحيفة أو مصحف أن يحرق ، هكذا في رواية المروزي من الإحراق ، ورواه الجماعة (أن يخرّق) ، ووجد هذا الحرف غير منقوط في نسخة الأصيلي . يرى القاضي عياض أن رواية المروزي هي الصواب ، معتمداً على أن المرويّ هو أنها أحرقت بعد أن محيت بالماء ، ليذهب أثرها وعينها ، ويكون أصون لما عساه يبقى من رسوم الخط فيها ، أما مع التخريق والتمزيق فلا يكون ذلك ، بل تكون مطروحةً في غير مواضع الصيانة ، ويبقى الأشكال والداخلة ، وسبب الخلاف فيما عساه يفك من الحروف الباقية فيها[١٩] .

هذا قليلٌ من كثير ، مما تضمنه كتاب «مشارق الأنوار» للقاضي عياض ، وقد استقصى فيه بيان أوهام الرواة التي وقف عليها في الكتب الثلاثة وهي «الموطأ» للإمام مالك ، و«الصحيحان» للبخاري ومسلم ، وإذا كانت معظم تلك الأوهام مما وقع للرواة عن مخرجي تلك الصّحاح ؛ فإن القليل منها إنما وقع في نفس تلك الكتب ، إمّا من أصحابها ، أو ممن فوقهم من الرواة ، ومهما بلغ الراوي من الثقة وجلالة القدر فلا يضيره أبداً ما وقع له من الوهم في النادر من الأحيان ، وحسبه أنه بشر غير معصوم .

طريقة ترتيب الكتاب:

ذكر رحمه الله أنه رتب الكلمات التي عرض لها على ترتيب حروف المعجم ، ولم يكتفِ بترتيبها على ذلك بحسْب حرفها الأول فقط ، بل رتبها كذلك بحسب الحرف الثاني والثالث أيضاً ، وبدأ في أول كلّ حرف بالألفاظ الواقعة في متونه ، فأتقن ضبطها بحيث لا يلحقها تصحيف يظلمها ، ولا يبقى بها إهمالٌ يبهمها ، فإن كان في اللفظ اختلاف نبّه عليه ، وبيّن الصواب من الخطأ ، وميّز الراجح من المرجوح بنص من سبقه من جهابذة العلماء أو باجتهاده وتحقيقه هو على غرار مناهج المتقدمين ، وذكر أنه ترجم فصلاً في كلّ حرف على ما وقع في الكتب الثلاثة ؛ من الأسماء التي يكثر تصحيف الرواة فيها ، ونبّه معها على أشباهها ، ثم يعطف على ما وقع في الإسناد من النصّ على مشكل الأسماء والألقاب والأنساب ، والكنى المبهمة ، ثم ذكر في آخر كلّ فصل ما جاء فيه من تصحيف ، ونبّه على صوابه ، وشرح ما دعت الضرورة إلى شرحه من غريب ألفاظ المتون دون نقصٍ أو اتساع ، لأنه لم

يضع كتابه لشرح اللغة، ولا لتفسير المعاني، بل وضعه لتقويم الألفاظ وإتقانها، ثم ذكر رحمه الله أنه قد شذّت عن الأبواب نكتٌ غريبة ومهمّة لم تضبطها تراجمها لكونها جمل كلمات تضطر القارئ إلى معرفة ترتيبها وصحة تهذيبها، إمّا لما دخلها من التغيير، أو الإبهام، أو التقديم، أو التأخير، أو أنه لا يفهم المراد بها إلاّ بعد تقديم إعراب كلماتها، أو سقوط بعض ألفاظها، أو تركه على جهة الاختصار، ولا يفهم المراد إلاّ به، فأفرد لها آخر الكتاب ثلاثة أبواب؛ **أولها**: في الجمل التي وقع فيها التصحيف، وطمس معناها التلفيف. **وثانيها**: في تقديم ضبط جمل في المتون والأسانيد، وتصحيح إعرابها، وتحقيق هجاء كتابتها، وشكل كلماتها، وتبيين التقديم والتأخير اللاحق لها، ليستبين وجه صوابها، وينفتح للأفهام مغلق أبوابها. **وثالثها**: في إلحاق ألفاظ سقطت من الأحاديث أو من بعض الروايات، أو بترت اختصاراً أو اقتصاراً على التعريف بطريق الحديث لأهل العلم به، لا يفهم مراد الحديث إلا بإلحاقها، ولا يستقل الكلام إلا باستدراكها.

أهمية الكتاب، والاستغناء به عن الرحلة في طلب الحديث، وحاجة طلاب العلم إليه:

قال أبو الفضل مبيّناً أهمية كتابه بعد وصفه له على النحو الذي ذكرناه: «فإذا كملت هذه الأغراض، وصحّت تلك الأمراض؛ رجوت ألاّ يبقى على طالب معرفة - الأصول المذكورة - إشكالٌ، وإنه يستغني بما يجده في كتابنا هذا عن الرحلة لمتقني الرجال، بل يكتفي بالسماع على الشيوخ إن كان من أهل السماع والرواية، أو يقتصر على درس أصلٍ مشهور الصحة، أو يصحح به كتابه، ويعتمد فيما أشكل عليه على ما هنا؛ إن كان من طالبي التفقه والدراية، فهو كتابٌ يحتاج إليه الشيخ الراوي، كما يحتاج إليه الحافظ الواعي، ويتدرج به المبتدي، كما يتذكر به المنتهي، ويضطر إليه طالب التفقه والاجتهاد، كما لا يستغني عنه راغب السماع والإسناد، ويحتج به الأديب في مذاكرته، كما يعتمد عليه المناظر في محاضرته»

ثناء العلماء على «مشارق الأنوار» واستفادتهم منه:

وصدق عياض فيما وصف به كتابه

العجيب في أنطار الأجيال ، كيف لا وقد قال ابن فرحون فيه : «وهو كتاب لو كتب بالذهب ، أو وزن بالجوهر ؛ لكان قليلاً في حقّه»[٢٠] .

وقد كان ابن الصلاح ينشد عند ذكره :

مشارق أنوار تبدّت بسبتة
وذا عجب كون المشارق بالغرب

ولا عجب ؛ فعياض في المشرق وفي المغرب ، وفي كل البلاد الإسلامية الأخرى جدير بأن يكون له ولكتبه المكانة المرموقة ، والصيت الذائع ، مع الإكبار والإجلال ، والتقدير والاحترام ، وأن يُخلّد ذكره ، وينشر فضله بين العالمين في كل مكان . وقال السّخاوي فيه : «هو أجلّ كتاب جمع فيه القاضي عياض بين ضبط الألفاظ ، واختلاف الروايات ، وبيان المعنى ؛ لكنّه خصّه بـ «الموطأ» و«الصحيحين» ، مع ما أضاف إليه من مشتبه الأسماء والأنساب»[٢١] .

وقد استفاد ابن الصلاح كثيراً من كتاب «مشارق الأنوار» ، ويتضح هذا من كتابه «علوم الحديث» ، وخصوصاً في النوع الثالث والخمسين : «معرفة المؤتلف والمختلف من الأسماء والأنساب وما يلتحق بها» ، فقد صرّح فيه : «وأنا في بعضها مقلّدٌ كتاب القاضي عياض ، ومعتصم بالله فيه ، وفي جميع أمري»[٢٢] .

ومما يدلك على قيمة هذا الكتاب في نفس ابن الصلاح أنه نقل فوائد ـ مقلداً القاضي عياض في بعضها ـ وختمها بهذه الفائدة : «ليس في «الصحيحين» و«الموطأ» الهمذاني ـ بالذال المنقوطة ـ وجميع ما فيها على هذا الصورة فهو الهمداني ـ بالدال المهملة ـ وسكون الميم»[٢٣] . ثم قال : «هذه جملة لو رحل الطالب فيها لكانت رحلةً رابحةً إن شاء الله تعالى ، ويحقّ على الحديثيّ إيداعها في سويداء قلبه»[٢٤] .

وأخيراً . . . لا يسعنا إلا أن نردد مع القاضي عياض «وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة والدراية قدره ، ويوفيه أهل الأنصاف والديانة حقّه» ، ذلك لأن القاضي عياضاً نخّل فيه معلومه ، وبثّه مكتومه ، ورصعه بجواهر محفوظه ومفهومه ، وأودعه مصونات الصنادق والصدور ، وسمح فيه بمضمونات المشايخ والصدور ، وصنفه من منتقى النكت من خيار الخيار ، وأودعه غرائب الودائع

والأسرار، وأطلعه شمساً يشرق شعاعها في سائر الأقطار، وحرّره تحريراً تحار فيه العقول والأفكار، وقربه تقريباً تتقلّب فيه القلوب والأبصار، وسمّاه بـ «مشارق الأنوار على صحاح الآثار».

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب طبع في جزئين في ضمن مجلّدٍ واحد، سنة ألف وثلاث مئة وثلاثين من الهجرة، نشر المكتبة العتيقة بتونس، ودار التراث بمصر، وطبعه عبد الحفيظ العلوي ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٢٨هـ، وطبع مرّة أخرى في المغرب سنة ١٤٠٢هـ، بتحقيق السيد البلعمشي أحمد يكن. وقد اختصره ابن قرقول «ت ٥٦٩هـ»، وسمّاه «مطالع الأنوار على صحاح الآثار»، ونظمه شمس الدين محمد بن محمد الموصلي[٢٥] «ت ٦٤٥هـ» الذي تجرّد له وأخرجه من المبيّضة، لأن عياضاً مات وتركه كذلك.

ولا بد من تنبيهٍ أخير؛ وهو: أن القاضي عياضاً ـ رحمه الله ـ، لا يقصد من جمعه لأوهام الرواة التشكيك في جملة الروايات، ولا أن يضع سلاحاً بيد أعداء السنة، لكنه يبحث بحثاً علمياً موضوعياً للذبّ عن السنة من جانب، ولعله يعطي الدليل العمليّ للطاعنين.

ثم إن علماء الحديث أغيرُ عليه وعلى ميزه، وإن بحوثهم تقطع الطريق على أولئك المرجفين، وهذا من جانب آخر، وبهما يجمع الحسنيين.

الحواشي:

(١٣) «وفيات الأعيان (٣/٥١١).

(١٤) «الديباج المذهب» (ص ١٧٠)، وانظر «كشف الظنون» (٢/١٦٨٧).

(١٥) الحديث رواه البخاري (١/٢٢)، وانظر في هذه المسئلة «علوم الحديث» لابن الصلاح (ص ٦).

(١٦) «مشارق الأنوار» (١/٣) بتصرّف.

(١٧) «مشارق الأنوار» (١/٩٧).

(١٨) «مشارق الأنوار» (١/٩٩).

(١٩) «مشارق الأنوار» (١/١٨٩).

(٢٠) «الديباج المذهب» (ص ١٧٠).

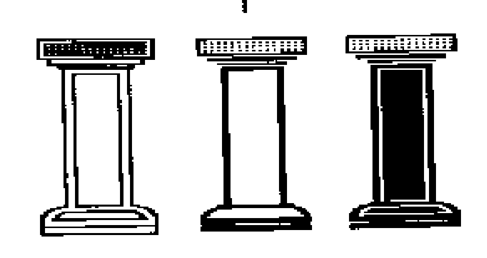
(٢١) «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (٣/٥٠).

(٢٢) «علوم الحديث» تحقيق العنز، (ص ٣٢٣).

(٢٣) انظر «مشارق الأنوار» (٢/٢٧٦).

(٢٤) «علوم الحديث» (ص ٣٢٣).

(٢٥) «ت ٧٧٤ هـ» ويرجع الفضل في حفظ هذا الكتاب إلى أبي عبدالله بن علي بن يوسف الأنصاري.



بقلم الشيخ سعد الحصين

رأي آخر في خطبة الجمعة

سبق أن كتبت تحت عنوان «رأي آخر» في أكثر من أمر لأؤكد أن ما أقوله مجرد رأي (بين آراء مختلفة) لا أدعي صوابه ولا أطمح إلى فرضه لو استطعت إلى ذلك سبيلاً .

ولكن ما أكتبه اليوم يتعلق بالعبادة ، وهي توقيفية مبنية على اليقين من نصوص الوحي وفقه علماء الأمة في هذه النصوص ، وقد حذرنا الله تعالى من القول في شرعه بما يمليه الظن والعاطفة وألزمنا اتباع الهدى : ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾ .

وفيما يلي أعرض مقارنة موجزة بين واقع خطبة الجمعة اليوم وبين طريق الهدى في أمرها :

أ- أكثر خطباء المسلمين اليوم يعطلون المقصود الظاهر من مشروعية خطبة الجمعة ، ويحولونها إلى ملحق لنشرات الأخبار مبنيّ على الظن والفكر ، وخطبة الجمعة عبادة وجزء من الصلاة لا تقوم الصلاة إلا بها - في رأي غالبية الفقهاء - وإذن فلابد من الرجوع في أمرها إلى الوحي واليقين وتقييدها بسنة رسول الله ﷺ .

ويزيد انحراف كثير من خطباء اليوم فتتحول خطبهم إلى إثارة للفتنة بين الراعي والرعية بالتهييج والمبالغة والغيبة والبهتان لا يستقيم معها حال دينية ولا دنيوية في مخالفة صريحة للسياسة الشرعية من الأحاديث الصحيحة في التحذير من الفتنة .

وأكثر المسلمين لا يحضرون من دروس الدين غير خطبة الجمعة ، فإذا تحولت من العلم الشرعي إلى الفكر ومن الإصلاح إلى الإفساد ، فقدوا الفرصة الوحيدة التي أنعم الله بها عليهم لبيان ما يجب أن يعلموه من دينهم وللاجتماع على الخير والتعاون على البر والتقوى .

ب- وكانت خطب رسول الله ﷺ

وصحابته وتابعيه لا تخرج عن الثوابت الشرعية : الإيمان والموت والحساب والجنة والنار ، وتعليم الأحكام الشرعية في العقيدة والعبادة والمعاملة ، والدعاء ، والتحذير مما يضاد ذلك من الشرك والبدعة والغفلة عن ذكر الله .

ولم تتضمن خطبة واحدة من خطب النبي ﷺ يوم الجمعة ولا خطب خلفائه وصحابته ، ولا خطب الأئمة في القرون الثلاثة شيئاً عن الحوادث والطوارئ على عظم ما مرّ بهم منها ، ولا عن الغزوات ولا الهجرة ولا الإسراء والمعراج ولا المولد ، ولا احتفل بمناسبتها يوم ذكراها بالكلام عنها في الخطبة . كلُّ ذلك من ابتداع خطباء القرن الأخير ، ومفكروه ، لم يكن ذلك من هدي القدوة من هذه الأمة حتى احتل الفكر الإسلامي مكان العلم الشرعي واحتل المفكرون الإسلاميون مكان أئمة العلم الشرعي .

ج- وإذا أكدت أن العبادة لا تثبت ولا تصح إلا وفق النصوص المعصومة ؛ فهذا ما يحضرني منها :

١- قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذي آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ ، والذكر في اللغة والشرع : الصلاة والطاعة وقراءة القرآن وتسبيح الله وتمجيده والثناء عليه . (يمكن الرجوع إلى تاج العروس وإلى التفاسير) .

٢- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً ، يقرأ القرآن ويذكّر الناس . رواه مسلم .

٣- وعن أبي وائل رضي الله عنه ، عن عمار رضي الله عنه ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنّة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة» رواه مسلم .

٤- وعن أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها ؛ قالت : لقد كان تنّورنا وتنّور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة ، ما أخذت ﴿ق والقرآن المجيد﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس . رواه مسلم .

٥- ومن حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما في صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب يقول : «بعثت أنا والساعة كهاتين» ، ويقرن بين

أصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : «أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ؛ وكل بدعة ضلالة» ، ثم يقول : «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي» .

٦- وثبت من عدة طرق عن عدد من كبار الصحابة وفقهائهم رضي الله عنهم نص خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يخطب بها ويعلمها أصحابه : «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» ثم يتلو آيات الأمر بالتقوى من سورة آل عمران والنساء والأحزاب .

د- ومما يحضرني من أقوال فقهاء الأمة في بيان النصوص ما يلي :

١- قال الشافعي رحمه الله (الأم ٢٠٣/١) : وأحب أن يخطب الإمام بحمد الله ، والصلاة على رسوله ﷺ والعظة والقراءة ، ولا يزيد على ذلك .

٢- وقال النووي الشافعي رحمه الله (المجموع ٣٤٩/٤) : ومقصود الخطبة الوعظ .

وكانت خطب رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيه لا تخرج عن الثوابت الشرعية: الإيمان والموت والحساب والجنة والنار، وتعليم الأحكام الشرعية في العقيدة والعبادة والمعاملة، والدعاء، والتحذير مما يضاد ذلك من الشرك والبدعة والغفلة عن ذكر الله.

٣- وقال الكاساني الحنفي رحمه الله (بدائع الصنائع ٢٦٣/١) : روي عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال : ينبغي أن يخطب الإمام خطبة خفيفة يفتتح بها بحمد الله تعالى ويثني عليه ويتشهد ويصلي على النبي ﷺ ويعظ ويذكّر ويقرأ سورة ، ثم يجلس جلسة خفيفة ، ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى : يحمد الله تعالى ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ ويدعو للمؤمنين والمؤمنات .

٤- وقال القرطبي المالكي رحمه الله (الجامع لأحكام القرآن ١٠٧/١٨) : ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين

والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله .

٥- وقال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله (المغني ٣٠٤/٢) نقلاً عن الخرقي رحمه الله : فحمد الله أثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقرأ ووعظ ، وقال (٣٠٥/٢) : وقال القاضي : تجب الموعظة في الخطبتين لأنها المقصود من الخطبة فلم يجز الإخلال بها .

٦- وقال ابن القيم رحمه الله (زاد المعاد محقق ٤٢٣/١) عن خطب رسول الله ﷺ يوم الجمعة : إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وذكر الجنة والنار وما أعدّ الله لأعدائه وأهل معصيته .

وقال رحمه الله (٤٢٤/١) :

ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان بالكلية، والدعوة إلى الله وذكر آلائه التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره.

٧- وقال الصنعاني رحمه الله (سبل السلام ٤٩/٢) : وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم ، ويذكر معالم الشرائع في الخطبة ، والجنة والنار والمعاد ، ويأمر بتقوى الله ويحذر من غضبه ويرغب في موجبات رضاه .

وقال رحمه الله (٥٠/٢) : وكانت محافظته ﷺ على الخطبة بسورة ﴿ق﴾ ؛ اختياراً منه لما هو أحسن في الوعظ والتذكير ، وفيه دلالة على ترديد الوعظ في الخطبة .

٨- وقال سيد سابق (فقه السنة ٣٠٩/١) : وفي الروضة النديّة : ثم اعلم أن الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس وترهيبهم فهذا في الحقيقة روح الخطبة الذي لأجله شرعت .

خاتمة:

وليس في نصوص الوحي ولا فقه أئمة القرون المفضلة لها ما يجيز الاعتداء على منهج النبوة - في هذه العبادة العظيمة - والانحراف عنها ، قال الله تعالى : **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾** .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد .

بقلم الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقره

نعم.. غرباء الزمان والمكان.. ولكن طوبى لهم

طاف بالناس في أيامنا هذه طائف سوء، وافاهم بعد انقطاع دام قروناً، تسلل إليهم من خلال وهنها، لائذاً بمكر أهل الصانعيه، وقد أرخى عليه ظلام القرون الأفكة ذيوله، وتبدّى لهم في صور مختلفة، وأشكال متعددة، وتدافعت هذه الأشكال وتلك الصور، في إئتلاف وثيق، كلما غابت منها واحدة خلفتها واحدة من ورائها في غير ضجيج ولا تباين، حتى ليخال للمرء أن يداً صناعاً حذقتها، برورا بوعد منها للشيطان، وآمنت بالذي دلاهم إليه بغروره، وشر تبريره، حتى إذا ما أتاهم هذا الطائف، وانتهى إليهم، طاف بهم طوف خبير، عارف بمداخل القلوب والعقول، يبحث عن مكان سهل لا يشق عليه النفاذ منه إلى عقولهم وقلوبهم، ليفسد عليهم دينهم، وعقيدتهم، فما أيسر ما وجده، بل وجد كثيراً منها يختار منها ما يشاء في غير جهد، ولا تريث أو اصطبار والأمة قد غرقت في لجة الضياع، وضربت في تيه الفرقة، وباتت على شوك أدمى جنوبها، وانتهت بها أسباب الشر إلى ذلّة، ضربت عليها طنبها، وأرخت عليها سجفها، فما تغني عنها إلا ذلة مثلها، أو شر منها، ولو كانت ذلة واحدة لهانت، ولكنها ثانية، وثالثة، ورابعة، وكأنما هي عيون ثرّة، ماؤها ملح أجاج، ينبجس من صخر أصم أسود، التقت على صعيد واحد، وركبت الناس أهواء، تلقم عقولهم فتناً، وقلوبهم إحناً، وصدورهم شحناء، وتمعن في ليّ حبالها حول أعناقهم، وتجتالهم في طواعية عن موارد عزتهم التي كانوا عليها وهم صاغرون، بفتنة جائحة غشوم، أنبأناها حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، فيما أخرجه لنا، الشيخان:

قال حذيفة: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا

رسـول الله! إنا كنا في جـاهليـة وشـر ، فـجـاءنا الله بـهـذا الخـيـر ، فـهل بعـد هذا الخير من شر؟ قال : «نعم» ، قلت : وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال : نعم وفيه دخن ، قلت : ومـا دخنه؟ قـال : قـوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال : نعم ، دعـاة على أبواب جـهنم ، من أجابهم إليها ؛ قذفوه فيها قلت : يا رسول الله ، صـفـهم لنا! قـال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا» وبين الفينة والفينة يطلع علينا نفر ممن وصفهم لنا رسول الله ﷺ ، جذوع فتنة وفسائل شر ، لا يجدر بمن يعرفهم أن يسكت عنهم ، أو يتركهم من غير أن يحذر الناس منهم ولست والله ممن يعزفون على وتر فتنة ، أو يردون أعناق الناس بأقلامهم عن أمر فيه خير لهم فمن لا يحب الخـيـر ، ويكره الشـر للناس ؛ فليس بمؤمن وقد كنت أوثر الإمساك عن القول في أمر قلت فيه من قبل ، والإعـراض عن الدفـاع عن أعـراض جماعة من المؤمنين استباحها من ارتضى لنفسه ذلك ، والطعن على عقيدتهم ، والنيل من سلوكهم وأعمالهم - فالله كافيهم وهو حسيبهم -!!! لولا ما كان يراد به الاستعداء ، أو زيادة الاستعداء على طوائف من المسلمين ، ذنبهم أنهم كرهوا ما تجري به لهوات شياطين الإنس ، أو تخبر به صنائع أيديهم ، وحواسهم ، من أهواء جانحة عن صواب الحق ، وحق الصواب ، وأحبوا ما أنزل الله على نبيه عليه السلام من الوحيين العظيمين ؛ فاستمسكوا بهما ، وبالذي هو خير ، فهل يكون حظهم عنده من الإنصاف الاستعداء عليهم ، والوقيعة بهم ، والطعن على ما ألزموا أنفسهم من الحق؟!

حتى قال قائل : «إنه هاجر إلى أحمد بن حنبل ، وابن تيمية ، ومن سار على دربهما في زماننا ، محدث في الشام ، ونظير له في الجزيرة العربية» . وإني لأقسم غير حانث أن القائل لو جلس إلى واحد من هذين ساعة من نهار ، لأغنته عن قراءة مئة كتاب - إن وسعته القراءة - من الكتب التي لا يحسن مؤلفوها إلا رصف الألفاظ ، وتجميع الأقوال من غير دليل على صواب هذا القول ، أو خطأ ذاك .

لأنه لن يجد في هدي رسول الله ﷺ كله ، وسلوكه العلمي جميعه ، نقصاً يحتاج إلى إتمام ، أو خللاً يحتاج

إلى إصلاح؟! المعصوم فيما ينقل من وحي عن ربه لأمته .

والله يقول : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ . . .﴾

والاتباع لا يتخيّر تخيّراً ، فما وافق الهوى ، ومالت إليه النفس فهو الحق ، وما لم يوافق الهوى وتمل إليه النفس فهو الباطل ، ومن لم يجد عنده القدرة على الاتباع الذي فسره لنا سلوك الصحابة العملي ، فخير له أن يمسك عن التخوض بالباطل في أعراض الناس ، وأعراض المؤمنين محرمة كحرمة دمائهم ، وأموالهم ، وليذكر في نفسه قول الرسول عليه السلام : «من رغب عن سنتي فليس مني» ، والعاجز لا ينبغي أن يلقي بعجزه على الآخرين ، وينسب إليهم ما ليس فيهم ولا منهم ، فهذا ظلم والظلم ظلمات يوم القيامة ، والله لا يحب الظالمين .

ثم أيدري لماذا آثّر هؤلاء منهج ابن تيمية رحمه الله؟ أنه المنهج الجامع للمنهج العلمي الذي تأسست عليه مذاهب الأئمة الأربعة ، ومن كان مثلهم رحمهم الله جميعاً ، وهؤلاء هم ورثة القرون المفضلة التي أثنى عليها رسول الله عليه السلام ، وليس يضيرهم أن يأتي أناس من بعدهم يحملون العلم الذي حملوا ، ويزيدوا عليه ، بما انتهى إليهم من علم ورّثه رسول الله عليه

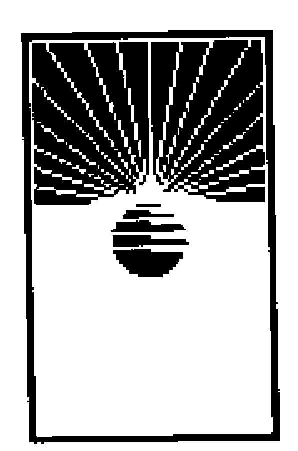
قال حذيفة: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم". قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها: قذفوه فيها قلت: يا رسول الله، صفهم لنا! قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا".

السلام أمته لأن الله عزّ وجلّ لم يتعبدنا إلا بالوحيين ـ ولن يتفرقا حتى يردا على النبي الحوض يوم القيامة ـ «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء المهديّين الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار» .

والله سبحانه لم يكلف عباده ما لا يطيقون ، ولم يتعبدهم بما لا يستطيعون ؛ ﴿فَاتَّقُوْا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾ ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ﴾ . فإن يفعل هؤلاء شيئاً علموه عن رسول الله ؛ خير ألف ألف مرة من الذي يعلم ولا يعمل ، أو لا يعلم ثم يعمل ظنّاً منه أنه يعلم ما لا يعلم ، والله سبحانه يحاسب الناس يوم القيامة بكل أعمالهم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهْ﴾ ولا أظنّ زماننا هذا بأفضل من زمان عبد الله بن مسعود الذي قال : «نحن في زمان من عمل فيه بعشار ما أمر به هلك ، وسيأتي زمان من يعمل فيه بعشار ما أمر به نجا» فهنيئاً لمن يعمل في هذا الزمان بعشار ما صحّ عن رسول الله ﷺ .

وبعد ؛ فإن السلفية ليست مذهباً سياسياً ، ولا تجمعاً حزبياً ، ولا ائتلافاً غوغائياً ، ولا مربداً شعرياً ، ولا نظاماً حكومياً ، ولا قيداً يوثق به عقول الناس ، ولا غلاً تشد به أعناقهم إلى أيديهم وأرجلهم ، ولا تحركاً ثورياً ، بل السلفية منهج القرون المفضلة الثلاثة الأولى ، بكل ما فيها ، التي أثنى عليها نبيّنا بقوله : «خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» وكفى!!

* * *



الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني

كل بدعة ضلالة

فمما لا خلاف فيه بين علماء المسلمين قاطبة : أن الإسلام قام على أصلين عظيمين وقاعدتين كبيرتين ألا وهما : توحيد الله تبارك وتعالى بالعباد وإفراد النبي ﷺ بالاتباع والقدوة .

والذي أريد البحث فيه إنما هو في الأصل : أنه لا يتم إيمان امرئ مسلم إلا بالإيمان بأن محمداً رسول الله ، وأن إنساناً ما على وجه الأرض لو شهد لله عز وجل بالوحدانية بمعانيها الثلاثة فلا يكون مؤمناً إلا إذا ضم إلى ذلك إيمانه بأن محمداً عبده ورسوله ، وإذ الأمر كذلك فكما ينبغي لكل مسلم أن يتعلم معنى الكلمة الطيبة ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ ويجب عليه أن يتعرف على حقيقة معناها ؛ أمران اثنان : الإيمان بها أولاً ، ثم تحقيقها في نفسه وفي عبادته وفي عقيدته بالله ثانياً .

كذلك يجب على كل مسلم أن يعرف معنى أن محمداً عبده ورسوله ، هذه الشهادة المتممة للشهادة الأولى ، ولذلك فإنها لا تتم إلا إذا آمن المسلم بهذه الشهادة عن معرفة وإيمان واعتقاد جازم أولاً ، ثم طبق ذلك في منطلقه في حياته ثانياً ؛ فقولنا : أشهد أن محمداً عبده ورسوله يستلزم في جملة ما يستلزم الإيمان بأن محمداً بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة بتمامها وكمالها بحيث أن لم يدع لمن بعده مهما سما وعلا أن يستدرك عليه شيئاً ما ؛ كما أشار ربنا عز وجل إلى هذه الحقيقة بقوله تبارك وتعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ؛ من أجل ذلك صح عن النبي ﷺ من طرق متعددة أنه قال : «ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله ويبعدكم عن النار إلا وأمرتكم به ، وما تركت شيئاً يقربكم إلى النار ويبعدكم عن الله إلا ونهيتكم عنه» ، لم يبق ثمة مجالٌ لاستدراكه مهما كان هذا الأمر المستدرَك سهلاً أو قليلاً .

من أجل ذلك جاء عن إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه قال : «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، اقرؤوا قول الله تبارك وتعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ، قال مالك رحمه الله : ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً» .

هذا من فقه الإمام مالك رحمه الله إمام دار الهجرة ؛ حيث صرح بلسان عربي مبين أن من ابتدع في الإسلام بدعة واحدة ، وزعم أنها حسنة ؛ فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، ومن زعم هذا الزعم فلم يؤمن بأن محمداً عبده ورسوله ، كما هو واضح جداً من كلام هذا الإمام الجليل لا يكون اليوم ديناً .

فليس على المسلم إلا أن يحقق اتباعه للنبي

ﷺ حتى يكون صادقاً بأن محمداً رسول الله عبده ورسوله ، وأنه جاءنا برسالة كاملة وافية لا شطط فيها ولا وقص ، إذا كان الأمر كذلك فينبغي على كل مسلم أن يعرف قدره وأن يقف عند ما حدّه له نبيه ﷺ من العبادات والطاعات فقد جفّ القلم بما سبق من الشرع ، ولم يبق هناك مجال لاستحسان عبادة لم تكن فيما مضى من الزمن الأول ، على ذلك جرى سلفنا الصالح رضي الله عنهم عارفين بقدر النبي ﷺ من حيث أنه : أولاً أدى الرسالة وبلغ الأمانة كما عرفتم ، وأنه أعبد عباد الله ، وأشدُّهم وأخشاهم لله عز وجل فلا مجال للاستدراك عليه :

أولاً : من الناحية التشريعية ؛ كما سمعتم الآية ، وفي تعليق الإمام مالك عليها .

وثانياً : من حيث ادعاء أن هناك من هو أعبد من رسول الله ﷺ ، هذا أمر يستحيل .

فمن عرف هاتين الحقيقتين المتعلقتين بإيمانه بأن محمداً عبده ورسوله ، اقتصر في عبادته لله تبارك وتعالى على ما جاءه من النبي ﷺ ولم يضع بين يديه قدوة سوى النبي ﷺ ، وفي تأييد هذه الناحية الثانية ؛ أي أن النبي ﷺ لا يمكن أن يسبق إلى ذهن مؤمن أنه أتقى لله ، وأخشى لله ، وأعبد لله منه ، هذا أمر يستحيل .

نذكر ما جاء في «الصحيحين» عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه : أن رهطاً جاؤوا إلى النبي ﷺ فسألوا نساءه حيث لم يجدوه هو نفسه عليه السلام ، سألوهن عن عبادته؟ عن قيامه في الليل؟ وعن صيامه في النهار؟ وعن إتيانه للنساء؟ فذكرن لهم ما يعلمن ذلك من هديه عليه السلام والهدي هذا خير هدي على وجه الأرض ـ كما في خطبة الحاجه «وخير الهدي هدي محمد ﷺ» ـ ذكرن لهم أنه عليه الصلاة والسلام : كان يصوم ويفطر ، وكان يقوم الليل وينام ، وكان يتزوج النساء .

قال أنس : لما سمعوا ذلك من نساء النبي ﷺ تقالّوها ـ أي وجدوا عبادته ﷺ قليلة ؛ تقالوها بناءاً على ما كان قد قام في أذهانهم أن النبي ﷺ لا بد أن يقوم الليل كله ، وأن يصوم الدهر كله ، وأن يكون راهباً لا يقرب نساءه ؛ ففوجئوا بما لم يكن في خاطرهم ؛ فعللوا ذلك بأن رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكأنهم يقولون : أن النبي ﷺ إنما اقتصر على هذه العبادة التي تقالّوها لأن الله قد غفر له ، فلم يبق لديه وازعٌ يحمله على أن يكثر من عبادة ربه عز وجل ، هذا خطأ منهم ولا شك ؛ لأنهم لم يعلموا أن تلك العبادة التي تقالّوها كانت عبادة لا يستطيعها أعبد البشر حتى ولو كان داود عليه الصلاة والسلام الذي صح في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال : «كان داود أعبد البشر» ، لم يعلم هؤلاء الرهط أن النبي ﷺ في تلك العبادة كان أعبد الناس ، وكانت عبادته لا يستطيعها أعبد الناس كما ذكرت ، وذلك مما استدعى أنه سئل وقيل له عليه الصلاة والسلام لما وجدوه ـ وجده العارفون بعادته وليس أولئك الرهط الجاهلون بعادته ـ العارفون بعبادته عليه الصلاة والسلام أشفقوا عليه لأنهم رأوه قد قام حتى تفطرت قدماه ، فقالوا له : يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ـ أي يعنون : اشفق يا رسول الله بنفسك ، ارفق بها فقد تعبت وتشققت قدماك ـ فكان جوابه عليه السلام : «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» .

هذا ردٌّ للتعليل الفاسد الذي صدر من أولئك الرهط حيث عللوا قلة عبادته ﷺ بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخرت لم يعلموا أن النبي قد قام حتى تشققت قدماه ، فلما قيل له ما سبق قال : «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» ، بناءً على ما

توهموا من قلة عبادة النبي ﷺ وما علموا من أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قام في نفس كل واحد من أولئك الرهط أنه يجب على كل واحد منهم أن يبالغ في العبادة؛ وأن يزيد على ما سمع من عبادة النبي ﷺ من صيامه وقيامه وقربانه لنسائه، فتعاهدوا بينهم على ما يأتي: أما أحدهم فقال: إني أقوم الليل ولا أنام، وقال الثاني: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، أما الثالث فقال: إني لا أتزوج النساء.

لماذا؟ لأنهم ظنوا أن التزوج بالنساء مشغلة وصارف عن تمام العبادة لله عز وجل، ولم يعلموا - ويبدو لي - والله أعلم - أن هذا الرهط كان حديث عهد بالإسلام لم يتفقهوا بعد في شرائع الإسلام وأحكامه، أن الزواج عبادة كما جاء في الحديث المعروف: لما جاءه الفقراء وقالوا له: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأموال والأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويحجون كما نحج، ويتصدقون ولا نتصدق، فقال لهم عليه الصلاة والسلام مواسياً: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتم من قبلكم ولم يدركم من بعدكم إلا من فعل مثلكم»، فعاد رسول الفقراء إلى أصحابه الفقراء فبشرهم بهذه البشارة التي صدرت من النبي ﷺ ففرحوا بها كثيراً، ولكنهم لم يلبثوا إلا قليلاً حتى عاد رسولهم إلى رسول الله ﷺ ليقول له عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله! لقد بلغ الأغنياء ما قلت لنا ففعلوا مثل ما فعلنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»، هذه رواية الإمام مسلم في «صحيحه»، وفي رواية أخرى في حديث آخر: أن النبي ﷺ قال لهم: «إن لكم بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة

إن قاعدة التعليم والتذكير قائمة على أساس الستر على الناس إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك، وعلى هذه القاعدة جرى الرسول ﷺ حينما خطب فيما يتعلق بالرهط؛ قال وقد كنى عنهم ولم يسم أحداً منهم: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا».

وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وما زال رسول الله ﷺ يعدُّ كثيراً من مكارم الأخلاق، ثم قال في ختام الحديث: وفي «بضع أحدكم صدقة»، قالوا مستغربين: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته وله عليها أجر؟ قال: «أرأيت إن وضعها في الحرام أليس يكون عليه وزر؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «كذلك إذا وضعها في الحلال كان له عليها أجر»، فخفي مثل هذا الحديث وغيره مما جاء في باب الحض على التزاوج وبخاصة على الصبر على الأولاد والنسل، كما جاء في الحديث الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام: «تزوجوا الولود الودود فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»، فالذي يتزوج ويحصن نفسه ويحصن زوجه فله على ذلك أجر جهل هذا أولئك الرهط فكان من أحدهم أن نذر على نفسه ما سبق ذكره، قال: أما أنا فلا أتزوج النساء، وانطلقوا ثم لما رجع النبي ﷺ وذكرت له ما سمعت من أولئك الرهط مما تعاهدوا بينهم، خطب الرسول عليه السلام في مسجده فقال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا - يعيد عليه الصلاة والسلام على مسامع الحاضرين ما قاله كل فرد منهم؛ هذا الأخير لا يتزوج النساء، والثاني قال أنا أصوم الدهر ولا أفطر وذاك قال أقوم الليل ولا أنام، لكنه عليه الصلاة والسلام كان من

أدبه في موعظته للناس ومن تأديبه للناس وتعليمه للناس أن يستر على الخاطئين أو المخطئين فلا يفضحهم فيقول كما سمعتم : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ، لأنه لا فائدة من ذكر المخطئ إلا إذا كان خطؤه على ملإ من الناس وهو حاضر ، فإذا انصرف الناس وانصرف هو فات تذكير الناس بخطئه ، فهو في هذه الحالة لابدّ من التذكير علناً وليس كما يتوهم ، ولو أنني استطردت شيئاً قليلاً ليس كما يتوهم بعض الناس من الذين يعرفون الحكمة والرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكنهم قد فاتهم أن الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينافي المصارحة بانتقاد المخطئ إذا كان خطؤه على ملإ من الناس ، وسيرة سلفنا الصالح ممتلئة والحمد لله بكثير من الشواهد ، وحسبي أن أذكركم بما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب كان يخطب يوم جمعة طبعاً في مسجد الرسول ﷺ ، لما دخل رجل من أصحاب النبي ﷺ - وفي رواية أنه عثمان بن عفان - فقطع عمر خطبته وتوجه إلى هذا المتأخر عن التبكير للحضور لسماع الذكر وسماع خطبة يوم الجمعة ، فأجاب بأنه : يا أمير المؤمنين ، لم يكن مني إلا أن سمعت الأذان فتوضأت وجئت إلى المسجد ، فقال له منكراً بالاستفهام الاستنكاري : الوضوء أيضاً وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من أتى منكم الجمعة فليغتسل» .

الشاهد من هذا إنه أنكر على عثمان بن عفان علناً على رؤوس الأشهاد ؛ لأنه تأخر عن الحضور إلى صلاة الجمعة وخطبة الجمعة إذاً ، إن قاعدة التعليم والتذكير قائمة على أساس الستر على الناس إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك ، وعلى هذه القاعدة جرى الرسول ﷺ حينما خطب فيما يتعلق بالرهط ؛ قال وقد كنى عنهم ولم يسم أحداً منهم : «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا» الشاهد أن النبي ﷺ قال : «أما إني» ؛ هذا رد في صميم ما قالوا معللين قلة عبادته عليه السلام : أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . «أما إني أخشاكم لله وأتقاكم لله ، أما إني أصوم وأفطر ؛ أي : لا أصوم الدهر وأقوم الليل وأنام ؛ أي : لا أحيي الليل كله كما يفعل بعض الغلاة المتعبدين الزائدين المستدركين على عبادة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولذلك قالت السيدة عائشة كما في صحيح مسلم : وما أحيا النبي ﷺ ليلة بتمامها ، فقال ﷺ مذكراً بأن الشرع وسط والعبادة وسط لا إفراط ولا تفريط : «أما إني أخشاكم لله وأتقاكم لله ، أما إني أصوم وأفطر وأقوم الليل وأنام وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني» .

إذاً سنة النبي ﷺ فيما جاءنا من الإسلام هو الذي يجب على كل المسلمين أن يلتزموها وأنا ضامن على أن داود عليه الصلاة والسلام الذي كان أعبد البشر بشهادة رسول الله لو كان بعد بعثة الرسول ﷺ بهذا الإسلام الكامل التام لم يستطع أن يحيط عملاً بكل عبادات الرسول ؛ أي : بكل العبادات التي جاء بها الرسول ﷺ بقوله أو بفعله أو تقريره من أجل ذلك لم يبق هناك مجال لأحد من المسلمين أن يستدرك عبادة بعد أن أكمل الله عز وجل دينه بإرساله للنبي ﷺ بهذا الإسلام كاملاً .

وبعد أن عرفنا أن النبي ﷺ هو أعبد الناس وأتقاهم وأخشاهم فليس هناك إلا اتباع الرسول ﷺ ، ونحن على يقين أننا لن نستطيع أن ندندن حول عبادة النبي ﷺ إلا لماماً وإلا وقتاً يسيراً ولا فنحن عاجزون تماماً عن أن نتأثر وأن نتتبع خطوات

الرسول في عبادته ، هذا مستحيل بالنسبة لكل أفراد البشر من بعد النبي ﷺ ، ولذلك فلم يبق أمامنا إلا أن نحرص كل الحرص على شيئين اثنين .

الأول : أن نتعلم سنة النبي ﷺ في كل ما جاءنا من الإسلام في العقيدة أو في العبادة أو في السلوك والأخلاق ، ولن نستطيع كما قلت لكم إلا أن نتشبه به عليه الصلاة والسلام . وكما قيل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

ليس لنا أن نتشبه بأحد من البشر إلا به ﷺ ، لأنه أكمل البشر اتفاقاً ، وكل من تشبه به بعده فهو إنما يغترف من بحر عبادته ﷺ .

هذا هو الأمر الأول : أن نتعلم سنة الرسول عليه السلام بالمعنى الواسع لأن قول النبي ﷺ في حديث أنس حول الرهط : «فمن رغب عن سنتي فليس مني» ، لا يعني بهذه الجملة من هذا الحديث العام ترك السنن الرواتب مثلاً فهو ليس مني ، ليس هذا هو معنى الحديث ، وإنما معنى الحديث : من رغب عن سنتي ؛ أي عن طريقي ، وعن سلوكي ، وعن منهجي في كل حياتي الدينية ؛ فهذا هو الذي ليس منه عليه السلام وذلك يختلف بنسبة ابتعاده عن الاقتداء بنبيه ﷺ . فالسنة لها معنيان :

أحدهما : لغة عربية شرعية ، وهو ما كان عليه الرسول ﷺ ومن سار بسيرته .

والمعنى الثاني : ما جرى عليه عُرف الفقهاء من تقسيم العبادات إلى فرض وسنة والسنة في تعريفهم ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، أما الذي يترك سنة الرسول بالمعنى الأول ؛ أي : طريقته ومنهجه ؛ فهذا يكون في ضلال ، وضلاله يكون كثيراً أو قليلاً ، على نسبة بعده عن اقتدائه بسنته عليه السلام وقربه . عندئذ سنجد أنفسنا أننا لسنا بحاجة إلى أن نستدرك أن نسن بدعة حسنة في الإسلام ، بزعم أن هذه البدعة لا شيء فيها ، لأننا سنجد أنفسنا قاصرين وعاجزين عن الاقتداء بالنبي الكريم في كل ما جاءنا من العبادات سواء ما كان منها متعلقاً بالأدعية أو الأذكار أو الصلوات فحسبنا أن نقتدي به عليه الصلاة والسلام ، بقدر استطاعتنا ، وهنا أذكركم بما أخرجه البخاري في «صحيحه» لتعرفوا قيمة قوله قال ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

روى البخاري : أن حبراً من أحبار اليهود جاء إلى عمر بن الخطاب في خلافته فقال له : يا أمير المؤمنين! آية في كتاب الله لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا يوم نزولها عيداً ، قال رضي الله عنه : ما هذه الآية؟ فذكر هذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم . . .﴾ آخرها ؛ فقال عمر : لقد نزلت في يوم العيد في يوم الجمعة ورسول الله ﷺ في عرفات ؛ أي في حجة الوداع ، فقد نزلت هذه الآية في يوم عظيم جداً ، اجتمع فيه فضيلتان وعيدان عيد الجمعة وعيد عرفة .

لماذا قال اليهودي : لو أن هذه الآية نزلت علينا لاتخذنا يوم نزولها عيداً ؛ لأنه عرف عظمة هذه النعمة ، التي امتن الله تبارك وتعالى بها على عباده أما نحن المسلمين اليوم ؛ فإننا مع الأسف الشديد لم نقدر هذه النعمة حق قدرها ، ولذلك تجد كثيراً من الناس قديماً في العصور المتأخرة قد شغلوا المسلمين بكثير من الصلوات والأذكار والأوراد لم يأت بها النبي ﷺ وفيما جاء به عليه السلام كفاية وغنية بل وزيادة على طاقتنا نحن البشر ، وإنما كل منا يأخذ من هذه العبادة ما يستطيع وما يناسب قدرته وطاقته .

من فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز

● إذا سبّ شخص الرسول ﷺ ، أو استهزأ بالدين وشعائره بالدعاة إلى الله ، فهل يكفر ، وهل يجوز للمسلمين قتله؟ أم أن ذلك من واجب الحكومات؟

■ الشيخ ابن باز : إذا سبّ الدين أو سبّ الرسول يكون كافراً وينصح ويوجه إلى التوبة ، ومن تاب تاب الله عليه ، وإذا كان في دولة إسلامية فأمره إلى ولي الأمر ، فإذا تاب ورجع فلا حاجة إلى ذلك ، والواجب أن نوجهه وننصحه ونرشده إلى الخير ونخبره أن ما فعله ردّة ، فإذا تاب وأناب ،استقام على دين الله ، فلا حاجة إلى غير ذلك ، أما إذا أصر على باطله وجب أن يرفع إلى ولي الأمر حتى يقيم عليه حدّ الله ، أو أمير البلدة التي يوجد بها هذا الجرم ، أما الإخوة فعليهم النصح والتوجيه حتى يهديه الله .

● برزت ظاهرة عند كثير من الناس وهي التجمع والتجمهر ، والخروج للمسيرات ،المظاهرات كنوع من إنكار المنكر ، فما رأيكم في ذلك؟

■ الشيخ ابن باز : الخروج في المظاهرات والمسيرات ليس طيباً ، وليس من عادة أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعه بإحسان ، إنما النصيحة والتوجيه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، هذه هي الطريقة المتبعة . قال الله عزّ وجل : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وقال رسول الله ﷺ : «من رأى منك منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان» . فالإنكار بالفعل يكون من الإمام أو الأمير ، أو من الهيئة التي لها تعليمات ، أما أفراد الناس إذا أنكروا باليد فتكون الفتنة والنزاع ، والفرقة والابتلاء وتضييع الفائدة ، فيجب على كل شخص أن ينصح بالقول والتوجيه ، والترغيب والترهيب ، أما صاحب البيت على أولاده والهيئة في نظامها حسب طاقتها ، وكذلك الأمير ، فلهم الإنكار بالفعل أما أفراد الناس فعليهم الإنكار بالقول لأنه لا يستطيع الإنكار بالفعل ، حتى لا تعظم المصيبة ويعظم الشر .

● بعضهم يقول : إن الحاكم يرضى بهذه الاعتصامات والمظاهرات ويستدلون بذلك على جوازها؟

■ الشيخ ابن باز : المظاهرات كما ذكرت شرها أكثر .

● هناك فتوى لشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - يستدل به أصحاب التكفير هؤلاء على أن الشيخ لا يفرق بين من حكم بغير شرع اله عز وجل مستحلاً ومن ليس كذلك ، كما هو التفريق المعروف عند العلماء؟

■ الشيخ ابن باز : هذا الأمر مستقر عند العلماء ، كما قدمت أن من استحل ذلك فقد كفر ، أما من لم يستحل ذلك كأن يحكم بالرشوة ونحوها فهذا كفر دون كفر . أما إذا قامت دولة

إسلامية لديها القدرة فعليها أن تجاهد من لا يحكم بما أنزل الله حتى تلزمه بذلك .

● هم يستدلون بفتوى الشيخ ابن إبراهيم؟؟

■ الشيخ ابن باز : محمد بن إبراهيم ليس بمعصوم فهو عالم من العلماء ، يخطيء ويصيب وليس بنبي ولا رسول ، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير ، وغيرهم من العلماء كلهم يخطيء ويصيب ، ويؤخذ من قولهم ما وافق الحق ، وما خالف الحق يردّ على فاعله .

● ما هو السبيل لتغيير الواقع الأليم الذى تعيشه الأمة اليوم ، وما هو المخرج وقد تعددت السبل؟

■ الشيخ ابن باز : السبيل يكون بالتواصي بالحق والتنافس ، حتى يقيم الله عز وجل دولة إسلامية تقيم الحدود وتطبق شرع الله ، أما إذا لم تقم الدولة فيجب التواصي بين الإخوان في الكويت وفي أوروبا ، وفي أمريكا وفي مصر ، وفي كل مكان ، التواصي والتعاون على البر والتقوى وإرشاد الناس مثل ما كان النبي في مكة فهو لم يضرب أحداً ، إنما النصيحة بنشر الهداية ، وهكذا أول ما هاجر حيث ابتدأ بالدعوة والتعليم .

● انتشر في بلاد المسلمين وللأسف القتل العشوائي ممن يُنسب إلى الدين وإلى الجماعات الإسلامية!!

■ الشيخ ابن باز : تقدم الجواب على هذا فهذا لا يجوز ، وهو منكر فأخذ الناس بالقتل هكذا!! هذا خطأ فادح ، فالواجب النصيحة والتوجيه إلى الخير بالكلام والقول والمسيرة الحميدة كما فعل النبي ﷺ في مكة ، وكما فعل الصحابة ، ومثلما فعلوا في الحبشة عند النجاشي .

● كثير من الدعاة إلى الله يهتمون بتربية الناس وينسون أنفسهم وينسون تربية أبنائهم وزوجاتهم فما نصيحتكم لهؤلاء؟

■ الشيخ ابن باز : نصيحتي لهم أن يتقوا الله ويبدأوا بأنفسهم وأهل بيتهم وأبنائهم ، فيكونوا قدوة في الخير بأعمالهم ، وهكذا يجتهدون في إصلاح أولادهم وأهل بيوتهم ، فلا يبدأ بالناس وينسى نفسه .

● تواجه الدعوة السلفية تحديات كبيرة من قبل الفرق الضالة وأصحاب المقالات المنحرفة عن الكتاب والسنة والسلف ، فما موقفنا من هذه الفرق؟

■ الشيخ ابن باز : لا بد أن يحصل ذلك ، فما يحصل اليوم حصل من قبل ، فلا بد من عداء أهل البدع من قديم الزمان ، من عهد الصحابة . المسلمون ابتلوا بالخوارج وبالروافض فلا بد من الصبر والدعوة إلى الله . . . لا بد من بيان البدع والتحذير منها ، وبيان السنة والدعوة إليها ، وليس هذا بجديد ، والواجب كما فعل النبي بالنصح والتوجيه فقد رفع السلاح في عهد عثمان فجرى ما جرى . . قُتل عثمان وقُتل علي . . وقُتل طلحة . . . وقُتل جمع كبير من الصحابة؟

فيجب الدعوة ، والعناية بالصبر والتوجيه إلى الخير وأن يكون المرء قدوة لغيره وألا تحمله الغيرة على فعل ما لا ينبغي من قتل أو ضرب بغير حجة وبغير طريق مستقيم لأن ذلك مدعاة للفتنة والشرور والقتل العشوائي وتضييع الدعوة .

● هل يحذر من أصحاب البدع؟

■ الشيخ ابن باز : نعم يحذّر منهم ، من الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم ، والتحذير منهم والدعوة إلى السنة ، ولكن يجب أن تتخذ الأسباب التي تنفع ولا تضر ، كما قال سبحانه في كتابه الكريم ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقال جلّ وعلا : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ وقال جلّ وعلا لموسى وهارون لما بعثهم لفرعون : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ هذه سبيل الدعوة في الضعف ، وقال ﷺ : «عليكم بالرفق ؛ فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شأنه» . ولا حول ولا قوة إلا بالله . ■

تحذير وبيان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾

الحمدُ لله حقَّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه وعبدِه وعلى آلهِ وصحبِه وجُندِه.

أمَّا بعد:

فلقد اطَّلعنا منذ نحو عام ـ مضى ـ على فتوى (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ هيئة كبار العلماء) ـ في المملكة العربية السعودية ـ حفظهم الله ـ حول سؤال ورد إليهم عن بعض ما حواه كتاب «إحكام التقرير بأحكام التكفير» ـ للمدعو مراد شكري ـ من آراء؟

ولقد كانت إجابتهم ـ سدّدهم اللهُ ـ فصلاً في مسألة مقررة في منهج السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ واعتقادهم؛ وهي عين ما نَدينُ الله به، وندعو إليه ـ بتوفيق الله ـ منذ نحوِ ربع قرنٍ، وهذا ـ نفسُهُ ـ ما تعلّمناه من فضيلةِ شيخنا أبي عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني ـ حفظه الله ونفع به ـ في مجالسه ومؤلفاته.

مع أننا ـ وذلك الفضل من الله ـ كُنّا قد حذّرنا من الغلط الذي وقع في الكتاب، وما انحرف به صاحبه ـ فيه ـ عن الصواب قبل صدور الفتوى ـ بحمدِ اللهِ ومنّته ـ بنحو سنتين.

ولما كان الكتاب غير منتشر ولا معروف عندنا ـ في الأردن ـ لم تكن الحاجة قائمة ـ قبلُ ـ لكتابة شيء فيه أو في مؤلفه، حيث لم يكن يُظهر انحرافَه ذلك أو يدعو إليه.

ومّما يجب علينا بيانه وإيضاحه: أنه ورد في طيّات السؤال جملةٌ لم يتعقَّبها أو يردَّ عليها علماؤنا الأفاضل ـ أكرمهم الله بتقواه ـ، ألا وهي نسبة هذه العقيدة (الباطلة) لعامة السلفيين في الأردن!! ظنا من السائل ـ أو تنبأً ـ أن صاحب

الكتاب منهم ، أو أنه يُعرب عنهم . . .
ولكن ؛ ما كلّ الظنون على القياس!!

وقد طار بتلك النسبة (الباطلة) - المشار إليها من قِبَل ذاك (السائل) - (أقوام) من الحاقدين فألصقوا ذلك - بغياً وزوراً - بالقائمين على مجلة «الأصالة» المعروفة بمنهجها واستقامتها اتباعاً واعتقاداً ؛ وهي مما يخالفُ ذلك كلّه بَرَاءٌ .

وعليه فنقول : لقد عرف السلفيّون في الأردن حقيقة (مراد شكري) - ومنهجه وآراءه وسلوكيّاته - منذ بضع سنوات خلت ، وظهروا على ما يدّعيه ويتقوّله ، وكانوا - دائماً - يترفقون به نصحاً وإشفاقاً وإرشاداً للّتي هي أحسن بالتي هي أقوم ، وأملاً في أن يتوبِ من منكره وضلاله ، ويؤوب إلى الحق وبُرهانه ، وكل ذلك - كان - بمشورة بعض من أهل العلم الحريصين على المنهج السلفي ، والغيورين على دعاته .

واستمررنا على ذلك - مع تواصل التشجيع ! والتقديم!! والتعريف!! - إلى أن تفاقم الأمر ، واتّسع الخَرَقُ على الراقع ، وغلب على ظنِّ جملة طلاب العلم أن هذا الرجل قد عظم شرّه ، واستطار شرره ، واستفحل خطره ، حتى إنه غرّر بعدد من الناشئة (البُسَطاء) ، فظنّوا أنّه من دعاة السلفية ، لتظاهره بذلك ، ولكنّه - حقيقةً - ظاهرُهُ فيه الرحمة وباطنُه من قبله العذاب ، مخالفةً منه للحقّ ، ومُكابرةً للصواب .

ولقد كشفت «رسالةٌ مفتوحة إلى صديق قديم» - الصادرة قبل بضعة شهور - هذا المنحرف الدَّعي ، فأظهرت مكنونه ، وبدَّدت ظنونه . . . ولم يكن منه - تُجاه ما فيها من الحُجّة والحق إلا الانكسار والسكوتُ ، أو التملُّص والتهرُّب - كلّ على حسَبِه -!

ومن قرأ هذه (الرسالة) بإنصاف تأكّد له - يقيناً كم هو مبطلٌ ومتطاولٌ . . . بل مدّعٍ وكاذب!

ثُم إن سكوتنا عنه هذه المدة الطويلةَ - كلُّها - مع النصح الدائم ، والتذكير المستمر ؛ وهو يستعدُّ - ويُعلنُ في كل مرة - أنه سيرجع ويعترف بأخطائه وأباطيله الماضية ، ويقرُّ بما كان فيها - منه وفيه - : لم يكن سكوت جهلٍ بحقيقته وطريقته ، وإنما - والله - إشفاقاً عليه ، وحرصاً على هدايته ، ورغبةً في أوبته وعودتِه . . .

ولكنّ الأيام - وللأسف - أثبتت - بما لا مجال للشكّ ، أو الريب ، أو (الانتظار)-

أنه ماضٍ في غيّه العظيم ، ومستمرٌ في ضلاله القديم ، على الرغم من كثرة وعوده أنه سيتوب ، فلم يرعوِ ولم يرتدع ، بل ازداد سوءاً على سوئه ، وباطلاً على باطله ، ومنكراً على منكر ، ـ ظانّاً أنّ سكوتنا عنه عجزاً وتساهُلنا معه ضَعْفٌ ـ وهو لا يزال إلى الآن ـ عياذاً بالله ـ ، متدرّعاً بثوب العلم والسلفية ، مغرياً بعض (البسطاء) المغرورين بما (يجتهد) به من إظهار معسول كلامه . وبما (يجهد) فيه من تهذيب منطقه وبيانه ، وهو عن الحق بمعزل ، ومكانُه بأقصى منزل .

ولكنّ أولئك (البسطاء) إن كان عندهم قاعدةٌ من خشية أو دين ، أو بقية من ورع أو يقين ـ وهذا ما نظنُّه فيهم ، ونرجوه لهم ـ إن شاء الله ربُّ العالمين ـ ؛ فإنهم سيعلمون ـ ولو بعد حين ـ ما علمنا ، ويوقنون ـ لو صدقوا مع أنفسهم ، وراقبوا ربَّهم ـ بما أيقنّا ، لأن مجالس ذاك المنحرف المدّعي يُزكم فسادُ أنوفَ الصالحين ، ويُفسد دَخَنها قلوب المخلصين ، ولا يصبرُ عليها إلا قليلو العلم والدين ؛ وذلك لما تحتويه ـ حتى هذه الساعة ـ من :

أولاً : انحراف في المنهج وزيغ في الاعتقاد ، حيث لا يزال مصراً على رأيه الذي انتقده علماؤنا ، مما وافق فيه مذهب المرجِئة الرّديّة ، على الرغم من وعده بالتراجع والتصحيح(!) ، لكنه نكث ونكصَ(!!) ، حتى إنه (يرى) ـ الآن ـ عدم تكفير بعض مَن عُلم كفرهم بالضرورة من دين الإسلام ، كبعضِ الفرقِ الباطنية .

ثانياً : طعنُه في علمائنا ومشايخنا ، ورميه إياهم بالعُجمة ، وبلادة الذهن ، ورِكّة العلم ، وعدمُ تواصُله معهم ، أو اعترافه بهمِ فهو لا يُقيمُ لهم وزناً ، ولا يرفعُ لهم رَأساً . . .

ثالثاً : الطعن في الأنساب ؛ الذي هو من فِعال الكفر ، وخصال الجاهلية ؛ فقلّ أحدٌ من أهل العلم أو طُلاّبه إلا وعنده وَصْفٌ جاهزٌ له ، وطعنٌ حاضرٌ به . . .

رابعاً : النميمة والغيبة ، والرجم بالغيب ؛ دون أدنى بينة أو أقل دليل ، بل يأخذ بالريبة ، ويبني على مَحْض الظنون ، بلا تقوى ولا خشية . . .

خامساً : تواصله وتعاونه مع بعض خصوم الدعوة السلفية في الداخل والخارج ، والكيد لدعاتها ، والتنكر لحملتها ؛ بالكذب الفاشل ، والتربُّص

الباطل . . .

سادساً : تأليبه بعض سفهاء الأحلام على طلاب العلم ، وطعنه بهم ؛ حتى إنه نفّر عدداً من الراغبين بالخير عن العلم وطلبه . وحضور مجالسه ؛ وذلك تحت طائلة رميه طلبةَ العلم ـ زوراً ـ بتُهم شتى ؛ منها : الانتحال والسرقة (!!) ، وإشاعته لذلك كله ؛ ، برقّة دين ، وخواء يقين . . .

سابعاً : نقضه لوعوده وعهوده بالتوبة والرجوع ، وعدم الوقوع في الكذب والغيبة ونَهش الأعراض وذلك في مجالس متعدّدة ؛ أولها أمامنا في بيت الأخ علي الحلبي ، وآخرها ما كانَ في بيت الشيخ أحمد السالك ـ حفظه الله ـ قبل عدّة شهور ، ومجموع ما بين ذلك سبع مرات في بضع سنوات!!

وغير ذلك مما (قد) لا يتّسع المقام لذكره ونشرهِ (الآن) .

فإننا ـ بعد هذا كله ـ نُشهد اللهَ العظيمَ ، ثم الصادقين من عباده : أننا بُراء من هذا المنحرف الكذوب ؛ في تسيّبه ، وتهاونه ، وكذبه ، وطعنه ، وفساد منهجه ، وانحراف معتقده . . . إلى أن يتوبَ ، ويتراجع ، مُعْلِناً ذلك ـ بما لا تلبيسَ فيه أو خداع ـ على الملأ ، بوضوح وظهور .

(مذكِّرين) له ـ ومن لا يزال مغتراً به ـ بما قاله صُلَحاءُ العلماء الصادقين : «من كذب في حديث الناس لا يؤتمن على دين» ، و : «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم» ، و« من تتبّع رخصة كلّ عالم اجتمعَ فيه الشرُّ كلُّه» ؛ فإن هذا (المدّعي) ـ بتسيُّبه ، وتهاونه ، وكذبه ، وباطله ، وتتبُّعه الرُّخص ـ يكاد يكونُ أولى مَن تنطبق عليه هذه الآثار ، وأوّل من تتلبّس به هذه الأخبار ، فاتّقوا الله معاشرَ المُخلصين الأخيار . . .

(مُبيّنين) لأولئك الإخوة (البُسطاء) الذين لبّس عليهم هذا المدّعي المخادع ، وأوهمهم ، وغَرّر بهم أن موقفنا منه خلافٌ شخصيّ (!) ؛ فنقول : لو كانَ الأمر كما كذب ـ وظننتم ـ فما صبرنا سنوات عدداً ـ عليه ـ ؛ لم نَفْتُرْ خلالها عن النصح والتذكير ، والترفُّق به ، لعلّ ولعلّ . . .

(مُطمئنين) مَن كان في ريب مما ذكرنا : أننا قادرون ـ بحمد الله ـ على إقامة عشرات الأدلة ـ والشواهد والشهود ـ على ما ورد في كلامنا ـ من قبلُ ومن بعدُ ـ في حقّ هذا المدّعي المتستّر بهذه الدعوة السلفية المباركة ، ولو أن المقام

احتاج - ولو بعد حين - إلى تفصيل وتبيين : فسيكون ذلك منا بيقين .

(مبشّرين) إخواننا - في كل مكان - أن هذه الكلمات هي بداية مشوار - اضطُررنا إليه - في بيان وكشف أحوال كل دعيٍّ يتمترس خلف الدعوة السلفية ، وهو - حقيقة - يكيد لها ولعلمائها ، ويمكر بِحَمَلَتِها ودعاتها ؛ من طرفٍ خفيٍّ - حيناً - وظاهرٍ جليٍّ - أحياناً - . . .

وختاماً ؛ لا تعجبوا - إخواننا - من موقفنا الواضحِ الظاهرِ مِن هذا الدّعيّ المنكرِ - ومن هو على شاكلته من الأصاغر! فإنما هو انعكاس (واثقٌ) لِمَا يتقيؤونه من فَرْي وبهتان ؛ إذ البهتان على البرىء أثقل من السماوات»[1] ، والحقُّ لأهله «أوسع من الأرض»[1] ، ولصاحبِه - به - مقالٌ بل مقالات .

﴿وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون . . .

وآخر دعوّانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين ، ولا عدوانَ إلا على الظالمين ﴿ولِتَسْتَبِيْنَ سَبِيْلُ المُجْرِمِيْنَ﴾ . . .

الحواشي :

(١) «المجالسة» (٢٧٨٥) للدينوَري .

العاقبة للمتقين

العاقبة للمتَّقين ، في النُّصرة ، والبقاء ، والذِّكر الحسن ، لأن (الحق) أصيل ، و(الباطل) دخيل ، ولأنه ـ كما ورد في بعض الآثار السلفية ـ «الحق ثقيل مريء ، والباطل خفيف وبيء» ، وإنْ ظهر الباطل كالكذب ، والنفاق ، والغش ، والتدليس ، وتحميل الهفوات ما لا تحتمل ، والتَّصيُّد ، والتَّربُّص ، وتتبع العورات والعثرات .

فإن مآل أصحابه إلى (خسران) و(تباب) ، وإنْ أظهروا (التباكي) على (حق) مزعوم!! وإنْ ظهر لهم (تشنيف) أسماع ، و(إصغاء) أذان!!

فإن من سنَّة الله ـ عز وجل ـ التي لا تتغيَّر ولا تتبدّل : (وضع ما ارتفع من الدنيا) خلافاً لما عليه المتقون المخلصون ـ فما (كان لله دام واتصل ، وما كان لغيره ـ سبحانه ـ انقطع وانفصل)ـ فإن العاقبة لهم ، قال تعالى : ﴿والعَاقِبَةُ للمُتَّقينَ﴾ ـ ، قال أهل التفسير(١) :

«﴿والعاقبة﴾ : أي : الحالة الأخيرة التي تعقب جميع الحالات لهم ، في الدنيا والآخرة ، هذا أصلٌ ، وأظهر تعميماً وإعلاماً بالوصف الذي أثمر لهم ذلك ، فقال تعالى : ﴿للمتقين﴾ : أي دائماً في كلا الدارين ، لهم لا عليهم ، فمن اللام يعرف أنها محمودة» .

وقالوا : «ومن هذه الآية يُعْرَف أهل الآخرة من أهل الدنيا ، فمن كان زاهداً في الأولى مجتهداً في الصلاح ، وكان ممتحناً في أول أحواله مظفّراً في مآله ، فهو من أبناء الآخرة ، وإلا فهو من أبناء الدنيا» ويقر عمل هذه السنة الكونية ما ورد في السنة النبوية :

أخرج البخاري في «صحيحه» (٦/ ٧٣ رقم ٢٨٧) ـ مع «الفتح» عن أنس بن مالك قال : كانت (العَضْباء) ـ اسم إبل كانت للنبي ﷺ ـ لا تُسْبَق ، فجاء أعرابيٌ على قَعُود له ، فسابقها ، فسبَقَها الأعرابي ، وكأنَّ ذلك شقّ على أصحاب رسول الله ﷺ فقال : «حقٌّ على الله أن لا يرتفع شيءٌ إلا وضعه» .

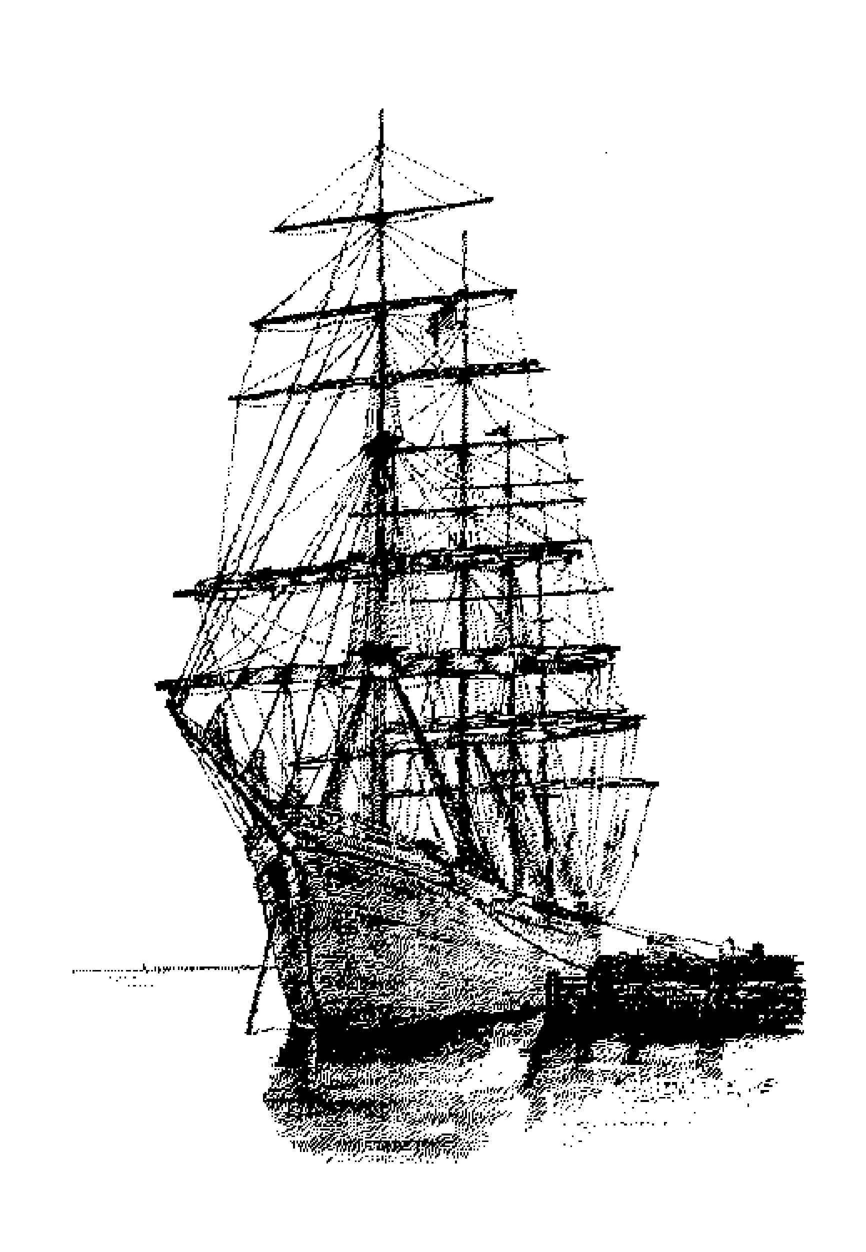
وفي «صحيحه» (رقم ٦٥٠١) أيضاً عن حميد عن أنس بهذه القصة، وقال: «إنّ حقاً على الله عز وجل أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه».

قلت[٢]: تأمّل قوله في اللفظ الأول: «أن لا يرتفع شيءٌ» وفي اللفظ الثاني «أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»، فجعل (الواضع)، لما (رفع) و(ارتفع)، لا لما رفعه (سبحانه)، فإنه (سبحانه) إذا (رفع) عبده (بطاعته)، وأعزّه بها، لا (يضعه) أبداً.

الحواشي:

(١) المذكور من «نظم الدرر» (١٤/ ٣٧٢ - ٣٧٣) بتصرف يسير.

(٢) القائل ابن القيم في كتابه «الفروسية» (ص ٩١).





الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة : العدد الثاني والعشرون

١٥ / جمادى الآخرة / ١٤٢٠هـ

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم ٤ / ٣ / ١٣٢٨



إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءَلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ .

(النساء : ١)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

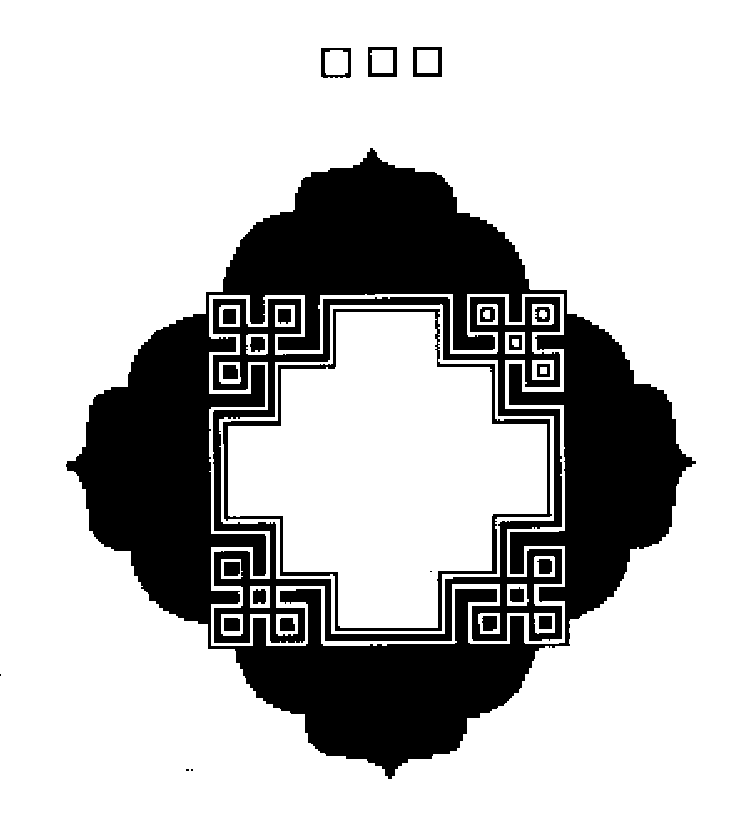
(الأحزاب : ٧٠ ، ٧١)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل مُحدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

المحتويات

☐ ☐ ☐



التنضيد الإلكتروني والإخراج الفني

دار الحسن للنشر والتوزيع / هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ / فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ / ص.ب ١٨٢٧٤٢ / عمان ١١١١٨ / الأردن

الحزبية بين الوقاية والعلاج

التحرير

يدرك كلُّ صاحبِ حق، عاملٍ به، مُريدٍ له، ما حلَّ بأمّتنا منْ خُطوبِ الرَّزايا، وأسبابِ البلايا؛ حتى نالَ الأسافلُ منَ الأعالي، والأصاغرُ من الأكابر: نالَ الشركُ من التوحيد، ونالَ الكفرُ من الإيمان، ونالَ الباطلُ من الحق، ونالَ الجهلُ من العلمَ، ونالتْ البدعةُ من السُّنة، ونالت المعصيةُ من الطاعة... حتى نالتْ الحزبيّةُ المقيتةُ منالها؛ فنالت من التوحيد تأخيراً، ومن الإيمان تشكيكاً، ومن الحق تذويباً، ومن العلم تجميداً، ومن السُّنة تفريطاً، ومن الطاعة إعراضاً؛ ونالتْ من أئمّة الهدى طعناً وتربصاً بل ونالتْ من جموعِ المؤمنين تشتيتاً، ومن أخوتهم تفريقاً...

ولعل ما هو حاصل في الواقع، ومشاهد عياناً من بعض الدعاة! من قهْقرة الإيمان وتراجعه في نفوسهم، وضَعْف موجباته من التقوى والخشية واليقين والصبر...، وإيثار للدنيا على الآخرة، والنيل من العلم والعلماء، والمباعدة عن الإخلاص راجع إلى الحزبية وتربيتها السيئة الخاطئة، التي أضعفتْ التقوى والإيمانَ، وشتتت الفكر والأذهان، وباعدت بين الأحبة والخُلان.

وأيّاً كانت صور هذا المرض، سواء أكانت في المنهج، أو الفكر، أو الولاء، أو الأشخاص، أو السلوك...؛ فلا بدَّ من تشخيص الأسباب، ومعرفة الآثار؛ حتى يتمكن الدعاةُ الربانيونَ من تحصينِ من عُوفي منه، وعلاج من أصيب به؛ وقد قيل: «الوقايةُ خيرٌ من العلاج».

وأسبابُهُ كثيرة:

منها: ما يتعلق بالإعراض عن الوحيينِ بفهم السلف الصالح، والاستغناء بمجمل المنهج عن النظر في مفصَّله.

ومنها: الإعراض عن موجباتِ التقوى والإيمان.

ومنها: الإعراض عن تحقيق التوحيدِ في النفس والآخرين تحقيقاً علمياً وعملياً

ودعوياً.

ومنها: إيثارٌ للدنيا وحطامها الزائلِ على الآخرةِ ونعيمها الدائمِ.

ومنها: حظوظُ النفس، وإرادات فاسدة...

وجملةُ هذه الأسباب، تعود: إلى ضعف في ثوابتِ العلمِ والفهمِ، أو إلى عجزٍ في حصانةِ التقوى والإيمان؛ فكلها تعود: إلى شُبه خطّافة، أو شهوات قتالة، وقد يجتمعان تارةً، ويفترقان تارة أخرى... والقلوب ضعيفة.

وإذا كان الأمرُ كذلك؛ فلا بد من سلوك سبيل الحق والنجاة؛ ﴿ففرّوا إلى الله إنّي لكم منه نذيرٌ مبين﴾: فراراً إلى الله عبوديةً واستعانةً، وفراراً إلى السُّنة متابعةً واعتصاماً، وفراراً إلى العلم تلقياً وافتقاراً، وفراراً إلى الطاعات ظفراً وسعياً، وفراراً إلى الآخرةِ إرادةً وطلباً.

إنّ الأسلوب الأمثل، والطريق الأقوم لعلاج هذا المرض إنما يكون بسلوك سبيل العلم النافع والعمل الصالح، وبهذه السبيل يُعالج من كان راغباً في التوبة، والسلامة، والشفاء؛ وهو الذي يقي من كان محباً للمنهج والاستقامة والاهتداء.

نعم؛ فبهذه السبيل تُنتقص الحزبيّة من أطرافها، وتضمحلُ الآمال في نفوسِ دعاتها، ويعود الرجاء إلى قلوب المغررين بها، وتضيء الإنابة طريق العائدين عنها، والراغبين في الانفكاك عن قيودها وأوزارها، حتى تكون لكلمة الإيمان والعلم صولتها وجولتها.

ولكن الذي يخشى على أهل الحق منه أمران:

الأول: أن تُكافح الحزبيّةَ بحزبيةٍ أخرى، مثلها أو أشد منها وأنكى!

أما الآخر: أن ينشغل الدعاة عن الوقايةِ والتحصين والبناء بالعلاج والتشخيص فحسب؛ فلا بد إذاً من ضوابطِ علمية عدلية وسطية لا تفرق بين مجتمعٍ؛ ولا تجمع بين متفرق.

وفي القرآن الكريم كفاية، لمن تأمل وتفكر، وتذكر، وتدبر وأراد الهداية؛ قال تعالى: **﴿يا أيها الرسلُ كلوا من الطّيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وإنَّ هذه أمتكم أمة واحدةً وأنا ربكم فاتقون. فتقَطّعوا أمرهم بينهم زُبُراً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون﴾**.

التحرير

* * *

بقلم الشيخ: فتحي عبد الله سُلطان

الساعي إلى سبيل الرشاد

الحلقة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى. وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى﴾ (سورة عبس ١ ــ ١٠).

أجمع المفسرون على أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبي ﷺ ويتعلم منه.

وجاءه رجل من الأغنياء، وكان ﷺ حريصاً على هداية الخلق فمال ﷺ، وأصغى إلى الغني، وصد عن الأعمى الفقير، رجاءً لهداية ذلك الغني، وطمعاً في تزكيته؛ فعاتبه الله تعالى بهذا العتاب اللطيف.

وروى الترمذي (٣ / ١٢٦ ــ صحيح) عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت:

«أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين؛ فجعل رسول الله ﷺ، يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول:

«أترى [illegible] أقول بأسا؟» فيقول: لا، ففي هذا أنزل.

وقدّ دل المأثور في سبب النزول على: أن الساعي هاهنا كان قاصداً سبيل الرشاد الذي هو ضد الغي؛ وهو: اسم جامع لكل ما يرشد إلى المصالح الدينية والدنيوية، وهو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة.

﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾.

١- عبس؛ أي: في وجهة، وتولى في بدنه؛ لأجل مجيء الأعمى له.

وأن جاءه الأعمى في موضع نصب؛ لأنه مفعول لأجله؛ المعنى: لأن جاءه الأعمى، وهذا بيان لعلة التولي؛ كما ذكر أهل التفسير [1].

قلت: وهذه العلة ليست لذات المجيء، وإنما لحال النبي ﷺ في الانشغال بهداية المعرض عند مجيء الأعمى، والله أعلم.

٢ - قال الصاوي (٤ / ٢٩١): إنما أتى بضمائر الغيبة ﴿عبس وتولى﴾ تلطفاً به ﷺ وإجلالاً له؛ لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشدة والصعوبة.

٣ - والتعرض لصفة عماه: إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه ﷺ، وتشاغله بالقوم، وإما لزيادة الإنكار؛ كأنه قيل: تولى لكونه أعمى، ... وكان يجب أن يزيده لعماه، تعطفاً وترؤفاً وتقريباً وترحيباً[٢].

٤ - والآية ذكرته بلقب يكرهه الناس، مع أن الله تعالى قال:

﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾، وهذا التعارض الظاهر يُدفع من وجوه:

* إن هذا الوصف جاء من باب التعريف في غرض سليم دون تنقص.

* للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام النبي ﷺ، وللإيذان بالرفق به، ومراعاة حاله[٣].

* وذكر بهذا الوصف من باب التعريض بغيره من أولئك الصناديد وسادة القوم، وكأنه يقول لهم: ﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾: فهذا كفيف البصر، ولكنه وقّاد البصيرة، أبصر الحق وآمن به، وجاء مع عماه طالباً للمزيد[٤].

٥ - والعبوسة أمر لا يتفق في الظاهر مع قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾، وقوله: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾.

والذي يظهر ــ والله تعالى أعلم ــ، أنه لا يتأتى معه؛ لأنه ﷺ لم يتكلم بما يسيء إلى هذا الصحابي في نفسه بشيء يسمعه، كل ما كان منه ﷺ إنما هو تقطيب الجبين،

تقديم التزكية على التذكر، من باب تقديم التخلية على التحلية، والتزكي: هو الإيمان والعمل الصالح الذي تصير به نفس الإنسان زكية؛ قال تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ فالتزكية وإن كان أصلها: النماء، والبركة، وزيادة الخير، فإنما تحصل بإزالة الشر؛ فلهذا صار التزكي يجمع بينَ هذا وهذا.

وإن كانت التزكية هي معنى زائد على قدر التطهر من الذنوب فقط، بل تتزكى النفس بكل ما تتحصل به المنافع، وتندفع به المضار.

وهي حركة مرئية لا مسموعة، والحال: أن هذا أعمى لا يرى تلك الحركة، فكأنه لم يلق إساءة منه ﷺ؛ فعوتب من باب التسامي بأخلاقه ﷺ إلى ما لا نهاية له، إلى حد اللحظ بالعين، والتقطيب بالجبين، ولو لمن لا يراه؛ كما قال ﷺ: «ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين»، وذلك في صلح الحديبية[٥].

﴿وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾:

٦ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ في «المجموع» (١٦ / ١٦٤): «فأمره أن يقبل على من جاءه يطلب أن يتزكى وأن يتذكر».

وقال الشوكاني ــ رحمه الله تعالى - في «فتح القدير» (٥ / ٣٨٢): «لعله يزكى: مستأنفة لبيان أن له شأناً ينافي الاعراض عنه؛ أي: لعله يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك».

«والمعنى: انظر فقد يكون تزكّيه مرجو؛ أي: إذا أقبلت عليه بالإرشاد؛ زاد الإيمان رسوخاً في نفسه، وفعلَ خيرات كثيرة مما ترشده إليه؛ فزاد تزكّيه»[٦].

أي: للتنبيه على أن الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز، فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكي؟! وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفار لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلاً.

٧ - تقديم التزكية على التذكر، من باب تقديم التخلية على التحلية، والتزكي: هو الإيمان والعمل الصالح الذي تصير به نفس الإنسان زكية؛ قال تعالى: **﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾** فالتزكية وإن كان أصلها: النماء، والبركة، وزيادة الخير، فإنما تحصل بإزالة الشر؛ فلهذا صار التزكي يجمع بينَ هذا وهذا.

وإن كانت التزكية هي معنى زائد على قدر التطهر من الذنوب فقط، بل تتزكى النفس بكل ما تتحصل به المنافع، وتندفع به المضار.

ومحل التزكية القلب؛ ولهذا صار الإيمان والقرآن غذاء القلب المتزكي؛ يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (١٠ / ٩٥ ــ ٩٦):

«وفيه ـ أي القرآن ـ من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب؛ فيرغب القلب فيما ينفعه، ويرغب عما يضره؛ فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي، بعد أن كان مريداً للغي مبغضاً للرشاد.

فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للارادات

الفاسدة حتى يصلح القلب؛ فأصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فطر عليها، كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي ويتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده، كما يتغذى البدن بما ينميه ويقومه...».

٨ - أما ذكر التزكي مع التذكر فهو لوجوه:

أحدها: أن التزكي يحصل بامتثال أمر الرسول، وإن كان صاحبه لا يتذكر علوماً عنه؛ كما قال:

﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾، ثم قال: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾: فالتلاوة عليهم والتزكية عام لجميع المؤمنين، وتعليم الكتاب والحكمة خاص ببعضهم، وكذلك التزكية عام لكل من آمن بالرسول، وأما التذكر فهو مختص لمن له علوم يذكرها؛ فعرف بتذكره ما لم يعلمه غيره من تلقاء نفسه.

الوجه الثاني: أن قوله ﴿أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾ يدخل فيه النفع قليله وكثيره، والتزكي أخص من ذلك.

الثالث: أن التذكر سبب التزكي، فإنه إذا تذكر خاف ورجا؛ فتزكى، فذكر الحكم وذكر سببه، ذكر العمل وذكر العلم، وكل منهما مستلزم للآخر؛ فإنه لا يتزكى حتى يتذكر ما يسمعه من الرسول كما قال تعالى: ﴿سيذكر من يخشى﴾؛ فلا بد لكل مؤمن من خشية وتذكر، وهو إذا تذكر؛ فإنه ينتفع، وقد تتم المنفعة؛ فيتزكى[٧].

٩ - والتزكية تحصل على إثر السماع المجمل؛ أي: هي مُترتبة على سماع التلاوة؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾.

وفي هذا المعنى يقول أبو السعود في تفسيره (٣ / ١٦٢): «التزكية: عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية، وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية، الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة».

١٠ - وكان عند ابن أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ علم سابق عند مجيئه، وهو: أن طريق الرشاد المتضمن للتزكية والتذكر مسلَّم إلى الرسل؛ فلا يتحصل إلا بالتعلّم والسعي لذلك.

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «المدارج» (٢ / ٣١٤ - ٣١٥):

«فإن تزكية النفوس مسلَّم إلى الرسل وإنما بعثهم الله لهذه التزكية، وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليماً وبياناً

وإرشاداً، لا خلقاً ولا إلهاماً، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم».

١١ - والتذكّر: تفعّل من الذكر، وهو ضد النسيان، وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب واختير له بناء التفعل؛ لحصوله بعد مهلة وتدرج؛ كالتبصّر والتفهّم والتعلّم.

•جملة: «أو يذكّر»: عطف على يزكى؛ أي: ما يدريك أن يتحصل أحد الأمرين وكلاهما مهم؛ أي: يتحصل الذكرى في نفسه بالإرشاد، لما لم يكن يعلمه، أو تذكر، لما كان في غفلة عنه[٨].

والتذكر قرين الإنابة؛ قال الله ــ تعالى ــ **﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾**؛ فالتبصرة آلة البصر، والتذكرة آلة التذكر، وقرن بينهما وجعلهما لأهل الإنابة؛ لأن العبد إذا أناب إلى الله أبصر مواقع الآيات والعبر؛ فاستدل بها على ما هي آيات له فزال عنه الإعراض بالإنابة والعمى بالتبصر، والغفلة بالتذكر[٩].

فائدة:

فمتى قويت إنابة العبد وتذكره: لم تشتد حاجته إلى العظة ــ وهي الترغيب والترهيب ــ ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي.

والعظة يراد بها أمران: الأمر والنهي المقرونان بالرغبة والرهبة، ونفس الرغبة والرهبة، فالمنيب المتذكر شديد الحاجة إلى الأمر والنهي، والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب، والمعارض المتكبر شديد الحاجة إلى المجادلة، كما قال تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**.

فالمخاطب في الآية هو المنيب المتذكر الذي جاء يسعى لتحصيل النفع الشرعي والديني، فهو من أهل الحكمة؛ فيجب أن يقدم على غيره في خطاب التذكر؛ لتحصيل العلم المفصل المتضمن لأنواع الأوامر والنواهي؛ فتأمل.

١٢ - ولما كان التذكر يحصل لمن له علوم يذكرها؛ فإن الساعي إلى الرشاد الموصوف بالخشية كان بحاجة إلى الدليل الهادي المفصل، فهو يحتاج إلى الظفر بهذا الدليل أولاً، ويحتاج إلى أن يهتدي به وينتفع ثانياً، ويحتاج إلى أن ينزّل على قلبه الأسباب الهادية، ويصرف عنه الأسباب المعوقة ثالثاً، فإذا حصل للعبد غفلة وذهول استذكر هذه العلوم، فضلاً عن العلوم والإرادات الفطرية، فزال عنه الاعراض، وتذكر بهذه العلوم والإرادات مطالب القرآن الكبرى[١٠].

ويقول شيخ الإسلام في «درء تعارض

العقل والنقل» (٧ / ٤٢٥):

«وقد يكون العلم والإرادة حاصلين بالفعل، أو بالقوة القريبة من الفعل، مع نوع من الذهول والغفلة، فإذا حصل أدنى تذكر رجعت النفس إلى ما فيها من العلم والإرادة، أو توجهت نحو المطلوب؛ فيحصل لها معرفته ومحبته».

عليه الآيات؛ فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب ملق السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة[١٢].

يظهر من ذلك أن «أو» في الآية (أو يذكر) لم يرد على معنى الواو؛ لأنَّ المطلوبَ

وكان عند ابن أم مكتوم - رضي الله عنه - علم سابق عند مجيئه، وهو: أن طريق الرشاد المتضمن للتزكية والتذكر مسلَّم إلى الرسل؛ فلا يتحصل إلا بالتعلم والسعي لذلك، وفي هذا المعنى يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - «مدارج» (٢/ ٣١٤ - ٣١٥):

«فإن تزكية النفوس مسلّم إلى الرسل وإنما بعثهم الله لهذه التزكية، وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليماً، وبياناً، وإرشاداً، لا خلقاً ولا إلهاماً؛ فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم».

وأيضا، فذكر الإنسان يحصل بما عرفه من العلوم قبل هذا، فيحصل بمجرد عقله، وخشيته تكون بما سمعه من الوعيد، فبالأول يكون ممن له قلب يفعل به، والثاني يكون ممن له أذن يسمع بها، وقد تحصل الذكرى الموجبة للخير بهذا وبهذا كما قال -تعالى-: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو ويشهد﴾[١١].

أيْ رجل حي القلب، مستعد، تليت

في الآية: التزكية، والتذكر، والغالب تحصيلهما معاً؛ لكون كل منهما مستلزم للآخر وسبب له، لكن مع ذلك فقد يحصل أحدهما دون الآخر أحياناً بحسب حال العبد - والله تعالى - أعلم.

﴿إن نفعت الذكرى﴾:

١٣ - هذه الآية؛ كقوله تعالى: **﴿فتولَّ عنهم فما أنت بملوم وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾**.

فالمخاطب في الآية هو المنيب المتذكر الذي جاء يسعى لتحصيل النفع الشرعي والديني، فهو من أهل الحكمة؛ فيجب أن يتقدم على غيره في خطاب التذكر؛ لتحصيل العلم المفصل المتضمن لأنواع الأوامر والنواهي؛ فتأمل.

وإنْ: شرطية، ليست نافية، وحكى الماوردي أنها بمعنى: «ما المصدرية»، أي: ذكر ما نفعت، أو ما دامت تنفع، ومعناها قريب من معنى الشرطية.

ومعنى هذا يشبه قوله تعالى: ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾.

وسبب ذلك:

أن التعليم والتذكير له فاعل، وله قابل، وإن لم يتعلم ولم يتذكر؛ فقد وجد أحد طرفيه، وهو الفاعل دون المحل القابل.

فحيث خص بالتذكير والإنذار ونحوه المؤمنين؛ فهم مخصوصون بالتام النافع الذي سعدوا به، وحيث عمم؛ فالجميع مشتركون في الإنذار الذي قامت به الحجة على الخلق، سواء قبلوا أم لم يقبلوا.

فائدة:

فكل تذكير ذكر به النبي ﷺ المشركين حصل به نفع في الجملة، وإن كان النفع التام هو للمؤمنين، الذين قبلوه واعتبروا به، وجاهدوا المشركين الذين قامت عليهم الحجة.

فيكون مأموراً أن يذكر المنتفعين بالذكرى، تذكيراً يخصهم بها، غير التبليغ العام الذي تقوم به الحجة (١٣).

يتبع...

* الحواشي:

(١) «تفسير القرطبي» (١٩ / ١١)، وانظر: «تفسير أبي السعود» (٣ / ١٦٢).

(٢) قاله أبو السعود في «تفسيره»، ونقله القاسمي في «محاسن التأويل» (١٧ / ٥٣).

(٣) «نظمُ الدُّرر» للبقاعي (٨ / ٣٢٤).

(٤) انظر: «أضواء البيان» (٩ / ٧٤ - ٩٤).

(٥) انظر: «أضواء البيان» (٩ / ٤٨) بتصرف

(٦) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (١٥ / ١٦).

(٧) انظر: كلام شيخ الإسلام في «المجموع» (١٦ / ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٨) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (١٥ / ١٠٧).

(٩) «مدارج السالكين» لابن القيم (١ / ٤٤١).

(١٠) انظر: حول الظفر بالدليل الهادي، كلام شيخ الإسلام في «المجموع» (٤ / ٣٦).

(١١) «المجموع» (١٦ / ١٨٠ - ١٨١).

(١٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (١ / ٢٤٢).

(١٣) «المجموع» بتصرف، انظره (١٦/١٥٣-١٦٤).

* * *

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

فقه الابتلاء

في ضوء حديث خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ

لقد فقه سلفنا الصالح مسألة الابتلاء؛ فكان دافعاً للثبات، وطاقة عطاء لا تنفد، وقوة عزم لا تنقطع، ودونك معالم فقه الابتلاء عند سلفنا الصالح في ضوء حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

١ ـ الابتلاء ضرورة إيمانية.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢).

لا بدَّ أن يمتحن الله أهل الإيمان ويبتليهم حتى يميز الصادق من الكاذب، ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى البالغة أن نصب الابتلاء سبباً مفضياً إلى تمييز الخبيث من الطيب، والشقي من الغوي، ومن يصلح مما لا يصلح: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

ويخلص الصادق من الوهن البشري الذي لا تسلم منه نفس بشرية؛ فتسمو همته فوق الألم فيدرك أنه جسر إلى المعالي فلن يدرك المرء المجد حتى يلعق الصبر.

ويبتلى المرء على قدر دينه كلما اشتد إيمانه عظم ابتلاؤه حتى يخلص من شرور نفسه وسيئات أعماله، ويظهر طيب نفسه بكير الامتحان؛ كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشة إلا بكير النيران، ولذلك قال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل: يبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه من خطيئة»[1].

ولذلك فالمؤمن ينظر إلى الابتلاء أنه نعمة ورحمة من الله على عباده يتعهدهم بالابتلاء المرة بعد المرة؛ لينقيهم، ويطهرهم، ويذهب عنهم رجز الشيطان، ويربط على قلوبهم، ويثبت به الأقدام.

وكذلك ينظر إليه أنه دليل رضى ومحبة

من الله لعباده، فإن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، وكلما صلب إيمان المرء وقوي يقينه اشتد بلاؤه فمن رضي فله الرضى، والعكس بالعكس.

لما كان الابتلاء ضرورة إيمانية؛ فإن المؤمن يحصل له الألم ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، وسئل الشافعي رحمه الله: أيهما أفضل للرجل أن يمكَّن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكَّن حتى يبتلى.

٢ - الابتلاء سنة من سنن الله الجارية في الأمم الخالية.

قال تعالى: ﴿وَلَقد فَتَنَّا الذينَ من قَبلِهم فَلَيَعلَمَنَّ اللهُ الذينَ صدقُوا وَلَيَعلَمَنَّ الكَاذبينَ﴾ العنكبوت: ٣).

٣ - الابتلاء مقدمة التمكين.

لما كان الابتلاء ضرورة إيمانية؛ فإن المؤمن يحصل له الألم ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، وسئل الشافعي رحمه الله: أيهما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى.

وقد ابتلى الله المؤمنين فلما صبروا مكَّنهم في الأرض، واستخلفهم ﴿وجعلنا منهُم أئمَّةً يهدون بأمرنا لَمَّا صَبَرُوا وكَانُوا بِآيَاتنا يُوقنون﴾ (السجدة: ٢٤)، فلا يظن عاقل أن أحداً يخلص من الألم ألبتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول فأوسطهم من باع ألما مستمراً عظيماً بألم منقطع يسير ثم تعقبه لذة في الدنيا والآخرة.

وكما أن الابتلاء سنة جارية كذلك التمكين والاستخلاف كما قال تعالى. ﴿وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا منكُم وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ لَيَستَخلفَنَّهُم في الأرضِ كَمَا استَخلَفَ الذينَ من قَبلِهِم وليُمَكِّننَّ لهم دينَهُمُ الذي ارتَضَى لهم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم من بَعدِ خَوفِهم أمناً يَعبُدُونَني لاَ يُشرِكُونَ بي

شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

٤ - عدم استعجال التمكين واستدعاء البلاء.

المؤمن يتأنى في الأمور، وينظر في عواقبها، لأن الفقيه من نظر في العواقب، ولم تستفزه البداءات، ولذلك فهو لا يستعجل التمكين وإن جاشت عاطفته، وغلت حماسته؛ لأنه يعلم أنه لا بد من الابتلاء ابتداء، وهو لا يتمنى الابتلاء ولا يستدعيه؛ لأن في طياته فتنة مجهولة العواقب لا يدري الإنسان أيثبت أم ينكص على عقبيه؟ عياذاً بالله.

ويدل على ذلك الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ التي يسأل الله فيها العفو والعافية والمعافاة من البلاء والابتلاء.

وكذلك الأحاديث التي فيها النهي عن تمني لقاء العدو، أو المرض أو غير ذلك من البلاء.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه».

قالوا: وكيف يذل نفسه؟».

المؤمن يتأنى في الأمور، وينظر في عواقبها؛ لأن الفقيه من نظر في العواقب، ولم تستفزه البداءات، ولذلك فهو لا يستعجل التمكين وإن جاشت عاطفته، وغلت حماسته؛ لأنه يعلم أنه لا بد من الابتلاء ابتداء وهو لا يتمنى الابتلاء ولا يستدعيه؛ لأن في طياته فتنة مجهولة العواقب لا يدري الإنسان أيثبت أم ينكص على عقبيه؟
عياذاً بالله.

قال: «يتعرض من البلاء ما لا يطيق»[2].

وما تقدم من فقه هذه المسألة مداره على حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول ﷺ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة. قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض؛ فيجعل فيها؛ فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه.

والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[3].

وبيان ذلك:

أ - إخباره عن ابتلاء مؤمني الأمم الماضية يشير إلى أنّه ضرورة إيمانية، وأنه سنة جارية في المؤمنين على مر العصور.

ب - إخباره بانتشار الدين وانتصاره يدل عل أن الابتلاء مقدمة التمكين، وأن المؤمن لا يمكن حتى يبتلى.

ت - قوله: «ولكنكم تستعجلون» تحذير من استعجال التمكين قبل النضوج واستدعاء البلاء. والله اعلم.

* الحواشي:

(١) صحيح ـ أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه ٤٠٢٣)، وأحمد (١ / ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥) وغيرهم من طريقين عن سعد بن أبي وقاص به مرفوعاً.
قلت: إسناده صحيح.
وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري صحيح.

(٢) حسن لغيره ـ أخرجه الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦)، وأحمد (٥ / ٤٠٥)، والبغوي في «شرح السينة» (٣٦٠١)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٥١)، والقضاعي في «الشهاب» (٨٦٦) وإسناده ضعيف؛ لأن علي بن زيد بن جدعان ضعيف، والحسن البصري مدلس وقد عنعنه.
وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٥٠٧)، و«الأوسط» ٤٤٠٣ ـ مجمع البحرين)، والبزار (٣٣٢٣ ـ كشف الأستار)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٥٣) من طريق زكريا بن يحيى الضرير عن شبابة بن سوار ـ ثم وقع اضطراب في «السند»؛ فعند الطبراني في «الكبير» عن ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح، وفي «الأوسط» عبدالكريم بدل ابن أبي نجيح، وعند البزار عن العلاء بن عبدالكريم عن مجاهد عن ابن عمر.
ومع ذلك جوّده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٦٤ . ٢٧٥)، والعراقي في «تخريج الإحياء» (١ / ٤٦)، والزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١ / ٤٦٩).
قلت: فالحديث حسن لغيره، والله أعلم.
وله شواهد أخر ذكرها الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»؛ فلتنظر.

(٣) أخرجه البخاري.

أبو العالية فخر الدين بن الزبير المحسي

الدرة السنية في العقيدة السلفية في باب الصفات الإلهية

بسم الله الرحمن الرحيم

في

(مقدمة وأربعة فصول وخاتمة)

(المقدمة)

١ - أحمدُ ربي ملهم الصَّواب
حمداً يُفيضُ أجزلَ الثَّوابِ

٢ - منجيٌّ التقي من سوءِ الزللْ
وحافظ المخبت عن كل زَغَلْ

٣ - مصلياً على النبي المُرتضى
وآله وصحبه ذوي الرضا

٤ - والتابعينَ سُبلَ النجاة
وعقدَ أهلِ السنة الهُداة

٥ - وأسألُ الإله صدقَ القول
والعفو والثباتَ عند الهول

٦ - فاجعلْ لنا إلهنا بصيرهْ
وعزةً وحكمةً وفيرهْ

(فصلٌ في مجملِ اعتقاد السَّلف)

٧ - فهذه عقيدةٌ من الأثرْ
نظمتُها تبصرةً لذي نَظَرْ

٨ - منيرةً لنا سبيلَ من سلفْ
مُنجيةً عن زيف كل من خلفْ

٩ - اللهُ موجودٌ عليٌّ في السَّما
ومن غير تشبيه تعالى قدَ سَما

١٠ - سبحانه استوى على العرش كما
قد جاءَ في الوحيين نصاً مُحكماً

١١ - وقُلْ معَ المخلوقِ حيثُ كانا
بعلمه وحفظه وبانا

١٢ - ولا تخُفَّنْ في هذه الكلمْات
الحد والمكان والجهاتِ

١٣ - كذاكَ تحيزٌ ولفظُ الجسمِ
وجوهر وعرض فافْتَهمِ

١٤ - فلم يردْ شرعٌ بذكر ذاكا
فقفْ ودوماً خالفَنْ هَواكا

١٥ - ولا زمٌ من ذاكَ نفيُ الذاتِ
فاحذر قبولَ النفي والإثباتِ

١٦ - من غير ما تبيَن لما قُصدْ
من ذلك الإطلاقِ مما قد وُجِدْ

١٧ - كلامُـــهُ أيضـــاً بـــه نديـــنُ
مُـــنزّلٌ مـــن عنـــده مُبـــينُ

١٨ - ومن يقل بخلقه فقد كفرْ
مكذبٌ بما به نصُّ الخبرْ

١٩ - وفي ختامِ ليلنا فهو الذي
سبحانهُ النازل للسماء ذي

٢٠ - منادياً عبادَه بالرَّحمة
راجينه إجابة للدعوة

٢١ - وربنا يأتي لدى التناد
للحكم بالقسط إلى العباد

٢٢ - فاحكم لنا إلهنا الكريما
بجنة نحظى بها النعيما

٢٣ - إيمانُنا بالعين واليدان[1]
والساق دون كيف أو طغيان

٢٤ - ووجهُهُ كما به يليقُ
ونورهُ أيضاً به حقيقُ

٢٥ - وكلُّ ذا وغيرهُ قد جاءَ
في الوحي لا تُبد له العَدَاءَ

٢٦ - وكن له مُصدقاً مُسلما
فذاك نهجُ كل من تقدَّما

٢٧ - صحابةُ الرَّسول أجمعينا
فالزم وتابعيه أتبعينا

٢٨ - ولا يضرُّ بعد ذاك من رَدَى
فزمرةٌ قليلةٌ أهل الهدى

٢٩ - وفاضَ في ذاك الحديثُ والأثرْ
فافْقَهْهُ إنه نجاةٌ للبشَرْ

(فصلٌ في الرد على المعطِّلة)

٣٠ - قد جاءنا معطلٌ محرفُ
يقولُ إثباتُ الصفات يُردفُ

٣١ - تشبيهَ ربنا بوصف خلقه
فأولْنها كي تفي بحقِّه

٣٢ - فردُّنا يا صاحبَ التعطيلِ
شَبَّهتَ قبل ذلك التعليلِ

٣٣ - فأولاً شبهته في قُدسه
وبعده نفيتَ وصفَ نفسه

٣٤ - وليس يلزمُ الذي قد خَلَقَا
لوازمُ من الذي قد خُلِقَا

٣٥ - فربنا منفردٌ في الذات
وهكذا الإثباتُ للصفات

٣٦ - وإن تجد لفظين قد توافقا
فكنههما والكيفُ قد تفارقا

٣٧ - فاعتقد الكمالَ للإله
وكن عن التكييف دوماً لاه

٣٨ - فوحده العليمُ بالحقائق
وواجبٌ إيمانُنا باللائق

٣٩ - فأثبت الظاهرَ للتنزيل
ومن غير تحريف ولا تمثيل

(فصل في الرد على المفوضة)

٤٠ - وجـاء فوجٌ آخر فأعرضوا
قد زعموا تشابُهاً وفوَّضوا

٤١ - وجردوا اللفظَ عن المعاني
فنسبوا الإبهام للقرآن

٤٢ - فعطلوا صفاتِ رب النَّاسِ
وفارقوا طريقةَ الأكياسِ

٤٣ - فقولُنا يا صاحبَ التفويضِ
جَهِلْتَ لا تردْ إلى الحضيضِ

٤٤ - فليسَ في القرآن لفظٌ دونما
معناً فكن ملازماً مُعلِّما

٤٥ - كذا الصفات للإله الرب
لها معان كيفُها في الغيب

٤٦ - والصحبُ والأتباعُ قد تكلموا
فيها وما زادوا وما تأثَّموا

٤٧ - إذ قالَ مالكُ في الاستواءِ
معناهُ معلومٌ بلا امتراءِ

٤٨ - وإنما كان الحرامُ المنفي
إن كان ذاك عن سؤال الكيفِ

٤٩ - فاحرص على فهمك للقرآنِ
تدبراً من غير ما توانِ

٥٠ - فليس في نهجك من عرفانِ
وإنما وساوسُ الشيطانِ

(فصلٌ في الرد على الممثلةِ)

٥١ - وجاء قومٌ أوردوا التمثيلا
فجانبوا التنزيه والتنزيلا

٥٢ - فقد أتو بأرذل البُهتانِ
وقاربوا عبادةِ الأوثانِ

٥٣ - وليس في آرائهم من عبرةِ
إذ خالفوا عقيدة في الفطرةِ

٥٤ - كذاك قول ربنا الجليلِ
وليس في الأشياء من مثيلي

٥٥ - فقدرِ الإلهَ حقٌّ القدرِ
وخالفِ البلبالَ في ذا الفكْرِ

(الخاتمة)

٥٦ - فهذي ستةٌ من الأبياتِ
مضروبة في عشرة سهلاتِ

٥٧ - ضمنتها بالحمد والبيانِ
لكل حقٍ يصفو عن بُطلانِ

٥٨ - عقيدةٌ سنيةٌ نقيهْ
فطرته وسطية تقيهْ

٥٩ - سطرها الفقيرُ للمقتدر
وابنُ الزبير بنِ علي الأثري

٦٠ - فالحمدُ لله على الدوامِ
على الهُدى والرشدِ والتمامِ

* الحواشي:

(١) لغة كنانة: إلزام المثنى الألف.

الشيخ د. محمد موسى نصر

الإمام مكي بن أبي طالب واختياراته

أولاً - الإمام مكي بن أبي طالب القيسي:

١ - اسمه ونسبه: هو أبو محمد مكي بن أبي طالب بن مختار القيسي المقرىء.

يرجع نسبه إلى قبائل قيس عيلان، التي انتشرت بتلك الأصقاع، وتكاثرت حتى بلغت إلى ما بعد جبال الأطلس.

٢ - مولده ونشأته: وكان مولده بمدينة القيروان[١] ـ وهي التي نشأ فيها وترعرع ـ لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، ولا خلاف في ذلك، غير ما ذكره ابن خلّكان عن الداني: أنه ولد ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع وخمسين[٢].

٣ - طلبه للعلم ورحلاته: ففي تلك البيئة الغنية بأسباب الحياة، والتقدم والنشاط: استطاع مكي أن يطلب ويدرس؛ إذ كانت القيروان محجة العلماء وطلاب العلم: فقرأ على شيوخها خلال طفولته كلّها[٣].

وهو في سنٍّ مبكرة لم يتجاوز الثالثة عشرة شدَّ الرحال إلى مصر؛ فكان يقيم سنتين أو ثلاثاً ثم يعود إلى القيروان أو يمضي إلى بلاد الحجاز ليؤدي فريضة الحج، وهو ـ رحمه الله ـ لا يقصّر ولا يكلّ، ثم فارق القيروان لا إلى رجعة إليها متوجهاً إلى الأندلس قاصداً قرطبة ليمضيَ هناك بقية عمره.

أبرز شيوخه: لما كان لمكي ذلك الدأب على الرحلة والطلب؛ فقد كثر شيوخه وتعدد معاصروه.

* **فأمّا معاصروه؛** فمنهم: القيروان أصبغ ابن راشد اللّخمي تفقّه مع مكي على ابن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي.

* وكذلك أبو العباس المهدوي: وكان ذا علم بالقراءات والأدب.

* وأبو طاهر الأنصاري إسماعيل بن خلف، وهو عالم، مقرىء، نحوي، معروف

* وأما شيوخه؛ فمنهم: الحافظ أبو الحسن

القابسي، وهو من جلتهم وكان موضع إكبار الناس.

وكذلك: أبو محمد ابن أبي زيد، الذي انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي بالمغرب.

ذكر القاضي عياض أنه حاز رئاسة الدين والدنيا، ورُحِلَ إليه، ونجب أصحابه، وإلى هذا الشيخ: كان تفقّه مكي ــ رحمه الله ــ وكانت روايته.

ومن شيوخه في مصر: محمد بن علي أبو بكر الأدفوني.

ذكر الإمام الذهبي أنه برع في علوم القرآن وكان سيد أهل عصره.

وكذا أبو الطيب بن غلبون[٤] وهؤلاء قليل من كثير من معاصري مكي وشيوخه.

أبرز تلاميذه: أول هؤلاء: أبو عمر المقريء واسمه: أحمد بن محمد الكلاعي.

* ومنهم ابنه أبو طالب محمد، وقد روى عن أبيه أكثر ما عنده.

* وممن اختص بمكي أيضاً، أبو عبدالله الطرفي محمد بن أحمد الكناني.

* ومن الولاة: أبو الوليد محمد بن جهْوَر، والي قرطبة بعد أبيه أبو الحزم.

* ومنهم: أبو عبدالله بن شريح، واسمه محمد بن أحمد، وأبو العباس بن نفيس، تاج الأئمة أحمد بن علي.

* وكذلك الفقيه المحدث أبو عبدالله محمد بن عتّاب.

وقال ابن الجزري في «طبقات القراء»: مكي بن أبي طالب.

إمام، علاّمة، محقق، عارف، استاذ القرّاء والمجودين، وكان متديناً مشهوراً بالصلاح، وإجابة الدعوة، دعا على رجل كان يسخر به وقت الخطبة؛ فأقعد (شل) ذلك الرجل[٥].

وقرأ القراءات بمصر على ابن غلبون، وكان محسناً، مجوداً، عالماً بمعاني القراءات.

أخبرني: أنه سافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتردد إلى المؤدبين، وأكمل القرآن، ثم حج سنة سبع وثمانين، وجلس للإقراء بجامع قرطبة، وعظم اسمه، وجل قدره[٦].

* وقد اختلفت عبارات المترجمين في تعيين اختصاصه، وليس هذا بعجيب؛ لأن مكياً ــ رحمه الله ــ كان من هؤلاء المتفردين الذين كانت علومهم شاملة.

* فالحميدي: يذكره بالإمام في القراءات والشهرة فيها[٧].

وأبو البركات: يصفه بأنه نحوي، عالم بوجوه القراءات[٨].

وابن بشكوال: أنه كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية[٩].

والإمــــام أحمــد الضبي:

وصفـــه بــالأدب والحفظ[١٠].

وقال إســحاق بن أحمد بن خلف: كنا عند البخاري، فورد عليه «أي: مكي» كتاب فيه نعي عبدالله بن عبدالرحمن، فنكس رأسه ثم رفع واسترجع، وجعل تسيل دموعه على خديه، ثم أنشأ يقول:

إنْ تبقَ تُفجعْ بالأحبـــة كُلِّهِم
وفناءُ نفسـك لا أبا لـك أفجع[١١]

مؤلفاته: يُعدَّ مكي رحمه الله فيمن كثرت تآليفه.

ورأيت أن لا أذكر مؤلفاته خشية الإطالة، وإنما أشير إلى أشهرها، وأكبرها كتاب «التبصرة[١٢] في القراءات» خمسة عشر جزءاً، وكتاب «الكشف عن وجوه القراءات وعللها»، وله أكثر من ١٠٠ كتاب في فنون العلوم، من علوم القرآن، والقراءات، واللغة[١٣]، والفقه، وعلم الكلام، وغيره[١٤].

وكان شأنه شأن علماء السلف في القيام بعلوم كثيرة؛ فمن ذلك علمه بالحديث والرواية، وعلمه بتعبير الرؤيا، وكذلك علم الأصوات، وله مشاركة بينة في الفقه مكنته من كونه مالكي المذهب.

وقد أنشده أبو حيَّان قصيدة[١٥] وهي في تسعة عشر بيتاً.

مطلعها:

قـل لمنْ يبغـي المـرا والجـدلا
فـي البراهين وذكـر التبـدلا[١٦]

(في علوم القرآن): «التبصرة»، و«الكشف»، و«التذكرة في اختلاف القراء»، و«الإيضاح في الناسخ والمنسوخ»، و«تفسير القرآن» خمسة عشر مجلداً، و«مشكل غريب القرآن»، وكتاب «الاختلاف بين قالون والقراء».

(في علوم اللغة): كتاب «الزاهي في الإعراب» أربعة أجزاء، وكتاب «المنتقى» أربعة أجزاء، كتاب «الرياض» مجموع

ولم تزل الأئمة الكبار من الفقهاء والمحدثين وأئمة العربية يختارون مما عليه الجماعة من القراء، ويتبعون القراءات المتواترة المشهورة، ويجتنبون الشاذ منها، لخروجها عن إجماع المسلمين، وعن الوجه الذي ثبت به القرآن، وهو التواتر. وإن كان موافقاً للعربية، وخط المصحف، لأنه جاء من طريق الآحاد. وإنه كانت نقلته ثقات؛ فتلك الطريق لا يثبت بها القرآن.

وخمسة أجزاء، و«التذكرة لأصول العربية».

(في الفقه وعلم الكلام): كتاب «مناسك الحج»، وكتاب «الصغائر والكبائر»، وكتاب «المدخل إلى علم الفرائض»، وكتاب «التهجد»، وكتاب «منتقى الجوهر»، وكتاب «إسلام الصحابة»، و«الممتع في تعبير الرؤيا».

ولا تزال مصنفات مكي موضع اهتمام الباحثين والعلماء إلى زماننا هذا.

أخلاقه ومنزلته: كانت أخلاقه ـ رحمه الله ـ بما حظي به من فضائل نحيزة في نفسه. وبما أهّلته له الحياة دُرْبةَ ومعاشرةً، تطبع واكتساب كلُ ذلك ائتلف ليبلغ به منزلة العلماء جلالةً، وقدوةً.

ومن ذلك ما ذكره أبو عمر بن مهدي أنه كان حسن الفهم جيد العقل.

وكل من ترجمه جوَّد دِينه وعقله، ونسبه إلى الفضل وأهله[17].

ولم أقف في ترجمته. على شيء يشينه. أو يصمه، لا من قريب ولا من بعيد، حتى أن في ذلك إجماعاً منهم على وصفه بالإمامة في العلم، والفضل في الخُلق، والتبحر في فنون العربية، والحفظ، والأدب.

ذكر الذهبي: أنه كان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم، وهو شيخ الأندلس وعالمها وكان من أهل التبحر في العلوم[18].

وفاته: لا خلاف في تاريخ وفاته (٤٣٧) فقد لبّى مكي ـ رحمه الله ـ نداء ربه ـ تعالى ـ فجر يوم السبت، وشُيع جثمانه ضُحى يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربع مئة، وقد ناهز الثانية والثمانين من عمره[19].

* وذكر أبو القاسم بن محمد: مشهد تشييعه: أن الذين شهدوا جنازته خلق عظيم من الناس، وحفَّ بسريره شباب ومشيخة معظم مشهده (وبكوه)، وختموا القرآن عليه ختمات عدة[20] وتقدّم ابنه أبو طالب فصلى عليه، وذكر أنه دفن بمقبرة الرَّبض[21]. أ. هـ.

قال الإمام بن الجزري: . في معرض تقسيمه لأنواع القراءة.: «وأما القراءة الصحيحة فهي على قسمين»[22].

الأول: ما صح سنده بنقل العدل الضابط، عن العدل الضابط، كذا إلى منتهاه، ووافق العربية والرسم، وهذا على ضربين:

أ - ضرب استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول، كما انفرد به بعض الرواة، أو بعض الكتب المعتبرة، أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك.

فهو صحيح مقطوع به؛ أنه منزل على النبي ﷺ من الأحرف السبعة، كما تبين

حكم المقبور وهذا الضرب يلحق. وإن لم يبلغ مبلغها كما سيجيء.

ب - وضرب لم تتلقه الأمة بالقبول، ولم يستفض. فالذي يظهر من كلام كثير من العلماء جواز القراءة والصلاة به.

والذي نص عليه أبو عمرو بن الصَّلاح وغيره: أن ما وراء العشرة ممنوع من القراءة به، منع تحريم لا منع كراهة.

* والجمهور يشترطون التواتر، ولا يكتفون بالصحة والاستفاضة وقال الإمام النويري: عدم اشتراط التواتر قول حادث، مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم؛ لأن القرآن ــ عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة - هو: ما نقل بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً.

(قلت): ولعل الحق والصواب ــ والله أعلم ـ مع الجمهور الذين اشترطوا التواتر وهو الأحوط لكتاب الله ــ عز وجل ــ ولأنَّ القراءات أبعاض القرآن؛ فإذا تواتر الكل تواتر البعض لزوماً.

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: «القراءة سنة متبعة، يأخذها الآخر عن الأول».

وكان ممن اشتهرت إمامته وطال عمره في الإقراء وارتحال الناس إليه من البلدان، ولم يترك الناس، مع هذا نقل ما كان عليه الأئمة وهم:

١ - أبو عمرو البصري.

٢ - ونافع المدني.

٣ - وابن كثير المكي.

٤ - وابن عامر الشامي.

٥ - والكسائي الكوفي.

٦ - وحمزة الكوفي.

٧ - وعاصم الكوفي.

٨ - وأبو جعفر المدني.

٩ - ويعقوب الحضرمي.

١٠ - وخلف العاشر.

وأول من اقتصر على هؤلاء: أبو بكر بن مجاهد، شيخ القراء، وأول من سبَّع السبعة، قبل سنة ٣٠٠ هـ أو في نحوها، وتابعه على ذلك من أتى بعده إلى الآن».

الاختيار:

ولم تزل الأئمة الكبار من الفقهاء والمحدثين وأئمة العربية يختارون مما عليه الجماعة من القراء، ويتبعون القراءات المتواترة المشهورة، ويجتنبون الشاذ منها، لخروجها عن إجماع المسلمين، وعن الوجه الذي ثبت به القرآن، وهو التواتر، وإن كان موافقاً للعربية، وخط المصحف، لأنَّه جاء من طريق الآحاد. وإن كانت نقلته ثقات؛ فتلك الطريق لا يثبت بها القرآن.

فالاختيار يكون باتباع قراءة من قراءات الأئمة العشرة، التي تواترت نقلاً عن النَّبي صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الشافعية: يشترط أنْ يكون «المقروء به» قد تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآناً، واستفاض نقله كذلك، وتلقته الأمة بالقبول؛ كهذه القراءات السبع؛ لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهد في الأصول. فما لم يوجد في ذلك ما عدا السبع أو ما عدا العشر ممنوع من القراءة به، منع تحريم لا منع كراهة[٢٣].

وهؤلاء الذين اختاروا، إنما قرؤوا بقراءة الجماعة وبرواياتهم، فاختار كل واحد منهم مما قرأ، وروى قراءةً تُنسب إليه بلفظ الإختيار؛ كقراءة عاصم الجحدري، وقراءة شيبة. وكذلك اختيار أبي حاتم، وأبي عبيد، واختيار المفضل.

وقد اختار ابن جرير الطبري وغيره، وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء:

* قوة وجهه في العربية.
* وموافقته لخط المصحف.
* واجتماع العامة عليه[٢٤].

والعامة عندهم: ما اتفق عليه أهل المدينة والكوفة. فذلك عندهم حجة قوية يوجب الاختيار.

* وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا: أنَّ ما صحَّ سنده واستقام وجهه في العربية. ووافق لفظه خطَّ المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها. فهذا هو الأصل الذي بُني عليه في قبول القراءات عن السبعة؛ فاعرفه، وابنِ عليه.

شروط الاختيار.

١ - أن لا يخرج عن شروط أركان القراءة الصحيحة التي وضعها علماء القراءات، من حيث: التواتر، والوجه النحوي الصحيح الفصيح، وموافقة الرسم العثماني.

٢ - أن لا تخرج هذه القراءة أو الاختيار عما أُجمع عليه.

٣ - أن يكون الاختيار غير مخالف للإعراب، بل بأقوى وجوه الإعراب.

٤ - أن يكون هذا الاختيار مما توراثه أئمة القراءات، من قراءات متواترة، ونقلوه عن شيوخهم، وعلماء أمصارهم.

٥ - أن يختار الأشهر من القراءات والأكثر أخذاً عن القراء، ونحن نلحظ من خلال تتبع اختيارات أبي عبيد أنه يميل إلى قراءة الجماعة، وإن خالف شيخه الكسائي، وكذا كان الإمام مكي بن أبي طالب القيسي على ما عليه الجماعة من القراء

العشرة.

فقلما خالف أحدهما القراءة الأشهر، قراءة الجماعة، والأقوى لغة، وموافقه الرسم العثماني [٢٥].

ولطالما اختار الإمام مكي حروفاً من القرآن؛ لأنه أكثر القراء عليه، حتى أنه قال: في «الكشف» (٢ / ٣٨): «وكذلك كل ما سكتنا عن ذكر (الاختيار) فما عليه الجماعة هو الاختيار».

*الحواشي

(١) انظر: «معجم البلدان» (١٩ / ١٦٧) وذكر ذلك ابن شكوال وغيره.

(٢) «وفيات الأعيان» (٤ / ٣٦١).

(٣) «جذوة المقتبس» (٣٢٩) وانظر: «بغية الملتمس» (٤٦٩).

(٤) «البداية والنهاية» (١٢ / ٥٠) و«شذرات الذهب» (٣ / ٢٥٤) و«الكشف» لمكي (١ / ١٠).

(٥) «غاية النهاية في طبقات القراء» (٢ / ٣٠٩ - ٣١٠) لابن الجزري ـ رحمه الله ـ.

(٦) المصدر السابق (٢ / ٣٠٩).

(٧) «جذوة المقتبس».

(٨) «نزهة الألباء» (٣٤٧).

(٩) «الصلة» (٥٦٧).

(١٠) «معرفة القراء الكبار» (٣١٩)، وانظر «الكشف» المكي (١ / ١٥)، وعزاه «سير إعلام النبلاء» (١١ / ١٣١).

(١١) «سير أعلام النبلاء» (١٢ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(١٢) «وفيات الأعيان» (٤ / ٣٦٢)، و«مرآة الجنان» (٣ / ٥٨).

(١٣) بلغت مؤلفاته في اللغة وحدها أكثر من إحدى عشر كتاباً.

(١٤) انظر: «الكشف» المكي (١ / ٢٣ ـ ٢٩). تحقيق: د / محي الدين رمضان.

(١٥) وهي: لابن شق الليل محمد بن إبراهيم. وهو أحد معاصري مكي.

(١٦) حاشية: «إنباء الرواة» (٣ / ٣١٩).

(١٧) «نزهة الألباء» (٣٤٧)، و«معرفة القراء الكبار» (٣١٦).

(١٨) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ١٣١)، و«طبقات» ابن قاضي شهبة (٥٠٤)، و«معجم الأدباء» (١٩/ ١٦٨).

(١٩) انظر: «الصلة» (٥٩٩)، و«وفيات الأعيان» ٤ / ٤٦٣).

(٢٠) هذا: الفعل لا يجوز، وقد استنبط الإمام الشافعي من قوله تعالى ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ بأنَّ قراءة القرآن على القبور لا يصل ثوابها إلى الميت، وهذا هو الراجح من قولي أهل العلم. وقد ذكر ذلك عبدالسلام الشقيري في «السنن والمبتدعات» وشيخنا الألباني في «أحكام الجنائز وبدعها».

(٢١) معرفة «القراء الكبار» (٣١٧).

(٢٢) «منجد المقرئين» (٩٤ - ٩٥).

(٢٣) «اختيارات أبي عبيد ومنهجه في القراءة» بقلمي.

(٢٤) من خلال تتبعي لمنهج ابن جرير في اختياراته رأيته يميل وينتصر لما كان هو الأفصح والأقوى عنده - وإن كان عند غيره قوياً فصيحاً - لذلك طعن وفاضل بين كثير من القراءات، وقد رددت عليه في موسوعة شاملة تقع في نحو ثلاث مجلدات كبار اسمها: «الردود والتعقبات على ابن جرير في طعنه بالقراءات» يسر الله طبعها.

(٢٥) «اختيارات أبي عبيد ومنهجه في القراءة» بقلمي.

الشيخ سعد الحصين

المشاحة في الاصطلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

أصدق اصطلاحاتنا اللغوية الحديثة - ردّنا الله إلى لغة الكتاب والسنّة - قول أحد كتّاب العرب المحدثين: «العرب ظاهرة صوتيّة»، أي: أن نصيبنا القول، ونصيب غيرنا العمل.

وليت نصيبنا من القول صُرف في ما استخلفنا الله فيها: القرآن والسّنة ـ الوحي اليقينّي الذي اختصّ الله لغتنا به ـ التزاماً ونشراً، إذاً لحُزْنا الخير بحذافيره، قال الله تعالى: ﴿فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه﴾.

و﴿القول﴾ هنا خاصّ بالوحي من الله تعالى؛ كما قال الله لموسى: ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾، وقوله: ﴿واتّبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ وقال الله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾، وأما قول البشر فليس علينا استماعه كلّه.

ويظهر لي من تخلّفنا في الصّناعة من قَبْل ومن بَعْد؛ بما في ذلك صناعة علوم القرآن والسّنة، بل واللّغة فهرسة، وطباعة، وتقصيداً، وتخلّفنا عن أعاجم المسلمين في جمع وتخريج السّنّة؛ أن الله اختصّنا بما عمّ به المسلمين من خدمة الدين بالدّعوة إلى الله على بصيرة ، بالوسائل الفطرّية التي لا يعجز عنها بشر سويّ، «فكلّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له» متفق عليه.

وفي المقابل يسّر الله غير المسلمين لخدمة الدّنيا والدّعوة إليها، فهم أحقّ وأولى بها، قال الله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسُرُراً عليها يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدّنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾، وقال رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر» رواه مسلم، ومن فضل الله وعَدْله ألاّ يعطي عبداً من عباده ـ مؤمناً كان أو كافراً ـ كلّ شيء وألاّ يحرمه من كلّ شيء.

ولكن أكثر المسلمين أهملوا ما خلقهم الله ويسّرهم له، وتطلّعوا إلى ما خلق الله الكافرين ويسّرهم له؛ فخسروا الأمرين، كما قالوا عن الغراب الذي حاول مشية الحمامة

منه» في التّعليم، وقال رابع: «الأمثال لا تُغيرّ» في الحكم الشعبية.

ولو سَمَتْ هِمَمُنَا إلى عرض هذه الأقوال ــ ومثلها كثير ــ على الشرع أو العقل لما

ويظهر لي من تخلّفنا في الصّناعة مِن قَبْل ومن بَعْد؛ بما في ذلك صناعة علوم القرآن والسّنة، بل واللّغة فهرسة، وطباعة، وتقصيداً، وتخلّفنا عن أعاجم المسلمين في جمع وتخريج السّنّة؛ أن الله اختصّنا بما عمّ به المسلمين من خدمة الدين بالدّعوة إلى الله على بصيرة، بالوسائل الفطريّة التي لا يعجز عنها بشر سوى؛ «فكلّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له» متفق عليه.

فخسر المشيتين، والأصح هنا أن نقول: إن الحمامة العربية هي التي حاولت مشية الغراب الغربي؛ فخسرت الأولى والثانية.

ومهما بذلنا من جهود وأموال وأوقات وتضحية بالذي هو خير في سبيل الذي هو أدنى ولن يتجاوز نصيبنا التبعيّة والتّقليد والتّخلّف، وكان عزاؤنا الكلام، أيّ كلام؛ وهذان مثلان من الأمثلة:

أ - قال عربي لا يُعرف له اسم ولا رسم: «لا مُشاحّة في الاصطلاح» في فقه الدين، وقال آخر: «إتق شرّ من أحسنْتَ إليه» في الأخلاق، وقال ثالث: «الامتحان شرّ لا بدّ

قبلناها، وردّدناها، واستشهدنا بها دون تمحيص كأنّها وحي منزّل، بل إن كثيراً من مثقّفينا الإسلاميين فضلاً عن الأمّيّين لا يقبل الوحي المنزّل المبنيّ على الإيمان بالغيب إلا بعد عرضه على فكرِه «واقتناعه» به:

١ - والحقّ أن المشاحّة واردة على الاصطلاح الحادث في علوم الدين عقيدة وعبادة ومعاملة أو سلوكاً حتى يقرّه شرع الله من الكتاب والسّنة وفقه أئمة العلم في القرون المفضّلة.

٢ - وقد أمر الله بالإحسان في المعاملة

للمسلم وللكافر غير المحارب، قال الله تعالى: **﴿ويدرءون بالحسنة السّيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾**، وقال تعالى: **﴿ولا تستوي الحسنة ولا السّيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾**؛ فعاقبة الإحسان الخير لا الشرّ.

٣ - وبفضل من الله ورحمة لم يجعل الشَّرَّ طريقاً لنا إلى الخير، قال الله تعالى: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**، وقال تعالى: **﴿يحل لهم الطّيبات ويحرّم عليهم الخبائث﴾**، والامتحان الذي كان يحكم التعليم في جميع مراحله شرٌّ كان منه بدّ. وآثاره السّيئة على العلم وطلابه ــ من بداية التنظيم الدّراسي إلى نهايته ـ لا ينكرها إلاّ جاهل أو مكابر.

٤ - والأمثال قد تكذب فتُردّ، وقد... تَصْدُق؛ فتُوضع في مكانها الصحيح، وأصدقُها ما جاء في كتاب الله مثل قوله تعالى: **﴿كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾** وما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثل: «ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ، فلينظر بم يرجع» رواه مسلم. وقد ردّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلّم كثيراً من أقوال العرب ومصطلحاتهم وأمثالهم وأسمائهم، مثل نهيه عن سبّ الدهر، وما أكثر ما يُسَبّ إلى اليوم شعراً ونثراً، ونهى عن أسماء تدلّ على الصّلاح، وأسماء تدلّ على ما دون ذلك. بل نهى عن تسمية العنب كرماً، ونهى أن تسمى صلاة العشاء صلاة العتمه.

ب - ولأن الطّموح إلى التّرف قعد بنا عن الطّموح إلى المنازل العليا التي أراد الله لنا ــ شرعاً ــ أن نتنافس فيها، وأعلاها في الدّنيا هداية الناس إلى التّوحيد والسّنة، وفي الآخرة: رضاه والجنّة؛ اكتفينا بالقعود في المؤخرة نرقب ما يفعله الآخرون، وننحت له الاسماء والمصطلحات، ونحكم عليها، وهذه بعض الأمثلة:

١ - انتظار الأحداث المحليّة والعالميّة، ثم تحليلها سياسياً وفكرياً، وإصدار الأحكام السّريعة عليها، بلا موازين غير الظنّ وما تهوى الأنفس، وبين أيدينا هدي الكتاب والسّنّة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال الله تعالى: **﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾** محذّراً من الوقوع فيما وقع فيه الضالون قبلنا.

٢ - عَزْوُ كلّ ما يحدث في الكون إلى مؤامرات محبوكة لا تخيب وتخطيط دقيق

ولأن الطّموح إلى التّرف قعد بنا عن الطّموح إلى المنازل العليا التي أراد الله لنا ـ شرعاً ـ أن نتنافس فيها، وأعلاها في الدّنيا هداية الناس إلى التّوحيد والسّنّة، وفي الآخرة: رضاه والجنّة؛ اكتفينا بالقعود في المؤخرة نرقب ما يفعله الآخرون وننحت له الأسماء والمصطلحات، ونحكم عليها.

لا يفشل من أمريكا واليهود، حتى أشركوهما ـ إن لم يكونوا أفردوهما ـ في الرّبوبية والتّدبير والتّصرّف ونسوا أقدار الخالق وخطايا المخلوق، قال الله تعالى: ﴿قل كلٌّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾.

٣ - ترجمة كلمة: «SECULAR» إلى: علماني ـ بكسر العين ـ، وقليل من يعقل أن أصل استعمالها الحديث بدأ بخروج النّظام الأوروبي البشري عن سلطة الكنيسة الكاثوليكيّة، وليس للمسلم أن يحزن كثيراً لهذا الحدث فإن كلاً من الخارج والمخروج عنه مُنْحرف عن شرع الله. وللأسف فإن تنفيذ المسلمين لما نقلّوه من أحكام البشر أسوأ منه، وأقرب مثال حكم القانون في فرنسا بحقّ المرأة المسلمة في الحجاب، وتحريمه في تركيا.

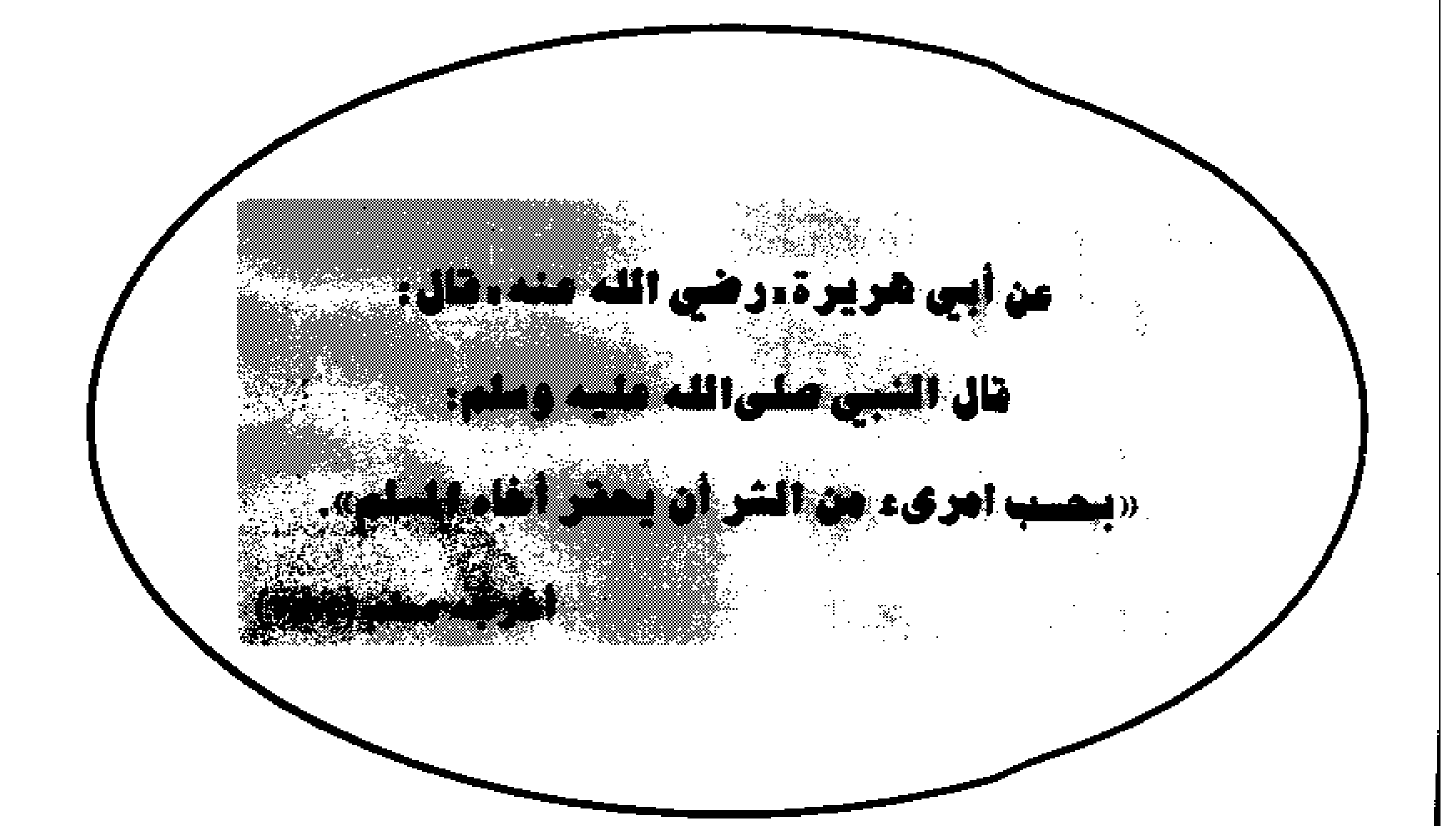
٤ - ترجمة كلمة «SOCIALSM» إلى: اشتراكيّة، والحكم عليها بما وصلت إليه بسبب التنفيذ العربي الفاشل للفكرة الأوروبية وتنفيذها الفاشل، ومن ثمّ الحكم عليها بالكفر، وفي الوقت نفسه، وبسبب جهلهم بأحكام الأموال في الإسلام، وصنف بعضهم هذه الأحكام بالاشتراكية الإسلاميّة.

٥ - تعريب كلمة «DEMOCRACY»

إلى: ديمقراطيّة، وحمّلوها أكثر ممّا تحمل من خير أو شرّ، بحكمهم على التّنفيذ النّاجح أو الفاشل للديمقراطية، منذ ولاية المدينة في اليونان قبل ٢٥٠٠ سنة، وبما صاحب التنفيذ من تحكيم قوانين البشر، ثم طالبوا بها للوصول إلى السّلطة بطريق الانتخابات والمظاهرات والاضرابات رفضاً لتعيين ولاة الأمر خلفاءهم وعمّالهم، وهو بلا شكّ أقرب إلى الشرع والفعل من حُكْم الأكثريّة الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾، ﴿لا يعلمون﴾، ﴿لا يؤمنون﴾.

٦ - ترجمة كلمة «CAPITALIS» إلى: رأسمالية، وربطوها بأمريكا وحكموا عليها بالكفر، ثم سعوا إليها باسم البنوك الإسلامية والمستشفيات الإسلاميّة، والمدارس والمعاهد والكليات والمراكز الإسلامية، بل والفرَق الفنّية والنّوادي الإسلامية.

والحقّ أنه لا يجوز الحكم على فرد أو تنظيم أو شيء، إلا بما جاء به الوحي المنزّه عن الظنّ واحتمال الخطأ، وبفقه أئمة العلم الشرعي في القرون المفضلة في نصوصه، وبذلك وحده يتميّز الكفر من الإيمان، والحرام من الحلال والمباح، وأمور الدّنيا والعادات من أمور الدّين والعبادات. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الشيخ عبدالله بن صالح العبيلان

دروس في منهج السلف

المبحث الأول: المقصود بالسَّلف الصالح:

أ - في اللغة: «يقول ابن الفارس: السين واللام والفاء أصلٌ يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السّلاف: المتقدمون».

ب - إصطلاحاً: اختلفت آراء الباحثين حول مفهوم هذا المصطلح وعلى من ينطبق، على أقوال كثيرة أهمها أربعة:

- الأول: يرى البعض تحديد مذهب السلف بفترة معينة لا يتعدَّاها، ثم يزعم أصحاب هذا القول أن الفكر الإسلامي قد تطور بعد ذلك على يد رجاله.

- الثاني: والبعض الآخر يرى أن السَّلف نصيون يعتمدون على النصوص فقط، ولا يعولون على العقل في شيء، وأنهم بالتالي يسلِّمون للنصوص دون فهم لما دلَّت عليه، ويفوِّضون معانيها إلى الله تعالى، وأنهم اشتغلوا بما يرونه أنفع من أنواع العبادات والقربات.

- الثالث: وفئةٌ تزعم أن ما نشأ من الدراسات العقلية في علم الكلام، نشأ من مذهب السلف نفسه، لا بسبب تأثير خارجي.

- الرابع: يزعم أصحابه أن مذهب السلف على عدَّة اتجاهات وتيارات، وأن هذه التيارات وإن تباينت في المنهج إلا أنها تلتقي على أنها نشأت وقامت على يد علماء الإسلام.

وقد أخطأ أصحاب هذه الأقوال من تحديد المقصود بالسلف، وذلك بأنهم نظروا إلى المسألة بناءً على أصول منهجيَّةٍ غير صحيحة، ولم ينطلقوا من منطلق شرعي واضح.

ولكي نصل إلى مفهوم صحيح يحدِّد المقصود بمصطلح السلف تحديداً دقيقاً، لا بد لنا من اعتبار بعض الأمور المهمة من المسألة:

- الأمر الأول: معرفة التحديد الزمني

لبيان بداية مذهب السلف.

وقد تباينت فيه الأقوال أيضاً على أربعة أقوال:

١ - فمن العلماء من قَصَرَ ذلك على الصحابة - رضوان الله عليهم - فقط.

٢ - ومنهم من قال: بأنهم الصحابة والتابعين.

٣ - ومنهم من قال: بأنهم من كانوا قبل الثلاث مئة.

- والقول الصحيح المشهور الذي عليه جمهور علماء أهل السنة، هو القول الثالث. الذي يعد المقصود بالسلف من الناحية الزمنية القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- الأمر الثاني: أن التحديد الزمني غير كاف لتحديد مفهوم السلف؛ لأننا نلاحظ أن كثيراً من الفرق والبدع ظهرت في تلك الفترة الزمنية؛ لذلك فوجود شخص ما في هذا الزمن لا يكفي للحكم عليه بأنه سائرٌ على مذهب السلف، ما لم يكن موافقاً للكتاب والسنة في أقواله وأفعاله متبعاً لا مبتدعاً، لذلك نلاحظ أن كثيراً من العلماء يُقيِّد هذا المصطلح عند استعماله فيقول: «السلف الصالح» وإن كان الإطلاق جائزاً لاصطلاح العلماء على ذلك.

وبهذا فإن لفظ السلف حين يطلق يجب أن يصرف لا إلى مجرد السبق الزمني، بل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم ومن بعدهم، بشرط الالتزام بمنهجهم.

- الأمر الثالث: أنه بعد الفرق وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف منطبقاً على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج الإسلامي، طبقاً لفهم القرون الأولى الفاضلة، وعد بعض العلماء هذا المصطلح مرادفاً للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة إلا أنه أخصُّ منها.

المبحث الثاني: الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم مذهبهم.

أ - من القرآن الكريم:

- قوله تعالى: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾**[1].

- وقال تعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾**[2].

فوعد الله عز وجل من اتبع غير سبيله بعذاب جهنم، ووعد متَّبعه بالجنة والرضوان.

ب - من السنة:

- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[٣].

- حديث العرباض بن سارية الطويل: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، فتمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٤].

فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أمته بأن يتبعوا سنته وسنة من بعده من الخلفاء الراشدين، وذلك عندما وقعوا في الاختلاف والتفرق؛ كما جاء في وصف الفرقة الناجية من حديث الافتراق قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[٥]، فمتّبعهم يكون من الفرقة الناجية، والمبتعد عنهم يكون من أهل الوعيد.

جـ ـ من أقوال السلف.

- عن عبدالله بن مسعود قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[٦].

- وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: «من كان منكم متأسياً؛ فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[٧].

- وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفّ عن ما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»[٨].

أصول منهج السلف:

أ ـ في العقيدة:

١ - حصرهم لمصدر التلقي في باب الاعتقاد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

٢ - احتجاجهم بالسنة الصحيحة في العقيدة، ولا يفرّقون بين المتواتر والآحاد، وما ورد في كتبهم من الأحاديث التي فيها مقال؛ فلا يوردونها للتأصيل وإنما للاستئناس كما يوردونها بأسانيدها.

٣ - فهمهم للنصوص على ضوء أقوال السلف وتفاسيرهم وما نقل عنهم.

٤ - التسليم لما جاء به الوحي، مع إعطاء

العقل دوره الحقيقي، وعدم الخوض في الأمور الغيبيَّة، مما لا مجال للعقل فيه.

٥ - عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة، ورفض التأويل الكلامي.

٦ - الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة.

* **مميزات عقيدة السلف التي تميزت بها عن بقية الفرق الأخرى:**

١ - أنها مستقاة من النبع الصافي الكتاب والسنة، بعيدة عن كدر الأهواء والشبهات، وخالية من تأويلات المؤثرات الخارجية.

٢ - أنها تترك في النفس الطمأنينة والسكينة، وتبتعد بالمسلم عن الشكوك والأوهام.

٣ - أنها تجعل موقف المسلم موقف المعظِّم لنصوص الكتاب والسنة؛ لأنه يعلم أن كل ما فيها حق وصواب وفي ذلك منجاة كبرى، ومزيَّة عظمى.

٤ - أنها تحقق للمسلمين الوصف الذي رضيه الله لهم بقوله: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[٩].

٥ - أنها تربط المسلم بسلفه الصالح.

٦ - أنها توحِّد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم؛ لأنها استجابة لقوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**[١٠].

٧ - أن فيها السلامة لمن تمسك بها، ودخوله فيمن بَشَّرَهم النبي ﷺ بالنصر والظهور في الدنيا، والنجاة والفوز في الآخرة.

٨ - أن التمسك

إتفاق أهل الحديث على أمور العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان، يصف الأصبهاني هذا القول؛ فيقول: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طلعت إلى جميع كتبهم المصنَّفة ــ قديمهم وحديثهم ــ مع اختلاف بلدانهم، وتباعد ما بينهم من الديار، وسكون كل واحد منهم في قطر من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد: يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلَّ، بل لو جمعت جميع ما على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء على قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟»

بها من أعظم أسباب الثبات على الدين.

٩ - أن لها تأثيراً عظيماً على سلوك وأخلاق المتمسك بها، وهي بالتالي من أعظم الأسباب للاستقامة على دين الله.

١٠ - أنها من أعظم أسباب القرب إلى الله تعالى والفوز برضوانه وهذا بالتالي يقودنا إلى الكلام على موضوع له ارتباط لما سبق ذكره وهو:

* **خصائص منهج السلف:**

١ - ثباتهم على الحق وعدم تقلُّبهم، كما هي عادة أهل الأهواء، قال حذيفة لأبي مسعود: «إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين، فإن دين الله واحد».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة»[١١].

وذلك ناتج بأن ما هم عليه هو الحق والهدى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن ما عند عوام المسلمين علمائهم أهل السنة والجماعة من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه: أمرٌ لا يُنازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين»[١٢].

٢ - اتفاقهم على أمور العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان، يصف الأصبهاني هذا القول، فيقول: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طلعت إلى جميع كتبهم المصنَّفة ـ قديمهم وحديثهم ـ مع اختلاف بلدانهم، وتباعد ما بينهم من الديار، وسكون كل واحد منهم في قطر من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد: يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافاً ولا تفرّقاً في شيء ما وإن قلَّ، بل لو جمعت جميع ما على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء على قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟»[١٣]

٣ - اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح هي الأسلم والأعلم والأحكم، لا كما يدعيه أهل الكلام «أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم».

يقول شيخ الإسلام - في رد هذه الفرية - «لقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين

الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف»[١٤].

٤ - أنهم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ وأفعاله وأقواله؛ لذلك هم أشدُّ الناس حباً للسنة، وأحرصهم على اتباعها، وأكثرهم موالاة لأهلها.

يقول شيخ الإسلام: «فإنه متى كان الرسول ﷺ أكمل الخلق، وأعلمهم بالحقائق، وأقومهم قولاً وحالاً؛ لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق»[١٥].

وبذلك يتضح أنهم أحق الناس وأولاهم بأن يكونوا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وبهذا يتبيَّن أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصّبون له إلا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تميزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة معانيها تصديقاً وعملاً وحباً، وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها»[١٦].

٥ - أخص ميزاتها حرصهم على نشر العقيدة الصحيحة والدين القويم الذي بعث الله به رسوله؛ وتعليم الناس وإرشادهم والنصح لهم مع الرد على المخالفين والمبتدعين.

٦ - وسطيتهم بين الفرق يقول شيخ الإسلام: «أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام بين الملل» ثم بيَّن هذه الوسطية في مكان آخر؛ قال: «فهم وسط في باب صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة.

- وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية.

- وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم.

- في باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية.

- في أصحاب النبي ﷺ بين الروافض والخوارج[١٧].

٧ - التزامهم بالأسماء والألقاب الشرعية.

٨ - حرصهم على الجماعة والألفة ودعوتهم لها، وحث الناس عليها، ونبذهم للاختلاف والفرقة، وتحذير الناس منها ويلاحظ هذا من أشهر أسمائهم فهم أهل السنة والجماعة، فهذا كما هو موجود في أصولهم العلمية النظرية؛ فهو موجود في

حياتهم تطبيقاً واقعياً عملياً.

تم بحمد الله وعونه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحواشي:

(١) النساء: (١١٥).

(٢) التوبة: (١٠٠).

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد (٤ / ١٢٦ - ١٢٧)، وأبو داود ٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، والدارمي (١ / ٤٤) والبغوي في «شرح السنة» (١ / ٢٠٥).

(٥) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣١٥)، وأحمد (٢ / ١١٠) والدرامي (٢١١)، وابن وضاح (١٣٠).

(٦) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ح: ١١٥ - ١٠٦).

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٩٧٠٢).

(٨) الآجري في «الشريعة» (ص٥٨).

(٩) النساء (٦٥).

(١٠) آل عمران: (١٠٣).

(١١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٥١).

(١٢) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٤٩).

(١٣) «الحجة في بيان المحجة لقوام السنة» الأصبهاني.

(١٤) «مجموع الفتاوى» (٥ / ٩).

(١٥) «مجموع الفتاوى» (٤ / ١٤٠ - ١٤١)، وانظر (٤ / ٢٦).

(١٦) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٩ و٣٤٧، ٤/ ٩٧).

(١٧) «مجموع الفتاوى» (٣ / ١٤١)، وانظر «شرح الطحاوية» (ص ٥١٨ - ٥٢٨).

حرص أهل الحديث على الجماعة والألفة ودعوتهم لها، وحث الناس عليها، ونبذهم للاختلاف والفرقة، وتحذير الناس منها، ويلاحظ هذا من أشهر أسمائهم فهم أهل السنة والجماعة، فهذا كما هو موجود في أصولهم العلمية النظرية؛ فهو موجود في حياتهم تطبيقاً واقعياً عملياً.

الشيخ د: صالح بن غانم السدلان[1]

التلازم بين العلم والعمل

من خصائص العلوم الشرعية وسماتها الأساسية التلازم بين تعلمها والعمل بها

جاء هذا الإسلام ومنهجه منهج علمي أصيل؛ ذلك أنه بدأ كتابه المعجز بهذه الكلمة الجامعة ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ ثم وجدنا علماءنا وسلفنا الصالح وعلى رأسهم الإمام البخاري ـ رضي الله عنه ـ يُعَنْوِنون للعلم بقوله: بابٌ: «العلم قبل القول والعمل» ثم يعلل ذلك؛ فيقول: بأن العلم شرط في صحة القول والعمل؛ فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل.

وهذه العبارات منضبطة وواضحة ثم يسترشد على ذلك بقول الحق تبارك وتعالى ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك**﴾؛ فقدم العلم على الشهادة، ثم قال: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ فالعلم في الإسلام لا يراد مجرداً عن العمل منفصلاً عنه، إنما العلم والعمل أمران متلازمان لا ينفكان أبداً.

يقول ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: «العلم إمام العمل» وقائد له، والعمل تابع له ومؤتم به؛ فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه.

قال بعض السلف: «من عبد الله بغير علم كان ما يُفسد أكثر مما يصلح، والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم ومخالفتها له. فالعمل الموافق للعلم هو المقبول، والعمل المخالف له هو المردود، فالعلم هو الميزان وهو المحك» قال تعالى: ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور**﴾.

قال الفضيل بن عياض. «هو أخلص العمل وأصوبه». قالوا: يا أبا علي؛ ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل؛ وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً

صواباً؛ فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة؛ قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ (الكهف: ١١٠)».

فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مراداً به وجه الله، ولا يتمكن العامل من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلا بالعلم؛ فإن لم يعمل بما جاء به الرسول لم يمكنه قصده، وإن لم يعرف معبوده لم يمكنه إرادته وحده؛ فلولا العلم لما كان عمله مقبولاً، فالعلم هو الدليل على الإخلاص، وهو الدليل على المتابعة».

وقال أيضاً: «وحرمان العلم من وجوه ستة، وعد منها الوجه السادس: عدم العمل بالعلم؛ فإن العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه، فإذا اهمل العمل به نسيه.

قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به».

وقال أيضاً: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه حل وإلا ارتحل. فالعمل به من أعظم أسباب حفظه وثباته، وترك العمل بالعلم إضاعة له، فما استُدرَّ العلم ولا استُجلِب بمثل العمل».

نعم إن العلماء لم يحتلوا هذه المكانة الرفيعة في نفوس العامة والخاصة؛ إلا لما امتازوا به من علم وخلق وأمانة وزهد؛ وذلك لتمسكهم بالقيم التي كانوا يؤمنون بها ويعبرون عنها، فكانت أقوالهم معبرة تماماً عن أفعالهم، وكانت أفعالهم ترجمة حقيقية لكل ما كان يقولون.

لقد كان العلم بالنسبة لهم التزاماً يجب الوفاء به، وعهداً لا فكاك منه، فإذا تحدث أحدهم عن الأخلاق نجده أول من يلتزم بها، وإذا تحدث عن الإيمان والتمسك بكلمة الحق نجده يضحي من أجله، وما قصة الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية منا ببعيد.

إن العلم في نظر الإسلام ليس مجرد حشو الرؤوس بالمعلومات، مهما تكن قيمة هذه المعلومات فلا يكفي فيها محض اكتسابها وتحصيلها؛ بل لا بد لصاحبها من الالتزام بالعمل وبالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على أهله، والتي جعلتهم أهلاً لأن يكونوا ورثة الأنبياء.

إنه يجب أن يتحول الإيمان والفكر والخلق الإسلامي إلى واقع حي يمارسه الناس، وينتفعون به في صلاح أنفسهم ومجتمعهم.

إنه العلم الذي يهيء الفرد المسلم

إن العلم في نظر الإسلام ليس مجرد حشو الرؤوس بالمعلومات، مهما تكن قيمة هذه المعلومات فلا يكفي فيها محض اكتسابها وتحصيلها؛ بل لا بد لصاحبها من الالتزام بالعمل وبالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على أهله، والتي جعلتهم أهلاً لأن يكونوا ورثة الأنبياء.

إنه يجب أن يتحول الإيمان والفكر والخلق الإسلامي إلى واقع حي يمارسه الناس، وينتفعون به في صلاح أنفسهم ومجتمعهم.

بالمهارات التي تعينه على المساهمة في عمارة الحياة وكسب عيشه؛ ولذا استعاذ الرسول ﷺ من علم لا ينفع.

فيجب على كل من تعلم علماً أن يعمل به، فلا يكذب قوله فعله؛ لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر.

فإذا خالف العلم العمل منع الرشد، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟!!!

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل؛ إذ يزل بزلته عالم كثير، ويقتدون به، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها.

يقول علي رضي الله عنه: «قسم ظهري رجلان: عالم متهتك، وجاهل متنسك. فالجاهل يغر الناس بتنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه».

وعن ميمون بن مهران قال: قال أبو الدرداء: «ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات».

وقال بعض الحكماء: «لولا العقل لم يكن علم، ولولا العلم لم يكن عمل».

وقالوا: «من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل، وأشد منه عذاباً من أقبل عليه العلم فأدبر عنه، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به، فطوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وطوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وعزل عن الناس شره، وأمسك الفضل من قوته».

تم بحمد الله ــ تعالى ــ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* الحواشي:

(١) انظر هذا الموضوع: «مفتاح دار السعادة»، (ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ٢١٣ ـ ٢١٥) و«مسيرات البحث العلمي»، (ص١٣٥ ــ ١٣٦). و«إحياء علوم الدين»، (ص٦٤ ــ ٦٥) و«جامع بيان العلم وفضله» (ج٢ص٦). و«حديث أبي الدرداء» (ص ١٤)، وما بعدها، و«مفتاح السعادة»، لطاش كبرى زاده، (ج١ ص٢٨، وص١٠٦). و«عوائق الطلب» (ص٢١ وما بعدها).

د. أحمد آل سلوم

زواج المتعة وحرمته المؤبدة في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يختلف أحد من الخلق في أن الزواج سنة من سنن الله عز وجل في الخلق والتكوين، وهو حاجة مطردة وضرورة نفسية، وغريزية، واجتماعية في عالم الإنسان.

قال تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك الآيات لقوم يتفكرون﴾** (الروم: ٢١).

بل إن الزوجية أساسية حتى في عالم الحيوان والنبات، قال تعالى: **﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾** الذاريات: ٤٩) وقال سبحانه: **﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبتُ الأرضُ ومِنْ أنفسِهم ومما لا يعلمون﴾** (يس: ٣٦).

وقد جعل الإسلام العلاقة الزوجية ميثاقاً غليظاً، واتصالاً كريماً، مبنياً على الإيجاب والقبول والإشهاد، على أن كل منهما قد أصبح للآخر، وبهذا وضع للغريزة البشرية سبيلها المأمونة، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة عن أن تكون مرتعاً مباحاً لكل راتع.

وبعد ذلك فإن نواة الأسرة في الإسلام تحوطها عاطفة الأبوة وحنو الأمومة؛ فتكون أبقى وأثبت للمجتمع الذي ارتضاه الله عز وجل، وأبقى لقوة أواصره وديمومة تحضره وتقدمه.

وقد واجه الإسلام عدة أنواع من الأنكحة هدمها جميعاً، وكانت كلها في الجاهلية قبل الإسلام إلا نكاح الناس اليوم، والذي لا يتحقق إلا بتوفر أركانه من الإيجاب والقبول وبشرط الإشهاد، ومن الولي والشهود وبشرط الإشهار، وبهذا يتم العقد الذي يفيد حلّ استمتاع كل زوج بالآخر على الوجه الذي شرعه الله عز وجل، وبه أيضاً تثبت الحقوق والواجبات التي تلزم كلا منهما.

وقد رغّب الإسلام في الزواج؛ فتارةً يذكر

أنه من سنن الأنبياء وهدي المرسلين وسمت الصديقين والصالحين الذين هم قدوة للعالمين، وأخرى يبين لنا فيه أن الزواج آية من آيات الله عز وجل، وأخرى يذكرنا في معرض الامتنان، وكيف أن المرأة خير كنز يضاف إلى رصيد الرجل لدنياه وآخرته، وإنما رغب الإسلام في الزواج على هذا النحو لما يترتب عليه من آثار نافعة تعود على الفرد والأمة والمجتمع، بل الجنس البشري بأجمعه.

ولعل من أهم غايات الزواج في الدين بعد سكون الغريزة الجنسية، وما تلح به على صاحبها من إيجاد أنسب مجال حيوي لإروائها وإشباعها، تأتي المصلحة الخاصة والعامة في إنجاب الأولاد وتكثيرهم؛ لأن العزة للمكاثرين، غير أن الشعور بتبعة الزواج ورعاية الأطفال والقيام بأعباء المسؤولية الجديدة في الحياة الزوجية يعتبر من المحاور الرئيسية في هذه الفضيلة دون انقطاع، إذ أن المجتمع المترابط المتحابّ هو المجتمع القوي السعيد الذي تحكم أواصره المحبة والصلات الاجتماعية المباركة المستقيمة، على النحو الذي يرضاه الله عز وجل، ويوافق سنة رسوله الكريم ﷺ.

والركن الحقيق للزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط بشروط الإيجاب والقبول (أي شروط الانعقاد) ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر محددات معينة؛ لأن المقصود من الزواج دوام المعاشرة للتوالد، والمحافظة على النسل وتربية الأولاد، ولهذا حكم الفقهاء وجمهور العلماء على زواج المتعة والتحليل بالبطلان؛ لأن الأول مقصود به مجرد الاستمتاع الوقتي، ويقصد بالثاني تحليل الزوجة لزوجها الأول، فكلاهما حرام شرعاً.

وزواج المتعة زواج متفق على تحريمه بين أئمة المذاهب؛ وقالوا: إنه إذا انعقد يقع باطلاً ودليلهم في ذلك.

أولاً: أن هذا الزواج لا تتعلق به الأحكام القرآنية المتعلقة بالزواج من: طلاق، وعدة، وميراث؛ فيكون باطلاً.

ثانياً: نصت السنة الصريحة بتحريمه، فعن سَبُرَة الجهني: أنه غزا مع النبي ﷺ في فتح مكة؛ فأذن لهم رسول الله ﷺ في متعة النساء، قال: فلم يخرج منها حتى حرمها رسول الله ﷺ.

وفي لفظ لابن ماجه: أن رسول الله ﷺ حرّم المتعة فقال: «يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع، ألا وإن الله حرمها إلى يوم القيامة».

وكذلك ما أورده الإمام مسلم في «صحيحه»، عن الربيع بن سبرة بن معبد الجهني، عن أبيه: أنه غزا مع الرسول ﷺ فتح مكة فقال: «يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله حرّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيئاً؛ فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً».

وفي رواية لمسلم: وله ألفاظ.

والعمدة ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - «أن رسول الله ﷺ «نهى عن متعة النساء، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر» هذه رواية الإمام البخاري في صحيحه برقم (٥١١٥) تحت باب «نهي النبي ﷺ عن المتعة».

ثالثاً: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أكد تحريمها أيام خلافته، بعد ما حرّمها رسول الله ﷺ (نسخها مرتين) وأقره على ذلك الصحابة الكرام، وما كانوا ليوافقوه لو كان على خطأ - خصوصاً - منهم علي - رضي الله عنه - الذي تقول الشيعة بعصمته عندهم(٢)؛ لأنهم يحلّون هذا الزواج.

رابعاً: نقل البيهقي عن جعفر بن محمد

والركن الحقيق للزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط بشروط الإيجاب والقبول (أي شروط الإنعقاد) ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر محددات معينة؛ لأن المقصود من الزواج دوام المعاشرة للتوالد، والمحافظة على النسل وتربية الأولاد، ولهذا حكم الفقهاء وجمهور العلماء على زواج المتعة والتحليل بالبطلان؛ لأن الأول مقصود به مجرد الاستمتاع الوقتي، ويقصد بالثاني تحليل الزوجة لزوجها الأول، فكلاهما حرام شرعاً.

أنه سئل عن المتعة؛ فقال: «هي الزنى بعينه».

ولكون القصد من زواج المتعة هو قضاء الشهوة فقط، ولا يقصد به التناسل ولا المحافظة على الأولاد، فهو يضر بالمرأة؛ لأنها ستصبح كالسلعة التي تنتقل من يد إلى يد، وإن كان فيه اتفاق أو عقد،إذ أن من توابعه المضرة بالأولاد، حيث لا يجدون البيت الذي يستقرون فيه، ولا الأب الذي يتعهدهم بالتربية والتأديب.

خامساً: وأما عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في إباحة المتعة بالنساء. فقد خاطبه سعيد بن جبير قال: هل تدري ما صنعت، وبم أفتيت؟ قد سارت بفتياك الركبان، وقالت: فيه الشعراء.

قال: وما قالوا؟

قلت: قالوا.

قد قلت للشيخ لما طال محبسه

يا صاح هل لك في فتيا ابن عباس

هل لك في رخصة الأطراف آنسة

تكون مثواك حتى رجعة الناس!

فقال ابن عباس:

«إنا لله وإنا إليه راجعون... والله ما بهذا أفتيت، ولا هذا أردت» (انتهى).

هذا وقد ذهبت الشيعة الإمامية إلى جواز المتعة وأركانها عندهم: الصيغة، والزوجة، والمهر، والأجل.

ومن أحكامه الإخلال بذكر المهر، ويلحق الولد بوالده، ولا يقع طلاق بهذا الزواج ولا لعان، ولا يثبت به ميراث بين الزوجين، وأما الولد فإنه يرثهما ويرثاه، كما أقروا بانقضاء عدة الزوجة المتمتع بها بحيضتين، وإلا فبخمسة وأربعين يوماً لمن لا تحيض.

ولقد صح عن النبي ﷺ تحريم زواج المتعة تحريماً مؤبداً، ولكوننا متعبدون بما بلغنا عن الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ فلا عبرة لمخالفة الشيعة في جوازه.

قال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ (الحشر: ٧).

كما حفظ الجمهور من الصحابة حرمته حتى رووه لنا، ومن ذلك ما ذكره ابن عمر فيما أخرجه عنه ابن ماجه بإسناد صحيح: «والله لا أعلم أحداً تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة».

وفي هذا دليل على قياس المتعة بالزنا؛ لأن لهما نفس العقوبة الشرعية، كما هو واضح مما سبق ذكره.

كما أخرج الدارقطني وحسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني عن أبي هريرة فيما يرويه عن النبي ﷺ قال: «هَدَم المتعة الطلاقُ،

والعدة، والميراث».

وأما ما يُقال من أن تحليل المتعة مجمع عليه، والمجمع عليه (قطعي) وتحريمها مختلف فيها، والمختلف فيه (ظني)، والظني لا ينسخ القطعي؛ فيجاب عنه بما يلي:

أولاً: بمنع هذه الدعوى، وهو كون القطعي لا ينسخه الظني، فما الدليل على ذلك؟

وثانياً: بأن النسخ بذلك الظني، إنما هو لاستمرار الحِل، والاستمرار ظني لا قطعي، وبهذا تنقطع دعوى تحليل المتعة من عدة وجوه.

ولا يُعتد بقراءة ابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وسعيد بن جبير «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مُسمى»، فإنها ليست بقرآن عند مشترطي التواتر[٣] في الرواية، ولا سنة لأجل روايتها قرآناً، وليس ذلك بحجة.

وأما عند من لم يشترط التواتر فلا مانع من نسخ ظني القرآن بظني السنة، كما تقرر في الأصول.

وبقي لنا في آخر الأمر أن نذكر ما أورده الحر العاملي من الشيعة في كتابه «وسائل الشيعة» (ج٧ / ٤٤١)، فعندهم أن من لم يتمتع فليس من شعيتهم.

ومن أدلتهم المزعومة على ذلك:

سُئل الصادق عن المتعة فقال: حلال عن كتاب «من لا يحضره الفقيه» (ج ٢٩٨) وقال: «ما من رجل تمتع. ثم اغتسل إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه سبعين ملكاً يستغفرون له إلى يوم القيامة، ويلعنون مجتنبها ـ يعني المتعة ـ إلى أن تقوم الساعة)[٤] عن كتاب الحر العاملي «وسائل الشيعة» (٧ / ٤٤٤).

وهنا أتسائل عن مثل هذا الفضل الذي يزعمونه في المتعة (المحرمة) بثابت السُنة، وعمل الصحابة، وإقرار أئمة المذاهب، والجمهور، على ذلك إلى يوم القيامة؟

أهي دعوة باطنية إلى الإباحة والانحلال بطريق الحيلة الشرعية؟

ومن أدلة الشيعة أيضاً على إباحة زواج المتعة ما أوردوه عن أبي عبدالله: «لا بأس بالرجل يتمتع بالأختين»، وعنه «يمكن التمتع بألف من المستأجرات»، وقد جوزها بدون شهود.

عن كتاب «وسائل الشيعة» (٧ / ٤٧٩) وما بعده.

وقال ابن بابويه: «إن المؤمن لا يكمل إيمانه حتى يتمتع، وللمتمتع ثواب لا يحصيه إلا الله عن كتاب «من لا يحضره الفقيه» (ج ٣ / ٢٩١)).

وعندهم أن المتعة أفضل من الحج حتى لو كان مع فاجرة أو بغي.

هذا هو موقف الشيعة من زواج المتعة، وما أوردوه من فضل في مزاياه لا يقل عنه فضلاً عن إباحتهم اتيان المرأة في دبرها متى شاء، فقد قال حكيمهم صاحب كتاب «العروة الوثقى» (١٤ / ٦١)): «لا فرق في الدخول الموجب للإفضاء بين أن يكون في القبل أو في الدبر».

وعن أبي عبدالله أنه سُئل عن الرجل يأتي المرأة في دبرها، قال: «لا بأس؛ إذا رضيت».

وسُئل أيضاً عن الرجل يأتي أهله من خلفها، قال: «هو أحد المأتيين، فيه الغسل، وإذا أتى الرجل المرأة في دبرها فلم يُنزلا فلا غُسل عليهما، وإذا أتاها وهي صائمة؛ فإن ذلك لا ينقض صومها، وليس عليها غُسل».

عن كتاب «وسائل الشيعة» (٧/ ١٠٣)).

وأخيراً؛ فإن الذين يعتقدون بإباحة هذه الفواحش والموبقات لهُم أشد حرباً على الإسلام من أعدائه، فقد ضلوا ـ والله ـ وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل.

والحق والعدل يستوجبان اتباع كتاب الله عز وجل ـ وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بفهم وعلم وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، والذي يشذ عنهما فإلى عذاب الله وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿**فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ (النور: ٦٣).

والله وحده الهادي إلى سواء السبيل.

* الحواشي:

(١) وهذا من غلوهم المذموم بآل البيت، فالعصمة لا تكون إلا للأنبياء فقط.

(٢) لم تختلف العلماء قديماً وحديثاً في اشتراط التواتر في صحة القراءة وقبولها، وهذا محل إجماع منهم.

(٣) وهذا الحديث المزعوم يدلك على كذب الشيعة وترويجهم للأحاديث المختلقة على الرسول صلى الله عليه وسلم تأييداً لمذهبهم الفاسد.

بقلم الشيخ: أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان

أمالي نظام الملك

الحلقة الثالثة

إن الحمد، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فهذا هو المجلس الثاني من «أمالي نظام الملك»، وهو: أبو الحسن علي بن إسحاق الطوسي، وسبق أن نشرنا المجلس الأول في العدد (١٨) من (ص٥٧ ــ ٦٨)، واقتصرنا على متنه، وأدخل بعض إخواننا الحريصين ـ وفقهم اللّه لمرضاته ـ عليه بعض الهوامش، عند النظر في التجارب الأخيرة، على الرغم من تحقيقي لنصوصه، وإرفاقي لها مع المقال، إلا أن الأخ المشرف على العدد رأى إفراد التخريج في عدد آخر، وهذا ما حصل، فنشرت التخريجات في العدد (١٩) من (ص ٤١ ــ ٤٦).

ونتابع في هذا العدد نشر (المجلس الثاني) من هذه «الأمالي»، وفي العدد القادم إن شاء الله تعالى التخريجات والتعليقات، والله الهادي للصالحات، والموفق للخيرات.

المجلس الثاني

وقد أملاه في جامع المهدي يوم الجمعة لثمان خلون من صفر سنة ٤٨٠هـ

رواية أبي القاسم نصر بن نصر بن علي ابن يونس العكبري عنه.

رواية أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن البنا عنه.

رواية إسحاق ويعقوب ابني أبي بكر الطبري عنه سماعاً.

رواية أبي أحمد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري عنهما إجازة.

رواية أبي محمد عبدالله بن محمد بن محمد البشاوري عنه إجازة.

رواية أم هانىء مريم ابنة علي بن عبدالرحمن الهورسي عنه سماعاً.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿رب زدني علماً﴾.

- قرأت على الشيخة الصالحة الخيرة

المسندة الكاتبة المعمرة «أم هانيء» مريم ابنة الشيخ نور الدين علي بن القاضي عبدالرحمن بن عبدالمؤمن الهورسي والدها، بحق سماعها من العفيف أبي محمد عبدالله بن محمد بن سليمان البشاوري، من الشيخ رضي الدين أبي أحمد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري ثم المكي إجازة، أنبأ السند العلامة إسحاق ويعقوب ابنا أبي بكر بن الطبري، وأبوه الحسن علي بن محمد الكور بن موهوب بن جامع، قالوا: ثنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن البناء سماعاً، أنبا أبو القاسم نصر بن نصر العكبري، قال الرضي الطبري: وأنبا عالياً أبو الحسن بن علي بن إسحاق «أملاه في جامع المهدي يوم الجمعة لثمان خلون من صفر سنة ثمانين وأربع مئة، قال:

١٣ – أخبرنا أبو مسلم محمد بن علي ابن محمد الأديب بأصبهان: أنبأ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان: ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة: ثنا حرملة ابن يحيى: ثنا عبدالله بن وهب: ثنا يونس، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبدالرحمن.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان». فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي! أيدُعي أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

هذا حديث صحيح متفق عليه من حديث الزهري عن حميد، وحديث ابن وهب، عن يونس، عن الزهري.

انفرد به مسلم؛ فرواه في (الزكاة) عن أبي الطاهر وحرملة عن ابن وهب عن يونس.

١٤- أخبرنا أبو عبدالله عبدالرحمن بن عبدالله المروزي أنبا منصور بن عبدالله بن خالد (الحافظ ــ قدم علينا مروــ): ثنا علي بن عبدالرحمن الكوفي: ثنا أحمد بن حازم) الغفاري أنبأ إسماعيل بن أبان: ثنا أبو عبدالله ثنا ناصح المحلّمي[1]، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال: قالوا يا رسول اللّه: من يحمل رايتك... يوم القيامة؟ قال: «من عسى أن يحملَها يوم القيامة إلا من كان يحملها في الدُّنيا: علي بن أبي طالب».

١٥ – أخبرنا أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف بهمدان: أنبا أحمد بن

إبراهيم أبو العباس: حدثنا أحمد بن عرس: ثنا محمد بن عبدالغفار: أنبأ أبو الخطاب إياس بن محمد البصري وعمرو بن علي، قالا: ثنا أبو عتاب سهل بن حماد: ثنا المختار بن نافع أبو إسحاق التيمي: ثنا أبو حيان التيمي عن أبيه.

عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله.

رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مراً تركه الحقُّ وماله من صديق.

رحم الله عثمان تستحييه الملائكة.

رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار».

١٦ - أخبرنا أبو عبدالرحمن بن أبي بكر المذكر: ثنا أبو علي الخالدي: ثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن أحمد الهمداني: ثنا زكريا بن يحيى الساجي: ثنا نصر بن علي: ثنا علي بن جعفر بن محمد، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن علي بن الحسين: عن أبيه.

عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال: «من أحبَّ هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة[٢]».

١٧ - أخبرنا أبو سهل محمد بن أحمد ابن عبدالله: أنبأ أبو الهيثم محمد بن مكي: ثنا محمد بن يوسف الفربري: ثنا محمد بن إسماعيل البخاري: ثنا يحيى بن بكير: ثنا الليث، عن (عقيل، عن)[٣] ابن شهاب[٤]: أخبرني أبو أمامة سهل بن حنيف.

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليَّ، وعليهم قُمُصٌ منها ما يبلغ الثُّديَ ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرِض عليَّ عمر وعليه قميص يجره». فقالوا: ما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدِّين».

أخرجه مسلم في الفضائل عن منصور بن أبي مزاحم، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن ابن شهاب.

١٨ - أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن حمدون: ثنا الحاكم عبدالجبار بن أحمد: ثنا عبدالله ابن جعفر: ثنا يونس بن حبيب: ثنا أبو داود الطيالسي: ثنا سكن بن المغيرة، عن الوليد بن أبي هشام، عن فرقد أبي طلحة، عن عبدالرحمن بن خباب قال: سمعت رسول الله ﷺ وحض على جيش العسرة، فقام عثمان رضي الله عنه. فقال: مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض الثانية، فقال عثمان: مئتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض الثالثة، فقال: ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله.

قال: فرأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا، مرتين أو ثلاثاً».

١٩ - أخبرنا أبو الفتح نصر بن علي الحاكم: ثنا محمد بن أبي عمران التاجر: ثنا محمد بن يعقوب الشيباني: ثنا بكر بن سهل، قال: ثنا عبدالغني بن سعيد الثقفي: ثنا موسى بن عبدالرحمن الصنعاني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قالت عائشة: «أعطيتُ عشر خصال لم تعطهُنّ ذاتُ خمار قبلي، صررت لرسول الله قبل أن أصوَّر في رحم أمي، وتزوجني رسول الله ﷺ بكراً ولم يتزوج بكراً غبري. وكان ينزل على رسول الله ﷺ الوحي وهو بين سَحَري ونحري، ونزلت براءتي من السماء، وكنت أحبَّ الناس إليه، وكان أبي أحبَّ الرجال إليه، وخُيِّرَ رسول الله ﷺ وهو بين حاقنتي وذاقنتي، وتُوفي في يومي، ودُفن في بيتي صلوات الله عليه وسلم».

٢٠ - أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد ابن عمر كتابة: ثنا محمد بن عبدالرحمن ابن العباس: ثنا عبدالله بن محمد: ثنا محمد بن عباد: ثنا محمد بن طلحة التَّيميّ: ثنا عبدالرحمن بن سالم بن عبدالله بن عُويم بن ساعدة، عن أبيه.

عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحاباً فجعل منهم وزراءً وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً».

٢١ - أخبرنا أبو سعد عبدالكريم بن أحمد الطبري: ثنا أبو العباس أحمد بن محمد البصري: ثنا الحسن بن جعفر بن هلال الحميري(٥): ثنا حمزة بن محمد الكاتب: أنبأ نعيم بن حمَّاد: ثنا عبدالرحيم ابن زيد عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي عز وجل فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي؛ فأوحى الله إليَّ: يا محمد، إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى».

٢٢ - أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله ابن إبراهيم بن محمد: ثنا محمود بن عمر ابن جعفر بن إسحاق: ثنا أحمد بن محمد التميمي: ثنا محمد بن الحسن بن حبيب الهمذاني: ثنا أحمد بن عيسى العلوي: ثنا ابن أبي فُديك، عن هشام بن سعد، عن زيد ابن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله خلفائي».

قيل: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟

قال: «الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس».

٢٣ - أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي المروزي: ثنا الإمام أبو بكر القفال: ثنا الإمام أبو عبدالله المقري: ثنا أبو أحمد يعني المروزي: ثنا عبدالله بن جعفر بن خاقان: ثنا علي بن خشرم: ثنا عبدالله بن إدريس عن ليث بن أبي سُلَيم، أنه قال: بلغني أن عمر بن الخطاب عوتب في جهده نهاراً في أمور الناس، وفي اجتهاده ليلاً في أمور آخرته، فقال لهم: «إن أنا نمت نهاري ضاعت الرعية، وإن نمت ليلاً ضيعت نفسي، فكيف بالنوم معهما».

٢٤ - أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن: ثنا عبدالله بن محمد بن حمود: أنبا أبو بكر محمد بن أحمد: ثنا إبراهيم بن محمد: ثنا أبو الحسين أحمد بن عمرو بن محمد الزنبقي: حدثنا زكريا ابن يحيى: حدثنا الأصمعي عن العلاء بن الفضل بن أبي سوية، عن أبيه، قال: أخبرت أنهم لما قتلوا عثمان بن عفان فتَّشوا خزانته، فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه، فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب في باطنها: عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، وأن الله لا يخلف الميعاد، عليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله. ووجدوا في ظاهرها متكوباً.

غني النفس يغني النفس حتى يكفَّها
وإن عفها حتى يضر بها الفقرُ

وما عُسْرة فاصبْرْ لها إن لقيتها
بكائنة إلا سيتبعُها يُسرُ

ومن لم يُقاسِ الدَّهرَ لم يعرف الأسى
وفي غِيرَ الأيامِ ما وعظ الدَّهرُ

آخر المجلس الثاني

وبتمامه تم الجزء.

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على أشرف خلقه: محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين

حسبنا الله ونعم الوكيل[٦].

* الحواشي:

(١) في المطبوع: «المحكمي»! وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في (أ) و (ب): «تستجيبه»!! وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصول.

(٤) في المطبوع: «أبي شهاب»!! وهوخطأ.

(٥) في المطبوع: «الحيري»! وهو خطأ.

(٦) يليه سماعات متعددة، أضربنا عن ذكره.

بقلم: الشيخ عبد المالك بن أحمد الجزائري

تعجيل الهزيمة لمخالفي الرسل

كما أنّ أتباع الرسل منصورون، فإن مخالفيهم مخذولون، قال الله تعالى: ﴿إنَّ الَّذينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئكَ في الأذلين﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... وجعل الذّل والصغار على من خالف أمري» رواه أحمد، وهو حسن.

وتفسيره ما قاله ابن تيمية: «والبدعةُ مقرونةٌ بالفُرْقة، كما أنْ السنّةَ مقرونةٌ بالجماعة؛ فيقال: أهل السنة والجماعة: كما يقال: أهل البدعة والفُرقة[1]».

وقد أجمع العقلاء على أن أعظم أسباب الهزيمة هو التنازع، وأشده ـ ولا شك ـ التنازع في الدين، ولما كان التنازع ناشئاً عن التقصير في طاعة الله ورسوله قرن الله بينهما في آية واحدة، فقال: ﴿وأطيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ ولما كان الالتزام بالسنة هو سفينة النجاة في بحر الاختلاف، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزومها عند وقوعه فقال: «... وإنّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور» رواه أبو داود، والترمذي وابن ماجه، وغيرهم، وهو صحيح.

وقال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البيّنات﴾، أي: جاءهم من الوحي ما يجمعهم، فلما تركوه اختلفوا. وهذا مبيَّن في سيرة اليهود والنصارى مع رسلهم؛ فالنصارى اتَّبعوا رهبانية ابتدعوها وتركوا بعض ما أُمروا به، فأَغْرَى الله بينهم العداوة والبغضاء، كما قال تعالى: ﴿ومنَ الَّذينَ قَالُوا إنَّا نَصارَى أخَذنا ميثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً ممَّا ذُكّروا به فَأَغْرينَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ قال ابن تيمية: «فهذا نصٌّ في أنهم تركوا بعض ما أُمروا به؛ فكان تركه سبباً لوقوع العداوة والبغضاء المحرّمين»[2].

وكذلك اليهود تركوا بعض ما أُمروا به

كما قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِه ونَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِه﴾، لكن تركهم له كان ناشئاً عن تقصيرهم المعروف بسبب كراهيتهم لما أنزل الله، كما قال تعالى: ﴿ولَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّك طُغْيَاناً وكُفْراً وأَلقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ إِلى يَوْمِ القِيَامَة﴾[٣].

وقال ابن تيمية: «والخلاف الواقع في غير أهل الملل أكثر منه في أهل الملل، فكل من كان إلى متابعة الأنبياء أقرب كان الخلاف بينهم أقل؛ فالخلاف المنقول عن فلاسفة اليونان والهند وأمثالهم أمر لا يُحصيه إلا الله، وبعده الخلاف عن أعظم الملل ابتداعاً كالرافضة فينا، وبعد ذلك الخلاف الذي بين المعتزلة ونحوهم، وبعد ذلك خلاف الفرق المنتسبة إلى الجماعة، كالكلاَّبية، والكرّامية، والأشعرية، ونحوهم، وبعد ذلك اختلاف أهل الحديث، وهم أقل الطوائف اختلافاً في أصولهم، لأن ميراثهم من النبوة أعظم من ميراث غيرهم، فعصمهم حبل الله الذي اعتصموا به، فقال: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً﴾[٤].

ومن الدرر الغوالي لأبي المظفر السمعاني قوله: «ومما يدلُّ على أن أهل الحديث هم على الحق، إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الإقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجْرون فيها على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحدٌ، ونقلُهم واحدٌ، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبينَ من هذا؟ قال الله تعالى: ﴿أفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْءَانَ ولَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ وقال تعالى: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً ولاَ تَفَرَّقُوا﴾.

وأما إذا نظرتَ إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرِّقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً؛ لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدِّع بعضهم بعضاً، بل يرتَقون إلى التكفير؛ يكفِّر الابن أباه، والرجلُ أخاه، والجارُ جارَه، تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارُهم ولم تتَّفق كلماتُهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[٥].

والغرض من هذا كله بيان لحوق الهزيمة بمن خالف الرسول ﷺ وتعجيلها لهم، بسبب الاختلاف المضروب عليهم، وقد فدفعتُ إليه كتاب رسول الله ﷺ، ثم أخذه فمزّقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «اللهم مزق ملكه»[٦]، وكتب كسرى

قال ابن تيمية: «والخلاف الواقع في غير أهل الملل أكثر منه في أهل الملل، فكل من كان إلى متابعة الأنبياء أقرب كان الخلاف بينهم أقل؛ فالخلاف المنقول عن فلاسفة اليونان والهند وأمثالهم أمر لا يُحصيه إلا الله، وبعده الخلاف عن أعظم الملل ابتداعاً كالرافضة فينا، وبعد ذلك الخلاف الذي بين المعتزلة ونحوهم، وبعد ذلك خلاف الفرق المنتسبة إلى الجماعة، كالكلاّبية، والكرّامية، والأشعرية، ونحوهم، وبعد ذلك اختلاف أهل الحديث، وهم أقل الطوائف اختلافاً في أصولهم، لأن ميراثهم من النبوة أعظم من ميراث غيرهم، فعصمهم حبل الله الذي اعتصموا به، فقال: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾».

روى ابن سعد، والبيهقي، وأحمد، وغيرهم، بأسانيد عن جمع من الصحابة ــ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ــ قالوا: وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن حذافة السهمي، وهو أحد الستة، إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتاباً، قال عبدالله:

إلى باذان عامله على اليمن: أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فلْيأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمان ورجلاً آخر، وكتب معهما كتاباً، فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى

الإسلام وفرائصهما ترتعد وفي رواية: فلما رأى شَواربهما مفتولة وخدودهما محلوقة، أشاح عنهما، وقال: «ويحَكُما مَن أمركما بهذا» قالا: أمَرنا ربنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال النبي ﷺ: «ولكني أمرني ربي أن أعفيَ لحيتي، وأن أحفي شاربي»، وقال: «ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد»، فجاءاه من الغد فقال لهما: «أبْلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة» فوجدوه كما قال[٧].

وفي هذه القصة أن النبي ﷺ علم هلاك كسرى لَمّا تجرأ على رسالته، ولم يراع له حرمته؛ لأن الله قضى بقطع دابر شانىء رسوله وتعجيل بتره؛ فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. ومن حسن الموافقة أن قاتل كسرى ابنُه؛ كما ذكر ذلك الحافظ في «الفتح»[٨]، وهو من تمام الإعجاز في إلقاء العداوة بين أفراد الأمة الواحدة، كيف وهي عداوة أهل بيت واحد؟ تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

وقارن قصة كسرى هذه بقصة قيصر التي رواها البخاري وغيره، وفيها قول قيصر لأبي سفيان في رسول الله ﷺ: «... فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخْلص إليه لتجَشَّمْتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قَدمه...».

قال ابن تيمية: «وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وكلاهما لم يُسْلم، لكن قيصر أكرمَ كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله، فثبتَ ملكهُ، فيقال: إن المُلْك باقٍ في ذريته إلى اليوم، وكسرى مزَّق كتاب رسول الله ﷺ واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل، ومزَّق ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك، وهذا ـ والله أعلم ـ تحقيق لقوله تعالى: ﴿أَنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، فكلُّ مَن شَنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره.

وقد قيل: إنها نزلت في العاص بن وائل أو في عقبة بن أبي معيط أو في كعب بن الأشرف، وقد رأيت صنيع الله بهم، ومن الكلام السائر: (لحوم العلماء مسمومة)، فكيف بلحوم الأنبياء عليهم السلام......؟!»[٩].

قلت: تأمل قوله: «أن المُلْك باقٍ في ذريته إلى اليوم»، مع قول هرقل بعد قراءته كتاب رسول الله ﷺ في الرواية السابقة: «يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت مُلْكُكُم فتُبايِعوا هذا النبي؟».

وقال ابن تيمية: «ونظير هذا ما حدّثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة، عما جرَّبوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصرَ المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس، إذ تعرَّض أهله لسبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقيعة في عرضه فعجلنا فتحه وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنّا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيها، كما حدّثني بعض الأصحاب الثقات: أنّ المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنّة الله أن يعذّب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين» (١٠).

وقال ابن تيمية: «سورة الكوثر: ما أجلّها من سورة! وأغزر فوائدها على اختصارها! وحقيقة معناها تُعْلم من آخرها، فإنه سبحانه وتعالى بَتَر شانىء رسوله من كل خير، فيَبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة، ويبتر حياته فلا ينتفع بها، ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده، ويبتر قلبه فلا يعي الخير، ولا يؤهِّله لمعرفته ومحبته والإيمان برسله، ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة، ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصراً ولا عوناً، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة؛ فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة، وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها، وهذا جزاء من شنَأ بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وردَّه لأجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره، كمن شنأ آيات الصفات وأحاديث الصفات، وتأوَّلها على غير مراد الله ورسوله منها، أو حملها على ما يوافق مذهبه ومذهب طائفته، أو تمنَّى ألا تكون آيات الصفات أنزلت، ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم... ومن أقوى علامات شناءته لها وكراهته، أنه إذا سمعها حين يَستدل بها أهلُ السنة على ما دلت عليه من الحق اشمأز من ذلك، وحاد ونفر من ذلك، لما في قلبه من البغض لها والنفرة عنها، فأي شانىء للرسول أعظم من هذا.

وكذا من أثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة، فلولا أنه شانىء لما جاء به الرسول ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه، ويشتغل بقول فلان وفلان...

فالحذرَ الحذرَ! أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ أو تردّه لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا؛ فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعاً للرسول، وإلاّ لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع. فاعلم ذلك واسمع وأطع، واتبع ولا تبتدع، تكن أبتر مردوداً عليك عملك، بل لا خير في عمل أبتر من الاتّباع، ولا خير في عامله، والله أعلم»[11].

* الحواشي:

(١) «الاستقامة» (١ / ٤٢) وانظر إن شئت «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم ص (٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ١٠٩).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» أيضاً (٣١ / ٢٢٧).

(٤) «منهاج السنة» (٦ / ٣١١).

(٥) من «الحجة» لقوّام السنة (٢ / ٢٢٥).

(٦) إلى هنا رواية البخاري في «صحيحه»، لكن زيادة هذا الدعاء هي عنده مرسلة.

(٧) انظر «الصحيحة» للألباني (١٤٢٩)، وتخريجه على «فقه السيرة» للغزالي (٣٨٨ ـ ٣٨٩).

(٨) (٧ / ٧٣٣ ـ ٧٣٤).

(٩) «الصارم المسلول» ص (١٦٤ ـ ١٦٥)، وانظر «الفتح» لابن حجر (١ / ٤٤).

(١٠) المصدر السابق ص (١١٧).

(١١) «مجموع الفتاوى» (١٦ / ٥٢٦ - ٥٢٩).

* * *

قال تعالى: والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبلَنا وإنَّ الله لَمع المحسنين (العنكبوت: ٦٩).

قال العلامة السعدي - رحمه الله - في «تيسير الكريم الرحمن» ص٥٨٦: «فإنَّ طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلاّ خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين والجهاد على تعليم أمور الدين وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين».

بقلم الشيخ: عثمان معلم الصومالي

بعض الضوابط في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم واجبات الدين، وبه تحيا الشريعة وتبقى على مر الدهور.

وقد فصّل العلماء أحكامه وألّفوا فيه مؤلفات عديدة.

وقد أدّى عدم الفقه في هذا الباب إلى ويلات وشرور.

كما أدّى عدم التبصرّ في أحكام الجهاد إلى التهوّر والاندفاع غير الموزون.

إذ أن أغلب الشباب يقتصرون على سماع فضائل هذين المقصدين دون التفقه فيهما.

والذين يؤخذ منهم هذا العلم هم العلماء المحققّون أصحاب المنهج السلفي.

والأحاديث يفسّر بعضها بعضاً؛ إذ أنّ معدنها واحد، فرسولنا ﷺ الذي حثّ على إنكار المنكر هو الذي أبدى وأعاد في النهي عن قتال الأمراء والقتال في الفتنة..

وإنكار المنكر باليد ليس مرادفاً للقتال، كما يتبادر إلى أذهان بعض الناس، بل يُتصور فيما دون، فطمسك للصور والتماثيل ونقض كل صليب وإراقة الخمور وتفريقك بين المتضاربين كل ذلك إنكار باليد، ويشترط فيه الشرط العامّ، وهو: ألاّ تؤدي إزالتك لهذا المنكر بهذا الوجه إلى منكر أكبر منه، وإلاّ يكون حراماً.

قال الحافظ أبو بكر الخلال الجامع لعلوم الإمام أحمد: «أنا أبو بكر المروزي» قال: قلت لأبي عبدالله (يعني الإمام أحمد): كيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: باليد واللسان وبالقلب وهو أضعف الإيمان، قلت: كيف باليد؟ قال: تفرّق بينهم[1].

قال: وحفظت على أبي بكر المروزي أنه قال: كنت مع أبي عبدالله في طريق فرأى صبياناً يقتتلون، فعدل إليهم؛ ففرّق بينهم.

وأخبرني محمد بن علي قال: حدثنا صالح أن أباه (يعني الإمام أحمد) قال:

«التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح»[٢].

وقال البربهاري: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب بلا سيف»[٣].

وقال إمام الحرمين: «ويسوغ لآحاد الرعيّة أن يصدّ مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله، ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح، فإن انتهى الأمر إلى ذلك ربط الأمر بالسلطان»[٤].

والجُزيء الواحد من الأمة لا يختلف عن آحاد الرعية في الحقيقة.

وقد ذكر الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» مسائل نفيسة تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كانت عمدة لمن كتب بعده، ويحسن الرجوع إليها لمن أراد المزيد.

وذكر عدّة فروق بين المحتسب[٥] والمتطوع[٦] منها:

أن للمحتسب «أن يتخذ على إنكاره أعواناً؛ لأنه عمل هو له منصوب وإليه مندوب؛ ليكون له أقهر وعليه أقدر، وليس للمتطوّع أن يندب لذلك أعواناً.

وأن له أن يعزّر في المنكرات الظاهرة، لا يتجاوز إلى الحدود، وليس للمتطوّع أن يعزّر على منكر»[٧].

ولم يفهم أحد من العلماء المعتبرين من أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً من الإنكار باليد ترويع المسلمين وشن الغارات عليهم أو خوض المعارك بجنب بعض القبائل.

وقد ثبت لدينا بما يثبت به النقل أن بعض هؤلاء الشباب كانوا يقومون بقتل الأسارى والإجهاز على الجرحى في بعض المعارك التي حصلت بينهم وبين بعض القبائل مع ترديد الأسير لكلمة التوحيد.

فأين هؤلاء مما ثبت في صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد أنه قال: «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبّحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً؛ فقال: لا إله إلا الله، فطعنته. فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت على قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها عليّ حتى تمنّيت أني أسلمت يومئذ.

قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة. قال: قال رجل: ألم يقل الله تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾؟ فقال

سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة[8]».

وفي حديث جندب: «فقال: لم قتلته؟ فقال: يا رسول الله أوجع في المسلمين فقتل فلاناً وفلاناً وسمّى له نفراً، وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: أقتلته؟ قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ فقال: يا رسول الله استغفر لي، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»[9].

هذا، ومن أحسن من تكلّم في ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وله نصوص كثيرة في هذا نجتزيء منها بما يلي:

قال الشيخ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو على الكفاية، كما دل عليه القرآن، ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضاً كذلك، فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته؛ إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته؛ كما قال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[10].

وإذا كان كذلك، فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد، هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به؛ ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف معروفاً ونهيك عن المنكر غير منكر.

وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة؛ إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد؛ بل كل ما أمر به فهو صلاح.

وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم المفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به، وإن كان قد تُرك واجب وفُعل محرم؛ إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباده وليس عليه هداهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من

الواجبات لم يضره ضلال الضلال.

وذلك يكون تارة بالقلب، وتاة باللسان، وتارة باليد.

فأما القلب فيجب بكل حال؛ إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: «وذلك أدنى ـ أو ـ أضعف الإيمان»، وقال: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

وقيل لابن مسعود: من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. وهذا هو المفتون الموصوف في حديث حذيفة بن اليمان.

وهنا يغلط فريقان من الناس:

فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي تأويلاً لهذه الآية؛ كما قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في خطبته: إنكم تقرأون هذه الآية **﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾** وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

والفريق الثاني: من يريد أن يأمر وينهى، إما بلسانه، وإما بيده مطلقاً؛ من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا يدان لك به، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام فإنّ من ورائك أياماً الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن كأجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»[11].

أما من جهة النوع: فيؤمر بالمعروف مطلقاً وينهى عن المنكر مطلقاً. وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها ويذم مذمومها؛ بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه، او فوات أرجح منه.

فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله وهو معتد في حدوده، كما انتصب كثير من أهل البدع والأهواء؛ كالخوارج والمعتزلة والرافضة؛ وغيرهم ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد على ذلك، وكان فساده أعظم من صلاحه؛ ولهذا

أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة؛ ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة، وقال: «أدوا إليهم حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم».

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة؛ لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة.

وأما أهل الأهواء. كالمعتزلة. فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم، ويجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة: «التوحيد» الذي هو سلب الصفات؛ و«العدل» الذي هو التكذيب بالقدر؛ و«المنزلة بين المنزلتين»، و«انفاذ الوعيد» و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» الذي منه قتال الأئمة.

والكلام على قتال الأئمة داخل في «القاعدة العامة»: فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات أو تزاحمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها؛ فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به؛ بل يكون محرّماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته؛ لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقلّ أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام.

وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما؛ بل إما أن يفعلوهما جميعاً؛ أو يتركوهما جميعاً: لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر؛ بل ينظر فإن كان المعروف أكثر أمر به؛ وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه؛ بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال الحسنات، وإن كان المنكر أغلب نهي عنه؛ وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف؛ ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر، وسعياً في معصية الله ورسوله. وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما.

فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي، حيث كان المعروف والمنكر متلازمين؛ وذلك في الأمور المعينة الواقعة.

وأما من جهة النوع؛ فيؤمر بالمعروف مطلقاً وينهى عن المنكر مطلقاً. وفي الفاعل

الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها ويذم مذمومها؛ بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه، أو فوات أرجح منه.

وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية؛ وإذا تركها كان عاصياً، فترك الأمر الواجب معصية؛ وفعل ما نهي عنه من الأمر معصية. وهذا باب واسع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن هذا الباب. إقرار النبي ﷺ لعبدالله بن أبي وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه، ولهذا لما خاطب الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به واعتذر منه، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه: حمي له سعد بن عبادة مع حسن إيمانه.

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر وإرادته، وكراهته لهذا: موافقة لحب الله وبغضه، وإرادته وكراهته الشرعيين. وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته؛ فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد قال: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾** فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته، فينبغي أن تكون كاملة جازمة، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان.

وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته: فإنه يعطي ثواب الفاعل الكامل، فإن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها(١٢).

قال ابن القيم:

«إن النبي ﷺ شرع لأمته لإيجاب إنكار المنكر ليخص بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله؛ فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر.

وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «لا، ما

أقاموا الصلاة» وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعته».

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه؛ فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار الإسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك ـ مع قدرته عليه ـ خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك؛ لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء.

فإنكار المنكر أربع درجات، الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة[١٣]. ذكر ذلك ابن القيم في معرض سرده أمثلة لسدّ الذرائع.

والله ــ تعالى ــ وحده الهادي إلى سواء السبيل.

* الحواشي:

(١) لعله يقصد التفريق بين من يفعل المنكر وبين فعله المنكر.

(٢) كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال (ص٢٣ ـ ٣٣) طبع المكتب الإسلامي تحقيق مشهور حسن محمود سلمان وهشام بن إسماعيل السقا.

(٣) «شرح السنة» للبربهاري (ص٥٠).

(٤) انظر «شرح صحيح مسلم» للنووي (١ / ٣٤٢) بهامش «إرشاد الساري».

(٥) هو من نصبته الدولة الإسلامية لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٦) هو الذي يقوم بذلك من تلقاء نفسه ولم تعيّنه دولة لذلك.

(٧) كتاب «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» للماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ) (ص ٣١٥) مكتبة دار ابن قتيبة. الكويت تحقيق أحمد مبارك البغدادي.

(٨) «صحيح مسلم» بشرح النووي (١ / ٤٣٦ ــ ٤٣٧).

(٩) «صحيح مسلم» بشرح النووي (١ ٤٣٩).

(١٠) أخرجه مسلم.

(١١)... وزاد غيره قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال أجر خمسين منكم. انظر «سنن أبي داوود» (رقم ٤٣٤١) والترمذي (رقم ٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤).

(١٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ١٢٦ ــ ١٣١).

(١٣) «إعلام الموقعين» (٣ / ٤).

* * *

بقلم الشيخ: علي بن حسن الحلبي الأثري

أسماء المؤلفات والتحقيقات المطبوعة والمخطوطة

العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني / رحمه الله

١٠٨ ـ «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الأمة» ـ تأليف، خمسة مجلّدات، والسادس تحت الطبع، ويوجد مخطوطاً إلى المجلد الرابع عشر).

١٠٩ ـ «شرح «العقيدة الطحاوية»» / لابن أبي العز الحنفي ـ تخريج.

١١٠ ـ «الشهاب الثاقب في ذمّ الخليل والصّاحب» / للسيوطي ـ تخريج.

١١١ ـ «صحيح ابن خزيمة» ـ تخريج ومراجعة أربعة مجلّدات).

١١٢ ـ «صحيح الأدب المفرد» / للبخاري ـ تأليف.

١١٣ ـ «صحيح الإسراء والمعراج» ـ تأليف. خ/رقم: ٤٢).

١١٤ ـ «صحيح» «الترغيب والترهيب»» ثلاثة مجلّدات، وهو تحت الطبع كاملاً) ـ تأليف.

١١٥ ـ «صحيح «الجامع الصغير» و«زيادته»» (ثلاثة مجلّدات) ـ تأليف.

١١٦ ـ «صحيح «سنن ابن ماجه»» ـ تأليف (مجلدّان).

١١٧ ـ «صحيح «سنن أبي داود» (مع التخريج)» ـ تأليف. (ج).

١١٨ ـ «صحيح «سنن أبي داود»» ـ تأليف ثلاثة مجلّدات).

١١٩ ـ «صحيح «سنن الترمذي»» ـ تأليف ثلاثة مجلّدات).

١٢٠ ـ «صحيح «سنن النسائي»» ـ تأليف (ثلاثة مجلّدات).

١٢١ ـ «صحيح السيرة النبوية ـ تأليف (لم يتم). (خ/رقم: ١).

١٢٢ ـ «صحيح «كشف الأستار عن زوائد البزّار»» / للهيثمي ـ (خ).

١٢٣ ـ «صحيح «الكلم الطيب»» . تأليف.

١٢٤ ـ «صحيح «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان»» ـ تأليف (مجلّدان . تحت الطبع).

١٢٥ ـ «الصراط المستقيم فيما قرره الثقات الأثبات في ليلة النصف من شعبان» / لعلماء الأزهر ـ تخريج.

١٢٦ ـ «صفة صلاة النبي ﷺ» الأصل) أو (التخريج) ـ تأليف. (خ).

١٢٧ ـ «صفة صلاة النبي ﷺ» ـ تأليف.

١٢٨ . «صفة الفتوى والمفتي والمستفتي» ـ

لابن حمدان ـــ تخريج وتعليق.

١٢٩ ـ «صلاة الاستسقاء» ـــ (خ ـــ رقم: ١٣).

١٣٠ ـــ «صلاة التراويح» ـــ تأليف.

١٣١ ـــ «صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السُّنة» ـــ تأليف.

١٣٢ ـ «صلاة الكسوف، وما رأى صلى الله عليه وسلم فيها من الآيات» ـ (خ / رقم: ٩٢).

١٣٣ ـ «صوت الطبيعة يُنادي بعظمة الله» / لعبد الفتّاح الإمام ـــ تخريج.

١٣٤ ـ «صوت العرب يسأل وناصر الدين يجيب» ـــ مقابلة.

١٣٥ ـــ «صوت صيد الخـاطر» / لابن الجوزي ـ تخريج؛ وكان من الذاكرة ـ كما وَرَدَ في مقدّمته[1].

١٣٦ ـــ «ضعيـف «الأدب المفـرد»» / للبخاري ـــ تأليف.

١٣٧ ـــ ««ضعيف» «الترغيب والترهيب»» (مجلّدان ـــ تحت الطبع كاملاً) ـــ تأليف.

١٣٨ ـــ «ضعيـف «الجـامع الصغـير» و«زيادته»» ـــ تأليف (ثلاثة مجلّدات).

١٣٩ ـ «ضعيف «سنن ابن ماجه»» ـ تأليف.

١٤٠ ـــ «ضعيف «سـنن أبي داود»» (مع التخريج) ـــ تأليف. (خ).

١٤١ ـ «ضعيف «سنن أبي داود»» ـ تأليف.

١٤٢ ـ «ضعيف «سنن الترمذي»» ـ تأليف.

١٤٣ ـ «ضعيف «كشف الأستار عن زوائد البزّار»» / للهيثمي ـــ (خ).

١٤٥ ـــ «ضعيف «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان»» ـــ تأليف (تحت الطبع).

١٤٦ ـ «ظلال الجنّة في تخريج «السنة»» / لابن أبي عاصم ـــ تأليف.

١٤٧ ـ «العقيدة الطحاوية»؛ شرح وتعليق ـــ تأليف.

١٤٨ ـــ «العِلْم» / لأبي خيثمـة ـــ تحقيق وتعليق وتخريج.

١٤٩ ـ «عودة إلى السّنة»[2] ـ تأليف. (خ / رقم: ٥ ـ ١).

١٥٠ ـــ «غايـة الآمـال بتضعيف حديث عرض الأعمـال، والرد على الغُمـاري بصحيح المقال» ـــ تأليف. (خ).

١٥١ ـــ «غايـة المرام في تخريج أحاديث «الحلال والحرام»» / للقرضاوي ـــ تأليف.

١٥٢ ـــ «فتنــة التكفـير» فتـوى (وهـي مُضَمَّنَةٌ) في كتاب «التحذير من فتنة التكفير» لـ (علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد).

١٥٣ ـــ «فتوى حكم تتبُّع آثار الأنبيـاء والصالحين» ـــ تأليف (مطبوعة ضمن كتاب «جزيرة فَيْلكـا، وخرافـة أثـر الخضر فيهـا» للحُصَيِّن).

١٥٤ ـــ «فَضْـل الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم» / لإسماعيل بن إسحاق القاضي ـ تحقيق وتخريج.

١٥٥ ـــ «فقْـه السـيرة» / للغزالي[3] ـــ تخريج.

١٥٦ ـــ «فهرس أحاديث كتاب «التاريخ الكبير»» / للبخاريّ ـــ إعداد. (خ)[4].

١٥٧ ـــ «فهـرس أحـاديث كتـاب

«الشريعة»» / للآجري ـــ إعداد. (خ).

١٥٨ ـــ «فهرس أسماء الصحابة الذين أسندوا الأحاديث في «معجم الطبراني الأوسط»» ـــ إعداد. (خ).

١٥٩ ـــ «الفهرس الشامل لأحاديث وآثار كتاب «الكامل»»/ لابن عدي ـ إعداد ـــ (خ).

١٦٠ ـ «فهرس الصحابة الرواة في «مسند الإمام أحمد بن حنبل»» ـــ إعداد.

١٦١ ـــ «فهرس كتاب «الكواكب الدراري» لابن عُروة الحنبليّ، وأسماء الكُتُبُ المودعة فيه» ـــ إعداد. (خ).

١٦٢ ـــ «فهرس المخطوطات الحديثية في مكتبة الأوقاف الحلبية» ـــ إعداد ـــ (خ).

١٦٣ ـــ «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية؛ المنتخب من مخطوطات الحديث» ـــ إعداد.

١٦٤ ـ «الفهرس المنتخب من مكتبة خزانة ابن يوسف ـــ مراكش» ـــ إعداد ـــ (خ)

١٦٥ ـــ «القائد إلى تصحيح العقائد» / للمعلّمي ـــ تعليق.

١٦٦ ـ «قاموس البدع» ـ تأليف. (خ / رقم: ٦٥).

١٦٧ ـ «قاموس الصناعات الشامية» / لمحمد سعيد القاسمي ـــ تخريج / مشاركة.

١٦٨ ـ «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى ـــ عليه السلام ـــ، وقتله إياه في آخر الزمان» ـ تأليف. (خ).

١٦٩ ـــ «قيام رمضان» ـــ، تأليف.

١٧٠ ـــ «كشف النقاب عما في «كلمات» أبي غُدة من الأباطيل والافتراءات» ـ تأليف.

١٧١ ـ «الكلم الطيب» / لابن تيمية ـ تحقيق وتخريج.

١٧٢ ـ «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» / لابن رجب ـــ تخريج.

١٧٣ ـــ «كيف يجب أن نُفسر القرآن؟» ـــ تأليف. (خ / رقم: ٦٠).

١٧٤ ـــ «اللحية في نظر الدين» ـــ تأليف.

١٧٥ ـ «لفتة الكبد في تربية الولد»/لابن الجوزي ـــ تحقيق وتخريج/مشاركة.

١٧٦ ـ «ما دلّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان» / للألوسي ـ تخريج.

١٧٧ ـــ «مجموع فتاوى الشيخ الألباني»[٥] ـ تحت الطبع منها مجلدان، ويقدر أن تقع في نحو ثلاثين مجلدا ـــ تقريباً.

١٧٨ ـــ «المحو والإثبات الذي يدعى به في ليلة النصف من شعبان[٦]» ـــ تأليف. (خ / رقم: ٣٩).

١٧٩ ـــ «مختصر «تحفة المودود»» / لابن القيم ـــ اختصار وتخريج. (خ).

١٨٠ ـــ «مختصر تعليق الشيخ محمد كنعان»[٧] ـــ (خ).

١٨١ ـــ «مختصر «التوسل»» ـ تأليف. (خ / رقم: ٢٣).

١٨٢ ـــ «مختصر «شرح العقيدة الطحاوية»»[٨] ـــ (خ).

١٨٣ ـــ «مختصر «الشمائل المحمدية»» / للترمذي ـــ اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.

١٨٤ ـ «مختصر «صحيح البخاري»» ـ تأليف

. أربعة مجلدات؛ طبع الأول والثاني، والباقي ــ اثنان ــ تحت الطبع.

١٨٥ ــ «مختصر «صحيح مسلم»» ـ تأليف مفقود).

١٨٦ ــ «مختصر «صحيح مسلم»» / للمنذري ــ تحقيق وتعليق.

١٨٧ ـ «مختصر «العلو للعلي العظيم[٩]»» للذهبي ــ اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.

١٨٨ ـ «مذكرات الرحلة إلى مصر» ـ تأليف. (خ).

١٨٩ ـ «مسائل أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة» ــ تحقيق وتعليق. (خ / رقم: ٢٥).

١٩١ ــ «مسائل غلام الخلال التي خالف فيها الخرقي» ــ تعليق.

١٩٢ ــ «مساجلة علمية بين العز بن عبدالسلام وابن الصلاح» . تحقيق وتعليق.

١٩٣ ـ «مساوىء الأخلاق» / للخرائطي ــ تحقيق وتخريج ــ (خ).

١٩٤ ــ «المستدرك على «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث»» ــ تأليف ــ (خ).

١٩٥ ــ «المسح على الجوربين» / للقاسمي ــ تحقيق وتخريج.

١٩٦ ــ «مشكاة المصابيح» / للتبريزي ــ تحقيق (ثلاثة مجلدات).

١٩٧ ــ «المصطلحات الأربعة» / للمودودي ــ تخريج.

١٩٨ ــ «مع الأستاذ الطنطاوي» ـ تأليف ــ (خ)[١٠].

١٩٩ ــ «معالم التنزيل» / للبغوي ــ تخريج ــ (خ).

٢٠٠ ــ «معجم الحديث النبوي» ــ تأليف أربعون مجلدا)[١١]. (خ).

٢٠١ ــ «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» / للحافظ العراقي ــ تعليق وتخريج. خ).

٢٠٢ ــ «مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف» ــ تأليف.

٢٠٣ ــ «المناظرات والردود[١٢]» ـ تأليف. (خ / رقم: ١٨).

٢٠٤ ـ «المناظرة بين الشيخ الألباني والشيخ الزمزمي» / نسخها: عبدالصمد البقالي[١٣] ــ (خ).

٢٠٥ ــ «مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع القاديانية» ــ تأليف. (خ).

٢٠٦ ـ «مناقب الشام وأهله» / لابن تيمية ــ تخريج.

٢٠٧ ــ «منتخبات من فهرس المكتبة البريطانية» ــ إعداد ــ (خ).

٢٠٨ . «منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن» ــ تأليف.

٢٠٩ ــ «موارد السيوطي في «الجامع الصغير»» ــ تأليف ــ (خ).

٢١٠ ــ «نزهة النظر في توضيح «نخبة الفكر»» / لابن حجر ـ تعليق وتحقيق (لم يتمّ)، وهو مطبوعٌ ضمنَ كتاب «النكت على «نزهة النظر»» لـ (علي بن حسن بن عبدالحميد). خ).

٢١١ ــ «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» ــ تأليف.

٢١٢ ـ «النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبدالمنان لكتب الأئمة الرجيحة، ومن تضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة» ـ تأليف ــ (تحت الطبع).

٢١٣ ــ «نقد «التاج الجامع للأصول»» / لمنصور علي ناصف ـ تعليق وتخريج. (خ / رقم: ٢٠).

٢١٤ ـ «نقد «نصوص حديثية في الثقافة الإسلامية»» ــ تأليف.

٢١٥ ـ «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام» ــ تأليف.

٢١٦ ــ «وصف الرحلة الأولى إلى الحجاز والرياض مرشداً للجيش السعودي» ــ تأليف ــ (خ/رقم: ٧).

٢١٧ ــ «وضع الأصار في «ترتيب أحاديث» «مشكل الآثار»» ــ إعداد. (خ).

٢١٨ ــ «هداية الرواة إلى تخريج أحاديث «المصابيح» و«المشكاة» / لابن حجر ـ تخريج. تحت الطبع).

هذا آخر ما وفقني الله لمعرفته، أو الوقوف عليه؛ سائلاً الله ــ عز شأنه ـ المزيد من فضله.

* * *

* الحواشي

(١) وقد رأيت في خزانة شيخنا ــ الخاصّة ــ استدراكات وزيادات ــ بخطّه ــ على هذا التخريج ــ برقم (٥٢) ــ؛ فعسى أن يُهَيِّىء اللهُ إعدادَها، وإعادة طبعها مع الكتاب بصورة جيّدة.

(٢) وقد طُبع منه بعض مقالات في مجلّة (المسلمون) الدمشقية، قبل نحو أربعين سنةً.... انظر: «مع الأستاذ الطنطاوي» ــ الآتي ــ.

(٣) وقد حذف ــ رحمه الله وغفر له ــ مقدّمة شيخنا ــ الموجودة في الطبعة الرابعة ــ من الطبعات التالية لها؛ فحرم قرّاءه من مادّة علميّة قويّة؛ فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

(٤) وللشيخ ــ حفظه الله ــ من مثل هذه الفهارس كثيرٌ سواءً لكتب الحديث، أم كتب الرجال ــ صنعها قديماً ليسهّل على نفسه البحث والمراجعة ــ ولم أستطع استقصاءها.

(٥) وأمّا كتاب «فتاوى الشيخ الألباني، ومقارنتها (!) بفتاوى العلماء» لابن عبدالمنان الآخر!)، وكتاب «الحاوي في فتاوى الشيخ الألباني» للمصري أبي همّام (!): فعليهما السلام!! وقد أنكرهما شيخنا شديداً.

(٦) ولها اسمٌ آخرُ، هو: «فتح الودود في الودّ على من زعم ثبوت لفظه: «أم الكتاب» في حديث مسعود»، وهي (خ/ رقم: ٦٦).

(٧) ذكره الأخ الشيباني (ص ٧٧)، ولم يتبيّن لي! ولم أعرفه!!

(٨) ذكره الأخُ الشيباني (ص٧٧)، ولا أعلمه! ولا أظنه إلا وهماً!

(٩) وهو مطبوعٌ باسم: «... للعلّي الغفار»؛ وهو خطأ من الطابع!

(١٠) ينظر: هل هو: «عودة إلى السنّة»؟!

(١١) ولتأليف هذا الكتاب قصةٌ عُرفت باسم الورقة الضائعة!) تُراجع في مقدمة شيخنا على كتابه «المنتخب من مخطوطات الحديث في المكتبة الظاهرية» (ص٤ ــ ٩).

(١٢) مثل مناظراته مع المهدي ــ المزعزم ــ، وجميل لويس النّصراني، .... وغيرهما.

(١٣) وأمّا «المناظرة» المطبوعة بتحقيق (!) السقّاف (السخاف السقّاف): فإنها محرفة ومنقوصة!!!

* * *

بقلم الشيخ الأستاذ: محمد إبراهيم شقره

غربتــان في غـربـة !

ليس من شــيء أضر على الأمــة في عقيدتها ودينها، من أن ينتابها فيهما ما لم يكن يخطر ببـال القرون المفضلـة الأولى أن يكون فيهـا مـن حوادث، فقد برئـت منهـا قلوبها، وطهرت منها أرضها، وتناءت عنها أسـبابها، وما هو إلا أن أدبرت تلك القرون، وألقت قرونٌ من بعدها أثقالها، وحيل بينها وبين تلك القرون، حتى تسـارعت الحوادث إليهـا، كأنما كـانت موثوقـة بعُقُل محكمـة الفتل، فـأفلتت منهـا، وانطلقت إلى أطراف الإسـلام تنهشـها نهش الضواري السـاغبة، وابتلقت ما نهشـه، لكنها ما استطاعت أن تمضغها ولا أن تهضمها، فبقيت على حالها، تنتظر من يخرجها، ليعيدها مرة أخرى إلى مواضعها، وإن كان كثير من النـاس سوف ينكرونها، لأنهم ـ لطول العهد بها ـ قد نسـوها، أو لأن جلهم قد ولدوا وهي في سبوت غيبتها، فلم يدروها ولا علموها.

ولما أن انتقصت حوادث القرون الخالفـة شـرائع الإسـلام، وسـننه، وعقيدتـه، وعدت عليـه بالزيـادات الآفكـة المريبـة، أضحى الإسـلام غريبـاً في أهلـه، وصـار الراجون صلاحـاً لأنفسـهم ولغيرهم ـ بما أوتوا من علم ـ إلى حال من الغربـة ـ ربما كانت أشـد من غربـة الإسـلام نفسـه ـ إذ غربـة الإسـلام غربـة معنويـة، تذهب عنـه باقبال النّاس عليه ـ أما غربة أهله فهي غربة مدهوقة بالآلام النفسية المعنوية والحسية ـ فقد أطلق النـاس أهـواء قلوبهـم، وجهـالات عقولهم. وسـموم أدوائهم من عقلها وأسنتها، ووقفوا مـن ورائهـا، يذبون عنهـا بسـهام مشـدودة إلى أوتار الحقد الأعجمي الموروث، وعن أيمانها وعن شمائلها، يدفعون في صدور المصلحين الراجين، بالسـيوف الباغيـة بأشـاج الجاهليـة العتيقـة، وأوضـار الحضـارة الحديثـة، تشـاكلت فتماشـجت، وتماثلت فتداخلت، فصـار الراجـون المصلحـون لا يجـدون على حقهـم أنصـاراً، ولا علـى بـاطل النـاس لتخليصهم منه أعواناً.

ولما أن وجدت هذه الحوادث أنصاراً لها

وأعواناً تمعرت وجوهها، وتسعرت أجوافها، وتمارت بالباطل الصارف عن الهدى تهاوكها، وامتلأت بها بطون الكتب، وانتفجت منها دور الطباعة والنشر، وتهادت بكبرياء الغرور في أردية الظلام، ومسخت منها عقول وأقلام وأناسي، وهجمت في شراسة فاتكة على العقيدة تمزقها وتبعثر أصولها، وتبدد أجزاها، وتفرق أقسامها، وتشوه وجهها، وتأتي على آثارها.

وهمت بالفروع والأحكام، تطاردها أينما حلت، وتنتقص منها وتزيد عليها كما تسول لها الأهواء، وتزين للناس ما قبح الشرع، وتقبح لهم ما زين الشرع وتدفع بالنصوص العامة من بين يديها كأنما تدلل بها على صوابها، وتأخذ منها أخذاً عشوائياً، غير واضعة في حسبانها إلا أن تسوق الناس في شعاب الفرقة، وتقعدهم مقاعد الاختلاف، وتباعد بينهم وبين ما كتبت به السعادة للقرون التي أفضلها الله عليها بعافية الإيمان وصالح العمل.

وأعان على هذا الذي صنعته الحوادث في الأمة أن وجدت في بعض من منتسبة العلم مكاناً آمناً، ومستقراً حسناً، أوسعوا هم لأنفسهم في صدور العامة بحسن الهندام، وذلاقة اللسان، وجعل الدين كلّه ـ وبخاصة عقائدة الصَّحيحة، وأصوله الثابتة ـ أمانيَّ سهلة رخيصة، وأنَّ من يأخذها عزائم لاتبديل فيها ولا تغيير، وإنما يشق على الناس، ويجعل عليهم حرجاً في دينهم، فنالوا في العامة من الحظوة ما أمَّلوا وزيادة، وصاروا على مدرجة الضميّة الناهبة، التي كانت في الأمم السابقة، عبثاً، وسخرية، وابتذالاً، لا يريدون من وراء ذلك إلا تحصيل ما في أيديهم، ونهب ما عندهم، والهيمنة على عقولهم وأرواحهم، هيمنة انتفت بها عنهم إراداتهم، وصاروا إلى حال من الاضمحلال والهوان لا يعرف إلا عند العجماوات المدجَّنة.

ولقد علمت الجِنَّة والناس أجمعون: أن إصابة الحق شيء عزيز المنال على سواد الأمة، وإن كانت طوائف قليلة في الأمة أصابت منه ما أصاب أهل قرون الخير الأولى، ونسجوا على منوالهم، وكانوا من الحق الذي كانوا عليه وهم على سواء، سواء أكان في أصوله أم في فروعه، ومن نعمة الله على هذه الأمة أن أنزل عليها ديناً ارتضاه، لا يختلف في أصوله ولا في فروعه على الدهر، فظلت به على سواء الأمر، وقصد السبيل.

وأصابت هذه الطوائف عزة في الأرض ومنعة، ورأت لها من وراء الإيام والسنين الآتيات مكاناً علياً، فهرعت إليه بزاد العلم والتقوى، وتضلعت من سائغ شرابه، وملأت

صدورها من طيب رحيق ثمره.

ورأت هذه الطوائف ــ بما وهبهابه الله سبحانه من زاد العلم والتقوى ــ في البدع الحادثات، خطراً أعظم من خطر الجيوش الغازية، وشراً أفظع من شرِّ الأوبئة الفاشية، وفتكاً أخوف من فتك السيول العاتية، فكانوا النُزَّاع منها بحق إلى الهدى، المبرمين عهداً مع الله أن ينأوا وينهوا عنه، الداعين إلى هدي الكتاب والسُّنَّة على بصيرة، لا يحفزهم إليها رغب، ولا يقعدهم عنها رهبٌ.

ولما أن أجلبت الأهواء بسوئها على أرض الإسلام، وآوت معها في عقول المسلمين وقلوبهم سوءات الجهل، وأرضختها لمحدثات الأمور، لم يعد الحق هو الحق فيهم، بل صار الحق ما يراه الواحد منهم بما حيز له بالسبق إلى هذه المحدثات والسوءات، فغابت الحقيقة عنهم كما غاب الحق فيهم، وتجرعتْ كؤوس العداوة حتى الثمالة، وتنوزع الباطل على أنه حق، وتخولف على الحق على أنه باطل، وانتهى كلاهما فيهم إلى باب من صخر زاد من ثقله الأغلالُ التي كانت على الأمم التي من قبلهم، وتناءت عنهم ذكريات القرون السالفات، وضمرُت في جنباتهم كسافُ البختِ النجيبات، وانشمرت عنهم كرائم الأخلاق الرضيات، ولم يجدوا من أنفسهم مفزعاً ـ على رغائب مضمحلة ـ إلا إليها، فما أصابوا فيها إلا ما يزيدها نأيا وضموراً، وأشكرت ضروع البغضاء في أرضهم، وجرى كَلَبُ اللعنة بين ظهرانيهم، وأنسدلت سجفُ العداوة على صدورهم وأضحوا إلى حال، الآملُ فيها على شفا جرف هارٍ من اليأس، والراجي فيها لا يبصر شرف المكان العالي، والتطيرُ ظلة مثقلة بسواد القنوط، تنهلُّ منها دموع الشقاء أما التَّفاؤلُ فكانما صار من ثواب الله المأمول يوم البعث.

بيد أن الذين نفروا من البدع والحوادث نفار السليم من المجذوم، وأسلموا أنفسهم لله سبحانه في صدق إخبات لكتابه، وحسن اتباع لنبيه عليه السلام، ورأوا في أنفسهم عزيمة لا تُفلُّ إلا بالحق الموثوق بعروة العرش المكين ــ علموا إن الله سبحانه معهم، ناصرهم بالحق، ومظاهرهم بصدق الأخبات لكتابه، ومظهرهم على الباطل وأهله بحسن اتباع نبيه، فما وهنوا لما أصابهم، ولا ضعفوا بما نالهم، ولا استكانوا بما حلّ في دراهم. ولكأنما رأوا أن الله قد أنزل فيهم ــ لو كان نبي ــ قرآناً غضاً: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) و(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)، فكانوا على عهد مع الله أن يكونوا حيث أراد، وكما أراد، وأنى أراد، في سربال العبودية الطائعة التي مقتضاها حق الألوهية.

العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني

مســـــائل وأجوبتهـــــا

* السؤال / قد عشتم في هذا البلد سنين عديدة، وأينعت دعوتكم: دعوة الكتاب والسنة؛ الدعوة السلفية، وآتت ثمارها الطيبة، فبماذا تعهدون إلى طلاب العلم في هذا البلد وفي سائر بلدان العالم الإسلامي؟

* الشيخ / إن البحث فيه كلمتان مختصرتان: أوصي إخواننا في بلاد الدنيا كلها بكلمتين اثنتين: بالعلم النافع، والعمل الصالح.

والعلم النافع: قال الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ كما قال ابن قيم الجوزية (رحمه الله):

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة
بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها
حذراً من التعطيل والتشبيه

هذا هو العلم ـ قال الله قال رسول الله ـ لكنكم تلاحظون هنا أن ابن القيم (رحمه الله) زاد ذكر الصحابة؛ لفائدة لا يتنبه لها كثير ممن ينتمي إلى السنة ـــ فضلاً عن غيرهم ـــ وهذه هي دعوتنا القائمة على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح.

إذن هناك ثلاثة أشياء: القرآن، والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، وهم الصحابة، لأن أول ما يتبادر إلى ذهن المسلم أن السلف الصالح على رأسهم أصحاب النبي ﷺ.

من أين جاء هذا الأمر الثالث في كلام ابن القيم وهو إمام من ائمتنا في الدعوة؟

من قوله تبارك وتعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾ والبحث في هذا طويل، ولنا حول ذلك مطبوعات ومنشورات في بعض الأشرطة، الذي أريد أن أقوله: أوصي إخواننا في كل بلاد الدنيا بالعلم النافع (وهو علم الكتاب والسنة)، وعلى ما

هو عليه سلف الأمة، ثم بالعمل الصالح؛ لأنه كما يقول بعض كبار العلماء: العالم الذي لا يعمل بعلمه كالعابد الذي يتعبد بجهله؛ ولذلك قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ عرفنا أن العلم النافع هو الكتاب والسنة وعلى نهج سلف الأمة، فما هو العمل الصالح؟

له شرطان اثنان.

الشرط الأول: أن يكون خالصاً لوجه الله ـ عز وجل ـ لا يريد من ذلك جزاءً ولا شكوراً، يعمل عملاً صالحاً لوجه الله ـ تبارك وتعالى ـ وهذا لا يكفي، بل لا بد أن يكون هذا العمل الصالح الذي أخلص فيه صاحبه أن يكون على سنة رسول الله؛ فإذا ما خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه ،لذلك قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك**﴾؛ أي: ليخلص بالعمل الصالح لله ـ عز وجل ـ بهذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

* سؤال / في كتب التخريج يقولون: منقطع وانقطاعه يسير، أو انقطاعه ضعيف، أو نحو هذه العبارات.

فما معنى الانقطاع اليسير؟

* الشيخ / هو أن يكون هناك خلاف بين العلماء بين الراوي وشيخه؛ فبعضهم يقول: سمع منه، وبعضهم يقول: لم يسمع منه.

ويكون الراجح عند من يقول مثل هذا القول هو أنه سمع منه، ولكن لا يهدر قول من قال: إنه لم يسمع، لكن يحطُّ من قيمته ومن شأنه.

أقول: لعلّ هذا هو المراد، والله أعلم.

* سؤال / بعض الشباب لا يفرقون بين عقيدة السلف ومنهج السلف؛ فتراه عندما يكون على عقيدة السلف يجيز لنفسه العمل مع هذه المناهج المنتشرة اليوم، وإن كان يوجد فيها ما يخالف منهج السلف عملياً، فهل هناك تلازم بين عقيدة السلف والمنهج في الواقع العملي لمنهج السلف؟

* الشيخ / أنا الذي اعتقده وأدين الله به: أن هناك عموماً وخصوصاً بين منهج السلف والعقيدة؛ فالعقيدة أخص من المنهج كما تعلمون جميعاً، العقيدة لها علاقة بما يسمى عند كثير من الفقهاء بعلم التوحيد وهذا هو أس الإسلام وأساسه، ولكن المنهج أوسع دائرة بكثير من العقيدة أو التوحيد، والذين يزعمون ما ذكر في السؤال من التعريق هم يريدون بذلك أن يجيزوا لأنفسهم أتخاذ وسائل في الدعوة إلى الإسلام، ولو لم يكن عليها السلف الصالح.

بمعنى آخر: أنهم يرون أن لهم أن يتوسعوا ما شاء لهم التوسع في ابتكار الوسائل التي بظنهم يُبلِغون الإسلام بها، وتعرفون نماذج وأمثلة لهذا النوع، أو لهذه الوسائل.

مثلاً: بعضهم يرى من الوسائل المشروعة في سبيل الدعوة ونصرة الإسلام الدخول في البرلمان ـ هذه وسيلة عند بعضهم ـ وقد يستدل على ذلك بما قد يروى في بعض كتب السيرة.

من الوسائل: المظاهرات ولفت أنظار الحكام إلى ما يشكو منه الشعب مثلاً ونحو ذلك، فنحن نقول ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الغايات والوسائل تكفي الأمة، ولكن السبب الذي يحمل بعض الناس الذين يجيزون لأنفسهم ابتكار وسائل، بل الصوابِ أن أقول: يجيزون لأنفسهم أن يقلّدوا الكفار في الوسائل التي هم يتخذونها لتحقيق ما يسمى إما بالديمقراطية ـ زعموا ـ أو بالعدالة الاجتماعية، أو نحو ذلك من الألفاظ التي لا حقيقة لها. فهم ـ أعني بعض هؤلاء المسلمين ـ يجيزون لأنفسهم أن يقلدوا الكفار في هذه الوسائل.

نحن نقول: ربنا ـ عز وجل ـ أغنانا بشريعتنا على التفصيل الذي سبق بيانه آنفاً أن نكون عالةً على الكفار، وأن نتلقف منهم الوسائل التي قد تصلح لهم؛ لأنه لا شريعة لهم يهتدون بها. فنحن إذا ما سلكنا سبيلهم فنكون قد أعرضنا عن سبيل المؤمنين، واتبعنا سبيل الكافرين والمشركين؛ لذلك نقول: المنهج هو أوسع من العقيدة ومن التوحيد؛ فلا بد من التزام ما كان عليه السلف الصالح في الأمرين كليهما: الأمر الأوسع (المنهج) من باب أولى، والأمر الأضيق وهو (التوحيد) أي العقيدة.

ويعجبني ـ بهذه المناسبة ـ قول أحد الكتاب، وإن كان فيما عهدته لم يكن سلفياً، ولكن كان يخالط بعض السلفيين هناك في بلاد الشام يقول: «مثل المسلمين الذين يقلدون الكفار في وسائلهم كلها وسواء أكان منها سياسية أم اجتماعية أم تعليمية أم اقتصادية أم عسكرية، مثل هؤلاء المسلمين الذين يقلدون هؤلاء الكفار كمثل من يشتري ثوباً فضفاضاً أو ضيقاً، فُصّلِ على حجم معين من الأبدان إما ضخم أو نحيف بالمرة، فهو يريد أن يكسي نفسه بهذا الثوب ـ يا أخي ـ هذا لم يفصّل لبدنك هذا فُصّل لعملاق، أو لرجل صعلوك هزيل كالعود. هذا مثل من يقلد الكفار» ونعم المثل هو، والحقيقة أنه أصاب التشبيه تماماً.

* سؤال / من نصّب نفسه في مجال الدعوة والقدوة إماماً للناس، هل عليه أن يدع كثيراً من المباحات؛ لأنّ الناس ينظرون إلى أقواله وأفعاله ـــ يعني من باب تأليف القلوب ـــ، نرجو من فضيلتكم بيان ذلك؟

* الشيخ / هذا السؤال يصلح مثالاً كجواب للسؤال السابق، أولاً نقول: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، ماذا فعل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟ لقد بين للناس الأحكام كلها كما يقول الفقهاء: الأحكام الخمسة، ومن ضمنها المباح. ما كتم ذلك، بل نهى من أراد أن يتنزه أن يأتي ما فعله الرسول ـ عليه السلام ـ من المباح، وهو أن يقبل وهو صائم؛ فقال: ما بال أقوام يتنزهون. أو كما قال ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ.

ثم ننتقل إلى أصحابه الذين جاؤوا من بعده هل طبقوا الذي يقول به هذا الداعية ؟

الجواب كلا كلهم ساروا على منهج الرسول عليه الصلاة والسلام من البيان، لكن أنا أقول: إن البيان شيء، وأسلوب البيان شيء، إذا كان كما يقول هذا السائل. أن بعض الناس قد يستنكرون من الداعية أمراً مباحاً إذا فعله يستنكرونه منه فهو عليه أن يلاحظ، وعليه أن يبين، ويوضح للناس أن هذا الذي هو سيفعله، سيفعله لأمرين اثنين:

الأول: لأن الله أباحه، والآخر: بياناً لحكم الشرع في هذا الأمر. وهذا ليس معناه أفعلوا مثل ما فعلت أنا. وإنما هو أمر مباح من شاء فعل ومن شاء ترك، لكنه إذا لاحظ أن بعضهم يتنزه ويترفع عن أن يفعل هذا المباح، هنا يقتدي أيضاً بالرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وينكر عليه هذا ا الورع البارد وبهذا القدر كفاية. والحمد لله رب العالمين.

* * *

شرط الانتفاع بالعلم:

قال الإمام الذهبي ــ رحمه الله ــ: «وإنما شأن المحدث اليوم الاعتناءُ بالدواوين الستة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، وضبط مُتونها وأسانيدها، ثم لا ينتفع بذلك حتى يتقي ربه، ويدين بالحديث، فعلى علم الحديث وعلمائه ليَبْك من كان باكياً، فقد عاد الإسلام المحض غريباً كما بدأ، فليسع امرؤ في فكاك رقبته من النار، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله. ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نورٌ يقذفُه الله في القلب، وشرطه الاتباع والفرار من الهوى والابتداع، وفقنا الله وإياكم لطاعته».

سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٢٣).

إنهــا الربانيــة
تصفيــة وتربيــة

الدعوة الســلفية المباركــة وهي تعيش انطلاقتهـا في الأرض التي بـارك اللـه فيهـا وحولهـا، بكـل مقومـات قوتهـا، وعنـاصر وجودهـا، حسـبها اللـه الذي أيدها بنصره وبدعاتها: أشياخها وأعلامها الذين لم يروها عرضـاً زائلاً، ولا رأوهـا سـفراً قـاصداً، ولا أرادوها مالاً ممدوداً، أو أتباعاً شهوداً، أو عطاء مجـذوداً، أو ذكـراً محمـوداً... ولذلـك ليس يضرهـا ويضرهـم من خالفهـا وخـالفهم، ممن ناصبهـا ونـاصبهم العداء أو كـان ظهـيراً للأعـداء مـن الخلوف الذيـن يقولـون مـا لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

ولا يوهنهـا ويوهنهم من خذلهـا وخذلهم ممن يظنـه النـاظر من بعد أنـه معهـا ومعهم، ولكنـه يعمـل فيهـا تشـويهاً وتمويهـاً، ويشـغل دعاتهـا تخذيـلاً وتثبيطـاً، ولو سـئل الفتنـة لآتاها وما تلبث بها إلا قليلاً؛ فهو يشـكك في منهجها الإصلاحي التربوي، الذي ينأى عن حماسة التظاهرات، وحمق الإضرابات، وجهالـة الثورات، وحقـد الإنقلابات، وسـفه الحزبيات، ومكر السياسـات، وإذا بـه يغرس الأمانة في جذر قلوب الرجال؛ فيعلمون من القرآن، ويعلمـون من السـنة، ويعلمـون من فهم سـلف الأمـة، وهو ما اصطلحوا عليـه بـ«التصفية والتربية».

فترى هذا القبيل الذي يظن أنه يَرى ولا يُرى يزعم أن «التصفيـة والتربيـة» نظريـة لم تعرف في السلف، وأن السلفيين جعلوا هذه النظرية ضدين متنافرين؛ فشطت التربية عن التصفيـة، ونـأت التصفيـة عن التربيـة، في تضـاد بشـع، وتنـافر قبيح، حتى قـال أشـياخ الدعوة: «نعلِّم ولا نربي».

وهذا القبيل تراه ينمق تشـكيكه بركـام من حشـو الكـلام وزخارف الأوهام ظنـاً منـه أن الصف السلفي يستطيع تفكيكه.

ولما كان في القوم سماعون؛ فإننا نمر على هذا اللغو والحشـو مرور الكرام ليتبين الكدر من الصفو:

ـــ إن التصفيـة والتربيـة ليسـت نظريـة خياليـة، أو فرضيـة احتماليـة، أو تجربـة ذاتيـة

تطبق على السلفيين كعينات مخبرية، بل هي حقيقة إيمانية؛ لقول الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ فلا تزكية إلا بتربية ولا تعليم إلا بتصفية لكن التخلية قبل التحلية...

ـ إن التصفية تربية والتربية تصفية؛ فالتعلم والتعليم تصفية وتربية، يدلك على ذلك:

* أن الله تعالى بين أن تربية الناس هي وظيفة العلماء العاملين، وهم الربانيون، وذلك بتعليمهم الناس كتاب ربهم وسنة نبيهم؛ كما قال تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾. فالتعلم والتعليم تربية للناس وتصفية، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه».

إذن فمهمة الربانيين هي التعلم والتعليم، والرباني: هو العالم العامل البصير بسياسة النفوس، الذي يربي على صغار العلم قبل كباره، ولذلك من أجّل شيئاً إلى أوانه، أو أرجأ عملاً لم يأتِ زمانه؛ فهو الذي فاق أقرانه، وجمع على الخير أعوانه، ومن لم يرضه ذلك فقد تصدى لهوانه، وبرز لحرمانه.

ولقد جعل الله العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء بعثوا ليربوا الناس على طاعة ربهم ورسولهم، ويهذبوا نفوس الناس من كيد الشيطان ووهم الإنسان.

وتبقى الدعوة هي السلفية، ويبقى دعاتها: أشياخها وأعلامها هم طائفة الغرباء بفرقتهم الناجية وطائفتهم المنصورة يَصْلُحون عند فساد النا[س]، ويصلحون ما أفسد الناس ولو كان من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ولا يستفزهم الذين لا يعلمون، ويدركون أنه لا مناص من التقدم للأخذ بقياد قوم أكثرهم نيام والباقي في أحلام، ويعلمون أنهم يعالجون أمراً لا يعين عليه إلا الله: قد فني فيه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي... ربنا لا تجعلنا فتنة للظالمين (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما [...] إلا الإصلاح ما استط[عت] [...] بالله عليه توكلت وإلي[ه] [...] يجرمنكم شقاقي أن يصيب[كم] [...] قوم نوح أو قوم هود أو قوم [...] منكم ببعيد. واستغفرو[ا] [...] إن ربي رحيم ودود).




عــدد خــاص وفــاء وثناء
للعالم الرباني
محمد ناصر الدين الألباني

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

السنة الرابعة - عدد (٢٣) ١٥ / شعبان / ١٤٢٠

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرة كل شهرين مؤقتاً

إخواننا القراء..

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بناء.

فـ(الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع إلى الحق

وفقنا الله وإياكم لكل خير

الاشتراكات:

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة:

- الأردن: دينار واحد.
- الإمارات المتحدة: ١٠ دراهم.
- البحرين: دينار واحد.
- السعودية: ١٠ ريالات.
- الكويت: ٨٠٠ فلس.
- أوروبا: ٤ دولارات.
- أمريكا: ٥ دولارات.

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤ / ٣ / ١٣٢٨)

عنوان المراسلة

▹ الأردن:
عمان - مخيم حطين
ص. ب (٩٨)
رمز بريدي (١٣٧٨١)

تطلب الأصالة من

▹ بريطانيا:

AMR BASHEER
P.O. Box: (7325)
WALTHAMTON
LONDON
E17 9T K
U.K
Phone No: (07957) 609052
(01582) 593969

▹ الولايات المتحدة:

AL_QURAN WAS-SUNNAH SO-
CIET (QSS)
19800 VAN DYKERD
Detroit MI 48234-3354
Tel: (313) 893-3768
Fax: (313) 893-3748

▹ كندا:

ASSOCIATION MUSULMANE
DEMONTREAL - EST.
3445. JEAN - TALON EST. ST-
LEONARD H29 1×1
Tel. 514-374-9572
Fax: 514-374-9660

▹ اليمن:

مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٢٦٣٩١٤ - ٦٢٠٢٢٧

▹ الإمارات:

مكتبة الفرقان - عجمان ص.ب (٢٠٢٨٨) هاتف وفاكس (٤٤٤٤٣٥)

● وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَ
سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ -وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَ
وَبَثَّ مِنْهُما رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَ
عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُو
مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

محتويات العدد

فاتحة القول

كلمة وفاء في أمين العلماء

◁ بقلم: أسرة التحرير

■■ الدعوةُ إلى الكتابِ والسنةِ بفهمِ سلفِ الأمّةِ، مطلب في مناط الثريا، ما أطبقَ العبقريُّ الفذُّ أجفانَه حتى رأى رايةَ هذا المطلب ترفرفُ على ديار الإسلام، ظاهرةً على سائرِ الدعواتِ؛ ولكن لكلِّ شيءٍ نهاية، ولكل إنسانٍ أجلٌ هو بالغه؛ فقبيل غروب يوم السبت لثمان ليالٍ بقيت في جمادى الآخرة سنة ألف وأربعمئة وعشرين من هجرة النبي ﷺ في عمان عاصمة جند الأردن من بلاد الشام انتقصتْ أرض الإسلام من أطرافها بخطبٍ فادحٍ ومصابٍ جللٍ... ذلكم هو فراق صاحب هذا المطلب شيخنا مجدد القرن ومحدث العصر العلامة السلفي البحّاثة محمد ناصر الدين بن نوح الألباني -رحمه الله تعالى رحمةً واسعة-.

ومن قبلُ، ابتُليتِ الأمةُ بفقد قرة عيون الموحدين، وبقية السلف الصالحين الإمام المجاهد العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى رحمةً واسعة-.

فهما علَمانِ كبيران، وإمامان جليلان، وقلبان صافيان، وكلمتان متّحدتان، ودعوتان ممتزجتان تدل على وحدة الدعوة السلفية في الحجاز وبلاد الشام؛ وكأنَّ الله -تعالى- ادّخر الخيرَ لمن هم أهله؛ فبفقدهما فقدتِ الأمّةُ خيراً كبيراً؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وحزننا كبير، وعزاؤنا عظيم في وداع شيخنا محدث العصر الذي جنّد حياته العلميّة والدعويّة في الذبِّ عن حمى التوحيد والسنة، قائماً على رأس هذا القرن قومة المجددين المصلحين بعد إذ نال الإمامة في الدين بالصبر واليقين؛ ولا أدل على ذلك مشروعه الكبير: «تقريب السنة بين يدي الأمة»؛ فصار علَماً دالاً على المنهج، فلا تذكر السلفيّة إلّا ويذكر معها

الألباني، ولا يذكر الألباني إلّا وتذكر معه السلفية، بل كان لوضوح منهجه ورسوخ علميته وثباته على الحق أثر عظيم في انتشار الدعوة السلفية في أرجاء المعمورة، وذلك كله من تمام نعمة الله -تعالى- عليه وعلى الربانيين كالإمام أحمد وشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم -رحمهم الله جميعاً-؛ فكانوا أعلاماً دالة على الحق، اقترنت أسماؤهم بمنهج السلف الصالح.

ولقد حان الوقت الذي ندرك فيه تأويل حديث النبي ﷺ في شيخنا: «إنّ الله -تعالى- يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة ، من يحدد لها دينها». فالمتأمل في المقروء والمسموع من حياة شيخنا العلميّة والدعوية يدرك: أنّ عِلْمَهُ قد ارتبط بالتحقيق والتأصيل، وأنّ دعوته ارتبطت بالبصيرة والحكمة، وأنّ سَيْرَهُ ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنهج والتجديد..، فالارتباط ظاهر لا انفكاك بينهما، وكتبه وآثاره وكلماته دالة على ذلك قاضية به.

وعلميّة شيخنا وشهرته التي عمّت الآفاق أغْنَت عن الرتب والألقاب؛ فهو الذي يُسأل عن الناس، ولا يُسأل الناس عن مثلِه، لهذا وجدنا أنفسنا ملزمين أن نذكر طلبة العلم والدعاة إلى منهج السلف بأمرين هامّين:

الأول: وجوب أن تُنزل أمة الكتاب والسنة نفسها في منزلتين عظيمتين من منازل العبودية: الصبر، والشكر؛ فالصبر على فقد العلماء..، والشكر على ما أجرى الله -تعالى- على أيديهم من نعمة بيان التوحيد وتجديد الدين، وتحقيق السنة وحفظها، فعلى الدعاة بعد وفاة العلماء ألّا يفارقوا الصبر والشكر بل أن يعملوا بلازمهما من العلم النافع والعمل الصالح، وأن يذكّروا الناس بهما.

الأمر الثاني: إذا كان قد تقرر أنّ الخوارق في الأمور الشرعية أفضل وأكمل من الخوارق في الأمور الكونية -بحيث ينال العبد من العلوم الدينية والعمل ومن طاعة الخلق فيها ما هو خلاف العادة المطردة؛أي: أن تخرق له العادة في أموره العلمية والدعوية وكثرة الأتباع، وأن يضع الله -تعالى- القبول لدعوته حتى يفتح الله -تعالى- به فتحاً مبيناً- فالناظر بعين البصيرة والإنصاف يرى في شيخنا ذلك؛ فقد خرقت له العادة في مجال العلم والدعوة والمنهج على ضيق حاله وكثرة أعدائه وغربة

أوطانه؛ فهو من طرازٍ خاصٍ خارقٍ للمألوفِ قياساً إلى العادةِ والزمانِ والمكانِ؛ حتى اجتمع العقلاء في هذا العالم على قبول دعوته والرضى بآرائه، بل تكاد تطبق دعوته المباركة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة بقوتها وحقها على سائر الدعوات الأخرى، والحمد لله ربِّ العالمين، ولا نقول ذلك غلواً فيه وتعصباً له، وإعجاباً به، بل إحقاقاً لحقيقة هامة علمها من علمها وجهلها من جهلها، ونحسبه كذلك ولا نزكيه على الله -تعالى-.

و(**الأصالة**) قد اختنقت أنفاسها، وكاد قلمها أن يتوقف وهي تُعِدُّ هذه العاجلة وفاءً وثناءً وتقديراً لشيخنا -رحمه الله تعالى-، مع علمها أن ذلك لا يفي بشيء من حق هذا الإمام عليها وعلى الأمة الإسلامية.

و(**الأصالة**) وهي تشارك الدعاة وطلاب العلم والعلماء الأفذاذ عزاءهم بفقيد الأمة، لا بد من تقرير حقيقة هامّة وهي: أن هذه الرسالة الإسلاميّة العلميّة الجامعة ما كان لها أن ترى النورَ إلّا بفضلِ الله -تعالى- أولاً، ثم بفضلِ نصائحِ وتوجيهات شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- ثانياً؛ فـ(**الأصالة**) بمنهجها وأعضائها وكتّابها حسنة من حسنات شيخنا، ولا أدل على ذلك مما خصها الشيخ من فتاوى علميّة، ومسائل شرعيّة ونصائح ربانية أفادتها فائدةً عظيمة؛ وأبقتها على الجادة علماً وعملاً، ودعوةً وصدعاً بالحق.

ولا أدل على ذلك -أيضاً- من تلك الكلماتِ المضيئة التي قالها شيخنا لأعضائها موجّهاً:

«هذا ما انتظرته طويلاً، وأرجو أن تكون هذه المجلة كاسمها، وكالغيث حيث وقع نفع».

هذه الكلمات نرجو أن تكون دائماً حادياً للأصالة في طريق سيرها وغربتها وقلة أعوانها.

ووفاءً لشيخنا واعترافاً بفضله علينا نصدر هذا العدد المتميز تقيديراً لمن أجرى الله -تعالى- على يده نعمة تجديد الدين...

رحم الله -تعالى- شيخنا الألباني -رحمةً واسعةً-، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ونفعنا بعلمه ولم يفتنّا بعده وألحقنا به على الخير■

ترجمة الشيخ

كلمة موجزة..!

● بقلم: أسرة التحرير

قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُم بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا أَعْظَمُ المَصَائِبِ»، وَرَبُّ العَالَمِينَ -سُبْحَانَهُ- يَقُولُ فِي كِتَابِهِ المُبِينِ -وَاصِفاً عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ-: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

بِقُلُوبٍ رَاضِيَةٍ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَبِنُفُوسٍ مُطْمَئِنَّةٍ بِحُكْمِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ: تَلَقَّى العُلَمَاءُ، وَأَهْلُ العِلْمِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وسائرُ المسلمين -عامَّتِهم وخاصَّتِهم-: نَبأَ وَفَاةِ الوَالِدِ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ المُحَدِّثِ الفقيهِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمنِ مُحَمَّد نَاصِر الدِّينِ الأَلْبَانِي -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً-؛ الَّذِي هُوَ مِنْ أَفْرَادِ العَالَمِ؛ عِلْماً، وَدَعْوَةً، وَمَنْهجاً، وَتَأْلِيفاً.

فرحمه اللهُ، وَجَمَعَنا وإيَّاه في جَنَّتِهِ -برحمته-.

. . .وهذه كلمة موجزة تمثِّل جانباً يسيراً من ترجمة شيخنا الفاضِلِ -تغمَّده الله برحمته-.

● هُوَ مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ نُوح بْنِ آدَم نَجَاتِي، الألباني مولداً، الدمشقي إقامة، الأردني مهجراً ووفاة.

وُلِدَ فِي أُشْقُودَرَةَ -عَاصِمَةِ أَلْبَانية- سَنَةَ (١٣٣٢هـ = ١٩١٤م)، وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ.

● مُحَدِّثٌ، فَقِيهٌ، دَاعِيَةٌ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَعَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَمُؤَلِّفٌ مُتْقِنٌ، وَعَالِمٌ مُتَفَنِّنٌ.

● كَانَ وَالِدُهُ الحَاجُّ نُوحٌ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الحَنَفِيَّةِ فِي بَلَدِهِ، وَفِي أَثْنَاءِ حُكْمِ العَلْمَانِيِّ الهَالِكِ أَحْمَد زُوغُو لأَلْبَانْيَة كَانَ ثَمَّةَ تَضْيِيقٌ شَدِيدٌ عَلَى المُسْلِمِينَ؛ فَهَاجَرَ -بسببه- الحَاجُّ نُوحٌ -مَعَ جَمِيعِ أَبْنَائِهِ، وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ نَاصِرِ الدِّينِ- فِرَاراً بِدِينِهِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ؛ لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ فَضَائِلَ وَمَنَاقِبَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهُنَاكَ اسْتَقَرَّ بِهِمُ المُقَامُ.

وَمِنْهَا -بَعْدَ نَحْوِ خَمْسِينَ عَاماً- هَاجَرَ الشَّيْخُ إِلَى عَمَّانَ عَاصِمَةِ الأُرْدُنِّ، و بها قضى بَقِيَّةَ حياته؛ عالماً معلِّماً، فقيهاً مُرَبِّياً.

● تَلَقَّى تَعْلِيمَهُ الأَسَاسِيَّ في مدرسة تابعة لجمعية الإسعاف الخيري فِي دِمَشْقَ -عَاصِمَةِ سُورِيَةَ-؛ مَوْئِلِ العِلْمِ لِقُرُونٍ كَثِيرَةٍ

غابِرَةٍ، مُسْتَفِيداً مِنْ عَدَدٍ مِنَ الشُّيُوخِ وَأَهْلِ العِلْمِ؛ مِن أمثال والده الحاجّ نوح، والشيخ سعيد البُرهاني، وغيرهما.

● حَبَّبَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- إِلَيْهِ عِلْمَ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فِي مُقْتَبَلِ عُمُرِهِ، وَبَوَاكِيرِ شَبَابِهِ، وَذَلِكَ حِينَ اطِّلَاعِهِ عَلَى مَقَالَاتٍ عِلْمِيَّةٍ لِلشَّيْخِ مُحَمَّد رَشِيد رِضا فِي مجلَّةِ (المَنَارِ)؛ نَقْداً لِرِوَايَاتٍ وَاهِيَةٍ ذَكَرَهَا أَبُو حَامِدٍ الغَزَالِيُّ فِي كِتَابِهِ «إِحْيَاء عُلُوم الدِّين».

● أَجَازَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ رَاغِبُ الطَّبَّاخِ -مُؤَرِّخُ حَلَب وَمُحَدِّثُهَا- بِمَرْوِيَّاتِهِ المَجْمُوعَةِ فِي ثَبَتِهِ المُسَمَّى «الأَنْوَارَ الجَلِيَّةَ فِي مُخْتَصَرِ الأَثْبَات الحَلَبِيَّة»، وَذَلِكَ حِينَ رَأَى نُبُوغَهُ وَأَلْمَعِيَّتَهُ، وَأَلَقَ ذهنه وفهمه، وَرَغْبَتَهُ العَالِيَةَ فِي تَحْصِيلِ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعَارِفِ الحَدِيثِيَّةِ.

● ابْتَدَأَ التَّأْلِيفَ وَالتَّصْنِيفَ فِي أَوَائِلِ العقْد الثَّانِي مِنْ عُمُرِهِ، فَكَانَ مِنْ أَوَّلِ مُؤَلَّفَاتِهِ الفِقْهِيَّةِ المَبْنِيَّةِ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ وَالفِقْهِ المُقَارَنِ كِتَابُ «تَحْذِيرِ السَّاجِد مِن اتِّخَاذ القُبُورِ مَسَاجِدَ»، -وَهُوَ مَطْبُوعٌ مِرَاراً-، وَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ تَخَارِيجِهِ الحَدِيثِيَّةِ المَنْهَجِيَّةِ -أَيْضاً- كِتَابُ «الرَّوْضِ النَّضِيرِ فِي تَرْتِيبِ وَتَخْرِيجِ مُعْجَمِ الطَّبَرَانِي الصَّغِيرِ»، -وَلاَ يَزَالُ مَخْطُوطاً-.

● دُعِيَ مِنْ قِبَلِ عَدَدٍ مِنَ الجَامِعَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالمَرَاكِزِ العِلْمِيَّةِ العَالَمِيَّةِ لِتَوَلِّي مَنَاصِبَ رَفِيعَةٍ فِيهَا، فَوَاجَهَ مُعْظَمَهَا بِالاعْتِذَارِ؛ لِشَوَاغِلِهِ العِلْمِيَّةِ الكَثِيرَةِ.

● تَوَلَّى تَدْرِيسَ مَادَّةِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فِي الجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ -بِالمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ- إِبَّانَ افْتِتَاحِهَا، مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ، بَدْءاً مِنْ سَنَةِ (١٣٨١هـ)؛ مِمَّا كَانَ لَهُ -بِسَبَبِهِ- أَعْظَمُ الأَثَرِ فِي إِيْجَادِ نَهْضَةٍ عِلْمِيَّةٍ حَدِيثِيَّةٍ وَاسِعَةٍ عَلَى نِطَاقِ العَالَمِ كُلِّهِ، وَعَلَى جَمِيعِ المُسْتَوَيَاتِ: عَلَى المُسْتَوَى الرَّسْمِيِّ؛ وَذَلِكَ بِاهْتِمَامِ الجَامِعَاتِ عَامَّةً بِذَلِكَ، حَيْثُ قُدِّمَتْ مِئَاتُ الرَّسَائِلِ الجَامِعِيَّةِ المُتَخَصِّصَةِ فِي عِلْمِ الحَدِيثِ، وَعَلَى المُسْتَوَى الشَّعْبِيِّ العَامِّ؛ حَيْثُ تَوَجَّهَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ لِدِرَاسَةِ عِلْمِ الحَدِيثِ وَالتَّخَصُّصِ فِيهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وُجِدَ بَعْدَهُ، وَصَارَ أَثَراً مِنْ آثَارِهِ.

وَمِن أَكْبَرِ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ: هَذَا الكَمُّ الكَبِيرُ مِنَ الكُتُبِ الحُدِيثِيَّةِ المُحَقَّقَةِ، وَالفَهَارِسِ الحَدِيثِيَّةِ المُصَنَّفَةِ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُ مَعْرُوفاً مِنْ قَبْلُ.

وَهَذَا الأَثَرُ -لِجَلاَئِهِ وَوُضُوحِهِ- لاَ يُنْكِرُهُ أَحَدٌ، حَتَّى المُخَالِفُونَ لِشَيخِنَا، المُعَارِضُونَ لِمَنْهَجِهِ.

● أَثْنَى عَلَيهِ كِبَارُ العُلَمَاءِ، وَأَئِمَّةُ الزَّمَانِ، وَسَأَلُوهُ، وقَدَّموه، واستَفْتَوهُ، وَرَاسَلُوهُ.

ولو عُدُّوا -حَفِظ اللهُ أحياءَهم، ورَحِمَ أمواتَهم-: لَمَا أُحْصُوا، وعلى رأسهم سماحةُ الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبدالله بن باز؛ فقد كان عظيمَ التقدير والإكبار له -رحمهما الله تعالى-.

● وَتَلاَمِيذُ الشَّيْخِ وطُلاَّبُهُ -سَوَاءٌ مَنْ تَلَقَّى العِلْمَ عَلَى يَدَيْهِ فِي الجَامِعَةِ، أَمْ فِي حَلَقَاتِهِ العِلْمِيَّةِ الخَاصَّةِ، أَمْ عَلَى تَآلِيفِهِ-

كَثِيرُونَ مُنْتَشِرُونَ -بِحَمْدِ اللهِ- فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ العَالَمِ؛ يَنْشُرُونَ صَحِيحَ العِلْمِ، وَيَدْعُونَ إِلَى صَفِيِّ المَنْهَجِ بِقُوَّةٍ وَثَبَاتٍ.

● قضى الشيخُ -رحمه اللهُ تعالى- حياته كلَّها داعياً إلى الله -تعالى- على بصيرةٍ؛ مؤصِّلاً لمنهج (التصفية والتربية)، -المبنيِّ على العلم والتزكية- مُعَلِّماً فاضلاً، ومُرَبِّياً صادقاً؛ تربَّينا عليه -واللهِ- بمنهجه، ومواقفه، وآدابه، وعالي سُلُوكِه، ورفيع أخلاقِه، ورقَّة قلْبِه: الشيءَ الكثير، والجمَّ الغفير.

● ولِلشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- صِفَاتٌ حَمِيدَةٌ عَدِيدَةٌ، مِنْ أَظْهَرِها وأجْلاها، وأبْيَنِها وأعلاها: دِقَّتُهُ العِلْمِيَّةُ البَالِغَةُ، وَجِدُّهُ، وَمُثَابَرَتُهُ، وَجَلَدُهُ، وَصَلابَتُهُ فِي الحَقِّ، وَرُجُوعُهُ إِلَى الصَّوَابِ، وَصَبْرُهُ عَلَى مَشَاقِّ العِلْمِ وَالدَّعْوَةِ، وَتَحَمُّلُهُ الأَذَى فِي سَبِيلِ ذَلِكَ كُلِّهِ صَابِراً مُحْتَسِباً.

● وَمِن أعظَمِ مَا يُمَيِّزُ الشيخَ -رحمه الله- عن كثيرٍ من إخوانه أهلِ العلمِ: نُصْرَتُهُ للسُّنَّة وأَهْلِها، وثباته على منهج السلف الصالح، ومحبة دعاته، وردُّهُ على المُنحرفين على اختلاف دَرَجاتِهم، وتنوُّعِ دَرَكَاتِهم، بوضوحٍ بيِّنٍ، وصراحةٍ نادرةٍ.

● وقد حَظِيَ الشيخُ -رحمه الله- بِقَبُولٍ عظيمٍ من صالحي المسلمين في أرجاء الدنيا -كلِّها-، ونالَ شُهْرَةً واسعةً عريضةً في أقطار العالَمِ أجمعَ؛ مع أنّه لم يطْلُبْها، ولم يَسْعَ إليها، بل كان يهربُ منها، ويَفِرُّ عنها، ويُكرِّرُ -دائماً- قوله: «حُبُّ الظهور يَقْصِمُ الظُهور» -رحمةُ اللهِ عليه-.

ولم يكُن لأحدٍ من خَلْقِ الله عليه فَضْلٌ ولا مِنَّةٌ في أيِّ شأنٍ من شؤون الدنيا؛ فَعِلْمُهُ سفيرُهُ، وصبرُهُ رائدُهُ؛ فهو عصاميٌّ صابرٌ مصابرٌ، ومجتهدٌ جادٌّ مُثابرٌ.

● وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ- مُكِبّاً عَلَى العِلْمِ، دَؤوباً عَلَى التَّصْنِيفِ -مُثَابِراً عَلَى التَّحْصِيلِ وَالإِفَادَةِ- إِلَى سِنِّ السَّادِسَةِ وَالثَّمَانِينَ مِنَ العُمُرِ؛ مَا انْقَطَعَ عَنِ التَّأْلِيفِ وَالكِتَابَةِ وَالتَّخْرِيجِ إِلاَّ فِي الشَّهْرَيْنِ الأَخِيرَيْنِ مِنْ عُمُرِهِ- عند وَهَنِ قُوَّتِهِ -عَلَى تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِذَلِكَ-؛ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ- قُبَيْلَ غُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ السَّبْتِ لِثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ بَقِيَتْ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ١٤٢٠هـ، وَفْقَ تَارِيخ: ٢/١٠/١٩٩٩م.

● وَقَدْ صَلَّى عَلَى الشَّيْخِ -مساءَ يوم موته نفسه- خَلائِقُ من النَّاس -فِي مُصَلَّى- يَزِيدُ عَدَدُهُمْ عَلَى خَمْسَةِ آلافٍ، بالرُّغم من أنَّ تجهيزَه، والصلاة عليه، ودفنَه: تمّ بأسرع وقتٍ مُمكنٍ -تَطْبِيقاً لِوَصِيَّتِهِ الَّتِي حَرَصَ فِيهَا عَلَى التزام السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وتَطْبِيقِها-.

● وَقَدْ تَأَثَّرَ بِفَقْدِهِ العُلَمَاءُ، وَالطُّلاَّبُ، وَالعَامَّةُ.

وَذَكَرَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ -عِنْدَ وُصُولِ نَبَإِ وَفَاتِه- جِلَّةُ أَهْلِ العِلْمِ؛ مِنْهم: سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ آلِ الشَّيْخِ -المُفْتِي العَامِّ لِلْمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ-، وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ العُثَيْمِين، وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بنِ جِبْرِينَ، وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ آلِ الشَّيْخِ، وَغَيْرُهُم.

في رحيل العلامة المحدث

قبض العلم.. بموت العلماء..

فضيلة الشيخ عبدالمحسن العباد

■■ الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإنّنا نذكُرُ قول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النّبي ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَلكن يقبض العلم بموت العلماء».

هذا الحديث الشريف يدل على أهمية العلم، وعلى عظم شأن العلماء، وأن فقدهم وذهابهم إنما هو قبض للعلم، وأن الله -عز وجل- لا يقبض العلم من قلوب الرجال بحيث يكون الإنسان عنده علم ثم يصبح وليس عنده علم، وإنما يقبض العلم بموت العلماء، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً؛ وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

هذا هو شأن العلماء، وهذه منزلة العلماء الذين وصفهم النّبيّ المصطفى ﷺ بأنهم ورّاث الأنبياء.

ونعمَ المِيرَاثُ ذَلِكَ المِيراثُ ألاَ وَهُوَ العِلْمُ النّافع: العلم الشرعي المستمد من كتاب الله -عز وجل- وسنّة رسوله ﷺ؛ لأن هذا هو العلم الحقيقي الّذِي هو علم الكتاب والسنة.

وإن قبض العلماء كما هو معلوم وكما قد جاءَ في كلام بعض أهل العلم: أنه ثلمة في الدين، وأنه نقص للمسلمين إذا ذهب العلماء الذين يُرْجعُ إليهم، ويستفاد من علمهم، ويدلونهم ويبصرونهم؛ فإن ذلك نقص كبير على الناس.

وإن مما حصل في الأيام الماضية: أنه قد توفي العالم الكبير والمحدث الشهير العلاّمة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله وغفر له-:

وهو في الحقيقة عالم كبير ومحدث مشهور، وله جهود عظيمة في خدمة السنّة، وفي العناية بحديث رسول الله ﷺ وبيان مصادر تلك الأحاديث والكتب التي ذكرتها، وبيان درجاتها من الصحة والضعف.

"

فجهوده عظيمة، وخدمته للسنة مشهورة، ولا يستغني طلبة العلم عن الرجوع إلى كتبه، وإلى مؤلفاته؛ فإن فيها الخير الكثير، وفيها العلم الغزير

"

ومن ذلك نفس الكتاب الذي ندرسه -وهو «سنن أبي داود»-؛ فإن له فيه وفي غيره جهود؛ حيث اعتنى بذكر ما صح وما ضعف وما كان صحيحاً وما كان ضعيفاً؛ فجهوده عظيمة، وخدمته للسنّة مشهورة، ولا يستغني طلبة العلم عن الرجوع إلى كتبه، وإلى مؤلفاته؛ فإن فيها الخير الكثير، وفيها العلم الغزير.

وإن ذهاب مثل هذا العالم هو في الحقيقة نقص على المسلمين ومصيبة، ونسأل الله -عزّ وجل- الذي هو سبحانه وتعالى له ما أخذ، وله ما أعطى: أن يعوّض المسلمين خيراً، وأن يوفق المسلمين لما فيه خيرهم وسعادتهم، وأن يوفق طلبة العلم للعناية بتحصيله وطلبه ومعرفته إنه -سبحانه وتعالى- جواد كريم.

ومؤلّفاته كما هو معلوم مشهورة وعظيمة، ولا تخلو المكتبات غالباً من كتبه ومن وجود شيء منها؛ لأنها بلغت العشرات، ومنها الكبير، ومنها الصغير، ومنها المتوسط.

والحاصل: أن فقد مثل هذا العالم -رحمه الله- يعد نقصاً كبيراً على المسلمين؛ فنسأل الله -عز وجل- أن يعوّض المسلمين خيراً، وأن يوفق طلبة العلم لتحصيل العلم النافع، والعمل به، إنه -سبحانه وتعالى- جواد كريم.

وهو -رحمة الله عليه-، وإن كان له بعض الآراء التي نعده قد أخطأ فيها، ولكنها مغمورة في بحر -أو في بحور- صوابه، وفي ما حصل على يديه من الخير والنفع للمسلمين في خدمة سنّة المصطفى -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

وهذه الأمور التي وقعت منه نعدها أخطاء هو مجتهد فيها وهو مأجور على اجتهاده، ولكن ذلك لا يجعل الإنسان يتساهل أو يتهاون في علمه الكثير وفي علمه الغزير وفي نفعه العظيم ونفعه العميم؛ فإنّه بحق من العلماء الأفذاذ الذين كانوا في هذا العصر والذين لهم جهود في خدمة سنّة رسول الله ﷺ.

وهذا النصف الأول من هذا العام الذي هو عام عشرين بعد الأربعمائة والألف فقد المسلمون فيه عالماً كبيراً، عالماً مِنْ العلماء الربانيين -نحسبه كذلك ولا نزكّي على الله أحداً- وهو سماحة الشيخ العلاّمة عبد العزيز بن باز -رحمة الله عليه-؛ وتوفي في آخر النصف الأول من هذا العام هذا العالم الكبير وهذا المحدث المشهور الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله عز وجل-، وقد توفي بينهما الشيخ عطية محمد سالم -رحمه الله- الذي كان يدرس في المسجد النبوي، فهؤلاء العلماء قد فقدناهم ونسأل الله -عز وجل- أن يغفر للجميع، وأن يتجاوز عنهم، وأن يرفع درجاتهم.

فإن هذين العالمين -فيما نحسب- من العلماء الكبار الجهابذة المحقّقين الذين لهم العناية الفائقة وعندهم الهمة العالية، وقد حصل على يديهما الخير الكثير، وحصل بسببهما النفع العظيم للإسلام والمسلمين؛ فجزاهم الله -عز وجل- أحسن الجزاء، وغفر لهم، وتجاوز عن سيئاتهم، وختم لنا جميعاً بخاتمة السعادة؛ إنه -سبحانه وتعالى- جواد كريم ■

كلمات وفاء وتقدير

جفّت الصحف، ورُفعت الأقلام

● بقلم: الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقرة

■■ نعم؛ لقد جفّت الصُحف ورفعت الأقلام، وثبتت الأقدار في مستقرها، بعد أن قطعت الأشواط الزمانيّة التي قدرت لها فوق صعيد الحياة، وألمّ بها الوهن، وأقعدها العجز وأسلمها إلى النهايَّة، الصائرة إليها الأشياء كلها، ومنها، وعليها حين غاب عنها صاحبها، وآثر اللّحاق بالملأ الأعلى.

وما كان يكون للأقدار أن تتخلّف عن مواقعها، وقد أوثقها الله إليه بإرادته الحكيمة مذ كانت إرادته، مذكان ولم يكن شيئاً، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو الحكيم الخبير، فلا رادَ لها إلاّ باقدار أخرى تقضي إرادته الحكيمة بغير الذي قضت به، فأين المهرب من قدر، وقد سيقت معه وإليه إرادات المخلوقات كلها بقوتها، وضعفها، وألقت عنده راحلة العمر حبلها، توثق به إلى النهاية الحتم التي لا تختلف عليها إرادات البشر جميعها، إلّا بما يكون منها من طواعية راضية وتسليم لابث، رضيت ذلك أم كرهت؟! ذلكم أنه كائن لا محالة.

وأجاء الله قدره إلى الروح القوية، التي ظللت زهاء ستّة عقود تحتضن لواء السنة في عزيمة لا تعرف التردد، وصبر لا يعرف الضجر، وإقدام لا يعرف النكوص، ودأب موصول لا يعرف الوهن وسهر عميت الطرائق على الاجتهاد إليه، ودقة صبور تقاصر عنها الهمم، وأمانة واعية أذكرت أهل العلم بما يجب عليهم من حقوقها، واستقصاء أحاط علماً بكل ما ند من قواعدها وخفي من أصولها، وشغف ظلّ مشبوباً به قلبه حتى سقط القلم من بين أصابعه، واستحضار للنصوص والآثار والسُّنن والبلاغات باحكامها، وعزوها إلى مظانّها، والتأليف بينها، والناسخ والمنسوخ منها، والاستنباطات الفقهيّة الحسنة، إلى غير ذلك من علوم السنّة

التي وضع لها خده وعشقها قلبه، وأناخ على صدره منه همّها واستوى عليه سوقها، وأصاب كل طالب علم محبٍّ للسُّنَّة ما قدر عليه من ثمرها، ولم تعرف السُّنَّة النبويّة في شطر عمرها الثاني مثله في قوة سبره، واستدراكه على السابقين، وتيسر وتسهيل للاحقين، واختصار للمتون وتوليف بينها وإعمال دقيق محكم لقواعدها، واحكامها، وتتميم للنقص الذي بدا عواره فيها وردّ وضبط وتقويم للخلل الذي وقع عليها، وتبيان للعلل التي حلت بها، وتصويب للأخطاء التي عكّتها، وثبتت زماناً مديداً لها، وسلم بها العلماء تسليماً مطلقاً؛ لطول العهد بها، لخفاء عللها على السابقين.

وكان علم السنة قد صار إلى غياهب النسيان، وانقطع به عقوداً طويلة، حتى صار الاشتغال به ضرباً من المستحيل، بل صار يكاد أن يعاب من يهم بالاشتغال له إلاّ ما يكون من طباعة كتبها، والاهتمام بحفظ نصوصها، بأسانيدها أو مجردة منها، حفظاً يكون الحافظ به نسخة جاد بها حفظ الحافظ على النسخ التي أخرجتها المطبعة من تحت أضراسها لكتاب من كتبها ليظلّ الكتاب محفوظاً كما هو بأخطائه وأغاليطه التي علقت بصحائفه من أول مرة طبع فيها فقد اكتسب هذا الكتاب قدسيّ، تسمو إلى قدسيّة المصحف، على أنَّ ليس في آياته خطأ ينفي عنه الصواب ولم يعد الحفظ هذا بل لربما شهر الحافظ حتى ليقال فيه لقد أدرك بركة عز على الناس نوالها، وهذا حق لا ريب فيه وبخاصّة وإن كان الحفظ أخذ بإجازة، ولكن أن يبقى عند حدود الحفظ فذلك يقبل حتى من العوام الذين يجيدون حفظ القرآن.

فلما طلع النجم الأكبر وسطع ضوؤه، وتلألأ في سماء الشام سناه قال قائل السوء: أأعجمي وعربي، وتناحلت الذم عليه ألسن بأسوأ من هذه القالة فيه وتلاحت مقاول الحسد تصد بالكلام عنه، ولكأنّما حبست عن الخير كله قولاً وفهماً لأسبابه، وناءت بعجز أصمها عن سماع شيء مما وهبه الله -سبحانه- ورضيه له مباركاً فيه، وأسلس له قياده.

وقد عرفت ديار الشام نفراً من أهل العلم كانوا يعنون بالسُّنَّة لكنّها عناية لم تخرجهم عن قيد المذهبيّة التي كانت قد وجدوا آباءهم عليها فكانت مذهبيَّتهم تقهرهم على ليِّ أعناق النصوص التي يحفظونها ليّاً يدينها من المذاهب التي صارت لها قدسيّة تعلو قدسيّة السُّنن والآثار ليكون المذهب الذي نشأ عليه

أحدهم هو الأول قبل الآخر، والآخر بعد الأول لا يطاول بحث، إلاّ أن يتحوّل المتمذهب عن مذهبه الذي لم تستطع قدسيته أن تحول دون تحوله عنه، وذلكم حين يصعب جداً عليه أن يسيغ بعض المسائل التي كان التسليم بها قبل هو النجاة والمرقاة، كالشيخ القاسمي -رحمه الله- وغالبيّة أهل بلاد الشام على المذهب الشافعي.

فلمّا أن طلع نجم ذلك (الأعجمي) زعموا -وزعموا مطية الكذب- ومرتع الهوى وسوق الدقل! ومباءة العجز الباهظ فيا حسرة على المسلمين، ما يأتيهم من عالم أفاء الله عليه بعلم الكتاب والسُّنَّة إلاّ كانوا عنه معرضين وله معادين، وعن قوس واحدة له رامين، ولكأني به -رحمه الله - على حياء سابغ حين يعرض لذكر قوله ﷺ: «إنَّ الله لا ينزع العلم منكم بعد ما أعطاكموه انتزاعاً ولكن يقبض العلماء بعلمهم ويبقي الجهال، فيسألون فيفتون فيَضِلُّون ويُضِلُّون»، وهو ممّن نقطع من تلكم الطائفة التي بموتها يموت العلم وتنقطع مادته الصالحة وذلكم من خشية أن يقول الأفّاكون الخرّاصون المبطلون أنّه إنّما يعني نفسه.

وحتّى لو أنّه أراد أن يريد نفسه لما جاوز عتبة الحق والصدق والحقيقة ويكون تحدثاً منه بنعمة الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

> **«لقد كانت كلمة الصِّدِّيق على لسانه، «اللهم اجعلني خيراً ممّا يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون»»**

ولقد عهدنا منه حين كان يثني أحد عليه بعلمه يقول: ما أنا إلاّ طويلب علم صغير ثم كلمة الصديق على لسانه: «اللّهم اجعلني خيراً ممّا يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون» وكثيراً ما كانت دموعه تخالط كلماته فتقطع حروفها ولا يكاد يبين عن كلماته إلاّ من بعد انقطاع دموعه.

ولقد لقي -رحمه الله- من المشايخ المذهبين ما لقي العلماء الربّانيون من قبله من سوء الظن بكل مؤثمة من القول والرمي بسابغات التُّهم، والزمان يتداعى حاضره بماضيه وأوّله بآخره وشاهده بغائبه، حتى يكون كأنّما هو كلّه بكل ما حواه مخلوقاً ليكون شاهداً على نفسه أنّه زمان واحد يذكر بخلق السماوات والأرض: ﴿أَوَلَم يرَ الَّذِينَ كَفَروا أَنَّ

السماوات والأرض كانتا رَتْقاً ففَتَقناهُما وجَعلنا مِنَ الماءِ كل شيءٍ حي أفــــلا يُؤمِنُون﴾ وأن كـثـيــراً مِمّا خلق الله في أجزاء هذا الزمان العتيد الطويل الممتد فوق رقعة الأرض والسماء يتساوون في الأذواق والعــقــول، وأن تفــاوتوا في صـورهم وأشكالهم وأن أسـوأ الأذواق وأردأ العقول عقول الّذين تلطّخوا بمنابذة السنّة المطهــرة، وأذاواق الّذين باتوا على جـمر العـداوة لأحكامـهـا وآدابهـا فناءوا جميعاً بأوزار الناس الظّانين فيهم الظن الحسن ومـا هم إلاّ من خـبـال الأوهام الموشاة بضلال الريب وريب الضلال، لا يليـذهم مكرهم السيء إلاّ إلى مكر مثله أو أسؤ.

> لقد طوفت السنّة بآفاق الأرض، تبحث عن مستقر لها فما وجدت في هذا القرن الجائلة فيه الفتن آمن لها منه، ولا أعطف لها من قلبه، ولا أحفظ لها من صدره

وكـــان للشــيخ حظ من مـثل هذا، نودي به في النـاس أنّه «الإمام» بلا منازع ناخت ببـابه رواحل علـم السُّنَّة فندب الله لها من أراد به خيراً ليأخذ من أوقارها ما يقدر على أخذه فما نقص منها شيء إلاّ وصار إليـها أضعـاف ما نقص بدأب الشيخ وصبره وأحاطته. . .

ولقــد طوّفت السُّنَّة بآفــاق الأرض، وتبحث عن مستقر لها فما وجدت في هذا القرن الجائلة فيه الفتن آمن لها منه، ولا أعطف لها من قلبه، ولا أحفظ لها من صدره فـوهبت له نفـسـهـا في ثقـة راضية، رضيته أن يكون لواءها العالم الرفيع تحمله في قوة وجلادة ينتاب به ليل نهار نوادي العلم وتغشى به جموع طلابه وترتاد به ثنيات المعارف وتطلع بشـارفة شوارفها فترد إليه شواردها وشواهدها، كيلا يكون لغيره ما أرادته له من شرف شارف به من شرفة الله من قبل أن يكون من أشرف شرفائها كالبخاري ومسلم، وغيرها من نبلاء الحفظة والمحدثين فزهت به أرض الشام غـوطتها وبلقـاؤها حيث منشؤه، ومهاجره، ومقامه الذي كرّمه وثواؤه، وتغنّت بذكـــره أرض الكنانة، وفـتــحـت له ذراعـيــهـــا أرض الجــزيزة والفـراتين، وتساعت إلى بابه في جـهـار وخفاء دور النشر تطلب ود قلم بصيب عطائه.

وأحـــسبني صـادقــاً والناس مــعي بصدقهم إن كانوا مصدقي فيما أقول: مصدقاً لما بين يدي من شهادة ستين سنة، صدقت بهيمنة دعواها صدقها، وبتصديق

الشيخ لها بما شهدت كتبه يصدق ما حوته من علم صادق مصدق، ما نطق به لسان الأيام عدلاً وصدقاً لا لبس فيه ولا ريب يأخذ العهد الصادق الموروث عن النبي الصادق المصدق فلكأنما كان وعد صدق من الشيخ أو مع الشيخ في حياته أو من بعد موته أن يظل منهجه في عقبة ثلجاً.

يحدث الناس أنّه سيبقى صادقاً «بكله» و «بأجزائه كلّها» لما أصدق بظاهر رسمه وشكله وبما أخفى من فحواه ووحيه، وبما ارتفع القلوب والعقول في شجره ونجمه وبما سقاها من نمير ينعه ورضاب ثمره حتى أضحى الدليل من آي الكتاب، ونصوص السُّنَّة، وآثار علماء سلف الأمة مطلب العالم، وبغية المتعلّم، ونشدان المتأدب.

والتمست طرائق البحث الاستقرائي، والنظر الروي، والسبر الدري، ولم يعد لطالب العلم مكان إلاّ بذلك، وصار الدليل من هذه كلها أو من بعضها يطلب من قبل أن تساق المسألة من مسائل الفقه كبيرة كانت أو صغيرة، فأمّا أثبات بدليل، وأمّا نفي بدليل لتحيا التي تحيا منها عن بيّنة، ولتزول التي تزول منها عن بينة فيبقى علم الكتاب والسُّنَّة على جلاء المحجة فصارت المسائل تباهي بأدلتها أخواتها من المسائل الكاثرة على جنح الظلام وفوق أريج الصبا وعلى متن عافية النهار في تسابق بين المهرة البهرة الخلص البررة، الذين أصابوا من كرائم العلم، وطرائف الحكمة، وأنشدوا أنفسهم الله سبحانه أنّ يكونوا على سواء القصد في إيراد المسائل العلمية بأجلى وأحلى وأغلى صفة الإيراد.

وما كان العلم أن يكون إلاّ في غرر المعجزين القادرين الواهبين أوقاتهم للعلم الذي طويت صفحته، فنشرها الشيخ نشراً أوهى به قرون القرون، وشهدت له بفضل السبق به قادمات القرون، ومن أمل أن يقوم مقامة بعزائم السُّنَّة والأثر، فليفرح بجهل ملبس غاص في وحله، وليهنأ بأمنية قصيرة الأجل نعم بها يوماً ذهبت مع الشيخ إلى قبره، ومن عاد على نفسه بها من ظنّ أنَّه قادر عليها، فقد أفضى إلى سراب بقيعة وإلى سيل عرم جارف.

وطال الشوط أو قصر فإن المرقد الأخير ينتظر الوافد إليه، على شوق إليه، مراً كان أو حلواً لهذا الوافد، فالعمل الذي يستقبله عند مرقده هو ما كان منه أثناء الشوط لا يزاد عليه ولا ينقص منه ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

وسقط القلم من بين أصابع الشيخ،

وذاب الصوت القوي الندي اللّطيف، الّذي ملأ طباق الأرض علماً، وسكت اللّسان الذي جالت الحكمة والآي من فوقه وأطبقت الشفتان اللّتان طالما تحركتا بالفقه والتأويل، وحيل بين الثرى وبين الثريّا برحيله، وتطامنت الرؤوس من حزن أن لا يكون لها لقاء في حلق الدرس والتلقي بين يديه.

وقد وقي الله -سبحانه - السُّنّة التي احتضن لواءها علمها الأشم ستة عقود كاملة، وقام وسيبقى حصناً منيعاً لها نفر من تلامذته من بعده نذروا أنفسهم للسُّنّة وعلومها والدعوة الغراء وكرامتها، ما داموا أحياء في غربة خضراء مريعة خصبة، طلها هطل، ونورها فوح وعطاءها بركة وفر، فأمة محمد ﷺ أمامها وقد بشرها وأنذرها ما يكون لها أن تختلف قلوبها، ولا أن تصيب من فرقة عقولها، ولا أن تجثوا من ذل التراع على ركبها، ليكون التمكن لعدوها من رقابها، يستبيح بيضتها ويكسر شوكتها، ويرضخ عزّتها.

ولن يجعل الله للأمة سلطاناً على عدوها بالعدل في الحكم، والسؤدة بالعلم، والاستحواذ بالحق، إلاّ ان تأوي إلى كنف الكتاب الكريم، والهدي النبوي الحكيم، وأثر السلف القويم.

وحقاً أنّه لمصاب سابغ جلل، وخطب جسيم لا يحتمل، وبلاء مروع أثر بلاء من قبله حل، وليس من شيء يهيض جناح الأمة مثل موت العلماء فرحم الله الشيخين الأنورين فقد والله ما منيت الأمة منذ عقود طويلة بمثل ما منيت به من موتهما: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الزاهد الداعية، دثار الحكمة، ورواء التأويل، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، محدث العصر، ورافع لواء السنة، وشمس الأمة، رحمهما الله، وأجزل لهما الأجر، ووفانا نعمة الشكر على ما ابقيا فينا من بعدهما ونعمة الصبر على مصابنا فيهما.

ومع عظم البلاء يكون عظم الأجر، وعظم الأجر لا يكون إلاّ وصوبه الصبر ومن سخط كان له السخط، ومن رضي كان له الرضى، ولا يخفف من شدة وقع البلاء، مثل ثلاث: عموم البلاء والصبر على شدته، والأجر الذي يوفاه الصابرون، ورابعة هي: وكاء الثلاث: ذكر موت النبي ﷺ «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنّهما من أعظم المصائب».

اللّهم آجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها واجمعنا بهما تحت لواء الحمد، لواء محمد ﷺ ■

في وداع شيخنا الإمام الألباني

نكبة العصر.. بموت إمام العصر

● بقلم: الشيخ د: محمد موسى نصر

■■ نكبت الأمة الإسلامية بعامة، والمدرسة السلفية بخاصّة؛ بموت إمام العصر، ومحدث الدهر العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-، الذي انتقل إلى جوار ربه عصر يوم السبت، الثّاني والعشرين من جمادى الآخرة لعام ١٤٢٠هـ، الموافق للثاني من تشرين أول عام تسعٍ وتسعين وتسعمئة وألف ميلادية؛ بعد أكثر من ستين عاماً في الذب عن السنة وأهلها، ومحاربة البدعة وأربابها، وتوضيح المنهج الحق -منهج الكتاب والسنة، وسبيل سلف الأمة-.

وقد أقعده المرض -يرحمه الله- قبل نحو عامين عن كثيرٍ من مشاريعه العلمية النافعة، وعلى رأسها مشروعه الضخم «تقريب السّنة بين يدي الأمة» الذي أخذ فيه على عاتقه تصفية ما علق بالسنة مما هو ليس منها من موضوعٍ وضعيفٍ ومنكرٍ وإسرائيليات، فكتب -يرحمه الله- وألف وحقق وخرج، حتى أحدث في الأمة الإسلامية صحوةً علمية شاملةً، فانكب طلاب العلم على كتبه وتحقيقاته ورسائله وفتاواه ينهلون منها علماً ثرّاً غزيراً صافياً لا كدر فيه، وقد تتلمذ وتربى على كتبه عشرات الآلاف، بل مئات الآلاف من طلاب العلم في العالم الإسلامي على اختلاف بلدانه وأقطاره، عرف الشيخ القليل ممن لازموه وصحبوه طيلة عدة عقود من حياته المباركة -يرحمه الله- في بلاد الشام والمدينة النبوية وغيرها.

لقد تشرفت بصحبة شيخنا إمام العصر الألباني من أوائل السبعينات وإلى أن لقي ربه، وكانت علاقتي به -ولله الحمد والمنة- علاقة الابن بأبيه، وعلاقة التلميذ الوفي لشيخه.. وقد كان -يرحمه الله- يعرفُ بفراسته وشدة ملاحظته من يحبه بصدقٍ ممن يدعي ذلك، وإنما لاذ به لمصلحةٍ عاجلةٍ أو آجلة، وربما تحين الفرص لغمزه ولمزه والتعالم عليه.

لقد كان وقع وفاة شيخنا علينا شديداً حتى لا يدري أحدنا ما يفعل، ولقد أنساني هول الصدمة أن أتصل ببعض

أحـــبــائي وإخـــواني في داخل البــلاد وخارجها، أخبرهم بالفاجعة وأنعى لهم وفـاة شـيـخنا -يرحـمـه الله- مع أنني من أوائل من علم بالفاجعة.

لقد كانت جنازته يرحمه الله مشهودةً؛ حضرها الغرباء من أنصار الكتاب والسنة السائرين على نهج سلف الأمـة، سارت وفق السنة -كـمـا أوصى يرحـمـه الله-، حضرها الآلاف من طلبة العلم من تلامذة الشيخ ومحبيه، وأنصار منهجه، ودفن في مقبرةٍ متواضعة على قارعة الطريق كما تمنى؛ فقد مر يوماً -كما أخبرني الأستاذ محـمد شقرة -حفظه الله- على مقبرة هملان مع الأخ محمد الخطيب؛ فقال له: «أتمنى أن أدفن في هذه المقبرة» وهي أقرب مقبرة من بيته، وقد حقق الله أمنيته؛ فدفن فيها -رحمه الله تعالى-.

لقـد أوصى -يرحـمـه الله- أن تحـمل جنازته على الأعناق -كما هي السنة- وقد تسابق شباب هذه الدعوة وشيـوخـها في حمل جنازته على أكتافـهم مـشـيـاً على أقدامهم مسرعين -مع بعد المقبرة عن بيته، ولكنها كرامة الشيخ وتنفيذ وصيته-.

لقد ترك شيخنا الألباني -يرحمه الله- ميراثًا عظيماً من الكتب النافعة والتحقيقات المفـيدة. ترك مكتبةً يعز نظيرها، وترك تلامذةً وأصحاباً يأخذون بالمنهج الحق منهج الكتاب والسنة وسبيل سلف الأمة يظلون على العهد لا تأخذهم في الله لومة لائم، كما رباهم الألباني في مدرسته: مدرسة الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.

كانت بداية معرفتي بالشيخ في أوائل السبعينات من خلال كتبه «صفة صلاة النبي ﷺ»، و«تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» و«السلسلة الصحيحة» و«الضعيفة» وغيرها؛ فأعجبني منهج الشيخ وأحببته في الله قبل أن أراه حتى وجدتني أسـافـر إلى دمـشق الشـام في أواسط السبعينات لألتقي بالشيخ وأراه عن قرب؛ لأكحل عيني برؤية إمام من أئمة أهل السنة في هذا العصر، وقبل ذلك زارني أحد أهل البدع من التكفيريين وألقى عليَّ بعض الشبه، وذلك قبيل التحاقي بالجامعة الإسلامية بنحو عام فقلت: وجبت -أي: زيارة الشيخ؛ لأسمع منه جواباً شافياً لشبه تلك الطائفة الباغية-، فسافرتُ إلى شيخنا الألبـاني دون تردد أو تأخـيـر، وكـان أن وصلت الشيخ، ورأيته بين كتبه ومصنفاته في المكتبة الظاهرية، وقد جعلوا له مكاناً خاصاً فيها، رأيته فامتلأ قلبي سعادة وبشراً وفرحـاً؛ لأنني وقـعت على كنز عظيم، وكان كذلك ولله الحمد، فقد لازمته أيامًا -رحـمـه الله- رأيت رجلاً وجـهـه كالبدر نوراً وإشراقاً مع هيبة ووقار يصدق عليه قـول نبـينا ﷺ: «نضـر الله امـرءاً سـمع مقالتي فوعاها، فبلغها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع» حديث متواتر.

جلست مع الشيخ في المكتبة الظاهرية

نحواً من ساعة، ثم صحبته إلى بيته بسيارته، وألقيت عليه أسئلة شتى؛ فأجابني -يرحمه الله- إجابات شافية تروي الغليل وتشفي العليل، ثم ودعت الشيخ على أن ألتقي به بعد شهر من تاريخه في الأردن، وذلك أنه كان للشيخ جولات دعوية إلى الأردن، وكانت له رَحِمٌ -أيضاً- يصلها ويزورها، وكان الشيخ يزور عمان بين الحين والآخر، وتارة يصحبه الشيخ محمد عيد عباسي -حفظه الله-، وذلك قبل سجنه بسبب الأحداث.

كان تلاميذ الشيخ في تلك الأيام قلة، وبفضل الله ثم بفضل زيارات الشيخ ورحلاته الدعوية ازدادوا -ولله الحمد- كثيراً؛ فلما هاجر الشيخ من دمشق الشام إلى الأردن ظهرت ثمرة دعوته؛ فأصبح تلاميذ وأصحاب الشيخ ومن يجلسون إليه ويستمعون دروسه المسجلة يملأون السهل والوادي، والحمد لله على توفيقه.

ولقد وجد شيخنا أثناء إقامته في عمان بيننا راحة وطمأنينة حتى إنه تزوج امرأة فاضلة وهي: أم الفضل -حفظها الله- من مواليد مدينة أبينا إبراهيم الخليل -عليه السلام-.

*** ومما يمتاز به الشيخ -رحمه الله-:**

أولاً: شدة تمسكه بالسنّة، وعنايته بها:

وهذا يعرفه كل من صاحب الشيخ أو زاره أو التقى به ولو لوقت يسير؛ فإنه -رحمه الله- شديد الحرص على السنة وعلى الدعوة إليها، ولا تراه أبداً يتساهل في السنة شأن بعض المنتسبين إلى العلم والفقه؛ فإنك إذا نظرت إليه رأيت السنة قد ترجمت في حياته تطبيقاً وعملاً والتزاماً، وكيف لا يكون كذلك وهي شغله الشاغل وديدنه في كل وقته وحديثه، وهو -يرحمه الله- من أعظم أئمة الحديث الذي عرفهم عصرنا الحديث؟

ولقد سمعت شيخنا العلامة ابن باز -رحمه الله- يثني على الشيخ يقول: «لا أعلم تحت أديم السماء من هو أعلم من هذا الرجل»، هكذا دون تقييد، وهذا من إنصافه -رحمه الله-؛ إذ لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه.

ثانياً: شدة حرصه على وقته:

لم أرَ عالماً قط يحرص على وقته في العلم والبحث والتأليف والمدارسة والمناقشة مثل الشيخ -يرحمه الله-، وكان كلما زرناه في بيته، أو خرجنا معه في رحلة، أو جاء إلينا، أو اجتمعنا به عند بعض إخواننا كان يبدأ أولا بالاطمئنان عنّا واحداً واحداً، ويجاملنا وما كانت تخلو جلساته من دعابة تدخل جواً من المرح والسرور على جلسائه، ثم بعدها يقول: ماذا عندك يا أبا أنس؟ ماذا عندك يا أبا فلان؟ فكانت مجالسه -يرحمه الله- كلها جد وعلم ومناقشة ومدارسة، والمزاح قليل في حياته -ولو كان حقاً-، والوقت نفيس في حياته، وربما جلس معنا ساعات طويلة

وهو على جلسة واحدة دون كلل أو ملل يعلمنا ويجيب عن أسئلتنا قد نمل نحن وهو لا يمل، ونتعب وهو لا يتعب، حتى نشفق عليه وربما خرجنا معه في رحلة دعوية، فكلف بعض طلاب العلم بإلقاء خطبة الجمعة، وأذكر أنه فاجأني في إحدى هذه الرحلات قبل موعد الصلاة بوقت يسير؛ فقال: يا أبا أنس! زَوِّر في نفسك خطبة الجمعة؛ فكان لابد من إطاعته، وكان يستدرك علينا ما يقع منا من سهو، أو خطأ، أو سوء تعبير، أو استدلال خاطئ، أو غير ذلك، وكنا نتلقى ذلك بقبول حسن، ولقد رأيت أن الشيخ لا يهدر من وقته شيئاً، باستثناء أوقات الراحة والحاجات التي لابد منها، وربما طالع، وكتب، وألف أكثر من خمس عشرة ساعة في اليوم والليلة، وربما أكثر من ذلك، ولقد بارك الله في وقته وعمره؛ فهذا إنتاجه العلمي أكبر شاهد على ذلك والحمد لله.

ثالثاً: ثباته على الحق الذي آمن به ودعا إليه:

والشيخ لا يعرف التذبذب والاضطراب إلى حياته سبيلاً فهو ثابت كالطود على مواقفه واجتهاداته التي بان له وجه الحق فيها، وهذا من أسرار نجاح دعوته وكثرة اتباعه، بل إن التاريخ والتجربة أثبتا أن مواقف الشيخ يرحمه الله نابعة عن علم وهدى وتجربة فما حذر منه قبل وقوعه حدث كما كان من فتنة الجزائر، وموقفه في فتنة الخليج أثبتت الأيام أنه الحق، وأن ما حذر منه وقع، وكأنه -يرحمه الله- ينظر بنور الله -تعالى-، بل أكثر أهل العلم تغيرت فتاواهم ومواقفهم أما الشيخ فمواقفه ثابتة لم تتغير من قبل ولا من بعد؛ لأنه لا ينطلق من عاطفة وحماس، أو مواقف سياسية تقتضيها مصلحة الدعوة -زعموا-؛ بل إنها مواقف نابعة من العقيدة والسنة، ومنهج سلف الأمة.

> **إن شيخنا الألباني -يرحمه الله- من أكثر وأشهر علماء هذا العصر الذين دعوا إلى منهج السلف الصالح، وأظهروا وجوب اتباعه، ووجوب الانتساب إليه**

رابعاً: إشهار منهج السلف الصالح والتصفية والتربية:

وإن شيخنا الألباني -يرحمه الله- من أكثر وأشهر علماء هذا العصر الذين دعوا إلى منهج السلف الصالح، وأظهروا وجوب اتباعه، ووجوب الانتساب إليه؛ لأنه سبيل المؤمنين؛ ولأنه منهج جيل القدوة، جيل أصحاب رسول الله ﷺ، جيل خير القرون، فلذلك حول ذلك يدندن: بياناً، وإيضاحاً، وذباً، ودعوة،

وتعليماً، ومن شدة حرصه على منهج السلف الصالح لا نكاد نرى له رأياً اختاره أو انفرد به إلا وله سلف فيه من أئمتنا السابقين، ولقد قطع -رحمه الله- هو ومدرسته شوطاً كبيراً في تصفية ما علق بالسنة من أحاديث واهية من خلال مشروعه الكبير: (**تقريب السنة بين يدي الأمة**)؛ حتى أحدث صحوة علمية في شباب الأمة؛ فصار الأميّ يسأل العالم عن أحاديثه؛ أهي صحيحة؟ أم ضعيفة؟ أم موضوعة؟! وهو يدعو إلى تربية شباب الإسلام على العقيدة والمنهج الصحيح، ولعل الجهود المنصبة في هذا الاتجاه أقل من غيرها، وكلّ ميسر لما خلق له، وهي لا تقل شأناً عن تصفية الإسلام مما علق به؛ فإن تربية النفوس وتزكيتها من أعظم مهام الأنبياء وأتباعهم، قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

خامساً: زهده -رحمه الله- بما في أيدي الناس -خصوصاً الحكام-:

لا نعلم من حياة شيخنا، ومن خلال صحبتنا له الطويلة التي زادت على بضع وعشرين سنة: أنه دخل على سلطان، أو مسؤول، أو حاكم، أو تزلف إليه، أو تولى منصباً دينياً عنده، أو أكل على مائدته؛ الأمر الذي جعله مستقلاً في مواقفه وفتاواه لا تصدر عن ضغوط سياسية أو دينية تمارس عليه بحكم الوظيفة، فلم تكن فتاواه -يوماً- لإرضاء زيد أو عمرو؛ فهو قد أغناه الله عن الناس، ورزقه بكد يده؛ حيث عمل في تصليح الساعات سنين طويلة، و«إن خير ما أكل الرجل من كسب يده»، ولو أراد أن يتزلف لأهل الدنيا لكان هو المقدم الأول، ولقد أخذت بيده يوماً، وقلت له: يا شيخنا! هل صافحت أحداً من طواغيت الأرض؟ قال: لا، قلت له: وهل أكلت على موائدهم أو دخلت عليهم؟ فقال: لا، فأخذت يده لأقبلها؛ فمنعني؛ فغلبته وقبلتها؛ فلامني لوماً شديداً، فقلت له: ومالي لا أُقبّل يداً لم تصافح طاغوتاً؟! وخَدَمت سُنة النبي ﷺ أكثر من نصف قرن من الزمان؟! وكثيراً ما كان الشيخ ينكر عليّ المبالغة في حبه وتعظيمه، وفي نظري أن هذا قليل في حق شيخنا.

وهذا لا يمنعنا أن نخالفه -أحياناً- في بعض اجتهاداته -يرحمه الله-، فكل رجل يؤخذ من قوله ويرد عليه؛ إلا صاحب هذا القبر، كما قال الإمام مالك -رحمه الله-.

وشيخنا -رحمه الله- بَشَرٌ ليس بمعصوم، يصيب يخطئ، وأخطاؤه بالنسبة لغيره من العلماء غيض من فيض؛ فَحُقّ لنا أن نفخر بشيخنا الألباني، صاحب المواقف الشريفة والعظيمة، ولو أراد شيخنا أن يكون هو الأوجه والأغنى والأقرب إلى أهل الجاه والسلطان لكان، ولكن زهد في

ذلك كله؛ ليكون لله وحده، ناصراً لدينه، ذاباً عن سنة نبيه؛ لأنه لم يكن يوماً ليشتري بآيات الله ثمناً قليلاً؛ كما يصنع بعض المفتونين المتاجرين بالدين، وأخيراً فإن الكلام عن الشيخ -رحمه الله- لا تحتمله هذه العجالة؛ فهو يحتاج إلى موسوعة من مجلدات كثيرة، وقد قام بجانب منها الأخ محمد بن إبراهيم الشيباني -حفظه الله-، ولعل الله ييسر عملاً موسوعياً يفي ببعض حق الشيخ على تلاميذه.

"أقول: إنني لم أر مثله في علمه، وفقهه، وثباته على الحق، ومثابرته، وشدة تمسكه بالكتاب والسنة دون مبالغة أو تعصب"

أقول: إنني لم أر مثله في علمه، وفقهه، وثباته على الحق، ومثابرته، وشدة تمسكه بالكتاب والسنة دون مبالغة أو تعصب.

وقد رُئِيَت للشيخ رؤى أحسبها من المبشرات له، وقد قُصّ بعضها عليه؛ فبكى، وقال: «اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون»، وقد كنت أزوره أحياناً في بيته على استحياء وتردد، حفاظاً على وقته لإتمام مشاريعه العلمية التي تخدم السنة النبوية والمنهج السلفي، وربما قلت له -وأنا على باب بيته-: أأدخل أم أرجع يا شيخنا؟! فكان يقول لي -يرحمه الله-: «مثلك لا يقال له ارجع يا أبا أنس»، وأحسب أن هذا شرف عظيم لا أراني له أهلاً.

*** بعض الرؤى الصالحة التي رئيت في الشيخ:**

رأيت فيما يرى النائم جمعاً من الناس قد تزاحموا أمام درج يصعد به إلى شرفة أمامها باب، ولا أحد يصعد هذا الدرج، وإنما ينظرون إلى هذه الشرفة وإلى ذلك الباب، فقلت لهم: من تنتظرون؟ وإلى ما تنظرون؟ فقالوا: رسول الله ﷺ؛ فاخترقت صفوفهم، وصعدت الدرج؛ حتى وصلت إلى المصطبة (الشرفة) قبالة الباب؛ حتى أحظى برؤية رسول الله ﷺ، والناس تحت الدرج ينظرون نحو الباب، وإذا بالباب يفتح؛ فيظهر منه شيخنا الألباني -رحمه الله-.

فأولته على: أنه أحظى الناس برسول الله ﷺ؛ لقيامه على سنته، واتباعه الشديد لهديه ﷺ، وقد قصصتها على الشيخ -رحمه الله-، وكأنّ الرؤيا تقول: من أراد نهج رسول الله ﷺ؛ فعليه بهذا الخارج من باب الشرفة يهديه إلى منهج الرسول ﷺ.

رؤيا أُخرى رأتها أخت جزائرية، وهي -أي: هذه الأخت- من قُرّاء الأصالة،

ومن المعظمات جداً للشيخ ولمنهجه-، قالت لي -في رسالة بعثتها للأصالة-: إنها رأت أبا عبيدة عامر بن الجراح -رضي الله عنه- الصحابي الجليل أمين هذه الأمة في المنام وقت السحر، وهو يقول لها: أقرئي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مني السلام؛ فاستيقظت وهي تبكي فرحاً وتقول: لست أهلاً لذلك، لست أهلاً لذلك.

فأولتها على: أن الشيخ -حفظه الله- أمين على هذه الأمة، فالعلماء أمناء الشريعة، وشيخنا الألباني من هؤلاء القلة الأمناء على دينه، الناصحين لعباده، فيما نحسبه، والله أعلم.

وبعد هذه السطور القليلة المجحفة في حق شيخنا الذي ملأ الدنيا علماً وفضلاً ونصر الله به سنة نبيه ﷺ وذب عنها عشرات السنين إن من واجب شيخنا علينا أداء لبعض حقه على إخوانه وطلابه وأبنائه ومحبيه أن يدعوا له مخلصين بالرحمة، وأن يضرعوا إلى الله بالدعاء لخادم السنة النبوية ومنهج السلف الصالح إمام العصر الألباني بالرحمة والمغفرة ورفع الدرجات وجزاء الخيرات.

اللهم ارحم شيخنا الألباني، وأسكنه فسيح جناتك مع النبيين والصديقين والشهداء، وارض عنه يا رب العالمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون ■

من يخلف الألباني؟!!

إني لعمركَ لم تنم أجفاني
من بعده موتكَ شيخنا الألباني
قلبي تنهدَ صارخاً يا ربنا
هيهاتَ في الدنيا إمامُ ثاني
قالوا فلانٌ أو فلان خالفٌ
في العلم والتحقيق والبرهانِ
كَذَبُوا وَرَبِّ النَّاس بل وتخبطوا
شرقاً وغرباً سائرَ الأزمانِ
ما كان يخلفُ شيخنا في علمه
إلّا جموعٌ ملءَ ذي البلدانِ
يا صاح لا تسمع مقالة سيّئ
طارت شرارتُها لدى الإخوانِ
الله يرفع من يشاءُ إذا قضى
أمراً قديماً دون إذن فلانِ
وارحم إله الحق شيخاً عالماً
ما خر نجمٌ أو ثوى قمرانِ
صلى الإله على النبي المصطفى
والصحبِ من سلف أولي القرآنِ

بقلم تلميذه
أبي أنس محمد بن موسى
آل نصر

مباحث حديثية

شيخنا الألباني.. مُحَدّثاً

• بقلم: الشيخ سليم الهلالي

■■ إن الاشتغال بعلم الحديث النبوي الشريف من أجلّ الطاعات، وأعظم القربات؛ لأنه «من أفضل العلوم الفاضلة، وأنفع الفنون النافعة؛ ويحبه ذكور الرجال وفحولتهم، ويعني به محققو العلماء وكملتهم، ولا يكرهه من الناس إلا رذالتهم وسفلتهم»(١).

وقد كانت سوق الحديث في زمن السلف الأول رائجة، والمشتغلون في فنونه قائمون ظاهرون.

وطال الأمد ففترت رغبة الخلف عن مواصلة همة السلف حتى قل هذا الضرب في هذا الزمان، فصار أعز من عنقاء مغرب.

حتى لم نعد نرى أهل الحديث المشتغلين به إلا في كتاب أو تحت تراب، وأضحى الاهتمام بالتخريج يسمى: «صناعة المفاليس»(!)

ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره؛ فقيض لعلم الحديث رجلاً جدّده، ورفع قواعده التي حبرها علماء الحديث تحبيراً، فهرع الباحثون من شتى أقطار الأرض إلى كتبه زرافات ووحداناً، وتداعوا للأخذ عنه والاستفادة منه رجالاً وركباناً.

إنه شيخنا شامة الشام وحسنة هذه الأيام محدث العصر، ومجدد القرن -ولا فخر- العالم الرباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني الذي أتى الله به على قدر من أواسط أوروبة ليستوطن وأهله دمشق الشام؛ فينبغ في علم الحديث حتى صار فريد عصره، ووحيد دهره، فقضى عمره في خدمة السنة المطهرة دراسة وتدريساً، وتأليفاً وتحقيقاً، عملاً ودعوة؛ فرسخ في رياض الفقه قدمه، وسبح في بحار التخريج قلمه؛ فأتى بتحقيقات جليلة

---

(١) «التقييد والإيضاح» (ص ١١-١٢).

خلت عنها الدفاتر، وأشار إلى تدقيقات نفيسة لم تحوها كتب الأكابر، شهد له بذلك شانئوه قبل محبيه، ومخالفوه قبل موافقيه، ومنتقدوه قبل تلاميذه.

"
إنه لا يستغني باحث في هذه الأزمان عن الرجوع إلى آرائه في التضعيف والتصحيح، فإنها محض النصح النصيح، ومخض عن زبد الحق الصريح، ينقح فيها ما لا يستغني عن التنقيح، ويرجح ما هو مفتقر إلى الترجيح، ويوضح ما لابد فيه من التوضيح
"

ولذلك؛ فإنني لست بمبالغ إذا قلت: إنه لا يستغني باحث في هذه الأزمان عن الرجوع إلى آرائه في التضعيف والتصحيح، فإنها محض النصح النصيح، ومخض عن زبد الحق الصريح، ينقح فيها ما لا يستغني عن التنقيح، ويرجح ما هو مفتقر إلى الترجيح، ويوضح ما لابد فيه من التوضيح.

ولكن لكل شيء نهاية؛ ولكل إنسان أجل هو بالغه؛ فقد اختاره الله لجواره راضياً مرضياً يوم السبت عصراً لثمان ليال بقيت في جمادى الآخرة سنة ألف وأربعمئة وعشرين من هجرة رسولنا محمد ﷺ في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن من بلاد الشام المحروسة التي هاجر إليها هجرته الثانية سنة ألف وأربعمئة -بعد الفتن التي حلت في دمشق وما حولها على يد المتعجلين من أصحاب الحماسات الفائرة والعواطف الثائرة؛ فجنوا على أنفسهم وقومهم-.

لقد استوطن الشيخ -رحمه الله- عمّان؛ فاثمرت دعوته، وبلغت الآفاق، واخترقت الطباق، وقيض الله له ثلة من التلاميذ الذين أحبوه وأحبهم، واجتمعوا على منهجه ودعوته وتربيته؛ فكانوا وإياه كالجسد الواحد والبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً...؛ حتى كانوا شوكة في حلق المبتدعة وذوي الأهواء، ونكؤوا أعداء الدعوة السلفية الغراء زادهم الله توفيقاً، وربط على قلوبهم والأقدام لمواصلة ما ورثوه عن الشيخ -رحمه الله- من علم ودعوة.

لقد كان شيخنا -رحمه الله-، وأسكنه بحبوحة الجنة بمنّه وكرمه مدرسة تحتذى في علم الصناعة الحديثية التي معالمها:

أولاً: ربط علم الحديث بغايته وثمرته:

فإن غايته: تمييز ما صحت نسبته إلى النبي ﷺ مما لم تصح نسبته، وتصفيته من كل دخن شَابَ السنّة النبوية المطهرة.

وثمرته: معرفة المعنى الحق الذي أراده الله ورسوله؛ لأن الأحاديث النبوية قاضية

على الكتاب، وهي تفسر بعضها بعضاً.

ولا تتم الغاية والثمرة على وجهها المرضي عند جهابذة هذا الفن من أئمة الصناعة الحديثية إلا بالوقوف على طرق الحديث، وتعدد رواياته، وذلك محصور في الاعتبار: معرفة المتابعات والشواهد والطرق بالتتبع والاستقراء في كتب الحديث المسندة: من صحاح، وسنن، ومعاجم، ومسانيد، وأجزاء، وفوائد، ومشيخات.. إلخ.

وهذا القدر لا يبلغه إلا المحدث الذي قضى آناء الليل وأطراف النهار في تحقيق مسائل علم الحديث، وتحرير فنونه، والتفتيش عن علله.

ومن نظر في سلسلتي شيخنا: «الصحيحة» و«الضعيفة» و«إرواء الغليل» و«صحيح أبي داود»[1]، و«ضعيفه»، وجد الأمثلة قائمة، والشواهد شاخصة.

ثانياً: ربط الأحاديث النبوية الصحيحة بمعانيها الحقة وفقهها السلفي:

لأن علم الحديث: «من أكثر العلوم تولجاً في فنونها، ولا سيما الفقه الذي هو إنسان عيونها، ولذلك كثر غلط العاطلين منه من مصنفي الفقهاء، وظهر الخلل في كلام المخلين به من العلماء»[2].

ولذا قال الشيخ -رحمه الله-: «... وقد نتكلم أحياناً على ما في بعضها من المسائل الفقهية والفوائد اللغوية وغيرها، وقد نربط بين بعض مفرداتها أحياناً برباط من الكلام، بحيث يتألف منه موضوع خاص قائم بذاته، يمكن أن يجعل أصلاً لخطبة أو محاضرة»[3]

ثالثاً: الرجوع إلى مصادر الحديث الأصيلة:

لقد كان لوجود الشيخ -رحمه الله-، في دمشق قرابة نصف قرن، وقربه من المكتبة الظاهرية، ودوامه المتواصل فيها حيث كان يأتي قبل موظفيها ويخرج بعدهم، وكان له مكان خاص فيها مما جَعَل له أثراً كبيراً في وقوف الشيخ على كثير من الكتب الحديثية المسندة المخطوطة حيث استخرج كنوزها في كتابه العجاب

(١) هناك فرق بين: «صحيح سنن أبي داود»، و«صحيح أبي داود»؛ فالأول اقتصر فيه الشيخ على بيان درجة الحديث، وهو المطبوع المعروف، والآخر بسط الشيخ فيه الكلام على الأحاديث -تخريجاً، وتصحيحاً، وترجيحاً-، وهو لم يُطبع بعد، ولم يتمّه الشيخ -رحمه الله تعالى-؛ حيث بقيت عليه قطعة يسيرة منه؛ فتنبّه.

(٢) «التقييد والإيضاح» (ص١٢).

(٣) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٣٠).

«معجم الحديث» الذي بلغ أربعين مجلداً كتبه بخط يده.

ولذلك تراه في تخريجاته يعزو إلى كتب مخطوطة أكثر من المطبوعة وهذا جهد كبير لا يقدّره إلا من عانى في الاطلاع على المخطوطات، وقد أعجبتني كلمة للأخ الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-؛ حيث قال: «إن عمل الشيخ في الحديث لم يكن سهلاً، وبخاصة في بداية هذا القرن حيث لم تكن الكتب المطبوعة متوفرة؛ بل لم يكن كثير من كتب الحديث قد طبع، فلقد كان عمل الشيخ في غابة من المخطوطات، ولكنه الخبير بدروبها ومسالكها».

رابعاً: تقريب السنة بين يدي الأمة:

لقد كان هذا الأمر هو الشاغل لشيخنا -رحمه الله-، ولذلك أعطاه جُلّ وقته؛ فَيَسَّرَ للأمة الرجوع إلى السنة وتمييز صحيحها من سقيمها، وكانت طريقته -رحمه الله-، أن يجعل الصحيح في كتاب والضعيف في كتاب؛ كما فعل في «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، و«ضعيف الجامع الصغير وزيادته»، و«صحيح سنن ابن ماجه»، و«ضعيف سنن ابن ماجه»، وكذلك سائر السنن الأربعة، و«صحيح الأدب المفرد»، و«ضعيفه».

وقد يكون باختصار بعض كتب الحديث كما صنع في «مختصر صحيح البخاري»، و«مختصر صحيح مسلم»، و«مختصر الشمائل المحمدية».

خامساً: الاعتراف لأهل الفضل والرجوع إلى الحق إذا ظهر له وعدم التعصب لما توصل إليه أو الغرور بما بذل من جهد:

وانظر إليه يقول بصريح العبارة: «... فبين يدي القراء الكرام الطبعة الثالثة من هذا الكتاب القيم «صحيح الترغيب والترهيب»، وهي تمتاز عن الطبعتين السابقتين بمزايا جمة أهمها ثنتان:

الأولى: أنني نقحتها، وحذفت منها بعض الأحاديث التي تبين لي مع الزمن أنها بالكتاب الآخر أولى: «ضعيف الترغيب والترهيب» يسر الله لنا نشره، وهذه أرقامها في «الطبعتين المشار إليهما» (٤٣ و٥٣ و١٥٠ و٦٤٥ و٨٥١ و١٠٤١ و١٠٦٩ و١٠٧١).

والحديث الأول منها يعود الفضل في تنبيهي لضعفه إلى الشيخ الفاضل بكر بن عبدالله أبو زيد في «جزء كيفية النهوض في الصلاة» (ص٨٦)، أقول هذا قياماً بواجب الاعتراف بالفضل، وتجاوباً مع

قوله ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» وهذا لا ينافي أنني أخالفه في كثير مما كتب في هذا الجزء»[1]

سادساً: عدم الجمود ومواصلة البحث العلمي:

قال -رحمه الله-: «وإن من فضل الله علي أنه -تعالى- وفقني لإخراج هذه الطبعة متميزة عن سابقتها بزيادة فوائد عديدة؛ حديثية وفقهية، وبإضافة مصادر جديدة لبعض الأحاديث والتراجم...

ولما كان من طبيعة البشر التي خلقهم الله عليها العجز العلمي المشار إليه في قوله -تعالى-: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾، كان بدهياً جداً أن لا يجمد الباحث عند رأي أو اجتهاد له قديم إذا ما بدا له أن الصواب في غيره من جديد..

وإن مما يساعد على ذلك فوق ما ذكرت من العجز البشري أننا نقف ما بين آونة وأخرى على مطبوعات جديدة؛ كانت أصولها في عالم المخطوطات أو المصورات بعيدة عن متناول أيدي الباحثين والمحققين.

وهذا وذاك هو السر في بروز كثير من التصحيحات والتعديلات على بعض ما يطبع من مؤلفاتي الجديدة، أو ما يعاد طبعه منها...»[2]

هذه محاور بارزة في شخصية شيخنا الألباني الحديثية كتبتها من رأس القلم وأما جهوده في خدمة السنة المطهرة ومنهجه في دراسة الأسانيد ونقد الرجال، فمحله غير هذا الموضع.

وأرجو الله أن يتغمد شيخنا برحمته، ويرفع درجته، ويدخله الجنة بمنه وكرمه، ويجمعنا وإياه مع الأحبة: محمد ﷺ وصحبه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل

وأخيراً..

أقول: إن القلب ليحزن، والعين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا على فراقك يا أبا عبد الرحمن لمحزونون، ولكن لدعوتك حاملون، وعلى منهجك حريصون، ولإخواننا محبون ومعهم وبهم سائرون.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين■

---

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥).

(٢) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٣-٤)، ط الأولى - للطبعة الجديدة.

مباحث فقهية

معالم في فقه الشيخ الألباني

● بقلم: الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن القليل من الأعلام -قديماً وحديثاً- رزقهم الله -عز وجل- التبحر في علمي (الحديث) و (الفقه)، وجمعوا بينهما على وجه يظهر لهم فيهما أثر حسن، وكان نتاج هؤلاء في البحث والتأليف عمدة للراغبين، وهداية للطالبين، وتسابق الناس في جميع الأمصار والأعصار في تحصيل هذا النتاج، وتعجز ألسن الفصحاء وأقلام البلغاء عن تصوير فرحة الراغبين والطالبين بنتاج هؤلاء الموفَّقين، وذلك على امتداد السنين، ولا يشعر بهذه الغمرة وتلك الفرحة إلا طلاب العلم الشادين المشمرين.

وكان من بين هؤلاء العلماء الموفَّقين الجامعين بين التبحر في علمي (الحديث) و(الفقه) فقيدُنا علم الأمة ومحدِّثها وفقيهها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، -رحمه الله تعالى-.

وكلمتي هذه حول الجوانب الفقهية عند شيخنا -رحمه الله تعالى-.

ونجمل ذلك بالنقاط الآتية:

أولاً: كان فقهُ الشيخ -رحمه الله تعالى- ربانياً؛ فهو يعظم الدليل، ويمحص الصَّحيح من الضعيف، وكان له في ذلك بين أهل العصر السبقُ؛ فإنه وُجد في زمن لم تظهر بركة العمل بالحديث، وإن ظهر تدريسه وإقراؤه، وهو بجهده وجهاده وجده واجتهاده في هذا الجانب هدم ذاك الفصام المبتدع بين الحديث والفقه؛ فإنه -إنْ صح عنده الحديث- يستشعر أن الرسول ﷺ شافهه به؛ فيعض عليه بالنواجذ، ولا يأبه بمن خالفه، كائناً من كان.

" وُجد الشيخ في زمن غربة، ودار مع أنفاس السلف حذو القذة بالقذة، حتى يصح أن يقال عن شيخنا -رحمه الله-: أنه من التابعين تأخر به الزمن "

ثانياً: وهو في هذا متبع للصحابة، إذ لم يكن منهم من يقدم على نص رسول الله ﷺ عقلاً أو قياساً أو ذوقاً أو سياسة أو تقليد مقلّد، ولقد أكرم اللهُ أعينهم وصانها أن تنظر إلى وجه من هذا حاله، أو يكون في زمانهم، أما الشيخ -رحمه الله تعالى- فقد وُجِد في زمن غربة، ودار مع أنفاس السلف حذو القذة بالقذة، حتى يصح أن يقال عن شيخنا -رحمه الله- أنه من التابعين تأخر به الزمن.

ثالثاً: ومع ما سبق، فإنّ الشيخ -رحمه الله تعالى- كان واسع الاطلاع، عارفاً بالمسائل المجمع عليها، والمختلف فيها، وكثيراً ما كان يفصّلُ في الأقوال ويعزوها لأصحابها ذاكراً الأدلة النقلية إن وجدت فيها، وإلا فالقواعد الفقهية أو الأصولية التي تخرّج عليها مراعياً المقاصد الشرعية، ومآلات الأفعال، مظهراً اختياره وترجيحه على وجه ظاهرٍ جلي[1]، لا يتقيّد بمذهب أو مشرب، وإنما يتابع الدليل من صحيح الحديث والأثر، وهو في النوازل التي لا نصوص فيها متابع غالباً لأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزيّة، -رحم الله الجميع-، وذلك لموافقتهم في الأصول، وقواعد الاستنباط.

رابعاً: ولذا كان الشيخ حريصاً على عدم تفرده؛ فقد سألته: لماذا لا يكون تكرار الجماعة في المسجد الذي له إمام راتب بدعة، ما دام أنه لم يرد دليل عليها، ولا فعلها أحد في السلف قبلنا؟ فأجاب -رحمه الله- بأنه لم يسبق إليه.

وسمعتهُ أكثر من مرة يقول: لم أضعّف حديثاً في «الصحيحين» -أو أحدهما- إلا وأنا مسبوق إليه، وكان -رحمه الله- يلقن تلاميذه مقولة الإمام أحمد: «إياك والمسألة التي ليس لك فيها إمام». مع هذا، فإذا لاح له دليل صحيح عنده، وشهد له عمل السلف؛ فإنه يعض عليه بالنواجذ، ولا يقلد المتأخرين، وإن اشتهر قولهم.

ورحم الله الذهبي؛ فإنه قال -في «السير» (١٨/ ٩١)، معلقاً على مقولة ابن حزم: «أنا أتبع الحق، وأجتهد، ولا أتقيّد بمذهب»- ما نصه:

«قلت: نعم، من بلغ رُتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدة من الأئمة، لم يَسُغ له أن يقلّد، كما أن الفقيه المُبتدي، والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيراً منه لا يسوغُ له الاجتهاد أبداً، فكيف يجتهدُ، وما الذي يقول؟ وعلام يبني؟ وكيف يطيرُ ولمّا يُريِّش؟ والقسم الثالث: الفقيه المنتهي اليقظ الفهم المُحدّث، الذي قد حفظ مختصراً في الفروع، وكتاباً في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظه

(١) كان -رحمه الله تعالى- يرى التمذهب -على محاربته له- خيراً مما يُسمى اليوم بـ (الفقه المقارن)، ويرى أن ثمرة ذكر الأقوال: اختيار الراجح منها، تماماً كجمع الطرق في التخريج دون الحكم عليه، وإظهار درجته.

لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مُناظرته، فهذه رُتبة من بلغ الاجتهاد المُقيَّد، وتأهَّل للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وضح له الحقّ في مسألة، وثبت فيها النص، وعمل بها أحدُ الأئمة الأعلام كأبي حنيفة مثلاً، أو كمالك، أو الثوريّ، أو الأوزاعي، أو الشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، فلْيتبع فيها الحق ولا يسلُك الرخص، وليتورَّع، ولا يَسَعُه فيها بعد قيام الحجة عليه تقليدٌ».

خامساً: ومن الجدير بالذكر أن الشيخ -رحمه الله تعالى- كان جريئاً في نشر ما يعتقد، كثير النظر والبحث فيها مع العلماء، ومع طلبة العلم النُبهاء متبعاً في ذلك الدليل وقواعد الترجيح، فهو لا يخرج عن الأصول العلمية المتبعة عند العلماء، وإنما يقررها مستفيداً منها، بانياً عليها، ليؤكد ما رآه عن بحث واجتهاد، متحلياً بالإنصاف والصدق، والقوة بقول الحق.

وهذه المسائل التي خالف فيها فتوى المشهورين من علماء العصر الربانيين قليلة، تعلّق بها حاسدوه وشانئوه، ولو أسقطت لأجمعت الأمة على إمامته في هذا الفن، وهذا من محاسنه ومناقبه -رحمه الله تعالى- فإن المؤمن لا بد له من قادح ومادح، وإذا أجمع الناس على القدح في رجل، أو مدحه، فيتّهم، وهذه من علامة الإمامة في الدين، التي نالها الشيخ (ناصر الدين) بالصبر واليقين، والحمد لله رب العالمين.

وهذه المسائل -كما ذكرنا- هو مسبوق في جلّها، وإن خفي ذلك على غير المطلعين؛ فمثلاً من أواخر ما كان الشيخ يردده في مجالسه عند السؤال عنه: مسألة وجوب الأخذ من اللحية بعد القبضة، فقد دلل على فتواه هذه بذكره ثمانية آثار عن السلف فيها الأخذ، وذلك عند بيانه ضعف حديث «خذ من لحيتك ورأسك» في «السلسلة الضعيفة» (رقم ٢٣٥٥)، ونجد أن ابن الهمام يقول في «فتح القدير» (٢/ ٣٤٧) ما نصه: «قال في «النهاية» (من كتب الحنفية): «وما وراء ذلك (أي: ما وراء القبضة) يجب قطعه» ولي مصنف مفرد في المسائل التي أظهرها شيخنا، مردودة للقائلين بها من الأقدمين، مع ذكر أدلة قائليها فحسب، أسميته «نوادر الألباني» يسر الله إتمامه بخير وعافية.

سادساً: ومما ينبغي ذكره هنا أن للشيخ فتاوى عديدة في جميع أبواب الفقه، وذلك من خلال مجالسه والدعوات التي وجهت إليه، والرحلات التي كان يخرج إليها، وجلها في المدة الأخيرة من حياته داخلية، وهي بمثابة النزهة لديه، ولكنها كانت مليئة بالفوائد، زاخرة بالعطاء والتربية، وفيها ما يدلل على ذكاء الشيخ وفطنته، وسرعة بديهته، فهو غالباً ما يتناول السؤال بالتصحيح أو التدقيق -إن وجد فيه خطأً أو قصوراً، ولا سيما إن كان صاحبه طالب علم وإلا فيلقّن الشيخ مراد صاحبه، وهذا من فراسته ودقته، وهو في هذا كله بعيد عن التكلف، محب للبساطة واليسر والوضوح.

"

لم يكن هنالك حاجز بين الحق والشيخ، فمتى رأى أنه جانب الصواب في مسألة فإنه -رحمه الله- كان رجاعاً إلى الحق، قوالاً به

"

وهو في هذا مدرسة، يعلّم الطلبة الدقة في فهم مراد السائل، وينزع -غالباً- من الأدلة ما يوافق المسألة، وكان -رحمه الله تعالى- لا يتردد في بعض الأحايين من ذكر المقولة الشهيرة (نصف العلم: لا أدري) وهذه الفتاوى فيها كثير من النوازل، ومعالجة ما حلّ بالأمة من خور ومرض ولا سيما في العقيدة، وفيها تركيز على ضرورة إحياء منهج السلف في التلقي والتعلم والتعليم، وفيها جانب مهم في منهج الشيخ في الإصلاح.

سابعاً: من الحكم التي كان يرددها الشيخ -رحمه الله تعالى- «العلم بحث، لا يقبل الجمود والهمود» ولذا لم يكن هنالك حاجز بين الحق والشيخ، فمتى رأى أنه جانب الصواب في مسألة فإنه -رحمه الله- كان رجّاعاً إلى الحق، قوالاً به، ولذا عرف عن الشيخ -رحمه الله- في بعض المسائل أكثر من قول، ولا سيما في مجالسه، فإن الفهم عرض يذهب ويجيء، ولعلي أنشط لجمعها في مصنف مفرد، يسّر الله ذلك بمنّه وكرمه(١).

ثامناً: وكما اعتنى الشيخ -رحمه الله تعالى- بالفقه في حلقاته ودروسه، فإنه اعتنى به أيضاً في مؤلفاته، فقد ألف كتباً عديدة في أبواب فقهيةٍ مفيدة، تحتاجها الأمة، وفرح بها طلبة العلم كثيراً، إذ جمع الأقوال، وذكر الأدلة، وصحح ورجح، ووازن واستقصى في جزئيات هذه الأبواب، بحيث أغلق على من يأتي بعده الفكر في التدوين فيها، ولذا أصبحت مراجع للقاصي والداني على اختلاف المشارب والمذاهب، ومن الأمثلة على ذلك: كتابه الفذ الذي طبع نحو عشرين طبعة للآن: «صفة صلاة النبي ﷺ»، و«أحكام الجنائز»، و«تحذير الساجد»، و«تمام المنّة»، و«حجة النبي ﷺ»، و«جلباب المرأة المسلمة»، وغيرها مما طبع، ومما لم يطبع.

تاسعاً: وأخيراً... من الأمور التي ينبغي التنبيه عليها أن للشيخ -رحمه الله تعالى- آثاراً جليلة على طلبة العلم فالذين تفقهوا به من خاصة تلاميذه كثر وذلك امتداد حياة الشيخ في بلدان عديدة، ولا سيما عند تدريسه في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وأما الذين يتابعون كتبه وينهلون منها فهم أفواج تصل أعدادهم إلى عشرات الألوف إن لم يكن أكثر، وآثار هذه الاستفادة ظاهرة في مؤلفات النبهاء منهم، فإنك لاتكاد تجد (أطروحة جامعية) أو (كتاباً) أو (رسالة) إلا وفيها ذكر لاسم الشيخ وفي بعضها ذكر لاختياره الفقهي -رحمه الله تعالى- فالمصاب بوفاة الشيخ جليل، والفاجعة به كبيرة، والأسف عليه شديد، واللوعة به عامة، والفراغ بفقده واسع، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

فمضى وقد أبقى مآثره
وفي الرجال معمَّرُ الذِّكر ■

(١) وتقوّت هذه العزيمة برغبة شيخنا عبدالمحسن العباد -حفظه الله تعالى- أن أقوم بذلك.

مباحث عقدية

العلامة الألباني وجهوده في العقيدة

• بقلم: الشيخ علي الحلبي

■■ يُعدُّ أستاذُنا العلاّمة أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدّين الألباني -تغمَّده اللهُ برحمته الواسعة- مِن العُلماء القلائل الّذين أفْنَوا أعمارَهم في خدمة العلوم الإسلاميَّة -بعامة-، وعلوم العقيدة السلفية - بخاصّة-.

فلقد كانت دروسُهُ العلميّة قبل نحو نصف قرنٍ من الزمن -في دمشق الشام- دروساً قائمةً أكثر ما تكونُ على تدريس كتب العقيدة، مثل: «كتاب التوحيد»، وشرحه «فتح المجيد»، وغيرها.

وهكذا عامّةُ مجالِسه، ومناقشاته، ومناظراته؛ نصرةً لعقيدة أهل السنة، ورداً لعقائد المبتدعة الرديّة.

وأمّا في مجال التصنيف والتأليف والتحقيق الذي هو فيه من أوسع باب؛ فإنّه -رحمة الله عليه- قد ألّف وحقّق أهم الكتب في ذلك؛ فهذا كتابه «مختصر العلو للعليّ العظيم» -للإمام الذهبي- في أصلٍ مهم من أصول توحيد الأسماء والصفات، وقد قدّم له بمقدّمة علميّة مهمّة، تُعدّ من فوائد الكتب في هذا الزمن.

وأمّا كتابه «العقيدة الطحاوية: شرح وتعليق»؛ فإنّه من الكتب النافعة التي تربّى عليها النشء المعاصر في معرفة العقيدة الصحيحة، وردّ على أهل العقائد المنحرفة..

وكتابه «تحذير الساجد من اتّخاذ القبور مساجد» من الكتب النفيسة المؤلّفة في باب توحيد الألوهية، وحماية حمى التوحيد، وصيانة جوانبه ممّا قد يمسّه بنقص، أو يخدشه بباطل.

> "وأمّا ما قام به من جهود لإحقاق الحق في مسألة (الإيمان)؛ فإن له فيه -رحمه الله- قصب السبق في كل باب؛ تحقيقاً وتخريجاً لكتب الأئمة السابقين"

وأمّا ما قام به من جهودٍ لإحقاق الحقّ في مسألة (الإيمان) وِفْقَ تصور أهل السنة من عُلماء منهج السّلف؛ فإنّ له فيه -رحمه الله- قصب السق في كُلّ باب؛ تحقيقاً وتخريجاً لكتب الأئمة السابقين: «الإيمان» لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم، و«الإيمان» لابن أبي شيبة، و«الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهم الله جميعاً-، وغيرها من الكتب.

ومُناقشاته في هذا الباب منذ نحو ربع قرنٍ -مضى- لا تخفى على ذي بصيرة؛ وردوده أثناء ذلك على الخوارج العصريّين، من جهلة المكفّرين، ومتعقبة المنحرفين: معروفةٌ لكلّ ذي نصَفَةٍ.

وفتاواه -في هذا الباب- ملأت الدنيا حقاً وهدايةً، وأوعبت فيها قواعد وأصولاً؛ مّما جعل الكثيرين يهتدون، وإلى لُباب الحقّ يرجعون.

وليس يغيب عن صادقٍ ناصح فتواه المحررّة المحبّرة التى وثّقها العلماء وقرّظها كبار الشيوخ؛ كمثل الشيخين الفاضلين، والعالمين الكبيرين: عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، ومحمد بن صالح العثيمين -حفظه الله-؛ وذلك حينما ردّ على دُعاة التهييج ونقض شبهاتهم، ودكّ بحجج الحق واهن بيوتهم، في فتواه المشهورة حول (فتنة التكفير)؛ فجزاه الله خير ما يجزي به عالماً عن أمته.

ومن باب تقريب فوائد العلم -في مسألةٍ مهمّة من مسائل العقيدة، تتضمّن الردَّ على بعض شبهات المخرّصين الجاهلين أذكر وداعي للشيخ -رحمه الله- وأنا على وَشْكِ السفر للحج (سنة١٤١٩هـ) -في بيتِه ومكتبته-؛ لَمَّا عرضتُ عليه فتوى اللجنة الدّائمة للبحوث العلمية والإفتاء في مسألة (سابّ الدين)، وقولهم فيه: (وينبغي أن يُبيّن له أنّ هذا كفر؛ فإنْ أصرّ بعد العلم: فهو كافر). «فتاوي اللجنة الدائمة» (٢/ ١٤).

وعرضتُ عليه -كذلك- فتوى فضيلة أستاذنا الشيخ محمد بن صالح العُثيمين -حفظه الله- ضمن «مجموع فتاويه» (/ ١٥٤ ٢)، واشتراطَه (الإرادة والقصد) للحكم بتكفير المعيَّن الفاعل لذلك..

ثم سألتُه -بعد-: هل ترون غير هذا الحُكْم؟! فكان جوابه حَاسِماً، حازماً، جازماً؛ قائلاً: «بل هذا عينُ ما نقول به».

أقول: ثمّ رأيتُ كلامَ فضيلة الشيخ عبد الرزّاق عفيفي في «فتاويه» (ص٣٧٢) سائراً على التأصيل نفسِه، والتّقعيد ذاتِه... ولله الحمدُ.

وهكذا؛ تلتقي فتاوى عُلمائنا وتجتمع؛ لوحدة المنهج، واتفاق السَّبيل... ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾..

وأمّا ما يتردّد على ألسِنة (البعض) ممّا قاله شيخنا -رحمه الله- حَوْلَ (سوء التربية) وأثرها في هؤلاء (السائِين)، فإنَّ (أولئك القوم) لم يفرّقوا -لجهلهم- بين (السّبب) و(المانع).. فَخَلَطُوا، وخَبَطُوا... وليس هذا عنهم بغريب!!

قلتُ: هذا هو القولُ (الوسط)؛ من غيْر وكسٍ ولا شَطَط....

ومن أعجب شيء يكونُ -بعد هذا- ما يتناهى إلى أسماعنا، أو تصلُه أبصارنا من تسويدات -هنا- أو كلماتٍ -هناك-، تغمزُ بالشيخ -رحمه الله-، وتطعن به، أو تُلي من قناته!

وأهمّ ما يترددّ -ممّا هو بغير علم يُردّد اتّهامه -رحمة الله عليه- بالإرجاء!! والله،

وتالله، وبالله إنّ الطاعن به -بهذا- غيرُ فاهمٍ لهذه المسألةِ، ولا واعٍ لدقائقها.

وإلا، فكيف يكون مرجئاً من يقولُ: الإيمان يزيد وينقص؟!

وكيف يكون مرجئاً من يقول: العمل من حقيقة الإيمان؟!

وكيف يكون مرجئاً من ردّ على المرجئة، ونقض عليهم؛ حتى من عُرفوا بـ (مرجئة الفقهاء)؟!

إنّ هذه الكلمة الباطلة، والتهمة الفاشلة التي تضحك منها الثكلى تذكِّرني بلطيفةٍ أفادنيها شيخُنا -قدّس الله روحه-، وعنه أخذتها، ومنه أفدتُها:

فقد روى الإمام إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٣ / ٦٧٠ - ٦٧١) عن شيبان بن فرّوخ، أنّه قال لابن المبارك: يا أبا عبدالرحمن، ما تقول فيمن يزني ويشرب الخمر -ونحو هذا-: أمؤمن هو؟! قال ابن المبارك: لا أخرجه من الإيمان؟ فقال: على كِبر السنّ صرت مرجئاً؟! قال له ابن المبارك: يا أبا عبد الله! إنّ المرجئة لا تقبلني!! أنا أقول الإيمان يزيد، والمرجئة لا تقول ذلك! والمرجئة تقول حسناتنا مُتقبَّلةٌ، وأنا لا أعلم تُقبِّلتْ مني حسنةٌ!! وما أحوجك إلى أن تأخذ سبُّورة فتجالس العلماء!!»

نعم؛ ما أحوج (هؤلاء) إلى مجالسة العُلماءِ، وضبط قلوبهم بمعالم الحقّ، ونفي الشهوة والشبهة عن عقولهم وأفئدتهم؛ حتى يحكموا على أهل الحق -إن كانوا أهلاً لذلك -بالحق.

واللهُ الهادي إلى الحقّ■

من يرث الألباني؟!

مَاتَ الـــرَّسُولُ وَصَحْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ
لَكِنْ حَيَاةٌ فِي هُدَى الـــفُرْقَانِ
لاَ يَنْقَضِي أَجَلٌ لِمَنْ مُتَمَسِّكٌ
بِإِهَابِهَا وَبِوَصْلِهَا مُتَدَانِي
نَعَمْ فَمَوْتُ الـــشَّيْخِ شَأْنٌ مُفْجِعٌ
لَكِنَّهُ مِثْلُ بَنِي الإِنْسَانِ
فَلْتَصْنَعُوا أَبْنَاءَهُ أَصْحَابَهُ
طُلاَّبَهُ حُبّاً مَلِيءَ جَنَانِ
وَمَزِيـــدَ جُهْدٍ لِلـــدُّعَاةِ لأَنَّهُ
حَالٌ بِمَوْتٍ زَادَ فِي الـــنُّقْصَانِ
كَيْ تَقْطَعُوا لِلشَّامِتِينَ مُرَادَهُمْ
فِي خُلْفٍ اوْ بِتَخَالُفٍ مُذْ آنِ
فَالـــشَّامِتُونَ بِكِذْبِهِمْ قَدْ سَوَّدُوا
لِمَـــقَالَةِ سُـــوءٍ بِـــلاَ بُرْهَانِ
حَتَّى تَعَشْعَشَ جَهْلُهُمْ فِي بَاطِلٍ
قَدْ أُغْرِقُوا بِالـــظُّلْمِ وَالـــبُهْتَانِ
قَالُوا: خِلاَفَةُ شَيْخِكُمْ آلَتْ لِمَنْ
قُلْنَا: الخِلاَفَةُ أَمْرُهَا رَبَّانِي
لَمْ يَخْلُفِ الشَّيْخُ أُنَاســـاً قَبْلَهُ
مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَخْلِفُ الأَلْبَانِي
وَاللهِ لَوْ جُمِعَتْ جُمُوعٌ حُشِّدَتْ
مَا سَاوَتِ الـــشَّيْخَ بِلاَ نُكْرَانِ
لَكِنَّ هـــــذَا لَيْسَ يَعْنِي أَنَّنِي
مُتَسَاهِلٌ بِمَكَارِمِ الإِخْوَانِ
هُمْ إِخْوَةٌ قَامُوا بِحَقٍّ دَعْوَةً
عِلْمـــاً وَتَأْلِيـــفـــاً وَرَدْعَ الجَانِي
فَالـــلـــهُ يَحْفَظُهُمْ بِخَيْرِ كَلاَءَةٍ
يَرْعَاهُمُ بِالـــــبِرِّ وَالإِحْسَانِ

بقلم: أبي الحارث علي الحلبي

كلمات في الدعوة والمنهاج

مسؤوليّة الأمة في الدفاع عن علم الأمة

• بقلم: الشيخ فتحي عبدالله سلطان

■■ ما إن سكنت العبرات، وخفت الأزمات، وتناست المزعجات بفقد الإمام المجاهد عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، حتى ابتليت الأمة بفراق العلامة المجدد محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-، ليكون هذا العام عام الحزن على أهل السُّنة والجماعة؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي وداع الشيخ ناصر، الأمة تفقد علماً من أعلامها، وإماماً من أئمة الهدى: الرجل الذي أجرى الله -تعالى- على يده نعمة تجديد الدين؛ فوجب على الأمة القيام بشكرها؛ فنعمة التجديد هي تمام النعمة وحقيقتها.

ولقد عاش الشيخ -رحمه الله-، للعلم محباً، وللكتاب والسُّنة ناصراً، وللحديث محققاً، وللدعوة خادماً، وللعلماء معززاً، ولطلاب للعلم موجهاً، وللدعاة راعياً، وللأمة ناصحاً، ولنوازل الواقع فقيهاً، وللكتب ملازماً، بل وللمنهج حامياً، وللعقيدة حارساً.

وكان لرسوخ علم الشيخ، وسعة اطلاعه وتنوع معارفه أثر في زيادة يقينه، وتمام صبره في حمل المنهج والعمل به والدعوة إليه؛ حتى صار إماماً يقتدى به، والله -تعالى- يقول: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾؛ فالصبر على طلب العلم، وحمل النفس عليه، وملازمته ثم الارتقاء في حقائقه حتى يرسخ في القلب رسوخاً يقينياً مثمراً للعمل والانقياد -برهانان جليان، وشرطان مهمان لنيل الإمامة في الدين.

والناظر بعين البصيرة يتيقن أن الشيخ -رحمه الله تعالى- كان إماماً في صبره، إماماً في رسوخ علمه، إماماً في منهجه، إماماً في دعوته، بل قل -إن شئت-: إنّ سيرة الشيخ ناصر وحياته هي إمام؛ لما جمعه في حياته العلميّة من أبواب العلم والمعرفة، وخزائن التحقيق والتصنيف، ولما

قام به من تجديد للمنهج والدعوة...؛ فكانت تجربته الذاتية، وحياته الدعويّة ومفاهيمه العلميّة قوائمها الكتاب والسنة؛ فهي علميّة في أصولها، عملية في سيرها، شمولية في إدراكها، سلفية في فهمها، ربانية في طريقتها....؛ مؤيّدة بحجج السمعيات، وقواطع العقليات، ومدلّلة بعنعنات الروايات، وأسانيد الحكايات، تعالج المسائل والنوازل بنفَس عالم، وعلم فقيه، وصبر محدث، وورع عابد؛ لتنتهي أجوبةً علميةً مؤصّلةً لا يصلح علاج الواقع إلا بها، تضيء طريق الربانيين، وترشد إلى سبيل المؤمنين.

إذاً؛ فما أحوج الأمّة بعامّة، وطلاب العلم والدعاة بخاصّة أن يستبصروا علم الشيخ ومنهجه؛ فقد ترك من ورائه مصنفات وتحقيقات وكلماتٍ وفتاوى تصلح أن تكون منهجاً علمياً متكاملاً في الدعوة والتجديد؛ فما زال علم الشيخ -رحمه الله تعالى- باقياً في الأمة يهديها إلى سبل الرشاد، ويرفع عنها جهلاً مطبقاً وتعصباً أعمى.

ولعلّ أهم ما يميز علمية الشيخ ومنهجه: تأصيله العلمي ومنهجيته في بحث المسائل، واستظهار المطالب الشرعية من المرويات بنفس علمي بحثيٍّ متين مداره الدقة المتناهية في التحقيق، والأمانة التامة في النقل، مع التفصيل والتفريع على أصول علمية، وإيضاح مجملات كلية، ومع هذا كله تراه يعالج النوازل والحوادث معالجة شرعيًّة شمولية دالة على فقهه الأصيل في مدار السياسة الشرعية؛ فلاعجب فهو الإمام الذي جمع بين علمي الرواية والدراية؛ فهو موسوعي في أصول علومه، مكثر للتصنيف في مجال تخصصه، مدندن في مجالسه بالتوحيد والاتباع؛ لتيقنه أن حاجة الأمة -في نهضتها- لهما فوق كل حاجة، وضرورتها إليهما فوق كل ضرورة.

ولقد أدرك الشيخ -رحمه الله تعالى- منذ باكورة دعوته: أنَّ الطريق الأمثل لتحصيل الهداية التامة، والعلم اليقيني الراسخ هو طريق الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وأنّ هداية الرسل هداية تامة كاملة، وأن منهجهم في الدعوة إلى الله -تعالى- قائم على التوحيد الخالص، وأن السبيل الأقوم للنهوض بواقع الأمة إنما يكون من طريق العلم النافع والعمل الصالح، والخطوات العملية لذلك تنطلق من أساس التصفية والتربية تحت مظلة التعاون الشرعي الأخوي العلمي المتجرد عن الحزبية بكل صورها وأشباحها..

مضى -رحمه الله تعالى- وهو يحمل هموم الأمة في صدره،، ورغبات الربانيين

في قلبه، مضى وهو يحمل آمال أهل العلم في نفسه؛ بعد إذ وفر لهم طوال سبعة عقود من الزمن جل ما احتاجوه في طريقهم العلمي والدعوي من مسائل الدين وأصول الفهم.

عاش لقلمه وكتبه وعقيدته ومنهجه بسعي حثيث وتواضع علمي لا نظير له في عصرنا، بل بلغ به الحزم أن استدرك على نفسه بنفسه، وتعقب على رأيه برأيه استظهاراً للحق وتقرباً إلى ربه؛ حتى ظن البعض(!)- ممن لم يرسخ في العلم -أن ذلك منقصة في حقه وتناقض في منهجه، وضعف في علمه، وهم أثبتوا بظنهم هذا جهلاً في العلم، وغفلة عن الذكر.

وليدرك خصوم الشيخ -إن كانوا للحق مدركين- أن عداءهم للشيخ ودعوته هو عداء ظاهر للإسلام بأصوله وشرائعه- إذ إنَّ خصومتهم لم تكن في دائرة الذوات والشخوص بل في دائرة الاعتقاد والمنهج-، وأن في إعلانهم العداء لعلم الشيخ وطريقته -التي ما فارقت طريقة السلف- قد نسوا حظ أنفسهم من العلم والفهم والإنصاف والعدل، وفقدوا شيئاً عزيزاً لو كانوا يعلمون؛ والجزاء من جنس العمل؛ **﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك همُ الفاسقون﴾**؛ فلا يضر الشيخ ودعوته وطلابه ما قيل؛ فقول أولئك الذين تربّوا على التقليد الأعمى، والجهل المركب، والحزبية المقيتة كله يبور، ويكفيهم من الشيخ صولته عليهم في مقدمات كتبه وتضاعيف أوراقه؛ فصولته كانت بالحق، وللحق، ومع الحق.

فما أحوج خصوم الشيخ إلى توبة نصوح، وإنابة صادقة، ورجعة نادمة، ومحاسبة عاجلة قبل فوات الأوان.. أم هم بهزائمهم فرحون! أم هم بجهلهم راضون!! أم هم للحق كارهون...

"

مثل جهد الألباني -رحمه الله- العلمي والدعوي مرحلة انتقالية لنقل الأمة من الاستضعاف إلى التمكين

"

وأخيراً... لابد من التذكير بأن أسباب الظهور والانتصار لهذا الدين لا حصر لها، ولا يزال الدين منصوراً بأسباب كثيرة، والفقيه البصير يرى بوضوح أثر النصر الذي حققه الشيخ ناصر -رحمه الله تعالى- للأمة؛ فهو من أسباب النهضة العلمية التي انتشرت في كل قارات الأرض وأرجاء المعمورة في الوقت الذي كان التحقيق العلمي للسنة عزيزاً في الأمة؛ ولهذا مثل جهد الألباني -رحمه الله-

العلمي والدعوي مرحلة انتقالية لنقل الأمة من الاستضعاف إلى التمكين، وقد أوفى الشيخ -رحمه الله تعالى- بشرط هذه المرحلة من جهة تحقيق إمامة الدين، ومن جهة حفظ موروث علم النبوة، وهما برهانان مهمان لنقل الأمة إلى التمكين، وشرطان أساسيان لتهيئتها للخلافة راشدة على منهاج النبوة، والله -تعالى- يقول: **﴿ونريدُ أن نَمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾**.

ولكن هل تستطيع الأمة أن تحافظ على هذا النصر الذي كان الشيخ الألباني -بعد الله تعالى- من أهم أسباب وجوده؟!

نعم، إنها مسؤولية الأمة في الحفاظ على النصر الذي حققه الشيخ ناصر -رحمه الله تعالى- مع إخوته كواكب العلم وأئمة الهدى في أرض الجزيرة وديار الشام وبلاد اليمن...

إنها مسؤولية الأمة في الدفاع عن علمية الشيخ وانتصاراته.

اللهم لا تفتنا بعده، وارحم اللهم علم الأمة رحمة واسعة!

إن القلب ليحزن، وإنّ العين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي الربّ، وإنا على فراق مجدد العصر لمحزونون ■

من مزايا الشيخ

بقلم: د. محمد بن لطفي الصباغ

■■ لقد اتصف الشيخ بمزايا تدل على فضله منها: أنه يعمل بما يقول ولا يخالف فعله قوله ومنها: أنه رجّاع إلى الحق إذا تبين له إنه كان مخطئاً في رأي رآه فكم من فتوى رجع عنها وكم من حديث ضعفه رجع عن تضعيفه.

ومنها: أنه كان يستفيد من وقته وما كان يدع ساعة من وقته دون أن يستفيد منا بقراءة أو كتابة أو درس أو نحو ذلك.

ومنها : أنه كان يحسن المناظرة فلم يدخل في مناظرة علمية إلا كانت له الغلبة وذلك أنه كان يعرف أدلة الخصوم ويستحضر الرد عليها، وما كان يدخل في نقاش إلا إذا كان متمكناً من الموضوع المطروح للنقاش، وقد ناقش القاديانية وابطل أقوالهم وناقش عددا من المبتدعة وأظهر باطلهم وافحمهم وناقش شيخنا له آراء منحرفة ولكنه تغيب في الجلسة الثانية وفر من لقاء الشيخ.

ومنها: ما آتاه الله من ذكاء وذاكرة جَيدة، وكان يفيد من هاتين الموهبتين في العلم أيما فائدة.

ومنها: صبره على ما كان يلقى:

فقد صبر على الفقر الشديد في نشأته.

وصبر على طلب العلم فعندما كان لا يجد الكتاب المطلوب لا في مكتبته ولا في مكتبة أبيه ولا يستطيع شراءه كان يذهب إلى المكتبة الظاهرية وهي من أغنى مكتبات العالم بالكتب والمخطوطات الحديثة ويدرس فيها. وإذا كان بحاجة إلى أن يكون الكتاب معه مدة أطول كان يلجأ إلى مكتبة عبيد ومكتبة القصيباتي فيستعير الكتاب دون أجرة ثم يعيده عندما ينتهي منه أو عندما يطلبه صاحب المكتبة■

التزكية وتربية النفوس

منهج الشيخ الألباني في التزكية

● بقلم: الشيخ حسين العوايشة

■■لقد كان لشيخنا -رحمه الله تعالى- اهتمام كبيرٌ بالتزكيّة والتربية، فما رأينا منه -والله- إلاّ التخلّق بأخلاق الإسلام والحرص على العمل بالكتاب والسنّة والاقتداء بسلف الأمّة والتحلّي بمكارم الأخلاق.

كم صحبناه وجالسناه فما سمعناه يذكر الدنيا ولا عرضها الزائل، بل إنَّ لقاءه يذكّرنا بالله، ويصغّر الدنيا في أعيننا.

إنّه يذكرنا بالعلم النافع والعمل الصالح، والمسابقة إلى الخير، وكم كان يوصي -رحمه الله- تلامذته بالإخلاص لله -تعالى- ويضمّنه إجاباته، وحين عُرضت له محاضرات في «التلفاز» في بعض البلاد قال: إنّني متأثر بذلك القول القديم حب الظهور يقطع الظهور.

وكان يهتمّ بتصحيح الاعتقاد، ويحذّر من الشرك بأنواعه وأشكاله، ويدعو إلى اتّباع منهج السلف الصالح الّذي تلقّى من نبع النبوّة، وله في هذا أقوال بديعة لم يُسبَق إليها، في زماننا فيما علمتُ.

ولا تتأتّى التزكيّة، ولا تتسنّى التربية إلاّ بهذين الأصلين العظيمين، أضف إليه أصلاً ثالثاً: وهو منهج التمحيص والتحقيق، فما تدنست عقائد أهل الزيغ والشرك إلاّ لخلوّها من التمحيص، والبرهان والدليل، وتراه في اختياره للموضوعات والكتابات والمحاضرات، يسابق للأنفع، فانتفع منه العلماء وطلاب العلم، وعامّة المسلمين انتفاعاً كبيراً في العبادات المتكرّرة؛ كالصلاة، والحجّ، وأحكام الجنائز، وآدابِ الزفاف... وغير ذلك.

> **"كان يهتم بتصحيح الاعتقاد، ويحذر من الشرك بأنواعه وأشكاله، ويدعو إلى اتباع منهج السلف الصالح الذي تلقى من نبع النبوة"**

وكان يوصي بعدم تحلّي المرء بما لم يعط والتشبّع بما لم يؤت؛ في أمور الدين والدنيا، وكان يقول لمن يعجب بترتيب بعض الأشياء في منزله: هذا أشار به عليَّ فلان.

ويقول في بعض المسائل العلميّة: نبّهني إليها فلان، وأفدتّها من فلان، وفي اجتماع لتحديد منهج التعامل مع فتاواه؛ قال بعض

تلاميذه : ينبغي أن تحوّل محاضرات شيخنا إلى أسئلةٍ فقال -رحمه الله- : هذا مخالف للواقع.

وأمّا في مسائل اللّغة؛ فقال : إنّني أقرأ هنا : «فتاوى الألباني»؛ فينبغي أن تظهر العُجْمَة فيها.

وسأل سائلٌ من الأخوة ماذا ترون في إجابةٍ قلتم فيها : «والله أعلم»؟

قال : «تثبت على حالها».

وقال آخر : «وإذا كان هناك تراجع عن فتوى؟».

قال : يذكر الخطأ والصواب.

وكان يحرص على صلاة الفجر، وصلاة العشاء في مساجد بعيدةٍ عن حيِّه؛ ليصلّي وراء إمامٍ حسنِ الصوت.

وأكثر ما كان يصلّي في مسجد صلاح الدين؛ مؤتمّاً بالأستاذ محمد إبراهيم شقرة -حفظه الله- وكذلك صلاة الجمعة وفجرها، وأيّام رمضان يذهب في الشطر الثاني من الصلاة في منتصف اللّيل في العشر الأواخر من رمضان.

وضربَ لنا مثلاً طيّباً في تواضعه وخفضه جناحَهُ لتلاميذه وإخوانه.

فحين جئت من الإمارات قبل شراء السيارة؛ قال شيخنا -رحمه الله- : «لا أقول سيارتي على حسابك، بل السيارة وصاحبها على حسابك».

وكم كان يتّصل ببعض تلاميذه يستشيرهم، ويسألهم عن أمورٍ علميّة وحديثيّة.

وسألني عدّة مراتٍ عن أمورٍ لُغَويَّةٍ، مع أنّه هو مرجعي في اللّغة وغيرها.

وكان يحرص على زيارة إخوانه، ولا سيّما الضعَفَةَ منهم، حتّى إنّه قد تخلّف ذات يومٍ أخٌ لنا ممّن كان يرافقنا في صلاة الفجر، في سيّارة شيخنا، فقال -رحمه الله- : «ينبغي أن نذهب إليه لنطمئنّ عليه».

وكان يحثُّ على عدم المجاملةِ في الدين ويوصي بالحكمة والتدرّج في الأمور التي لا يعرفها النّاس، ويذكر قول عليٍّ -رضي الله عنه- : «حدّثوا الناس بِما يعرفون، أتريدون أن يكذّب الله ورسوله».

وكان يكثر من الإنفاق في سبل الخير، حريصاً على إخفائها، وله في ذلك قصصٌ يعلمها بعض تلامذته، وإن اقتضى الأمر إبداء ذلك وإظهارَهُ؛ فعل.

وهكذا فإنَّ شيخنا -رحمه الله تعالى- قد اعتمدَ في تربيّة نفسِه وتلامذته وإخوانِه، وعامّة المسلمين على الكتاب والسنَّةِ؛ في ضوء منهج سلف الأمّة، وإن لم تكن هذه التي تربّي فماذا إذن؟!!

وفي مثله يقول -سبحانه- : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

والكلام في هذا الجانب يطول ويطول، وفيه وقائعُ وقصصٌ كثيرةٌ تكتبُ في مجلّدات، وأكتفي بهذا القدر سائلاً الله -سبحانه- أن يلحقنا به مع النّبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً■

من ديوان الرثاء

مضى إلى الله..!

• بقلم: أبي الفضل عادل المراكشي

ماءُ الحياةِ بذِي الدنيا وإن عَذُبا
أخو السَّراب!! فلا يغررْك من شربا
فما تطيب كؤوس من مُعَتَّقَةٍ
ما دام كأسُ المنايا صَاح مقتربا
فاعملْ لتلْقى الذي تسررك طَلْعَتُهُ
وَقَدِّمَنْ صالح الأعمال والقُرَبا
فليس يُذْكرُ بعد اللَّحد من نَشَبٍ
إلا بصالحةٍ تَستَصْلِحُ النَّشَبا
طوبى لعبدٍ أتى الدنيا على وَجَلٍ
كما أتى ناصرُ الدين الذي ذهبا
مضى إلى الله واستوفى الذي كُتِبا
وما تَلَوَّنَ بالدنيا وما اضطَربا
وما تَلَوَّثَ في أدرانها رَغَباً
وما تَرَدَّدَ في حقٍّ بها رَهَبَا
بل كان حيثُ ثوى كالبدر مُكْتَمِلاً
يعلو سماء العلى في عِزَّةٍ وإبَا
مضى إلى الله يا لَلْحُزْنِ من خَبَرٍ
لو أنه كَذِبٌ قد امْدَحُ الكَذِبا
أو أنه مِنْ كَرَى الأضغاثِ صاعقةٌ
لأهجُرَنَّ فِراشَ النوم والأهُبا
وأعطينَّ بتكذيبٍ له مُهَجاً
وأَبْذُلَنَّ عليه الوَرِقَ والذَّهَبا
لكنه الصِّدقُ! حمداً للإله على
ما أمسك الدهرَ من نُعْمَى وما وهبا
صِدْقٌ يُبَدِّدُ آمالا ويبْعَثُ من
أصْدَائِه أخْوَفَ الآلام والشَّجَبا
صِدْقٌ أحَرُّ مِنَ الرَّمْضَا على كَبِدي
أبقى الفؤاد عليلاً هَيِّناً وَصِبا
ألْوَى بِصَبْرِيَ حتى خِفْتُ من جزَعٍ
وأسْبَلَ الدمعَ مُنْهَلاً ومُنسكِبا
ولَسْتُ وَحْدِي أرثيه وأنْدُبُهُ
فَلَسْتُ إلا فتى في عَالَمٍ نَدَبا
تبكيه أعلامُ حق كان يحملها
شرقاً وغرباً بأيْدٍ تقهرُ الألبا
فما ترى بلدا إلا له أثرٌ
فيه ومتخذٌ في بَعْثِهِ سببا
فسل دمشق وسل عمَّان وسل حرما
والهند والمغرب الأقصى وسل حلبا
تجد مراثيَ في الجدران باكيةٍ
كأن دمْعَتَهَا قد فارقت صَبَبَا

تبكيه حزنا! وإجماعا تقول لنا
أكرم به عَلَماً وعالِماً وأبا

سل عنه طلابه الأفذاذَ في دول
شتّى!! تجد عبراتٍ تسبقُ الذّربا

وما لناظرة كانت تَقَرُّ بِهِ
إلا الْيَتَّهَا أنْ تهجُرَ الطَّربا

إيهِ! تحق لها الشكوى فقد فقدَتْ
بفقده العلمَ والإحسانَ والأدبا

فما رأت مثله في وُدِّه طَرِباً
ولا رأت مثله في الحقِّ إن غضِبا

وسل مُعَاشِرَهُ عن خشيةٍ وتُقىً
كم أرسلت دمعه في الليل منتصِبا

يأبى المباح ويأبى المدح عن ورع
ويستعيذُ برب العرش مرتقبا

وكم رأى الصالحون الغرُّ فيه رؤىً
من عاجلِ البِشر قد جاءته فاكتَرَبا

أن قيل إنك تقفو المصطفى وبك
واستَوْكَفَ العبراتِ الحُمْرَ وانتحبا

سبعون عاما من الأزمان أسكنها
بين الأحاديثِ يا بشراه ما اكتسبا

سبعون عاماً مُحَيَّاهُ يُنَضِّرُ في
سَرْدِ الأحاديث والآثار محتسبا

ما كان يطمع أن يحظى بجائزة
لذاك لما أتته أشرقت طَرَبا

سبعون عاما يَذُبُّ الريب عن سنن
إن يبدُ مبتدع أو ذو هوى نَعَبا

يُستَنفَرُ الشيخُ منصورا بحجته
حتى كأنَّ له من ربه شُهُبا

فيبطل البدع السودا وَيُزْهِقُها
ولا تصيب دما منه ولا سلبا

يدعو إلى دعوة التوحيد متبذاً
أوْحَال شرك إذا المطلوب قدْ طُلِبا

أعلى لأهل الحديث رايةً حُجِبَتْ
دهراً فَكَشَّفَ عنها السِّتْرَ والحُجُبا

أعلى به الله قول الحق في زمنٍ
يسطو بغربةِ أهلِ السُّنَّةِ الغُربا

دوَّى به سَلَفِيُّ النهج متبعا
هَدْيَ الرسول ومن للمصطفى صَحِبا

صَفَّى وَرَبَّى وَقَدْ أَبَتْ أبابَتُهُ
على الوُضُوح فما اشْرَوْرَى ولا انتقبا

وأيقظ الأمة السكرى بأجوبة
من محكم الذكر يبدي الفقهَ والأدبا

وصار للسنة الغراء مدرسة
قد جَدَّدَتْ بالحديث العُجْمَ والعَرَبا

لله درك يا شيخ الشيوخ ويا
عَلاَّمَةَ العصر يا نِبْرَاسَ من سَرَبا

ما زال صوتك في أُذُنِيَّ يأسِرُني
ونُورُ وَجهِكَ عن عينَيَّ ما غَرَبا

لا لا تلمني أخي إن قلتُ قد جُمِعَت
في الخصال التي تَستَوْجِبُ العَجَبا

مِن ابن حَنْبَلَ نال الصبر مُمْتَحَناً
إذ ظَلَّ يُطْرَدُ في البلدان مغتربا

وناله اللُّؤمَا الأوْغَادُ عن حسدِ
بالطعنِ والتُّهمِ الشَّوْهَا فما اعتَتَبا

فعاد جُنْدُ الهوى بالخسر منهزماً
وعاد شيخ الهدى بالنصر قد غَلَبا

وَمِ البُخـاري أميـر المؤمنين أتى
عرشَ الخلافةِ في التحديثِ وانتصبا
وكـان كـابنِ المديني كـاشـفـاً عللا
تُعْيِي الألبَّا ومن في الفنِّ قـــد أربا
ومن يطالعْ بمحضِ العدل ما كَتَبَت
يُمـنـاهُ يَلْقَاهُ نَقَّاداً وَمُنْتَخِبـــــا
فكلُّ خـافـيـةٍ عن شـمـسـه اتضـحت
وكل مــبـتـعِـدِ المعنى به اقـتـربا
سل عنه مكتـبـةً بل مكتـابِ هُدىً
تَرَبَّعَ الشـيـخُ في أرجـائهـا ورَبَا
مـا كـان يسـأمُ من عيشٍ بهـا أبدا
وكـان يَهْجرُ فـيـهـا الصَّخْبَ والعِنَبَا
ولا يفـارقـهـا حـرصـاً على زمن
حـتى يطالعَ منهـا الدِّقَّ والسَّهَبَا
فَيَفْصِمُ الـلؤلـؤ المكنون عـن زَبَدٍ
ويُطعِمُ العَسَلَ المعســولَ والرُّطَبـا
فـــأتحف الكونَ بالإرواء أرسلـه
كـالجـاريات بيسـرٍ تمحق الجـدبا
ورَصَّعَ الجِيـــدَ عَنْ عَطَلٍ بسلسلةٍ
كـالتـاليـاتِ لذكـرٍ تدرأ الكَذِبا
وكم من الكتب الغرَّا أفـاد بهـا
تروي الصحيحَ وتنفي الزورَ والشغبا
وكم تحـاكم أقـوامٌ إليـه فـمـا
نادوه إلا وانهى الريب والصَّخَبـــا
فـــــسل مُنَاظِرَهُ عـن قَدْرِ هَيْبَتِهِ
هل يسـتطيعُ امـتـدادَ اللَّحظِ إنْ قَرُبَا
وسل مُحَاجِجَهُ عن حـــدِّ عـــارِضَةٍ
هل يستطيعُ لهـا أنْ يُثْبِتَ الرُّكَـبـا

جمُّ التـــواضعِ لـم يُفسِدْ وِدَادَ أخٍ
بـالخـلفِ فـي نـظرٍ كَلاًّ ولا أشَبَا
وإن تَبَدَّى له البـرهانُ من أحـــدٍ
أفْضَى إليـه!! بفـيضِ الشكرِ مُنْثَعِبـا
فـالله يغـفـرُ ذَنْبـاً للألى زعـمـوا
شذوذَ شيخ الهدى في الراي مُنْعَصِبا
أو من يقـــول لـدى الإيمان إن لـه
من قـول مـرجـئـةٍ كَلاًّ لقـد كَذَبا
أو من يقـــول تَعَدَّى عندَ قِسْمَتِهِ
كُتْبَ الحـديثِ إلى مـا لانَ أو صَلُبـا
قلنا اقتدى بالبخاري الشَّهْمِ والبغوي
فَهَلْ هُمُو قـــــد تَعَدَّوا أمْ عَلَوْا رُتَبَا
والأمْرُ مَقْصِدُ تـالـيـفٍ يُيَسِّرُ عَنْ
جُلِّ الوَرَى، وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ طَلَبـــا
أو من يقـول بأن الفـقـه ليس له
تالله مـا عـرفـوا فِقْهـاً ولا أدبا
فـــهل رأيتُم كـأحكامِ الجنائزِ أو
مَا خَطَّ من صِفَةٍ للمـصطفى وَحَبـا
مـا الفـقـه إلا حـديثُ المصطفى لِفَتىً
دَقِيقٍ فَهْمٍ كـفـهـم الشـيخِ قـد نَجُبـا
قُلْ إيْ وَرَبِّي إنَّ الشيخَ مـجـتـهـدٌ
يقـول مـا يقـتـضـيهِ النَّصُّ مُسْتَهِبـا
فكان حَتْمـاً سلوك العُرْفِ مَعَهُ فـلا
يُلامُ لَوْمــاً قَبِيحَ الوَصْفِ مُغْتَلِبـا
وكم تَنَكَّرَ أقـوامٌ وكـم جـحـــدوا
لكنهم سَرَقـوا في السِّرِّ مـا كَتَبـا
لسنا نُغَالي ولا ندعـو بعـصـمـتـه
كَلاَّ! ولا نحن نجـفـوا عنه عزَبا

نثني عليه كما أثنى جهابذة
كابن العثيمين وابن الباز والخُطَبا
بل إنه سَلَّم الأعدا تَفَرُّدَهُ
مِثْلَ الغُماري وَإنْ نَاوَاهُمُ وَأبَى
يا أيها الشَّانِيءُ المُبْدي عَدَاوَتَهُ
رُوَيْدَكَ اليومَ لا تفرحْ إن انشعَبَا
فالشيخُ إن مات جسما لم يمت عملاً
بل خَلَّفَ الذِّكر والطُّلابَ والكُتُبا
ونحسبُ الله وقَّاه بخاتمةٍ
حُسْنَى فما طَالَ عن دفْنٍ وَمَا تَعِبا
وكان أوصى بأن تبقى ذخائره
وَقْفاً لجامعةٍ قِدْماً بها انْتُدِبا
إنَّا نُحِبُّهُ دِيْناً قَيِّماً ونرى
سبيلَ حُبِّهِ بالبرهان قدْ وَجَبَا
إن شئتَ تنميهِ فيَ الأبدال قُلْتُ نعم
أهلُ الحديث هم الأبدالُ والنُّقَبا
أو شئتَ في أولياء الله قلت نعم
ومن يعادي ولِيّاً خاب وانقلبا
وليس يطعنُ فيهم غير مبتدع
وَيَنْهَجُ الحُبَّ مَنْ للسُّنَّةِ انتسبا
ماذا أقولُ لأسْتوفي محامده
وهل أحاولُ مبسوطاً ومُقْتَضِبا
كلاَّ سأتْعَبُ عداًّ ثُمَّ أَرْجِعُ كَيْ
أَقُولَ سُبْحَانَ مَنْ أعْطَى وَمَنْ وَهَبَا
قدْ ذكَّرَ النَّاسَ بالأسْلافِ والعُلَمَا
وكان عَالِمَ هذا العصرِ دُونَ إبَا
فالله يَجْزِيه خَيْراً ثم يُسْكِنُهُ
فَسِيحَ جَنَّاتِهِ مَثْوَى ومُنْقَلَبا
والله يجعل في الباقين تَعْزِيَةً
لِكُلِّ ذِي سُنَّةٍ مِنْ فَقْدِهِ رُعِبا

رثاء

• بقلم: أبي الحسن علي الجميلي

أبكى الجُموع وطالما أبكاني
ألمُ الفراق لشيخنا الألباني
وكسى البسيطة ظلمةً لرحيله
كيف الوجودُ إذا اختفى القمران
تبكي المحابر والمنابر عالِماً
كانَ القريبُ بحبه المتفاني
فهو المحقِّقُ والمدقِّق دائماً
فيما اعترى الإسنادَ مِنْ زوغاني
وهو المصحِّحُ والمرجِّحُ كلّما
وقع اختلاف الرأي في الحدثان
وهو الذي شهر الحسامَ مدافعاً
عن سنّة المختار من عدنانِ
تبكيه عمّانُ الجريحة مثلما
تبكي الرياض تجدد الأحزان
تبكيه مكّة والعراق وشامنا
والمغربُ الأقصى مع السودانِ
تبكي المعالِم والمآثر معلماً
يعلو سُمُوّاً مثلما كيوان
يا أيُّها الشيخ الجليل فراقكم
ترك الجموع على لظى النيران
نستودع اللّه الكريم وديعةً
فهو الكريم يجودُ بالإحسانِ
ولنا بربِ العرشِ أحسنُ مأملٍ
بخليفةٍ يزدانُ بالإتقانِ
واللّه أرجو أن تنالَ كرامة
غفرانه وتحوزَ خير جنانِ

الإمام المجدد والمجدد الإمام

طوبى لمن لم ينقطع عمله عنه

• بقلم: الشيخ أكرم بن زيادة

■■ أخرج البخاري في «الأدب»، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي في «المجتبى» و «الكبرى»، والدارمي، وأحمد، وابن خزيمة، وابن حبّان، والبيهقي، وأبو يعلى، وابن الجارود، جميعهم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له».

وإنّ مما امتنّ الله به على أهل العلم بعد ما علمهم ما لم يكونوا يعلموه، أنّه -سبحانه- أبقى صحائف أعمالهم مفتوحة بعد موتهم، لا تغلق حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك أنّه ورثهم ميراثَ نبيّهم، ثم ورّث الأمّة ميراثهم على غير تعصيب ولا ولاء، وعلى غير وصيّة ولا مصاهرة، بما يتركوه لأمّتهم من آثار ومصنّفات وعلوم، وبما ينتفع بها المتأخرون من هذه الأمة أكثر من المتقدمين أو المعاصرين لأولئكَ الأئمة العظام.

وإنّ نظرة متأملّة للعصور التي عاش فيها أسلافنا من الصحابة، والتابعين وتابعيهم بإحسان ليجد هذا واضحاً كل الوضوح، فكم حمل رواة الحديث من أحاديث للنبي ﷺ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي، فبلّغها فرُبّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

ولقد كان لشيخنا أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني -تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنّته وأسبغ عليه دوام رضوانه -حظاً وافياً ونصيباً وافراً من هذين الحديثين العظيمين، بما أشغل به حياته على مدى حوالي سبعة عقود من عمره المبارك، يصل فيها اللّيل بالنهار، والصيف بالشتاء، وبحبوحة الحريّة بضيق السجون، ونور العلم بظلمات أقبيّة وزنازين المعتقلات -من غير جريرة اقترفها، أو جناية جناها، إلاّ إصراره على الدّعوة إلى الله على بصيرة وعلى هدى من الله -من غير أن يكِلّ أو يمِلّ- متزيناً بالحلم، ومتجمّلاً بالعلم، ممتشقاً القلم، ومتمرساً بتراث الأمّة، ومتحصّناً بالتوحيد، ومتسلّحاً بالسُّنّة، وقامعاً للبدعة، يكر بالحجة ويفيء إلى الدليل.

أكبّ -الشيخ- على حديث النبي ﷺ تصفية وتنقيحاً، ووعياً وتبليغاً، فنضره الله بذلك نضرة ما رؤيت في وجوه معاصريه

علّمه الله أنّ التوحيد أساس الدين فتسلح به، ودعا إليه وحقّق كتبه وخرّج أحاديثها وآثارها، واختصر متونها وعلّق عليها؛ فكان «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» باكورة إنتاجه المطبوع، و «شرح الطّحاويّة» وتخريجه، والتعليق عليه، و«مختصر العلو»، و«السنّة» لابن أبي عاصم، و«التوسل: أنواعه وأحكامه» وغيرها.

وأكبّ على حديث النبي -صلّى الله عليه وآله وسلم- تصفية وتنقيحاً، ووعياً وتبليغاً، فنضره الله بذلك نضرة ما رؤيت في وجوه معاصريه، فكان محدّث عصرنا بلا منازع، وبخاري زماننا بلا مدافع، ولله در من قال: وهل عرفنا الصحيح من الضعيف إلاّ بالألباني! فكانت السلسلتان «الصحيحة» و «الضعيفة»، و «صحيح الجامع» و «ضعيفه» و «صحاح السنّن» و«ضعيفها»، و «صحيح الترغيب والترهيب» و «صحيح الكلم الطيب» و «مشكاة المصابيح» وغيرها الكثير.

وعكف على الآثار يرجعها إلى الكتاب والسنّة، مستنبطاً منها الفقه أصولاً وفروعاً، فنال من الخير الذي وعد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم- بقوله: «ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»؛ فصار فقيه المحدّثين ومحدث الفقهاء، ورحم الله من قال: إنّ مما امتن الله به على الألباني في فقهه أنّه وفقه إلى حسن المشرب -يقصد: الحديث- فبنى فقهه على الحديث لا على المذاهب كغيره من فقهاء العصر فكان كتاب العصر بحق: «صفة الصلاة»، و«أحكام الجنائز»، و«الأجوبة النافعة»، و«صلاة العيدين في المصلى»، و «آداب الزفاف»، و«جلباب المرأة المسلمة»، وغيرها.

وأكبّ على كتب العلل والرجال؛ فأخرج كنوزها ونقض تراب العصور عن أوراقها وأعادها إلى واجهات المكتبات من بعد ما كادت أن تنسى، فأصبح إماماً في الجرح والتعديل، يشد إليه الرجال الرحال، ليشفي عليلهم، ويروي غليلهم في ألفاظ الجرح والتعديل، وعلوم الرجال، فاستفاد منه من سطر ذلك وقيده؛ كأخينا أبي الحسن المصري، نزيل مأرب في «إتحاف النبيل» وغيره، وكان التنكيل لما ورد على لسان الكوثري من الأباطيل للمعلّمي.

وأمّا كتب الفقه والسيرة فقد كان لتعليقاته عليها وتخريجه لأحاديثها أطيب الأثر للمشتغلين بها؛ فكان «تمام المنّة في التعليق على فقه السنّة»، و«التعليقات الجياد على زاد المعاد» مخطوط، و«غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام»، و«إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» و «تخريج أحاديث فقه السيرة» و «تخريج أحاديث كتاب مشكلة الفقر»، و«تخريج أحاديث فضائل الشام».

وأمّا التحقيقات والردود فحدّث ولا حرج؛ فهذا «تحقيق كشف الأستار عن القائلين بفناء النّار»، وبالرّد على ابن حزم في أباحة آلات اللهو والغناء والطرب، و«الرد على من لا يحتّج

بخبر الواحد في الأحكام و العقائد»، و«نصب المجانيق لنسف قصّة الغرانيق»، و«الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات»، و«تحقيق رياض الصالحين»، وغيرها.

وأمّا الاختصارات، فانظر إلى «درر الحديث وجواهرها» مختصرة من «صحيحي البخاري ومسلم»، وحسبك بهما.

وأمّا الفهرسة والترتيب فهو إمامها في عصرنا، فقد رتّب وفهرس المكتبات فضلاً عن الكتب، وما فهارس المكتبة الظاهرية إلاّ مرجع لأهل العلم الذين أفادوا واستفادوا منها وسيبقون يستفيدون منها أبد الدهر، وأمّا فهارس كتبه فلم يُسبقْ لمثلها -فيما أعلم- وستبقى شاهدة على دقته وضبطه.

وأمّا زهده في الدنيا وإقلاله منها -رغم إقبالها عليه وهي راغمة- واجتنابه أبواب السلاطين، وإعراضه عن الوظائف والمناصب التي كانت تجثو على ركبها بين يديه، وشجاعته في قول الحق الّذي لم تكن تأخذه فيه لومة لائم، أو بطشة جبّار جائر، أو إرجاف مرجف، أو وشاية واشٍ قتات، أو هيعة همج رعاع، وإنفاقه في سبيل الله بالسر أكثر بكثير منه في العلن، الآلاف المؤلّفة التي لم يكن يعلم بها إلاّ الله وحده ثم من كانوا يتلقونها، حتى شماله لم تكن تعرف ما تنفق يمينه.

وأمّا رحلاته العلمية والدّعويّة، فقد جوّبَ الدنيا -رحمه الله تعالى- يدعو إلى الله على بصيرة ويعلم العلماء -فضلاً عن العامّة- العلوم الشرعيّة؛ بل كانت الدنيا تأتي كل مساء بين يديه تسأله عمّا يهمّها ويكشف غمّها عبر الهاتف والفاكس فلا يرد إلاّ بفوائد.

كل ذلك مع شدّة تضييق ومراقبة، وملاحقة ومتابعة، ومنع من التدريس والإلقاء، ونفي وهجرات واعتقالات، ووعيد وتهديد وتعهدات، وفقر وضيق يد -ابتداءً- وأمراض، لم تكن تزيده إلاّ إصراراً وحرصاً على وقته والإفادة والاستفادة منه، كأحسن ما تكون الإفادة والاستفادة.

وأمّا معرفته بالفتن إذا أقبلت وتحذيره منها إذا أمعنت، فقد كان تصديق قول القائل : إنّ الفتنة إذا أقبلت لا يعرفها إلاّ العالم، وإذا أدبرت عرفها كل شخص، ولقد كان صمام الأمان من الفتن للأمّة وللمجتمعات، ولكن كان من يعصيه أكثر ممّن يطيعه، وحسبه أنّه كان نذيراً بين يدي فتن نجّاه الله من التلطخ بهما؛ فعاش لأمة ناصحاً أميناً، معتصماً من الفتن بالكتاب والسنة وفقه السلف، نزيه القول، طاهر اللسان، لم يبتدئ أحداً برد إلّا أن يكون هو البادئ المعتدي، فيرد على من جهر له بالسوء من القول، بالحجة الواضحة والدليل المبين.

وإنّ الحديث أو الكتابة عن هذا الإمام العلم لا ينتهي -ولا ينبغي له أن ينتهي-؛ لأنّ الحديث عن الأشياء يكون بقدر أثرها؛ وإنّ أثره لن ينقطع -إن شاء الله- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ ولكن ما تركه من آثار مخطوطة -فضلاً عن المطبوعة- ستبقى موئلاً ومرجعاً لأهل العلم بخاصة، وللأمّة بعامّة، يستفيد منها (الملايين) في مشارق الأرض ومغاربها على مدى ما بقي من عمر هذه الحياة الدّنيا، فلا ينقطع عنه عمله -إن شاء الله تعالى- حتى يقوم النّاس لربّ العالمين■

في صحبة الشيخ

قريباً من عالم الأمّة

• بقلم: محمد بن أحمد أبو ليلى الأثري

■■ لقد وصل شيخنا الألباني -رحمه الله-، في العلم إلى الأوج، وبلغ منه أعالي المنازل؛ فقد كان العلم سميره، والحلم وزيره، والتقوى مشيره، والحكمة والحق حليفه، والصدق صديقه، والحياء حلّيته، والأمانة زينته، ومع ذلك فقد كانت له مواقف عجيبة تدل على عِظم شأنه ورصانة عقله وقوة حجته وكبير صبره.

وما كان لي أن أخط هذه الكلمات في هذه اللحظات إلا لتذكري ما قاله الشيخ لي عندما كنت أخلو معه وإليه لّما كنت أعيد على مسامعه المواقف والأحداث التي كان لها أثر ووقع على السامع والناظر، ورغبت إليه في تدوين هذه المواقف، فما كان منه إلا أن وافق قائلاً: وزد على ذلك السنن التي أحييتها في هذا الزمان.

*** صبر الشيخ وتحمّله:**

في عام (١٤١٠) هـ رافقنا الشيخ في سفره إلى المسجد الحرام وذلك لأداء العمرة وقد كان بصحبتنا زوجة الشيخ الوالدة أم الفضل والأخ الشيخ علي الحلبي والأخ خالد حجازي وابنه عبد المهيمن، وكانت تقلنا آنذاك مركبتان: الشيخ وأهله في مركبة، ونحن في مركبة أخرى؛ فأدركتنا صلاة الظهر في مدينة مَعَان، وبعد أداء الصلاة قام الشيخ فقال لي: أنت أمامُنا وإمامُنا وانطلقنا، وعندما اقتربنا من الحدود السعودية كان الشيخ قد تقدم بسيارته عنا، فتوقف فجأة، فقلت للأخ علي: إن هنالك أمراً غير طبيعي، فتوقفنا لكي نسأل الشيخ عن سبب الوقوف المفاجيء، فأخبرنا أنه قد نسي جوازت السفر في البيت، فقلت للشيخ: أرجع أنا والأخ علي كي نحضرها فوافق الشيخ؛ إلا أنه سرعان ما تراجع، وقال: أرجع أنا، واتفقنا على أن نلتقي في مدينة تبوك؛ فعاد الشيخ برعاية الله إلى عمان مسافة أكثر من (٣٠٠) كيلو متراً، وأما نحن فقد وصلنا تبوك ليلاً، وتأخر الشيخ عن موعد وصوله المتوقّع فقلقنا كثيراً عليه، وفي اليوم الثانيّ اتصلنا هاتفياً ببيت الشيخ، فلم يجب علينا أحد، فقمْنا بالاتصال بجاره الأخ عزت خضر؛ فأخبرناه ما حدث، وقام هو بإخبار شيخنا بقلقنا عليه، ثم عاودنا الاتصال به فتكلم معناَ وقال: أراد الله أن يعجم عود الألباني، وبدأ الشيخ يسرد ما حدث معه أثناء عودته؛ فأخبرنا أنه بعدما أحضر جوازات السفر اكتشف -على الحدود- أن جواز سفر زوجته أم الفضل منتهية مدّة صلاحِيته؛ فاضطر للعودة إلى عمان ثانياً، وكان ذلك في يوم الخميس؛ فانتظر حتى يوم السبت، وقام بتجديد الجواز، ولحق

بنا، وبذلك يكون الشيخ قد كابد مسير (١٧٠٠) كيلو متر -خلال يومين- من غير تذمر أو تطير، وتقبل كل ذلك بصدر رحب.

وهذا غيض من فيض من تلك الأخبار الكثيرة التي تدل على صبر الشيخ وجلده.

*** إحياؤه للسنن:**

إن السنن التي أحياها الشيخ ودعا لها كثيرة وكثيرة جداً، يعرف ذلك عنه القاصي والداني، والحاضر والبادي كيف لا وهو رافع لواء السنة في عصرنا؟! ومن السنن التي أحياها الشيخ صلاة الجنازة على القبر إذا لم يصلِّ عليه مريدُ الصلاة عليه.

وذلك عندما سافرت وزوجتي برفقة الشيخ وزوجته إلى المدينة النبوية، وقد نزلنا بضيافة الشيخ عيسى الصيني -وهو صديق قديم للشيخ-، ثم بعد أن أمضينا عنده بعضاً من الوقت قام شيخنا لوداع الشيخ الصيني ومصافحته، فلما قبض الشيخ الصيني على يد شيخنا أشار بنظره وأصبعه إلى أبنائه وأحفاده قائلا بصوت أثقله المرض: الشيخ ناصر هو شيخ الجميع.

ثم سافرنا إلى مكة المكرمة وبُعيد عودتنا إلى المدينة النبوية علمنا بوفاة الشيخ الصيني، وأخبرنا بأنه قد دُفن في البقيع؛ فذهب الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- إلى البقيع بعد أن صلينا الفجر في المسجد النبوي، وذهب مع جمع غفير من الناس إلا أن بعض الحرس لم يأذن لنا بالدخول، فما كان مني إلا أن عرفته على الشيخ الألباني، وأشرت إلى ملصقة صغيرة على بوابة البقيع وكان قد كتب عليها حديث المرأة السوداء، وبعد أن أذن لنا بالدخول دخل شيخنا ودخل معه الناس، قام على القبر وكبر عليه تسع تكبيرات.

وهذه الصلاة - بهذه التكبيرات التسع -سنةٌ أخرى من السنن التي أحياها شيخُنا -رحمه الله رحمة واسعةً-.

*** التواري وعدم حبّ الظهور:**

في رحلة عام (١٤٠٥هـ) والتي كانت إلى الديار الحجازية كنت برفقة الشيخ وزوجته الوالدة أم الفضل في مركبة واحدة، وعند وصولنا إلى مكة المكرمة نزلنا بضيافة أحد أصدقاء الشيخ وهو المعروف بأبي عرب، وخلال المجلس دار نقاش وحوار بين الشيخ وأحد مريدي علوي مالكي عن المولد النبوي، وبعد الانتهاء من الحوار قام أبو عرب بدعوة الشيخ للذهاب إلى بنغلادش لمدة ثلاثة أيام؛ ليقوم بدعوة الإخوة من أهل الحديث هناك -وعددهم يصل إلى الملايين- إلى التوحيد، إلا أن الشيخ اعتذر بقوله: لا أستطيع ثم عاود دعوته مرة ثانية لمدة يومين إلا أن الشيخ اعتذر بقوله مرة ثانية: لا أستطيع، ثم عاود للمرة الثالثة لمدة يوم واحد، إلا أن الشيخ اعتذر مرة ثالثة.

وعندما رجعنا إلى بيت صهر الشيخ الكائن في إحدى نواحي مكة أردنا أن نقيل قليلاً من الوقت، فقمت أنا والشيخ برفع طاولة كانت تتوسط تلك الغرفة، وأحضرت لنا وسادة فوضع الشيخ رأسه عليها من جهة ووضعت رأسي عليها من الجهة المقابلة، وحينئذ قمت بإلقاء سؤال جال وحار في صدري، فقلت: يا شيخ! لم رفضت الذهاب؟ فقال: إني أخشى على نفسي الفتنة!!

رحم اللهُ شيخَنا الكبير، وألحقنا وإياه بالصالحين من عباده، وأكرمه من عنده، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين■

ذكريات المحبين

ست سنوات في بيت الشيخ

● بقلم: أبي عبدالرحمن محمد الخطيب

■■ في هذا اليوم السبت ٢ / ١٠ / ١٩٩٩م، بكت الوف؛ بل ملايين ممن وصلهم خبر المصاب الكبير بوفاة إمام السنة في هذا العصر ومحييها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني؛ جاءني الخبر بعد عصر هذا اليوم من زوجة الشيخ -رحمه الله- سارعت إلى المستشفى الذي كان يتعالج فيه، والتقيت بزوجه وولده عبد اللطيف -الذي رافق والده طيلة فترة مرضه-.

وإذا بالشيخ مسجى أمامي على السرير، فاضت عيناي بالبكاء عليه، فكشفت عن وجهه المنير وقبلت جبهته، ثم قمنا بإنزاله بعد ذلك، وحملناه إلى سيارة أحد إخواننا لنقله إلى بيته، وكان معنا في السيارة ولده عبداللطيف، وكان شديد الحزن كثير البكاء ونحن نواسيه ونصبره نظر إلينا وعيونه تقطر دمعاً غزيراً، وقال: حتى أمس، وهو في مرضه قال الشيخ: أعطوني «صحيح أبي داود».

فقلت: سبحان الله جزاك الله يا شيخنا كل خير، فقد عشت طوال عمرك وأنت تصل نهارك بليلك تذب عن حديث رسول الله ﷺ؛ حتى آخر حياتك.

رأيتك وأنت لا تستطيع أن تسند ظهرك وأنت تُملي على ولدك أو أحفادك لا تعرف مرضاً ولا شكوى وما ذلك إلّا منّة وفضلٌ من الله تبارك وتعالى حباك إياها فأنعم وأفضل.

وما وصلنا بيت الشيخ؛ إلا وعشرات الإخوة قد سبقونا إلى داره، وبدأ الإخوة يتوافدون من كل مكان من هذه المدينة التي عاش فيها الشيخ أكثر من ثمانية عشر سنة، وسارعنا إلى تجهيز الشيخ، فقمنا بغسل الشيخ وتكفينه، وما أن انتهينا من تجهيزه وأخرجناه إلى الصالة الكبيرة في بيته، وإذا بالدار قد غصت بالإخوة أحباب الشيخ وتلاميذه، وقد أشار علينا شيخنا أبو مالك بأن يبقى وجه الشيخ مكشوفاً حتى

يودعه الإخوة، وبدأ الإخوة بتقبيل جبين الشيخ مودعين له أفواجاً أفواجاً ثم هُيأ للصلاة عليه، وتشاور الإخوة في مكان دفنه، فقلت لهم: إن شيخنا رحمه الله قد ذكر أمامي مراراً أنه يريد أن يدفن في المقبرة التي في الطريق إلى بيته حتى يحظى بسلام إخوانه ومحبيه، وكان من وصية الشيخ -أيضاً- كما ذكر لنا ولده عبد اللطيف أن يحمل على الأكتاف من بيته إلى مكان دفنه وبعد أن قام بوداعه من حضر إلى بيته سارعنا للخروج من البيت للصلاة عليه.

وهكذا انتقل هذا الإمام العلم إلى جوار ربه تبارك وتعالى مخلفاً وراءه علماً نافعاً مسطراً بين ثنايا مئات الكتب التي كتب الله لها القبول في جميع أنحاء العالم وترجمت إلى أكثر لغات العالم، وكذلك خلف جمهرة كبيرة من طلاب العلم الذين ساروا على منهجه السلفي في حياته وهم بعون الله سائرون عليه حتى يأتي الأجل.

*** ست سنوات في بيت الشيخ:**

عرفت الشيخ -رحمه الله- قبل ثلاثة وعشرين سنة وكان عمري حينها أربع عشرة سنة فقد منّ الله علي بفضله وكرمه أن أتعرف على المنهج السلفي منذ ذاك الزمان وأحببته فلم أكن أترك سبيل يدلني على هذا المنهج إلا وسلكته تعرفت على تلاميذ الشيخ وجالستهم وصاحبتهم وبدأت اشتري كتب الشيخ وكان أول ما اقتنيت من كتبه «صفة صلاة النبي ﷺ» ثم كنت أترقب مجيء الشيخ من الشام كعادته لإعطاء المحاضرات.

سنة (١٩٨٠م) هاجر الشيخ من الشام إلى عمان واصبحت محل إقامته واختار الشيخ حياً فقيراً ليسكن فيه، وكان أن عرض عليه بعض الأثرياء أرضاً في منطقه من ضواحي عمان فرفض الشيخ وأصر أن يكون بين ضعفة المسلمين، وفرحت عمان بمقدم الشيخ وفرح محبوه.

لقد أمضيت ست سنوات في بيت الشيخ كل يوم أستفيد فائدة، وأتعلم خلقاً فماذا عساي أن أقول؟

وقد كان الشيخ رحيماً رؤوفاً فقال لي مرة: يا محمد أنت لا تملك سياره وأولادك لابد أنهم بحاجة إلى استجمام.... فهيء نفسك في أي يوم تريد حتى نذهب سوياً في نزهه ترفّه بها عن أولادك، وفعلاً بعد يومين رتبنا أمرنا وخرجنا بصحبة الشيخ وزوجته إلى بعض الأحراج خارج عمان وقد أحضر لنا طعاماً وفاكهة منوعه وسُرّ أولادي أي سرور.

وكنت مرة أعمل للشيخ على سطح بيته وأصلح بعض الأمور فحملت قضيباً طويلاً

أرفعه من مكان لآخر؛ فغلبني القضيب وأنا في أعلى السطح فكدت لولا فضل الله أن أهوي من أعلى السطح فعلم الشيخ بالخبر فحمد الله على سلامتي، وسارع ساجداً لله: سجد وشكر، وذرفت عيناه بالبكاء، وأخرج من جيبه مئة دينار أعطاني إياها.

وكان ورعاً حيث حصل أن توسط مرة بشخص تعرف عليه في إحدى الشركات، بعد أيام طرق الرجل باب الشيخ محضراً معه تنكة زيتون، فقال لي هذه هدية للشيخ، وكان الشيخ نائماً، فلما استيقظ أخبرته؛ فقال: لا يحل لنا أكلها، فقد قال رسول الله ﷺ: «من شفع شفاعة، وأهدي له هدية فقبلها فقد أتى باباً من الربا»، وأعطيناها للفقراء.

* **عطاء الشيخ وصدقاته:**

كم كنت أستحث الشيخ لبناء مسجد أو إعطاء فقير أو أرمله أو سائل؛ فكان لا يردني في ذلك، والقصص كثيرة في ذلك؛ منها:

جاء رجل مريض وعلاجه بإبر تكلفة الواحدة منها عشرون ديناراً، يحتاج إلى (١٥) إبرة؛ فطلب مني الشيخ الذهاب لبيته والتأكد من صحة ما قال، فلما علمنا صدقه أعطاني الشيخ المال، واشترينا له الإبر.

ولما نويت أن أبني بيتي احتجت للمال؛ فطرقت كثيراً من الأبواب، ولم أحصل على شيء، فتذكرت رجلاً ثرياً يعرفه الشيخ فقلت لزوجة الشيخ: لعلك تقولين للشيخ أن يتوسط لي عند فلان حتى يقرضني، وفي اليوم التالي، وكنت أجلس على مكتبي قال لي: يا محمد أنت تريد أن أتوسط لك عند فلان كي يقرضك؟ فقلت: نعم، قال: أنا أولى بك منه أنا أعطيك ما تريد، فبكيت وقلت: يا شيخنا جزاك الله خيراً، ولكن والله لم يكن ببالي أن أحصل على طلبي من الشيخ لترفعي عن النظر لما عند الشيخ، فلما أعطاني المال قال هذه هدية ألف دينار غير محسوبه؛ فبكيت مرة أخرى؛ فجزاه الله خيراً كثيراً رحمه الله تعالى.

وقصة أخرى حصلت قريباً والشيخ في المشفى جاءته امرأة تشكي له وقوعها في براثن البنوك؛ حيث أنها اقترضت من أحد البنوك مبلغ تسعة آلاف دينار، وتضاعف عليها المبلغ من الربا، فجاءت تستنجد بالشيخ للخلاص من ذلك، فطلب مني الشيخ كالعادة التحري في ذلك، وبعد التحري والتأكد من صدق المرأة وافق الشيخ على أن يقرضها مبلغ سبعة آلاف دينار، فحضرت المرأة وحضر معها أولادها

فقال الشيخ: هذه ألف دينار هدية، وهذا المبلغ المطلوب، ففرحت المرأة وفرح أولادها ودعوا للشيخ، ودعوت أنا، وجزيت الشيخ خيراً؛ فنظر الشيخ إلينا وقال: يا إخوان والله إنني أتمنى أن أصبح مليونيراً، حتى أخرج الألوف من أمثال هذه المرأة من قيود الربا.

***عطف الشيخ:**

كانت زوجتي على وشك الولادة؛ فكان الشيخ دائم السؤال عنها، وقبل يوم من الولادة -حينما أردت الانصراف من المكتبة- قال لي الشيخ: خذ سيارة أم الفضل لعلك تحتاجها في منتصف الليل، وبقيت السيارة عندي يومين، وفعلاً جاءت الولادة في منتصف الليل وخرجت من بيتي لا أعرف أين أذهب، وبعد بحث لم أجد قابلة، فتذكرت أن زوجة الشيخ عندها خبرة بالولادة، فتوجهت نحو بيت الشيخ وأنا متردد خشية أن أزعج الشيخ في هذا الوقت المتأخر، فطرقت الباب، فرد علي الشيخ وقدمت اعتذاراً شديداً وأعلمته حاجتي، فرد علي بلهجة المداعب: لماذا لم تصنع مثل شيخك؟ فقد قمت بتوليد زوجتي بنفسي؛ ثم أردف قائلاً: لحظات وأوقظ لك أم الفضل، وذهبت معي ورزقنا بولدي عبد الله.

*** سيارة الشيخ:**

أما سيارة الشيخ فكانت جمل محامل للإخوة؛ فكان يحمل بها الإخوة، وينقلهم من مكان لآخر، ويقول لي: يا محمد كان يقول لي والدي -رحمه الله-: لكل شيئ زكاة، وزكاة السيارة: حمل الناس بها.

***حكمة الشيخ:**

إتمام المعروف خير من البدء به: حكمة تعلمناها من الشيخ، وأنعم بها من حكمة، فكان يقوم على قضاء حوائج إخوانه؛ فيكتفي الأخ بشيء من خدمة الشيخ، فيفرح الشيخ ويصر على أن يتم له ذلك، ويبادر الأخ بقوله: «إتمام المعروف خير من البدء به».

فكم والله استفدنا من هذه الحكمة في معاملتنا مع إخواننا.

هذا أهم ما استحضرته خلال تلك السنوات الست ولعل مصابنا بالشيخ أنساني الكثير الكثير

وأظن أن هناك الكثير من المواقف التي يجب لزاماً علي أن أدونها للتاريخ وفاءاً للشيخ -رحمه الله تعالى-.

رحمك الله يا شيخنا رحمه واسعة.

وإنا لله وإنا إليه راجعون■

خواطر وعبر

محطات في حياة الشيخ الألباني

• بقلم: محمد بن بديع موسى

■■ الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخاتم النّبيين، وعلى آله وأصحابِه أجمعين، وبعد:

في مناسباتِ الحُزنِ، وفقدانِ الأحبّة، عادةً ما ترفع الأصوات، وتنبري الأقلام، وتَلْهجُ الألسنة بالثناءِ والمديحِ، وذكر المآثر، والمحاسن، والبطولات على المتوفّى، حتى لا يكادَ يُخيَّل إليك إلاَّ أنَّ هذا الرجل؛ كان معصوماً عن كل زللٍ وخطيئةٍ، خالياً من النقائص والعيوبِ، متفرغاً لأعمال البر والتقوى، فإذا سمعت أو قرأت عنه -وأنت أعرف الناس به، وأقربُ الناس إليه- تشكُّ بنفسك، وتتوهّم أنّك ما كنت تعرف عنه شيئاً، ولَم تكتشفه إلاَّ بعد مماته.

هذا ما يحدث عادةً في عصرٍ انقلبت موازينه، وتغيَّرت أحوال أهله، فصار الكبير فيهم لُكَع بن لكع، والناطِق فيهم الرويبضة، والعالِم المبدع العبقري: من لا يعرف أين ربّه، أو لماذا خلقه ربّه؟!

وبالمقابل لا نجدُ مكاناً لعَلَم من أعلام الأمّة، ورمز من رموز نهضتها، ولا نعرف فضلاً لإمامٍ من أئمة المسلمين؛ الَّذين نذروا حياتهم لإحياء سنَّة محمد ﷺ.

فهذا محمد ناصر الدين الألبانيّ -رحمه الله-، ترعرع في دمشقَ الشام، وفي أيّام صباه هاله وراعه ما آلت إليه حال الأمّة: من جهلٍ، وخرافاتٍ، وتقليدٍ، وبدعٍ، وضلالاتٍ، بل من شركٍ ووثنياتٍ.

سمعه شيخٌ -من المشايخ- ينهى عن منكرٍ من المنكرات، فقال له ذلك الشيخ: ألَم تسمع بحديثِ النبي ﷺ: «دعوا الناسَ في غَفَلاتِهم»؟! قال الألباني -وكان شاباً-: من روى هذا الحديث؟ وما هي درجته؟ ففوجئ الشيخ بهذا الشاب، وعجز (بالطبع) عن إجابته؛ فراح الألباني يبحث في بطون الكتب، ويستأجر كتاباً تلو كتابٍ؛ فيفتش، ويبحث، ويدقق النظر، حتى هداه الله -عزّ وجلّ- إلى الحديث بتمامه: «دعوا الناس في غَفَلاتهم، يُرزَق بعضهم من بعض»؛ فخرّجه، وبيّن حال رواته، وعرف درجته، فحدّثني مرة أنَّ ذلك كان فاتحةَ عمله بهذا العلم الشريف.

شَقَّ طريقه بصعوبةٍ بالغةٍ بين بني قومه -من مقلّدي المذهب الحنفي-، واهتدى إلى منهج السلف الصالح بعد جهادٍ وصبرٍ مريرين ﴿والَّذينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وكان من العلماء الَّذين آثروا على أنفُسِهم أن يُزيلوا تراكمات الجهل والخُرافات، والتّقليد والبدع؛ التي أثقلت كاهل الأمّة، وغطت بواعث النور والأمل فيها، فرفع شعار: (التصفية والتربية) ليكون مشروعه التغييري المشروع، انقلاباً لا كانقلابات قصّار النظر، ومتحمّسي هذا الزمان، وإنّما أراد -رحمه الله- أن يغيِّر هذا الواقع من جذوره، ويعالج مواطن الخلل والضعف الذي أصاب الأمّة بعد أن كبّلتها قيود التقليد، وحرَفتها عن منهج الحق أحاديث ضعيفة وموضوعة؛ درجت على ألسن الناس وملأت صحائف كتبهم.

فراح يذب عن سنّة سيد المرسلين ﷺ؛ يبحث، ويخرِّج، ويحقّق، يُفنّد الضعيف مِنَ الصحيح، ويُواصل اللّيل مع النّهار، بجدٍ واجتهادٍ لا نظيرَ له في هذا العصر، أخذ مكانه في المكتبة الظاهريّة في دمشق، وكأنّه موظف من موظفيها، ولَم ينقطع عن عمله الّذي كان يقتات منه، وقد جاوز الستين من العمر، فكانت دكانه لتصليح ساعات الناس وأفكارهم! ولم يكتفِ بما أحدث في صفوف مشايخ دمشق من جدلٍ وإرباكٍ؛ جرّاءَ هذا المنهج الّذي كان يدعو إليه، بل راحَ يبذر بِذارَ الخير في باقي مدن الشام، فيتناوبُ على حمص، وحلب، وحماة، وإدلب -كل أسبوع مرّة- ليجدَ نفسه يوماً في سِجنِ الحسكة، بل وفي قلعة دمشق، القلعة التي آوت من قبله شيخيه -شيخ الإسلام ابن تيميّة، وتلميذه ابن قيّم الجوزيّة؛ رحمهم الله أجمعين- فدفع الثمن كما دفعه أسلافه، والذي يريد أن يشتريَ جنّة الله ورضوانه ماذا عليه لو دفع الثمن؟!

﴿إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُم وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُم الْجَنَّةَ﴾.

أخبرني من كانَ قد سُجِنَ معه في القلعة، وقال: لقد وضعونا ستة إخوة في زنزانة انفراديّة، فكنّا لا نستطيع الركوع ولا السجود لضيقها، فنصلي إيماءً، ووافق سجنُه سجن العديد من علماء دمشق ومشايخها، مثل الشيخ حسن حبنكة الميداني، وابنه محمد، والشيخ عبد العزيز أبي زيد، والشيخ محمد الغلاييني، والشيخ عبدالله الغلاييني، والشيخ مروان حديد -الذي كان لا يفتأ يسأل الشيخ، ويستفيد منه- والشيخ عبد الرحمن الزعبي، وغيرهم.

وعندما نقل الشيخ إلى المهاجع الكبيرة كان يوزّع وقته بين نشر الدعوة السلفيّة، وعرض أفكاره، ومناقشة أهل العلم، وبين العمل ببحوثه، ومصنّفاته، فكان يعمل بتحقيق «مختصر صحيح مسلم» للحافظ

المنذري، وإلى جانب علوم الحديث والسُّنَّة تعلّم منه إخوانه الصبر والإيثار، ومعالي الأخلاق، جاءه مرّة (لحاف) من أهله، وكانت إدارة السجن قد خصصّت لكل خمسة أشخاص بطانيّة واحدة، فآثر إخوانه، ورووا عنه قصصاً كثيرة في ذلك؛ إلى أن منّ الله عليه بالخروج من السجن في حرب حزيران (١٩٦٧م) .

أجل لقد هاجر إلى الله -عزّ وجلّ- ثم طُرد، ثم هاجر، وابتلاه الله -عزّ وجلّ- بما ابتلي به عباده الصالحين وعُلَماءه العاملين، والنبي ﷺ يبشّر ورثتَهُ: «أشد النّاس بلاءً الأنبياءُ، ثُمّ الأمثلُ فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسْب دينِه، فإن كان في دينه صلباً، اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقّةٌ ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[1] .

لقد اشتَدّ عليه البلاء، واجتمعت المِحن، وكادت له الخصوم، فما نعلمه -والله- إلاّ كان راسخاً كالجبال، شامخاً كالطَّوْد، ثابتاً على دعوة الحقّ، ذابّاً عن منهج السلفِ، ما غيَّرَه سجن، ولا نفي، ولا فقر في أوائلِ عمُرِهِ ، ولا حرّفتهُ مغرياتٌ، ولا صيت، ولاشهرة، ولا جائزةٌ كانت في نهايات عمُره !!

كنّا نرى معه حفل نيل الجائزة التي تسلّمها عنه الأستاذ أبومالك -حفظه الله- قبل شهور، وكان الأمر لا يتعلّق به، فهو الذي علّمنا أنّ الإنسانَ يعلو بدِينه، وإيمانه، وعلمه، لا بشهاداته، وماله، وحَسْبه ﴿يرْفَعُ اللهُ الَّذين آمَنُوا مِنكُم والَّذينَ أُوتُوا الْعِلمَ درَجَاتٍ﴾ وأيُّ درجةٍ في الدنيا أرفع من أن يضع الله له القَبُول في الأرضِ؟ فانتشرَ علمه في بلادِ الدنيا، وتكاثر طلاّبه في أصقاع الأرض، جلّهم عرفه، وتتلمذَ عليه، وتمنّى لو رآه مرّة.

ومثل أي داعية مجدِّدٍ، ومُصلحٍ، ومرشِدٍ، واجه كذلك خصوماً وأعداءً كُثراً، درسوا أبحاثه، ونقدوا كثيراً من أفكاره، ووضعوا تحت المجهر -زعموا- عيوبه، تجاوزوا كل حسناته ومآثره، وسلّطوا أضواءهم على أخطائه -زعموا- ومثالبه، ما ساعدهم على ذلك إلاّ الشيخ نفسه، الّذي كان -ولا نزكيه على الله- وقّافاً عند الحق، يعترف بخطئه إن أخطأ، ويتقبّل النصح من ناصحيه لا يدّعي لنفسه الكمال والعِصْمة.

رحمك الله يا إمامنا، وأسكنك فسيح جنّاته، وجمعنا بك على حوض نبيّه ﷺ لقد آلمنا -والله- رحيلك، وصَعُب علينا كثيراً فراقُك، كما صعب على كثيرٍ من إخواننا انقطاعك عنهم في أيام مرضك الأخيرة، فقد

(١) رواه أحمد ، والبخاري، وصححه شيخنا في تخريج «المشكاة» (١٥٦٢)، و«السلسلة الصحيحة» (١٤٣).

تخيّلوا أنّك لا زلت تركض كالغزال وأنت في العقد الثامن من العمر، توقظ إخوانك على صلاة الفجر كل يوم، وتحملهم بسيارتك لتؤدوا الصلاة في جبل النزهة، أو جبل الحسين، فينهالوا عليك بالأسئلة والبحوث منذ طلوع الفجر، ويترصّدوا لك جلساتك في المساء، لينهلوا من معين علمك، ثم بعد ذلك يعتبون عليك، لِمَ لا تفتح بابك لكل قادم ولكل محبٍ !! وأنا لا زلت أذكر كلمتك حينما أسررت إلي لتجيب عن ذلك: إنّني ما زلت -والحمدُ لله- قادراً على الدراسة والبحث والكتابة فإن صرتُ إلى عُمرٍ لا أستطيع معه ذلك -وأسأل الله أن لا أصير إليه- فتحتُ أبوابي مشرعةً لكل النّاس، لأجعل من نفسي كما يقال: (شيخ عرب).

واستجاب الله له، فبقي قادراً على العطاء إلى آخر عمره، كان يستكتب أحفاده وتلامذته قبل أسابيع من وفاته، فدخلنا عليه مع الشيخ الدكتور محمد الصباغ، وسأله -حفظه الله- عن حاله، وصحّته، وأعماله، فوصف له ضعف قوّته، وما يعانيه عند البحث في المراجع، وأنّه (ما حكّ جلدك مثل ظفرك)، وتساءل: أين تلك الأيام التي كنت أصعد فيها بنفسي على السلّم، وأتناول ما شئت من المراجع والكتب؟ لقد أتعبتني هذه (الدّوخة)، ولم أجد عند طبيبٍ من الأطباء علاجاً، أو أملاً في علاجها !

غفر الله لك يا شيخنا، إنّ النفس الكبيرة تُرهق بَدَن صاحبها، وإنّ الروح العظيمة لا يسعها جسدٌ مثل جسدك، فسامحك الله، وجعل مرضك كفّارة وطهوراً لك، كيف لا يدوخ رأسٌ وسع كل هذه الدراسات والبحوث، والمشاريع العلميّة، والدعويّة، التي لو اجتمع عليها طائفة من أهل العلم طوال حياتهم لما أنجزوها؟ كما أنّهم لو اجتمعوا على إتمام ما بدأت به لما أتمّوه كما تريد.

رحمك الله رحمةً واسعة، وجزاك عن المسلمين خير الجزاء، فعلى مثلك يكون الحزن وفقدان مثلك هو المصيبة، فإنْ فارقتنا بجسمك؛ فأنت معنا في كل يوم بما ورّثت، لقد علّمتنا هدي النبي ﷺ في حياتك، وفي مماتك، وبعد مماتك، ما فَارَقْتَ دَعوتَك ولا فارقَتْك دعوتُك حتى وأنت مسجّىً في نعشك، ما أن جاء أمر الله فيك عند المساء إلاّ وبادرنا بتنفيذ وصيّتك، فجهزناك، وحملناك على الأعناق، وصلّينا عليك، ولحدناك قبل أن يستيقظ العالم على خبر وفاتك فأنت الّذي ذكرت لنا في «أحكام الجنائز» حديث النبي ﷺ: «أسرعوا بالجنازة، فإنّ تك صالحةً فخيرٌ تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشرٌّ تضعونه عن رقابكم».

فنسأله -تعالى- أن نكون قد أسرعنا بك إلى الخير والنعيم، لنوفّيك بعض فضلك، وأن يجمعنا بك تحت لواء سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وأن يعوّض الأمّة الإسلاميّة خيراً وأن يتقبل منك صالح عملك، إنّه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين■

رثاء

ابن تيمية القرن العشرين

● شعر: خير الدين وانلي - دمشق

مَا لابْنِ تَيْمِيَةَ الجَلِيلِ الشَّانِ
خَلَفٌ كَشَيْخِ السُّنَّةِ الأَلْبَانِي

بَحْرَانِ مِنْ عِلْمٍ وَفَضْلٍ فَاغْتَرِفْ
مَا شِئْتَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ عِرْفَانِ

وكِلاَهُمَا فِي فِقْهِهِ مُتَوَقِّفٌ
عِنْدَ الحَدِيثِ الصَّحِّ وَالقُرْآنِ

وَكِلاَهُمَا نَبَذَ التَّعَصُّبَ والهَوَى
وَالرَّأْيَ أَنْ يُلْقَى بِلاَ بُرْهَانِ

وَكِلاَهُمَا حَرْبٌ عَلَى ذِي بِدْعَةٍ
فِي الدِّينِ مَهْمَا كَانَ ذَا سُلْطَانِ

وَكِلاَهُمَا فِي الفِقْهِ لَيْسَ مُقَلِّداً
غَيْرَ النَّبِيِّ المُجْتَبَى العَدْنَانِ

وَكِلاَهـمَا تَرَكَ التَّأَوُّلَ جَانِباً
وَأَقَرَّ بِالتَّنْزِيهِ لِلرَّحْمنِ

فَصِفَاتُهُ كَالذَّاتِ لَيْسَ كَمِثْلِهَا
وَصْفٌ بِلاَ نَفْيٍ وَلاَ نُقْصَانِ

فَكَلاَمُهُ وَعُلُوُّهُ وَيَمِينُهُ حَقٌّ
كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الفُرْقَانِ

مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ بِشَكْلِ عِبَادِهِ
وَبِغَيْرِ تَعْطِيلٍ كَوَهْمِ فَانِ

فَالسَّمْعُ وَالإِبْصَارُ حَقٌّ إِنَّمَا
قَدْ جَلَّ سَمْعُ اللهِ عَنْ آذَانِ

وَقَدِ اسْتَوَى لاَ كَاسْتِوَاءِ عِبَادِهِ
وَالعَرْشُ حَقٌّ لَيْسَ كَالبُنْيَانِ

وَقَفَ ابْنُ تَيْمِيَةَ الفَقِيهُ شَبَابَهُ
لِلذَّوْدِ عَنْ شَرْعٍ وَعَنْ قُرْآنِ

وَتَأَلَّبَ الأَعْدَاءُ ضِدَّ إِمَامَةٍ
صَمَدَتْ كَطَوْدٍ ثَابِتِ الأَرْكَانِ

لَمْ يَلْتَفِتْ لِمُنَاوِئٍ أَوْ جَاحِدٍ
فَالشَّمْسُ لاَ تَعْتَدُّ بِالعُمْيَانِ

وَمَضَى يُؤَدِّي فِي الحَيَاةِ رِسَالَةً
مَوْرُوثَةً مِنْ ذِي الهُدَى الرَّبَّانِي

كَثُرَ الدُّعَاةُ المُبْطِلُونَ لِطَمْسِهَا
وَسَعَوا لَدَى الغَوْغَاءِ وَالسُّلْطَانِ

لَكِنَّ نُورَ اللهِ لَيْسَ يَضُرُّهُ
نَفْخٌ مِنَ الجُهَّالِ وَالصِّبْيَانِ

عَادَ ابْنُ تَيْمِيَةَ الفَقِيهُ بِشَخْصِكُمْ
يَا نَاصِرَ الإِسْلاَمِ يَا أَلْبَانِي

يَا صَاحِبَ «الإِرْوَاءِ» يَا مَنْ لَمْ تَزَلْ
تَدْعُو إِلَى الحُسْنَى وَبِالإِحْسَانِ

(الظَّاهِرِيَّةُ) فِي دِمَشْقَ مَشُوقَةٌ
فَمَكَانُكُمْ فِيهَا أَعَزُّ مَكَانِ

فِي أَرْضِ (أَنْدَلُسٍ) رَفَعْتُمْ صَوْتَكُمْ
بِحَدِيثِ أَحْمَدَ سَيِّدِ الإِنْسَانِ

إِنْ كَانَ قَوْمٌ قَدْ رَمُوكَ بِجَهْلِهِم
فَلَقَدْ تَلَقَّى قَبْلَكَ الحَرَّانِي
أَنَا بَعْضُ جُنْدِكَ فِي الجِهَادِ وَإِنَّنِي
مِنْ بَعْضِ غَرْسِكَ أَيُّهَا الـبُسْتَانِي
أَنَا لِلْوَفَاءِ وَلِلْفِدَاءِ لَدَعْوَةٍ
سَلَفِيَّةٍ فِي الـنَّهْجِ وَالإِيمَانِ
حَمَلَ الصَّحَابَةُ فِي الـقَدِيمِ لِوَاءَهَا
وَالـتَّابِعُونَ ذَوُو الـعُلَى وَالـشَّانِ
وَأَئِمَّةُ الفِقْهِ الكِبَارُ أُولُو الـنُّهَى
الـشَّافِعِيُّ الـفَذُّ وَالـنُّعْمَانِ
الـبَاحِثُونَ عَنِ الـدَّلِيلِ لِيَرْجِعُوا
عَنْ قَوْلِهِمْ لِصَوَابِ قَوْلٍ ثَانِ
النَّابِذُونَ الـرَّأْيَ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ
لِصَحِيحِ قَوْلِ المُصْطَفَى الـعَدْنَانِي
وَالـيَوْمَ أَنْتَ عَلَى المَكَارِهِ حَامِلٌ
هَذَا الـلِّوَاءَ بِعَزْمَةِ الـفُرْسَانِ
فَاصْدَعْ إِمَامَ العَصْرِ شَيْخَ شُيُوخِهِ
بِالحَقِّ لاَ تَرْهَبْ مِنَ الـطُّغْيَانِ
فَالـلَّـهُ لاَ يَنْسَى جِهَادَ مُجَاهِدٍ
جَلَّتْ صِفَاتُ الـلَّـهِ عَنْ نِسْيَانِ
وَسَتَذْكُرُ الأَيَّامُ فَضْلَ جِهَادِكُمْ
فِي نَشْرِ سُنَّةِ رُسُلِ الـرَّحْمـنِ
يـكْفِي ابْنَ تَيْمِيَةَ الإِمَامَ بِأَنَّكُمْ
صُنْتُمْ أَمَانَتَهُ عَلَى الأَزْمَانِ
سَتَظَلُّ طَائِفَةٌ تَقُومُ بِحَمْلِهَا
فَالـلَّـهُ حَافِظُ شَرْعِهِ الـقُرْآنِ
وَالـلَّـهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَجُنُودِهِ
فَاهْنَأْ بِنَصْرِ الـلَّـهِ يَا أَلْبَانِي
وَاهْنَأْ بِغَرْسٍ قَدْ غَرَسْتَ بِجِلَّقٍ
سَيَعُمُّ كُلَّ الـشَّامِ وَالـبُلْدَانِ

وفي وداع الألباني

طَارتْ بنعشِكَ فِي السـماءِ سَواعدُ
وبكَتْكَ فِي اللَّيلِ البـهـيمِ سَواهِدُ
والكلُّ مِن وَقْعِ الفـجيعـةِ ذاهِلٌ
فترى الحليمَ مع الحيارى شارِدُ
للمُصـابِ فـعـالمٌ عـلاَّمـةٌ
أودى به قـبلَ الممـاتِ حـواسِدُ
حـسـدوا الإمـامَ فناصَبـوه عَداءهمْ
يَدنو إليهمْ بالهدى فيُباعِدوا!!
وأرى المنيَّةَ أنشـبتْ أظفـارَها
لكنْ يَظلُّ على الزمـانِ خـوالِدُ
مات ابن بازٍ في الحجازِ وصحبه
في الشَّام من حول الفقيد حواشِدُ
يَا ناصرَ السننِ الصحـيحـةِ إنَّنا
طلاَّبُ عِلمِكَ والأصولُ قـواعدُ
كـالغيثِ إنْ تحْلُلْ بأرضٍ تسقِهـا
مِن بعـدِ جدْبٍ، فـالعلومُ روافدُ
كَمْ صخرةٍ للشِّركِ أنتَ حطَمتَها
شَهِدتْ بِذاكَ مَجالسٌ ومَساجِدُ
ستُّونَ عاماً في الحديثِ قضيتَها
في الجرحِ والتعديلِ أنت الرائدُ
يا عـالِمَ الإسنادِ أنتَ إمـامُنا
فـإذا ذهبْتَ، فمنْ يكونُ القـائدُ؟!
مَنْ للصّحـاحِ يسـوقـهـا بمهارةٍ
يبْغِي الدليلَ، فتستبينُ فوائدُ؟!
مَنْ للعلومِ يغوصُ في أعـماقِهـا؟
فـإذا الجـواهرُ في يديهِ قـلائدُ؟!
أنْعِمْ علينـا يا كـريمُ بمثله
عَلَماً فـقـيـهـاً حـافظاً ويُجـاهِدُ
إنّي الجـريحُ على الدّوام بفـقـده
ولعلَّ في قولِ القـصيدِ ضمـائد

بقلم: ذياب عبدالكريم - الكويت

فضيلة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ: أحزننا نبأ وفاة الشيخ الألباني

■ أبدى سماحة مفتي عام المملكة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ عميق حزنه لوفاة الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني.

وقال في تصريح خاص لـ «الرياض»: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- أحد العلماء في هذا العصر وهو ممن اشتهروا بالكتابة في السنة وتدريسها وله كتب ومؤلفات ومصنفات عدة منها «إرواء الغليل» و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» و«الضعيفة» وغيرها من المصنفات.

نسأل الله أن يرحمه، ولقد كان في فتاويه كغيره من الناس وأهل العلم يخطيء ويصيب وكل عرضة لذلك ولكن نرجو من الله له المغفرة فهو رجل صاحب سنة ومحب للسنة ومدافع عنها، نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته وأن يغفر له ويسكنه فسيح جنانه.

معالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف السعودية

الحمد لله على قضائه وقدره -وإنا لله وإنا إليه راجعون- ولا شك أن فقد العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مصيبة، لأنه علم من أعلام الأمة ومحدث من محدثيهم وبهم حفظ الله جل وعلا هذا الدين ونشر الله بهم السنة...

وأضاف معاليه إن للفقيد مآثر عدة في نصرة العقيدة السلفية ومنهج أهل الحديث، وله مؤلفات عظيمة عديدة في خدمة الحديث وتمييز الحديث الصحيح من الضعيف وأثره في العالم الإسلامي.

فضيلة الشيخ عبد العزيز السدحان لجريدة «الرياض»:
يكفيه -يرحمه الله- سلامة المعتقد، واتباع عقيدة السلف

إن الشيخ ناصر الدين الألباني أفنى عمره في الدفاع عن السنة النبوية من الوضع والكذب، ويكفيه -يرحمه الله- سلامة المعتقد قبل ذلك كله واتباع عقيدة السلف الصالح من خلال بعض المسائل الاعتقادية، وكذلك من خلال تخريجاته في الحديث عن العقيدة ومقت الحزبيات وكتبه لا تخلو مكتبة عامة أو خاصة منها.

ويضيف الشيخ السدحان قائلاً:

ويحق لنا أن نسمي هذا العام عام الحزن؛ لوفاة غير واحد من العلماء كان آخرهم الشيخ الألباني.

وقد روى عن الشيخ عبد العزيز بن باز أنه قال: لو قيل إنّ الشيخ الألباني أعلم الناس بالحديث في عصره فليس ببعيد أن يكون كذلك.

ويوضح الشيخ عبد العزيز السدحان بأنه عرف الفقيد من أكثر من عشرين عاما في المدينة المنورة، ويقول دعوته إلى منزلي في الرياض فلبى الدعوة بحضور جمع من طلبة العلم، وآخر لقاء به كان في عمان قبل شهر تقريباً عائداً له في مرضه وكان مرضاً منهكاً ضعيف جسمه جدا وسلمت عليه وقرأته سلام طلبة العلم هنا لم أسمع منه إلا قوله جزاك الله خيراً ولم يعد يعرف إلا المقربين منه.

وقد كان للفقيد عند الشيخ عبد العزيز بن باز -يرحمهما الله- مكانة طيبة فكان يحبه ويقدره وجزى الله القائمين على جائزة الملك فيصل العلمية خيراً عندما منح الشيخ الجائزة في خدمة الإسلام العام الماضي وهو أحق بها وأهلٌ لها....

كلمة الشيخ عبدالله العبيلان -حفظه الله-

أعزي نفسي وإخواني المسلمين في جميع أقطار الأرض بوفاة الإمام العلامة المحقق الزاهد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وفي الحقيقة الكلمات تعجز أن تتحدث عن الرجل، ولو لم يكن من مناقبه إلا أنه نشأ في بيئة لا تعد بيئة سلفية، ومع ذلك صار من أكبر الدعاة إلى الدعوة السلفية والعمل بالسنة والتحذير من البدع لكان كافياً، حتى أن شيخنا عبد الله الدرويش والذي يعد من الحفاظ النادرين في هذا العصر وقد توفي في سن مبكرة، يقول -رحمه الله-: منذ قرون ما رأينا مثل الشيخ ناصر كثرة إنتاج وجودة في التحقيق، ومن بعد السيوطي إلى وقتنا هذا لم يأتِ من حقق علم الحديث بهذه الكثرة والدقة من الشيخ ناصر.

● وقال معالي الشيخ الدكتور عبد الله صالح العبيد - الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي-: إن الله لا ينزع العلم من صدور الرجال، وإنما بموت العلماء، ولا شك بأن فقد الأمة الإسلامية بوفاة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني تعتبر خسارة فادحة، لا سيما وأن موت فضيلته وانتقاله إلى ربه يأتي بعد كوكبة من العلماء الذين حملوا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ كما حملوا الدعوة الإسلامية في وقت كانت أشد ما تكون الحاجة إليهم وإلى أمثالهم، ونسأله جل وعلا أن يكون في تلاميذ الشيخ وتلاميذ أصحاب الفضيلة الذين سبقوه ما يعوض شيئاً من مصاب الأمة.

○○○

● وقال معالي الدكتور الحبيب بلخوجة

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي:

العلامة الشيخ الألباني عرفناه عن طريق عنايته ودراسته للحديث الشريف واشتغاله بفنونه المختلفة وانقطاعه للدراسات العلمية الشرعية وعمله الطويل في المكتبة الظاهرية في دمشق وأضاف: إننا فقدنا بموته رجلا سباقا إلى خدمة العالم الإسلامي، فكان بذلك مرجعاً لعدد كبير من الأساتذه والشيوخ... تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته.

○○○

● ولقد كانت قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية منح الجائزة عام ١٤١٩هـ ١٩٩٩م وموضوعها «الجهود العلمية التي عنيت بالحديث النبوي تحقيقاً وتخريجاً أو دراسة» لفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني السوري الجنسية، تقديرا لجهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي تخريجاً وتحقيقاً ودراسة

وذلك في كتبه التي تربو على المائة.

ooo

● سُجل للشيخ -رحمه الله- ما يقارب الخمسة آلاف شريط خرج منها حتى الآن ما يقارب الألف فقط، والذي يقوم بتسجيل مجالس الشيخ، هو الأخ الفاضل: محمد أحمد أبو ليلى الأثري.

وقد صدرت سلسلة علميّة عن حياة الشيخ الألباني -رحمه الله- بعنوان: «كلمات وفاء في سلطان العلماء»، تحدث فيها تلاميذ الشيخ -رحمه الله- في الأردن عن جوانب من سيرة الشيخ العلمية والتربوية.

ooo

● بدعوة من طلاب العلم السلفيين في دولة الكويت، قام الشيخ علي بن حسن الحلبي بزيارة علمية دعوية ألقى خلالها محاضرات علمية نافعة، ودروس منهجية متخصصة، ومحاضرة بعنوان: وقفات في حياة العلامة الألباني -رحمه الله تعالى-.

ولقد كان التجاوب -بحمد الله- طيباً مباركاً، عظم في النفع، وكبر فيه الأثر.

في صحبة الألباني -رحمة الله عليه-

تحت هذا العنوان، أقيم في مسجد التقوى في عمان ندوة علميّة حول فقيد الأمة محدث العصر ومجدد القرن محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-، ألقى الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقرة كلمة عن صحبته مع الشيخ -رحمه الله-، وشارك في الندوة تلاميذ الشيخ من الأردن: محمد موسى نصر وسليم بن عيد الهلالي وعلي حسن وحسين العوايشة، ومن اليمن أبو الحسن المأربي، ومن مصر أحمد الخشاب (أبو اليسر)، وحضرها مئات من الأخوة من جميع أنحاء الأردن.

لقاء علمي في مسجد السنة: الجوانب العلمية، الدعوية، والتربوية في حياة الشيخ

أُقيم في مسجد السنة في عمان لقاء علمي حول فقيد الأمة، ألقى فيه الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان كلمة تناول فيها: السيرة الذاتية والعلمية للشيخ -رحمه الله تعالى- مذكراً الحاضرين بضرورة إحياء مآثر الشيخ في مجال العلم والصبر على ملازمته؛ وشارك في اللقاء أيضاً الشيخ حسين العوايشة، وتناول الجوانب التربوية من حياة الشيخ -رحمه الله- وبعض المواقف الدالة على كرم الشيخ وتواضعه، وحرصه على طلاب العلم، وقد حضر اللقاء عدد كبير من المهتمين بعلم الحديث ومحبين الشيخ -رحمه الله تعالى-.

اللجنة الثقافية لجمعية التربية الإسلامية بدولة البحرين تقيم ندوة بعنوان ناصر السنة وقامع البدعة وإمام الأئمة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

أقامت اللجنة الثقافية التابعة لجمعية التربية الإسلامية بدولة البحرين ليلة الخميس الثاني من شهر شعبان سنة (١٤٢٠هـ) الموافق ١٠ / ١١ / ١٩٩٩م ندوة عامة حول «ناصر السنة وقامع البدعة وإمام الأئمة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله» في مسجد أحمد الفاتح في مدينة المنامة، وقد اجتمع لها مئات من طلاب العلم والدعاة حتى غص المسجد بهم.

شارك فيها:

الدكتور محمد موسى نصر

الشيخ سليم بن عيد الهلالي

وكانت محاور الندوة:

١- فضل العلماء وأثرهم على الأمة والآثار السيئة المترتبة على فقدهم.

٢- ترجمة موجزة للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني تضمنت اسمه ونسبته ونسبه ومولده ونشأته وطلبه للعلم وشيوخه ومؤلفاته ورحلاته الدعوية والعلمية وهجرته إلى عمان.

٣- جوانب بارزة في حياة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله وهي:

أ) الجانب العقدي ويتمثل في:

- تدريس كتب العقيدة السلفية لتلاميذه في بلاد الشام.

- تحقيقه وشروحه ونشره لكتب العقيدة السلفية.

- دفاعه عن عقيدة السلف الصالح وبخاصة في مسائل الصفات والإيمان والقدر.

ب) الجانب الفقهي ويتمثل في:

- النهي عن التقليد وفتح باب الاجتهاد.

- فقه رباني يربط الأمة بقال الله وقال رسوله وقال الصحابة.

- هدم الفصام النكر المفتعل بين علم (الحديث) وعلم (الفقه).

- عدم الجرأة على الفتوى إلا إذا سبق بإمام.

- تاليفه كتب كثيرة في المسائل فقهية متخصصة، مثل: و «صفة صلاة النبي ﷺ» و«أحكام الجنائز» و«جلباب المرأة المسلمة» و«حجة النبي ﷺ» وغيرها.

ت) الجانب الحديثي ويتمثل في:

-إحياء علم الحديث النبوي في العصور المتأخرة بعد ما كان يسمى «صناعة المفاليس».

- ربط علم الحديث بثمرته وغايته وهي معرفة الصحيح من الضعيف.

- علو مصادره حيث استفاد ذلك من اعتكافه الساعات الطوال في «المكتبة الظاهرية» بدمشق.

- استمرارية البحث والرجوع إلى الحق إذا تبين له خطأ ما ذهب إليه.

- الاعتراف بالفضل لمن أسدى إليه شيئاً من ذلك، والتنويه باسمه.

- خدمة السنة النبوية ضمن مشروعه الضخم «تقريب السنة بين يدي الأمة».

ث) الجانت التربوي ويتمثل في:

- التركيز على أهمية التربية الربانية القائمة على كتاب الله وسنة رسوله وفهم السلف.

- تأصيل مبدأ التدرج في التربية الربانية مبيناً

خطورة الاستعجال؛ لأن من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه.

- جـ) الجانب الدعوي، ويتمثل في:

- تأصيل منهج السلف وبيان محاسن الدعوة السلفية وأنها الإسلام المصفى المنزل على قلب محمد ﷺ والذي نقله لنا الصحابة دون زيادة ولا نقصان.

- رفع قاعدة «التصفية والتربية» وأنها مهمة الرسول ﷺ ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

- رحلاته الدعوية الكثيرة الكثيفة ودروسه ومحاضراته ومناظراته المتواصلة.

- رعايته لطلابه وتلاميذه وتوجيههم باستمرار وحثهم على المحبة والتعاون الشرعي القائم على الإخوة الإيمانية وتكامل جهود العاملين للدعوة السلفية وتقديم المصلحة الشرعية للدعوة على حظوظ النفس.

- ردوده على المخالفين وبيان حال الجماعات الإسلامية المنحرفة عن منهج السلف.

٤- من أخلاق الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- ومن أبرزها: الإخلاص، شدة متابعته لرسول الله ﷺ، تعظيمه لفهم الصحابة -رضي الله عنهم- التواضع، الإيثار، تفقده لتلاميذه ومحبيه، جلده في البحث والاستقراء والمناظرة، دقته العلمية وأمانته في عزو العلم لأهله.

٥- مع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في أيامه الأخيرة، وفي أبرزها: مرضه، صبره، متابعته للطلب وتعلق قلبه بالعلم، وصاياه لتلاميذه واهتمامه بهم ودعائه لهم، وفاته، جنازته، ثناء أهل العلم عليه وتأثرهم بنبأ وفاته -رحمه الله-.

٦- الدعوة السلفية بعد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، وأنها مستمرة بقوة بثبات وأن وجود العلماء وإن كان يقوي الدعوة وينشرها لكنه ليس شرطاً في استمرارها وخلودها، ورد بعض الشبهات التي أثارها المرجفون في حصول بعض الاختلاف بين تلاميذ الشيخ وخلافة الشيخ وغيرها.

٧- المراثي التي رؤيت للشيخ -رحمه الله- في حياته وبعد مماته والمراثي التي قيلت فيه.

ثم كانت للأخوين: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي محاضرات ودروس وخطب في دولة البحرين حول أهمية المنهج السلفي، والأخلاق وإصلاح ذات البين، وعدم الاستعجال مما كان له أثر طيب في نفوس طلاب العلم والدعاة هناك. ولله الحمد.

العثيمين يعزّي

هاتف فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله- عائلة الشيخ ليلة دفنه معزياً أهل الشيخ بفقيدهم، ومما قال -لما أخبر برغبة الشيخ -رحمه الله تعالى- بتعجيل دفنه-: لقد أحيا الشيخ الألباني السنة في حياته وبعد مماته.

د. عاصم القريوتي: لقد تصدى الشيخ -رحمه الله- لنشر دعوة فكر التكفير الذي فاق فكر الخوارج في هذه البلية

لقد كان للشيخ الدور العظيم في صد الدعوة إلى فكر التكفير ولست مبالغاً إن قلت: إن أعظم ما قام به الشيخ من جهود بعد نشره للتوحيد وإحياء السنة النبوية، هو الوقوف أمام فكر التكفير العصري، الذي فاق فكر الخوارج في هذه البلية.

ولقد كانت بداية هذا الفكر المنحرف زحفت إلى الأردن من مصر بعد ظهور شكري مصطفى قبل قرابة ثلاثين عاماً، ولقد وقف شيخنا -رحمه الله- آنذاك وقفة يشكر عليها، ونسأل الله له الأجر العظيم في تصديه لهذا الفكر وقدرته على دحضه آنذاك.

وما كان ذلك لولا ما من به الله عز وجل على شيخنا من العلم الغزير وسعة الصدر مع هؤلاء، مع طول نفسه في النقاش بالحجة والبرهان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، كما كانت بعض الجلسات مع هؤلاء تدوم إلى الفجر أثناء البرد الشديد، ولقد سجلت كثيراً من هذه الجلسات ونفع الله بها كثيراً من طلبة العلم.

ولقد كتب شيخنا في مسألة تكفير الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، والتفصيل في هذه المسألة، وأيده في ذلك العلماء الفحول أمثال الشيخ العلامة ابن باز -رحمه الله- والشيخ ابن عثيمين.

برع شيخنا -رحمه الله- في الفتوى، وفي أحكام الإجابات عن الأسئلة العلمية في فنون عدة، لاسيما في المسائل العقدية والحديثية والدعوية، وهي تمتاز بأنها مدعمة بالأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة والحجة الدامغة.

وقد سجلت للشيخ دروس وفتاوى وإجابات عديدة جداً من خلال أسفاره إلى الدول التي سافر إليها، بلغت بضعة آلاف، وهي الآن قيد التفريغ للطبع، وقد بدأ فيما يخص العقيدة يسر الله إتمامها، وما لم يسجل كثير من خلال اللقاءات والزيارات وعبر الهاتف وغير ذلك.

ولقد كان الشيخ مرجعاً للعلماء الكبار ومن ذلك سماحة العلامة شيخ الإسلام والمسلمين -رحمه الله- أرسل إليه مرة رسالة تتعلق بمقالة عن المسند لإمام أحمد، ذهب فيها صاحبها إلى التشكيك بالمسند، يطلب ابن باز فيها من الألباني الاطلاع عليها والإفادة بما لديه في الموضوع.

وعلى كل حال، فالرجل طويل الباع، واسع الاطلاع، قوي الإقناع، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك سوى قول الله ورسوله، ونسأل الله تعالى أن يكثر من أمثاله في الأمة الإسلامية، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين والقادة المصلحين، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا إنه جواد كريم.

جريدة «الرياض» السعودية تنعى العلامة الألباني

قالت جريدة «الرياض» في عددها الصادر يوم الإثنين ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ عند الكلام عن السيرة الذاتية للشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-.

دعي من قبل عدد من المراكز العلمية الإسلامية العالمية لتولي مناصب رفيعة فيها، فواجه معظمها بالاعتذار لشواغله العلمية -رحمه الله-.

تولى تدريس مادة الحديث النبوي في الجامعة الإسلامية -بالمدينة المنورة- إبان افتتاحها مدة ثلاث سنين بدءاً من سنة (١٩٦٠م) مما كان له بسببه أعظم الأثر في إيجاد نهضة علمية حديثية واسعة على نطاق العالم كله، وعلى جميع المستويات على المستوى الرسمي وذلك باهتمام الجامعات العامة بذلك، حيث قدمت مئات الرسائل الجامعية المتخصصة في علم الحديث، وعلى المستوى الشعبي للأمة، حيث توجه عدد كبير من طلاب العلم لدراسة علم الحديث والتخصص فيه، وغير ذلك مما وجد بعده وصار أثراً من آثاره وأكبر دليل على ذلك الكم الكبير من الكتب الحديثية المختلفة الأثر -لجلالته ووضوحه- لا ينكره أحد حتى المخالفون.

وتلاميذ الشيخ -سواء من تلقى العلم على يديه في الجامعة أم في حلقاته العلمية الخاصة أم على تآليفه -كثيرون منتشرون- بحمد الله- في جميع أنحاء العالم، ينشرون صحيح العلم ويدعون إلى صفي المنهج بقوة وثبات.

بلغت مؤلفاته أكثر من مائة كتاب، بعضها في ورقات وبعضها في مجلدات، طبع نحو سبعين منها.

ومن أهم أعماله العلمية الحديثية اعتناؤه بـ «سنن النسائي» و«سنن أبي داود» و«سنن الترمذي» و«سنن ابن ماجه» وذلك في تقسيمه أحاديثها المروية إلى قسمين قسم صحيح وقسم ضعيف، وذلك ضمن مشروعه العلمي الكبير «تقريب السنة بين يدي الأمة» وقد طبعت جميعها بمنة الله.

وللشيخ -رحمه الله- صفات حميدة عديدة، من أظهر ذلك وأثبته دقته العلمية البالغة وصلابته في الحق، ورجوعه إلى الصواب، وصبره على مشاق العلم والدعوة، وتحمله الأذى في سبيل ذلك كله صابراً محتسباً -رحمه الله-.

ندوة: فقيد الدعوة السلفية اللجنة الثقافية في جمعية إحياء التراث -الكويت-

أقامت اللجنة الثقافية التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي ندوة عامة حول:

«فقيد الدعوة السلفية الشيخ محمد ناصر الدين الألباني» شارك فيها كل من: الشيخ حاي الحاي، والشيخ محمد الشيباني، والشيخ بدر البدر، والشيخ محمد الحمود النجدي.

كما ألقى فضيلة الشيخ الدكتور عبد المحسن العباد من المملكة العربية السعودة كلمة عبر الهاتف.

الشيخ حمدي السلفي -في رسالة إلى ورثة الشيخ رحمه الله-: إن مصيبة الإسلام بوفاة الشيخ كبيرة

■ أرسل فضيلة الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي رسالة إلى ورثة الشيخ ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، جاء فيها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وصل إلى سمعنا نبأ المصيبة التي أصابت المسلمين جميعاً ألا وهي وفاة شيخنا محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني فآلمتنا تلك المصيبة جداً، لأننا كنا ننتظر ان يكمل مشروعه العظيم في خدمة السنة المطهرة، وكنا ندعو الله -تعالى- أن يطيل عمره لهذه الغاية، ولكنه انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل أن يكمل ذلك.

ولعل الله يوفق بعض تلاميذه لإكمال المشروع كما هو الذي كان شيخنا يصرف جهوده لإكماله.

في الحقيقة إن مصيبة الإسلام بوفاته كبيرة، ولكن ماذا نعمل لأن ما قدّر الله تعالى محتوم.

وبهذه المصيبة العظيمة نعزي أولا أنفسنا ثم نعزيكم جميعاً ونعزي جميع تلاميذ الشيخ واصدقاءه ومحبيه والأمة الإسلامية جميعاً.

ونبكي على هذا الفراغ الذي تركه شيخنا في خدمة السنة والدعوة الإسلامية.

ونقول : إنا لله وإنا إليه راجعون، ونرجو من الباري عز وجل أن يرفع درجة فقيدنا بل فقيد الأمة الإسلامية في الفردوس الأعلى، ويلهمكم ويلهمنا جميعاً الصبر على هذه المصيبة، ومرة أخرى نقول إنا لله وإنا إليه راجعون.

حمدي عبد المجيد السلفي
إقليم كردستان العراق
محافظة دهوك - سرسنك

الشيخ محمد صفوت نور الدين رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية - مصر

■ قال الشيخ محمد صفوت نور الدين، في كلمة له تعليقاً على هذا الحدث:

والألباني -رحمه الله تعالى- علم الأعلام صاحب الكتب الكثيرة والحسنات العديدة، أخطاؤه في بحر حسناته مغمورة، وأقوال القادحين له بين أقوال المخلصين المادحين مقهورة.

العارفين لفضله والمقتبسين من كتبه أخبارهم مشهورة، ونقل العلماء والكتاب المحققين واستفادتهم منه في مصنفاتهم منشورة تعمر المنابر من العلم الذي بثه، وتذخر الكتب بالخير الذي صنفه وتزين المجالس بعباراته المفيدة.

عام الحزن يتواصل بعد رحيل علامة الشام الألباني

تحت هذا العنوان قالت مجلة الفرقان الكويتية:

فقد ودعنا يوم السبت الثاني والعشرين من جمادي الآخر ١٤٢٠ هـ الموافق الثاني من أكتوبر ١٩٩٩م المحدث علامة الشام فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله رحمة واسعة-.

وقد فقدت به الأمة عالماً جليلاً كان جبلاً ودرعاً واقياً في الدفاع عن العقيدة السلفية والذب عنها.

ولكنها مشيئة الله عز وجل أن تفقد الأمة الإسلامية والعربية علماً من اعلام الدعوة السلفية وأحد مجددي هذا العصر فقد كان حقاً ناصر الدين والسنة، فكان بحق العالم الرباني والنور الهادي إلى سواء الصراط، فقد وَرَثَ وورَّث علم الأنبياء الذين لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم الذي من أخذ له فقد نال الحظ الأوفر من الأجر والثواب والذي ناله شيخنا الألباني عليه رحمة الله.

فنسأل الله عز وجل أن يأجرنا في مصيبتنا هذه، وان يبدلنا خيراً منها.

حافظ عبدالرحمن مدني -مدير جامعة لاهور الإسلامية: إن الشيخ قد ترك للأجيال ذكرى لا يُستغنى عنها

■ في رسالة وجّهها الشيخ حافظ إلى تلاميذ الشيخ وأهله، قال:

لقد تلقينا بأسى عميق وحزن بالغ نبأ وفاة شيخنا العلامة المحدث ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى- وإني إذ أبعث لكم هذه الرسالة فإني أعزي نفسي والمسلمين عامة وأهل الحديث على وجه الخصوص بهذا المصاب الجلل وعزاؤنا في مثل هذه الساعات العصيبة أن الشيخ قد ترك للأجيالَ ذخيرة لا يستغنى عنها، سائلين الله -تعالى- أن يتقبل منه جميع أعماله الصالحة، وأن يجزيه عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

لقد تركت زيارتي إلى الأردن أثرا بالغا في نفسي، حينما زرت الشيخ -رحمه الله-، الذي كان لوده الخاص وصدق مشاعره وكرم ضيافته أطيب الأثر في نفسي.

اللهم اغفر للشيخ في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، ووسع له في قبره، ونور له به، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله.. آمين

والله يحفظكم ويرعاكم ويسدد خطاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حافظ عبد الرحمن مدني

مدير جامعة لاهور الإسلامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت تحتسب عند الله فقيد الأمة فضيلة الشيخ ناصر الدين الألباني

■ قالت وزارة الأوقاف الكويتية في الصحف الكويتية الرسمية في بيان عن وفاة الشيخ ناصر:

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت مع إيمانها بقضاء الله وقدره تحتسب عند الله تعالى العلامة الموهوب محدث العصر إمام العلماء وعلما من أعلام أهل الحديث سماحة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني غفر الله له بقدر ما قدم في دنيا الناس ودينهم من نور وهدى وبيان، وصدق حمايته للسنة المطهرة، التي قد وهب حياته للدفاع عنها، ورفع علمها خفاقاً في كل أطراف الأرض.

وقد نهلت المجامع العلمية من فيض علمه وتلقت بالقبول ما اعتمده -يرحمه الله تعالى- من تصحيح الأحاديث النبوية، وشكر الله جهاده بكل قوة واقتدار في الدفاع عنها ورد الشبهات والدس الرخيص من خلال الأحاديث الموضوعة.

لقد كان لسماحة الشيخ الراحل يرحمه اللة تعالى منهج فريد في محاربة البدع والخرافات وجمع المسلمين على كلمة الحق والصراط المستقيم.

وإن كانت وزارة الأوقاف تستشعر فداحة الخسارة بوفاة سماحة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فإنها تستسلم لقضاء الله وهي على يقين بأن الله يقيض لهذه الأمة في كل عصر ومصر من يحمل شعلة العلم، وينشر نوره ويحفظ رونقه.

وإن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية وهي تحتسب عند الله العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني تضرع إلى الله العلي القدير أن يجعل كل ما قدمه للإسلام والمسلمين في ميزان حسناته، وأن يلحقه بالصالحين ويسكنه فسيح جناته، وأن يحفظ لأمتنا الإسلامية فقهاءها الأفاضل، وأن ينفعنا بعلمهم.

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

طلبة العلم في فلسطين يعزون أبناء وتلاميذ الشيخ -: نحن في حاجة لأمثال والدنا الشيخ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله وصحبه، وبعد:

الأخوة أبناء شيخنا ووالدنا محمد ناصر الدين الألباني والإخوة أحباء الشيخ وتلاميذ وأهل وذوي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأخوة الكرام

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾، ويقول سبحانه: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾.

وقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

إخوتي تلاميذ وأبناء وذوي وأهل والدنا وشيخنا الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- لقد تلقينا خبر وفاة والدنا الشيخ بالحزن وبالدمع وبالترجع إلى الله العلي القدير أن يغفر له، وأن يرحمه ويسكنه فسيح جناته.

أيها الأخوة: لقد أصاب المسلمين بموت الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مصاب جلل، وحلت بديارهم خسارة فادحة بموت عالم ومحدث جليل نذر حياته عاكفاً على خدمة علوم الحديث تصنيفاً وتحقيقاً ودراسة لأسانيده ورواته، ولقد انتشرت كتبه ومصنفاته وتحقيقاته وأشرطته السمعية أرجاء المعمورة، فأصبح لا يخلو بيت من بيوت طلاب العلم إلا وكانت من آثار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى- زينته وحجته.

لقد تتلمذ على يديه الكثير، وتعلم من كتبه وأشرطته الجموع حتى أصبح رأيه وقوله معتمداً عند طلاب العلم الذين ينشدون ضالتهم لإقتناء واتباع أثر النبي ﷺ.

إننا طلاب العلم الشرعي في فلسطين نقدم تعازينا قائلين: عظم الله أجركم، ورحم الله ميتنا وميتكم، نعزيكم ونعزي أنفسنا وكافة المسلمين بموت محدث هذا العصر وهذا القرن، وإننا نؤمن بفداحة هذا المصاب؛ لأن المصاب إن كان في الدين عظم وازداد فداحة.

تعزي بوفاة محدثنا ووالدنا، والمسلمون في حاجة لأمثاله من العلماء الصادقين الباحثين عن كنوز السنة والذايين عن حياضها، والساعين لإحياء نهج الرسول ﷺ.

ينتقل والدنا إلى جوار ربه في زمن يهجم الغلاة والجهلاء على حرمات الدين والسنة النبوية العطرة، ونحن في حاجة لأمثال والدنا لبيان وتمييز الصحيح من الضعيف، والموضوع من الشاذ والمقبول، ولا يستطيع أن يقول القول الفصل في ذلك إلا الرجال الثقات التقاة المتثبتون أصحاب الدراية في الرواية وعلم الرجال والأسانيد للرد على الجاهلين والمتغطرسين وعلى الخصوم بالحجج والبراهين وبالرواية الصحيحة المتصلة السند برسول الله ﷺ.

فرحمة الله -تعالى- والدنا وشيخنا فبكتبه وتصانيفه وعلومه وبمنهاجيه وسلوكه نستطيع أن نقول: أنه من زمرة أولئك الذين أخبر عنهم النبي ﷺ فيما رواه

البيهقي عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من خلفه عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

إننا نعزي بوفاة والدنا وعلومه منتشرة ونحن في فلسطين وفي العالم الإسلامي في حاجة إلى أمثال الشيخ بالتمسك والاقتداء بمناهج رسول الله ﷺ.

وإننا نهيب بكم أيها الأخوة تلاميذ الشيخ في كافة الأقطار والبلدان أن تتمسكوا بكتاب ربكم وبسنة رسولكم ﷺ مع الإخلاص والصدق في القول والعمل والمعتقد لتفوز بخير الدنيا والآخرة. نسأل الله -تعالى- أن يتغمد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يعوض العالم الإسلامي عنه خيراً، وأن يُلهم أهله وذريته وطلابه ومحبيه الصبر، والله تعالى يقول: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾.

عظم الله أجركم، وغفر لفقيد الأمة الإسلامية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوتكم من طلاب العلم الشرعي بفلسطين

عنهم

محمد محمد لافي

وزارة الأوقاف الفلسطينية تعقد لقاء حول العلامة الراحل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

عقدت وزارة الأوقاف في فلسطين الملتقى السادس بعنوان «**الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -محدث عصرنا- سيرته ومنهاجه**» في مدرسة الأوقاف الشرعية للبنين، بحضور الشيخ يوسف جمعة سلامة وكيل الوزارة، والشيخ عبد الكريم الكحلوت مفتي غزة، ورئيس جمعية الشبان المسلمين في الهند، وأركان وزارة الأوقاف والشؤون الدينية وجمع من العلماء والوعاظ والأئمة وأساتذة الجامعات، الشيخ سلامة قال: إن العالم الإسلامي فقد عالماً جليلاً أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب والمؤلفات. وتناول الشيخ سلامة بعض المحطات في حياة الشيخ الألباني الذي كان رجلاً عصامياً متواضعاً يحب العلم ويتحرى الدقة المتناهية في تخريج الحديث الشريف، وأشار الشيخ سلامة إلى أن فلسطين قد انجبت عدداً وافراً من العلماء مثل الإمام الشافعي والإمام ابن حجر العسقلاني وابن قدامة، وأعلن عن تخصيص زاوية في مجلة المنبر الصادر عن الوزارة لتلقي الضوء على علماء فلسطين والمسلمين ليكونوا منارات للأجيال الإسلامية القادمة.

وتحدث الشيخ عبد الكريم الكحلوت مفتي غزة عن السنة النبوية كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، فالقرآن هو الذي أشار إلى مكانة السنة المطهرة التي تقوم بشرح مفصل للنصوص القرآنية، وكذلك السنة النبوة تعلم المسلمين كيفية أداء العبادات.

*** نبذة عن سيرة الألباني:**

د. إسماعيل رضوان المحاضر في الجامعة الإسلامية قال: أن الشيخ الألباني ولد في ألبانيا، ونشأ في أسرة متواضعة فقيرة، وتلقى والده علومه في اسطنبول، ثم هاجر مع أهله إلى سوريا، ودرس في سوريا وأنهى دراسته الأولى فيها، وكان يحب القراءة ويجلس كثيراً في المكتبات، ويذكر الشيخ الألباني أن أهم النعم التي أنعمها الله عليه هي هجرته من ألبانيا إلى سوريا والمهنة التي تعلمها على يد والده.

وتحدث د. نافذ حماد المحاضر في الجامعة الإسلامية بغزة عن منهج الشيخ الألباني في تخريج الأحاديث، كما تحدث الشيخ محمد لافي مدير دائرة البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف عن دعوة الألباني ومنهجه في التربية.

قالوا في الشيخ

■ كان الشيخ العلامة البحر محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- الذي ما علم مثله في عصره في علم التفسير واللغة يجل الشيخ الألباني إجلالاً غريباً، حتى إذا رآه ماراً وهو في درسه في الحرم المدني يقطع درسه قائماً ومسلماًعليه إجلالاً له.

الشيخ عبد العزيز الهده

○○○

■ من دعاة السنة الذين وقفوا حياتهم على العمل لأحيائها هو أخونا أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين نوح نجاتي الألباني.

العلامة الأستاذ محب الدين الخطيب

○○○

■ وقال الشيخ العلامة محمد حامد الفقي -رحمه الله تعالى-: الأخ السلفي البحّاثة الشيخ ناصر الدين.

○○○

■ قول سماحة المفتي الأسبق للمملكة العربية السعودية العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- إذ قال عن فضيلة الشيخ الألباني -رحمه الله- : وهو صاحب سنة ونصرة للحق ومصادمة لأهل الباطل.

○○○

■ كلمة سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- حال حياته:

ما رأيت تحت أديم السماء عالما بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني، وسئل سماحته عن حديث رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، فسئل من هو مجدد هذا القرن. فقال -رحمه الله-: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو مجدد هذا العصر في ظني، والله أعلم.

○○○

■ وقال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

-حفظه الله- في الشيخ الألباني:

فالذي عرفته عن الشيخ من خلال اجتماعي به -وهو قليل-، أنه حريص جداً على العمل بالسنة، ومحاربة البدعة، سواء أكانت في العقيدة أم في العمل، أما من خلال قراءتي لمؤلفاته فقد عرفت عنه ذلك، وأنه ذو علم جم في الحديث، رواية ودراية، وأن الله -تعالى- قد نفع فيما كتبه كثيراً من الناس، من حيث العلم ومن حيث المنهاج والاتجاه إلى علم الحديث، وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين ولله الحمد.

○○○

■ قال العلامة الشيخ زيد بن فياض -رحمه الله- عنه: فإن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من الأعلام البارزين في هذا العصر، وقد عني بالحديث وطرقه ورجاله ودرجته من الصحة أو عدمها، وهذا عمل جليل من خير ما انفقت فيه الساعات وبذلت فيه المجهودات، وهو كغيره من العلماءالذين يصيبون ويخطئون، ولكن انصرافه إلى هذا العلم العظيم مما ينبغي أن يعرف له به الفضل، وأن يشكر على اهتمامه به.

○○○

■ الشيخ العلامة مقبل الوادعي:

إن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني لا يوجد له نظير في علم الحديث، وقد نفع الله بعلمه وبكتبه أضعاف ما يقوم به أولئك المتحمسون للإسلام على جهل أصحاب الثورات والانقلابات.

والذي أعتقده وأدين لله به أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من المجددين الذين يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها» رواه أبو داود وصححه العراقي وغيره.

○○○

■ قال الأستاذ الدكتور أمين المصري -رحمه الله- رئيس قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية سابقاً: «مِنْ نكَدِ الدنيا أن يختار أمثالنا من حملة الدكتوراة لتدريس مادة الحديث في الجامعة، وهناك من هو أولى بذلك منا، مما لا نصلح أن نكون من تلامذته في هذا العلم، لكنها النُّظم والتقاليد».

○○○

الموروث العلمي للشيخ

هذا مسرد للموروث العلميّ الذي تركه أستاذنا العلاّمة الشّيخ أبو عبد الرّحمن محمّد ناصر الدّين الألبانيّ - رحمه الله، ونفع بعلومه - على مدار ستّين سنة - أو أزيد-؛ وتشمل مؤلّفاته، وتحقيقاته، وتعليقاته، وتخريجاته؛ المطبوعة والمخطوطة؛ والمفقوده:

▹ الأعمال المطبوعة:

١- «آداب الزّفاف في السنة المطهرة» - تاليف.

٢- «الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفيّة السادات» / للآلوسي - تحقيق وتخريج.

٣- «الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة» - تاليف.

٤- «الاحتجاج بالقدَر» / لابن تيميّة - تحقيق.

٥- «أحكام الجنائز» - تاليف.

٦- «أداء ما وجب من بيان وضع الوضّاعين في رجب» / لابن دِحْيَةَ - تحقيق وتخريج.

٧- «إرواء الغليل في تخريج أحاديث «منار السبيل»» - تاليف (ثمانية مجلّدات).

٨- «إزالة الدهَش والولَه عن المتحيّر في صحّة حديث: «ماء زمزم لِمَا شُرب له» - تخريج.

٩- «إصلاح المساجد من البدع والعوائد» / للقاسِميّ - تخريج وتعليق.

١٠- «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» / لابن القيم - تخريج-. (تحت الطبع).

١١- «اقتضاء العلم العمل» / للخطيب البغدادي - تحقيق وتخريج وتعليق.

١٢- «الإكمال في أسماء الرجال» / للتّبريزي - تحقيق.

١٣- «الإيمان» / لابن أبي شيبة -تحقيق وتخريج وتعليق.

١٤- «الإيمان» / لابن تيميّة - تعليق.

١٥- «الإيمان» / لأبي عُبيد القاسم بن سلام - تحقيق وتخريج وتعليق.

١٦- «الباعث الحثيث شرح «اختصار علوم الحديث»» / لأحمد شاكر - تعليق(مجلّدان) -.

١٧- «بداية السُّول في تفضيل الرسول» / للعزّ بن عبد السلام - تحقيق وتخريج-.

١٨- «تأسيس الأحكام شرح «بلوغ المرام»» / للشيخ أحمد بن يحيى النَّجْمي - تعليق. (طبع منه الجزء الأول)

١٩- «تحذير الساجد من اتّخاذ القبور مساجد» - تاليف.

٢٠- «تحريم آلات الطرب» - تاليف.

٢١- «تحقيق معنى السنّة» / لسليمان النّدْوي - تخريج.

٢٢- «تخريج أحاديث «فضائل الشام ودمشق»» / للرّبَعِيّ - تاليف.

٢٣- «تخريج أحاديث كتاب «مشكلة الفقر»» / للقرضاوي - تاليف.

٢٤- «تصحيح حديث إفطار الصائم» - تاليف.

٢٥- «التعقيب على رسالة «الحجاب»» / للمودودي - تعليق.

٢٦- «التعليقات الرضيّة على «الروضة الندية»» / لصديق حسن خان - تاليف .

٢٧- «تلخيص «أحكام الجنائز»» - تاليف.

٢٨- «تلخيص «صفة صلاة النبيّ ﷺ»» - تاليف.

٢٩- «تمام المنّة في التعليق على «فقه السُّنّة»» - تاليف.

٣٠- «تمام النُّصح في أحكام المَسْح» - تاليف.

٣١- «التنكيل بما في «تأنيب» الكوثري من الأباطيل» / للمُعَلّمي

- تحقيق وتعليق(مجلّدان).

٣٢- «التوسُّل أنواعه وأحكامه» - تأليف.

٣٣- «جلباب المرأة المسلمة» - تأليف.

٣٤- «حجاب المرأة ولباسها في الصلاة» / لابن تيميّة - تحقيق وتعليق وتخريج.

٣٥- «حِجَّة النبيّ ﷺ، كما رواها عنه جابر، ورواها عنه ثقات أصحابه الأكابر» - تأليف.

٣٦- «الحديث حُجَّة بنفسه في العقائد والأحكام» - تأليف.

٣٧- «الحديث النبوي» / لمحمد الصبّاغ - تخريج.

٣٨- «حقوق النساء في الإسلام» / لرشيد رضا - تعليق.

٣٩- «حقيقة الصّيام» / لابن تيميّة - تخريج.

٤٠- «حُكْم تارك الصلاة» - تأليف.

٤١- «خُطبة الحاجة» - تأليف.

٤٢- «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي في «فقه السيرة»» - تأليف.

٤٣- «الذبّ الأحمد عن «مسند الإمام أحمد»» - تأليف.

٤٤- «الرد على أرشد السلفي» - تأليف.

٤٥- «الردّ على «التعقيب الحثيث»» / للحبشي الهَرَري - تأليف.

٤٦- «الردّ على الشيخ إسماعيل الأنصاري في مسألة الذهب المحلّق» - تأليف.

٤٧- «رَفْع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» / للصنعاني - تحقيق وتعليق.

٤٨- «رياض الصالحين» / للنووي - تخريج.

٤٩- «الزوائد على «الموارد»» - تأليف. (تحت الطبع)

٥٠- «سؤال وجواب حول فقه الواقع» - فتوى.

٥١- «سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها»(ستّة مجلّدات، والسابع تحت الطبع، والثامن مخطوط لم يتمّ) - تأليف.

٥٢- «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيّئ في الأمة» - تأليف، (خمسة عشر مجلّداً، طبع منها خمسةٌ، والسادس والسابع تحت الطبع).

٥٣- «شَرْح العقيدة الطحاوية» / لابن أبي العزّ الحنفي - تخريج.

٥٤- «الشّهاب الثاقب في ذمّ الخليل والصّاحب» / للسيوطي - تخريج.

٥٥- «صحيح ابن خزيمة» - تخريج ومراجعة، (أربعة مجلّدات).

٥٦- «صحيح الأدب المفرد» / للبخاري - تأليف.

٥٧- «صحيح «الترغيب والترهيب»»، (ثلاثة مجلّدات، وهو تحت الطبع) - تأليف.

٥٨- «صحيح «الجامع الصغير» و«زيادته»»، (ثلاثة مجلّدات) - تأليف.

٥٩- «صحيح «سنن ابن ماجه»» - تأليف(مجلّدان).

٦٠- «صحيح «سنن أبي داود»» - تأليف، (ثلاثة مجلّدات).

٦١- «صحيح «سنن الترمذي»» - تأليف(ثلاثة مجلّدات).

٦٢- «صحيح «سنن النسائي»» - تأليف(ثلاثة مجلّدات).

٦٣- «صحيح «الكلم الطيب»» - تأليف.

٦٤- «صحيح «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان»» - تأليف(مجلّدان - تحت الطبع).

٦٥- «الصراط المستقيم فيما قرّره الثقات الأثبات في ليلة النصف من شعبان» / لعلماء الأزهر - تخريج.

٦٦- «صفة صلاة النبيّ ﷺ من التكبير إلى التسليم؛ كأنك تراها» - تأليف.

٦٧- «صفة الفتوى والمفتي والمستفتي» / لابن حمدان - تخريج وتعليق.

٦٨- «صلاة التراويح» - تأليف.

٦٩- «صلاة العيدين في المصلّى خارجَ البلد هي السُّنّة» -تأليف.

٧٠- «صوت الطبيعة يُنادي

بعظمة الله» / لعبد الفتاح الإمام - تخريج.

٧١- «صوت العرب تسأل وناصر الدين يجيب» - مقابلة.

٧٢- «صيد الخاطر» / لابن الجوزي - تخريج؛ وكان من الذاكرة -كما وَرَدَ في مقدّمته-.

٧٣- «ضعيف «الأدب المفرد»» / للبخاري - تأليف.

٧٤- «ضعيف «الترغيب والترهيب»»(مجلّدان - تحت الطبع كاملا) -تأليف.

٧٥- «ضعيف «الجامع الصغير» و- «زيادته»» - تأليف(ثلاثة مجلّدات).

٧٦- «ضعيف «سنن ابن ماجه»» - تأليف.

٧٧- «ضعيف «سنن أبي داود»» - تأليف.

٧٨- «ضعيف «سنن الترمذي»» - تأليف.

٧٩- «ضعيف «سنن النسائي»» - تأليف.

٨٠- «ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان» - تأليف(تحت الطبع).

٨١- «ظلال الجنّة في تخريج «السنّة»» لابن أبي عاصم - تأليف.

٨٢- «العقيدة الطحاوية»؛ شرح وتعليق - تأليف.

٨٣- «العِلْم» / لأبي خيثمة - تحقيق وتعليق وتخريج.

٨٤- «غاية المرام في تخريج أحاديث «الحلال والحرام»» / للقرضاوي - تأليف.

٨٥- «فتنة التكفير» -فتوى.

٨٦- «فتوى حكم تتبُّع آثار الأنبياء والصالحين» - تأليف.

٨٧- «فَضْل الصلاة على النبيّ ﷺ» / لإسماعيل بن إسحاق القاضي - تحقيق وتخريج.

٨٨- «فِقْه السيرة» / للغزالي - تخريج.

٨٩- «فهرس الصحابة الرواة في «مسند الإمام أحمد بن حنبل»» -إعداد.

٩٠- «فِهْرِس مخطوطات دار الكتب الظاهرية؛ المنتخب من مخطوطات الحديث» - إعداد.

٩١- «القائد إلى تصحيح العقائد» / للمعلّمي - تعليق.

٩٢- «قاموس الصناعات الشامية» / لمحمد سعيد القاسمي - تخريج / مشاركةً مع الشيخ محمد بهجت البيطار -رحمه الله-.

٩٣- «قيام رمضان» - تأليف.

٩٤- «كَشْف النّقاب عمّا في «كلمات» أبي غُدّة من الأباطيل والافتراءات» - تأليف.

٩٥- «الكَلِم الطيِّب» / لابن تيميّة - تحقيق وتخريج.

٩٦- «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» / لابن رجب - تخريج.

٩٧- «اللحية في نظر الدين» - تأليف(وهي ضمن مجموعة بحوث لعددٍ من أهل العلم).

٩٨- «لَفْتة الكبد في تربية الولد» / لابن الجوزي - تحقيق وتخريج / مشاركةً مع الأستاذ محمود مهدي إستانبولي -رحمه الله-.

٩٩- «ما دلّ عليه القُرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القوية البُرهان» / للآلوسي - تخريج.

١٠٠- «مجموع فتاوى الشيخ الألباني ومُحاضراته» - تحت الطبع منها ثمانية مجلّدات.

١٠١- «مُختَصر «الشمائل المحمدية»» / للترمذي - اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.

١٠٢- «مُختَصر «صحيح البخاري»» - تأليف - أربعة مجلّدات؛ طُبعَ الأول والثّاني، والباقي - الثانِ - تحت الطبع.

١٠٣- «مُختَصر «صحيح مسلم»» / للمنذري - تحقيق وتعليق.

١٠٤- «مُختَصر «العُلُوّ للعليّ العظيم»» / للذهبي - اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.

١٠٥- «المرأة المسلمة» / لحسن البنّا- تخريج.

١٠٦- «مسائل غلام الخلاّل التي خالف فيها الخِرَقي» - تعليق.

١٠٧- «مُساجلة علمية بين العز بن عبد السلام وابن الصلاح» - تحقيق وتعليق.

١٠٨- «المَسْح على الجوربين» /

المقاسمي - تحقيق وتخريج.

١٠٩- «مشكاة المصابيح» / للتبريزي - تحقيق(ثلاثة مجلدات).

١١٠- «المصطلحات الأربعة» / للمودودي - تخريج.

١١١- «مناسك الحجّ والعُمرة في الكتاب والسُّنّة وآثار السَّلف» - تأليف.

١١٢- «مناقب الشام وأهله» / لابن تيميّة - تخريج.

١١٣- «منزلة السُّنّة في الإسلام، وبيان أنه لا يُستغنى عنها بالقرآن» - تأليف.

١١٤- «نزهة النظر في توضيح «نخبة الفكر»» / لابن حجر - تعليق وتحقيق(لم يتم).

١١٥- «نَصْب المجانيق لنسف قصة الغرانيق»- تأليف.

١١٦- «النصيحة بالتحذير من تخريب(ابن عبد المنّان) لكتب الأئمة الرجيحة، ومن تضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة» - تأليف.

١١٧- «نَقْد «نصوص حديثية في الثقافة الإسلامية»» - تأليف.

١١٨- «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام» - تأليف.

١١٩- «هداية الرواة إلى تخريج أحاديث «المصابيح» و«المشكاة»» / لابن حجر- تخريج.

▷الأعمال المخطوطة:

١- «الآيات والأحاديث في ذم البدعة» - تأليف.

٢- «أحاديث الإسراء والمعراج» - تأليف.(خ / رقم: ٤٢)

٣- «أحاديث التحرِّي والبناء على اليقين في الصلاة» - تأليف.(خ / رقم: ١٤)

٤- «الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ضعّفها - أو أشار إلى ضعفها - ابن تيميّة في «مجموع الفتاوى»» - تأليف.(خ / رقم: ٨٣)

٥- «الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أمّهات الكتب الفقهية» - تأليف.(خ / رقم: ٤٠)

٦- «الأحاديث المختارة» / للضياء المقدسي - تحقيق وتخريج.

٧- «أحكام الرِّكاز» - تأليف.

٨- «الأحكام الصغرى» / للإشبيلي - تخريج وتعليق وتحقيق.

٩- «الأحكام الوسطى» / للإشبيلي - تخريج وتعليق وتحقيق.

١٠- «الأذكار» / للنووي - تعليق وتخريج.

١١- «إرشاد النّقاد في تيسير الاجتهاد» / للصنعاني - تخريج وتعليق.(خ / رقم: ٥٦-١)

١٢- «إزالة الشكوك عن حديث البروك» - تأليف.(خ / رقم: ٢٤)

١٣- «الأسئلة والأجوبة» - تأليف.(خ / رقم: ٩٥)

١٤- «أسباب الاختلاف» / للحُميدي - تحقيق.

١٥- «أسماء الكتب المنسوخة من المكتبة الظاهرية» - إعداد.

١٦- «أصول السنة واعتقاد الدين» / للحُميدي - تحقيق.

١٧- «الأمثال النبوية» - تأليف.(خ / رقم: ١٩)

١٨- «بغية الحازم في فهارس «مستدرك الحاكم»» - إعداد.

١٩- «بين يَدَي التلاوة» - تأليف.

٢٠- «تاريخ دمشق» / لأبي زُرعة -رواية أبي ميمون-، تحقيق وتعليق.

٢١- «تخريج حديث أبي سعيد الخُدري في سجود السهو» - تأليف.

٢٢- «ترجمة الصحابي أبي الغادية، ودراسة مرويّات قَتْلِهِ عمارَ بنَ ياسر» - تأليف.(خ / رقم: ٦٨)

٢٣- «التعقيب المبعوث على رسالة السيوطي «الطُّرثوث»» - تأليف.

٢٤- «التعليق الرغيب على «الترغيب والترهيب»» - تأليف.

٢٥- «التعليق على رسالة «كلمة سواء»» / .... - تعليق وردّ.(خ / رقم: ٧١)

٢٦- «التعليق على «سُنَن ابن

ماجه» - تخريج.

٢٧- «التعليق الممجّد على «موطأ الإمام محمد» / للكنوي - تعليق وتحقيق.

٢٨- «التعليقات الجياد على زاد المعاد» - تأليف.

٢٩- «التعليقات الحِسان على «الإحسان»» - تأليف.

٣٠- «تلخيص «حجاب المرأة المسلمة»» - تأليف.

٣١- «تمام «تمام المنّة في التعليق على «فقه السنّة»» - تأليف. (خ / رقم: ٦-١)

٣٢- «التمهيد لفرض رمضان» - تأليف. (خ / رقم: ٨٥)

٣٣- «تهذيب «صحيح «الجامع الصغير» و- «زيادته»» والاستدراك عليه» - تأليف.

٣٤- «التوحيد» / محمد أحمد العدويّ - تخريج وتعليق.

٣٥- «تيسير انتفاع الخِلان بـ «ثقات ابن حبان»» - تأليف.

٣٦- «الثمر المستطاب في فِقه السنّة والكتاب» - تأليف (لم يتم). (خ / رقم: ٥).

٣٧- «الجمع بين «ميزان الاعتدال» للذهبي، و «لسان الميزان» لابن حجَر».

٣٨- «جواب حول الأذان وسُنّة الجمعة» - تأليف. (خ / رقم: ٧٤)

٣٩- «حجة الوداع». (خ / رقم: ٩).

٤٠- «الحوض المورود في زوائد «منتقى ابن الجارود»» - تأليف.

٤١- «الدعوة السلفية: أهدافها، وموقفها من المخالفين لها» - تأليف.

٤٢- «ديوان الضعفاء والمتروكين» / للذهبي - تحقيق وتعليق.

٤٣- «رجال «الجرح والتعديل»» / لابن أبي حاتم - إعداد. (خ / رقم: ٥٢)

٤٤- «الردّ على رسالة الشيخ التويجري في بحوث من «صفة الصلاة»» -تأليف.

٤٥- «الردّ على السخّاف فيما سوّده على «دفع شُبَه التشبيه»» - تأليف. (خ / رقم: ٦٤-١)

٤٦- «الردّ على عزّ الدين بليق في «منهاجه»» - تأليف.

٤٧- «الردّ على كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة»» / لمحمد عبد الحليم أبو شقّة» - تأليف.

٤٨- «الردّ على كتاب «ظاهرة الإرجاء» / لِسَفَر الحوالي»- تأليف.

٤٩- «الردّ على كتاب «المراجعات»» / لعبد الحسين شرف الدين الرافضيّ» - تأليف. (خ / رقم: ٣٣)

٥٠- «الردّ على «هديّة البديع» في مسألة القبض بعد الركوع» -تأليف.

٥١- «الردّ المفحِم على من خالف العلماء وتشدّد وتعصّب، وألزم المرأة بِستْرِ وجهها وكفّيها وأوجب، ولم يقنع بقولهم: إنه سنة ومستحب» - تأليف. (خ / رقم: ٩٠)

٥٢- «الروض النضير في ترتيب وتخريج «معجم الطبراني الصغير»». -تأليف.

٥٣- «زهر الرياض في ردّ ما شنّعه القاضي عِياض على من أوجب الصلاة على البشير النذير في التشهد الأخير» / للخَيْضَري - تحقيق وتعليق. (خ / رقم: ١٧١)

٥٤- «سبل السلام / للصّنعاني» - تعليق.

٥٥- «السفر الموجب للقصر» - تأليف. (خ / رقم: ٣٨)

٥٦- «صحيح الإسراء والمعراج» - تأليف. (خ / رقم: ٤٢)

٥٧- «صحيح «سنن أبي داود» (مع التخريج المفصّل)» - تأليف.

٥٨- «صحيح السيرة النبوية» - تأليف (لم يتم). (خ / رقم: ١)

٥٩- «صحيح «كشف الأستار عن زوائد البزّار»»/ للهيثمي.

٦٠- «صفة صلاة النبيّ ﷺ (الأصل) أو (الكبير)» - تأليف.

٦١- «صلاة الاستسقاء». (خ / رقم: ١٣)

٦٢- «صلاة الكسوف، وما رأى ﷺ فيها من الآيات».(خ / رقم: ٩٢)

٦٣- «ضعيف «سنن أبي داود»»(مع التخريج المفصَّل) - تأليف.

٦٤- «ضعيف «كشف الأستار عن زوائد البزّار»» للهيثمي.

٦٥- «عودة إلى السنّة» - تأليف.(خ / رقم: ٥-١)

٦٦- «غاية الآمال بتضعيف حديث عرض الأعمال، والرد على الغُماري بصحيح المقال» - تأليف.

٦٧- «فهرس أحاديث كتاب «التاريخ الكبير»/ للبخاري- إعداد.

٦٨- «فهرس أحاديث كتاب «الشريعة»/ للآجري- إعداد.

٦٩- «فهرس أسماء الصحابة الذين أسندوا الأحاديث في «معجم الطبراني الأوسط»» - إعداد.

٧٠- «الفهرس الشامل لأحاديث وآثار كتاب «الكامل»- / لابن عَدي - إعداد.

٧١- «فهرس كتاب «الكواكب الدراري» لابن عُروة الحنبليّ» - إعداد.

٧٢- «فِهْرس المخطوطات الحديثية في مكتبة الأوقاف الحلبية» - إعداد.

٧٤- «الفهرس المنتخب من مكتبة خزانة ابن يوسف - مرّاكش» - إعداد.

٧٥- «قاموس البدع» - تأليف.(خ / رقم: ٦٥)

٧٦- «قصّة المسيح الدجال ونزول عيسى -عليه السلام-، وقتله إياهُ في آخر الزمان» - تأليف.

٧٧- «كيف يجبُ أن نُفَسِّر القرآن ؟» - تأليف.(خ / رقم: ٦٠)

٧٨- «المحو والإثبات الذي يُدَّعى به في ليلة النصف من شعبان» -تأليف.(خ / رقم: ٣٩)

٧٩- «مختصر «تحفة المودود»»/ لابن القيّم- اختصار وتخريج.

٨٠- «مختصر تعليق الشيخ محمد كنعان».

٨١- «مختصر «التوسُّل»» - تأليف.(خ / رقم: ٣٢)

٨٢- «مختصر «شرح العقيدة الطحاوية»».

٨٣- «مذكّرات الرحلة إلى مصر» - تأليف.

٨٤- «مسائل أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة» - تحقيق وتعليق.(خ / رقم: ٢٥)

٨٥- «مساوىء الأخلاق» / للخرائطي - تحقيق وتخريج.

٨٦- «المستدرك على «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث»» - تأليف.

٨٧- «مع الأستاذ الطنطاوي» - تأليف.

٨٨- «معالم التنزيل» / للبَغَوي - تخريج.

٨٩- «معجم الحديث النبوي» - تأليف(أربعون مجلّداً).

٩٠- «المُغْني عن حمل الأسفار في الأسفار» / للحافظ العراقي - تعليق وتخريج.

٩١- «المناظرات والرُّدود» - تأليف.(خ / رقم: ١٨)

٩٢- «المناظرة بين الشيخ الألباني والشيخ الزمزمي» / نَسَخَهَا: عبدالصمد البقّالي.

٩٣- «مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع القاديانية» -تأليف.

٩٤- «منتخبات من فهرس المكتبة البريطانية» - إعداد.

٩٥- «موارد السيوطي في «الجامع الصغير»» - تأليف.

٩٦- «نقد «التاج الجامع للأصول»» / لمنصور علي ناصف - تعليق وتخريج.(خ / رقم: ٢٠)

٩٧- «وصف الرحلة الأولى إلى الحجاز والرياض مرشداً للجيش السعودي» - تأليف.(خ / رقم: ٧)

٩٨- «وضع الآصار في ترتيب أحاديث «مشكل الآثار»» - إعداد.

▹ الأعمال المفقودة:

١- «مختصر صحيح مسلم» - تأليف.

■ هذا آخرُ مَا وقَفْنَا عَلَيْهِ من تآليفَ، وتحقيقاتٍ، وتخريجاتِ شيخِنا -رحمه الله-، سائلين اللّهَ لهُ الرحمةَ والغفران.

مرثية الحيارى

رحم الله الألباني

● بقلم: أبي محمد رضا بن أحمد السلفي - بانكوك

الحزم أمضى في الخطوب وأفدح
والصمت أغنى في الرثاء وأفصحُ
والنظم أضحى من جليل مصابنا
نشرا يئِنُّ معانداً يتقرحُ
لكن قلبي هاله حزن الورى
وكآبة الأشياء تروي تُفصحُ
قد مات من كان الذي يمحو عن الْ
آثار آثار الكذوب ويفضحُ
يا ناصر الدين الذين أمسِنا
قد كنت روحاً للدعاة تروحُ
قد كنت أصلا في العلوم جميعها
وبدونكم مضت العلوم ترنَّحُ
أما الحديث فأنت أنت بعشته
فغدا بما صنَّفته يتصرحُ[1]
والفقه رَوْنَقُهُ حلا وتيسَّرت
أسبابُهُ وجهودكم تتمدَّحُ
أمَّا علوم النقد نَقْدِ حديثنا
فالفضل يعرفه العليم الأرجحُ
ميَّزت بين صحيحها وضعيفها
فبناؤها قد صار أبْلَجَ يُفصحُ
قد صار قَطْفُ ثِمارِهَا مستطيباً
ذُلُلاً جنا بستانه يتقزّحُ[2]
علم الحديث غرسته فنما الا
أنعم به علماً يفيد ويفلح
أنت الذي أحييتَ في آمالنا
ذكرى الأوائل في غد يتكلح
ورويت من ظمأ غليل قلوبنا
الوحي أروى للنفوس وأروح
بجهادكم عرف الألى[3] سادوا الدنا[4]
بجهادكم وجهادهم نتسلح
أولم يكن شأن الحديث بغابر
أخبار عنقا مغرب تتأرجح

---

(١): أي: صار.   (٢) يتنوع.   (٣) الزين.   (٤) جمع دنيا.

أولم تكن كتب الحديث دفينة
فنشرتها والنشر عطر أفيح

وخصالكم كعلومكم في نفعها
طابت وطاب طليبها المتربح

قد غص حلقي ما أرى من محنة
تذر الحليم لهولها يترنح

موت التقاة وموت كل معلم
سمة الزمان بعصرنا فتلمحوا

أوما رأيتم كيف مات تواليا
شيخ الشيوخ(٥) وحبرنا المتسبح(٦)

أوما وعيتم في المنية عبرة
أوما يفيق جهولنا المتمرح(٧)

كم ممرض عدناه صار مهبراً
ومبرأ في غمضة لا يسرح

آه على حال الديانة في الورى
ذل وظلم صارخ يتبجح

فتن كقطع الليل في إغوائها
ما ثم إلا شرعنا المتصبحُ

يا قومنا قد صاح فيكم ناصر الدين
الذي كلماته تتفصح

إن رمتم مجداً تليداً خالداً
فتأسدوا وتشجعوا وتسلحوا

وسلاحكم في عصركم إن تبتغوا
أمران من يعناهما هو أفلح

تهذيب منهج شرعنا وبناؤه
صرحا منيفاً صافياً يتوضح

والثّان تَرْبِيَةُ الشّباب على العُلا
نِعْم الشباب الحُرُّ والمُتَكَدِّحُ

ذياكم ميزاته فتحملوا
ولواؤه وشعارُهُ فتوشّحُوا

كم فتنةٌ وبليّةٌ مرّت بنا
وتمالأت هِمَم اللئام تُذَبّح

فإذا الهَصُور بدِرعِهِ وسِهَامِهِ
ومُهَنَّدٍ متأهباً ويُلَوِّح

فانداحت الظلماء في أوكارها
وتبددت بدع تمور وتمرح

سل عالماً سل مسلماً متنسكاً
سلِ البلادَ سَلِ العِبادَ ألا اسمحوا

واستعلِنُوا في جارةٍ مُلْتاعَةٍ
هَلْ مات ألبانِيُّنا المُتَبَرِّح

ستجيبك الأَرْجَاءُ في إسْعادَةِ
ما ماتَ من آثاره تتروح(٨)

---

(٥) الشيخ ابن باز -رحمه الله-.

(٦) الشيخ الألباني -رحمه الله-.

(٧) البطر المتكبر.

(٨) تروح النبت، أي: طال.

مسك الختام

شهادة حق...

التحرير

■■ ما نفضَت الأمةُ الإسلاميةُ يديها من غبار دفن الشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز -رحمه الله تعالى- ولا رقأت دموعها عليه، إلا وفجأها نعيّ عَلم آخر من أعلامها، ألا وهو الشيخ الإمام، حسنة الأيام، وشامة بلاد الشام محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-.

وكان كل منهما -رحمهما الله تعالى- كالجبل الراسخ في حسن العمل، والاستقامة في السيرة، وكان كل منهما نافعاً في استقلاله، وقوّة إرادته، وكثرة خيره، عاملاً بما يعتقد أنه الخير والمصلحة لدينه وبلاده، داعياً إلى ما يعتقد أنه الصواب والخير والموافق للمصلحة في الواقع ونفس الأمر بحسب اعتقاده، وإن كان مما يخشى أن يعود عليه بكلام الشانئين، وتعليقات المبطلين.

كان كل منهما -رحمهما الله- ركناً مشيداً للعلم والدعوة والإصلاح، وكان كل منهما فعالاً، ولم يكن قوّالاً، وهذه صفحات مما كتبه الأستاذ الأديب عبد الله بن خميس لما زار دمشق الشام، ووصف زيارته لها، وما شاهد فيها وكتب كتاباً بعنوان: «شهر في دمشق» طبع عام ١٣٧٤هـ - ١٩٩٥م، ذكر فيه انطباعاته عن شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى-؛ فقال:

«...وهكذا وجدت السلفية في دمشق بين صفوف الجامعة، وفي

حلقات العلماء، يحملها شباب مثقف مستنير، يدرس الطبَّ والحقوقَ والآداب...

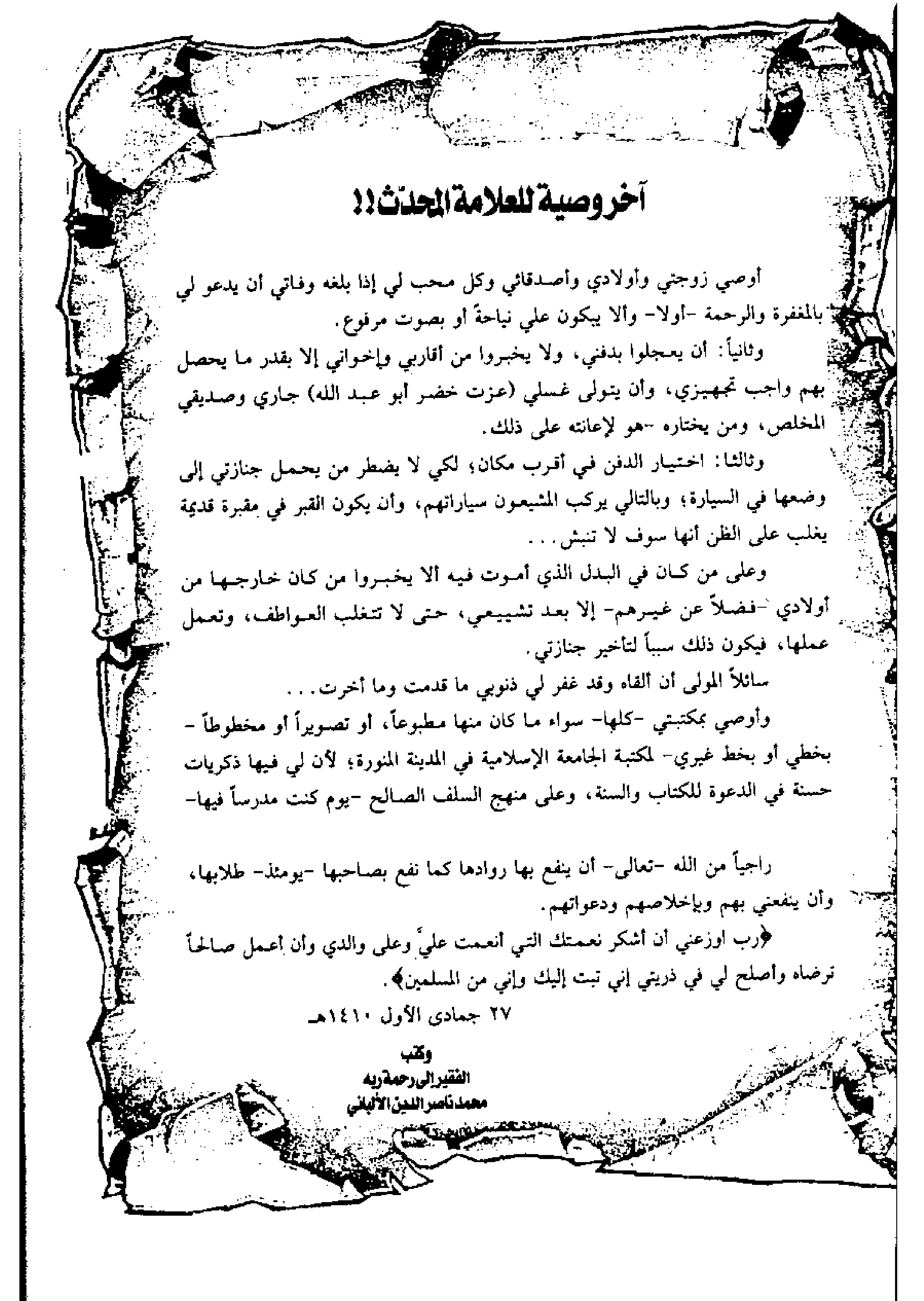
قال لي شابٌ منهم: ألا تحضر درسنا اليوم؟ فقلت: يشرّفني ذلك، فذهبت مع الشباب لأجد فضيلة الشيخ ناصر الدين الألباني محدّث دمشق الكبير، وحوله من يزيد على الأربعين طالباً، من شباب دمشق المثقف، وإذا الدرس جارٍ في باب (حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده طرق الشرك) من كتاب «التوحيد» وشرحه «فتح المجيد» للمجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب وحفيده -رحمهما الله-، فعجبت أشد العجب لهذه المصادفة الغريبة.

وأنصتُ لأسمع درس الشيخ، وإذ بي أسمع التحقيق والتدقيق والإفاضة في علم التوحيد وقوة الضلع فيه، وإذ بي أسمع مناقشة الطلبة الهادئة الرزينة واستشكالاتهم العميقة، حتى انتهى درس التوحيد وبدأوا في درس الحديث بـ «الروضة الندية»، وهنا سمعت علماً جماً، وفقهاً وأصولاً وتحقيقاً، وهكذا حتى انتهى الدرس.

ولم أزل طيلة مقامي بدمشق، محافظاً على درس الشيخ، وقد انتهوا في علم التوحيد من كتاب «فتح المجيد»، وبدأوا في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ وفي كل حين يزداد عددهم وتتجدد رغبتهم ويكتبون وينشرون. ومن تتبع مجلة «التمدن الإسلامي» وقف على ما لهذا الشيخ وتلاميذه من نشاط وجهود ولقد لمست بنفسي لهم تأثيراً كبيراً على كثير من الأوساط ذات التأثير في الرأي العام مما يبشر بمستقبل جد كبير لهذه الدعوة المباركة».

نقولُ: هذه شهادةُ مُنْصِفٍ كَتَبَها قبل نحو نصف قرن من الزمان؛ فكيف الحال الآن؟!

والله وحده الهادي إلى سواء السبيل■



آخر وصية للعلامة المحدّث!!

أوصي زوجتي وأولادي وأصدقائي وكل محب لي إذا بلغه وفاتي أن يدعو لي بالمغفرة والرحمة -أولا- وألا يكون علي نياحةً أو بصوت مرفوع.

وثانياً: أن يعجلوا بدفني، ولا يخبروا من أقاربي وإخواني إلا بقدر ما يحصل بهم واجب تجهيزي، وأن يتولى غسلي (عزت خضر أبو عبد الله) جاري وصديقي المخلص، ومن يختاره -هو لإعانته على ذلك.

وثالثا: اختيار الدفن في أقرب مكان؛ لكي لا يضطر من يحمل جنازتي إلى وضعها في السيارة؛ وبالتالي يركب المشيعون سياراتهم، وأن يكون القبر في مقبرة قديمة يغلب على الظن أنها سوف لا تنبش...

وعلى من كان في البلد الذي أموت فيه ألا يخبروا من كان خارجها من أولادي -فضلاً عن غيرهم- إلا بعد تشييعي، حتى لا تتغلب العواطف، وتعمل عملها، فيكون ذلك سبباً لتأخير جنازتي.

سائلاً المولى أن ألقاه وقد غفر لي ذنوبي ما قدمت وما أخرت...

وأوصي بمكتبتي -كلها- سواء ما كان منها مطبوعاً، أو تصويراً أو مخطوطاً - بخطي أو بخط غيري- لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة؛ لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح -يوم كنت مدرساً فيها-

راجياً من الله -تعالى- أن ينفع بها روادها كما نفع بصاحبها -يومئذ- طلابها، وأن ينفعني بهم وبإخلاصهم ودعواتهم.

﴿رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت عليَّ وعلى والدي وان إعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾.

٢٧ جمادى الأول ١٤١٠هـ

وكتب

الفقير إلى رحمة ربه

محمد ناصر الدين الألباني

قائمة التصحيحات

الصفحة	السطر	العمود	الخطأ	الصواب
٩	١٤	١	العاجلة	العجالة
١٥	٥	٢	ظللت	ظلّت
١٦	٢١	١	بأسنانيدها	بأسانيدها
١٦	٢٥	٢	يدينها	يدنيها
١٨	٩	١	وأذاواق	وأذواق
٢٧	٣	٢	بعده	بعد
٣٥	٢٢	٢	والثربية	والتربية
٨٦	١٢	٢	١٩٩٥م	١٩٥٥م
٨٨	١٠	—	البدل	البلد
الغلاف الأخير	٣	—	يشاقق الله	يشاقق الرسول



عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

العدد:



السنة الرابعة - ١٥ / شوال / ١٤٢٠هـ

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرة كل شهرين مؤقتاً

إخواننا القراء:

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بناء.

ف(الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع إلى الحق

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -

الاشتراكات◁

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة◁

- الأردن: دينار واحد.
- الإمارات المتحدة: ١٠دراهم.
- البحرين: دينار واحد.
- السعودية: ١٠ ريالات.
- الكويت: ٨٠٠ فلس.
- أوروبا: ٤دولارات.
- أمريكا: ٥دولارات.

صف وإخراج فني: أيهم عماد الدين جابر

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤ / ٣ / ١٣٢٨)

عنوان المراسلة

◁الأردن:
عمان - مخيم حطين
ص.ب (٩٨)
رمز بريدي (١٣٧٨١).

تطلب الأصالة من

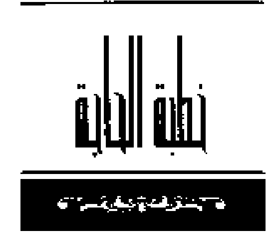
◁الولايات المتحدة:
AL_QURAN WAS-SUNNAH SO-CIET (QSS)
19800 VAN DYKERD
Detroit MI 48234-3354
Tel: (313) 893-3768
Fax: (313) 893-3748

◁كندا:
ASSOCIATION MUSULMANE DEMONTREAL - EST.
3445. JEAN - TALON EST. ST-LEONARD H29 1×1
Tel. 514-374-9572
Fax: 514-374-9660

◁اليمن:
مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٦٢٠٢٢٧ - ٢٦٣٩١٤.

◁الإمارات:
مكتبة الفرقان - عجمان ص.ب (٢٠٢٨٨) هاتف وفاكس (٤٤٤٤٣٥).

● وتطلب (**الأصالة**) من جميع المكتبات السلفية في العالم.



بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ -وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.


عنوانات العدد

فاتحة القول

صولةُ الحقّ... والمسؤوليّةُ الكبرى

• بقلم: التحرير

إذا ظهر الحقُّ ظهوراً جلياً لم يبقَ آنذاك للمعارضاتِ الفكريةِ والمجادلاتِ العلميّةِ محل؛ وقتئذٍ معارضةُ الباطل لهذا الحق لا تزيده إلاّ وضوحاً وبياناً وعلواً؛ فكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، وتكاثرت أدلته، وعظم العمل الموصل إليه.. ولما كان بيانُ الحقِّ أعظمَ المطالبِ وأجلها، صار القيام به واجب ومظاهرة أهله أوجب، وتمامُ الأمر: أن يجعل الداعي إلى سبيل الهدى الحقَّ منتهى قصده، وغاية عمله بعد إذ أدرك أن تمام التوفيق والسداد إنما يكون بالهداية إليه والاتفاق عليه؛ **فالحقُّ ظاهرٌ جليٌ وصولتُه على الباطل وأهله أظهر،** ومن لازم ذلك الظهور: أن يُعلمَ أنَّ الحقَّ إذا ذكر فلا ينصرف عند أهله إلاّ إلى منهج الحقِ **-منهج الكتاب والسّنة بفهم سلف الأمة-**؛ فَجِماعُ الخير فيه، وليس لأحدٍ -كائناً من كان- أن يقيم على الجادة إلاّ بسلوك طريقه، واعتماد أصوله، وتعلم مفصله، وموالاة أهله...

والأمة الآخذة بقوائمه لا تكون إلاّ أمةً محروسةً ظاهرةً على سائر الأمم، وصولتها على الباطل قائمة بالحقِّ وللحقِّ ومع الحقِّ.

إذن؛ فالحاجةُ إلى هذا المنهج الحقِّ ليس فوقها حاجة لمن يريد الهداية إليه؛ فيقع على أهله بيانه واستظهاره بعد الإحاطة بنصوصه، ودراية مقاصده، ومعرفة أضداده، ولا سبيل لتمام ذلك كلّه إلا بالوقوف على سبيل المؤمنين في إحقاقهم للحق وإظهارهم له؛ بل وإدراك طريقة أهل الباطل في عداوتهم للحق وأهله؛ فلولا الباطل ما اتضح الحقُّ اتضاحاً ظاهراً.

والأعراضُ عن المنهج الحق -وسيلةً أو مقصداً أو أدلةً- يورثُ مقالاتٍ باطلةٍ وأراءٍ شاذةٍ وأقيسةٍ فاسدة وتحرشاتٍ غامضة، وتكتيكات ساذجةٍ، لا سيما إذا اقترن مع ذلك إخضاع هذا المنهج -منهج القرون الخيريّة- للنظر العقلي المجرد، والهوى المتبع، والشح المطاع. .وذلك كله من موجبات الهلاك والدمار.

وحتى لا يتغيب أهل الحقّ عن مسؤوليتهم -في استنقاذ ما أمكن استنقاذه-: فإن منهجَ الحقِّ يقضي عليهم بأمرين:

الأول: بأن لا يبصروا -أمام أعينهم- إلاّ منهج السلف حباً له، وخشيةً عليه: بأدلته، وثوابته، ومسائله، وأشياخه الفضلاء، وأعلامه النبلاء.

الأمر الثاني: بأن يعاملوا خصومهم -المعرضين عن منهج الحق- بالعلم، والحزم، والعدل؛ فعلمهم شامل، وخيرهم عام، وعدلهم قائم، وإحسانهم غالب.

وهم في استنقاذهم هذا -وحتى لا يتقهقروا عن مهمتهم في إظهار الحق وبيانه- لابد من التنبه والتيقظ من أي استدراج أو احتواء. . .

ولتمام البيان لابد من التذكير بحقيقتين:

الأولى: أنَّ المقصود من صولة الباطل دفع الحقّ وأهله، فأهل الباطل يرون أن المنهج الحقّ بمنزلة الصائل يدفع بكل شيء؛ فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم، وما هو داخل في مقدورهم من الأقوال والأفعال. . .؛ حتى اعتبروا دفع الحقّ مقصداً من مقاصدهم، ومطلباً من مطالبهم، بل هو عندهم من الثوابت التي لا تتغير؛ **فمنهجُ السلف كالصائل عند أهل البدع والأهواء يجب دفعه بكل ما خطر ويخطر بالبال؛** ولهذا فالجهل بثوابت الباطل، ومقاصده مانع من تصور الحق، والعمل به، والدعوة إليه.

الحقيقة الثانية: أنَّ للباطل صولةً وقت غفلة أهلِ الحقّ عنه؛ ولهذا فأنَّ استحضار الذكرى، واستنهاض الهمة، واستنفاذ العقول، مهمة أهل الحق في وقت صولة الباطل؛ وهم في مقاهم هذا يتعين عليهم أن يعتمدوا على ركن وثيق: وهو الحق المبين والتوكل على اللهِ في القيام به **﴿فتوكل على الله إنك على الحق المبين﴾**.

وإذا ما اتضحت الحقائقُ في إطارها

العلمي السلفي الرصين، وبضوابطِ منهجيّةٍ دقيقة، وبتمييز الحق من الباطل، آنذاك ينبغي عدم اهمال الخلافات التي تظهر بين أهل الحق بين حين وآخر؛ ليُكشف عن مضمونها؛ وهل هي في نطاق الخطأ البشري النفسي؛ أم في نطاق الدفاع عن المنهج الحق، وإيثار قواعدهِ وثوابته على سواها؟ مع أنّ الأمل الذي يسعى إليه المخلصون الربانيون أن تبقى كلمة أهل الحقّ محوطةً بأخوةٍ إيمانية حقة، وتعاون علمي صادق؛ **وأن يعالج الداء العضال الذي يعرض لأهل الدين الصحيح بأدوية الكتاب والسنة، وأغذية العلم والإيمان.**

وليُدرك أهل الحق -بعد ما عرفوا الحق وأحاطوا علماً به، ودرايةً بحدوده -أن حفظ ميراث النبوة في النفوس والتمكين له في الأرض لا يكون إلاّ بالاجتماع على الحق المبين، متذكرين قول الله -تعالى-: **﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مُبوأ صدقٍ ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾**.

فما هذا الاختلاف في الحق بعد العلم به؟، وما هي آثار الأعراض عن هذا العلم (الموجب لاجتماعهم وائتلافهم، ولكن بغى بعضهم على بعض، **وصار لكثير منهم أهوية وأغراض تخالف الحق**؛ فحصل بينهم من الاختلاف شيء كثير وهذا هو الداء، الذي يعرض لأهل الدين الصحيح وهو: أن الشيطان إذا أعجزه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فجعل من الاختلاف ما هو موجب ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض وعداوة بعضهم لبعض ما هو قرة عين اللعين!!

وإلاّ فإذا كان ربهم واحداً، ورسولهم واحداً، ودينهم واحداً، **(ومنهجهم واحداً)**، ومصالحهم العامة متفقه، فلأي شيء يختلفون اختلافاً، يفرق شملهم، ويشتت أمرهم، ويحل رابطتهم ونظامهم؛ فيفوت من مصالحهم الدينيّة والدنيويّة ما يفوت، ويموت من دينهم بسبب ذلك ما يموت؟!!

فنسألك اللهم لطفاً بعبادك المؤمنين، يجمع شملهم، ويرأب صدعهم، ويرد قاصيهم على دانيهم، يا ذا الجلال والإكرام)[1].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص٣٢٩، مؤسسة الرسالة.

تأملات قرآنية

الحلقة الثانية

الساعي إلى سبيل الرشاد

• بقلم: الشيخ فتحي عبدالله سلطان

• ﴿أما من استغنى. فأنت له تصدى﴾:

١٤- أي: استغنى بماله وقوّته عن سماع القرآن والهداية والموعظة، فأنت له تصدى، أي: تتعرض بالإقبال عليه، وتصغي له، رجاء أن يسلم ويهتدي!

١٥- ويدخل في هذا المعنى: أنه استغنى عن الله؛ فترك عبوديته جانباً، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها، ولا فلاح إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه[1].

وهذا هو الاستغناء المذموم الناتج عن جهلين:

أحدهما: جهل العبد بربه.

والثاني: جهله بمعرفة نفسه، فهذا الاستغناء: إما أن يكون في رؤية غنى نفسه لجهله بها، وهذا موجبه طغيان العبد، كما قال الله -تعالى-: **﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾**، أي: جعل الطغيان ناشئاً عن رؤيته غنى نفسه.

الاستغناء عن الله: سبب هلاك العبد، ورؤيته غنى نفسه: سبب طغيانه!!

وإما أن يكون في استغنائه عن ربه بترك طاعته وعبوديته، وهذا موجبه الهلاك، وعدم تيسيره لليسرى، كما قال -تعالى-: **﴿وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾**.

والآية في سورة عبس: جمعت بين الأمرين الناتجين عن الجهل بالله -تعالى-

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٧ / ٦٣٨).

والجـــــهل بالنفس، فالاستغناء عن الله؛ سبب هلاك العبد وتيسيره لكل عسرى، ورؤيته غنى نفسه؛ سبب طغيانه، وكلاهما مناف للفقر والعبودية[1].

● ﴿وما عليك ألا يزكى﴾:

١٦- وفيها قطع الطمع وبتر الرجاء عن هداية وتزكية كل الخلق؛ لأن هذا حرص زائد على القدر مُفوّت لمصالح جمة، قال الرزاي في تفسير الآية: «أي: لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم، إلى أن تعرض عمن أسلم للاشتغال بدعوتهم».

١٧- وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفار لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلاً.

● ﴿وأما من جاءك يسعى﴾:

١٨- أي: وصل إليك حال كونه مسرعاً في المجيء إليك طالباً منك أن ترشده، وتعظه بمواعظ الله[2].

فالآية: أثبتت له سعياً وقصداً في تحصيل المطلوب، وهذا السعي؛ يبعث على

"الإنابة... قرينة التذكرة، وسبب في تحصيل الخشية"

المقصود والمطلوب قصداً وطلباً، وعلى الخلق دعوة ونصحاً وحرصاً؛ كما قال -تعالى-: **﴿وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾**.

١٩- وذِكْرُ السعي زائداً على قدر المجيء، فيه إشعار بمدحه من جهة أنّ السعي فيه معنى الإسراع والإقبال، وهذا شرط في تحقق الإنابة.

فالإنابة تتضمن أربعة أمور: محبة الله، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

والمنيب إلى الله: المسرع إلى مرضاته، والراجع إليه كل، وقت المتقدم إلى محابه؛ فهذا الذي جاء يسعى، جاء منيباً مقبلاً على تحصيل المطلوب، ولما كان حاله كذلك؛ فإنّ رجاء تذكره حاصل لا محالة؛ لأن الإنابة قرينة التذكر وسبب في تحصيل الخشية، فقال -تعالى-: **﴿وهو يخشى﴾**.

٢٠- والخَشية: خوف مقرون بمعرفة؛ أي: معرفة جامعة بالله رباً ومعبوداً

(١) انظر مباحث الفقر في «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٣٤) وما بعدها.

(٢) الشوكاني في «فتح القدير» (٥ / ٣٨٣).

وبأسمائه وصفاته، وبشرعه: أمره ونهيه، وبوعده ووعيده.

والخشية تكون لمن عنده علم، قال -تعالى-: ﴿**إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء**﴾، وقال النبي ﷺ: «**إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية**»، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار جهلاً».

التذكرة... الإنابة... الخشية... التزكية كلها اجتمعت للساعي إلى سبيل الرشاد

٢١- والخشية هنا مطلقة؛ أي: يخشى الله -تعالى-، ويخشى عذابه، والجملة حال من فاعل ﴿يسعى﴾، كما أنه حال من فاعل ﴿جاءك﴾.

أي: فحاله عند المجيء الإقبال والإسراع مع الخشية والخوف، وهذا ثناء عليه من جهة علمه؛ لأن صاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم، وثناء عليه من جهة عمل قلبه؛ لأن الإنابة من أخص أعمال القلوب.

فاجتمعت له صحة القوة العلمية وصدق القوة العملية الإرادية.

٢٢- فقُرن في هذا السياق بين الخشية والإنابة، والثانية قرينة التذكر، فيكون الأمر أيضاً من باب قرن الخشية بالتذكر، كما قال -تعالى-: ﴿**سيذكر من يخشى**﴾ وكذلك قرن الإنابة بالتذكر كما قال -تعالى-: ﴿**وما يتذكر إلا من ينيب**﴾، فاجتمعت لهذا الساعي إلى سبيل الرشاد: التذكر، والإنابة، والخشية فضلاً عن التزكية؛ فتأمل.

- ﴿**فأنت عنه تَلَهَّى**﴾:

أي: فأنت تتشاغل بغيره وتعرض عن الساعي إلى سبيل الرشاد.

٢٣- وتقديم ضميره ﷺ -أي: ﴿فأنت﴾- على الفعلين على أن مثلك خصوصاً لا ينبغي أن يتصدى للمستغني، ويتشاغل عن الفقير الطالب للحق[(١)].

■ **تنبيه:**

فرق ظاهر بين اشتغال النبي ﷺ بهداية المعرض عن هداية المقبل؛ وبين تشاغله بفضول المباح عن واجب التبليغ، فالأول: اشتغال مخل بالكمال؛ لعدم مراعاة الأولوية فيه، والثاني: تشاغل مخل

(١) «تفسير أبي السعود» (٣ / ١٦٢).

بالأصل؛ فكان فعل النبي ﷺ من قبيل الأول[1] فتأمل.

٢٤- فوائد دعوية:

الأولى: قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى- في «تيسير الكريم» (٧ / ٥٦٨):

وهذه فائدة كبيرة هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه، مفتقراً لذلك، مقبلاً، هو الأليق الواجب؛ وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني، الذي لا يسأل، ولا يستغني لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه؛ فإنه لا ينبغي لك؛ فإنه ليس عليك أن لا يزكى فلو لم يَتزَكَّ فلست بمحاسب على ما عمله من الشر.

فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: «لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة».

وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه، أزيد من غيره». أهـ.

الثانية: إذا كان المدعو صاحب حكمة -أي: أنه من أهل الحق قائم به-؛ فهذا يقدم على غيره في التزكية والتذكر؛ لأنه جدير بالرعاية، ومصلحته راجحة على مصلحة غيره.

«إذا كان المدعو صاحب حكمة؛ فهذا يقدم على غيره في التزكية والتذكرة؛ لأنه جدير بالرعاية»

الثالثة: قال ابن حزم -رحمه الله تعالى- في «الفصل»: «وأما قوله: ﴿عبس وتولى﴾ -الآيات-، فإنه كان -عليه السلام- قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش، ورجا إسلامه، وعلم -عليه السلام- أنه لو أسلم لأسلم بإسلامه ناس كثير وأظهر الدين، وعلم أن هذا الأعمى الذي يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضر معه؛ فاشتغل عنه -عليه السلام- بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته، وهذا غاية النظر في الدين والاجتهاد في نصرة القرآن -في ظاهر الأمر- ونهاية التقرب إلى الله الذي لو

(١) في حين ذهب بعض أهل التفسر إلى أنّ مناط العتاب: إنما هو عتاب على العبوس والتولي، لا على ما حفّ بذلك من المبادرة بدعوة أو تأخير إرشاد ؛ انظر «تفسير ابن عاشور» (١٥ / ١١٣).

فعله اليوم منا فاعل لأجر فعاتبه الله -عز وجل- على ذلك، إذ كان الأولى عند الله -تعالى- أن يُقبل على ذلك الأعمى الفاضل البر التقي، وهذا نفس ما قلناه».

الرابعة: قال ابن عاشور: «بل شأنْ مقوِّم الأخلاق أنْ يكون بمثابة الطبيب بالنسبة إلى الطبائع والأمزجة؛ فلا يجعل لجميع الأمزجة علاجاً واحداً، بل الأمر يختلف؛ فهو مخاطب بالحفاظ على مصالح المجموع ومصالح الآحاد؛ بحيث لا يدحض مصالح الآحاد لأجل مصالح المجموع؛ إلّا إذا تعذر الجمع بين الصالح العام والصالح الخاص[1]». أ.هـ.

■ **أهم ما أرشدت إليه الآيات:**

١- إن الساعي -ابن أم مكتوم -رضي الله عنه- كان قاصداً سبيل الرشاد، وهي الهداية للإيمان والأعمال الصالحة.

٢- إن علة التولي ليست لذات مجيء الأعمى، إنما لمجيئه عند انشغال النبي ﷺ بهداية المعارض.

٣- إن عتاب الله -تعالى- لنبيه ﷺ عتاب تلطف ولين، وليس عتاب شدة وصعوبة.

٤- أن الساعي ذُكر بلقب يكرهه الناس، مع أن منتهى معاني الآيات تفيد مدحه والثناء عليه.

٥- كان ابن أم مكتوم كفيف البصر، لكنه وقّاد البصيرة؛ أبصر الحق وآمن به وجاء مع عماه يسعى طالباً المزيد.

٦- لا يجوز الإعراض عمن يرجى تزكيته، فكيف والحال لمن كان مقطوعاً بتزكيته؟!

٧- تقديم التزكية على التذكر من باب تقديم التخلية على التحلية.

٨- التزكية متضمنة لتحصيل الخير ودفع الشر، أي: هي معنى زائد على قدر التطهر من الذنوب فقط.

٩- الإيمان والقرآن غذاء القلب المتزكي، والتزكي عام لكل من آمن بالرسول، أما التذكر فهو مختص لمن له علوم يذكرها.

١٠- طريق الرشاد المتضمن التزكية والتذكر مسلّم للرسل، فلا يتحصل إلا من طريقهم تعليماً وبياناً ودعوة وإرشاداً...

١١- إن العبد إذا أناب إلى الله

(١) «التحرير والتنوير» (١٥ / ص ١٠٩ - ١١٠).

-تعالى- أبصر مواقع الآيات والعبر؛ فزال عنه الإعراض والعمى والغفلة.

١٢- بحسب قوة الإنابة والتذكر تشتد حاجة العبد إلى معرفة الأمر والنهي.

١٣- المنيب المتذكر هو من أهل الحكمة؛ فيجب أن يقدم على غيره في خطاب التزكي والتذكر.

١٤- السّاعي إلى سبيل الرشاد -وبعد أن يظفر بالدليل الهادي المفصل- يحتاج إلى أن يهتدي به وينتفع منه، وهذا لا يحصل إلا بإزالة الأسباب المعوقة لذلك.

١٥- إذا حصل نوع من الذهول والغفلة احتاجت النفس إلى تذكر علوم الفطرة المكملة بالشرعة المنزلة؛ لتحصيل مطالب الرسالة الضرورية من التوحيد والأمر والنهي والوعد والوعيد.

١٦- إذا خُصَّ المؤمنون بالتذكير فهم مخصوصون بالتذكير التام النافع، وحيث يعمم فالجميع مشتركون فيه على أساس التبليغ العام الذي قامت به الحجة.

١٧- الاستغناء المذموم يكون من جهة جهل العبد بربه، أو جهله بنفسه، وكلاهما موجبه الهلاك والطغيان.

١٨- جاء ابن أم مكتوم -رضي الله عنه- إلى النبي ﷺ ساعياً سعي إنابة وإقبال وقصد وخشية.

١٩- صاحب الخشية يلتجيء إلى الاعتصام بالعلم الشرعي النافع.

٢٠- اجتمعت لهذا الصحابي أسباب تكميل القوتين: العلميّة، والعمليّة الإراديّة.

٢١- تشاغل النبي ﷺ من جنس التشاغل بتعليم المعارض عن تعليم المقبل، وهو تشاغل يقدح في الكمال لا بالأصل.

٢٢- لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة.

٢٣- ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره.

هذا ما تيسّر جمعه بخصوص هذه الآيات.

والله -تعالى- وحده- الهادي إلى سبيل الرشاد●



تنبيه العبد الأوّاه

على فوائد حديث: «لَتُنْقَضَنَّ عُرى الإسلام عروة عروة؛ أولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة»

• بقلم: الشيخ سليم بن عيد الهلالي

• عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ، قال: «**لتنقضنَّ عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة: تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة**».

■ **توثيق الحديث:** أخرجه أحمد (٥ / ٢٥١)، ومن طريقه الحاكم (٤ / ٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٨ / ٩٨ / ٧٤٨٦)، و«مسند الشاميين» (٢ / ٤١١ / ١٦٠٢): ثنا الوليد بن مسلم: حدثني عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله، أن سليمان بن حبيب حدثهم، عن أبي أمامة (وذكره).

وأخرجه ابن حبان (١٥ / ١١١ / ٦٧١٥) من طريق الوليد بن مسلم به.

قال الحاكم: عبد العزيز هذا هو ابن عبيد الله بن حمزة بن صهيب، وإسماعيل هو ابن عبيد الله بن المهاجر، والإسناد كله صحيح، ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي بقوله: عبد العزيز ضعيف.

قلت: هذا وهم منهما -رحمهما الله-، ودونك التفصيل:

الأولى: قوله: عبد العزيز هذا هو ابن عبيد الله بن حمزة بن صهيب، وليس كذلك؛ فإنما هو عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله، ولعل منشأ الوهم التحريفُ في إسناد الحاكم؛ فإنه وقع عنده: «عن»؛ بدل: «بن» فظنهما اثنين(!).

وهذا الوهم يشاركه فيه الذهبي -رحمه الله-؛ فإنه أقره على أنه عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب.

قال شيخنا محدث العصر الألباني -رحمه الله- في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ٣٠١ / ٥٦٩): «وفي سنده تحريف اغترّ به الذهبي، فضعف الحديث من أجله».

وأما جزمي بأنه عبد العزيز بن إسماعيل ابن عبيد الله؛ فللأمور الآتية:

١- التصريح بذلك عند الإمام أحمد، ومن طريقه يرويه الحاكم وكذلك عند ابن حبان.

٢- أن عبد العزيز بن عبيد الله لم يرو عنه سوى إسماعيل بن عياش، والراوي عنه هنا هو الوليد بن مسلم.

٣- أن عبد العزيز بن عبيد الله لم يذكر في شيوخه إسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر؛ كما زعم الحاكم.

٤- أما عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله: فقد روى عنه الوليد بن مسلم، وشيوخه سليمان بن حبيب، وهو كذا هنا.

الثانية: أنه أخطأ في تصحيح حديث عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب، وهذا يلزم توثيق الرجل، والراجح أنه متفق على ضعفه؛ فقد ضعفه ابن معين في «تاريخه» (٢ / ٣٦٦)، وأبو زرعة وأبو حاتم -كما في «الجرح والتعديل» (٥ / ٣٨٧ / ١٨٠٥)-، وأبو داود كما في «سؤالات الآجري» (٥)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣ / ٢١ / ٩٧٨)، ويعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢ / ٤٥٠)، والجوزجاني في «أحوال الرجال» (٣٠٦)، والدارقطني في «السنن» (٤ / ٢٦٨)، وقال في «سؤالات البرقاني» (٢٩٩): «متروك»، والنسائي كما في «تهذيب الكمال» (١٨ / ١٧٢).

وقد أصاب الذهبي -رحمه الله- في تضعيفه.

قلت: وأما عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله: فوثقه ابن حبان في «الثقات» (٧ / ١١٠)، وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥ / ٣٧٧): سألت أبي عنه فقال: «ليس به بأس»؛ فمثله لا ينحط عن درجة الصدوق.

وباقي رجاله ثقات، ودونك البيان:

الوليد بن مسلم: ثقة لكنه يدلس تدليس التسوية، وقد صرح بالتحديث في جميع طبقات السند وهذا شرطه؛ فانتفت شبهة تدليسه.

سليمان بن حَبيب: ثقة من رجال

البخاري.

وبالجملة؛ فالإسناد حسن.

لكن الحديث صحيح، فله شاهد من حديث فيروز الديلمي -مرفوعاً-: «لينقضن الإسلام عروة عروة، كما ينقض الحبل قوّة قوّة».

أخرجه أحمد في «مسنده» (٤ / ٢٣٢): ثنا هيثم بن خارجة: أنا ضمرة، عن يحيى بن أبي عمرو، عن ابن فيروز الديلمي، عن أبيه.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

● من فقه الحديث:

١- الإسلام درجات ومراتب ونقض بعضها لا ينقض عقدة الإسلام بل ينقصها؛ وعلى ذلك السلف الصالح أهل الحديث، وهذا عكس ما أشاعت في هذه الأعصار المتأخرة فئة -تنتسب اسماً إلى أهل السنة والجماعة- أن مذهب السلف في تارك أعمال الجوارح أنه كافر كفراً ينقل من الملة.

فقيل لهم: هذه خارجية عصرية!

قالوا: الخوارج يكفرون بالمعاصي، ونحن لا نفعل ذلك، ففرقٌ بيننا وبينهم.

قيل لهم: إن هذا أصل الخوارج الذين بنوا عليه مذهبهم؛ حيث جعلوا أعمال الجوارح من أصل صحّة الإيمان، فإذا انتفت كلها أو بعضها انتفى الإيمان كله؛ لأنهم تصوروا أنّ الإيمان لا يكون صحيحاً إلا إذا كان كاملاً ولا يكون كاملاً إلا إذا كان صحيحاً؛ إذ كيف يستقيم -عقلاً- أن يفرق بين شيء لا يسمى صحيحاً إلا بأن يكمل بتمامه، وبين شيء لا يكمل إلا بصحة ذاته، وأن تكون الصحة لباسه؟!

ولا أريد أن أناقش هذا القول من أصله، وسيكون له موضع آخر -إن شاء الله-، ولكن نكتفي بإيراد كلمات أهل العلم الدالّة على فساده، وأنه مذهب مغاير لما عليه السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

قال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» (٩ / ٢٣٨-٢٥١): «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه؛ فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً، قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار، وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار

بالحجاز والعراق والشام ومصر -منهم: مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، و أبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي وأبو جعفر الطبري-، ومن سلك سبيلهم؛ فقالوا: الإيمان قول وعمل؛ قول باللسان، وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة، -قالوا:- وكل ما يطاع الله -عزّ وجلّ- في فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»؛ يريد: مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر، إذا صلّوا للقبلة، وانتحلوا دعوة الإسلام من قرابتهم الذين آمنوا بتلك الأحوال، وفي إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم أوضحُ الدلائل على صحة قولنا: أن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك، وليس بكافر كما زعمت الخوارج في تكفيرهم المذنبين.

"الإيمان مراتب بعضها فوق بعض؛ فليس الناقص فيها كالكامل!!"

والإيمان مراتب بعضها فوق بعض، فليس الناقص فيها كالكامل، قال الله -عز وجل-: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً**﴾؛ أي: إنما المؤمنون حق الإيمان من كانت هذه صِفَتَهم، ولذلك قال -سبحانه وتعالى-: ﴿**أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾، ومثل هذه الآية في القرآن كثير، وكذلك قوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**»؛ إنما هو المؤمن المسلم حقاً.

ومن الدلائل على أن الإيمان قول وعمل -كما قالت الجماعة والجمهور- قول الله -عز وجل-: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ لم يختلف المفسرون أنه أراد: صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الصلاة إيماناً، ومثل هذا قوله -سبحانه-: ﴿**ليس**

البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾، الآية؛ إلى قوله -تعالى-: **﴿أولئك هم المتقون﴾**، وأما السنة فكثير جداً..

والذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر: أن الإيمان والإسلام سواء[1]، بدليل ما ذكرنا في كتاب الله -عز وجل- قوله: **﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت في المسلمين﴾**.

وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعيين والمالكيين، وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر..

ولا يكفرون أحداً بذنب إلا أنهم اختلفوا في تارك الصلاة، وهو مقرٌّ بها، فكفّره منهم من ذكرنا، وأبى الجمهور أن يكفروه؛ إلا بالجحد والإنكار الذي هو ضدّ التصديق والإقرار» ا.هـ باختصار.

وقال السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (١ / ٤٥٠): «السلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله.. والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد، والفرق بينهم وبين السلف: **أنهم جعلوا الأعمال شرطاً في صحته، والسلف جعلوها شرطاً في كماله...**».

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية في «الإيمان» (ص٢٨٢) -أن القائلين من الفقهاء بأن الإيمان قول-: «متّفقون مع جميع أهل السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وأن الإيمان بدون العمل المفترض -ومع المحرمات- يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب كما تقوله الجماعة».

وقال ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» (٢ / ٤٦٣): «وقد أجمعوا على أنّه لو صدق بقلبه، وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاصٍ لِلّه ورسوله مستحق للوعيد».

وقد فصل الشيخ العلامة عبيد الله المباركفوري هذه المسألة في كتابه العجاب «مرعاة المفاتيح» (١ / ٣٦-٣٧) فقال: «وقال المرجئة: هو اعتقاد فقط؛ والإقرار باللسان ليس ركناً فيه ولا شرطاً، فجعلوا

(١) بل بينهما عموم وخصوص.

العمل خارجاً عن حقيقة الإيمان كالحنفية وأنكروا جزئيّتة، إلا أن الحنفية اهتموا به وحرّضوا عليه، وجعلوه سبباً سارياً في نماء الإيمان، وأما المرجئة فهدروه، وقالوا: لاحاجة إلى العمل! ومدار النجاة هو التصديق فقط؛ فلا يضر المعصية عندهم مع التصديق.

وقال الكرامية: هو نطق فقط، فالإقرار باللسان يكفي للنجاة عندهم، سواء وجد التصديق أم لا.

وقال السلف من الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أصحاب الحديث: هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان؛ فالإيمان عندهم مركب ذو أجزاء، والأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، ومن هنا نشأ لهم القول بالزّيادة والنقصان بحسب الكمية، واحتجوا لذلك بالآيات والأحاديث وقد بسطها البخاري في «جامعه»، والحافظ ابن تيمية في كتاب «الإيمان».

قيل: وهو مذهب المعتزلة والخوارج، إلا أن السلف لم يجعلوا أجزاء الإيمان متساوية الأقدام، فالأعمال عندهم كواجبات الصلاة لا كأركانها، فلا ينعدم الإيمان بانتفاء الأعمال، بل يبقى مع انتفائها ويكون تارك العمل -وكذا صاحب الكبيرة- مؤمناً فاسقاً لا كافراً، بخلاف جزئيه: التصديق والإقرار، فإن فاقد التصديق وحده منافق والمخل بالإقرار وحده كافر، وأما المخل بالعمل -وحده- ففاسق ينجو من الخلود في النار، ويدخل الجنة.

وقال الخوارج والمعتزلة: تارك الأعمال خارج من الإيمان لكون أجزاء الإيمان المركب متساوية الأقدام في انتفاء بعضها -أيّ بعض كان- يستلزم انتفاء الكل، فالأعمال عندهم ركن من أركان الإيمان كأركان الصلاة.

ثم اختلف هؤلاء، فقالت الخوارج: صاحب الكبيرة وكذا تارك الأعمال كافر مخلد في النار، والمعتزلة أثبتوا الواسطة، فقالوا: لا يقال له: مؤمن ولا كافر؛ بل يقال: فاسق مخلد في النار!

وقد ظهر من هذا الاختلاف بين الحنفية وأصحاب الحديث اختلافٌ معنوي حقيقي لا لفظي كما توهم بعض الحنفية، والحق ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة والمحدثون لظاهر النصوص القرآنية والحديثية».

”

جعل السلف (العمل) شرطاً لكمال الإيمان الواجب؛ فلا يكفر عندهم بترك العمل، ولكن يضره، ويبقى به تحت المشيئة الإلهية؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، ولا يعني هذا أن الإيمان في معتقدهم قول بلا عمل؛ كما يظنه الجاهلون!!

“

أقول: هذه النقول عن هؤلاء الأئمة الفحول، تبين أن منزلة العمل من الإيمان هو موضع النزاع بين الفرق:

• فقد أخرج المرجئة العمل من حقيقة الإيمان.

• وجعله الخوارج والمعتزلة شرطاً لصحة الإيمان.

ثم اختلفوا في الوصف لا الحكم:

وقال الخوارج: هو كافر بتركه الأعمال خارج من ملّة الإسلام.

• وقالت المعتزلة: هو في منزلة بين المنزلتين؛ لا مؤمن ولا كافر، لكنه فاسق مخلد في النار.

• وجعله السلف الصالح شرطاً لكماله الواجب، فلا يكفر عندهم بترك العمل ولكن يضره، ويبقى به تحت المشيئة الإلهية إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ولا يعني هذا أن الإيمان في معتقدهم قول بلا عمل؛ كما يظنه الجاهلون!!

■ **ولذلك فالقول الصحيح والحق الصريح:**

أن الإيمان قد يصح ولا يكون كاملاً لأنه يقبل التبعيض والتجزئة، وأن قليله -ولو مثقال ذرّة- يخرج الله به مِنَ النار مَنْ دخلها.

وليس هو كما قال الخارجون عن مقالة أهل السنة: أنه لا يقبل التبعيض والتجزئة بل هو شيء واحد، إما أن يحصل كله، أو لا يحصل شيء منه؛ لأن الشيء الذي لا يكمل لا يقال فيه: صحيح، والشيء الذي لم يصح لا يقال: أنه كامل، ولذلك فالصحيح لا يكون إلا بكماله، والكامل لا يكون إلا بصحته!!!

إن هذه المقاله أولها سفسطة، وآخرها قرمطة، وإن أظهر قائلها أنها ممنطقة!!

والله -تعالى- وحده الهادي إلى سواء السبيل●



شروط لا إله إلا الله

● بقلم: عبدالله بن محمد الجونم

لا يخفى على ذوي الألباب السويّة، والنفوس السليمة، والهمم العالية أهمية العقيدة في حياة المسلم، وفهم التوحيد فهماً خالياً من شوائب التحريف، ودرن التعطيل، وآفة التأويل.

فإذا كان الله -سبحانه وتعالى- خاطب سيد العلماء محمداً ﷺ بقوله -عز وجل-: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾: فغيره من باب أولى أن يعلم التوحيد، ويهتم به، ليعبد الله على نور وبصيرة، فيحقق غاية العبودية بكمال التوحيد.

ومن الجوانب التوحيدية المهمة -والتي ينبغي أن يهتم بها المسلم- فهم معنى: (لا إله إلا الله)، ومعرفة شروطها لكيلا ينطق بها باللسان ثم يخالف نطقه بعمل الشرك بالجوارح والجنان.

ولعلنا في هذه المقالة الموجزة نتناول شروط (لا إله إلا الله)، آملين من الله التوفيق والسداد وانشراح الصدور لما سنودعه بين السطور.

■ **شروط (لا إله إلا الله):**

تَعْلَمُ -يا مسلم- أن لكل باب مفتاحاً، فدونه لا يفتح، ولا يمكن المرور إلى ما بعد الباب.

" لا يكفي فقط النطق باللسان؛ بل لا بد من تحقيق معناها على أكمل وجه "

ومفتاح الجنة: (لا إله إلا الله).

ولا شك أن المفتاح له أسنان بها يمكن فتح الباب، وكلما اندرست هذه الأسنان

أو أُصيبَ شيءٌ منها بتلف كلما ازدادت صعوبة فتح الباب بهذا المفتاح العليل، فلا بد -إذن- من صيانة المفتاح من كل سوء يتلفـــه، وهكذا كلمــــة التوحيد، فلا يكفي فقط مجرد النطق باللسان؛ بل لا بد من تحـقـيق مـعناها على أكـمل وجه، وعـدم الإتيان بما يناقض وينافي كلمة التوحيد.

فـاحـرص على حـفظ مـفـتـاح الجنة وحمايته من صدأ الشرك، ودَرَن المخالفة والكفر.

فما فائدة قول القائل: (لا إله إلا الله)، وهو يذبح لغير الله، وينذر للقبر، ويقصده بالدعـاء والصـلاة عنده؟! فـمن فـعل هذا جهل معنى (لا إله إلا الله).

إن مشركي الزمن الحـاضر قد يكونون أجـهل من مـشـركي الزمن الغـابر؛ لأن الكفـار من العـرب ممن امـتنع منهم عن النطق بالشـهادة علم يقيناً أنه لو نطق بها للزمه أشياء وأشياء؛ منها: الابتعاد عن الشـرك بالله بكل أنواعـه، لأنهم عـرب، والقرآن عربي، وكلمة التوحيـد عربية؛ ففهموا معناها فلم ينطق بها من أصر على الكفـر وعـاند، ومن نطق منهم بهـا كـان موحداً مخلصاً.

وأمـا مـشـركـو الوقت الحـالي فـإنهم يقـولون: (لا إله إلا الله)؛ ثم يخـالفـونهـا بأقـوالهم وأفعالهم الشركية؛ فمنهم من يحلف ويقسم بغـيـر الله، ومنهم من يتـوسل بغير الله، ومنهم من يتوجه بالدعاء لغير الله.

> **ما فائدة قول القائل: (لا إله إلا الله)، وهو يذبح لغير الله، وينذر للقبر، ويقصده بالدعاء والصلاة عنده؟! فمن فعل هذا جهل معنى لا إله إلا الله**

فإذا علمت هذا، فالمخرج الوحيد من الوقوع في مثل هذه المخالفات هو فهم (لا إله إلا الله)، ومعرفة شروطها، فما هي هذه الشروط؟

قـال العـلامـة حـافظ الحكمي -رحـمـه الله-:

وبشــروط سـبـعـة قـد قـيـدت
وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فــإن لم ينتــفـع قــائلهــا
بالنطق إلاّ حـيث يسـتكملهـا

قوله: «لم ينتفع قائلها»، أي: قائل: (لا إله إلا الله).

وقـولـه: «بالنطق»، أي: بنطقـه بهـا مجرداً.

وقوله: «إلا حيث يستكملها»، أي: هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها: اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عدّ ألفاظها وحفظها! فكم من عامي ترى فيه التزامها، ثم تراه يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان[1].

وشروطها السبعة جمعها الشيخ الحافظ الحكمي -رحمه الله تعالى- في قوله:

والعلم واليقين والقبول
والانقياد فادرِ ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة
وفقك الله لما أحبه

● إذن؛ الشروط السبعة هي:

١) العلم. ٢) اليقين.
٣) القبول. ٤) الانقياد.
٥) الصدق. ٦) الإخلاص.
٧) المحبة.

وإليك شيء من بيان هذه الشروط من الناظم نفسه -أعني: الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله-:

١- العلم: أي: العلم بمعناها المراد منه نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك.

قال -تعالى-: **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾** [محمد: ١٩].

٢- اليقين: أي: اليقين المنافي للشك؛ بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، فإن الإيمان لا يغني منه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك؟!

قال -تعالى-: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله﴾، إلى قوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾** [الحجرات: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا -أي: لم يَشكّوا- فأما المرتاب فهو من المنافقين -والعياذ بالله-.

٣- القبول: لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قصّ الله -عز وجل- علينا من أنباء من قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردّها وإياها؛ كما قال -تعالى-: **﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. قال أوَلَو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون**

(١) «معارج القبول» (٢ / ٤١٨).

فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٥].

فجعل الله -تعالى- علة تعذيبهم وسببه استكبارهم عن قول: (لا إله إلا الله) وتكذيبهم ممن جاء بها.

٤- **الانقياد**: لما دعت إليه المنافي لترك ضدّ ذلك، قال الله -عز وجل-: **﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾**[الزمر: ٥٤]، وقال -تعالى-: **﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾** [النساء: ١٢٥] قال -تعالى-: **﴿ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾** [لقمان: ٢٢].

أي: بـ (لا إله إلا الله)، ومعنى: ﴿يسلم وجهه﴾؛ أي: ينقاد، وهو محسن موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله، ولم يك محسناً؛ فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى.

٥- **الصدق**: فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال الله -عز وجل-: **﴿الم أحسب الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتَنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾** [العنكبوت: ١ - ٣].

وقال -تعالى- في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾** [البقرة ٨ - ١٠].

وفي «الصحيحين» عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ، قال: «ما من أحد يشهد أن (لا إله إلا الله) وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»[1]؛ فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب.

٦- **الإخلاص**: وهو تصفية العلم بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله -تبارك وتعالى-: **﴿ألا لله الدين الخالص﴾** [الزمر: ٣]، وقال -تعالى-: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾** [البينة: ٥].

٧- **المحبة**: لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (١٤٧).

لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك، قال الله -عز وجل-: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشدّ حباً لله﴾** [البقرة: ١٦٥].

فأخبرنا الله -عز وجل-: أن عبادة المؤمنين أشد حباً له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً؛ كما فعل مُدّعُو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه:

١- تقديم محابه وإن خالف هواه.

٢- بغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه.

٣- موالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه.

٤- اتباع رسول الله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه.

وكل هذه العلامات شروطٌ في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها»[1].

فهذه شروط (لا إله إلا الله)، فانظر -يا أخي في الله- أين أنت منها؟! فإذا تدبرتها ثم تفكرت فيما يفعله الناس في بدع القبور والأضرحة علمت أنهم بعيدون عن فهم هذه الكلمة الطيبة، والله المستعان●

(١) «معارج القبول» (٢ / ٤١٨-٤٢٤) بتصرف.

شجرة الإيمان

* العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله-

إنّ هذه الشجرة المباركة -شجرة الإيمان- أبرك الأشجار وأنفعها وأدومها.

وأنّ عروقها وأصولها وقواعدها الأيمان وعلومه ومعارفه، وساقها وأفنانها شرائع الإسلام، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة المؤيدة والمقرونة بالإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ.

وأن ثمارها وجناها الدائم المستمر السمت الحسن، والهدى الصالح، والخلق الحسن، واللهج بذكر الله وشكره، والثناء عليه، والنفع لعباد الله بحسب القدرة نفع العلم والنصح، ونفع الجاه والبدن، ونفع المال، وجميع طرق النفع. وحقيقة ذلك كله القيام بحقوق الله، وحقوق خلقه.

وأن هذه الشجرة في قلوب المؤمنين متفاوتة تفاوتاً عظيماً، بحسب ما قام بهم، واتصفوا به من هذه الصفات.

وأن منازلهم في الآخرة تابعة لهذا كله.

وأن الفضل في ذلك كله لله وحده، والمنة كلها له سبحانه.

﴿بل اللهُ يمُنُّ عليكُم أنْ هَدَاكُمْ للإيمانِ إن كُنْتُمْ صادقِين﴾ [الحجرات: ١٧].

وقال أهل الجنة بعد ما دخلوها، وتبوءوا منازلها -معترفين بفضل ربهم العظيم -وقالوا: **﴿الحمدُ لله الذي هَدَانَا لِهذا وَمَا كنَّا لنهتدي لولا أنْ هَدَانا اللهُ لقدْ جاءت رُسُلُ ربِّنا بالحقِّ ونُودُوا أنْ تِلكُمُ الجنَّةُ أورِثْتُمُوها بِما كنْتُم تعْلمُون﴾**[الأعراف: ٤٣].

فجمع في هذه الآية بين الإخبار باعترافهم وثنائهم على الله بنعمه وفضله: حيث وصلوا إلى هذه المنازل العالية، وبين ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك بمنة الله عليهم وهو: العمل الصلاح، الذي هو الإيمان وأعماله. [«الإيضاح والبيان» (٥٧-٥٨)]



التحذير من الكذب على الله ورسوله

• بقلم: الشيخ د. محمد موسى نصر

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التّسليم، على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطّيّبين الطّاهرين.

أمّا بعد:

فالكذب خلق سيِّئ، وخصلة ذميمة، حذّر الله منها في كتابه، وحذّر نبيُّه منها ﷺ في سنّته.

وقد جاءت الآيات الكريمة، والأحاديث الصّحيحة، تنهى عن هذا الخلق المشين، الذي هو من صفات المنافقين، والذي يجب أن يترفّع عنه الدّاعية، بل المسلم، لأنّ ديننا قائم على الصّدق، ونبيّنا ﷺ هو الصادق الأمين... أمين الله على وحيه، قال -تعالى-: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**، وقال -تعالى-: **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكَذِبَ هذا حلال وهذا حرام لتَفتَروا على الله الكذبَ إن الذين يَفتَرون على الله الكذبَ لا يُفلحون﴾**.

وقرن -سبحانه وتعالى- القول عليه بغير علم، بالشرك بالله:

قال -تعالى-: **﴿قل إنما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطَنَ والإثمَ والبَغيَ بغير الحقِّ وأن تُشركوا بالله ما لم يُنزِّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تَعلمون﴾**.

ووصفَ ﷺ المنافقين بالكذب، قال ﷺ: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّثَ كذب، وإذا وَعَد أخلَف، وإذا أؤتُمِنَ خان»**(١).

فعارٌ على المؤمن أن يكون كذّاباً، وحرام عليه أن يتّصف بهذا الخُلُق الدّنيء، قال ﷺ: **«من كذبَ عليَّ متعمِّداً فليتبوأْ مَقعده من النار»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم: ٦٠٩٤)، ومسلم في «الصحيح» (٢٦٠٢و٢٦٠٧)

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم: ١٢٩١)، ومسلم في «الصحيح» (رقم: ٣).

الأحـاديث المكذوبة لهـا أخطارها الشنيعـة على الفرد والأمة، وعلى الدين نفسه

فإذا عرفت ذلك -أخي المسلم-، تبيّن لك أنّ الكذب من الكبائر التي توعّد الله أهلها أشدّ العذاب، **وقد أجمعت الأمّة على تحريم الكذب على النّاس، فما هو حال من يكذب على الله وعلى رسوله؟!** إنّه -بلا ريب- أشدُّ حرمة في ذلك، وأكثر وعيداً.

ويتجلّى الكذب على الله في التّقوّل عليه من غير علم، وإعطاء الفتوى بغير هدى، فالعالم ناقل عن الله ورسوله، فليقل خيراً وليظهر علماً؛ وإلاّ أصابه قول النبي ﷺ: **«من حدّث عنّي بحديث يُرى أنّه كذب، فهو أحد الكذّابين»**[1]، وقوله: **«من كذبَ عليَّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار»**.

والأحاديث المكذوبة لها أخطارها الشنيعة على الفرد والأمّة، وعلى الدين نفسه، خصوصاً إذا كانت في باب العقيدة، وسنأتي بمثال على ذلك، وهو ما يروى: «لو أنّ أحدكم أحسنَ ظنّه بحجر لنفعه»[2]، فهذا الحديث الموضوع؛ بل الباطل، مما يروّجه أهل الشرك في كل زمان ومكان، الذين يؤذيهم أن يَرَوْا أمّة الإسلام مُوحِّدة ربّها تعبده حقَّ عبادته، فيريدون بأمثال هذا الحديثِ الباطلِ إفسادَ عقيدة المسلمين التي عليها مدار قبول أعمالهم، وعليها يتعلق فلاحهم ونجاحهم في الدُّنيا والآخرة، فالمسلمون يعتقدون أنّه لا ضارَّ ولا نافعَ إلا الله وحده، وأنّهُ ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن **﴿قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾**، فتعلُّق القلوب بالحجارة وبأشكالها وأنواعها وأسمائها شرك بالله -سبحانه وتعالى-.

عن عقبة -مرفوعاً-: **«مَن تعلّق تميمة فقد أشرك»**[3]، وقوله ﷺ -من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنّ الرّقى والتّمائم والتولة شرك»**[4]، والتمائم هي أشياء تعلّق على الأولاد يتّقون بها العين.

(١) أخرجه مسلم في مقدّمة «الصحيح» (١ / ٩)، والترمذي في «الجامع» (رقم: ٢٦٦٤).

(٢) لا أصل له، فانظر «الأسرار المرفوعة» (٢٨٨).

(٣) رواه أحمد (٤ / ١٥٦)، والحاكم (٤ / ٢١٩) عن عقبة بن عامر بسندٍ حسن.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (١ / ٣٨١)، وأبو داود في «السنن» (٣٨٨٣)، وابن ماجه في «السنن» (٣٥٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤ / ٤١٧، ٤١٨)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وكذا صححه شيخنا في «الصحيحة» (رقم: ٣٣١).

قلت: ونحوها الخرز الأزرق الذي تضعه النّساء على أطفالهن لاعتقادهن أنها تردّ العين عنهم، وهذا شرك -والعياذ بالله-.

فانظر -رحمك الله- كيف أنّ هذا الحديث الموضوع قرّر عقيدة الشرك، وهدم التّوحيد من أساسه، وكذلك تفعل الأحاديث الموضوعة المكذوبة على النّبيّ ﷺ في عقيدتنا وديننا.

فإن قال قائل: إذا كانت الحجارة لا بركة فيها ولا نفع، فما بَالُنا نقبّل الحجر الأسود ونستلمه؟!

قلنا: الحجر الأسْوَد من الجنّة، كما أخبر النبيّ ﷺ والله تعبّدنا باستلامه وتقبيله، والنبيّ ﷺ -وهو سيد الموحّدين وإمامهم- قبّله وأمر بتقبيله، ونحن نتأسّى به في ذلك ولا نعتقد في هذا الحجر دفع ضر أو جلب نفع أو بركة أو قدسيّة -كما يعتقد أهل التّمائم في تمائمهم-...

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لّما قَبّل الحجر الأسود-: **«والله أنّي لأعلم أنّكَ حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبّلك ما قبّلتك»**[1]، فهل بعد هذا البيان من شبهة لأهل التمائم وأهل الودع والبدع؟!

■ وأسباب الوضع والكذب كثيرة منها:

١- التّعصُّب لمذهب دون الآخر، كحديث: «سراج أُمّتي أبو حنيفة».

٢- التّشيُّع لفكرة أو نِحْلَةٍ، كمذهب الشيعة والرّافضة، ومن موضوعاتهم حديث: «أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابُها»[2].

٣- التقرُّب إلى بعض الحكّام بوضع بعض الأحاديث؛ كزيادة: «أو جَنَاح» على الحديث الصحيح: «لا سبق إلا في خف أو حافر»[3]، وزاد بعضُ الوضّاعين: «أو جَنَاح»؛ لعلمه تعلّق الحاكم -في ذلك الزّمان- بالطُّيور وَشَغَفه بها.

٤- الترغيب والترهيب، وأمثلة ذلك كثيرة جداً.

والحمد لله رب العالمين●

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم:١٥٩٧)، ومسلم في «الصحيح» (رقم: ١٢٧٠).

(٢) يُراجع له «أحاديث القُصّاص» (١٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) انظر «الموضوعات» (١ / ٤٢) لابن الجوزي، و«السلسلة الضّعيفة» (١ / ٣٨٩) لشيخنا الألباني.

الكتب تعريفاً ونقداً

الحلقة الرابعة

أمالي نظام الملك

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا تخريج من رأس القلم لأحاديث وآثار ما نشر في العدد الماضي من «أمالي نظام المُلْك» (الجزء الثاني)، وآثرتُ -لانفصاله عن أصله- أن أذكر طرف الحديث والأثر، ليظهر نوع ترابط بين التخريج والنص الذي له، وإن كان هذا لا يغني عن الرجوع إلى ما نشر في العدد السابق؛ بحيث يكشف عن الطريق والمخرج هناك، والله الموفق:

[١٣] حديث أبي هريرة: «من أنفق زوجين في سبيل الله...».

● أخرجه البخاري (١٨٩٧ ، ٢٨٤١، ٣٢١٩ ، ٣٦٦٦)، ومسلم (١٨٩٧) في «صحيحيهما»، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٤٩٩ -يحيى، ورقم ٩١٠ -رواية أبي مصعب)، وعبدالرزاق (٢٠٠٥٢)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٠)، في «مصنفيهما»، وابن المبارك في «الزهد» (١٣٢٧)، والنسائي (٤/ ١٦٨) و(٥/ ٩) و(٦/ ٢٤ ، ٤٧)، وفي «فضائل الصحابة» (٧)، والترمذي (٣٦٧٤)، وابن حبان (٣٠٨ ، ٣٤١٨ ، ٣٤١٩ ، ٩٨٦٦ الإحسان)، وأحمد (٢/ ٢٦٨)، والبيهقي (٩/ ١٧١)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٨٣ -١٨٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ١٣٤ رقم ١٦٣٥) من طرق عن

الزهري به.

[١٤] **حديث أبي سعيد -رفعه-: «بينما أنا نائم رأيتُ الناس عُرِضوا علي...».**

● أخرجه البخاري (٢٣، ٣٦٩١، ٧٠٠٨، ٧٠٠٩)، ومسلم (٢٣٩٠) في «صحيحيهما»، والدارمي (٢١٥٧)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٨٦)، والترمذي (٢٢٨٦)، والنسائي (٨/ ١١٣)، وفي «فضائل الصحابة» (٢٠)، وأبو يعلى في «المسند» (١٢٩٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٨٩١ - الإحسان) من طريق الزهري به.

[١٥] **حديث عبدالرحمن بن خَبّاب، وتَصَدُّق عثمان، وقول النبي ﷺ له: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا».**

● أخرجه الطيالسي في «المسند» (١١٨٩) ومن طريقه المصنف.

وأخرجه عبد بن حميد في «المسند» (٣١١ - المنتخب)، والترمذي في «جامعه» (٣٧٠٠)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٧٨)، والدولابي في «الكنى» (٢/ ١٧)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٨٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٨٧)، و«الآحاد والمثاني» (رقم ١٤١٩)، وعبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٥٩١١)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢١٤)، وابن الأثير في «أُسد الغابة» (٣/ ٤٤١)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٧/ ٨١) من طريق سكن بن المغيرة به.

قال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث سكن بن المغيرة».

قلت: سكن وثّقه الطيالسي فيما نقل الدولابي، وكذا ابن حبان، وقال ابن معين: صالح، وقال النسائي: ليس به بأس.

وللحديث شاهد عن عبدالرحمن بن سَمُرة، هو به حسن -إن شاء الله تعالى-.

[١٦] **حديث جابر بن سمرة: قالوا: يا رسول الله! من يحمل رايتك يوم القيامة؟...**

● إسناده ضعيف جداً، فيه ناصح بن عبدالله المُحَلِّمي، تركه الفلاّس وغيره.

أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٥٤)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٥١١) من طريق ناصح به.

[١٧] **حديث علي -رفعه-: «رحم الله أبا بكر، زوّجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة...».**

● إسناده ضعيف جداً.

المختار بن نافع، قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: كان يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك.

أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٧١٤)، وابن أبي عاصم في «السنّة» (١٢٣١)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٢١٠ -٢١١ ترجمه رقم ١٧٩٧)، وابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ٢٥٤)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٠/ ٤٠٢).

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

[١٨] **حديث علي بن أبي طالب: «من أحب هذين وأباهما وأمهما؛ كان معي في درجتي في الجنة».**

● إسناده ضعيف، والمتن منكر، قاله الذهبي في «السير» (٣/ ٢٥٤).

أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٧٣٣)، وعبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (١/ ٧٧)، و«زوائد فضائل الصحابة» (٢/ ٦٩٣ -٦٩٤)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» (ص١٢٠)، والطبراني في «الكبير» (رقم ٢٦٥٤)، و«الصغير» (٢/ ٧٠)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (١/ ١٩١ -١٩٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٨٧ -٢٨٨)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢/ ت٩٥٨-٩٥٩ - نشر دار المأمون)، والذهبي في «الميزان» (٣/ ١١٧) جميعهم من طريق نصر بن علي.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه».

كذا في مطبوعه! وصوابه: «حديث غريب» دون «حسن» كما في «تحفة الأشراف» (٧/ ٣٦٤).

وقال الذهبي في «السير» (١٢/ ١٣٥): هذا حديث منكر جداً.

[١٩] **قول عائشة: «أعطيت عشر خصال لم تعطهن ذات خمار قبلي: ...».**

● إسناده ضعيف، فيه تدليس ابن جريج، وبكر بن سهل فيه ضعف.

ذكره محب الدين الطبري في «السمْط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (ص ٨٣-٨٤)، وقال:

وقولها: «خُيِّر بين حانقتي وذاقنتي

-تريد -والله أعلم- التخيير بين الحياة والموت، حين اختار الرفيق الأعلى-.

وقد ذكر -قبل- أحاديث كثيرة، بعضها في «الصحيحين»، تدل على بعض الخصال المذكورة في هذا الأثر، فانظره غير مأمور.

[٢٠] حديث عبد الله بن عويم -مرفوعاً- : «إن الله اختارني واختار لي أصحاباً، فجعل منهم وزراء وأنصاراً...».

● إسناده ضعيف، فيه عبدالرحمن وأبوه سالم بن عبدالله بن عويم، كلاهما مجهول.

أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (رقم ١٩٤٦)، و«السنة» (رقم ١٠٠٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٠ رقم ٣٤٩)، و«الأوسط» (رقم ٤٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٣٢)، والآجري في «الأربعين» (ص٤٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١١)، والخطيب في «التلخيص» (٢/ ٦٣١)، والضياء في «النهي عن سب الأصحاب» (رقم ٥ - بتحقيقي)، واللالكائي في «السنة» (٢٣٤١)، من طريق محمد بن طلحة به.

[٢١] حديث عمر -مرفوعاً-: «سألت ربي -عز وجل- فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي...».

● أخرجه ابن عدي (٣/ ١٠٥٧) عن حمزة الكاتب به.

وأخرجه البيهقي في «المدخل» (١٥١) عن أبي بكر بن الحارث، عن أبي الشيخ عن حمزة، ومن طريق بكر بن سهل عن نعيم بن حمّاد -أيضاً-.

وأخرجه ابن حجر في «موافقة الخُبْر الخَبَر» (١/ ١٤٦ - ١٤٧) من طريق الحسن ابن علي: أخبرنا أبو الحسن بن دؤدؤ، عن حمزة به. وقال عقبة:

«هذا حديث غريب»، وقال: «وزيد العمّي -بفتح العين وتشديد الميم- وابنه أضعف منه».

وقد سئل البزار عن هذا الحديث؛ فقال: «لا يصح هذا الكلام عن النبي ﷺ، وقد رواه عبدالرحيم مرة أخرى؛ فقال: عن أبيه عن ابن عمر».

وقال: «وخالفه سلام الطويل فرواه عن زيد بإسنادٍ آخر ولفظ آخر».

ثم ساقه ابن عديّ بسنده من طريق سلام، عن زيد العَمّي، عن يزيد الرّقاشي، عن أنس -رفعه-، بلفظ: «مثل أصحابي كمثل النجوم يُهتدى بهم؛ فإذا غابت تحيَّروا»، قال: «هكذا أخرجه ابن

أبي عمر في «مسنده»، وفي إسناده ثلاثة ضعفاء في نسق: سلام وزيد ويزيد، وأشدّهم ضعفاً سلام.

وأورده الحافظ ابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٧٠٠-٧٠١) من طريق نُعيم ابن حماد به، وقال: «هذا حديث ضعيف من حديث هذا الوجه، فإن عبدالرحيم بن زيد هذا كذّبه ابن معين، وضعّفه غير واحد من الأئمة» قال: «إلا أن هذا الحديث مشهور في ألسنة الأصوليين وغيرهم من الفقهاء يلهجون به كثيراً، محتجّين به، وليس بحُجة، والله أعلم».

وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (رقم ٧٠٠)، من طريق آخر عن نعيم بن حماد به.

وهو في «الفردوس» (رقم٣٤٠٠).

وعزاه في «الكنز»(١/ ٩١٧) للسجزي في «الإبانة»، وابن عساكر عن عمر.

وحكم عليه شيخنا الألباني في «الضعيفة» (رقم ٦٠) بالوضع، وعزاه لنظام الملك في «الأمالي»، والضياء في «المنتقى» من مسموعاته بمرو (١١٦/ ٢)، وابن عساكر (٧/ ٣١٥/ ٢).

وله شواهد لم تصح، بينت ذلك بتفصيل في تعليقي على «الموافقات» (٤/ ٤٥٢ -٤٥٦)، وأسهبت في نقل أحكام العلماء عليه بالضعف والنكران، والله المستعان.

[٢٢] حديث علي -رفعه-: «يرحم الله خلفائي».

● أخرجه الطبراني في «الأوسط»، والرامَهُرْمُزيّ في «المحدّث الفاصل» (ص١٦٣)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٨١)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص٣٠ ، ٣١)، والهروي في «ذم الكلام»، والقاضي عياض في «الإلماع» (ص١٧)، والشجري في «الأمالي» (١/ ١٩)، وعبدالغني المقدسي في كتاب «العلم» (٥٠/ ٢) والضياء في «المنتقى بمسموعاته بمرو» (٧٤/ ١)، ومحمد بن طولون في «الأربعين» (٥/ ١) -كما في «السلسلة الضعيفة» (رقم ٨٥٤)-، من طريق أحمد بن عيسى به.

وإسناده واهٍ بمرّة، أحمد بن عيسى بن عبدالله الحلواني، قال الدارقطني: «كذاب» كذا في ترجمته في «الميزان» (١/ ١٢٦ - ١٢٧)، وساق له هذا الحديث، وقال: «وهذا باطل».

وانظر: «نصب الراية» (١/ ٣٤٨)، و«مجمع الزوائد» (١/ ١٢٦)، و«الترغيب والترهيب» (١/ ١١٠)، و«إتحاف السادة

المتقين» (١/ ١١٧).

[٢٣] **أثر عمر: «إن أنا نمت نهاري ضيعت الرعية، وإن نمت...».**

● إسناده ضعيف، ومنقطع، ليث بن أبي سُليم، صدوق اختلط، ولم يتميز حديثه فتُرِك، كذا في «التقريب» (٥٦٨٥)، وهو لم يدرك عمر -رضي الله عنه-.

وله طريقان آخران منقطعان وضعيفان، انظرهما في «الزهد» لأحمد (٢/ ٣٢)، و«المجالسة» للدينوري (رقم ٣٥٨٦ - بتحقيقي)، «تاريخ دمشق» (ص٢٣٣ - ترجمة عمر).

. والخبر في «التذكرة الحمدونية» (١/ ٤٠٩)، ونسب لعمر بن عبدالعزيز في «نثر الدر» (٢/ ١٨٨)، و«محاضرات الراغب» (٢/ ٤٠٥).

[٢٤] **وصية عثمان بن عفان -رضي الله عنه، وفيها آخر الشعر.**

● أخرجه أبو طاهر المخلِّص في «فوائده»، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص٤٤٨ -ترجمة عثمان)، قال: نا عبيد الله بن عبدالرحمن السكري: نا زكريا بن يحيى المنقري به●

الإخلاص في طلب العلم

*** الإمام الذهبي -رحمه الله-**

قال الإمام الذهبي: ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد، فإن أعجبه كلامه؛ فليصمت، فإن أعجبه الصمت؛ فلينطق، ولا يفتر عن محاسبة نفسه، فإنها تحبُ الظهور والثناء.

وقال أيضاً: فكم من رجل نطق بالحقّ وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خفي سار في نفوس الفقهاء، كما أنه داءٌ في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والتُرب المزخرفة، وهو داء خفي يسرى في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين، فتراهم يلقون العدوّ ويصدِمُ الجمعان، وفي نفوس المجاهدين مُخبآتٌ، وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة، والعجب ولبس القراقل المذهبة، والخوذ المزخرفة، والعدد المحلاة على نفوس متكبرة، وفرسان متجبرة، وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة، وظلم للرعية، وشرب للمسكر فأنى ينصرون؟! وكيف لا يخذلون؟ اللهم: فانصر دينك ووفق عبادك. فمن طلب العلم للعمل كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء، تحامق، واختال وازدرئ بالناس، وأهلكه العُجْبُ، ومقتَتْهُ الأنفس: **﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾**؛ أي: دسَّها بالفُجور والمعصية.

وقال -رحمه الله-:

فقد ترى الرجل ورعاً في مأكله وملبسه ومعاملته، وإذا تحدث يدخل عليه الداخل من حديثه فإما أن يتحرى الصدق، فلا يكمل الصدق، وإما أن يصدق، فينمق حديثه؛ ليمدح على الفصاحة، وإما أن يظهر أحسن ما عنده ليعظم، وإما أن يسكت في موضع الكلام، ليُثْنى عليه. **ودواء ذلك كله الانقطاع عن الناس إلا من الجماعة.**



أرجوزة السلام في مجددي الإسلام

● بقلم: أبي ليلى فهد البلادي

يقـــول راجي الملكِ الجـــوادِ
فــهــدٌ -أبوليلى- هـو البــلادي

لــله حَمْدي دائـمـــــاً وأبـدا
مــصليّاً على النبيِّ أحــمــدا

وبعــد فــالعلمُ له أقــســـامُ
وكلّ قــــسم قــــادهُ إمــــامُ

قــد أشْبَعَ التصنيفَ فيـه وابتكرْ
فـــي فَنّهِ أحْلـــى مَعَانٍ وَدُرَرْ

وقــد يفــوتُ السّابقينَ بعضُ مــا
يدركُهُ التـــالون ممن قَدْ نَمـــا

وهـذهِ أرْجُوزَةُ الســـــــلامِ
ضَمَّنْتُهـــا مُجَدِّدِي الإســـلامِ

مِمَّنْ لــهـــمْ دَوْرٌ وجُهْدٌ وأثــرْ
فِيـمَنْ أتى من بعـدهـم ومن غَبَرْ

وكـــان للسُّبْكيِّ والسيــوطيْ
نظمٌ لَطِيفٌ لَيْسَ بالمبســوطِ(١)

وفـيــهِ منْ أهل الكلامِ والجـدالْ
مُجــددونَ بينمـــا هـذا مُحَالْ

كــابنِ الخَطِيبِ والغــزاليِّ ولـيْ
رَدٌّ على السُّبْكيِّ في نَفْسِ الروي(٢)

---

(١) نظم ابن السبكي، ذكره في «طبقات الشافعية»(١/ ٢٠٢)، وللسيوطي في ذلك رسالة مستقلة ألحق بها قصيدة في المجددين، ورغم حسن نظمها إلا أنه لم يخلُ من نقص واستدراك.

(٢) ابن الخطيب: هو الرازي الملقب بـ (فخر الدين) ت٦٠٦.

والغزالي: أبو حامد، توفي (٥٠٥ هـ).

وقصيدة ابن السبكي داليّة من البحر الكامل، وقد نظمت -ولله الحمد- رداً عليها على بحرها ورويّها.

وإنّمـا التـجـديدُ في الدين لمنْ
قد نَاصَرَ التوحيدَ أو أحيْى السُّنَنْ
وقـــد أعُدُّ عــــالماً مُجـــدِّدْ
أو حـــاكــمــاً فـــالنص لم يُحَدِّدْ
وقـــــــد أعُدُّ اثـنـين أو ثلاثـهْ
في حُقـبـــة أو فـــوق مــا ثلاثهْ
ولَمْ أرَ مُخــــــالفــــاً أنَّ عُمَرْ
أوَّلُهــــــــــم وأنَّه مِمَنْ نَصَرْ(١)
لِديـــــــــــــنِهِ بِعَدْلِهِ وعِلْمِهِ
وردَّ ظُلمـــاً كـــان في ابن عَمِّهِ
فــــهـــو مُجَدِّدٌ بِغَيــــرِ مِرْيَه
فــــــــالعِلْمُ والحُكْمُ بـه سَوِيَّه
كــذلك الزهريُّ قـــيل جَدَّدا
لجـمْعِهِ الحـديثَ حين بُدِّدَا(٢)
فـالشـافـعيّ من بفـضله ظَهَر
عِلمُ الحديث في الحجازِ واشتهر(٣)
وقرَّرَ الأصـــولَ في الرِّســـالهْ
وقــسَّم الفـــقـــه بلا مَلالهْ
وقـــال بالناسخ والمنســـوخِ
وناظر الفـــقـــيـــه ذا الرســـوخ
محـمـداً، ومـات في الخمسينِ
وعلمــه كــعلم ذي المئينِ(٤)
كـذا ابنُ حنبلَ الإمـامُ الثـاني
فـــهـــو بلا ريبٍ ولا نكرانِ
قـــد رَدَّ للدين مكانه العَلِيّ
مثلَ أبي بكرٍ كمـا قـال علي(٥)
بصــبـــره في فـتنة القـــرآنِ
على عظيم الذُّل والهـــوانِ
وكـان جُلُّ مَنْ دَعوا لهم أجاب
بما أرادوا فَرَقـاً من العـقــاب
فــفـضلهُ لا يعـتـريه شكُّ
في مـــثله الرأسُ فـــلا يحكُّ
فـابن سـريج قـيل فِقْهـاً جَدَّدا
وابن خُزيمةَ لمنْ قـــد وحَّدَا(٦)
أمـــا النســــائيُّ فللحـــديث
فاحفظ مقالي وافهمنْ حديثي(٧)

(١) هو أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز بن مروان الأموي (١٠١ هـ) وأبناء عمه أبناء عبدالملك بن مروان.

(٢) الزهري: هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري القرشي (١٢٤ هـ).

(٣) الشافعي: هو الإمام محمد بن إدريس المطّلبي القرشي ت (٢٠٤ هـ).

(٤) محمد: هو الإمام محمد بن الحسن الشيباني، فقيه العراق في عصره ت (١٨٩ هـ).

(٥) كما قال علي بن المديني: «إن الله حفظ هذا الدين برجلين: أبي بكر أيام الردّة، وأحمد بن حنبل أيام المحنة».

(٦) ابن سريج: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ت (٣٠٣ هـ).

وابن خزيمة: هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، الملقب بإمام الأئمة، له كتاب «التوحيد». (٣١١ هـ).

(٧) النسائي: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي الإمام المحدث صاحب «السنن»، ت (٣٠٣ هـ).

وبَعْدَهم سَهْلٌ هو الصُّعْلوكي
بعلْمِه سَادَ على الملوكِ[1]
والحاكمُ الحَبْرُ العظيمُ المنزلَه
كذلك الأَزْديُّ لا تستنزله[2]
ثمّ الإمام البغويُّ المسنِدُ
مُفسّرٌ محدّثٌ معتمدُ[3]
كذلك التيميّ قوّامُ الأثر
فكم به الدينُ علا وكم ظهر
كذا صلاحُ الدين دَوْرُه عظيمْ
إذ قدْ أزال الرفضَ بالدين القويم[4]

مُكَسّرُ الصليب، قاهرُ العِدا
مُحَدّثُ الملوكِ، ذو دينٍ بَدا
فاقرأ لـ «سيرة» له تُفيدُنا
(شَدّادُ) تدرِ ما سَطَرْتُه هُنا[5]
فالمقدسيُّ زِدْهُ لا تبالي
مؤلفُ الكمالِ في الرجالِ[6]
وابنُ قُدامةَ الإمامُ المقتفي
أغْناكَ بـ«المغني» وبـ«الكافي» اكتفِ[7]
ولم أرَ مُجَدّداً لهُ أثَرْ
مِثْلَ ابن تيميّةَ ممّنْ قدْ غَبَرْ

---

(١) سهل: هو ابن محمد بن سليمان الصعلوكي الشافعي، ت (٤٠٤ هـ).

(٢) الحاكم: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم يعرف بابن البَيِّع، له «المستدرك على الصحيحين»، ت (٤٠٥ هـ).

الأزدي: عبدالغني بن سعيد الأزدي المصري المحدث النسابة، ت (٤٠٩).

(٣) البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ت (٥١٠ هـ)، وقيل: (٥١٦ هـ)، له «شرح السنة»، و«معالم التنزيل»، وغيرهما.

(٤) التيمي: أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، يلقب بـ: قوام السنة، ت (٥٣٥ هـ).

من مؤلفاته: «الحجة في بيان المحجة»، و«الترغيب والترهيب»، وغيرهما.

(٥) عدَّ صلاح الدين الأيوبيّ من ضمن المجددين توسيع لقاعدة المجددين الذين إنما يكونون على رأس القرن، وصلاح الدين توفي (٥٨٩ هـ)؛ وإنما ذكرته لدوره البارز في نصره الدين، مما يسوِّغ إلحاقه بالمجددين وإن لم يكن منهم.

(٦) إشارة إلى كتاب ابن شدّاد في «سيرة صلاح الدين».

(٦) المقدسي: أبو محمد عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الجمّاعيلي، ت (٦٠٠ هـ).

(٧) ابن قدامة: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي، ت (٦٢٣ هـ).

فـــإنهُ بالـرغـمِ مِمَّا قـــدْ لَقِيْ
مِن جَوْرِ سُلْطانٍ وقـاضٍ قـد بَقِيْ
لـه الـقَبُولُ ولـكُتْبِـــــه المِقَهْ
من بينِ توحـيــــدٍ وعلمٍ دَقَّقَهْ
حـتى اعـتنى به رجـالُ الغَرْبِ
ودرّســـوا لشــخْصِهِ عن قُرْبِ
قـــد أذعنوا لِعلمِهِ وفـــضلِهِ
وأكــبـروا لفــقــهـِـه وعــقلهِ
فـاعْجَبْ لِمَنْ حَارَبَهُ وصــدَّ عـنْ
عُلومِهِ وقـــــال تـأتي بـالفِتَنْ
كـــــذلـك الجُعْلُ هلاكُهُ بِمَنْ
قرَّبَ مِنه الوَرْدَ أو أقْصى النَّتَنْ[1]
وبعـــده قـيلَ أتى البُلْقِـــيني
وذاكَ ظَنٌّ ليس بالــيـــقين[2]
وإنمـــا أرى أنـــا الــعِراقـــي
فـدوره في العلم بعـدُ باقي[3]

وقـــد يكونا جَدَّدا الدينَ فـــلا
يمتنع التـجـديدُ فـيـمنْ قـد عـلا
ولست أدري من أتى مِن بعــدِهِ
كــــلا ولا أدري الذي كَسَعْدِهِ
لكنْ يقــال بعــدَه جــا الرمليْ
وغـــيـــرَه قـــد ذَكَرَ المُحِبِّي[4]
وبعـــــــــده أظنُّه الـكـرديّ
ولست أجـزم فـيــه يا أُخي[5]
فـقـد فـشـا في الأُمّةِ الفسـادُ
والشــركُ والضـلالُ والإلحـادُ
حـتى أُزيلَ الشركُ بالتـوحيـدِ
على يد المجـــدِّدِ المجـيـــدِ
محـمـدُ التـمـيميُّ من نجْدٍ ظَهَرْ
به أُقيمَ الدينُ والشـركُ انقهَرْ[6]
لـــلــــه مَنْ سَانَدَهُ وعَضَّدَهْ
بِسَيْفِــــهِ ومـــــالِه وأيَّدَهْ

---

(١) الجُعْل -بضم فسكون-: دُوَيْبَة حقيرة كالخنفساء تعيش في مراح البقر، ومواضع الروث، وتموت برائحة الورد، وتعيش بريح النتن!

(٢) البلقيني: سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان البلقيني المصري الشافعي الفقيه، ت (٨٠٥ هـ).

(٣) العراقي: أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي البصري المحدّث، ت (٨٠٦ هـ).

(٤) الرملي: محمد بن أحمد بن حمزة، فقيه مصر في عصره، كان يلقّب بـ: الشافعي الصغير، ت (١٠٠٤ هـ). انظر «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٤٢)، «الأعلام» (٦/ ٧).

(٥) الكردي: هو إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني، نزيل المدينة، ت (١١٠١ هـ)، انظر «الأعلام» (١/ ٣٥)، وانظر «التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة» للسيوطي (ص١٦-١٧) التعليق.

(٦) هو الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي الحنبلي النجدي، رائد النهضة السلفية المعاصرة، ت (١٢٠٦ هـ).

وهكذا الدينُ مَعَ السلطانِ
يَبْقى قويّاً ثابت الأركانِ
صِدِّيقُ ذاكَ الملكُ العلاّمة
مُجَدِّدٌ قُلْها بلا مَلاَمَه[(١)]
مؤلفُ التفسير والروض الندي
وخالص الدين وعلمِ أبجدي
وعَصْرُنا قَدْ أظْهَرَ الدينَ بِهِ
أئمةٌ كمْ بينهمْ منْ شَبَهِ
همُ "ابن باز" دون ما مدافعِ
"فناصرٌ" "مُحمّدٌ" "فالوادعي"[(٢)]
أما الغُماريُّ قد ادّعاها
وفيه بُعدٌ عند مَنْ وَعاها[(٣)]
لأنّ علمَه بعيدٌ لا تُرى
آثارُه بارزةً بين الورَى
هذا وتمّ النظْمُ دونَ ما تَعَبْ
في ليلةِ السبتِ لتسع من رَجَبْ
من عام عشرٍ وثلاثٍ تُجْمَعْ
من بعدِ ألفٍ ومئين أربعْ
وأحمدُ الله على هذا التمامْ
مُصلياً على النبيِّ والسلام

•••••

---

(١) صِدّيق: أبو الطيب صديق حسن خان القِنّوجي، ت (١٣٠٧ هـ)، له «الروضة الندية» و«الدين الخالص»، و«أبجد العلوم» وهي المشار إليها في الذي يلي هذا، بنوع من التصرف تمشياً مع القافية، انظر «الأعلام» (٦/ ١٦٧).

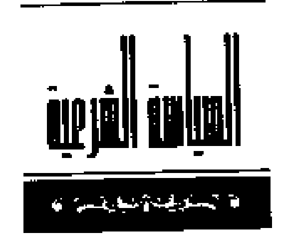
(٢) ابن باز: هو سماحة الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-.

ناصر: هو محدّث الشام فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-

محمد: هو علاّمة القصيم الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله-.

الوادعي: هو فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مجدد القطر اليماني، ومحيي العلم والسنة فيه، بعد موات -حفظه الله-.

(٣) الغماري: هو الشيخ عبدالله بن الصديق الغماري المغربي الحسني، وهو بالرغم من سعة اطّلاعه ومشاركته في كثير من العلوم شيعيٌّ محترقٌ، ومتصوف غالٍ، وقد ترجم لنفسه ترجمة مستفيضة في كتاب أسماه: «سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصديق» زعم فيه أنه مجدد العصر!؟



نيل السؤدد بالعلم

• بقلم: الشيخ عبدالمالك الجزائري

إن تبيان أصل العمل الذي ينبغي أن تُكرّس له الجهود أساسٌ مهمٌ من أُسُس الدعوة إلى اللهِ -تعالى-؛ فإن قوماً رأوا النشاط الرهيب الذي تجتهد فيه قوى الكفر والضلال، فظنوا أن سيادتهم ترجع إليه بمجرد مقابلة نشاطهم بنشاط أقوى منه، فوَجَّهوا كل ما يملكون من وسائل لمجاراتهم، وأهملوا العلم الشرعي إهمالاً فاحشاً!

والحقيقة أنهم مهما أحكموا التنظيم وأحسنوا التدبير وكثّفوا النشاط وحفظوا من مكائد العدوّ، فلن يُكتَب لهم سؤدد ولا رِفعة حتى يُؤَسسوا عملهم على العلم، ويعرفوا له ولأهله قدره؛ قال الله -تعالى-: **﴿يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أُوتُوا العلم درجات﴾**، وقال: **﴿نرفع درجات من نشاء﴾**، قال مالك -رحمه الله-: «العلم»[1].

> **لن يكتب لأحد سؤدد ولا رفعة؛ حتى يؤسس عمله على العلم، ويعرف له ولأهله قدره**

وهذه الرفعة تكون في الدنيا قبل الآخرة؛ كما قال الله -تعالى- عن اصطفائه طالوت لسيادة الملأ من بني إسرائيل: **﴿وقال لهم نبيّهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده**

(١) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٢٧٢)، وقد أسنده ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٤) من رواية مالك عن زيد بن أسلم به.

بسطة في العلم والجسم والله يؤتي مُلكه من يشاء والله واسع عليم﴾.

وفي «صحيح مسلم» عن عامر بن واثلة، أن نافع بن عبدالحارث لقي عمر بعُسفان، -وكان عمر يستعمله على مكة[1]- فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى[2] من موالينا، قال: فاستخلفت عليه مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله -عز وجل-، وإنه عالم بالفرائض[3]، قال عمر: ألا إن نبيكم ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين».

ولذلك أخبر الله -عز وجل- أنه رفع الربانيين من بني إسرائيل حتى جعلهم حُكّاماً عليهم ينفّذون فيه أمر الله؛ فقال: **﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هُدى ونور يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شُهداء﴾.**

وهؤلاء الربانيون -الممكّن لهم- جاء وصفهم بالعلم والتعليم، قال الله -تعالى-: **﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقولَ للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾.**

وفي كتاب الله -عز وجل- آيتان تشابهتا في اللفظ، يقول الله في الأولى عن إبراهيم ﷺ: **﴿وتلك حُجّتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾**، وفي الثانية يقول عن يوسف ﷺ: **﴿نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾**، وفي هذا سرٌّ بديعٌ من أسرار الكتاب العزيز، ذكره ابن تيمية في كلام نفيس جداً حيث يقول:

«ذكر الله أنه يرفع درجات من يشاء في قصة مناظرة إبراهيم، وفي قصة يوسف، ولهذا قال السلف: بالعلم؛ فإن سياق الآيات يدل عليه، فقصة إبراهيم في العلم بالحجة والمناظرة لدفع ضرر الخصم عن الدين، وقصة يوسف في العلم بالسياسة والتدبير لتحصل منفعة المطلوب، فالأول: علم بما يدفع المضار في الدين، والثاني: علم بما يجلب المنافع.

أو يقال: الأول: هو العلم بما يدفع

(١) أي: جعله والياً عليها. (٢) أي: عبد مملوك. (٣) أي: عالم بالمواريث.

المضرة عن الدين ويجلب منفعته، والثاني: علم بما يدفع المضرة عن الدنيا ويجلب منفعتها.

أو يقال: قصة إبراهيم في علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها، وقصة يوسف في علم الأفعال عند الحاجة إليها، فالحاجة جلب المنفعة ودفع المضرة قد تكون إلى القول، وقد تكون (إلى الفعل).[1]

ولهذا كان المقصّرون عن علم الحجج والدلالات وعلم السياسة والأمارات مقهورين مع هذين الصنفين، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدوّ يفسد الدين بالجدل أو الدنيا بالظلم، وتارة بالاحتياج إليهم إذا هجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك، وتارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شر بعض في الدين والدنيا، وتارة يعيشون في ظلهم في مكان ليس فيه مبتدعٌ يستطيل عليهم ولا والٍ يظلمهم، وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدامغة لأهل البدع، والسياسة الدافعة للظلم...»[2]

من يتصور قيام دولة إسلامية بمجرد عاطفة إسلامية، وفكر مجرد، ونتف من العلم... فهؤلاء طالبوا سراب

فدار أمر الرئاسة الدينية والدنيوية على العلم؛ لأنه أصل لهما، ولذلك قال ابن تيمية -أيضاً-: وذلك أن الله يقول في كتابه: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب**﴾، فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنه أنزل الحديد كما ذكره.

فقوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر ﴿**وكفى بربك هادياً ونصيراً**﴾، والكتاب هو الأصل، ولهذا أولَ ما بعث الله رسوله أنزل عليه الكتاب، ومكث بمكة لم يأمره بالسيف حتى هاجر وصار له أعوان على الجهاد.[3]

(١) بياض بالأصل، ولعلّ الصواب ما أثبتُ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٩٣ - ٤٩٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٤).

وأحبّ أن أنبّه القارىء هنا إلى أنني وجدت من ابتُلي بفكر ثوري يَبتر كلام ابن تيمية هذا عند آية الفرقان؛ لأن ما بعدها يُحطّم له المراد من استغلال كلام الشيخ! فتنبّه!

إذن فالذين يتصورون قيام دولة الإسلام بمجرد عاطفة إسلامية، وفكر مجرّد عن حجة الشرع يسمّونه فكراً إسلامياً! ونتف من العلم يسمونها (ثقافة إسلامية!)، وأن التعليم مرحلة قادمة بعدها، فهؤلاء طالبو سراب؛ لأنهم يتخيلونها بلا قوة ولا أسباب!

وأولى القوّتين قوة الدين الذي عليه وعد الله المؤمنين بالنصر؛ فقال: **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾**؛ ولهذا قال ابن القيم: ولما كان جهادُ أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[1]، كان جهاد النفس مقدّماً على جهاد العدوّ في الخارج وأصلاً له؛ فإنه من لم يجاهد نفسه -أولاً- لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيَت عنه ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يُمْكِنُهُ جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوّه الذي بين جنبيه قاهر له، متسلط عليه، لم يجاهده ولم يحاربه في الله؟! بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج.

فهذانِ عَدُوّانِ قد امتُحن العبد بجهادهما، وبينهما عدوّ ثالث، لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو واقفٌ بينهما يُثبط العبد عن جهادهما ويُخذله ويُرجِف به، ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق وترك الحظوظ وفوْت اللذات والمشتبهات، ولا يمكنه أن يجاهد ذينك العدُوَّين إلا بجهاده، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما، وهو الشيطان، قال -تعالى-: **﴿إن الشيطان لكن عدو فاتخذوه عدواً﴾**، والأمر باتخاذه عدواً تنبيهٌ على استفراغ الوُسع في محاربته ومجاهدته، كأنه عدوٌّ لا يفتُر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس[2].

وهذا الكلام في غاية الجودة والوضوح، وهو تصحيح لمن يرمون غيرهم بالحجارة وبيوتهم من زجاج! وفي الوقت نفسه يُعظّمون الأسباب المادية حتى يروا أن عدوّهم تمكّن لقوّته! والحق أنه لا يدخل عليهم العدوّ بيوتهم إلا إذا وَهَى بُنيانُها؛

(١) رواه أحمد (٣/ ٢١) وغيره، وهو صحيح.

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٦).

أي: لا ينهزم المسلمون لقوّة عدوّهم ولكن لضعف إيمانهم، حتى ولو عَرِيَت أيديهم من الأسباب -بعد بذل الوسع- كفاه الله ما نابهم، قال ابن تيمية -رحمه الله-: ومن سنة الله أن من لم يُمكن المؤمنون أن يعيذوه[1] من الذين يؤذون الله ورسوله؛ فإن الله -سبحانه- ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه -كما قال -سبحانه-: **﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين﴾**[2].

وقال ابن القيم: تالله! ما عدا عليك العدوّ إلّا بعد أن تولّى عنك الوليُّ، فلا تظنّ أن الشيطان غَلَب ولكن الحافظ أعرَض[3].

وقد عرفت أنك تحرَم ولاء ربك إذا تركت المأمور وركبت المحظور، كما أنك منصور بحفظك الله في أمره ونهيه، فعاد الأصل إلى العلم؛ لأنه لا يُعرَف الأمر والنهي إلا به.

• لطيفة:

روى البخاري ومسلم عن الزبير بن عدي قال: دخلنا على أنس بن مالك، قال: فشكونا إليه ما نَلقى من الحَجّاج، فقال: «ما مِن عامٍ إلا والذي بعده شرٌ منه حتى تلقوا ربكم»، سمعت هذا من نبيكم.

قال ابن حجر: «وقد استُشكل هذا الإطلاق! مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبدالعزيز، وهو بعد زمن الحجّاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن العزيز...

وأجاب بعضهم: أن المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر بن عبدالعزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده لقوله

(١) تصحّف في المطبوع إلى: (أن يعذبوه)، وهو غير مستقيم، وما أثبت أعلاه هو الموافق للأصول المخطوطة؛ كما في المطبوع حديثاً (٢/ ٣٥٧).

(٢) «الصارم المسلول» (ص ١٦٤).

(٣) «الفوائد» (ص٧٩).

ﷺ: «خير القرون قرني...» كما في «الصحيحين»[1].

ثم قال: ثم وجدت عن عبدالله بن مسعود التصريح بالمراد، وهو أولى بالاتباع، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب، قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول: لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه، ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقلّ علماً من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون.

ومن طريق الشعبي، عن مسروق، عنه، قال: لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر مما كان قبله، أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاء، ويجيء قوم يُفتون برأيهم[2].

قلت: رفعُ الإشكال بالأثر هو قرة عيون أهل الأثر، وبخاصّةٍ وهو جارٍ على الأصول؛ لأن غالب الخلقِ لرحم المال والسلطان وَصول، ألم تسمع قولُ الله -تعالى- يخبر عن أهل الشمال حسرتهم قائلين: **﴿ما اغنى عَني ماليه. هلك عني سُلطانيه﴾**.

ولو تأمّلت فتنة الحركات الإسلامية -فضلاً عن غيرها- لوجدتها مجموعة في هاتين النعرتين: تصوُّر أن خيريّة أمة على أخرى تابعة لخيريّة حكّامها، أو وفرة اقتصادها؛ ألا ترى أن أكثرهم لا يردُّون من عرش الملك يَدَ لامِس! ولو كانت طماعة من ديمقراطية الوساوس! وآخرين يرون أن عودة عز المسلمين مرهونة بالتفوق الحضاري، ولذلك لا يبْرحون عليه عاكفين!

وهذا يبيّن سر عناية ابن مسعود بمعالجتهما دون غيرهما، وتالله إنه لفقه النفس الذي فتح الله به عليه، فلتعرف -أخا الإسلام- للسلف فضلهم●

(١) لفظ «الصحيحين»: «خير الناس قرني...»، وقد أشار الشيخ الألباني -رحمه الله- في تعليقه على «التنكيل» للمعلمي(٢/ ٢٢٣) إلى أنه لا أصل للفظ الذي ساقه الحافظ هنا.

(٢) «الفتح» (١٣/ ٢١)، والأثر صحيح؛ رواه الفسوي؛ كما في آخر «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٩٣) -له-، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٣٦) وغيرهما.



التوضيح والبيان لمعاني الإحسان

• بقلم: أبي عبدالرحمن محمد المهر

لما كان موضوع الإحسان موضوعاً عظيم النفع كبير الفائدة؛ فقد انشرح صدري لجمع شتات هذا الموضوع العظيم من جميع جوانبه؛ طلباً لمرضاة ربي -عز وجلّ-، ونصحاً لإخواني المسلمين؛ وامتثالاً لقوله -عليه الصلاة والسلام-: **«الدين النصيحة»**، قلنا: لمن؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[1].

أولاً: معنى الإحسان لغة:

جاءَ في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٣٨٧) -في حديث الإيمان قال-: فما الإحسان؟ قال: **«أن تعبُدَ الله كأنّك تراهُ فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[2].

أراد بالإحسان: الإخلاص، وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معاً.[3]

وقيل: أراد بالإحسان: الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإن من راقب الله (حسن عمله).

وقال في «المعجم الوسيط» (١/ ١٧٤): «أحسنَ: فعل ما هو حسن، وفي التنزيل: **﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾**، والشيء أجاد صنعه، وأتقنهُ، وفي التنزيل: **﴿وصوّركم فأحسن صوركم﴾**.

والحسنة ضد السيّئة من قولٍ أو فعلٍ، وفي التنزيل: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾**، والأحسن: الأفضل، وفي التنزيل: **﴿الذين يستمعون القول فيتبعون**

(١) رواه مسلم (٢ / ٣٦ - ٣٧).

(٢) رواه مسلم (١/ ١٥٧ - ١٥٨).

(٣) على معنى أن الإخلاص ههنا هو توحيد الله -تعالى- رباً ومعبوداً وبأسمائه وصفاته؛ فتأمّل.

أحسنه﴾.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- والقرطبي أقوالاً كثيرة في تعريف الإحسان لغة منها:

١- الإخلاص. ٢- الفرائض.

٣-اجتناب المنهيات. ٤-ترك الظلم.

٥-النافلة. ٦- الخشوع.

٧- التفضل.

٨- مقابلة الخير بأكثر منه، ومقابلة الشرّ بالترك، أو بأقلّ منه.

٩- المشاهدة. ١٠- المراقبة.

١١- العفو.(١)

وأما الإحسان شرعاً: فكما فسره النبي ﷺ حيث قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك».

ثانياً: ذكر أدلّة الإحسان من الكتاب والسنة:

لقد ورد الأمر بالإحسان والحث عليه وبيان فضله في آيات وأحاديث كثيرة فمن ذلك:

• قال -سبحانه-: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[النحل:٩٠].

• وقال -تعالى-: ﴿وأحسنوا إنّ الله يحبُّ المحسنين﴾[البقرة:١٩٥].

• وقال -تعالى-: ﴿وقضى ربُك ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحساناً﴾[الإسراء:٢٣].

• وقال -تعالى-: ﴿هل جزاءُ الإحسان إلاّ الإحسان﴾[الرحمن:٦٠].

■ وأمّا أحاديث النبي ﷺ فمنها:

• عن سمرة، عن النبي ﷺ، قال: «إنّ الله محسن فأحسنوا».

«صحيح الجامع» رقم (١٨٢٣).

• عن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ، قال: «إنّ الله مُحْسِنٌ يُحبُّ المحسنين...».

«صحيح الجامع» (١/ ٣٧٤).

• وعن عائشة، قالت: قال النبي ﷺ: «من ابتلي من هذه البنات بشيءٍ فأحسن إليهنّ كُنَّ له ستراً من النّار».

مسلم (١٦ / ١٧٩).

• وفي حديث ابن عباس -في كسوف الشمس-، فقال النبي ﷺ: «... ورأيت

(١) «الفتح» (١٠ / ٤٨٠)، والقرطبي في «جامعه» (١٠ / ١٥٠).

النّار فلم أر كاليوم منظراً، ورأيت أكثر أهلها النساء»، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بكُفرهِنّ»، قيل: أيكفُرن الله؟ قال: «بكفر العشير وكُفر الإحسان، لو أحسنْت إلى إحْداهنّ الدهر، ثُمّ رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط».

مسلم (٦ / ٢١٢١-٢١٣).

ثالثاً: حُكْمُه:

إنّ الإحسان لفظةٌ جامعةٌ لمعان كثيرة، ولذلك فإنّ حكم الإحسان يتبع ما أُريد بهذه اللفظة من معنىً -إيجاباً أو ندباً-؛ فإن كانت لفظة الإحسان يقصد بها: الإخلاص، وأداء الفرائض، واجتناب المنهيات، وترك الظلم: فلا شكّ أنّ الإحسان يكون واجباً، وإنْ كان يقصد من لفظة الإحسان: العفو والتفضل والنافله ومقابلة الخير بأكثر منه والشرّ بالترك أو أقلّ منه؛ فالإحسان يكون مستحباً.

● قال الحافظ في «الفتح» -نقلاً عن ابن التين-: «والعدل واجب، والإحسان مندوب إليه».

● وقال ابن كثير -رحمه الله- في قوله -تعالى-: ﴿إنّ الله يأمرُ بالعدل والإحسان﴾.

يخبر -تعالى- أنّهُ يأمر عباده بالعدل -وهو: القسط والموازنة- ويندبُ إلى الإحسان.

● وقال ابن تيمية -رحمه الله-: ..فقد تبين أنّ ما فعلهُ النبيُّ ﷺ من طلب الدعاءِ من غيره، هو من باب الإحسان إلى النّاس الذي هو واجبٌ أو مستحب.

رابعاً: فضل الإحسان:

وللإحسان فضلٌ عظيم فمن ذلك:

١- **الجزاءُ من جنس العمل:** فمن أحسن عبادة ربه -عز وجل- فعبده -وحده-، وأخلص دينهُ للهِ -وحده-، وكذلك أحسن إلى عباد الله، وإلى بعض مخلوقاته -حسب قدرته وطاقته-؛ فاللهُ -جلّ وعلا- لا يضيع أجر المحسنين.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: أي: لا لمن أحسن العملَ في الدنيا إلاّ الإحسان إليه في الآخره.

٢- **دُخولُ الجنَّةِ.**

٣- **النظرُ إلى وَجْهِ الله -عز وجل-.**

٤- **حفظ وجوههم من القتر والذلة:**

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿للذين أُحْسنوا الحُسْنى وزيادة ولا يرْهقُ وُجُوهَهُم قَتَرٌ ولا ذلةٌ أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدُون﴾ [يونس: ٢٦].

قال الحافظُ ابن كثير في تفسير هذه الآية: يخبرُ -تعالى- أنّ لمن أحْسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصّالح: الحسنى في الدار الآخرة؛ كقوله -تعالى-: ﴿هلْ جزاءُ الإحْسان إلاّ الإحْسان﴾. وقوله ﴿وزيادة﴾: هي تضْعيفُ ثواب الأعمال بالحسنة عشْرُ أمثالها إلى سَبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضاً، ويشْملُ ما يُعْطيهم اللهُ في الجنات من القصور والحور والرِّضا عَنْهُم، وما أخْفاهُ لهُم مِنْ قُرة أعيُن.

وأفضل ذلك وأعلاه: النظرُ إلى وجهِ اللهِ الكريم فإنّهُ زيادةٌ أعظمُ من جميع ما أُعطوه لا يسْتحقُّونها بعملِهم بل بِفضلِهِ ورحمته.

خامساً: الأجرُ العظيمُ الذي يدّخُرهُ الله -عز وجل- للمُحْسنِين يوم الدين:

قال -سبحانه-: ﴿الذين استجابُوا لله والرسول مِنْ بعْد ما أصابَهُم القرحُ للذين أحْسنوا مِنْهم واتقوا أجرٌ عظيم﴾ [آل عمران: ١٧٢].

سادساً: نصرُ الله وتأييدُه وحفْظُهُ للمُحْسنِين:

قال -سبحانهُ وتعالى-: ﴿إنّ اللهَ معَ الذين اتقواْ والذين هُم مُحْسنونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

قال الحافظُ ابنُ كثير -رحمَهُ اللهُ- في هذه الآية: ومَعْنى: ﴿الذين اتقوا﴾؛ أي: تركوا المُحرّمات ﴿والذين هُم مُحْسِنونُ﴾؛ أي: فعَلُوا الطاعات فهؤلاء يحفَظُهُم الله ويكلؤهُمْ وينصُرُهم ويؤيدُهُم ويَظْفرُهُم على أعدائِهِم ومخالِفِهِم.

قلتُ: فالمعيةُ المذكورةُ في قوله -تعالى-: ﴿إنّ الله مع الذين اتقوا﴾؛ هي المعيةُ الخاصةُ التي تكونُ لِرسُله وأنبيائه وعباده المؤمنين؛ فإنّ معيةَ الله لخلقهِ تكونْ عامّةً للناس أجمعين، وخاصّةً لعباد الله الصالحين؛ كما جاء في كتاب «الأسئلة والأجوبة الأُصولية على العقيدة الواسطة» (٢٠٤).

يتبع في العدد القادم●



أسطورة: وامعتصماه...!

• بقلم: الشيخ سعد الحصين

التاريخ المُدوّنُ -وحده- لا يصلح مرجعاً في أمور الشريعة؛ لأن التاريخ مبنّي على ظن كاتبه وعاطفته، والشريعة مبنيّة على يقين الوحي في الكتاب والسنة وفقه الأئمة الأوّلين في نصوصه، ولكن النفس البشرية -﴿إلا ما رحم ربي﴾- تميل إلى الباطل، ويثقل عليها الحق.

وقد استجاب أكثر خطباء ووعاظ القصص والفكر والحركيّة -في العقود الثلاثة الأخيرة- لدواعي الهوى والعاطفة من النفس، ودوافع النفث والتّسويل من الشيطان؛ فحوّلوا أكثر دروس العلم الشرعي وحلق الذّكر وخُطب الجمعة إلى أساطير من كتب التاريخ يحسبها الظمآن ماء، حتى إذا جاءها وجدها ألواناً من السّراب تبعده عن الماء، وتصدّه عن الصراط المستقيم إليه.

ومن هذه الأساطير أسطورةٌ ألهبت حماس الشباب وحناجرهم وعواطفهم، وأضاعت شرع الله لخطبة الجمعة التى فرضها الله مرة في الأسبوع لتعليم المسلمين أحكام الإسلام، وتذكيرهم بأيام الله وآلائه، وإعدادهم للقائه وحسابه وجزائه.

• ومجمل الأسطورة: أن عِلْجاً من الروم أهان امرأة مسلمة، فصرخت: وامعتصماه! فحرّكت صرختها غيرة المعتصم وغضبه، فأوطأ جيش المسلمين أرض الروم أخذاً بثأر المرأة التي استنجدت به.

وهدف الأسطورة تقديم مَثَل صالح قدوة لقادة المسلمين لتعود للإسلام عزّته.

قد تكون واحدةٌ من الروايات -التي يتفنّن وعّاظ وخطباء الفكر والقصص في نحتها والتغني بها- صحيحةً، ولكن ذلك

لا يجعل المعتصم -نفسه -تجاوز الله عنّا وعنه- قدوة صالحة للراعي المسلم ولا للرّعية المسلمة للأسباب التالية:

١- لم يُذْكر المعتصم -تجاوز الله عنا وعنه- بالعلم الشرعي، بل قالت عنه كتب الأعلام أنّه كره العلم في صغره، ومات شبه أمّي!

انظر «سير أعلام النّبلاء» للذهبي، و«الأعلام» للزِّرِكْلي.

٢- غزو المعتصم بلاد الرّوم وفتح عمورية -كما يذكر التاريخ- ليس من القتال في سبيل الله إذا صدق كتّاب التاريخ في الرّواية، فجيش المسلمين وأنفسهم وأموالهم لا تعرّض للأخطار والأهوال غضباً ولا من أجل الحمية ولا لإظهار الشجاعة، وإنما يكون القتال لغرض واحد: أن تكون كلمة الله هي العليا، قال الله -تعالى-: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله**﴾.

وقيل لرسول الله ﷺ: الرّجل يقاتل شجاعةً ويقاتل حمية -وفي رواية: ويقاتل غضباً-، فَمَنْ في سبيل الله؟ فقال النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه.

العلماء والمحققون يقفون من أمثال يزيد والمعتصم موقفاً وسطاً... فهم لا يحبونهم، ولا يسبونهم

٣- لو كان مجرد الغزو والفتح مثالاً يحتذى لكان يزيد -تجاوز الله عنا وعنه- ابن معاوية -رضي الله عنه- أولى منه باتخاذه قدوة؛ فهو من كبار الطبقة الأولى من التابعين، وثاني ولاة المسلمين بعد عصر الخلفاء الراشدين، عهد إليه بالولاية والده معاوية ابن أبي سفيان -رضي الله عنهما- أحد كبار الصحابة ورواة الحديث، استكتبه رسول الله ﷺ، واستعمله في القيادة والولاية أبو بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم أجمعين-، وفتح الله في عهد يزيد على المسلمين المغرب الأقصى وبخارى وخوارزم وهو أول من غزا القسطنطينية، وكان أمير جيش المسلمين في هذا الغزو وكان من بينهم بعض الصحابة مثل أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه وعنهم أجمعين-، وقد صحّ الحديث عن ثناء النّبي ﷺ على أول جيش يغزوها وعلى أميره. ولكن العلماء المحققين يقفون

من أ مثال يزيد والمعتصم موقفاً وسطاً، فهم لا يحبّونهم ولا يسبّونهم -تجاوز الله عمّن مات لا يشرك بالله شيئاً-.

٤- المعتصم -تجاوز الله عنّا وعنه- أحدث من الفتنة في الدّين شراً مما نُسب إلى يزيد من القتل في المدينة النّبويّة، قال الله -تعالى-: **﴿والفتنة أشدّ من القتل﴾**، وكذلك ما افتراه عليه بعض فرق الضّلال من الأمر بقتل الحسين -رضي الله عنه-؛ فقد امتحن المعتصم علماء الإسلام وبخاصة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- بفتنة خلق القرآن التي بدأت في عهد أخيه المأمون، واستمرت في عهد ابنه الواثق، حتى جاء ابنه المتوكّل فأزالها، وانتصر للسنة ولإمام السنّة وأخرجه من سجن الثلاثة -تجاوز الله عنّا وعنهم-، ورفعه إلى المقام الذي يليق، في صدر مجلس المُلك والحكمة -جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خير جزائه-.

٥- إذا سلّمنا بما أورده المؤرّخون عن هذا كله؛ فكيف يُقِرُّ من وهبه الله نعمة الإسلام والعقل أن انتصار وليّ أمر المسلمين لرواية ظنيّة عن امرأة مجهولة الحال أرجح في ميزان العدل والإيمان من انتصاره للسنّة ومنهاج السنّة وأئمة السنّة؟!

لقد أوصل الفكر والحركية -بقلة نصيبهما من العلم والتثبّت- أكثر شباب الصحوة -في العقود الأخيرة- إلى مثل ما أوصل الجهل والتقليد من قبلهم من الضُلاّل عن منهاج النبوة في الدين والدّعوة؛ فتغلّب الهدف الأدنى على الهدف الأعلى، والمهمَ -بل غير المهمّ!- على الأهمّ في علمهم وعملهم، في خُطبهم ودعوتهم وكفاحهم.

وإنّ نظرة صادقة واستقراءاً محقّقاً للقضايا التي تحرّك لها دعاةُ الفكرِ والحركية وأتباعُهم، وبذلوا فيها أموال المسلمين وجهودهم وحماسهم -بل ودماءهم- في العقدين الأخيرين، لتبيّن أنّ المحرّك الأول والأخير: كسب الأرض باسم الدّين! لا الدين نفسه الذي لا يكاد أكثر المسلمين يعرف وجه الحق فيه! ولم تكن هذه الأرض بأوثانها أو بدعها أو إلحادها تحرّك ساكناً من القلوب والأبدان والألسن والهمم والأقلام مِنْ قبْل أن يثور الخلاف على التراب والولاية عليه.

ردّ الله المسلمين جميعاً إلى دينهم ردّاً جميلاً.

وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد●

المنّ سوءٌ...

• بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي

بين وفاء المُحْسَنِ إليْهِ، وعطاء المُحْسِنِ؛ خصلتان ذميمتان، وخلّتانِ قبيحتان؛ كلٌّ منهما راجعةٌ إلى واحدٍ من الاثنين:

الأولى: غَدْرُ المُحْسَنِ إليه.

والثانية: مَنُّ المُحْسِنِ بإحسانهِ.

أمّا الغَدْرُ؛ فهو شأنٌ قبيحٌ جداً، يستقبحهُ كلُّ أحدٍ حتى المواقعُ له، المتلبّسُ به؛ لذلك نرى الغادرَ يُزري بنفسه، ويستقبحُ ذاته، فهو قميءُ الفعلِ، دنيءُ العَمَلِ..

أمّا المنُّ؛ فهو بابٌ إلى السُّوءِ كبير، ومفتاح للإثم عظيم، طريقٌ يهدم به ذو الإحسان إحسانَهُ، ويُفشل به صاحب الخير برّه وعطاءَه؛ ومن ههنا قيل: (المِنّة تهدمُ الصَّنيعة)؛ لأنّه للسوءِ وسيلةٌ وذريعة..

والمَنُّ -من حيث أثرُهُ- تكديرٌ سيّءٌ تتغيّر منه القُلُوب، وتتأثّر به النفُوس؛ لما يحويه من استعلاءٍ، وتكبُّر -من جهة المانّ-، وإذلالٍ وانكسار يُصيب الممنونَ عليه...

> المنّ -من حيث أثره- تكدير سيئ تتغير منه القلوب، وتتأثر به النفوس؛ لما يحويه من استعلاء، وتكبّر -من جهة المانّ-، وإذلال وانكسار يصيب الممنون عليه...

وقد قال الإمام أبو حيّان الأندلسي في «البحر المحيط» (٢/ ٣٠٣): «المنُّ المذمومُ: هو ذِكر المِنّة للمُنْعَم عليه على سبيل الفخر عليه بذلك، والاعتداد عليه بإحسانه...».

وفي قول الله -تعالى-: **﴿الذين يُنفقون أموالَهم في سبيلِ الله ثم لا يُتْبِعون ما انفقوا مَنّاً ولا أذىً لهم أجرُهم عند ربهم**

﴿ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾، بيانٌ للمعطاء الحقِّ وصورتِهِ، ثم إيضاحٌ للمنِّ الباطلِ وصفتِهِ...

قال أبو حيّان -مُشيراً إلى المنّ والأذى، وأنهما مُبطلان للصدقة، مبيّناً حقيقة المُعْطي على وجه الشرع-: «.. ولكن يُراعي جهةَ الاستحقاق؛ لا جزاءً من المُنْفَق عليه، ولا شكراً له منه، ويكون قصدُهُ خالصاً لوجه اللهِ -تعالى-:

فإذا التمس بإنفاقهِ الشكرَ والثناء كان صاحبَ سُمعةٍ ورياءٍ.

وإن التمسَ الجزاءَ كان تاجراً لا يستحقُّ حمداً ولا شكراً.

والمنُّ من الكبائرِ؛ لما ثبت في «صحيح مسلم» -وغيره- أنّ المانَّ أحدُ الثلاثةِ الذين: «... لا ينظُر اللهُ إليهم، ولا يُزكّيهم، ولهم عذابٌ أليم».».

وقال الإمام القرطبي -كما في «الفتح» (٣/ ٢٩٩)-: «المنُّ -غالباً- يقع من البخيل والمُعجَب؛ فالبخيلُ تعظُم في نفسِه العطيّةُ -وإن كانت حقيرةً في نفسها-، والمُعْجَبُ يحمله العُجْبُ على النظر لنفسه بعين العظمة، وأنّه مُنْعِمٌ بمالهِ على المعطى، وإن كان أفضَل منه في نفس الأمر.

وموجب ذلك كلّه الجهلُ، ونسيانُ نعمة الله فيما أنعم به عليه...».

ومن أشَدِّ القبيح وأنكاه أن يحتجَّ مانٌّ -ليصحّحَ صنيعَه- بأنَّ المُعْطي لم يُوَفِّه حقَّه، أو لم يشكره على عطائه!!

فكان ماذا؟! أإذا أساءَ (هذا) يُجابَهُ بإساءةٍ أعظمَ ترجعُ إلى صاحبها نفسِه، وتُفسد عليه عطاءَه، بل عملَه...

وقال قال اللهُ -تعالى- ناهياً وزاجراً: ﴿ولا تَمْنُن تستكثر﴾.

وفي «سُنَن النَّسائي» عن ابن عُمر -مرفوعاً- توعُّدُ «المانّ بما أعطى» بعدم دخول الجنّة...

وروى الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» عن أبي مُليكة الذِّماريّ في قولهِ -سبحانه-: ﴿إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ قولَه: «المنّان والمُختال».

... فالمنُّ منكرٌ وبلاء، وعَمَلٌ يسوءُ ويُساء، وطريق إلى الأذى والأدواء، والبلاء، واللأواء..●



مُعَوِّقات في طريق العلم الشرعي

● بقلم: فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان

على الرغم من أن الأمة الإسلامية حققت من الخير في عصورِ ضَعْفِها ما لم يحققه نظام في تاريخ البشرية كلها؛ ذلكم أنها قامت برسالتها في مجالات الحياة ومجالات العقيدة ومجالات الفكر والسلوك، كل هذه المجالات حققت فيها الأمة الإسلامية -رغم انحراف الخط السياسي- أشياء لم تحقق على يدي أمة أُخرى في التاريخ.

ومما يدعو للأسى والحسرة أنه توجد جهات في تلك البلاد -التي تستورد علمها ونظرياتها من هنا وهناك- تدافع عن قِيَم التغريب في نظامها التربوي بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ولن يستقيم أمر التعليم الإسلامي -هناك- حتى يكون من المواد الدراسية الأساسية: التربية الإسلامية، الكتاب والسنة، والسيرة النبوية وسير السلف الصالح من هذه الأمة؛ فيدرس الكتاب العزيز على أنه المعجزة الخالدة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يدرس بطريقة يؤْمن بها الطالب بخلود هذا الكتاب العظيم وإعجازه وكونه المفتاح الرئيسي لأقفال الحياة، وكون عقيدته وهتافه: ﴿**إن ربي على صراط مستقيم**﴾.

إنه لا يكفي أن نؤمن به مجرد إيمان، بل نتذوق حلاوته، ويملأ حبه جوانحنا حتى يملك علينا مشاعرنا وتفكيرنا، كما يجب أن يكون أساسَ علم التوحيد وشرح العقيدة الإسلامية كما وضحه رسول الله ﷺ وفهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ثم السنة الشريفة يجب أن تدرس بطريقة يؤمن بها الطالب بقيمتها العلمية وتوجيهها للحياة وتنظيم المجتمع الإنساني على أسس إيمانيه جديدة، كما تجب العناية بنواحيها الخُلُقية والاجتماعية والسلوكية والفقهية، وتدرس الشبهات التي وجهت إلى مكانة السنة في الشريعة الإسلامية وحجية الحديث وتاريخ تدوينه وما أثاره ويثيره المستشرقون بين حين وآخر للنيل من هذه السنة المطهرة.

"

يجب أن تكون السنة المحمدية، والسيرة النبوية من المواد الدراسية الرئيسة فتدرس بطريقة مؤثرة مرققة لا تنقل إلى الدارس بل ينقل الدارس إليها

"

كما يجب أن تكون السنة المحمدية، والسيرة النبوية من المواد الدراسية الرئيسة فتدرس بطريقة مؤثرة مرقّقة لا تُنقل إلى الدارس بل ينقل الدارس إليها، وتبرز فيها المواقف الإنسانية لشخص رسول الله ﷺ وقدوته، ويلي هذه المواد الدراسية دراسة أحكام التشريع والتقليد والتطرف، ويلي ذلك تعلم الفقه وأُصول الفقه والأدب العربي وعلوم اللسان، ويتحقق هذا كله بوجود علماء يجمعون بين الإيمان القوي الراسخ، والعلم العميق الواسع، ويجمعون بين القدوة الصالحة والدراسات الواسعة، يتضلّعون من القديم ويفهمون روح العصر، يأخذون من القديم الرسوخ والتبحر في العلم ومن الجديد الاستطلاع وحب الواقعية الشرعيّة.

نريد أن نكتب تاريخ الإسلام من جديد للطفل الصغير واليافع والشاب، وللقارئ عموماً الذي تأثر فكره بهذه السموم الاستشراقية، نريد أن نمنع التيارات المعاكسة للإسلام في مختلف وسائل الإعلام والتي هي المعوقات والمثبّطات بعينها.

نريد أن يكون من أهدافنا لحماية الفكر الإسلامي منعُ هذه الأدوات من بث السموم المعاكسة للإسلام وتوجيهها لخدمة الإسلام، نريد أن نذيب التناقضات بين الغذاء الفكري والثقافي؛ لكي يعيش المسلم واقعاً حياً لقيم الإسلام وتوجيهاته، فلا تقدم له قيم الإسلام وشرائعه ثم يجد في الجانب الآخر ما يناقض هذه الأشياء بما يقرأه في القصة والمجلة الساقطة، أو ما

يراه في الفيلم الذي يشاهده، فالطالب يتلقّى موروثاً ضخماً من العلوم الدينية والقيم الحياتية، ثم يجد ما ينافي ذلك في البيت أو في المدرسة أو في المجتمع...

نعم؛ إن من أعظم أسباب الحَيْرة التي يعانيها الشباب المسلم اليوم هو التناقض في المجتمع الذي يعيش فيه تناقضاً بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه وبين ما يُلَقَّنُونَهُ تلقيناً!!

هذا التناقض العجيب الذي سُلّط عليهم ومُنوا به هو السر في هذه الحيرة المردية.

"هناك تناقضات كثيرة واتجاهات متعددة تتأرجح بين التطرف والاعتدال مما أدى إلى توزيع الجهود وبعثرة الطاقات وعرقلة المسيرة وتأخير فاعلية حركة الدعوة"

هناك تناقضات كثيرة واتجاهات متعددة تتفاوت فيما بينها، وتتأرجح بين التطرف والاعتدال، وبين الفهم الصحيح للإسلام، والفهم المنقوص: مما أدى إلى توزيع الجهود وبعثرة الطاقات وعرقلة المسيرة وتأخير فاعلية حركة الدعوة الإسلامية.

نريد أن نعالج هذا النقص وهذا التقصير الواضح الظاهر في مناهج التعليم فيما يختص بالعقيدة الإسلامية التي هي السلاح الأول في مواجهة التحديات والأفكار الهدامة، يجب أن تقوم نهضة ثقافية إسلامية يقوم بها المصلحون لإزالة أسباب هذا التناقض، وربط الحياة بقيم الدين والأخلاق والسلوك الحسن، وأن تعمل أجهزة التوجيه كلها من التربية والتعليم إلى الإعلام -صحافة وإذاعة وتلفازاً- لتصحيح المفاهيم المغلوطة في الفكر والثقافة، وغرس الفضائل والمُثُل، وكشف السلبيات والانحرافات السلوكية والعقدية؛ حتى تُبنى الحياة على أسس لا تناقض وتوجهاتِ الأمة، ولا تصادم عقيدتها وقيمها.

يجب أن ينطلق التعليم من الأهداف التي تُمَثّل حياة الأمة ويعمق العقيدة التي تقوم حياتها عليها، فلا يُدرس العلم لمجرد العلم والنظريات -منسوبة لأصحابها- دون أن نربط هذا بالقدرة العظيمة قدرة الخالق -سبحانه-، ودون أن نربط هذا بتاريخنا وتراثنا الإسلامي، ونشير إلى أسبقية المسلمين في هذه الميادين.

يجب أن تدعم المناهج الإسلامية

الدينية، وأن يعد المعلم إعداداً يؤهله لقيادة الجيل وتوجيهه، ومتى ما توافرت هذه الأسباب يمكن أن نتفاءل بمستقبل مشرف -بإذن الله-.

■ **من المعوّقات ترك العمل بالعلم:**

ترك العمل بالعلم يكون على قسمين:

الأول: ترك الائتمار بالواجبات الشرعية، وترك الانتهاء عن المحرمات، وهذا كبيرة من الكبائر، وعليه تحمل الآيات والأحاديث المتوعدة مَنْ تَرَكَ العمل بالعلم.

الثاني: ترك المستحبات والوقوع في المكروهات، وهذا يذم لما ورد في الوعيد لمن وقع فيه، يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: «والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به؛ ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلساً مع قوة الحجة فيه، فالعملُ بالعلم مدعاةٌ لحفظه وثباته، وعدمُ العمل به مدعاةٌ لضياعه ونسيانه».

■ **من المعوقات في طريق العلم الشرعي الاعتماد على الكتب دون العلماء:**

يرى بعض من أفاء الله عليه من العلم من نفسه قدرةً على أخذ العلم من بطون الكتب، دون الرجوع إلى العلماء في توضيح عباراته وحل مشكلاته؛ وهذا داء عُضال ابتلينا به، قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «من تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام».

■ **من المعوقات في طريق العلم الشرعي أخذ العلم عن الأصاغر:**

وهذه ظاهرةٌ فشت، وهي أن كثيراً من طلاب العلم يأخذونه عن صغار الأسنان وهو داءٌ عضال؛ لأن أخذ العلم عن صغار الأسنان الذين لم ترسُخ لهم قدمٌ في العلم ولم تَشِبْ لحاهم فيه مع وجود من هو أكبر منهم سناً وأرسخ قدماً يُضعف أساس المبدأ، ويحرمه الاستفادة من خبرة العلماء المشهود لهم بالعلم والفضل، واكتساب أخلاقهم التي قوّاها العلم والزمن؛ **يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-:** «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا».

وذهب ابن قتيبة -رحمه الله- إلى أن الصغار صغار الأسنان، فقال عن أثر ابن مسعود: «يريد: لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحدّته وعجلته واصطحب التجربة والخبرة، ولا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به

الطمع، ولا يستزلّه الشيطان استزلال الحدث؛ فمع السن الوقار والجلال والهيبة، والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أُمنت على الشيخ فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك».

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: «قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم؛ إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من الكبير تابعه الصغير فاهتديا».

وعن أبي الأحوص عن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: «إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم سفّه الصغير الكبير».

وهذا الحكم ليس على إطلاقه فقد أفتى ودرّس جمعٌ من الصحابة والتابعين في صغرهم بحضرة الأكابر، فإذا وجد الصغير وظهرت رصانته في العلم، وأُمنت منه الفتنة: فليؤخذ عنه، فمن أراد العلم من منابعه الأصلية فهاؤم العلماء الكبار الذين شابت لحاهم وذبلت قواهم فليلزموهم قبل أن يفقدوهم.

إننا في زمان اختلَّ فيه معيارُ كثير من العامة في تقييم العلماء، فجعلوا كل من وعظ موعظة بليغة، أو ألقى محاضرة هادفة، أو خطب مرتجلاً يوم الجمعة: عالماً يرجع إليه في الإفتاء! ويؤخذ عنه العلم! وهذه ظاهرة مزرية؛ فليحذر طالب العلم في أخذ العلم عن هؤلاء، وعدم رفعهم إلى منازل العلماء.

■ من المعوقات في طريق العلم الشرعي عدم التدرُّج في أخذه:

والتدرج سنة من سنن الله في الكون، مُخالفتُها في باب العلم الشرعيّ: بابُ شرٍّ كبير، وضلالٍ مستطير.

■ من المعوّقات في طريق العلم الشرعي الغرور والعُجب والكِبر:

معصية الله -تعالى- عائقة عن نيل العلم الشرعي؛ لأنّ العلمُ نور من الله يقذفه في قلوب من شاء من عباده، ولا يجتمع في قلب نور وظلمة؛ ولذا يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: «**إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله**»، ويرحم الله الشافعي حيث قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يُهدى لعاصي

فالتكبر والتعاظم والغرور والعُجب من أقبح الصفات التي يتلبّس بها طالب العلم؛ فيزدري هذا، ويترفّع عن هذا، ويتبختر في

مشيته، ويتشدّق في حديثه... إلى غير ذلك من صفات العُجب التي نهى الله -تعالى- عنها: **﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾**.

قال في «تهذيب الإحياء»: «من أعظم الآفات وأغلب الأدواء: الكِبرُ بالعلم، وأبعدها عن قبول العلاج؛ ذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله، عظيم عند الناس، وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما».

فيجب على طالب العلم أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد، وأنه يحتمل من الجاهلِ ما لا يحتمل عُشْرُهُ من العالم؛ فإن من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته أفحش؛ إذ لم يقض نعمة الله عليه في العلم.

■ من المعوقات في طريق العلم الشرعي استعجال الثمر:

بعضُ الناس يظن أن العلم لقمة سائغة، أو جرعة عذبة، سرعان ما تظهر نتائجها، وتتبين فوائدها، فيأمل في قرارة نفسه أنه بعد مضي سنة -أو أكثر أو أقل- سيصبح عالماً نحريراً لا يشق غباره ولا يُدرك شأوه! وهذه نظرة خاطئة وتصور فاسد وأمل كاسد، أضراره وخيمة، ومفاسده عظيمة؛ إذ يفضي بما لا تحمد عقباه من القول على الله بغير علم، والثقة العمياء بالنفس، وحب العلو والتصدر، وغالباً ما ينتهي مطافه إلى هجر الانتساب للعلم وأهله، لأن العلم بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يرى في المنام ولا يدركه إلا من اعتضد الدفاتر وحمل المحابر وقطع القفار وواصل في الطلب في الليل والنهار.

■ من العوائق في طلب العلم الشرعي دنوُّ الهمة:

من الطلاب مَنْ هو قليل البضاعة يكتفي بقليل من الأحاديث ولا يتعداها، وبضع آيات من القرآن لا يبرحها، بضاعته في العلم قليلة، قد قعدت به همّته فمحقت مواهبه، وأزالت بهاءَ نبوغِهِ يقنع بيسير المعلومات ويأنف من القراءة والمطالعة، ويتشاغل عن الطلب والتحصيل، قال الفراء -رحمه الله-: «**لا أرحم أحداً كرحمتي لرجلين: رجل يطلب العلم ولا فهم له، ورجل يفهم ولا يطلب، وإني أعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم**».

فينبغي للعاقل ألا يبغي بالعلم بدلاً، ومن أنس في نفيه النبوغ والذكاء لا يشتغل بسواه أبداً، وإلا فما أشدَّ خسارته! وما أعظم مصيبته!

على طالب العلم أن يتحلّى بالصبر والجد والمثابرة، وبهذا السبيل يستطيع التحصيل، فمن طلب شيئاً وجدّ وجَد، ومن قرع الباب ولجّ ولجَ، وبقدر ما تتعنّى تنال ما تتمنى.

وبقــدر الكد تكسب المعــالي
ومن طلب العُلا سـهـر الليـالي
تـروم العـــزَّ ثم تنام ليــــلاً
يغوص البحر من طلب اللآلي

وقد قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب.

والمثابرة على طول طريق التعلم عنوان الهمة.

■ من عـــوائق طلب العلم الشــرعي التسويف والتمنّي:

قيل لبعض الحكماء: مَن أسوأُ الناس حالاً؟ قال: من بَعُدت همته، واتسعت أمنيته، وقصرت آلته، وقلّت مقدرته، فليدع الأماني الكاذبة والخيالات الكاسدة وأحلام اليقظة التي تضيّع الوقت وتطيش في الميزان●

الفقه في الدين

* العلامة محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله-

إن في الفقه فقهاً لا تصل إليه المدارك القاصرة، وهو لباب الدين، وروح القرآن، وعصارة سنة محمد ﷺ، وهو تفسير أعماله وأقواله وأحواله ومآخذه ومتاركه؛ وهو الذي ورثه عنه أصحابه وأتباعهم إلى يوم الدين؛ وهو الذي يسعد المسلمون بفهمه وتطبيقه والعمل به؛ وهو الذي يجلب لهم عز الدنيا والآخرة؛ وهو الذي نريد أن نحييه في هذه الأمة فتحيا به، ونصحح به عقائدها ونقوم به فهومها، فتصح عباداتها وأعمالها، فإن العبادات هي أثر العقائد، كما أن الأعمال هي آثر الإرادات، وما بني منها على الصحيح يكون صحيحاً، وما بني على الفاسد فهو فاسد.

إن الإسلام إنما شرع العبادات لتكون شواهد وبينات على العقائد الإيمانية، ثم جعل المسجد بيته ليكون مظهراً لتلك الشهادة، فكل ما يقع فيه من صلاة اجتماع لها، ومجالس مدارسة، وخطب فهو إعلان لتلك الشهادة، وكل ما يتصل به من محراب ومنبر ومئذنة وإمام فهو مؤد لتلك الشهادة، فيجب أن تتظاهر هذه الأشياء كلها على الحق، وأن يكون بناؤها على أساس الحق، حتى تكون شهادتها حقاً على عقائد الحق.

وإن كل ما يؤديه المسجد في -حكمته الإسلامية- فهو إقامة لدولة القرآن، وتشييد لمدرسة القرآن، ورفع لمنارة القرآن، وكل مختلف إلى المسجد، مقيم لحقه وحق الله فيه فهو «خريج» مدرسة القرآن، و«خريجو» هذه المدرسة هُم الذين عدلوا ميل الناس، وكانوا في هذه الدنيا نوراً ورحمة.

وإن المسجد لا يؤدى وظيفته، ولا يكون مدرسة للقرآن، إلا إذا شاده أهل القرآن، وعمروه على مناهج القرآن والسنة، وذادوا عنه كل عادية، وما جعل القرآن المساجد لله إلا لتكون منبعاً لهدايته، وما وصف الذين يعمرون مساجد الله بأنهم لا يخشون إلا الله -إلا ليقيم الحجة على ضعفاء الإيمان ويعزلهم عن هذه المرتبة. [جريدة البصائر العدد(١٥٣) سنة ١٩٥١م]



الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند النقد

● بقلم: الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي

إن القائلين بوجوب الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند الرد على أهل الأهواء والبدع، وعند بيان الأخطاء والأغلاط التي وقع فيها بعض الرجال أو الطوائف -في التصريحات والمؤلفات- لا يملكون على إطلاق قاعدتهم هذه دليلاً من كتاب ولا سنة بالفهم الصحيح، **إذ إنها ليست قاعدة مطّردة عند علماء السلف وأتباعهم، وليست منهجاً مسلوكاً لعلماء الجرح والتعديل** -كما هو موضح في كتبهم -رحمهم الله-، وليست هدياً معتبراً يجب الالتزام به باطّراد عند من سَلَفَ من أئمة السلف وأتباعهم؛ ممن قام بالرد على أصحاب البدع المضلّة والأهواء التي تهوي بأصحابها في مكان سحيق.

وما استدل به أصحاب قاعدة وجوب الموازنة السالفة الذكر من أدلة التحذير من الظلم وفقدان العدل والإنصاف؛ فإن الأدلة صحيحة وحق، ولكنها ليست صريحة في إلزام من رد على صاحب بدعة أو هوى أو خطإ، أو ذكر مجروحاً بما فيه من جرح؛ حراسة للحق المبين ونصحاً للمسلمين، أن يعدد محاسن المردود عليه، ويغْري بها من قلّ نصيبه من الفقه في الدين.

وأما القائلون بعدم وجوب الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند النقد والرد المنوّه عنهما آنفاً فإنهم يملكون أوضح الأدلة من الكتاب والسنة، كقول الله -عز وجل-: **﴿وقَدِمْنَا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه**

هباء منثوراً﴾.

وهؤلاء الذين ذكرهم الله ذاماً لهم ومبطلاً لأعمالهم؛ لا شك أن لهم حسنات من إكرام الضيف وحماية الجوار وسقاية الحاج ونصرة المظلوم أحياناً، ولكن لما هدموها بالشرك الأكبر لم يذكر لهم شيئاً منها بل صيَّرها هباءً منثوراً.

وعليه؛ فلا وجه صحيحاً مع من يقول بوجوب ذكر المحاسن عند نقد المساوئ وبيان الأخطاء الصادرة من أهل الأهواء والبدع، وغير هذا النص في معناه كثير.

ومن السنة: قول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس -لما أخبرته أن أبا جهم ومعاوية خطباها- قال: **«أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد...»** الحديث، ومن غير شك أن لكلٍّ من أبي جهم ومعاوية محاسن عظيمة وأعمالاً جليلة ولكن لما كان المقام مقام نصيحة ومشورة للمرأة لم يذكر شيئاً من محاسن الرجلين، وهذا من الحكمة التي تقتضي وضع كل شيء في محله، فمتى اقتضى الحالُ الجمع بين ذكر محاسن الشخص ومساوئه، ومتى اقتضى الحال الاقتصار على ذكر المساوئ فلا يلزم إضافة ذكر المحاسن منها، وذلك كالرد على أهل الأهواء والبدع وفاحشي الغلط.

هذا وإنني لأحمد الله -تبارك وتعالى- بأنني لست منفرداً بما ذهبت إليه في هذه القضية؛ بل قد قال قبلي أئمة هدى، وأصحاب علم وفضل وتقوى بعدم وجوب الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند الرد على أهل الأهواء والبدع وأهل الأغلاط والأخطاء الفاحشة المتعلقة بالعقيدة والمنهج العملي؛ ومنهم على سبيل المثال:

- **صاحب السماحة الشيخ: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز الأثري -رحمه الله تعالى-.**
- **وصاحب الفضيلة الشيخ: عبد العزيز المحمد السلمان -وفقه الله-.**
- **وصاحب الفضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله-.**

فأما صاحب السماحة الشيخ: **عبد العزيز بن باز -رحمه الله-** فقد وُجِّهَ إليه السؤال التالي في نفس الموضوع: «يُوجد أناس يوجبون الموازنة؛ أي: أنك إذا

انتقدت مبتدعاً بدعته ليحذره الناس؛ يجب أن تذكر حسناته حتى لا تظلمه؟».

فأجاب الشيخ -رحمه الله- قائلاً: «لا؛ ما هو بلازم، ولهذا إذا قرأت كتب أهل السنة وجدت إيراد التحذير، اقرأ في كتب البخاري: كتاب «خلق أفعال العباد»، وكتاب «الأدب» في «الصحيح»، وكتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة، ورد عثمان بن سعيد الدارمي على أهل البدع إلى غير ذلك، يوردونه للتحذير من باطلهم؛ فليس المقصود تعديد محاسنهم، بل المقصود التحذير من باطلهم، ومحاسنهم لا قيمة لها بالنسبة لمن كفر إذا كانت بدعته تكفره بطلت حسناته، وإذا كانت لا تكفره فهو على خطر، فالمقصود هو بيان الأخطاء والأغلاط التي يجب الحذر منها».

وأما الشيخ: **عبد العزيز المحمد السلمان -حفظه الله-**؛ فقد وُجِّه إليه السؤال التالي: «هل يشترط الموازنة بين الحسنات والسيئات في الكلام على المبتدعة في منهج السلف؟».

فأجاب عليه بقوله: «اعلم -وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين- أنه لم يُؤثر عن أحد من السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان تعظيم أحد من أهل البدع والموالين لأهل البدع والمنادين بموالاتهم؛ لأن أهل البدع مرضى القلوب، ويخشى على من خالطهم أو اتصل بهم أن يصل إليه ما بهم من هذا الداء العضال، لأن المريض يعدي الصحيح ولا عكس، فالحذرَ الحَذرَ من جميع أهل البدع، ومن أهل البدع الذين يجب البعد عنهم وهِجرانهم: الجهمية، والرافضة والمعتزلة والماتريدية والخوارج والصوفية والأشاعرة ويحذّر منهم». اهـ.

وأما **الشيخ: صالح الفوزان**؛ فقد وُجِّه إليه السؤال التالي -بعد أن سئل عدة أسئلة عن الجماعات-: «هل نُحذّر منهم دون أن نذكر محاسنهم ومساوئهم؟».

فأجاب -حفظه الله- قائلاً: «إذا ذكرت محاسنهم دعوت لهم؛ (لا) لا تذكر محاسنهم، اذكر الخطأ الذي هم عليه فقط؛ لأنه ليس موكولاً إليك أن تدرس وضعهم وتقوّمهم إنما موكولٌ إليك بيان الخطإ الذي عندهم من أجل أن يتوبوا منه،

ومن أجل أن يحذره غيرهم، أما إذا ذكرت محاسنه قالوا: جزاك الله خيراً؛ هذا الذي نبغيه». اهـ.

ومصادر هذه الأقوال محفوظة لدينا والحمد لله.

وإذا كان الأمر كما رأيت وسمعت؛ فإن القوم الذين يخطئون أصحاب الردود على أهل البدع في دين الله عند اقتصارهم على رد البدعة وبيان الخطأ بدون ذكر محاسن المردود عليه لا يخلو أمرهم من حالين:

أحدهما: الجهل بمنهج السلف وأتباعهم من العلماء الربانيين في هذه القضية، وهذه مصيبة عظيمة لما في ذلك من مجانبة الحق والصواب.

متى سقط المبتدعون من أعين الناس... سقطت كتبهم، وسقط المدافعون عنهم والمروجون لأفكارهم ونشراتهم

والثاني: قصد التلبيس على الناس بذكر شيء من محاسن أهل البدع فلا يسقطون من أعين الناس؛ وبالأخص طلاب العلم منهم وهذه أعظم! وحقاً؛ أنه متى سقط المبتدعون من أعين الناس بسبب ضلالاتهم سقطت كتبهم، وسقط المدافعون عنهم والمروِّجون لأفكارهم وكتبهم ونشراتهم، ولْيرجعوا إلى جادة الحق ونصرته والاقتداء بأئمته ولْيخلِّصوا أنفسهم من اتباع الهوى والتعصب المقيت الأعمى؛ فإن ذلك خير لهم وأبقى في الآخرة والأولى.

وأذكر أني قلت قديماً مخاطباً القائلين بوجوب الموازنة المذكورة ما يحسن إيراده هنا:

قلت مهلاً غُزاةَ القوم من خَلَفٍ
أين الحديث عن الأسلام والأثرُ
لقد تركتم سبيل الحق مَعْ أسَفٍ
حين انتقدتم على الأسلاف ما سطروا
في منهج النقد ذاك النهج رائده
نور الهداية للأجيال ينتشرُ
إن الردود عن الأجيال قد حُفِظت
بدون مدح لذي الأهواء فاعتبروا
إذ ما لخبرٍ عن الأسلاف من خَبَرٍ
يمجِّد الجهم ذاك الظالم الأشِرُ

كلا ولا الجعد في أخبارهم نُشِرت
له المحـاسن يا إخـوانُ فـادّكـروا
وهل سـمعتم بُناةَ الحق من عَلَمِ
قـد قـال بَشّرْ لنهج الحق ينتـصـرُ
أو واصل الشر قد جاءت محاسنه
في الذكر كلا ولا الأخيار قد ذكروا
شيئاً لعمرو سقيم الفكر منخدعاً
بمنطق القوم من للسوء قد نَصَروا
ومَعْبَد الزيغ والغَيْلان منهجـهم
كقـوم جهم هم الأعـداء والخطرُ
ثم الخـوارج بالتكفـيـر قد نطقـوا
وقيل فيهم كـلابُ النار ما ذكـروا
بكثـرة الجِدّ في الطاعات تزكيـة
لكن بيـاناً وإعـلامـاً بما مكروا
وكم سواهم من الضلال قد بُسِطت
مثالب الكُلّ للأسلاف فاعتبروا
ولو قرأتم فنون الجرح لاتضحت
تلك القـواعـد بالبطلان يا بَشَرُ
ثم لقمتم رجال الفقه في صَلَف
بالظلم جهراً وذاك الجهل والغَرَرُ
قلتم غـضـبا على الكتـاب من سلف
لما رأينا من الأسـمـاء مـا ذكـروا

فـقلت توبوا فـإن الله يقـبلكم
ويغفر الذنب كلَّ الذنب فابتدروا
وتوبة العبـد قبل الموت موجبـة
لرحـمة الله مثل الغـيث تنهـمـرُ
ما أحوج النـاسَ في الدنيا لمغفرة
من خالق الكون جلّ الرب مقتدرُ
وساعةَ الحشر إذ تبلى سرائرهم
يا ربِّ لطفـاً بمن يخـشى ويدَّكِرُ
للخلق يومٌ شـديد الهمِّ ذو كَرْبِ
يشيـب منها صغير السن فانتظروا
يا رب هيِّئ لهـــذا الدين ألْويةً
تهـدي السبيل وبالآيات تعـتبـرُ
ثم الصـلاة على المختـار سيـدنا
وآلِهِ الـغُرّ مَنْ بالـدِّيـنِ قَدْ نَصَرُوا
والتـابعين على الحـسنى فبشِّرْهم
بفضـل ربي كـمـا جـاءت به النُّذُرْ
معها السلامِ وصافي الحب باعثُهُ
نص الكتاب وخير الهدي فاعتبروا
والربَّ أرجـو لما سَطَّرتُ من زلل
عفواً وعـفواً وما الأهلاك قد سطروا
فـوعـده الحق قـد صـحـت أدلتـه
لا خُلْفَ فيه فهل نصغي ونعتبرُ؟؟



رفع الحجاب

عن الفرق بين دعوة أهل السنة ودعوة أهل البدع والأحزاب

● بقلم: الشيخ أبي الحسن المأربي

الحمد لله أولاً وآخراً باطناً وظاهراً، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى، ونبيّه المُجتبى، رحم الله ببعثته أهل الأرض، وصان به الدم والمال والعرض؛ فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن قومه، ورسولاً عن أمته، اللهم أحينا على سنته، وأمتنا على ملته، واسقنا من حوضه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.

أما بعد:

ففي هذه الصفحات بيانٌ لكثير من الفروق بين دعوة أهل السنة وغيرهم؛ والقصد من ذلك بيان الرُّتبة العليّة للدعوة السلفية، فيشكر أهلُها ربَّهم على هدايته إياهم لهذا السبيل، فإنّ شُكْرَ النعمة فرع عن معرفتها وتصورها، وأيضاً أردت من ذلك بيان اضطراب الدعوات الأخرى ليحذر منها المسلمون؛ ولينخلع منها من وقع فيها -وهو يريد نجاة الدنيا والآخرة-.

وقد نبهت في آخر مقالي -هذا- على أنه يجب الحذر من الإفراط والتفريط، وأن هذه الفروق منها ما هو فَرق صحةٍ؛ ومنها ما فرق كمال؛ فبعضها يُفَرِّق بين صاحب الفرقة الناجية وأصحاب الفرق الهالكة، وبعضها يفرق بين الكمال في الدعوة والنقص فيها -وإن كان الجميع من أهل السنة- وذكرت -أيضاً- أنه ينبغي على من ينتسب لدعوة أهل السنة أن ينظر أين هو من هذه الفروق؟ أعني الموافِقة للحق منها؛ كي لا يكون انتسابه للسنة مجرد عاطفة أو كلمة باللسان؛ فإن السنة منهج في الاعتقاد والأقوال والأفعال، وإنما احتَجْتُ للتنبيه

-أيضاً- على ذلك في مقدمة هذه المقالة لأهمية هذا الأمر.

وإني أحمد الله عز وجل إذ شاع بين طلبة العلم في هذه الدعوة الاعتدالُ في الأمر كله، زادنا الله جميعاً بصيرة وثباتاً على الحق، إنه جواد كريم، بر رحيم.

● سؤال: **كَثُرت في زماننا الأهواء حتى التبس على كثير من الناس معرفة المحق من المبطل، ونريد أن تُبيِّن لنا العلامات الواضحةَ التي نميز بها بين الرجل الذي يتبع منهج أهل السنة والجماعة، وبين الرجل الذي يسلك سبيل أهل البدع والأهواء والحزبيات، حتى نعرف أهل الحق، فنلزم نهجهم ونكثّر سوادهم، ونعرف أهل الباطل، فنحذرهم، ورحم الله من أغاث ملهوفاً.**

■ جوابٌ: هذا الذي ورد السؤال عنه من الأمور المهمة ومما يعم بها النفع للأمة، وقد سبق أن أمليت كثيراً من هذه العلامات البارزة في دعوة أهل السنة على طلبة العلم في دار الحديث بمأرب، فأُعيد ذكرها -إن شاء الله تعالى- مع ما تيسّر من الزيادة عليها، ولما كان أهل السنة -قديمًا وحديثاً- ينكرون أقوال وأحوال أهل الأهواء، ويحذّرون الأمة من تلكم الأهواء، فرأيت أن أقتدي بهم في هذا الباب، وأذكر ما حضرني من ذلك، مع الاعتناء بما استجدَّ من أحوال، لا سيما وأهل العلم -رحمهم الله- قد بيّنوا عقائد الفرق السابقة أيَّما بيان، وقد كتبت في ذلك رسالة مستقلة سميتها «السراج الوهاج في بيان المنهاج» نفعني الله بها في الدارين فأقول:

● **أهل السنة**: يحكّمون الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح -لهم وعليهم- ولا يُقدِّمون على ذلك عقلاً أو عادة أو مكاشفة أو ذوقاً أو منامًا أو حزباً، وأما غيرهم فيحكمون بهذه الأمور أو ببعضها على الكتاب والسنة؛ فما خالفها من الكتاب والسنة حرّفوه وصرفوه؛ فإن عجزوا عن ذلك ردُّوه! بدعوى أنه يخالف الأصول -أي: أصولهم هم- أو أنه آحاد، أو أنه يخالف مصلحة الدعوة -أي: فهمهم للدعوة لا فهم سلف الأمة-.

وقد رحم الله أهل السنة بوقوفهم عند فهم السلف الصالح وترك ما سواه.

● **أهل السنة**: يوالون ويعادن على المنهج الحقّ بعدل وإنصاف، وغيرهم يوالي ويعادي على هواه وحزبه؛ فمن وافقهم على ما هم عليه فهو المقرّب المبجّل؛ وإن كان فاجراً شقياً، ومن خالفهم فهو المعذّب المهمل؛ وإن كان عالماً تقياً، وكأن من وافقهم فهو من أهل بدر؛ «اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم»، وكأن من خالفهم فلا تنفعه شفاعة الشافعين.

● **طالب العلم من أهل السنة**: يعتني بالعلوم الشرعية ويظهر ذلك عليه بالرحلة لأهل العلم والاستفادة من علمهم وخُلُقهم والاعتماد على ما يثبت من الأدلة الشرعية والعمل بمقتضى العلم الشرعي؛ بخلاف أهل البدع: فإنهم يحذّرون من علوم السنة وأهلها، ويكرهون علم الإسناد والأثر، ويحرّضون طلبة العلم -مع هذا- على الانكباب على الجرائد والمجلات والصحف اليومية أو الأسبوعبة أو نحو ذلك، وأهل السنة لا يمنعون الاطّلاع على ذلك لكن العناية العظمى عندهم بالعلوم الشرعية، وأما غيرهم فإن اعتنى بشيء من العلوم الشرعية فبمقدار ما يخدم به حزبه ودعوته، أو يشغّب به على صغار أهل السنة أو يشنّع به على علمائهم **﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾**، و«**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**».

● **السني -لا سيما في حالة الاختيار-**: يعتني بالتصفية الشاملة: في العقيدة وفي العبادة وفي الخطابة والكتابة وفي المناهج والصفوف ثم التربية على هذا الإسلام المصفى مما عَلَقَهُ من شوائب الجهل والكيد.

وغيرُ السني شعاره الغُثائية والحرص على الكَمّ لا الكيف في كل ما مضى ويَعُدُّ أهل التصفية والتربية متنطعين.

● **أهل السنة**: يحرصون أن تكون أسماؤهم وألقابهم كما كان عليه سلفهم؛ لأنهم يعلمون أن التسمية تكون أول أمرها كلمة سهلة، وفي نهاية أمرها تكون ملة ونِحلة، فتراهم يتسمون بـ: أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والسلفيين ونحو ذلك.

وأما غيرهم فيسمي نفسه بما اختاره له أميره أو قائد حركته، ويتبرّم من الأسماء السابقة ويضيق بها ذرعاً فالله المستعان.

● **أهل السنة**: أهل اعتدال مع الموافق والمفارق؛ فيشهدون بما عند المخالف من

حق -إن كان في ذلك مصلحة شرعية- ويردُّون على من كان منهم خَطَأَه -وإن كان مقدَّماً فيهم-، وهمُّهم في ذلك الذب عن السنة، وغيرهم يغضُّون الطرف عن زلات أصحابهم -وإن كانت في العقيدة- ويتتبَّعون عثرات مخالفيهم ويشنّعون بها عليهم -وإن كانت لها وجهُ احتمالٍ- فلسانُ حالهم يقول:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة

كما أن عين السخط تبدي المساويا

● **تاريخ دعوة أهل السنة:** قديم فيهم، يرجعون بدعوتهم إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم-، ومن تابع هداهم ممن جاء بعدهم، وأما غيرهم فتبدأ دعواتهم بمؤسّسيها ونُظّارها، وربما نظر بعضهم بلسان الحال أو المقال إلى هدي محمد ﷺ الذي هو خير الهدي: أنه لا يصلح الوقوفُ عنده فيّ هذا الزمان؛ مع إنه لا يصلحُ آخر هذه الأمة إلا بما صَلَحَ به أولها.

● **أهل السنة:** يقولون بسلفية المنهج والمواجهة، وغيرهم يقول: سلفية المنهج عصرية المواجهة، ويعنون بذلك: أن الاشتغال في هذا العصر يكون بالحكام وأفعالهم، ولا يشتغل بمسائل الأسماء والصفات إلا بما يحفظها فقط من الاندثار والنسيان.

أما أهل السنة فيُعطون لكل شيء حجمه على ما كان عليه سلفُهم، وبما يوافق قواعد السلف في تكميل المصالح وتحصيلها، أو تعطيل المفاسد وتقليلها.

● **منهج أهل السنة:** كله حق؛ لأنه هو الإسلام والخطأ إنما يكون في آحاد أهل السنة، ولا يجتمعون على ضلالة، ومناهج أهل البدع والحزبيات العصرية لا يُمكن أن تكون حقاً من جميع الوجوه، بل فيها حق بمقدار قربها من السنة، وفيها من الباطل بمقدار بُعدها عن السنة، فلو التزم أهلها بجميع أصولها؛ ما حققوا العبودية الصحيحة لله رب العالمين؛ بخلاف أهل السنة فالحقُّ مذهبهم والسنة شعارهم ودثارهم وغيرهم ليس منهجه بمعصوم، ولا إجماعهم بحجة.

● **أهل السنة:** يحثُّون الناس على اتباع العلماء بالدليل الشرعي، ويرجعون إلى أهل العلم في مسائل الاجتهاد التي تتجاذب فيها الأدلة، ويلتبس فيها الأمر على الناظر، فيرون أن اجتهاد أهل العلم خير لهم من اجتهادهم، وإن خالف الطالب شيخه لدليل ما فإنه يترحم على

شيخه ويستغفر له؛ بخلاف غيرهم فإنهم لا يرجعون للعلماء، إنما يرجعون لآراء الجماعات أو نحوهم ويرمون العلماء بالعَمَالة والجُبن والركون إلى الدنيا، وإن أخذوا بفتوى العلماء فبحسب ما يخدم فكرتهم، وعند ذاك يرفعون من شأن العلماء؛ فهم علماء لهم عند الحاجة فقط؛ وإلا فهم عندهم جَهَلةٌ بواقع الأمة يوجّههم حُكّامُهم للفتوى التي تخدمهم، كما يوجه السادة عبيدهم: **﴿كَبُرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾**!!

● **أهل السنة:** أبعد الناس عن الفتن ودعوتهم تضعف في الفتنة، وغيرهم دعاة للفتن، وإن لم يكن بعضهم داعياً لها فمنهجه تربة صالحة لازدراع الفتن فيها -علم ذلك أم لم يعلم!-، ولما كانت دعوة أهل السنة صافية واضحة فإنها تربو في الصفاء والهدوء، وغيرهم يحب الصيد في الغبار أو في الماء العكر، ويتسلق على أكتاف الحوادث عسى أن ينال بُغيته!!

● **أهل السنة:** يعتنون ببناء قاعدة صُلبة على المُعتقد الصحيح، والاستقامة على أمر الله في الظاهر والباطن، وينظرون إلى القمة في الأمة أنهم محتاجون إلى الدعوة، ليصلح الله بها شأنهم، فينصحونهم بالتي هي أحسن، ويذكّرونهم بحق الله -عز وجل-، وحق الرعية ومع أنهم يكرهون ما يأتي منهم ومن غيرهم مخالفاً لأمر الله -عز وجل-، فإنهم لا يكيدون لولاة أمورهم المسلمين -وإنْ جاروا-؛ بخلاف غيرهم... الذين لا يهتمون بالدعوة للعقيدة الصحيحة وإحياء السنن وإماتة البدع، إنما جلُّ همّهم متى يَثِبُون على زمام الأمور؟ وإن كانت المجتمعاتُ تعجُّ بالشرك الصراح أو الكفر البواح؛ فإنهم يرون أنّه ليس هذا وقتَ الدعوةِ إلى ذلك، فإن عجزوا عن مرادهم ألهبوا نار الفتن هنا وهناك تارة بدوي الانفجارات وأخرى بضجيج المظاهرات، فتكون النتيجة: **﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾** وإن كان ذلك عن حسن نية -عند البعض- إلا أنه لا يُسمن ولا يغني من الجوع، والله المستعان.

● **أهل السنة:** لا يدعون الناس إلى بيعات أو عهود مفرقّة لصفوف الأمة، إنما يبايعون منْ ولاه أهلُ الحل والعَقد أو من غلب عليها بشوكته -جمعاً للكلمة وسلامة للصف- وينصحون المخالفين بأن يتقوا الله في المسلمين، ولا يزيدوا المسلمين فرقة فوق فرقتهم.

● **أهل السنة:** لا يلعنون الولاة فوق

المنابر أو غيرها، ولا يشهّرون بأخطائهم، ولا يهيّجون العامّة والدهماء والمتربصين بالأمة عليهم، ومع ذلك فلا يتزلّفون إليهم، ولا يحرصون على ملازمتهم والانتفاع بدنياهم، بل ينصحونهم النصيحة الصادقة، ويشيرون عليهم بما يُعينهم على القيام بحق الله وحق العباد، ويهتمون بالدعوة إلى الله، لقوله -تعالى-: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾.

ويسمعون ويطيعون في المعروف ويصبرون على الأذى ويلجأون إلى الله -عز وجل- لكشف كربة المسلمين ولا يتكلّفون في تسويغ المواقف والتماس الأدلة الواهية؛ فإن الدين النصيحة.

● **السني**: يبحثُ عن الدليل؛ فإن وجده اعتقد ما فيه؛ وغيره يعتقد -أولاً-؛ فإذا طُلب منه الدليل على قوله ذهب يلتمس الأدلة، حتى لو لم يجد إلا المنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة! وهذا من شؤم الاعتقاد قبل الاستدلال.

● **أهل السنة**: لا يردُّون الخطأ بالخطإ، إنما يردون الباطل بالحق والضلالة بالهدى؛ فلا يهمهم أن يصلوا لمرادهم بأي سبيل؛ فالغاية عندهم لا تُضفي الشرعية على الوسيلة، بل لا بد من شرعية الغاية وشرعية الوسيلة؛ وغيرهم يهمُّه كسب المواقف، بحق أو بباطل، وهو مستعدٌّ أن يلْبَس لكل مجلس قميصاً، وقد يكون متأولاً، وقد يكون مستبصراً، والمعافى من عافاه الله -عز وجل-.

● **أهل السنة**: يتّبعون المحكم من الأدلة والمسائل، ويردُّون الأجزاء إلى الكليات، ويجمعون بين الأشباه والنظائر، ويفرّقون بين الأضداد، وكلامهم يشد بعضه بعضاً، وفتاواهم ثابتة مستقرة، وإن تغيرت فلقرينة؛ وغيرهم يتّبعون المتشابه من القول، ولا يبالون أن يجتهدوا في تأصيل أصل، وإن كان ينقض أصولاً سابقة لهم، ولذا فكلامُهم على مدار الشهر أو أكثر يتناقض، والفتوى ما لم تقيد بالبرهان؛ فلا خطام لها ولا زمام.

● **الشموليّة عند أهل السنة**: الدعوة لكل معروف والنهي عن كل منكر -حسب الاستطاعة الشرعية- فأهل السنة هم الكاملون في معتقدهم ودعوتهم وعبادتهم ونهج تربيتهم وصفوفهم، وإن وجد تقصير فمن جهة الفرد لا من جهة منهجهم، وليست الشموليةُ: الانخراطَ في السياسة العصرية، أو الاعتناء بما يسمى بـ (المسرح الإسلامي)، و (الكرة الإسلامية) وغير

ذلك مما يصلُحُ أن يقال عليه: هذا من تسمية الشيء بغير اسمه.

● **أهل السنة:** يقتصرون على تخطئة المخالف منهم -مع معرفة منزلته-، وأهل البدعة يكفّرون من خالفهم وإن كان من أئمتهم، فيقولون: ارتدّ أو كفر أو نحو ذلك.

● **كثيرٌ من الفِرق -بمذاهب أهل السنة-:** تتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا تتجاسر، فتراهم لا يُفصحون بمذهبهم إلا عند من يثقون به، ويتوارون من الناس من سوء مذهبهم، وخُبث طريقتهم.

أما أهل السنة فعلى الحق ظاهرون، ولا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى يأتي أمرُ اللهِ وهم على ذلك.

● **أهل السنة:** يدعون إلى الاتباع والاجتماع، فهم أهل سنة وجماعة، وغيرهم يدعو إلى اجتماع ولو على خلاف السنة، فيبقى القبوري والرافضي والخارجي وغير ذلك على ما عليه؛ وإن مكث سنوات في الدعوة فما دام أنه يكثّر السواد!! فقد أدى الذي عليه عندهم!! وفي مقابل هؤلاء من يعتني بمسألة -دون النظر إلى حال الناس- وإن تفرقت الأمة، والحق وسطٌ بين طرفين.

● **أهل السنة:** يربطون الناس بالدليل الشرعي وفَهْم أهل العلم؛ وغيرهم يربطون الناس بالبيعات والعهود، فإذا أرادوا أن يصححوا سيرهم، ويلتزموا بمنهج السلف هددُّوهم بالأحكام التي تلزم ناقض العهد وناكث البيعة! بعد ما أقنعوهم بأن من مات وليس في عنقه بيعة؛ مات مِيتة الجاهلية؛ مع أن المقصود من هذا الحديث بيعة من ولاه الله أمر المسلمين، واجتمع عليه المسلمون، كما فسّره الإمام أحمد -رحمه الله-.

● **أهل السنة:** لا يتصدّر دعوتهم جاهل بالشرع، ولا مثير فتنة، ولا من يلهث وراء الدنيا، بخلاف غيرهم فقد يترأس فيهم من ليس له صلة بالعلم الشرعي أو معتقد السلف، بل ربما تولى مركز التوجيه والقيادة!

● **أهل السنة:** أعلم الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق، فأصولهم وقواعدهم قائمة على استقراء تام، وغيرهم يعرف باباً من العلم ويضيّع أبواباً، ويقيم أصلاً ويهدم أصولاً؛ فأهل السنة هم أهل العلم، فتراهم يرحمون الخلق رحمة شرعية، ويعطون لكلٍّ قدرَه، فلا يرفعون وضيعاً ولا يضعون رفيعاً، ولا يَبْخسون الناس أشياءهم، ورُبَّ علم عند مبتدع -لولا تعريف أهل السنة به- لذهب علمه●

يتبع في العدد القادم -إن شاء الله-.

منهج الإمام الطبري في تفسيره

• بقلم: أكرم بن محمد زيادة

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[النحل ٤٤].

«ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه» أحمد في «المسند» (٤ / ١٣٠ - ١٧٢١٣).

آية وحديث يحددان المنهج الذي ينبغي على أهل التأويل أن يلتزموه في تأويلهم، وهو عين المنهج الذي اتبعه الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسيره العظيم الذي نحن بصدد دراسة منهجه فيه.

ومما لا خلاف فيه بين أهل السنة والجماعة أن تفسير الطبري -رحمه الله- هو من أجلِّ التفاسير التي تبنّت الآثار والسنن؛ فضلاً عن القرآن في بيان تأويل آياته الكريمة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «تفسير محمد بن جرير الطبري» هو من أجلِّ التفاسير وأعظمها قدراً. [«مجموع الفتاوى» (١٣ / ٣٦١)].

ولقد حدّد الإمام الطبري -رحمه الله- هذا المنهج إذ يقول: «تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة:

أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر اللهُ بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة مثل وقت قيام الساعة ووقت نزول عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها والنفخ في الصور وما أشبه ذلك.

والوجه الثاني: ما خص الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته، وهو ما فيه -مما يعباده إلى علم تأويله- الحاجةُ، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان

الرسول ﷺ لهم تأويله.

والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، ولا يوصل إلى علم ذلك إلا من قِبَلِهم.

فإذ كان ذلك كذلك فأحق المفسرين بإصابة الحق -في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد سبيلٌ- أوضحهم حجة فيما تأول وفسَّر، مما كان تأويله إلى رسول الله ﷺ دون سائر أمته من أخبار رسول الله ﷺ الثابتة عنه: إما من جهة النقل المستفيض، وإما من جهة نقل العدول الأثبات، فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته.

وأصحُّهم برهاناً فيما ترجم وبيّن من ذلك- مما كان مدركاً علمه من جهة اللسان: إما الشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنًا من كان ذلك المتأوّل والمفسر، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة» [مقدمة تفسير الطبري (١ / ٦٦)].

-ولذلك عدّ شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- العدول عن تفسير الصحابة والتابعين من البدع التي يخطىء صاحبها وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه [مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٦١)].

ومن هنا كان التزام الطبري -رحمه الله- هذا المنهج القويم والمنطق السليم والصراط المستقيم في تأويل آيات الكتاب الحكيم.

وبالاستقراء وجدناه قد التزم في تأويله وتفسيره ما يلي:

١- بيان المعنى الإجمالي للآية.

٢- سياقه الأخبار والآثار حسب ما يظهر له من صحة النقل أولاً، ثم ما كان دون ذلك من خلال معرفته الوثيقة بأحوال الرواة الذين روى عنهم، مبتدئاً بالحروف ثم بالكلمات ثم بالعبارات ومختتماً بالآية ككل.

٣- سياقه الأوجه النحوية والصرفية المحتملة من اللفظ أو العبارة عند مدرستي النحو والصرف الكوفية والبصرية ثم ترجيح أحد هذه الوجوه مبيناً أسباب وأدلة الترجيح.

٤- سياقه الاعتراضات، والشبه المحتملة والواردة على الألفاظ والعبارات من أقوال أهل البدع والكلام -الذين غالباً ما يبهمهم ؛ ولكنه يصفهم ويلمح إليهم-، ثم الرد عليها وبيان أدلة الرد، نقلاً وعقلاً مبتدئاً بالأول.

٥- سياقه الشواهد الشعرية والأمثلة العربية والعبارات النثرية والقياسات اللغوية التي توافق المنطق واللسان العربي، والتي يُستشهد بها على بيان المعنى المراد من الألفاظ أو العبارات لتأويل وتفسير الآيات، وغالباً ما ينسب تلك الشواهد إلى أصحابها.

٦- شرح المعاني الإجمالية لهذه الشواهد الشعرية والأمثلة النثرية، والتي تتوافق مع المعاني التي أوردها من أجل بيانها.

٧- إيراد أقوال أهل العلم وإجماعاتهم واختلافاتهم، في التأويل أو العقيدة، أو اللغة أو غيرها، والترجيح بينها وبين أدلة الترجيح.

٨- سياقه القراءات وأوجهها المختلفة المنقولة عن أئمتها وبيان الراجح منها والمرجوح، والشاذ والمتروك، وبيان أدلة ذلك.

٩- سياقه المناسبات وأسباب النزول وبيان الراجح من المرجوح إن تعددت الروايات في ذلك مع بيان الأدلة النقلية والعقلية في ذلك.

١٠- إيراد بعض الأحكام الفقهية العلمية وأقوال أهل العلم واختلافاتهم في ذلك ؛ علماً أنه كان صاحب مذهب فقهي متّبع.

١١- مناقشة بعض طرق الأخبار والآثار التي يسوقها ويبين صحيحها من ضعيفها؛ أحياناً تصريحاً بذلك، أو تلميحاً وإشارة من خلال ألفاظ التحمل التمريضية مثل: (حُدِّثت، وأُخبرتُ، ونحوُها) بإبهام من روى عنهم أو ساق تلك الأخبار والآثار من طرقهم.

١٢- بيان روايات أهل الكتاب وما وافقوا فيه شرعنا وما خالفوه فيه، وبيان المسكوت عنه -على الغالب-.

١٣- سياقه الترجيح وأسبابه بعد كلٍّ من هذه السياقات السالفة الذكر.

١٤- إثبات ما توصل إليه من إيراد هذه السياقات في معنى إجمالي يبين خلاصة المراد من تأويل وتفسير ومفهوم العبارة أو

الآية.

ولبيان حقيقة ما سبق اخترت ما بدأ به ربنا -تبارك وتعالى- من كتابه ونقله إلينا نبينا -عليه الصلاة والسلام-، وأثبته أصحابه من بعده في رسم المصحف الإمام وما نسخ منه بعد ذلك وأجمعت عليه الأمة على مختلف أعصارها وأمصارها بلا خلاف بينها، ألا وهي قوله -تعالى:- بسم الله الرحمن الرحيم:

فهو يصدّر تأويله أولاً بالآية التي يريد تأويلها ؛ وهي هنا ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ ثم يبدأ بتأويلها حرفًا حرفاً، ثم كلمة كلمة، ثم عبارة عبارة، حتى يصل إلى معناها كاملاً وقد استوعبنا في الكلمتين الأوليين منها وهما ﴿**بسم الله**﴾ استوعبنا اثنتي عشرة نقطة من النقاط السابقة، علماً أنه قد كتب في تأويلها أكثر من عشر صفحات من القطع الكبير من (١ / ٨٧) ولنهاية (١ / ٨٨) من طبعة دار الكتب العلمية (١٤١٨) ومن(١ / ٧٧) ولنهاية (١ / ٨٩) من طبعة دار الفكر (١٤١٥) ومن (١ / ٥٠) ولنهاية (١ / ٥٩) من طبعة دار الفكر (١٥٠٥).

فيبدأ بيان المعنى الإجمالي للآية -أولاً-؛ إذ يقول: القول في تأويل ﴿بسم﴾ قال: إن الله -تعالى ذِكْرُه وتقدست أسماؤه -أدّب نبيه محمداً ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مَهَمَّاته وجعل ما أدبه به من ذلك وعلّمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها وسبيلاً يتبعونه عليها في افتتاح أوائل منطقهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: بسم الله؛ على ما بطن من مراده الذي هو محذوف.

ثم يبدأ بتفسير الكلمة حرفاً حرفًا فيقول: وذلك أن الباء من (بسم الله) مقتضية فعلاً يكون لها جالبًا ولا فعل معها ظاهر، فأغنت سامع القائل: (بسم الله) معرفته بمراد قائله من إظهار قائل ذلك مراده قولاً؛ إذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمراً قد أحضر منطقه به إما معه وإما قبله بلا فصل ما قد أغنى سامعه من

دلالة شاهده على الذي من أجله افتتح قبله به، فصار استغناء سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه نظيرَ استغنائه -إذا سمع قائلا قيل له: ما أكلت اليوم؟ فقال: طعامًا- عن أن يكرر المسؤول -مع قوله: طعاماً-: أكلت لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه يتقدم مسألة السائل إياه عما أكل، فمعقول؛ إذ إن قول القائل إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم افتتح تاليًا سورة أن إتْباعَه (بسم الله الرحمن الرحمن الرحيم) تلاوة السورة يُنبئُ عن معنى قوله: بسم الله الرحمن الرحيم، ومفهوم به أنه مريد بذلك أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك قوله: بسم الله عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله يُنبئُ عن معنى مراده بقوله: بسم الله الرحمن وأنه أراد بقولِهِ: بسم الله، أقوم بسم الله وأقعد بسم الله، وكذلك سائر الأفعال.

ثم يشرع في سياقة الآثار التي تشهد لهذا التأويل فيقول:

وهذا الذي قلنا في تأويل ذلك هو معنى قول ابن عباس (١٣٨) الذي حدثنا به أبو كريب؛ قال حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: «إن أول ما نزل به جبريل على محمد؛ قال: يا محمد! قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم -ثم قال-: قال: بسم الله الرحمن الرحيم -قال-: قال له جبريل: قل: بسم الله -يا محمد-!».

ثم يشرع بطرح شبه أهل الأهواء ليتصدى للرد عليها فيقول: فإن قال لنا قائل: فإن كان تأويل قوله: بسم الله ما وصفت، والجالب (الباء) في بسم الله ما ذكرت؛ فكيف قيل: بسم الله؛ بمعنى: أقرأ بسم الله، أو: أقوم، أو: أقعد بسم الله، وقد علمت أن كل قارئ كتابَ الله فبعون الله وتوفيقه قراءته، وأن كل قائم أو قاعد أو فاعل فعلاً فبالله قيامُه وقُعودُه وفعله، أو هلاّ إذا كان ذلك كذلك قيل: بالله الرحمن الرحيم. ولم يقل: بسم الله! فإن قول القائل: أقوم وأقعد بالله الرحمن

الرحيم، أو أقرأ بالله أوضح معنى لسامعه من قوله: بسم الله إذ كان قوله: أقوم وأقعد بسم الله يوهم سامعه أن قيامه وقعوده بمعنى غير الله.

وها هو الآن يتصدى لدحض هكذا شُبَه، فيقول: قيل له إن المقصود إليه من معنى ذلك غير ما توهمته في نفسك، وإنما معنى قوله: ﴿بسم الله﴾: أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، أو: أقرأ بتسمية الله، أو: أقوم وأقعد بتسمية الله وذكره، لا أنه يعني بقوله: بسم الله: أقوم بالله، أو: أقرأ بالله، فيكون قول القائل-: أقرأ بالله أو أقوم وأقعد بالله- أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله: بسم الله.

ثم يشرع بطرح القضايا اللغوية والنحوية أو الصرفية أو كليهما -وهو هنا يطرحها صرفياً فحسب- فيقول: فإن قال: فإن كان الأمر في ذلك على ما وصفت فكيفِ قيل: بسم الله، وقد علمت أن الاسم اسم وأن التسمية مصدر من قولك: سميت؟!

وها هو الآن يتصدّى لتوجيهها التوجيه السليم فيقول: قيل: إن العرب قد تخرج المصادر مبهمة على أسماء مختلفة كقولهم: أكرمت فلاناً كرامة، وإنما بناء مصدر أفعلت إذا أخرج على فعله الإفعال، وكقولهم: أهنت فلاناً هواناً وكلّمته كلاماً، وبناء مصدر فعلت التفعيل.

ثم يسوق الشواهد الشعرية فيقول: ومن ذلك قول الشاعر:

أكفراً بعد رد الموت عني
وبعد عطائك المائة الرتاعا

ثم يتصدى لبيان وشرح الشاهد الشعري ليتوافق مع التأويل الذي أوله موافقاً للّسان ومنطق العرب فيقول: يريد إعطاءَك.. ثم يسوق عدة شواهد على ذلك، ويشرحها ويقول: والشواهد في هذا المعنى تكثر، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفّق لفهمه.

وها نحن نجده الآن يقرر بعد التدليل الأثري -بأثر ابن عباس-، ثم بطرح الشبه ودحضها، ثم بميزان الصرف والتدليل عليه بالشواهد الشعرية العربية وربط معانيها بمراده في التأويل الأثري ابتداء، ثم اللغوي العربي انتهاءً يقرر التأويل الذي أوّله، وأنه

وافق فيه لسان العرب ومنطقهم ولم يخرج بذلك عن فهم السلف من الصحابة -ابن عباس-.

ثم عاد إلى الأثر رقم (١٣٩) ليؤكد موافقته لاستنتاجه وتقريره فيقول: وهذا التأويل من ابن عباس ينبئ عن صحة ما قلنا من أنه يراد بقول القائل مفتتحاً قراءة بسم الله الرحمن الرحيم: أقرأ بتسمية الله وذكره وأفتتح القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ثم يشرع ببيان بعض الأحكام الفقهية العلمية، وينقل الإجماع ويلزم به، ويبين فساد قول مخالفه فيقول: كالذي أمروا به من التسمية على الذبائح، والصيد، وعند المطعم والمشرب، وسائر أفعالهم، وكذلك الذي أمروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله، وصدور رسائلهم وكتبهم. ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة أن قائلاً لو قال عند تذكيته بعض بهائم الأنعام: بالله، ولم يقل: ﴿بسم الله﴾ أنه مخالف بتركه قيل: بسم الله ما سُنَّ له عند التذكية من القول.

وها هو الآن يتصدى لمسألة عقَدِيَّة تتعلق بأسماء الله -تعالى-، وهي: هل الاسم عين المسمى أم لا؟ فيقول: وفي إجماع الجميع على أن قائل ذلك تارك ما سن له من القول على ذبيحته إذا لم يقل: ﴿بسم الله﴾ دليل واضح على فساد هذا الموضع من مواضع الإكثار في الإبانة عن الاسم: أهو المسمى أم غيره؟ أم هو صفة له؟ ثم ناقش هذه المسألة من خلال الشواهد الشعرية والأمثال العربية، وسياق الشبه ودحضها على ما بينا سابقاً ثم يقرر أن الاسم غير المسمى؛ ولكن على تفصيل أهل السنة وليس إجمال أهل البدع.

وها نحن ذا نجده يسوق الخبر وَمِنْ بعدِه الأثر ويشير إلى ضعفه فيقول في الأثر رقم (١٤٠): وأما الخبر الذي حدثنا به إسماعيل بن الفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مُلَيكة، عمن حدثه، عن ابن مسعود ومِسْعَر بن كدام، عن عطية، عن أبي سعيد: قال: قال رسول

الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلّمه، فقال له المعلم: اكتب بسم، فقال له عيسى: وما بسم؟ فقال له المعلم: ما أدري، فقال عيسى: الباء بهاء الله والسين سناؤة والميم مملكتــه» قــال: فأخشى أن يكون غلطاً من المحدث! ثم قال: وأما تأويل قول الله: (الله) فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس، ثم ساق الأثر رقم (١٤١).

أما بالنسبة للقراءات وتوجيهها فيقول في الأثر رقم (١٤٢) (١ / ٨٢): وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن نافع بن عمر، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، أنه قرأ: **﴿ويذرك والاهتك﴾** قال: عبادتك، ويقال: إنه كان يعبد، ولا يعبد.

ثم ساق إسناداً آخر لهذا الأثر برقم (١٤٣) ثم قال: وكذلك كان عبد الله يقرؤها ومجاهد، وعزّز ذلك بالأثر رقم (١٤٤) أيضاً فقال: وحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: أخبرني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: **﴿ويذرك والاهتك﴾** قال: وعبادتك.

وأما علمه بالقياس وعمله به فيتجلى في قوله: فإن قال: فإن كان جائزاً أن يقال: لمن عبد الله: ألَّهَهُ على تأويل قول ابن عباس ومجاهد فكيف الواجب في ذلك أن يقال: إذا أراد المخبر الخبر عن استحباب الله ذلك على عبده؟ قيل: أما الرواية فلا رواية عندنا ؛ ولكن الواجب على قياس ما جاء به الخبر عن رسول الله ﷺ. ثم ذكر الخبر رقم (١٤٥) ١ / ٨٣ في قصة عيسى -عليه السلام- ثم ذكر قوله -تعالى-: **﴿لكن هو الله ربي﴾** قال: أصله: لكن أنا هو الله ربي.

وأما سياقته لأسباب النزول وأخبار أهل الكتاب فيتجلّى في سياقته لأسباب نزول آيات أمر بني إسرائيل بذبح البقرة من سورة البقرة فيورد في ذلك أكثر من عشرة آثار، من الأثر رقم (١١٧٤) ١ / ٣٧٩ ولغاية الأثر رقم (١١٨٤) ١ / ٣٨٢ .

هذا مجمل منهج الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- في تفسيره والذي يعد المرجع الأساسي في تفسير القرآن بالخبر والأثر، وكل نقطة من هذه النقاط تحتاج في تفصيلها إلى دراسة تفصيلية كاملة مستقلة.

والحمد لله رب العالمين●



ذكرياتي عن أول لقاء بمحدث العصر شيخنا الألباني

• بقلم: فضيلة الشيخ حمدي عبدالمجيد السلفي

كنت تخرجت في المدارس الدينية في كردستان على علماء أفاضل قرأت عليهم النحو والصرف والمنطق والبلاغة وعلم الكلام وأصول الفقه والفقه الشافعي والتفسير، على العادة المعروفة عند العلماء في كردستان، ولكني تأثرت بأحد مشايخي وهو الشيخ إسماعيل إلياس الكردي، حيث كان يدعو إلى محاربة البدع والخرافات على طريقة قديمة لعلماء الشافعية، مثل ابن المقري في تكفير أصحاب وحدة الوجود، فقرأت عليه آخراً شيئاً من تفسير المنار وبعضاً من نيل الأوطار، وبعضاً من منهاج السنة، ولم نكن نعلم هذه الكتب قبل ذلك.

ومما قرأت عليه مدح بعض العلماء لكتب «المحلى» و«المجموع» و«المغني» لابن قدامة، و«فتح الباري» للحافظ ابن حجر وكنت أحاول الحصول عليها.

وفي يوم من الأيام وأنا أزور مدينة (ديريك) في محافظة الجزيرة في سوريا لأطمئن على صحة أحد الطلبة الأقارب في الثانوية؛ دعاني أحد المدرسين لتناول الغداء عنده في شقته حيث إنه من مدينة دمشق، ويعيش بدون عائلة، فذهبت معه إلى شقته، فناولني عدداً من مجلة التمدن الإسلامي لأطالعه حتى يهيء الأكل، فتصفحت العدد فوقعت عيني على عنوان **(الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيِّئ في الأمة)** فقرأت المقال بتمعن، وكان الكلام فيه على الحديث الموضوع

«اختلاف أمتي رحمة» فأعجبني المقال جداً، فقرأته مرتين، وكان المقال بقلم محمد ناصر الدين نوح نجاتي الأرناؤوط. ولم أكن أعرف من هو، فقال لي مضيفي: هل أعجبك المقال؟ قلت له: نعم جداً فقال لي: هل ترغب في الاشتراك في تلك المجلة؟ فقلت له: كيف؟ فقال لي: إنني أعرف رئيس تحريرها أحمد مظهر العظمة -رحمه الله- وسوف أكتب له ليرسل لك أعداد المجلة بانتظام، فشكرته على ذلك، وفعلاً وصلتني الأعداد بعد ذلك بانتظام.

وفي خريف سنة ١٩٥٤م جُمعَ عندي بعض المال، فرغبت أن أشتري كتاب فتح الباري، ولكن من أ ين وأنا في أقصى شرق سوريا ولا توجد فيه مكتبات لبيع الكتب؟ فعزمت على السفر إلى حلب لشراء الكتاب من مكتبة حامد عجان الحديد، وبعد وصولي إلى المكتبة قيل لي: لا يوجد الكتاب هنا، ولعله موجود في المكتبة العربية في دمشق، فذهبت إلى دمشق أبحث عن المكتبة المذكورة حتى دخلتها وإذا فيها شخص يدعى حمدي عبيد -رحمه الله- وبعد التحدث معه سألني عن اسمي فقلت له: أنا سميك ففرح جداً، ولكنه قال لي: الكتاب المطلوب غير موجود عندنا، ولعله في بيروت موجود.

ثم سألني: ماذا تعمل بالكتاب؟ فقلت له: سمعت باسمه وأنه شرح لصحيح البخاري، وأرغب أن أقتنيه لأستفيد منه.

ثم سألني: هل تعرف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني؟ فقلت له: لا فقال لي: هل ترغب في لقائه؟ فقلت له: هو الذي يكتب في مجلة التمدن الإسلامي؟ فقال: نعم فقلت له: أتمنى ذلك، ولكن كيف؟ فقال لي: أنا أرتب الأمر لك، فحمل جهاز الهاتف واتصل بالشيخ، وبعد دقائق رأيت رجلاً أوروبياً أشقر نزل من دراجة (بسكليت) على باب المكتبة يلبس (بانترونا) فضفاضاً، فدخل وسلم علينا وجلس، فبدأ يسألني بعض الأسئلة، ثم أخذني معه إلى دكانه الذي يعمل فيه تصليح الساعات، ثم استضافني معه إلى

منزله، وبعد أن أكلت معه ما قدم لنا، سألني: هل ترغب في حضور دروسنا حيث لنا دروس كل ليلة في بيت أحد الأخوة يحضره أناس من طلبة العلم الشرعي من مختلف الطبقات والمستويات؟ فقلت له: نعم، وزودته بعنوان الفندق الذي أنزل فيه ورقم الغرفة، وبعد صلاة العشاء جاءني أحد الأخوة واصطحبني معه إلى مكان الدرس، وداومت معه أسبوعاً على هذا الحضور ثم ذهبت إلى بيروت واشتريت كتاب فتح الباري، ورأيت أن ما معي من المال يكاد ينفد فاستأذنت من الشيخ ورجعت إلى بلدي.

وفي صيف سنة ١٩٥٥ جاءني خطاب من الشيخ بأنه رشحني للالتحاق بالدراسة في المملكة، وطلب مني العمل على حصول الجواز السوري، وصرفت كل جهدي إلا أنني لم أحصل على الجواز، وتأخر ذلك وفاتني الوقت فكلمني الشيخ بأنني سأرسلك السنة القادمة.

ولكني داومت فذهبت في خريف تلك السنةوحضرت أيضاً دروس الشيخ لمدة أسبوع أو أكثر، و هكذا ذهبت السنة التي بعدها، ثم انتقلت من سوريا إلى العراق في آخر سنة ١٩٥٧ لأسباب معيشية.

وقد تأثرت بتقريرات الشيخ لما يلقيه من الدروس، وكانت تلك الدروس بالنسبة لي شيئاً لم أعرفه سابقاً حتى ولم أسمع بها، فعكفت على ما أخذت منه من تلك الدروس وأذكر أنها كانت في كتاب الروضة الندية لمحمد صديق حسن خان، وكنت أنقل تعليقات الشيخ من هامش نسخته بقلم الرصاص في دفتر لي ولازلت أحتفظ بها، كما وأنني اطلعت على بعض مؤلفات الشيخ المخطوطة بخط يده مثل الروض النضير والتعليقات الجياد والتعليق الرغيب وأصل صفة صلاة النبي وتمام المنة ونقلت بعض الفوائد منها في دكان الشيخ.

وكنت أتأمل ما أخذته من علم الشيخ وأفكر فيما نحن فيه، حيث كنا على غير هدى حتى في دراستنا، ولم يكن لنا هدف معين من الدراسة، وفجأة اطلعت على مدرسة متكاملة فقهاً وحديثاً وتفسيراً

ومنهجاً متميزاً مبنياً على ما كان عليه السلف الصالح، فحرك ذلك فيَّ الرغبة الشديدة في تتبع ما ينشر للشيخ من رسائلة ومؤلفات حيث لم يفتني كتاب ولا رسالة ولا تعليق مما هو للشيخ إلا وحصلت عليه.

وعلمت من تتبعي لمؤلفات الشيخ عظمة الدعوة السلفية التي تبناها الشيخ وطريقته في دراسة الأسانيد، وجمع طرق الحديث والحكم عليها مطبقاً لقواعد المصطلح ومدققاً في تطبيقها؛ بحيث يذكرنا بما كان عليه نقاد الحديث من أمثال الدارقطني، والحافظ ابن حجر، وغيرهما من جهابذة أهل الحديث.

وهو الذي أحيا علم الحديث في هذا العصر -بتوفيق الله تعالى- وتسبب في نشرها، وإقبال الناس عليها، وتسبب في صحوة ونهضة حديثية يذكرنا بما كان عليه أصحاب الحديث في العصور الأولى. وهذا من فضل الله على الشيخ، وعلى الأمة الإسلامية في هذا العصر.

وهذا الذي قام ويقوم به الشيخ من نشر السنة، وتمييز ما صح من الأحاديث مما لا يصح دعى بعض الحاقدين عليه بل وعلى الدعوة السلفية؛ لنشكر الأكاذيب عن الشيخ والوشاية، به ولكن الحق سيظهر دائماً ويذهب الباطل زهوقاً.

ثم تعددت التهم من الحاقدين على اختلاف مشاربهم وغاياتهم، فمنهم من اتهمه بأنه صحفي لم يدرس على العلماء، ومنهم من اتهمه بالتحزب الذي ينكره الشيخ في كل المناسبات والمجالات، ومنهم من اتهمه في الفقه بأنه ليس فقيهاً و. . و. .

وكان من الأسباب الرئيسية لانتشار علم الحديث دعوة الشيخ إلى الجامعة الإسلامية للتدريس فيها؛ حيث التقى بالشيخ الآلاف من طلبة العلم، وأخذوا منه ماعنده من علم الحديث والفقه والمنهج الصحيح السليم الذي دعى إليه الشيخ من التصفية والتربية وفهم النصوص على منهج السلف الصالح.

وأخيراً نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفق الدعاة وطلبة العلم لما يحبه ويرضاه من الدعوة إلى ما عليه السلف الصالح، وتبني جميع المشاريع التي تزيد من شأن الدعوة، ويحفظهم من كل ما يحول بينهم وبين ذلك، والله ولي التوفيق●

وفاء ورثاء

السّنواء...[1]

• بقلم: أمةُ اللهِ الجزائرية

هُوَ المِدادُ يَسْتَصْعِبُ امْتِطاءَ السُّطورْ، وكأنَّ القَلَمَ ناكبٌ عَنِ الظُّهور، وها قَدْ جرى المقدْور، ونجزَ المحذُور؛ وإنا لله وإنا إليه راجعون!

فلم يمْضِ الكثير والجرحُ ما نضا بَعْدُ[2]، حتى رُزِئنا بشيخنا محدث العصرِ ناصر الدين، وإنَّ هذا لهُوَ البلاءُ المُبين والخَطبُ لوْ تعلَمُون عسير، وإنَّها لَسَنْواء ولعمري إنّها لنَذير.

قال نبيُّنا ﷺ -بأبي وأمّي هو، ولنا فيه من مُصيبتنا أسْوة-: «**إنَّ اللهَ لا ينزع العِلْمَ انتزاعاً، ولكن يقْبِضهُ بموتِ العُلماءَ، حتى إذا لم يَبقَ عالِمٌ؛ اتخذ النّاس رُؤوساً جُهالاً، فاستفتوهم، فأفتوا بغيرِ عِلْمٍ، فَضلُّوا وأضلّوا**»؛ متفق عليه.

وقالَ أهلُ التفسير عِنْدَ قوله -تعالى-: ﴿**أولمْ يروا أنا نأتي الأرضَ ننْقُصُها مِنْ أطْرافِها**﴾ قالوا: هو ذهابُ العلماء: «تفسير ابن كثير» (٢ / ٨٠٥).

وقال الحسنُ البصريُ عليه رحمة اللهَ: «إنَّ موْتَ العالم ثغرة لا تُسدُّ ما تعاقَبَ الليْل والنَّهار، فالله المسْتعان».

وإذا مَاتَ ذو علْمٍ وتقوى
فقدْ ثُلِمتْ مِنَ الإسْلام ثُلمَة

وهكذاَ مُصابُنا اليوم؛ وقد أُصبْنا بالشيخ الإمام الوالِدِ الطيب الهُمَام حسنة الأيام والزمان، حافظ الوقت العلامة المقدام محدث دِيار الشام وكل الأقْطار سَواء المادح والذَّامُ؛ فما كَان يوْماً ممن استوطن هَذِهِ الديار؛ بل اتبع هدي نبينا ﷺ المختار وآثار صحبه الأخيار يشقُّ بهما الطريق إلى الدعوة السلفية ولا غبار. فكنت بحق يا

(١) السنة الشديدة؛ حيث فقدت الأمة الإسلامية فيها إمامين عظيمين: ابن باز والألباني.

(٢) إشارةٌ إلى موت الشيخ العالم الزاهد الرباني: ابن باز -رحمه الله-.

شيخنا!

إذا ذُكــرَ الأحــبْار في كلّ بلدة
فـهـم أنْجُمٌ فـيـهـا وأنْتَ هِلالُهـا

وستبقى ويبْقى غُصْنُ عِلمك ناضِراً فقد كانت همتك في الثُريا.

وسُمْعتُكَ في ذُرى الأنْجُم، عَرَفْناكَ وقد كُنْتَ أنْصَحَ الناس، أجْرى الله الحقَّ على قلبك ثمَّ إلى لِسانِكَ ثمَّ إلى قُلوب المؤمِنين بَلْ وأظْهرك حتى على الناقمين ﴿وجحَدُوا بِها واسْتيقنتها أنفسهم﴾.

كنْتَ مثالاً للجِدِّ والإخْلاص، خالَط حُبُّ السّنةِ العطرة عَظْمك، حتى بدا ذلك على عِلْمك وفعلك وسلوكك، كنت ثابتَ الجــأشِ لا تُرْهِبُهُ المواقِف ولَوْ كــانَ مِنْ وَرائِها ألْفُ واشٍ ومُوشٍ ومهوشٍ واقِف.

ولهــذا فإنَ البليـة مِنْ بعدك يا شَيـخَنا ستعظم وإنّها لمصيبةٌ عظيمةٌ، وضربة نجلاء أليمة فليت شعْري، كيف لا يعزُّ الصبر عليْكَ في زمَنٍ ابتلتنا فيه البليات وشوت علينا الآهات وقد غادرْتها وفي قَلْبك منها كيات!

يومها -والأجل يدنو- نصحت فكانت بحق نصيحة إمام السنة إلى عموم الأمة فيا سامِعون! هل أنتم بها عاملون؟ عسى ربُكمْ أنّ يكشِف الغُمّة ولو بعد سنين؟ فإنَّ وراءنا ليلاً لاثلاً وقد قال الشيخ مبارك الميلي -رحمه الله-: «**إن الأمة إذا فقدَت العالِمَ البصير والدَّليل النَّاصح والمرشد المهتدي تراكمت على عقولها سحائب الجهالات**»[1]

فكيف إذا ضُمَّ إليها بَرْقُ الفُراق ورعْد الشّقاق، فكانت منها النواصح الكواسح الفواضح حتى بين الرِّفاق؟!!

فما للسلفية وللأمة الإسلامية يومها من خلاق.

فالله الله في وصيته؛ خُذوا منها السُماق وهلُمّو إلى الرفاء[2]؛ وإلاَّ فما أنتم إلاّ غُثاء[3].

وهُوَ صاحِبُ الكلمة الحكيمة: (قُل كَلِمتَكَ وامضِ، فإنْ لم تر معْناها أنت فسيراهُ غيرك مِنْ بَعْدِك) وها قد مَضيْتَ إلى ربّك؛ ونسأله أن يجزيك عنا وعن المسلمين خير الجزاء ويأجُرَنا في مصيبتنا هذه، ويخلفنا خيراً منها، وقد رضينا بقضاء الله وسلمنا بأمرِ الله، ولوْ بَقِي أحدٌ لأحد لَبَقِي محمد ﷺ لأمتهِ؛ ولكن إنَّما كتبنا بقلم أضْناه الأسى، وقد رزحت الحال، وقوم مات خيارُهُم فهم المُرزؤون فكيْفَ النَكبةُ تهُون؟

(١) الجزائري في كتابه «الشرك ومظاهره».

(٢) الالتحام والاتفاق.

(٣) ما يجف فوق السيل مما يحمله الزبد من الوسخ وفتات الأشياء على وجه الأرض.



خارجيّة عصريّة

• بقلم: الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي

• سئل الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في ليلة السابع عشر من ذي الحجة ١٤١٨هـ، في شريط بعنوان: «خارجية عصريّة»: حول كتاب «الإرجاء»: يا شيخنا! «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي» -لسفر الحوالي-: هل رأيته؟

قال الشيخ: رأيته، فقيل له: الحواشي -يا شيخنا-! خاصة الموجودة في المجلد الثاني.

فقال الشيخ: كان عندي أنا رأي صدر مني يوماً منذ نحو أكثر من ثلاثين سنة حينما كنت في الجامعة الإسلامية، وسئلت في مجلس حافل عن رأيي في جماعة التبليغ فقلت يومئذ: صوفيّة عصرية، فالآن خطر في بالي أن أقول بالنسبة لهؤلاء هنا -تجاوباً مع كلمة الذين خرجوا في العصر الحاضر، وخالفوا السلف في كثير من مناهجهم، فبدا لي أن أسميهم: «خارجية عصريّة» فهذا يشبه الخروج الآن، حين نقرأ من كلامهم؛ فإن -في الواقع- كلامهم ينحو منحى الخوارج في تكفير مرتكب الكبائر، ولعل هذا -ما أدري أن أقول- غفلة منهم أو مكر منهم، وهذا أقوله أيضاً من باب قوله -تعالى-: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقوى﴾! ما أدري لا يصرحون بأن كل كبيرة مكفرة، لكنهم يدندنون حول بعض الكبائر، ويسكتون أو يمرّون على بعض الجوانب، وهذا من العدل الذي أمرنا به.

• التعليق:

ينبغي أن ينتبه القارئ والسامع لقول الشيخ عن هذه الفئة بأنهم خالفوا السلف في كثير من مناهجهم.

فهذه المناهج الكثيرة التي خالفوا فيها السلف تدل على انحراف كبير، قد تكون أخطر وأشد من مخالفة الخوارج الذين وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم شر الخلق والخليقة، وبأنهم كلاب النار، وبأنهم يمرقون من الدين

مروق السهم من الرميّة، وبأنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

وما قاله الشيخ الألباني -رحمه الله- حق؛ فلقد خالفوا السلف في أصول كثيرة وخطيرة، منها:

١- حربهم لأهل السنّة وتنفير الناس منهم ومن كتبهم وأشرطتهم وبغضهم لهم ومعاداتهم وحقدهم الشديد عليهم.

٢- ومنها: موالاتهم لأهل البدع الكثيرة الكبيرة، وإقرارهم لمناهجهم الفاسدة وكتبهم المليئة بالضلال ونشرهم لها وذبهم عنها ودفع الشباب إلى العبّ والنهل منها مما كان له أسوأ الآثار على الأمة وشبابها من تكفير وتدمير وحروب مستمرة وسفك دماء وانتهاك أعراض.

٣- ومنها: أنهم قد دفعتهم أهواؤهم إلى رمي أنفسهم وأتباعهم في هوّة الإرجاء الغالي الذي أدى إلى التهوين من خطورة البدع الكبرى بما فيها البدع الكفريّة، **مما أوهن الحس السلفي والغيرة على دين الله** وحملته من صحابة كرام ومن تبعهم بإحسان، بل التهوين من شأن الطعن في بعض الأنبياء.

٤- ومنها: أن أهواءهم قد دفعتهم إلى وضع المناهج الفاسدة للذب عن البدع وأهلها مثل منهج الموازنات بين الحسنات والسيئات، وما يدعمه من القواعد الفاسدة التي تؤدي إلى معارضة ما قرره كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وإلى هدم السنّة وعلومها لا سيما علم الجرح والتعديل الذي امتلأت به المكتبات بالإضافة إلى مساوئ أخرى وضلالات.

نسأل الله أن ينقذ الشباب من شرور هذه الفئة وويلاتها وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة.

وفي النهاية: ينبغي أن يوصف هؤلاء بأنهم: غلاة مرجئة العصر، قبل وصفهم بأنهم: خوارج العصر.



من خصائص دعوتنا: تحرير العقول

● بقلم: التحرير

من خصائص دعوتنا (التحرير)، وأول يد بيضاء لها في هذا الميدان (تحرير العقول من الأوهام والضلالات) في الدنيا والدين، و(تحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال)، وإن تحرير (العقول) و(النفوس) لأساس لتحرير (الأبدان)، وأصل له، ومحال أن يتحرر (بدن) يحمل (عقلاً) عبداً(!)

إن هذا النوع من (التحرير) لا يقوم به، ولا يقوى به إلا العلماء الربانيّون المصلحون، فهو أثر طبيعي للإصلاح المنشود.

(التحرير) العقلي والمنهجي الذي ننادي به هو الذي أساسه (توحيد الله)، وبه -فقط- توقظ في الأمة قوة (التمييز) بين (الصالح) من الرجال، و(الصحيح) من المبادئ، وبين الطالح والزائف منها.

وبهذا (التحرر) ترتاح الأمّة من أصنام تتعبدها باسم (الدين) أو باسم (السياسة).

وبهذا (التحرر) تُزرع البذرة الأولى لما يسمى (الرأي العام)، وتكوّن الرأي العام بمعناه الصحيح، وهو بلوغ الرشد بالنسة إلى الأفراد والجماعات.

وحينها فقط، نبتعد عن (الطنطنة) لعشاق المظهار والتهاويل، وندع (الأصداء الفارغة) ودعوى (المتشبعين) بما ليس فيهم، ونعمل بـ (الحقيقة) التي لا تدحض، و(الحجة) التي لا تنقض، ولا نبالي في (مواقفنا) بـ (مواقعنا)، لا بمن طار، ولا بمن وقع●




السنة الخامسة

١٥/ محرم - ١٥ ربيع أول / ١٤٢١هـ

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرة كل شهرين مؤقتاً

إخواننا القراء:

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بناء.

فـ(الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع إلى الحق

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -

الاشتراكات:

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة:

- الأردن: دينار واحد.
- الإمارات المتحدة: ١٠ دراهم.
- البحرين: دينار واحد.
- السعودية: ١٠ ريالات.
- الكويت: ٨٠٠ فلس.
- أوروبا: ٤ دولارات.
- أمريكا: ٥ دولارات.

صف وإخراج فني: أيهم جابر - ت: ٤٨٨٢٠٥٠

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤ / ٣ / ١٣٢٨)

عنوان المراسلة

▷ الأردن:

عمان - مخيم حطين

ص.ب (٩٨)

رمز بريدي (١٣٧٨١).

تطلب (الأصالة) من

▷ الولايات المتحدة:

AL_QURAN WAS-SUNNAH SO-CIET (QSS)
19800 VAN DYKERD
Detroit MI 48234-3354
Tel: (313) 893-3768
Fax: (313) 893-3748

▷ كندا:

ASSOCIATION MUSULMANE DEMONTREAL - EST.
3445. JEAN - TALON EST. ST-LEONARD H29 1×1
Tel. 514-374-9572
Fax: 514-374-9660

▷ اليمن:

مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٢٦٣٩١٤ - ٦٢٠٢٢٧

▷ الإمارات:

مكتبة الفرقان - عجمان ص.ب (٢٠٢٨٨) هاتف وفاكس (٤٤٤٤٣٥).

● وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.



بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ -وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَ وَبَثَّ مِنْهُما رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.



□□□□□

فاتحة القول:

الحق بدلائله... لا بقائله

يَقُولُ اللهُ -تَبَارَكَ وتَعَالَى-: **﴿وَبِالحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾**، وَيَقُولُ -جَلَّ فِي عُلاَه-: **﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾**...

... هَاتَانِ آيَتَانِ كَرِيمَتَانِ عَظِيمَتَانِ -مِنْ آيَاتٍ كَرِيمَةٍ عَظِيمَةٍ أُخْرَى- تَدُلُّ -جَمِيعُهَا- عَلَى عَظَمَةِ الحَقِّ، وَرَفِيعِ مَكَانَتِهِ، وَكَبِيرِ مَنْزِلَتِهِ، وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ...

وَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً»**.

وَرَضِيَ اللهُ عَنِ الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ -القَائِلِ-: «تَلَقَّ الحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ؛ **فَإِنَّ عَلَى الحَقِّ نُوراً**»(1).

وَرَحِمَ اللهُ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ: «لاَ تَرَى أَحَداً مَالَ إِلَى هَوَى، أَوْ بِدْعَةٍ: إِلاَّ وَجَدْتَهُ مُتَحَيِّراً، مَيِّتَ القَلْبِ، **مَمْنُوعاً مِنَ النُّطْقِ بِالحَقِّ**»(2).

وَهَكَذَا... فَالحَقُّ سِلْسِلَةٌ ذَهَبِيَّةٌ: مُتَرَابِطَةُ الحَلَقَاتِ، مُنْضَبِطَةُ الأَحْكَامِ؛ دَقِيقَةُ الإِحْكَامِ؛ لاَ يَعْتَرِيهَا زَيْغٌ، وَلاَ يَرِدُهَا تَرَدُّدٌ، **وَلاَ يَقْطَعُهَا انْحِرَافٌ**؛ بَلِ الثَّبَاتُ نُورُهَا، وَالهُدَى سَبِيلُهَا، **وَالصَّوَابُ وَاسِطَةُ عِقْدِهَا**...

فَمَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى قَبُولِ الحَقِّ، وَارْتِيَادِ أَبْوَابِهِ، وَسُلُوكِ أَسْبَابِهِ: سَهُلَ عَلَيْهِ

(1) رَوَاهُ أبو داود فِي «سُنَنِه» (1/46).

(2) «الحُجَّةُ فِي بَيَانِ المَحَجَّةِ» (1/431) لِلإِمَامِ الأَصْبَهَانِي.

-بِتَوْفِيقِ رَبِّهِ- مَعْرِفَةُ الْمِعْيَارِ الصَّحِيحِ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الحَسَنِ وَالقَبِيحِ؛ لِيَكُونَ بِهِ- عِلْمِيَّ النَّظْرَةِ، شَرْعِيَّ الحُكْمِ؛ **مِنْ غَيْرِ عَاطِفَةٍ تَغْلِبُهُ فَتَغْرِقُهُ، وَلاَ حَمَاسَةٍ عَنِ الحَقِّ تَحْرِفُهُ؛ فَتُحْرِقُهُ**...

فَلاَ كَبِيرَ إِلاَّ الحَقُّ، وَلاَ تَقْدِيمَ إِلاَّ لِلْحَقِّ، وَلاَ تَعْظِيمَ إِلاَّ لِدَاعِي الحَقِّ...

ولقد كانَ عُلماؤنا -من قبلُ ومن بعدُ- يَفْسَحُون لصاحب الحقّ، ويأنَسُون بكلامِهِ، ويفرحون بصوابِهِ -**حتّى لو كان -هو- في سنّ أبنائهم، وكانوا -هم- يعرفون كلامَه** -قبلاً- ويعلمونَه -سابقاً-؛ فلم نَعْلَمْهم يُعْرِضون، أو يترفَّعون، أو يرفُضُون...

ورحم اللهُ التابعيَّ الجليلَ الإمامَ أبا محمدٍ عطاءَ بنَ أَبِي رَبَاحٍ -القائلَ-: «إنّ الشابَّ لَيتحدَّثُ بالحديثِ فأستمعُ له، وأُنْصِتُ -كأنّي لم أسمَعْه-، **ولقد سمعتُه قبلَ أن يُولَد**»!...[1]

وَمِمَّا يَجِبُ ذِكْرُهُ، وَيَنْبَغِي الإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَالتَّعْرِيفُ بِهِ: أَنَّ البَعْضَ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ -سَدَّدَهُمُ اللهُ- قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُمْ رَغْبَةٌ صَادِقَةٌ فِي إِقَامَةِ إِصْلاَحٍ بَيْنَ مُتَخَاصِمَيْنِ، أَوْ إِنْشَاءِ تَوَسُّطٍ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ: لَكِنَّهُمْ يَنْزِعُونَ فِي تَطْبِيقِ ذلكَ -غَفَرَ اللهُ لَهُمْ- مَنْزِعاً لاَ وَجْهَ لِلْحَقِّ فِيهِ -**وإنْ لم يكونوا مُريديه**-؛ ذَلِكُمْ أَنَّهُمْ يسلُكُونن مَسْلكاً (يظنُّونه) من (**الوسَط**)؛ يَأْخُذُونَ -فيه- مِنْ هَا هُنَا، وَيأْخُذُونَ -به- مِنْ هَا هُنَا!! **فَإِذَا بِهِمْ يَخْرُجُونَ بِقَوْلٍ رَابِعٍ** لَيْسَ هُوَ مِنَ الحَقِّ الخَالِصِ، وَلاَ هُوَ -فِي نَفْسِهِ- إِلَى مَقَالَةِ هَؤلاَءِ، وَلاَ إِلَى مَقُولَةِ أُولَئِكَ!!

فَهذَا -فِي الحَقِيقَةِ- سَبَبٌ وَاصِلٌ لِمَزِيدٍ مِنَ الفِتْنَةِ وَالبَلاَءِ، وَطَرِيقٌ تَتَغَيَّرُ فِيهِ النُّفُوسُ الصَّافِيَةُ، وَتَتَكَدَّرُ بِهِ القُلُوبُ الْمُطْمَئِنَّةُ...

وَرَضِيَ اللهُ عن مَن قَالَ: «**وكم من مُريدٍ للخيرِ لن يُصيبَه**»[2].

وَقَدْ قِيلَ لِلإِمَامِ الأَوْزَاعِيِّ: **إِنَّ رَجُلاً يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَأُجَالِسُ أَهْلَ البِدَعِ! فَقَالَ الأَوْزَاعِيُّ: «هذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ»**.

رَوَى ذَلِكَ -عَنْهُ- الإِمَامُ ابْنُ بَطَّةَ فِي كِتَابِ «الإِبَانَةِ» (٢/ ٤٥٦)، ثُمَّ عَلَّقَ بِقَوْلِهِ: «صَدَقَ الأَوْزَاعِيُّ، إِنَّ هذَا رَجُلٌ لاَ يَعْرِفُ الحَقَّ».

إِذْ كَيْفَ يَجْتَمِعُ النَّقِيضَانِ؟! وَكَيْفَ يَلْتَقِي الضِّدَّانِ؟!

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٣٠٣) للخطيب.

(٢) «سنن الدارمي» (رقم ٢١٥).

فَالحَقُّ أَجَلُّ مَا يُطْلَبُ، وَأَعَزُّ مَا يُحَبُّ، وَالبَاطِلُ أَعْظَمُ مَا يُجْتَنَبُ، وَأَكْبَرُ مَا عَنْهُ يُرْغَبُ... وَهُوَ **(الوَسَطُ) الحَقُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَؤُولَ إِلَيْهِ كُلُّ نِزَاع، وَيَرْجِعَ لَهُ كُلُّ ذِي ابْتِدَاع...**

أَمَّا (وَسَطٌ) -فَضْفَاضٌ تَخْتَرِعُهُ العُقُولُ بِالأَمَانِيِّ -فَقَط- يُرَادُ مِنْهُ اجْتِمَاعٌ -أَيُّ اجْتِمَاعٍ!- فَهذَا عَنِ الهُدَى بَعِيد، وَصَاحِبُهُ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ شَرِيد...

وَهذَا العَدَدُ الخَاصُّ مِنْ رِسَالَتِنَا **(الأصالة)** -إِخْوَانَنَا القُرَّاء- اضْطُرِرْنَا إِلَيْهِ -عَلَى هذِهِ الصُّورَةِ- اضْطِرَاراً؛ **لِمَسِيسِ الحَاجَةِ إِلَيْه، وَلُزُومِ التَّعْجِيلِ بِهِ**؛ فَهُوَ مُهِمٌّ فِي مَادَّتِه، جَلِيلٌ فِي مَسَائِلِهِ؛ لأَنَّهَا مَسَائِلُ عَقَدِيَّةٌ مَنْهَجِيَّةٌ؛ قَدْ عَظُمَ القَوْلُ فِيهَا، وَامْتَدَّ الخَوْضُ إِلَى خَوَافِيهَا؛ وَبِخَاصَّةٍ بَعْدَ صُدُورِ وَرَقَاتِ (أُلحِقَتْ) فِي كِتَابٍ مَشْهُورٍ ذَائِعٍ أَلَّفَهُ بَعْضُ أَفَاضِلِ الشُّيُوخِ؛ **(أَحْدَثَ) فيه مسائلَ (جديدة)، بأقوالٍ غير سديدة**؛ جَانَبَ فِيهَا الصَّوَاب، وَخَالَفَ الحَقَّ بِلاَ ارْتِيَاب.

ورحم اللهُ الإمامَ أحمدَ -القائل-: **«كيف أقولُ ما لم يُقَلْ؟!»**[1]؛ إذْ «نحن إلى أن تَعملَ أنفسنا في حفظِ ما مضى عليه أئمتُنا أحوجُ منّا إلى اختيارٍ»[2]؛ فضلاً عن (اجتهادٍ) مُحْدَثٍ أو (ابتداعٍ) مُخْتَرَعٍ!!

فَكَانَ وَاجِباً عَلَيْنَا -أَمَانَةً وَدِيَانَةً- إِبَانَةُ الحَقِّ الَّذِي نَعْتَقِدُهُ -فِي هذَا- وَإِشْهَارُهُ، وَتَعْرِيفُ العَامَّةِ والخَاصَّةِ بِهِ -مَعَ تَمَامِ البَيَانِ-؛ لِكَيْ يَلْزَمُوا الهُدَى وَحَامِلِيهِ، وَيَجْتَنِبُوا ضِدَّهُ وَمُنَاوِئِيهِ -مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذلِكَ سَبِيلاً-.

وَبِخَاصَّةٍ بَعْدَ أَنْ سَلَكْنَا -مَعَهُ، وَإِلَيْهِ- كَثِيراً مِنَ **الطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ**؛ مِنَ الرَّغْبَةِ بِالنَّصِيحَةِ الفَرْدِيَّةِ، وَالمُكَاتَبَاتِ الشَّخْصِيَّةِ، وَغَيْرِ ذلِكَ... وَصَبَرْنَا، وَانْتَظَرْنَا... فَلَمْ نَنْجَحْ فِي ذلِكَ، وَلَمْ نُفْلِحْ فِيمَا هُنَالِكَ[3]؛ **فَكَانَ لاَ بُدَّ -بَعْدُ- مِنَ الإِعْلاَنِ وَالبَيَانِ؛ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِلَى الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...**

وَمِنَ المُحَتَّمِ علينا ذِكْرُهُ، والواجبِ علينا بيانُهُ؛ أَنْ نقولَ: لقد اطّلع **شيخُنا العلاّمةُ الإمام، أسدُ السُّنَّةِ الهُمَام، شيخُ الإسلام: أبو**

(١) كما في «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٠/ ٣٢٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٢٧٣).

(٣) بَلْ إِنَّ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الكَاتِبِ -غَفَرَ اللهُ لَهُ- قَدْ أَصْدَرَ -بَعْدُ- وُرَيْقَاتٍ أُخْرَى؛ هِيَ -عِنْدَهُ- «اسْتِدْرَاكٌ وَتَوْضِيحٌ...»، لكِنَّهَا -حَقِيقَةً- زِيَادَةٌ وَتَصْرِيحٌ-؛ إِذْ لَيْسَ فِيهَا مِنَ الاسْتِدْرَاكِ وَالتَّوْضِيحِ شَيْءٌ!! إِنَّمَا هِيَ زِيَادَةُ تَثْبِيتٍ لِمَا قَال، وَمَزِيدُ تَوْكِيدٍ لِمَا تَبَنَّاهُ مِنَ الأَقْوَال!!

عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني -رَحِمَهُ اللهُ- على أكتوبةِ فضيلة الشيخ -المردودِ عليها- قبلَ موتِه ببضعةِ أشهر، وأنكرها شديدَ نكرانٍ، وسَخِطَ منها عظيمَ سَخَطٍ، واستاءَ منها أشدَّ استياءٍ.. فرحمةُ اللهِ عليهِ **ما أعظمَ غيْرَتَه على السنّة! وما أكبرَ نقدَه -ونقضَه- لمخالفيها!!**[1]

ونَحْنُ -فِيمَا كَتَبْنَا وَبَيَّنَّا -بِحَمْدِ اللهِ -تَعَالَى- عَلَى سَنَنِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ سَائِرُونَ، وَلِنَهْجِهِمْ سَالِكُونَ؛ كَمَا قَالَ الإِمَامُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ -فِيمَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْم فِي «الحِلْيَة» (٧/ ٣٤)-:

«مَنْ سَمِعَ بِبِدْعَةٍ فَلاَ يَحْكِهَا لِجُلَسَائِهِ، لاَ يُلْقِيهَا فِي قُلُوبِهِمْ».

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي كِتَابِهِ «سِيَرُ أَعْلاَمِ النُّبَلاَءِ» (٧/ ٢٦١) -بَعْدَ نَقْلِهِ هذِهِ الكَلِمَةَ-:

«أَكْثَرُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ عَلَى هذَا التَّحْذِيرِ، يَرَوْنَ أَنَّ **القُلُوبَ ضَعِيفَةٌ، وَالشُّبَهَ خَطَّافَةٌ**».

وَإِذْ قَدْ ذُكِرَتْ شُبُهَاتُ (الكَاتِبِ) وَ(كِتَابِهِ)، وَشُهِرَتْ، وَعُرِفَتْ، وَانْتَشَرَتْ؛ فَلاَ بُدَّ -شَرْعاً وَوَاقِعاً- مِنْ كَشْفِهَا، وَإِزَالَةِ لَبْسِهَا، وَرَدِّ مُتَعَلَّقَاتِهَا؛ حِرَاسَةً لِلْمِلَّةِ، وَحِمَايَةً لأَهْلِ السُّنَّةِ...

وَقَدْ قَالَ الإِمَامُ قَتَادَةُ السَّدُوسِيُّ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ابْتَدَعَ بِدْعَةً يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُذْكَرَ حَتَّى تُحْذَرَ**»[2].

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (١/ ٣٢٧):

«وَاشْتَدَّ نَكِيرُ السَّلَفِ وَالأَئِمَّةِ لِلْبِدْعَةِ، وَصَاحُوا بِأَهْلِهَا مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَحَذَّرُوا، وَبَالَغُوا فِي ذلِكَ مَا لَمْ يُبَالِغُوا فِي إِنْكَارِ الفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ؛ إِذْ **مَضَرَّةُ البِدَعِ وَهَدْمُهَا لِلدِّينِ، وَمُنَافَاتُهَا لَهُ أَشَدُّ**».

ونحن في ذلك -أيضاً- إن شاء اللهُ- على سَمْتِ الإمام الشافعيّ -رحمه اللهُ- وهديهِ- القائل: «ما ناظَرْتُ أحداً، فأحببتُ أن يُخْطِئ»[3]...

فَمِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ **كَتَبْنَا**، وَمِنْ قَاعِدَةِ الحَقِّ **انْطَلَقْنَا**، وَلِبَابِ الأُخُوَّةِ الصَّادِقَةِ **طَرَقْنَا**، وَلِلُبَابِ المَحَبَّةِ فِي اللهِ **أَرَدْنَا**؛ مِنْ غَيْرِ شَمَاتَةٍ مُخْزِيَةٍ، وَلاَ حَمَاسَةٍ مُرْدِيَةٍ...

مِنْ أَجْلِ هذَا كُلِّهِ كَانَ مِنَّا -بعد تأمُّلٍ

(١) ولكنّ ظروفَه الصّحيّة -وقتئذٍ- حالت دون الردّ والبيان...

(٢) «شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ» (٢٥٦) لِلإِمَامِ اللاَّلكَائِيِّ.

(٣) «مناقب الشافعي وآدابه» (ص٣٢٦) لابن أبي حاتم.

وتأنٍّ- عَدَمُ ذِكْرٍ لاسْمِ الشَّيْخِ الفَاضِلِ الَّذِي تَعَقَّبْنَاهُ -وَلاَ تَصْرِيحٍ بِعُنْوَانِ كِتَابِهِ الَّذِي نَقَدْنَاهُ-، رَغْبَةً فِي إعَانَتِهِ -سَدَّدَهُ اللهُ- عَلَى الصَّوَابِ، وَطَمَعاً فِي أَنْ يَعُودَ إِلَى الحَقِّ، ترفُّعاً منّا عن أيِّ **مُناكَفاتٍ شخصيّة، أو منازعاتٍ بَيْنِيّة!**

فَكَانَ مِنَّا فِيمَا كَتَبْنَا تَتَبُّعٌ للمسائلِ المطروقةِ -بِالعِلْمِ الوثِيق، وَالنَّقْلِ الدَّقِيق، وَالتَّمْحِيصِ وَالتَّحْقِيقِ-[1]؛ لاَ بِمُجَرَّدِ الإِنْشَاءِ الكلاميِّ، أَوِ الأَدَبِيَّاتِ العاطفيّة؛ رَغْبَةً فِي أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ مَنْ وَصَلَ إِلَى كِتَابِهِ -هَذَا- نَظَرُهُ، أَوْ تَنَاهَى إِلَيْهِ سَمْعُهُ: أَنَّهُ لَمْ يُوَافِقِ الصَّوَابَ...

فَإِنَّ أَيَّ قَائِلٍ **-مهما كَانَ، وَأَيْنَمَا كَانَ-** سَيَذْهَبُ، وَيَزُولُ ... وَلَكِنْ؛ قَدْ تَبْقَى فِي القُلُوبِ شُبْهَتُهُ، وَقَدْ تُؤَثِّرُ فِي النُّفُوسِ كَلِمَتُهُ؛ فَتَسْتَقِرُّ فِيهَا؛ لِتَفْعَلَ بِهَا فِعْلَ السِّحْرِ بِالمُصَابِ، وَتَعْمَلَ فِيهَا عَمَلَ الخَمْرِ فِي مُعَاقِرِ الشَّرَابِ...

بِمِثْلِ هذَا الصَّنِيعِ نَكُونُ -فِيمَا نَرْجُو- قَدْ تَجَنَّبْنَا فِيمَا كَتَبْنَا أَسْبَابَ الإِثَارَةِ وَالتَّهْوِيش، **وَأَغْلَقْنَا عَلَى مَنْ غَلَبَتْهُمْ عَوَاطِفُهُمْ أبوابَ الوَهَمِ وَالتَّشْوِيش؛** فَلَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ الحَقَّ؛ لِيَكُونُوا مِنْ دُعَاتِهِ وَحُمَاتِهِ؛ إِذْ لَيْسَ يُعَظِّمُ الوَاحِدَ مِنَّا -وَفِينَا- سِنُّهُ، **أَوْ جَاهُهُ، أَوْ سَبْقُهُ -أَوْ هِيَ جَمِيعاً-**: إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا يُوَافِقُ هُوَ الحَقَّ فِي ذلِكَ -بِالحَقِّ-...

وَعَلَيْهِ؛ فَلاَ يَمْنَعَنَّ أحداً شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ -سِنُّهُ، **أَوْ جَاهُهُ، أَوْ سَبْقُهُ -أَوْ كُلُّهُ-** مِنْ أَنْ يَسْمَعَ لِمُخَالِفِهِ، أَوْ أَنْ يَرْجِعَ لِقَوْلِهِ، أَوْ يَأْنَسَ بِكَلاَمِهِ...

وَمَا أَجْمَلَ مَا رَوَاهُ الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ فِي «تَارِيخِهِ» (١٢/ ٢٦٩): أَنَّ الإِمَامَ الحَافِظَ عَفَّانَ بْنَ مُسْلِمٍ الصَّفَّارَ أُعْطِيَ عَشْرَةَ آلاَفِ دِينَارٍ عَلَى أَنْ يَقِفَ عَنِ تَعْدِيلِ رَجُلٍ(!)، فَلاَ يَقُولُ: عَدْلٌ، وَلاَ: غَيْرُ عَدْلٍ! فَأَبَى، وَقَالَ: «**لاَ أُبطِلُ حَقّاً مِنَ الحُقُوقِ**[2]».

وَقَالَ الحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ المَقْدِسِيُّ: «سَمِعْتُ الإِمَامَ أَبَا إِسْمَاعِيلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيَّ -بِهَرَاةَ- يَقُولُ: «عُرِضْتُ عَلَى السَّيْفِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، لاَ يُقَالُ لِي: ارْجِعْ عَنْ مَذْهَبِكَ! لَكِنْ يُقَالُ لِي: اسْكُتْ!

(١) وقد وَصَلَتْ وجوهُ الردِّ والمُناقشة إلى أكثر من مئة وجه؛ والفضلُ لله -أولاً وآخراً-.

(٢) وَهذَا يَدُلُّ عَلَى أَهَمِيَّةِ عِلْمِ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَعَظِيمِ مكَانَتِهِ فِي الدِّينِ، وَلُزُومِ تَطْبِيقِهِ -فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ- بِقَوَاعِدِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَشُرُوطِهِ المَرْعِيَّةِ، وَمِنْ أَهْلِهِ وَعَارِفِيهِ، وَأَصْحَابِهِ وَحَامِلِيهِ...

فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ -إِخْوَانَنَا طَلَبَةَ العِلْمِ!- تَهْوِيلُ المُهَوِّنِ مِنْ شَأْنِهِ، وَكَلاَمُ المُقَلِّلِ مِنْ قَدْرِهِ!!

عَمَّنْ خَالَفَكَ، فَأَقُولُ: لاَ أَسْكُتُ»[1].

فَنَحْنُ -وَالحَالَةُ هذِهِ- نَكُونُ قَدْ **وَافَقْنَا الجَمْعَ بَيْنَ الخَيْرَيْنِ**، وَفَارَقْنَا أَكْبَرَ الشَّرَّيْنِ؛ حِرْصاً عَلَى إِظْهَارِ الحَقِّ، وَرَغْبَةً فِي اجْتِمَاعِ كَلِمَةِ أَهْلِهِ...

وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ مُعَاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «**اتَّقُوا زَيْغَةَ الحَكِيمِ**، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِيْ الحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلاَلَةِ»[2].

ومنه: كلمةُ عُبيد الله بن الحسن العَنْبَرِيِّ: «لأَنْ أَكُونَ ذَنَباً في الحقِّ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أكونَ رَأْساً في الباطلِ»[3].

وَرَوَى الإِمَامُ اللاَّلَكَائِي فِي «شَرْحِ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ»(١٢٢) عَنِ الصَّحَابِي الجَلِيلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَوْلَهُ: «يَجِيءُ قَوْمٌ يَتْرُكُونَ مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَ هذَا -يَعْنِي: مِفْصَلَ الأُصْبُعِ-؛ **فَإِنْ تَرَكْتُمُوهُمْ جَاؤوا بِالطَّامَّةِ الكُبْرَى...**».

وَقَال -رضيَ اللهُ عنه-: «**إنَّا نَقْتَدي، ولا نَبْتَدي! ونتّبعُ، ولانبتدعُ؛ ولن نَضلَّ ما تمسَّكْنا بالأثَرِ**»[4].

وَمِنْ نَافِلَةِ القَوْلِ التَّذْكِيرُ -هَا هُنَا- **بِلُزُومِ القِرَاءَةِ لِلْمُحْتَوَيَاتِ وَلِلْمَضَامِينِ، وَالنَّظَرِ الصَّادِقِ الأَمِينِ**، دُونَ **الاكْتِفَاءِ بِالوُقُوفِ عَلَى مُجَرَّدِ العَنَاوِينِ**، أَوْ تَقْلِيبِ الصَّفَحَاتِ بِغَيْرِ تَبَيُّنٍ، أَوْ تَبْيِينٍ؛ ثُمَّ تَبَنِّي المَوَاقِف - مِن بَعْدُ- إِلَى الشِّمَالِ، أَوْ إِلَى اليَمِينِ!!!

وَأَخِيراً؛ نَقُولُ لأَنْفُسِنَا، وَأَصْحَابِنَا، وَإِخْوَانِنَا، وَمَشَايِخِنَا؛ مُذَكِّرِينَ، وَنَاصِحِينَ، وَمُنَبِّهِينَ -فَرْداً فَرداً-:

«**اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ القَوْمُ، وَقُلْ فيما قَالُوا، وَكُفَّ عمَّا كَفُّوا، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالحِ؛ فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ**»[5].

«وَلَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ»[6]؛ إِطْفَاءاً لِنَارِ البِدْعَةِ، وَإِعْلاءاً لِمَنَارِ المَحَجَّةِ...

وَالهَادِي هُوَ اللهُ...

(١) «الآدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» (١/ ٢٠٧) لابْنِ مُفلح المَقْدِسيِّ الحَنْبَلِيِّ.

(٢) «سُنَن أبي داود» (٤٦١١).

(٣) «الإبَانَة» (٢/ ٨٨٢).

(٤) «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء» (١/ ٨٠).

(٥) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٠٨).

(٦) «الحُجّة في بيان المَحَجّة» (٤٤٩) للأصبهاني.

• قال الشَّيخُ عبداللّطيف بن عبدالرّحمن بن حَسَن بن محمّد بن عبدالوهّاب -رحمه الله -تعالى-:

«الواجب على المكلّفين في كلّ زمان ومكان: الأخذ بما صحّ وثبت عن رسول الله ﷺ، ولا لأحدٍ أن يعدل عن ذلك إلى غيره.

ومَنْ عجز عن ذلك في شيءٍ من أمر دينِه فعليه بما كان عليه السلف الصّالح والصّدر الأوّل.

فإن لم يدر شيئاً من ذلك، وصح عنده عن أحدٍ من الأئمّة الأربعة المقلَّدين الّذين لهم لسان صدقٍ في الأمّة فتقليدهم سائغ -حينئذٍ-.

فإنْ كان المكلَّف أنْزَلَ قدْراً وأقلّ علماً وأنقص فهماً من أن يَعرف شيئاً من ذلك فليتَّق الله ما استطاع، وليقلِّد الأعْلم من أهل زمانه أو مَن قبلهم، خصوصاً من عُرف بمتابعة السنّة، وسلامة العقيدة، والبراءة من أهل البدع؛ فهؤلاء أحرى الناس وأقربهم إلى الصّواب، وأن يُلهموا الحكمة، وتنطق بها ألسنتهم».

«الدرر السَّنِيَّة» (١٠٥/٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

مَدْخَلٌ

المسائلُ العلميّةُ الّتي هي موضعُ البحثِ والنظر -في (ملحق) كتاب فضيلةِ الشيخ الكاتب -سدّده الله- خمسٌ؛ وهي:

١- لغةُ العرب، أم فهم السَّلَف؟

٢- مَنْزِعٌ فِي تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ!

٣- إِنْكَار أَنْ يَكُونَ الكُفْرُ كُفْرَيْنِ!

٤- تَصَوُّر حَقِيقَةِ الإِيمَانِ!

٥- تعريفُ الإِرْجَاءِ وَالمُرْجِئَةِ!

. . .وَلَمَّا أَنْعَمْنَا النَّظَرَ فِيمَا كَتَبَ -سَدَّدَهُ اللهُ-؛ رَأَيْنَا -بعد تأنٍّ، وتأمُّل، ومُشَاوَرةٍ، ومُراجعةٍ- كما تقدَّم- أَنَّهُ جَانَبَ الصَّوَابَ فِيهَا -جَمِيعاً-؛ وأنّه لا بُدَّ مِن إسْداءِ النصيحةِ لكَاتِبِه؛ لأنّها شِرْعةٌ قائمةٌ بين المؤمنين، وميثاقٌ نبويٌّ بين المسلمين.

واللهُ الموفّقُ للحقّ المُبين.

وَلَكِنْ؛ مِنْ حَيْثُ البَحْثُ العِلْمِيُّ المُجَرَّدُ: فَإِنَّ مَسْأَلَةَ تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ -من حيثُ هِيَ- تَخْتَلِفُ -أَصَالَةً- عَنِ المَسَائِلِ الثَّلَاثِ الأُخرى؛ ذَلِكُم أَنَّهَا مَسْأَلَةٌ ذَاتُ خِلَافٍ عالٍ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ، «اشْتَجَرَتْ فِيهَا العُقُولُ قَدِيماً وَحَدِيثاً، وَتَمَارَتْ فِيهَا الآرَاءُ، وَتَبَايَنَتْ فِي الحُكْمِ فِيهَا الأَقْلَامُ[1]»، **«والحقُّ من الأقوال -كلِّها - في**

---

(١) كما قال فضيلةُ الشيخ -نفسه- في كتابِهِ (ص ١٦٤) -نفسه-.

واحدٍ، وسائرُها خطأٌ»[١].

على أنَّ مَنْزِعَ الشيخ -سدّده الله- في التكفير -فيها- منزعٌ لا يُعرفُ عند أهل العلم القائلين في المسألة قولَه!! ذلكم أنّه يكفّر التارِكَ للصلاةِ، ثم يُرتّب عليه أحكامَ الرِّدّةِ والكُفر في الدُّنيا، مع احتمالِهِ نجاتَه يومَ القيامَة -إذا أخلصَ في قولِهِ: (لا إله إلا الله)!! بينما يقولُ أهلُ العلم -المرجِّحون التكفير-: «أمّا في الآخرة -والعياذُ بالله- فإنّه يكونُ مُخلّداً في نار جهنّم»[٢]، ويُعَلِّلون ذلك بكون: «الذي لا يُصلّي ليس في قلبه إيمان»[٣].

هذا طريقُهم، وهو مخالفٌ -تماماً- لمنزع الشيخ -سدَّده الله-!

ومِن هُنا جاءَ تَعَقُّبنا له، وبيانُنا لها.. وإلاَّ: لم نذكرها، ولم نُورِدْها، أسوةً بغيرها من مسائل العلمِ ذات الخِلاف العالي بين عُلماءِ أهل السنة -قديماً وحديثاً-، محتَملاً بعضُهم بعضاً، بالتماسِ العُذْر، واعتبارِ المُخَالِفِ.

وأَمَّا المَسَائِلُ الثَّلاَثُ الأُخَرُ: فَقَدْ كَانَ تَرجِيحُ فضيلةِ الشَّيْخِ فِيهَا -سَدَّدَهُ اللهُ- وسبيلُهُ-: **بَعِيداً جِدّاً عَنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَنَهْجِ أئمّة السَّلَف.**

فصارَتْ مسائلُهُ -التي بنى عليها كتابَه -كُلّها- خلافَ الحقِّ، وعكسَ الصوابِ، ولا هاديَ إلاّ ربُّ الأرباب...

ولعلَّ هذا من فضيلةِ الشيخِ الكاتبِ -وفّقه الله- بسبب غَلَبَةِ طريقتِهِ الإنشائيّة اللُّغويّة المَحْضَة -في بحثه- دون النقل لكلام أئمّة العلمِ الكبار، الذين بحثوا هذه المسائل، وأشبعوها دراسةً، كمثل شيخَي الإسلام: ابن تيميّةَ، وابن

---

(١) «النُّبَذ في أُصول الفقه» (١٠٨) لابن حزم، وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٩٩) لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

(٢) «فتاوى نور على الدّرب» (١/ ١٣٩) لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله-.

(٣) «فتاوى منار الإسلام» (١/ ١٣٤) -له- نَفَعَ الله به-.

القيّم؛ ومن سَلَكَ سبيلهما من أهل العلم بعدَهما . . .

وَإِذِ الأَمْرُ كَذلِكَ، فَقَدْ رَأَيْنَا وُجُوبَ كَتْبِ هذا الجَواب المختصَر -وَفْق ما تقتضيهِ الحاجة- عَلَى هذهِ المَسَائِلِ الخمسةِ؛ أَدَاءً لِلأَمَانَةِ، وَإِبراءً لِلذِّمَّةِ، ونُصْحاً للأُمَّةِ، وَإِجَابَةً لِلسَّائِلِينَ، وتَمْييزاً لِلْمَوَاقِفِ؛ وحفظاً لِعُدّة المستقبل مِن إخواننا الشباب؛ ليعرفوا -بحقٍّ- مدارجَ الهُدى، ومداركَ الصواب.

وَإِنَّ مِنْ نَافِلَةِ القَوْلِ -فِي هذَا المَقَامِ- أَنْ نَقُولَ:

إنَّ فضيلةِ الشيخِ الكاتبِ -سدّده اللهُ- من الشُّيوخ الفُضلاء، والأساتذة النُّبلاءِ؛ وعليه:

فإِنَّ إِبَانَتنَا -هذه- لاَ يَلْزَمُ مِنْهَا انْتِقَاصٌ لَهُ، وَلاَ يَجْمَعُهَا اسْتِياءٌ مِن شَخْصِهِ، ولاَ يَنْبَغِي أَنْ يَترَتَّبَ عَلَيْهَا سُوءُ ظَنٍّ بهِ -أو بِنا-، وَلاَ أَنْ تُبْنَى -عَلَيْهَا- أَحْكَامٌ دَخِيلَةٌ عَلَيْهَا، بَعِيدَةٌ عَنْهَا . . .

وأَمَّا الأَدَبُ؛ فإنَّ أعْلاهُ وأولاهُ وأعلاهُ؛ مُتمثّل في قولِ الحقِّ بالحقِّ؛هذا مِعْيَارُهُ، وهذا إِطارُهُ. . وأمّا (قِلّتُهُ) و(سوؤُهُ): ففي عكس ذلك من السُّكوت عن الحقِّ، أو المُداهَنَةِ فيهِ، أو مُجانَبَتِهِ، ورفضِهِ، والبُعدِ عنه!

وَنُكَرِّرُ مَعَ الإِمَامِ ابْنِ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- قَوْلَهُ في «مدارج السالكين» (٣/ ٣٩٤)- عِنْدَمَا رَدَّ عَلَى (شَيْخِ الإِسْلاَمِ الأَنْصَارِيِّ الهَرَوِيِّ) بَعْضَ مَسَائِلِهِ:

«شَيْخُ الإِسْلاَمِ حَبِيبُنا؛ لكِنَّ الحَقَّ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ».

نَقُولُ: وهذه **قاعدةٌ** نأخذها عنه؛ فَمَا بَالُكُمْ بِمَنْ هُمْ دُونَهُمَا - كِلَيْهِمَا - **مِمَّنْ بَعْدَهُمَا؟!**

وليس في شَيءٍ من هذا كلِّه -بحمد الله- مخالفةٌ للشرع، أو تصيُّدٌ للعثَرات، أو فَرَحٌ بالزلاّت -كما قَدْ يُتَوَهَّم!-؛ **ولكنّها -والله- أمانةُ العلم، وتعظيمُ الشَّرْعِ الحكيم، وإخلاصُ النّصح لأَنْفُسِنا، وإخوانِنا. . .**

ورحم اللهُ الشيخَ الإمام، شيخ الإسلام ابن تيميّة النُّمَيري -القائلَ- كما في «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٢٣٩) -:

«ولَيْسَ لأحدٍ أن يتَّبعَ زلاَّتِ العُلَماءِ، كما ليس له أن يتكلَّم في أهلِ العلمِ والإيمانِ إلاّ بما هم له أهلٌ؛ فإنّ الله -تعالى- عفَا للمُؤمنينَ عمّا أخْطَأُوا؛ كما قال -تعالى-: ﴿ربَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخطَأْنا﴾، قال الله: قد فعلتُ، وأمَرَنا أن نَتَّبعَ ما أُنزل إلَينا من ربِّنا ولا نتَّبع مِن دُونِه أولياءَ، **وأمَرَنا أن لا نُطيعَ مَخْلوقاً في معصيةِ الخالقِ**، ونَستغفرَ لإخوانِنا الّذين سبَقونا بالإيمان، فنقولَ: ﴿ربَّنا اغْفِرْ لَنا ولإخْوانِنَا الَّذينَ سبَقُونا بالإيمان...﴾ الآية.

وهذا أمرٌ واجبٌ على المسلمين في كُلّ ما كان يُشبه هذا من الأمورِ، ونُعَظّم أمره -تعالى- بالطاعةِ للهِ ورسولِه؛ ونرعى حُقوقَ المسلمينَ؛ لا سيّما أهلُ العلم منهم، كما أمرَ اللهُ ورسولُهُ.

ومَنْ عدَلَ عن هذهِ الطريقِ فَقدْ عدَلَ عن اتّباعِ الحُجَّةِ إلى اتّباعِ الهوَى في التقليدِ، وآذى المؤمنينَ والمؤمناتِ بغيرِ ما اكْتَسَبوا: فَهُو من الظالِمينَ، ومَنْ عَظَّم حُرُماتِ اللهِ وأَحْسَنَ إلى عبادِ اللهِ كان من أولياءِ اللهِ المُتقين».

فالواجبُ في النظر: «**أن يكون إلى القولِ لا إلى القائل**»[1]؛ هذا هو الحقُّ والمُعْتَبر...

ورحم اللهُ مَن قال:

«يتعيَّنُ على مَنْ نَصَح لنفسه، وعَلِمَ أنّه مسئولٌ عمَّا قالَ، ومُحاسَبٌ على اعتقاده، وقولِه، وفعلِه: أنْ يُعدَّ لذلك جوَاباً، ويخلعَ ثَوبَي الجهلِ والتعصُّب، ويُخْلِص القصدَ في طَلَبِ الحقّ؛ قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ إنَّما أعِظُكُم بِواحِدَةٍ أنْ تقُومُوا للَّه مَثْنَى وفُرَادى ثُمَّ تَتفَكَّرُوا﴾.

(١) «تلبيس إبليس» (ص٨١) لابن الجوزيّ.

ولْيَعْلَمْ أنَّه لا يُخلِّصُهُ إلا اتِّباعُ كتابِ اللهِ، وسُنَّة نبيِّه؛ قال الله -تعالى- : ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ولا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أولِياءَ قليلاً مَا تذكَّرُون﴾»[1].

﴿واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾.

ومِمّا لا بُدَّ من قوله -في هذا المقام-: أنّ كتابَنَا هذا هو ما نعتقدُه الحقَّ والصواب، وهذا لا يَعْني -البتّةَ- أنّنا معصومون لا نُخطئ ولا نغلطُ، لا؛ بل الغَلَطُ والخَطَأ من طَبْع بَني البشر -جميعاً- دونما فرق بين صغيرٍ وكبير-.

وعليه؛ فمن وجد ملاحظةً علميّةً، أو نقداً، أو استدراكاً؛ فالقلب مفتوحٌ، والعقلُ مرحِّبٌ، والنفسُ توّاقةٌ، والهدى -من قبل ومن بعد- من الله -عزّ وجلّ-.

□□□□□

(١) «الانتصار لحزب الله المُوَحِّدين» (ص٦٧) للعلاّمة أبا بُطَين -رحمه الله-.

• قال علماءُ السنة -في وصفهم اعتقادَ أهل السنة والجماعة-: «لا يكفّرون أحداً من أهل القبلة بذنب»؛ إشارة إلى بدعة الخوارج المُكفِّرة بمطلق الذنوب؛ فأما أصل الإيمان الذي هو الإقرار بما جاءت به الرسل عن الله؛ تصديقاً به وانقياداً له، فهذا أصل الإيمان الذي من لم يأتِ به فليس بمؤمن.

ولهذا تواتَرَ في الأحاديث: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، «... مثقال حبة من إيمان»، وفي «الصحيح» -أيضاً-: «... مثقال حبة من خير»، «... مثقال ذرة من خير».

وقال ﷺ -في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة-: «الإيمان بضع وستون -أو بضع وسبعون- شعبة؛ أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من شعب الإيمان».

فعلم أنّ الإيمان يقبل التبعيضَ والتجزئة، وأن قليلَه يُخرج من النار من دخلها، ليس هو كما يقوله الخارجون عن مقالة أهل السنّة أنه لا يقبل التبعيض والتجزئة؛ بل هو شيءٌ واحد: إما أن يحصلَ كله، أو لا يحصل منه شيءٌ».

«مجموع فتاوى شيخ الإسلام»

(١٢/٤٧٤-٤٧٥)

المسألة الأولى:

بينَ لغة العرب، وفهم السَّلف

○ تَكَلَّمَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ - سَدَّدَهُ اللهُ - (ص١٦٤-١٦٨) -من مُلْحَقِهِ في كتابه- عَلَى أَهَمِّيَّةِ اللُّغَةِ، وَمَكَانَتِهَا، وَأَنَّهَا الأَسَاسُ فِي فَهْمِ نُصُوصِ الشَّرْعِ وَأَحْكَامِهِ.

وَلَخَّصَ ذلِكَ كُلَّهُ (ص٢٠٢) -منه- بِقَوْلِهِ: «وَنَحْنُ لاَ نَفْهَمُ الشَّرْعَ - بِأَحْكَامِهِ، وَقَوَاعِدِهِ، وَحَقَائِقِهِ - إِلاَّ مِنْ لُغَةِ العَرَبِ الَّتِي خَاطَبَ بِهَا المُكَلَّفِينَ مِنَ عِبَادِهِ».

□ فَنَقولُ:

هذَا -بِالجُمْلَةِ- صَحِيحٌ؛ لَكِنَّ لَهُ شَرْطاً لاَزِماً لاَ بُدَّ مِنْ ذِكْرِهِ، وَالكَشْفِ عَنْهُ، وَتَكْرَارِهِ، وَالتَّوْكِيدِ عَلَيْهِ؛ **وَهُوَ أَنَّ السَّلَفَ هُمْ وِعَاءُ ذلِكَ كُلِّهِ**، وَعَيْبَتُهُ الوَاسِعَةُ، فَلَهُمْ فِي ذلِكَ المَجَالُ الأَرْحَبُ، وَالمَكَانُ الأَوْعَبُ؛ ذلِكُمْ «أَنَّ لِلأُمُورِ أَهْلَهَا الأَحَقَّ بِهَا، وَالأَوْلَى أَنْ يَقُومُوا عَلَيْهَا»[1].

وَهَلِ القَوْمُ إِلاَّ كَذلِكَ؟! فَهُمُ العُمْدَةُ وَالأَسَاس في دُنيا النَّاس...

ولقد تقرّر -عند كُلّ ذي نظر- من عُلَماء السُّنّة والأثر: **أَنَّ ضَلاَلَ كَثِيرٍ مِمَّنْ ضَلَّ أَوْ غَوَى -وَبِخَاصَّةٍ فِي مَسَائِلِ الاعْتِقَادِ-؛ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ اتِّكَائِهِمْ عَلَى مَعْنىً لُغَوِيٍّ لِكَلِمَةٍ -مَا-، دُونَ الاسْتِئْنَاسِ -أو الاعتماد- لِمَا قَالَهُ أَئِمَّةُ السَّلَفِ فِيهَا...**

(١) مِن ملحق الكتاب (١٦٧) -نفسُه-!

وَمَا ضَلاَلُ **الجَهْمِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ** فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ -عُمُوماً-، وَمَسْأَلَةِ اسْتِوَاءِ اللهِ عَلَى عَرْشِهِ -خُصُوصاً- **نَتِيجَةَ الاسْتِقْلاَلِ بِالمَعْنَى اللُّغَوِيِّ**- عَنِ الفَطِنِ بِبَعِيدٍ!

وَمَا انْحِرَافُ **الأَشْعَرِيَّةِ وَالمَاتُرِيدِيَّةِ** فِي مَسْأَلَةِ الإِيمَانِ، وَعَدَمُ تَصَوُّرِهِمُ الصَّحِيحِ لَهَا -**نَتِيجَةَ الوقوفِ عند المعنى اللُّغَوِيِّ له**- عَنِ الدَّارِسِ بِنَاءٍ!

بَلْ هَذَا - نَفْسُهُ - كَانَ مِنْ أَسْبَابِ انْحِرَافِ **المُرْجِئَةِ** وَضَلاَلِهِمْ - أَيْضاً -؛ كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ١١٨):

«وَقَدْ عَدَلَتِ **المُرْجِئَةُ** فِي هذا الأَصْلِ عَنْ بَيَانِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، **وَاعْتَمَدُوا عَلَى رَأْيِهِمْ، وَعَلَى مَا تَأَوَّلُوهُ بِفَهْمِهِمُ اللُّغَةَ**، **وَهذِهِ طَرِيقَةُ أَهْلِ البِدَعِ**؛ وَلِهذَا كَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ يَقُولُ: أَكْثَرُ مَا يُخْطِئُ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّأْوِيلِ وَالقِيَاسِ.

وَلِهذَا تَجِدُ **المُعْتَزِلَةَ وَالمُرْجِئَةَ وَالرَّافِضَةَ** - وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ - يُفَسِّرُونَ القُرْآنَ بِرَأْيِهِمْ، وَمَعْقُولِهِمْ، **وَمَا تَأَوَّلُوهُ مِنَ اللُّغَةِ**، وَلِهذَا تَجِدُهُمْ لاَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، فَلاَ يَعْتَمِدُونَ لاَ عَلَى السُّنَّةِ، وَلاَ عَلَى إِجْمَاعِ السَّلَفِ وَآثَارِهِمْ؛ **وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى العَقْلِ وَاللُّغَةِ**، وَتَجِدُهُمْ لاَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورَةِ وَالحَدِيثِ وَآثَارِ السَّلَفِ؛ **وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى كُتُبِ الأَدَبِ وَكُتُبِ الكَلاَمِ الَّتِي وَضَعَتْهَا رُؤُوسُهُمْ**.

وَهذِهِ طَرِيقَةُ **المَلاَحِدَةِ** - أَيْضاً -؛ إِنَّمَا يَأْخُذُونَ مَا فِي كُتُبِ الفَلْسَفَةِ، **وَكُتُبِ الأَدَبِ وَاللُّغَةِ**، وَأَمَّا كُتُبُ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ وَالآثَارِ؛ فَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهَا؛ هَؤُلاَءِ يُعْرِضُونَ عَنْ نُصُوصِ الأَنْبِيَاءِ؛ إِذْ هِيَ عِنْدَهُمْ لاَ تُفِيدُ العِلْمَ، وَأُولَئِكَ يَتَأَوَّلُونَ القُرْآنَ بِرَأْيِهِمْ وَفَهْمِهِمْ بِلاَ آثَارٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا كَلاَمَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ فِي إِنْكَارِ هذَا، وَجَعْلِهِ طَرِيقَةَ أَهْلِ البِدَعِ».

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - (٧/ ٢٨٦):

«وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الأَلْفَاظَ المَوْجُودَةَ فِي القُرْآنِ وَالحَدِيثِ إِذَا عُرِفَ تَفْسِيرُهَا مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ **لَمْ يُحْتَجْ فِي ذلِكَ إِلَى الاسْتِدْلاَلِ بِأَقْوَالِ أَهْلِ اللُّغَةِ**

وَلاَ غَيْرِهِمْ».

ثُمَّ قَالَ:

«**فَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ بَيَّنَ المُرَادَ بِهذِهِ الأَلْفَاظِ بَيَاناً لاَ يُحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى الاسْتِدْلاَلِ عَلَى ذَلِكَ بِالاشْتِقَاقِ، وَشَوَاهِدِ اسْتِعْمَالِ العَرَبِ**، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَلِهذَا يَجِبُ الرُّجُوعُ فِي مُسَمَّيَاتِ هذِهِ الأَسْمَاءِ إِلَى بَيَانِ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ **فَإِنَّهُ شَافٍ كَافٍ**».

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - (١٩/ ٢٣٥-٢٣٦):

«**الأَسْمَاءُ الَّتِي عَلَّقَ اللهُ بِهَا الأَحْكَامَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: مِنْهَا مَا يُعْرَفُ حَدُّهُ وَمُسَمَّاهُ بِالشَّرْعِ، فَقَدْ بَيَّنَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ؛ كَاسْمِ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ؛ وَالإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ؛ وَالكُفْرِ وَالنِّفَاقِ**.

وَمِنْهُ مَا يُعْرَفُ حَدُّهُ بِاللُّغَةِ؛ كَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ؛ وَالسَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ وَالبَرِّ وَالبَحْرِ.

وَمِنْهُ مَا يَرْجِعُ حَدُّهُ إِلَى عَادَةِ النَّاسِ وَعُرْفِهِمْ - فَيَتَنَوَّعُ بِحَسَبِ عَادَتِهِمْ -؛ كَاسْمِ البَيْعِ وَالنِّكَاحِ وَالقَبْضِ وَالدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي لَمْ يَحُدَّهَا الشَّارِعُ بِحَدٍّ، وَلاَ لَهَا حَدٌّ وَاحِدٌ يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ أَهْلِ اللُّغَةِ؛ بَلْ يَخْتَلِفُ قَدْرُهُ وَصِفَتُهُ بِاخْتِلاَفِ عَادَاتِ النَّاسِ.

فَمَا كَانَ مِنَ النَّوْعِ الأَوَّلِ: فَقَدْ بَيَّنَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا كَانَ مِنَ الثَّانِي وَالثَّالِثِ: فَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ المُخَاطَبُونَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَدْ عَرَفُوا المُرَادَ بِهِ؛ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمُسَمَّاهُ المَحْدُودِ فِي اللُّغَةِ، أَوِ المُطْلَقِ فِي عُرْفِ النَّاسِ وَعَادَتِهِمْ؛ مِنْ غَيْرِ **حَدٍّ شَرْعِيٍّ وَلاَ لُغَوِيٍّ، وَبِهذَا يَحْصُلُ التَّفَقُّهُ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**.

وَالاسْمُ إِذَا بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ حَدَّ مُسَمَّاهُ لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَكُونَ قَدْ نَقَلَهُ عَنِ اللُّغَةِ أَوْ زَادَ فِيهِ؛ بَلِ المَقْصُودُ أَنَّهُ عُرِفَ مُرَادُهُ بِتَعْرِيفِهِ هُوَ ﷺ -كَيْفَ مَا كَانَ الأَمْرُ-؛ فَإِنَّ هذَا هُوَ المَقْصُودُ».

ثُمَّ قَالَ:

«وإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذلِكَ: فَمَا أَطْلَقَهُ اللهُ مِنَ الأَسْمَاءِ، وَعَلَّقَ بِهِ الأَحْكَامَ مِنَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ: **لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ أَنْ يُقَيِّدَهُ إِلاَّ بِدلاَلَةٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ**».

☐ نَقُولُ:

وَمَسَائِلُ (الإِيمَانِ) وَ (الكُفْرِ) - الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِ بَيَانِهَا - دَاخِلَةٌ فِي هذَا البَابِ - تَمَاماً - **بل هي أَصْلُهُ وأساسُهُ** - وَبِخَاصَّةٍ بَعْدَ كَثْرَةِ الخَوْضِ فِيهَا وتعدُّد قائليها:

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ (٧/ ٣٥٦- ٣٥٧):

«وَالاسْمُ كُلَّمَا كثُرَ التَّكَلُّمُ فِيهِ- فَتُكُلِّمَ بِهِ مُطْلَقاً، وَمُقَيَّداً بِقَيْدٍ، وَمُقَيَّداً بِقَيْدٍ آخَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ- كَانَ هذَا سَبَباً لاشْتِبَاهِ بَعْضِ مَعْنَاه، ثُمَّ كُلَّمَا كَثُرَ سَمَاعُهُ كَثُرَ مَنْ يَشْتَبِهُ عَلَيهِ ذلِكَ.

وَمِنْ أَسْبَابِ ذلِكَ: أَنْ يَسْمَعَ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضَ مَوَارِدِهِ، وَلاَ يَسْمَعَ بَعْضَهُ، وَيَكُونَ مَا سَمِعَهُ مُقَيَّداً بِقَيْدٍ أَوْجَبَهُ اخْتِصَاصُهُ بِمَعْنىً، فَيَظُنَّ مَعْنَاهُ فِي سَائِرِ مَوَارِدِهِ كَذلِكَ.

فَمَنِ اتَّبَعَ عِلْمَهُ: حَتَّى عَرَفَ مَوَاقِعَ الاسْتِعْمَالِ عَامَّةً، وَعَلِمَ مَأْخَذَ الشُّبهة: أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَعَلِمَ أَنَّ خَيْرَ الكَلاَمِ كَلاَمُ اللهِ، وَأَنَّهُ لاَ بَيَانَ أَتَمُّ مِنْ بَيَانِهِ».

☐ نَقُولُ: فَكَيْفَ إِذَا (عَرَفْنَا) أَنَّ لأَهْلِ العِلْمِ - فِي مَسَائِلِ الإِيمَانِ وَالكُفْرِ - **اصْطِلاَحَاتِهِمُ الدَّقِيقَةَ، وَأَلْفَاظَهُمُ الوَثِيقَةَ**[1]، الَّتِي لِكُلٍّ مِنْهَا مَعْنىً، وَلِكُلٍّ مِنْهَا

---

(١) وقد رأينا -بعد تتبُّعٍ، وبحثٍ، وصَبْرٍ -أنَّ مبنى غَلَط المخالفين - في هذه المسألة - مع تنوُّع أخطائهم ودرَجاتِها -هو عدم التمييز الحقّ بين هذه الاصطلاحات، وعدم التتبُّع الصحيح لمعانيها ومدلولاتها. . .

فَمَنْ وفّقَهُ اللهُ لِفَهْمِ ما قرّره شيخُ الإسلامِ -في هذا-: أَمِنَ على نفسِه الغَلَط والعثَار؛ في هذه المسائل الكِبار. .

وانظر ما سيأتي (ص١٢٤-١٢٦).

مَدْلُولٌ؛ مِنْ ذلِكَ - فِيمَا نَحْنُ فِيهِ -:

الاصطلاحاتُ المتعلّقةُ بالإيمان؛ وهي على ضَرْبين:

○ **الأول**:

١- الإيمَانُ الظَّاهِرُ.
٢- الإيمَانُ الوَاجِبُ.
٣- الإيمَانُ المُطْلَقُ.
٤- الإيمَانُ الصَّحِيحُ.
٥- الإيمَانُ الكَامِلُ.
٦- الإيمَانُ البَاطِنُ.
٧- الإيمَانُ المَفْرُوضُ.
٨- الإيمَانُ النَّاقِصُ.
٩- الإيمَانُ الفَاسِدُ.
١٠- الإيمَانُ التَّامُّ.

○ **الضربُ الثاني**:

١- أَوَّلُ الإِيمَانِ.
٢- مُطْلَقُ الإِيمَانِ.
٣- أَصْلُ الإِيمَانِ.
٤- حَقِيقَةُ الإِيمَانِ.
٥- صِحَّةُ الإِيمَانِ.
٦- شَرْطُ الإِيمَانِ.
٧- رُكْنُ الإِيمَانِ.
٨- فَرْعُ الإِيمَانِ.
٩- كَمَالُ الإِيمَانِ.
١٠- عَدَمُ الإِيمَانِ.

ومّما نحنُ فِيهِ - أَيْضاً -: **الاصطلاحاتُ المتعلّقةُ بالكفر**؛ من ذلك:

١- الكُفْرُ البَاطِنُ.
٢- الكُفْرُ الظَّاهِرُ.
٣- الكُفْرُ الأكْبَرُ.
٤- الكُفْرُ الأصْغَرُ.
٥- الكُفْرُ العَمَلِيُّ.
٦- الكُفْرُ الاعْتِقَادِيُّ.
٧- الكُفْرُ القَوْلِيُّ.
٨- الكُفْرُ المُطْلَقُ.
٩- الكُفْرُ الصَّرِيحُ.
١٠- الكُفْرُ المُرَكَّبُ.

. . . وَهكَذَا، فِي مَجْمُوعَةِ اصْطِلاَحَاتٍ وَتَرَاكِيبَ -كَثِيرَةٍ كبيرةٍ دَقِيقَةٍ- لاَ يُغْنِي فِي مَعْرِفَتِهَا النَّظَرُ فِي مُعْجَمٍ أَوْ قَامُوسٍ! أَوِ التَّعَجُّلُ بِقِرَاءَةِ كِتَابٍ أَوْ كِتَابَيْنِ! بَلِ الأَمْرُ أَوْسَعُ، وَأَعْمَقُ، وَأَدَقُّ، وَأَخْطَرُ. . .

○ فَمَا قَالَهُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص١٦٧) -من كتابه- لاَ يَلْتَقِي مَا ذَكَرْنَا!!- وَذلِكَ قَوْلُهُ -سَدَّدَهُ اللهُ-:

«وَلَيْسَ فِي وُسْعِ كُلِّ مَنْ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِالحَرْفِ العَرَبِيِّ، أَنْ يَكُونَ قَادِراً عَلَى إِدْرَاكِ المَعَانِي المَكْنُونَةِ فِي الحُرُوفِ وَالأَلْفَاظِ العَرَبِيَّةِ، وَبِخَاصَّةٍ وَأَنَّهَا قَدْ غَابَتْ حَتَّى عَنِ الطَّبَقَةِ الَّتِي تَتَصَدَّرُ الأُمَّةَ، مِمَّنْ جِيءَ بِهِمْ: إِمَّا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ قَسْراً، وَإِمَّا فَرْضاً مِنْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ غُلِبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ، وَإِمَّا حِينَ صَوَّحَتِ الأَرْضُ مِنَ القَادِرِينَ عَلَى اجْتِلاَبِ المَعَانِي وَالأَفْكَارِ، مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ وَلاَ إِعْسَارٍ.

وَلَيْسَ يَخْفَى بِأَنَّ هذِهِ الطَّبَقَةَ قَدْ أَرْقَدَتِ الجَهْلَ فِي عُقُولِهَا، وَأَبَتْ إِلاَّ أَنْ تَقُومَ عَلَى حِرَاسَتِهِ حَتَّى تُفَارِقَ الدُّنْيَا، وَالدُّنْيَا - عِنْدَهَا - مَزِيجٌ حَافِلٌ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَمِنْ سُوءِ عَذَابِ الآخِرَةِ، فَقَدْ غَفَلَتْ عَنْ أَنَّ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ هِيَ الأَصْلُ المَنِيعُ الوَاسِعُ، الَّذِي تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ عُلُومُ الإِسْلاَمِ، وَمَعَارِفُ العَرَبِيَّةِ كُلُّهَا، وَأَنَّ مِنْ أَكْبَرِ الخَطِيئَاتِ - بَلْ هِيَ أَعْظَمُهَا وَأَفْدَحُهَا - أَنْ تُغْشَى تِلْكُمُ المَعَارِفُ وَالعُلُومُ مِنْ غَيْرِ بَابَتِهَا، وَذلِكَ حِينَ تُصْبِحُ اللُّغَةُ كَلاًّ عَلَى كَوَاهِلِ مَنْ يُحَرِّكُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِرَطَانَتِهَا!

لِذَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّ كُلِّ مَنْ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِالحَرْفِ العَرَبِيِّ أَنْ يَدْخُلَ مَدْخَلَ عَجْزٍ فِي المَعَارِفِ وَالعُلُومِ العَرَبِيَّةِ، ثُمَّ لاَ يَجِدَ مَنْجىً مِنْهُ إِلاَّ بِعَجْزٍ أَشَدَّ مِنْهُ».

□ نَقُولُ:

لسنا نعْلَمُ -حقيقَةً- مَن هم هؤلاء (الجهلاء) الذين يُشكّلون (الطبقة التي

تتصدّر الأمّة)! ولو علِمْناهم: لَشارَكْنا فضيلةَ الشيخِ في التحذير منهم؛ ولكنْ: مع التصريحِ بأسمائهم -إتماماً للنُّصح في الديانة، وأداءً للحقّ في الأمانة-؛ إلا أن يكونَ التعميمُ في كلامِه مراداً لذاته! فإنه -والحالةُ هذه- يُورِثُ التّعتيمَ، والتشكيكَ، والبلبلةَ!! ويدفعُ إلى القيلِ والقالِ بقوّة...

وهذا -كلُّه- خلافُ منهاج النبوّة.

وأمّا الاكتفاء بهكذا تلميح؛ فإنّه بابٌ مُشْرَعٌ للظنون، وطريقٌ مفسوحٌ للتّقوُّلِ، والبيانُ يطرد الشيطان -كما قال أهلُ العلم والإيمان-، ووضعُ النقاط على الحروف: هو أقربُ طريقٍ للوُصولِ إلى الحقّ المألوف...

ثم إن في كلام الشيخ -بعد- وَضْعاً لِلُّغَةِ فِي مكَانٍ هِيَ -حقيقةً- دُونَهُ! وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ -ولا بُدَّ-: فَمَعَ فَهْمِ السَّلَفِ، وَنَهْجِهِمْ؛ جَنْباً إِلَى جَنْبٍ -لزوماً-، دُونَمَا (إِرْجَاءٍ) أَوْ تَأْخِيرٍ. مَعَ اسْتِقْرَاءٍ وَاسْتِيعَابٍ لأَلْفَاظِ أَهْلِ العِلْمِ، وَاصْطِلاَحَاتِهِمْ... وَدِرَايَةٍ لِمَدْلُولاَتِ ذلكَ كُلِّه ومعانيه.

○ وَهذَا مَا صَرَّحَ بِهِ - مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ -أخيراً- فَضِيلَةُ الشَّيْخِ -سَدَّدَهُ اللهُ- (ص ١٦٩- ١٧٠) -نفسِه-، حَيْثُ قَالَ:

«وأَعْلَمُ الأُمَّةِ بِحقَائِقِ الأَشْيَاءِ، وَالمُسَمَّيَاتِ الَّتِي تَهْدِي إِلَيْهَا الأَسْمَاءُ، أَوِ المَعَانِي الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا الحُرُوفُ وَالكَلِمَاتُ: هُمْ أَهْلُ الصَّدْرِ الأَوَّلِ: مِمَّنْ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ - سُبْحَانَهُ - بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَشُهُودِ نُزُولِ الوَحْيِ، وَالإِحَاطَةِ الكَامِلَةِ بِلُغَتِهِ، وَمَدَارِكِ أَحْكَامِهِ، وَمَقَاصِدِ بَلاَغَتِه وَخِطَابَاتِه..».

فالمرجوُّ التزامُهُ، والتطبيقُ عليه، والتحقُّق -واقعاً- بما يدعو إليه...

ورحم اللهُ الإمامَ ابنَ حزمٍ -القائلَ في كتابه «الإحكام في أُصول الأَحكام» (٨/ ١٠١): «والأَصلُ في كلِّ بلاءٍ وعَماءٍ وتخليطٍ وفَسَادٍ: اختلاطُ الأسماء، ووقوعُ اسم واحدٍ على معانٍ كثيرةٍ، فيُخبر المخبرُ بذلك الاسم؛ وهو يريد أحدَ المعاني التي تحته، فيحملهُ السامعُ على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبرُ!! فيقع

البلاء، والإشكال!

وهذا في الشريعة أضرُّ شيء وأشدّه هلاكاً لمن اعتقد الباطلَ، إلا من وفّقه الله -تعالى-».

□ نقولُ:

وَهذَا أَوَانُ البَدْءِ بتحقِيقِ القولِ في المُلاَحَظَاتِ العِلْمِيَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ عَلَى (مُلْحق) الكِتَابِ -المذكورِ آنفاً-؛ مع تبيين ما فيه من الغَلَطِ أو الصواب:

فَنَقُولُ -وَبِاللهِ التَّوْفِيق-، وَمِنْهُ العَوْنُ وَالتَّحْقِيق:

□□□□□

المسألة الثانية:

تكفير تارك الصلاة

❖ المُلاَحَظَةُ الأُولَى:

○ قولُ فضيلةِ الشيخ الكاتب (ص ١٦٨) -من ملحق كتابِه-:

«وتَبْقَى مَسْأَلَةُ التَّكْفِيرِ عَلَى رَأْسِ المَسَائِلِ؛ الَّتِي اسْتَوَتْ عَلَى سَاقِهَا زَمَاناً، وأَكَلَتْ مِنْ جَهْدِ العُلَمَاءِ، وأَذَابَتْ مِنْ أَسْنَانِ أَقْلاَمِهِمْ، **وأَوْرَمَتْ آنَافَ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَاضُوا فِيهَا؛ بِحَقٍّ أَوْ بِبَاطِلٍ.**

وَكَانَ الخِلاَفُ - وَلاَ زَالَ - فِي هذِهِ المَسْأَلَةِ يَدُورُ حَوْلَ مَعْنَى الكُفْرِ؛ لُغَةً وَشَرْعاً، وتَدَاخُلِ المَعْنَيَيْنِ بَعْضِهِمَا بِبَعْضٍ، وَظُهُورِ المَعْنَى المُرَادَ فِي أَحَدِهِمَا أَقْوَى مِنَ الآخَرِ، وَكَوْنِ اللَّفْظِ عَامّاً وَاسِعَ الدِّلاَلَةِ، أَوْ خَاصّاً لاَ يَتَعَدَّى إِلَى سِوَاهُ، أَوْ أَنَّهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ وَضِدِّهِ.

وأَوْضَحُ مَا نُوَضِّحُ بِهِ هذِهِ المَسْأَلَةَ؛ قَوْلُه ﷺ:

«العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»... ».

□ **فَنَقُولُ:**

أولاً: كَيْفَ يَكُونُ التَّوْضِيحُ لأصلٍ -ما- مَبْنِيًا عَلَى مَسْأَلَةٍ مُتَفَرِّعَةٍ عَنِ هذا الأصلِ، دُونَ بَيَانٍ للأصلِ وافٍ، وتَعْرِيفٍ بِهِ - جُمْلَةً وتَفْصِيلاً -، وَشَرْحٍ لَهُ عَلَى وَجْهِ التَّمَامِ وَالإِظْهَارِ؟!

وهذا خلافُ قواعِد استخراج القواعد؛ التي تُوَصِّلُ وَفْقَ الاستقراءِ التامِّ؛ بحيث تتّسقُ الفُروعُ -جميعاً- في تأصيل القاعدة، لا العكس!

ثُمَّ المَسْأَلَةُ -نَفْسُهَا- مَسْأَلَةُ خِلاَفٍ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ -مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ-، **تَخْتَلِفُ مِنْ جَوَانِبَ شَتَّى عَنِ المَسَائِلِ الثَّلاَثِ الأُخْرَى الَّتِي** خَاضَ غِمَارَهَا -اليَوْمَ- كَثِيرٌ مِمَّنْ لا يُحْسِنُ من المتسببين للعلم! مُتَّهِمِينَ عُلَمَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا **بِتُهَمٍ مُقْذِعَةٍ مُفْزِعَةٍ**، -**وَبِخَاصَّةٍ شَيْخَنَا الكَبِيرَ الإمامَ العلاّمةَ الأُستاذَ أَسَدَ السُّنَّةِ وقامعَ البدعةِ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدَ نَاصِرَ الدِّينِ الأَلْبَانِيَّ** -رَحمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-، **وَأَنَّهُ مُرْجِئٌ! أَوْ مُوَافِقٌ لِلْمُرْجِئَةِ!!**

وَقَدْ جَهِلَ هَؤلاَءِ، وتجاهلوا -أَوْ غَفَلُوا، وتَغَافَلُوا- عَنْ رُدُودِ شَيْخِنَا -رَحِمَهُ اللهُ- عَلَى المُرْجِئَةِ - قَبْلَ نَحْوِ رُبْعِ قَرْنٍ - فِي كِتَابِهِ اللطيفِ النَّافعِ «العَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ شَرْحٌ وَتَعْلِيقٌ» ؛ حَتَّى إِنَّهُ وَصَفَ قَوْلَ المُرْجِئَةِ (ص٦١) بِـ «**المُؤَدِّي إِلَى التَّكْذِيبِ** بِآيَاتِ الوَعِيدِ، وَأَحَادِيثِهِ الوَارِدَةِ فِي حَقِّ العُصَاةِ مِنْ هذهِ الأُمَّةِ».

وَرَدَّ (ص٦٢) قَوْلَ مَنْ وَصَفَ الخِلاَفَ بَيْنَ الحَنَفِيَّةِ وَالمَاتُرِيدِيَّةِ -مِنْ جِهَةٍ-، وَبَيْنَ السَّلَفِ - مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى- بِأَنَّهُ: (صُورِيٌّ)! **رَدّاً قَوِيّاً ظَاهِراً باهراً**. . .

وَهكَذَا. . .

ثانياً: مَسْأَلَةُ (تَارِكِ الصَّلاَةِ) **أَدِلَّةُ المُخْتَلِفِينَ فِيهَا كَثِيرَةٌ، وَكَثِيرَةٌ جِدّاً، لَيْسَتْ** - فَقَطْ - هذَا الحَدِيثَ، أَوْ ذَاكَ؛ **وَإِنَّمَا هِيَ أَوْعَبُ وَأَوْسَعُ، وأجلُّ وأرفعُ**. . .

وَهَا هُنَا نَقُولُ (**عِلْمِيَّةٌ**) دَقِيقَةٌ، تُضِيءُ لِلْبَاحِثِ الطَّرِيقَ الَّذِي يَتَلَمَّسُ بِهِ مَدَارِكَ الصَّوَابِ -لِكَشْفِ خوافيها -**مَعَ التأكيد على عَدَمِ رغبتنا بخوضِ غِمار البحثِ فِيها**-:

أ - فِي كِتَابِ «الجَامِع» (٢/ ٥٤٦- ٥٤٧) لِلْخَلاَّلِ، عَنْ إبراهِيمَ بْنِ سَعْدٍ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ شِهَابٍ عَنِ الرَّجُلِ يَتْرُكُ الصَّلاَةَ؟ قَال:

«**إِنْ كَانَ إِنَّمَا يَتْرُكُهَا أَنَّهُ يَبْتَغِي دِيناً غَيْرَ الإِسلاَمِ: قُتِلَ**، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ فَاسِقٌ مِنَ الفُسَّاقِ: ضُرِبَ ضَرْباً شَدِيداً، أَوْ سُجِنَ. . .».

ب- قَالَ الإِمَامُ ابْنُ المُنْذِرِ فِي كِتَابِ «الإِجْمَاعِ»(ص ١٤٨) -فِي «**أَبْوَابِ الرِّدَّةِ**»-حولَ مَسْأَلَةِ تكفير تَارِكِ الصَّلاَةِ -: «**لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِجْمَاعاً**»، أَيْ: **على كُفْرِه**.

ج - نَقَلَ الحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصرِ المَقْدِسِيُّ فِي كِتَابِهِ «تَعْظِيمُ قَدْرِ الصَّلاَةِ» (٢/ ٩٩٨) - عَنِ الإمامِ عبدالله بْنِ المُبَارَكِ قَوْلَهُ فِي ترجيح تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ، ثُمَّ قَالَ: «. . . فَقِيلَ لابْنِ المُبَارَكِ: أَيَتوَارَثَانِ إِنْ مَاتَ؟! أَوْ: إِنْ طَلَّقَهَا يَقَعُ طَلاَقُهُ عَلَيْهَا؟ فَقَالَ: أَمَّا فِي القِيَاسِ؛ فَلاَ طَلاَقَ وَلاَ مِيرَاثَ، وَلَكِنْ: أَجْبُنُ»[1].

د - قَالَ الإِمَامُ ابنُ قُدَامَةَ المُتَوَفَّى سَنَةَ (٦٢٠هـ) فِي «المُغْنِي» (٣/ ٣٥٧) -بَعْدَ انْتِصَارِهِ وَتَرْجِيحِهِ وَتَأْيِيدِهِ القَوْلَ بِعَدَمِ تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ-، قَالَ:

«. . . ولأَنَّ ذلكَ إِجْمَاعُ المُسْلِمِينَ[2]، فَإِنَّا لاَ نَعْلَمُ فِي عَصْرٍ مِنَ الأَعْصَارِ أَحَداً مِنْ تَارِكِي الصَّلاَةِ تُرِكَ تَغْسِيلُهُ، وَالصَّلاَةُ عَلَيْهِ، وَدَفْنُهُ فِي مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ، وَلاَ مُنِعَ وَرَثَتُهُ مِيرَاثَهُ، وَلاَ مُنِعَ هُوَ مِيرَاثَ مُوَرِّثِهِ، وَلاَ فُرِّقَ بَيْنَ زَوْجَيْنِ لِتَرْكِ الصَّلاَةِ مِنْ أَحَدِهِمَا، مَعَ كَثْرَةِ تَارِكِي الصَّلاَةِ، وَلَوْ كَانَ كَافِراً لَثَبَتَتْ هذهِ الأَحْكَامُ كُلُّهَا. . .».

هـ - وَبِمِثْلِ قَوْلِهِ - وَلَفْظِهِ - قَالَ شَيْخُ الإسلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي «شَرْحِ العُمْدَةِ» (٢/ ٩٢) -بِتَفْصِيلٍ أَحْسَنَ -وَذَلِكَ بَعْدَ تَقْرِيرِهِ ترجيحَ أَدِلَّةِ تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ-:

«قَالَ أَصْحَابُنَا: يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ فِي الوَقْتِ الَّذِي يُبَاحُ فِيهِ دَمُهُ، وَهُوَ مَا إِذَا دُعِيَ فَامْتَنَعَ. . .

فَأَمَّا إِذَا لَمْ يُدْعَ وَلَمْ يَمْتَنِعْ، فَهذَا لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْكَامِ المُرْتَدِّينَ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ.

وَلِهذَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّ أَحَداً مِنْ تَارِكِي الصَّلاَةِ تُرِكَ غَسْلُهُ وَالصَّلاَةُ عَلَيْهِ وَدَفْنُهُ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَلاَ مُنِعَ وَرَثَتُهُ مِيرَاثَهُ، وَلاَ أُهْدِرَ دَمُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ مَعَ كَثْرَةِ تَارِكِي الصَّلاَةِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَالأُمَّةُ لاَ تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلاَلَةٍ[2].

وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ عَلَى هذَا الضَّرْبِ».

---

(١) انظر (ص: ٣٣-٣٤) لمزيدٍ من الإيضاحِ.

(٢) يريد: الإجماعَ العَمَلِيَّ؛ بدلالة ما بعده.

نَقُولُ: وَالامْتِنَاعُ -هُنَا - لُزُوماً- هُوَ الامْتِنَاعُ الَّذِي يَتْبَعُهُ القَتْلُ؛ كَمَا فِي أَوَّلِ كَلاَمِهِ -رَحِمَهُ اللهُ-، وَكَمَا صَرَّحَ بِه -أَوضَحَ- تِلْمِيذُهُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ فِي «الصَّلاَةِ»(ص٢٤) -أَيْضاً-؛ حيثُ قال: «لاَ يُقْتَلُ حَتَّى يُدْعَى إِلَى فِعْلِهَا فَيَمْتَنِعَ.. فَإِذَا دُعِيَ، فَامْتَنَعَ -لاَ مِنْ عُذْرٍ؛ حَتَّى يَخْرُجَ الوَقْتُ- تَحقَّقَ تَرْكُهُ وَإِصْرَارُهُ».

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٧- ٤٩) -أَثْنَاءَ بَحْثِهِ مَسْأَلَةَ تَارِكِ الصَّلاَةِ-:

«وَأَمَّا مَنِ اعْتَقَدَ وُجُوبَهَا مَعَ إِصْرَارِهِ عَلَى التَّرْكِ: فَقَدْ ذَكَرَ عَلَيْهِ المُفَرِّعُونَ مِنَ الفُقَهَاءِ فُرُوعاً:

أَحَدُهَا: هذَا؛ فَقِيلَ عِنْدَ جُمْهُورِهِمْ: مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ: وَإِذَا صَبَرَ حَتَّى يُقْتَلَ؛ فَهَلْ يُقْتَلُ كَافِراً مُرْتَدّاً، أَوْ فَاسِقاً كَفُسَّاقِ المُسْلِمِينَ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ، حُكِيَا رِوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ.

وَهَذِهِ الفُرُوعُ لَمْ تُنْقَلْ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَهِيَ فُرُوعٌ فَاسِدَةٌ؛ فَإِنَّ [مَنْ] كَانَ مُقِرّاً بِالصَّلاَةِ فِي البَاطِنِ، مُعْتَقِداً لِوُجُوبِهَا، يَمْتَنِعُ أَنْ يُصِرَّ عَلَى تَرْكِهَا حَتَّى يُقْتَلَ، وَهُوَ لاَ يُصَلِّي، هذَا لاَ يُعْرَفُ مِنْ بَنِي آدَمَ وَعَادَتِهِمْ، وَلِهذَا لَمْ يَقَعْ هَذَا قَطُّ فِي الإِسْلاَمِ[1]، وَلاَ يُعْرَفُ أَنَّ أَحَداً يَعْتَقِدُ وُجُوبَهَا، وَيُقَالُ لَهُ: إِنْ لَمْ تُصَلِّ وَإِلاَّ قَتَلْنَاكَ، وَهُوَ يُصِرُّ عَلَى تَرْكِهَا، مَعَ إِقْرَارِهِ بِالْوُجُوبِ، فَهذَا لَمْ يَقَعْ قَطُّ فِي الإِسْلاَمِ[1].

وَمَتَى امْتَنَعَ الرَّجُلُ مِنَ الصَّلاَةِ حَتَّى يُقْتَلَ لَمْ يَكُنْ فِي البَاطِنِ مُقِرّاً بِوُجُوبِهَا، وَلاَ مُلْتَزِماً[2] بِفِعْلِهَا، وَهَذَا كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ؛ كَمَا اسْتَفَاضَتِ الآثَارُ عَنِ الصَّحَابَةِ بِكُفْرِ هذَا[3] وَدَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ؛ كَقَوْلِهِ ﷺ:

---

(١) وهذا نقلٌ دقيقٌ وثيقٌ.

(٢) تأمَّل -بدقّة- معنى (الالتزام) في كلام شيخ الإسلام...

(٣) أيْ: مَنْ هُوَ عَلَى هذَا الحَالِ وَهذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الدَّعْوَةِ، فَالامْتِنَاعِ، وَأعْلَى صُوَرِهِ القَتْلُ؛ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي «شَرْحِ العُمْدَةِ» - وَقَدْ تَقَدَّمَ -.

«لَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفْرِ إِلاَّ تَرْكُ الصَّلاَةِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم الصَّلاَةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»...».

نقولُ: وبه -تماماً- نقولُ...

و - قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ فِي «كِتَابِ الصَّلاَةِ» (ص ٥٥):

«وَهَا هُنَا أَصْلٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ الكُفْرَ نَوْعَانِ: كُفْرُ عَمَلٍ، وَكُفْرُ جُحُودٍ وَعِنَادٍ.

فَكُفْرُ الجُحُودِ: أَنْ يَكْفُرَ بِمَا عَلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ **جُحُوداً وَعِنَاداً**، مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، **وَهَذَا الكُفْرُ يُضَادُّ الإِيمَانَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ**.

وَأَمَّا كُفْرُ العَمَلِ؛ **فَيَنْقَسِمُ إِلَى مَا يُضَادُّ الإِيمَانَ**[1]، **وَإِلَى مَا لاَ يُضَادُّهُ**:

- فَالسُّجُودُ لِلصَّنَمِ، وَالاسْتِهَانَةُ بِالْمُصْحَفِ، وَقَتْلُ النَّبِيِّ، وَسَبُّهُ: **يُضَادُّ الإِيمَانَ**.

- **وَأَمَّا الحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَتَرْكُ الصَّلاَةِ؛ فَهُوَ مِنَ الكُفْرِ العَمَلِيِّ قَطْعاً**[2]، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْفَى عَنْهُ **اسْمُ الكُفْرِ** بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِ، فَالحَاكِمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ كَافِرٌ، وَتَارِكُ الصَّلاَةِ كَافِرٌ - بِنَصِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، **وَلَكِنْ هُوَ كُفْرُ عَمَلٍ لاَ كُفْرُ اعْتِقَادٍ**.

وَمِنَ الْمُمْتَنِعِ أَنْ يُسَمِّيَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- الحَاكِمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ كَافِراً، وَيُسَمِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَارِكَ الصَّلاَةِ كَافِراً، **وَلاَ يُطْلَقَ عَلَيْهِمَا اسْمُ كَافِرٍ**؛ وَقَدْ

---

(١) وَهَذَا قَيْدٌ مُهِمٌّ يَنْجَلِي لِمُتَأَمِّلِهِ كَثِيرٌ مِنَ الإِشْكَالاَتِ فِي هذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ.

(٢) أي: (كفر دون كفر)، فتأمَّل -رحمك اللهُ- كيف أخرج مسألةَ ترك الحكم بغير ما أنزل اللهُ، ومسألة تركِ الصلاة من كُفر العملِ المضادِّ للإيمان.

نَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الإيمَانَ عَنِ الزَّانِي وَالسَّارِقِ وَشَارِبِ الخَمْرِ، وَعَمَّنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، **وَإِذَا نَفَى عَنْهُ اسْمَ الإِيمَانِ، فَهُوَ كَافِرٌ مِنْ جِهَةِ العَمَلِ، وَانْتَفَى عَنْهُ كُفْرُ الجُحُودِ وَالاعْتِقَادِ**، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» ؛ **فَهذَا كُفْرُ عَمَلٍ**».

ز - قَالَ الإِمَامُ محمد الأَمين الشَّنْقِيطِيُّ فِي «أَضْوَاءِ البَيَانِ» (٤/ ٣٢٢)، بَعْدَ نِقَاشٍ طَوِيلٍ فِي المَسْأَلَةِ، وَسَرْدٍ مُسْتَوْعَبٍ لأَدِلَّةِ المُكَفِّرِينَ، وَغَيْرِهِمْ:

«هَذَا هُوَ حَاصِلُ كَلاَمِ العُلَمَاءِ وَأَدِلَّتِهِمْ فِي مَسْأَلَةِ تَرْكِ الصَّلاَةِ عَمْداً مَعَ الاعْتِرَافِ بِوُجُوبِهَا.

وَأَظْهَرُ الأَقْوالِ -**أَدِلَّةً**[1]- عِنْدِي: قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ كَافِرٌ.

وَأَجْرَى الأَقْوالِ عَلَى مُقْتَضَى الصِّنَاعَةِ الأُصُولِيَّةِ وَعُلُومِ الحَدِيثِ قَوْلُ الجُمْهُورِ: إِنَّهُ كُفْرٌ غَيْرُ مُخْرِجٍ مِنَ المِلَّةِ؛ لِوُجُوبِ الجَمْعِ بَيْنَ الأَدِلَّةِ[1] -إِذَا أَمْكَنَ-.

وَإِذَا حُمِلَ الكُفْرُ وَالشِّرْكُ المَذْكُورانِ فِي الأَحَادِيثِ عَلَى الكُفْرِ الَّذِي لاَ يُخْرِجُ عَنِ المِلَّةِ حَصَلَ بِذلِكَ الجَمْعُ بَيْنَ الأَدِلَّةِ[1]، **وَالجَمْعُ وَاجِبٌ إِذَا أَمْكَنَ؛ لأَنَّ إِعْمَالَ الدَّلِيلَيْنِ**[1] **أَوْلَى مِنْ إِلْغَاءِ أَحَدِهِمَا - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي الأُصُولِ وَعِلْمِ الحَدِيثِ-**.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي «شَرْحِ المُهَذَّبِ» -بَعْدَ أَنْ سَاقَ أَدِلَّةَ مَنْ قَالُوا: إِنَّهُ غَيْرُ كَافِرٍ، مَا نَصُّهُ-: **وَلَمْ يَزَلِ المُسْلِمُونَ يَرِثُونَ تَارِكَ الصَّلاَةِ وَيُوَرِّثُونَ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ كَافِراً لَمْ يُغْفَرْ لَهُ، وَلَمْ يَرِثْ وَلَمْ يُوَرَّثْ**».

نَقُولُ: هذَا جُزْءٌ يَسِيرٌ مِنَ (النُّقُولِ) العِلْمِيَّةِ فِي هذِهِ المَسْأَلَةِ الدَّقِيقَةِ الخَطِيرَةِ الَّتِي قد يَكُونُ الغَلَطُ فِيهَا عَظِيماً وَعَظِيماً جِداً.

---

(١) تأمّل -بدقّة- دقائقَ دلالاتِ هذه الكلمات...

ورَحِمَ اللهُ الإمَامَ الشَّافِعِيَّ -القَائِلَ - فِيمَا نَقَلَهُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ فِي «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ» (٥/ ٢٥١)-:

«لأَنْ أَتكَلَّمَ فِي عِلْمٍ يُقَالُ لِي فِيهِ: أَخْطَأْتَ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتكَلَّمَ فِي عِلْمٍ يُقَالُ لِي فِيهِ: كَفَرْتَ»، ثُمَّ عَلَّقَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ بِقَوْلِهِ:

«فَمِنْ عُيُوبِ أَهْلِ البِدَعِ تَكْفِيرُ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وَمِنْ مَمَادِحِ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُمْ يُخَطِّئُونَ ولاَ يُكَفِّرُونَ»(١).

مِنْ أَجْلِ هذَا عَظَّمَ الإِمَامُ ابْنُ رُشْدٍ فِي كِتَابِهِ «بِدَايَةُ المُجْتَهِدِ» (١/ ٢٢٨) قَوْلَ مُكَفِّرِي تَارِكِ الصَّلاَةِ -جداً-؛ حتى جَعَلَهُ: «... مُضَاهِياً لِقَوْلِ مَنْ يُكَفِّرُ بِالذُّنُوبِ».

ولَعَلَّهُ - مِنْ أَجْلِ ذَا -أيضاً- قَالَ العَلاَّمَةُ أَبُو الفَضْلِ السَّكْسَكِي الحنبليُّ فِي كِتَابِهِ «البُرْهَان» (ص٣٥): «إِنَّ تَارِكَ الصَّلاَةِ - إِذَا لَمْ يَكُنْ جَاحِداً - فَهُوَ مُسْلِمٌ - عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ مَذْهَبِ أَحْمَدَ -، وَإِنَّ المَنْصُورِيَّةَ(٢) يُسَمُّونَ أَهْلَ السُّنَّةِ مُرْجِئَةً؛ لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِذلِكَ، وَيَقُولُونَ: هذَا يُؤَدِّي إِلَى أَنَّ الإِيمَانَ عِنْدَهُمْ قَوْلٌ بِلاَ عَمَلٍ(٣)!».

---

(١) ونَقلَ الإمامُ البيهقيُّ فِي «مَنَاقِبِ الشَّافِعِي» (١/ ٤٥٩) -قَولَهُ- رَحِمَهُ اللهُ- أيضاً-: «تَنَاظَرُوا فِي شَيْءٍ إِنْ أَخْطَأْتُمْ فِيهِ، يُقَالُ لَكُمْ: أَخْطَأْتُمْ، لاَ تَنَاظَرُوا فِي شَيْءٍ إِنْ أَخْطَأْتُمْ فِيهِ، يُقَالُ لَكُمْ: كَفَرْتُمْ».

(٢) وَهِيَ مِنْ فِرَقِ الخَوَارِجِ.

(٣) وَرحِمَ اللهُ شيخَنَا الألبانيَّ أبا عبدالرحمن؛ حيثُ قرّر في كتابِهِ «الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد» (ص٣٣) -مذهبَ السلف في كون الأعمال من الإيمان، ثم قال -معلّقاً-: «هذا ما كنت كتبته منذ أكثر من عشرين عاماً؛ مقرّراً مذهب السلف، وعقيدة أهل السنة -ولله الحمد- في مسائل الإيمان، ثم يأتي -اليوم- بعضُ الجهلة الأغمار، والناشئة الصغار؛ فيرموننا بالإرجاء!

فإلى الله المشتكى من سوءِ ما هم عليه -من جهالةٍ وضلالةٍ وغُثاء-».

* **المُلاحَظَةُ الثَّانِيَةُ:**

○ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص١٧٠- ١٧١):

«**الجُحُودُ جُحُودَانِ**: جُحُودٌ خَفِيٌّ؛ هُوَ: جُحُودُ القَلْبِ، وَجُحُودٌ جَلِيٌّ؛ هُوَ: جُحُودُ الجَوَارِحِ، وَكِلاَهُمَا تَرْكٌ، **وَلَرُبَّمَا** كَانَ جُحُودُ الجَوَارِحِ أَشَدَّ وَأَنْكَرَ[1] لِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ مِنْ جُحُودِ القَلْبِ، ذلِكُمْ أَنَّ جُحُودَ القَلْبِ خَفِيٌّ لاَ يَبِينُ، أَمَّا جُحُودُ الجَوَارِحِ، فَبَادٍ، جَلِيٌّ، وَلاَ يَخْفَى، **وَهُوَ لِذَلِكَ أَدَلُّ عَلَى المَقْصُودِ**[1].

وَلاَ يَرِدُ هُنَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الكُفْرَ هُوَ السَّتْرُ، وَإِنْ قِيلَ: هُوَ السَّتْرُ، أَفَلَيْسَ مَا تَرَكَتْهُ الجَارِحَةُ مِنْ حَقٍّ عَلَيْهَا، أَوْجَبَتْهُ عَلَيْهَا حَقِيقَةُ الإِيمَانِ بِظُهُورِهِ، فَنَبَذَتْهُ مِنْ وَرَائِهَا، فَجَعَلَتْهُ مَسْتُوراً بِتَرْكِهِ: هُوَ مِنْ هذَا المَعْنَى؟! فَصَارَ بِهذَا ظَاهِراً مَكْشُوفاً مِنْ جِهَةٍ، خَفِيًّا مَسْتُوراً مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، **فَظُهُورُهُ أَنَّهُ لاَ يُرَى مَأْتِيًّا بِهِ مِنَ الجَارِحَةِ، وَسَتْرُهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَتْرُوكٌ لَمْ تَفْعَلْهُ الجَارِحَةُ**؛ بَلْ إِنَّ الجُحُودَ القَلْبِيَّ قَدْ يَظْهَرُ [مَعَهُ] عَلَى الجَوَارِحِ فِعْلٌ يَدُلُّ[2] عَلَى الإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ، وَهُوَ لَيْسَ كَذلِكَ؛ كَمَا هُوَ شَأْنُ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ».

□ نَقُولُ: وَهذَا (تَقْسِيمٌ) لاَ نَعْلَمُهُ فِي الإِسْلاَمِ كُلِّهِ، **وَلاَ دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنْ نَصٍّ أَوْ أَثَرٍ أَوْ نَظَرٍ فِي جُلِّهِ وَقُلِّهِ!**

وَمَا هِيَ فَائِدَةُ (**لَرُبَّمَا**) فِي هذَا السِّيَاقِ؟!

إِنْ كَانَ المُرَادُ بِهَا: **الخَشْيَةَ** مِنْ أَنْ يَصِلَ (جُحُودُ الجَوَارِحِ) إِلَى (جُحُودِ القَلْبِ)؛ **فَهذَا مَا نَقُولُهُ وَنُؤَكِّدُهُ؟!**

وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَمَا هُوَ؟! وَمَا هُوَ وَزْنُ هذَا التَّقْسِيمِ **بِدُونِهَا؟!**

---

(١) فإذا لم يكُن أشدَّ: فهو -على الأقلّ- مِثْلُهُ! أي: إنّ كلاهما كفرٌ مُخرجٌ من المِلّة والدين!!

(٢) هو لا يَدُلُّ على ذلك! نعم؛ ظاهِرُهُ كذلك... وفرقٌ بين الأمرين، فتنبّه.

وَعَلَى الوَجْهِ الأَوَّلِ؛ فَإِنَّ هذَا التَّفْرِيقَ هُوَ - بِعَيْنِهِ - تَفْرِيقُنَا بَيْنَ (الكُفْرِ الأَصْغَرِ) الَّذِي يَقَعُ عَلَى الجَوَارِحِ، و (نَخْشَى) بِهِ أَنْ يُصْبِحَ صَاحِبُهُ كَافِراً (كُفْراً أَكْبَرَ)؟! -لكن بألفاظٍ أخرى!-. . .

وَلكِنَّ هذَا المَعْنَى - مِنْ تَقْسِيمِ الكُفْرِ، وَأَنَّ مِنْهُ كُفْراً دُونَ كُفْرٍ - غَيْرُ مَرْضِيٍّ عِنْدَ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ؛ بل حادثٌ مُحْدَثٌ!! فما السبيلُ؟!

ثُمَّ مَاذَا نَصْنَعُ بِالْمُصِرِّينَ عَلَى عظائمِ المَعَاصِي وَكَبَائِرِ الذُّنُوبِ؛ مِمَّنْ مَاتُوا عَلَى ذلِكَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ؟!

هَلْ يُقَالُ: جَحَدُوا جُحُودَ جَوَارِحَ أَعْظَمَ مِنْ جَحْدِهِمُ الجُحُودَ القَلْبِيَّ؟!

وَأَيْنَ مَوْضِعُ قَوْلِهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[1] -وأشباهه- فِي هذَا البَابِ؟! وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَدِلَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى الخَوَارِجِ، وَمَنْ تَأَثَّرَ بِشُبُهَاتِهِمْ!

❖ المُلاَحَظَةُ الثَّالِثَةُ:

○ قَوْلُهُ -سَدَّدَهُ اللهُ- (ص ١٧١):

«وَلاَ شَكَّ أَنَّ الإِيمَانَ الصَّحِيحَ هُوَ بِالتَّطَابُقِ بَيْنَ إِيمَانِ القَلْبِ المَعْنَوِي[2]، وَبَيْنَ إِيمَانِ الجَوَارِحِ العَمَلِيِّ».

□ فَنَقُولُ: فَرْقٌ بين التطابُق[3] -وهو هُنا باطلٌ-، والتلازُمِ -وهو الصوابُ

---

(١) ولهذا الحديثِ طُرُق كثيرةٌ جداً، لا يَبْعُدُ -معها- الحكمُ بتواتره.

(٢) هذا التعبيرُ -هنا- غيرُ مستقيم!

واصطلاحُ شيخ الإسلام -في هذا المقام-: (قول القلب)، و(عمل القلب) -كما سيأتي-.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٢٧ و ٦١٢ و ٦٣٥).

في هذا الباب-.

ثم؛ إنَّ المُشْكِلَةَ الحَقِيقِيَّةَ فِي عَكْسِ ذلِكَ؛ وَهِيَ:

هَلْ عَدَمُ التَّلازمِ بَيْنَ قولِ القَلْبِ وعَمَله، وبَيْنَ إيمَانِ الجَوارِحِ العَمَلِيِّ يُوجِدُ **(الإيمَانَ الفَاسِدَ)؟!**

وهل الفسادُ -هنا- **فسادُ بطلانٍ، أم فسادُ نقصٍ؟!**

وَمَا هِيَ ضَوَابِطُ ذلكَ؟!

هُنَا مَكْمَنُ البَحْثِ، وقَاعِدَةُ النَّظَرِ، وَسَاحَةُ الخِلافِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمُنَاوِئِيهِمْ -مِن خوارجَ ومرجئةٍ-...

قال شيخ الإسلام -في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٢٢)-:

«إنَّ شُعبَ الإيمانِ **قد** تَتَلازَمُ عند القُوّةِ، **ولا تتلازَمُ عندَ الضعفِ».**

وقال -رحمه الله- فيه (٧/ ٦٤٤) -: لمزيدٍ من البيان والتوضيح -:

«**فأصلُ الإيمانِ في القلب، وهو قولُ القلبِ وعملُهُ؛** وهو إقرارٌ بالتصديقِ والحبِّ والانقيادِ، **وما كان في القلبِ فلا بُدَّ أنْ يَظْهَرَ مُوجَبُهُ وَمقتضاهُ على الجوارحِ؛ وإذا لم يعملْ بِمُوْجَبِه وَمُقْتَضَاهُ دلّ على عَدَمِهِ أو ضَعْفِهِ».**

وهذا بيِّنٌ جداً، **وهو تأصيلٌ عظيمٌ؛** تلتقي عليه النصوص، وتأتلفُ معه الأدلّة، ولا **(يحتاج إلى وقت طويل)**[1] لمعرفة نتائجَ -منه- مجهولةٍ، في آثارٍ -له- مَهُولة!

❖ المُلاَحَظَةُ الرَّابِعَةُ:

○ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ١٧١):

---

(١) كَما قالَ فضيلةُ المؤلف (ص٢٠١) -من كتابه -نفسه-!

«... أمَّا إنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ كُفْراً وَشِرْكاً صَرِيحاً[1]، أَوْ كَانَتْ تُسَمَّى: كُفْراً أَوْ شِرْكاً؛ لِمُشَابَهَتِهَا الشِّرْكَ أَوِ الكُفْرَ؛ لأَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - وَصَفَهَا بِهِ -ولاَ صَارِفَ لِهذَا الوَصْفِ عَنْهَا، وَلاَ يُغْنِي التَّأوِيلُ عَنْهَا شَيْئاً، إلاَّ بِتَكَلُّفٍ ثَقِيلٍ-؛ فَإِنَّهَا - أي: المَعْصِيةَ -، حِينَئذٍ - هِيَ الكُفْرُ وَالشِّرْكُ، وَالكُفْرُ وَالشِّرْكُ هِيَ، لاَ فَرْقَ بَيْنَ هذهِ وَتِلْكَ، إلاَّ بِالمُرَكَّبِ الحَرْفِيِّ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مِنْ أَكْثَر».

□ فَنَقُولُ: هَلْ هذَا فِي (تَرْكِ الصَّلاَة) -فَقَطْ-؟!

أَمْ هُوَ فِي كُلِّ نَصٍّ وَرَدَ فِيهِ لَفْظُ (الكُفْرِ) أَوِ (الشِّرْكِ) أَوْ (كَفَرَ)، أَوْ (أَشْرَكَ)، أَوْ (كُفْرٌ) أَوْ (شِرْكٌ)؟!

(لاَ فَرْقَ بَيْنَ هذهِ وتِلْكَ)! -كما قاله الشيخُ الفاضِلُ-.

قَالَ الإمَامُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «التَمْهِيدِ» (٤/ ٢٣٦) - مُلْزِماً مُكَفِّري تَارِكِ الصَّلاَةِ - لِمُجَرَّدِ ترك العَمَلِ -:

«وَيَلْزَمُ مَنْ كَفَّرَهُمْ بِتِلْكَ الآثَارِ -[2] وَقَبِلَهَا عَلَى ظَاهِرِهَا فِيهِمْ-: أَنْ يُكَفِّرَ القَاتِلَ، وَالشَّاتِمَ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنْ يُكَفِّرَ الزَّانِي، وَشَارِبَ الخَمْرِ، وَالسَّارِقَ، وَالمُنْتَهِبَ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ نَسَبِ أَبِيهِ:

فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

وَقَالَ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ

---

(١) وَكَانَ تَكَلَّمَ قَبْلَ ذلِكَ عَنِ: (المَعَاصِي الَّتِي تَدْنُو مِنَ الكُفْرِ أَوِ الشِّرْكِ)، وَأَنَّهَا: (لاَ تَنْفِي الإيمَانَ عَنِ العَبْدِ)!!

(٢) وكان قد ساق مِنْهَا -رحمه الله- وهي صِحَاحٌ كلُّها- حَدِيثَ بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ - مَرْفُوعاً -: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».

(تنبيه): وَقَدْ تَحَرَّفَ اسْمُ رَاوِيهِ - عِنْدَ الشَّيْخِ -في كتابه- (ص:١٧٢)- إِلَى: (يَزِيد بْن الحَبِيب)!!

شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

وَقَالَ ﷺ: «لاَ تَرْغَبُوا عَنِ آبَائِكُمْ؛ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ».

وَقَالَ - أَيْضاً -: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

. . . إِلَى آثَارٍ مِثْلَ هذِهِ؛ لاَ يُخْرِجُ بِهَا الْعُلَمَاءُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الإِسْلاَمِ، وَإِنْ كَانَ بِفِعْلِ ذلِكَ فَاسِقاً عِنْدَهُمْ، فَغَيْرُ نَكِيرٍ أَنْ تَكُونَ الآثَارُ فِي تَارِكِ الصَّلاَةِ كَذلِكَ».

ثُمَّ إِنَّ فِي كَلاَمِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ - سَدَّدَهُ اللهُ - **كَلِمَةً خَطِيرَةً جِداً - قَدْ لاَ يَقْصِدُهَا، وَلاَ يُرِيدُهَا!-؛ وَهِيَ التَّكْفِيرُ الصَّرِيحُ بِالْمَعْصِيَةِ الَّتِي (تُسَمَّى كُفْراً أَوْ شِرْكاً؛ لِمُشَابَهَتِهَا الشِّرْكَ أَوِ الكُفْرَ)!!** -كما قال-!

فَهِيَ لَيْسَتْ كُفْراً وَلاَ شِرْكاً، وَمَعَ ذلِكَ كَفَّرَ الشيخُ بِفِعْلِهَا!!

فَمَا هِيَ أَوْجُهُ الشَّبَهِ الَّتِي أَلْحَقَتْ هذَا الشَّبِيهَ -بِشَبِيهِهِ- صُورَةً وَحُكْماً-؟!

وهل يلتقي هذا منهجَ أهل السنة والجماعة العارفين؟! وسبيلَ السلف الأولين؟!

❖ المُلاَحَظَةُ الخَامِسَةُ:

○ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ١٧٢):

«وَهُنَاكَ نُصُوصٌ أُخْرَى اسْتَفَاضَتْ بِهَا كُتُبُ السُّنَّةِ، تُصَرِّحُ -أَوْ تُومِئُ- إِلَى مِثْلِ مَا صَرَّحَتْ بِهِ هذِهِ النُّصُوصُ الثَّلاَثَةُ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا، مِنْ كُفْرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ، مِنْ غَيْرِ مَا تَفْرِيقٍ بَيْنَ مَنْ يَتْرُكُهَا عَامِداً[1]، وَبَيْنَ مَنْ يَتْرُكُهَا كَسَلاً».

(١) الأَصَحُّ أَنْ يَقُولَ: «عِنَاداً»، أَوْ: «جُحُوداً»، أَوِ امتناعاً، أو غيرها من أنواع الكفر... إذ الكسلانُ عامِدٌ، ولكنْ لا يلزمُ أن يكون مُعانداً، أو... إلخ.

□ **فَنَقُولُ**: الجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ هُنَاكَ نُصُوصاً (**أُخْرَى اسْتَفَاضَتْ بِهَا كُتُبُ السُّنَّةِ، تُصَرِّحُ أَوْ تُومِئُ إِلَى**) وَصْفِ فَاعِلِي بَعْضِ الذُّنُوبِ بِأَنَّهُمْ (كَفَرُوا)، أَوْ: (كُفَّارٌ)، وفيها -تماماً- (**مِثْلُ مَا صَرَّحَتْ بِهِ**) النُّصُوصُ الَّتِي أَوْرَدَهَا الشَّيْخُ - سَدَّدَهُ اللهُ -...

فَالجَوَابُ عَلَيْهَا هُوَ - نَفْسُهُ - الجَوَابُ عَلَيْهِ.

الثَّانِي: أَنَّ هُنَاكَ نُصُوصاً تُفِيدُ -فِي الحَقِيقَةِ- مِثْلَ هَذَا التَّفْرِيقِ المَنْفِيِّ فِي كَلاَمِ الشَّيْخِ -سَدَّدَهُ اللهُ-؟!

مِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوات كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى العِبَادِ: مَنْ أَتَى بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْ حَقِّهِنَّ شَيْئاً اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ؛ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، **وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ؛ جَاءَ وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ**».

رَوَاهُ الدَّارِمِي (١/ ٣٧٠)، وَأَحْمَدُ (٥/ ٣١٥ و ٣١٦)، وَأَبُو دَاودَ (١/ ١١)، وَالبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (٤/ ١٠٥)، وَالبَيْهَقِي (٣ / ٣٦٦) مِنْ طُرُقٍ عَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ.

وَصَحَّحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، مِنْهُمْ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ، وَالنَّوَوِيُّ، وَشَيْخُنَا، وَغَيْرُهُمْ.

وَلِلأَخِ الشَّيْخِ عَطَاءِ بْنِ عَبْدِ اللَّطِيفِ - وَفَّقَهُ اللهُ - جُزْءٌ مُهِمٌّ فِي تَخْرِيجِهِ وَتَصْحِيحِهِ، بِعِنْوَانِ: «**إِعْلاَمُ ذَوِي الرَّشَادِ؛ بِتَصْحِيحِ حَدِيثِ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى العِبَادِ**».

وَهَذَا الحَدِيثُ هُوَ فَرْعٌ كَرِيمٌ بَنَّاء؛ مِنَ ذاك الأَصْلِ القُرْآنِي العَظِيمِ؛ المُنْزَلِ من السماء: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وقارن بما سيأتي (ص:٤٣) من كلام الشيخ -سدّده الله- في هذا الحديث -نفسه-، وقَولِه -فيه- إنّه: «**مُصَرِّحٌ بعدمِ تكفير تارك الصلاة**».

نَقُولُ: وَفِي نَقْضِ دَعْوَى الشَّيْخِ - سَدَّدَهُ اللهُ - نُصُوصٌ أُخْرَى، مِنْهَا أَحَادِيثُ الشَّفَاعَةِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً - قَطُّ - «إِلاَّ التَّوْحِيدَ»، وَحَدِيثُ البِطَاقَةِ، وَغَيْرُهَا..

❖ المُلاَحَظَةُ السَّادِسَةُ:

○ **قَوْلُ الشَّيْخِ (ص ١٧٣):**

«وَلَمْ يَبْلُغْنَا مِنْ هذِهِ الأَحَادِيثِ سَبَبٌ **أَوْ** مُنَاسَبَةٌ تُسَوِّغُ لَنَا صَرْفَ المَعْنَى المُتَبَادَرِ، **إِلاَّ بِالتَّأْوِيلِ المُتَكَلَّفِ الَّذِي يُغْثِي النَّفْسَ، وَيَأْبَاهُ الطَّبْعُ، ثُمَّ لاَ يَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ طَائِلٌ، إِلاَّ مَا يَكُونُ مِنْ تَسْلِيمِ الصِّبْيَانِ بِمَا يُمْلَى عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فَرِحُونَ!**».

□ نقول: **في الكلام (شِدَّةٌ) شديدةٌ لاَ نَجِدُ جَوَاباً عليها -هنَا- أَقْوَى مِنْ** كَلاَمِ الشَّيْخِ -نَفْسِهِ- فِي كِتَابٍ آخَرَ -لَهُ- حيث قال- سدّده الله-:

«أَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ-: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، مَا **يُغْنِي عَنِ التَّأْوِيلِ، وَالإِطَالَةِ فِي الرَّدِّ وَالمِرَاءِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَتَلَمُّسِ الصَّوَابِ فِيهَا؟!**».

فَهَلِ التَّأْوِيلُ المُثْبَتُ - هُنَا - **غَيْرُ التَّأْوِيلِ المَنْفِيِّ هُنَاكَ؟!**

وَمَا هِيَ أَسْبَابُ غَثَيَانِ النَّفْسِ -هُنَاكَ-، وَاسْتِقْرَارِهَا هُنَا؟!

كُلُّ ذَلِكَ مَعَ التَّذْكِيرِ: بِأَنَّ الحُجَجَ هِيَ الحُجَجُ، وَالعُقُولَ هِيَ العُقُولُ، وَالنَّظَرَ هُوَ النَّظَرُ، وَالدَّلِيلَ هُوَ الدَّلِيلُ! فَلِمَ التَّبْدِيلُ؟! **وَمَا هِيَ دَوَاعِي التَّأْوِيلِ؟!**

ثُمَّ؛ **أَيْنَ مَوْضِعُ ذِكْرِ (الصِّبْيَانِ)** فِي مَسْأَلَةٍ مِنْ كِبَارِ مَسَائِلِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ؟!

ثُمَّ؛ **أَلَمْ يَكُنْ قَوْلُ** الشَّيْخِ -نَفْسُهُ- قَبْلَ سَنَوَاتٍ -قَلِيلَةٍ، وقليلةٍ جدًا- مُوَافِقاً لِهَذَا القَوْلِ **الَّذِي هُوَ** الآنَ **يُسَفِّهُهُ وَيُقَلِّلُ مِنْ قَدْرِهِ؟!**

ثُمَّ؛ مَا الَّذِي يَأْمَنُهُ الشَّيْخُ -سَدَّدَهُ اللهُ- مِنْ نَفْسِهِ، فِي مِثْلِ هذِهِ المَسْأَلَةِ الخَطِيرَةِ -مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ-؟!

وَهَلْ يُوجَدُ قَوَاعِدُ ضَابِطَةٌ لِهذَا كُلِّهِ؟!

❖ المُلاَحَظَةُ السَّابِعَةُ:

○ وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَصِفَ الشَّيْخُ الكاتبُ -سدّده اللهُ-(ص ١٧٣ - ١٧٤) قَوْلَ **المُخَالِفِ لَهُ** - فِي هذِهِ المَسْأَلَةِ - بِأَنَّهُ: (**هَدْمٌ لِهذِهِ النُّصُوصِ**، أَوْ **مُحَاوَلَةٌ لِهَدْمِهَا بِفَهْمٍ اشْتَطَّتْ بِهِ أَقْلاَمٌ، وَتَزَاحَمَتْ عَلَيْهِ أَفْهَامٌ**، تَزْعُمُ -جَمِيعُهَا- أَنَّهَا عَلَى مَنْهَجِ العِلْمِ الصَّحِيحِ، **فَتُخْرِجُهَا عَنْ قِيَمِ الجَادَّةِ، وَهِيَ تَحِيصُ فِي دَائِرَةِ التَّقْلِيدِ، زَاعِمَةً أَنَّهَا قَافِيَةٌ بِاجْتِهَادٍ جَدِيدٍ، أَثَرَ الاجْتِهَادِ التَّلِيدِ**، وَهِيَ -وَالحَقُّ يُقَالُ- **لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَلاَ إِلَى شَيْءٍ، وَلاَ فِي شَيْءٍ، وَلاَ مِنْ شَيْءٍ!**».

□ فَنَقُولُ: نَعَمْ؛ وهذا -في الحقيقة- سَهْمٌ لَهُ طَرَفَانِ:

- طَرَفٌ لِلْمُخَالِفِ الَّذِي هُوَ لِسِوَاه غَيْرُ مُوَافِقٍ!

- وَطَرَفٌ لِلْمُوَافِقِ، الَّذِي هُوَ لِسِوَاه مُخَالِفٌ!

وَيَجْتَمِعُ الطَّرَفَانِ فِي آنٍ -مَعاً- لِمَنْ كَانَ يَقُولُ بِقَوْلٍ -حِيناً-، ثُمَّ تَرَكَهُ -بَعْدُ- لاَ لِدَلِيلٍ جَدِيدٍ، وَلاَ بِفَهْمٍ جَدِيدٍ!!

ثُمَّ يُضِيفُ الشَّيْخُ -بِالأُسْلُوبِ نَفْسِهِ؛ بَلْ أَشَدَّ- (ص١٧٤):

«**وَلَسَوْفَ نَأْتِي عَلَى مَا نَرَى أَنَّهُ الحَقُّ** -إِنْ شَاءَ اللهُ-، **وَلَسْتُ بِالسَّابِقِ إِلَيْهِ**[1]، **فَإِنَّا نُبْطِئُ فِي زَمَانٍ لاَ يَحْسُنُ فِيهِ إِلاَّ الإِبْطَاءُ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحْسِنُ الإِسْرَاعَ فِيهِ، فَاسْتُه عَلَى لاَهِبَةِ قَيْظٍ مِنْ صَحْرَاءَ مُجْدِبَةٍ، مُرْمِلَةٍ، شَاسِعَةٍ، فَلْيُسْرِعْ بِالقِيَامِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَذُوبَ أَلْيَتُهُ!**».

---

(١) بل (السابق إليه)!، وسترى -بَعْدُ- الدليلَ عليه!

فَنَقُولُ: نَعَمْ! وَلاَ حولَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ!! وإنّا لله وإنّا إليه راجعون!!!

❖ المُلاحَظَةُ الثَّامِنَةُ:

○ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٧٤):

«إِنَّ مَسْأَلَةَ التَّكْفِيرِ -بِرُمَّتِهَا- وَقَدْ دَارَتْ رَحَاهَا بَيْنَ الإِفْرَاطِ وَبَيْنَ التَّفْرِيطِ مُنْذُ القَرْنِ الأَوَّلِ- لَمْ تَكُنْ سَبَباً فِي نُشُوءِ عَدَاوَةٍ[1] -وَلاَ فِي زِيَادَتِهَا- بَيْنَ الخِيرَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ، إِلاَّ مَا كَانَ بَيْنَ مَنِ اسْتَقَامَ عَلَى سَوَاءِ الحَقِّ فِي المَنْهَجِ العِلْمِيِّ، وَبَيْنَ مَنْ أَزْرَى عَلَى نَفْسِهِ بِمَا أَصَابَ مِنْ إِسْرَافٍ فِي الجَهْلِ، وَاقْتِرَافٍ لآثَامِ البَغْيِ، وَاجْتِرَاحٍ لِمَوَدَّاتِ مَنْ عَادَى اللهَ وَرَسُولَهُ، وَهَاجَتْ بِهِ سَوَافِي التَّأْوِيلِ وَالتَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، فَانْتَصَرَ الأَوَّلُونَ لِلْحَقِّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَأَرْغَى وَأَزْبَدَ فِي بَاطِلِهِ الآخَرُونَ».

□ نَقُولُ: وَهذَا كَلاَمٌ غَيْرُ صَحِيحٍ البَتَّةَ! فَلَيْسَ بَيْنَ (الخِيرَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ) - فِي أَنْفُسِهِمْ - أَدْنَى خِلاَفٍ فِي (مَسْأَلَةِ التَّكْفِيرِ)، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مُفْرِطاً، وَلاَ مُفَرِّطاً!

وَإِنَّمَا الإِفْرَاطُ وَالتَّفْرِيطُ وَقَعَ مِنْ غَيْرِهِمْ -مِمَّنِ انْحَرَفُوا عَنْهُمْ-: مِنْ خَوَارِجَ وَمُرْجِئَةٍ وَمُعْتَزِلَةٍ..

أَمَّا هُمْ؛ فَأَيْنَ اخْتِلاَفُهُمْ؟!

وَبِمَاذَا اخْتَلَفُوا فِي مَسَائِلِ التَّكْفِيرِ؟!

---

(١) فلماذا المخالفة عن هذا الأصلِ؛ بل العَمَلُ على إيجاده وإذكائه بأمثالِ تلكم العبارات القاسية، والكلمات (اللاهبة) -المتقدّم ذِكرُها -عنه-؟!!

ورحم الله شيخ الإسلام القائلَ -كما في «الاستقامة» (١/ ٣٧)-: «كل ما أوجبَ فِتنةً وفُرقةً: فليس من الدين؛ سواءٌ كان قولاً أو فعلاً».

وَأَيْنَ النَّقْلُ عَنْهُمْ فِي أَدْنَى ذَلِكَ؟!

وَمَا هِيَ وُجُوهُهُ؟!

وَمَا هِيَ أُصُولُهُ؟!

فَإِنْ قِيلَ:

لَعَلَّ الشَّيْخَ يَقْصِدُ مَسْأَلَةَ تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ؟!

فَنَقُولُ: اجعل (لعلَّ) عند ذاك الكوكب؛ فإنّ الشيخَ -سدّده الله- قَدْ أَفْرَدَ الكَلاَمَ عَلَيْهَا -بَعْد- تَخْصِيصاً؛ جَاعِلاً إِيَّاهَا مِنْ مَسَائِلِ الفِقْهِ -وَهُوَ بِهَذَا- هُنَا- مُصِيبٌ تَمَامَ الإِصَابَةِ؛ لنهج التابعين والصَّحابة...

وَهَذِهِ هِيَ:

❖ المُلاَحَظَةُ التَّاسِعَةُ:

○ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٧٥):

«وَأَمَّا الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ **إِلاَّ مَحْضُ اخْتِلاَفٍ فِي مَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ**، خَرَجَتْ عَنْ حَيِّزِ الاتِّفَاقِ الَّذِي كَانُوا يَرَوْنَهُ الأَحْسَنَ لَوْ كَانَ، **أَمَا وَقَدْ خَرَجَ عَنْ حَيِّزِ الاتِّفَاقِ**[1]، فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلاَّ اخْتِلاَفاً فِي الرَّأْيِ، وَ**الاخْتِلاَفُ فِي الرَّأْيِ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُفْسِدَ فِي الوُدِّ قَضِيَّةً -كَمَا قِيلَ-**.

أَمَّا انْشِمَارُ النُّفُوسِ، وَتَبَرُّمُ القُلُوبِ، وَتَقَطُّعُ المَوَدَّاتِ، الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ أَهْلُ العِلْمِ وَطُلاَّبُهُ - بِاخْتِلاَفِ الأَنْظَارِ فِي مَسَائِلِ العِلْمِ - **فَإِنَّهُ دَلِيلُ جَهْلٍ وَغِيَابِ وَرَعٍ!!** وَلا أَدْرِي -وَاللهِ- مَتَى يُعْقَلُ هذَا الأَمْرُ عَلَى وَجْهِهِ، وَيُصَارُ إِلَيْهِ بِأَدَبِ

---

(١) ومع هذا: ينقل فضيلة الشيخ -سدّده الله- **الإجماع على التكفير!!** -كما سيأتي (ص ٣٦ و٤٢ وغيرها)- من هذا الكتاب-.

العِلْمِ العَالِي؟!

بَلْ إِنَّهُ[1] هُوَ ظَاهِرُ الكِتَابِ العَزِيزِ الَّذِي أَخَذَ بِهِ -وَصَارَ إِلَيْهِ- الجَمُّ الغَفِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ الأَمْصَارِ السَّابِقِينَ وَاللاَّحِقِينَ -مِمَّنْ قَالَ بِتَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ-، مِنْهُمْ: الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْه، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ؛ فَإِنْ أَصَابَ هَؤُلاَءِ فَقَدْ أَصَابَ مَعَهُمْ آخَرُونَ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فذلِكَ مِنْ جِبِلَّةِ البَشَرِ القَاصِرَةِ، فَلِمَاذَا -إِذاً- التَّعَادِي وَالشُّمُوسُ وَالتَّصَابِي؟!

وَلاَ أَحْسَبُ الاخْتِلاَفَ إِلاَّ مَنْشُوراً لِوَاؤُهُ فَوْقَ رُؤُوسِ مَسَائِلِ العَقِيدَةِ وَأُصُولِ الأَحْكَامِ -مُنْذُ أَنْ كَانَتْ-، وَأُتِيتْ مِنْ كُلِّ شُرَّاحِهَا».

□ نَقُولُ:

عَلَى هذَا مُلاَحَظَتَانِ:

أَوَّلاً: أَيْنَ(ظَاهِرُ الكِتَابِ العَزِيزِ) الَّذِي دَلَّ عَلَى تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ؟!

فَإِنْ قِيلَ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾!

فَنَقُولُ: هذَا لَيْسَ ظَاهِراً أَلبَتَّةَ؛ وَإِلاَّ لَمَا وَقَعَ فِيهِ اخْتِلاَفٌ؛ بَلْ هُوَ -عِنْدَ الطَّرَفِ الآخَرِ!- دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ التَّكْفِيرِ، وَذلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنَّهُ سُبِقَ ذِكْرُ الصَّلاَةِ بِالتَّوْبَةِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ أَعْقَبَ ذِكْرَ الصَّلاَةِ بِالزَّكَاةِ.

فَاشْتِرَاطُ التَّوْبَةِ مِنْ قَبْلُ، وَذِكْرُ الزكاة مِنْ بَعْدُ -والصلاةُ مذكورةٌ بينَهما-: مِنْ أَبْيَنِ دَلِيلٍ عَلَى وَهَنِ هذَا الاسْتِدْلاَلِ.

وَلْيُنْظَر: «المحرَّر الوجيز» (٨/ ١٣٩) لابن عطيَّة، و «جامع البيان»

---

(١) أي: القول بتكفير تارك الصلاة.

(٨٦/١٨) لابن جرير.

ثانياً: أمَّا أنَّهُ (أَخَذَ بِهِ وَصَارَ إِلَيْهِ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ الأَمْصَارِ السَّابِقِينَ وَاللاَّحِقِينَ مِمَّنْ قَالَ بِتَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ..).

نَقُولُ: بَلِ الصَّوَابُ عَكْسُ ذَلِكَ - تَمَاماً -:

قَالَ الإِمَامُ عَبْدُ الحَقِّ الإِشْبِيلِيُّ فِي كِتَابِهِ «الصَّلاَةُ وَالتَّهَجُّد» (ص ٩٦):

«... وَذَهَبَ سَائِرُ المُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ - المُحَدِّثِينَ وَغَيْرِهِمْ - إِلَى أَنَّ تَارِكَ الصَّلاَةِ مُتَعَمِّداً، لاَ يُكَفَّرُ بِتَرْكِهَا، وَأَنَّهُ أَتَى كَبِيرَةً مِنَ الكَبَائِرِ إِذْ كَانَ مُؤمِناً بِهَا، مُقِرّاً بِفَرْضِهَا، وَتَأَوَّلُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَوْلَ عُمَرَ، وَقَوْلَ غَيْرِهِ- مِمَّنْ قَالَ بِتَكْفِيرِهِ-؛ كَمَا تَأَوَّلُوا قَوْلَهُ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَأَوَّلُوهُ».

وَيَقُولُ الحَافِظُ العِرَاقِيُّ فِي «طَرْحِ التَّثْرِيبِ» (٢/ ١٤٩):

«وَذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى أَنَّهُ لاَ يُكَفَّرُ بِتَرْكِ الصَّلاَةِ - إِذَا كَانَ غَيْرَ جَاحِدٍ لِوُجُوبِهَا -، وَهُوَ قَوْلُ بَقِيَّةِ الأَئِمَّةِ، أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ.

وَهِيَ رِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ - أَيْضاً -».

وَقَالَ المَرْدَاوِيُّ الحَنْبَلِيُّ فِي «الإِنْصَافِ» (١/ ٤٠٢) -فِي تَارِكِ الصَّلاَةِ-:

«وَلاَ يُكَفَّرُ -عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ المَذْهَبِ-، وَعَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الأَصْحَابِ، وَقَطَعَ بِهِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ».

وَتَقَدَّمَ قَوْلُ ابْنِ قُدَامَةَ - وَابْنِ تَيْمِيَّةَ - أَيْضاً - وَاضِحاً جَلِيّاً - فِي أَنَّ هَذَا هُوَ الإِجْمَاعُ العَمَلِيُّ لِلْمُسْلِمِينَ - سَلَفاً وَخَلَفاً -.

- أَمَّا مَا نُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ فَهُوَ قَوْلاَنِ، التكفيرُ أَحَدُهُمَا؛ ولكنْ:

رَجَّحَ ابْنُ بَطَّةَ -فِيمَا حَكَاهُ ابْنُ قُدَامَةَ وَابْنُ تَيْمِيَّةَ- أَنَّ الرَّاجِحَ عَنْهُ -رَحِمَهُ

اللهُ- عدَمُ التَّكْفيرِ.

ونقله عنه أبو عبد الله ابنُ حامدٍ في كتابِهِ «أصول الدين» ؛ ذاكراً أنّه نصَّهُ في رواية إسماعيل بن سعيدٍ[1].

- أمَّا المَنْقُولُ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْه -مِمَّا يظهرُ مِنْهُ النُّزُوعُ إِلَى التَّكْفيرِ!-؛ فَإِنَّ رِوَايَةَ ابْنِ عَبْدِ البَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ» (٤/ ٢٢٥) -لكلامه- فِيهَا زِيَادَةٌ تُوَضِّحُهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ - فِيمَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ -: «... حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا: كَافِرٌ، وَإِذَا أَبَى مِنْ قَضَائِهَا، وَقَالَ: لاَ أُصَلِّيهَا».

فَهذَا إِشَارَةٌ إِلَى امْتِنَاعِ هذا التارِكِ، فَكُفْرُهُ هُنَا كُفْرُ امْتِنَاعٍ، وَهذَا لاَ إِشْكَالَ فِيهِ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ نَقْلُهُ عَنْ شَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ-.

- أمَّا المَنْقُولُ عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ - وَقَدْ تَقَدَّمَ نَصُّهُ - ففيه زِيَادَةٌ تُبَيِّنُ مُرادَه، وتُظهِرُ مقصودَه؛ وهي: «فَقِيلَ لابْنِ المُبَارَكِ: أَيَتَوَارَثَانِ إِنْ مَاتَ؟! أَوْ إِنْ طَلَّقَهَا: يَقَعُ طَلاَقُهُ عَلَيْهَا؟

فَقَالَ: أَمَّا فِي القِيَاسِ؛ فَلاَ طَلاَقَ وَلاَ مِيرَاثَ، وَلَكِنْ: أَجْبُنُ».

نقولُ: فَهذَا يجبُ أن يُحْمَلَ - لُزُوماً - عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الكُفْرَ العَمَلِيَّ، لاَ الاعْتِقَادِيَّ؛ وَإِلاَّ فَإِنَّ الجُبْنَ عَنْ إِخْرَاجِ مُسْلِمٍ مِنْ إِسْلاَمِهِ أَعْظَمُ -ألفَ مرةٍ- مِنْ إِخْرَاجِ امْرَأَةٍ عَنْ زَوْجِهَا؟!

وَهذَا بَيِّنٌ جِدًّا؛ بِحَمْدِ اللهِ.

فَهلاَّ تَبَنَّى الآخِذُ قَوْلَ ابْنِ المُبَارَكِ قَوْلَهُ -كُلَّهُ- بِتَمَامِهِ، وَنَتَائِجِهِ وَحَقِيقَتِهِ؟!

ثالثاً: أين هو هذا (الخلافُ المنشورُ لواؤهُ فوق رؤوس مسائل العقيدة)؟!

وما هو وجهُ الصوابِ فيه؟!

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٦٩) لشيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-.

وكيف أُتيتْ أصولُ العقيدة من شُرّاحها -لا؛ بل كُلّهم- كما قال-؟! ومتى؟!

ثم؛ ألا يلزمُ من هذا: إيقاعُ التُّهْمةِ على أهل العلمِ -بذلك- عبرَ مضيِّ الزَّمَنِ، وتوالي السنين؟!

❖ المُلاحَظَةُ العَاشِرَةُ:

○ ذَكَرَ الشَّيْخُ (ص ١٥٦) عَنْ عُلَمَاءِ المُصْطَلَحِ مَعْنَى (الإِدْرَاجِ)، وأَنَّهُ: «**تأْوِيلٌ لِغَامِضٍ، أَوْ إِظْهَارٌ لِخَفِيٍّ، أَوْ تَوْلِيفٌ لِمُفْتَرِقٍ، وَهُوَ شَيْءٌ كَانَ الصَّحَابَةُ يَصْنَعُونَهُ أَدَاءً للأَمَانَةِ، وبَيَاناً لِلْحَقِّ، وإِبْرَاءً لِلذِّمَّةِ..**».

□ **نَقُولُ**: وَهٰذَا مَعْنًى غَيْرُ صَحِيحٍ لِلإِدْرَاجِ!

وَالمَعْنَى الصَّحِيحُ هُوَ: أَنْ يَذْكُرَ الرَّاوِيَ أثناءَ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ -أو قبله، أو بعدَه- كَلاَماً لِنَفْسِهِ أَوْ لِغَيْرِهِ، فَيَرْوِيَهُ مَنْ بَعْدَهُ مُتَّصِلاً، فَيُتَوَهَّمُ أَنَّهُ مِنَ الحَدِيثِ.

وَهُوَ نَوْعَانِ: إِسْنَادِيٌّ، وَمَتْنِيٌّ.

كَمَا فِي «عُلُومِ ابْنِ الصَّلاَحِ» (٨٦)، وَ «الاقْتِراحِ» (٢٢٣) لابْنِ دَقِيقِ العِيدِ، وَ «المُقْنِعِ» (١ / ٢٢٧) لابْنِ المُلَقِّنِ، وَ «النُّكَتِ عَلَى ابْنِ الصَّلاَحِ» (١/ ٨٧) لابْنِ حَجَرَ، وَ «البَاعِثِ الحَثِيثِ» (١/ ٢٢٤) لابْنِ كَثِيرٍ.

فَأَيْنَ المَعْنَى المَذْكُورُ -خَطَأً- للإدراج على أنّه حقٌّ وصوابٌ؛ مِنَ المَعْنَى الحَقِّ للإدراج؛ وأنّه خطأٌ وتوهُّمٌ؟!

❖ المُلاحَظَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ:

○ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٧٦ - ١٧٧):

«وَهٰذَا الإِدْرَاجُ، مَا رَأَيْنَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ

كفر»، ومنْ قوْلِ تلْكَ المرْأة الَّتِي جاءتْ تشْكُو بعْلها للرَّسُولِ ﷺ: «إنِّي أكْرهُ الكُفْرَ فِي الإسْلاَمِ»، إذِ اللَّفْظُ فِي كلَيْهِمَا -بِسِياقه وسِباقه- دالٌّ على ذاته بِذاته، وما علمْنا خلافاً حدث بيْنهُمْ على اخْتلاَفِ معْناه، ولَوْ كانَ لأتانا خبرُهُ، ذلكُمْ أنَّ اسْتقامة العربيَّةِ على ألْسِنتِهِمْ وفِي عقُولِهِمْ؛ لمْ تكُنْ لِتُعْجِزهُمْ عن الإحاطةِ بالمعْنى المُرادِ منْ لفْظِ مثْلِ هذا اللَّفْظِ؛ باخْتلاَفِ مواقعِهِ وسِياقِهِ.

والحُجَّةُ -ولاَ ريْبَ- فِيمَا كانَ فِيهِمْ ومِنْهُمْ، أوْ فِيمَا كانَ قريبَ عهْدٍ منْهُمْ».

نَقُولُ: كذَا قَالَ! ولكنْ؛ أين هو هذا الإدراجُ؟! وما هُوَ؟! وكيف هو؟!

ولَيْسَ فِي كلاَمِهِ -سدّده الله- أيُّ جوابٍ علَى الأثرِ الَّذِي أورده، معَ أنَّ فِيهِ ذِكْرَ (الكفْرِ)! فهلِ الكُفْرُ المذْكُورُ فِي كلاَمِ المرْأةِ (كُفْرٌ) مُتعلِّقٌ بِهَا، أمْ بِزوْجِهَا؟!

وهَلْ هُوَ كُفْرٌ أكْبَر مخرجٌ من الملّة، أمْ كُفْرٌ أصْغَر لا يُخرج من الملّة؟

ثُمَّ؛ ما هُوَ سببُ إيرادِهِ هذَا الأثَرَ - هُنَا - معَ السُّكُوتِ عنْهُ؟!

ومَا هُوَ المُرادُ منْ قوْلِ الشَّيْخِ فِي (اللَّفْظِ فِي كلَيْهِمَا - بِسِياقِهِ وسِباقِهِ -) أنَّهُ: «دالٌّ علَى ذاتِه بِذاتِه»؟!

هلْ يُرِيدُ ذاتَهُ الشَّرْعِيَّةَ، أمْ اللُّغوِيَّةَ؟

فإذَا كانَتِ الشَّرْعِيَّةَ؛ فمَاذَا أرادَ بِهَا قَائِلُهَا؟!

وإنْ كانَتِ اللُّغوِيَّةَ؛ فمَا هِيَ قِيمةُ ذِكْرِهَا؟!

فإنْ قِيلَ: هُمَا شيْءٌ واحدٌ!

فهذَا أمْرٌ إدٌّ، لمْ يقُلْ بِهِ إلاَّ الخوارجُ الأقْحاح! فيما مضى من الزمان وراح!! نرْبأ بفضيلةِ الشيخ -سدّده الله- أنْ يقولَ به، أو أن يسلُك لِسبيه...

والأثرُ المذْكُورُ: رواهُ البُخارِيُّ (٥٢٧٣) فِي قِصَّةِ امْرأةِ ثابتِ بْن قيْسٍ لمَّا أرادتِ الخُلْعَ منْهُ، وهِيَ لاَ تعْتبُ علَيْهِ «فِي خُلُقٍ ولاَ دِينٍ».

وَقَوْلُهَا: «... الكُفْرُ فِي الإِسْلَامِ» إِشَارَةٌ[1] إِلَى أَنَّهُ «كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ»، أَوْ مِنْ لَوَازِمِ الكُفْرِ، وَإِلاَّ: فَهَلْ فِي الإِسْلَامِ وَالإِيمَان، كُفْرٌ يُخْرِجُ بَعْضَ الأَعْيَان، وَهُمَا فِيهِ مُجْتَمِعَان بِآن!!؟

إِلاَّ أَنْ يَكُونَ كُفْراً دُونَ كُفْرٍ!!

❖ المُلاحَظَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:

○ قَوْلُ الشَّيْخِ (ص ١٧٧):

«وَلَعَلَّ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ كُفْرٍ وَبَيْنَ كُفْرٍ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، فَيَقُولُ بِكُفْرِ جَاحِدِهَا دُونَ غَيْرِهِ، مِمَّنْ تَرَكَهَا مِنْ غَيْرِ جُحُودٍ -كَمَا يَزْعُمُونَ-، لَمْ يَأْتِهِ -أَوْ لَمْ يَبْلُغْهُ- مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ أَوْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، أَنَّ أَحَداً مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ هذَا وَبَيْنَ ذَاكَ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِمَا -مَعاً- بِالكُفْرِ؛ لأَنَّ الوَحْيَ لَمْ يَجْعَلْ سَبِيلاً لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ هذَا التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا؛ بِعِلْمٍ أَتَاهُ بِهِ، أَوْ بِاجْتِهَادٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَإِلاَّ لَمَا كَانَ هذَا الإِجْمَاعُ الَّذِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ سُوءَ الخِلَافِ[2] فِي هذِهِ المَسْأَلَةِ، وَعَاشُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ ذِكْرٌ لِهذَا الفَرْقِ الَّذِي صَارَ فِي القُرُونِ اللاَّحِقَةِ».

□ فَنَقُولُ:

أَوَّلاً: التَّعَلُّقُ بِعَدَمِ النَّقْلِ عَنِ الصَّحَابَةِ -هُنَا- فِي غَيْرِ مَوْرِدِهِ! ذلِكُمْ أَنَّ مَسْأَلَةَ تَرْكِ الصَّلَاةِ -أَسَاساً- لَمْ تَقَعْ فِي الصَّحَابَةِ مُطْلَقاً؛ وَإِنَّمَا حَدَثَتْ بَعْدَهُمْ، بِحَيْثُ لَمْ يَكُنِ المُقْتَضِي لِبَحْثِهَا -وَإِثَارَتِهَا- مَوْجُوداً فِي عَصْرِهِمْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، وَإِنَّمَا كَانُوا -هُم- يُرَدِّدُونَ النُّصُوصَ الَّتِي سَمِعُوهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ،

(١) وانظر: «فتح الباري» (٩/ ٤٠٠).

(٢) وقد تقدّم عن الشيخ -سدّده الله- (ص٣٢) قولُه بوجود الخلاف!!

ويُكَرِّرُونَ؛ على حقيقةٍ ما لها يفهمون.

ثانياً: مَا يُذْكَرُ مِنْ أَلفَاظِ (الكُفْرِ) -الوَارِدَةِ فِي أَحَادِيثِ تَرْكِ الصَّلاَةِ- يُذْكَرُ نَفْسُهُ- وَعَنِ الصَّحَابَةِ -أنفسهم- فِي الأَحَادِيثِ الأُخْرَى الوَارِدِ فِيها وصفُ بَعْضِ المَعَاصِي وَالذُّنُوبِ بالكُفْرِ والتكفيرِ؛ مِمَّا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بِتكفيرِ مُرْتَكِبِهَا.

ثالثاً: كَلاَمُ الشَّيْخِ - نَفْسِهِ - فِي كِتَابِ آخَرَ -له- (ص ١٢٤، ١٢٥) رَدٌّ عَلَى كَلاَمِهِ - هُنَا -، حَيْثُ قَالَ -سدّده الله-:

«المَرْءُ إِذَا نَطَقَ بِالشَّهَادَةِ، وَصدَّقَ بِهَا قَلْبُهُ، وَاعْتَقَدَهَا جَازِماً، وَآمَنَ بِحقِّهَا كُلِّه، فَهُوَ مُسْلِمٌ لاَ يَكْفُرُ، وَإِنِ اجْتَرَحَ المَعَاصِي كُلَّهَا، مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، مَا لَمْ يُصَاحِبْهَا جُحُودٌ أَوْ نُكْرَانٌ[1] لِمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَلَوْ بَعْدَ أَنْ يَمَسَّهُ سُوءُ العَذَابِ، وَيَمْكُثَ فِيهِ زَمَاناً، طَالَ هذَا الزَّمَانُ أَمْ قَصُرَ... إِنَّ هذا حَقٌّ لِلْعِبَادِ عَلَى رَبِّهِمْ، أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ لَهُمْ، فَضْلاً مِنْهُ وَتَكَرُّماً، لاَ يُسْتَثْنَى مِنْهُ إِلاَّ مَنْ رَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُ، **وَهذَا الرَّاغِبُ بِنَفْسِهِ عَنْهُ وَاحِدٌ مِنَ اثْنَيْنِ:**

- إِمَّا جَاحِدُ الشَّهَادَةِ، مُسْتَكْبِرٌ عَنْ حَقِّهَا، جَاحِدٌ لَهُ.

- وَإِمَّا جَاحِدٌ بَعْضَهُ.

وَهذَا شَيْءٌ، وَالنَّاطِقُ بِهِ - المُصَدِّقُ بِهَا، المُوقِنُ بِحَقِّهَا - شَيْءٌ آخَرُ، **فَأَيْنَ هذَا مِنْ ذَاكَ؟**

فَهذَا الجَاحِدُ أَوْثَقَ نَفْسَهُ بِجُحُودِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ، فَكَيْفَ نُسَوِّيهِ بِمَنْ لاَ يَجْحَدُهَا، وَلاَ يَسْتَكْبِرُ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَ يَعْصِي رَبَّهُ بِالعُدُولِ عَنْ طَاعَتِهِ؟!».

نَقُولُ: **فَالجَوَاب يُظْهِر الصَّوَاب بِلاَ ارْتِيَاب!**

رَابِعاً: دَعْوَى الإِجْمَاعِ -المَذْكُورَةُ فِي كَلاَمِ الشَّيْخِ- **لاَ صحّةَ لَهَا، ولا**

---

(١) أو غيرهما من أسبابِ التكفير -وأقسامِه- عند أهل السنّة.

حُجّةَ تدعَمُها – ألبَتّةَ – كما تقدّم –.

وَاللهُ الهَادِي.

❖ المُلاحَظَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:

○ أمَّا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ (ص ١٧٧) عَنِ ابْنِ حَزْمٍ مِنْ كَلاَمٍ يُشْعِرُ بِمَيْلِهِ إِلَى تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ!

فَهُوَ غَيْرُ دقيقٍ؛ بَلْ إِنَّ مَذْهَبَ ابْنِ حَزْمٍ فِي تَارِكِ الصَّلاَةِ – كَمَا فِي «المُحَلَّى» (١١/ ٣٨١) أَنَّ (الحَقَّ قَتْلُهُ، وَهُوَ مُسْلِمٌ مَعَ ذلِكَ)؛ بَلْ قَدْ صَرَّحَ فِي «المُحَلَّى» (١/ ٤٠) بِقَوْلِهِ: «وَمَنْ ضَيَّعَ الأَعْمَالَ كُلَّهَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ عاصٍ نَاقِصُ الإِيمَانِ لاَ يَكْفُرُ»[1].

ثُمَّ ذَكَرَ دَلِيلَهُ عَلَى ذلِكَ: حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ المَرْوِيَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

❖ المُلاحَظَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:

○ وَصَفَ الشَّيْخُ (ص ١٧٨) قَوْلَ المُفَرِّقِينَ بَيْنَ التَّرْكِ المَبْنِيِّ عَلَى الجُحُودِ، وَالتَّرْكِ المُجَرَّدِ – لِلصَّلاَةِ – بِأَنَّهُ: «أَوْدَى بِالصَّلاَةِ، وَأَذْهَبَ مِنْ قُلُوبِ الأُمَّةِ مَعَ الأَيَّامِ قُدْسِيَّتَهَا»!

ثُمَّ قَالَ: «وَلْيَكُنْ مِنَّا انْتِظَارٌ؛ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْنَا يَوْماً مَنْ يَقُولُ لَنَا: «افْرَحُوا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مَنْ يَضَعُ عَنْكُمُ الصَّلاَةَ» !

□ فَالجَوَابُ أَنْ يُقَالَ:

لَيْسَ هذَا مِنْ مَوْرِدِ الحَقِّ فِي شَيْءٍ؛ وَإِنَّمَا هو عاطفةٌ عاصفةٌ! ذلِكُمْ أَنْ

---

(١) وهي عبارةٌ -بالمناسبة- تُشبه عبارةَ الشيخِ المتقدّمةَ في الصفحة السابقة -المنقولة عن كتابه الآخَر -تماماً-.

عَدَمَ التَّكْفِيرِ لاَ يَلْزَمُ مِنْهُ هذَا اللاَّزِمُ الحَمَاسِيُّ البَعِيدُ عَنِ المَنْهَجِيَّةِ العِلْمِيَّةِ المَنْضَبِطَةِ..

وَإِلاَّ؛ هَلْ يَقْبَلُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ -نفسه- أَنْ يُقَالَ هذَا الكَلاَمُ -نَفْسُهُ- فِي (الحَجِّ)، أَوِ (الصِّيَامِ)، أو (الزكاة)؛ كَمَا قِيلَ فِي (الصَّلاَةِ)؟!

وفي حديث قتالِ أبي بكرٍ -رضي اللهُ عنه- لِمانِعي الزَّكاةِ قولُهُ: «واللهِ لأُقاتلنَّ مَن فرّق بين الصلاة والزكاة»[1]: مما يشهدُ لهذا **الإلزام**...

وَالظَّنُّ بِهِ أَنَّهُ لاَ يُكَفِّرُ التَّارِكَ لأَيٍّ مِنْ هذِهِ (الأركان) إلاَّ بِالجُحُود ونحوِه!

أم أنَّ الأمرَ بخلاف ذلك؟!

فيُقال له -غَفر اللهُ له-: فالجوابُ هو الجوابُ...

وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ الإِمَامِ عَبْدِ الحَقِّ الإِشْبِيلِيِّ فِي كِتَابِهِ «الصَّلاَةُ وَالتَّهَجُّدُ» (٩٦) حَيْثُ قَالَ مُتَمِّماً مَا تقدَّمَ نَقْلُهُ -عَنْهُ-:

«واعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ تَرْكَ الصَّلاَةِ -وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُفْراً- كَمَا قَالَ أُولَئِكَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- **فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الأَسْبَابِ المُوصِلَةِ إِلَى الكُفْرِ، الدَّاعِيَةِ إِلَى شُؤْمِ العَاقِبَةِ وَسُوءِ الخَاتِمَةِ، وَأَنَّ المُتَمَادِيَ عَلَى تَرْكِهَا: مَنْكُوسُ القَلْبِ، ضَعِيفُ الإِيمَانِ، وَاهِي الأَرْكَانِ، وَرُبَّمَا هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ -وَهُوَ كَذلِكَ-، فَاسْتَفَزَّ الشَّيْطَانُ مَا بِيَدِهِ مِنْ إِيمَانٍ، وَأَدْخَلَهُ فِي جُمْلَةِ أَوْلِيَائِهِ وَإِخْوَانِهِ**».

وَرَحِمَ اللهُ شَيْخَنَا الكبير الأُستاذَ الإمامَ أَسَدَ السُّنَّةِ الهُمام أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ محمد ناصرالدين الألبانيَّ -رحمه الله- القَائِلَ -كَمَا فِي «السِّلْسِلَةِ الضَّعِيفَةِ» (١/ ١٣٢): «**فَيُخْشَى عَلَى مَنْ تَهَاوَنَ بِالصَّلاَةِ أَنْ يَمُوتَ عَلَى الكُفْرِ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ- تَعَالَى-**».

وَبِهِ -بِتَوْفِيقِ اللهِ- نَقُولُ.

---

(١) متفق عليه.

فَلَسْنَا مُرِيدِينَ - إِنْ شَاءَ اللهُ - أَنْ يَدْفَعَنَا تَحَمُّسُنَا لِشَيْءٍ أَنْ نَقَعَ بِالغُلُوِّ فِيهِ؛ دُونَ ضَوَابِطَ، وَمِنْ غَيْرِ قَوَاعِدَ.

وَكُلُّ مَا زَادَ عَنْ حَدِّهِ انْقَلَبَ إِلَى ضِدِّهِ. . .

وَاللهُ المُستعانُ.

❖ **المُلاَحَظَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:**

○ قَوْلُهُ - سَدَّدَهُ اللهُ - (ص ١٧٨) بِأَنَّ: «القَوْلَ بِتَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ هُوَ **مَنْطُوقُ الأَخْبَارِ**، وَالمُفْصَحِ بِهِ مِنَ الآثَارِ، وَ. . وَ. . .» !

□ **نَقُولُ:** وَهذَا **تَكْرَارٌ لِمَا سَبَقَ، وَإِعَادَةٌ، بدون أدْنى زيادة. . .**

فَلاَ نُكَرِّرُ الجَوَابَ وَلاَ نُعِيدُ!

وَمَا قَالَهُ فِي آخِرِ كَلاَمِهِ: «ذلِكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا نَبِيَّهُمْ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»؛ فَقَالُوا كَمَا قَالَ، وَفَهِمُوا عَنْهُ مُرَادَهُ الَّذِي أَرَادَهُ»!

فَيُقَالُ فِيهِ - لَهُ -:

وَهَلِ الَّذِينَ سَمِعُوا هَذَا النَّصَّ لَمْ يَسْمَعُوا **النَّصَّ الآخَرَ -الَّذِي عَلَى وِزَانِهِ وَمَعْنَاهُ-**: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ»، وَالثَّالِثَ: «مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ كَفَرَ»، وَالرَّابِعَ: «. . . فَقَدْ كَفَرَ». . . وَهكَذَا؟!

فَمَاذَا كَانَ صَنِيعُهُمْ تُجَاهَ هذِهِ النُّصُوصِ؟!

وَأَيْنَ النُّقُولُ عَنْهُمْ فِي **(تَأْوِيلِهَا)** أَوِ **(التَّكَلُّفِ فِيهَا)**؟!

وَمَا هِيَ **دَلاَئِلُ التَّفْرِيقِ** بَيْنَهَا؟!

وَالجَوَابُ عَنْ وَاحِدَةٍ هُوَ - نَفْسُهُ - الجَوَابُ عَنْ بَقِيَّتِهَا. . .

ثم؛ ما هو (المنطوق) -حقيقةً- إلاّ أن يكونَ: (ما دلّ عليه اللفظ في محلّ

النُّطق)[1]؛ مجرّداً عن التنازع والاشتراك؟! **وهل الأمرُ في هذه المسألة كذلك؟!**

وَلَوْ كَانَ -حقّاً- كَذلِك؛ لَمَا وَقَعَ (فِيهِ) عكْسُ ذلِك!!

❖ المُلاَحَظَةُ الخامِسَةَ عشْرَةَ:

○ ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ (ص ١٧٨ - ١٧٩) كَلاَماً حوْلَ مُشارَكَةِ الصَّلاَةِ النُّطْقَ بِالشَّهَادَةِ -قَدْراً-، وتساويهما -حكماً-، إِلَى أَنْ قَالَ:

«. . . إِنَّ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ- فِي هذَا البَابِ- تَفْرِيقٌ لَيْسَ بِلاَزِمٍ؛ بَلْ هُوَ تَفْرِيقٌ **يُفْضِي إِلَى الخُرُوجِ عَنْ بَدَهِ الأَمْرِ، بِتَكَلُّفِ الخَطإِ المَظْنُونِ أَنَّهُ صَوَابٌ**»!

□ **فَنَقُولُ:**

الجوابُ من وَجْهَيْنِ:

أولاً: إذا كان الأمرُ في مسألةِ الصلاةِ بهذه (البداهة) وهذا الوضوح: فلماذا هذا التطويلُ وهذا التفريع!! بَلْهَ التقريع!؟

ثم؛ لماذا لم يظهر (بَدَهَ الأمر) -فيها- إلاّ الآن! لا منذ أزمان؟! والبدهيّات حاضرةٌ في الأعيان؛ لا تغيب عن الأذهان!!

ثانياً: هلاَّ قِيلَ ذلِكَ - أَيْضاً - فِي النُّصُوصِ (الأُخْرَى) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا ذِكْرُ (الكُفْرِ) وَ (التَّكْفيرِ)؟!

فَإِنْ قِيلَ: نَعَم؛ فَهذَا مَذْهَبُ الخَوَارِجِ مِنْ جَدِيد، بِقَوْلٍ نُكْرٍ غَيْرِ سَدِيد. .

وَإِنْ قِيلَ: لاَ؛ فَمَا هُوَ دَلِيلُ التَّفْرِيق، وَقَاعِدَةُ التَّحْقِيق؟!

فَإِنْ كَانَ بِالأَثَر؛ فَالآثَارُ مَوْرِدُهَا وَاحِدٌ بِأدنى نَظَر. . .

---

(١) «البحر المحيط» (٤/٧) للزركشي.

وَإِنْ كَانَ بغيره؛ فنحنُ في غِنَىً عنه؛ وقد قيلَ -قديماً-: **إذا وَرَدَ الأَثَرُ بطَلَ النَّظَرُ، وَإِذَا جَاءَ نَهْرُ اللهِ بَطَلَ نَهْرُ مَعْقِل**..

❖ المُلاحَظَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ:

○ ثُمَّ كَرَّرَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ١٧٩ - ١٨٠) الكَلاَمَ حَوْلَ الكُفْرِ، وَمَعْنَاهُ، وَالإِذْعَانِ بِالجَوَارِحِ، وَمُسَمَّاهُ...

إِلَى أَنْ أَشَارَ إِلَى حَالِ الصَّحَابَةِ مِنْ: (**الإِطْبَاقِ**) عَلَى تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ!

□ **فَنَقُولُ**: مَا هُوَ المُرَادُ بِـ (**الإِطْبَاقِ**) هُنَا؟ وَمَا هُوَ مَعْنَاهُ؟

إِذَا أَرَادَ الإِجْمَاعَ؛ فَمَا هُوَ دَلِيلُهُ؟

إِنْ قَالَ: أَثَرُ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ العُقَيْلِيِّ: «كان أصحاب محمد لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفرٌ إلاّ الصلاة»[1]؟!

فَنَقُولُ: لَمْ يُدْرِكْ العُقَيْلِيُّ -هذَا- وَهُوَ تَابِعِيٌّ -رَحِمَهُ اللهُ- إِلاَّ أَقَلَّ مِنْ عَشْرَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ! فَكَيْفَ يَنْسُبُ لِغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يُدْرِكْهُ مِنْهُمْ! **فأين الإجماعُ** -إِذاً-؟!

وَإِنْ قَالَ: غَيْرُهُ!

قُلْنَا: مَا هُوَ؟! ولا يُوجَدُ!

وَإِنْ قَالَ: **الإِطْبَاقُ: الأَكْثَرِيَّةُ**؟!

---

(١) وفي «مجموع الفتاوى» (٢٢/٤٨) - لِشَيْخِ الإِسْلاَمِ -بعد إيراد هذا الأثر- قولُهُ -رحمه الله-: «فمن كان مُصراً على تركها حتى يَموتَ؛ لا يسجُدُ لله سجدةً قطّ: فهذا لا يكون قطُّ مسلماً مقراً بوجوبها؛ فإنَّ اعتقاد الوجوب، واعتقاد أنَّ تاركها يستحقُّ القتل: هذا داعٍ تامٌّ إلى فعلها، والداعي مع القدرة يوجب وجودَ المقدور...».

قُلْنَا - أَيْضاً -: مَا الدَّلِيلُ؟!

وَالوَاقِعُ: العَكْسُ - كَمَا تَقَدَّمَ -.

وَإِنْ قَالَ: بَعْضٌ وَبَعْضٌ؟!

قُلْنَا: بَعْضٌ لَكُمْ، وَبَعْضٌ لَنَا، فَالمَرْجِعُ وَالمُعَوَّلُ: **هو الدَّلِيلُ الأَوَّلُ...** **فَضْلاً عَنْ أَنَّ هذَا لاَ يُسَمَّى - قَطُّ - إِطْبَاقاً! فَالأَصْلُ عَنْهُ أَنْ يَتَحَوَّلَ...**

❖ المُلاَحَظَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ:

○ تَكَلَّمَ الشَّيْخُ (ص ١٨٠- ١٨١) عَنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - وَقَدْ قَدَّمْتُ ذِكْرَهُ -: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ...»، مُبَيِّناً أَنَّهُ: (**مُصَرِّحٌ بِعَدَمِ تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ**)... إِلَى أَنْ قَالَ: «فَكَيْفَ يَكُونُ التَّوْفِيقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَدِيثِ المُصَرِّحِ بِتَكْفِيرِهِ، وَكِلاَهُمَا صَحِيحَانِ، لاَ مِرْيَةَ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا، **وَلاَ يُعْرَفُ المُتَقَدِّمُ مِنَ المُتَأَخِّرِ مِنْهَا، حَتَّى يُعَدَّ وَاحِدٌ نَاسِخاً وَالآخَرُ مَنْسُوخاً؟**

وَالجَوَابُ - عِنْدَ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ تَرْكٍ وَبَيْنَ تَرْكٍ - هُوَ الجَوَابُ الجَارِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، إِذْ يَقُولُونَ: إِنَّ كُفْرَ تَارِكِ الصَّلاَةِ المُوجِبَ خُلُودَهُ فِي النَّارِ؛ هُوَ كُفْرُ الجُحُودِ، وَأَنَّ تَارِكَهَا - غَيْرَ جَاحِدِهَا -، أَمْرُهُ إِلَى اللهِ فِي الآخِرَةِ؛ مِنْ تَعْذِيبِهِ فِي النَّارِ، أَوِ المَغْفِرَةِ لَهُ».

☐ فَنَقُولُ:

الكَلاَمُ - فِي هذَا - فِي ثلاث نِقَاطٍ:

أَوَّلاً: النَّسْخُ لاَ يَقَعُ فِي الأَخْبَارِ؛ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ الأَخْيَارِ..

ثانياً: هذَا الجَوَابُ (عِنْدَ مَنْ فَرَّقَ..)، فَمَا هُوَ الجَوَابُ عِنْدَ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ -نَفْسِهِ-؟!

وَهَلْ يَرْتَضِي هذَا التَّفْرِيقَ؟ أَمْ هوَ عِنْدَهُ بِالرَّدِّ حَقِيقٌ؟!

ثالثاً: بَقِيَ الحَدِيثُ -كما قال فضيلةُ الشيخ- (**مُصرِّحاً بِعَدَمِ التَّكْفِيرِ**)، فَالوَاجِبُ حَمْلُ مَا **تُوُهِّمَ فِيهِ التَّكْفِيرُ** عَلَى مَا فِيهِ **التَّصْرِيحُ بِعَدَمِ التَّكْفِيرِ**؛ إذ النُّصُوصُ الَّتِي **تُوُهِّمَ** فِيهَا التَّكْفِيرُ غيرُ قليلةٍ، ولكنْ: بُيِّنَ وَجْهُهَا بِالنُّصُوصِ الأُخْرَى العَامَّةِ (الهَامَّةِ) الَّتِي فِيهَا **التَّصْرِيحُ** بِعَدَمِ التَّكْفِيرِ..

❖ المُلاَحَظَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:

○ **ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ** (ص ١٨١):

«بَيْدَ أَنَّ هُنَاكَ مَا هُوَ أَصْرَحُ مِنْ هذَا الحَدِيثِ؛ فِي حَجْبِ الكُفْرِ المُخَلَّدِ فِي النَّارِ عَنْ **تَارِكِ الصَّلاَةِ**؛ يَسْتَوْجِبُ عَلَى اللهِ - إِذْ أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِه - أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، إِنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيُخْرِجَهُ مِنَ النَّارِ، وَلاَ يُخَلِّدَهُ فِيهَا[(١)]، وَذلِكُمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ»، **وَهذَا مَرَدُّهُ إِلَى اللهِ -وَحْدَهُ- يَوْمَ القِيَامَةِ، أَمَّا الحُكْمُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا: فَكَمَا مَرَّ مَعَنَا**.

وَمِثْلُهُ حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ الوَارِدُ فِي قِصَّةِ عتابِ بْنِ مَالِكٍ: «إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بِذلِكَ وَجْهَ اللهِ».

وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ المَعْرُوفِ: «يَقُولُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي؛ لأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»، **وَفِيهِ -أَيْضاً-**: «فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ».

وَتَأْوِيلُ هذَا الحَدِيثِ لاَ يَحْتَاجُ - لَوْ أَنَّهُ سِيقَ وَحْدَهُ - إِلَى أَكْثَرَ مِنْ دِلاَلَةِ أَلْفَاظِهِ بِظَاهِرِهَا المُجَرَّدِ -عَلَى ظَاهِرِ المَعْنَى المُتَبَادِرِ مِنْهُ-، وَهُوَ: أَنَّ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ -بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْ مُقْتَضَاهَا- وَمِنْ أَجَلِّهِ، وَأَرْفَعِهِ، وَأَسْنَاهُ؛ الصَّلاَةُ-: فَهُوَ نَاجٍ مِنَ النَّارِ، وَإِنْ عُذِّبَ فِيهَا إِلَى أَجَلٍ؛ كَمَا صَرَّحَ بِذلِكَ لَفْظٌ آخَرُ: «... نَفَعَتْهُ يَوْماً مِنْ دَهْرِهِ».

---

(١) وانظر ما سيأتي (ص٩٦) من إثباته التخليدَ في النار!!

□ نَقُولُ:

وَهذَا الكَلاَمُ كَسَابِقِهِ، وفضيلةُ الشَّيْخِ هُنَا يُورِدُ الأدِلَّةَ عَلَى:

١- كُفْرِهِ فِي الدُّنْيَا - ظَاهِراً -.

٢- نَجَاتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ - حَقِيقَةً -.

ويغلبُ على (ظَنِّنَا) أنَّ هذَا التَّقْسِيمَ (الحَادِثَ)، وَالفَهْمَ الَّذِي أُرِيدَ وَضْعُهُ -هُنَا- لِلْجَمْعِ بَيْنَ النُّصُوصِ؛ إِنَّمَا هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى عَكْسِ تَصَوُّرِ أَحْكَامِ المُنَافِقِينَ فِي الدُّنْيَا! فَهُمْ:

١- مُسْلِمُونَ فِي الدُّنْيَا -ظَاهِراً-.

٢- كُفَّارٌ يَوْمَ القِيَامَةِ - حَقِيقَةً -.

وَلَكِنْ؛ هَلْ يَسْتَوِي -على ذلك- هذا القِيَاسُ العَكْسِيُّ، وَالنَّظَرُ العَقْلِيُّ؟!

وَمَا هِيَ حُجَّتُهُ؟ وَمَا هُوَ دَلِيلُهُ؟

وَمَنِ القَائِلُ بِهِ؟ وَما هو المُعْتَمَدُ عَلَيْهِ؟!

بَلِ الدَّلِيلُ القَائِمُ عَكْسُهُ؛ ذَلِكم أَنَّ الحُكْمَ الدنْيَوِيَّ مُرْتَبِطٌ بِالحُكْمِ الأُخْرَوِيِّ - إِسْلاَماً -، بِعَكْسِ أَحْكَامِ المُنَافِقِ - كُفْراً -؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً صَعَدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِيناً وَشِمالاً، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذلِكَ أَهْلاً، وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»[1].

نَقُولُ: فَكَيْفَ بِالتَّكْفِيرِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ اللَّعْنِ وأَعْظَمُ وأَنْكى؟!

فَكَيْفَ نُكَفِّرُهُ فِي الدُّنْيَا، وَ (قَدْ) يَكُونُ مُسْلِماً فِي الآخِرَةِ؟!

أَلاَ يُدْخِلُنَا هذَا الصنيع، فِي دَائِرَةِ ذاكَ الوَعِيدِ الشَّدِيد المريع؟! (لِئَلاَّ يُفْتَحَ

(١) «السلسلة الصحيحة» (١٢٦٩).

بَابٌ مِنَ الشَّرِّ، يَصْعُبُ غَلْقُهُ مِنْ بَعْدُ، وَأَنْ يَكُونَ الخَطأُ فِي صِيَانَةِ الدِّمَاءِ، خَيْراً وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الخَطأُ فِي إِصَابَةِ الدِّمَاءِ).

-كَمَا قَالَ الشَّيْخُ الكاتبُ - نَفْسُهُ - (ص ١٨٨) - سَدَّدَهُ اللهُ -.

وَأَمْرٌ آخَرُ نَقُولُهُ - هُنَا -، وَهُوَ:

أَنَّ فِي كَلاَمِ الشَّيْخِ - هُنَا - وَلَعَلَّهُ لَمْ يَقْصِدْ ذلِكَ! أَوْ لَمْ يَتَنَبَّهْ لَه!- مُشَابَهَةً لِكَلاَمِ الجَهْمِيَّةِ، وَبَعْضِ غُلاَةِ المُرْجِئَةِ؛ القَائِلِينَ بِأَنَّ مَنْ أَتَى بِالكُفْرِ الظَّاهِرِ الأَكْبَرِ الجَلِيِّ - فِي الدُّنْيَا -: (يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَارِفاً بِاللهِ، مُوَحِّداً لَهُ، مُؤمِناً بِهِ)!! - كَمَا نَقَلَهُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٧/ ٥٥٧).

فَالتَّكْفِيرُ (القَطْعِيُّ) مُوَاقِعٌ لأَحكامِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَمِنْ هُنَا جَاءَ تَوْعِيرُ أَهْلِ العِلْمِ لِمَسَالِكِ التَّكْفِيرِ، وَإِيجَابُهُمْ تَحَقُّقَ شُرُوطٍ، وَانْتِفَاءَ مَوَانِعَ -لإِيقاعه-...

وَأَمْرٌ ثَالِثٌ:

أَنَّ نَجَاةَ العَبْدِ - يَوْمَ القِيَامَةِ - مُرْتَبِطَةٌ بِوُجُودِ الإِيمَانِ البَاطِنِ فِي قَلْبِهِ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ إِيمَانٌ صَادِقٌ فِي البَاطِنِ، مَعَ كُفْرٍ بَيِّنٍ فِي الظَّاهِرِ!!

هذَا - عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ - غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ وجودُهُ إِلاَّ فِي حَقِّ مُتأَوِّلٍ، أَوْ جَاهِلٍ -أَوْ نَحْوِ ذلِكَ مِمَّا هو في أَبْوابِ التَّكْفِيرِ (الظَّنِّي)-!

وَلَكِنْ؛ مَا هِيَ عَلاَقَةُ هذَا -بِأَدْنَاه- فِي حَقِّ تَارِكِي الصَّلاَةِ؟!

(تنبيه): وَقَوْلُ الشَّيْخِ فِي آخِرِ كلامِهِ عن حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «.. كَمَا صَرَّحَ بِذلِكَ لَفْظٌ آخَرُ: «نَفَعَتْهُ يَوْماً مِنَ دَهْرِهِ»! خَطَأٌ؛ إذ هذَا حَدِيثٌ آخَرُ - تَمَاماً -، وَلَيْسَ هُوَ لَفْظاً مِنْ أَلْفَاظِ أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ.

(تنبيه آخر): وكذلك مَا ذَكَرَهُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ فِي حَدِيثِ: «إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ...»، مِنْ أَنَّهُ: (حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ الوَارِدُ فِي قِصَّةِ

عَتَّابِ بْنِ مَالِكٍ)، فَفِيهِ -أيضاً- خَطَآنِ:

الأَوَّلُ: لَيْسَ هُوَ فِي أَيٍّ مِن أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ - مُطْلَقاً -!

الثَّانِي: أَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ (عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ)!

وَ (عَتَّابُ) فِي الصَّحَابَةِ ثَلاَثَةٌ، لَيْسَ مِنْهُمْ ابْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنهم -جميعاً-...

❖ المُلاَحَظَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ:

○ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٨٢) -**نَاقِضاً مَا سَبَقَ كُلَّهُ**-: «إِذاً؛ فَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: وَنَحْنُ مَعَ مَنْ يَقُولُ: **مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَأَوَّلَ**، وَظُهُورُ المَعْنَى فِي هَذَا الحَدِيثِ وَأَشْبَاهِهِ، **يُغْنِينَا عَنِ التَّأْوِيلِ**، إِذِ الظَّاهِرُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَمَاتَ عَلَيْهَا؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ عُذِّبَ زَمَاناً؛ يَطُولُ أَوْ يَقْصُرُ.

لَكِنْ؛ **هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ يَسْلَمَ هَذَا الفَهْمُ بِمِثْلِ هَذِهِ السَّذَاجَةِ لِقَائِلِهِ**، إِلاَّ أَنْ يَسْتَحْضِرَ مَعَهُ قَوْلَهُ ﷺ -وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الحَدِيثِ بِلَفْظٍ آخَرَ-: «.. **خَالِصاً بِهَا قَلْبُهُ**»، وَقَوْلَهُ -أَيْضاً-: «.. نَفَعَتْهُ يَوْماً مِنْ دَهْرِهِ»، أَيْ: إِنْ قَالَهَا -حِينَ قَالَهَا- مُخْلِصاً بِهَا قَلْبُهُ، وَمَاتَ عَلَيْهَا، فَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الخُلُودِ فِي النَّارِ، وَإِنْ كَانَ تَارِكاً لِلصَّلاَةِ، **وَهَذَا مَا تَقُولُ بِهِ طَوَائِفُ كَثِيرَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ**، وَهُوَ خِلاَفُ مَا يَقُولُ بِهِ آخَرُونَ، مِمَّنْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تَارِكَ الصَّلاَةِ كَافِرٌ، مُخَلَّدٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ - عِيَاذاً بِالله -تَعَالَى-» .

□ نَقُولُ: فَكَانَ مَاذَا؟!

وَهَلِ الإِخْلاَصُ القَلْبِيُّ - لُزُوماً - يُوافِقُ الظَّاهِرَ العَمَلِيَّ؟! أَمْ قَدْ يُفَارِقُهُ؟!

وَهَلِ الظَّاهِرُ العَمَلِيُّ -لُزُوماً- يَأْتَلِفُ مَعَ الإِخْلاَصِ القَلْبِيِّ؟! أَمْ قَدْ يُخَالِفُهُ؟!

ثُمَّ مَا هي فَائِدَةُ لَفْظَةِ نَفْيِ الأَعْمَالِ -«إلاَّ التَّوْحِيدَ»- الوَارِدَةِ فِي الأَحَادِيثِ المُتَكَاثِرَةِ المُتقدِّمِ ذِكْرُ بَعْضِها، أَوِ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا؟!

وهل الشيخُ قائلٌ بهذا الذي تقدّم -منه -عنه-؟!

ثُمَّ، إِنَّ الإِخْلاَصَ القَلْبِيَّ أَمْرٌ لاَ يَعْلَمُ بِهِ إِلاَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ -، وَبِالتَّالِي، **فَإِنَّ أَحْكَامَ الإِسْلاَمِ - فِي الدُّنْيَا - تَرْتَبِطُ بِالشَّهَادَتَيْنِ ثُبُوتاً وَانْتِفَاءً**، وَلَوْ كَانَت الصَّلاَةُ كَالشَّهَادَتَيْنِ: لَكَانَ حُكْمُهَا حُكْمَهَا **-وُجُوداً وَعَدماً-**، وَلَكِنَّا وَجَدْنَا حُكْماً بِالإِسْلاَمِ عَلَى مَنْ نَطَقَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَلَمْ يُصَلِّ، **وَلاَ يُقَالُ هذَا -أَلْبَتَّه- فِيمَنْ صَلَّى -مثلاً- وَلَمْ يَنْطِقِ الشَّهَادَتَيْنِ!!**

وَمِنْ أَبْيَنِ دَلِيلٍ عَلَى ذلِكَ حَدِيثُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عِنْدَ قَتْلِهِ الكَافِرَ الَّذِي قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ، بَعْدَ أَنْ عَلاَهُ بِالسَّيْفِ، وَكَيْفَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حكَمَ بِإِسْلاَمِهِ.

ومن شواهدِ هذا المعنى -أيضاً- حديثُ مسلمٍ عن أَنَس -رضي الله عنه-: في قصّة مُعاذٍ مع النبي ﷺ، وقولِهِ ﷺ: «ما من عبدٍ يشهدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه إلاّ حرّمه اللهُ على النارِ»، قال: يا رسولَ الله! أفلا أُخبر بها فيستبشروا!؟ قال: «إذاً يتّكلوا»، **فأخبرَ بها مُعاذٌ عند موته -تأثُّماً-.**

وَمَعْنَى الاتّكَال - فِي لُغَةِ العَرَبِ - معروفٌ...

❖ المُلاَحظةُ العِشْرُونَ:

○ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٨٣- ١٨٤):

«إِنَّ الإِخْلاَصَ -وَلاَ بُدَّ- يَقْتَضِي[١] الإِذْعَانَ، وَالَّذِي لاَ يَمْلِكُ العَبْدُ

---

(١) الأصل أنْ يُقال -هنا-: (يلزم)، لأنّ أجزاءَ الإيمانِ مركّبةٌ تقبل التبعيض، وأمّا الاقتضاءُ: فإنّه عكسُ ذلك!

بِإِخْلاَصِهِ أَنْ يَدْرَأَهُ عَنْ نَفْسِهِ.

وَالإِذْعَانُ: هُوَ الخُضُوعُ، وَالإِقْرَارُ، وَالذُّلُّ، وَالإِسْرَاعُ فِي الطَّاعَةِ، وَالانْقِيَادُ، هذِهِ كُلُّهَا مَعَانٍ لِلإِذْعَانِ، يُقَالُ: نَاقَةٌ مِذْعَانٌ، أَيْ: سَلِسَةُ الرَّأْسِ، **فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُذْعِناً بِجَوَارِحِهِ؛ فَكَأَنَّمَا يَأْبَى الانْقِيَادَ للهِ فِي طَاعَتِهِ، وَهُوَ بِذلِكَ يُدَلِّلُ عَلَى نَفْيِ الإِخْلاَصِ مِنْ قَلْبِهِ - وَلاَ بُدَّ -**، إِذاً؛ **فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ يَقُولُهَا مُخْلِصاً بِهَا قَلْبُهُ؛ لَذَلَّتْ بِهَا جَوَارِحُهُ**[1]، وَانْقَادَتْ، وَأَسْرَعَتْ للهِ فِي طَاعَتِهِ، **وَبِخَاصَّةٍ** العَمَلَ الَّذِي يُعَدُّ العَبْدُ بِتَرْكِهِ كَافِراً، وَهُوَ الصَّلاَةُ.

وَبِذَا نَعْلَمُ: أَنَّ الإِخْلاَصَ كَمَا يَكُونُ مِنْ عَمَلِ القَلْبِ يَكُونُ -أَيْضاً- مِنْ عَمَلِ الجَوَارِحِ، **فَهُوَ فِي القَلْبِ خَفِيٌّ مَعْنَوِيٌّ، وَعَلَى الجَوَارِحِ ظَاهِرٌ عَمَلِيٌّ**.

وَلاَ يَمْتَنِعُ قَوْلُنَا -هذَا- بِمِثْلِ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ إِعْمَالَ الجَوَارِحِ لَيْسَتْ هِيَ الإِخْلاَصَ؛ بَلْ هِيَ أَثَرٌ لِلإِخْلاَصِ؛ فَالنَّتِيجَةُ وَاحِدَةٌ، وَالثَّمَرَةُ غَيْرُ مُخْتَلِفَةٍ».

□ **فَنَقُولُ:**

أَوَّلاً: هَلْ مَنْ عَصَى اللهَ - وَمَاتَ عَلَى ذلِكَ - مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ وَغَيْرِهِمْ، أَوِ التَّارِكِينَ لِشَيْءٍ مِنْ مَبَانِي الإِسْلاَمِ وأركانه - غَيْرِ الصَّلاَةِ - هُنَا! - يُوصَفُونَ بِأَنَّهُمْ (مُذْعِنُونَ)؟!

وَهَلْ يُقَالُ فِيهِمْ: إِنَّ إِخْلاَصَهُمْ مَنْفِيٌّ مِنَ القَلْبِ (وَلاَ بُدَّ)؟!

فَمَا هُوَ حُكْمُهُمْ - إِذاً -؟!

ثَانِياً: مَا قِيلَ فِي الصَّلاَةِ - لِوُرُودِ لَفْظِ التَّكْفِيرِ فِي تَرْكِهَا - يُقَالُ - سَوَاءً -

---

(١) وسيأتي قول الشيخ -بعدُ-: (فإذا علم اللهُ أنّ قائلاً: لا إله إلاّ الله؛ مخلصٌ بها؛ فهو الذي يؤولُ -بعلم الله- إلى يوم القيامة، نائلاً من رحمته -بإخلاصه- النجاة من الخلود في النار)! مّما ينقض ما هنا!! فَتَنَبَّهْ!

وانظر -أيضاً- ما سيأتي (ص١١٣)!

فِي غَيْرِهَا مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي وَرَدَ لَفظُ التَّكْفِيرِ فِيهَا، فَهَلْ أُولَئِكَ - مِثْلُ هَؤلاَءِ - كَافِرُونَ؟!

ثَالثاً: مَنْ مِنَ السَّلَفِ قَسَّمَ (الإِخْلاَص) -الْمُضَافَ فِي الحَدِيثِ إِلَى القَلْبِ- إِلَى:

١- إِخْلاَص قَلْبٍ. ٢- إِخْلاَص جَوَارِحَ.

وَكَيْفَ يُنْقَضُ هذَا الإِخْلاَصُ؟!

وَبِمَاذَا يُنْقَضُ؟!

وَهَلْ نَقْضُهُ - إِنْ كَانَ - نَقْضُ فَسَادٍ أَمْ نَقْضُ تَمَامٍ؟!

وَمَا هِيَ أَوْجُهُ التَّرَابُطِ بَيْنَ الإِخْلاَصَيْنِ؟!

ثُمَّ؛ إِنَّ كَلاَمَ شَيْخِ الإِسْلاَمِ -رَحِمَهُ اللهُ - تَعَالَى- عَنْ أَصْلِ الإِذْعَانِ وَالانْقِيَادِ- مُرْتَبِطٌ بِالقَلْبِ، وَقَدْ نَصَّ -رَحِمَهُ اللهُ- عَلَى صِحَّتِه -فِي مَوَاضِعَ مِن كتبِهِ- (وَإِنْ لَمْ يفعلِ المأمورَ به)[1]؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى نَقْصِهِ وَخَدْشِهِ وَانْخِرَامِهِ -حتّى لا يبقى منه إلاّ ذرّة-؛ لَكِنْ دُونَ نَقْضِهِ وبُطْلاَنِهِ وَفَسَادِهِ بالمرّة.

وعليه؛ (فقد) نحملُ كلامَ فضيلة الشيخ في (إخلاص الجوارح) على الإذعان والانقياد؛ حتى يَسُوغَ فهمُهُ -على وجه الصواب- في ضوء كلام شيخ الإسلام...

❖ **المُلاَحَظَةُ الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ:**

○ ثُمَّ تَكَلَّمَ الشَّيْخُ (ص ١٨٤- ١٨٥) عَنِ الإِخْلاَصِ - بِنَوْعَيْهِ -، وَأَنَّهُ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا البَشَرُ -فَإِنَّهُمْ - حَتَّى وَإِنْ رَأَوْا الإِخْلاَصَ العَمَلِيَّ بِظَاهِرِ مَا تَجْرِي بِهِ الجَوَارِحُ-؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ صِدْقَهُ، وَإِلاَّ لَكَانَ الْمُنَافِقُونَ هُمْ مِنَ الْمُخْلِصِينَ الذِّينَ

(١) انظر -مثلاً- «الصارم المسلول» (٣/ ٩٦٧) -له-.

لِربِّ العَالَمِينَ، وَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾!

فَإِذَا عَلِمَ اللهُ - وَلاَ أَحَدَ يَعْلَمُ الَّذِي يَعْلَمُهُ اللهُ - أَنَّ قَائلاً: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، مُخْلِصٌ بِهَا؛ فَهُوَ الَّذِي يَؤُولُ بِعِلْمِ اللهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ؛ نَائِلاً مِنْ رَحْمَتِهِ - بِإِخْلاَصِهِ - النَّجَاةَ مِنَ الخُلُودِ فِي النَّارِ[1]، وَلَيْسَ يَعْلَمُ ذلِكَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ».

فَنَقُولُ: هذَا تَوْسِيعٌ لِلْقَضِيَّةِ - جِدّاً -؛ فَهَلِ المُرَادُ -هنا- أَنَّهُ: لاَ يُحْكَمُ -أَيْضاً- بِإِسْلاَمِ القَائِمِ بِأَعْمَالِ الجَوَارِحِ؟!

أَمْ أَنَّ المُرَادَ: لاَ يُحْكَمُ بِإِخْلاَصِهِمْ فِي عَمَلِهِمْ - هذَا -؟!

إِنْ كَانَ الأَوَّلُ: فَبَاطِلٌ.

وَإِنْ كَانَ الثَّانِي: فَصَحِيحٌ، **وَلَكِنْ هذَا لاَ يُكَدِّرُ عَلَى الحُكْمِ بِالإِسْلاَمِ، وَجَرَيَانِ أَحْكَامِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ عَلَيْهِ.**

وَلاَ فَرْقَ فِي الحُكْمِ بِالإِسْلاَمِ الظَّاهِرِ بَيْنَ القَائِلِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَبَيْنَ العَامِلِ بِأَرْكَانِ الإِسْلاَمِ الأُخْرَى -مِنْ حَيْثُ الأَصْلُ -كُلِّهَا- وَعَلَى تَفَاوتِ الدَّرَجَةِ وَالمَنْزِلَةِ بينها-:

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ١٥٨) مُفَسِّراً آيَةَ: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا..﴾، قَالَ:

«وَالأَعْرَابُ إِنَّمَا أَتَوْا بِإِسْلاَمٍ **ظَاهِرٍ نَطَقُوا فِيهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، سَوَاءٌ كَانُوا صَادِقِينَ أَمْ كَاذِبِينَ، فَأَثْبَتَ اللهُ لَهُمُ الإِسْلاَمَ دُونَ الإِيمَانَ..**».

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - (٧/ ٦١٦):

«**إِنَّ جِنْسَ الأَعْمَالِ مِنْ لَوَازِمِ إِيمَانِ القَلْبِ..**».

---

(١) وتقدّم قولُ الشيخ -قَبْلُ-: (إذاً، فإنّه لو كان يقولها مخلصاً بها قلبُهُ، لَذَلَّت بها جوارحُهُ)! ممّا ينقض ما هنا!! فَتَنَبَّه!

وقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - (٧/ ٣٣٩):

«وَالإِسْلَامُ الظَّاهِرُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ».

وقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - (٧/ ٣٥١):

«وقَدِ اتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ اسْمَ المُسْلِمِينَ فِي الظَّاهِرِ يَجْرِي عَلَى المُنَافِقِينَ لأَنَّهُمْ اسْتَسْلَمُوا ظَاهِراً..»

وقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - (٧/ ٥٥٣):

«وبِهذَا تَعْرِفُ أَنَّ مَنْ آمَنَ قَلْبُهُ إِيمَاناً جَازِماً امْتَنَعَ أَنْ لاَ يَتَكَلَّمَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، مَعَ القُدْرَةِ، فَعَدَمُ الشَّهَادَتَيْنِ مَعَ القُدْرَةِ مُسْتَلْزِمٌ انْتِفَاءَ الإِيمَانِ القَلْبِيِّ التَّامِّ..».

ولَعَلَّهُ - مِنْ أَجْلِ هذَا كُلِّهِ - قَالَ -أيضاً- (٧/ ٦١٧):

«إِنَّ كَثِيراً مِنَ الفُقَهَاءِ يَظُنُّ أَنَّ مَنْ قِيلَ: هُوَ كَافِرٌ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ المُرْتَدِّ رِدَّةً ظَاهِرَةً، فَلاَ يَرِثُ وَلاَ يُورَثُ، وَلاَ يُنَاكَحُ! حَتَّى أَجْرَوْا هذِهِ الأَحْكَامَ عَلَى مَنْ كَفَّرُوهُ بِالتَّأْوِيلِ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ! وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذلِكَ[1]...».

فِي كَلاَمٍ رَائِعٍ رَائِقٍ.. فَلْيُنْظَرْ.

فهذه نصوصٌ عاليةٌ غاليةٌ عن شيخ الإسلام -رحمه الله-، تبيِّنُ -في المسألة- وجهَ الصواب بلا ارتياب...

❖ **المُلاحَظَةُ الثَّانِيةُ وَالعِشْرُونَ:**

○ ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص١٨٥):

«وَأَعْظَمُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى إِخْلاَصِ الجَوَارِحِ مِنْ أَعْمَالِهَا، الصَّلاَةُ، فَمَنْ

(١) قارن بما سيأتي من كلام فضيلة الشيخ (ص٦٤)، مع بيان ما فيه..

أَتَى بِالصَّلاَةِ؛ فَهُوَ بِظَاهِرِ مَا أَدَّاهَا بِهِ مُخْلِصٌ، لاَ يُؤَثِّرُ عَلَى إِخْلاَصِهِ الظَّاهِرِ مَا انْتَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ مِنْ غَيْرِ الصَّلاَةِ؛ إِلاَّ مِنْ أَجْرٍ يَزِيدُ أَوْ يَنْقُصُ، بِنَقْصِهِ مِنْ عَمَلٍ أَوْ بِزِيَادَتِهِ».

□ فَنَقُولُ:

مَا هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى هذَا التَّخْصِيصِ: «.. **غَيْرُ الصَّلاَةِ**»؟! وَبِخَاصَّةٍ أَنَّهُ يُوجَدُ نُصُوصٌ تَسْتَوِي - سِيَاقاً وَسِبَاقاً - مَعَ النُّصُوصِ الوَارِدَةِ فِي تَرْكِ الصَّلاَةِ، مَعَ ذِكْرِ «الكُفْرِ» وَ «التَّكْفِيرِ» فِيهَا؟!

وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ الشَّيْخَ نَفْسَهُ - سَدَّدَهُ اللهُ - قَدْ قَالَ - سَابِقاً - (ص ١٧٦) -فِي بعضِها-:

«إِذِ اللَّفْظُ فِي كِلَيْهِمَا - بِسِيَاقِهِ وَسِبَاقِهِ - دَالٌّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ»!

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ جَوَابٍ مِنَ الشَّيْخِ -بَعْدُ- إِلاَّ فِي مَسْأَلَةِ (الحَلِفِ)، **وَحَمَلَهَا** -سَدَّدَهُ اللهُ- **عَلَى التَّعْظِيمِ -تَكْفِيراً-!**

فَأَيْنَ بُرهانُ هذَا الحَمْلِ؟ وَمَا هُوَ دَلِيلُهُ؟ وَمَا هِيَ أَوْجُهُ الاسْتِثْنَاءِ فِيهِ؟

ثُمَّ؛ النُّصُوصُ الأُخْرَى -الَّتِي لاَ مَحْمَلَ (لِلتَّعْظِيمِ) فِيهَا- عَلَى مَاذَا تُحْمَلُ؟!

أَمْ: **هَلْ لِكُلِّ نَصٍّ بَحْثُهُ وَنَظَرُهُ؟!**

وَمَا الفَرْقُ -حِينَئِذٍ- بَيْنَهَا وبين الصَّلاَةِ؟!

وَمَا دَلِيلُ التَّفْرِيقِ؟!

بَلْ: مَا هِيَ القَاعِدَةُ الثَّابِتَةُ فِي هذَا كُلِّهِ؟!

لَيْسَ لنا مِنْ بُدٍّ -نرْجِعُ بِهِ إِلَى أَصْلٍ ثابتٍ رَاسِخٍ يكُونُ الحُكْمُ فِيهِ مُتَّفِقاً غَيْرَ مُفْتَرِقٍ، وَمُؤْتَلِفاً غَيْرَ مُخْتَلِفٍ-؛ أَلا وَهُوَ اعْتِبَارُ هذِهِ النُّصُوصِ دَاخِلَةً فِي (كُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ)؛ إِلاَّ ما كَانَ مِنَ اسْتِحْلاَلٍ، أَوْ جُحُودٍ، أَوْ تَكْذِيبٍ، أَوْ شَكٍّ... **إِلَى** غَيْرِ ذلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الكُفْرِ -وَأَقْسَامِهِ- **الَّتِي بيَّنها أَهْلُ العِلْمِ -قَدِيماً وَحَدِيثاً-**

بضَوابِطها الشرعيّة المعروفة.

❖ المُلاحَظَةُ الثَّالِثَةُ والعشْرُونَ:

○ ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ الكاتبُ (ص ١٨٦):

«وَمَا يأتِيهِ العَبْدُ مِنْ عَمَلٍ غَيْرِ الصَّلاَةِ، فَلَيْسَ بِنَافِعِهِ فِي رَدِّ إِيمَانِه عَلَيْهِ شَيْئاً؛ لأَنَّهُ بِتَرْكِهِ الصَّلاَةَ قَدْ نَزَعَ نَفْسَهُ وَأَعْتَقَهَا مِنَ الإِيمَانِ، بِصَرِيحِ قَوْلِهِ -عَلَيْهِ السَّلامُ-: «مَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، وَمَا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الصَّلاَةِ مِنْ عَمَلٍ؛ فَهُوَ تَبَعٌ لِلصَّلاَةِ؛ إِثْبَاتاً وَنَفْياً، قَبُولاً وَرَدّاً، وَلاَ عَمَلَ مِنْ بَعْدِ الصَّلاَةِ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ إِنْ كَانَ صَالِحاً وَقَدْ رُدَّتْ صَلاَتُهُ، وَاسْتَأْهَلَ بِرَدِّهَا النَّارَ؛ يَدُلُّ لِذلكَ قَوْلُهُ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلاَةُ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ».

□ فَالجَوَابُ من وجهين:

الأول: أَنَّ قَاعِدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هذَا البَابِ مُضْطَرِدَةٌ وَاضِحَةٌ بَيِّنَةٌ، وَهِيَ مَا يُسَمِّيهِ أَهْلُ السُّنَّةِ -عَلَى وَفْقِ اصْطِلاَحِ شَيْخِ الإِسْلاَمِ-: (الوَعْدُ وَالوَعِيدُ)[1]؛ وَخُلاَصَتُهَا:

أَنَّ الوَعْدَ مِنَ اللهِ مُنْفَذٌ، وَأَمَّا الوَعِيدُ: فَهُوَ عِنْدَهُ - سُبْحَانَهُ - بِالخِيَارِ؛ إِنْ شَاءَ أَنْفَذَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا.

وَهذَا - بِطَبِيعَةِ الحَالِ - فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ -ومات بلا توبة-، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِمْ فِيهِ نَصِيبٌ.

---

(١) ينظر تفصيل هذه القاعدة -بتطويل- في: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٠٤)، و (٨/ ٨١، ٢٧٠، ٣٤٤، ٤٤٥و ٤٥٢و ٥١٠) و (١٠/ ٣٥٥) و (١١/ ٦٤٩ و٦٥٣) و (١٢/ ٤٦٢ و ٤٨٤)، و (١٣/ ٢٩٥) وغيرها...

وأمَّا الحديثُ المُسْتَدَلُّ بِهِ - هُنَا - فَهُوَ لاَ يَصْلُحُ دَلِيلاً (يُقْطَعُ بِهِ) فِي هذهِ المَسْأَلَةِ؛ وَذلِكَ لأنَّ فَسَادَ العَمَلِ إشَارَةٌ إِلَى رَدِّهِ - كَمَا فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ -، وَحُبُوطِهِ، وَعَدَمِ قَبُولِه[1]، وَهذَا أَمْرٌ إِنْ وُجِدَ بِالشِّرْكِ وَالكُفْرِ -كَمَا فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ...﴾، وَ قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ..﴾؛ فَإِنَّهُ -أي: الحبوطَ وردَّ العَمَلِ- يُوجَدُ بِغَيْرِهِمَا -كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾...

وَلاَ نَعْلَمُ أَحَداً مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ - سَلَفاً وَخَلَفاً - ذَهَبَ إِلَى تَكْفِيرِ الرَّافِعِ صَوْتَهُ عَلَى صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوِ الجَاهِرِ لَهُ بِالقَوْلِ!!

وَحَدِيثُ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ[2] -رضي الله عنه- فِي جَهْرِ الأَعْرَابِيِّ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ **دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى عَدَمِ تَكْفِيرِ فَاعِلِ ذلِكَ، اسْتِلْزَاماً مِنْ آيَةِ حُبُوطِ العَمَلِ.**

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ يَكُونُ هذَا جَاهِلاً، فَيُعْذَرُ بِجَهْلِهِ؟!

فَالجَوَابُ: أَنَّ نَصَّ الآيَةِ لَمْ يَسْتَثْنِ مَنْ هذَا حَالُهُ؛ بَلْ نَصَّتْ - صَرَاحَةً - على عَكْسِهِ: ﴿... **وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾.

لِذلِكَ؛ قَالَ الإِمَامُ البَغَوِيُّ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ» (٧/ ٣٣٥): «**لِئَلاَّ تَحْبَطَ حَسَنَاتُكُمْ**».

وَمِثْلُهُ فِي «الوَسِيطِ» (٤/ ١٥١) - لِلْوَاحِدِي -.

فَحُبُوطُ الحَسَنَاتِ لاَ يَلْزَمُ مِنْهُ رَدُّ العَمَلِ، فَضْلاً عَنِ التَّكْفِيرِ بِهِ!

---

(١) وَنَفْيُ القَبُولِ - أَصْلاً - لاَ يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ الصِّحَّةِ - كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ -.
(٢) «صَحِيحُ سُنَنِ التِّرْمِذِي» (٢٨٠١) - لِشَيْخِنَا الأَلْبَانِيِّ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ -.

وَقَالَ الآلوسِي فِي «رُوح المَعَانِي» (٢٦/ ١٣٥-١٣٦) :

«وَظَاهِرُ الآيَةِ مُشْعِرٌ بَأَنَّ الذُّنُوبَ - مُطْلَقاً - قَدْ تُحْبِطُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَمَذْهَبُ **أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ المُحْبِطَ مِنْهَا الكُفْرُ لاَ غَيْر**، وَالأَوَّلُ مَذْهَبُ المُعْتَزِلَةِ. . .».

فَيُقَالُ - حِينَئِذٍ - جَوَاباً عَلَى الاسْتِدْلاَلِ بِهذَا الحَدِيثِ:

هَلِ الفَسَادُ المَذْكُورُ فِي النَّصِّ فَسَادُ صِحَّةٍ، أَوْ فَسَادُ نَقْصٍ؟!

وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ كَلِمَةَ «فَسَد» - أَوْ «فَسَاد» - تُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ البُطْلاَنِ التَّامِّ - أي: بِمَعْنَى النَّقْصِ -، كَاللَّفْظِ الوَارِدِ فِي قَوْلِه ﷺ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلاَ خَيْرَ فِيكُمْ»[١]؛ **فَهَلْ يَلْزَمُ مِنْ ذلِكَ بُطلانُ أعمالهم، وكُفْرُهُمْ؟! أَمْ أَنَّ الفَسَادَ - هُنَا - فَسَادُ نَقْصٍ؟!**

وَرَحِمَ اللهُ شَيْخَ الإِسْلاَمِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ -القَائِلَ فِي «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ» (٥/ ٢٩٨)-:

«فَكَذلِكَ لاَ يُزِيلُ الإِيمَانَ كُلَّهُ إِلاَّ الكُفْرُ المَحْضُ، الَّذِي لاَ يَبْقَى مَعَ صَاحِبِهِ شَيءٌ مِنَ الإِيمَانِ.

قَالُوا: وَهذَا هُوَ الَّذِي يُحْبِطُ جَمِيعَ الأَعْمَالِ، وَأَمَّا مَا دُونَ ذلِكَ: فَقَدْ يُحْبِطُ بَعْضَ العَمَلِ، كَمَا فِي آيَةِ ﴿. . . بالمَنِّ وَالأَذَى﴾؛ فَإِنَّ ذلِكَ يُبْطِلُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ، لاَ يُبْطِلُ سَائِرَ أَعْمَالِهِ»[٢].

وهذا نصٌّ في المسألةِ لا يحتملُ تأويلاً، أو ردّاً. . .

أمّا الوجه الثاني، فيُقال فيه: كيف تكونُ الأعمالُ تابعةً للصلاة وهي جزءٌ لا ينفكُّ منها؟!

والأصل أن تكون الأعمالُ -جميعُها- تابعةً لعمل القلب بحسَبِهِ -كثرةً

---

(١) «صَحِيحُ الجَامِعِ» (٧٠٢) لِشَيْخِنَا - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ -.

(٢) وَانْظُرْ: «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٤٩٤) و (١٠/ ٦٣٩).

وقلّةً إلى مثقال ذرّة[1]!-، وهذا لا ينافي -بوجه من الوجوه- كونَ العمل من الإيمان. . .

وعليه؛ فإنّ تاركَ الصلاةِ -المُجرَّد- لا يخرجُ عن عموم قولِه -تعالى-: ﴿إنّ الله لا يَظْلِمُ مثقالَ ذرّةٍ﴾[2]، وقوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾؛ وذلك بخلافِ ما يُقرِّرُه الشيخُ -هنا-!

❖ **المُلاحَظَةُ الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُون:**

○ **ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص١٨٦- ١٨٧):**

«وَلَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقْضَى بِهِ عَلَى صَاحِبِهِ كُفْراً بِتَرْكِهِ غَيْرُ الصَّلاَةِ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ حَلاَلاً فَحَرَّمَهُ، أَوْ حَرَاماً فَأَحَلَّهُ، أَوْ فَرْضاً فَجَحَدَهُ، وَهُوَ بِذَلِكَ كَافِرٌ، وَلَوْ كَانَ يُصَلِّي؛ لأَنَّهُ بِتَحْلِيلِهِ مَا حَرَّمَ اللهُ، أَوْ بِتَحْرِيمِهِ مَا أَحَلَّ اللهُ، أَوْ بِجَحْدِهِ مَا فَرَضَ اللهُ، جَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ مُشَرِّعاً نَائِباً عَنِ اللهِ فِي شَرْعِهِ[3]؛ ﴿قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾، ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾،

---

(١) انظر: «الصارم المسلول» (٣/ ٩٦٦)، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ١٢٢) -كلاهما لشيخ الإسلام-.

(٢) وقد استدلّ بهذه الآية الكريمةِ على هذا المعنى: الصحابيُّ الجليل أبو سعيد الخُدْريّ -رضي الله عنه-؛ فانظر: رسالة «حكم تارك الصلاة» (ص٢٨) لشيخنا الألباني -رحمه الله-.

(٣) قد نصّ الإمامُ الشاطبيُّ في «الاعتصام» (٢/ ٩٩ - رشيد رضا) على أنّ المبتدع مُشرِّعٌ!!

فهل يُقضى بكفره -على ما يقولُه الشيخ-؟!

أم يُقال: (كفر دون كفر) - على قولنا -؟!

ولشيخ الإسلام -رحمه الله- قاعدةٌ في: (أن جميع البدع ترجعُ إلى شعبة من شعب الكفر)؛ كما في «العقود الدريّة» (ص٤٤).

ويُنظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٧٠-٨٢) -له-.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

أَمَّا إِنْ كَانَ تَرْكُهُ العَمَلَ المَأْمُورَ بِهِ، أَوْ فِعْلُهُ المَنْهِيَّ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ تَحْلِيلٍ وَلاَ تَحْرِيمٍ؛ **فَهُوَ مَعْصِيَةٌ لاَ يُوصَفُ بِهَا بِالكُفْرِ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ -؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ عَلَيْهَا**، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَسَّتْهُ عُقُوبَةٌ بِحَدٍّ أَوْ قِصَاصٍ فِي الدُّنْيَا، أَوْ أَسْرَعَ بِتَوْبَةٍ إِلَى اللهِ، فَقَدْ رَفَعَ اللهُ عَنْهُ عُقُوبَةَ الآخِرَةِ، **أَمَّا الَّذِي جَاءَ الخَبَرُ بِتَكْفِيرِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَأَسَّسَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ عَنْ تَكْفِيرِهِ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ**».

□ **فَنَقُولُ:**

مَا دَلِيلُ اسْتِثْنَاءِ الصَّلاَةِ، دونَ غَيْرِهَا مِنَ الأَعْمَالِ؟!

إِذَا قِيلَ: تَرْتِيبُ حكمِ الكُفْرِ الوَارِدِ فِي الوَعِيدِ عَلَى تَرْكِهَا؟!

فَنَقُولُ -كما قُلنا من قَبْلُ-: كَذلِكَ وَرَدَ فِي غَيْرِهَا -سَوَاءً بِسَوَاءٍ- مِثْلَهَا-؟!

وَآخِرُ كَلاَمِ الشَّيْخِ - نَفْسِهِ - سَدَّدَهُ اللهُ - يَصُبُّ فِي هذَا البَابِ، وَيَلْتَقِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «أَمَّا الَّذِي جَاءَ الخَبَرُ بِتَكْفِيرِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَأَسَّسَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِ: فَلَيْسَ عَنْ تَكْفِيرِهِ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ»!

فَالخَبَرُ بِتَكْفِيرِ غَيْرِهِ وَارِدٌ فِي مِثْلِهِ!

فَهَلْ حُكْمُ الجَمِيعِ وَاحِدٌ؟!

وَلِمَاذَا التَّفْرِيقُ؟!

وَأَمَّا دَعْوَى الإِجْمَاعِ: فَبَاطِلَةٌ مَرْدُودَةٌ..

بَلْ نَصَّ أَهْلُ العِلْمِ عَلَى خِلاَفِهَا -رَأْساً على عَقِبٍ!-:

١- **ابْنُ المُنْذِرِ**؛ حَيْثُ نَفَى صَرَاحَةً وُرُودَ الإِجْمَاعِ **(العِلْمِيِّ)** عَلَى التَّكْفِيرِ.

٢- **ابْنُ قُدَامَةَ، وابنُ تيميَّة**؛ حَيْثُ أَثْبَتَا -صَرَاحَةً- وُرُودَ الإِجْمَاعِ

(العَمَلِيِّ) عَلَى عَدَمِ التَّكْفِيرِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ النَّقْلاَنِ؛ فَلاَ نُعِيدُ.

أَمَّا قَوْلُ الشَّيْخِ - فِي وَسَطِ كَلاَمِهِ -: (.. فَهُوَ مَعْصِيَةٌ لاَ يُوصَفُ بِهَا بِالكُفْرِ..)!

فَنَقُولُ: فَإِنْ وُصِفَتْ بَعْضُ المَعَاصِي بِالكُفْرِ، فَمَا الحُكْمُ؟!

وَكَيْفَ نُفَرِّقُ بَيْنَ مَسْأَلَةٍ وَأُخْرَى: الأُولَى تُكَفِّرُ، وَالثَّانِيَةُ لاَ تُكَفِّرُ؟!

فَإِنْ قِيلَ: لَمْ يَرِدْ عَنِ الصَّحَابَةِ التَّفْصِيلُ فِي تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ!

فَنَقُولُ: وَكَذَا لَمْ يَرِدْ عَنْهُمْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - التَّفْصِيلُ فِي مَسَائِلَ أُخْرَى كَذَلِكَ - هِيَ مَعَاصٍ - وَرَدَ وَصْفُ فَاعِلِيهَا بِالكُفْرِ، أَوْ نَحْوِهِ -سواءً بسواءٍ-!!

مَعَ أَنَّ المُقْتَضِيَ لِوُرُودِ التَّفْصِيلِ عَنْهُمْ فِي غَيْرِ الصَّلاَةِ أَوْلَى مِنْهُ فِي الصَّلاَةِ؛ لِكَوْنِهِ لاَ يُعْرَفُ فِيهِمْ - قَطُّ - تَرْكُ الصَّلاَةِ، بَيْنَمَا وُجِدَ فِيهِمْ غَيْرُهَا مِمَّا هُوَ مَعَاصٍ دُونَهَا...

فَالجَوَابُ هُوَ الجَوَابُ..

فَتَأَمَّلْ.

❖ المُلاَحَظَةُ الخَامِسَةُ وَالعِشْرُونَ:

○ ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٨٧):

«وَإِنْ حَكَمْنَا لَهُ بِالإِسْلاَمِ -وَهُوَ عَلَى نَحْوِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ مِنْ تَرْكِهِ الصَّلاَةَ-، فَقَدْ أَبَنَّا عَنْهُ مَا حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ: أَنَّهُ كَافِرٌ، لِنَحْكُمَ عَلَيْهِ -مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا- حُكْماً غَيْرَ مَا حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ؛ ذَلِكُمْ أَنَّنَا لاَ نَعْلَمُ مِنْهُ الإِخْلاَصَ فِي نُطْقِهِ

الشَّهَادَةَ مِنْ عَدَمِه، وَأَدَاءُ الصَّلاَةِ مِنْ مُقْتَضَاهَا[1].

وَبِمَا أَنَّ إِخْلاَصَهُ لاَ يَقُومُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ - عِنْدَنَا -، إِلاَّ مَا يَكُونُ مِنْ ظَاهِرِ أَشْرَفِ عَمَلٍ وَأَرْجَاهُ بِالنَّجَاةِ عِنْدَ اللهِ - وَهُوَ الصَّلاَةُ- وَلَيْسَ مَوْجُوداً، وَلاَ مَعْلُوماً بِأَمَارَةٍ - فَالحُكْمُ عَلَيْهِ هُوَ الحُكْمُ الَّذِي حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ الكُفْرُ، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ لاَ يُسْعِفُهُ الدَّلِيلُ؛ بَلْ يُعْوِزُهُ أَضْعَفُ الضَّعِيفِ مِنَ الدَّلِيلِ!! فَلِمَاذَا الغَوْصُ، وَالخَوْصُ، وَاللَّوْصُ، فِي أَمْرٍ وَعَلَيْهِ وَمِنْهُ، وَقَدْ فُرِغَ مِنْهُ، وَصَارَ إِلَى قَرَارٍ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُنَأَى عَنْهُ بِتَأْوِيلٍ مُحْتَمَلٍ، لَيْسَ يَنْهَضُ عَلَيْهِ شِبْهُ دَلِيلٍ؟!

□ فَنَقُولُ هُنَا مَا قُلْنَا -قَبْلُ- مع التغاضي عن (شدّة) الكلام-:

لَيْسَ مَعَ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ تِلْكُمُ النُّصُوصِ المُتَمَاثِلاَتِ أَيُّ دَلِيلٍ صَرِيحٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ لاَ لَبْسَ فِيهِ، يُحْكَمُ بِهِ عَلَى مُسْلِمٍ بِالخُرُوجِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالرِّدَّةِ عَنِ الإِسْلاَمِ.

وَالاكْتِفَاءُ بِالنُّصُوصِ (المُجمَلَةِ) المُحْتَمَلَةِ فِي هذهِ المَضَائِقِ الدَّقَائِقِ: لاَ يَصْلُحُ، وَلاَ يُجْدِي.

فَالمَسْأَلَةُ كُفْرٌ وَإِسْلاَم، شِرْكٌ وَإِيمَان..

وَالمُفَرِّقُونَ بَيْنَ النُّصُوصِ الوَارِدَةِ فِي التَّكْفِيرِ لِتَارِكِ الصَّلاَةِ، وَالنُّصُوصِ الأُخْرَى فِي التَّكْفِيرِ لِلْمُوَاقِعِ بَعْضَ الكَبَائِرِ؛ إِنَّمَا يُفَرِّقُونَ بِلاَ دَلِيلٍ؛ فَلاَ نُطِيل...

وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلاَمُ عَنِ الإِخْلاَصِ، وَحَدِّهِ، وَحَقِيقَتِهِ؛ فَلاَ نُعِيدُ...

❖ المُلاَحَظَةُ السَّادِسَةُ وَالعِشْرُونَ:

○ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص١٨٨):

«فَلَيْسَ يَحْسُنُ الحُكْمُ عَلَيْهِ [أَيْ: تَارِكِ الصَّلاَةِ] بِظَاهِرِ قَوْلِهِ ﷺ: «..فَأَمْرُهُ

---

(١) وانظر ما سيأتي (ص١١٠).

إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» ؛ فَهذَا الَّذِي يَكُونُ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ -سُبْحَانَهُ-؛ إِمَّا بِالنَّجَاةِ، وَإِمَّا بِالعَذَابِ، **وَهُوَ أَمْرٌ مَجْهُولٌ لَنَا، وَلاَ نُحِيطُ مِنْ عِلْمِهِ بِشَيْءٍ البَتَّةَ**، وَلَوْ أَنَّنَا حَكَمْنَا عَلَيْهِ بِغَيْرِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْهُ، لَكَانَ حُكْماً مُضْطَرِباً، غَيْرَ سَائِغٍ بَدَلِيلٍ مِنَ الشَّرْعِ، وَلاَ بِرَأْيٍ يَهْتَدِي بِهِ العَقْلُ، فَقَدْ بَيَّنَّا -آنِفاً- أَنَّ الإِخْلاَصَ نَوْعَانِ: ظَاهِرٌ بِالعَمَلِ[1]، وَخَفِيٌّ بِالاعْتِقَادِ، وَلَيْسَ يَصْلُحُ الإِخْلاَصُ وَلاَ يَسْلَمُ مِنْ قَلْبٍ، إِلاَّ بِهِمَا مَعاً، وَقَصْرُهُ عَلَى القَلْبِ عَدْوٌ بِظُلْمٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ بِالجَوَارِحِ وَلاَ بُدَّ».

□ **فَالجَوَابُ أَنْ يُقَالَ:**

إِنَّ مَا كَانَ مَجْهُولاً لَنَا مِمَّا هُوَ مُتَرَدِّدٌ **بَيْنَ حُكْمَيْنِ** لاَ يَجُوزُ القَطْعُ بِأَحَدِهِمَا - فِيهِ - ألْبَتَّةَ -:

وَمِنْ هذَا البَابِ - نَفْسِهِ - قَوْلُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ العُثَيْمِين -وفقه المولى- وَهُوَ مِمَّنْ يُفْتِي بِكُفْرِ التَّارِكِ الصَّلاَةَ -كُلِّيّاً- **-فِي مَسْأَلَةِ تَارِكِ الزَّكَاةِ**؛ حَيْثُ أَوْرَدَ - حَفِظَهُ اللهُ - قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ- الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ -فِي عُقُوبَةِ تَارِكِ الزَّكَاةِ-: «.. **ثُمَّ يُرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»، ثُمَّ قَالَ - نَفَعَ اللهُ بِهِ -:

«وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لاَ يَكْفُرُ، إِذْ لَوْ كَانَ كَافِراً مَا كَانَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى الجَنَّةِ..».

فَنَقُولُ: وَالأَمْرُ هُنَا كَذلِكَ - سَوَاءً بِسَوَاءٍ -؛ **إِذْ لَوْ كَانَ تَارِكُ الصَّلاَةِ كَافِراً مَا كَانَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى عَفْوِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالَى -**.

وَهذَا وَاضِحٌ جِدّاً - بِحَمْدِ اللهِ -.

وَفِي «طَبَقَاتِ الحَنَابِلَةِ» (١/ ٣٤٣) - عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ -مِمَّا يَلْتَقِي مَا هُنَا- قَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللهُ -:

---

(١) انظر «أضواء البيان» (٢/ ٤٩٢-٤٩٣) للعلامة الشنقيطي.

«. . . ولاَ يُخرِجُ الرَّجُلَ مِنَ الإِسْلاَمِ شَيءٌ إلاَّ الشِّرْكُ بِاللهِ العَظِيمِ، أوْ يَرُدُّ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - جَاحِداً بِهَا؛ **فَإِنْ تَركَهَا كَسَلاً أَوْ تَهَاوُناً: كَانَ فِي مَشِيئَةِ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**. . .».

وَهُوَ يَزِيدُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَرَجَّحْنَاهُ بياناً ووضوحاً.

وَالحَمْدُ للهِ. . .

وَأَمَّا قَوْلُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ: «وَلَوْ أَنَّنَا حكَمْنَا عَلَيْهِ بِغَيْرِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْهُ: لَكَانَ حُكْماً مُضْطَرِباً. .»!

فَنَقُولُ: نَعَمْ؛ **وَلَكِنْ مَا هُوَ (الظَّاهِرُ) الَّتِي تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الإِسْلاَمِ -كلُّها-؟!**

أَهُوَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ؟! أَمْ غَيْرُهَا؟!

أَمْ هُمَا - مَعاً -؟!

نَقُولُ: تَقَدَّمَ كَلاَمُ شَيْخِ الإِسْلاَمِ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي بَيَانِ أَنَّ الحُكْمَ بالإسلامِ **الظَّاهِرِ يُكْتَفَى فِيهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ**. . .

وَالإِلْزَامُ بِغَيْرِهِمَا -للحكم به- يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ بَيِّنٍ ظَاهِرٍ لاَ يُخْتَلَفُ فِيهِ:

فَقَدْ سُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللهُ - عَنِ الكُفْرِ الوَارِدِ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾، قَالَ: «كُفْرٌ لاَ يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ، مِثْلُ الإِيمَانِ بَعْضِهِ دُونَ بَعْضٍ، وكذلكَ الكُفْرُ، **حَتَّى يَجِيءُ مِنْ ذلِكَ أَمْرٌ لاَ يُخْتَلَفُ فِيهِ**[1]».

وَرَحِمَ اللهُ شَيْخَ الإِسْلاَمِ القَائِلَ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٢١٩):

«**وَلِهذَا كَانَ القَوْلُ الظَّاهِرُ مِنَ الإِيمَانِ** الَّذِي لاَ نَجَاةَ لِلْعَبْدِ إِلاَّ بِهِ عِنْدَ عَامَّةِ

(١) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (٧/ ٣٢٩) .

السَّلَفِ وَالخَلَفِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلاَّ الجَهْمِيَّةُ...».

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ-: «أَرْكَانُ الإِسْلاَمِ الخَمْسَةُ: **أَوَّلُهَا الشَّهَادَتَانِ**، ثُمَّ الأَرْكَانُ الأَرْبَعَةُ؛ إِذَا أَقَرَّ بِهَا وَتَرَكَهَا تَهَاوُناً، **فَنَحْنُ وَإِنْ قَاتَلْنَاهُ عَلَى فِعْلِهَا، فَلاَ نُكَفِّرُ بِتَرْكِهَا، وَالعُلَمَاءُ اخْتَلَفُوا فِي كُفْرِ التَّارِكِ لَهَا كَسَلاً مِنْ غَيْرِ جُحُودٍ، وَلاَ نُكَفِّرُ إِلاَّ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ العُلَمَاءُ كُلُّهُمْ؛ وَهُوَ الشَّهَادَتَانِ**[2]».

ثُمَّ نَقِفُ عِنْدَ كَلاَمِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ -فِي الآخِرِ- بَعْدَ تَكْرَارِهِ **تَقْسِيمَ الإِخْلاَصِ إِلَى (ظَاهِرٍ بِالعَمَلِ) وَ (خَفِيٍّ بِالاعْتِقَادِ)** -حيث قال -سدّده الله-: (وَلَيْسَ يَصْلُحُ الإِخْلاَصُ وَلاَ يَسْلَمُ مِنْ قَلْبٍ إِلاَّ بِهِمَا مَعاً، وَقَصْرُهُ عَلَى القَلْبِ عَدْوٌ بِظُلْمٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَلَى عَمَلٍ بِالجَوَارِحِ وَلاَ بُدَّ)!».

فَنَقُولُ: قَصْرُ الإِخْلاَصِ عَلَى القَلْبِ عَدْوٌ بِظُلْمٍ - لاَ شَكَّ -، وَبِالتَّالِي: **فَنَحْنُ مِنْهُ بُرَءَاء، وَعَنِ التُّهْمَةِ بِهِ أَبْرِيَاء**، وَلَكِنْ:

مَنْ جَاءَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ نَاقِضٌ لَهُمَا - عَلَى ظُلْمِهِ وَفُجُورِهِ، وَفِسْقِهِ - هَلْ هُوَ كَافِرٌ؟!

فَإِنْ قِيلَ: نَعَمْ؛ بِتَرْكِهِ الصَّلاَةَ لِتَرَتُّبِ حُكْمِ (الكُفْرِ) **عَلَيْهِ بِالنُّصُوصِ؟!**

فَنَقُولُ: أَفَلاَ يُقَالُ هَذَا فِي غَيْرِهَا؛ مِمَّا وَرَدَ مَوْرِدَهَا -دُونَ حَصْرٍ بِهَا - وَلَهَا- على وجهِ **الخُصُوصِ؟!**

فَإِنْ فُرِّقَ: **فَمَا هُوَ الدَّلِيلُ الظَاهِرُ المَنْصُوصِ؟!**

ثُمَّ قَوْلُهُ -بَعْدُ-: (لَيْسَ يَصْلُحُ..) هَلْ يَلْزَمُ مِنْهُ -ضَرُورَةً- أَنَّهُ (يَفْسُدُ)، وَيَبْطُلُ؟!

بَلْ إِنْ قَوْلَ الشَّيْخِ -أَصْلاً- فِي رَدِّهِ الحُكْمَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ ﷺ: «..فَأَمْرُهُ إِلَى

---

(٢) «الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ» (١/ ٧٠).

اللهِ . . » غَيْرُ صَحِيحٍ!

إِذْ لاَ يُرَدُّ الظَّاهِرُ الواضحُ الصحيح إِلاَّ بِحكْمٍ رَاجِحٍ صَرِيحٍ.

وَعَلَيْهِ؛ فَنَقُولُ:

مَنْ مِنْ أَهْلِ القُرُونِ الخَيِّرَةِ - مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ - (أَوَّلَ) هذَا الحُكْمَ الصَّادِرَ فِي هذَا الحَدِيثِ؟!

وَمَا هُوَ الوجهُ (المسوِّغُ) لهذا **التَّأويلِ** مِنْ (سَبَبٍ **أَوْ مُنَاسَبَةٍ**[1])؟!

وَمَا هُوَ مُوجِبُهُ؟!

❖ المُلاَحَظَةُ السَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ:

○ ثُمَّ خَتَمَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الكاتبِ (ص١٨٩) كَلاَمَهُ حَوْلَ مَسْأَلَةِ (تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ) بِكَلاَمٍ مُكَرَّرٍ حَوْلَ (الإِذْعَانِ البَدَنِي)، وَ (الإِذْعَانِ القَلْبِي)، وأَنَّ: (الإِذْعَانَ الحَقَّ مَزِيجٌ مِنْهُمَا معاً، وَلاَ يُغْنِي أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ - فِي العُمُومِ -، إِذْ كُلٌّ مِنْهُمَا مُتَمِّمٌ لِلآخَرِ . .).

□ **نَقُولُ:** نَعَمْ؛ وَلَكِنَّ البَحْثَ فِي أَمْرٍ أَهَمَّ وَأَخْطَرَ؛ وَهُوَ: هَلِ انْتِفَاءُ الإِذْعَانِ البَدَنِيِّ **- عَلَى وُجُوبِهِ، وَلُزُومِهِ، وَرُكْنِيَّتِهِ، وَأَهَمِّيَّتِهِ - سَبِيلٌ يَنْتَفِي بِهِ الإِذْعَانُ القَلْبِيُّ - ضَرُورَةً - كُلِّيّاً؟!**

الجَوَابُ: مَا قال شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (١١/ ١٣٨)-:

«مَنْ تَرَكَ الأَعْمَالَ -شَاكِراً بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ- فَقَدْ أَتَى بِبَعْضِ الشُّكْرِ وَأَصْلِهِ.

وَالكُفْرُ إِنَّمَا يَثْبُتُ إِذَا عَدِمَ الشُّكْرُ بِالكُلِّيَّةِ.

---

(١) كَمَا اشْتَرَطَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ - نَفْسِهِ - (ص١٧٧).

كَمَا قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِنَّ مَنْ تَرَكَ فُرُوعَ الإِيمَانِ لاَ يَكُونُ كَافِراً، حَتَّى يَتْرُكَ أَصْلَ الإِيمَانِ، وَهُوَ الاعْتِقَادُ.

وَلاَ يَلْزَمُ مِنْ زَوَالِ فُرُوعِ الحَقِيقَةِ -الَّتِي هِيَ ذَاتُ شُعَبٍ وَأَجْزَاءٍ- زَوَالُ اسْمِهَا؛ كَالإِنْسَانِ، إِذَا قُطِعَتْ يَدُهُ، أَوِ الشَّجَرَةِ، إِذَا قُطِعَ بَعْضُ فُرُوعِهَا»[1].

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٧/ ٦٤٤) - مُبَيِّناً وَمُوَضِّحاً، وَمُفَصِّلاً وَمُؤَصِّلاً-:

«فَأَصْلُ الإِيمَانِ فِي القَلْبِ، وَهُوَ قَوْلُ القَلْبِ وَعَمَلُهُ، وَهُوَ إِقْرَارٌ بِالتَّصْدِيقِ وَالحُبِّ وَالانْقِيَادِ، وَمَا كَانَ فِي القَلْبِ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ مُوجَبُهُ وَمُقْتَضَاهُ عَلَى الجَوَارِحِ، وَإِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِمُوجَبِهِ وَمُقْتَضَاهُ دَلَّ عَلَى عَدَمِهِ أَوْ ضَعْفِهِ».

نَقُولُ: فَلْيُتَأَمَّلْ قَوْلُهُ -رحمه الله-: «.. دَلَّ عَلَى عَدَمِهِ أَوْ ضَعْفِهِ».

وَهُوَ الَّذِي بِهِ نَقُولُ، وَبِهِ نَحْكُمُ؛ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ - مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ -؛ وَبِلاَ تَطْوِيلٍ...

ثُمَّ وجه آخر:

وهو: مَا هِيَ حَقِيقَةُ (التَّرْكِ) الَّذِي يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُهُ؟

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ فِي «الفَوَائِدِ» (ص ٢١٩):

«إِنَّ المَدْعُوَّ إِلَى الإِيمَانِ إِذَا قَالَ: لاَ أُصَدِّقُ وَلاَ أُكَذِّبُ، وَلاَ أُحِبُّ وَلاَ أُبْغِضُ، وَلاَ أَعْبُدُهُ وَلاَ أَعْبُدُ غَيْرَهُ، كَانَ كَافِراً بِمُجَرَّدِ التَّرْكِ وَالإِعْرَاضِ؛ بِخِلاَفِ مَا إِذَا قَالَ: أَنَا أُصَدِّقُ الرَّسُولَ، وَأُحِبُّهُ، وَأُؤْمِنُ بِهِ، وَأَفْعَلُ مَا أَمَرَنِي، وَلَكِنَّ شَهْوَتِي وَإِرَادَتِي وَطَبْعِي حَاكِمَةٌ عَلَيَّ لاَ تَدَعُنِي أَتْرُكُ مَا نَهَانِي عَنْهُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ نَهَانِي وَكَرِهَ لِي فِعْلَ المَنْهِيِّ، وَلَكِنْ لاَ صَبْرَ لِي عَنْهُ! فَهَذَا لاَ يُعَدُّ كَافِراً بِذَلِكَ،

---

(١) وقد تكلَّم -رحمه الله- بعد صفحةٍ واحدةٍ- حولَ الأحاديث التي فيها إطلاقُ الكفر على بعض (أعمال الفسوق) -مثل ترك الصلاة، وقتال المسلمين-، فتأمَّل.

وَلاَ حُكْمُهُ حُكْمَ الأَوَّلِ؛ فَإِنَّ هذَا مُطِيعٌ مِنْ وَجْهٍ.

وَتَارِكُ المَأْمُورِ -جُمْلَةً- لاَ يُعَدُّ مُطِيعاً بِوَجْهٍ».

وَمِثْلُهُ فِي كَلاَمِ شَيْخِهِ - شَيْخِ الإِسْلاَمِ - فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٢٠/ ٩٠ - ٩١) - ضِمْنَ كَلاَمٍ جَيِّدٍ مَتِينٍ -:

«. . . لَكِنَّ المَأْمُورَ بِهِ إِذَا تَرَكَهُ العَبْدُ: فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً بِوجُوبِهِ، أَوْ لاَ يَكُونُ؛ **فَإِنْ كَانَ مُؤْمِناً بِوجُوبِهِ، تَارِكاً لأَدَائِهِ: فَلَمْ يَتْرُكِ الوَاجِبَ كُلَّهُ**؛ بَلْ أَدَّى بَعْضَهُ - وَهُوَ الإِيمَانُ بِهِ -، وَتَرَكَ بَعْضَهُ - وَهُوَ العَمَلُ بِهِ - . . .».

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.



● قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ -رحمه الله-:

«باب المقولِ في الإيمان: قال الله -تعالى-: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقاً﴾؛ فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضها يقع في القلب وبعضها باللسان، وبعضها بهما وسائر البدن، وبعضها بهما أو بأحدهما وبالمال.

وفيما ذكر الله في هذه الأعمال تنبيهُ على ما لم يذكره، وأخبر بزيادة إيمانهم بتلاوة آياته عليهم.

وفي كل ذلك دِلالةٌ على أن هذه الأعمال وما نَبَّه بها عليه من جوامع الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وإذا قبل الزيادة قبل النقصان.

وبهذه الآية -وما في معناها من الكتاب والسنة- ذهب أكثر أصحاب الحديث إلى أن اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها، وأنها على ثلاثة أقسام:

- فقسمٌ يكفر بتركه؛ وهو: اعتقاد ما يجب اعتقاده، والإقرار بما اعتقده.

- وقسمٌ يفسق بتركه -أو يعصي ولا يكفر به- إذا لم يجحده؛ وهو: مفروض الطاعات؛ كالصلاة والزكاة والصيام والحج واجتناب المحارم.

- وقسمٌ يكون بتركه مخطئاً للأفضل غيرَ فاسق ولا كافر؛ وهو: ما يكون من العبادات تطوعاً»(*).

(*) «الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» (ص٢١٢) ، وهو مطبوع بتخريج الأخ الشيخ أحمد أبي العينين، وتقديم و(تعليق) الدكتور عبدالرحمن بن صالح المحمود.

وقد ألحقت بهذه الطبعة تعليقات الشيخ العلاّمة عبدالرزاق عفيفي -رحمه الله-.

المسألة الثالثة:

تَحْرِيرُ

قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه-: «كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ»

○ ثُمَّ انْتَقَلَ الشَّيْخُ -سَدَّدَهُ اللهُ- فِي «مُلْحَقِهِ» (ص ١٨٩)- إِلَى بَحْثِ (المقولة الذهبيّة) المنقولةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي اللهُ عنه - من قولهِ: «كُفْرٌ دون كُفْرٍ»، فقَالَ:

«وَقَدْ شُغِفَ النَّاسُ -قَدِيماً وَحَدِيثاً- بِالمَقُولَةِ المَنْسُوبَةِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ...» إلخ، وَهِيَ -لَوْ صَحَّتْ نِسْبَتُهَا لابْنِ عَبَّاسٍ- وَلَمْ يَتَطَرَّقْ لإِسْنَادِهَا أَوْ لِمَتْنِهَا وَهَنٌ تُرَدُّ بِهِ-؛ فَإِنَّهَا لَمْ تُفْهَمْ عَلَى مُرَادِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَمْ يُؤْتَ إِلَيْهَا مِنَ الجِهَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُؤْتَى مِنْهَا إِلَيْهَا؛ بَلْ لَقِفَتْهَا الأَسْمَاعُ، وَسَوَّدَتْهَا الأَقْلامُ فِي الصَّحَائِفِ، وَتَدَاوَلَتْهَا القُرُونُ، [من] غَيْرِ اعْتِدَادٍ بِمَا عُهِدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - مِنْ دِقَّةِ نَظَرٍ، وَحُسْنِ تَأْوِيلٍ، وَسَعَةِ إِحَاطَةٍ، وَمِنْ غَيْرِ اسْتِحْضَارٍ لِلْمُنَاسَبَةِ الَّتِي جَرَى لِسَانُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهَذِهِ المَقُولَةِ - لَوْ صَحَّتْ! - عَلَيْهَا.

وَإِنِّي لأَعْجَبُ -حَقّاً-؛ كَيْفَ مَضَتْ هذِهِ القُرُونُ عَلَى هذِهِ الكَلِمَةِ! وَلَمْ يَتَنَبَّهْ إِلَى الخَطَإِ الجَسِيمِ -الَّذِي جَلَّلَهَا- أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ؛ عَلَى وَفْرَةِ عَدَدِهِمْ، وَكَثْرَةِ جَمَاعَاتِهِمْ؟! حَتَّى أَضْحَى هذَا الخَطَأُ جُزْءاً مِنْ هذِهِ المَقُولَةِ، لاَ يَنْفَكُّ عَنْهَا، وَلاَ تَنْفَكُّ عَنْهُ، وَحَتَّى صَارَتْ هذِهِ الكَلِمَةُ -أَوْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ- نِسْبَتُهَا إِلَى بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ - مِمَّنْ شُهِرُوا بِالوُلُوعِ بِتَرْدَادِهَا - أَقْرَبَ مِنْ نِسْبَتِهَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -؛ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ!».

□ نَقُولُ: وَعَلَى هذَا مُلاَحَظَاتٌ:

الأُولَى: قَوْلُهُ: «شُغِفَ النَّاسُ..»!

مَنْ هُمْ هؤلاءِ (النَّاسُ)؟

وَهَلْ (شَغَفُهُمْ) - هذا - جاءَ مِنْ فَرَاغٍ، وَذَهَبَ إِلَى فَرَاغٍ؟!

أَمْ أَنَّهُ دَلِيلٌ -من أدلةٍ - على صَوَابِ هذهِ الكَلِمَةِ، وَبُرْهَانٌ - من براهينَ - على صِحَّتِهَا؟!

إِنَّ هَؤلاَءِ (النَّاسَ) هُمْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ - قَدِيماً وَحَدِيثاً - مِنْ أَئِمَّةِ الصَّحَابَةِ، وَأَئِمَّةِ التَّابِعِينَ، إِلَى الإِمَامِ أَحْمَدَ، مُرُوراً بِشَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَةَ وَتِلْمِيذِهِ ابْنِ القَيِّمِ، وَانْتِهَاءً بِعُلَمَائِنَا الكِبَارِ - وَأَئِمَّتِنَا الأَبْرَارِ - ابْنِ بَازٍ، وَالأَلْبَانِيِّ، وَابْنِ عُثَيْمِينَ -، ومَن على مثل ما هم عليه...[1]

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: «بِالمَقُولَةِ المَنْسُوبَةِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ...»!

فَنَقُولُ:

إِنْ كَانَ المُرَادُ بِكَلِمَةِ: (المَنْسُوبَة) تَثْبِيتَ هذه النِّسْبَةِ، فَنَعَمْ - مَعَ أَنَّ اللَّفْظَ دُونَ ذلكَ! -.

وَإِنْ كَانَ المُرَادُ التَّشْكِيكَ بِالنِّسْبَةِ! فَلاَ، فَإِنَّ نِسْبَتَهَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَابِتَةٌ ثُبُوتَ الجِبَالِ، وَلَيْسَ لِرَدِّهَا مَجَال، ولا في التَّشْكِيكِ بِهَا أَدْنَى مَقَال، أَوِ الغَضُّ مِنْهَا - بِأَيِّ حَال -!

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «لَوْ صَحَّتْ...»!

هذا مَصِيرٌ مِنْ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ -سدّده الله- إِلَى مَحْضِ التَّشْكِيكِ -صَرَاحَةً-! وَهُوَ غَيْرُ مَقْبُول مِنْهُ؛ لأَنَّهُ تَشْكِيكٌ غَيْرُ مَبْنِيٍّ - أَلْبَتَّةَ - عَلَى أَيٍّ مِنْ أُصُولِ العِلْمِ أَوْ قَوَاعِدِهِ - كَمَا سَيَأْتِي -.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «.. فَإِنَّهَا لَمْ تُفْهَمْ عَلَى مُرَادِ ابْنِ عَبَّاسٍ..»!

---

(١) انظر ما سيأتي (ص٨٣-٨٥).

نَقُولُ: مَا هُوَ (الفَاعِلُ) -المُضْمَرُ- لِهذَا الفِعْلِ (المَبْنِيِّ المَجْهُولِ)؟!

وَمَنْ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَهُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -؟!

وما هو حقُّ مرادِهِ -رضي الله عنه-؟!

وما هو الدليلُ على أنّ (هذا) - أَوْ (ذَاك) - هو مرادُهُ؟! إِلاّ أنْ يكونَ (تداوُلَ العُلَماء لها عبرَ القرون)، وتوارُدَهم على الاستدلالِ بها -على ظاهِرِها- جيلاً بعد جيل!

وهل يُوجد أعظمُ من هذا التدليل؟!

وما سيأتي من كلام الشيخ -تالياً- على ذلك: أكبرُ دليل...

الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «بَلْ لَقِفَتْهَا الأَسْمَاعُ، وَسَوَّدَتْهَا الأَقْلاَمُ فِي الصَّحَائِفِ، وَتَدَاوَلَتْهَا القُرُونُ [مِنْ] غَيْرِ اعْتِدَادٍ بِمَا عُهِدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- مِنْ دِقَّةِ نَظَرٍ، وَحُسْنِ تَأْوِيلٍ، وَسَعَةِ إِحَاطَةٍ، وَمِنْ غَيْرِ اسْتِحْضَارٍ لِلْمُنَاسَبَةِ الَّتِي جَرَى لِسَانُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهذِهِ المَقُولَةِ - لَوْ صَحَّتْ! - عَلَيْهَا» !

نَقُولُ: هذَا (التَّلَقُّفُ)، وَذلِكَ (التَّسْوِيدُ)، وَذَاكَ (التَّدَاوُلُ عَبْرَ القُرُونِ): -كُلُّ ذلك -في الحقيقة- دَلاَئِلُ قويّةٌ -جداً- عَلَى صِحَّةِ هذهِ (المَقُولَةِ)؛ رِوَايَةً وَدِرَايَةً، وثُبُوتِهَا؛ مَبْنًى وَمَعْنًى... وَمَعَ هذَا كُلِّهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْخَ -سدّده الله- يُكَرِّرُ: «لَوْ صَحَّتْ..»!!

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «وَإِنِّي لأَعْجَبُ -حَقّاً- كَيْفَ مَضَتْ هذِهِ القُرُونُ عَلَى هذِهِ الكَلِمَةِ، وَلَمْ يَتَنَبَّهْ إِلَى الخَطَإِ الجَسِيمِ - الَّذِي جَلَّلَهَا - أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، وَعَلَى وَفْرَةِ عَدَدِهِمْ، وَكَثْرَةِ جَمَاعَاتِهِمْ؟!».

فَنَقُولُ: مُضِيُّ (هذِهِ القُرُونِ عَلَى هذِهِ الكَلِمَةِ) دَلِيلٌ - بِحَمْدِ اللهِ - مِنْ أَدِلَّةٍ - عَلَى (التَّوَاتُرِ العَمَلِيِّ) - العِلْمِيِّ - الدَّالِّ عَلَى ارْتِضَاءِ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ، وَصَفْوَةِ الأَئِمَّةِ لَهَا، وَقَبُولِهِمْ إِيَّاهَا..

فَمَا تُوُهِّمَ أَنَّهُ حُجَّةٌ لِصَاحِبِهِ: هُوَ - فِي حَقِيقَتِهِ- حُجَّةٌ عَلَيْهِ!!

وإلاّ: فهل كانت الأُمّةُ -عبر (هذه القرون)- مُجمِعةً على غير الهدى! ومؤتلفةً على باب الهَوَى؟!

ثم هو -سدّده الله- يَعُدُّ ذلك كلَّه -من قبلُ ومِن بَعْدُ- من (الخطإ الجسيم)!!

فكيف يجتمعُ الأمران؟! بل كيف يلتقي النقيضان؟!

.. فهذه ملاحظاتٌ ستٌّ كاملةٌ... أمّا:

❖ المُلاحَظَةُ السَّابِعَةُ:

○ فهي قَوْلُهُ: «حَتَّى أَضْحَى هذَا الخَطأُ جُزْءاً مِنْ هذِهِ المَقُولَةِ، لاَ يَنْفَكُّ عَنْهَا، وَلاَ تَنْفَكُّ عَنْهُ، وَحَتَّى صَارَتْ هذِهِ الكَلِمَةُ - أَوْ كَادَتْ - نِسْبَتُهَا إِلَى بَعْضِ العِلْمِ - مِمَّنْ شُهِرُوا بِالوُلُوعِ بِتَرْدَادِهَا - أَقْرَبَ مِنْ نِسْبَتِهَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ».

□ فَنَقُولُ: مَا هُوَ هذَا الخَطأُ؟!

وَمَا هُوَ حَجْمُهُ؟!

وَمَا هِيَ أَوْجُهُ التَّدْلِيلِ عَلَيْهِ؟!

وَمَنْ هُمُ الَّذِينَ (وَلَعُوا بِتَرْدَادِهَا)؟!

وَهَلْ هذَا يُعِيبُهُمْ؟! أَمْ أنَّه فِي الفَضْلِ يَزِيدُهُمْ؟!

وَكَيْفَ لاَ يَكُونُ؟! وَأَنْتَ -سَدَّدَكَ اللهُ- القَائِلُ (ص ١٧٧) -مِنَ الكِتَابِ- نَفْسِهِ-:

«وَالحُجَّةُ -وَلاَ رَيْبَ- فِيمَا كَانَ فِيهِمْ وَمِنْهُمْ، أَوْ فِيمَا كَانَ قَرِيبَ عَهْدٍ مِنْهُمْ»؟!

فَمَا الَّذي جعَلَ الحُجَّةَ هُنالِكَ قَائِمَة، بينما هي هُنَا غَيْرُ سالِمَة؟!

❖ **المُلاحَظَةُ الثَّامِنَةُ:**

○ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٩٠):

«هذِهِ الكَلِمَةُ لَمْ تُعْرَفْ نِسْبَتُهَا -لَوْ صَحَّتْ- لابْنِ عَبَّاسٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ولَمْ تُعرَفْ نِسْبَتُهَا لأحَدٍ غَيْرِهِ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ -، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ جَلِيلَةٌ خَطِيرَةٌ، مَا كَانَ لِلْوَحْيِ أَنْ يَدَعَهَا لاجْتِهَادِ مُجْتَهِدٍ، أَوْ لِتأوِيلِ مُتَأَوِّلٍ، فَكَانَ -إذاً- ولاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَجْعَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ميرَاثاً مِنْ بَعْدِهِ لأُمَّتِه، لئلاَّ تَشْتَجِرَ فِيهَا الأفْهَامُ، أَوْ تَزِلَّ عَنْهَا الأقْلاَمُ».

□ فنقولُ: هذَا عَوْدٌ ثَالِثٌ - أَوْ رَابِعٌ وَسابعٌ! - إِلَى التَّشْكِيكِ بِصِحَّةِ هذهِ الكَلِمَةِ الذَّهَبِيَّةِ، فَلاَ بُدَّ - وَالحَالَةُ هذِهِ - مِنْ وَقْفَةٍ مُتَأَنِّيَةٍ فِي إِثْبَاتِهَا الإِثْبَاتَ العِلْمِيَّ الَّذِي يَنْقَطِعُ دُونَه كُلُّ كلاَمٍ:

قَالَ شَيْخُنَا العلاَّمَةُ الإمَامُ الحُجَّةُ أسدُ السُّنَّة أَبُو عَبْدِ الرَّحْمنِ مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ - تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ - فِي «سِلْسِلَةِ الأحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ» (٦/ ١/ ١٠٩- ١١٦)- أثْنَاءَ كَلاَمٍ رَائِعٍ -لَهُ- فِي تَفْسِيرِ آيَةِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾؛ مُرَجِّحاً أَنَّهُ كُفْرٌ عَمَلِيٌّ-، قَالَ:

«وَقَدْ جَاءَ عَنِ السَّلَفِ مَا يَدْعَمُهَا، وَهُوَ قَوْلُهُمْ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ: «كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ»، صَحَّ ذَلِكَ عَنْ تَرْجُمَانِ القُرْآنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ثُمَّ تَلَقَّاهُ عَنْهُ بَعْضُ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ.

وَلاَ بُدَّ مِنْ ذِكْرِ مَا تَيَسَّرَ لِي عَنْهُمْ؛ لَعَلَّ فِي ذَلِكَ إِنَارَةً لِلسَّبِيلِ أَمَامَ مَنْ ضَلَّ اليَوْمَ فِي هذهِ المَسْأَلَةِ الخَطِيرَةِ، وَنَحَا نَحْوَ الخَوَارِجِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ بِارْتِكَابِهِمْ المَعَاصِي - وَإِنْ كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ -:

١- رَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبَرِيُّ (١٠/ ٣٥٥/ ١٢٠٥٣) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ

عبَّاسٍ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ قَالَ: **هِيَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كُفْراً بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**.

٢- وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ -فِي هذِهِ الآيَةِ-: **إِنَّهُ لَيْسَ بِالكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ**[١]، **إِنَّهُ لَيْسَ كُفْراً يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ؛ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ**.

أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٢/ ٣١٣)، وَقَالَ: «**صَحِيحُ الإِسْنَادِ**» وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَحَقُّهُمَا أَنْ يَقُولاَ: **عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ**؛ فَإِنَّ إِسْنَادَهُ كَذلِكَ.

ثُمَّ رَأَيْتُ الحَافُظَ ابْنَ كَثِيرٍ نَقَلَ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٦/ ١٦٣) عَنِ الحَاكِمِ أَنَّهُ قَالَ: «**صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ**»، فَالظَّاهِرُ أَنَّ فِي نُسْخَةِ «المُسْتَدْرَكِ» -المَطْبُوعَةِ- سَقْطاً، وَعَزَاهُ ابْنُ كَثِيرٍ لابْنِ أَبِي حَاتِمٍ - أَيْضاً - بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ.

٣- وَفِي أُخْرَى -عَنْهُ- مِنْ رِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ -عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- قَالَ: مَنْ جَحَدَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فَقَدْ كَفَرَ، **وَمَنْ أَقَرَّ بِهِ وَلَمْ يَحْكُمْ فَهُوَ ظَالِمٌ فَاسِقٌ**.

أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (١٢٠٦٣).

قُلْتُ: وَابْنُ أَبِي طَلْحَةَ لَمْ يَسْمَعْ مِن ابْنِ عَبَّاسٍ[٢]، **لَكِنَّهُ جَيِّدٌ فِي الشَّوَاهِدِ**.

٤- ثُمَّ رَوَى (١٢٠٤٧/١٢٠٥١) عَنْ عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَوْلَهُ: -وَذَكَرَ الآيَاتِ الثَّلاثَ-: **كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ**.

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

٥- ثُمَّ رَوَى (١٢٠٥٢) عَنْ سَعِيد المَكِّي، عَنْ طَاوُوس -وَذَكَرَ الآيَةَ-، قَالَ: **لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ**.

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ؛ وَسَعِيدٌ هذَا هُوَ ابْنُ زِيَادٍ الشَّيْبَانِيُّ المَكِّيُّ، وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينَ

---

(١) كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى الخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -. (مِنْهُ).

(٢) وبعض كبار أهل العلم -من المتقدّمين والمتأخّرين- يُصَحِّح هذا الإسنادَ -لِذَاتِهِ-؛ انظر «العُجاب في بيان الأسباب» ١/ ٢٠٧) و«فتح الباري»(٨/ ٤٣٨) -كلاهما للحافظ ابن حجر-.

وَالعِجْلِيُّ وَابنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُمْ، وَرَوَى عَنْهُ جَمْعٌ.

٦- وَرَوى (١٢٠٢٥ و ١٢٠٢٦) مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُدَيرَ، قَالَ: أَتَى أَبَا مِجْلَزٍ[١] نَاسٌ مِنْ بَنِي عَمْرو بْنِ سَدُوسٍ (وَفِي الطَّرِيقِ الأُخْرى: نَفَرٌ مِنَ الإِبَاضِيَّةِ[٢])، فَقَالُوا: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾، أَحَقٌّ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالُوا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، أَحَقٌّ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالُوا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾، أَحَقٌّ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَقَالُوا: يَا أَبَا مِجْلَزٍ؛ فَيَحْكُمُ هَؤُلاَءِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؟

قَالَ: هُوَ دِينُهُمُ الَّذِي يَدِينُونَ بِهِ، وَبِهِ يَقُولُونَ وَإِلَيْهِ يَدْعُونَ -[يَعْنِي: الأُمَرَاءَ]-؛ فَإِنْ هُمْ تَرَكُوا شَيْئاً مِنْهُ عَرَفُوا أَنَّهُمْ أَصَابُوا ذَنْباً!

فَقَالُوا: لاَ وَاللهِ، وَلَكِنَّكَ تَفْرَقُ[٣].

قَالَ: أَنْتُمْ أَوْلَى بِهذَا مِنِّي! لاَ أَرَى، وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ تَرَونَ هذَا وَلاَ تَحَرَّجُونَ، وَلكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَهْلِ الشِّرْكِ.

أَوْ نَحْواً مِنْ هذَا.

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

ثُمَّ قَالَ **شَيْخُنَا** - رَحِمَهُ اللهُ -:

---

(١) مِنْ كِبَارِ ثِقَاتِ التَّابِعِينَ، وَاسْمُهُ: لاَحِقُ بْنُ حُمَيْدٍ البَصْرِيُّ. (مِنْهُ)

(٢) طَائِفَةٌ مِنَ الخَوَارِجِ. (مِنْهُ)

(٣) أَيْ: تَجْزَعُ وَتَخَافُ. (مِنْهُ)

«وقَدِ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِ الكُفْرِ فِي الآيَةِ الأُولَى عَلَى خَمْسَةِ أَقْوَالٍ، سَاقَهَا ابْنُ جَرِيرٍ (١٠/ ٣٤٦- ٣٥٧) بِأَسَانِيدِهِ إِلَى قَائِلِيهَا، ثُمَّ خَتَمَ ذلِكَ بِقَوْلِهِ (١٠/ ٣٥٨):

«وَأَوْلَى هذِهِ الأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: نَزَلَتْ هذِهِ الآيَاتُ فِي كُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ؛ لأَنَّ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الآيَاتِ فَفِيهِمْ نَزَلَتْ، وَهُمُ المَعْنِيُّونَ بِهَا، وَهذِهِ الآيَاتُ سِيَاقُ الخَبَرِ عَنْهُمْ، فَكَوْنُهَا خَبَراً عَنْهُمْ أَوْلَى.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ اللهَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - قَدْ عَمَّ بِالخَبَرِ بِذلِكَ عَنْ جَمِيعِ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، فَكَيْفَ جَعَلْتَهُ خَاصّاً؟

قِيلَ: إِنَّ اللهَ - تَعَالَى - عَمَّ بِالخَبَرِ بِذلِكَ عَنْ قَوْمٍ **كَانُوا بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ فِي كِتَابِهِ جَاحِدِينَ**، فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ بِتَرْكِهِمُ الحُكْمَ - عَلَى سَبِيلِ مَا تَرَكُوهُ - كَافِرُونَ، وَكَذلِكَ القَوْلُ فِي كُلِّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ -جَاحِداً بِهِ- هُوَ بِاللهِ كَافِرٌ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ؛ **لأَنَّهُ بِجُحُودِهِ حُكْمَ اللهِ -بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ-؛ نَظِيرُ جُحُودِهِ نُبُوَّةَ نَبِيِّهِ بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ**».

وَمَا أَجْمَلَ -هُنَا- كَلَامَ فَضِيلَةِ أُسْتَاذِنَا الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ العُثَيْمِين -حفظه الله- فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى كِتَابِ «التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ التَّكْفِيرِ» (ص ٦٨- ٦٩) -تَعْلِيقاً عَلَى أَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ-:

«لَكِنْ لَمَّا كَانَ هذَا [الأثر] لاَ يُرْضِي هؤلاَءِ المَفْتُونِينَ بِالتَّكْفِيرِ؛ صَارُوا يَقُولُونَ: هذَا الأَثَرُ غَيْرُ مَقْبُولٍ! وَ: لاَ يَصِحُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ! فَيُقَالُ لَهُمْ: كَيْفَ لاَ يَصِحُّ وَقَدْ تَلَقَّاهُ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكُمْ، وَأَفْضَلُ، وَأَعْلَمُ بِالحَدِيثِ؟! وَتَقُولُونَ: لاَ نَقْبَلُ؟

ثُمَّ هَبْ أَنَّ الأَمْرَ كَمَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ لاَ يَصِحُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ! فَلَدَيْنَا نُصُوصٌ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الكُفْرَ قَدْ يُطْلَقُ وَلاَ يُرَادُ بِهِ الكُفْرُ المُخْرِجُ عَنِ المِلَّةِ -كَمَا فِي الآيَةِ المَذْكُورَةِ-، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»، **وَهذِهِ لاَ تُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ بِلاَ إِشْكَالٍ**، لَكِنْ كَمَا

قِيلَ: قِلَّةُ البِضَاعَةِ مِنَ العِلْمِ، وَقِلَّةُ فَهْمِ القَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ العَامَّةِ: هِيَ الَّتِي تُوْجِبُ هذَا الضَّلاَلَ.

ثُمَّ شَيْءٌ آخَرُ نُضِيفُهُ إِلَى ذلِكَ، وَهُوَ: سُوءُ الإِرَادَةِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ سُوءَ الفَهْمِ؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا كَانَ يُرِيدُ شَيْئاً لَزِمَ مِنْ ذلِكَ أَنْ يَنْتَقِلَ فَهْمُهُ إِلَى مَا يُرِيدُ، ثُمَّ يُحَرِّفَ النُّصُوصَ عَلَى ذلِكَ.

وَكَانَ مِنَ القَوَاعِدِ المَعْرُوفَةِ عِنْدَ العُلَمَاءِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: اسْتَدِلَّ ثُمَّ اعْتَقِدْ، لاَ تَعْتَقِدْ ثُمَّ تَسْتَدِلَّ؛ فَتَضِلَّ.

فَالأَسْبَابُ ثَلاَثَةٌ، هِيَ:

الأَوَّلُ: قِلَّةُ البِضَاعَةِ مِنَ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ.

وَالثَّانِي: قِلَّةُ فِقْهِ القَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَالثَّالِثُ: سُوءُ الفَهْمِ المَبْنِيُّ عَلَى سُوءِ الإِرَادَةِ.

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لأَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ -آنِفِ الذِّكْرِ-؛ فَيَكْفِينَا أَنَّ عُلَمَاءَ جَهَابِذَةً كَشَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ القَيِّمِ -وَغَيْرِهِمَا- كُلُّهُمْ تَلَقَّوْهُ بِالقَبُولِ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِهِ، وَيَنْقُلُونَهُ؛ فَالأَثَرُ صَحِيحٌ».

... فَلاَ نَزِيدُ.

نَقُولُ: وَهَا هُوَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ - نَفْسِهِ - سَدَّدَهُ اللهُ - يَنْقُلُ فِي كِتَابٍ آخَرَ -له- (ص ٧٧-٨٠) قَوْلَ ابْنِ جَرِيرٍ - نَفْسَهُ -، ثُمَّ يَقُولُ:

«وَيَزِيدُ هذَا تَوْضِيحاً وَبَيَاناً قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: «كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ».

وَيَجْرِي عَلَى نَسَقِ الصَّحَابَةِ فِي هذَا الفَهْمِ الدَّقِيقِ التَّابِعُونَ(١)؛ وَعَلَى

---

(١) قارن بما نقلناه عن فضيلة الشيخ -قَبْلُ-!!

رَأْسِهِمُ التَّابِعِيُّ الكَبِيرُ طَاووسُ - رَحِمَهُ اللهُ - تَعَالَى -، فَيَقُولُ: «لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ؛ لَكِنَّهُ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ».

ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ - عَقِبَ هذَا - فِي كِتَابِهِ الآخَرِ - نَفْسِهِ -:

«وَلاَ أَحْسَبُنِي بِحَاجَةٍ إِلَى القَوْلِ: **إِنَّ الصَّحَابَةَ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - أَشَدُّ حِرْصاً مِنْ سَائِرِ قُرُونِ هذِهِ الأُمَّةِ عَلَى دِينِهِمْ**، وَأَنَّهُمْ - وَقَدْ تَلَقَّوا الوَحْيَ غَضّاً عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ مِنَّا، وَأَقْوَمُ عَلَى الصِّرَاطِ الَّذِي عَنْهُ حِدْنَا، **وَأَلْزَمُ لِلْمَحَجَّةِ الَّتِي مَا فَتِئْنَا نَشْرُدُ عَنْهَا**، وَهُمْ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - الأُسْوَةُ المَاثِلَةُ فِي عَيْنِ التَّارِيخِ، وَالقُدْوَةُ الوَضِيئَةُ الَّتِي وَضَعَهَا اللهُ قِيَاساً لأَهْلِ القُرُونِ، **وَالعَلاَمَةُ الفَارِقَةُ عَلَى مَشَارِفِ الزَّمَنِ؛ يُفْرَقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَبَيْنَ البَاطِلِ**، وَبَيْنَ الصَّوَابِ وَبَيْنَ الخَطَإِ، وَبَيْنَ الاسْتِقَامَةِ وَبَينَ العِوَجِ».

وَقَالَ مِثْلَ ذلِكَ - بِكَلامٍ أَصْرَحَ - فِي كِتَابٍ ثَالِثٍ - له - (ص ١٢٠-١٢١):

«وَقَدْ سُئِلَ حَبْرُ الأُمَّةِ، وَتَرْجُمَانُ القُرْآنِ -وَاللِّسَانُ المُعْرِبُ عَنْ مَعْنَى الوَحْيِ المُنَزَّلِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الكِتَابِ العَظِيمِ- عَنْ مَعْنَى آيَاتِ سُورَةِ المَائِدَةِ الثَّلاَثِ، فَقَالَ: «**كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ**(*)».

أَيْ: إِنَّ دَرَجَاتِ الكُفْرِ وَالفِسْقِ وَالظُّلْمِ مُتَفَاوِتَةٌ مُتَبَايِنَةٌ فِي تَحَمُّلِهَا؛ فَمِنْهَا الكُفْرُ المُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ؛ المُجَاوِزُ دَائِرَةَ الإِيمَانِ، وَمِنْهَا الكُفْرُ المُبْقِي عَلَى المَوْصُوفِ بِهِ فِي دَائِرَةِ الإِيمَانِ، وَلَيْسَ مُجَاوِزاً بِهِ حُدُودَ المِلَّةِ.

وَمِثْلُ الكُفْرِ فِي هذَا. الفِسْقُ، وَالظُّلْمُ».

وَفِي حَاشِيَتِهِ - عَلَى مَوْضِعِ النجمة- مَا نَصُّهُ:

[(*) **قَاعِدَةٌ جَلِيلَةٌ صَحِيحَةٌ، مَرْوِيَّةٌ بِأَلْفَاظٍ عِدَّةٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ**].

نَقُولُ: وَكَانَ قَدْ ذَكَرَ -سَدَّدَهُ اللهُ- مِثْلَ هذَا الكَلاَمِ -بِعَيْنِهِ- فِي كِتَابٍ رابعٍ

-له- (ص٣٤) - أيضاً - وَلَوْلاَ خَشْيَةُ مَزِيدِ الإِطَالَةِ لَنَقَلْنَاهُ بِرُمَّتِهِ -[1].

وَمَا أَجْمَلَ - مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ - كَلاَمَ شَيْخِ الإِسْلاَمِ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٣١٢):

«وَإِذَا كَانَ مِنْ قَوْلِ السَّلَفِ: أَنَّ الإِنْسَانَ يَكُونُ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِمْ: أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ إِيمَانٌ وَكُفْرٌ، لَيْسَ هُوَ الكُفْرَ الَّذِي يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابُهُ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾، قَالُوا: كُفْراً لاَ يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ.

وَقَدْ اتَّبَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ».

نقولُ: فَهذِهِ المَقُولَةُ الذَّهَبِيَّةُ -بحقٍّ- اجْتَمَعَ فِيهَا أُمُورٌ عاليةٌ غاليةٌ

أ - صِحَّةُ إِسْنَادِهَا بِأَبْيَنِ طَرِيقٍ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ.

ب- انْتِقَالُ سِيَاقِ لفظها إِلَى كِبَارِ التَّابِعِينَ بِأَصَحِّ إِسْنَادٍ - أَيْضاً -.

ج- قَوْلُ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ بِهَا؛ مَدْلُولاً وَمَعْنًى.

د- انْتِصَارُ أَهْلِ الحَقِّ لَهَا، وَ (شَغَفُهُمْ) بِهَا، وَ (وَلَعُهُمْ) فِيهَا - مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ -.

هـ- جَعْلُهَا قَاعِدَةً عِلْمِيَّةً رَاسِيَةً رَاسِخَةً - عِنْدَ الأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ - تُرَدُّ إِلَيْهَا المُشْتَبِهَات، وَتَنْكَسِرُ عَلَى صَخْرَتِهَا الشُّبُهَات. . .

فهل يُذكَرُ -بعد هذا كلِّه - هنا- ما يُشار به إلى: (اجتهاد مجتهد، وتأويل متأوِّل)؟! -تشكيكاً بهذا الأثر!-.

وهل (ما عُهد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من دقَّة نَظَر وحُسن

---

(١) فإن قِيلَ: (لعلَّه) رجع عن هذه الأقوال إلى ما هو عليه الآن!؟

فنقول: ما العُمدةُ في هذا الزعم؟! وما هي وجوهُ الرجوعِ -لَوْ كان- وأدلَّتُهُ؟!

تأويل، وسعة إحاطة) -مع صحّة سند الكلمة عنه- إلاّ دليلٌ على صواب استدلال العلماء بها، وغلَط المخالف لهم فيها؟!

أمْ هَلْ تدفعُنا مُخالَفتُنا لِهذِه الكَلِمَةِ الذَّهبِيَّةِ: إلَى (الغمْزِ) بـ (دِقَّةِ نظَرِ) ابْنِ عبَّاسٍ، و (حُسْنِ تأويلِهِ، وسَعَةِ إحاطَتِه)!!

❖ **المُلاحَظَةُ التَّاسِعَةُ:**

○ قَوْلُهُ: «لَمْ تُعْرَفْ نِسْبَتُهَا لابْنِ عبَّاسٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ رَسُولِ اللهِ...»!

فَالجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ: هذَا القَوْلُ -المجزومُ به- خالفه الشَّيْخُ -نَفْسُهُ- بَعْدَ صَفْحَتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ -نَفْسِه-(ص١٩٢)؛ حَيْثُ سَاقَ (رِوَايَةً) فِيهَا مُوَاقَعَةُ بَعْضِ اليَهُودِ لِلْفَاحِشَةِ، وَسُؤَالُهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَحُدَّ المُوَاقِعَ مِنْهُمْ...، إلَى أَنْ قَالَ -سدّده الله-:

«وأَتَوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُمْ يُبَيِّتُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَمْراً غَيْرَ صَالِحٍ، فَفَطِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى سُوءِ مكرِهِمْ، فَسَأَلَهُمْ: مَاذَا يَجِدُونَ فِي تَوْرَاتِهِمْ؛ لِمِثْلِ أَمْرِ صَاحِبِهِمْ هذَا؟ - وَكَانَ فِي المَجْلِسِ بَعْضُ مِمَّنْ آمَنَ مِنْ يَهُودٍ -، فَأَعْلَمُوهُ مَا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ عُقُوبَةٍ لِمِثْلِه، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ بِالتَّوْرَاةِ، وَلَمْ يُصِيبُوا مِنْ مَكْرِهِمْ إلاَّ فَضْحاً؛ لِمَا قَنَّعُوهُ بِهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «**كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ**».».

نَقُولُ: فَفِي هذَا مَا (يُفْهِمُ) -باللّسان العربيّ -وله- أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ مَقُولَتَهُ -هذِهِ- وَقَدْ صَحَّتْ- فِي مَجْلِسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي حَيَاتِه!

وَهذَا مَا لَمْ يَقَعْ قَطُّ!

بَلْ لاَ نَعْلَمُ هذِهِ الرِّوَايَةَ مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ!

بَلْ وَلَسْنَا نَدْرِي لَهَا أَصْلاً يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ!!

بَلِ اليَقِينُ -كلُّه- عِنْدَنَا أَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ نَصَّيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ، لاَ مَوْرِدَ

بَيْنَهُمَا، وَلاَ التِقَاءَ لَهُمَا:

الأَوَّلُ: حَدِيثُ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فِي قِصَّةِ اليَهُودِيِّ المَحْدُودِ، وَهُوَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٧٠٠).

الثَّانِي: أَثَرُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

وَالَّذِي يَبْدُو لَنَا أَنَّ سَبَبَ **الخَلْطِ -أو هذا التركيب- بَيْنَ النَّصَّيْنِ**، إِنَّمَا جَاءَ - وَاللهُ أَعْلَمُ - مِنْ آخِرِ لَفْظِ الحَدِيثِ الأَوَّلِ - وَفِيهِ: «فَأَنْزَلَ اللهُ - تَعَالَى -: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾، ﴿.. هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿.. هُمُ الفَاسِقُونَ﴾: «هِيَ فِي الكُفَّارِ كُلِّهَا[1]».

فإنْ لم يكُنِ الوجهُ ما ذكرناه: فهذه صورةٌ من (الوَضْعِ) المتجدِّد!!

أَمَّا الوَجْهُ الثَّانِي: فَنَقُولُ: فَكَانَ مَاذَا - بَعْدُ -؟! لو قَالَهُ ابن عباس فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ أَمْ بَعْدَهَا!! هَلْ هذَا مُؤَثِّرٌ عَلَى حُكْمِهِ - وَاقِعاً -؟!

مع التنبيه -هنا- أنَّ الإجماع المعتبر لا ينعقدُ -أصلاً- إلاّ بعد وفاة النبي ﷺ؛ كما هو مقرّرٌ في علم الأصول[2].

❖ المُلاَحَظَةُ العَاشِرَةُ:

○ قَوْلُهُ - سدّده الله-: «وَلَمْ تُعْرَفْ نِسْبَتُهَا لأَحَدٍ غَيْرِهِ»!

□ **فَنَقُولُ:** بَلَى عُرِفَتْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ ذَلِكَ - آنفاً -، وَنَزِيدُ قَائِلِينَ:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ فِي (٧/ ٣١٢) -بعد عزْوِهِ- هذِهِ الكَلِمَةَ لابْنِ عَبَّاسٍ

---

(١) وَالنَّصُّ الأَخِيرُ للإمام أحمدَ -في «مُسْنَدِهِ» (٤/ ٢٨٦)، وَهُوَ مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٧٠٤) لِشَيْخِنَا - رَحِمَهُ اللهُ -.

(٢) «أضواء البيان» (٣/ ٣٦١).

(وأَصْحَابِهِ)-:

«وَقَدْ اتَّبَعَهُمْ عَلَى ذلِكَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ».

وَقَالَ فِي (٧/ ٥٢٢) -مشيراً إلى القَوْلِ - نَفْسِهِ -: «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ..».

وَكَذَا فِي (١١/ ١٤٠) - مِنْهُ -.

ثُمَّ قَالَ (٧/ ٥٢٢):

«وَقَدْ ذَكَرَ ذلِكَ أَحْمَدُ، وَالبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُمَا».

وقال في (٧/ ٦٧) -بعد سياقه القولَ - نفسَهُ -: «وكذلك قال أهلُ السُّنَّة؛ كأحمدَ بن حنبلٍ وغيره...».

وَقَالَ فِي (٧/ ٣٥٥): «وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ».

بل قال -رحمه الله- في (٧ / ٣٥٠): «وهذا قولُ عامّة السَّلف».

نَقُولُ:

وَمن هذا -أيضاً- تَبْوِيبُ الإِمَامِ البُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ» [1]:

«بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ، وَكُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ».

وَقَدْ نَقَلَ الحَافِظُ فِي «الفَتْحِ» (١/ ٨٣) عَنِ القَاضِي ابْنِ العَرَبِيِّ المَالِكِيِّ قَوْلَهُ:

«مُرَادُ المُصَنِّفِ [-البُخَارِي-] أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الطَّاعَاتِ كَمَا تُسَمَّى إِيمَاناً كَذلِكَ المَعَاصِي تُسَمَّى كُفْراً؛ لَكِنْ حَيْثُ يُطْلَقُ عَلَيْهَا الكُفْرُ: لاَ يُرَادُ الكُفْرُ المُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ».

---

(١) ونَنبِّه -هنا- على أنّ الأُمّةَ كُلَّها تلقّت «صحيح البخاري» بالقَبُولِ؛ سواءٌ في أحاديثه، أو تبويباته -التي عُدّت من محاسنه وغُرَرِه -رحمه الله-، سوى حروفٍ منه...

ولو كان هذا منتقداً لبيّنه أهلُ العلم، وكشفوه...

فَهَلْ يُقَالُ - بَعْدَ هذَا كُلِّه -:

«لَمْ تُعْرَفْ نِسْبَتُهَا لأَحَدٍ غَيْرِهِ»؟!

وَهَلْ القَوْمُ إلاَّ هَؤلاَءِ؟!

❖ المُلاَحَظَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ:

○ وَهِيَ قَوْلُهُ - سَدَّدَهُ اللهُ -: (وَهِيَ مَسْأَلَةٌ جَلِيلَةٌ خَطِيرَةٌ، مَا كَانَ لِلْوَحْيِ أَنْ يَدَعَهَا لاِجْتِهَادِ مُجْتَهِدٍ، أَوْ لِتَأْوِيلِ مُتَأَوِّلٍ...)!

□ نَقُولُ: فَهَلْ مَعْنَى هذَا أَنَّ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ - فِي المَسْأَلَةِ - مَبْنِيٌّ عَلَى مَحْضِ الاجْتِهَادِ، وَقَائِمٌ عَلَى عَيْنِ التَّأْوِيلِ؟!

وَهَلْ مَرْمَى هذَا أَنَّهُ لَمْ يُصِبْ فِيهِ، أَوْ أَنَّهُ أَخْطَأَ الحَقَّ بِهِ؟!

وَمَا هُوَ الحَقُّ المُقَابِلُ لذلك؟!

وَمَنِ القَائِلُ بِهِ من أئمة السَّلَف؟!

وَمَا هِيَ مَنْزِلَتُهُ؟!

وَمَا هِيَ قِيمَةُ مُخَالَفَتِهِ؟!

وَمَتَى عُرِفَتْ؟!

وَكَيْفَ؟!

وَرَحِمَ اللهُ شَيْخَ الإسْلاَمِ - القَائِلَ - فِي «مُقَدِّمَتِهِ فِي أُصُولِ التَّفْسِيرِ» (ص ١٢٢-١٢٧) بِشَرْحِ أُستاذِنا الشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِين):

«فَإنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَالأَئِمَّةَ إذَا كَانَ لَهُمْ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ قَوْلٌ وَجَاءَ قَوْمٌ فَسَّرُوا الآيَةَ بِقَوْلٍ آخَرَ -لأَجْلِ مَذْهَبٍ اعْتَقَدُوهُ- وَذَلِكَ المَذْهَبُ لَيْسَ مِنْ مَذَاهِبِ

الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ-: صَارُوا مُشَارِكِينَ لِلْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ فِي مِثْلِ هذَا.

وَفِي الجُمْلَةِ؛ مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذٰلِكَ: كَانَ مُخْطِئاً فِي ذٰلِكَ، بَلْ مُبْتَدِعاً، وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِداً مَغْفُوراً لَهُ خَطَؤُهُ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ القُرْآنَ قَرَأَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَتَابِعُوهُمْ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِتَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ؛ كَمَا أَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِالحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ؛ فَمَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَفَسَّرَ القُرْآنَ بِخِلَافِ تَفْسِيرِهِمْ: فَقَدْ أَخْطَأَ فِي الدَّلِيلِ وَالمَدْلُولِ جَمِيعاً.

وَالمَقْصُودُ هُنَا: التَّنْبِيهُ عَلَى مَثَارِ الاخْتِلَافِ فِي التَّفْسِيرِ، وَأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهِ البِدَعُ البَاطِلَةُ الَّتِي دَعَتْ أَهْلَهَا إِلَى أَنْ حَرَّفُوا الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَفَسَّرُوا كَلَامَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِغَيْرِ مَا أُرِيدَ بِهِ، وَتَأَوَّلُوهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ.

فَمِنْ أُصُولِ العِلْمِ بِذٰلِكَ أَنْ يَعْلَمَ الإِنْسَانُ القَوْلَ الَّذِي خَالَفُوهُ وَأَنَّهُ الحَقُّ.

وَأَنْ يَعْرِفَ أَنَّ تَفْسِيرَ السَّلَفِ يُخَالِفُ تَفْسِيرَهُمْ، وَأَنْ يَعْرِفَ أَنَّ تَفْسِيرَهُمْ مُحْدَثٌ مُبْتَدَعٌ، ثُمَّ أَنْ يَعْرِفَ بِالطُّرُقِ المُفَصَّلَةِ فَسَادَ تَفْسِيرِهِمْ -بِمَا نَصَبَهُ اللهُ مِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى بَيَانِ الحَقِّ-».

وقال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٣٦):

«ومَن آتاه اللهُ عِلماً؛ عَلِم أنّه لا يكونُ عند المتأخّرين من التحقيقِ، إلاّ ما هو دونَ تحقيقِ السَّلفِ -لا في العِلْم ولا في العَمَل-.

ومَن كان له خِبْرَةٌ بالنظرياتِ، والعقلياتِ، وبالعَمليّات: علم أنّ مذهبَ الصحابةِ دائماً أرجحُ من قولِ مَنْ بَعْدَهم، وأنّه لا يبتدعُ أحدٌ قولاً في الإسلام إلاّ كان خطأً، وكان الصوابُ قد سَبَقَ إليه مَنْ قبلَه».

نَقُولُ: وَلَيْسَ بَعْدَ هذَا القولِ مِنْ كَلَامٍ، وَالمُخَالِفُ لَهُ هُوَ المُؤَاخَذُ المُلَامُ...

وَالسَّلَامُ!

❖ **المُلاحَظَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:**

○ قَوْلُهُ (ص ١٩١):

«أنَّ هذَا التَّفْرِيقَ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ؛ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَحْكُمْ فِيهِ حُكْماً لاَ يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ، وَذلِكَ قَوْلُهُ: «مَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، وَلَمْ يَكُنْ لِهذَا الحُكْمِ مَولِجٌ لِشُبْهَةٍ دَافِعَةٍ لِصَرِيحِ هذَا الحُكْمِ، وَلَوْ كَانَ لِهذِهِ الشُّبْهَةِ -مِنْ سَبِيلٍ لِدَفعِه- لأَغْنَانَا عَنْهَا شَيءٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ -سُبْحَانَهُ- يُقْضَى بِهِ، أَمَا وَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ أَحَبَّ اللهُ أَنْ يَكُونَ، فَخَيْرٌ لَنَا أَنْ نُمْسِكَ عَنْهُ وَلاَ نَتَخَوَّضَ فِيهِ، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾».

□ فَنَقُولُ: وَهَلْ ثَمَّتَ خِلاَفٌ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» -بِذَاتِهِ وروايتِه-؟!

وَهَلْ مَحَلُّ الخِلاَفِ إلاَّ (فهمُهُ) ودرايتُهُ هُوَ؟!

وَهَلْ يُقَالُ عَنْ هذَا الحُكْمِ: «**لاَ يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ**»؟!

فَلَوْ كَانَ كَذلِكَ -حقّاً- لَمَا وُجِدَ هذَا الاخْتِلاَفُ (**الَّذِي اشْتَجَرَتْ بِهِ العُقُولُ**) -مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ-!

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَوْضِعُ اشْتِبَاهٍ -بل مواضعُ- **لَمَا حَصَلَ فِيهِ هذَا الأَخْذُ وَالرَّدُّ - قَدِيماً وَحَدِيثاً -!**

بَلْ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ كَذلِكَ لَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ قَوْلُ القَائِلِ - نَفْسِهِ - وَلَمَا غَيَّرَ وبَدَّلَ[1]**؟!**

ثُمَّ: **أَلَيْسَتْ الأَحْكَامُ الأُخْرَى - فِي غَيْرِهِ - أَيْضاً - كَمِثْلِهِ**، حَتَّى يُقَالَ: (لاَ تَقْبَلُ التَّأْوِيلَ)؟!

وهي جميعاً (**اللفظُ فيها -بسياقه وسباقِه - دالٌّ على ذاتِه بذاتِه**)[2]!!

---

(١) ولكنْ؛ كيف؟ ولماذا؟ (٢) كما قال -هو- في كتابه -نفسه- (١٧٦).

وَمَا الَّذِي جعَلَ هذِهِ تُقْبَلُ، وَهذَا لاَ يُقْبَلُ؟!

فنقولُ -حقّاً-: (فخيرٌ لنا أن نمسك عنه، ولا نَتَخَوّضَ فيه)!!

❖ الملاحظة الثالثة عشرة:

○ قَوْلُهُ (ص١٩١):

«إنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- قَدْ فَصَّلَ لَنَا فِي كِتَابِهِ، وَفِيمَا أُوْحى إِلَى نَبِيِّهِ مِنْ حِكْمَتِهِ، مِنَ الفَوَاصِلِ المُوَضّحَةِ مَا بَين الإِيمَانِ وَمَا بَين الكُفْرِ، ولَمْ يَجْعَلْ فِيهَا شَيْئاً يُبْهِمُهَا، أَوْ يُلْبِسُهَا بِشُبْهَةٍ تَنْقُصُ مِنْ صَرِيحِهَا، أَوْ تَنْقُضُ شَيْئاً مِنْ صَوَابِهَا.

فَلِمَاذَا لَمْ يُوحِ رَبُّنَا - سُبْحَانَهُ - إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ بِشَيءٍ يُمَازُ فِيهِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ، وَيَسْتَبِينُ فِيهِ وَجْهُ الحَقِّ لَوْ كَانَ الكُفْرُ بِتَرْكِ الصَّلاَةِ مَعْنىً غَيْرَ المُخَلَّدِ فِي النَّارِ؟! [1] وَهُوَ مَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَيْهِ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً -؟!».

□ فَنَقُولُ:

هَلاَّ قَالَ فضيلَةُ الشيخِ -هذَا الكلامَ- فِي غَيْرِهِ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا الحُكْمُ نَفْسُهُ؟!

ولماذا لا يُقَالُ -فيها -كلِّها-: (اللَّفْظُ فيها - بِسِيَاقِهِ وَسِبَاقِهِ - دالٌّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِه)؟!

كَمَا قَالَ الشَّيْخُ - نَفْسُهُ - (ص١٧٦) - فِي مِثْلِ هذَا -!

وَمَا هِيَ النَّتِيجَةُ الحَتْمِيَّةُ لِهذِهِ المُسَاوَاةِ؟!

بل؛ هَل السؤال -هكذا؛ كسؤال الشيخ- جائزٌ شرعاً؟!

﴿لا مُعقِّب لِحكْمِهِ﴾، ﴿لا يُسأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلون﴾.

---

(١) انظر ما تقدّم (ص٥٥) من نَفْيه التخليدَ في النار!!

وَإِنَّنَا نَقُولُ - هُنَا - بِوُضُوحٍ:

لاَ يَزَالُ إِجْمَاعُ الأُمَّةِ (العَمَلِيُّ) قَائماً -مُتَوَاتِراً-: عَلَى عَدَمِ التَّكْفِيرِ لِتَارِكِ الصَّلاَةِ، فَضْلاً عَنْ تَرْتِيبِ أَحْكَامِ الرِّدَّةِ عَلَيْهِ - وَهذَا صَرِيحُ كَلاَمِ شَيْخِ الإِسْلاَمِ وابن قُدامة- فِيمَا تَقَدَّمَ عَنْهما - إِلَى أَيَّامِنَا هذِهِ!

وإلاّ؛ فأينَ يُوجَدَ -أو وُجِدَ- شيءٌ من ذلك في ديارِ الإسلامِ -كلِّها-؛ بطولها وعرضها؛ بدءاً من (الضِّفَّتين)، ومروراً ببلاد الحَرَمين، والبَحْرين... إلى ما وراء النهرين؟!

أَمَّا دَعْوَى الإِجْمَاعِ؛ فَهِيَ مَرْدُودَةٌ - بِمَا سَبَقَ - مِرَاراً -؛ فَلاَ نُعِيدُ.

❖ المُلاَحَظَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:

○ قَوْلُهُ (ص ١٩١- ١٩٢):

«وَإِذَا حَكَمْنَا بِكُفْرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ - وَهُوَ الحَقُّ - إِنْ شَاءَ اللهُ - فَإِنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَى مَوْتِهِ مِنَ الأَحْكَامِ **مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى مَوْتِ الكَافِرِ، سَواءً بِسَوَاءٍ»!**

□ فَالجَوَابُ:

قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ خِلاَفِ هذَا - **بِتَفْصِيلٍ وَتَأْصِيلٍ** - مِنْ كَلاَمِ ابْنِ المُبَارَكِ، وابن تيميّة، وَابْنِ قُدَامَةَ، وَغَيْرِهِمْ!

فَالأَصْلُ: التَّأَنِّي فِي هذَا - جِداً - (لِئَلاَّ يُفْتَحَ بَابٌ مِنَ الشَّرِّ، يَصْعُبُ غَلْقُهُ مِنْ بَعْدُ، وَأَنْ يَكُونَ الخَطَأُ فِي صِيَانَةِ الدِّمَاءِ؛ خَيْراً -وَلاَ بُدَّ- مِنْ أَنْ يَكُونَ الخَطَأُ فِي إِصَابَةِ الدِّمَاءِ)!

كَمَا قَالَ الشَّيْخُ - نَفْسُهُ - (ص ١٨٨).

وكَيْفَ لاَ يَكُونُ مثلُ هذا وَاقِعاً وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ -فِيمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ-: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»؟! وهل تاركُ الصلاة -عند الشيخ- إلا هكذا

وصفُهُ، وهكذا مآلُهُ؟![1]

❖ المُلاحظةُ الخامسةَ عشْرَةَ:

○ قَوْلُهُ (ص ١٩٢):

«عَلَى فَرْضِ صِحَّةِ أثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ وَصْفٌ لِوَاقِعَةِ عَيْنٍ لاَ يَجُوزُ تَعْدِيَتُهَا إِلَى غَيْرِهَا؛ إِلاَّ إِلَى مَا يُمَاثِلُهَا مِنْ وَقَائِعَ».

□ نَقُولُ:

أَوَّلاً: عُدْنَا إِلَى التَّشْكِيكِ -عَاشِراً!- بِصِحَّةِ أَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ -حَقِيقَةً- فَوْقَ الشُّبُهَاتِ -رِوَايَةً وَدِرَايَةً-.

ثانياً: قَالَ الشَّيْخُ -سَدَّدَهُ اللهُ- فِي كِتَابٍ آخَرَ -له- (ص ٧٨) -فِي هذَا السِّيَاقِ - ذَاتِهِ -:

«وَمَعْلُومٌ أَنَّ العِبْرَةَ لَيْسَتْ بِخُصُوصِ السَّبَبِ؛ بَلْ بِعُمُومِ اللَّفْظِ- وَهذِهِ قَاعِدَةٌ مَعْلُومَةٌ».

وهذا من المُقرَّر المُحرَّر عند أهل العلم -طُلاَّباً، وعُلَماءَ-.

ثالثاً: صَارَ هذَا الأَثَرُ الذَّهَبِيُّ قَاعِدَةً عِلْمِيَّةً أَمِينَةً عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَصَفْوَةِ الأَئِمَّةِ؛ بِهَا عَلَى أَهْلِ البِدَعِ يَرُدُّونَ، وَمِنْ صَفَائِهَا لأُصُولِ العِلْمِ يُقَعِّدُونَ؛ وَذلِكَ فِي بَابِ المَعَاصِي الَّتِي وُصِفَتْ بِالكُفْرِ دُونَ أَنْ تَكُونَ كُفْراً مَحْضاً -كَمَا تَقَدَّمَ نَقْلُهُ عَنْ ابْنِ القَيِّمِ-.

وَنَزِيدُ -هُنَا- النَّقْلَ عَنِ «الإِمَامِ المشهور، الذي هو أعلمُ أهلِ زمانِهِ

(١) وانظر ما تقدّم (ص٦٢) من كلام شيخ الإسلام في النتائج المُترتّبة على مَن يُحكم عليه بأنّه: (كافر)!

(٢) كذا وصفه شيخ الإسلام في: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢١٦).

بالإجماع والاختلاف»[٢] مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ المَرْوَزِي -المُتَوَفَّى سَنَةَ (٣٩٤هـ)- فِي كِتَابِهِ «تَعْظِيم قَدْرِ الصَّلاَةِ» (٢/ ٥١٧- ٥٢٧)، حَيْثُ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ- بَعْدَ كَلاَمٍ -نَقْلاً عَنْ طَوَائِفَ مِنْ أَصْحَابِ الحَدِيثِ-:

«الكُفْرُ كُفْرَانِ: كُفْرٌ هُوَ جَحْدٌ بِاللهِ وَبِمَا قَالَ، فَذَلِكَ ضِدُّهُ الإِقْرَارُ بِاللهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِهِ وَبِمَا قَالَ، وَكُفْرٌ هُوَ عَمَلٌ ضِدُّ الإِيمَانِ الَّذِي هُوَ عَمَلٌ: أَلاَ تَرَى مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»، قَالُوا: فَإِذَا لَمْ يُؤْمِنْ فَقَدْ كَفَرَ! **وَلاَ يَجُوزُ غَيْرُ ذَلِكَ إِلاَّ أَنَّهُ كُفْرٌ مِنْ جِهَةِ العَمَلِ إِذْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ جِهَةِ العَمَلِ**؛ لأَنَّهُ لاَ يُضَيِّعُ المُفْتَرَضَ عَلَيْهِ، وَيركبُ الكبائرَ إِلاَّ مِنْ خَوْفِهِ؛ وَإِنَّمَا يَقِلُّ خَوْفُهُ مِنْ قِلَّةِ تَعْظِيمِهِ للهِ، وَوَعِيدِهِ؛ فَقَدْ تَرَكَ مِنَ الإِيمَانِ التَّعْظِيمَ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ الخَوْفُ، وَالوَرَعُ من الخَوْفِ، فَأَقْسَمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ: «لاَ يُؤْمِنُ إِذَا لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

ثُمَّ قَدْ رَوَى جَمَاعَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «قِتَالُ المُسْلِمِ كُفْرٌ»، وَأَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَالَ المُسْلِمُ لأَخِيهِ: «يَا كَافِر» وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَقَدْ بَاءَ بِالكُفْرِ»، فَقَدْ سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِهِ أَخَاهُ كَافِراً، وَبِقَوْلِهِ لَهُ: يَا كَافِر؛ كَافِراً، وَهَذِهِ الكَلِمَةُ دُونَ الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الخَمْرِ.

قَالُوا: وَأَمَّا قَوْلُ مَنِ احْتَجَّ عَلَيْنَا، فَزَعَمَ أَنَّا إِذَا سَمَّيْنَاهُ كَافِراً، لَزِمَنَا أَنْ نَحْكُمَ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الكَافِرِينَ بِاللهِ، فَنَسْتَتِيبَهُ، وَنُبْطِلَ الحُدُودَ عَنْهُ؛ لأَنَّهُ إِذَا كَفَرَ، فَقَدْ زَالَتْ عَنْهُ أَحْكَامُ المُؤْمِنِينَ، وَحُدُودُهُمْ، وَفِي ذَلِكَ إِسْقَاطُ الحُدُودِ وَأَحْكَامِ المُؤْمِنِينَ عَنْ كُلِّ مَنْ أَتَى كَبِيرَةً، فَإِنَّا لَمْ نَذْهَبْ فِي ذَلِكَ إِلَى حَيْثُ ذَهَبُوا، وَلَكِنَّا نَقُولُ:

لِلإِيمَانِ أَصْلٌ وَفَرْعٌ، وَضِدُّ الإِيمَانِ الكُفْرُ فِي كُلِّ مَعْنًى، فَأَصْلُ الإِيمَانِ: الإِقْرَارُ، وَالتَّصْدِيقُ، وَفَرْعُهُ إِكْمَالُ العَمَلِ بِالقَلْبِ[١] وَالبَدَنِ، فَضِدُّ الإِقْرَارِ وَالتَّصْدِيقِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الإِيمَانِ: الكُفْرُ بِاللهِ، وَبِمَا قَالَ، وَتَرْكُ التَّصْدِيقِ بِهِ، وَلَهُ.

---

(١) انظر ما يوضّح هذا (ص١٠١-١٠٢).

وَضِدُّ الإِيمَانِ الَّذِي هُوَ عَمَلٌ -ولَيْس هُوَ إِقْراراً- كُفْرٌ، لَيْس بِكُفْرٍ بِاللهِ يَنقُلُ عَنِ المِلَّةِ، ولَكِنْ كُفْرٌ يُضَيِّعُ العَمَلَ؛ كَمَا كَانَ العَمَلُ إِيمَاناً، ولَيْس هُوَ الإِيمَانَ الَّذِي هُوَ إِقْرَارٌ بِاللهِ؛ فَكَمَا كَانَ مَنْ تَرَكَ الإِيمَانَ الَّذِي هُوَ إِقْرَارٌ بِاللهِ كَافِراً يُسْتَتَابُ، وَمَنْ تَرَكَ الإِيمَانَ الَّذِي هُوَ عَمَلٌ مِثْلُ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَالصَّوْمِ، أَوْ تَرَكَ الوَرَعَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ، وَالزِّنَا، فَقَدْ زَالَ عَنْهُ بَعْضُ الإِيمَانِ، وَلاَ يَجِبُ أَنْ يُسْتَتَابَ عِنْدَنَا، وَلاَ عِنْدَ مَنْ خَالَفَنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَهْلِ البِدَعِ مِمَّنْ قَالَ: إِنَّ الإِيمَانَ تَصْدِيقٌ وَعَمَلٌ؛ إِلاَّ الخَوَارِجُ وَحْدَهَا، فَكَذَلِكَ لاَ يَجِبُ بِقَوْلِنَا: كَافِرٌ- مِنْ جِهَةِ تَضْيِيعِ العَمَلِ - أَنْ يُسْتَتَابَ، وَلاَ يَزُولَ عَنْهُ الحُدُودُ، وَكَمَا لَمْ يَكُنْ بِزَوَالِ الإِيمَانِ الَّذِي هُوَ عَمَلٌ اسْتِتَابَتُهُ، وَلاَ إِزَالَةُ الحُدُودِ عَنْهُ، إِذْ لَمْ يَزُلْ أَصْلُ الإِيمَانِ عَنْهُ، فَكَذلِكَ لاَ يَجِبُ عَلَيْنَا اسْتِتَابَتُهُ، وَإِزَالَةُ الحُدُودِ، وَالأَحْكَامِ عَنْهُ بِإِثْبَاتِنَا لَهُ اسْمَ الكُفْرِ مِنْ قِبَلِ العَمَلِ، إِذْ لَمْ يَأْتِ بِأَصْلِ الكُفْرِ الَّذِي هُوَ جَحْدٌ بِاللهِ، أَوْ بِمَا قَالَ.

قَالُوا: وَلَمَّا كَانَ العِلْمُ بِاللهِ إِيمَاناً، وَالجَهْلُ بِهِ كُفْراً، وَكَانَ العَمَلُ بِالفَرَائِضِ إِيمَاناً، وَالجَهْلُ بِهَا قَبْلَ نُزُولِهَا لَيْس بِكُفْرٍ، وَبَعْدَ نُزُولِهَا مَنْ لَمْ يَعْمَلْهَا لَيْس بِكُفْرٍ؛ لأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ أَقَرُّوا بِاللهِ فِي أَوَّلِ مَا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَعْمَلُوا الفَرَائِضَ الَّتِي افْتُرِضَتْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذلِكَ، فَلَمْ يَكُنْ جَهْلُهُمْ ذلِكَ كُفْراً، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ هذِهِ الفَرَائِضَ، فَكَانَ إِقْرَارُهُمْ بِهَا وَالقِيَامُ بِهَا إِيمَاناً؛ وَإِنَّمَا يَكْفُرُ مَنْ جَحَدَهَا لِتَكْذِيبِهِ خَبَرَ اللهِ، وَلَوْ لَمْ يَأْتِ خَبَرٌ مِنَ اللهِ، مَا كَانَ بِجَهْلِهَا كَافِراً، وَبَعْدَ مَجِيءِ الخَبَرِ، مَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِالخَبَرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، لَمْ يَكُنْ بِجَهْلِهَا كَافِراً، وَالجَهْلُ بِاللهِ فِي كُلِّ حَالٍ كُفْرٌ قَبْلَ الخَبَرِ، وَبَعْدَ الخَبَرِ.

قَالُوا: فَمِنْ ثَمَّ قُلْنَا: إِنَّ تَرْكَ التَّصْدِيقِ بِاللهِ كُفْرٌ بِهِ، وَإِنَّ تَرْكَ الفَرَائِضِ مَعَ تَصْدِيقِ اللهِ أَنَّهُ أَوْجَبَهَا كُفْرٌ، لَيْس بِكُفْرٍ بِاللهِ؛ إِنَّمَا هُوَ كُفْرٌ مِنْ جِهَةِ تَرْكِ الحَقِّ؛ كَمَا يَقُولُ القَائِلُ: كَفَرْتَنِي حَقِّي وَنِعْمَتِي، يُرِيدُ: ضَيَّعْتَ حَقِّي، وَضَيَّعْتَ شُكْرَ نِعْمَتِي.

قَالُوا: وَلَنَا فِي هذَا قُدْوَةٌ بِمَنْ رُوِيَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالتَّابِعِينَ، إِذْ جَعَلُوا لِلْكُفْرِ فُرُوعاً، دُونَ أَصْلِهِ، لاَ تَنْقُلُ صَاحِبَهُ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ؛ كَمَا ثَبَتُوا لِلإِيمَانِ مِنْ جِهَةِ العَمَلِ فَرْعاً لِلأَصْلِ، لاَ يَنْقُلُ تَرْكُهُ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾...».

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ- بعد سياقه أسانيدَ كلمةِ ابن عباس: «**كُفرٌ دون كفرٍ**» وألفاظها-:

«**قَالُوا: وَكَذَلِكَ الفِسْقُ فِسْقَانِ: فِسْقٌ يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ، وَفِسْقٌ لاَ يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ**، فَيُسَمَّى الكَافِرُ فَاسِقاً، وَالفَاسِقُ مِنَ المُسْلِمِينَ فَاسِقاً، ذَكَرَ اللهُ إِبْلِيسَ، فَقَالَ: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، وَكَانَ ذَلِكَ الفِسْقُ مِنْهُ كُفْراً.

وَقَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا، فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ يُرِيدُ الكُفَّارَ؛ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

وَسَمَّى القَاذِفَ مِنَ المُسْلِمِينَ فَاسِقاً، وَلَمْ يُخْرِجْهُ من الإِسْلاَمِ؛ قَالَ اللهُ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾.

وَقَالَ اللهُ: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ﴾.

فَقَالَتِ العُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِ الفُسُوقِ -هَهُنَا-: هِيَ المَعَاصِي.

قَالُوا: فَكَمَا كَانَ الظُّلْمُ ظُلْمَيْنِ، وَالفُسُوقُ فِسْقَيْنِ، **كَذَلِكَ الكُفْرُ كُفْرَانِ: أَحَدُهُمَا: يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ، والآخر لا ينقلُ عنها، فكذلك الشركُ شركانِ: شركٌ في التوحيدِ ينقلُ عن الملّةِ، وشركٌ في العَمَلِ**[1] **لا ينقلُ عنِ المِلَّةِ**، وَهُوَ الرِّيَاءُ،

(١) وهو -أيضاً- من شرك التوحيد؛ لكنْ في فروعهِ، وأما شرك التوحيد الذي ذكره المروزيّ -أولاً-؛ فيجب أن يُحْمَلَ -لزوماً- على الشرك في أصل التوحيد.

قَالَ اللهُ - جَلَّ وَعَزَّ -: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾، يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمُرَاءَاةَ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: **فَهذَانِ مَذْهَبَانِ؛ هُمَا فِي الْجُمْلَةِ محكِيَّانِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ فِي مُوافِقِيهِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ»**.

نَقُولُ: **وَقَدْ نَقَلَ هذَا الْكَلاَمَ** -بطوله- **مُقِرّاً لَهُ - مُوافِقاً إِيَّاهُ - شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تيميَّةَ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٣٢٣- ٣٢٩)**.

وَلاَ عِطْرَ بَعْدَ عَرُوس، وَلِلْحَقِّ تَذِلُّ رُؤُوس...

❖ المُلاَحَظَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ:

○ قَوْلُهُ (ص ١٩٢- ١٩٣):

«وَالنَّاظِرُ الْمُتَأَمِّلُ فِي هذِهِ الكَلِمَةِ يَعْلَمُ أَنَّ مُرَادَ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- **بَعِيدٌ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَوِّلُوهَا عَلَى مَا ذَاعَ وَانْتَشَرَ**، فَيَكُونُ الْمَعْنَى -وَاللهُ أَعْلَمُ -؛ **إِنْ صَحَّتْ نِسْبَةُ** هذِهِ الْمَقُولَةِ لابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-:

أَنَّهُمْ كَفَرُوا - بِصَنِيعِهِمْ بِصَاحِبِهِمْ هذَا - كُفْرَيْنِ اثْنَيْنِ: **كُفْراً أَدْنَى، وَكُفْراً أَعْلَى**، والكُفْرُ الأَعْلَى - وَهُوَ كُفْرُهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ - لاَ يُسَاوِيهِ كُفْرُهُمْ بِإِنْكَارِهِمْ حُكْمَ التَّوْرَاةِ - وَهُوَ القَتْلُ لِلزَّانِي -؛ بَلْ لاَ يُعَدُّ كُفْراً إِلاَّ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ جُحُودٌ مِنْ حَيْثُ إِخْفَاؤُهُمْ ذلِكَ الْحَدَّ».

☐ فَنَقُولُ:

أَوْلاً: عُدْنَا -لِلْمَرَّةِ العَاشِرَةِ!!- إِلَى التَّشْكِيكِ بِصِحَّةِ إِسْنَادِ أَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ!!

ونُكَرِّرُ - لِلْمَرَّةِ العَاشِرَةِ - أَيْضاً - أَنَّهُ - بِأَسَانِيدِهِ الصَّحِيحَةِ، وَبِاعْتِمَادَاتِ العُلَمَاءِ عَلَيْهِ - الصَّرِيحَةِ - فَوْقَ أَيِّ شُبْهَةٍ - صَغِيرَةً كَانَتْ أَمْ كَبِيرَةً -.

ثَانِياً: مَاذَا نَفْعَلُ بِالأَلْفَاظِ الأُخْرَى الوَارِدَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي المقولةِ -الذهبيّة- نَفْسِهَا -مِمّا يوضّحُها، ويكشفُ أدنى غموضٍ فيها-؟!

كَمِثْلِ قَوْلِهِ: «هِيَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كُفْراً بِاللهِ..».

وَقَوْلِهِ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِالكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ..».

وَقَوْلِهِ: «إِنَّهُ لَيْسَ كُفْراً يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ..».

وَقَوْلِهِ: «مَنْ جَحَدَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فَقَدْ كَفَرَ..».

نَقُولُ: وَهِيَ نُصُوصٌ تُغْنِينَا عَنْ أَيِّ اجْتِهَادٍ، وَأَيِّ تَأْوِيلٍ - بَلْ تَعْطِيلٍ -!

فضلاً عن أن يُتَحَوَّل (بمراد) ابنِ عبّاسٍ إلى ضِدِّه!!

ثَالِثاً: جَعْلُ الكُفْرِ (الأعلى) هُوَ الكُفْرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَجَعْلُ الكُفْرِ (الأدنى) هُوَ جحودَهم الحُكْمَ: مُغَالَطَةٌ بَيِّنَةٌ:

فَهذَانِ أَمْرَانِ لاَ يُخْتَلَفُ فِيهِمَا، وَلاَ يُشْكِلُ عَلَى أَدْنَى العُقُولِ النَّظَرُ بِهِمَا!

وَلَكِنْ؛ هَلْ هذَانِ الكُفْرَانِ (أَدْنَاهُمَا وَأَعْلاَهُمَا) هُمَا مَوْضِعُ الخِلاَفِ -الأساس- فِي تَفْسِيرِ أَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ؟!

أَمْ أَنَّ الكَلاَمَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُهُ، أَمْ لاَ يَكْفُرُ؟!

فَتَفْسِيرُ أَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ - عَلَى (اجْتِهَادِ) الشَّيْخِ وَ (تَأْوِيلِهِ) - إِخْرَاجٌ لَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَإِدْخَالٌ لَهُ فِي غَيْرِ بَابِهِ، وَفَهْمٌ له على غير (مُرادهِ)، وَإِبْعَادٌ لَهُ عَنْ دَائِرَتِهِ الوَاجِبِ وُجُودُهُ فِيهَا...

فَلْيُتَأَمَّل ذلك جيداً...

❖ **المُلاحَظَةُ السابِعَةَ عشْرَةَ:**

○ ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ الكاتبُ (ص١٩٣- ١٩٤):

«أَحْسَبُ مَنْ يَفْهَمُ هذِهِ المَقُولَةَ لابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى غَيْرِ هذَا المَعْنَى **مُخْطِئاً فِي** فَهْمِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَالحَقِّ».

ثُمَّ عَلَّقَ - فِي الحَاشِيَةِ - بِقَوْلِهِ:

«وَمِنْ **أَحْسَنِ مَا قَرَأْتُ** فِي مَسْأَلَتِي الإِيمَانِ وَالكُفْرِ كِتَابُ: «التِّبْيَانُ لِعَلاَقَةِ العَمَلِ بِمُسَمَّى الإِيمَانِ» لِمُؤَلِّفِهِ الابْنِ: عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَلِيفَةَ آل سُوف، المُكَنَّى بِأَبِي مُعَاوِيَةَ، **اسْتَوْفَى مَسَائِلَهُ مِنْ أَقْوَالِ شَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** - رَحِمَهُ اللهُ -، وَأَلَّفَ بينها تَأْليفاً موفَّقاً، أَوْفَى بِهِ عَلَى الغَايَةِ، **أَنْصَحُ الجَمِيعَ بِقِرَاءَتِهِ**».

□ فَالجَوَابُ مِنْ وَجْهَين:

أَوْلاً: لَوْ عُكِسَ هذَا (الحُسْبَانُ) عَلَى قَائِلِهِ - مُؤَيَّداً بِمَا سَبَقَ مِنَ قوِيِّ الدَّلاَئِلِ، وَبِمَا تَقَدَّمَ مِنَ وَاضِحِ المَسَائِلِ - لَكَانَ هُوَ الأَقْرَبَ إِلَى (الصَّوَابِ وَالحَقِّ) وَالقَوْلَ الأَحَقَّ...

ثَانِياً: الكِتَابُ المَعْزُوُّ إِلَيْهِ -فِي الحَاشِيَةِ- كِتَابٌ واهنُ القولِ، ضَعِيفُ المَأْخَذِ، وَاهِي الفِكْرَةِ، بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ.

وَلَقَدْ نَاقَشَ بعضٌ مِنّا كاتِبَهُ -أَمَامَ بَعْضِ طَلَبَةِ العلمِ- وَقَدْ كَانَ فِي زِيَارَةٍ لِبَلَدِنَا - فِي أَهَمِّ مَسَائِلِهِ وأدقِّها؛ فَكَانَ مِنْهُ - وَفَّقَهُ اللهُ لِمَزِيدٍ مِنَ الحَقِّ وَالخَيْرِ - أَنْ كَبَحَ مِنْ نَفْسِهِ - بِنَفْسِهِ - جِمَاحَ نَفْسِهِ، وَتَأَنَّى فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ؛ **حَتَّى ظَهَرَ مِنْهُ -والحمدُ لله- أو كادَ- مَوْقِفُ المُتَوَقِّفِ...**

ثُمَّ أَرْسَلَ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ سَفَرِهِ - عَبْرَ (الرَّاسِلِ / الفَاكْس) عَزْواً لِكَلاَمٍ لِشَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (ظَنَّ) أَنَّه يَنْصُرُ قَوْلَهُ، يَعْضُدُ بِهِ رَأْيَهُ (الأَوَّل) -وَهُوَ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (١٤/ ١٢١)-؛ **لننظرَ فيهِ ونُراجعَهُ!**

وَلَوْ أَنَّهُ -أَصْلَحَهُ اللهُ- نَظَرَ فِي (٧/ ١٤٨ و٢٩٤ و٤٤٨ و٥١٣ و٥٢٢ و٥٨٠ و٦٣٨ و٦٤٤) -منه- لَمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ ذَاكَ الكَلامُ الجليل؛ لاَ فِي كَثِيرٍ وَلاَ فِي قَلِيل..

والذي (يغلب) على الظنّ؛ أَنَّ الأَخَ المَذْكُورَ - أَصْلَحَهُ اللهُ - تَنَاوَلَ عَدَداً من المَسَائِلِ المَنْقُولَةِ عَنْ شَيْخِ الإِسْلاَمِ - فِي كِتَابِهِ - مِنْ كِتَابِ «ظَاهِرَةِ الإِرْجَاءِ»[1] لِسَفَرِ الحَوَالِي - بِعُجَرِهِ وبُجَرِهِ-، والله أعلمُ.

وَ (لَعَلَّهُ) -مِنْ أَجْلِ ذَا-: فَاتَهُ -أَوْ فُوِّت عليه!- الكَثِيرُ الكَثِيرُ مِنْ أَقْوَالِ شَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ-، فَضْلاً عَنْ وَهَنِ المؤالَفَةِ بَيْنَهَا، وَضَعْفِ التَّنْسِيقِ لَهَا!

❖ المُلاَحَظَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:

○ قَوْلُهُ (ص١٩٤- ١٩٥):

«ولاَ يَرِدُ هُنَا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حكَمَ عَلَى بَعْضِ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ بِالكُفْرِ -كَحُكْمِهِ عَلَى تَارِكِ الصَّلاَةِ-؛ فَلِمَاذَا لاَ يُقَالُ فِي هذِهِ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ مَا قِيلَ فِي تَرْكِ الصَّلاَةِ؟!

الجَوَابُ[2]: أَوَّلاً: إِنَّ تَطَابُقَ اللَّفْظِ لاَ يَعْنِي تَطَابُقَ الحُكْمِ؛ فَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَلاَ يَدْخُلُ فِي بَابِ الشِّرْكِ الأَعْظَمِ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مُعَظِّماً المَحْلُوفَ بِهِ تَعْظِيماً يَفُوقُ تَعْظِيمَ اللهِ، فِي نَفْسِهِ، أَوْ يُشَاكِلُهُ وَيُسَاوِيهِ، وَهذَا أَمْرٌ بَعِيدُ التصوُّرِ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ وَاقِعاً، إِلاَّ مِنْ جَهْلٍ، أَوْ ارْتِيَابٍ فِي قُدْسِيَّةِ الحَقِّ - جَلَّ وَعَلاَ -».

---

(١) ولشيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- كلماتٌ ناقدةٌ لهذا الكتاب؛ انظر -منها- ما أورده فضيلة الشيخ ربيع بن هادي في مقاله المنشور في (الأصالة) العدد السابق، بعنوان: (خارجيّة عصريّة).

(٢) ولا يزال الكلامُ كَلاَمَهُ -سدّده الله-.

□ فنقول:

كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِهِ -هُنَا-: «**إِنَّ تَطَابُقَ اللَّفْظِ لاَ يَعْنِي تَطَابُقَ الحُكْمِ**»؟!، وَقَوْلِهِ (ص ١٧٦): -فيما يُشبه هذا -«**إِذِ اللَّفْظُ فِي كِلَيْهِمَا - بِسِيَاقِهِ وَسِبَاقِهِ- دَالٌّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ**»؟!

وَكَيْفَ لَنَا -**بِضابطٍ علميٍّ**- أَنْ نَقُولَ - هُنَا - عَنْ «شِرْكٍ» أَوْ «كُفْرٍ»: (**لاَ يَدْخُلُ فِي بَابِ الشِّرْكِ الأَعْظَمِ**)! ثُمَّ نَقُولُ عَنْ «شِرْكٍ» أَوْ «كُفْرٍ» آخَرَ: (**يَدْخُلُ**)؟!

مَا هِيَ قواعدُ المُوَافَقَةِ وَالمُفَارَقَةِ؟!

وَجَعْلُ الشِّرْكِ أَكْبَرَ -فِي الحَلِفِ- لِتَعْظِيمِ المَحْلُوفِ بِهِ -حَسْبُ- هُوَ سَبِيلُ تَأْوِيلٍ؛ فَمَا هُوَ -عَلَى ذَلِكَ - الدَّلِيلُ-؟!

وَمَا هِيَ الحُجَّةُ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ المُتَمَاثِلاَتِ؟!

ثُمَّ؛ مَا هِيَ مَنْزِلَةُ اسْتِبْعَادِ تَصَوُّرِ وُقُوعِ هذَا التَّعْظِيمِ بِجَانِبِ إِيقَاعِ الحُكْمِ فِي المَسْأَلَةِ؟!

وَإِذَا كَانَ هذَا بَعِيداً، **فَمَا هُوَ القَرِيبُ؟!**

وَلَئِنْ سُلِّمَ بِهذَا (المَخْرَج) فِي هذَا الحَدِيثِ - بِهذَا الحُكْمِ -؛ فَكَيْفَ العَمَلُ بِغَيْرِهِ - **مِمَّا هُوَ مُخْتَلِفُ المَوْرِدِ مُؤْتَلِفُ الحُكْمِ** - مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا لَفْظُ: «**كَفَرَ**»، أَوِ: «**الكُفْرُ**»، أَوْ: «**كَافِرٌ**»؟!

وَمَا هُوَ السَّبِيلُ إِلَى ضَبْطِ هذَا كُلِّهِ، وَتَقْعِيدِهِ؟!

وكيفَ يكون الحالُ لَوْ كَانَ الجَوَابُ عَلَى هذِهِ الأَسْئِلَةِ المُشْكِلَةِ هو قَوْلَ الشَّيْخِ - سَدَّدَهُ اللهُ - نفسه- (ص١٧١):

«إِنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ كُفْراً وَشِرْكاً صَرِيحاً، أَوْ كَانَتْ تُسَمَّى: كُفْراً أَوْ شِرْكاً، **لِمُشَابَهَتِهَا الشِّرْكَ أَوِ الكُفْرَ**؛ لأَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - وَصَفَهَا بِهِ، ولاَ صَارِفَ لِهذَا الوَصْفِ عَنْهَا، **وَلاَ يُغْنِي التَّأْوِيلُ عَنْهَا شَيْئاً، إِلاَّ بِتَكَلُّفٍ ثَقِيلٍ**؛ فَإِنَّهَا - أَيْ:

المَعْصِيةُ -، حِينَئذٍ - هِيَ الكُفْرُ وَالشِّرْكُ، والكُفْرُ وَالشِّرْكُ هِيَ، لاَ فَرْقَ بَيْنَ هذِهِ وبَيْنَ تِلْكَ، إلاَّ بِالْمُرَكَّبِ الحَرْفِيِّ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مِنْ أَكْثَر»!؟

مَاذَا سَيكُونُ الحُكْمُ؟! وَمَاذَا سَتكُونُ النَّتِيجَةُ؟!

فَضْلاً عن تضارُبِ المواقِف، وتخالُفِ الأحكام!!

فأين الخلاص؟! أَمْ أنّه سيقالُ -حينئذٍ-: ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاص﴾!

❖ المُلاحَظَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ:

○ قَوْلُهُ (ص١٩٤):

«ثانياً: إِنَّ الصَّحَابَةَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- لَمْ يُطْبِقُوا عَلَى تكْفِيرِ أَحَدٍ مِثْلَ إِطْبَاقِهِمْ عَلَى تكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ، وَلَمْ يُعْرَفْ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَفَّرُوا مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ كَتَكْفِيرِهِمْ تَارِكَ الصَّلاَةِ، وَلَوْ عُرِفَ عَنْهُمْ ذلِكَ لَبَلَغَنَا خَبَرُهُ».

□ فَنَقُولُ: دَعْوَى (الإِطْبَاق) -هذِهِ- أَوْ دَعْوَى (الإِجْمَاع) -تِلْكَ- دَعْوَى مَرْدُودَةٌ، مَنْقُوضَةٌ.

وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا يُقَوِّضُ رُكْنَهَا -ويهدمُ أصلَها- بِالنُّقُولِ الضَّافِيةِ عَنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّين، مِنْ كِبَار أَئِمَّةِ المُسْلِمِين -عَبْرَ السنين-.

ولو فرضنا أنّ هذا الإجماع قد صحَّ!! فما هي ماهيّتُهُ؟! وعلى ماذا يدلّ؟! وهل هو -هكذا- قطعيٌّ أم ظنيٌّ؟! وهل يدلُّ على التارك الكلّي؟ أم التارك لبعض الفرائض دون بعض؟ وما هو حدُّ هذا (البعض)؟ أم يُراد به المقرّ بدون الفعل؟! أم الممتنع؟! أم الجاحد؟ أم؟! أم؟!

وإذ قد احتمل الإجماعُ المُدّعى ما احتملت النصوصُ -نفسها- من الاحتمالات المذكورة عند المختلفين من الأئمة -قديماً، وحديثاً-، فحينئذٍ لابد من ذكرِ الأدلةِ على الراجح من هذه الاحتمالات مع بيان الموقف الحقِّ منها.

ووجهٌ آخرُ أنْ نَقُولَ: هَلْ وَقَعَ مِنَ الصَّحَابَةِ تكفِيرٌ عَيْنِيٌّ (واقِعيٌّ) لِبَعْضٍ مِنْ تَارِكِي الصَّلَاةِ؟!

أَمْ أَنَّ الأَمْرَ مُتَعَلِّقٌ بِأَحْكَامٍ -منهم- قَوْلِيَّةٍ، لَمْ تُطَبَّقْ عملِيًّا؟!

فَالأَوَّلُ: لَمْ يَقع -أَلْبَتَّةَ-.

وَالثَّانِي: -وهو النفيُ-، يَجْعَلُ هذِهِ الأَحْكَامَ كَغَيْرِهَا مِنَ الأَحْكَامِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا ذِكْرُ «الكُفْرِ» وَ «التَّكْفِيرِ» !

وَلاَ دَلِيلَ عَلَى التَّفْرِيقِ -فِي قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ-..

وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ الكَبِير...

❖ المُلاَحَظَةُ العِشْرُونَ:

○ قَوْلُهُ (١٩٤):

«ثَالِثاً: عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّقُونَ هذَا الخَلفَ أَشَدَّ التَّوَقِّي، حَذَراً [مِنْ] أَنْ يَقَعُوا فِيمَا نُهُوا عَنْهُ، ثُمَّ سَدّاً لِلذَّرِيعَةِ أَنْ يَبْلُغَ بِهِمْ مَا يُخْشَى مَعَهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُوَ أَشَدُّ نُكْراً مِنْهُ».

□ فَنَقُولُ: هذَا تَكْمِيلٌ - مِنْهُ - لِمَا قَبْلَهُ..

وَمَا قِيلَ فِي السَّابِقِ يُقَالُ فِي اللاَّحِقِ -بِلاَ أَدْنَى فَارِقٍ-...

ثُمَّ، لِمَاذَا لاَ يُذْكَرُ هذَا التَّوَقِّي -نفسُهُ- أيضاً- فِي مَسْأَلَةِ تَارِكِ الصَّلاَةِ؟!

والدافِعُ هو الدافعُ! وَالثَّمَرَةُ هِيَ الثَّمَرَةُ!

❖ المُلاَحَظَةُ الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ:

○ قَوْلُهُ (ص١٩٤):

«رَابِعاً: إنَّ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - هُوَ الإِجْمَاعُ الَّذِي لاَ يَأْتِيهِ بَاطِلٌ وَلاَ يُقَارِبُهُ، وَمَا كَانَ إِجْمَاعٌ مِنْهُمْ إِلاَّ عَلَى مَا لاَ يُحْتَمَلُ، إِلاَّ الإِجْمَاعَ الَّذِي لاَ يُضَاهَى إِلاَّ بِمِثْلِهِ.

وَمَا كَانَ شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَى قُلُوبِ الصَّحَابَةِ مِنْ نَعْتِهِمْ أحداً بِالكُفْرِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الكُفْرُ ظَاهِراً فِيهِ؛ بِأَسْبَابِهِ وَدَوَاعِيهِ، فَلَوْلاَ أَنَّ تَارِكَ الصَّلاَةِ كَانَ كَافِراً عِنْدَهُمْ بِتَرْكِ الصَّلاَةِ، لَمَا حَدَّثَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يُكَفِّرُوا بِهِ».

□ فَنَقُولُ: أَمَّا ذِكْرُ (الإِجْمَاعِ)، فَقَدْ تَقَدَّمَ نَقْدُهُ وَنَقْضُهُ - مِرَاراً -.

أَمَّا نَعْتُ الصَّحَابَةِ (أَحداً بِالكُفْرِ) لِتَرْكِ الصَّلاَةِ: فَدُونَ إِثْبَاتِ ذلِكَ خَرْطُ القَتَادِ!

فَفَرْقٌ بَيْنَ الحُكْمِ (نظرياً)، وَبَيْنَ تَنْزِيلِ الحُكْمِ على المواقعِ له (عَيْنِيًا).

وإلاَّ؛ فأينَ الدليلُ على هذه الدعوى -كما هي! -؟!

وَمَا أَجْمَلَ مَا رَوَاهُ الإِمَامُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الإِيمَانِ» (٣١) -بِسَنَدٍ صَحِيحٍ- عَنْ سَوَّار بْنِ شَبِيبٍ، قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: إِنَّ -هَا هُنَا- قَوْماً يَشْهَدُونَ عَلَيَّ بِالكُفْرِ! قَالَ: فَقَالَ:

«أَلاَ تَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَتُكَذِّبَهُمْ».

وَيُشْبِهُ هذَا -مِنْ وَجْهٍ- مَا نُقِلَ -بلا إسنادٍ[1]- عَنِ الإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِيِّ -رحمهما اللهُ- كَمَا فِي «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى» (٢/ ٦١) لِلسُّبْكِيِّ، قَالَ:

«حُكِيَ أَنَّ أَحْمَدَ نَاظَرَ الشَّافِعِيَّ فِي تَارِكِ الصَّلاَةِ، فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: يَا أَحْمَدُ! أَتَقُولُ: إِنَّهُ يَكْفُرُ؟

---

(١) انظر كلام شيخنا الإمام محمد ناصرالدين الألباني -رحمه الله- في رسالته «حكم تارك الصلاة» (ص٥٩ - ٦١) في مناقشة هذه الحكاية.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: إِذَا كَانَ كَافِراً، فَبِمَ يُسْلِمُ؟

قَالَ: يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَالرَّجُلُ مُسْتَدِيمٌ لِهَذَا القَوْلِ، لَمْ يَتْرُكْهُ!

قَالَ: يُسْلِمُ بِأَنْ يُصَلِّي.

قَالَ: صَلاَةُ الكَافِرِ لاَ تَصِحُّ، وَلاَ يُحْكَمُ بِالإِسْلاَمِ بِهَا؛ فَانْقَطَعَ أَحْمَدُ وَسَكَتَ».

نَقُولُ: وَهُوَ (كَلاَمٌ) حَسَنٌ -بغضِّ النظر عن ثبوته إسناداً-؛ إذ لاَ طريق إِلَى رَدِّهِ أَوِ الجَوَابِ عَنْهُ؛ إِلاَّ بِمَحْضِ تَكَلُّفٍ، أَوْ عَيْنِ تَأْوِيل.

وَاللهُ الهَادِي إِلَى أَقْوَمِ سبيل..

❖ المُلاَحَظَةُ الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ:

○ قَوْلُهُ (ص١٩٥-١٩٦):

«خَامِساً: ثُمَّ نَحْنُ لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى إِحْدَاثِ مِثْلِ هذَا المُصْطَلَحِ - أَيْ: كُفْراً دُونَ كُفْرٍ -، وَعِنْدَنَا عَنْهُ مَنْدُوحَةٌ بِمَا عُرِفَ مِنْ لُغَةِ العَرَبِ الَّتِي لاَ يُخْتَلَفُ عَلَيْهَا، فَقَدْ عَرَفَ العَرَبُ مَا يُعْرَفُ بِالتَّشْبِيهِ، وَالتَّشْبِيهُ: يَكُونُ وَجْهُ الشَّبَهِ فِيهِ حِيناً فِي المُشَبَّهِ أَظْهَرَ مِنْهُ فِي المُشَبَّهِ [بِهِ]، وَحِيناً يَكُونُ التَّسَاوِي؛ فَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ -سُبْحَانَهُ- وَهُوَ يَعْلَمُ النَّهْيَ عَنْهُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»، فَأَحْسَبُ أَنَّهُ لاَ يَخْفَى عَلَى مِثْلِ هذَا الحَالِفِ، أَنَّهُ لاَ يَبْلُغُ بِهِ الأَمْرُ أَنْ يَكُونَ مُعَظِّماً المَحْلُوفَ بِهِ حِينَ يَحْلِفُ - تَعْظِيمَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - إِذاً [1]؛ فَهُوَ

(١) هل يُفهم من هذا -إذاً- (التَّهْوِينُ) من قضيّة الحَلِفِ بغير الله -تعالى-؟!

بِحَلِفِهِ -وَهُوَ لاَ يُعَظِّمُ المَحْلُوفَ بِهِ- إِنَّمَا يُشْبِهُ بِحَلِفِهِ بِغَيْرِ اللهِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ بِغَيْرِ اللهِ، وَلَكِنْ أَيْنَ هذَا مِنْ ذَاكَ؟! **فَالمُشْرِكُونَ إِذْ يَحْلِفُونَ بِآلِهَتِهِمْ وَأَصْنَامِهِمْ هُمْ مُشْرِكُونَ أَوَّلاً وَآخِراً.**

أَمَّا المُؤْمِنُ الَّذِي يَحْلِفُ بِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُخْرِجُهُ مِنْ إِيمَانِهِ حَلِفُهُ هذَا، إِلاَّ مَا يَكُونُ مِنْ تَعْظِيمِ المَحْلُوفِ بِهِ تَعْظِيمَهُ اللهَ، وَلَيْسَ لِهذَا - قَطُّ - مَوْرِدٌ عَلَى قَلْبِ مَنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ [1]، وَهَكَذَا كُلُّ مَا يَكُونُ مِنْ مِثْلِ هذَا أَوْ يُشَابِهُهُ».

□ فَالجَوَابُ: **هَلِ الوَارِدُ عَنِ الصَّحَابَةِ فِي هذَا التَّقْعِيدِ العِلْمِيِّ المُنْضَبِطِ -مِمَّا ارْتَضَاهُ عَنْهُمْ تَابِعُوهُمْ، وَأَئِمَّةُ العِلْمِ - بَعْدَهُمْ - إِلَى هذَا العَصْرِ-؛ هَلْ يُسَمَّى هذَا (مُصْطَلَحاً حَادِثاً)، ويقال -فيه-: (نَحْنُ لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ)؟!**

فَنَقُولُ: إِذَا كُنَّا -حَقّاً- (لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى إِحْدَاثِ مِثْلِ هذَا المُصْطَلَحِ):

فَهَلْ نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَقْسِيمِ الجُحُودِ؛ وَأَنَّهُ جُحُودٌ خَفِيٌّ وَجُحُودٌ جَلِيٌّ -كَمَا فِي كَلاَمِ الشَّيْخِ (ص ١٧٠)؟!-.

وَهَلْ نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَقْسِيمِ المَعَاصِي؛ إِلَى كُفْرٍ وَشِرْكٍ، وَمَعْصِيَةٍ تُشْبِهُ الشِّرْكَ وَالكُفْرَ؛ -كَمَا فِي كَلاَمِ الشَّيْخِ (ص١٧١)؟!-.

وَهَلْ نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَقْسِيمِ الإِخْلاَصِ؛ إِلَى إِخْلاَصِ قَلْبٍ، وَإِخْلاَصِ جَوَارِحَ؛ -كَمَا فِي كَلاَمِ الشَّيْخِ (ص١٨٤)؟!-.

وَهَلْ نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَقْسِيمِ الشِّرْكِ؛ إِلَى أَعْظَمَ، وَأَصْغَرَ -كَمَا فِي كَلاَمِ الشَّيْخِ (ص١٩٤)؟!-.

---

(١) بل يكونُ؛ وما حالُ جَهَلَةِ (متصوِّفة المسلمين) المعظِّمين للبدويِّ، والجيلانيِّ -وغيرهما- عنّا ببعيدٍ!

ثم ليلاحَظ أن فضيلةَ الشيخ لم يفرِّق -في كلامه- بين كون الحالفِ مشركاً أصلياً، أم مسلماً!

وَهَلْ نَحْنُ -أخيراً- بِحَاجَةٍ إِلَى تَقْسِيمِ الكُفْرِ إِلَى (أدْنَى) وَ (أعْلَى) - كَمَا هُوَ تَأْوِيلُ الشَّيْخِ (المُبَاشِرِ) الصَّرِيحِ، لِكَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ص١٩٣) الواضحِ الفصيحِ؟!!

فَأَيُّهما خَيْرٌ مَقِيلاً، وَأَقْوَمُ قِيلاً، وَأَهْدَى سَبِيلاً؟!

وهلْ تكونُ بنا (حاجةٌ) إلى (إحداث) الخَلَف؛ بينما لا تكون بنا (حاجةٌ) إلى (تأصيل) السلف؟!

أَهُوَ الالْتِزَامُ بِالمَأْثُورِ عَنِ الصَّحَابَةِ -خير الأمّة-، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ وَالأَئِمَّةِ؟!

أَمَّ المُغَايَرَةُ إِلَى ضِدِّهِ -مِمَّا هو دونَه- مّمَا (اجْتَهَدَتْ) فِيهِ العُقُولُ، وَ (أَوَّلَتْه) الأَلْسِنَةُ وَالأَذْهَانُ؟!

وَلَوْ كَانَ الاخْتِلاَفُ فِي المُصْطَلَحِ - وَهذِهِ قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ - مُجَرَّدَ اخْتِلاَفٍ صُورِيٌّ بِعِبَارَةٍ أَوْ تَقْسِيمٍ، فَالأَمْرُ سَهْلٌ -واللهِ- سَهْلٌ...

وَلَكِنَّ الخَلَلَ الأَعْظَمَ كَامِنٌ فِي صَرْفِ المُصْطَلَحِ إِلَى مُصْطَلَحٍ مُغَايِرٍ -مَبْنىً وَمَعْنىً-؛ مِن مُصْطَلحٍ اتَّفَقَتْ عَلَيهِ الأُمَّةُ بِلاَ نَكِير - قَلِيلٍ أَوْ كَثِير - إِلَى مُصْطَلَحٍ حَادِثٍ مُثِير؛ يُخَالِفُ مَا عَلَيْهِ صَفْوَةُ الأُمَّةِ، وَالعُلَمَاءُ وَالأَئِمَّةُ المشاهير؟!

هُنَا مَكْمَنُ النَّظَرِ، وَمَوْرِدُ البَحْثِ، وَقَاعِدَةُ الخِلاَفِ، وَأَصْلُ المَسْأَلَةِ...

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِر؟!

❖ المُلاَحَظَةُ الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ:

وهي مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ -سدّده الله-: «وَعِنْدَنَا عَنْهُ [أي: مصطلح (كفرٌ دون كفرٍ)] مَنْدُوحةٌ بِمَا عُرِفَ مِنْ لُغَةِ العَرَبِ الَّتِي لاَ يُخْتَلَفُ عَلَيْهَا...»!

فَنَقُولُ: هَذَا مَرْدُودٌ مِنْ وُجُوهٍ:

الأَوَّلُ: المَنْدُوحَةُ لاَ تَكُونُ بِاسْتِبْدَالِ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ!

وَهذَا بَيِّنٌ.

الثَّانِي: أَنَّ الاخْتِلاَفَ فِي لُغَةِ العَرَبِ وَارِدٌ -وواقعٌ- **جِداً جِداً** -، **وَكَيْفَ لاَ يَكُونُ، وَلَمْ يَضِلَّ مَنْ ضَلَّ -قَبْلاً- إِلاَّ بِاتِّكَائِهِ عَلَى اللُّغَةِ، دُونَ اهْتِدَائِهِ بِالأَثَرِ...؟!**

وَقَدْ تَقَدَّمَ كَلاَمُ شَيْخِ الإِسْلاَمِ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي أَوَّلِ الكتابِ - فِي بَيَانِ هذَا وَتَقْرِيرِهِ، وَضَرْبِ الأَمْثِلَةِ المُتكاثرةِ عَلَيْهِ؛ فلا نُعيدُ.

الثالث: هل غابت هذه المندوحةُ عن علماءِ الإسلام؛ **جيلاً فجيلاً**؛ إلى أيامنا هذه؟!

❖ المُلاَحَظَةُ الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ:

○ وَهِيَ تَشْبِيهُهُ - بَعْدُ - مَسْأَلَةَ الحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ بِأَنَّ الفَاعِلَ لَهَا: (إِنَّمَا يُشْبِهُ بِحَلِفِهِ بِغَيْرِ اللهِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ بِغَيْرِ اللهِ...)، **ثُمَّ أَخْرَجَ حَلِفَ المُؤْمِنِ بِغَيْرِ اللهِ** - مِنَ الشِّرْكِ -؛ **لأَنَّهُ لاَ يُعَظِّمُ المَحْلُوفَ بِهِ تَعْظِيمَهُ للهِ!**

□ **نَقُولُ**: فَكَانَ مَاذَا؟!

وَهَلْ عَدَمُ تَعْظِيمِهِ - هذَا- أَخْرَجَهُ عَنْ **وَصْفِ الشِّرْكِ** المَذْكُورِ فِي الحَدِيثِ؟!

أَمْ أَنَّهُ مُتَلَبِّسٌ بِهِ؛ سَوَاءٌ أَجَعَلْنَا هذَا الوَصْفَ **وَصْفَ مُشَابَهَةٍ أَوْ وَصْفَ فِعْلٍ**؟!

ثُمَّ؛ مَا هِيَ الثَّمَرَةُ - نِهَايَةً -؟!

هَلْ تَنْفِي تِلْكُمُ المُشَابَهَةُ **لَفْظَ الشِّرْكِ** وَتَرُدُّهُ، أَمْ تُؤَثِّرُ فِي دِلاَلَتِهِ -مَعَ إِثْبَاتِهِ-؟!

إِنْ كَانَ الأَوَّلَ: فَهذا بَاطِلٌ.

وَإِنْ كَانَ الثَّانِي: -وهو الواقعُ- ولا بُدَّ - فَهذَا مَصِيرٌ -وَلاَ رَيْبَ- إِلَى تَقْسِيمِ الشِّرْكِ إِلَى (شِرْكٍ دُونَ شِرْكٍ)؛ أَوَّلُهُمَا: غَيْرُ مُخْرِجٍ مِنَ المِلَّةِ، وَالآخَرُ: مُخْرِجٌ مِنَ المِلَّةِ..

وَلْنَقُلْ - وَلاَ حَرَجَ -: (شِرْكٌ أَعْلَى) وَ (شِرْكٌ أَدْنَى)!

أَوْ: (شِرْكٌ أَكْبَرُ) وَ (شِرْكٌ أَصْغَرُ)!

...وهو قولُنا!!

تَعَدَّدَتِ الأَلْفَاظُ (وَالقَصْدُ) وَاحِدٌ...

فَهذَا الحَقُّ لَيْسَ بِهِ خَـفَاءُ　　　فَدَعْنِي مِنْ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ

□□□□□

المسألة الرابعة:

مَسْأَلَةُ الإِرْجَاءِ...!

قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ - سَدَّدَهُ اللهُ - (ص ١٩٦):

«بَقِيَتْ مَسْأَلَةٌ أَخِيرَةٌ؛ لَهَا تَعَلُّقٌ بِهذَا البَابِ، يَحْسُنُ أَنْ نُوَضِّحَهَا بِاخْتِصَارٍ؛ وَهِيَ: مَسْأَلَةُ الإِرْجَاءِ».

ثُمَّ نَقَلَ عَنِ «القَامُوسِ» مَعْنَى (الإِرْجَاء) - لُغَةً -، وَقَالَ:

«وَبِهذَا المَعْنَى اللُّغَوِيِّ نَعرِفُ لِمَاذَا سُمِّيَتْ المُرْجِئَةُ مُرْجِئَةً؟ أَيْ: **لأَنَّهَا أَرْجَأَتِ العُصَاةَ بِمَعَاصِيهِمْ إِلَى أَمْرِ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**، وَجَعَلَتِ التَّصْدِيقَ فِيهِمْ - أَيْ: **مُجَرَّدَ الإِيمَانِ القَلْبِيِّ - مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ يَقْتَضِيهِ هذَا الإِيمَانُ - كَافِياً فِي نَجَاتِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ** مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَهُمْ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ، **إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ** بِمَعْصِيَتِهِمْ بِتَرْكِهِمُ الطَّاعَةَ، وَاكْتِفَائِهِمْ بِالإِيمَانِ القَلْبِيِّ وَحْدَهُ، **وَإِمَّا يُنَجِّيهِمْ** مِنَ العَذَابِ بِرَحْمَتِهِ؛ **هذَا هُوَ الإِرجَاءُ الَّذِي لاَ خِلاَفَ عَلَيْهِ**».

وَهذِهِ هِيَ:

❖ المُلاَحَظَةُ الأُولَى:

○ فَنَقُولُ: بَلِ الخِلاَفُ كُلُّهُ عَلَيْهِ؛ فَالمُرْجِئَةُ لَمْ يَقُولُوا -قَطُّ-: «إِمَّا» وَ «إِمَّا»!

وَلَوْ قَالُوا هذَا لَمَا كَانَ ثَمَّةَ -بيننا وبينَهم- (كَبِيرُ) خِلاَفٍ!!

وأصلُ الخلافِ بين أهل السنة والمرجئة هو مسألة (زيادة الإيمان ونقصانه)،

وعنها تفرّعت بدعُ أهل الإرجاء -كلِّها-، كَمَا قَالَ شَيْخُ الإسْلاَمِ (٧/ ٢٢٣):

«وَقَالَتِ المُرْجِئَةُ - عَلَى اخْتِلاَفِ فِرَقِهِمْ -: «لاَ تُذْهِبُ الكَبَائِرُ وَتَرْكُ الوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ شَيْئاً مِنَ الإِيمَانِ؛ إِذْ لَوْ ذَهَبَ شَيءٌ مِنْهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيءٌ، فَيَكُونُ شَيْئاً وَاحِداً، يَسْتَوِي فِيهِ البَرُّ وَالفَاجِرُ.

وَنُصُوصُ الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ تَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ بَعْضِهِ وَبَقَاءِ بَعْضِه».

وَقَالَ الإِمَامُ الآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» : (١/ ٣١٢) :

«احْذَرُوا - رَحِمكُمْ اللهُ - قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ! وَمَنْ يَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ! وَ: أَنَا مُؤْمِنٌ مُكْتَمِلُ الإِيمَانِ! هذَا كُلُّهُ مَذْهبُ أَهْلِ الإِرْجَاءِ».

□ نقولُ: وَهذَا -كُلُّهُ - مَبْنِيٌّ- عِنْدَهُمْ- عَلَى أَصْلٍ هُمْ مُخْتَرِعُوهُ وَمُحْدِثوهُ؟

وَهُوَ: عَدَمُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ!

لِذلِكَ؛ خَالَفَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي هذَا الأَصْلِ - بَدْءاً وَانْتِهاءاً -:

«قَالَ الإِمَامُ البَرْبَهَارِيُّ فِي كِتَابِهِ البَدِيعِ «شَرْحُ السُّنَّة» (ص١٣٢): «وَمَنْ قَالَ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِرْجَاءِ كُلِّه، أَوَّلِه وَآخِرِه».

وَفِي «السُّنَّة» (ص٥٨١) -للخلاّل-: أَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ سُئِلَ عَمَّنْ قَالَ: الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ فَقَالَ: «هذَا بَرِيءٌ مِنَ الإِرْجَاءِ».

مِنْ أَجْلِ هذَا كُلِّهِ؛ قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ (٧/ ٥٥٥- ٥٥٦):

«وَالسَّلَفُ اشْتَدَّ نَكِيرُهُمْ عَلَى المُرْجِئَةِ لَمَّا أَخْرَجُوا العَمَلَ مِنَ الإِيمَانِ، وَقَالُوا: إِنَّ الإِيمَانَ يَتَمَاثَلُ النَّاسُ فِيهِ! وَلاَ رَيْبَ أَنَّ قَوْلَهُمْ بِتَسَاوِي إِيمَانِ النَّاسِ مِنْ أَفْحَشِ الخَطَإِ».

وَلِشَيْخِ الإِسْلاَمِ - رَحِمَهُ اللهُ - كَلاَمٌ مُطَوَّلٌ فِي تَفْصِيلِ النَّقْضِ عَلَى مَذْهَبِ

الْمُرْجِئَةِ الرَّدِيَّةِ، وَبَيَانِ وُجُوهِ غَلَطِهِمْ؛ قَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي (٧/ ١٩٥- ٢٠٤- بِتَلْخِيصٍ يَسِيرٍ):

«وَالْمُرْجِئَةُ الَّذِينَ قَالُوا: الإِيمَانُ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَقَوْلُ اللِّسَانِ وَالأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنْهُ: كَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْكُوفَةِ وَعُبَّادِهَا، وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُمْ مِثْلَ قَوْلِ جَهْمٍ؛ فَعَرَفُوا أَنَّ الإِنْسَانَ لا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِالإِيمَانِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، وَعَرَفُوا أَنَّ إِبْلِيسَ وَفِرْعَوْنَ وَغَيْرَهُمَا كُفَّارٌ مَعَ تَصْدِيقِ قُلُوبِهِمْ، **لَكِنَّهُمْ إِذَا لَمْ يُدْخِلُوا أَعْمَالَ الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ لَزِمَهُمْ قَوْلُ جَهْمٍ، وَإِنْ أَدْخَلُوهَا فِي الإِيمَانِ لَزِمَهُمْ دُخُولُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ أَيْضًا؛ فَإِنَّهَا لازِمَةٌ لَهَا**».

ثُمَّ قَالَ:

«وَقَالُوا: نَحْنُ نُسَلِّمُ أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ كَانَ كُلَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً وَجَبَ التَّصْدِيقُ بِهَا، فَانْضَمَّ هَذَا التَّصْدِيقُ إِلَى التَّصْدِيقِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ!

لَكِنْ عِنْدَ كَمَالِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مَا بَقِيَ الإِيمَانُ يَتَفَاضَلُ عِنْدَهُمْ؛ بَلْ إِيمَانُ النَّاسِ كُلِّهِمْ سَوَاءٌ؛ إِيمَانُ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ؛ كَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَإِيمَانُ أَفْجَرِ النَّاسِ؛ كَالْحَجَّاجِ، وَأَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ، وَغَيْرِهِمَا.

وَالْمُرْجِئَةُ -الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْهُمْ وَالْفُقَهَاءُ مِنْهُمْ - يَقُولُونَ: إِنَّ الأَعْمَالَ قَدْ تُسَمَّى إِيمَانًا مَجَازًا؛ **لأَنَّ الْعَمَلَ ثَمَرَةُ الإِيمَانِ وَمُقْتَضَاهُ، وَلأَنَّهَا دَلِيلٌ عَلَيْهِ.**

وَيَقُولُونَ: قَوْلُهُ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» : مَجَازٌ!

وَالْمُرْجِئَةُ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ: الَّذِينَ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ مُجَرَّدُ مَا فِي الْقَلْبِ، ثُمَّ مِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُدْخِلُ فِيهِ أَعْمَالَ الْقُلُوبِ -**وَهُمْ أَكْثَرُ فِرَقِ الْمُرْجِئَةِ** -كَمَا قَدْ ذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ أَقْوَالَهُمْ فِي «كِتَابِهِ[1]»- وَذَكَرَ فِرَقًا كَثِيرَةً يَطُولُ ذِكْرُهُمْ-، لَكِنْ ذَكَرْنَا جُمَلَ أَقْوَالِهِمْ.

---

(١) «مَقَالاتُ الإِسْلامِيِّينَ» (١/ ٢١٣- ٢١٤).

وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُدْخِلُهَا فِي الإِيمَانِ؛ كَجَهْمٍ وَمَن اتَّبَعَهُ، كالصالحي، وَهَذَا الَّذِي نَصَرَهُ هُوَ وَأَكْثَرُ أَصْحَابِهِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: مَنْ يَقُولُ: هُوَ مُجَرَّدُ قَوْلِ اللِّسَانِ؛ وَهَذَا لا يُعْرَفُ لأَحَدٍ قَبْلَ الكرَّامية.

وَالقول الثَّالِثُ: تَصْدِيقُ الْقَلْبِ، وَقَوْلُ اللِّسَانِ.[1]

وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عَنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْعِبَادَةِ مِنْهُمْ.

وَهَؤُلاءِ غَلِطُوا مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: ظَنُّهُمْ أَنَّ الإِيمَانَ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مُتَمَاثِلٌ فِي حَقِّ الْعِبَادِ! وَأَنَّ الإِيمَانَ الَّذِي يَجِبُ عَلَى شَخْصٍ! يَجِبُ مِثْلُهُ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ!! وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ أَتْبَاعَ الأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ **الإِيمَانِ** مَا لَمْ يُوجِبْهُ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-، وَأَوْجَبَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ **الإِيمَانِ** مَا لَمْ يُوجِبْهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، **وَالإِيمَانُ** الَّذِي كَانَ يَجِبُ قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ لَيْسَ هُوَ مِثْلَ **الإِيمَانِ** الَّذِي يَجِبُ بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ، وَالإِيمَانُ الَّذِي يَجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ -صلى الله عليه وسلم- مُفَصَّلاً لَيْسَ مِثْلَ **الإِيمَانِ** الَّذِي يَجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مُجْمَلاً».

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ - بَعْدَ كَلاَمٍ-:

«**الْوَجْهُ الثَّانِي** - مِنْ غَلَطِ الْمُرْجِئَةِ -: ظَنُّهُمْ أَنَّ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ الإِيمَانِ لَيْسَ إلا التَّصْدِيقَ - فَقَطْ - دُونَ **أَعْمَالِ الْقُلُوبِ**؛ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ جهمية الْمُرْجِئَةِ!

الثَّالِث: ظَنُّهُمْ أَنَّ الإِيمَانَ الَّذِي فِي الْقَلْبِ **يَكُونُ تَامًّا بِدُونِ شَيْءٍ مِنَ الأَعْمَالِ**، وَلِهَذَا يَجْعَلُونَ **الأَعْمَالَ** ثَمَرَةَ الإِيمَانِ وَمُقْتَضَاهُ؛ بِمَنْزِلَةِ السَّبَبِ مَعَ الْمُسَبَّبِ، وَلا يَجْعَلُونَهَا لازِمَةً لَهُ.

---

(١) أي: دونَ اعتبارٍ لعمل القلبِ، وعَمَلِ الجوارحِ.

والتَّحقيقُ: أنَّ إيمانَ القَلْبِ التَّامَّ يَسْتَلْزِمُ العَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ -لا مَحالَةَ-، ويَمتَنِعُ أنْ يَقُومَ بِالقَلْبِ إيمانٌ تَامٌّ بِدُونِ عَمَلٍ ظَاهِرٍ، ولِهَذَا صارُوا يُقدِّرُونَ مَسائِلَ يَمتَنِعُ وُقُوعُهَا - لِعَدَمِ تَحقُّقِ الارْتِباطِ الَّذِي بَيْنَ البَدَنِ والقَلْبِ -، مِثْلَ أنْ يَقُولُوا: رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِنَ الإيمانِ مِثْلَ مَا فِي قَلْبِ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، وَهُوَ لا يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، وَلا يَصُومُ رَمَضَانَ، ويَزْنِي بِأُمِّهِ وأُخْتِهِ، ويَشْرَبُ الخَمْرَ نَهَارَ رَمَضَانَ! يَقُولُونَ: هو مُؤْمِنٌ تَامُّ الإيمَانِ!

فَيَبْقَى سَائِرُ المُؤْمِنِينَ يُنكِرُونَ ذَلِكَ غَايَةَ الإنْكَارِ».

نقولُ: وكيف يجتمعُ -بَعْدُ- قَوْلا الشيخ -سدّده الله- في صعيدٍ واحدٍ -على تبايُنِهما، وافتراق دلالتِهما-:

أ- (وَجَعلتِ التصديق فيهم - أي: مُجرّد الإيمان القلبي - من غير عَمَلٍ يقتضيهِ هَذَا الإيمانُ - كافياً في نجاتهم يومَ القيامةِ من عذاب النار)!

ب- (فَهُم مُرْجَوْنَ لأمرِ الله؛ أمّا يعذّبهم وإمّا ينجّيهم من العذاب...)!!

ولَيْسَ هَذَا - هكَذَا - بِصوَاب!!!

❖ **المُلاحَظَةُ الثَّانِيَةُ:**

○ ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٩٦):

«ولَيْسَ مِنْ شَكٍّ فِي أنَّ مِثْلَ هذَا يُقَلِّلُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْ قِيمَةِ العَمَلِ الَّذِي أوْجَبَهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ- عَلَى العِبَادِ، ويَكُونُ تَعَلُّقُ النَّاسِ المُؤْمِنِينَ بِرَجَائِهِمْ فِي اللهِ وَحْدَهُ؛ دُونَمَا عَمَلٍ يُقَدِّمُونَهُ بَيْنَ أيْدِيهِمْ -فِعْلاً بِأمْرٍ، وتَرْكاً بِنَهْيٍ-، وَهُوَ مَا يُحَقِّقُ الطَّاعَةَ الصَّحِيحَةَ للهِ فِي أنْفُسِهِمْ، وهَذَا يَعْنِي -بِالضَّرُورَةِ-: عَكْسَ ذلكَ، أيْ: قَدْ يَكُونُ التَّرْكُ مِنْهُمْ مَعَ الأمْرِ، والفِعْلُ مَعَ النَّهْيِ، وَهُمْ بِذلِكَ يَرْجُونَ النَّجَاةَ مِنَ العَذَابِ بِإرْجَاءِ أمْرِهِمْ فِي حِسَابِهِمْ إلَى رَبِّهِمْ -سُبْحَانَهُ- إذاً».

□ فَنَقُولُ: فَرْقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ (الرَّجَاءِ) السُّنِّي المقرون بالخوف والرهبة، و(الإِرْجَاءِ) البِدْعيِّ المقرون بالتسيُّب والانْحِلالِ -حَالاً، وَثَمَرَةً-:

قَالَ العَلاَّمَةُ المُحقِّقُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَمِير الصَّنْعَانِي -رحمه الله- في «إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة» (ص٤٣٢-٤٣٣):

«**الْتَبسَ عَلَى الأَكْثَرِ القَوْلُ بِالإِرْجَاءِ، فَرَمَوْا القَائِلَ بِالأَوَّلِ بِالقَوْلِ بِالثَّانِي! وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ وَاضِحٌ؛ فَإِنَّ الإِرْجَاءَ هُوَ:** القَوْلُ بِأَنَّ اللهَ يَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ لأَهْلِ التَّوْحِيدِ (قَطْعاً)، وَهذَا الَّذِي قَالُوهُ إِسْرَافٌ فِي القَوْلِ...

وَالرَّجَاءُ هُوَ: القَوْلُ بِأَنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، عَلَى الإِجْمَالِ فِي المَغْفُورِ لَهُمْ لاَ فِي المَغْفُورِ».

وَقَالَ العَلاَّمَةُ مُحَمَّدُ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الوَزِير فِي «إِيثَارِ الحَقِّ عَلَى الخَلْقِ» (ص٣٦٦) -بعد ذكره مثلَ هذا-: «**وَهُوَ مَذْهَبٌ مُسْتَفِيضٌ بَيْنَ السَّلَفِ، سَنُوَضِّحَهُ بِأَدِلَّتِهِ العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ**».

ثُمَّ قَالَ الصَّنْعَانِيُّ فِي «الإِيقَاظِ» (ص٤٦٠) **-جَوَاباً عَلَى مِثْلِ شُبْهَةِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ-:**

«**هَلِ التَّعَلُّقُ بِمَا وَرَدَ مِنْ أَدِلَّةِ الرَّجَاءِ، وَالاسْتِرْوَاحُ إِلَى مَا وَرَدَ مِنْ أَحَادِيث سَعَةِ الرَّحْمَةِ مُفَتِّرٌ مِنَ التَّشْمِيرِ! وَفَاتٌّ فِي عَضُدِ الخَوْفِ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ كَبِيرٍ! وَدَاعٍ إِلَى البَطَالَةِ وَالاتِّكَالِ، وَالإِعْرَاضِ عَنِ المُنَاقَشَةِ فِي صَالِحِ الأَعْمَالِ؟!**

وَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَوَّلُهَا: أَنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّ مَعْنَى الرَّجَاءِ لاَ يُحَصِّلُ الجَزْمَ لِعَاصٍ مِنَ العُصَاةِ أَنَّهُ المَغْفُورُ لَهُ؛ لأَنَّهُ - تَعَالَى - أَجْمَلَ المَغْفُورَ لَهُ، فَمَا مِنْ عَاصٍ إِلاَّ وَيُحَصِّلُ التَّجْوِيزَ بِأَنَّ غَيْرَهُ المَوْعُودُ بِالغُفْرَانِ مِنْهُ - تَعَالَى -، **وَأَنَّ ذَلِكَ وَازِعٌ كَامِلٌ لِلإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَالإِعْرَاضِ عَنِ المَعَاصِي.**

ثَانِيهَا: أَنَّ سَعَةَ الرَّحْمَةِ وَسَبْقَهَا لِلغَضَبِ -وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِ الفَضْلِ- **لاَ تُنَافِي الانْتِقَامَ وَالتَّعْذِيبَ؛** بِدَلِيلِ الوُقُوعِ -ضَرُورَةً- فِي الدُّنْيَا؛ بِعَذَابِ

الاستئصالِ وَسَائِرِ المَصَائِبِ لِلمُؤمِنِ وغَيْرِهِ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللهُ -:

«فَإِنَّ قُلْتَ: مِنْ أَعْظَمِ الزَّوَاجِرِ - مَعَ القَوْلِ بِالرَّجَاءِ- دُخُولُ النَّارِ؛ فَإِنَّ مِنَ المُوحِّدِينَ مَنْ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ دُخولِهَا، ثُمَّ الخُرُوجُ مِنْهَا، وَعَدَمُ الدُّخُولِ أَصْلاً خَيْرٌ يَطْلُبُهُ كُلُّ ذِي صِيَانَةٍ لِنَفْسِهِ؛ فَلِمَ [لَمْ] نَعُدَّهُ مِنْهَا؟!.

قُلْتُ: **كَلاَمُنَا فِي الرَّجَاءِ [إِنَّمَا هُوَ] لِمَنْ لَمْ يَدْخُلْ؛ بَلْ يُغْفَرُ لَهُ قَبْلَ دُخُولِهَا، وَهُوَ الَّذِي حَكَتِ الآيَةُ فِي أَنَّهُ - تَعَالَى - يَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ لِمَنْ يَشَاءُ**، وَبَقِيَ المَغْفُورُ لَهُ مُجْمَلاً دَاخِلاً تَحْتَ المَشِيئَةِ، **وَأَمَّا بَعْدَ دُخُولِ النَّارِ؛ فَإِنَّهَا** قَدْ تَوَاتَرَتِ الأَحَادِيثُ بِأَنَّهُ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ المُوحِّدِينَ فِي النَّارِ، **فَخُرُوجُهُمْ مَقْطُوعٌ** بِهِ، وَقَدْ نَفَذَتْ فِيهِ المَشِيئَةُ بِالخُرُوجِ.

فَالرَّجَاءُ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا، وَأَمَّا بَعْدَ دُخُولِهَا فَقَدْ صَارَ مَقْطُوعاً بِخُرُوجِ المُوحِّدِ مِنْهَا بِالشَّفَاعَةِ، أَوْ بِمَحْضِ الفَضْلِ».

❖ المُلاَحَظَةُ الثَّالِثَةُ:

○ قَوْلُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ (ص١٩٧):

«**فَالإِرْجَاءُ هُوَ: تَأْخِيرُ شَيْءٍ لاَ يُعْرَفُ لَهُ وَجْهٌ يُصْرَفُ إِلَيْهِ؛ لأَنَّهُ غَيْبٌ مِنَ الغَيْبِ**، يُتْرَكُ فِيهِ الحُكْمُ - ثَوَاباً أَوْ عِقَاباً - إِلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَحْدَهُ، يُقْضَى فِيهِ عَلَى الخَلاَئِقِ، بِقُبْحِ عَمَلٍ، أَوْ بِحَسَنٍ يُصَارُ بِهِمْ فِيهِ إِلَى رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ، أَوْ إِلَى عَذَابٍ، قَلَّ العَمَلُ فِيهِ أَوْ كَثُرَ، صَوَاباً مُوَافِقاً لِلشَّرْعِ، أَمْ خَطأً مُخَالِفاً لِلشَّرْعِ، وَلَيْسَ لِلإِرْجَاءِ مَعْنًى غَيْرُهُ! **وَيَغْلِبُ عَلَى المُرْجِئَةِ بِهَذَا المَعْنَى الظَّنُّ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ**»!

□ نَقُولُ: موْقِفُ المُرْجِئَةِ مِنْ مَصِيرِ عُصَاةِ المُسْلِمينَ فِي النَّارِ -يوم القيامةِ-: هو أَسَاسُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ انحرافٍ وضَلاَل:

فَالوَاقِفَةُ مِنْهُمْ يَقُولُونَ: لاَ نَدْرِي؛ هَلْ يَدْخُلُ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ النَّارَ أَحَدٌ أَمْ لاَ؟! كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٤٨٦) وَ (١٨/ ١٩١).

وَغُلاَتُهُمْ يَقُولُونَ: لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ؛ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٤٨٦و ٥٠١)، وَ (١٦/ ١٩٦) وَ (١٨/ ١٩١و ٢٤٢).

وَمُرْجِئَةُ الجَهْمِيَّةِ يَقُولُونَ: يَمُوتُ عَلَى الإِيمَانِ -قطعاً-، وَيَكُونُ كَامِلَ الإِيمَانِ - عِنْدَهُمْ -، وَهُوَ مَعَ هذَا - عِنْدَهُمْ - مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ؛ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٤٣٨).

وَأَمَّا عُمُومُ المُرْجِئَةِ: (فَلاَ يَقْطَعُونَ) بِدُخُولِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ النَّار؛ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (١١/ ١٨٤).

وقد ذكر شيخُ الإسلام -رحمه الله- مِنَ المُرْجِئَةِ (مُقْتَصِدةً) قَالُوا: مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ؛ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (١٦/ ٢٤٢).

ثم قَالَ -رحمه الله-: «فَهَؤُلاَءِ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ».

نَقُولُ:

وَأَمَّا السُّنَّةُ المَحْضَةُ وَأَهْلُهَا الصَّادِقون، فَقَوْلُهُمْ الحقُّ: هُوَ مَا أَصَّلَهُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (١٨/ ١٩١) -بَعْدَ ذِكْرِ قَوْلِ المُرْجِئَةِ وَالخَوَارِجِ-:

«وَدِينُ اللَّهِ وَسَطٌ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَعَ اتِّفَاقِ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا مُتَطَابِقَةٌ عَلَى أَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مَنْ يُعَذَّبُ، وَأَنَّهُ لا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ».

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - (٧/ ٥٠١):

«السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ مُتَّفِقُونَ عَلَى مَا تَوَاتَرَتْ بِهِ النُّصُوصُ؛ مِن أَنَّهُ: لاَ بُدَّ أَنْ

يَدْخُلَ النَّارَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا».

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - (٧/ ٣٥٤):

«وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَالصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَائِرُ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ- مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْكَلامِ - مِنْ مُرْجِئَةِ الْفُقَهَاءِ والكَرَّامِيَّةِ والكُلاَّبِيَّةِ وَالأَشْعَرِيَّةِ وَالشِّيعَةِ -مُرْجِئِهِمْ وَغَيْرِ مُرْجِئِهِمْ-، فَيَقُولُونَ: إِنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ قَدْ يُعَذِّبُهُ اللَّهُ بِالنَّارِ ثُمَّ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ؛ كَمَا نَطَقَتْ بِذَلِكَ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ».

وقولُ مُرْجِئَةِ الفُقَهَاءِ - المُرادُ هُنَا - هُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي (٧/ ٢٩٧) - مُبَيِّناً أَنَّ خِلافَ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَهُمْ لَفْظِيٌّ -:

«وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ: أَنَّ أَكْثَرَ التَّنَازُعِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ هُوَ نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ - وَإِلا؛ فَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ - مِنَ الْفُقَهَاءِ - كَحَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ -وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ -وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهِمْ - مُتَّفِقُونَ مَعَ جَمِيعِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ الذُّنُوبِ دَاخِلُونَ تَحْتَ الذَّمِّ وَالْوَعِيدِ، وَإِنْ قَالُوا: إِنَّ إِيمَانَهُمْ كَامِلٌ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ[1]! فَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الإِيمَانَ بِدُونِ الْعَمَلِ الْمَفْرُوضِ وَمَعَ فِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ يَكُونُ صَاحِبُهُ مُسْتَحِقًّا لِلذَّمِّ وَالْعِقَابِ؛ كَمَا تَقُولُهُ الْجَمَاعَةُ.

وَيَقُولُونَ -أَيْضاً-: بِأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ؛ كَمَا تَقُولُهُ الْجَمَاعَةُ، وَالَّذِينَ يَنْفُونَ عَنْ الْفَاسِقِ اسْمَ الإِيمَانِ -مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ- مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ.

فَلَيْسَ بَيْنَ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ نِزَاعٌ فِي أَصْحَابِ الذُّنُوبِ - إِذَا كَانُوا مُقِرِّينَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَمَا تَوَاتَرَ عَنْهُ - أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ النَّارَ مِنْهُمْ مَنْ أَخْبَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِدُخُولِهِ إِلَيْهَا، وَلا يُخَلَّدُ مِنْهُمْ فِيهَا أَحَدٌ، وَلا

(١) وهذا هو موضع النزاع اللفظيّ -مع هؤلاء-؛ فتأمّلْ.

يكُونُونَ مُرْتَدِّينَ مُبَاحِي الدِّمَاءِ.

وَلَكِنَّ الأَقْوَالَ المُنْحَرِفَةَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ بِتَخْلِيدِهِمْ فِي النَّارِ؛ كَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَقَوْلُ غُلاةِ المُرْجِئَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: مَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ يَدْخُلُ النَّارَ؛ بَلْ نَقِفُ فِي هَذَا كُلِّهِ!!

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ غُلاةِ المُرْجِئَةِ الجَزْمُ بِالنَّفْيِ العَامِّ».

نَقُولُ: فَمَا فَسَّرَ فضيلةُ الشَّيْخِ - سَدَّدَهُ اللهُ - بِهِ - مَذْهَبَ المُرْجِئَةِ: هُوَ شَيْءٌ بَعِيدٌ عَنْ حَقِيقَةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ انْحِرَافٍ وَضَلالٍ.

و(لعلّ) هذَا هُوَ السَّبَبُ الذي أَوْقَعَهُ - سَدَّدَهُ اللهُ - فِي إشكالِ السُّؤالِ التَّالِي - وَهُوَ قَوْلُهُ (ص ١٩٧) -:

«ولَنَا أَنْ نَسْأَلَ هُنَا: هَلْ يُسْتَثْنَى وَاحِدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ هذَا الإِرْجَاءِ -بِمِثْلِ هذَا المَعْنَى-؛ يَسْتَوِي فِي ذلِكَ مَنْ آمَنَ بِقَلْبِهِ، وَصَدَّقَ وَأَذْعَنَ بِعَمَلِهِ الصَّالِحَاتِ، وَمَنْ آمَنَ بِقَلْبِهِ وَصَدَّقَ - فَقَطْ -، وَلَمْ يُذْعِنْ بِصَالِحِ العَمَلِ؟!

أَحْسبُ أَنْ لاَ أَحَدَ - قَطُّ - يُجَاوِزُ حُدُودَ الإِرْجَاءِ بِمِثْلِ هذَا المَعْنَى، مُؤمِناً كَانَ أَمْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ، أَيْ: عَلَى وَجْهِ التَّعْيِينِ لأَفْرَادٍ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَعْيَانِهِمْ، أَمَّا عَلَى وَجْهِ الوَصْفِ العَامِّ - بِالإِيمَانِ أَوْ بِالكُفْرِ-؛ فَإِنَّ الحُكْمَ - حِينَئِذٍ - مُخْتَلِفٌ؛ فَالْمُؤمِنُونَ هُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالكَافِرُونَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ، وَاللهُ مُرِيدٌ فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، يُقَدِّمُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ العِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَبِحِكْمَتِهِ؛ اسْتِثْنَاءً، وَيُؤَخِّرُ مَنْ يَشَاءُ مِنَ العِبَادِ بِعُقُوبَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَبِحِكْمَتِهِ، اسْتِثْنَاءً، لَيْسَ لِلْعِبَادِ - مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ[1]- إِلاَّ التَّسْلِيمُ وَالتَّفْوِيضُ عَلَى أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ؛ يَرْجُونَ بِهَا رَحْمَتَهُ، أَوْ عَلَى أَعْمَالٍ غَيْرِ صَالِحَةٍ؛ يَخَافُونَ بِهَا عَذَابَهُ، وَيَدُلُّ لِهذَا قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -:

---

(١) كيف يكون -هذا- (كافراً)؛ ثم يكون منه -في آنٍ معاً- (تسليم وتفويض)! و(على أعمال صالحة)! ثُمّ (يَرْجو بها رحمة الله)؟!! هل يجتمع أيٌّ من ذلك -مع غيْرِه-؟!!

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾».

وَهذِهِ هِيَ:

❖ المُلاَحَظَةُ الرَّابِعَةُ:

○ وَهِيَ أَنَّ هذَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ -هُنا- هُوَ **الرَّجَاءُ السُّنِّيُّ الحَقُّ**، وَهُوَ مُغَايِرٌ تَمَامَ المُغَايَرَةِ **لِلإِرْجَاءِ البِدْعِيِّ البَاطِلِ**.

وَفَرْقٌ عظيمٌ بَيْنَهُمَا - كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلاَمِ الإمامِ الصَّنْعَانِيِّ -.

وَبِالتَّالِي؛ فَإِنَّ هذَا السُّؤَالَ - **فِي هذَا الإِطَارِ** -غَيْرُ وَارِدٍ -أصلاً - **أَلْبَتَّةَ**-.

وأَمْرٌ آخَرُ:

وَهُوَ أَنَّ الاسْتِثْنَاءَ المَذْكُورَ فِي الآيَةِ: «**قَد اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ مِنْ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ**»[1]- فيه -؛ فَلاَ يَتِمُّ الاسْتِدْلاَلُ بالآيَةِ عَلَى هذا المَقْصُودِ -**بِيُسْرٍ وَسُهُولَةٍ**-.

❖ المُلاَحَظَةُ الخَامِسَةُ:

○ قَوْلُهُ (ص ١٩٨):

«هذَا الإِرْجَاءُ -**بِهذَا المَعْنَى**-، وَعَلَى الوَجْهِ الَّذِي بَيَّنَّا- **لَيْسَ فِيهِ مِنْ حَرَجٍ يَجْلِبُ الكُفْرَ لِمُعْتَقِدِهِ**».

□ فَنَقُولُ: وَهَلْ (الحَرَجُ) في ذَمِّ ضَلاَلِ أَهْلِ الضَّلاَلِ - كَالمُرْجِئَةِ وَغَيْرِهِمْ -

---

(١) «رَفْعُ الأَسْتَارِ لإِبْطَالِ أَدِلَّةِ القَائِلِينَ بِفَنَاءِ النَّارِ» (ص٩٠)، لِلصَّنْعَانِيِّ -بتحقيق شيخنا الكبير -رحمةُ الله عليه-.

مَبْنِيٌّ - فَقَطْ - عَلَى (جَلْبِ الكُفْرِ لِمُعْتَقِدِهِ)؟!

ثُمَّ؛ مَنْ مِنْ أئمّة أهل السنّة كَفَّرَ المُرْجِئَةَ - عَلَى ضَلاَلِ عقَائِدِهِمْ، وسوئِها، وانْحِرافِهَا -؟!

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ (٢٣/ ٣٤٨):

«وأَمَّا السَّلَفُ وَالأئِمَّةُ فَلَمْ يَتَنَازَعُوا فِي عَدَمِ تَكْفِيرِ المُرْجِئَةِ...».

وقَالَ (٧/ ٥٠٧):

«وقَدْ نَصَّ أحْمَدُ -وغَيْرُهُ مِنَ الأَئِمَّةِ-: عَلَى عَدَمِ تَكْفِيرِ هؤُلاَءِ المُرْجِئَةِ».

ومَنْ نَقَلَ عَنْ أَحْمَدَ - أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ - تَكْفِيراً لِهؤلاَءِ؛ أَوْ جَعَلَ هَؤلاَءِ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ المُتَنَازَعِ فِي تَكْفِيرِهِمْ: فَقَدْ غَلِطَ غَلَطاً عَظِيماً».

وقَالَ فِي (١٢/ ٤٨٥):

«وأَمَّا المُرْجِئَةُ؛ فَلاَ تَخْتَلِفُ نُصُوصُ الإِمَامِ أَحْمَد أَنَّهُ لاَ يُكَفِّرُهُمْ».

نقولُ: هذا كلُّهُ مع التوكيدِ -والتنبيه- على أنّهم ضُلاّلٌ، مُبتدعون، مُنحرفون...

❖ المُلاَحَظَةُ السَّادِسَةُ:

○ قَوْلُهُ (ص١٩٨):

«أَمَّا الإِرجَاءُ الَّذِي أَصَابَتْ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ مَا أَصَابَتْ مِنْ سُوءٍ، وأَخْرَجَهَا مِنْ حَظِيرَةِ الإِيمَانِ الحَقِّ؛ فَهُوَ الَّذِي قَالُوا فِيهِ: لاَ يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ بِهِ[1] مَعْصِيةٌ، ولاَ يَنْفَعُ به[1] مَعَ الكُفْرِ طَاعَةٌ».

---

(١) و (به) -هنا- زائدةٌ، إلّا إذا أُرجع الضميرُ لكلمة (الإرجاء)؛ فيكونُ المعنى: «لا يضرُّ مع الإيمان [بالإرجاء] معصية..»!! مع أنَّ هذا القولَ -نفسه- هو الإرجاء!! فيصيرُ هذا: إرجاء الإرجاء!!

□ فَنَقُولُ: إِنْ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «وَأَخْرَجَهَا مِنْ حَظِيرَةِ الإِيمَانِ الحَقّ»: التَّكْفِيرَ؟!

فَهذَا بَاطِلٌ - كَمَا تَقَدَّمَ -.

وَإِنْ أَرَادَ بِهِ: **التَّضْلِيلَ**؟!

فَنَعَمْ؛ وَبِالتَّالِي؛ فذاكَ: خُرُوجٌ دُونَ خُرُوجٍ!

وهو ما بِهِ نقولُ، **والمخالفُ للحقّ -دائماً- محجوج!!**

❖ المُلاَحَظَةُ السَّابِعَةُ:

○ قَوْلُهُ (ص١٩٩):

«وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ مَا كَانَ لِيَكُونَ لِهذِهِ العَقِيدَةِ مَكَانٌ فِي صُدُورِ المُسْلِمِينَ، لَوْ أَنَّ **أَهْلَ العِلْمِ -بِعَامَّتِهِمْ-**، وَقَفُوا فِي **تَأْوِيلاَتِهِمُ** النُّصُوصَ عِنْدَ حُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ صَرِيحِ الكِتَابِ العَزِيزِ وَمَا تَبِعَتْ بِهِ السُّنَّةُ المُطَهَّرَةُ مِنْ يُسْرِ الفَهْمِ، وَسُهُولَةِ اللَّفْظِ الَّتِي لاَ يُعْرَفُ مَعْنَى النَّصِّ الوَاحِدِ مِنْهَا؛ إِلاَّ بِالْتِئَامِهِ مَعَ نَظَائِرِهِ، **فَيَصِيرُ بِالمَعْنَى المُرَادِ عَلَى صِحَّتِهِ وَكَمَالِهِ وَصَوَابِهِ**».

□ فَنَقُولُ: إِنَّ (**أَهْلَ العِلْمِ -بِعَامَّتِهِمْ-**) مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ - **قَدِيماً وَحَدِيثاً** - لَمْ يُجَاوِزُوا قَدْرَ الشَّرْعِ فِي نَظَرِهِمْ فِي النُّصُوصِ؛ **فَكَانُوا حُرَّاساً عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ، وَأُمَنَاءَ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ؛ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ مُفْسِدٍ، وَلاَ تَفْرِيطٍ مُبْطِلٍ!**

وَهذَا كُلُّهُ جَعَلَهُمْ - رَحِمَهُمُ اللهُ - جَمِيعاً - **مُطْبِقِينَ** عَلَى الالْتِزَامِ بِـ(**الوَسَطِ الحَقّ**) الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الأَدِلَّةُ القُرْآنِيَّةُ، وَالنُّصُوصُ النَّبَوِيَّةُ..

فَمَا كَانَ مِنْهُمْ - رَحِمَهُمُ اللهُ - شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ **التَّأْوِيلِ** المُخَالِفِ لِلشَّرْعِ، إِلاَّ مَا وَقَعَ - **فَلْتَةً** - نَتِيجَةَ اجْتِهَادٍ **صَرِيحٍ صَحِيحٍ**؛ مَبْنِيٌّ عَلَى أَجْرٍ وَاحِدٍ أَوْ أَجْرَيْنِ.

وما يكونُ شيءٌ من ذلك -في دُنْيا الناس- إلاّ بسبب مُخالفة المُخالف لهم، والمُغاير لمنهجهم؛ ممّن رامَ (بغير حقٍّ) التوسيط: فوقَع في إفراطٍ أو تفريطٍ!! أو (رغِب) بنظرةٍ (وسَط): فتَلبّس بالشَّطَط!!

❖ الملاحظة الثامنة:

○ قَوْلُهُ (ص١٩٩):

«وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، مَرَدُّهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ بِالإِخْلاَصِ فِي الشَّهَادَةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا عَمَلٌ، وَالْمَصِيرُ إِلَى النَّارِ بِعُقُوبَةٍ مِنَ اللهِ بِعَدَمِ الإِخْلاَصِ فِي الشَّهَادَةِ، وَلَوْ كَانَ مَعَهَا عَمَلٌ، وَلَيْسَ يُعْرَفُ الإِخْلاَصُ مِنْ غَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ -إِذاً- فِي كِلاَ الحَالَيْنِ: مُرْجَأٌ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ لَنَا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ سَبِيلٍ نَحْكُمُ عَلَيْهِ بِهِ بِمَثُوبَةٍ أَوْ بِعُقُوبَةٍ يَنَالُهَا فِي الآخِرَةِ؛ بَلْ هُوَ مُرْجَأٌ - فِي حَالَيْهِ -جَمِيعاً- إِلَى اللهِ بِسَخَطِهِ، أَوْ بِرِضَاهُ».

□ فَنَقُولُ:

أَحْكَامُ الدُّنْيَا مُرْتَبِطَةٌ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ؛ الَّتِي مَنْ قَالَهَا فَهُوَ مُسْلِمٌ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

أَمَّا أَحْكَامُ الآخِرَةِ: فَلاَ يَعْلَمُ (حَقِيقَتَهَا) إِلاَّ رَبُّ العَالَمِين.

وَفِي هذَا شَيْءٌ مِنَ التَّفْصِيلِ المُبِينِ المَتِين:

قَالَ الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ فِي «عَقِيدَتِهِ» :

«وَلاَ نُنْزِلُ أَحَداً مِنْهُمْ [أَهْلِ القِبْلَةِ] جَنَّةً وَلاَ نَاراً».

قَالَ الشَّارِحُ - الإِمَامُ ابْنُ أَبِي العِزِّ الحَنَفِيُّ - فِي «شَرْحِهِ» (ص٣٧٨):

«يُرِيدُ: أَنَّا لاَ نَقُولُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ: مِنْ أَهْلِ النَّارِ، إِلاَّ مَنْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ ﷺ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ كَالعَشَرَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم-، وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ مَنْ شَاءَ اللهُ إِدْخَالَهُ النَّارَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَلَكِنَّا نَقِفُ فِي الشَّخْصِ المُعَيَّنِ، فَلاَ نَشْهَدُ لَهُ بِجَنَّةٍ وَلاَ نَارٍ إِلاَّ عَنْ عِلْمٍ ؛ لأَنَّ الحَقِيقَةَ بَاطِنَةٌ، وَمَا مَاتَ عَلَيْهِ لاَ نُحِيطُ بِهِ؛ لَكِنْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ، وَنَخَافُ عَلَى المُسِيئِينَ».

وَقَالَ الإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ - أَيْضاً -:

«ولاَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلاَ بِشِرْكٍ وَلاَ بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهم إِلَى اللهِ -تَعَالَى-».

فقَالَ الشَّارِحُ - رَحِمَهُ اللهُ -:

«لأَنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَنُهِينَا عَنِ الظَّنِّ وَاتِّبَاعِ مَا لَيْسَ لَنَا بِهِ عِلْمٌ، قَالَ - تعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾، وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾.

وَمِنْ كَلاَمِ الإمامِ الطَّحَاوِيِّ - أَيْضاً -:

«وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِه، وَلاَ نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلاَ نَشْهَدُ لَهُمْ بِالجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلاَ نُقَنِّطُهُمْ».

وَعَلَيْهِ؛ فَإِنَّ كَلاَمَ الشَّيْخِ - سَدَّدَهُ اللهُ - فِي أَنَّ:

(الإِخْلاَصَ فِي الشَّهَادَةِ - **وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا عَمَلٌ**[1] - هُوَ الأَسَاسُ المُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِ الآخِرَةِ...)

صَحِيحٌ.

وَكَلاَمُهُ - أَيْضاً - فِي أَنَّهُ: (لَيْسَ يُعْرَفُ الإِخْلاَصُ مِنْ غَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا) -عَلَى اعْتِبَارِ المَآلِ الأُخْرَوِيِّ -:

صَحِيحٌ - أَيْضاً -.

وَلَكِنْ؛ هَلْ هذَا -وذاك - مِمَّا يَمْنَعُ مِنْ **إِجْرَاءِ أَحْكَامِ الدُّنْيَا عَلَى الظَّاهِرِ** -وَلَيْسَ لَنَا -ولا بِوُسعِنا - إِلاَّ هُوَ! -، مَعَ عَدَمِ **(القَطْعِ)** بِدُخُولِ الجَنَّةِ، أَوْ النَّارِ **إِلاَّ بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالنُّصُوصِ المُحْكَمَةِ الإِلهِيَّةِ أو النبويّة.**

(١) وقد تقدّم عن الشيخ أن الإخلاصَ لا يكونُ إلا بإخلاصِ القلبِ والجوارحِ -معاً-!

بل إنَّ شيخَ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله- قال في «مجموع الفتاوي» (٧ / ٣٥١) «وقد اتفق العلماءُ على أنّ اسم (المسلمين) -في الظاهر- يجري على المنافقين؛ لأنّهم استسلموا ظاهراً»

وَهذَا -الأَخِيرُ- هُوَ الَّذِي يَكُونُ (مُرْجأً إِلَى اللهِ وَحْدَهُ) -لاَ غَيْرَ-. . .

وَعَلَيْهِ؛ فَلاَ تَعَارُضَ-أَلبتَّةَ- بَيْنَ أَحْكَامِ الدُّنْيَا - مِنْ جِهَةٍ -، وَأَحْكَامِ الآخِرَةِ -مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى-، مَعَ بِنَاءِ كِلاَ الحُكْمَيْنِ عَلَى كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ - أَصْلاً- ؛ كما قال شيخُ الإسلام -رحمه الله- (٧/ ٣٥١): «وقد اتفق العلماءَ على أنّ اسم (المسلمين) -في الظاهر- يجري على المنافقين. .» إلى آخر كلامه -رحمه الله-.

❖ المُلاَحَظَةُ التَّاسِعَةُ:

○ قَوْلُ الشَّيْخِ الكاتبِ (ص١٩٩):

«وَهَلْ يَكُونُ إِرْجَاءٌ غَيْرُ هذَا؟! وَإِذْ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ فَلاَ مَفَرَّ مِنَ الوُقُوعِ فِي الإِرْجَاءِ، وَهُوَ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، لاَ أَحَدَ يُخَالِفُ عَنْهُ، وَلاَ شَيءَ يَصْرِفُ عَنْهُ، وَلاَ مَحِيدَ عَنِ الانْتِهَاءِ إِلَيْهِ».

□ فَنَقُولُ: (الإِرْجَاءُ) الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ كَلاَمُ فضيلةِ الشَّيْخِ - سَدَّدَهُ اللهُ - لُغَوِيٌّ؛ لاَ صِلَةَ لَهُ بِالإِرْجَاءِ الاصْطِلاَحِيِّ -عند أصحابه - المَنْظُورِ فِيهِ من أهل العلمِ - أَصْلاً وَفَرْعاً -.

وَعَلَيْهِ؛ فَإِنَّ هذَا (الإِرْجَاءَ) - بِهذَا المَعْنَى الحَادِثِ -وإنْ كان صحيحَ المعنى- قَدْ يَكُونُ فَتْحاً لِبَابٍ يَلِجُ بِهِ أَهْلُ الإِرْجَاءِ -بضلالهِ-؛ يَمْكُرُونَ بِأَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ خِلاَلَهِ!

وَهَذَا يَجْعَلُنَا حَرِيصِينَ - جِدّاً - عَلَى التَّصْرِيحِ - بِمِلْءِ الصَّوْتِ -:

(نَحْنُ لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى إِحْدَاثِ مِثْلِ هذَا المُصْطَلَحِ[1]) المائع؛ سَدّاً

---

(١) مِنْ كَلاَمِ الشَّيْخِ - نَفْسِهِ - (ص ١٩٥).

لِلذَّرَائِع، وَصِيَانَةً لِلشَّرَائِع؛ حِمَايَةً للدين مِن غاراتِ المُتربِّصين، وجنايةِ الكائدين...

❖ المُلاَحَظَةُ العاشِرَةُ:

○ قَوْلُهُ (ص١٩٩- ٢٠٠):

«وَحِينَ اخْتَلَطَ الأَمْرُ، وَصَارَ الإِرْجَاءُ - **حَتَّى لَوْ كَانَ لاَ بُدَّ مِنَ القَوْلِ بِهِ!** - عَلَى نَحْوِ مَا صَارَ إِلَيْهِ - وَتَقَاوَلَتْ فِيهِ الأَلْسُنُ، وَتَطَاوَلَتْ بِهِ الآرَاءُ، وَتَمَارَتْ فِيهِ العُقُولُ، وَأَضْحَى عَقِيدَةً - **وَمَا لَنَا فِيهَا مِنْ حَاجَةٍ!** - يُدَانُ بِهَا، ويُوسَمُ أَوْ يُرْمى طَوَائِفُ بِهَا، وَأُقِيمَ سَدٌّ مَنِيعٌ بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ فِيهَا؛ فَهذَا عَلَى حَقٍّ بِرَدِّهِ وَصَدِّهِ عَنْهُ، وَهذَا فِي بَاطِلٍ عَلَى عِنَادٍ وَتَشَبُّثٍ بِه[1] -، لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ تَوْجِيهِهِ - **أَيْ: الإِرْجَاءِ - تَوْجِيهاً تَنْكَفِئُ فِيهِ الآرَاءُ انْكِفَاءً، تُوثَقُ بِهِ إِلَى مَا وَرَاءَ الظَّهْرِ، فَلاَ يَكُونُ مِنْهَا إِلاَّ تَسْلِيمٌ - إِنْ شَاءَ اللهُ - لِحَقٍّ يُرْتَجَى لِصَوَابٍ، وَمُجَانَبَةٌ لِبَاطِلٍ يُطْلَبُ بِه نَأْيٌ عَنْ خَطإٍ**».

□ فَنَقُولُ: مَنْ ذَا القَائِلُ: (لاَ بُدَّ مِنَ القَوْلِ بِالإِرْجَاءِ)؟!

وأين قَوْلُهُ؟!

وما هي حقيقةُ قولِه؟!

وَكَيفَ يَكُونُ ذَلِكَ -كذلك- وهُوَ -**فِي الوَقْتِ** نفسه- (عَقِيدَةٌ مَا لَنَا فِيهَا مِنْ حَاجَةٍ)؟!

ثُمَّ هذَا (التَّوْجِيهُ) - المُشَارُ إِلَيْهِ -بَعْدُ- مَا هُوَ نَصِيبُهُ - **فِي هذَا الخِضَمِّ** - مِنَ الصَّوَابِ؟!

أَمْ أَنَّهُ سَيَزِيدُ الفُرْقَةَ فُرْقَةً، وَالاخْتِلاَفَ اخْتِلاَفاً؟!

---

(١) من هو هذا المُبْطِلُ الأفَّاكُ المعانِدُ، المتشبِّثُ بالإرجاء -لا يُريد عنه انفكاكاً-؟!!

وَهذَا مَا حَدَثَ - فِعْلاً -!!

فَنُكَرِّرُ - قَائِلِينَ -، ونَقُولُ - مُكَرِّرِين -:

وخَيْرُ الأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الهُدَى ... وَشَرُّ الأُمُورِ المُحْدَثَاتُ البَدَائِعُ

❖ المُلاَحَظَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ:

○ ثم قال -سدّده الله- (٢٠٠) - حَوْلَ مَسْأَلَةِ الإِرْجَاءِ -:

«وَهِيَ مَسْأَلَةٌ، وأَحْلِفُ بِاللهِ - وَلَسْتُ حَانِثاً - إِنْ شَاءَ اللهُ - أَنَّهَا **لاَ تَسْتَحِقُّ إِلاَّ السُّكُوتَ عَنْهَا، وَعَدَمَ إِثَارَتِهَا، وَلاَ الخَوْضَ فِيهَا، نَجْرِي بِذلِكَ فِيهَا عَلَى سَنَنِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ**.

□ فَنَقُولُ:

وَإِذِ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فَلِمَاذَا **(الخَوْضُ فِيهَا وَإِثَارَتِهَا، وَعَدَمُ السُّكُوتِ عَنْهَا)** -عكساً بعكسٍ!-

وإنْ كان؛ فلماذا يُؤتَى لَهَا -وبها- بِتَعَارِيفَ جَدِيدَةٍ، وَاصْطِلاَحَاتٍ حَادِثَةٍ؟!

بل: لِمَاذَا لَمْ نَجْرِ فِيهَا **(عَلَى سَنَنِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ)** مِنْ البَيَانِ الأمين، وَالكَشْفِ المُبِين؟!

لكنَّ الصَّوَابَ -في هذا كلِّه- أنْ يُقَال، وبصريح المقال:

نعم؛ وَاجِبٌ الخَوْضُ فِيهَا، وَفَرْضٌ إِثَارَتُهَا، وَحَرِيٌّ عَدَمُ السُّكُوتِ عَنْهَا **-إسكاتاً للخائضين، وإفحاماً للمعاندين-؛** لَكِنْ بِضَوَابِطِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَبِقَوَاعِدِ العُلَمَاءِ وَالأَئِمَّةِ، **دُونَ اجْتِهَادٍ قَاصِرٍ! وَمِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ مُتَكَلَّفٍ مَنْقُوصٍ! وَبِلاَ إِحْدَاثٍ نَحْنُ فِي أَشَدِّ الغِنَى عَنْهُ!!**

□□□□□

المسألة الخامسة:

هَلِ العَمَلُ شَرْطُ صِحَّةٍ فِي الإِيمَانِ، أَمْ شَرْطُ كَمَالٍ؟

❖ **المُلاَحَظَةُ الأُولَى:**

○ قَالَ الشَّيْخُ (ص٢٠٠) - بَعْدَ طَرْحِهِ - هذَا السُّؤَالَ -:

«وَإِنِّي لأَعْجَبُ حقًّا مِنْ هذَا التَّفْرِيقِ؛ الَّذِي لاَ مَلْجأَ مِنْهُ إِلاَّ إِلَى اللهِ - وَحْدَهُ -، إِذْ كَيفَ يَسْتَقِيمُ - عقْلاً - أَنْ يُفرِّقَ بَيْنَ شَيْءٍ لاَ يُسَمَّى صَحِيحاً إِلاَّ بِأَنْ يَكْمُلَ بِتَمَامِهِ، وبَيْنَ شَيْءٍ لاَ يَكْمُلُ إِلاَّ بِصِحَّةِ ذَاتِهِ، وَأَنْ تَكُونَ الصِّحَّةُ لِبَاسَهُ؟!

وَإِنِّي أُسَائِلُ نَفْسِي: هَلِ الشَّيْءُ الَّذِي لَمْ يَكْمُلْ يُقَالُ فِيهِ: إِنَّهُ صَحِيحٌ؟! وَهَلِ الشَّيْءُ الَّذِي لَمْ يَصِحَّ يُقَالُ فِيهِ: إِنَّهُ كَامِلٌ؟

وَالقَوْلُ الصَّوَابُ الصَّحِيحُ الكَامِلُ، هُوَ:

أَنَّ الصَّحِيحَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِكَمَالِهِ، وَأَنَّ الكَامِلَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِصِحَّتِهِ».

□ فَنَقُولُ:

أولاً: هذه مَسألةٌ كبيرةٌ -عَظُمَ الخَوْضُ -اليوم- فيها، واشتدّ التماري بشأنها؛ دونَ اسْتِكْنَاهِ لحقيقتِها، أو انتباهٍ لخوافيها..

ثانياً: المُسْتَقِيمُ -عقْلاً، وَشرعاً، وَوَاقِعاً- هُوَ بُطْلاَنُ الكَلاَمِ المذكور -قبلُ- من أساسِه-!!

وَلِمَزِيدٍ مِنَ الإِيْضَاحِ نَقُولُ:

شُعَبُ (الإِيمَانِ الكَامِلِ) بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -كما صحَّ بهذا الحديثُ-. . .

وهذا - فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ - هو (الإِيمَانُ الصَّحِيحُ) -.

وَلَكِنْ: إِذَا نَقَصَتْ مِنْ هذَا (الإِيمَانِ الكَامِلِ) بَعْضُ شُعَبِهِ، هَلْ يُؤَثِّرُ هذَا (النقصُ) عَلَى (الإِيمَانِ الصَّحِيحِ)؛ فَيَجْعَلَهُ إِيمَاناً (فَاسِداً) أَوْ (بَاطِلاً)؟!

أَمْ أَنَّ التأثيرَ الناتجَ يَقَعُ عَلَى (الإِيمَانِ الكَامِلِ)؛ لِيصيرَ (نَاقِصاً)؟!

وَمَا هِيَ الشُّعْبَةُ - مِنْ شُعَبِ (الإِيمَانِ الكَامِلِ) - الَّتِي يُوقِعُ نَقْصُهَا أو نَقْصُها- فِي (فَسَادِ) هذا (الإِيمَانِ الصَّحِيحِ)؟!

أَهِيَ الشُّعبةُ الثالثة والسبعُون؟! أم الرابعة والستُّون؟! أم الحادية الخمسون؟! أم التاسعة والأربعون؟! أم الثلاثون؟! أم الخامسة والعشرون؟! أم السابعة عشرةَ؟! أم السادسةُ؟!

أم الخامسةُ؟! الرابعةُ؟! الثالثةُ؟!

فَلم -بَعْدُ- يَبْقَ إلّا شُعْبَتا (الصلاة) و (كلمة التوحيد). . . والأولى: -**موضعُ خلافٍ فقهيٌّ - ما بين راجحٍ ومرجوح، وصواب وخطأ-**؛ فلم يَبْقَ إلّا (كلمة التوحيد) -**موضع اتفاقٍ بين أهل العلم من أهل السنّة -قاطبةً- يكونُ التاركُ لها كافراً مرتداً ، خارجاً من الملّة.**

وقد تقدّم (ص) نقلُ كلام **الإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيميّة، والإمام محمد بن عبد الوهّاب** -في ذلك-.

ونزيد -هنا- ذِكْرَ سؤالٍ وُجّه **لسماحة أستاذنا العلاّمة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمهُ اللهُ-؛ هو:**

«العلماءُ الذين قالوا بعدمِ كُفْر من ترك أعمال الجوارح -مع تلفّظه

بالشهادتين، ووجود أصل الإيمان القَلبي-؛ **هَل هُم مِنَ المرْجئةِ؟!**».

فكان جواب سماحة الشيخ -رحمةُ الله عليه- كالتالي:

«**هذا من أهل السنة والجماعة**؛ فمن ترك الصيام، أو الزكاة، أو الحجّ: لا شكّ أنّ ذلك كبيرةٌ عند العلماء؛ ولكنْ، على الصوابِ: **لا يكفر كفراً أكبرَ**.

أمّا تاركُ الصلاةِ: **فالأرجحُ**: أنّه كافرٌ كفراً أكبر إذا تعمّد تركَها.

وأمّا ترك الزكاة، والصيام، والحجّ: فإنّه **كفرٌ دون كفر**».

وقال في موضع آخَرَ -جواباً على سؤالٍ مُماثلٍ- هو:

أعمالُ الجوارح؛ هل هي **شرطُ كمالٍ، أم شرطُ صحّةِ الإيمان؟!**

فكان جوابُ سماحته -تغمّده الله برحمتِهِ-:

أعمال الجوارح -كالصومِ، والصدقة، والزكاة- **هي من كمال الإيمان، وتركُها ضَعفٌ في الإيمان**.

أمّا الصلاةُ؛ **فالصواب**: أن تركَها كُفْرٌ؛ فالإنسانُ عندما يأتي بالأعمال الصالحة: فإن ذلك **من كمال الإيمان**»[1]

نقولُ: فَجَعَلَ -رحمه الله تعالى- مسألةَ الصلاةِ داخلةً في باب **(الراجح والأرجح)**، و**(الصواب والخطأ)**؛ دون التضليل، أو التبديع!!

وقد تقدّم النقلُ المُتكاثر عن العُلَماء والأئمة في **مسألة الصلاة المهمة**.

على أننا نُنَبِّه -هنا- أنّ كلمة **(شَرْط)** -في هذا المجال -والواردة في السؤال- إنّما تُستعمل -عند من يستعملُها- على الوجهِ اللغويّ، **دون المعنى الأُصوليّ الاصطلاحي**؛ ذلكم أنّ معناها -الأصوليّ- في هذا المقام- **يُخرج الأعمالَ عن الإيمان!**

وهذا هو مذهبُ المرجئةِ الضالّة!

---

(١) «مجلة الفرقان» (عدد: ٩٤/ ص١١-١٢) الكويت.

وأمّا (**الكمال**) المذكور -في هذا المجال- أيضاً- فإنّه بحسب العَمَل الصالح -المقصود-: **فإذا** كان العملُ الصالح -المقصود- **سُنّةً ومستحباً**: **فالكمال مستحبٌ**.

وإذا كان العملُ الصالحُ -المقصود- **واجباً، ومفروضاً**: **فالكمالُ واجبٌ**[1].

وإيضاحاً - أكثَرَ وأكثَرَ -لأصل المسألةِ- نذكرُ كلامَ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (٧/ ٢٢٣):

«وأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: إنَّ الإِيمَانَ إذَا ذَهَبَ بَعْضُهُ [وَهُوَ النَّقْصُ فِي (الكَامِلِ) -مِنْهُ-]: ذَهَبَ كُلُّهُ [وَهُوَ ذَهَابُ (الصَّحِيحِ) - مِنْهُ - لِيصِيرَ فَاسِداً أَوْ بَاطِلاً]: فَهَذَا مَمْنُوعٌ.

وَهَذَا هُوَ الأَصْلُ الَّذِي تَفرَّعَتْ عَنْهُ الْبِدَعُ فِي الإِيمَانِ؛ فَإِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ مَتَى ذَهَبَ بَعْضُهُ ذَهَبَ كُلُّهُ؛ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ...».

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - (١٣/ ٤٨):

«قَالَتِ الخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ: قَدْ عَلِمْنَا - يَقِيناً - أَنَّ الأَعْمَالَ مِنَ الإِيمَانِ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ تَرَكَ بَعْضَ الإِيمَانِ، وَإِذَا زَالَ بَعْضُهُ زَالَ جَمِيعُهُ؛ **لأَنَّ الإِيمَانَ لاَ يَتَبَعَّضُ**...».

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ» (٥/ ٢٠٤) - بَعْدَ تَقْرِيرِهِ مَنْهَجَ أَهْلِ السُّنَّةِ الحَقِّ-:

«وَبِهذَا يَتَبَيَّنُ الجَوَابُ عَنْ شُبْهَةِ أَهْلِ البِدَعِ مِنَ الخَوَارِجِ وَالْمُرْجِئَةِ -وَغَيْرِهِمْ-، مِمَّنْ يَقُولُ: إنَّ الإِيمَانَ لا يَتَبَعَّضُ، ولاَ يَتَفَاضَلُ، وَلاَ يَنْقُصُ؛ قَالُوا: **لأَنَّهُ إِذَا ذَهَبَ مِنْهُ جُزْءٌ ذَهَبَ كلُّه؛ لأَنَّ الشيءَ - المُرَكَّبُ**[2] **مِنْ أَجْزَاءٍ**- مَتَى

---

(١) انظر التعليق الآتي في الصفحة التالية.

(٢) وفي «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥١٤-٥١٧) فصلٌ مهمٌّ في أنواع التركيب؛ فانظره.

ذَهَبَ مِنْهُ جُزْءٌ ذَهَبَ كُلُّهُ، كَالصَّلاَةِ إِذَا تَرَكَ مِنْهَا وَاجِباً بَطَلَتْ!

وَمِنْ هذَا الأَصْلِ تَشَعَّبَتْ بِهِمْ الطُّرُقُ...».

ثُمَّ قَالَ:

«وَعَلَى هذَا فَنَقُولُ: إِذَا نَقَصَ شَيْءٌ مِنْ وَاجِبَاتِهِ؛ فَقَدْ ذَهَبَ ذلِكَ الكَمَالُ[1] وَالتَّمَامُ، وَيَجُوزُ نَفْيُ الاسْمِ إِذَا أُرِيدَ بِهِ نَفْيُ الكمالِ.. والمنفيُّ إنّما هو المجموعُ؛ لا كلُّ جزءٍ مِنْ أجْزَائِهِ؛ كَمَا إِذَا ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ العَشْرَةِ، لَمْ تَبْقَ العَشَرَةُ عَشَرَةً».

لَكِنْ: بَقِيَ أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا...».

□ نَقُولُ:

وَإِنَّنَا (لَنَكَادُ) نَجْزِمُ أَنَّ هذَا - كُلَّهُ - غَيْرُ مُرَادٍ لِلشَّيْخِ -سدّده اللهُ-، وَإِنْ كَانَ هُوَ صَرِيحَ لَفْظِهِ!

وَلَسْنَا نَدْرِي - وَاللهِ - كَيْفَ نُوَجِّهُ كَلاَمَهُ، بِمَا يَلْتَقِي قَصْدَهُ وَمَرَامَهُ!!

فَلَقَدْ صَرَّحَ - سَدَّدَهُ اللهُ - مِن قَبْلُ - (ص١٨٤) -بإشارةٍ (سريعةٍ) عابرةٍ- أَنَّ: (الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)، وَمَا هُنَا مُخَالِفٌ لَهُ، وَمُغَايِرٌ أصلَهُ؛ فَمَا العَمَلُ؟! وَكَيْفَ المَصِيرُ؟!

وَمَا هِيَ أَوْجُهُ الرَّبْطِ -هنا- بَيْنَ (الصِّحَّةِ) وَ (الكَمَالِ)؟!

وَكَيْفَ يمكنُ أَنْ لاَ يَكُونَ هذَا إِلاَّ بِذَاكَ، وَلاَ يَكُونَ ذَاكَ إِلاَّ بِهذَا؟!

---

(١) والكمالُ الّذي يذهبُ -في هذا المقام-؛ هو الكمالُ الواجبُ، لا الكمالُ المُستحبُّ.

وفي هذا البحثِ تفصيلٌ ليس هذا موضعَ بيانِهِ؛ فانظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٥، ١٩٨، ٣٤٤، ٥١٨، ٦٤٧، ٦٥٣) و (١١/ ٦٥٤،) و (١٢/ ٤٧٩) و (١٤/ ٤٧٨) و (١٨/ ٢٦٩) و (١٩/ ٢٩٣)، و (٢٢/ ٥٣٠) لشيخ الإسلام.

ورضي اللهُ عن ابنِ الخطّاب -الخليفةِ الثاني- القائلِ -: «ضَعْ أمرَ أخيك على أحسنِه، حتّى يجيئَك منهُ ما يَغلبُك»[1].

ولا حولَ ولا قُوّةَ إلا بالله...

❖ الملاحَظةُ الثانيةُ:

○ قَوْلُ الشَّيْخِ (ص٢٠١):

«وَهذَا التَّفْرِيقُ -كَغَيْرِهِ مِنَ **المُحْدَثَاتِ المُخْتَرعَاتِ فِي الدِّينِ**-، لَمْ يُعْرَفْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ولَمْ يَأتِنَا عَنِ الصَّحَابَةِ نَبأٌ مِنْهُ، فَلاَ يَكُونُ مِنَّا - مِنْ بَعْدِهِمْ - تَفْرِيقٌ بيْنَ لَفْظٍ وبَيْنَ مُرَادِفِهِ، ولْنَذْكُرْ هُنَا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ»، وتَمَامُ الشَّيْءِ تكُونُ فيهِ سَلاَمَتُهُ وصِحَّتُهُ، كَمَا يَكُونُ فِيهِ كَمَالُهُ وَصوَابُهُ».

□ فنَقُولُ:

هُنَا مَسْأَلَتَانِ:

الأُولَى: النَّظَرُ فِي الاصطِلاَحَاتِ **مُرْتَبِطٌ بِمَدَى مُوافَقَتِهَا لأَدلَّةِ الشَّرْعِ**، لاَ بِذَاتِ أَلْفَاظِهَا، ومَحْضِ حروفِها...

وَإِلاَّ؛ **فَمَا الَّذِي سَوَّغَ تَجْوِيزَ التَّفْرِيعِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ** أَنْوَاعِ الإِخْلاَصِ، وأَنْوَاعِ الجُحُودِ، وأَنْوَاعِ الإِذْعَانِ -وغير ذلك- كَمَا فَعَلَ الشَّيْخُ -نفسُه!- وتَقَدَّمَ نَقْلُ هذا عَنْهُ -هُنا- (ص٩٥) -مجموعاً-، **وَلَم يُسَوِّغْ -هُوَ- مِثْلَ هذَا التَّفْرِيقِ؟!**

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: نَعَمْ، تَمَامُ الشَّيْءِ تَكُونُ فِيهِ سَلاَمَتُهُ وَصِحَّتُهُ، كَمَا يَكُونُ فِيهِ كَمَالُهُ وَصَوَابُهُ؛ **لَكِنَّ البَحْثَ المهمَّ فِي عَكْسِ ذَلِكَ**، وهو:

---

(١) «المتّفق والمفترق» (١/ ٣٠٤) للخطيب البغدادي.

هَل انْتِقَاصُ (الكَمَالِ) يَلْزَمُ منه بُطلانُ (الصِّحَّةِ) ونَقْضُها؛ كَمَا قِيلَ: (الصَّحِيحُ لاَ يَكُونُ إلاَّ بِكَمَالِه[1])؟!

فَهَلِ النَّاقِصُ لاَ يَكُونُ -لزوماً- صَحِيحاً؟!

وما هي صِلَةُ النَّقْص بالصحةِ، والكمال -وجوداً وعدَماً -؟!

رحم الله -تعالى- شيخَ الإسلامِ القائل -كما في «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٢٩٤)-:

«المؤمن المُطلَق، هو: المؤدّي للإيمان الواجب، ولا يلزُم من كونِ إيمانه ناقصاً عن الواجب أن يكونَ باطلاً حابطاً»[2].

ومن خالفَ (هذا) كان قولُهُ مردوداً هابطاً!!

❖ المُلاَحَظَةُ الثَّالِثَةُ:

○ ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (ص٢٠١):

«نَعَمْ؛ (قَدْ) يُقْبَلُ الشَّيءُ الَّذِي يُنْتَقَصُ بِصَرِيحِ اللَّفْظِ، أَوْ بِالإِيمَاءِ إِلَيْهِ، أَوْ بِاسْتِثْنَاءٍ يُخْرِجُهُ مِنْ عُمُومِهِ، وَهذَا شَيءٌ يُمكِنُ العَوْدُ فِيهِ إِلَى كُتُبِ اللُّغَةِ، وَالأُصُولِ، وَالقَوَاعِدِ، وَيُحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ طَوِيلٍ، لَعَلَّ اللهَ إِنْ كَتَبَ لَنَا عُمْراً أَنْ نَكْتُبَ فِيهِ».

□ فَنَقُولُ: وَاحْتِمَالِيَّةُ القَبُولِ -هذِهِ- المَبْنِيَّةُ عَلَى حَرْفِ (قَدْ)!- تَنْقُضُ المَعْنَى السَّابِقَ الَّذِي قَرَّرَهُ الشيخُ -سَدَّدَهُ اللهُ- **مِنْ نَفْيِ الصِّحَّةِ بِنَفْيِ الكَمَالِ!**

فَمَا هُوَ مِقْدَارُ هذِهِ الاحْتِمَالِيَّةِ؟!

وَإِلَى أَنْ نَصِلَ إِلَى تَقْرِيرِهَا - بَعْدَ (وَقْتٍ طَوِيلٍ) - مَاذَا نَفْعَلُ؟!

---

(١) كَمَا هُوَ قَوْلُ الشَّيْخِ (ص٢٠٠).

(٢) وانظر (٢/ ٤٧١-٤٧٢) -منه-.

وما هي الأحكامُ المترتّبةُ على ذلك؟!

وإلى (متى) ستنتظر الأمّة؟!

وَمَا هُوَ المَوْقِفُ (الكاملُ الصّحِيح) فِي هذا الخِصَمّ؟!

❖ المُلاحَظَةُ الرَّابِعَةُ:

ثُمَّ تكَلَّمَ الشَّيْخُ الكاتب (ص ٢٠١- ٢٠٢) عَنِ المَعْنَى اللُّغَوِيِّ لِـ (الصِّحَّةِ) وَ (الكَمَالِ)، ثُمَّ قَالَ:

«مَعْنَى ذلِكَ: أَنَّ الشَّيْءَ لاَ يَكُونُ صَحِيحاً إلاَّ بِذَهَابِ النَّقْصِ والعَيْبِ مِنْهُ، وَأَنْ يَكُونَ بَرِيئاً مِنْ كُلِّ مَا يُخِلُّ بِصِحَّتِهِ، قَلَّ العَيْبُ أَمْ كَثُرَ.

وَمِثْلُ الصِّحَّةِ فِي هذَا المَعْنَى؛ الكَمَال».

نَقُولُ: وَهذَا بَاطِلٌ أشدَّ بُطلان، ومُبْطَلٌ أعظمَ إبطال!

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ قُطِعَتْ يَدُهُ، أَوْ فُقِئَتْ عَيْنُهُ، أَوْ شُدِخَ رَأْسُهُ!! ولا يزالُ -هذا- إنساناً (صحيحاً)؛ مع كونهِ ليس (كاملا) -مريضاً، أو عليلاً، أو ضعيفاً[1]-!!

أَمَّا أَنْ يَكُونَ الكَامِلُ صَحِيحاً؛ فَهذَا مِنْ بِدَائِهِ الأُمُورِ -إذ الصِّحَّةُ مُتضمَّنَةٌ في الكمال، وداخلةٌ فيه-، وتوضيحُ الواضحات من أعْسَرِ المُشكلات!

❖ المُلاحَظَةُ الخَامِسَةُ:

○ قَالَ الشَّيْخُ (ص٢٠٢):

---

(١) ويضربُ شيخ الإسلام مثالاً على ذلك -في مواضعَ من كتبه- بنقص بعض واجبات الحجّ، مع إثبات صحّته بركنه.

وانظر «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٣٧) -له- رحمه الله-.

«ونَحْنُ لاَ نَفْهَمُ الشَّرْعَ بِأحْكَامِه، وَقَوَاعِدِهِ، وَحَقَائِقِهِ؛ إلاَّ مِنْ لُغَةِ العَرَبِ الَّتِي خَاطَبَ اللهُ بِهَا المُكَلَّفِينَ مِنَ العِبَادِ.

نَخْلُصُ مِمَّا تَقَدَّمَ: بِأَنْ لاَ فَرْقَ بَيْنَ مَا يُسَمَّى بِشَرْطِ الصِّحَّةِ، وبَيْنَ مَا يُسَمَّى بِشَرطِ الكَمَالِ، فَهُمَا اسْمَانِ لِمُسَمًّى وَاحِدٍ، وَزِيَادَةُ مَعْنَى الكَمَالِ عَلَى مَعْنَى الصِّحَّةِ لاَ تُؤَثِّرُ فِي اتِّفَاقِهِمَا فِي المَعْنَى.

أَضِفْ إِلَى ذلِكَ: أَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ قَدْ جَرَى عَلَيْهِ العَمَلُ وَالعِلْمُ فِي العَهْدِ الأَوَّلِ؛ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَزِيدَ فِيهِ، أَوْ نَنْقُصَ مِنْهُ، فَلْنَقِفْ عِنْدَهُ، وَلاَ نَرْتَابُ فِيهِ؛ كَيْلاَ تَكُونَ مُشَاقَّةً مِنَّا للهِ وَلِلرَّسُولِ».

□ نَقُولُ:

بل (نخلُصُ ممّا تقدّم) بأنَّ الفرقَ بين (شرط الصحّة)، و(شرط الكمال): كبيرٌ كبيرٌ؛ هو -نفسُهُ- الفرقُ بين الهدى والضلال، والطاعةِ والعصيان، والفسق والإيمان...

وفَرْقٌ -كبيرٌ كبيرٌ- أيضاً- بَيْنَ الاسْتِعْمَالاَتِ اللُّغَوِيَّةِ للألْفَاظِ اللُّغَوِيَّةِ -مِنْ حَيْثُ هِيَ-، وبَيْنَ اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ فِي فَهْمِ الاصْطِلاَحَاتِ -مِنْ جَانِبِهَا الآخَرِ-[1].

وَمَا أَجْمَلَ كَلاَمَ الشَّيْخِ بَكْر أَبُو زَيد - سَدَّدَهُ اللهُ - فِي رِسَالَتِه «المُوَاضَعَةُ فِي الاصْطِلاَحِ» (ص ١٢٦ - «فِقْهُ النَّوَازِلِ») - بَعْدَ تَقْرِيرِهِ مَسْأَلَةَ المُصْطَلَحَاتِ - وَأَلْفَاظِهَا -:

«وَالمُهِمُّ أَنَّ هذِهِ الأَلْفَاظَ - وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا - بَعْدَ اسْتِعْمَالِهَا فِي هذِهِ الحَقَائِقِ الشَّرْعِيَّةِ - أَصْبَحَتْ لاَ يُفْهَمُ مِنْهَا - عِنْدَ الإِطْلاَقِ - إِلاَّ المَعْنَى الشَّرْعِي عَلَى مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ، وَفَهِمُوهُ مِنْهُ، وَأَصْبَحَ المَعْنَى اللُّغَوِيُّ لاَ يُفْهَمُ إِلاَّ بِقَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ».

---

(١) انظر ما تقدّم (ص١٧-١٩).

وَفِي كِتَابِ «الصَّاحِبِيّ» (ص ٨٣- ٨٦) - لابْنِ فَارِسٍ - مَا مُلَخَّصُهُ - بَعْدَ كَلاَمٍ فِي فَضْلِ الإِسْلاَمِ، وَحَقِّ الإِيمَانِ -، ومدى تأثير ذلك في اللغةِ، وألفاظِها، وكلماتِها:

«. . . فَكَانَ مِمَّا جَاءَ فِي الإِسْلاَمِ - ذِكْرُ **المُؤْمِنِ وَالمُسْلِمِ وَالكَافِرِ وَالمُنَافِقِ**، وَأَنَّ العَرَبَ إِنَّمَا عَرَفَتِ **المُؤْمِنَ مِنَ الأَمْنِ وَالإِيمَانِ**، وَهُوَ التَّصْدِيقُ، ثُمَّ زَادَتِ الشَّرِيعَةُ شَرَائِطَ وَأَوْصَافاً بِهَا سُمِّيَ المُؤْمِنُ **بِالإِطْلاَقِ مُؤْمِناً**.

وَكَذَلِكَ **الإِسْلاَمُ** وَالمُسْلِمُ، إِنَّمَا عَرَفَت مِنْهُ **إِسْلاَمَ الشَّيْءِ**، ثُمَّ جَاءَ فِي الشَّرْعِ مِنْ أَوْصَافِهِ مَا جَاءَ.

وَكَذَلِكَ كَانَتْ لاَ تَعْرِفُ مِنَ الكُفْرِ **إِلاَّ الغِطَاءَ وَالسَّتْرَ**.

فَأَمَّا **المُنَافِقُ**؛ فَاسْمٌ جَاءَ بِهِ الإِسْلاَمُ لِقَوْمٍ أَبْطَنُوا غَيْرَ مَا أَظْهَرُوهُ، وَكَانَ الأَصْلُ مِنْ: نَافِقَاءِ اليَرْبُوعِ.

وَلَمْ يَعْرِفُوا فِي **الفِسْقِ** إِلاَّ قَوْلَهُمْ: «فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ»: إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قِشْرِهَا، وَجَاءَ الشَّرْعُ بِأَنَّ **الفِسْقَ**: الإِفْحَاشُ فِي الخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-. . .».

وَهكَذَا. . .

ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الصَّلاَةِ، وَالصِّيَامِ، وَالحَجِّ وَالزَّكَاةِ، إِلَى أَنْ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

«وَعَلَى هذَا سَائِرُ مَا تَرَكْنَا ذِكْرَهُ مِنَ العُمْرَةِ، وَالجِهَادِ، وَسَائِرِ أَبْوَابِ الفِقْهِ.

فَالوَجْهُ فِي هذَا إِذَا سُئِلَ الإِنْسَانُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ: فِي الصَّلاَةِ اسْمَانِ: لُغَوِيٌّ وَشَرْعِيٌّ، وَيَذْكُرَ مَا كَانَتِ العَرَبُ تَعْرِفُهُ، ثُمَّ جَاءَ الإِسْلاَمُ بِهِ.

وَهُوَ قِيَاسُ مَا تَرَكْنَا ذِكْرَهُ مِنْ سَائِرِ العُلُومِ؛ كَالنَّحْوِ وَالعَرُوضِ وَالشِّعْرِ:

كُلُّ ذَلِكَ لَهُ اسْمَانِ لُغَوِيٌّ وَصِنَاعِيٌّ».

نَقُولُ: فَلاَ يَجُوزُ -وَالحَالَةُ هذِهِ- بَتُّ المَعْنَى اللُّغَوِيِّ عَنِ المَعْنَى الإِصْطِلاَحِيِّ، وَفَهْمُ هذَا الأَخِيرِ فِي ضَوْءِ الأَوَّلِ - حَسْبُ -!

❖ **المُلاَحَظَةُ السَّادِسَةُ:**

○ قَالَ الشَّيْخُ (ص٢٠٣):

«لِكُلٍّ مِنَ الفَرِيقَيْنِ سَلَفٌ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ»!

□ فَنَقُولُ: هذا تَكْرَارٌ لما افْتَتَحَ به فضيلةُ الشيخِ رسالتَهُ؛ فإن كَانَ مقصودُهُ بهذا القولِ مَسْأَلَةَ تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ - بِاعْتِبَارِهَا مسألةَ خلافٍ معروفةً -: فَنَعَمْ.

أَمَّا بِاعْتِبَارِ مَنْزِعِ الشيخِ في الحُكْمِ بها، وطَرِيقَةِ مُعالَجتِهِ لها، والخُرُوجِ بِحكْمٍ فِيهَا: فَلاَ....

وَإِنْ كَانَ فِي سِوَاهَا مِنَ المَسَائِلِ المَطْرُوحَةِ -هُنَا-: فَلاَ -أيضاً-؛ إِذْ لاَ عِلْمَ لَنَا بِقَائِلٍ -مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ- يَقُولُ مَقُولَةَ الشَّيْخِ -سَدَّدَهُ اللهُ-؛ سَوَاءٌ في مسألةِ:

١- استقلالِ اللغةِ عن فهمِ السلفِ...

٢- وكذلك مسألةَ كُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ، وتشكيكُهُ بِثُبُوتِهَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَوْ صَرْفِ ظَاهِرِ مَعْنَاهَا إِلَى سِوَاهُ.

٣- وَكَذلِكَ مَسْأَلَةُ الإِرْجَاءِ، وَمَا (اجْتَهَدَ) - فِيهِ - فَضِيلَةُ الشَّيْخِ مِنْ كَلاَمٍ لاَ ضَابِطَ لَهُ بشأنها.

٤- وَكَذلِكَ مَسْأَلَةُ (شَرْطِ الصِّحَّةِ) وَ (شَرْطِ الكَمَالِ)، وَمَا قال فيها -سدّده الله- مِنْ قَوْلٍ لاَ يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ، وَصَفْوَةِ الأَئِمَّةِ.

❖ **المُلاَحَظَةُ السَّابِعَةُ:**

○ قَوْلُهُ (ص٢٠٤):

«ولاَ تثْرِيبَ عَلَى مَنْ كَانَ عَلَى قَوْلٍ فِي مَسْأَلَةٍ، أَوْ مَسَائِلَ - بِدَلِيلٍ كَانَ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى ذلكَ القَوْلِ-؛ ثُمَّ رَجعَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ؛ إِذْ قَدْ ظَهَرَ لَهُ الحَقُّ **بِدَلِيل** آخرَ فِي سِوَاهُ مِنْ بَابِ «**الحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ**»، وَأَجْدَرُ أَنْ يَتحوَّلَ عَنْهُ إِلَى مَا بَدَا أَنَّهُ الحَقُّ، وَلَعَلَّهُ بتحوُّلِهِ عَنِ القَوْلِ السَّابِقِ، قَدْ تَحَوَّلَ مِنَ الصَّوابِ إِلَى الخَطَإِ».

□ نَقُولُ:

كَأَنَّ الشَّيْخَ - سَدَّدَهُ اللهُ - يُلْمِحُ[1] إِلَى نَفْسِهِ! وَتَغيُّرِ قَوْلِهِ فِي مَسْأَلَةِ تَارِكِ الصَّلاَةِ -بعد أكثرَ من أربعينَ سنةً على القول الأول-!!

أَمَّا المَسَائِلُ الأُخْرَى؛ **فَهِيَ مَسَائِلُ حَادِثَةٌ مُحْدَثَةٌ، لَمْ نَعْهَدْهَا عِنِ الشَّيْخِ، وَلَمْ نَقْرَأْهَا لَهُ!!**

عَلَى أَنَّنَا نَقُولُ:

إِنَّ الكَلاَمَ الَّذِي قالهُ الشيخُ -هُنَا- مُخَالِفٌ لِوَاقِعِ الحَالِ:

ذلِكُمْ أَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ - حَقِيقَةً -(دَلِيلٌ كَانَ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى ذلِكَ القَوْلِ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، إِذْ ظَهَرَ لَهُ الحَقُّ بِدَلِيلٍ آخَرَ فِي سِوَاه..) - كَمَا هو نص كلامِ الشَّيْخِ (ص٢٠٤)!

فَالْحَقُّ الحقيقِ الباهِرِ: أَنَّهُ لاَ يُوجَدُ دَلِيلٌ (آخَرُ) - ظاهِر -!!

فَالأَدِلَّةُ هِيَ هِيَ...

وَالحُجَجُ هِيَ هِيَ...

وَمَا ردَّ عَلَيْهِ - قَبْلُ -؛ هُوَ الرَّدُّ نَفْسُهُ - بَعْدُ -!

وَمَا كَانَ (صَرِيحَ) حَقٍّ -بِالأَمْسِ-؛ هُوَ -نفسُهُ- قَبِيحُ قَوْلٍ -اليَوْمَ-...

وَمَا جُعِلَ- زَمَاناً - علاَمَةً عَلَى الهُدَى والإيمان؛ هُوَ - اليَوْمَ - صُورَةٌ

---

[1] ثمّ (صرّح) بذلك في «استدراكه..» (ص١١)!!

تأويلٍ يُصِيبُ النَّفسَ بِالغَثَيَان!!

فَلاَ جَدِيدَ مِنْ دَلِيل... لاَ فِي كَثِيرٍ وَلاَ فِي قَلِيل.

وَقَوْلُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ - فِي الآخِرِ -: (وَلَعَلَّهُ بِتَحَوُّلِهِ عَنِ القَوْلِ السَّابِقِ، قَدْ تَحَوَّلَ مِنَ الصَّوَابِ إِلَى الخَطإِ)!

يُقَالُ فِيهِ: لَعَلَّ (لَعَلَّهُ) - هُنَا - عَلَى غَيْرِ مَا يُتَرَجَّى مِنْهَا -بها-! فَيَكُونُ الوَاقِعُ عَكْسَهَا!!

فَمَا هُوَ المَصِيرُ - حِينَئِذٍ -؟!

❖ المُلاحَظَةُ الثَّامِنَةُ - وَالأَخِيرَةُ -:

○ قَوْلُهُ (ص٢٠٥):

«فَهَلاَّ وَسِعَ الأَخْيَارَ العُقَلاَءَ - بَعْضُهُمْ بَعْضاً -، وَصَارُوا إِلَى أُلْفَةٍ لاَ يَبِينُ مِنْهَا الوَاحِدُ إِلاَّ بِكُفْرٍ صُرَاحٍ يُعْرَفُ بِهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَالْتَقَوْا عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ لاَ يَكُونُ عَنْهَا نُفْرَةٌ إِلاَّ مِنْ رَدِّ العَقْلِ إِلَى جُنُونٍ يُحْكَمُ بِهِ عَلَى صَاحِبِهِ أَنَّهُ مَجْنُونٌ، أَمَّا مَنْ كَانَ صَبِيّاً؛ فَهُوَ لَمْ يَدْرِ مَا العِلْمُ وَلاَ العُلَمَاءُ!!».

□ فَنَقُولُ: هُنَا تَعْلِيقَانِ:

الأَوَّلُ: هَلِ (الكُفْرُ الصُّرَاحُ) - فَقَطْ - هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي يَنْمَازُ بِهِ أَهْلُ البَاطِلِ عَنْ أَهْلِ الحَقِّ...

أَم إنَّ الجُنُوحَ عن الحقِّ -أو الجُمُوحَ عن الهُدى- وَعَدَمَ الرجوع إلى قالَةِ أهل السُّنَّة - كَذلِكَ - مِمَّا يُمَيِّزُ أَهْلَ الضَّلاَلَةِ عَنْ أَهْلِ الهُدَى؟!

وإنّنا لَنَخشى أن يُفهم كلامُ الشيخ -سدّده الله- على وَفْق القاعدة الحزبيّة المشهورة: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويَعذِر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)!!

ولنقض هذه القاعدة يُنظر كتاب «زجر المتهاون» للأخ الشيخ حمد العثمان -وفقه الله-.

الثَّانِي: أمَّا (مَنْ كَانَ صَبِيّاً لَمْ يَدْرِ مَا العِلْمُ وَلاَ العُلَمَاءُ): **فَهُوَ -كما قال فضيلةُ الشيخ- خَارِجٌ عَنِ الطَّوْرِ، وغَيْرُ دَاخِلٍ فِي الحِسَابِ؛ لاَ فِي نَقِيرٍ وَلاَ فِي قِطْمِيرٍ...**

وَلَكِنْ:

هَلِ (**الصَّبْوَةُ**) - بِنَفْسِهَا - **دَلِيلٌ** عَلَى جَهْلِ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ؟!

أَمْ قَدْ تَكُونُ (الصَّبْوَةُ) -**بِمَعْنَاهَا اللُّغَوِيِّ المَحْضِ**- إِنْ كَانَتْ- فِي حِينٍ- سَبِيلاً مُشْرَعاً لِمَزِيدٍ مِنَ البَحْثِ، وَمَزِيدٍ مِنَ النَّشَاطِ، **وَمَزِيدٍ مِنَ التَّنْقِيبِ وَالتَّنْقِيرِ...**

ثُمّ ألا يُمكنُ أنْ يكون عكسُها في عكسِها؟!

فـمـا الـحـداثـةُ مـن (عِلْمٍ) بمانعةٍ   قدْ يُوجَدُ (العِلْمُ) في الشُّبَّانِ (لا) الشِّيبِ

وقد قيل[1]:

إنّ الحداثةَ لا تُقصِّرُ   بالفتى المرزوقِ ذِهْنَا

لـــكنْ تُـذَكِّي قَلْبَهُ   فيفوقُ أكبر منه سِنّا

وقدْ أُلِّفَ -قديماً- كتابٌ اسمُهُ: «مناقب الشُّبَّان، وتقديمُهم على ذوي الأسنان»[2].

إذاً؛ المَرْجِعُ هُوَ الدَّلِيلُ بِبَهَائِهِ، وَالحَقُّ بِنَقَائِهِ، وَالبُرْهَانُ بِصَفَائِهِ.

و«**الناسُ في العلم سَوَاءٌ**»[3]...

(١) «الإلْماع» (ص٢٠٤) -للقاضي عِيَاض-.

(٢) «التعالم» (ص٢٦) للشيخ بكر أبو زيد.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٣/٢١٦).

أمّا الجُنُون؛ ففي دائرةِ البحثِ العلميِّ لا يُمكن أنْ يُوجدَ أو يكون. .

وإنّا للّهِ، وإنّا إليهِ راجعون. . .

وَالرُّجُوعُ إِلَى الحَقِّ - بِالحَقِّ - عَلاَمَةُ أَهْلِ الحَقِّ؛ وَهُوَ - وَالحَالَةُ هذه - خُلُقٌ نَبِيلٌ مُتَّبَعٌ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ وَالفَضْلِ - قَدِيماً وَحَدِيثاً -؛ لاَ يُقَلِّلُ مِنْ قِيمَةِ القَائِمِ بِهِ، أو قَدْرِ المُتَلَبِّسِ بِنُورِهِ.

وَمَا حَكَاهُ القَاضِي ابْنُ العَرَبِيِّ المَالِكِيُّ فِي كِتَابِهِ «أَحْكَامُ القُرْآنِ» (١/ ١٨٢ - ١٨٣) -مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ-؛ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

«أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ العُثْمَانِيُّ - غَيْرَ مَرَّةٍ -، قَالَ: وَصَلْتُ الفُسْطَاطَ مَرَّةً، فَجِئْتُ مَجْلِسَ الشَّيْخِ أَبِي الفَضْلِ الجَوْهَرِيِّ، وَحَضَرْتُ كَلاَمَهُ عَلَى النَّاسِ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ -فِي أَوَّلِ مَجْلِسٍ جَلَسْتُ إِلَيْهِ -: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ، وَظَاهَرَ، وَآلَى! فَلَمَّا خَرَجَ تَبِعْتُهُ، حَتَّى بَلَغْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ -فِي جَمَاعَةٍ-، فَجَلَسَ مَعَنَا فِي الدِّهْلِيزِ، وَعَرَّفَهُمْ أَمْرِي؛ فَإِنَّهُ رَأَى إِشَارَةَ الغُرْبَةِ، وَلَمْ يَعْرِفِ الشَّخْصَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الوَارِدِينَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْفَضَّ عَنْهُ أَكْثَرُهُمْ، قَالَ لِي: أَرَاكَ غَرِيباً! هَلْ لَكَ مِنْ كَلاَمٍ؟! قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ لِجُلَسَائِهِ: أَفْرِجُوا لَهُ عَنْ كَلاَمِهِ، فَقَامُوا، وَبَقِيتُ وَحْدِي مَعَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: حَضَرْتُ المَجْلِسَ اليَوْمَ مُتَبَرِّكاً بِكَ[1]، وَسَمِعْتُكَ تَقُولُ: آلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ وَصَدَقْتَ، وَطَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَدَقْتَ، وَقُلْتَ: وَظَاهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ وَهَذَا لَمْ يَكُنْ! وَلاَ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ؛ لأَنَّ الظِّهَارَ مُنْكَرٌ مِنَ القَوْلِ وَزُورٌ؛ وَذَلِكَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَضَمَّنِي إِلَى نَفْسِهِ وَقَبَّلَ

= وفي كتاب «الطبقات» (ص٢٢٥) -لابن هداية الله- في ترجمة (محمد بن أحمد زكيّ الدين المصري)- وصفه بـ (الحافظ، صاحب الدرس والفتوى، يستفيد منه الشيخ عز الدين بن عبدالسلام -وهو شابٌّ ما بلغ ثلاثين-، كان معتمداً بالفتوى، عالماً. .).

(لطيفة): وفي (ملحق) كتاب «البدر الطالع» (ص١١٣)-للشوكاني-: خبَرُ (صبيٍّ) بلَغَ من العُمُر إحدى عشرة سنةً ونصفاً: (كان يُجاري العُلَماء).

(١) بالمعنى الشرعيّ، لا البدعيّ!

رَأسِي، وَقَالَ لِي: أَنَا تَائِبٌ مِنْ ذلِكَ، جَزَاكَ اللهُ عَنِّي مِنْ مُعَلِّمٍ خَيْراً.

ثُمَّ انْقَلَبْتُ عَنْهُ، وَبَكَّرْتُ إِلَى مَجْلِسِهِ فِي اليَوْمِ الثَّانِي، فَأَلْفَيْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الجَامِعِ، وَجَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مِنْ بَابِ الجَامِعِ وَرَآنِي، نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: مَرْحَباً بِمُعَلِّمِي؛ أَفْسِحُوا لِمُعَلِّمِي، فَتَطَاوَلَتِ الأَعْنَاقُ إِلَيَّ، وَحَدَّقَتِ الأَبْصَارُ نَحْوِي، وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيَّ يَرْفَعُونَنِي عَلَى الأَيْدِي، وَيَتَدَافَعُونَنِي؛ حَتَّى بَلَغْتُ المِنْبَرَ، وَأَنَا -لِعِظَمِ الحَيَاءِ- لاَ أَعْرِفُ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ أَنَا مِنَ الأَرْضِ! وَالجَامِعُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، وَأَسَالَ الحَيَاءُ بَدَنِي عَرَقاً، وَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى الخَلْقِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا مُعَلِّمُكُمْ، وَهذَا مُعَلِّمِي؛ لَمَّا كَانَ بِالأَمْسِ قُلْتُ لَكُمْ: آلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَلَّقَ، وَظَاهَرَ؛ فَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَقِهَ عَنِّي، وَلاَ رَدَّ عَلَيَّ! فَاتَّبَعَنِي إِلَى مَنْزِلِي، وَقَالَ لِي كَذَا وَكَذَا - وَأَعَادَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ -، وَأَنَا تَائِبٌ عَنْ قَوْلِي بِالأَمْسِ، وَرَاجِعٌ عَنْهُ إِلَى الحَقِّ؛ فَمَنْ سَمِعَهُ مِمَّنْ حَضَرَ فَلاَ يُعَوِّلْ عَلَيْهِ، وَمَنْ غَابَ فَلْيُبَلِّغْهُ مَنْ حَضَرَ؛ فَجَزَاهُ اللهُ خَيْراً، وَجَعَلَ يَحْفِلُ فِي الدُّعَاءِ، وَالخَلْقُ يُؤَمِّنُونَ».

قَالَ ابْنُ العَرَبِيِّ -مُعَلِّقاً-:

«فَانْظُرُوا -رَحِمَكُم اللهُ- إِلَى هذَا الدِّينِ المَتِينِ، وَالاعْتِرَافِ بِالعِلْمِ لأَهْلِهِ عَلَى رُؤُوسِ المَلأِ: مِنْ رَجُلٍ ظَهَرَتْ رِيَاسَتُهُ، وَاشْتَهَرَتْ نَفَاسَتُهُ؛ لِغَرِيبٍ مَجْهُولِ العَيْنِ لاَ يُعْرَفُ مَنْ؟ وَلاَ مِنْ أَيْنَ؟ فَاقْتَدُوا بِهِ تَرْشُدُوا».

وَنَذْكُرُ -خِتَاماً- مَا قَالَهُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (١٢ / ١٠٣):

«فَهذِهِ المَسَائِلُ إِذَا تَصَوَّرَهَا النَّاسُ عَلَى وَجْهِهَا -تَصَوُّراً تَامّاً- ظَهَرَ لَهُمُ الصَّوَابُ، وَقَلَّتِ الأَهْوَاءُ وَالعَصَبِيَّاتُ، وَعَرَفُوا مَوَارِدَ النِّزَاعِ؛ فَمَنْ تَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ: اتَّبَعَهُ، وَمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ: تَوَقَّفَ حَتَّى يُبَيِّنَهُ اللَّهُ لَهُ.

وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ عَلَى ذَلِكَ بِدُعَاءِ اللَّهِ؛ وَمِنْ أَحْسَنِ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، يَقُولُ:

اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، ومِيكائِيلَ، وإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ؛ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

وَاللهُ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - بِكُلِّ جَمِيلٍ كَفِيلٌ. (١)

□□□□□

(١) وقد كانَ فرغْنا من كتابةِ أصلِ هذه الأبحاث العلمية بتاريخ: ٢٠/ شوَّال/ ١٤٢٠ هجريّة، والحمدُ للهِ.

• قال الإمامُ محمدُ بن نَصْر المروزيُّ في كتابهِ «تعظيم قدر الصلاة» (٢/٦٩٢):

«جُمَّاع تفسير النصيحة هو: عناية القلب للمنصوح له مَنْ كان، وهي على وجهين: أحدهما فرض، والآخر نافلة:

فالنصيحة المفترضة لله؛ هي: شدّةُ العناية مِنَ الناصح، باتباع محبة الله في أداء ما افترض، ومجانبة ما حرَم.

وأما النصيحة التي هي نافلة؛ فهي: إيثار محبته على محبّةِ نفسه، وذلك أن يَعْرِضَ أمران: أحدهما لنفسه، والآخر لربه، فيبدأ بما كان لربه، ويؤخِّر ما كان لنفسه.

فهذه جملة تفسير النصيحة له؛ الفرض منه، والنافلة.

تَتِمَّةٌ مُهِمَّةٌ

. . . ونَحْنُ عَلَى وَشْكِ إِصْدَارِ هذَا العَدَدِ مِنَ (الأَصَالَة) -وبَعْدَ كِتَابَةِ مَادَّتِهِ بِشُهُورٍ- اطَّلَعْنَا عَلَى وُرَيْقَاتٍ فِيهَا (اسْتِدْرَاكٌ وتَوْضِيحٌ. . .) -فِي مَسْأَلَةِ شَرْطِ الصِّحَّةِ، وَشَرْطِ الكَمَالِ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَبْحَثِ الإِيمَانِ وَالأَعْمَالِ[1]- بِقَلَمِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الَّذِي تَعَقَّبْنَاهُ فِي «مُلْحَقِ» كِتَابِهِ وانْتَقَدْنَاهُ؛ فَفَرِحْنَا، وتَهَلَّلَتْ وُجُوهُنَا، وَسُرِرْنَا، وَانْشَرَحَتْ قُلُوبُنَا. . . إِذْ قَدْ ظَنَنَّا -ولَمْ يَكُنْ ظَنُّنَا فِي مَحَلِّهِ! -أَنَّ الشَّيْخَ- سَدَّدَهُ اللهُ- قَدْ رَجَعَ إِلَى الحَقِّ، واسْتَدْرَكَ عَلَى نَفْسِهِ مَا غَلِطَ فِيهِ، ووَضَّحَ مَا اسْتَبْهَمَ مِنْ كَلاَمِهِ، وبَيَّنَ مَا أُغْلِقَ مِنْ مَرَامِهِ!

نَعَم؛ لَمْ يَكُنْ -ولِلأَسَفِ- شَيْءٌ مِنْ هذَا كُلِّهِ؛ بَلِ ازْدَادَ -غَفَرَ اللهُ لَهُ- تَشَبُّثاً بِمَا قَال، وَالْتِزَاماً بِمَا صَدَرَ عَنْهُ -وَمِنْهُ- مِنْ مَقَال! بَلْ إِنَّهُ -سَدَّدَهُ اللهُ- بَنَى عَلَى أَقْوَالِهِ السَّابِقَةِ أَقْوَالاً أُخْرَى -لاَحِقَةً- لَيْسَتْ هِيَ ذَاتَ صِلَةٍ بِهَا، وَلاَ قُرْبَى مِنْهَا!!

وَلَسْنَا نَدْرِي -وَأَيْمُ اللهِ- دَافِعَهُ فِي ذلِكَ، بَلْهَ دَلِيلَهُ عَلَى مَا هُنَالِكَ!!!

وَحَتَّى لاَ نُخْلِيَ المَقَامَ مِنْ أَدِلَّةٍ -تُؤَكِّدُ مَا قُلْنَا، وَتُثَبِّتُ مَا ذَكَرْنَا- نَقُولُ:

○ **أَوَّلاً**: ادَّعَى -سَدَّدَهُ اللهُ-: أَنَّ (عَدَمَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ شَرْطِ الكَمَالِ، وَبَيْنَ شَرْطِ الصِّحَّةِ) أَمْرٌ (اسْتَقَرَّ فِي عُرْفِ العِلْمِ)!!

(١) وقد تقدّم بيان ذلك مفصّلاً.

□ نقول: وَهذِهِ دَعْوَى لاَ دَلِيلَ عَلَيْهَا مُطْلَقاً، وَمُجَرَّدُ إِيْرَادِهَا لاَ يُسْمِنُ عَنْهَا، وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعِهَا...

وَلَوْ عُكِسَ الأَمْرُ لَكَانَ أَقْرَبَ -عَلَى النَّحْوِ الَّذِي شَرَحْنَاهُ فِيمَا سَبَقَ مِنْ صَفَحَاتٍ-.

ثُمَّ نَاقَضَ نَفْسَهُ -سَدَّدَهُ اللهُ- حَيْثُ عَدَّ (إِلْفَ القُرُونِ) عَلَى إِثْبَاتِ ذَاكَ التَفْرِيقِ سَبِيلَ مَعْذِرَةٍ مِنْهُ لِمُعَارِضِيهِ...

فَنَقُولُ: كَيْفَ **(اسْتَقَرَّ فِي عُرْفِ العِلْمِ)** أَصْلٌ مَضَى عَلَى خِلاَفِهِ **(إِلْفُ القُرُونِ)**؟! وَسَارَ عَلَيْهِ العُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّون؟!

هذَا أَمْرٌ -قَطُّ- لاَيَكُون!

○ **ثَانِياً**: ثُمَّ تَكَلَّمَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَنِ **(الأَدَبِ العِلْمِيِّ الَّذِي أَعْرَضَ جُلُّ طُلاَّبِ العِلْمِ عَنْهُ)**! وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَمْثِلَتَهُ، وَلَمْ يُشِرْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ صُوَرِهِ!

□ وَلاَ نَظُنُّهُ -وَاللهُ أَعْلَم- يَعُدُّ مِنَ (الأَدَبِ) السُّكُوتَ عَنْ بَيَانِ الحَقِّ! أَوْ عَدَمَ الاعْتِرَاضِ عَمَّا قَدْ يُظَنُّ فِيهِ مُخَالَفَةُ الحَقِّ!

أَوْ أَنَّهُ **الصَّمْتُ وَالسُّكُون** عَمَّا قَدْ مَضَى أَوْ يَكُون!

أَوْ أَنَّ (الأَدَبَ) عَدَمُ (**التَّعْقِيبِ**) عَلَى مَا خَالَفَ الصَّوَابَ مِنْ كَلاَمِهِ!

أَوْ أَنَّهُ مُجَرَّدُ السُّؤَال بِلاَ أَدْنَى مَقَال!

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذلِكَ -وَهذَا مَا نَرْجُوهُ-: فَمَا هِيَ مَعَايِيرُ **(الأَدَبِ العِلْمِيِّ)** الحَقِّ؟ وَمَا هِيَ ضَوَابِطُهُ؟

وَمَا هُوَ وَجْهُ الحَقِّ فِي النَّظَرِ بِكَلاَمِ مَنْ خَالَفَ الحَقَّ، وَغَايَرَ طَرِيقَ أَهْلِهِ، وَسَبِيلَ صَحْبِهِ؟

□ **الثَّالِثُ**: قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص٢) -مُشِيراً إِلَى شَرْطِ الصِّحَّةِ وَشَرْطِ

الكَمَالِ-:

(لاَ أَعْلَمُ أَنَّ هذَا التَّفْرِيقَ كَانَ فِي العَهْدِ الأَوَّلِ العَهْدِ الأَزْهَرِ، عَهْدِ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ-، وَلاَ جَرَى لَهُ ذِكْرٌ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لاَ فِي حَيَاتِهِ، وَلاَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وَمَنِ ادَّعَى غَيْرَ ذلِكَ فَعَلَيْهِ أَنْ يُقِيمَ الدَّلِيلَ القَاطِعَ عَلَيْهِ، وَلاَ أَحْسَبُهُ وَاجِدَهُ...)!

□ **فَالجَوَابُ** أَنْ يُذْكَرَ -هَا هُنَا- كَلاَمُ شَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- رَدّاً عَلَى مِثْلِ هذَا الاعْتِرَاضِ -فِي مَسْأَلَةٍ أُخْرَى- فِي كِتَابِهِ «الرَّدّ عَلَى البَكْرِي» (ص ٣٦٦)؛ حَيْثُ قَالَ:

«... **فَإِنَّ مَا ذَكَرَهُ المُجِيبُ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى هذَا، وَلاَ يَتَوَقَّفُ عَلَى نَقْلِ عِبَارَتِهِ بِعَيْنِهَا؛ بَلْ تِلْكَ المَعَانِي ثَابِتَةٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ، سَوَاءٌ كَانَ اللَّفْظُ بِعَيْنِهِ مَنْقُولاً أَوْ لَمْ يَكُنْ**، وَالتَّعْبِيرُ عَلَى تِلْكَ المَعَانِي شَائِعٌ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا دِلاَلَةً بَيِّنَةً كَالدِّلاَلَةِ عَلَى سَائِرِ المَعَانِي.

وَمِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ أَنَّ الأَسْمَاءَ وَالأَلْفَاظَ الَّتِي تُعَلَّقُ بِهَا الأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَالاسْتِحْبَابِ وَالكَرَاهَةِ، وَالمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَالمُوَالاَةِ وَالمُعَادَاةِ؛ هِيَ الأَلْفَاظُ المَوْجُودَةُ فِي كِتَابِ اللهِ -تَعَالَى- وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَمَعَانِي تِلْكَ الأَلْفَاظِ، مِثْلُ: الإِيمَانِ، وَالإِخْلاَصِ، وَالعِبَادَةِ، وَالكُفْرِ، وَالشِّرْكِ، وَالهُدَى، وَالضَّلاَلِ، وَالرَّشَادِ، وَالغَيِّ، وَالعِبَادَةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالشُّكْرِ، وَالصَّبْرِ، وَالنُّبُوَّةِ، وَالرِّسَالَةِ، وَنَحْوِ ذلِكَ».

نَقُولُ: فَالكَلاَمُ -إِذاً- لَيْسَ مُتَوَجِّهاً إِلَى ذَاتِ الأَلْفَاظِ، أَوِ المُصْطَلَحَاتِ! وَإِنَّمَا الكَلاَمُ -أَصْلاً، وَفَرْعاً- مُوَجَّهٌ إِلَى مَعَانِيهَا الدَّالَّةِ عَلَيْهَا، أَوِ المَفْهُومَةِ مِنْهَا، أَوِ المُتَلَقَّاةِ عَنْهَا...

وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ ذلِكَ كُلِّهِ، فَلاَ نُكَرِّرُ أَوْ نُعِيدُ، وَلاَ نُضِيفُ وَلاَ نَزِيدُ...

وَيُقَالُ فِي -هذَا المَقَامِ- شَيْءٌ آخَرُ، وَهُوَ:

أَنَّ طَلَبَ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ دَلِيلاً عَلَى التَّفْرِيقِ، يَلْزَمُهُ -مِنْهُ، وَبِهِ- دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ التَّفْرِيقِ...

فَإِنَّهُ -سَدَّدَهُ اللهُ- بَنَى دَلِيلَهُ عَلَى عَدَمِ التَّفْرِيقِ بِإِقَامَةِ الأَدِلَّةِ عَلَى وُجُودِ التَّفْرِيقِ مِنْ جِهَةٍ -وَعَدَمِ الاخْتِلاَفِ فِي المَعْنَى بَيْنَهِمَا -مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى-!!

وهذا بيِّن...

○ **الرَّابِعُ**: أَشَارَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص٣) إِلَى (التَّسْلِيمِ لِلَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ هذَا العَهْدِ مِنَ الصَّحَابَةِ...)!

□ **فَنَقُولُ: يَا لَيْتَ! وَحَبَّذَا!!**

فَمَا هُوَ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ؟!

وَمَا هُوَ الَّذِي سَلَّمْتُمْ لَهُ؟!

وَتَأْصِيلُ قَوْلِهِمْ: (كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ) مُشَكَّكٌ بِصِحَّتِهِ عِنْدَكُمْ -عَلَى الأَقَلِّ-، **مُؤَوَّلَةٌ دِلاَلَتُهُ مِنْكُمْ!!**

فَأَيْنَ هذَا مِنْ ذَاكَ؟!

○ **الخَامِسُ**: ثُمَّ ذَكَرَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ -سَدَّدَهُ اللهُ- أَنَّ عَدَمَ تَفْرِيقِهِ بَيْنَ شَرْطَيِ الصِّحَّةِ وَالكَمَالِ بِسَبَبِ (أَنَّنَا لَمْ نَجِدْ هذَا التَّفْرِيقَ يُذْكَرُ فِيهِمْ)!!

□ **فَيُقَالُ**: هَلْ رَدُّ التَّفْرِيقِ يَكُونُ بِإِثْبَاتِ عَدَمِ التَّفْرِيقِ؟!

أَمْ أَنَّ إِثْبَاتَ عَدَمِ التَّفْرِيقِ هُوَ اعْتِرَافٌ ضِمْنِيٌّ بِوُجُودِ ذلِكَ التَّفْرِيقِ؛ وَإِنَّمَا التَّشْكِيكُ -حِينَئِذٍ- فِي دِلاَلَتِهِ؟!

○ **السَّادِسُ**: ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ: (وَالسَّلَفِيُّونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الاجْتِهَادَ فِي غَيْرِ هَوًى [لاَ] يُعَابُ بِهِ صَاحِبُهُ...).

□ نَعَمْ؛ وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ مِنْهُمْ، فَلِمَاذَا يَكْتُبُ كَلاَماً عَنْهُمْ، **يُفْهَمُ مِنْهُ -أَوْ يُتَوَهَّمُ-** أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ، أَوْ أَنَّهُ مُغَايِرٌ لَهُمْ؟!

ثُمَّ قَالَ -سَدَّدَهُ اللهُ-: (**وَاجْتِهَادٌ** كَهذَا الَّذِي ذَهَبْتُ إِلَيْهِ...)!

□ **فَنَقُولُ**: إِذاً؛ هُوَ اجْتِهَادٌ مَحْضٌ، وَلَيْسَ هُوَ (مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ الصَّحَابَةِ)!

وَإِذِ الأَمْرُ كَذلِكَ؛ **فَإِنَّ هذَا الاجْتِهَادَ خَطأٌ بَيِّنٌ، وَغَلَطٌ وَاضِحٌ**، (نَرْجُو) أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِهِ فِيهِ أَجْرٌ وَاحِدٌ!

مَعَ التَّوْكِيدِ وَالبَيَانِ عَلَى أَنَّ (الاجْتِهَادَ) هُوَ بَذْلُ الوُسْعِ فِي تَطَلُّبِ الحَقِّ مِنْ مَظَانِّهِ؛ ضِمْنَ ضَوَابِطِهِ الدَّقِيقَةِ، وَأُصُولِهِ الوَثِيقَةِ، **وَمِنْ غَيْرِ مُخَالَفَةٍ لِمَنْهَجِ السَّلَفِ** الَّذِي إِلَيْهِ نَنْتَسِبُ، وَبِهِ نَفْخَرُ...

وَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ قَدْ أَشَارَ -قَبْلُ- إِلَى أَنَّ اجْتِهَادَهُ (حَقِيقٌ بِالتَّقْدِيرِ، وَحُسْنِ النَّظَرِ -عَلَى الأَقَلِّ-...)!

فَنَقُولُ: نَعَمْ؛ وَقَدْ فَعَلْنَا، وَفَعَلْنَا، وَفَعَلْنَا؛ وَإِلاَّ لَمَا اهْتَمَمْنَا وَاغْتَمَمْنَا، وَحَاوَلْنَا، وَجَلَسْنَا، وَبَاحَثْنَا، وَحَرَصْنَا، وَدَعَوْنَا، وَرَغِبْنَا...

وَأَمَّا (التَّقْدِيرُ)؛ فَإِنَّهُ مُرْتَبِطٌ بِقَدْرِ صِحَّةِ هذَا الاجْتِهَادِ، أَوْ فَسَادِهِ...

○ **السَّابِعُ**: أَشَارَ الشَّيْخُ (ص٣) إِلَى أَنَّهُ (لاَ بُدَّ -إِذاً- مِنْ أَنْ **نَبْحَثَ عَنْ دَلِيلٍ**... عَلَّنَا نَعُودُ بِهِ وَلَوْ عَلَى طَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ، مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَطُلاَّبِهِ العُقَلاَءِ **بِنَوْعِ إِقْنَاعٍ**...).

□ **فَنَقُولُ**: هذَا -مِنْ فَضِيلَتِهِ- (**دَلِيلٌ**) عَلَى أَنَّ اجْتِهَادَهُ -مِنْ قَبْلُ- لَمْ يَكُنْ قَائِماً عَلَى سَاقٍ رَاسِخَةٍ؛ وَإِلاَّ لَمَا احْتَاجَ -سَدَّدَهُ اللهُ- إِلَى أَنْ (**يَبْحَثَ عَنْ دَلِيلٍ**)...

وَكَلاَمُهُ هذَا -أَيْضاً- دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ (يَشْعُرُ) أَنَّ (**اجْتِهَادَهُ**) يَفْتَقِدُ قَاعِدَةَ

الإقْنَاعِ، فَهَا هُوَ ذَا يَبْحَثُ وَلَوْ عَنْ (نَوْعِ إِقْنَاعٍ)!!

○ **الثَّامِنُ**: أَشَارَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص٤) إِلَى ظَنِّهِ فِي نَفْسِهِ (ظَنَّ الحَسَنِ؛ وَهُوَ أَنَّ الخَطأَ فِينَا مُقَدَّمٌ عَلَى الصَّوَابِ)...

□ **فَنَقُولُ**: هذَا هَوَ المَأْمُولُ المَحْبُوبُ، وَهُوَ المَطْلُوبُ المَرْغُوبُ...

وَكُنَّا نَتَمَنَّى -جَاهِدِينَ جَادِّينَ- أَنْ يَكُونَ لِهذَا (الظَّنِّ) عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ حَقِيقَةٌ وَوُجُود؛ بَدَلاً مِنَ الرَّدِّ، وَالنَّقْضِ، وَالصُّدُود...

وَنُكَرِّرُ هذِهِ الأَمَانِيَّ -وَنَرْغَبُ بِهَا، وَنُرَغِّبُ- مِنْ جَدِيد؛ لَعَلَّهُ يَكُونُ فِيهَا رُجُوعٌ إِلَى الحَقِّ أَكِيْد، وَوُصُولٌ إِلَى القَوْلِ البَيِّنِ السَّدِيد...

○ **التَّاسِعُ**: ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (ص٤): (وَقَدْ رَأَيْنَا هذَا الدَّلِيلَ قَائِماً ظَاهِراً فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾...)!

ثُمَ قَالَ: (**وَلاَ يَبْعُدُ عِنْدِي** أَنَّهُ هُوَ الدَّلِيلُ الَّذِي ارْتَضَاهُ أَهْلُ العَهْدِ الأَزْهَرِ الأَوَّلِ فِي سُكُوتِهِمْ عَنْ هذَا التَّفْرِيقِ...)!

ثُمَّ وَجَّهَ -سَدَّدَهُ اللهُ- (**دَلِيلَهُ**) بِقَوْلِهِ: (... إِذْ قَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿أَكْمَلْتُ﴾ يُشْعِرُ أَنَّهُ كَمَلَ بَعْدَ نَقْصٍ، وَالنَّقْصُ هُنَا لَيْسَ نَقْصاً فِي النَّصِّ القُرْآنِيِّ لاَ فِي جُمْلَتِهِ، وَلاَ فِي تَفْصِيلِهِ...)!

ثُمَّ قَالَ: (وَهَلْ كَانَ يَكُونُ لِدِينِ اللهِ -سُبْحَانَهُ- أَنْ يُحْفَظَ إِلاَّ عَلَى صِحَّةٍ، وَهَلْ تَكُونُ صِحَّةٌ إِلاَّ عَلَى حِفْظٍ؟! وَلَوْ قُلْنَا: الصِّحَّةُ شَرْطٌ فِي الكَمَالِ، وَالكَمَالُ شَرْطٌ فِي الصِّحَّةِ: لَكَانَ هذَا -وَحْدَهُ- أَغْنَانَا عَنْ إِيْرَادِ مَا أَوْرَدْنَا بِتَمَامٍ وَكَمَالٍ؛ فَهُمَا: (الصِّحَّةُ وَالكَمَالُ) مُتَدَاخِلاَنِ بِمَعْنَاهُمَا؛ لاَ يَصِحُّ هذَا إِلاَّ بِذَاكَ، وَلاَ ذَاكَ إِلاَّ بِهذَا؛ فَأَيُّ نَقْصٍ يَكُونُ لَوْ كَانَ -وَحَاشَا أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابِ اللهِ -سُبْحَانَهُ- يَسْتَوِي فِي أَنْ يَكُونَ بِحَرْفٍ، أَوْ كَلِمَةٍ، أَوْ بِآيَةٍ، فَهُوَ نَقْصٌ يَرُدُّ وَعْدَ اللهِ بِحِفْظِهِ وَكَمَالِهِ وَتَمَامِهِ...)!

☐ فَنَقُولُ: لَوْ كَانَ هذَا الدَّلِيلُ -حقًا- قَائِماً ظَاهِراً لَمَا كَانَ هُنَاكَ حَاجَةٌ (لِلْبَحْثِ عَنْهُ) -مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ- لِظُهُورِهِ، وَقِيَامِهِ؛ فَضْلاً عَنْ أَنْ يُحْتَاجَ (لِنَوْعِ إِقْنَاعٍ) بِهِ!!...

وَلَكِنَّ الحَقَّ -الأَحَقَّ- أَنَّهُ لَيْسَ فِي هذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ أَدْنَى دَلِيلٍ عَلَى مَا يُرِيدُهُ الشَّيْخُ -سَدَّدَهُ الله- فِي إِثْبَاتِ دَعْوَاهُ...

بَلْ إِنَّ هذَا الاسْتِدْلاَلَ مِنْ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ أَمْرَ المسْأَلَةِ عِنْدَهُ -وَمِنْهُ -وَفَّقَهُ اللهُ لِلْخَيْرِ- غَيْرُ بَيِّنٍ وَلاَ ظَاهِرٍ؛ وَبَيَانُ ذلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّل: أَنَّ الآيَةَ تَتَكَلَّمُ عَنِ (الدِّينِ)، بَيْنَمَا المَسْأَلَةُ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا تَبْحَثُ فِي (التَّدَيُّنِ) وَالعَمَلِ بِأَحْكَامِ الدِّينِ؛ **فَفَرْقٌ عَظِيمٌ عَظِيمٌ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ**...

أَوْ قُلْ: فَرْقٌ بَيْنَ (الدِّينِ) وَ (الإِيمَانِ)؛ (الدِّينُ) مِنْ حَيْثُ إِنْزَالُ اللهِ -سُبْحَانَهُ- لَهُ، وَ (الإِيمَانُ) مِنْ حَيْثُ عَمَلُ -وَتَدَيُّنُ- النَّاسِ بِهِ؛ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ شَيْخُ الإِسْلاَمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٢٠٧ - ٢٠٨).

لأَجْلِ هذَا؛ قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ (٧/ ٢٣٢): «وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾، أَيْ: **فِي التَّشْرِيعِ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ**...».

بَلْ نَقَلَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ (٧/ ٥١٨) عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللهُ- قَوْلَهُ: «كَانَ بَدْءُ الإِيمَانِ نَاقِصاً، فَجَعَلَ يَزِيدُ حَتَّى كَمَلَ، وَلِهذَا قَالَ -تَعَالَى- فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾».

فَفَرْقٌ بَيْنَ (الإِيمَانِ) مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهُ بِالنَّاسِ، وَبَيْنَ (الدِّينِ) مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهُ بِإِنْزَالِ اللهِ لَهُ.

وَهذَا بَيِّنٌ -بِحَمْدِ اللهِ-.

الثَّانِي: كَيْفَ يُنْسَبُ لِسَاكِتٍ قَوْلٌ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يُثْبَتَ لَهُ دَلِيلٌ عَلَى هذَا القَوْلِ؟! فَضْلاً عَنْ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي هذَا الدَّلِيلِ أَيُّ حُجَّةٍ عَلَى المُسْتَدَلِّ بِهِ عَلَيْهِ!!

فَمَا قِيلَ فِيهِ: (لاَ يَبْعُدُ): هُوَ البَعِيدُ بِعَيْنِهِ...

أَمَّا أَنَّ (الصِّحَّةَ شَرْطٌ فِي الكَمَالِ، وَالكَمَالُ شَرْطٌ فِي الصِّحَّةِ... لاَ يَصِحُّ هذَا إِلاَّ بِذلِكَ، وَلاَ ذَاكَ إِلاَّ بِهذَا)!! **فَهُوَ كَلاَمٌ لاَ وَجْهَ لَهُ: لاَ فِي لُغَةٍ، وَلاَ فِي شَرْعٍ، وَلاَ فِي نَظَرٍ...**

○ **العَاشِرُ**: ثُمَّ يَقُولُ الشَّيْخُ (ص٥): (وَهَلْ كَانَ يَكُونُ الهُدَى بِكَمَالِهِ وَتَمَامِهِ إِلاَّ لِيَسْتَقِيمَ أَهْلُهُ عَلَى صِحَّةِ الهُدَى الَّذِي لاَ يَسْلَمُ لَهُ صِحَّتُهُ إِلاَّ بِكَمَالِهِ وَتَمَامِهِ!؟ وَهَلْ يَكُونُ التَّمَامُ وَالكَمَالُ، إِلاَّ بِالصِّحَّةِ الكَامِلَةِ التَّامَّةِ، الَّتِي نَسَجَهَا كِتَابُ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فَكَانَ الكَمَالُ بِالصِّحَّةِ، وَالصِّحَّةُ بِالكَمَالِ، وَأَيُّ نَقْصٍ يَحْدُثُ لِلشَّيْءِ يُفْقِدُهُ الصِّحَّةَ وَالكَمَالَ -مَعاً-...)!!

□ **نَقُولُ**: وَهذَا مِنْ أَعْجَبِ شَيْءٍ يَكُونُ!!

فَهَلْ مَنِ انْتَقَصَ مِنْ كَمَالِ إِيمَانِهِ شُعْبَةً وَاجِبَةً، أَوْ شُعَباً مَفْرُوضَةً -مَعَ بَقَائِهِ عَلَى أَصْلِ الإِيمَانِ- يُقَالُ -فِيهِ-: إِنَّ صِحَّةَ إِيمَانِهِ مَفْقُودَةٌ؟!

مَا مَعْنَى هذَا الكَلاَمِ؟!

وَمَا هُوَ مُسَوِّغُهُ؟!

وَمَا هِيَ مَدْلُولاَتُهُ وَآثَارُهُ؟!

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ!

○ **الحَادِيَ عَشَرَ**: ثُمَّ (يُمَثِّلُ) فَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَلَى ذلِكَ بِقَوْلِهِ: (وَمِثْلُ ذلِكَ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ»، وَمَا كَانَ صَلاَحُ الأَخْلاَقِ إِلاَّ بِتَمَامِهَا؛ لأَنَّ كُلَّ خُلُقٍ مُؤَثِّرٌ فِي غَيْرِهِ، مُتَأَثِّرٌ بِهِ، وَإِذْ ذلِكَ كَذلِكَ؛ فَإِنَّهُ لاَ صِحَّةَ لِلأَخْلاَقِ بِجُمْلَتِهَا، إِلاَّ بِكَمَالِهَا، وَتَمَامِهَا)!

○ **فَالجَوَابُ عَلَى هذَا مِنْ وَجْهَيْنِ:**

الأوَّل: أنَّ الحَدِيثَ -نَفْسَهُ- رَدٌّ عَلَى هذَا الاسْتِدْلاَلِ؛ فَهُوَ يَقُولُ: **«لأُتَمِّمَ»**؛ فَهذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ وُجُودِ هذِهِ (الأَخْلاَقِ)، مَعَ إِثْبَاتِ النَّقْصِ فِيهَا؛ لِيَكُونَ -بَعْدُ- إِتْمَامٌ لَهَا -بِهِ-، وَإِكْمَالٌ مِنْهُ لَهَا...

الثَّانِي: هَلْ يُقَالُ فِي مُسْلِمٍ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَخُلُقٌ؛ لَكِنَّ فِي خُلُقِهِ نَقْصاً، وَفِي أَخْلاَقِهِ خَلَلاً؛ بِأَنَّهُ: **لاَ خُلُقَ عِنْدَهُ**؟!

فَهَلْ إِذَا وُجِدَ فِي مُسْلِمٍ -مَا- **عُجْبٌ**؛ يَكُونُ ذلِكَ (دَلِيلاً) عَلَى عَدَمِ وُجُودِ أَخْلاَقِهِ؟!

وَهَلْ إِذَا وُجِدَ فِي مُسْلِمٍ -مَا- مَنٌّ؛ يَكُونُ ذلِكَ (حُجَّةً) عَلَى نَفْيِ خُلُقِهِ؟!

وَهَلْ إِذَا وُجِدَ فِي مُسْلِمٍ -مَا- كِبْرٌ؛ يَكُونُ ذلِكَ (بُرْهَاناً) عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الأَخْلاَقِ، عَلَى الإِطْلاَقِ؟!

○ **الثَّانِيَ عَشَرَ**: ثُمَّ يَقُولُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ٥): (هذَا؛ وَإِنَّ الكَلاَمَ فِي شَرْطِ الصِّحَّةِ وَالكَمَالِ -عَلَى مَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ- لَيْسَ مُخْرِجَهُ عَنِ المَعْنَى المُفَرِّقِ بَيْنَ الكَمَالِ وَبَيْنَ الصِّحَّةِ، الَّذِي جَعَلَ كُلاًّ (!) مِنْهُمَا شَرْطاً مُسْتَقِلاًّ عَنِ الآخَرِ...).

□ **فَنَقُولُ**: هذَا الكَلاَمُ -فِي حَقِيقَتِهِ وَمَآلِهِ- **هَدْمٌ لِكَلاَمِهِ السَّابِقِ كُلِّهِ، وَنَقْضٌ لَهُ مِنْ أُسِّهِ**...

فَصَارَ الحُكْمَانِ مَقْبُولَيْنِ: إِثْبَاتُ التَّفْرِيقِ، وَنَفْيُهُ...

إِثْـبَاتُ ضِدَّيْنِ مَـعاً فِـي حَالِ ... مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِي فِي المُحَالِ

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (ص ٥-٦) -مُدَلِّلاً-: (وَيَزِيدُ ذلِكَ وُضُوحاً قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ فَمَعْنَى التَّمَامِ لِكَلِمَةِ رَبِّكَ -هُنَا- لَيْسَ لِمَا كَانَ بِهَا مِنْ نَقْصٍ فَكَمَلَتْ؛ بَلِ المَعْنَى: (اسْتَمَرَّتْ عَلَى التَّمَامِ وَالصِّحَّةِ، فَلَمْ يَعْتَوِرْهَا نَقْصٌ يَخْرِمُ تَمَامَهَا وَصِحَّتَهَا... إِذاً؛ فَلْيَكُنْ بَيْنَ هذَا وَبَيْنَ ذَاكَ عُمُومٌ وَخُصُوصٌ...)!

□ فَنَقُولُ:

أوَّلاً: مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَطِيَّةَ فِي «الْمُحَرَّر الوَجِيزِ» (٦/ ١٣٦)، ومُتَابِعٌ لَهُ -فِيه-. . .

وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ فِي مَعْنَى الآيَةِ مَا ذَكَرَهُ البِقَاعِيُّ فِي «نَظْمِ الدُّرَرِ» (٧/ ٢٣٨)، وَابْنُ عَاشُورٍ فِي «التَّحْرِير وَالتَّنْوِير» (٨/ ١٨) -وَغَيْرُهُمَا- مِنْ أَنَّ مَعْنَى ﴿تَمَّتْ﴾: «حَقَّتْ»، فَلاَ نُلْزِمُ بِنَقْصٍ، وَلاَ نَحْكُمُ بِانْخِرَامٍ!

الثَّانِي: إِذَا كَانَ بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ (المُثْبَتِ وَالمَنْفِي) عُمُومٌ وَخُصُوصٌ؛ فَلِمَاذَا الاعْتِرَاضُ -أَصْلاً-؟!

وَلِمَاذَا التَّوْكِيدُ وَالتَّصْرِيح -بَعْدُ- بِاسْتِدْرَاكٍ وَتَوْضِيحٍ؟!

وَلِمَاذَا الاجْتِهَادُ فِي مَسْأَلَةٍ لاَ مَوْرِدَ لِلاجْتِهَادِ فِيهَا -وَالحَالَةُ هذِهِ-؟!

وَلِمَاذَا إِجْهَادُ النَّفْسِ (بِالبَحْثِ) عَنْ دَلِيلٍ، وَلاَ دَلِيلَ؟!

وَالحَقُّ أَنَّ الإِثْبَاتَ نَقْضٌ لِلنَّفْيِ، فَلاَ يَلْتَقِيَانِ -مِنْ حَيْثُ المَبْنَى-، فَضْلاً عَنِ الْتِقَائِهِمَا -مِنْ حَيْثُ المَعْنَى-!

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَعَجُّبُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ وَاسْتِفْسَارُهُ -بَعْدُ-؛ حَيْثُ قَالَ -سَدَّدَهُ اللهُ- (ص ٦): «ثُمَّ كَيْفَ يَصِحُّ فِي عَقْلِ العُقَلاَءِ أَنْ لاَ يَكُونَ شَرْطُ الكَمَالِ هُوَ شَرْطَ الصِّحَّةِ، والعَكْسُ. . . ؟!» !

فَلَوْلاَ اسْتِعْجَام المَسْأَلَة -أَصْلاً- وَافْتِرَاقُ اصْطِلاَحَيْهَا - اَسَاساً - لَمَا كَانَ -مِنْهُ- مِثْلُ هذَا التَّعَجُّبِ، وَمِثْلُ هذَا السُّؤَالِ عَلَى مِثْلِ هذِهِ الحَالِ! حَتَّى يَصِلَ الأَمْرُ -عِنْدَهُ- إِلَى أَنْ يَكُونَ عَكْسُ مَطْلُوبِهِ لاَ يَصِحُّ فِي (عَقْلِ العُقَلاَءِ)!!

○ الثَّالِثَ عَشَرَ: ثُمَّ عَلَّلَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص٦) ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ شَرْطَ صِحَّةٍ لِلإِيمَانِ، وَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى

نَفْسِهِ -وَلاَ عَلَى غَيْرِهِ- بِمَا يَكُونُ بِهِ الإِيمَانُ صَحِيحاً إِلاَّ بِاجْتِمَاعِ أَجْزَائِهِ الثَّلاَثَةِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، بِكُلِّ مُقْتَضَاهَا، بِمَا صَغُرَ وَبِمَا كَبُرَ مِنَ العَمَلِ. . .)» !

□ نَقُولُ: هذَا أَعْظَمُ مَا نَخْشَى! وَهُوَ أَشَدُّ مَا نَخَافُ!! أَنْ يَكُونَ (مَا صَغُرَ وَمَا كَبُرَ مِنَ العَمَلِ) مُؤَثِّراً -وُجُوداً وَعَدماً- بِإِطْلاَقٍ -عَلَى صِحَّةِ الإِيمَانِ، لاَ عَلَى مُجَرَّدِ كَمَالِهِ. . .

فَهذِهِ هِيَ شُبْهَةُ الخَوَارِجِ فِي عَدَمِ تَجْوِيزِهِمْ تَبَعُّضَ الإِيمَانِ، وَتَفَاضُلَهُ!! إِذْ إِنَّ تَرْكَ (مَا صَغُرَ وَمَا كَبُرَ مِنَ العَمَلِ) -عِنْدَهُمْ- نَاقِضٌ لأَصْلِ الإِيْمَانِ، وَمُبْطِلٌ لَهُ، وهما -عندهم- سواءٌ. . .

○ الرَّابِعَ عَشَرَ: ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ: (وَتَرْكُ العَمَلِ بِبَعْضِ الأَعْمَالِ الإِيمَانِيَّةِ، لاَ يُسَمَّى نَقْصاً؛ لأَنَّهُ قَدْ سَلِمَ لَهُ الأَصْلُ. . .)!

□ نَقُولُ: وهذِهِ هِيَ شُبْهَةُ (المُرْجِئَةِ) فِي عَدَمِ تَجْوِيزِهِمْ -أَيْضاً- تَبَعُّضَ الإِيْمَانِ وَتَفَاضُلَهُ!! حَيْثُ لَمْ يَجْعَلُوا لِوُجُودِ (الأَعْمَالِ) وَعَدَمِهَا أَثَراً فِي زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ؛ لأَنَّ صَاحِبَهُ -عِنْدَهُمْ- (سَلِمَ لَهُ الأَصْلُ)!!

وَهذَا يَهْدِمُهُ مَا قَبْلَهُ، وَيَنْقُضُ -هُوَ- مَا سَبَقَهُ!!

وَهُوَ -كُلُّهُ- بَاطِلٌ جِدّاً؛ إِذْ كَيْفَ لاَ يَكُونُ (تَرْكُ بَعْضِ الأَعْمَالِ الإِيمَانِيَّةِ) نَقْصاً؛ وَهِيَ -فِي نَفْسِهَا- شُعَبٌ -قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ- مِنْ مَجْمُوعِ شُعَبِ (الإِيمَانِ الكَامِلِ) الَّذِي يَنْتَقِصُ -وَيَتَنَاقَصُ- بِانْتِقَاصِ شُعَبِهِ -قِلَّةً وَكَثْرَةً-؛ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْهُ إِلاَّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ!

وَمَعَ هذَا؛ فَالإِيْمَانُ -فِي هذِهِ الدَّعْوَى نَفْسِهَا لاَ يَصِحُّ إِلاَّ بِوُجُودِ (مَا صَغُرَ وَمَا كَبُرَ مِنَ العَمَلِ)!! فَهذَا عَكْسُ المَفْرُوضِ! وَهُوَ نَاقِضٌ وَمَنْقُوضٌ!!

○ الخَامِسَ عَشَرَ: ثُمَّ (تَحَوَّطَ) الشَّيْخُ (ص ٧) قَائِلاً: (وَلْيُعْلَمْ أَنَّ عَدَمَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ شَرْطَي الكَمَالِ وَالصِّحَّةِ. . . لاَ يَرُدُّ أَصْلاً مِنْ أُصُولِ الاعْتِقَادِ، وَلاَ يُبْطِلُ قَاعِدَةً مِنْ قَوَاعِدِ الأَحْكَامِ. . .)!

□ نَقُولُ: وَهذَا تَحَوُّطٌ مَخُوف، وَبِالأَخْطَارِ مَحْفُوف؛ فَكَيْفَ لاَ يَرُدُّ وَلاَ يُبْطِلُ؟! بَلَى؛ يُبْطِلُ وَيَرُدُّ!! وَكَيْفَ لاَ يَكُونُ؛ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ جَنَبَاتِهِ شُبُهَاتٌ لِلْخَوَارِجِ وَالْمُرْجِئَةِ -مَعاً-؟!

وَكَيْفَ لاَ يَكُونُ؛ وَهُوَ قَوْلٌ (حَادِثٌ) بِمَعْنَاهُ، وَاجْتِهَادٌ مَغْلُوطٌ فِي مَبْنَاهُ!؟

وَكَيْفَ لاَ يَكُونُ؛ وَهُوَ إِثْبَاتٌ لِضِدَّيْنِ، وَإِيجَادٌ لِعَكْسَيْنِ، وَقَبُولٌ لِمُخْتَلِفَيْنِ؟!

وهذا -عند أدنى تأمُّلٍ- هَدْمٌ لأصل أصولِ أهل السُّنَّة في مسألة الإيمان؛ وهو إثباتُ زيادةِ الإيمان ونقصانه...

○ السَّادِسَ عَشَرَ: ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (ص ٧) -مُوَجِّهاً ارْتِضَاءَهُ عَدَمَ التَّفْرِيقِ-:

«... إِنَّمَا هُوَ إِغْلاَقٌ لِبَابٍ وَلَجَ مِنْهُ الْمُتَأَوِّلُونَ فِي الإِسْلاَمِ... وَلاَ أَقْرَبَ مِنْ بُرْهَانٍ يُصَدِّقُ ذلِكَ، أَنَّهُمْ -وَقَدْ قَالُوا بِالكُفْرِ الاعْتِقَادِي القَلْبِي، وَالكُفْرِ العَمَلِيِّ -وَجَعَلُوا الثَّانِيَ مُبْقِياً عَلَى الإِيمَانِ لِصَاحِبِهِ وَإِنِ انْتَقَصَ-: أَبْرَءوا تَارِكَ الصَّلاَةِ، وَالرَّامِيَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، وَالحَاكِمَ عَلَى الأَخْيَارِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ بِالرِّدَّةِ، وَالْمُكَذِّبَ الْمُفْتَرِيَ عَلَى الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَر، وَالحَابِسَ الزَّكَاةَ، وَالشَّاتِمَ الرَّسُولَ، وَالسَّاجِدَ لِلصَّنَمِ، وَالْمُلْقِيَ الْمُصْحَفَ فِي السُّبَاطَةِ، وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ لاَ يُشَكُّ فِي خُرُوجِهِمْ مِنَ الْمِلَّةِ -بِمَا صَنَعُوا- مِنَ الكُفْرِ، وَحَظِيَ مِنْهُمْ بِصَكِّ غُفْرَانٍ فِي الآخِرَةِ...»!

□ فَنَقُولُ: هذَا كَلاَمٌ مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ، وَمِنْ مِثْلِهِ يُدْهَشُ وَيُسْتَغْرَبُ!!

إِذْ إِنَّ هذِهِ الْمَسَائِلَ الْمَسُوقَةَ سَوْقاً وَاحِداً مُتَنَافِرَةُ الْمَعَانِي، مُتَغَايِرَةُ الأَحْكَامِ؛ لاَ يَجْمَعُهَا رَابِطٌ، وَلاَ يَحْكُمُهَا نِظَام...

وَمَعَ هذَا؛ فَإِنَّ هَا هُنَا تَعْلِيقَات:

الأَوَّلُ: مَا هُوَ هذَا (البَابُ) الَّذِي أُغْلِقَ بِنَاءً عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ

شَرْطِ الصِّحَّةِ وَشَرْطِ الكَمالِ؟!

وَمَا هِيَ عَلاَمَاتُهُ؟! وَمَا هِيَ أَمَارَاتُهُ؟!

ثُمَّ؛ هَلْ مِنَ الصَّوَابِ إِغْلاَقُ بَابٍ بِفَتْحِ بَابٍ آخَرَ -قَدْ يَكُونُ أَكْبَرَ-؟!

وَهَلْ يُرَدُّ الخَلَلُ بِخَلَلٍ مُضَادٍّ؟!

الثَّانِي: قَوْلُهُ: «وَقَدْ قَالُوا بِالكُفْرِ الاعْتِقَادِيِّ القَلْبِي، وَالكُفْرِ العَمَلِيِّ...»!

مَنْ هُمْ؟! وَهَلْ لاَ تَقُولُ أَنْتَ بِقَوْلِهِمْ؟!

وَكَيْفَ تَخْرُجُ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي فِيهَا إِطْلاَقُ الكُفْرِ عَلَى مَا لَيْسَ مُخْرِجاً مِنَ المِلَّةِ؟! وَبِأَيِّ دَلِيلٍ؟!

وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ تَأْصِيلاَتِ إِمَامَيِ الهُدَى: **ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَابْنِ القَيِّمِ؟!**

الثَّالِثُ: وَصْفُهُ الكُفْرَ العَمَلِيَّ -عِنْدَهُمْ!- بِأَنَّهُ (يُبْقِي عَلَى الإِيمَانِ لِصَاحِبِهِ، وَإِنِ انْتَقَص)؟!

فَهَذَا -بِهَذَا الإِطْلاَقِ- بَاطِلٌ؛ فَلَيْسَ كُلُّ كُفْرٍ عَمَلِيٌّ مُبْقِياً عَلَى إِيمَانِ صَاحِبِهِ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنِ الإِمَامِ ابْنِ القَيِّمِ- تَقْسِيمُ الكُفْرِ العَمَلِيِّ إِلَى قِسْمَيْنِ:

أ - مُضَادٌّ لِلإِيمَانِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ مُخْرِجٌ مِنَ المِلَّةِ.

ب- العَمَلِيُّ المَحْضُ غَيْرُ المُخْرِجِ مِنَ المِلَّةِ.

فَأَيْنَ هذَا الادِّعَاءُ مِنَ الوَاقِعِ؟!

ثُمَّ ضَرَبَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ أَمْثِلَةً عَلَى النَّوْعِ الأَوَّلِ -مِنْ نَوْعَيِ الكُفْرِ-؛ مِنْهَا: الشَّاتِمُ الرَّسُولَ ﷺ، وَالسَّاجِدُ لِلصَّنَمِ، وَالمُلْقِي المُصْحَفَ فِي (السُّبَاطَةِ)..

وَهِيَ -كُلُّهَا- كُفْرِيَّاتٌ ذَاتِيَّةٌ لاَ يُشْتَرَطُ لَهَا اسْتِحْلاَلٌ قَلْبِيٌّ -كَمَا قَدْ يُتَوَهَّمُ[1]؛ وَإِنَّمَا يَجِبُ لِتَنْزِيلِ الحُكْمِ عَلَى فَاعِلِ أَيٍّ مِنْهَا تَحَقُّقُ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءُ المَوَانِعِ . . .

فَكَيْفَ تُجْمَعُ هذِهِ مَعَ تِلْكَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ؟!

فَهذِهِ مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةٌ كُبْرَى.

وَمَسْأَلَةٌ أُخْرَى: مِنْ أَمْثِلَةِ الخَلْطِ الوَاقِعِ لَهُ -أَيْضاً- فِي هَذَا- ذِكْرُهُ: (الحَابِسَ الزَّكَاةَ)! فَهَلْ كُلُّ حَابِسٍ لِلزَّكَاةِ -أَوْ مَانِعٍ لَهَا- يَكُونُ كَافِراً؟!

وَهَلْ يُسَوَّى بَيْنَ هذَا وَبَيْنَ سَابِّ اللهِ، وَرَسُولِهِ ﷺ، وَمُلْقِي المُصْحَفِ فِي (السُّبَاطَةِ)؟!

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي «المُحَلَّى» (١١/ ٣١٣): «وَحُكْمُ مَانِعِ الزَّكَاةِ: إِنَّمَا هُوَ أَنْ تُؤْخَذَ مِنْهُ؛ أَحَبَّ أَمْ كَرِهَ؛ فَإِنْ مَانَعَ دُونَهَا: فَهُوَ مُحَارِبٌ، وَإِنْ كَذَّبَ بِهَا: فَهُوَ مُرْتَدٌّ، فَإِنْ غَيَّبَهَا، وَلَمْ يُمَانِعْ دُونَهَا: فَهُوَ آتٍ مُنْكَراً. . .» إلخ[2].

وَيَدُلُّ عَلَى هذَا التَّفْصِيلِ حَدِيثُ عُقُوبَةِ مَانِعِ الزَّكَاةِ فِي الآخِرَةِ -وَأَنَّهُ يُرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ- وَقَدْ تَقَدَّمَ -، وَحَدِيثُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» (٥/ ٤٥٢)، وَ «سُنَنِ النَّسَائِي» (٢٤٤٩) -مَرْفُوعاً- بِسَنَدٍ حَسَنٍ- فِي حُكْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ فِي الدُّنْيَا-: «. . .وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ. . .».

وَأَمَّا قِصَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَقِتَالِهِ مَانِعِي الزَّكَاةِ: فَفِيهَا أَبْحَاثٌ عِلْمِيَّةٌ كَثِيرَةٌ؛ أَهَمُّهَا أَنَّهُ لاَ يَلْزَمُ -ضَرُورَةً- مِنَ القِتَالِ التَّكْفِيرُ -كَمَا قَالَ

---

(١) انْظُرْ «الصَّارِمَ المَسْلُول» (٣/ ٩٦٢) لِشَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

(٢) وَلِفَضِيلَةِ الأَخِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ المَأْرِبِي السُّلَيْمَانِي -نَفَعَ اللهُ بِهِ- كِتَابٌ مُفْرَدٌ فِي هذِهِ المَسْأَلَةِ، بِعُنْوَانِ «البَيَانُ الأَمْثَلُ لأَخْطَاءِ عَبْدِ اللهِ الأَهْدَلِ»، فَلْيُرَاجَعْ؛ فَإِنَّهُ مُفِيدٌ.

القَاضِي أَبُو يَعْلَى فِي «الأَحْكَام السُّلْطَانِيَّة» (ص٣)- يُنْظَرُ لَهَا: «أَعْلاَمُ الحَدِيث» (١/ ٧٤١)، وَ «مَعَالِمُ السُّنَن» (٢/ ١٦٤) -لِلْخَطَّابِي-، وَ «فَتحُ البَارِي» (١٢/ ٢٨٠) لِلحافظ ابن حَجَر، وَ «مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الإِسْلاَم» (٣٥/ ٥٧)[١] وَ «الاستِذكارُ» (٩/ ٢٦٦) لابْنِ عَبد البَرِّ. . . وَغَيْرُهَا.

وَأَمَّا المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ -الَّتِي وَقَعَ الخَلْطُ فِيهَا-؛ فَهِيَ مَسْأَلَةُ سبِّ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-؛ وَقَد «اخْتَلَفَ أَهْلُ العِلْمِ فِي الحُكْمِ وَالعُقُوبَةِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا مَنْ سَبَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ جَرَّحَهُمْ! هَلْ يَكْفُرُ بِذلِكَ، وَتَكُونُ عُقُوبَتُهُ القَتْل؟ أَوْ أَنَّهُ يَفْسُقُ بِذلِكَ، وَيُعَاقَبُ بِالتَّعْزِير؟[٢]»؛ بَلْ «إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَمِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيز، وَعَاصِمٌ الأَحْوَل، وَالإِمَامُ مَالك، وَأَحْمَد، وَكَثِيرٌ مِنَ الفُقَهَاء ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ سَابَّ الصَّحَابَةِ فَاسِقٌ وَمُبْتَدِعٌ، لَيْسَ كَافِراً، يَجِبُ عَلَى السُّلْطَانِ تَأْدِيبُهُ تَأْدِيباً شَدِيداً لاَ يَبْلُغُ بِهِ القَتْل»[٣]. . .

فَمَسْأَلَةٌ هكَذَا شَأْنُهَا: كَيْفَ تُلْحَقُ بِمَسْأَلَةِ سَبِّ اللهِ، أَوِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟! أَوْ كَيْفَ تُسَاقُ هذِهِ المَسَائِلُ مَعَهَا؟!

الرَّابِعُ: الادِّعَاءُ -عَلَى الْمُفَرِّقِينَ- عِنْدَهُ- أَنَّ فَاعِلَ هذِهِ الْمُوبِقَاتِ -أَوْ بَعْضِهَا- (حَظِيَ مِنْهُمْ بِصَكِّ غُفْرَانٍ فِي الآخِرَة)!!

---

(١) وَمِمَّا قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-: «ثُمَّ تَنَازَعَ الفُقَهَاءُ فِي كُفْرِ مَنْ مَنَعَهَا، وَقَاتَلَ الإِمَامَ عَلَيْهَا -مَعَ إِقْرَارِهِ بِالوُجُوبِ -عَلَى قَوْلَيْنِ-، هُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَدَ، كَالرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ فِي تَكْفِيرِ الخَوَارِج».

وَانْظُرْ «الفَتَاوَى الكُبْرَى» (٤/ ٢٤٢) -لَهُ-.

(٢) «عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي الصَّحَابَةِ الكِرَامِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-» (٢/ ٨٥٦) للدكتور ناصر بن علي عائض حسن الشيخ -نفع اللهُ به-.

وَانْظُرْ: «الصَّارِم المَسْلُول» (٥٧٨- ٥٨٢).

(٣) المَصْدَرُ السَّابِقُ.

هَلْ هُوَ حَقٌّ؟!

وَأَيْنَ هُوَ مِنَ الصَّوَابِ؟!

وَمَا هُوَ البُرْهَانُ عَلَى هذِهِ الدَّعْوَى؟!

ثُمَّ؛ أَلاَ يُعْكَسُ هذَا الإِشْكَالُ نَفْسُهُ -حَقِيقَةً لاَ دَعْوَى!- عَلَى صَاحِبِهِ؛ وَذلِكَ بِأَنْ يُقَالَ لَهُ:

إِذْ قَدِ احْتَمَلْتُمْ أَنَّ (تَارِكَ الصَّلاَةِ) -مِنْ بَيْنِ هؤلاَءِ- قَدْ يَنْجُو يَوْمَ القِيَامَةِ (بِإِخْلاَصِهِ)! فَلِمَاذَا لاَ يُجَرُّ هذَا الاحْتِمَالُ عَلَى (بَقِيَّةِ) تِلْكُمُ الأَعْمَالِ -المَسُوقَةِ عندكم سَوْقاً وَاحِداً-؛ فَحِينَئِذٍ يُذْكَرُ (صَكُّ الغُفْرَانِ)، وَمَا يَتْبَعُهُ مِنْ تَوَابِعَ فِي مَسْأَلَةِ الإِيمَانِ!!

واللهُ المُسْتَعانُ...

○ السَّابِعَ عَشَرَ: ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (ص ٧) مُوَصِّلاً: (... فَإِنَّ مِمَّا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَى أَهْلِ هذَا المَنْهَجِ المُبَارَكِ أَنْ يَزِيدُوا مِنْ حِرْصِهِمْ عَلَى زِيَادَةِ الإِيْمَانِ، وَذلِكَ بِالإِعْرَاضِ عَنِ أَسْبَابِ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلاَفِ، الَّتِي ضَرَبَتْ طُنُبَهَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ).

□ فَنَقُولُ: مُخَالَفَةُ أَشْيَاخِ السُّنَّةِ هِيَ أَعْظَمُ أَسْبَابِ الاخْتِلاَفِ المُهِمَّةِ...

وَمُغَايَرَةُ السَّبِيلِ الَّذِي مَضَتْ عَلَى أَصْحَابِهِ السُّنُونُ -بِالحَقِّ- هِيَ أَكْبَرُ بَابٍ لِلفُرْقَةِ المُخَالِفَةِ لِلْحَقِّ...

وَإِحْدَاثُ (اجْتِهَادٍ) مُنَاقِضٍ لِلْحَقِّ وَأَسْبَابِهِ هُوَ طَرِيقُ مُشَابَهَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الشَّأْنِ الَّذِي ضَرَبَ طُنُبَهُ فِيهِمْ...

أَمَّا مَنْ سَلَكَ الجَادَّةَ، بِغَيْرِ مُحَادَّةٍ: فَهُوَ أَبْعَدُ -أَوْ مِنْ أَبْعَدِ- النَّاسِ عَنْ طَرَائِقِ الفُرْقَةِ، أَوْ بَوَائِقِ الاخْتِلاَفِ...

○ الثَّامِنَ عَشَرَ: ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ٨):

(وأَعْظَمُ مَا يَسْتَجْلِبُ التَّفَرُّقَ وَالاخْتِلاَفَ -بِأَسْبَابِهِ وآثَارِهِ- مِنَ (الكُفْرِ، وَالزَّنْدَقَةِ، وَالنِّفَاقِ)، مَا كَانَ يَكُونُ لأَحَدٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ المُتَنَازِعَيْنِ أَنْ يَصِفَ بِهِ الآخَرَ، أَوْ أَنْ يَجُوسَ خِلاَلَ قَلْبِهِ؛ لِيُظْهِرَ لِلنَّاسِ مِنْهُ مَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، بِخِلاَفِهِ عَلَيْهِ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ وَهَوِيَهُ بِحَقٍّ يَرَاهُ فِيهِ فِي أَيَّةِ مَسْأَلَةٍ مِنَ المَسَائِلِ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ أَمْراً ظَاهِراً جَلِيّاً لاَ تَخْفَى مِنْهُ خَافِيَةٌ (بِكُفْرٍ، أَوْ بِظُلْمٍ، أَوْ بِعُدْوَانٍ)، وَحَتَّى هذَا لَوْ أَنَّهُ سَكَتَ عَنْهُ، وَأَمْسَكَ عَلَيْهِ لِسَانَهُ لَكَانَ خَيْراً لَهُ؛ لأَنَّهُ أَسْلَمُ عَاقِبَةً، وَأَهْدَى سَبِيلاً، وَلَكِنْ؛ أَنَّى وَكَيْفَ؟! وَقَدْ أُوتِيَ بَعْضُهُمْ بَصِيرَةً أَشَدَّ ثُقُوباً مِنْ أَشِعَّةِ إِكْس، أَوِ اللِّيزَر! فَصَارَ يَعْرِفُ مَا فِي الصُّدُورِ!! لِيَحْكُمَ بِالغَيْبِ عَلَى هذَا -أَوْ ذَاكَ- بِالخُبْثِ، وَسُوءِ الطَّوِيَّةِ، وَالنِّفَاقِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الأَوْصَافِ)!

□ **فَنَقُولُ:** نَعَمْ؛ نَحْنُ -كَمِثْلِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ (فِيمَا قَالَ)- حَرِيصُونَ جِدّاً -بِمِنَّةِ اللهِ- عَلَى أَنْ لاَ يَكُونَ مِنَّا وَصْفٌ لأَيِّ مُسْلِمٍ بِأَيٍّ مِنْ أَلْقَابِ (الكُفْرِ، وَالزَّنْدَقَةِ، وَالنِّفَاقِ)؛ إِلاَّ بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالقَوَاعِدِ العِلْمِيَّةِ...

حَتَّى إِنَّ الكَثِيرَ مِنَ السُّفَهَاءِ -أَوِ الجُهَلاَءِ- رَمَوْنَا وَمَشَايِخَنَا -عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ- بِالإِرْجَاءِ، وَقَبِيحِ الأَلْقَابِ وَالأَسْمَاءِ؛ لأَنَّنَا عَنِ التَّكْفِيرِ مُحْجِمُونَ، وَلِبَابِهِ مُغْلِقُونَ؛ إِلاَّ مَا كَانَ وَاضِحاً صَرِيحاً؛ لاَ لَبْسَ فِيهِ، وَلاَ شُبْهَةَ تَعْتَرِيه.

هذِهِ وَاحِدَةٌ...

أَمَّا الثَّانِيَةُ، فَأَنْ يُقَالَ:

لاَ يَعْلَمُ مَا فِي القُلُوبِ بِيَقِينٍ إِلاَّ رَبُّ العَالَمِينَ، وَلاَ أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَى الحُكْمِ عَلَى دَخَائِلِ النُّفُوسِ، وَخَوَافِي الضَّمَائِرِ؛ إِلاَّ الله -جَلَّ فِي عُلاَه-...

وَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...

أَمَّا الثَّالِثَةُ، فَأَنْ يُقَالَ:

لَيْسَ (الكُفْرُ، أَوِ الظُّلْمُ، أَوِ العُدْوَانُ) -فَقَطْ- هِيَ دَوَاعِي الرَّدِّ وَالنَّقْضِ؛ بَلِ

الأَمْرُ أَوْسَعُ مِنْ ذلِكَ فِي كُلِّ مُخَالِفٍ لِلْحَقِّ بِغَيْرِ حَقٍّ...

ثُمَّ؛ هَلِ البِدْعَةُ، وَالانْحِرَافُ العَقَائِدِيُّ -أَوِ المَنْهَجِيُّ- إِلاَّ صُوَرٌ قَبِيحَةٌ مِنْ صُوَرِ الظُّلْمِ الدِّينِي، وَالعُدْوَانِ الشَّرْعِي؟!

أَمَّا الرَّابِعَةُ، فأَنْ يُقَالَ:

السُّكُوتُ وَالإِمْسَاكُ عَنِ الرَّدِّ عَلَى مُخَالِفِ الحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الفَسَادِ، وَمِنْ أَبْيَنِ طَرَائِقِ الإِفْسَادِ؛ **فَلاَ هُوَ (أَسْلَمُ عَاقِبَةً)، وَلاَ (أَهْدَى سَبِيلاً)!!**

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾...

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ مَنْ ﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوه...﴾، وَنَعَى عَلَيهِم بِئْسَ فِعْلِهِمْ، **وَشَنِيعَ وَصَنِيعِهِم...**

فَكَيْفَ يَكُونُ -أَو يَسُوغُ- مِنْ طَالِبِ حَقٍّ عَكْسُ هذَا؟!

وَمَا هُوَ دَلِيلُهُ؟!

بَلْ مَا هِيَ ضَوَابِطُهُ؟!

ثُمَّ؛ لِمَاذَا لَمْ يُفْعَلْ هذَا مِنْ مُدَّعِيهِ -نَفْسِهِ- وَمُقْتَرِحِهِ؟!

وَلَقَدْ صَدَقَ وَبَرَّ -وَاللهِ- مَنْ قَالَ: «**السَّاكِتُ عَنِ الحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ**».

أَمَّا الخَامِسَةُ:

فَإِنَّ مِنْ بَابَةِ مَا سَبَقَ -نَفْسِهِ- دَعْوَى الحُكْمِ عَلَى مَا فِي الصُّدُورِ بِـ (أَشِعَّةِ إِكْس، أَوِ اللِّيزَر)!

فَمَنْ ذَا مُدَّعِي ذلِكَ أَوْ فَاعِلُهُ؟!

ثُمَّ؛ أَلاَ يَكُونُ الحُكْمُ عَلَى الآخَرِينَ بِهذِهِ الطَّرِيقَةِ هُوَ مِنْ بَابِ الاتِّهَامِ المَذْكُورِ -نَفْسِه-؟!

وآخِراً، أَلَيْسَ لِقَرَائِنِ الأَحْوَالِ -شرْعاً- أَثَرٌ -بَلْ آثَارٌ- فِي تَنْزِيلِ الأَحْكَامِ؟!

○ التَّاسِعَ عَشَرَ: ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ٨):

(وَمَا عَلِمْتُ مِنْ قَبْلُ مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ -قَامَتْ عَلَيْهِ حُجَّةُ الآخَرِ، فَأَبَاهَا، وَرَدَّهَا، وَصَدَفَ عَنْهَا. . .).

□ فَنَقُولُ: هَذَا -أَصْلاً- إِذَا سَمِعَهَا، أَوْ سَمَحَ بِذِكْرِهَا، أَوْ أَذِنَ بِقَبُولِهَا، أَوْ أَرْخَى سَمْعَهُ لَهَا، أَوْ سَعَى إِلَيْهَا، أَوْ حَرَصَ عَلَيْهَا. . .

أَمَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ ذلِكَ؛ فَلَيْسَ هُوَ إِلَى مَا هُنَالِكَ. . .

فَكَيْفَ إِذَا آلَ الأَمْرُ -مِنْ بَعْدُ- إِلَى امْتِنَاعٍ مُطْلَقٍ -وَمَنْعٍ مُطْبِقٍ- فِي أَدْنَى وُجُوهِ البَحْثِ العِلْمِيِّ فِي أَيِّ مَجْلِسٍ يُرْتَجَى عَقْدُهُ؟!!

○ العِشْرُونَ: ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ٨):

(فَإِنْ كَانَ ذلِكَ كَذلِكَ، -وَهُوَ كَذلِكَ-؛ فَإِنَّ هذَا النِّزَاعَ يَبْقَى نِزَاعاً نَظَرِيًّا فِي ذَاتِهِ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ النَّتِيجَةِ النَّاشِئَةِ عَنْهُ، فَلِمَ إِذاً يُحْرَصُ عَلَى أَسْوَإِ الأَثَرِ، مِنْ خُصُومَةٍ كَادِرَةٍ، وَفُرْقَةٍ هَادِرَةٍ، وَشِرَّةٍ بَائِرَةٍ؟!)

□ فَنَقُولُ:

١- كُلُّ هذَا النَّقْعِ، وَالرَّدِّ، وَالتَّهْوِيشِ، وَالاسْتِدْرَاكِ، وَالتَّعْقِيبِ. . . وَالنِّزَاعُ نَظَرِيٌّ!! فَكَيْفَ لَوْ كَانَ -فِي هذِهِ الدَّعْوَى- عَمَلِيًّا وَاقِعِيًّا؟!

٢- أَمَّا أَنْ يُقَالَ: (بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ النَّتِيجَةِ النَّاشِئَةِ عَنْهُ)؛ فَهذَا كَلاَمٌ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ؛ وَهَلِ الأُمُورُ تُعْرَفُ بِغَيْرِ نَتَائِجِهَا؟!

وَهَلِ النَّتِيجَةُ إِلاَّ هِيَ الأَسَاسُ فِي الحُكْمِ -بَدْءاً وَانْتِهَاءاً-؟!

٣- أَمَّا (التَّحْرِيصُ -أَوِ التَّحْرِيضُ- عَلَى أَسْوَإِ الأَثَرِ)، فَهُوَ شَأْنٌ رَاجِعٌ إِلَى مَنْ أَغْلَقَ طَرِيقَ الحِوَارِ، وَسَدَّ بَابَ البَحْثِ، وَرَفَضَ وُجُوهَ البَيَانِ. . . لاَ غَيْرِهِ!

○ **الحَادِي وَالعِشْرُونَ**: ثُمَّ تكَلَّمَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ٩) عَنِ (السَّلَفِيِّينَ المُخْتَلِفِينَ المُدَّعِينَ أَنَّهُمْ عَلَى مَنْهَجِ الحَقِّ الوَاحِد. . .)!!

□ **فَنَقُولُ**:

١- **الظَّنُّ بِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَنَّهُ مِنْهُمْ؛ بَلْ مِنْ رُؤوسِهِمْ، وَكِبَارِهِمْ، وَشُيُوخِهِمْ؛ فَلِمَاذَا -مِنْهُ- هذَا الأُسْلُوبُ (الجَدِيدُ) فِي الخِطَابِ؟!**

وماذا وراءه؟!

٢- أَمَّا (أَنَّهُمْ عَلَى مَنْهَجِ الحَقِّ الوَاحِدِ). . . فَنَعَم؛ **إِلاَّ مَنْ خَالَفَ مَشَايِخَنَا فِي أَصلٍ مُعْتَبَر، وَنَأَى بِنَفْسِهِ عَنْ مَنْهَجِنَا بلا دليلٍ أو أَثَر**. . . فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ. . .

○ **الثَّانِي وَالعِشْرُونَ**: ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ٩) مُخَاطِباً (السَّلَفِيِّينَ):

«أَفَمَا كَانَ حَسَناً جَمِيلاً أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ المَوَدَّات، فَلاَ يَجِدُوا وَهُمْ مِنْ فَوْقِهَا إِلاَّ مَا يَزِيدُ مِنْ بَأسِهَا فِي صُدُورِهِمْ، وَيُوثِقُهُمْ إِلَى نُورِهَا الهَادِي، وَيُقِيلُ عَثْرَتَهُمْ مِنْ سَقْطَةٍ أَوْدَتْ بِأَحْسَنِ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ الأُخُوَّةُ الرَّاضِيَةُ المَرْضِيَّةُ؛ لِيَنَالُوا بِهَا رِضْوَانَ اللهِ فِي الآخِرَةِ، وَتَوْفِيقَهُ فِي الدُّنْيَا؟

إِنَّهُ وَاللهِ لَشَيْءٌ عُجَاب، يُعْصَى فَلاَ يُجَاب، وَيَعِيبُ وَلاَ يُعَاب!).

□ **فَنَقُولُ**: (سَبِيلُ المَوَدَّاتِ) طَرِيقُهُ الشَّرْعِيُّ وَاحِدٌ لاَ غَيْرَ، **وَهُوَ النُّصْحُ الصَّادِق** بِالقَوْلِ الوَاثِق. . .

وَمِنْهُ (الأُخُوَّةُ الرَّاضِيَّةُ المَرْضِيَّةُ) الَّتِي لاَ سَبِيلَ إِلَيْهَا إِلاَّ **بِالمُكَاشَفَةِ وَالمُصَارَحَةِ**، وَبِصَفَاءِ النُّفُوسِ، وَنَقَاءِ القُلُوبِ. . .

أَمَّا التَّشَبُّثُ بِأَذْيَالِ (**وَسَطٍ فَضْفَاض**): تَلْتَقِي عَلَيْهِ الأَضْدَاد، وَتَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الأَنْدَاد. . . فَلاَ يَزِيدُ -هذَا- الأُمُورَ إِلاَّ سُوءً وَصُعُوبَة، وَلاَ يَصِلُ بِأَصْحَابِهِ إِلاَّ إِلَى

طُرِقٍ مُغْلَقَةٍ مَسْدُودَةٍ!!

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

○ **الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ**: ثُمَّ تَكَلَّمَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ٩ - ١٠) حَوْلَ مَا قَدْ يَكُونُ (لِلْعَالِمِ) مِنْ أَقْوَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي المَسْأَلَةِ الوَاحِدَةِ، وَأَنَّهُ (لاَ يُعْرَفُ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهَا)!...

□ **فَنَقُولُ**: نَعَمْ: فَكَانَ مَاذَا؟! فَإِذْ لَمْ يُعْرَفْ (رُجُوعُهُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهَا)؛ فَإِنَّ مِنْهَا -بِلاَ رَيْبٍ- الرَّاجِحَ وَالمَرْجُوحَ، دُونَ لُزُومِ تَحْدِيدِ عَيْنِ الَّذِي عَنْهُ مَرْجُوعٌ!

فَإِذَا كَانَ الرُّجُوعُ -أَوْ بَيَانُ المَرْجُوحِ- **مَبْنِيّاً عَلَى دَلِيلٍ عِلْمِيٍّ، أَوْ حُجَّةٍ شَرْعِيَّةٍ: فَنِعِمَّا هُوَ**...

أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ -وَلَوْ بِالبَيَانِ-؛ فَمَا هُوَ المَصِيرُ؟!

وَكَيْفَ السَّبِيلُ؟!

○ **الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ**: ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ١٠):

(وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنْ تَلْتَقِيَ الطَّائِفَةُ مِنَ العُلَمَاءِ- عَلَى تَبَايُنِ اخْتِلاَفٍ فِيهَا -عَلَى أَقْوَالٍ- لاَ يُمَازُ وَاحِدٌ مِنْهَا مِنَ الأُخْرَى، لاَ يَمْنَعُ المَوَدَّةَ فِيهِمْ؛ بَلْ رُبَّمَا كَانُوا فِي ذَلِكَ عَلَى قَدَمِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فِي جَعْلِ الاخْتِلاَفِ فِي (المَسَائِلِ العِلْمِيَّةِ) طَرِيقاً إِلَى المَوَدَّةِ).

□ **فَنَقُولُ: هُنَا مَسْأَلَتَانِ**:

الأُولَى: اخْتِلاَفُ العُلَمَاءِ: فَهُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى تَقْلِيدٍ، أَوْ عَصَبِيَّةٍ، أَوِ اسْتِحْسَانٍ، أَوْ تَحَكُّمٍ: فَهُوَ مَرْدُودٌ...

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِماً عَلَى بَيِّنَةٍ، وَدَلِيلٍ، وَحُجَّةٍ: فَيُنْظَرُ دَلِيلُهُ، وَتُنَاقَشُ

حُجَّتُهُ، وتُدْرَسُ بَيِّنَتُهُ...

أمَّا غَيْرُ هذين: فَلاَ...

الثَّانِيَةُ: اخْتِلاَفُ الصَّحَابَةِ: وَهُوَ اخْتِلاَفٌ فِي مَسَائِلَ (فِقْهِيَّةٍ) مَعْدُودة مَحْدُودة، خَفِيَ عَلَى بَعْضِهِمْ دَلِيلُهَا، أَوْ لَمْ يَتَحَرَّرْ عِنْدَ بِعْضٍ آخَرَ -مِنْهُمْ- مَدْرَكُهَا... وَهكَذَا...

أَمَّا ادِّعَاءُ وُجُودِ خِلاَفٍ -أَوِ اخْتِلاَفٍ- بَيْنَهُمْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فِي مَسَائِلِ المَنْهَجِ وَالاعْتِقَادِ: فَهُوَ ادِّعَاءٌ مَرْدُودٌ، وَقَوْلٌ مَرْفُوضٌ؛ لَيْسَ عَلَيْهِ أَقَلُّ حُجَّةٍ، وَلَيْسَ فِيهِ أَدْنَى بَيِّنَةٍ...

وَالدَّعَاوَى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا ... بَيِّـنَاتٍ أَبْـنَاؤُهَـا أَدْعِـيَاءُ

نَتَسَاءَلُ -أَخِيراً-:

هَلْ كَانَ الخِلاَفُ - أَوِ الاخْتِلاَفُ فِي مَسَائِلِ (الفِقهِ) -يَوْماً- مِنَّا -سَبِيلٌ تُقْطَعُ بِهِ مَوَدَّةٌ، أَوْ تُنْتَقَصُ بِهِ مَحَبَّةٌ؟!

وَمَا أَكْثَرَهَا مَسَائِلُ الفِقْهِ الَّتِي **خُولِفَ** بِهَا **مَشَايِخُنَا**، وَانْتُقِدَتْ فِيهَا اخْتِيَارَاتُنَا؛ وَلَمْ يَكُنْ ذلِكَ -مِنَّا- سَبِيلاً -قَطُّ- لِخُصُومَةٍ، أَوْ قَطِيعَةٍ؟!

فَإِذَا كَانَ هذَا فِي غَيْرِنَا فِي دَائِرَةِ المَوْجُود! فَهُوَ (عِنْدَنَا) -بِحَمْدِ اللهِ- فِي حُكْمِ المَفْقُود...

وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الغَفُور الوَدود...

ثم، إِنَّنا (لَنَخْشى) أَنْ تكونَ هذه الإشارةُ إلى قضيَّة (الاختلاف) -هنا- باباً يُفْتَح -من ها هُنا أو ها هُنا- يُصارُ به إلى تَمْييع المواقف في مسائل الخلاف بين دُعاة منهج السَّلف، وبين مخالفيهم.. فالحَذَرَ الحَذَرَ!!

○ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ: ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٠):

(وَمِنَ الخِلاَفِ العِلْمِيِّ -الَّذِي لاَ مَحِيدَ عَنْهُ، أَنْ يَخْتَلِفَ الوَاحِدُ عَلَى قَوْلِه -هُوَ نَفْسُهُ- فِي مَسْأَلَةٍ مَا، يَكُونُ قَالَ فِيهَا قَوْلاً، ثُمَّ عَادَ عَنْهُ، وَمِنْ هذَا مَا كَانَ مِنِّي أَنَا مِنْ تَوْضِيحٍ لِلقَوْلِ الَّذِي شُهِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي مَسْأَلَةِ (كُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ)؛ حَتَّى لَكَأَنَّهَا لَصِيقَةٌ بِالْوَحْيِ، وَمَا كَانَتْ -لَوْ صَحَّتْ تِلْكَ النِّسْبَةُ- إِلاَّ مِنِ اجْتِهَادٍ مِنْهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-).

□ فَنَقُولُ: لاَ يَعِيبُ طَالِبَ العِلْمِ -أَوِ العَالِمَ- اخْتِلاَفُ قَوْلِهِ فِي مَسْأَلَةٍ مَا-: كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ...

وَلَكِنَّ الَّذِي يَعِيبُ هذَا -أَوْ ذَاكَ- **هُوَ عَدَمُ الثَّبَاتِ عَلَى القَوْلِ، وَالتَّحَوُّلُ عَنْهُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ، والتلوُّنُ بغيرِه دُونَ إِبَانَةٍ لِلْمَحَجَّةِ...**

أَمَّا وَصْفُ كَلِمَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَنَّهَا: **(لَكَأَنَّهَا لَصِيقَةٌ بِالوَحْيِ)**!؛ فَنَقُولُ: **نَعَمْ؛ هِيَ كَذَلِكَ**، وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيل»؟!

بَلْ إِنَّ كُلَّ حَرْفٍ فِي الوَحْيَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ لَيَدُلُّ على هَذِهِ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَيَهْدِي إِلَيْها؛ وَلِذلِكَ اجْتَمَعَ أَهْلُ الحَقِّ عَلَى ضِيَائِها، وَتعلَّقُوا بِأَهْدابِها؛ فَأَضْحَتْ نُوراً هَادِياً (أَلِفَتْهُ القُرُون)؛ لأَنَّها مِنْ تَرِكَةِ خَيْرِ القُرُون...

وَأَمَّا التَّشْكِيكُ بِصِحَّةِ نِسْبَتِهَا؛ فَهُوَ مِنْ أَشَدِّ البَاطِلِ، وَمِنْ أَعْظَمِ القَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ...

ثُمَّ أَنْ يُوصَفَ قَوْلُهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِأَنَّهُ **(اجْتِهَادٌ مِنْهُ)**؛ مَاذَا وَرَاءَهُ؟!

لَيْسَ وَرَاءَهُ -والله أعلمُ- إِلاَّ التَّقْلِيلُ مِنْ قَدْرِ هذَا الاجْتِهَادِ المُشَكَّكِ فِي صِحَّتِهِ، وَالمَطْعُونِ فِي دِلاَلَتِهِ... لِتَسْهِيلِ رَدِّهِ وَرَفْضِهِ...

فَهَلْ تَرْضَى -وَتَرْضَى- أَنْ تَرُدَّ اجْتِهَادَهُ، وَتُحِبُّ أَنْ نَقْبَلَ -أَوْ تَقْبَلَ- فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ- اجْتِهَادَكَ؟!

وَأَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الهُدَى، وَأَدْنَى إِلَى الحَقِّ، وَأَبْعَدُ عَنِ الخَطإِ؟!

○ **السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ**: ثُمَّ قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ١٠):

«وَكَانَ لِي فِي هذِهِ المَسْأَلَةِ فَهْمٌ غَيْرُهُ، لاَ أَحْسَبُنِي خَالَفْتُ فِيهِ عَنْ أَصْلٍ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَلاَ خَرَجْتُ بِهِ عَنْ قَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَلاَ حَتَّى عَنِ المَعْنَى الَّذِي أَوْقَعُوهُ عَلَى كَلِمَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ».

□ **فَنَقُولُ**: بَلَى -وَاللهِ- إِنَّ فِي ذلِكَ لَمُخَالَفَةً جَلِيَّةً، قَوِيَّةً؛ وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ، وَهِيَ مُخَالَفَةٌ لأَصْلٍ عِلْمِيٍّ عَقَدَيٍّ، صَارَ قولَ «**عامّة الصحابة**»[1] بَلْ «**قَوْلَ عَامَّةِ السَّلَفِ**»؛ كَمَا نَصَّ عَلَى ذلِكَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٣٥٠).

وَبِالتَّالِي: **فَهذَا خُرُوجٌ صَرِيحٌ عَلَى قَاعِدَةٍ مُهِمَّةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ الَّتِي كَانَ السَّلَفُ أُمَنَاءَ عَلَيْهَا؛ وَمَا يَزَالُ أَتْبَاعُهُمْ وَحَامِلُو رَايَةِ مَنْهَجِهِمْ حُمَاةً لَهَا، وَدُعَاةً إِلَيْهَا...**

وَرَحِمَ اللهُ الإِمَامَ ابْنَ سِيرِينَ القَائِلَ: «إِنَّ هذَا العِلْمَ دِينٌ؛ **فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ**».

أَمَّا أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ فِي (ذلِكَ) خُرُوجٌ (عَنِ المَعْنَى الَّذِي أَوْقَعُوهُ عَلَى كَلِمَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ)!!

فَهذَا بَاطِلٌ؛ فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ -حَقًّا- كَذلِكَ؛ فَلِمَاذَا **المُخَالَفَةُ** -أَصْلاً-؟! وَلِمَاذَا **التَّشْكِيكُ** -أَسَاساً-؟! وَلِمَاذَا **التَّأْوِيلُ** وَالتَّعْطِيلُ -ثَمَرَةً-؟!

○ **السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ**: ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ (ص ١٠):

(فَإِنِّي أَقُولُ لِطُلاَّبِ العِلْمِ إِنْ فَهِمُوا عَنِّي مَا قَصَدْتُ إِلَيْهِ مِنَ المَعْنَى الصَّحِيحِ

---

(١) نصَّ على ذلك ابنُ القيِّم في «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٥).

الجَدِيد الَّذِي صِرْتُ إِلَيْهِ -وَهُوَ حَقٌّ- إِنْ شَاءَ اللهُ- أَمْ لَمْ يَفْهَمُوا...)!

□ **فَنَقُولُ**: إِذَا كَانَ هذَا المَعْنَى (جَدِيداً) فَكَيْفَ يَلْتَقِي -إِذاً- المَعْنَى (القَدِيم) الَّذِي هُوَ نَاقِضٌ لَهُ، وَمُبْطِلٌ لِدِلاَلَتِه؟!

ثُمَّ؛ أَلاَ يُقَالُ فِي كُلِّ مَا خَالَفَ مِمَّا (جَدَّ): «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»؟!

أَمَّا (تَرَجِّي) فَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَنْ يَكُونَ المَعْنَى (الجَدِيدُ) الَّذِي (مَالَ) إِلَيْهِ: (حَقّاً إِنْ شَاءَ اللهُ): **فَيُقَابِلُهُ تَوْكِيدٌ جَازِمٌ، وَقَوْلٌ حَاسِمٌ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الحَقِّ فِي شَيْءٍ؛ لأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِمَا «قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ، كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ...»؛** كَمَا صَرَّحَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٧/ ٦٧).

ثُمَّ؛ إِذَا لَمْ يَفْهَمْ طُلاَّبُ العِلْمِ قَوْلَ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ، وَلَمْ يَعْقِلُوا مُرَادَهُ: فَلِمَنْ هُوَ يَكْتُبُ؟! وَمَنْ ذَا سَيَفْهَمُ عَنْهُ؟!!

○ **الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ**: ثُمَّ أَشَارَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص١١) إِلَى بَعْضِ (كُتُبِهِ) السَّابِقَةِ الَّتِي (خَالَفَ) فِيهَا مَا (قَرَّرَهُ) أَخِيراً، وَغَايَرَ -أَخِيراً- مَا كَتَبَهُ (قَدِيماً)، قَائِلاً:

(وَأَنَّ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فِي كُتُبِي السَّابِقَةِ... يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ جَدِيدٍ، وَصِيَاغَةٍ جَدِيدَةٍ، وَلاَ عَيْبَ يَعِيبُ...) إِلَخ!!

□ **فَنَقُولُ: وَمَا أَدْرَانَا أَنْ يَكِرَّ عَلَى هذَا (الجَدِيدِ) جَدِيدٌ آخَرُ(!) فَيَنْقُضُهُ، وَيُبْطِلُهُ؟!**

ثُمَّ؛ مَا هِيَ ضَوَابِطُ هذَا النَّظَرِ الجَدِيدِ؟! وَعَلَى مَاذَا بُنِيَتْ؟! وَكَيْفَ غُيِّرَتْ وَبُدِّلَتْ؟!

○ **التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ**: نَصِيحَةٌ وَجَّهَهَا فَضِيلَةُ الشَّيْخِ (ص ١١) لِقَارِئِ كِتَابِهِ: (أَنْ يَقْرَأَ بِعَيْنِهِ لاَ بِعَيْنِ غَيْرِهِ، وَأَنْ يُفَكِّرَ بِعَقْلِهِ لاَ بِعَقْلِ غَيْرِهِ، وَأَنْ يَتُوبَ

مِنْ مُواقَعَةٍ فِي أعْرَاضِ إخْوَانِهِ بِجَهْلٍ، أوْ بِهوَىً، وبِغَيْرِ حَقٍّ، ولْيَسْتَذْكِرَ -دائماً- حَدِيثَ مُعاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَهُوَ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إلاَّ حَصَائِدُ ألْسِنَتِهِمْ»)...

□ **فَلاَ نَزِيدُ عَلَى أنْ نَقُولَ:**

نَعَمْ...

○ **الثَّلاثُونَ:** نَصِيحَةٌ أُخْرَى وَجَّهَهَا -سَدَّدَهُ اللهُ- إِلَى قُرَّائِهِ، وَهِيَ: (أنْ يُمْسِكُوا عَنِ الحُكْمِ عَلَى أحَدٍ بِالكُفْرِ، أوْ بِالظُّلْمِ، أوْ بِالفُسُوقِ (المُرَادُ مِنْهُمَا الكُفْرُ)، فَذَلِكَ لَيْسَ لِكُلِّ أحَدٍ؛ بَلْ هُوَ لأهْلِ العِلْمِ الَّذِينَ بَلَغُوا مَنْزِلَةً عَالِيَةً فِيهِ...) إلخ.

□ **فَنَقُولُ:** أمَّا الإمْسَاكُ عَنِ الحُكْمِ عَلَى أحَدٍ بِالكُفْرِ: فَهذِهِ جَادَّةُ أهْلِ العِلْمِ المُتَثَبِّتِينَ الرَّاسِخِينَ؛ الَّذِينَ لاَ يَحْكُمُونَ إلاَّ بِعِلْمٍ، ولاَ يَتَوَقَّفُونَ إلاَّ عَنْ حِلْمٍ...

وَإِنْ كَانَ الكَثِيرُونَ -إنْ لَمْ يَكُونُوا أجْمَعِينَ- مِمَّنْ فَرِحُوا بِالاجْتِهَادَاتِ (الجَدِيدَةِ) لِلشَّيْخِ -سَدَّدَهُ اللهُ- هُمْ مِنَ الَّذِينَ أطْلَقُوا عَنَانَ ألْسِنَتِهِمْ وَأقْلاَمِهِمْ -فِي مَجَالِسِهِمْ، وَتَسْوِيدَاتِهِمْ؛ بَلْ فِي (الإنْتَرْنِت) -أيْضاً- لإطْلاَقِ الحُكْمِ بِالتَّكْفِيرِ، مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ إِلَى هذَا الأَصْلِ الَّذِي قَرَّرَهُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ -هُنَا- مُوافِقاً الصوابَ فيه -وَالحَمْدُ للهِ-.

أمَّا قَوْلُهُ -فِي الظُّلْمِ وَالفُسُوقِ-: (المُرَادُ مِنْهُمَا الكُفْرُ)؛ فَعَجَبٌ؛ **إِذِ المُحَرَّرُ عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ أنَّ كُلَّ كُفْرٍ ظُلْمٌ، وَفُسُوقٌ، وَلَيْسَ كُلُّ ظُلْمٍ وَفُسُوقٍ كُفْراً...**

فَمَا هُوَ المُرَادُ مِنْ ذَاكَ المُرَادِ؟!

وَمَاذَا وَرَاءَهُ مِنْ حُكْمٍ خَافٍ، أوْ بَادٍ؟!

○ **الوَاحِدُ وَالثَّلاثُونَ:** ثُمَّ خَتَمَ الشَّيْخُ -سَدَّدَهُ اللهُ- (ص١٢) كَلاَمَهُ بِقَوْلِهِ:

(أمَّا غَيْرُ العُلَمَاءِ فَحَقُّهُمْ فِي هذَا الأَمْرِ السُّكُوتُ، وَلاَ يَكُونُ مِنْهُمْ إلاَّ أنْ

يَحْفَظُوا عَنْ رَبِّهِمْ، أَوْ عَنْ نَبِيِّهِمْ، ثُمَّ عَمَّنْ أَذِنَ لَهُمْ مَا قَضَى بِهِ فِي هذَا الأَمْرِ، وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ سَكَتُوا فَأَحْسَنُوا؟!.

وَإِنَّ مَا صَارَتِ الحَالُ إِلَيْهِ -مِنْ ذُيُوعِ الفَوْضَى العِلْمِيَّةِ، وَالتَّجَرُّؤِ عَلَى الفُتْيَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ بِعَامَّةٍ، وَبَيْنَ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى العِلْمِ بِخَاصَّةٍ، وَبَيْنَ مَنْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مَنْهَجِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِوَجْهٍ أَخَصَّ، لَيُنْذِرُ بِطُغْيَانِ الشَّرِّ، وَتَصَاعُدِ لَهِيبِ الفِتَنِ، وَأَحْسَبُ أَنَّ هذَا الَّذِي كَانَ، مَا كَانَ لِيَكُونَ إِلاَّ بِاسْتِسْهَالِ العِلْمِ، وَتَنَاوُشِهِ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَخْذِهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ، وَعَنْ غَيْرِ شُيُوخِهِ)!!

□ فَنَقُولُ: وَنَحْنُ نَضُمُّ صَوْتَنَا إِلَى صَوْتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ؛ حَتَّى لاَ يُقَالَ أَيُّ كَلاَمٍ إِلاَّ بِعِلْمٍ، وَلاَ يَكُونَ سُكُوتٌ إِلاَّ بِحِلْمٍ..

أَمَّا (مَنْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مَنْهَجِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، وَلَيْسُوا هُمْ -حَقِيقَةً- كَذلِكَ!! فَمَنْ هُمْ؟! وَأَيْنَ هُمْ؟! وَكَيْفَ هُمْ؟!

حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَالُهُمْ، وَيُكْشَفَ أَمْرُهُمْ، وَيُفْضَحَ جَهْلُهُمْ؛ لِتَحْذَرَهُمُ الأُمَّةُ، وَتَنْجَلِيَ سَخَائِمُهُمُ المُدْلَهِمَّةُ!!

أَمَّا (أَخْذُ العِلْمِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ، وَعَنْ غَيْرِ شُيُوخِهِ)؛ فَهُوَ: مُصِيبَةٌ عَمْيَاء، وَطَامَّةٌ دَهْيَاء...

وَمِنْهُ -بَلْ أَشَدُّ- مُخَالَفَةُ طَرِيقِ العِلْمِ، وَمُنَابَذَةُ هَدْيِ شُيُوخِهِ...

وَلَكِنْ؛ قَدْ تَكُونُ هذِهِ -أَوْ بَعْضٌ مِنْهَا- أَدْوَاءً خَفِيَّةً؛ تُلْبَسُ لَبُوساً غَرَّارَةً يَكُونُ الحَقُّ مِنْهَا بَرِيئاً، وَهِيَ مِنَ الصَّوَابِ بَرَاءٌ، فَتَدْخُلُ النُّفُوسُ، وَتُدَاخِلُ القُلُوبَ... وَمَا أَحَدٌ يُحِسُّ بِهَا، أَوْ يَشْعُرُ فِيهَا؛ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَذُوقَ مَرَارَتَهَا، أَوْ يَكْتَوِيَ بِنَارِهَا...

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

□□□□□

• قال سماحةُ العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمه الله-:

«الكُفرُ كُفران: أكبر وأصغر، كما أنَّ الظلمَ ظُلمان، وهكذا الفسقُ فسقان: أكبر وأصغر:

فَمَن استحلَّ الحكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، أو الزِّنى، أو الرِّبا -أو غيرَها من المحرَّماتِ المُجْمَعِ على تحريمِها-: فقد كفر كفراً أكبر، وظلم ظلماً أكبرَ، وفسقَ فسقاً أكبر.

ومَنْ فعَلَها بدونِ استحلالٍ كانَ كفرُهُ كفراً أصغرَ، وظلمُهُ ظلماً أصغرَ، وهكذا فسقُهُ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ في حديثِ ابنِ مسعودٍ -رضي الله عنه-: «سِبابُ المسلمِ فُسوقٌ، وقتالُه كفرٌ»؛ أرادَ بهذا ﷺ الفسقَ الأصغرَ، والكُفرَ الأصغَرَ، وأطلقَ العبارةَ تنفيراً من هذا العملِ المُنْكَرِ.

وهكذا قوله ﷺ: «اثنتانِ في النَّاس هما بهم كفرٌ: الطعنُ في النسبِ، والنياحةُ على الميّت» أخرجه مسلمٌ في «صحيحه»، وقولُه ﷺ: «لا ترْجعوا بعدي كفّاراً يضربُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ».

والأحاديثُ في هذا المعنى كثيرةٌ.

فالواجبُ على كلِّ مسلمٍ -ولا سيّما أهلُ العلم- التثبُّت في الأمورِ، والحكمُ فيها على ضوءِ الكتابِ والسنّةِ وطريقِ سلفِ الأمّة، والحذَرُ من السبيلِ الوخيمِ الذي سلَكَه الكثيرُ من النَّاس لإطلاقِ الأحكامِ وعدمِ التفصيلِ» (*).

(*) انظر: «مجلّة الدعوة» (١٥١)، و«جريدة المسلمون» (٥٥٧)، و«فتاوى الشيخ ابن باز» (٢/ ٣٢٦).

مسك الختام :

النصيحة... دِيانة وأمانة

«اعْلَمْ -رَحِمكَ اللهُ-: أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ النَّصِيحَةُ، وَلَيْسَ المُسْلِمُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ وُجُوهِ النَّصِيحَةِ أَفْقَرَ، وَلاَ أَحْوَجَ، وَلاَ هِيَ لِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ أَفْرَضَ، وَلاَ أَلْزَمَ: مِنَ النَّصِيحَةِ فِي تَعْلِيمِ... العِلْمِ... الَّذِي هُوَ قِوَامُ الدِّينِ، وَبِهِ أُدِّيَتِ الفَرَائِضُ إِلَى رَبِّ العَالَمِين.

فَالَّذِي يَلْزَمُ المُسْلِمِينَ فِي مَجَالِسِهِمْ وَمُنَاظَرَاتِهِمْ فِي أَبْوَابِ الفِقْهِ وَالأَحْكَامِ: تَصْحِيحُ النِّيَّةِ بِالنَّصِيحَةِ، وَاسْتِعْمَالُ الإِنْصَافِ وَالعَدْلِ، وَمُرَادُ الحَقِّ الَّذِي بِهِ قَامَت السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ.

فَمِنَ النَّصِيحَةِ أَنْ تَكُونَ تُحِبُّ صَوَابَ مُنَاظِرِكَ وَيَسوؤُكَ خَطَأُهُ؛ كَمَا تُحِبُّ الصَّوَابَ مِنْ نَفْسِكَ وَيَسوؤُكَ الخَطَأُ مِنْهَا؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ هَكَذَا كُنْتَ غَاشاً لأَخِيكَ وَلِجَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، وَكُنْتَ مُحِبّاً أَنْ يُخْطَأَ فِي دِينِ اللهِ، وَأَنْ يُكْذَبَ عَلَيْهِ، وَلاَ يُصِيبَ الحَقَّ فِي الدِّينِ وَلاَ يَصْدُقَ.

فَإِذَا كَانَتْ نِيَّتُكَ أَنْ يَسُرَّكَ صَوَابُ مُنَاظِرِكَ وَيَسُوؤَكَ خَطَأُهُ؛ فَأَصَابَ وَأَخْطَأْتَ: لَمْ يَسُؤْكَ الصَّوَابُ، وَلَمْ تَدْفَعْ مَا أَنْتَ تُحِبُّهُ؛ بَلْ سَرَّكَ ذلكَ، وَتَتَلَقَّاهُ بِالقَبُولِ وَالسُّرُورِ وَالشُّكْرِ لله -عَزَّ وَجَلَّ- حِينَ وُفِّقَ صَاحِبُكَ لِمَا كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنْهُ؛ فَإِنْ أَخْطَأَ سَاءَكَ ذلكَ وَجَعَلْتَ هِمَّتَكَ

التَّلَطُّفَ لِتُزِيلَهُ عَنْهُ؛ لأَنَّكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَلْزَمُكَ النَّصِيحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِ الحَقِّ؛ فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ: بَذَلْتَهُ وأَحْبَبْتَ قَبُولَهُ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ غَيْرِكَ: قَبِلْتَه، وَمَنْ دَلَّكَ عَلَيْهِ شَكَرْتَ لَه.

فَإِذَا كَانَ هذَا أَصْلَكَ وَهذِهِ دَعْوَاكَ؛ فَأَيْنَ تَذْهَبُ عَمَّا أَنْتَ لَهُ طَالِبٌ، وَعَلَى جَمْعِهِ حَرِيصٌ؟! **وَلَكِنَّكَ -وَاللهِ- يَا أَخِي- تَأْبَى الحَقَّ، وَتُنْكِرُهُ إِذَا سَبَقَكَ مُنَاظِرُكَ إِلَيْهِ، وَتَحْتَالُ لإِفْسَادِ صَوَابِهِ وَتَصْوِيبِ خَطَئِكَ، وَتَغْتَالُهُ، وَتُلْقِي عَلَيْهِ التَّغَالِيطَ، وَتُظْهِرُ التَّشْنِيعَ، وَلاَ سِيَّمَا إِنْ كَانَ فِي عَيْنِكَ، وَعِنْدَ أَهْلِ مَجْلِسِكَ أَنَّهُ أَقَلُّ عِلْماً مِنْكَ؛ فَذَاكَ الَّذِي تَجْحَدُ صَوَابَهُ، وَتَكْذِبُ حَقَّهُ!**

وَلَعَلَّ **الأَنَفَةَ** تَحْمِلُكَ إِذَا هُوَ احْتَجَّ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ خَالَفَ قَوْلَكَ، فَقَالَ لَكَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتَ: **لَمْ يَقُلْهُ رَسُولُ اللهِ!** فَجَحَدْتَ الحَقَّ الَّذِي تَعْلَمُهُ، وَرَدَدْتَ السُّنَّةَ؛ **فَإِنْ كَانَ مِمَّا لاَ يُمْكِنُكَ إِنْكَارُهُ أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللهِ عِلَّةً تُغَيِّرُ بِهَا مَعْنَاهُ! وَصَرَفْتَ الحَدِيثَ إِلَى غَيْرِ وَجْهِهِ!** فَإِرَادَتُكَ أَنْ يُخْطِئَ صَاحِبُكَ خَطَأً مِنْكَ، وَاغْتِمَامُكَ بِصَوَابِهِ غِشٌّ فِيكَ وَسُوءُ نِيَّةٍ فِي المُسْلِمِينَ...

فَاعْلَمْ -يَا أَخِي!- أَنَّ مَنْ كَرِهَ الصَّوَابَ مِنْ غَيْرِهِ وَنَصَرَ الخَطَأَ مِنْ نَفْسِهِ: لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ أَنْ يَسْلُبَهُ اللهُ مَا عَلَّمَهُ، وَيُنْسِيَهُ مَا ذَكَّرَهُ؛ بَلْ يُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْلُبَهُ اللهُ إِيمَانَهُ؛ لأَنَّ الحَقَّ -مِنْ رَسُولِ اللهِ إِلَيْكَ- افْتَرَضَ عَلَيْكَ طَاعَتَهُ؛ فَمَنْ سَمِعَ الحَقَّ فَأَنْكَرَهُ -بَعْدَ عِلْمِهِ لَهُ- فَهُوَ مِنَ المُتَكَبِّرِينَ عَلَى اللهِ، وَمَنْ نَصَرَ **الخَطَأَ فَهُوَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ**؛ فَإِنْ قُلْتَ أَنْتَ الصَّوَابَ وَأَنْكَرَهُ خَصْمُكَ وَرَدَّهُ عَلَيْكَ: كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَنَفَتِكَ وَأَشَدَّ لِغَيْظِكَ، وَحَنَقِكَ، وَتَشْنِيعِكَ وَإِذَاعَتِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ **مُخَالِفٌ لِلْعِلْمِ، وَلاَ مُوَافِقٌ لِلْحَقِّ**».

ابْنُ بَطَّةَ العُكْبَرِي

«الإِبَانَة» (٢/ ٥٤٦-٥٤٧)





عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

السنة الخامسة، ١٥/ ربيع الآخر/ ١٤٢١هـ

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

إخواننا القراء:

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بنّاء.

فـ(الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داعٍ إلى الحق

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -

الاشتراكات:

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة:

- الأردن: دينار واحد.
- الإمارات المتحدة: ١٠دراهم.
- البحرين: دينار واحد.
- السعودية: ١٠ ريالات.
- الكويت: ٨٠٠ فلس.
- أوروبا: ٤دولارات.
- أمريكا: ٥دولارات.

صف وإخراج فني: أيهم عماد الدين جابر، ت: ٤٨٨٣٠٥٠

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤ / ٣ / ١٣٢٨)

عنوان المراسلة

▹ الأردن:
عمان - مخيم حطين
ص. ب (٩٨)
رمز بريدي (١٣٧٨١).

تطلب الأصالة من

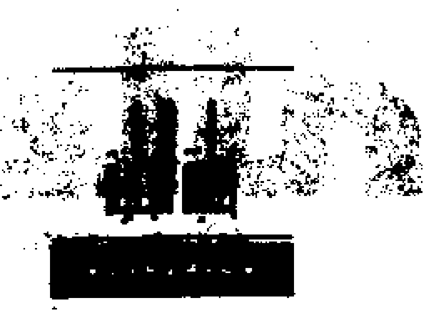
▹ الولايات المتحدة:
AL_QURAN WAS-SUNNAH SOCIET (QSS)
19800 VAN DYKERD
Detroit MI 48234-3354
Tel: (313) 893-3768
Fax: (313) 893-3748

▹ كندا:
ASSOCIATÌON MUSULMANE DEMONTREAL - EST.
3445. JEAN - TALON EST. ST-LEONARD H29 1×1
Tel. 514-374-9572
Fax: 514-374-9660

▹ اليمن:
مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٦٢٠٢٢٧ - ٢٦٣٩١٤.

▹ الإمارات:
مكتبة الفرقان - عجمان ص.ب (٢٠٢٨٨) هاتف وفاكس (٤٤٤٤٣٥).

● وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.



بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ؛ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ -وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

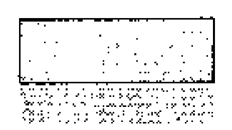
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.


محتويات العدد



التأصيل... الحل الأمثل

● بقلم: التحرير

ظاهرتان خطيرتان محسوستان في واقع الأمة:

الأولى: العزوف عن العلم الشرعي بأصوله وأدلته ومسائله.

والثانية: وهن التقوى في القلوب إلا ما رحم الله.

وبين الظاهرتين تلازم واضح؛ لأن طلب العلم من أهم أسباب زيادة التقوى وتحقيقها، في حين أن التقوى من لوازم العلم.

ومن نتائج ذلك العزوف وهذا الوهن وآثاره على واقع الأمة: الفراغ العلمي والإيماني والدعوي الذي أرهق كاهلها إلى حدٍّ عمّت الفوضى فيها؛ حتى سعت بعض الاتجاهات إلى شَغْله بالطروحات الفارغة، والحزبية المقيتة، والآراء الضالة... في حين بقي البعض في دائرة التفرج والترقب لا يحرك ساكناً كأن ليس له من الأمر شيء إلا أن يدفع ضريبة سكونه بفراغ أكبر تنوسيت عنده المواعظ، وتقهقرت على أعتابه الثوابت.

هنالك كانت صولة الربانيين العاملين بمنهج السلف الصالح في تحمل أعباء المسؤولية، واستنهاض الهمم، واستذكار المطالب؛ حتى يترقى الإيمان في قلوب أهله، ويترسخ العلم في عقول مريديه.

ولعل ما يخشى على أهل الحق: هو انتقاصُ إيمانهم، وانشغالهم عن العلم والنظر فيه وإدراك طرائق تحصيله؛ ذلكم أنّ مصلحتهم راجحة على كل المصالح مثلما أن دعوتهم ظاهرة على كل الدعوات، وأن الكمال في أنفسهم -بالإيمان والعلم- شرط في حصوله لغيرهم.

ولو نظر كل داع إلى الله بعين البصيرة إلى نفسه وواقعه لرأى فرقاً شاسعاً، وتمايزاً واضحاً بين أول التزامه يوم أن كان محباً للتوحيد وأهله، ومجلاً للعلم وطلابه، همته مصروفة إلى تحصيل الإيمان والعلم

مستشعراً غربة أهل الإسلام عاملاً بالمنهج الحق لا يعرف سواه ولا يصاحب غيره؛ وبين آخر أمره أو منتهاه حيث الجمود والعبث، حتى باتت -عند البعض- المشاريع العلميّة الدعوية حلماً في دائرة الخيال لا ينطلق إليها إلا إلى سراب بُقيعة يحسبه الظمآن ماء، أو إلى تقوّل، أو حظ نفس، أو نيل من العلماء...

ولهذا لا بد من التذكير ببعض المنطلقات الضرورية في الحل والعلاج:

أولاً: أن الطريقة القرآنية النبوية السلفية هي التي تجمع بين العلم والعمل معاً، فالعلم معرفة الهدى بدليله، ولا يكون نافعاً حتى يعمل به، فلا بد من رعاية العلم بالعمل والانقياد، فالمنطلق الأول يتمثل بالسعي إلى زيادة الإيمان من جهة العلم، وإحياء مفهوم التزكية في النفوس، **وأنها قدر زائد على معنى التصفية، تصاحبها في النهوض والعلاج**، ولهذا أطبق العقلاء على التزام هذا الأمر قديماً وحديثاً.

ثانيـــاً: أن يكون لطالب العلم منهج علمي مؤصل في طلب العلم يقوم على **التأصيل والتدرج في الطلب**، مع ضرورة ترسيخ **القاعدة الموسوعية في أصول العلم الشرعي متأسياً بالمنهج العلمي** الذي كان عليه أعلام الدعوة على منهج السلف الصالح **أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية** -رحمهما الله تعالى-، والذي كان محل قبول ورضى وإجلال عند أعلام العصر؛ أمثال: **الشنقيطي، والمعلمي، والسعدي وتقي الدين الهلالي، وابن باز، والألباني** رحمهم الله تعالى جميعاً.

وهذا التلقي من الأعلام والانتفاع بموروثهم العلمي لا يؤثر في واقع الدعوة إلى إذا غلّب الدعاة **لغة التأصيل في بحوثهم** العلمية ومشاريعهم الدعوية، وأن يختاروا النافع منها، ويتجنّبوا الخوض في ما لا فائدة منه، وهذا المطلب الجليل والمقصد العظيم لا يكون إلاّ **بملازمة الصبر وصرف الهمة** إلى معرفة حقائق الأشياء، والتوجه إلى العلماء والكتب، وتجديد الحب والولاء لمنهج العلم والعلماء؛ بحيث يظفر الداعي إلى الله بوقته طاعةً من جهة توفير الحسنات، وأن يظفر بالعلماء صحبةً وتلقياً، وبالكتب نظراً وبحثاً.

ومن لازم هذا الظفر -أيضاً- أن يُعلم: أن العلم هو **النقل المصدّق والبحث المحقق** لا الظن المزخرف والمزوّق، وأن العلم المبني على الأصول يوصل صاحبه إلى أجلّ غاية وأفضل مطلوب... ومع أن كثيراً من إخواننا طلاب العلم على الجادة في هذا الأمر -وفّقهم الله إلى تمامه وكماله- فقد أحببنا التذكير، والذكرى تنفعهم -إن شاء الله تعالى- متذكرين ومتأملين قول ربنا -عز وجل-: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**.

المحاسبة وأثرها في تحقيق الإيمان

• بقلم: الشيخ فتحي عبدالله سلطان

قال الله -تعالى-: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾** [الحشر: ١٨-١٩].

هذا النصُّ القرآني فيه وعظ وتذكير وتقريب للآخرة، وتحذير ممن لا تخفى عليه خافية.

وصُدِّر بالخطاب الإيماني؛ لبيان أنَّ تقوى الله -تعالى- من مقتضى إيمان العبد، وأنَّ هذا الخطاب لمن دخل في الإيمان، وإنْ لم يستكمله، فإنه إنما خوطب به لفعل تمامه، أي: يا أيها الذين أظهرتم الإيمان، والطاعات، والأعمال: اتقوا الله.

فهذا الخطابُ يفيد المدح باعتبار أن المخاطب داخل فيه، ولا ينصرف لزوماً إلى المدح المطلق والوعد المطلق إلاَّ بعد السعي لاستكماله، والدخول في شعبه، ولزوم شعائره؛ فالخطاب موجه ابتداءً للذين صدَّقوا الله ووحدوه.[١]

فتمام الإيمان وحقيقته يكون بفعل مقتضى الخطاب، والمقتضى في هذا السياق يكون بتقوى الله -تعالى- ولزومها في كل حال؛ فلابد من الاهتمام والعناية بكل ما يوجب للعبد تكميل إيمانه وتحقيقه؛ قال الشنقيطي -رحمه الله-: «في هذه الآية الكريمة حث على تقوى الله في الجملة، واقترنت بالحث على النظر والتأمل فيما قدمت كل نفس لغدٍ، وتكرار الأمر فيها بتقوى الله؛ مما يدل على شدة الاهتمام، والعناية بتقوى الله»[٢].

والأمر بالتقوى ههنا جاء بصيغة العموم؛ لإيثار المعنى العام لها بفعل كل ما يقرب إلى الله -تعالى-، واجتناب ما هو واقع تحت سخطه.[٣]، ومع ذلك فثمت قرائن أخرى

---

(١) «تفسير الطبري»(٢٨ / ٣٥).

(٢) «أضواء البيان» (٨/ ٨٠).

(٣) وهذا ظاهر بقرينة حذف المعمول.

دلت على أن بعض أفراد العام مقصودة؛ وكأنَّ التقوى متوجهة إلى معنى خاص مقصود بالإضافة إلى المعنى العام، وهذا ظاهر بقرائن السياق كما سيتبيّنُ -إن شاء الله-.

> **التقوى هي الغاية من إرسال الرسل ومن خلق الثقلين، ولا سبيل يوجب حفظها إلا باستدامة النظر**

• الأمر بالغاية والوسيلة معاً في سياق الترغيب والترهيب:

التقوى هي الغاية من إرسال الرسل ومن خلق الثقلين، ولا سبيل يوجب حفظها إلاَّ باستدامة النظر، وأن يقرن العبد رجاءه بالخوف والخشية والحذر، وفي هذا المعنى قال **الشنقيطي** -رحمه الله-: «فالنداء أولاً بالتقوى لخصوص المؤمنين، والأمر بالنظر لعموم كل نفس؛ لأن المنتفع بالتقوى خصوص المؤمنين، والنظر مطلوب من كل نفس؛ فالخصوص للإشفاق والعموم للتحذير»[1].

فتقوى الله -تعالى- غايةُ الأمر، واستدامة النظر وسيلة حفظها، ولا يزال العبد مستديماً للنظر في العواقب؛ فهو في تقوى الله، ولهذا أمر الله -تعالى- المؤمنين:

﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾؛ أي: لينظر أحدكم أيّ شيء قدم: أعملاً صالحاً ينجيه؟ أم شيئاً يُوبِقُه؟[2]. وجاء أمرُ كلِّ نفس أن تنظر إلى ما قدمته من أعمال ليوم الحساب بصيغة الفعل المضارع المسبوق بـ(لام الأمر) للدلالة على أن المطلوب من العبد استدامة النظر، وعدم انقطاعه إلى الوصول إلى دار الجزاء.

وهذا الأمر موجه لكل نفس على وجه الاستقلال؛ لأن النفس وردت نكرة في سياق الإثبات، وهذه الصيغة تفيد -ههنا- العموم الشمولي[3] أي: كل الأنفس مطالبة باستدامة النظر والمحاسبة.

وهناك قول آخر في سبب تنكير النفس؛ فقد قيل: لاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمت لذلك اليوم الهائل؛ كأنه قيل: ولتنظر نفس واحدة لذلك[4]؛ وعلى أي حال؛ فكل نفس لا تنفك في اضطرارها وفقرها عن النظر، بل واستدامته حتى تتنفس وتطمئن

---

(١) «أضواء البيان»(٨ / ٨٥).

(٢) «زاد المسير» لابن الجوزي(٨ / ٢٢٤).

(٣) المقرر في الأصول: أن صيغة النكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق غالباً والعموم استثناءاً، وترجيح صيغة العموم في الآية على صيغة الإطلاق بقرينة السياق.

(٤) «إرشاد العقل السليم» لأبي السعود(٣ / ١٥٤).

بإيمانها[1].

ومجيء «قدمت» بصيغة الماضي حث على الإسراع في العمل، وعدم التأخير؛ لأن العبد لا يملك إلاّ ما قدم في الماضي؛ والمستقبل ليس بيده، ولا يدري ما يكون منه: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾[2]

وهذا إشعار بضرورة الإسراع في العمل؛ لأن العبد قد لا يدرك الآتي من الأيام؛ فيأتيه الموت وهو لا يملك إلاّ ما فات من عمل؛ فهو لا يملك للماضي رداً ولا للمستقبل إتياناً؛ فعليه اغتنام يومه هذا الذي يتنفس فيه دون ركون لما قدم أو تسويف، وتواني وطول أمل في أن يعيش ويعمل في المستقبل!

وتنكير «غد» لبيان هول وعظمة ذلك اليوم[3]، وهو يوم القيامة، والعرب تكني عن المستقبل بالغد، وإيثار تسميته بذلك تنبيهاً على أن الساعة قريبة، فعن قتادة -رحمه الله- قال: «ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد، وغد يوم القيامة»[4].

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»(٨ / ٨٦):

«واليوم في الآية هو يوم القيامة، والقرائن الدالة في الآية منها:

اكتنافها بالحث على تقوى الله قبله وبعده، والتذييل بالتحذير في قوله: ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾.....».

فإيثار تسمية يوم القيامة بالغد على أساميه الأخرى؛ لبيان قربه، ولتحصيل المسارعة من العباد نحو تحقيق التوبة والمحاسبة.

فقوله -تعالى-: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ أمرٌ بالمسارعة لاستدامة المحاسبة من كل نفس مع الخوف والحذر من مداهمة الموت وإتيان يوم القيامة دون استعداده له.

❖ تنوع منازل العبودية بحسب حال العبد:

وهنا مشهد مهم من مشاهد الآخرة؛ فكأن النفس واقفة بين ما قدمت وبين غدها؛ تنظر إلى ما قدمت فتفتش فيه وتحاسب، وتنظر إلى الغد؛ فتخاف، وترجو، وهكذا تستديم هذا الحال إلى أن تلقى ربها؛ فالآية فيها ثلاثة ألفاظ تدل على ثلاثة أزمنة: «قدمت» للماضي، و«غد» للمستقبل، و«ولتنظر» للحال والآن؛ فالعبد مطالب بتقوى الله أولاً

---

(١) أصل اشتقاق «النفس» في اللغة من الترويح، والخروج، والانفصال، انظر «مدارج السالكين»(٣ / ١٨٦، ٢٨٨)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس(ص / ١٠٤٠-١٠٤١-دار الفكر)، ويظهر من ذلك أن الوقوف على الاشتقاق اللغوي للكلمة يعين أحياناً على ترجيح معنى الآية.

(٢) «تفسير البيان» للشنقيطي، (٨ / ٨٨).

(٣) «إرشاد العقل السليم» لأبي السعود (٣٠٠ / ٩١٥٤).

(٤) «الطبري»(٢٨ / ٣٥).

لما مضى وسلف بالتوبة والإنابة، ويطالب بتقوى الله لما يستقبل من عمل بالخوف والخشية، ويتقوى الله في حاضره بالمحاسبة والمراقبة، وهكذا يتنقل العبد في منازل التقوى بحسب حاله بين التوبة والخشية والمحاسبة.

والتنوع في النزول في منازل التقوى -الآنفة الذكر- يتوقف على أمرين:

الأول: حال العبد في استدامة نظره، وقوة استعداده لليوم الآخر.

الأمر الثاني: بالنظر إلى ما عند العبد من العلم الشرعي النافع.[1]

وقد قال غير واحد من العلماء: أن هذه الآية أصل في باب المحاسبة:

قال ابن قيم الجوزيّة في «مدارج السالكين»(١ / ١٧٠): «فأمر -سبحانه- العبد أن ينظر ما قدم لغد، وذلك يتضمن محاسبة نفسه على ذلك، والنظر: هل يصلح ما قدمه أن يلقى الله به أو لا يصلح؟

والمقصود من هذا النظر ما يوجبه ويقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما ينجيه من عذاب الله، ويبقي وجهه عند الله» ا. هـ

وقال **ابن كثير** في «تفسيره» (٤ / ٣٦١): ﴿**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾: أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم» ا. هـ

وقال **عبد الرحمن بن ناصر السعدي** في «تيسير الكريم الرحمن»(٧٩١ ط الرسالة): «وهذه الآية الكريمة، أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها؛ فإن رأى زللاً، تداركه بالإقلاع عنه والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تتميمه وتكميله وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه، وبين تقصيره؛ فإن ذلك يوجب له الحياة لا محالة» ا. هـ

◆ فائدة:

ولما كانت الآية أصلاً في باب المحاسبة؛ وحتى تتبين فائدة تكرارالأمر بالتقوى في -الآية-؛ فلابد من إيجاز لمعنى المحاسبة وسبيل تحقيقها:

قال **ابن قيم الجوزية** -رحمه الله تعالى- في معنى المحاسبة: «وهي التمييز بين ماله وما عليه فيستصحب ماله ويؤدي ما عليه؛ لأنه مسافر سفرَ من لا يعود»[2].

(١) سيتضح هذا فيما بعد -إن شاء الله-.

(٢) «مدارج السالكين»(١ / ١٣٣).

”

إن العبد إذا عرف ماله وما عليه أخذ في أداء ما عليه والخروج منه بالتوبة والإنابة إلى الله

“

وهي تسبق منزلة التوبة وجوداً ورتبةً، وتتأخر عنها حفظاً ورعايةً؛ فإن العبد إذا عرف ماله وما عليه أخذ في أداء ما عليه والخروج منه بالتوبة والإنابة إلى الله -تعالى-(١).

ويرى ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: أن العبد لا ينزل في منزلة التوبة إلاّ إذا حاسب نفسه وخرج مما عليه؛ فالمحاسبة سابقة للتوبة في الرتبة.

وهي قد تتأخر عن التوبة باعتبار أن المحاسبة لا تكون إلا بعد تصحيح التوبة؛ فتُمكن العبد على حفظ ما تم له من ذلك، حتى لا يخرج عنها، وكأنه وفاء بعقد التوبة(٢).

ومن المفيد في هذا الموضع أن يُعلم أن المحاسبة لا تكون إلاّ إذا قايس العبد بين نعمة الله عليه وبين جنايته، وبهذه المقايسة يعلم أن الرب ربٌ والعبد عبد، ويتبين حقيقة النفس وصفاتها، وعظمة جلال الربوبية وتفرد الرب بالكمال والإفضال، وأن كل نعمة منه فضل، وكل نقمةٍ منه عدل.

وهذه المقايسة تشق على من ليس له ثلاثة أشياء:

الأول: نور الحكمة:

وهو: العلم الشرعي الذي نوّر الله به قلوب أتباع الرسل؛ فبقدره ترى التفاوت، وتمكن من المحاسبة، يقول **ابن قيم الجوزية** في «المدارج»(١/ ١٧١) «ونور الحكمة ههنا: هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والضار والنافع، والكامل والناقص، والخير والشر، ويبصر به مراتب الأعمال: راجحها ومرجوحها، ومقبولها مردودها. وكلما كان حظه من هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم»(٣).

الثاني: سوء الظن بالنفس:

فإنما احتاج إليه العبد؛ لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، ويُلبّس عليه؛ فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالاً؛ فإن

---

(١) الذي يذهب إليه ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في باب ترتيب منازل العبودية-: أنها ليست كمنازل السيْر الحسي؛ وإنما هذا الترتيب: ترتيب المشروط المتوقف على شرطه المصاحب له؛ فانظره في «المدارج»(١/ ١٣٤).

(٢) ومنتهى التحقيق عند **ابن قيم الجوزية**(١ / ١٧٠): أن التوبة بين محاسبتين: محاسبة قبلها تقتضي وجوبها، ومحاسبة بعدها تقتضي حفظها.

(٣) وهذا لا يكون إلاّ بالنظر في علوم السلف روايةً ودرايةً، والإعراض عن علم الكلام، وما عليه أهل الرأي والأهواء والبدع.

المحب يرى مساوئ محبوبه وعيوبه سواء لا فرق بينها.

ولا يسيء الظن بنفسه إلاَّ من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه؛ فهو من أجهل الناس بها.

الثالث: التمييز بين المِنَن والمِحن -بين النعمة والنقمة- بين الكرامة والاستدراج: فالعبد يطالب بالتفريق بين النعمة التي يعان بها على تحصيل سعادته الأبديّة، وبين النعمة التي هي من قبيل الاستدراج[1]؛ فكم من مستدرج بالنعم وهي نقم -وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه[2]، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه، وأكثر الخلق عندهم: أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح؛ ذلك مبلغهم من العلم[3].

فإذا أبصر العبد حقائق الأشياء بنور الكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة، وقدح في حظ نفسه، وفرّق وميّز بين النعمة والمحنة؛ فقد أوفى بشرائط المقايسة الموجبة لتحصيل تمام المحاسبة، والموفق من وفقه الله -تعالى-.

هذا ما تيسر بيانه في هذا الموضوع، والله -تعالى- وحده الهادي إلى سبيل المحاسبة.

حراس الدين

● قال الخطيب البغدادي -رحمه الله- في مقدمة «شرف أصحاب الحديث»:

«... فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين، وصرف عنهم كيد المعاندين، فشأنهم حفظ الآثار، وقطع المفاوز والقفار، وركوب البراري والبحار، في اقتباس ما شرع الرسول ﷺ المصطفى، لا يعرجون عنه إلى رأي ولا هوى، قبلوا شريعته قولاً وفعلاً، وحرسوا سنته حفظاً ونقلاً، حتى ثبتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها، وكم من ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ماليس منه، والله -تعالى- يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفّاظ لأركانه، والقائمون بأمرها وشأنها، إذا صدف عن الدفاع عنها، فهم دونها يناظرون، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون».

---

(١) وبه يعرف ضرورة التفريق بين نازلة النعمة، ونازلة الفتنة، وقد غاب هذا عن كثير من دعاة فقه الواقع(!)

(٢) وهذا ينسحب على واقع الدعوة والمنهاج، فكم مفتون بثناء أهل البدع عليه، مغرور بماله وسلطانه وشهرته؛ فيظن أن هذا من علامة تمكينه وانتصار دعوته! ولكن هيهات؛ فالمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله الله.

(٣) انظر «المدارج»(١ / ١٩٠-١٩٢).



قراءة منهجية في أحاديث الخوارج

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

لقد قام أصل الخوارج على التشكيك في قسمة رسول الله ﷺ وأنها لم يُرد بها وجه الله، فقال رسول الله ﷺ: **«رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا؛ فصبر»**.

وقد استدل بها أفراخهم على جواز الإنكار العلني على الحكام، والتهييج الحماسي للعوام بدعوى أن الرسول ﷺ لم يقتله. ولم يسجنه، ولا حذر منه، ولا حقق معه... وزعم بعضهم أن هذا هو المنهج الذي تقوم عليه العلاقة بين العالم والحاكم (1).

وهذا الاستدلال -المزعوم- يدل على أمور:

١- أن منهج الخوارج قديماً وحديثاً ينبني على غمز الحكام ولمزهم، وتضخيم أخطائهم في نظر العامة؛ ليوغروا صدورهم فيسعَوْا في زوالهم أو التآمر عليهم أو السكوت عمن يسعى إلى ذلك، ولذلك جعلوا أصل الإيمان متمثل بـ قضية التشريع والحكم، وأن الخلل فيها أو النقص الذي يعتريها ناقض لعقد الإسلام، وهادم لأصل التوحيد.

٢- فصل العامة عن قيادتهم الصحيحة المتمثلة في أهل العلم الربانيين وتربيتهم على صغار العلم قبل كباره؛ لتبلغ رشدها وتستغلظ وتستوي على سوقها؛ فلا تقع في الاستعجال الذي يصيب دعاته استبدالاً أو استئصالاً.

> ”لقد جمع الخوارج شرين: تضخيم أخطاء الحكام؛ لتكفيرهم، والتشكيك في العلماء وتحقيرهم“

ولذلك فقد جمع الخوارج شرين: تضخيم أخطاء الحكام من المسلمين؛ لتكفيرهم، والتشكيك في العلماء وتحقيرهم؛ فطلائع الخوارج شككوا في رسول الله ﷺ وأصحابه، وأفراخهم شككوا في أهل العلم وطلابه.

وهذا الاستدلال ليس له صلة بالمسألة المطروقة من وجوه:

١- أن هذا الرجل الذي شكك في قسمة رسول الله ﷺ بذرة الخوارج، ومحرك الفتنة، وقد تواترت الأدلة من السنة النبوية على ذم الخوارج، وتفنيد منهجهم، بينما الاستدلال المزعوم يوهم جواز صنيع ذلك الرجل، أو على الأقل عدم التعرض له، وأن عمله لا يستوجب عقوبة أو ردعاً أو منعاً.

٢- أن الإنكار كان بين يدي رسول الله ﷺ وليس على المنابر أو في المحاضرات أو الندوات، وبين المنكر إنكاراً شرعياً وصاحب الدعوى مفازات تنقطع دونها أعناق الإبل، وتصبح فيها الصيحات الحماسية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً... وتدبر قول رسول الله ﷺ: **«سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر؛ فأمره، ونهاه؛ فقتله»** تجد الدليل في واد والدعوى في واد آخر.

وهو استدلال متهافت متهالك لكنه قد يضلل السالك.

٣- دعوى أن رسول الله ﷺ لم يأمر بقتله باطلة؛ فقد أمر بقتله؛ كما في «مسند أحمد» (٣ / ١٥) من حديث أبي سعيد الخدري: «وذهب إليه أبو بكر؛ فرآه يُصَلي؛ فكره أن يقتله» وكذلك فعل عمر -رضي الله عنه-: «ولما ذهب إليه علي لم يجده يصلي»، وهو حديث صحيح؛ كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦ / ٩٢٢٥)، وجوّد إسناده الحافظ في «فتح الباري» (١٢ / ٢٩٨).

٤- بل تواتر عن النبي ﷺ أنه أمر بقتلهم، فقال: **«لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد شر قتلى تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه»**.

فرسول الله ﷺ لم يأمر بقتله وحده بل وقتل فروعه وذريته.

٥- أن رسول الله ﷺ شهّر به وبذريته، وفضحهم على رؤوس الأشهاد، ووصفهم بأنهم كلاب أهل النار؛ فقال: **«الخوارج كلاب أهل النار»**.

٦- أن رسول الله ﷺ بيّن جهلهم وسفههم، فقال: **«يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»** وقال: **«سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان»**.

٧- أن رسول الله ﷺ حذر من فتنتهم وآثارها فقال: **«يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»**.

٨- أن رسول الله ﷺ بيّن غلوّهم، وأنهم كلما ازدادوا فيها ازدادوا عن الله بعداً، فقال لأصحابه: **«تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم»**.

٩- وأما قوله ﷺ: **«رحم الله أخي موسى، قد أوذي بأكثر من هذا؛ فصبر»** فلا يدل على ما ذهبوا إليه من وجوه:

١- أن ما فعله الرجل مع رسول الله ﷺ أذى، وإلحاق الأذى بالمسلمين حرام؛ لقوله ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**؛ فكيف إذا كان الإيذاء لرسول الله ﷺ؟!

٢- أن ما فعله رسول الله ﷺ صبر وعدم استعجال للعقوبة بالمخالف؛ ولذلك كان حكم الإسلام في الخوارج عدم البدء بقتالهم أو قتلهم حتى يخرجوا؛ كما فعل معهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- فكان يقول: «لن أبدأهم بقتال حتى يبدؤوا وإنهم فاعلون».

هؤلاء هم الخوارج يتعبدون ويتفقهون ويقاتلون لكن على غير سنة؛ فكانت ثمارهم المُرَّة فتن كقطع الليل المظلم حتى يخرج من أعراضهم الدّجال.

نعوذ بالله من الخذلان، وعدم التوفيق والحرمان، ونسأله الثبات حتى الممات على الإسلام والسنة بفهم السلف خير الأمة.



التقرب إلى الله بمعصيته

• بقلم: الشيخ سعد الحصين

قبل بضع سنوات عُرض عليّ كتاب باللغة الإنكليزية عنوانه: «الإنذار الأخير من الله» كتبه أخ من ألمانيا تحوّل من النصرانية إلى الإسلام، ومن اسم «مارتن هاكلر إلى «محمد البكري» بقصد الإعانة على طبعه، وكان هدفه -فيما ظهر لي- خدمة دين الإسلام بمحاولة إثبات بطلان الأديان قبله وبخاصة اليهوديّة، واعتذرت عن الإعانة على نشره، بل ونصحت مَنْ عرضه علي بعدم نشره من أيّ طريق آخر للأسباب:

١- الظنُّ والعاطفة لا يغنيان من اليقين والعلم شيئاً، قال الله -تعالى-: **﴿إن يتّبعون إلا الظنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾**، وقال -تعالى-: **﴿وما لهم به من علم إن يتّبعون إلا الظنّ وإن الظنّ لا يغني من الحق شيئاً﴾**، وبالظن والعاطفة ضلّ من قبلنا، وليس لنا أن نكون مثلهم.

٢- في كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ من يقين الوحي المنزّل وفي الفقه فيهما ما يغنيان عن الفكر في هذا الأمر وفي غيره من أمور الدين.

٣- أمرنا الله في محكم كتابه بالإحسان في مجادلة أهل الكتاب بخاصة وغيرهم عامّة، فقال -تعالى-: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾**، وقال تعالى-: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾**.

٤- نهانا الله أن نسبَّ آلهة المشركين إذا كان هذا يدفعهم لسب الله، قال -تعالى-: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾**.

٥- اتهام جزء معين من التوراة أو الإنجيل بالكذب أو الركاكة أو التناقض؛ لم يبيّنه الكتاب أو السنّة وهو حكم بالظنّ والعاطفة، ومجادلة بالسّوء، ومعصية لله -تعالى- ومخالفةٌ لشرعه؛ لا يفضي إلاّ إلى تأليب أهل الكتاب للردّ بالمثل، ومقابلة الاتّهام بالاتّهام والسّبّ بالسّبّ، كما حدث فعلاً في

السنوات الأخيرة، نتيجة لمناظرات «ديدات» العاطفية.

٦- قد يكون النّصّ أو ترجمته لم يحرّفا وإنما وقع الخطأ في التأويل، كما وقع من بعض المتنسبين إلى الإسلام (أفراداً وفرقاً) من تحريف كلام الله وكلام رسوله عن مواضعه بسبب الجهل أو اعوجاج الفكر أو الغُلو.

٧- ومثالاً على منهاج البحث في هذا الكتاب، وسبباً عملياً لموقفي من أشير هنا إلى ما ورد في الصفحتين (٢٢٨ و٢٢٩) منه محاولة الكاتب تفنيد اليهودية والنصرانيّة بمثل:

١- دعوى «أن اليهود ليسوا من سلالة يعقوب»(!) ثم ماذا؟

٢- بطلان «دعوى اليهود مجيء المخلّص (موشياخ)، والنّصارى (مسايح)، وإثبات مجيء المهدي بل المسيح أيضاً عند المسلمين» والدعوى صحيحة مطلقاً.

٣- وثالثة الأثافي (وأخزاها) محاولة إبطال «زعم اليهود بوجود قبر إبراهيم عليه السلام في مدينة «الخليل»، بدليل أن التوّراة تنصّ على أن إبراهيم اشترى مدفنه في «ما خبلاه» وتبعد ثلاثة كيلومترات تقريباً عن مدينة «الخليل»، وأن مبنى مسجد الخليل (الذي يظمُّ أضرحة أربعة من أنبياء بني إسرائيل وزوجاتهم) شُيِّد بعد موت إبراهيم عليه السلام بألفي عام.

ومع اني اؤيّد الكاتب بوجود الخطأ في تحديد مدفن إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين (عدا نبينا محمد ﷺ) ومدافن الحواريين والصحابة والأولياء (عدا ابي بكر وعمر رضي الله عنهما)؛ فاني لا اجيز له ولا لنفسي مقابلة الظن بالظنْ؛ ولكن وزر وجود الأضرحة في مسجد الخليل يحمله المتنسبون إلى الإسلام الذين شيّدوا هذه الأضرحة بعد أن تسلّم الأيّوبيون مبنى الكنيسة التي شيدّها الصّليبيون على ما يدّعي اليهود أنها قبور أنبيائهم، في حين كانت آخر وصايا النبي ﷺ التّحذير من ذلك ولعن فاعله: **«لعنة الله على اليهود والنّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**، قالت عائشة -رضي الله عنها-: «يحذّر مثل الذي صنعوا»، رواه البخاري ومسلم.

وكثير من المتنسبين للإسلام اليوم يتّبعون سنن اليهود والنصارى في هذا المنكر الشنيع الذي اتّفقت كل الرّسالات -بأمر الله- على محاربته، وصدق رسول الله ﷺ: **«لتتبعُنَّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذرعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»»**، ولم يتوقفوا عند مجرد اتباع السّنن السيئة لمن سبق بل نافسوهم عليه وحاربوهم للاستئثار به.

اللهم رد الجميع إلى دينك الحق رداً جميلاً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين.



عاقبة أهل البدع

● بقلم: الشيخ د. محمد موسى نصر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على خاتم النبيّين محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دخل **أبو موسى الأشعري** -رضي الله عنه- مسجد الكوفة؛ فوجد فيه رجالاً متحلِّقين حلقاً حلقاً، وفي كلِّ حلقة شيخ وأمامهم كوم من الحصى، ويقول لهم الشيخ: سبِّحوا مائة؛ فيعدُّون مائة من الحصى، ثمَّ يقول: احمدوا مائة، وهكذا... إلخ، فأنكر ذلك بقلبه ولم ينكره بلسانه، غير أنَّه أسرع مهرولاً إلى بيت **عبدالله بن مسعود**، فسلَّم عليه فردَّ السَّلام، فقال له: يا أبا عبد الرحمن لقد دخلت المسجد آنفاً فرأيت شيئاً أنكرته، والله ما رأيت إلاَّ خيراً، وقصَّ عليه أمر هؤلاء الحلق؛ فقال له ابن مسعود: فهل أمرتهم أن يعدُّوا سيِّئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء؟! قال: **لم آمرهم بشيء؛ انتظار أمرك**، قال ابن مسعود: هلم بنا فذهبنا إليهم، فسلَّم عليهم ابن مسعود؛ فردُّوا عليه السلام، فقال لهم ابن مسعود: ما الذي أراكم تصنعون يا أُمَّة محمَّد؟! قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعدّ به التَّسبيح والتَّحميد والتَّهليل والتَّكبير، فقال لهم: ما أسرَعَ هلَكَتكم يا أُمَّة محمَّد، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل بعد، وهذه آنيته لم تكسر، إمَّا أن تكونوا على ملَّة هي أهدى من ملَّة محمَّد، أو تكونوا قد افتتحتم باب ضلالة، قالوا: يا أبا عبد الرحمن، والله ما أردنا إلا الخير، قال: **«وكم من مريدٍ للخير لم يصبه»**.

قال **عمرو بن سلمة**: لقد رأيت عامَّة أولئك -أي: أصحاب الحلق- يطاعنونا يوم النَّهروان مع الخوارج![1]

قلت: أصابت فراسة ابن مسعود هؤلاء المبتدعه إذ لحقوا بالخوارج بسبب إصرارهم على بدعتهم، وهذه عاقبة من أصرَّ على

(١) رواه الدارمي (١/٦٦) بسند صحيح.

الابتداع، وخالف الرَّعيل الأوَّل.

ولكن قد يقول قائل من أهل زماننا: ما الذي أنكره ابن مسعود؟ وهل ذِكرُ الله بدعة؟!!

نقول: حاشا للّه أن يكون ذكره -تعالى- بدعة، خصوصاً إذا كان ذكراً مشروعاً، وإنَّما البدعة في الكيفيَّة التي اجتمع عليها هؤلاء والطريقة التي سلكوها في ذكرهم للّه التي لم تكن من عمل النَّبي ﷺ ولا من عمل أصحابه، والخوارج الذين ذمَّهم الرَّسول ﷺ وقال فيهم: **«لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»**[١]، إنَّما توعَّدهم ﷺ لما أحدثوا من البدع والمنكرات التي منها:

أنَّهم أخذوا يكفِّرون المسلمين بالمعصية، ويخلِّدونهم في نار جهنَّم مع أنَّ أهل الكبائر لا يخلَّدون في النَّار.

كما أنَّهم أوجبوا على المرأة الحائض أن تقضي الصَّلوات الفائتة كما تقضي الصِّيام.

فغلوا في دينهم وتنطَّعوا أشدَّ التَّنطُّع بل خرجوا على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بل قتلوه ظلماً وزوراً.

ونبيَّنا ﷺ يقول: **«إنَّ الله احتجز التَّوبة عن كل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته»**

ولسان حال كل مبتدع يقول: هذا هو دين محمَّد بن عبدالله.

وما أروع ما قاله الإمام مالك حيث قال:

«من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمَّداً خان الرِّسالة لأنَّ الله يقول: ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم وأتممتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً، ولن يَصلُحَ آخر هذه الأمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلها»[٢].

والمبتدع محروم من شربة هنيئة من يده ﷺ ومن حوضه الذي هو أبيض من الثلج وأحلى من العسل.

فقد ثبت من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليذادنَّ أقوامٌ من أمَّتي عن حوضي كما تذاد الإبل الغريبة فأقول: يا ربِّ أمَّتي، فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٣].

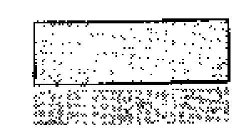
فهذه هي عاقبة أهل البدع قديماً وحديثاً أعاذنا الله من سوء خاتمتهم، فهل يعي أولئك المبتدعة في كل زمان و مكان سوء منقلبهم؛ فيتوبوا إلى الله توبة نصوحاً نرجو لهم ذلك، والله -تعالى- وحده الهادي إلى سبيل الاتباع.

---

(١) أخره البخاري في «الصحيح» (رقم: ٣٣٤٢ و ٣٦١٠)، ومسلم في «الصحيح» (رقم: ١٠٦٦).

(٢) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم: ٦٥٢٦)، ومسلم في «الصحيح» (١٥/ ٥٣-٦٦ / النووي).



الشاطبي حسنة من حسنات مدرسة ابن تيمية

• بقلم: الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

كنت قد ذكرت في مقدمتي لتحقيق «الموافقات» (١ / ٨٢-٨٣) للشاطبي مسألة اجتماع الشاطبي بابن القيم، ومدى استفادته من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.

وأجبتُ عن هذا السؤال بما نصه:

إننا نستطيع أن نقرر بكل طمأنينة أن ابن تيمية وابن القيم لم يرد لهما ذكر ألبتة في جميع كتب الشاطبي المطبوعة[١]، ولم أظفر بعد شدّة بحث، وكثرة استقصاء إلى ما مكننا أن نجعل هذا اللقاء ثابتاً، أو في حكم الواقع، ولم أعثر للشاطبي في كتابه هذا على ذكر للحنابلة، وقد صرح فيه (٣ / ١٣١) أن كتب الحنفية والشافعية كالمعدومة الوجود في زمانهم؛ فكيف بكتب الحنابلة؟

لاشك أنه ظفر ببعضها، ولكن بعد كتابته «الموافقات»؛ فها هو يصرح في «الاعتصام» (١ / ٤٦٢- بتحقيق الأخ سليم الهلالي) -وقد أحال فيه كثيراً على «الموافقات» -بقوله: «قال بعض الحنابلة...»، ونقل نصاً طويلاً جهدت في البحث عنه؛ فلم أعثر على لفظه في كتب ابن تيمية وابن القيم، وعلى فرض صحة العثور عليه في كتبهما؛ فلا يلزم اللقي بهما أو عثر على كتبهما؛ فلا يبعد أن يكون أخذه بواسطة بعض من له رحلة من المغاربة إلى المشرق، أو عن طريق بعض شيوخه.

وبهذه المناسبة أذكر أن بعض شيوخ الشاطبي قد التقى بابن القيم؛ فها هو أبو عبد الله المقري يحكي عن نفسه أنه «لقي شمس الدين بن قيم الجوزية، صاحب الفقيه ابن تيمية»[٢].

من خلال ما تقدم أستبعد صحة ما ذهب إليه الأستاذ سعد محمد الشناوي في كتابه «مدى الحاجة للأخذ بنظرية المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي» (١ / ١٥) عند كلامه

---

(١) وقع لابن تيمية ذكر في بعض نسخ «الاعتصام» الخطية، ولكنها من تحريف ناسخها، فقال: «ابن تيمية» بدل «ابن قتيبة» كما ذكرتُه في تعليقي عليه (٢ / ٣٩) يسر الله نشره.

(٢) انظر: «نفح الطيب» (٣ / ٢٥٤)، و«نيل الابتهاج» (٢٥٠).

على تأثر الشاطبي بمن سبقوه، قال ما نصه:

«وقد تأثر الإمام الشاطبي بما جاء في مؤلفات من سبقه، وهو العز بن عبد السلام، وابن تيمية!! وابن القيم!! والقرافي، ولهذا نجد كتابه مزيجاً وتحليلاً لهذه الآراء القيمة التي استقرت في عقولها نظرية المصالح المرسلة..»[1].

وأزيد هنا: إن الأستاذ أحمد الريسوني قد ناقش الشناوي في كتابه «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي» (ص٣٢٠-٣٣١ / ط الرابعة)، ولم يوافقه على ما ذهب إليه من استفادة الشاطبي من ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهذا نص كلامه في رده عليه:

«والمؤسف غاية الأسف أن هذا النص ليس فيه جملة واحدة مسلَّمة:

لم يقدم لنا صاحب النص أي دليل ولا أي افتراض على كون الشاطبي قد تأثر بابن تيمية وابن القيم، وأنا أؤكد له أن أياً من الرجلين لم يرد له ذكرٌ بتاتاً فيما هو متداول من كتب الشاطبي.

ورغم أن ابن تيمية وابن القيم، كانا قد اشتهرا في المشرق زمن الشاطبي وبعده، فإننا لا نجد لهما ولا لآرائهما أثراً في المغرب والأندلس يومئذ. وبصفة عامة، فإن الفقه الحنبلي، والمؤلفات والأسماء الحنبلية، هي الأقل ذكراً، والأقل أثراً في هذه المنطقة.

وقد وجدت الشاطبي -مرة واحدة- يقول: «قال بعض الحنابلة...»، وذلك فيما يخص دعاوى الإجماع التي لا تثبت، ويستعملها بعضهم في قطع الطريق على البحث والمناقشة لبعض الأمور التي يدعى فيها الإجماع ولا إجماع، ومع هذا، فإني أستبعد أن يكون الشاطبي قد أخذ هذا عن مؤلف حنبلي مباشرة، والمستبعد أكثر أن يكون قد اطلع على بعض مؤلفات ابن تيمية أو ابن القيم، خاصة وأنه ليس من أصحاب الرحلات المشرقية، كما هو شأن ابن العربي والطرطوشي مثلاً، اللذين ينقل الشاطبي عنهما كثيراً، وكما هو شأن شيخه أبي عبد الله المقري، الذي حكى عن نفسه أنه: «لقي بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية، صاحب الفقيه ابن تيمية».

ولكن هذا كله لا يفيد شيئاً في إثبات دعوى الدكتور الشناوي (المحامي)، ولا حتى في إثارة الدعوى أمام القضاء».

قلت: وتبين لي أن (الدعوى) التي أشار لها الشناوي صحيحة، والحكم عليها(أمام الأدلة والبراهين) لصالحه، وقد ثبت لدي ذلك بيقين منذ سنين، وبعد نشر تحقيق «الموافقات» وأدلل على صحة هذه الدعوى بمايلي:-

(١) وزدت ما نصه:

وسألت شيخنا الألباني -رحمه الله- عن هذه المسألة، فأجاب بأنه لم يثبت عنده، ولم يطلع على ما يسمح بالجزم أو باحتمال أن تكون اللقيا قد تمت بين الشاطبي وابن تيمية أو ابن القيم.

أولاً: قال الشاطبي في «الاعتصام» (١ / ٣٥٦-ط محمد رشيد رضا أو ٢ / ٢٥٦-٢٥٧ / بتحقيقي)، ما نصه:

«قال بعض الحنابلة: «لا تعبأ بما يفرض من المسائل ويدّعى فيها الصّحة بمجرّد التهويل، أو بدعوى أن لا خلاف في ذلك، وقائل ذلك لا يعلم أحداً قال فيها بالصحة؛ فضلاً عن نفي الخلاف فيها، وليس الحكم فيها من الجليّات التي لا يعذر المخالف [فيها]».

قال: «وفي مثل هذه المسائل قال الإمام أحمد بن حنبل: «من ادّعى الإجماع فهو كاذب، وإنما هذه دعوى بشر وابن علية[1]، يريدون أن يبطلوا السنن بذلك» يعني أحمد: أن المتكلّمين في الفقه من أهل البدع؛ إذا ناظرتهم بالسنن والآثار؛ قالوا: هذا خلاف الإجماع، وذلك القول الذي يخالف ذلك الحديث لا يحفظونه إلا عن بعض فقهاء المدينة وفقهاء الكوفة مثلاً، فيدّعون الإجماع من قلّة معرفتهم بأقاويل العلماء، واجترائهم على ردّ السنن بالآراء، حتى كان بعضهم تسرد عليه الأحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الأحكام؛ فلا يجد له معتصماً إلا أن يقول: هذا لم يقبل به أحد من العلماء، وهو لا يعرف إلا أبا حنيفة أو مالكاً لم يقولوا بذلك، ولو كان علم؛ لرأى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن قال بذلك خلقاً كثيراً».

وهذا نص كلام ابن تيمية بالحرف في كتابه «بيان الدليل على بطلان التحليل» (ص٥٦١-٥٦٢-ط الشيخ فيحان المطيري).

ثانياً: قال الشاطبي في «الاعتصام»[2]، في معرض حديثه عن بيع العينة؛ ما نصه:

«قال بعضهم: عامة العينة إنما تقع عن رجل يضطر إلى نفقة يضُنّ عليه الموسر بالقرض، إلا أن يربحه في المئة ما أحب، فيبيعه ثمن المئة بضعفها أو نحو ذلك».

وهذا الكلام بحروفه في «بيان الدليل» (ص١١٩).

والممعن بما ورد في الكلام على العينة عندهما يجد النقل ظاهراً، ويقطع بأن الشاطبي ينقل من ابن تيمية.

ثالثاً: وفي «الاعتصام»[3]، في (الباب السابع) نفسه نصوص في تحريم الخمر والمعازف، وجلها مشترك مع ما في «بيان الدليل» (ص٩٤ و ما بعد) في (الوجه العاشر) ثم في «الاعتصام» (٢ / ٥٨١) و«بيان الدليل» (ص٩٧) فقرة مشتركة، هذا نصها:

---

(١) في المصادر الأصولية (بشر والأصم) انظر «المسودة» (٣١٦) و«العدة» (٤ / ١٠٥٩-١٠٦٠) لأبي يعلى، ونقل الشاطبي يتطابق مع نقل ابن تيمية هنا.

(٢) (٢ / ٨٤-٨٥-ط رشيد رضا ٢ / ٥٧٦-٥٧٧ / بتحقيق الأخ سليم الهلالي).

(٣) (٢ / ٨٧ وما بعد ط محمد رشيد رضا و ٢ / ٥٧٩ وما بعد / بتحقيق الأخ سليم الهلالي).

«وهذا نص[1] أنّ هؤلاء الذين استحلوا هذه المحارم كانوا متأولين فيها، حيث زعموا أن الشراب الذي شربوه ليس هو الخمر، وإنما له اسم آخر، إما النبيذ أو غيره، وإنما الخمر عصير العنب النيء».

وبعدها عند ابن تيمية: «خاصة، ومعلوم أن هذا بعينه هو تأويل طائفة من الكوفيين».

وبعدها عند الشاطبي: وهذا رأي طائفة الكوفيين».

ولا يشك باحث أن الشاطبي قد نقل هذا النص من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

رابعاً: وفي «الاعتصام» (٢ / ٥٨١) بعد العبارة السابقة في الدليل الثالث «قال بعضهم: وإنما أتي على هؤلاء، حيث استحلوا المحرمات بما ظنوه من انتفاء الاسم ولم يلتفتوا إلى وجود المعنى المحرم وثبوته وهذه بعينها[2] شبهة اليهود في استحلالهم[3] [بيع الشحم بعد جمله، واستحلال[4]] أخذ الحيتان يوم الأحد بما أوقعوها به يوم السبت في الشباك والحفاير ومن فعلهم يوم الجمعة حيث قالوا: ليس هذا بصيد ولا عمل في يوم السبت، وليس هذا باستباحة الشحم[5] بل الذي يستحل الشراب المسكر زاعماً أنه ليس خمراً مع علمه بأن معناه معنى الخمر، ومقصوده مقصود الخمر، أفسد تأويلاً من جهة [أن الخمر اسم لكل شراب أسكر كما دلت عليه النصوص، ومن جهة][6] أن أهل الكوفة من أكثر الناس قياساً، فلئن كان من القياس ما هو حق، فإن قياس الخمر المنبوذة على الخمر المعصوره من القياس في معنى الأصل، [المسمى بانتفاء الفارق][7] وهو من القياس الجلي [الذي لا يستراب في صحته، فإنه][8] ليس بينهما من الفرق ما [يجوز أن][9] يتوهم أنه مؤثر في التحريم».

وهذا النص مع الفروق المذكورة في الهامش وهي قليلة وغير جوهرية بحروفه في «بيان الدليل» (ص٩٧-٩٨).

---

(١) زاد ابن تيمية بعده: «من رسول الله ﷺ وعند الشاطبي بعده: «في»

(٢) عند ابن تيمية: «وهذا بعينه».

(٣) عند ابن تيمية: «استحلال».

(٤) العبارة ساقطة من مطبوع «الاعتصام» وهي في نسخة خطية منه، وعند ابن تيمية.

(٥) في مطبوع «الاعتصام» «الشح» !! وهو على الجادة في النسخ الخطية منه؛ وكذا عند ابن تيمية.

(٦) سقط من مطبوع «الاعتصام».

(٧) سقط من مطبوع «الاعتصام».

(٨) بدل ما بين المقوفتين في مطبوع «الاعتصام» «إذ».

(٩) سقط من مطبوع الاعتصام.

هذه أدلة جلية فيها نقل الشاطبي في كتابه «الاعتصام» من كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية «بيان الدليل على بطلان التحليل»، والأدلة الأربعة المذكورة كافية للدلالة على استفادة الشاطبي من ابن تيمية، وهذه الاستفادة تعدت الأمثلة والنقل العرضي في مسألة جزئية إلى الأصول والمناهج حتى إنها تشمل (نظرية المقاصد) التي ارتبطت باسم الشاطبي، وارتبط اسم الشاطبي بها، وعده غير واحد مجدداً بسببها، وقد وضع هذا الأستاذ يوسف بدوي -حفظه الله- في أطروحته للدكتوراه بعنوان «مقاصد الشريعة عند ابن تيمية»[1] فقال تحت عنوان (مدى استفادة ابن تيمية من سابقيه في المقاصد واستفادة لاحقية منه) ما سنذكره تحت (الدليل الخامس) و(السادس) و(السابع).

خامساً: عند الحديث عن المقاصد الأصلية والتابعة في طرق معرفة المقاصد وجدت بعض المقاربات والاتفاقات بين ابن تيمية والشاطبي، ومن ذلك:

الأول: استخدم الشاطبي بعض المفردات التي استخدمها ابن تيمية أو شبهها للتعبير عن بعض مقاصد النكاح التبعية، مثل: (السكن والازدواج، والاستمتاع)، (قيامها عليه وعلى أولاده منها أو من غيرها أو إخوته)، (طلبًا لشرف النسب)، (ومواصلة أرفع البيوتات)، (قصد التسبب له حسن).

الثاني: قول الشاطبي: الجهة الثالثة: أن للشارع في شرع الأحكام العادية والعبادية مقاصد أصلية ومقاصد تابعة. فهذا قد سبق جلياً في كلام ابن تيمية.

الثالث: استدلال الشاطبي بالآية: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾، وتحليله لها كتحليل ابن تيمية من أن ذكر الله هو المقصد الأصلي من الصلاة، وكونها تنهى عن الفحشاء والمنكر مقصد تابع.

الرابع: استدل الشاطبي بنفس الأدلة التي ساقها ابن تيمية -مثل قصة عمر في نكاح أم كلثوم، وقصة الذي أخلص لله أربعين صباحاً لينال الحكمة- على عدم جواز قصد المقاصد التابعة في العبادات دون القصد الأصلي وهو الإخلاص لله.

الخامس: تفريق الشاطبي بين العبادات والعادات، بأن المقاصد التابعة في العبادات إذا كانت مقصودة أصالة لا تصح، وأنها في العادات تصح، مطابق تماماً لما ذهب إليه ابن تيمية.

السادس: استدل الشاطبي على تحريم نكاح التحليل بأن من قصد ذلك فقد ناقض مقاصد الشارع من النكاح، وهو ما صنعه ابن تيمية تماماً.

(١) (ص٢٦٥ وما بعد/ مرقومة على الآلة الكاتبة).

> اعتبار الشاطبي -رحمه الله- المقاصد التوابع مثبتة للمقاصد الأصلية، ومقوية لحكمتها ومستدعية لطلبها وإدامتها هو تماماً ما اعتبره ابن تيمية

السابع: اعتبار الشاطبي -رحمه الله- المقاصد التوابع مثبتة للمقاصد الأصلية، ومقوية لحكمتها ومستدعية لطلبها وإدامتها هو تمامًا ما اعتبره ابن تيمية -رحمه الله-.

هذه بعض الموافقات بين ابن تيمية والشاطبي التي ذكرها الشاطبي في الموافقات، ولكن الشاطبي قد فارق ابن تيمية، وظهرت عنده النزعة الصوفية عندما سوغ للعبد أن يطلب إلى الله أن يريه خوارق العادات وعجائب المغيبات[1].

سادساً: اعتبار الشاطبي السكوت عن شرع التسبب، أو عن شرعية العمل مع قيام المعنى المقتضي له، مما يعرف به مقصد الشارع، وهذا سبق بيانه في موضعه من طرق معرفة المقاصد.

وتظهر استفادة الشاطبي من ابن تيمية فيما يلي:

الأول: المطابقة والتقارب الشديدين بين كلام ابن تيمية والشاطبي في هذا الطريق؛ فترى القاسم المشترك بينهما اتحاد المعايير الموضوعة لذلك. وإن كانت عند ابن تيمية أدق وأضبط وأظهر وهي قيام المقتضي ووجود الشرط وانتفاء المانع، ثم الأمثلة الموظفة في ذلك متقاربة وهي جمع القرآن في مصحف كما قال ابن تيمية، وجمع المصحف كما قال الشاطبي ثم تعلم العربية وأسماء النقلة للعلم، كما قال الأول، وتدوين العلم كما قال الثاني.

هذا والأمثلة التي جاء بها ابن تيمية أفضل من المثال الذي ساقه الشاطبي وأطال الكلام عليه مع أمثلة أخرى مناسبة لعدم سلامته من الاعتراضات وهو كون سجود الشكر بدعة عند الإمام مالك[2].

الثاني: أن الشاطبي نقل قول ابن رشد في أن ترك النبي ﷺ أصل من الأصول الذي يستدل به على إسقاط الزكاة من الخضر والبقول[3]، وهو ما صرح به ابن تيمية من أن أهل الحجاز لا يوجبون الزكاة في الخضروات لما في الترك من عمل النبي ﷺ وخلفائه[4].

الثالث: قول الشاطبي: «وعلى هذا النحو جرى بعضهم في تحريم نكاح المحلل. وأنها

(١) «الموافقات» (٣ / ١٣٩-١٥٦-بتحقيقي).

(٢) «الاعتصام» (١ / ٣٦٠-٣٦٤- ط رشيد رضا).

(٣) «الموافقات» (٣ / ١٦١-١٦٣ بتحقيقي)، (١ / ٣٦٤-٣٦٥- ط رشيد رضا).

(٤) «القواعد النورانية» (ص١١٠) لابن تيمية.

بدعة منكرة، من حيث وجد في زمانه عليه الصلاة والسلام المعنى المقتضي للتخفيف والترخيص للزوجين، بإجازة التحليل ليراجعا كما كانا أول مرة، وأنه لما لم يشرع ذلك مع حرص امرأة رفاعة على رجوعها إليه، دل على أن التحليل ليس بمشروع لها ولا لغيرها، وهو أصل صحيح. إذا اعتبر وضح به الفرق بين ما هو من البدع وما ليس منها، ودل على أن وجود المعنى المقتضي مع عدم التشريع دليل على قصد الشارع إلى عدم الزيادة على ما كان موجوداً قبل، فإذا زاد الزائد ظهر أنه مخالف لقصد الشارع فبطل[1]. فهذا إشارة إلى ابن تيمية وإن لم يصرح به، حينما استدل ابن تيمية على حرمة نكاح التحليل وبدعية الحيل بقوله: «الوجه الثاني: في تقدير أنها بدعة، وهو أنه لا يستريب عاقل في أن الطلاق الثلاث ما زال واقعاً على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه وما زال المطلّقون يندمون ويتمنّون المراجعة، ورسول الله ﷺ أنصح الناس لأمته، وكذلك أصحابه، أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، فلو كان التحليل يحللها، لأوشك أن يدلُّوا عليه ولو واحداً، فإن الدواعي إذا توافرت على طلب فعل وهو مباح فلا بد أن يوجد، فلما لم ينقل عن واحد منهم الدلالة على ذلك، بل الزجر عنه، علم أن هذا لا سبيل إليه، وهذه امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى النبي ﷺ بعد أن تزوجت عبد الرحمن بن الزبير وطلقها قبل الوصول إليها، وجعلت تختلف إلى النبي ﷺ ثم إلى خليفته تتمنى مراجعة رفاعة، وهم يزجرونها عن ذلك، وكأنها كرهت أن تتزوج غيره فلا يطلقها، وكانت راغبة في رفاعة، فلو كان التحليل ممكناً لكان أنصح الأمة لها يأمرها أن تتزوج بمحلل، فإنها لن تعدم من تبيته عندها ليلة ويعطي شيئاً، فلما لم يكن شيء من ذلك، علم كل عاقل أن هذا لا سبيل إليه.. ومن لم تسعه السنة حتى تعداها إلى البدعة مرق من الدين، ومن أطلق للناس ما لم يطلقه لهم رسول الله ﷺ مع وجود المقتضي للإطلاق فقد جاء بشريعة ثانية، ولم يكن متبعاً للرسول ﷺ فلينظر المرء أين يضع قدمه»[2].

سابعاً: إن الأدلة التي ساقها الشاطبي للاستدلال بها على قاعدة سد الذرائع[3] لم تخرج عن أدلة ابن تيمية على ذلك؛ ثم إن

---

(١) «الموافقات» (٣/ ١٦٤-بتحقيقي).

(٢) «بيان الدليل» (١٨٠-١٨١).

(٣) «الموافقات» (٣/ ٧٦-٨٥- بتحقيقي).

هناك عبارات وافق فيها الشاطبي تعبير ابن تيمية مثل:

١- قال الشاطبي: «**وكان النبي ﷺ يكف عن قتل المنافقين؛ لأنه ذريعة إلى قول الكفار إن محمداً يقتل أصحابه**»[(١)].

وقال ابن تيمية: «**إن النبي ﷺ كان يكف عن المنافقين مع كونه مصلحة، لئلا يكون ذريعة إلى قول الناس إن محمداً يقتل أصحابه**»[(٢)].

٢- بعد ذكر الشاطبي الأحاديث التي تنهى عن شرب الخليطين وعن شرب النبيذ بعد ثلاث ... وأن النبي ﷺ قال: «**لو رخصت في هذه لأوشك أن تجعلوها مثل هذه**» قال: «يعني: أن النفوس لا تقف عند الحد المباح في هذا»[(٣)]، وهذه عبارة ابن تيمية تماماً[(٤)].

ثامناً: إن الأدلة التي ساقها الشاطبي على تحريم الحيل[(٥)] لم تخرج عن الأدلة التي ذكرها ابن تيمية[(٦)] قيد أنمله، والعبارات التي ساقها الشاطبي حول هذا الموضوع لم تخرج عن المعاني التي ساقها ابن تيمية، فما بسطه ابن تيمية وفصله، أوجزه الشاطبي واختصره.

ولعلنا من خلال هذه الأدلة نكون قد وقفنا على ما يُطمئن من استفادة ومعرفة الشاطبي لآراء ابن تيمية، ونكون قد قمنا بما أشار إليه الأستاذ حمّادي العبيدي في كتابه «الشاطبي ومقاصد الشريعة» (ص٢٣٩) حيث قال:

«**إن المتأمل في موقف الشاطبي من البدع، وبناء إصلاحه على تطهير الإسلام منها، يجد شَبَهاً قوياً بينه وبين ابن تيمية الذي نادى هو أيضاً بتطهير الدين من مظاهر الشرك؛ كتقديس الأضرحة، وإعادته إلى ما كان عليه من صفاء زمن الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين.**

قد يكون الشاطبي عرف آراء ابن تيمية عن طريق شيخه أبي عبد الله المقري الذي ارتحل إلى المشرق، والتقى بابن القيم تلميذ ابن تيمية، حامل لواء الدعوة إلى مذهب شيخه. ولكن تحقيق ذلك يحتاج إلى بحث مستقل تقع فيه المقارنة بين آثار هؤلاء الأعلام الثلاثة، وهم متعاصرون حيث كانوا جميعاً من رجال القرن الثامن للهجرة»، والله من وراء القصد.

---

(١) «الموافقات» (٣/ ٧٦- بتحقيقي).

(٢) «بيان الدليل» (ط ٣٥٤).

(٣) «الموافقات» (٣/ ٨٠-٨١- بتحقيقي).

(٤) «بيان الدليل» (ص٣٥٥).

(٥) «الموافقات» (٣/ ١٠٩-١١٩- بتحقيقي).

(٦) «بيان الدليل» (ص٥٧-٣٥٣).



العدوان الروسي على الشيشان

• بقلم: خير الدين وائلي

شيشان عرين الإيمان
صمدت في وجه الكفران
دبابة (يلسن) لم تفلح
في سحق الشعب الشيشاني
في (غروزني) لم يُبقوا سقفاً
مرفوعاً فوق الجدران
أطفال صاروا أشلاء
هتكت أعراض النسوان
وشيوخ دفنت أعظمهم
خسروا صرعى للأذقان
آلاف ماتوا من برد
والثلج لحاف الوديان
والجوع يفطر أكباداً
تشوى بلهيب النيران
أجساد تحت الأنقاض
لا يعرف قاص من دان
ترك الشيشان منازلهم
هاموا في كل البلدان
والذنب الأوحد إسلام
جعلوه رمز العدوان
الروس يخافون الأعزل
يرمون بكل النيران
عن بعد كل معاركهم
فسقدانهم بالأطنان
يخشون مواجهة الأبطال
فحرب القرب لشجعان
أما الجبناء فحربهم
من خلف سميك الجدران
كحروب يهود في الماضي
في (خيبر) ذات الإحصان
ما قاتل من أسلم هوداً
إلا من خلف الجدران
لم يختر روسي حرباً
إلا بمدافع ميدان
أو بالصاروخ العالي
والليزر رمز الإتقان
أو بالدبابات العظمى
ورواجم شبه البركان
ما هذي حرب عادلة
بل طغيان في العدوان
والعالم يشهد لا يرثي
للطفل وللشيخ الفاني

الأول في ذي القعدة/ ١٤٢٠ هـ



قواعد في معاملة المخالفين للسنة

• بقلم: الشيخ عبدالله بن صالح العبيلان

هذه قواعد في معاملة المخالفين للسنة والحكم عليهم بالبدعة أو بالخروج من السنة:

الأولى: لا ينظر إلى كون الإنسان من أهل السنة أو أصوله -بزعمه- أصول أهل السنة لا ينظر إلى نيته وقصده إذا ظهر ما يخالفها.

روى البخاري بسند، أن عبد الله بن عتبة قال: سمعت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول:

«إن أناساً كانوا يأخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم؛ فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء فالله يحاسب سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه وإن قال إن سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه، وإن قال إن سريرته حسنة».

الثانية: لا ينظر في هذا الباب إلى صفات الإنسان الحسنة من دعوة وسخاء وغير ذلك من الصفات، فليس المقصود الذوات، وإنما المقصود هو الذبُ عن السنة والكتاب.

> **"لا ينظر في هذا الباب إلى صفات الإنسان الحسنة من دعوة وسخاء وغير ذلك من الصفات، فليس المقصود الذوات، وإنما المقصود هو الذبُ عن السنة والكتاب"**

روى اللالكائي «في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» عن ابن مسعود: قال: **«الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»**[1]، وروي أيضاً عن أبي الدرداء قال: **«اقتصاد في سُنَة خير من اجتهاد في بدعة»**[2].

وذكر الحافظ الذهبي في ترجمة الحسن بن صالح؛ قال وكيعٌ: جزأ الحَسَنُ قال: وأمه وأخوه الليل مثالثة -أي: ثلاثة أجزاء- للعبادة؛ فماتت أمه فقسم الليل بينهما، فمات أخوه فقام الحسن بالليل كله».

وعن أبي سليمان الداراني قال: ما رأيت

---

(١) رواه اللالكائي (١/ ٥٥).

(٢) رواه اللالكائي (١/ ٨٨).

من الخوف أظهر عليَّ من الحسن بن صالح؛ قام ليلة بعمَّ يتساءلون، فغشي عليه؛ فلم يختمها إلى الفجر» وثّقه أبو حاتم وأحمد، وقال أبو زرعة: اجتمع في الحسن إتقان وفقه وعبادة وزهد.

قال الذهبي: قلت: مع جلالة الحسن وإمامته؛ كان فيه خارجية ترك الجمعة وجاء فلان فناظره ليلةً فذهب الحسن إلى ترك الجمعة معه والخروج عليهم بالسين -أي: الظلمة- ولذلك هجره الأئمة في زمانه، ولم يصلوا عليه حين مات».

وأصوله هي أصول أهل السنة والجماعة لكنه خالف في هذه المسألة من الدين؛ وإلا فلم يوصف بكونه ثقة ويحمل عنه الحديث.

وذكر الحافظ بن حجر في ترجمة: عبد العزيز بن أبي روّاد -واسمه ميمون-: قال يحيى القطان: عبد العزيز ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق. وقال ابن معين: ثقة، وقال ابن المبارك: كان يتكلم ودموعه تسيل على خده.

وقال شعيب بن حرب: كنت إذا نظرت إلى عبد العزيز رأيت كأنه يطلع إلى القيامة وقال ابن سعد في «الطبقات»: وله أحاديث وكان مرجئاً، وكان معروفاً بالورع. هجره أئمة السنة في زمانه وكرهوا مجالسته، فلما مات وقف سفيان الثوري على جنازته ثم ذهب وشقّ الصفوف وتركها، ليبين أنه مبتدع.

وأيضاً قد يقول المتقدمون من السلف الصالح عن الرجل: شيعياً ولو كانت أصوله أصول أهل السنة والجماعة إذا كان يفضل علياً على أبي بكر وعمر بل هو مدوَّن في عقائدهم.

”

زعم الإنسان أنه يأخذ بالكتاب والسنة لا يكفي إذا لم يعمل بها ويذب عنهما

“

الثالثة: زعم الإنسان أنه يأخذ بالكتاب والسنة لا يكفي إذا لم يعمل بهما ويذُبَّ عنهما.

روى اللالكائي بسنده الصحيح عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو يفتقر إلى ما عنده، وإنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم؛ فعليكم بالعلم وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق»(١)

وروي أيضاً عن محمد بن سيرين قال: «**كان يرونه على الطريق ما دام على الأثر**».

وروي أيضاً عن أبي إدريس قال: «أدركت أبا الدرداء ووعيت عنه، وأدركت عبادة بن الصامت ووعيت عنه، وأدركت شداد بن

---

(١) اللالكائي (٨٧/١)، ورواه الدارمي عن أيوب به، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٢٤-٢٥).

أوس ووعيت عنه، وفاتني معاذ بن جبل؛ فأخبرت أنه كان يقول في كل مجلس يجلسه: «الله حكمٌ قسط تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنٌ يكثر فيها المال؛ ويفتح فيه القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير؛ فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن، فيقول: قد قرأت القرآن فما للناس لا يتبعوني؟ وقد قرأت القرآن ثم ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره، وإياكم ما ابتدع؛ فإن ما ابتدع ضلالة، واتقوا زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان يلقي على الحكيم الضلالة، ويلقي على المنافق كلمة الحق»[1].

الرابعة: عدم التهاون بالصغير من مخالفة السلف، أو التورع بالقول عن البدعة بدعة، فقد روى اللالكائي عن عبدالله بن مسعود: «قال يجيء قومٌ يتركون من السنة مثل هذا -يعني: مفصل الأصبع- فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى، وإنه لم يكن أهل كتاب قط إلا كان أول ما يتركون السنة وإن آخر ما يتركون الصلاة ولولا أنهم يستحيون لتركوا الصلاة».

وروى عن ابن عمر قال: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة».

❖ عدم إنكار البدع خشية الخلاف مما ينشرها ويميت السنة:

فقد روى اللالكائي عن ابن عباس قال: «ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن» وسمعته يقول: «حتى تظهر البدع»[2].

وروى عن حسان بن عطية قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها عليهم إلى يوم القيامة»[3].

وروى عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: «ما ابتدعت بدعة إلا ازدادت مُضياً ولا تركت سنة إلا ازدادت هوياً»[4].

❖ وجوب الاقتداء في السلف، وأنهم المرجع في تمييز الأقوال صحيحها من سقيمها:

قال عليه -الصلاة والسلام-: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور...» الحديث.

وروى اللالكائي: عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن وإن كفر كفر فإن كنتم لابد مقتدين فبالميت فإن الحي لا يؤمن عليه

(١) اللالكائي (١/ ٨٩)، وأخرجه أبو داود من طريق ابن شهاب، وعبدالرزاق في «المصنف» برقم (٢٠٧٥٠).

(٢) ورواه ابن وضاح كذلك.

(٣) ورواه ابن وضاح كذلك.

(٤) ورواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص٤٤).

الفتنة»[1].

وروى عن عمر بن عبد العزيز قال: «سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمور بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله -عز وجل- واستكمال لطاعته على دين الله ليس لأحد تغييرها ولاتبديلها ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ومن استبصر بما بصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله -عز وجل- ما تولاّه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»[2].

> قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة

• الحذر والتحذير من أهل الأهواء والبدع، وأنهم هم الذين يشقون صفوف الأمة:

روى اللالكائي عن سفيان الثوري قال: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية والمعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها».

وروى عن قتادة قال: «يا أحول! إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تذكر حتى تحذر».

وروى عن يحيى بن أبي كثير قال: «إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ غيره».

وقال أبو قلابة: «ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف».

وروى عن ابن عمر قال: «ما فرحت بشيء من الإسلام أشدّ فرحاً بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء».

وعن الحسن قال: «أهل الهوى بمنزلة اليهود والنصارى».

• غيبة أهل البدعة:

وروى عن الحسن -رحمه الله- قال: «ليس لصاحب بدعة ولا لفاسق يعلن فسقه غيبة».

وعن إبراهيم النخعي قال: «ليس لصاحب البدعة غيبة».

• أهل البدع كلهم خوارج:

قال[3]: وكان أيوب يسمي أهل الأهواء كلهم خوارج ويقول: إن الخوارج اختلفوا في الرسم، واجتمعوا في السيف».

• مآل أهل البدعة إلى الذل:

وروى عن سلام بن أبي مطيع، قال: رأى أيوب رجلاً من أهل الأهواء، فقال إني أعرف الذلة في وجهه ثم قرأ: **﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين﴾** ثم

---

(١) اللالكائي (١/ ٩٣) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٠).

(٢) رواه الآجري في «الشريعة».

(٣) أي: اللالكائي -رحمه الله-.

قال: «هذه لكل مفتر».

◆ طريق ومسالك أهل البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-:

«وليحذر العبد مسالك أهل الظلم والجهل الذين يرون أنهم يسلكون مسالك العلماء يسمع من أحدهم جعجعة ولا ترى لهم طحناً؛ فترى أحدهم أنه في أعلى الدرجات وفي أعلى درجات العلم وهو إنما يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا ولم يحُم حول العلم الموروث عن سيد ولد آدم ﷺ وقد تعدّى على الأعراض والأموال بكثرة القيل والقال، فأحدهم ظالمٌ لم يسلك في كلامه مسلك أصاغر العلماء بل يتكلم بما هو من جنس كلام العامة الضلال والقصاص الجهال ليس من كلام أحدهم تصوير للصواب ولا تحرير للجواب كأهل العلم أولي الألباب، ولاعند خوض العلماء أهل الاستدلال والاجتهاد، ولا يحسن التقليد الذي يعرفه متوسطة الفقهاء لعدم معرفته بأقوال الأئمة ومآخذهم والكلام في الأحكام الشرعية لا يقبل من الباطل والتدليس ما ينفق على أهل الضلال والبدع الذين لم يأخذوا علومهم من أنوار النبوة وإنما يتكلمون بحسب آرائهم وأهوائهم؛ فيتكلمون بالكذب والتحريف، فيدخلون في دين الإسلام ما ليس منه، وإن كانوا لضلالهم يظنون أنهم منه، وهيهات، هيهات فإن هذا الدين محفوظ بحفظ الله له.

ولما كانت ألفاظ القرآن محفوظة منقولة بالتواتر لم يطمع أحدٌ من إبطال شيء منه ولا في زيادة شيء فيه بخلاف الكتب قبله قال -تعالى-: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** بخلاف كثير من الحديث؛ طمع الشيطان من تحريف كثير منه وتغيير ألفاظه بالزيادة والنقصان والكذب في متونه وإسناده؛ فأقام الله له من يحفظه ويحميه وينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؛ فبينوا ما أدخل أهل الكذب فيه وأهل التحريف في معانيه كما قال ﷺ: **«لا يزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة»**.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: **«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»**.

وقد وقع في هذا الباب كثير من الفقهاء والعامة ونحوهم ممن فيه زهد ودين وصلاح، ولكن كل من لم يكن علمه وعمله يرجع إلى العلم الموروث عن الرسول ﷺ مقيداً بالشريعة النبوية لم يخلص من الأهواء، والبدع بل كله أهواء وبدع، وقد قال ابن

مسعود وأبي بن كعب: **«الاقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة»**؛ فانظروا أعمالكم إن كانت اقتصاداً أو اجتهاداً أن تكون على منهج الأنبياء وسنتهم، وقد قال ﷺ: **«من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** - وفي رواية-: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**. -إلى أن قال- رحمه الله: وقال أبو بكر بن عياش لما قيل له إن في المسجد أقواماً يجلسون ويجلس إليهم فقال من جلس للناس جلسوا إليه، **ولكن اهل السنة يموتون ويبقى ذكرهم** لأنهم أحيوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيبٌ من قوله -تعالى-: **﴿ورفعنا لك ذكرك﴾** -وأهل البدع يموتون ويموت ذكرهم ؛لأنهم شانوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ؛ فبترهم الله فكان لهم نصيبٌ من قوله -تعالى-: **﴿إن شانئك هو الأبتر﴾** أ.هـ.

ولهذا كانت أصول الإسلام -كما قال الإمام أحمد وغيره- تدور على ثلاثة أحاديث **«الحلال بين والحرام بين»**، وقوله: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»** و**«إنما الأعمال بالنيات»**، وذلك أن الدين فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه والنهي عنه ذكره في حديث «الحلال بين والحرام بين» وذكر حكم ما يشتبه به وما لا يشتبه به.

تم بحمد الله وعونه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من آثار البشير الإبراهيمي

(العدد (٩)، جريدة البصائر، سنة ١٩٤٧)

يا أبنائي.. إن أسلافكم كانوا يعدون الرحلة في سبيل العلم من شروط الكمال فيه، بل كانوا -في دولة الرواية- يعدّون الرحلة للقاء الرجال من شروط الوجوب، فكانوا يقطعون البراري والصحاري والقفار، ويلقون في سببه المعاطب والأخطار، وكانوا يجوعون في سبيله ويعرون، ويظمأون ويضحون، لا يشتكون الفاقة والنّصب، ولا يعدون الراحة إلا التعب، ولكنهم لا يضيعون أوقاتهم -إذا وصلوا إلى أمصار العلم ولقوا رجاله- في مثل ما تضيعون فيه أوقاتكم من إسفاف ولغو؛ بل كانوا يحاسبون أنفسهم على الدقيقة أن تضيع إلا في استفادة وتحصيل؛ فتعالوا نقارن سيرتكم بسيرتهم، وتحصيلكم بتحصيلهم، ثم نتحاسب على النتيجة!

كانوا يقيدون وأنتم لا تقيدون، وكانوا ينسخون الأصول بأيديهم ويضبطونها بالعرض والمقابلة حرفاً حرفاً وكلمة كلمة، وأنتم أراحتكم المطابع، ويسرت لكم الكتب؛ وربّ تيسير جلب التعسير، فمن التيسير رمي العقول بالكسل، والأيدي بالشلل، حتى لا تجري في إصلاح الأغلاط المتفشية في تلك الكتب.

وكانوا يرجعون بالرواية الواسعة والمحفوظ الغزير، وينقلون الجديد من العلم، والطريف من الآراء، والمفيد من الكتب -من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق- فانظروا بماذا ترجعون أنتم اليوم؟

وكانوا ينقطعون عن أهليهم وديارهم انقطاعاً متصلاً يدوم سنوات، وأنتم تزورون أهلكم في كل موسم، وفي كل عطلة، ويزورونكم، وتخاطبونهم في اليوم الواحد ويخاطبونكم.

الحقيقة أننا لا نسمي رحلتنا اليوم رحلة إلا بضرب من التوسع، كما نسمي السفر بالطائرة سفراً، ونضعه بجنب السفر على الإبل.



التوضيح والبيان لمعاني الإحسان

● بقلم: أبي عبدالرحمن محمود المهر

٥- ذكر أنواع الإحسان:

لقد ذكر بعض أهل العلم أنّ الإحسان ينقسم إلى قسمين:

الأول: إحسانُ عبادة الخالق -عز وجلّ- وهي المشار إليها في الحديث:

«...أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإنْ لم تكنْ تراهُ؛ فإنّهُ يراك».

«مسلم بشرح النووي» (ج١ / ١٥٧ و ١٥٨).

الثاني: الإحسان إلى المخلوق، وذلك بإيصال النفع الديني والدنيوي إليه ودفع الضرر عنه حسب الاستطاعة.

وهذا ما ذكره مؤلف «الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية» (ص١١١).

وقد ذكر الشيخ صالح بن فوزان -حفظه الله- أنّ الإحسان يقسم إلى ثلاثة أنواع وقد ذكر كلاماً طيباً في كتابه. «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية».

وأنا أُضيف إليها نوعاً رابعاً ألا وهو إحسانُ الخالق -سبحانهُ- إلى خلقه كما جاء بذلك الكتاب العزيز قال -سبحانه-: **﴿وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض﴾**[القصص: ٧٧].

والسنة النبوية المطهرة: عن سمرة عن النبي ﷺ قال: **«إن الله محسنٌ فأحسنوا»** «صحيح الجامع» (١٨٢٣).

١- إحسان الخالق -سبحانه- إلى خلقه:

وإحسان الخالق -تبارك وتعالى- إلى خلقه شامل لكلّ شيءٍ من مخلوقاته.

قال -سبحانه وتعالى-: **﴿الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلقَ الإنسان من طين﴾** [السجدة: ٧].

وإحسانه سبحانه إلى خلقه يقسم إلى قسمين:

أ) إيجاد وإتقانُ خلقهِ وإتمامه على أحسن صورة وأكمل هيئة:

قال -تعالى-: **﴿الله خالق كلّ شيء وهو على كل شيء وكيل﴾**[الزمر: ٦٢].

وقال: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾.

وقال -جل وعلا-: ﴿الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ [سجدة: ٧].

وقال -تعالى-: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبيرٌ بما تفعلون﴾[النمل: ٨٨].

قال ابن كثير -رحمه الله- (٣ / ٤١٦) في تفسير قوله -تعالى-: ﴿الذي أتقن كل شيء﴾؛ أي: أتقن كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع.

فالله تبارك و تعالى هو المنفرد بالخلق وحده وما جاء في الأحاديث الصحيحة من إضافة الخلق إلى بعض المخلوقين كقوله عليه الصلاة و السلام: «من صور صورةً كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً». أخرجه البخاري ومسلم.

وفي رواية عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» البخاري ومسلم.

وفي الحديث عن النبي ﷺ الذي يرويه عن ربه -عز وجل-: «... ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا ذرةً؛ فليخلقوا شعيرة»، البخاري.

فخلق غير الله سبحانه خلقٌ ناقصٌ محدود يتناسب مع ضعفهم وعجزهم فهم لا يستطيعون أن يوجدوا من العدم أو يحيوا ميتاً.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله-: «إنّ غير الله -تعالى- لا يخلق كخلق الله؛ فلا يمكنه إيجاد معدوم ولا إحياءُ ميت، وإنما خلق غير الله -تعالى- يكون بالتغيير، وتحويل الشيء إلى صفةٍ أخرى وهو مخلوقٌ لله -عز وجل- فالمصور إذا صور صورةً فإنه لم يحدث شيئاً غاية ما هنالك أنه حول شيئاً إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل، وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة، فالمداد هو من خلق الله -عز وجل- والورقة البيضاء من خلق الله -عز وجل- هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله -عز وجل- وإثباتُ الخلق بالنسبة إلى المخلوق، وعلى هذا يكون الله -عز وجل- منفرداً بالخلق الذي يختص به»[1].

قلت: فالله -تبارك وتعالى- هو الخالق الحقيقي لكل شيء وما سواه فمخلوق مربوب، قال عليه الصلاة والسلام: «إنّ الله تعالى خالق كل صانع وصنعته».

«صحيح الجامع» (رقم ١٧٧٧).

واتقان خلقه وإتمامه وإيجاده على أحسن

(١) «مجموعة فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» (٢ / ٩).

صورة وأكمل هيئة يشمل كل شيء.

٢- إحسان الله -تعالى- إلى خلقه بالنعم عليهم:

فالله -تبارك وتعالى- أنعم على عباده بنعم كثيرةٍ منّةً منهُ وفضلاً على عباده، فمن ذلك:

١- نعمة الدين، وهي أعظم نعمةٍ حيث أنزل الله الكتب على رسله ليرشدوا خلقه إلى عبادته وحده لا شريك له، قال سبحانه ممتناً على عباده: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[المائدة: ٣].

فمن عبد ربّه وحدَه لا شريك له، وأطاع رسله واتبع شرعه، كان من أهل الجنة ومن خالف؛ فكفر، ولم يعبد الله -جل وعلا- كان من أهل النار.

قال سبحانه: **﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهين﴾**[النساء: ١٣-١٤].

٢- الأنعام والخيل والبغال والحمير التي خلقها الله سبحانه لينتفع بها ومنها:

قال -سبحانه-: **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوفٌ رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق ما لا تعلمون﴾**[النحل: ٥-٨].

وقال سبحانه: **﴿وإن لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾**[النحل: ٦٦].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية (٢ / ٦٣٣): «وقوله -جل وعلا-: ﴿من بين فرثٍ ودم لبناً خالصاً﴾؛ أي: يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته، ما بين فرثٍ ودم في باطن الحيوان؛ فيسري كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته، فيصرف منه دمٌ إلى العروق، ولبنٌ إلى الضرع، وبولٌ إلى المثانة، وروثٌ إلى المخرج وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجهُ بعد انفصاله عنه ولا يتغير به.

ونعم الله كثيرةٌ لا يحصيها عدٌّ ولا يحيطُ بها أحدٌ إلا الله سبحانه.

قال -جل وعلا-: **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفارٌ﴾**[إبراهيم: ٣٤]؛ فمن شكَر نعمة الله سبحانه زادها الله عليه، ومن كفرها زالت وعذب بذلك لا محالة.

قال الله -جلا وعلا-: **﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابي**

لشديد﴾[إبراهيم: ٧].

٢- إحسان عبادة الخالق -جلَّ وعلا-:

وإحسان عبادة الله (الخالق) جل وعلا يتكون من ركنين أساسيين:

الأول: الإخلاص لله -عز وجل-.

الثاني: أداء العبادات وفق الشرع الحنيف.

واعلم يا أخي -وفقني الله وإياك إلى الحق وإلى صراط مستقيم- أن هذين الركنين لابد منهما في كل عبادة يتعبد بها المسلم ربه -جل وعلا- وهما ركنا العمل المتقبل كما يقول ابن كثير -رحمه الله- وغيره، فإذا فقد أحدهما فقد الآخر. وأدلتهما في القرآن والسنة كثيرة جداً.

١- الإخلاص:

قال سبحانه -وتعالى-: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**[البينة: ٥].

وقال سبحانه: **﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾**[الزمر: ٢].

وقال سبحانه: **﴿ألا لله الدين الخالص﴾**[الزمر: ٣].

وقال تعالى: **﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾**[الزمر: ١١].

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله...»**. [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي هريرة أنه قال: قيل: يا رسول الله من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا أحدٌ أولى منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»[البخاري].

فمن لم يخلص في عمله بل راءى الناس لم يقبل منه عمله، وعذب بذلك، وأنا أسوق هذه الرواية تحذيراً من الرياء وحضاً على الإخلاص في كل عمل؛ لأنه ركن من أركان العلم الصالح.

فعن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ.

قال: نعم؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال مما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على

(١) أي: ناتل الشام بن قيس الحزامي من أهل فلسطين، وهو تابعي (كبير قومه).

وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل؛ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار» [«صحيح مسلم»].

قال النووي -رحمه الله-: «وإدخالهم النار دليلٌ على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال» [«مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٥٠-٥١)].

٢-أداء العبادات وفق الشرع الحنيف:

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كما يقول ابن تيمية -رحمه الله تعالى- [العبودية: ص٣٨]؛ فالعبادة حتى تكون مقبولة لابد وأن تكون وفق الشرع الحنيف، فإذا لم تكن كذلك لم تقبل كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» [رواه البخاري ومسلم].

وفي رواية: قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» [رواه مسلم].

ومعنى قوله: «فهو ردٌّ»، أي: مردود على صاحبه غير مقبول.

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-: «فهذا الحديث بمنطوقه يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشرع؛ فهو مردود» «جامع العلوم والحكم» (ص٥٨).

فإحسان عبادة الخالق -جل وعلا- هو أداؤها بشروطها وأركانها وسننها وواجباتها وأوقاتها وفق لشرع الحنيف، فمن فعل فقد أحسن عبادة ربه -عزّ وجلّ-، ومن أنقص من واجباتها وسننها شيئاً انتقص من أجره بقدر ذلك، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إنّ الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها».

فإذا أخل بشيء من شروطها وأركانها بطلت صلاته، ولم يكن محسناً بل كان مسيئاً كما في حديث المسيء صلاته.

فقد روى الإمام البخاري ومسلم: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجلٌ فصلى ثم جاء، فسلم على رسول الله

ﷺ فرد رسول الله ﷺ السلام قال: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصل» فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم جاء النبي ﷺ فسلم عليه فقال رسول الله ﷺ: «وعليك السلام -ثم قال: ارجع فصلِّ فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلاث مرات»؛ فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا علمني، قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

فمن اقتدى بالنبي ﷺ في شأنه كله وامتثل أمره حيث قال -عليه السلام-: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» [البخاري ومسلم].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» [مسلم].

وكذلك في الصيام والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت عبادته مقبوله وهو من المحسنين بإذن الله -تبارك وتعالى- ،ولا شك أن المحسن أول ما يؤديه من حقوق الله -عز وجل- ما افترضه الله عليه ولا يكتفي بهذا، بل يقوم بعد الفرائض بأداء النوافل كحج النافلة وصوم النافلة والصدقة وصلاة التسابيح والضحى وقيام الليل الذي امتدح الله أهله حيث قال: ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**﴾[الذاريات: ١٧-١٨].

وقد جاء في حديث علي عن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس**» [رواه الطبراني في «الأوسط» وابن نعيم في «الحلية» والحاكم في «المستدرك»].

٣- الإحسان إلى عباد الله عز وجل:

والإحسان إلى عباد الله تعالى يشمل أمرين:

١- إيصال النفع الديني إليهم، وذلك بتعليمهم ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم برفق وحكمة ولين، وهذا يشمل تعليم الجاهلين وهداية الضالين.

٢- إيصال النفع المادي والمعنوي إليهم وذلك بالإنفاق على الفقراء والمساكين والمحتاجين وإزالة كرباتهم وتفريج همومهم بحسب قدرته وطاقته، سواءٌ أكان ذلك بماله أو بجاهه أو برأيه، قال النبي ﷺ: «**من نفّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخره والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[مسلم].



وقفات منهجية مع كتاب «لماذا أعدموني»

● بقلم: أبي عبد الباري عبد الحميد العربي الجزائري

لقد غلا بعض الكتاب كثيراً بهذا الكتاب «لماذا أعدموني» حتى جعلوه عمدتهم التي يرتكزون عليها؛ لتسويغ نقولاتهم عن سيد قطب -رحمه الله- مطلقاً، مغترين بكلمة مجملة قالها سيد في هذا الجزء السياسي (ص٦٩) حيث قال: «... ولابد إذن أن تبدأ الحركة الإسلامية من القاعدة، وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول، وتربية من يقبل هذه الدعوة وهذه المفهومات الصحيحة، تربية إسلامية صحيحة، وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية، وعدم محاولة فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الإسلامي، لأنها عرفته على حقيقته وتريد أن تحكم به» أ.هـ

قلت: وهذه كلمة حق لو وافقت الواقع وتمثلها أتباعه، ولكن جاءت قرائن في نفس الجزء توضح ما هي العقيدة والتربية التي كان يسمو إليها سيد، وهي جزماً ليست **العقيدة السلفية، ولا التربية السلفية**، وكأنّ هؤلاء البعض لم تقع عينه إلا على هذه المقولة الخيالية، وأعرض عما جاء في باقي الجزء من طامات، إما قصداً أو جهلاً، وأحلاهما مُرّ، وأهونهما شرّ؛ ليلبس على السلفيين، وصدق الله حين يقول: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾.

وإليك القرائن -ياطالب الحق والهداية-، الدالة على أن سيداً أراد من التربية والعقيدة ما بسطه في «الظلال»، و«العدالة الاجتماعية»، و«السلام العالمي والإسلام»، و«معركة الإسلام والرأسمالية»، و كذا ما جاء به المودودي في كتبه المتعددة من غير تحديد، وقبل أن جيبك -يا طالب الحق- أود أن أطلعك على كتاب: «**لماذا اعدموني**» بصورة خاطفة على جناح السرعة، حتى يسهل عليك استيعاب القرائن.

قد قرأت هذا الجزء «لماذا اعدموني» مرتين

أو أكثر، واعتمدت على الطبعة الخامسة، وكنت أظن أني أجد فيه ما زمجر به بعضهم، ولكن أقول مثل ما قال عبد الله بن المبارك: -رحمه الله- **«لو خيرت بين أن أدخل الجنة، وبين أن ألقى عبد الله بن محرر؛ لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة، فلما رأيته كانت بعرة أحب إلي منه»**[1].

واعلم يا طالب الحق والهداية: أن أول أمر لفت نظري، وأوقفني مذهولاً: أن هذا الجزء لم يبتدء فيه ناشره ولا كاتبه بالبسملة، ولا الحمد والثناء على الله فقلت: كان سيداً كتبه في حالة استنفار قصوى، أو في معركة الوغى، فحذف البسملة لرفع الأمان، وإنذار محاكميه بالسيف والسنان(!)

ثانياً: ختمه بقوله: السلام على من اتبع الهدى، وهذه التحية خاصة بالكفار وأهل الكتاب؛ كما بوب البخاري في «الأدب المفرد»: (**باب كيف يكتب إلى أهل الكتاب**). ولست أدري أقالها عن جهل، وهذا يؤيد أنه جاهل بالشريعة وأحكامها، فكيف يدعو إلى العقيدة والتربية من كان حاله هكذا، وإما قصداً، وهذه أعظم وأكبر، وفحواه أنه يكفر من حاكمه وباقي البشر، إلا النزر القليل الذي يدرب في الجبال، لمواجهة من كفر، كما سترى وتبصر.

ثالثاً: كيف يكون هذا الجزء البطاقة التي ترجح الميزان، وتطيش بباقي مآثره كـ«الظلال» و«العدالة الاجتماعية» كما زعم، وصاحبه لم يورد فيه آية ولا أثر، بل قارؤه يخيل إليه أنه يقرأ لعسكري يخطط لانقلاب في السَّحَر.

وإليك الآن القرائن التي تبين أنه على العهد القديم مستقر، وأن دعوة الرجوع ليس لها أثر، وكل ما جاء به المهرجون أمام ما ترى مندثر.

قال في (ص٧٣): «وعقب خروجي من السجن في العام الماضي حضرت إلى مصر السيدة خيرية الزهاوي بنت أخي[2] الأستاذ الشيخ أمجد الزهاوي كبير علماء العراق للاستشفاء واستشارة الأطباء، وقد حضرت عندنا تحمل إليّ تحيات وتهنئة فضيلة عمها الأستاذ أمجد، وفرحه بخروجي بعد قلقه عما كان يترامى من أخبار سوء صحتي في السجن وإشاعات موتي أحياناً، وأنه تحدث بشأني مع سيادة الرئيس عبد السلام عارف، ووجد عنده كل استعداد للتوسط لدى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر، بل إنه فكر في ذلك من نفسه

---

(١) مقدمة «صحيح مسلم» (١ / ٢٧)، و«الكامل في الضعفاء» (٤ / ١٤٥١)، و «المجروحين» لابن حبان (٢ / ٢٣).

(٢) هكذا وردت في النسخة، ولعلها «أخ» هكذا بدون ياء.

فقد كان كتابي «في ظلال القرآن» هو أنيسه في فترة اعتقاله».

وقال في (ص٧٧): «ومن نحو ستة أشهر وردت إلي رسالة مسجلة من دار الإذاعة السعودية مرفق بها تحويل بمبلغ (١٤٣ جنيهاً) على بنك بور سعيد، و ذكر في الرسالة أن هذا المبلغ هو قيمة ما أذاعته الإذاعة السعودية من أحاديث مقتبسة من كتابي «في ظلال القرآن» في شهري شعبان ورمضان ١٣٨٥هـ، وكنت قد علمت أن الإذاعة السعودية تذيع أحاديث مقتبسة من كتابي منذ سنوات، وأنها مستمرة في إذاعتها، فلما قررت هي مكافأة معينة عن فترة معينة، رأيت أن أطالبها بقيمة السابق واللاحق من الإذاعات، وهذا حقي طبيعي كمؤلف» أ.هـ

وفي (ص٨٠) تكلم عن الرسائل التي جاءته من الهند والباكستان، ومرسلها غلام أحمد والصديقي، ومما جاء في رسالة الصديقي: «بعد التهنئة أن كتابين من كتبي في طريقهما إلى المطبعة بعد مراجعة ترجمتهما إلى اللغة الأردية، وكان من قبل ترجم لي كتاب «العدالة في الإسلام» ونشره في باكستان، وإن هناك تفكيراً في ترجمة هذين الكتابين إلى اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها ويقرأ معظم المثقفين في باكستان والهند، ثم قال: إنه يأسف لأنه لم يرسل لي حتى الآن نصيب المؤلف من حصيلة كتاب «العدالة الاجتماعية» الذي نشر منذ سنوات» أ.هـ

وفي (ص٧٨): «وفي أثناء انعقاد مؤتمر المسلمين في القاهرة، في هذا العام زارني مندوب الجزائر في المؤتمر واسمه الشيخ -لم يذكر سيد اسمه، وفيه طالب مندوب الجزائر من سيد أن يكتب له كتاباً مختصراً لمواجهة النظام الشيوعي في الجزائر. . . فقلت له: إن لي ثلاثة كتب في هذا الموضوع، وهي: «العدالة الاجتماعية في الإسلام» ،«السلام العالمي في الإسلام» و«معركة الإسلام والرأسمالية» وأن للأستاذ المودودي كذلك كتباً في الموضوع، ورسمتها له» أ.هـ

قلت: الحمد لله الذي لم يأخذ مندوب الجزائر هذه الكتب، لأنه رجع قبل أن يكتب له المذكرة ،كما قال سيد، وعجيب أمر مندوب الجزائر[1] فر من المطر فجاء تحت الميزاب!!!

فأين ما عاد منه سيد وآد؟! وهو يفتخر أن كتابه «الظلال» المكظوظ بالعقائد الباطلة

---

(١) و لكن، قد وجد فكر سيد من ينشره على أيدي «الإخوان» بقيادة محفوظ نحناح الزعيم الروحي لهم، وهو مشهور باستهزائه بالسنة المطهرة، وسخريته من أهلها وأهل الحديث؛ فقد سلت الأحداث السياسية في الثمانينات ضغنه عن صدره وقلبه، وأخرجت أدعائه وحمصت حسيكته، فعادت خطبه النارية استهزاء من جلسة=

المخالفة لما كان عليه الصحابة؛ كما يجمجم به البعض دائماً كان أنيساً لعبد السلام عارف، وأنه يشتكي الإذاعة السعودية آنذاك؛ لأنها ما أعطته حقه كما يزعم.

وأين ما آض منه وهو يحيل مندوب الجزائر على كتابة «العدالة الاجتماعية» الذي ينضح طعنًا في الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، ولم ينحصر الشر في الإحالة، بل إن هذا الكتاب ترجم إلى الأوردية والإنجليزية؛ فازداد الشر فشواً، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

والآن أريد أن أكشف للقراء الكرام عن ماهية التربية والعقيدة التي دندن حولها سيد في العبارات السالفة، والتي جعلها البعض ممن يسوّغون نقولاتهم عن سيد مطلقاً.

قسّم (سيد) جماعة الإخوان إلى فرقتين:

أولاً: الجماعة التي تعلم وتدرس في المنازل لمسك المناصب بعد قيام الدولة الإسلامية التي يزعمونها، وهل تدري ما هي الدروس التي تقدم لهذه الجماعة؟ لا يذهب عقلك إلى «صحيح البخاري» أو «صحيح مسلم» أو «تفسير ابن كثير» أو كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وسائر كتب السلف، فإن هذه المراجع العتيقة لا قيمة لها عند الإخوان ومن نسج على منوالهم، بل يعدونها كتباً محنطة أكل الدهر عليها وشرب.

إذن؛ ما هي هذه العقيدة التي دعا إليها سيد في العبارات المجملة السالفة؟ قال سيد[1] في (ص٤٨-٤٩) بعد أن أسند إليه مهمة قيادة المجموعة، وصار الرأس الذي يفكر لها: «... وقد بدأت أدرس معهم تاريخ الحركة الإسلامية، ثم مواقف المعسكرات الوثنية والملحدة و الصهيونية والصليبية، قديماً وحديثاً من الإسلام؛ مع إلمام خفيف بالأوضاع في المنطقة الإسلامية في التاريخ الحديث، منذ عهد الحملة الفرنسية، وأحياناً التعليق على الأحداث

= الاستراحة، ومن إطالة اللحية وصبغها، ومن تقصير الثياب إلى ما فوق الكعبين، حتى قال: لو كان محمد ﷺ معنا ما وسعه إلا أن يلبس البدلة، ومع هذا وغيره ما زال إلى الآن يهرف ويهزأ بما لا يعرف، ظاناً نفسه أنه يحسن صنعاً، فلاحول ولا قوة إلا بالله.

(١) ماهي العقيدة التي كان يقصدها في العبارات السابقة، فأبهمها ثم فصلها في هذه الكلمات، وهي تدور دائماً حول الحاكمية وفقه الواقع، ولم يأت في هذه الكلمات ولو إشارة لذكر معتقد السلف. فلست أدري من أين أخذ البعض رجوع سيد من هذا الجزء السياسي؟!

والأخبار والإذاعات، مع محاولة تدريبهم على تتبعها بأنفسهم... فقد كلفتهم أن يحصوا منهم أو من بعض من يختارونهم ممن وراءهم تتبع الصحف العالمية، والإذاعات، وإذا أمكن الكتب التي تصدر باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وتهتم بالإسلام وبالمنطقة الإسلامية...»[1]

ثانياً: الجماعة التي تدرب لمواجهة النظام في الوقت المناسب.

قال سيد في (ص٥٠): «..فأما التدريب فقد عرفت أنه موجود فعلا من قبل أن يلتقوا بي، ولكن لم يكن ملحوظاً فيه أن لا يتدرب إلا الأخ الذي فهم عقيدته[2]، ونضج وعيه، فطلبت منهم مراعاة هذه القاعدة، وبهذه المناسبة سألتهم عن العدد الذي تتوافر فيه هذه الشروط عندهم، وبعد مراجعة بينهم ذكروا لي أنهم حوالي السبعين، وتقرر الإسراع في تدريبهم نظراً لما كانوا يرونه من أن الملل يتسرب إلى نفوس الشباب...».

دور هذه الكتيبة بعد تسليحها وتدريبها:

بعد ما تكلم سيد عن المال والسلاح، واحتمال وقوع ضربة لـ «الإخوان»، بين مهمة هذه الكتيبة فقال (ص٥٥):

«...وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم، بإزالة رؤوس في مقدمتها: رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشل حركة مواصلات القاهرة، لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها، كمحطة الكهرباء والكباري، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري كما يجيء...» وفي (ص٦) قال سيد: «فقررنا استبعادها -تدمير الكباري والقناطر- والاكتفاء بأقل قدر ممكن من تدمير بعض المنشآت في القاهرة، لشل حركة الأجهزة الحكومية عند المتابعة، إذ أن هذا وحده هو

---

(١) والعبارات أصبحت اليوم أصلاً معتمداً لدعاة فقه الواقع، ومنه يتبين ارتباطهم بالفكر القطبي.

(٢) التي شرحها سيد في «الظلال» و«العدالة الاجتماعية» و«كتب وشخصيات»؛ لأنه لما زاره مندوب الجزائر وسأله عن كتب يواجه بها الشيوعية -والشيوعية مسألة عقدية كما لا يخفى- أرشده إلى كتبه، وكتب المودودي، لا إلى كتب السلف؛ فتنبه ولا تكن من الغافلين.

الهدف من الخطة . . .»[1].

وفي الختام نقول:

هذا هو كتاب «لماذا أعدموني»، وهذه هي التربية والعقيدة التي أناب إليها سيد في آخر حياته، فهل بقي شك عند الأتباع أن هذا الجزء المشؤوم يمثل القانون الأساسي لأفراخ الخوارج المصريين، ولا أكون كاذباً لو قلت أن كل ما فيه من خطط للقيام على الحكومات، هو نفسه الذي يطبق في بعض البلاد الإسلامية.

لقد كان ينتابني تردد في نسج هذه الأسطر، وأقول في نفسي لعل البعض ذكر أقوال سيد ليفحم بها الأتباع -ولعلهم يرجعون- ولكن ما إن وقفت على هذه الحقائق، و أنه يتكبد العناء لجمل الشباب يقتنون كتب سيد وأخيه، ثم صنفها في رتبة المواد الأساسية التي يجب أن ينشأ عليها الشباب المسلم، تبددت تلك الشكوك وزالت، وتأكدت أن هؤلاء قد تشبعوا بأفكار سيد، وصاروا من المتعذر أن يتجردوا منها، إلا أن يشاء الله وهو على كل شيء قدير، فنسأل الله لنا ولهم الهداية والسداد.

در الفرائد

• شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

يقول شيخ الإسلام بان تيمية -رحمه الله-:

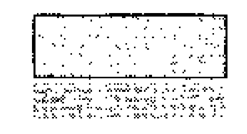
وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء؛ بل يكونون مثل الأخوة المتعاونين على البر والتقوى؛ كما قال تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾**، وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكز خان وأمثاله الذي يجعلون من وافقهم صديقاً ولياً، ومن خالفهم عدواً باغياً، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله ويفعلوا ما أمر الله ورسوله؛ فإن كان أستاذ أحد مظلوماً نصره، وإن كان ظالماً لم يعاونه على الظلم؛ بل يمنعه منه، كما ثبت في الصحيح أنه قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قيل: يا رسول الله! أنصره مظلوماً؛ فكيف ظالماً!؟ قال: «تمنعه من الظلم؛ فذلك نصرك إياه».

«مجموع الفتاوى» (٢٨ / ١٥-١٦).

---

(١) هاهي التربية التي عناها سيد من الجملة السابقة.

فالله نسأل أن يبصر شبابنا بهذه الأخطار حتى يجتنبوها، فإنها والله مهلكات مذهبة لريح المسلمين وقوتهم، وأن يرزقنا الإخلاص ومتابعة الحق، فإنه ولي ذلك والقادر عليه.



الأرقام

• بقلم: أحمد إسماعيل السبع

هناك نظرية شاعت في البلاد والعباد، مفادها أن الأرقام العربية في رَسْمها الراهن (١ ، ٢ ، ٣ . . . إلخ) هي أرقام هندية، وأن الأرقام الأجنبية (1,2,3,...etc) هي الأرقام العربية الأصلية.

وهناك دعوة إلى اعتماد الأرقام في رسمها الأجنبي في بعض البلاد العربية.

ولقد بحث مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في دورته الحادية والعشرين المنعقدة في مدينة الرياض هذا الموضوع، واتخذ القرار الآتي:

«لا يجوز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حالياً إلى رسم الأرقام المستعملة في العالم الغربي» للأسباب التالية:

أولاً: إنه لم يثبت ما ذكره دعاة التغيير من أن الأرقام المستعملة في الغرب هي الأرقام العربية، بل إن المعروف غير ذلك، والواقع يشهد له، كما أن مضي القرون الطويلة على استعمال الأرقام الحالية في مختلف الأحوال والمجالات يجعلها أرقاماً عربية.

ثانياً: إن الفكرة لها نتائج سيئة وآثار ضارة، فهي خطوة من خطوات التغريب للمجتمع الإسلامي تدريجياً، بدليل ما ورد في توصية وزراء الإعلام (في إحدى دول الخليج) بضرورة تعميم الأرقام المستخدمة في أوروبة لأسباب أساسها وجوب التركيز على دواعي الوحدة الثقافية والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي.

ثالثاً: إن هذه الفكرة ستكون ممهدة لتغيير الحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية بدل العربية ولو على المدى البعيد.

رابعاً: إن هذه الفكرة أيضاً مظهر من مظاهر التقليد للغرب واستحسان طرائقه.

خامساً: إن جميع المصاحف والتفاسير والمعاجم والكتب المؤلفة كلها تستعمل الأرقام الحالية في ترقيمها أو في الإشارة إلى المراجع، وهي ثروة عظيمة هائلة. وفي استعمال الأرقام الإفرنجية (عوضاً عنها) ما يجعل الأجيال القادمة لا تستفيد من ذلك التراث بسهولة ويسر.

سادساً: ليس من الضروري متابعة بعض البلاد العربية التي درجت على استعمال رسم الأرقام الأوروبي؛ فإن كثيراً من تلك البلاد قد عطّلت ما هو أعظم من هذا وأهم: وهو تحكيم شريعة الله كلها: مصدر العزة والسيادة والسعادة في الدنيا والآخرة فليس عملها حجة» أ.هـ

ولقد اطلع مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السابعة المنعقدة بمقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة على قرار مجلس هيئة كبار العلماء والمتضمن أنه:

«لا يجوز تغيير الأرقام العربية المستعملة حالياً إلى رسم الأرقام المستعملة في العالم الغربي»، وقرر ما يلي:

أولاً: التأكيد على مضمون القرار الصادر من مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، والمتضمن عدم جواز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حالياً برسم الأرقام الأوروبية المستعملة في العالم الغربي للأسباب المبيّنة في القرار المذكور.

ثانياً: عدم جواز قبول الرأي القائل بتعميم رسم الأرقام المستخدمة في أوروبا بالحجة التي استند إليها من قال ذلك، وذلك أن الأمة لا ينبغي أن تدع ما اصطلحت عليه قروناً طويلة لمصلحة ظاهرة وتتخلى عنه تبعاً لغيرها.

ثالثاً: تنبيه ولاة الأمور في البلاد العربية إلى خطورة هذا الأمر، والحيلولة دون الوقوع في شرك هذه الفكرة الخطيرة العواقب على التراث العربي والإسلامي أ.هـ

ويُذكر أن محاولات قامت منذ نهاية القرن الماضي لفصل المسلمين عن اللغة العربية الفصيحة -لغة القرآن- باعتماد اللهجة العامية المحكية في كتاباتهم، وبكتابة كتب العلوم والآداب والفنون بالأحرف اللاتينية الأجنبية بدلاً من الأحرف العربية، وفشلت محاولاتهم بفضل الله.

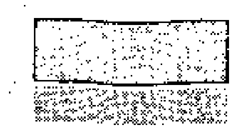
ثم أشاعت بعض الفئات والهيئات أن الأرقام التي يستعملها المسلمون -والعرب منهم- هي هندية، بحجة أن الهنود يستعملونها، ودعوا إلى استعمال الأرقام الأجنبية.

وفي الواقع فإن الناس في الباكستان وفي الهند يستعملون الأرقام العربية مثلما يستعملون الأحرف العربية في لغتهم الأوردية.

وانتشرب الشائعة، وانخدع بعض المسلمين بالحجة المضلَّة المضلِّلة، فتركوا الأرقام العربية، واستعملوا أرقام العالم الغربي.

قال رسول الله ﷺ:

«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وذراعاً بذراعٍ حتَّى لَوْ دخلُوا جُحْرَ ضبٍّ لَتَبِعْتُمُوهُمْ» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن غيرهم؟». [رواه الشيخان].



إمامان عالمان... وكلمتان حكيمتان...

• بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي

قد تغيضُ الكلمات في الصدور، وتغيبُ الألفاظُ عن السُّطور، ولا يَدْري -جرّاءَ ذلك- صاحبُ الحقِّ ماذا يفعلُ أو يقول!

جاهلٌ يستعلي بسوءِ أدبِه، وحاقدٌ يتطاولُ بظلام قلبه، وضالٌّ يستخفي بقبيح سبِّه.

ولست تدري -في هذا الخِضَمّ- من هو خَصْمُك، وماذا يريد منك -أو لك-!!

فإذاحاققْتَ واحداً (!) نفى، وتهرّب، وإذا صارحت آخرَ (!) هاج وماج! وإذا استعلمت وتثبّتَ: أنكر عليك فعلَك، ورَدَّ عليك طلبُك.

فأنت -في هذا- داخلَ سوقٍ ما هبَّ ودبّ، كلٌّ يقولُ ما يُريد؛ بلا ضوابط، ومن غير روابط... الحقُّ -هنا- ما تهواه الأنفسُ، والهُدى -هنا- ما وافق المبتغي وفِعْلَ الرّدى...

فلم أجِد -بعد ذا كُلِّه- سَلْوى حَقٍّ يَنْسَى بها أهلُ الحقِّ ظُلْم السيِّئين، أو سُوءَ الظالمين: إلاّ كلماتٍ هاديةً لإمامَيْن جليلَيْن؛ تُغنيان عن كثيرٍ من المِراءِ، وتدفعان كثيراً من الهُراءِ:

• أولاهما:

كلمةُ الإمام أبي محمد ابن حزم -رحمه الله- تعالى-، قال:

«إن النائل مني لا يخلو من أحد وجهين، لا ثالث لهما:

-إمّا أن يكون كاذباً.

- وإمّا أن يكون صادقاً.

فإن كان كاذباً؛ فلقد عجّل الله لي الانتصار منه على لسان نفسه؛ بأنْ حصل في جملة أهل الكذب! وبأن نبّه علي فضلي بأنْ نَسَبَ إليَّ ما أنا منه بريءُ العِرْض! وقد يعلم أكثر السامعين له كذبه؛

إما في وقته ذلك، وإما بعد بحثهم عما قال!!

وإنْ كان صادقاً؛ فإنّه لا يخلو من أحدٍ من ثلاثة أوجه:

- إمّا أن أكون شاركتُه في أمرٍ استرحتُ إليه استراحةَ المرءِ إلى من يُقدِّر فيه ثقةً وأمانةً! فهذا أسوأ الناس حالةً، وكفى به سقوطاً وضَعَةً.

- وإمَّا أن يكون عابني بما يَظُنُّ أنه عيب، وليس عيباً فقد كفاني جهله شأنه، وهو المعيب، لا من عاب.

- وإمّا أن يكون عابني بعيبٍ هو فيَّ على الحقيقة، وعلم مني نقصاً أطلق به لسانه؛ فإن كان صادقاً، فنفسي أحقُّ بأن ألوم منه، وأنا حينئذٍ أجدر بالغضب على نفسي مني على من عابني بالحق».

● أمّا الكلمةُ الثانية:

فللإمام محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله -تعالى-، قال:

«وكنت أتصوّر في نفسي أن هؤلاء الذين يتعصّبون عليَّ، ويَشغلون أنفسهم بذكري والحطّ عليّ -هم أحدُ رجلين:

- إمّا جاهلٌ لا يدري أنّه جاهل، ولا يهتدي بالهداية، ولا يعرف الصواب؛ فهذا لا يعبأ الله به.

- أو رجلٌ متميزٌ، له حظٌّ من علم، وحِصةٌ من فهم؛ لكنه قد أعمى بصيرته الحسدُ وذهب بإنصافه حُبُّ الجاه؛ فهذا لا ينجع فيه الدواءُ ولا تنفع عنده المحاسنةُ ولا يُؤثِّر فيه شيء.

فما زلتُ على ذلك، وأنا أجدُ المنفعةَ بما يصنعونه أكثر من المضرَّة، والمصلحة العائدة على ما أنا فيه بما هم فيه أكثر [illegible] المفسدة».

هكذا تكونُ نظرةُ أهلِ الحقِّ، وهكذا يكون صنيعُهُم، وهكذا تكونُ سلا[illegible] قلوبهم، وهكذا يكون أُنْسُ نفوسِهم

فاللهمَّ اجعلْنا راضين بالحقِّ، [illegible] قِبْلَتَنا وسبيلَنا، وادفع عنا موانعه [illegible] ردِّه؛ لنكون -حقاً- من أهلهِ [illegible]، دون مَحْضِ الدعوى بغير حَقٍّ.

﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحقِّ قل اللهُ يهدي للحقِّ أفَمَنْ يَهْدي إلى الحقِّ أحقُّ أن يُتَّبعَ أمَّن لا يَهِدِّي إلاّ أن يُهْدَى فما لكم كيف تحكمون. وما يَتَّبِعُ أكثرهم إلاّ ظنّاً إنَّ الظنَّ لا يُغني من الحقِّ شيئاً إنَّ اللهَ عليمٌ بما يفعلون﴾.

وإنّا للهِ، وإنّا إليه راجعون.



حقيقة العلم الشرعي الضروري لبناء جيل مسلم

• بقلم: فضيلة الشيخ د. صالح بن غانم السدلان

إن فضيلة الشيء وشرفه تظهر تارة من عموم منفعته، وتارة من شدة الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه، وتارة من ظهور النقص والشر بفقده، وتارة من حصول اللذة والسرور والبهجة بوجوده لكونه محبوباً ملائماً فإدراكه يعقب غاية اللذة، وتارة من كمال الثمرة المترتبة عليه، وشرف علته الغائية وإفضائه إلى أجل المطالب، وهذه الوجوه ونحوها تنشأ وتظهر من متعلقه؛ فإن كان في نفسه كمال وشرف بقطع النظر عن متعلقاته جمع جهات الشرف والفضل في نفسه ومتعلقاته. ومعلوم أن هذه الجهات بأسرها حاصلة للعلم؛ **فإنه أعم شيء نفعاً وأكثره وأدومه والحاجة إليه فوق الحاجة إلى الغذاء بل فوق الحاجة إلى التنفس**؛ إذا غاية ما يتصور من فقدهما فقد حياة الجسم. وأما فقد لعلم ففيه فقد حياة القلب والروح فلا غنى للعبد عنه طرفة عين، ولهذا إذ فقد من الشخص كان شراً من الحمير، بل كان شراً من الدواب عند الله، ولا شيء أنقص منه حينئذ، وأما حصول اللذة والبهجة بوجوده فأنه كمال في نفسه وهو ملائم غاية الملائمة للنفوس؛ فإن الجهل مرض ونقص، وهو في غاية الإيذاء والإيلام للنفس ومن لم يشعر بهذه الملائمة والمنافرة فهو لفقد حسه ونفسه[1].

والعلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها تحصيلاً وتعليماً

لا تخرج عن صنفين:

١- صنف يهتدي إليه الإنسان بفكره ويعمل فيه عقله.

٢- وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه.

والذي يعنينا إنما هو الصنف الثاني: وهو العلوم النقلية الوضعية التي تستند إلى الخبر

(١) انظر في هذا الموضوع: «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، لابن قيم الجوزية (١ / ١٠-١٠٢، و١٠٦)، و«مقدمة ابن خلدون» (ص٥٥)، و«أثر العلم في تصحيح حياة الناس» للكاتب ص: ١٤).

عن الوضع الشرعي ولا مجال للعقل فيها إلا في إلحاق الفروع في مسائلها بالأصول.

وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب و السنة.

وحاجة العباد إلى هذه العلوم ضرورية فوق حاجة أجسامهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه الإنسان في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلى العلم الشرعي بعدد الأنفاس لأن في كل نفَس من أنفاسه هو محتاج فيه إلى أن يكون مصاحباً لإيمان أو حكمة، فإن فارقه الإيمان أو الحكمة لايرجى نجاته، وليس إلى حصول ذلك سبيل إلا بالعلم.

يقول الإمام أحمد -رضي الله عنه-: الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاجون إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يُحتاج إليه كل وقت.

وقد انطلقت مسيرة التربية والتعليم في صدر الإسلام من تلك العلوم ووضعت المصنفات التي ترسم المناهج التعليمية وزخرت المكتبة الإسلامية بالمصنفات التي ترسم المناهج التعليمية، وذلك على ضوء كتاب الله -تعالى وسنة رسوله ﷺ وعلى هدي السلف الصالح من هذه الأمة، كما وضعت المصنفات في التربية والأدب والتواصل في قطاع أهل الفقه والحديث والعبادة، وقامت النهضة العلمية بقيام الإسلام وانتشرت في داره عن طريق دور العلم.

"انندفع المسلمون الأوائل ليبنوا حضارة إسلامية رائعة بالعلم الذي رسخ على قواعد من الإيمان"

واندفع المسلمون الأوائل ليبنوا حضارة إسلامية رائعة بالعلم الذي رسخ على قواعد من الإيمان ثابتة لا تتزحزح في ظرف قرنين من الزمان هما طرفة عين في أعمار الأمم.

ومع انطلاق مسيرة التربية والتعليم في صدر الإسلام تفجر الينبوع الأول للحضارة والفكر في مجال العلوم الشرعية، وأضاء بنوره وقيمه وخلقه دياجير الجاهلية المظلمة وكانت معجزة الإسلام الخالدة إنما هو كتاب انطلقت منه الشرارة الأولى للعلم وكانت أول آية فيه ﴿اقرأ﴾، ثم توالت الآيات الكثيرة التي تحض على طلب العلم والمعرفة، والنظر في ملكوت السماوات والأرض.

ومن درس الأديان السابقة على الإسلام أو قرأ كتبها. ازداد إيماناً بعظمة الإسلام في هذا الجانب.

من قرأ الأسفار في العهد القديم أو الجديد -مثلاً- لا تكاد تقع عينه إلا في القليل النادر على هذه الكلمات: العقل، والفكر، والنظر، والبرهان، والعلم، أو ما اشتق منها أو تفرع عنها أو كان له قرابة بها؛ لكن إذا قرأ القرآن وجد فيه أن كلمة «علم» وردت منكرة ومعرفة

«٨٠٠» مرة، أما مشتقاتها عليم وعلاّم ويعلم وعلم... إلخ فقد ذكرت مئات المرات، ولا غرو، فالإسلام جاء منذ آياته الأولى يعلن بدء عصر العلم والإيمان ومولده، بدءً بقوله: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾**.

وحشد القرآن ما يقرب من خمسين آية في تحريك العقل البشري وانتشاله من وهدة التقليد والتبلد، كما حشد عشرات الآيات في إيقاظ الحواس من سمع وبصر ولمس، وعشرات أخرى في إيقاظ التفكير والتفقه فضلاً عن آيات طلب البرهان والحجة والجدال بالتي هي أحسن، بل إن القرآن أضاف حقيقة في غاية الأهمية وهي أنه أطلق كلمة العلم على (الدين) كأنما يمزج بينهما في مرحلة العصر القرآني مزجاً لا فكاك له، ومن ثم **يغدو العلم والدين سواء في لغة القرآن.**

يقول القرآن الكريم مخاطباً النبي ﷺ:

﴿... ولئن اتبعت أهوائهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين﴾؛ أي: الدين.

ويقول الله عن القرآن نفسه:

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة...﴾.

فالآيات كلها تفيد أن ما أنزل الله على محمد ﷺ من دين إنما هو (العلم)، وأن القرآن مفصل على علم؛ كما تبين آية أخرى هي قوله -تعالى-: **﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله....الآية﴾**.

وهذا المزج يتجلى في أوضح صورة في التاريخ الإنساني بين العلم والإيمان.

وحسبنا أن نشير إلى أن كلمة علم بتصريفاتها المختلفة قد وردت في القرآن الكريم في أكثر من سبعمائة وخمسين آية بل قد ذكرت أكثر من ثمانمائة وأربعين موضعاً.

فإذا كان العلم هو الأساس والمنهج الذي حفظ به الإنسان رسالات السماء واختزن فيه خبرات البشر التي تساعده إن أراد النمو والارتقاء؛ فإن حضارة الإسلام كانت جديرة بالاهتمام بالعلم وتشير الآيات القرآنية بوضوح إلى أهمية العلم ومكانة العلماء.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن خير العلوم هو الذي يدلك على معرفة الله وخشيته وتقواه والإنابة إليه: **﴿ويرى الذين أتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾** [سبأ: ٦].

> **الفقه في الدين يشمل الفقه في أصول الإيمان وشرائع التفقه في العقائد ومعرفة مذاهب السلف فيها والتحقق به ظاهراً وباطناً، ومعرفة مذاهب المخالفين وبيان مخالفتها للكتاب والسنة**

وقال -تعالى-: **﴿إنما يخشى الله من**

عباده العلماء﴾[فاطر:٢٨]، أي: العالمين بالله -عز وجل- الذين قدروا الله حق قدره، فمن يتعلم ويعلم العلم الذي يقرب من الله والدار الآخرة؛ فقد أراد الله به خيراً يقول ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين».

فهذا الحديث تضمن فضائل العلم؛ فالعلم النافع علامة على سعادة العبد، وأن الله أراد به خيراً والفقه في الدين يشمل: الفقه في أصول الإيمان، وشرائع التفقه في العقائد، ومعرفة مذاهب السلف فيها، والتحقق به ظاهراً وباطناً، ومعرفة مذاهب المخالفين وبيان مخالفتها للكتاب والسنة، ويدخل فيه علم الفقه، أصوله وفروعه، وأحكام العبادات والمعاملات والجنايات وغيرها. ويدخل في ذلك أيضاً التفقه بحقائق ومعرفة السير والسلوك إلى الله الموافقه لما دل عليه الكتاب والسنة، وكذلك يدخل في هذا: تعلم جميع الوسائل المعينة على الفقه في الدين كعلوم العربية بأنواعها.

فمن أراد الله به خيراً فقهه في هذه الأمور **ووفقه لها ودل مفهوم الحديث على ان من أعرض عن هذه العلوم بالكلية؛ فإن الله لم يرد به خيراً؛ لحرمانه الأسباب التي تنال بها الخيرات، وتكتسب بها السعادة في الحياة وفي الممات؛ فالعلم هو طريق الإيمان بالله، ويمكن القطع بأن البشر يجمعون على ذلك منذ كانوا على الأرض لا يشذ منهم إلا القليل النادر، وهذا هو العلم الواجب على المسلم ان يقبل عليه ويستفتح أبوابه ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمقارب ويتطلع له ويتضلع فيه ويأخذ منه بسهم وافر.**

وحسبنا أن القرآن الكريم عندما نوه بفضل العلم وجلال العلماء إنما عنى العلماء الذين يعرفون عظمة الخالق ويقدرونه حق قدره وينظرون في ملكوته قال -تعالى-: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ [الروم:٢٢]؛ فكل ما يوثق صلة الإنسان بربه ويفتح له آمالاً أكثر وأكثر من الكشف والإدراك ويتيح له الإفادة من ذخائر الكون الخفية هو أشرف العلوم على الإطلاق، وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته.

وقد أرسى في تربية المسلم منهج العلم داعياً إلى اليقين دون الظن ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾[النجم:٢٨].

والسعي وراء البرهان والدليل: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾، وحذر من الابتعاد عن الموضوعية والحيدة واتباع هوى

النفس ﴿وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ [الأنعام:١١٩].

ولم يقبل ما نقبله في تعليمنا اليوم من التلقين والترديد والاكتفاء بأدنى مستويات المعرفة؛ فهو يربي المسلم على الرؤية العلمية، والنظرة الثاقبة، والربط والتوظيف للمعرفة، والتأكيد على أن الإنسان محور الكون؛ كل علم؛ يرتبط بسعادته وارتقائه لا بتدميره وهلاكه، وتلك هي الإنسانية العلمية في التربية الإسلامية التي تنادي بها التربية اليوم في مواجهة تحديات الاستخدام المخيف للعلم والتكنولوجيا.

وانطلاقاً من ذلك نجد أن تحصيل العلم في الإسلام للحقيقة والنفع للنفس والناس لا للمباهاة التي قد تدفع إلى الزيف أو المغنم، الذي **يمثل مظهر الانحراف عن القصد**، وقد احتضنت الحضارة الإسلامية كل نافع من حضارات الأمم السابقة إلى جانب ما جاءت به هذه الشريعة من الكمال والتمام في هذا الجانب، وقامت بتعليمه في مساجدها ومدارسها وترجمتها وأضافت إليها وطورتها.

والله -تعالى- وحده الهادي إلى سبيل العلم.

صلاح الأمة

● الإمام عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-

يقول سماحة الإمام القدوة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-:

لن يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال أهل العلم والإيمان، ومن جملتهم الإمام المشهور مالك بن أنس إمام دار الهجرة في زمانه، والفقيه المعروف، أحد الأئمة الأربعة، قال هذه المقالة، وتلقاها أهل العلم في زمانه وبعده، ووافقوه عليها جميعاً.

والمعنى: أن الذي صلح به أولها وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ، هو الذي يصلح به آخرها إلى يوم القيامة.

ومن أراد صلاح المجتمع الإسلامي، أو صلاح المجتمعات الأخرى في هذه الدنيا بغير الطريق والوسائل والعوامل التي صلح بها الأولون فقد غلط، وقال غير الحق، فليس إلى غير هذا من سبيل، وإنما السبيل إلى إصلاح الناس وإقامتهم على الطريق السوي، هو السبيل الذي درج عليه نبينا عليه الصلاة والسلام ودرج عليه صحابته الكرام، ثم أتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا، وهو العناية بالقرآن العظيم، والعناية بسنة رسول الله ﷺ، ودعوة لناس إليهما والتفقه فيهما، ونشرهما بين الناس عن علم وبصيرة وإيضاح ما دل عليه هذان الأصلان من الأحكام في العقيدة الأساسية الصحيحة.

الحلقة الثانية

رفع الحجاب

عن الفرق بين دعوة أهل السنة ودعوة أهل البدع والأحزاب

• بقلم: الشيخ أبي الحسن المأربي

• أهل السنة ينطلقون من القواعد الشرعية، ولا يطلقون لأنفسهم العِنان في التدخل في ضمائر الخلق، إنما يتعاملون مع الناس حسب الظاهر -مع الحذر إن احتاجوا لذلك- ويكلون السرائر إلى الله -عز وجل- وأما غيرهم فينطلق من العواطف الحماسية، ويتدخل في ضمائر الخلق، ويحمل الكلام الغير ما لا يحتمل.

• أهل السنة يقبلون النصح بدليله -ولو من المخالف- وغيرهم يعد النصح سبأ لأهل العلم، وربما عده تشهيراً وتشنيعاً، وأحسن أحواله أن يرده بدعوى أنه نقد ليس ببنّاء -كما يقولون- والحق ضالة المؤمن، حيثما وجدها أخذها.

• أهل السنة -وإن اختلفوا في الفهم- لم يتنافروا فيما بينهم، وغيرهم يتنافرون تنافر الغربان، وربما حقد بعضهم على بعض بل ربما لعن خلفهم سلفهم.

• السرية عند أهل السنة في حدود ما جاء في الشرع، وأما غيرهم فيكتمون حقيقة دعوتهم، حتى على العلماء خشية أن يحذروا منهم، لو أفصحوا لهم بحقيقة ما يدعون إليه، فينطبق عليهم حديث: **«الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»** رواه مسلم.

• أهل السنة لا يكفّرون فاعل المعصية -ما لم تكن كفراً أكبر- ولا يكفّرون مخالفهم في التأويل، ويعرفون آداب الخلاف، ويفرقون في ذلك بين نوع المسائل، وأحوال المخالفين، مع النظر في المصالح والمفاسد.

• أهل السنة يحبون أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً وينزلون كل واحد منهم منزلته،

بدون إفراط أو تفريط، ويكفون عما شجر بينهم، ويترضَّون عنهم جميعاً، وغيرهم من أهل البدع، يكفر الصحابة أو يفسقهم، أو يتقصهم، وينشر الكذب في مثالبهم، ويوغر الصدور على أكثر الصحابة، ومنهم من بُشر بالجنة، فالله المستعان.

● أهل السنة يحبون أولياء الله الصالحين، ويؤمنون بكراماتهم، لكن لا يدعونهم من دون الله، ولا يفزعون إليهم في الشدائد، ولا يتوسلون بجاههم ولا ذواتهم، إنما يتوسلون إلى الله بالعمل الصالح أو بدعوة الصالح من الأحياء، وغيرهم من أهل البدع والخرافات يتخبط في هذا بما لا نهاية له.

● أهل السنة لا يفتحون الباب للاستحسان بدون ضوابط شرعية لعلمهم أن هذا الباب قد زلت فيه أقدام، ولأنهم يسعون لسد ذرائع الشر، وأما غيرهم فَحَدِّث ولا حرج.

● أهل السنة يصلون وراء كل بر وفاجر من المسلمين، ويلقون السلام على من عرفوا ومن لم يعرفوا، وأهل الأهواء لا يصلون إلا وراء من كان على شاكلتهم، ولا يسلمون إلا على من وافق أهواءهم، وإن سلموا على أهل السنة لوّوا ألسنتهم، وحرفوا الكلم عن مواضعه.

● أهل السنة لا يتسرعون في رمي المخالف لهم بالضلال نحوه، ويعلمون أن الحكم على الناس عبادة، لا بد فيها من الاخلاص والمتابعة، ولا يعاملون مجازفة غيرهم بمثلها، فإنهم يعلمون أن أعراض الناس حفرة من حفر النار، **ولا يجعلون لازم قول مخالفهم قولاً له، إلا إذا التزمه ورضي به، ولا ينزلون نصوص الوعيد على المعيَّن إلا بشروط معروفة عند العلماء**، وأما غيرهم فالحكم على مخالِفه بالتشهي وبما يخدم حزبه ودعوته فبحرٌ لا ساحل له، وفي سبيل ذلك فإن الدماء والأموال والأعراض حلال -عند بعضهم أو جلّهم-، والله المستعان.

● أهل السنة يزنُونَ الرجال بمقدار تمسكهم بالحق ونصرتهم للسنة ويقولون: الحق لا يُعرف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف الرجال، وغيرهم ربما رفع الرجل لأنه خطيب مفوه، أو ناقد لاذع، أو أنه يشهِّر بالولاة، بدعوى أنه جريء في الصدع بالحق!! دون النظر إلى صحة معتقده، أو سلامة نهجه، أو المفاسد الي تترتب من وراء ذلك.

● أهل السنة لا ينكرون تأثير السحر

والسحرة، لكنهم يعتقدون أنهم لا يضرون أحداً إلا بإذن الله -عز وجل-، ويرون علاج ذلك بالرقية الشرعيّة، لا بالطلاسم البدعية الشركية.

● طلبة العلم من أهل السنة لا يردون إجماع العلماء -إذا ثبت-، وينبغي معرفة أن هناك من يتساهل في دعوى الإجماع، فيدعيها في موضع اشتهر فيه النزاع، أو يهمل قول المخالف، ويرى خلافه ليس خلافاً.

● أهل السنة يبتعدون عن التشبه بالمشركين في كل شيء -مما هو من خصائصهم-، وغيرهم ربما عدَّ ذلك تشدداً أو اشتغالاً بالقشور، فإلى الله المشتكى.

● أهل السنة يرون جواز الجرح والتعديل في كل زمان، إذا قام به من تأهل لذلك، وكان من أهل العلم والحلم وقصد بذلك الذب عن السنة ،وغيرهم يقول بسد هذا الباب، مع أنه قد فتحه لنفسه وأتباعه على مصراعيه.

● أهل السنة لا يستوحشون من قلة السالكين، ولا يغترون بكثرة الزائغين، وغيرهم يخدع بالكثرة، فيرى أن الحق مع الكثرة، ويستبعد أن يكون العدد القليل مصيباً، مع أن الله -عز وجل- قد حذّر من الاغترار بالكثرة.

● أهل السنة دعوتهم قائمة على العلم والأصالة، وغيرهم أقام دعوته على جهل وضلالة -وهم في هذا بين مقلٍّ ومستكثر-.

● أهل السنة يأخذون بالدين كله -حسب الاستطاعة الشرعية-، ولا يتركون سُنّة من أجل واجب، فضلا عن تركهم واجباً لواجب -ما أمكن الأخذ بالجميع- لأن الكل من عند الله، وبلغه رسول الله ﷺ، وتناقلته الأمة جيلاً بعد جيل، أما غيرهم فيقسم الدين إلى قشور ولُباب، ويا ليته أحسن هذا التقسيم، فيكون البلاء أخف؛ فلربما جعل الدعوة للتوحيد، والتحذير من الشرك والبدع من القشور التي لا حاجة لها، أو أنها تفرق الأمة، ولو سلمنا لهذا التقسيم، فمتى يسلم اللُّب إذا كان بدون قشر؟!

● أهل السنة يقابلون حجة الخصم بالحجة الشرعية، لأنهم واثقون من صحة دعوتهم، قال تعالى: **﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾** وإن كان الحق مع خصمهم رجعوا إليه، وأخذوا به، لأن الحق ضالتهم، أما غيرهم فإن عجز عن الدليل فزع إلى التهديد والتهويل.

● أهل السنة إذا دعوا الناس إلى الاجتماع والتعاون؛ فيعنون بذلك الاعتصام بالكتاب والسنة، والتعاون على البر والتقوى، وغيرهم إذا دعا للاجتماع فيعني بذلك التكتُّل على قواعد حزبه، والبيعة لأميره، والدعوة لنهجه، سواء وافق منهج السلف أم لا.

● أهل السنة يرون أن تفرق المسلمين إلى جماعات متناحرة متنافرة، مرض من الأمراض الخطيرة على الدعوة إلى الله ومستقبلها، فيجب علاجه أو إزالته، لأن الله عز وجل نهى عن التفرق، وأمر بالاعتصام بحبله، وغيرهم يرون أن هذه التكتلات ظاهرة صحية، فإلى الله المشتكى؛ متى كان التفرق سبيلاً للاجتماع؟!

● أهل السنة يحتكمون للدليل -بعد التأكد من سلامته-، ويحاولون إصلاح الواقع -بالحسنى- ليتفق مع الدليل، وغيرهم إذا طُلب منه الدليل على قوله أو فعله، قال: أين البديل؟! وكأنه قد جعل الواقع أصلاً، وإذا خالفه الدليل قدم الواقع، بل ربما دافع عن الواقع المخالف، فأصبح داعياً للتسويغ لا للتغيير.

● أهل السنة لا يستبطئون ثمرة جهودهم الموافقة للكتاب والسنة؛ لأنهم يعلمون أن الله -عز وجل- أمرهم بالعمل، أما النصر والثمرة فقد تكفل الله -عز وجل- بذلك، أما غيرهم، فيقول: لنا سنوات نعمل ولم نحصل على شيء، فيقع في اليأس، فيقفز إلى مناهج منحرفة، فيزيد الطين بلَّة، وهذا كله لأنه لا يرى نشر السنن وإماتة البدع نصراً، إنما النصر عنده -فقط- الوصول إلى سُدَّة الحكم.

● أهل السنة يرون الجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال، وأنه ليس مقتصراً على القتال بالسلاح، فالدعوة إلى الله -عز وجل- أعظم وانفع صورة للجهاد في هذا الوقت، ويرون أن الجهاد بالسلاح له شروط وضوابط يُرجع فيها لأحكام الشرع وبفتوى علماء الأمة، وأما غيرهم ربما قتل بعض المسلمين، أو فجّر مؤسسة أو مبنى أو نحو ذلك، وعد ذلك جهاداً، وعلماء السنة يرون ذلك فتنة، وينكرون إثارة الفتن بين المسلمين، وفي ديار الإسلام، بل ويرون أن قتال الكفار لابد من توفر شروطه، وانتفاء موانعه.

● أهل السنة يرون وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتي هي أحسن، وينظرون مع ذلك في عواقب الأمور، فإن أدى ذلك إلى منكر أكبر صبروا، أما غيرهم فربما دعا لأمر وإن هدم ؛ أموراً أقرب منه إلى الله

-عز وجل-.

● أهل السنة ينكرون المنكر بجميع صوره، ويعطون لكل منكر قدره في الإنكار -حسب الاستطاعة الشرعية -ولا يتركون النصيحة لمن يناصرهم في إزالة منكر -إذا وجدوا المجال لذلك مناسباً-، وأما غيرهم فلربما والى باطلاً ضد باطل آخر، أو أعطى أهله فوق قدرهم، مما يؤدي إلى قوة شوكة أهل الباطل، **وفرق بين الاستفادة من فاجر في نصرة الدين، وبين الترقيق من بدعته وفجوره، أو تلميع شأنه، مما يؤدي إلى تمكنه وظهوره.**

● أهل السنة لا يفرحون بعثرة المخالف وزلته، بل يدعون الله -عز وجل- له بالهداية والسداد، ولهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، الذي كان يحب هداية المشركين -فما ظنك بالمسلمين؟- وكان يدعوا لهم فيقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»، وأما غيرهم فيحب إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وربما استعمل سبق الكذب والبهتان في التشنيع، وربما حملته جاهليته على تعيير المخالف له بأبيه وأمه!!

● أهل السنة لا يعتقدون صحة أي نظام أو قانون يخالف كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ -فيما خالف فيه- **لكنهم يرون تغيير ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، ويراعون في ذلك المصالح والمفاسد، وأما غيرهم فمواقفهم متضاربة، وفتاواهم متعارضة، والله المستعان.**

● إلا أنه لا يفوتني أن أنبه على أن هذه المسائل التي ذكرتها لا يلزم منها أن من خالفنا في أي مسألة منها كان خارجاً عن أهل السنة والجماعة، أو كان من الفرق الهالكة، ... فيها بعض المسائل من هذا الصنف، وبعض... لا تنهض لإخراج المخالف من أهل السنة والجماعة، وإنما يكون بها مخالفاً لأهل السنة -وإن كان منهم في الجملة- أقول هذا د... للإفراط والتفريط معاً.

● **وأيضاً لا يفوتني أن أقول: هذه المسائل قد يخالف فيها من هو منتسب لدعوتنا من طلبة العلم، فلا نجامله ولا نحابيه لأنه قريب منا!! فإن الحق أحب إلينا من كل أحد، فالمخالف لما هو حق من هذه المسائل مخالف -وإن كان منا- لأننا لا نكيل بمكيالين، مع أن من اشتهر بالدفاع عن السنة أعلى وأجل في قلوبنا -وإن خالف- إلا أن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم.**

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الربا... فقهه وأنواعه وأحكامه

• بقلم: أبي صهيب محمد المنشاوي

لغة: هو النمو والزيادة والعلو والارتفاع.

يُقالَ: رَبا الشيءُ رَبْواً إذا زاد ونما وعَلا.

وأربيته: نميّته، ومنه قوله -تعالى-: **﴿ويُربي الصدقات﴾**[البقرة:٢٧٦]، وقوله تعالى: **﴿اهتزت وربت﴾**[الحج:٥]، قيل: معناه: عَظُمتْ وانتفخت، والربوة والرابية: ما ارتفع من الأرض، ومنه قوله -تعالى-: **﴿وآوينـاهما إلى رَبْوةٍ ذاتِ قـرارٍ ومَعين﴾**[المؤمنون: ٥٠]، والرابية بمعنى زائدة، كما في قوله: **﴿فأخذهم أخذة رابية﴾**[الحاقة:١٠]، وأربى الرجل: دخل في الربا(١).

اصطلاحاً:

هو زيادة مال متعارف عليها، تؤخذ ربحاً على أصل المال بلا مقابل عند مبادلة مال ربوي بجنسه، ويطلق الربا على كل بيع محرم، وعلى كل عمل محرم.

والربا الذي عليه عرف الشرع شيئان: تحريم النَّساء، والتفاضل في العقود والمطعومات على ما نبيّنه، وغالبه ما كانت العرب تفعله، من قولها للغريم: أتَقْضي أم تُرْبي؟ فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه. وهذا كله محرّم باتفاق الأمة»(٢).

وعقد الرّبا: «عقد فيه فضل، القبض فيه مفيد للمالك الفاسد».

وفي تعريف آخر: «فضلٌ غير شرعي، خال عن عِوَض، شُرِطَ لأحد المتعاقدين في عقد المعاوضة»(٣).

حقيقة ربا الجاهلية، وصفة تعاملهم به:

١- أخذ الربا على الدَّين:

قال مجاهد -في الربا الذي نهى الله عنه-: «كانوا في الجاهلية يكون للرجل على

---

(١) انظر «لسان العرب» (١٤-٣٠٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٣ / ٣٤٨).

(٣) «المعجم الاقتصادي الإسلامي للشرباصي» (١٩١).

الرجل الدَّين، فيقول: لك كذا أو كذا وتؤخّر عني، فيؤخر عنه».

وقال قتادة: «إن ربا أهل الجاهلية: يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمّى، فإذا حلّ الأجلُ ولم يكن عند صاحبه قضاء، زاده وأخر عنه»[1].

وقال عطاء: «كانت ثقيف تُداين في بني المغيرة في الجاهلية فإذا حلّ الأجل قالوا: نزيدكم وتؤخرون» فَنَزَلت: ﴿لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾»[2].

يعني: أن الزيادة تكون على الثمن المؤجّل إذا لم يقض الثمن عند حلول الأجل.

٢- أخذ الربا على القرض دفعةً واحدة حين انتهاء المدة.

قال عماد الدين الطبري -المعروف بالكيا الهراسي-: «والله -تعالى- حرم الربا فمن الربا ما كانوا يعتادونه في الجاهلية من إقراض الدنانير والدراهم بزيادة»[3].

وقال أبو بكر الجصّاص:

«إنه معلوم أن ربا الجاهلية كان قرضاً مؤجلاً بزيادة مشروطة فكانت الزيادة بدلاً من الأجل فأبطله الله -تعالى-»[4].

٣- قرض بفائدة بتقسيط شهري، فإذا لم يؤدّ المدين الدين في الميعاد زادوا في مقدار مبلغ التقسيط، وأخّروا مدة الأداء.

قال ابن حجر الهيثمي -رحمه الله-:

«وربا النسيئة هو الذي كان مشهوراً في الجاهلية؛ لأن الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره؛ أي: إلى أجل على أن يأخذ منه كل شهر قدراً معيناً ورأس المال باقٍ بحاله، فإذا حلّ طالبه برأس ماله فإن تعذر عليه الأداء زاده في الحق والأجل، وتسمية هذا نسيئة مع أنه يصدق عليه ربا الفضل أيضاً؛ لأن النسيئة هي المقصودة فيه بالذات، وهذا النوع مشهور الآن بين الناس وواقع كثيراً»[5].

ومن اشتهر بالتعامل بالربا بالجاهلية:

العباس بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ وقد شارك خالد بن الوليد، كانت تجارتهما تقوم على التعامل الربوي، فكانا يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير من ثقيف، فجاء الإسلام، ولهما أموال عظيمة في الربا فأمرهم أن يأخذوا رؤوس أموالهم دون الزيادة، وقال النبي ﷺ في حجة الوداع في خُطبة يوم عرفة: «ألا كُلّ شيء من أمر الجاهلية تحت

(١) «جامع البيان في تفسير القرآن» لابن جرير (٦ / ٨).
(٢) المرجع السابق (٧ / ٢٠٤).
(٣) «أحكام القرآن» للكيا الهراسي (١ / ٢٥٤).
(٤) «أحكام القرآن» للجصاص: (٢ / ١٨٤).
(٥) «الزواجر عن اقتراف الكبائر»: (٢ / ٢٢٢).

قدميّ موضوع. . . ، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا عباس بن عبدالمطلب؛ فإنه موضوع كلّه. . .»[1][2].

وإتماماً للمقصود نتكلم على أحد نوعي الربا وهو:

١- ربا الفضل:

تعريف ربا الفضل: اختلف الأئمة في تعريف ربا الفضل؛ لاختلافهم في علّته؛ لذا فإني أختار تعريفاً شاملاً مانعاً يتمشّى مع الدليل والبرهان.

فأقول: هو بيع الشيء من الذهب والفضة، وما يلحق بهما من أوراق ومسكوكات نقدية، أو بيع كل مكيل كالبُر أو الشعير أو الذرة وما يلحق بهذه الأصناف بعلة الطُّعم بنظيره مع تفضيل -زيادة- أحد المبيعين على الآخر، أو كون أحدهما مقبوضاً في الحال والآخر مؤجلاً.

٢- بعض النصوص التي وردت بشأن ربا الفضل:

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:

«الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبرُّ بالبرِّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يداً بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء»[3].

وفي حديث عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ:

«فإذا اختلفت هذه الأصناف؛ فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»[4].

وعن معمر بن عبد الله أنه أرسل غلامه بصاع قمح فقال: بعهُ ثم اشتر به شعيراً، فذهب الغلام فأخذ صاعاً وزيادة بعض صاع فلما جاء معمراً أخبره بذلك.

فقال له معمر: لم فعلت ذلك؟! انطلق فرُدَّه ولاتأخذن إلا مثلاً بمثل؛ فإني كنت أسمع رسول الله ﷺ، يقول: **«الطعام بالطعام مثلاً بمثل»**.

قال: وكان طعامنا يومئذ الشعير، قيل له: فإنه ليس بمثله قال: إني أخاف أن يُضارع»[5].

واحتج الإمام **مالك** -رحمه الله- بهذا الحديث على أن البُرَّ والشعير صنفٌ واحد لا يجوز بيع أحدهما بالآخر متفاضلاً.

والحق الذي لا مرية فيه أن البر والشعير

---

(١) رواه الإمام مسلم (١٢١٨) وأبو داود «صحيح أبي داود» (٣٣٣٤) وغيرهما.

(٢) انظر «الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية» د.عمر المترك (ص ١٩-٢٥).

(٣) أخرجه البخاري: (٢١٧٦) بنحوه، ومسلم (١٥٨٤) واللفظ له وغيرهما.

(٤) أخرجه مسلم (١٥٨٧)، وأبو داود «صحيح أبي داود» (٣٣٥٠) بنحوه وغيرهما.

(٥) أخرجه الإمام مسلم برقم (١٥٩٢)، والإمام أحمد (٦ / ٤٠٠) وغيرهما.

صنفان يجوز التفاضل بينهما ودليله قوله، ﷺ: «**فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد**».

وقوله ﷺ في حديث عبادة بن الصامت: «**لا بأس ببيع البر بالشعير والشعير بالبر أكثرهما يداً بيد، وأما نسيئة فلا**»[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال:

جاء بلال إلى النبي ﷺ بتمر برني، فقال له النبي ﷺ «من أين هذا؟» قال بلال: كان عندي تمر رديء، فبعت منه صاعين بصاع لنطعم النبي ﷺ، فقال النبي عند ذلك: «**أوه أوه، عين الربا، لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتريه**»[2].

علة الربا:

اختلف العلماء في علة الربا على ضربين:

الأول: علة الربا في الذهب والفضة.

الثاني: علة الربا في الأصناف الأربعة.

قال **الإمام البغوي** في «شرح السنة»:

«واتفق العلماء على أن الربا يجري في هذه الأشياء الستة التي نصّ الحديث عليها، وذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا غير مقصور عليها بأعيانها، وإنما ثبت لأوصاف فيها، ويتعدى إلى كل مال توجد فيه تلك الأوصاف، ثم اختلفوا في تلك الأوصاف، فذهب قوم إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف، وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر. واختلفوا في ذلك الوصف، فقال قوم: ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية، وبه قال مالك والشافعي، وقال قوم: ثبت بعلة الوزن، وهو قول أصحاب الرأي، حتى قالوا: يثبت الربا في جميع ما يباع وزناً في العادة مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها...»[3].

وقال النووي -رحمه الله-:

«فقال أهل الظاهر: لا ربا في غير هذه الستة؛ بناء على أصلهم في نفي القياس، قال جميع العلماء -سواهم- لا يختص بالستة بل يتعدى إلى ما في معناها وهو ما يشاركها في العلة، واختلفوا في العلة التي هي سبب تحريم الربا في الستة فقال الإمام الشافعي:

«العلة في الذهب والفضة كونهما جنس الأثمان، فلا يتعدى الربا منهما إلى غيرهما

---

(1) أخرجه أبو داود «صحيح أبي داود» (٣٣٤٩) والنسائي «صحيح النسائي» (٤٢٥٤) وابن ماجه «صحيح ابن ماجه» (٢٢٥٤) وغيرهم وذكره شيخنا الألباني في «إرواء الغليل» (٥ / ١٩٦).

(2) أخرجه البخاري (٢٣١٢) واللفظ له والإمام مسلم (١٥٩٤) بنحوه وغيرهما.

(3) «شرح السنة» للإمام البغوي -كتاب البيوع- باب بيان مال الربا وحكمه (٥ / ٤٣).

من الموزونات وغيرها لعدم المشاركة.

قال: والعلة في الأربعة الباقية كونها مطعومةً فيتعدى الربا منها إلى كل مطعوم.

وأما مالك فقال في الذهب والفضة كقول الشافعي -رضي الله عنه- وقال في الأربعة: العلة فيها كونها تدخر للقوت وتصلح له فعداه إلى الزبيب لأنه كالتمر، وإلى القطنية لأنها في معنى البر والشعير.

وأما ابو حنيفة فقال:

«العلة في الذهب والفضة الوزن، وفي الأربعة الكيل، فيتعدى إلى كل موزون من نحاس وحديد وغيرهما، وإلى كل مكيل كالجصِّ والأشْنان وغيرهما. وقال سعيد بن المسيب وأحمد والشافعي في القديم: العلة في الأربعة كونها مطعومةً موزونةً أو مكيلةً بشرط الأمرين، فعلى هذا لا ربا في البطيخ والسفرجل ونحوه مما لا يُكال ولا يوزن»[1].

والراجح عندي أن الربا في الذهب والفضة يتناول الذهب والفضة وما يقوم مقامهما من الأوراق النقدية والمسكوكات وجميع المصوغات منها حلياً أو آنية أو غيرهما ويخرج ما يوزن من غيرهما كالحديد والرصاص، والنحاس وغيرها وبرهانه.

ما رواه الإمام مسلم (١٥٩٣) وغيره أن رسول الله ﷺ، بعث أخا بني عدي الأنصاري فاستعمله على خيبر، فقدم بتمر جنيب فقال له رسول الله ﷺ: «أكلُّ تمر خيبر هكذا؟» قال: لا، والله! يا رسول الله! إنا لنشتري الصاع بالصاعين من الجميع. فقال ﷺ: «لا تفعلوا، ولكن مثلاً بمثل، أو بيعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا، وكذلك الميزان».

ومحلُّ الاستدلال بهذا الحديث هو قوله ﷺ: «وكذلك الميزان»

وهذا اللفظ عام، أي في كل موزون من الذهب والفضة والنحاس وغيره ويقيده الأدلة الأُخرى كحديث عبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري:

«لا يحلُّ الذهب بالذهب والفضة بالفضة إلا وزناً بوزن»، فيكون المقصود هو أن يتساوى النقدان في الوزن لحل مبادلتهما مع اتحاد الجنس. فالميزان نفسه لا ربا فيه، فلابد إذن من حمل كلمة الميزان على ضوء الأحاديث الأُخرى، وتخصيصها بكل ما يوزن من الذهب والفضة كالآنية وغيرها.

قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله-:

«والمقصود هنا: الكلام في علة تحريم الربا في الدنانير والدراهم، والأظهر أن العلة في ذلك هو الثمنية؛ لا الوزن، كما قال جمهور العلماء ولا يحرم التفاضل في سائر الموزونات كالرصاص والحديد والحرير والقطن

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» -ط دار الفكر (١١ / ٨و٩).

والكتان..»[1]، وهذا ما ذهب إليه الإمام أحمد والإمام الشافعي في المشهور عنهما، والإمام أحمد في إحدى الروايات عنه؛ إلى أن العلة فيهما غلبة الثمنية أو جوهر الثمنية غالباً.. وقال: يشمل التبرُ المضروب والحلي، والأواني منهما، وفي تعدي الحكم إلى الفلوس إذا راجت...»[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-:

«وأما الدراهم والدنانير...وطائفة قالت: العلة فيهما الثمنية، وهذا قول الشافعي، ومالك وأحمد في الرواية الأخرى، وهذا هو الصحيح بل الصواب.

فإنهم أجمعوا على جواز إسلامهما في الموزونات من النحاس والحديد وغيرهما، فلو كان النحاس والحديد ربويين لم يجز بيعهما إلى أجل بدراهم نقداً، فإنّ ما يجري فيه الربا إذا اختلف جنسه جاز التفاضلُ فيه دون النساء[3].

قال ابن حزم -رحمه الله-:

«وكل ذي عقل يعرف: أن حكم المبيعات يختلف في البلاد أشد اختلاف، فما يوزن في بلدة يكال في أخرى: كالعسل والزيت، والدقيق، والسمن، يباع الزيت والعسل ببغداد، والكوفة وزناً، ولا يباع شيء منها بالأندلس إلا كيلاً، ويباع السمن والدقيق في بعض البلاد كيلاً، ولا يباعان عندنا إلا وزناً، والتين يباع برية كيلاً، ولا يباع بإشبيلية وقرطبة إلا وزناً، وكذلك سائر الأشياء.

ولا سبيل إلى أن يعرف كيف كان يباع ذلك على عهد رسول الله ﷺ، أصلاً، فحصل الربا لا يدري ما هو حتى يجتنب؟ وما ليس هو فيستعمل وصار الحرام والحلال في دين الله تعالى أمشاجاً مختلطين لا يعرف هذا من هذا أبداً»[4].

إذن فلفظة «وكذلك الميزان» لا تدل إلا على ما يوزن من الذهب والفضة وما يقوم مقامها فقط، والله أعلم.

أما الأصناف الأربعة البر، والشعير، والتمر، والملح فيتعدى الربا منها إلى غيرها من المطعومات وبرهانه ما أخرجه الإمام مسلم وغيره.

أن معمراً بن عبد الله قال: كنت أسمع

---

(١) «فتاوى ابن تيمية»: (٢٩ / ٤٧١).

(٢) انظر «حاشية الخرشي»: (١٣ / ٤١٢) و«المجموع للنووي: (٩ / ٤٤٥) و«المغني» و«الشرح الكبير» (٤ / ١٢٦).

(٣) «أعلام الموقعين» (٢ / ١٥٦).

(٤) «المحلى بالأثر» (٧ / ٤٢٣-٤٢٤).

رسول الله ﷺ، يقول:

«الطعام بالطعام مثلاً بمثل».

قال الدكتور عمر بن عبد العزيز المترك:

«ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن النبي ﷺ، قد رتب التماثل على اسم الطعام، وهو اسم لكل ما يؤكل... والعلة وهي الطعم، والجنس شرط، وهو ما ذهب إليه الإمام الشافعي، والرواية الثانية عن الإمام أحمد، ويترتب على ذلك أن الربا يجري في كل ما يطعم من الأقوات والإدام والحلاوات والفواكه سواء كانت مكيلة أم غير مكيلة، فيجري الربا فيما كان مكيلاً؛ كالأرز، والذرة، أو موزوناً؛ كاللحم والسمك والسمن والخضروات، وفيما ليس بمكيل ولا موزون لكنه مطعوم كالبيض والجوز ونحوهما»[1].

وقد يقال: إن معمراً -رضي الله عنه- قال عقب الحديث السابق:

«وكان طعامنا يومئذ الشعير «فهذا صريح في أن الطعام في عرفهم الشعير، وقد تقرر في الأصول: أن العرف المقارن للخطاب من مخصصات النص العام.

وأقول: إن في هذا القول نظراً، وذلك لأن طعام الناس يختلف من وقت لآخر ومن حال إلى حال.

فهذه عائشة -رضي الله عنها- تقول: «إن كنا -آل محمد ﷺ-، لنمكث شهراً ما نستوقد بنار. إن هو إلا التمر والماء»[2].

وعن أم هانئ قالت:

دخل على النبي، ﷺ، فقال:

«أعندك شيء؟ . فقلت: لا، إلا خبز يابس وخلٌ، فقال:

«هاتي، ما اقفر[3] بيتٌ من أدم فيه خلٌ»[4].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فيحتمل أن معمراً لما قال: «وكان طعامنا يومئذ الشعير «لا يعني به عهد النبي، ﷺ، إنما في عهده هو أي: بعد وفاة النبي ﷺ، لذلك بعث غلامه ليبيع البرَّ بالشعير.

والله تعالى أعلم.

---

(١) «الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية» (ص١١٥-١١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٨) بنحوه، والإمام مسلم برقم (٢٩٧٢) واللفظ له وغيرهما.

(٣) أي: ما خلا من الإدام.

(٤) أخرجه الترمذي «صحيح الترمذي» (١٩١٩) في «الشمائل المحمدية» (١٤٦) وغيرهما، وانظر «الصحيحة» برقم (٢٢٢٠).

الحور بعد الكور

• بقلم: أبي عبد الرحمن إبراهيم بن عبدالله المزروعي

إن ظاهرة الرجوع عن الالتزام بهذا الدين قد انتشرت في المسلمين، فكم من الناس يشتكي من قسوة قلبه بعد أن كان قبلُه مطمئناً بذكر الله وطاعته، وكم من الملتزمين يقول: (لا أجد لذة العبادات كما كنت اشعر بها)، وآخر يقول: (لا أتأثرُ بقراءة القرآن)، وثالث يقول: (أقع في المعصية بسهولةٍ)، وقد كان يخشاها، وكثيرون تبدوا آثارُ هذا المرض عليهم ومنها:

١- الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرّمات بل والإصرار عليها بعد أن كان يخشاها.

٢- الشعور بقسوة القلب فلا يتأثر بموعظة الموت ولا رؤية الأموات والقبور.

٣- عدم إتقان العبادات، فلا تجدُ لذّة في أداء الصلاة وتلاوة القرآن وغيرها، وتجدُ التكاسل عن الطاعات والعبادات بل وإضاعتها بسهولةٍ، بعد أن كان يحرص عليها.

٤- الغفلة عن ذكر الله، فلا يحافظ على الأذكار الشرعية بعد أن كان حريصاً عليها.

٥- احتقارُ المعروف وعدمُ الاهتمام بالحسنات القليلة بعد أن كان يحافظ عليها.

٦- الفزع والخوف عند نزول المصيبة أو حدوث مشكلة بعد أن كان قوياً ثابت الإيمان بقضاء الله وقدره.

٧- التعلقُ بالدنيا والشغف بها إلى درجة الشعور بالألم إذا فاته شيءٌ منها، بعد أن كان يتطلع إلى الآخرة وما فيها من النعيم قال -تعالى-: **﴿بل تؤثرون الحياة الدينا والآخرةُ خيرٌ وأبقى﴾**.

٨- المغالاة في الاهتمام بالنفس مأكلاً

ومشرباً وملبساً ومسكناً ومركباً، وقد كان يهتمُّ بتحسين أخلاقهِ وزيادة التزامه وتمسكه بالدّين. وآثار هذه الظاهرة كثيرةٌ جداً.

وقد تعوّذ النبي ﷺ من الحور بعد الكور؛ فعن عبد الله بن سرجس -رضي الله عنه- قال: «كان ر سول الله ﷺ إذا سافر يتعوذُ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، والحوْر بعد الكوْر..» رواه أحمد ومسلم (١٣٤٣) والأربعة إلا أبا داود وفي رواية -الترمذي «..ومن الحوْر بعد الكون..».

قال النوويُّ: «كلاهما روايتان ذكرهما خلائق من المحدثين ومن أهل اللغة وغريب الحديث» شرح مسلم (٩ / ١١٩).

فما معنى الحوّر بعد الكوْر؟

قال ابن الفارس: «الكوْر: الرجوعُ؛ فيقالُ: حار إذا رجعَ، وقال الله -تعالى-: **﴿إنه ظنَّ أن لن يحور. بلى..﴾**

والعرب تقول: الباطل حور؛ أي: رجع ونقص، ويقالُ: نعوذُ بالله من الحوْر، وهو النقصانُ بعد الزيادة»، معجم مقاييس اللغة (٢ / ١١٧).

قال ابن منظور في «لسان العرب» (٤ / ٢١٧): «وفي الحديث: نعوذ بالله من الحوْر بعد الكوْر؛ معناهُ: من النقصان بعد الزيادة، وقيل معناهُ: من فساد أمورنا بعد صلاحها..».

وفسَّره الترمذيُّ بقوله: «ومعنى قوله: «الحور بعد الكون أو الكور، وكلاهما له وجهٌ، إنما هو الرجوعُ من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية..» سنن الترمذي (٥ / ٤٩٨).

إذاً؛ فالحوْر بعد الكوْر: تغيرُ حال الإنسان من الإيمان إلى الكفر، أو من التقوى والصلاح إلى الفجور والسوء، أو من الهداية إلى الضلال؛ فهو درجاتٌ ودركات، فإذا تراجع المرء إلى الوراء يخشى عليه من سوء الخاتمة.

والمعلوم أن الأعمال بالخواتيم: فعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة، وإنه من أهل النار، وإنما الأعمالُ بالخواتيم» رواه البخاري (٦٦٠٧).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الرجل ليعملُ الزمن الطويل بعمل أهل الجنّة، ثم يُختمُ له عمله بعمل أهل الندر، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يُختمُ له عملُه بعمل أهل الجنة» مسلم (٢٦٥١) وأحمد.

هذه النصوص وغيرها تبينُ لنا أن العبرة ليست بما يعمله المرء في حياته بل بما يختمُ له ويموتُ عليه.

فالموضوع خطيرٌ جداً، ومهمٌ في غاية الأهمية: فلا يشعر أحدُنا بأنه اجتاز القنطرة ووصل إلى برّ الأمان بسبب التزامه، وأمن من الضلالة، ومن الحوْر بعد الكوْر.

فالثباتُ من الله -عز وجل- وحده، وهو -تعالى- ثبتَ نبيّهُ ﷺ، فقال -عز وجل-: **﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركنُ إليهم شيئاً قليلاً...﴾** [الإسراء: ٧٤].

ولذلك علّمنا ﷺ بأن ندعو الله -تعالى- أن يثبتنا على الدين، وكان يقول: «يا مثبت القلوب، ثبت قلوبنا على دينك» أحمد وابن ماجه، وكان كثيراً ما يقول في قسمه: «لا ومقلب القلوب» البخاري (٧٣٩١). وكان من دعائه: «اللهم يا مصرّف القلوب، صرّف قلوبنا على طاعتك..» مسلم (٢٦٥٤).

فلابد للمؤمن أن يتحسس قلبه ويعرف مرضه وسبب المرض، ويشرع في العلاج قبل أن يقسو قلبُه وتسوء خاتمتُه، فما هي أسباب الحور بعد الكوْر؟ وما هي وسائل العلاج لذلك؟

أسباب الحوْر بعد الكوْر:

١- ضعف الإيمان: هو قسوة القلب وسهولة الوقوع في المعاصي والتكاسل عن الطاعات وعدم التأثر بالقرآن والصلاة، وقلة الخوف من الله، وكثرة الجدال والمراء وعدم استشعار المسؤولية أمام الله -تعالى- وغيرها من المظاهر، وذلك بسبب الابتعاد عن الرفقة الصالحة ومجالس العلم، والانشغال بالدنيا وطول الأمل وارتكاب المحرّمات، فإذا ضعف الإيمان تغيّر حالُ المسلم من الصلاح والاستقامة إلى الضلال والانحراف، فلابد من علاج ضعيف الإيمان، وذلك بالإخلاص وتدبّر القرآن والخوف من الله -تعالى- والتوبة من الذنوب والمعاصي والخوف من سوء الخاتمة وتذكر الموت والآخرة.

٢- الابتعاد عن الأجواء الإيمانية: مجالس العلم، والمسجدُ، والقرآن والرفقة الصالحة والقُدوةُ وقيامُ الليل والأذكارُ وغيرها، فالابتعادُ عن هذه الأجواء الإيمانية يؤدي إلى التراجع والانتكاس، فإذا ابتعد المرء عن إخوانه الصالحين، فترة طويلة لسفرٍ أوْ وظيفةٍ أو نحو ذلك؛ فإنّه يفتقد الجوّ الإيماني فيضعفُ ويتراجعُ عن التزامه إذا لم يتدارك

نفسه.

قال الحسن البصري: «إخواننا أغلى عندنا من أهلينا، فأهلونا يذكروننا الدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة».

فعلى المسلم أن يحافظ على التزامه بمجاهدة نفسه على التواجد في هذه الأجواء الإيمانية.

٣- ضغط البيئة والوسط الذي يعيش فيه المسلم الملتزم: فهو يختلط بمن يتباهى بمعصيةٍ ارتكبها، وآخرُ يترنّم بألحانِ أغنية، وثالث يُدخّنُ، ورابع يقرأ مجلةً، وخامس لسانُه يغتابُ ويسبُّ ويستهزئُ بالمؤمنين فإذا حضر مجلساً أو دعوة أو وليمةً، وجد لمنكرات، ووجد أحاديث التجارة والوظيفة والأموال والاستثمارات ومشكلات الدنيا وغيرها من الأمور التي تعمقُ حب الدنيا في القلب، فيقسو القلب، ويتراجعُ عن لتزامه وصلاحه؛ وإذا ابتُلي بمالٍ أو زوجةٍ ضعيفةِ الإيمان أو أولاد مثل أمّهم، ولم يستطع الثبات زاجع وترك الصلاح والاستقامة. وإذا اختلط مع أقاربه وجيرانه وزملائه في العلم، وجد الكلمات الجارحة والسخرية الظاهرة والمبطّنة ووجد النصائح التي تصدّ عن التزامه، تراجع ونكص على عقبيه فخسر الدنيا والآخرة.

٤- ضعفُ التربية الذاتية: إذا لم يتعاهد المسلم نفسه بالرعاية والتربية والمجاهدة، تراجع وانتكس، فلابد من ساعات يخلو فيها مع الله -تعالى-، ويحاسب نفسه ويستغفر ويتوب، وساعات يقضيها في تحصيل العلم الشرعي وتعلّمه ومطالعته ومذكراته، وساعات لمبادرات فردية دعوية، وساعات لذكر الله -تعالى- وتلاوة القرآن، حتى يحافظ على التزامه.

٥- ومن أسباب الحوْر بعد الكوْر: الاستهانة بالذنوب والمعاصي:

قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميتُ القلوب
وقد يورث الذلّ ادمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخيرٌ لنفسك عصيانُها

فالذنوب واحتقارها والإصرارُ عليها والإستهانة بها من أهم أسباب التراجع والإنتكاس.

قال ابن القيم: «إن من عقوبات الذنوب أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة أو تعوقُه أو تقطعُه عن السير، هذا إذا لم تردُّه عن وجهته إلى ورائه؛ فالذنب يحجبُ الواصل ويقطع السائر وينكس الطالب، والقلبُ إنما يسيرُ

إلى الله بقوته، فإذا مرض القلب بالذنوب ضـعـفـت تلك القـوةُ التي تُسَيِّرهُ» الجـواب الكافي (ص١٤٠).

والاستهانة بالذنوب لها نتائج وخيمةٌ على المرء منها: أنها مدعاةٌ لزيادة الإثم، وأنها مما يُبعد المرء عن طريق التوبة، وأنها تدعو إلى عدم النفرة من أهلها؛ فيتهاون في صحبتهم ومجالستهم بل قد تدعوه الذنوب إلى الابتـعـاد عن أهل الصـلاح والتقـوى، وهذا وحده من أعظم أسباب التراجع والإنحراف عن الصراط المستقيم.

٦- الغـرور والإعـجـابُ بالنفس لدى بعض الملتزمين: لاشك أن حضور مجالس العلم ومرافقة الصالحين تدلُّ على وجود الخـيـر في المرء ولكن إذا دخل الغـرور والإعـجـاب إلى النفس أثر على صاحبه فيشعر بالكمال ولا يرى حاجةً في الازدياد من طرق الخـيـر والعـمـل الصـالح وإذا أعجب المرء بنفسه زال من قلبه خوف سوء الخاتمة، وأمن من الضلالة بعد الهدى، وهذا من علامة ضعف النفس وسبب من أسباب التراجع والنكوص وإذا أعجب المرء بنفسه انشغل بعيوب الآخرين وأهمل إصلاح عيوبه فلابد من معالجة النفس ودفع الغرور بالتواضع والخوف وإصلاح العيوب والتوبة.

٧- الصـديقُ والصـاحب: فالجليس له دورٌ مهمٌ في تشكيل سلوك صاحبه والتأثير عليه، فإذا كان الصديقُ يشاهد الأفلام والمجـلات الضـارة ويسـمع الأغـاني والموسيقى لابد أن يؤثر على صاحبه فقد يري تلك المخالفات منه فيجامله ولا ينكر عليه، وقد يراه مقصراً في العبادات ويترك السنن، فقد يتأثر به ويتراجع عن التزامه.

فلذلك لابد من اختيار الرفيق الصالح الذي يعينُ على طاعة الله -تعـالى- وفي الحـديث الصـحـيح: «الرجل على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل».

٨- وهناك أسبابٌ أخرى للحـوْر بعد الكوْر منها:

-ضعف الجدية في الالتزام وعدم الصبر على مشاقّه وابتلاءاته.

-طول الأمل والغلوُّ والتـشـديدُ على النفس فوق طاقتها.

-أمراض القلوب وآفاتُ اللسان.

-ضعف الشخصية والتبعيةُ للأشخاص.

-رواسب الماضي وعدمُ التلخص منها.

فما هي وسائلُ العلاج؟؟

أثناء ذكرنا لأسباب الحوْر بعد الكوّر: لا حظنا بعض وسائل العلاج لهذه الظاهرة

فضعف الإيمان علاجه تقوية الإيمان، والابتعادُ عن الأجواء الإيمانية علاجه المحافظة على هذه الأجواء الإيمانية وزيادتُها، وضغط البيئة علاجه الصبرُ، وزيادة الاستقامة واللجوءُ إلى الله -تعالى-، وضعف التربية الذاتية علاجه الاهتمامُ بالتربية الذاتية وتنظيم الوقت ومجاهدة النفس، والذنوبُ والمعاصي علاجها التوبةُ والاستغفار وعدمُ الاستهانةِ بها. وأما أمراض القلوب وآفاتُ اللسان فالعلاج التخلصُ منها والتوبةُ الصادقة، أما الصديق والصاحبُ فعلاجه اختيارُ الرفقة الصالحة والصديق الصالح.

وهناك وسائل أخرى لعلاج الحوْر بعد الكوّر منها:

١- الإخلاص والصدقُ مع الله أهم أسباب الإستقامة والصلاح:

قال ابن القيم -رحمه الله-: «إنما يجدُ المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله، أمّا منْ تركها صادقاً مخلصاً من قلبه لله فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلةٍ ليُمتحن أصادقٌ هو في تركها أم كاذبٌ، فإن صبر على تلك المشقة قليلاً استحالت لذة» الفوائد (١٩٩).

٢- الخوف من سوء الخاتمة: فالمؤمن الصادق لابد أن يخاف من سوء الخاتمة ويحذر من أسبابها، قال الله -تعالى- عن يوسف عليه السلام: ﴿..توفني مسلماً والحقني بالصالحين﴾ [يوسف: ١٠١].

وبكى سفيان الثوري ليلةً حتى الصباح فلمّا سألوه قال: «إنما أبكي خوف سوء الخاتمة» كتاب العاقبة لعبد الحق الأشبيلي (١٧٨).

قال الإمام البربهاري: «واعلمْ أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبداً، لأنه لا يدري على ما يموتُ، وبما يختَمُ له، وعلى ما يلقى الله -عزّ وجلّ-، وإن عمل كلّ عملٍ من الخير) شرح السنة(٣٩).

والخوف من سوء الخاتمة له نتائجه الكثيرة؛ فهو يدفع المرء للتسليم لله والتوجُّه له بالدعاء، وهو يدعو للاجتهاد في الطاعة وزيادة الاستقامة والصلاح وخوف التراجع والنكوص.

٣- الدعاءُ: الدعاءُ من الله -تعالى- بان يعيذنا من الحوْر بعد الكوْر، وقد مرَّ

معنا في أول البحث أن من دعائه ﷺ «..ونعوذ بك من الحوْر بعد الكوْر..» رواه أحمد ومسلم (١٣٤٣)، والترمذي والنسائي وغيرهم. وقد كان كثيراً ما يدعو: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» الترمذي وأمرنا أن نسأل الله أن يجددّ الإيمان في قلوبنا فقال رسول الله ﷺ «إن الإيمان ليخلقْ في جوف أحدكم كما يخلق الثوبُ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم» أخرجه الحاكم وهو في «السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (١٥٨٥) فعلينا من الإكثار من الدعاء.

٤- المداومة على العمل الصالح والاستكثار منه: فإن العمل الصالح الذي يداوم عليه صاحبُه هو أحبُ الأعمال لله -تعالى- كما قال ﷺ: «وأن أحبَّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قلَّ..» متفقٌ عليه.

فإذا داوم المسلم على العلم الصالح؛ فإنه يعيش في جوّ الصلاح والاستقامة والخير، فإذا أصابه الضعفُ والفتور فإن هذه الأعمال التي يداوم عليها تكون مدعاة لاستفاقتة ورجوعه وتدارك نفسه، وينبغي أن يراعي المسلم في مسألة الأعمال الصالحة أموراً منها:

المسارعة إليها والمسابقة: قال -تعالى-: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة..﴾**، والاستمرار عليها والمحافظة «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه..» البخاري (٦١٣٧). والاجتهاد فيها والإكثار منها والتنويعُ فيها حتى لا تمل النفس.

٥- قال ابن مسعود: «كان النبي ﷺ يتخوّلنا الموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا) البخاري (٦٨) فلابد للمسلم أن يأخذ نصيبه من مجالس الوعظ وكتب الرقائق والمواعظ.

٦- وهناك وسائل كثيرةٌ أخرى لعلاج ظاهرة الحوْر بعد الكوْر منها:

ذكر الله تعالى، قصَرُ الأمل، تعظيم حرمات الله، التفكر في حقارة الدنيا، محاسبة النفس، العملُ والمشاركة الدعوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ونعوذ بالله -تعالى- من الحوْر بعد الكوْر، فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك، واللهم أحسن خاتمتنا.

الدعوة السلفية

أصولها... مقاصدها... أسباب النهوض بها...

● العلاّمة المجدد شيخ الإسلام محمد ناصرالدين الألباني -رحمه الله-

أصول الدعوة السلفية قائمة كما يعلم الجميع على ثلاث دعائم:

الدعامة الأولى: القرآن الكريم، **والدعامة الثانية:** السنة الصحيحة، ويركز السلفيون في كل بلاد الدنيا على السنة الصحيحة؛ ذلك لأن السنة بإجماع أهل العلم قد دخل فيها ما ليس منها منذ أكثر من عشرة قرون، هذا أمر لا خلاف فيه؛ ولذلك فمن لمتفق عليه أيضاً أنه لابد من تصفية السنة مما دخل فيها مما ليس منها؛ ولذلك فالسلفيون تبنون أن هذا الأصل الثاني -السنة- لا ينبغي ن يؤخذ على واقعه؛ لأن فيه الضعيف الموضوع مما لا يجوز الأخذ به حتى ولا في فضائل الأعمال هذا هو الأصل الثاني وهذا تفق عليه تقريباً بين المسلمين سلفاً وخلفاً أما **الدعامة الثالثة:** وهو مما تتميز به الدعوة سلفية على كل الدعوات القائمة اليوم على وجه الأرض ما كان منها من الإسلام المقبول وما كان منها ليس من الإسلام إلا إسماً، فالدعوة السلفية تتميز بهذه الدعامة الثالثة ألا وهي إن القرآن والسنة يجب أن يُفهما على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين واتباعهم أي: القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية بنصوص الأحاديث الكثيرة المعروفة، وهذا عليه الأدلة الكافية التي تجعلنا نقطع بأن كل من يريد أن يفهم الإسلام من الكتاب والسنة بدون هذه الدعامة الثالثة فسيأتي بإسلام جديد، وأكبر دليل على ذلك الفرق الإسلامية التي تزداد في كل يوم؛ والسبب في ذلك هو عدم التزامهم هذا المنهج الذي هو كتاب وسنة رسوله وفهم السلف الصالح، لذلك نجد الآن في العالم الإسلامي طائفة نبغت من جديد طلعت علينا من مصر[1] ثم بثت أفكارها وسمومها في كثير من العالم

(١) هي جماعة «التكفير والهجرة» (الأصالة).

الإسلامي يدعون أنهم على الكتاب والسنة وما أشبه دعواهم بدعوى الخوارج تماماً؛ لأنهم أيضاً كانوا يدعون التمسك بالكتاب والسنة، **ولكنهم كانوا يفسرون الكتاب والسنة على أهوائهم لا يلتفتون إطلاقاً إلى فهم السلف الصالح خاصة الصحابة**، وأنا لقيت من هؤلاء أفراداً كثيرين وقد جادلتُ رئيساً من رؤوسهم فهو يصرح بأنه لا يعتد بتفسير الآية ولو جاء عن عشرات من الصحابة، فهو لا يقبل هذا التفسير إذا كان هو لا يراه، والذي يقول هذا القول لا يستطيع أن يقرأ آية بدون لحن وغلط وخطأ فيها، هذا هو سبب انحراف الخوارج القدامى الذين كانوا عرباً أقحاحاً فماذا نقول عن الخوارج المحدثين اليوم الذين هم إن لم يكونوا أعاجم فعلاً فهم عرب استعجموا وليسوا عجماً استعربوا؟ هذا واقعهم فهؤلاء يصرحون بأنهم لا يقبلون تفسير النص إطلاقاً إلا إذا أجمع عليه السلف هكذا يقول قائلهم تمويهاً وتضليلاً؛ فقلت له: وهل تعتقد إمكان إجماع السلف على تفسير لنص من القرآن؟

قال: لا هذا مستحيل.

قلت: إذاً أنت تريد أن تتمسك بالمستحيل أم أنت تتستر؛ فخنس، وسكت.

الشاهد: أن سبب ضلال الفرق كلها قديماً وحديثاً هو عدم التمسك بهذه الدعامة الثالثة: أن نفهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح.

المعتزلة، المرجئة، والقدرية، والأشعرية، والماتريدية وما في هذه الطوائف كلها من انحرافات سببها أنهم لم يتمسكوا بما كان عليه السلف الصالح؛ لذلك قال العلماء المحققون:

وكل خير في إتباع من سلف
وكل شر في إبتداع من خلف

هذا ليس شعر هذا كلام مأخوذ من الكتاب والسنة **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾** لماذا قال: ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين؟﴾ كان يستطيع ربنا أن يقول: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً فلم قال ويتبع غير سبيل المؤمنين؟ حتى لا يركب رأسه أحد ويقول: أنا فهمت القرآن هكذا وفهمت السنة هكذا يقال له يجب أن تفهم القرآن والسنة على طريقة السلف المؤمنين الأولين السابقين، وأيّد هذا النص من القرآن نصوص من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام كحديث الفرق «قال كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: الجماعة، وفي أخرى: «ما

أنا عليه وأصحابي»؛ لماذا وصف الفرقة الناجية بأن تكون على ما كانت عليه الجماعة؟! وهي جماعة الرسول عليه الصلاة والسلام لكي يسد الطريق على المؤولين والمتلاعبين بالنصوص.

ومثال ذلك: **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** نص صريح في القرآن: أن الله -عز وجل- يمتن على عباده المؤمنين يوم القيامة فيرون وجهه الكريم كما قال الفقيه الشاعر السلفي:

يراه المؤمنين بغير كيف

وتشبيه وضرب للمثال

قال المعتزلة: لا يمكن للعبد أن يرى ربه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

لكن أين تذهب بالآية؟ قال: الآية معناها وجوه يومئذ ناظرة إلى نعيم ربها، فقيل: أويل إلى نعيم ربها، وربنا قال إلى ربها من أين جئت بهذا؟ قال: هذا مجاز؛ لأجل ذلك أنكر ابن تيمية المجاز في القرآن؛ لأنه كان معولاً من أعظم المعاول وأقواها هدماً للعقيدة الإسلامية، هذا النص يثبت لله -عز وجل- نعمة منه على عباده أن يروه يوم القيامة فيقول هؤلاء لا يمكن.

وكذلك قوله -تعالى-: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** لا ليس سميعاً بصيراً، قيل: لمَ؟ قالوا: لأننا إذا قلنا سميع بصير شبهناه بأنفسنا، قيل: إذاً ما معنى سميع بصير؟ يعني عليم سميع لفظتان عربيتان سميع بصير يساوى عندهم عليم؛ لكن هل انتهيت من المشكلة؟ وفلان عليم في اللغة العربية تعبير لا بأس فيه، ويجوز أن نقول عن الإنسان عليم يعني مبالغة في الوصف هل يجوز أن نقول فلان عليم؟ نعم إذاً ما نقول الله عليم؛ لأنه صار في تشبيه لله بعبد الله، وهكذا عطلوا صفات الله -عز وجل- ووصل بهم الأمر أن أنكروا وجود الله سواء اعترفوا أم لم يعترفوا فذلك يلزمهم، ورحم الله ابن القيم حين يقول: «**المجسم يعبد صنماً، والمعطل -يعني المؤول- يعبد عدماً**»، ولذلك يقول هؤلاء المؤولة الذين لم يلتزموا منهج السلف الصالح في آيات الصفات وأحاديث الصفات يقولون الله لا فوق هل تجدون في القرآن الله لا فوق؟ نجد في القرآن يصف عباده: **﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾**، **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** **﴿تعرج الملائكة﴾** **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾** وإلى آخر ذلك، الله لا فوق! إذن تحت؟ لا تحت إذاً يمين؟ لا، لا يمين لا يسار لا أمام لا خلف لا داخل العالم لا خارجه إذن ماذا بقي من وجود الله؟ العدم

هذا هو العلم الذي تورط فيه كل علماء الكلام بدون إستثناء إلا من كان على منهج السلف الصالح، كل علماء الكلام لا أستثني لا أشاعرة ولا ماتريدية، إلا أفراد منهم آمنوا بما كان عليه السلف الصالح كما قال بعضهم:

ورب العرش فوق العرش لكن

بلا وصف التمكن واتصال

يعني ليس كمثله شيء؟ الله وصف نفسه بأنه على العرش استوى ورب العرش فوق العرش لكن بلا وصف التمكن واتصال، انظروا يا أخواننا الشباب -بصورة خاصة- ألا نزعم بأننا نريد أن نحقق المجتمع الإسلامي وأن نقف جبهة أمام الإلحاد والشيوعية ونحوها من الأحزاب فبم نقف أمامهم؟ أبعلم كتاب الله وحديث رسول الله على منهج السلف الصالح أم بعلم الكلام؟

لكن أقول من الخير لكم أو لبعضكم أنه لم يقرأ علم الكلام هذه حقيقة، ولا يعرف أنه قد يسمع هذا الكلام؛ فيستغرب أيوجد في المسلمين من يعتقد هذه العقيدة؟ نعم إقرأوا كتب الغزالي «إحياء علوم الدين» وبعض الرسائل الجديدة المطبوعة المنشورة اليوم باسم العقائد؛ فستجدون فيها الجحد مطبوع اليوم طبعة جديدة عصرية وأن الله لا فوق ولا تحت لا يمين لا يسار إلى آخر ذلك.

ولذلك رحم الله أحد أمراء دمشق حضر مناقشة جرت بين شيخ الإسلام ابن تيمية وأمثال هؤلاء المعطلة لما سمع كلامهم وسمع كلام ابن تيمية مستند على الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح إقتنع أن هذا هو العقيدة الصحيحة، والتفت إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: «هؤلاء -يشير إلى المشايخ- قوم أضاعوا ربهم»، كلام صحيح هؤلاء قوم أضاعوا ربهم، لماذا لا فوق لا تحت لا يمين لا يسار إلى آخره.

الشاهد في هذا المجال ما الذي أودى بعلماء المسلمين فضلاً عن طلاب العلم فضلاً عن عوام المسلمين إلى هذا الحضيض وهذا الضلال المبين؟

نحن ننصح كل المسلمين في عالم الدنيا كلها أن يضموا إلى ضرورة التمسك بالكتاب والسنة هذه الركيزة الثالثة على منهج السلف الصالح، وإلا فكل طائفة في الدنيا تقول نحن على الكتاب والسنة، أضل فرقة اليوم تنتمي للإسلام تصلي الصلوات الخمس، وتحج إلى بيت الله الحرام القاديانية مع ذلك هم ينكرون حقائق من الإسلام باسم التأويل وعدم التمسك بما كان عليه المسلمون حتى الخلف؛ لأن المسلمين جميعاً اتفقوا على أنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ فكيف جاء هؤلاء يدعون

الإسلام يقولون جاء نبي اسمه ميرزا غلام أحمد القادياني وسيأتي من بعده أنبياء كثر، وجاء أحد تلامذته، وحاول بث هذه الفكرة وقام المشايخ الحمد لله تارة بالسياط، وتارة بالصياح، وتارة بالكلام، والحمد لله كُفينا شرهم وكان لي مشاركة في المجادلة معهم كثيرة.

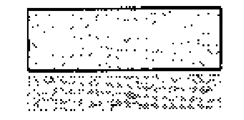
الشاهد كيف ضل هؤلاء؟ قال عليه السلام: «لا نبي بعدي» تعرفوا ما معنى لا نبي بعدي؟ زعموا: معي ما في نبي؛ لكن إذا مت يوجد نبي؛ فأولوا النص، وقالوا: ولكن رسول الله خاتم النبيين، ما معنى خاتم النبيين؟ زينة النبيين؛ فمعنى الخاتم زينة الأصبع فالرسول زينة الأنبياء وليس معناها ما يجيء بعد منه نبي لا، إذاً هل المسلمين كلهم كانوا على خطأ في فهم هذ النصوص.

والبحث كثير وطويل جداً فحسبنا الآن أصول الدعوة السلفية ثلاثة: الكتاب، والسنة الصحيحة، وعلى منهج السلف الصالح.

أما مقاصدها فلا شك أن من مقاصدها هو أن يحققوا المجتمع الإسلامي الذي به يمكن تحقيق الحكم بالإسلام لا بسواه، حكم للإسلام في غير مجتمع إسلامي ضدان لا يجتمعان.

والخلاصة: فمذهب السلف يجب التمسك به، وهو الضمان في أن يكون المسلم من الفرقة الناجية، وألا يكون من الفرق الضالة ذلك هو العصمة، ولابد من لفت النظر أخيراً إلى أننا حينما ندعو المسلمين جميعاً إلى التمسك بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح لما ذكرناه من البيانات والأدلة الصحيحة فنحن لا نكون متباعدين عنهم من أصل الإيمان بالكتاب والسنة ولكننا نحسن دعوتهم إلى الكتاب والسنة لأننا نعتقد أنهم مرضى في عقائدهم التي انحرفوا فيها عن الكتاب والسة؛ فندعوهم كما هو واجب الدعوة وهي قاعدة أساسية في كل من يريد أن يدعو إلى الإسلام ألا وهو قوله -تبارك وتعالى-: **﴿أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**.

فيجب ألا نتهاون مع هؤلاء الناس الذين انحرفو عن منهج السلف الصالح ليس فقط في كثير من الأحكام بل وفي كثير من العقائد كما ذكرنا آنفاً فيما يتعلق بالصفات ونحو ذلك؛ فنحن ندعوهم بالتي هي أحسن، ولا نباينهم ولا نفارقهم لقوله عليه الصلاة والسلام «لأن يهدي الله على يديك رجلاً أحبُ إلي من حُمر النعم».



الشيخ محمد بن عبدالله الصومالي

● بقلم: الشيخ عمر بن محمد السبيل، وحسن عبدالرحمن المعلم

الحمد لله وحده، الصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وآله وصحبه، وبعد:

فإن فضيلة الشيخ محمد عبدالله الصومالي -رحمه الله- المدرس بالمسجد الحرام، وبدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة؛ عالم جليل، ومحدث ضليع، حضرت دروسه في المسجد الحرام أوائل سني الطلب في «صحيح البخاري» وغيره في عام (١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ)، واستفدت من علمه، وحسن أدبه وخلقه، فلقد كان -رحمه الله- متمكناً في علم الحديث، ومصطلحه، وله في علم الرجال والأسانيد على وجه الخصوص قدم راسخة وباع طويل مع مشاركة حسنة في سائر العلوم الشرعية، والعربية، وقد نفع الله تعالى بتدريسه في المسجد الحرام وبدار الحديث، وتخرج عليه طلاب علم كثيرون من أنحاء العالم الإسلامي، وكان رحمه الله على جانب كبير من الصلاح والتقوى مع تواضع، ودماثة خلق، وزهد وورع وإعراض عن الدنيا، وعدم انشغال بغير العلم الشرعي، والعبادة والطاعة، حتى لقي وجه ربه، تغمده الله تعالى بواسع رحمته ورضوانه، وتقبله في عباده الصالحين، وأنزله منازل الأبرار في عليين، إنه تعالى سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

قاله الشيخ عمر بن محمد السبيل إمام المسجد الحرام.

● موطنه ونشأته:

الشيخ المحدث محمد بن عبدالله بن أحمد الصومالي يمتد نسبه إلى قبيلة أمادن أغادين في الصومال الغربي المحتلة من قبل الحبشة.

ولد الشيخ محمد بن عبدالله الصومالي في بداية هذا القرن الميلادي في العاشر أو

قريباً منه؛ لأن الشيخ قد رأى المجاهد الصومالي المعروف بسيد محمد عبدالله وهو يعقل، وقد توفي السيد محمد في (١٩١٩م).

● **رحلته للعلم:**

طلب العلم من صغره وهو في السابعة أو في الثامنة من عمره، وبدأ حفظ القرآن، وقرأ على الشيخ حسن، ثم قرأ كتاب «سفينة النجاء» في فقه الشافعي على الشيخ عبدالرحمن عول، ثم قرأ على الشيخ حاج علي تمعسي في «المنهاج» في فقه الشافعي، ثم قرأ بعده على الشيخ محمد نور حرسي في النحو «متن الآجرومية»، ثم «شرحها» للعشماوي، ثم «ملحة الإعراب» ثم «لامية الأفعال» في الصرف والمنهاج.

وبعد أن أتم الشيخ الدراسة على علماء بلده آثر الرحلة في طلب العلم اقتداء بسلفه الصالح، وكانت رحلته الأولى إلى الحبشة في منطقة (جكجكا) ومنطقة (فافن) في مسيرة عشرة أيام من بلده، وكان آنذاك في العشرين من عمره، ودرس «نظم العمريطي» على الشيخ محمد معلم حسين، ودرس «لامية الأفعال»، و«ملحة الإعراب» على الشيخ عبدالنور، و«قطر الندى» و«ألفية ابن مالك» على الشيخ أروبو، ثم قرأ علم البيان على الشيخ علي جوهر، ثم على الشيخ حسن بن الشيخ حسن ودامت رحلته إلى الحبشة حوالي عامين.

وأثناء رحلته مرض الشيخ مرضاً شديداً بسبب اختلاف الأغذية بين الصومال والحبشة ومرّضته عمته، وعندما تماثل للشفاء عزم على الرحلة وأعطته عمته ثوراً فباعه وواصل رحلته إلى جيبوتي؛ فقرأ على الشيخ علي جوهر كتاب «سفينة النجاة» ولم يكمله، ولم تطل إقامته أكثر من شهرين، فركب البحر صوب اليمن، فلعب بهم الموج حتى يأسوا من الحياة حتى حلف الشيخ ألا يركب البحر، فوصلوا إلى زبيد في اليمن فمكثوا فيها ثلاثة أشهر، فقرأ فيها كتاب «السفينة» في فقه الشافعية؛ ثم سافر إلى بلاد قطيع فجلسوا هناك شهراً يستمعون المنهاج في فقه الشافعية عند الشيخ يحيى مفتي بلاد قطيع، ثم انتقلوا إلى صنعاء فكانت دراستهم في العلوم العربية فقرؤوا «قواعد الإعراب» و«قطر الندى» و«الجوهر المكنون»، و«الألفية» و«الأشموني»، ررفضوا مذهبهم (الزيدي) وقالوا لهم: نحن شافعيون، فلم يلزموهم بقراءة مذهبهم، ثم نصحه أحد المشائخ وهو الأستاذ يحيى العيسى بقراءة علم الحديث.

فبدأ الشيخ محمد حفظ «بلوغ المرام» وحفظ منه خمسمائة حديثاً، ثم بدأ بقراءة كتاب «سبل السلام» على أحد المشائخ المشهورين وكان من شيوخه في العربية في اليمن الشيخ لطفي والشيخ علي فضة والشيخ

الكبسي.

ثم أراد الشيخ الرحلة إلى أرض مصر لطلب العلم، ولكن جاءت الحرب العالمية الثانية، فاقفلت الطرق البحرية.

ثم قابل الشيخ محمد رجلاً جاء من مكة فسأله عن مكة المكرمة فأجاب هذا الرجل بقوله: «يا محمد إن في مكة مدرسة يدرس فيها الحديث تسمى «دار الحديث» فأعجبه ذلك فسافر من صنعاء في آخر عام (١٣٥٩ هـ) مع الحجاج، وقد أوصى الإمام يحيى أمير الحج به؛ فأعطاه راحلة فكانت الرحلة شهراً من صنعاء إلى مكة، فوصل إلى مكة عام (١٣٦٠ هـ)، وسجل في دار الحديث.

وفي دار الحديث قابل الشيخ محمد حامد الفقي الشيخ محمد عبدالله وسأله من أين أتيت يا محمد؟ فقال: أتيت من الصومال لطلب الحديث الشريف؛ فتأثر كثيراً، وقال: «الخرافيون وأصحاب الطرق يأكلون ويشبعون وطلبة الحديث لا يجدون شيئاً» فأتى به إلى التكية المصرية، وكان متوليها من الأشراف، فقال: «هذا يطلب حديث جدك» فقرر له كل يوم رغيفين كبيرين من الخبز الأبيض (الفينو).

واصل الشيخ طلب العلم في «الحرم» وفي «دار الحديث»؛ فقرأ على الشيخ عبدالرزاق حمزة المصري، والشيخ أبي السمح إمام الحرم، والشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان مدرس التوحيد والحديث في المسجد الحرام، والشيخ أبي سعيد الباكستاني، والشيخ محمد سلطان المعصومي، والشيخ أبو محمد عبدالحق الهاشمي، وعلى الشيخ ابن مانع، وكان من أخص شيوخه الشيخ عبدالرزاق حمزة فدرس عليه الأمهات الستة، و«تفسير ابن كثير»، و«البداية والنهاية» ولكن لم يكمل، وكان الشيخ عبدالرزاق حمزة عندما رأى حرص الشيخ في طلب العلم كان يحترمه ويحبه أكثر من أولاده.

وكانت طريقة الشيخ عبدالرزاق في تدريسه للحديث أنه كان يقرأ السند ثم يسأل طلابه عن اسم الراوي وكنيته ولقبه فإذا لم يعرف بحثوا عنه في الكتب.

وبعد عامين من دراسته في «دار الحديث» عني مدرساً في تدريس اللغة العربيه، ومواصلاً الطلب في الحديث، وقد تخرج الشيخ من دار الحديث عام (١٩٦٥م)، ونال الإجازة العالية ودرجة مجتهد في العلوم المقررة، ثم عين مدرساً في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وتتلمذ على يديه عدد من طلبة العلم.

ثم عين مدرساً في الحرم المكي حتى عام (١٤٠٦ هـ) عندما انكسرت رجله، ولكن بقي معيناً كمدرس، وسمح له بالتدريس في بيته، وكان يدرس في بيته إلى حين وفاته.

● زهده وورعه:

كان الشيخ زاهداً ورعاً متعففاً لم يكن

يعلم من الدنيا شيئاً، وترك الدنيا بعد أن أقبلت عليه ومن الأمثلة: أنه كان يسكن في غرفة واحدة، وعندما قيل له: ألا نطلب لك غرفة أخرى؟ قال: أتريدون أن يقال الشيخ محمد طماع.

وعندما كسرت رجله وعجز عن الذهاب للتدريس في الحرم رفض أن يأخذ المكافأة التي كان يأخذها، فقال له الشيخ محمد بن عبدالله السبيل رئيس شؤون الحرمين -حفظه الله-: «إن هذا المال يأخذه البر والفاجر وأنت أحق به فمن جاءك فدرسه في بيتك».

● تلاميذه:

لقد درس على الشيخ عدد لا يحصى سواءاً كان ذلك في الدار أو في الحرم المكي أو في الجامعة الإسلامية.

وكان يواظب على حلقاته العلمية ويحضرها نخبة من العلماء الأفاضل: مثل الشيخ محمد بن عبدالله السبيل رئيس شؤون الحرمين، وإمام وخطيب المسجد الحرام، والشيخ يحيى بن عثمان المكي الهندي -من علماء الحجاز-، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي -محدث ديار اليمن- الذي وصف شيخه في كتابه «المقترح في علم المصطلح» -: «أعلم الناس بعلم الحديث في منطقة الحجاز»، والشيخ عمر بن محمد بن عبدالله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام، والشيخ أحمد ولو الحبشي، والشيخ محمد حسن الجيش.

● الذين أخذوا منه الإجازة:

هم خلق كثير ومن أشهرهم: الشيخ عبدالرحمن الحذيفي، والشيخ أحمد بن محمد بن عثمان المنيعي، والشيخ مساعد الحميد، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ محمد المدخلي، والشيخ أسامة القوصي، والشيخ وصي الله محمد عباس.

● بداية مرض موته، ووفاته:

كانت بداية مرضه الأخير في بداية شهر شعبان؛ فشعر بثقل كبير، وفي يوم السبت دعا الله كثيراً ومن دعائه: اللهم أحيني إن كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إن كانت الوفاة خيراً لي.

وفي صباح يوم الاثنين أغمي عليه، ونقل إلى المشفى ثم أفاق الشيخ في اليوم التالي، وزاره جمع غفير من طلابه، وأوصى أن يصلي عليه الشيخ محمد عبدالله السبيل، ثم أغمي عليه بعدها، وصار دأبه أن يفيق ويغمى عليه أياماً نسأل الله أن يجعل له ذلك تمحيصاً ورفعة في الدرجات.

وتوفي الشيخ محمد ليلة الأحد ٣ رمضان (١٤٢٠ هـ)، وصلي عليه ليلة الإثنين بالمسجد الحرام بعد العشاء، ودفن بمقبرة العدل بجوار أخيه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمهما الله رحمة واسعة-.



وسقطت الأقنعة

• بقلم: التحرير

الرد على أهل البدع، وكشف زيوفهم، ونقض شبههم، ممن سلم منهجه، وتوسعت مداركه، ورسخ في العلم قدمه مقصد شرعي، وراس في المراد.

ولذلك اشتد نكير أئمة السلف للبدعة، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا من فتنتهم.

ولكن جاء من يلوي لسانه باستنكار نقد الباطل زاعماً أن الردّ على هؤلاء المبتدعة يصدع الصف من الداخل، ويثير الغبار من الخارج، ويحرك الخلاف بين المسلمين.. إنه الوهن وضعف العزائم حيناً وضعف مدارك الحق ومناهج الصواب أحياناً؛ بل هو التولي يوم الزحف عن مواقع حراسة المنهج والعقيدة السلوك والذب عن دين الله ونصرة سنة رسول الله ﷺ.

قال أبو علي الدقاق: «الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق».

واضعف الإيمان أن يقال لثاني عطفه الخاذل للفرقة الناجية المنصورة: هل سكت المبطلون لنسكت؟!

أم أنهم يهاجمون المنهج والعقيدة وورثة الأنبياء على مرآى ومسمع ويطلب السكوت.

اللهم لا..

لكن.. لعل لبعض هؤلاء عذراً، فإن كثيراً من الخلوف مجمج ولم يصرح بل بعضهم تستر بدعوة أهل السنة والجماعة، وآخرون تمترسوا خلف بعض أهل العلم... وعندئذ يقال: كيف نعرف أهل البدع؟

يعرف الرجل من مدخله ومخرجه؛ فالسلفي مدخله مدخل صدق ومخرجه ومقعده كذلك، وأما البدعي فلا يمكن أن يخفي حاله فلا بد أن يظهر منه ما يدل عليه.

قال الأوزاعي: «**من ستر عنا بدعته؛ لم تخف علينا ألفته**»[1].

وقال معاذ بن معاذ: «**الرجل؛ وإن كتم رأيه، لم يخف ذاك في ابنه ولا صديقه ولا في جليسه**»[2].

فمن كان جلساؤه «**الحزبيين**»، وشيوخه «**المفكرين الحركيين**»، وأهل مودته «**الطاعنين في العلماء**»... فهل يعقل أن يكون سلفياً سنياً؟!

وختاماً: فإن هذا الصنف من المبتدعة أشد خطراً وأعظم ضرراً؛ لأنه يتلوّن حسب التضاريس.

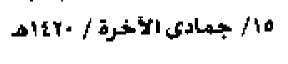
قال ابن الجوزي: «زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعرّي، أشدهم على الإسلام: أبو حيان؛ لأنهما صرحا، وهو مَجْمَج، ولم يصرح»[3].

---

(١) «الإبانة» (٤٢٠)، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٥٧).

(٢) «الإبانة» (٤٧٩).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/٢٨٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/١٢٠)، و«بغية الوعاة» (٢/١٩١).



١٥/ جمادى الآخرة / ١٤٢٠هـ

رسالة إسلامية منهجية جامعة



الأصالة

(٢٨)

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرة كل شهرين مؤقتاً

إخواننا القراء:

نرحب بكل مقال علمي رصين،
ونرغب في كل نقد هادف بنّاء

فـ (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع إلى الحق..

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة

الأردن (دينار)، الإمارات المتحدة (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية: (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠ فلس)، أوروبا: (٤ دولارات)، أمريكا: (٥ دولارات).

صف وإخراج فني: مركز القلم - هاتف ٤٣٨٠٧٤٣

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤ / ٣ / ١٣٢٨)

عنوان المراسلة

❖ الأردن:

عمان - مخيم حطين

ص. ب (٩٨)

رمز بريدي (١٣٧٨١).

تطلب (الأصالة) من

❖ الولايات المتحدة:

AL- QURAN WAS-SUNNAH SO-CIET (QSS)
19800 VAN DYKERD
Detroit MI 48234-3354
Tel: (313) 893-3768
Fax: (313) 893-3748

❖ بريطانيا وايرلندا

AL-Barakaat Salafi Bookshop
10 Field Gate - Street London
E1 1JU
Tel: 0207-3776628
Fax: 0207-2474662
Mobile: 0956-469588
E-mil: san.aani@hotmail.com
London . U.K

❖ اليمن

مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٦٢٠٢٢٧ - ٢٦٣٩١٤.

❖ الإمارات:

مكتبة الفرقان - عجمان ص. ب (٢٠٢٨٨) هاتف وفاكس (٤٤٤٤٢٥)

❖ وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.



بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ ؛ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ـ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ـ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .


محتويات العدد





أصالة «الأصالة» في موارد النزاع

● بقلم: التحرير

لقد أدركت «**الأصالة**» ـ بكتابها وأعضائها ـ أنَّ الذبَّ عن منهج السلف الصالح والمناضلة عنه من أعظم مطالب الدين ، وأنَّ الهلاك في اتباعه هو النجاة ، والألم والعذاب في مواضع الدفاع عنه هو الأمان ؛ فأجمعتْ أمرها ـ منذ صدورها ـ على ذلك ؛ فكان مدارُ مباحثها على بيان الحجةِ ، ودفع الشبهةِ .

حملت هموم الأمة وحاجتها للإصلاح والتجديد وفق قاعدةٍ علميةٍ ربانيّةٍ انطلاقاً من منهج التصفية والتربية ؛ فأبان الله بها الحق ، وأوضح بها المنهاج ، وقمع بها رؤوس أهل البدع والأحزاب .

ولهذا ما أوفى بـ «**الأصالة**» وصانها إلا من كان علمه متلقّىً من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، **وكانت طريقته في الحمد والذم، والحب والبغض بحسب الموافقة للطريقة السلفية الأثرية** .

وإنْ كان الأمر كذلك ؛ فأهل الحق الثابت يُعرَفون تارةً **بموارد النزاع** بينهم وبين **مخالفيهم من أهل الباطل** ، وتارةً بإقرار خصومهم لهم ، ورجوعهم إليهم مذعنين للحق ، وتارةً بشهادة المؤمنين لهم ، لا سيما أهل العلم منهم .

والمبصر الفهيم يعلم أن هذه الرسالة العلميّة السلفيّة تستند ـ في شرعيتها ـ على هذه الاعتبارات الثلاثة جميعاً .

لقد نازعت «**الأصالة**» ـ عبر مسيرتها على أرض الواقع ـ أفعالاً شركيةً ، وألفاظاً كفريّةً ، ومقالات بدعيّةً ، وبدعاً عمليّةً ، وأفكاراً رديّةً ، وتكتلات حزبيّةً ، وسياسات ظلميةً ، وآراءً إلحاديةً ، وشهوات فجوريّةً . . . .

لقد نازعت «**الأصالة**» جنس الباطل ، وطرائق أهله في تحسينه ؛ فما كان منها ـ بحمد الله وفضله ـ إلا الثبات ولزوم الثغر .

ومَن تكلّم فيها ـ **ممن هو غير نافع في نفسه** ـ ما تكلّم فيها إلا بسبب المواضع التي لم يتفق ـ هواه ـ فيها مع منهج السلف ؛ لسوء فهمه ، أو لسوء قصدِه ؛ وربما أفسدتِ الحزبيةُ عقلَه وقلبَه ؛ فجمع الأمرين وأربا .

فلا يضرّ «الأصالة» ـ بعد ذلك ـ كيد الحاسدين ، وانتحال المبطلين ، وتحريش الحزبيين الذين عقدوا **ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة** ؛ فهؤلاء لا للعقيدة نصروا ، ولا لأعداء الدين دفعوا ، ولا للسنّة أظهروا ، ولا للبدعة قمعوا ، ولا للفجور أنكروا ، . . . كانوا ـ ولا يزالون ـ بمقاصد الدين يتلاعبون ، ولبدعة الخوارج يُمهّدون !

ولقد أثبتت مجلتنا ـ **السنيّة الأثريّة السلفيّة** ـ أنها تمثل الأصالة الحقة ـ بإذن الله ـ عقيدةً ومنهجاً وعلماً وعملاً من خلال مسيرتها العلميّة والدعويّة والتربويّة ، ومن خلال مواقفها الثابتة رغم قلة الأنصار وضعف الموارد والإمكانيات ، ورغم تكالب الخصوم وتآمرهم (!) .

ولم تأبه **«الأصالة»** يوماً بالرويبضات أدعياء العلم والمنهاج ، الذين ينعقون هنا وهناك ـ مع أهل الأهواء والبدع ـ على اختلاف مشاربهم ، وتعدد طرائق سبلهم ، ومجهولية موارد تمويلهم ؛ حينما يطعنون بهذه الرسالة المنهجيّة السلفيّة ـ ظلماً وعدواناً ـ ويحرّضون عليها العلماء ، ويتهمونها ـ والقائمين عليها ـ بشتى ألوان التهم الشنيعة ، والألقاب الفظيعة ؛ من إرجاء ، وتبعية ، ومتاجرة . . . إلخ .

ولقد أراد بعضهم **ركوب موجة الأحداث، وإدارة مجامع الفتن** ـ لا سيما بعد غياب العلماء ـ لصرف الدعوة السلفيّة عن أهدافها ومقاصدها الكبرى إلى أمورٍ كانت حلماً لكثير من الحزبيين الخلوف ؛ بعد إذ كان شيخا السنّة العلامة ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ ، والعلامة عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ مانعين لذلك راصدين له . فما كان ـ بعد ذلك ـ إلا استهداف **«الأصالة»** ـ وهي الصحيفة العلميّة التي نشأت وترعرعت على حب الحق والحقيقة ـ لتنصرف عن مهمتها ومسؤوليتها في الدفاع عن المنهج الحق .

وهكذا أُريد منها أن تتخلى عن **(أصالتها)** لتؤدّي دوراً مشكوكاً فيه ، ربما خُطِّط له ، أو كان بإيحاءٍ من الحزبيين .

فما كان منها ـ والحمدُ لله رب العالمين ـ إلا أن تتميّز عن هذه الأدوار ، وتتجنّب هذه الأقذار ؛ لتعلن رفضها صراحةً وبوضوح ، آخذةً على نفسها العهد بوجوب لزوم ثغر السنة ، والقيام في نحور أعداء الله من كفرة ومبتدعة ، وردّ مقالتهم ، وإبطال مذهبهم ، **﴿ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقويٌ عزيزٌ﴾** .

لهذا لم يبق ـ لهؤلاء ـ إلا التشكيك بالأصالة والقائمين عليها وكُتّابها ، حين صاح قائلهم : إن **«الأصالة»** لا أصالة لها .

وهل مدار التأصيل - عند هؤلاء - لا يُبنى إلا على أساس الانحراف عن السلفية وأصولها ، ولا يُبنى إلا على شرط توجيه الطاقات ، وتسخير الإمكانيات لخدمة الاتجاهات المقموعةِ المقهورةِ التي ما خلت عن الكيد والتربّص بمنهج السلف القاهر المنصور؟! . . سبحان ربي إنّ هذا لبهتان عظيم ، وقول ظلوم . . . .

وهل فقدت «**الأصالة**» أصالتها ؛ لأنها تعلن أن الولاء لله وحده ، والاتباع لرسوله ﷺ فقط ، وأنّ الحق لا يعرف بالرجال ، وإنما بالدليل الهادي والبرهان القاطع؟

هل فقدت «**الأصالة**» أصالتها ؛ لأنها آثرت الحق على العواطف والحماسات والمجاملات على حساب الدين والعقيدة؟

هل فقدت «**الأصالة**» أصالتها ؛ لأنها أَبَتْ إلا أن تكون قراراتها نابعة من تلقاء نفسها ، لا تسير بإشارة أو بعبارة لا طمعاً ولا رهباً ؛ كشأن كثير من المجلات التي باعت أقلامها لأعداء الدين .

هل فقدت «**الأصالة**» أصالتها ؛ لأنها لا تحابي ولا تجامل - على حساب الحق - أحداً مهما سما وعلا وأُشير إليه بالبنان .

هل فقدت «**الأصالة**» أصالتها ؛ لأنها تستمد عونها ودعمها - بعد الله تعالى - من العلماء الربانيين ؛ أمثال الإمام ابن باز ، والإمام الألباني ، وفقيه الزمان ابن العثيمين ، ومَن سار على نهجهم ، وتحذّر من علماء السوء الذين يحرّفون الكَلِمَ عن مواضعه ، ويبغونها عِوَجاً في العقيدة والمنهج والسلوك .

وأخيراً ؛ فـ «**الأصالة**» باقيةٌ لا يضرّها خذلان الخاذلين ، ولا إعراض المشككين ، ولا طعن الحاقدين الحاسدين ، وحسبها تزكية أئمة الدين لها ؛ كشيخي أهل السنة والجماعة في هذا العصر : ابن باز ، والألباني - رحمهما الله - وكبار علماء الدعوة السلفية ؛ كأمثال الشيخ محمد الصالح العثيمين ، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي ، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، وكبار الدعاة إلى الله ، ومنهم فضيلة الشيخ سعد الحصين المستشار الديني - في الأردن - لرئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ؛ فها هو يقول - حفظه الله - :

«**... وهؤلاء الإخوة هم خير الدعاة . على بصيرة . في الأردن، ومن خير الدعاة على منهاج النبوة في العالم المسلم، ومجلّتهم خير المجلات الدينية . في رأيي . التزاماً بالكتاب والسنة وفقه الأئمة الأُوَل في نصوص الوحي اليقيني، والدعوة والتوحيد والسنة والتحذير من الشرك والبدعة، والبعد عن التحزّب الفكري والسياسي الذي ساهم في انحراف الدعوة إلى الله من الوحي إلى الفكر، ومن اليقين إلى الظن.**

وبما أن هذه المجلة تنتهج نهج النبوة في الدين والدعوة؛ فإنها أحقّ بالرعاية والتشجيع».

والله - تعالى - ولي التوفيق .



فأين تذهبون

● بقلم: الشيخ هشام بن فهمي العارف

قال الله - تعالى - في سورة التكوير: **﴿فأين تذهبون. إن هو إلا ذكرٌ للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم﴾**.

بعد أن فَضَحَ الله تعالى المكذّبين، وبيَّن ما فيهم من المعايب، وتطاولهم على شخص النبي ﷺ، وادعائهم أنه مجنون!! ردّ الله تعالى هذا الادعاء مرتين:

في بداية سورة القلم: **﴿ما أنت بنعمة ربِّكَ بمجنونٍ. وإنّ لك لأجراً غير ممنونٍ. وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم﴾**.

وفي آخرها: **﴿وإنْ يكادُ الذينَ كفروا ليُزلِقونكَ بأبصارهم لمَّا سَمِعُوا الذكرَ ويقولون إنَّه لمَجنُون. وما هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾**.

ثم ألزمهم الله - عز وجل - في سورة التكوير بقوله: **﴿إنَّه لقولُ رسولٍ كريمٍ. ذِي قوَّةٍ عند ذي العرش مكينٍ. مطاعٍ ثمَّ أمينٍ. وما صاحبكم بمجنون﴾**.

«وسورة التكوير مقصودها: التهديد الشديد بيوم الوعيد، الذي هو محط الرحال؛ لكونه أعظم مقام لظهور الجلال، لمن كذب بأن هذا القرآن تذكرة لمن ذكره في صحف مكرمة، بأيدي سفرة، والدلالة على حقيقة كونه كذلك بأن السفير به أمين في الملأ الأعلى، مكين المكانة فيما هنالك، والموصل له إلينا منزَّه عن التهمة بريءٌ من النقص لما يعلمونه من حاله قبل النبوة، وما كانوا يشهدون له به من الكمال في صحبته لهم المتطاولة التي نبَّهَهم بالتعليق بها على ما لا يشكون فيه من أمره، ولم يأتهم بعدها إلا بما هو شرف له، وتذكير بما في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات، وذلك كافٍ لهم في الحكم بأنه صدق، والعلم واليقين بأنه حقٌّ»[1].

ومن أجل إظهار قوة سند القرآن وجلالته، فقد:

(١) «نظم الدرر»، للبقاعي - رحمه الله -.

١) صوَّرَ الله - تعالى - يوم القيامة ، وما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كأنه رأي العين ؛ فقد ذكر الله تعالى اثني عشر شيئاً ، فقال : ﴿إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ. وإذا النجومُ انكَدَرتْ. وإذا الجبالُ سُيِّرَتْ. وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ. وإذا الوحوشُ حُشِرَتْ. وإذا البحَارُ سُجِّرَتْ. وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ. وإذا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ. وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ. وإذا السماءُ كُشِطَتْ. وإذا الجحيمُ سُعِّرَتْ. وإذا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾.

وقال : إذا وقعت هذه الأشياء ؛ فهنالك : ﴿عَلِمَتْ نَفسٌ ما أَحْضَرَتْ﴾ .

من أجل ذلك قال رسول الله ﷺ :

«من سَرَّهُ أن ينظر إلى يوم القيامة ؛ كأنه رأيُ عَيْنٍ ؛ فليقرأ : ﴿إذا الشمس كُوِّرَتْ﴾ ، ﴿إذا السماء انفَطَرَتْ﴾ ﴿وإذا السماء انشَقَّتْ﴾»[1] .

٢) ثم أقسم - الله تعالى - بالنجوم في حال خُنُوسِها ؛ أي : في حال تأخرها ، وجريانها ، وفي حال كنوسها ؛ أي : في استتارها بالنهار .

وأقسم بالليل إذا عَسْعَس ؛ أي : أدبر ، وقيل : أقبل ، وكلاهما على وجه الاشتراك صحيح .

وأقسم بالصبح إذا تنفس ؛ أي : بدت علائمه ؛ فقال تعالى : ﴿فلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ. الجَوَارِي الكُنَّسِ. واللَّيْلِ إذا عَسْعَسَ. والصبْحِ إذا تَنَفَّسَ﴾ .

فأشار إلى عيوب تلحق هذه الأشياء التي ذكرها ، والقرآن منزه عن كل شائبة نقص ؛ لأنه كلام الملك الأعلى :

﴿إنَّهُ لَقولُ رسولٍ كريمٍ﴾

أجمع أهل التفسير على أن المراد بـ(القول) : هو القرآن ، وأما المراد بـ(الرسول الكريم) : جبريل عليه السلام ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ذي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العرش مكينٍ. مُطاعٍ ثَمَّ أمينٍ. وما صاحبُكم بمَجنونٍ﴾ .

فصاحبكم هنا هو : محمد ﷺ الذي صحبهم منذ ولادته .

٣) والكرم الذي وصف به الرسول الملكي يدل على اجتماع كمالات الشيء اللائقة به ، ومن كرمه أنه يعطي أفضل العطايا ، وهو المعرفة والهدايا والرشاد ، ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ على ضبط ما أرسل به نفسه ، وعلى المدافعة للغير عن أن يدخل فيه شيئاً من نقص ، وأكَّد الله تعالى القُوَّةَ بقوله : ﴿عِنْدَ ذِي العَرْشِ﴾ أي : الملك الأعلى ؛ فجبريل مقرب عند الله ، له منزلة رفيعة وخصيصة من الله ، اختصه بها ، ﴿مَكِينٍ﴾ وله مكانةٌ عند الله فوق منازل الملائكة كلهم ؛ وهو ﴿مُطَاعٍ﴾ في الملأ الأعلى ؛ ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ؛ قال ابن كثير - رحمه الله - : وقوله تعالى : ﴿أَمِينٍ﴾ صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيمٌ جداً أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل ، كما زكّى عبده ورسوله البشريَّ محمد ﷺ بقوله : ﴿وما صَاحِبُكم بمَجْنُونٍ﴾ .

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ : فقوله تعالى : ﴿وما صاحِبُكم بمَجنونٍ﴾ بيانٌ لتتمة السند

(١) «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٠٨١) .

حيث قال : ﴿ولقدْ رآهُ بالأُفقِ المبين. وما هو على الغَيْبِ بِضَنينٍ﴾ ؛ فنفى عنه ﷺ التلقي بنفي آفة الجنون ؛ فهو في كمال العقل ، وقُوَّة الإدراك ، ومن قبل أثبت له كمال الخُلُق ﴿وَإنَّكَ لَعلَى خُلُقٍ عَظيم﴾ حين رد ادعائهم في المرة الأولى ، وأثبت له اللقيا ؛ فلم يلتبس عليه جبريل بغيره ، وهي أعلى درجات السند ؛ فاجتمع له ﷺ الكمال الخلقي ـ بضم الخاء وفتحها ـ ؛ أي : الكمال حساً ومعنىً .

وقوله تعالى : ﴿وما هو على الغَيْبِ بِضَنينٍ﴾ .

قال السعدي ـ رحمه الله ـ ؛ أي : وما هو على ما أوحاه الله إليه بشحيح ، يكتم بعضه ، بل هو ﷺ أمين أهل السماء ، وأهل الأرض ، الذي بلّغ رسالات ربه ، البلاغ المبين ، فلم يشح بشيء منه عن غني ، ولا فقير ، ولا رئيس ، ولا مرؤوس ، ولا ذكر ، ولا أنثى ، ولا حضري ، ولا بدوي ؛ ولذلك بعثه الله في أمة أمية ، جاهلة جهلاء ، فلم يمت ﷺ حتى كانوا علماء ربّانيين ، وأحباراً متفرسين ، إليهم الغاية في العلوم ، وإليهم المنتهى في استخراج الدقائق والفهوم ، وهم الأساتذة ، وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم .

ولما ذكر الله – تعالى – جلالة كتابه وفضله ، بذكر الرسولين الكريمين اللذين وصل إلى الناس على أيديهما ، وأثنى الله عليهما بما أثنى ، دفع عنه كل آفة ، ونقص ، مما يقدح في صدقه ؛ فقال : ﴿وما هو بِقولِ شَيْطانٍ رَجيم﴾ .

ونظير هذا السند في تمجيد القرآن وإثبات إتيانه من الله قوله تعالى في سورة النجم : ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكم وما غَوَى. وما يَنْطِقُ عن الهَوَى. إنْ هو إلا وَحيٌ يُوحَى. علَّمه شديدُ القُوَى. ذو مِرَّةٍ فاسْتَوى. وهو بالأُفقِ الأعلى﴾ .

وبعد هذا البيان بهذه القوة ، وبعد أن ثبت لهم سند هذا القرآن ، ومصدره ، لزمهم الأخذ به ، وإلا : ﴿فأيْنَ تَذْهَبون﴾ .

قال قتادة ـ فيما أخرجه ابن جرير بإسناد حسن ـ : «فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي؟» .

وقال الزجّاج : «فأي طريق تسلكون أبْيَنُ من هذه الطريقة التي قد بينت لكم؟» .

وقال ابن عطية : «أين المذهب عن هذه الحقائق؟» .

وقال ابن كثير : «أي : فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن ، مع ظهوره ، ووضوحه ، وبيان كونه حقاً من عند الله عز وجل؟» .

وقال الشنقيطي : «فالقرآن بمثابة من يسد على المكذبين الطريق ، فليس لنزوله على رسول الله ﷺ شبهة ، ولا تهمة ، فليس للعاقل أن يحيد عنه ، وكل ذهاب إلى غيره ؛ فطريق مسدود وضلال وهلاك» .

﴿إن هو إلا ذكْرٌ للعالمين. لمن شاء منكم أن يستَقيمَ. وما تَشاءونَ إلا أن يشاءَ اللهُ رَبُّ العالمين﴾ .

فالباب ما زال مفتوحاً ، والفرصة ما زالت متاحة ومهيأة ، ولله الحمد والمنة ، فما على العبد بعد الذكر إلا أن يستقيم على سبيل الحق ؛ فيتبعه .



من أعلام نبوّته ﷺ

● بقلم: الشيخ سليم بن عيد الهلالي

عن عمرو بن قيس السكوني قال :

خرجت مع أبي في الوفد إلى معاوية ، فسمعتُ رجلاً يحدِّث الناس يقول : «**إن من أشراط الساعة: أن ترفع الأشرار، وتوضع الأخيار، ويفتح القول، ويخزن العمل، ويقرأ بالقوم المُثَنَّاة، ليس فيهم أحدٌ ينكرها.**

قيل: وما المُثَنَّاة؟

قال: ما استُكْتِبَ سوى كتاب الله عز وجل».

قال : فحدَّثتُ بهذا الحديث قوماً ، وفيهم إسماعيل بن عبيدالله ؛ فقال : أنا معك في ذلك المجلس ، تدري من الرجل؟ قلت : لا ، قال : عبدالله بن عمرو .

صحيح ـ أخرجه الحاكم (٤/٥٥٤ ـ ٥٥٥) ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩٣/١٣) ، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (١٦٥/١٥) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٩٩) ، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» من طرق عنه .

قال **شيخنا الالباني** ـ رحمه الله ـ في «الحديث حجة بنفسه» (ص٨٠) : «وهو وإن كان موقوفاً ؛ فله حكم المرفوع ؛ لأنه من الأمور الغيْبية التي لا تقال بمجرد الرأي ، لا سيَّما وقد رفعه بعض الرواة» .

وقال في «الصحيحة» (٦/٧٧٤/ ٢٨٢١) : «وهو من حديث عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما ؛ يرويه عنه عمرو بن قيس الكندي ، رواه عنه جمع ، رفعه بعضهم ، وأوقفه بعضهم ، وهو في حكم المرفوع ؛ لأنه لا يقال بمجرد الرأي» .

غريب الحديث:

المثناة : الكتب المذهبية المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ، والقوانين الوضعية التي استبدل بها شرع الله .

قال **شيخنا** في «الصحيحة» (٦/٧٧٦) :

«وأما ما جاء في «النهاية» عقب الحديث ، وفيه تفسير «المثناة» :

وقيل : إن المثناة هي أخبار بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله ؛ فهو «المثناة» ؛ فكأنَّ ابن عمرو كره الأخذ عن أهل الكتاب ، وقد كان عنده كتبٌ وقعت إليه يوم اليرموك منهم فقال هذا لمعرفته بما فيها» .

قلت : وهذا التفسير بعيد كل البعد عن ظاهر الحديث ، وأن «المثناة» من علامات اقتراب الساعة ؛ فلا علاقة لها بما فعله اليهود قبل بعثته ﷺ ، فلا جرم أن ابن الأثير أشار إلى تضعيف التفسير بتصديره إياه بصيغة «قيل» .

وأشدُّ منه ضعفاً ما ذكره عقبه : «قال الجوهري : «المثناة» هي التي تسمَّى بالفارسية «دوبيتي» ، وهو الغناء» أ . هـ كلام شيخنا ـ رحمه الله ـ .

قال أبو أسامة الهلالي عفا الله عنه: ما استبعده شيخُنا رحمه الله صوا[ب] إذا كان المراد ما يحدث قُبيل الساعة ولكن هذا لا يتنافى أن ذلك حدث في بني إسرائيل ؛ وأن ما يقع في هذه الأمـ[ـة] هو من باب اتباع سَنَنِهم .

عن ربيع بن عميلة قال : ثنا عبدالله ما سمعنا حديثاً أحسنَ منه إلا كتاب الله عز وجل ، ورواية عن النبي ﷺ ، قال «إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فَقَسَت قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم ، استهوته قلوبهم ، واستحْلَتْه ألسنتهم ، وكان الحق يحولُ بينهم وبين كثيرٍ من شهواتهم ، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

فقالوا[١] : اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل ؛ فإن تابعوكم عليه فاتركوهم ، وإن خالفوكم . فاقتلوهم .

قال : لا بل ابعثوا إلى فلان ـ رجل من علمائهم ـ ؛ فإن تابعكم ؛ فلن يختلف عليكم بعده أحد ؛ فأرسلوا إليه ؛ فدعوه ؛ فأخذ ورقة فيها كتاب الله ، ثم أدخلها في قرن ، ثم علقها في عنقه ، ثم لَبِسَ عليه الثياب ، ثم أتاهم ؛ فعرضوا عليه الكتاب ؛

(١) في الأصل : فقال .

فقالوا : تؤمن بهذا؟ فأشار إلى صدره ـ يعني الكتاب الذي في القرن ـ فقال : آمنتُ بهذا ، ومالي لا أؤمنُ بهذا؟ فخلّوا سبيله .

قال : وكان له أصحاب يغشونه فلما حضرته الوفاة أتَوْه ، فلما نزعوا ثيابه وجدوا القرن في جوفه الكتاب ، فقالوا : ألا ترون إلى قوله آمنتُ بهذا ، ومالي لا أؤمنُ بهذا ؛ فإنما عني بهذا هذا الكتاب الذي في القرن .

قال : فاختلفت بنو إسرائيل على بضع وسبعين فرقة ، خير مللهم أصحاب أبي القرن» .

قال عبدالله : وإن من بَقي منكم سيرى منكراً ، وبحسب امرىءٍ يرى منكم منكراً لا يستطيعُ أن يغيِّره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره .

صحيح ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/٩٥-٩٦/٧٥٨٩) من طريق أبي سعيد بن الأعرابي[1] ثنا سعدان بن نصر ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة عنه به .

قال شيخنا في «الصحيحة» (٦/٤٣٦/ ٢٦٩٤) : «وهذا إسنادٌ صحيح رجاله كلهم ثقات . . . ، ولكن عندي وقفةٌ في رفعه ؛ لأنه ليس صريحاً فيه ، ولكنه على كل حال في حكم المرفوع ، والله أعلم» أ . هـ .

قلت : فقد اكْتَتَبَتْ بنو إسرائيل كتاباً سوى كتاب الله ؛ فضلوا بسببه وتفرقوا ، وهذه الأمة تتبع سننهم في التفرق وأسبابه ، والله أعلم .

❖ بصيرة:

قال شيخنا رحمه الله في «الصحيحة» (٦/٧٧٥-٧٧٦) : «فائدة : هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ ، فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء ، وبخاصة ما يتعلق بـ «المثناة» ، وهي كل ما كُتِبَ سوى كتاب الله ، كما فسره الراوي ، وما يتعلق به من الأحاديث النبوية ، والآثار السلفية ، فكأن المقصود بـ «المثناة» الكتب المذهبية المفروضة على المقلِّدين التي صرفتهم مع تطاول الزمن عن كتاب الله ؛ وسنة رسوله ﷺ كما هو مشاهدٌ اليوم مع الأسف من جماهير المُتَمَذهبين ، وفيهم كثير من الدكاترة والمتخرجين من كليات الشريعة ، فإنهم

(١) وقال شيخنا في «الصحيحة» (٦/٤٣٧) : «وأبو سعيد بن الأعرابي حافظ ثقة مشهور ، ترجمه الحافظ في «التذكرة» ، وله مصنفات منها : «المعجم» ، منه نسخة خطية في المكتبة الظاهرية ، ولعل هذا الحديث فيه ؛ فليراجع ؛ فإنه الآن بعيد عن متناول يدي» .

قلت : راجعت «المعجم» لابن الأعرابي المخطوط «نسخة الظاهرية» ، والمطبوع : الكاملة والناقصة ، فلم أجد الحديث .

جميعاً يتدينون بالتمذهب ، ويوجبونه على الناس حتى العلماء منهم ، فهذا كبيرهم أبو الحسن الكرخي الحنفي يقول كلمته المشهورة : «كل آية تخالفُ ما عليه أصحابنا ؛ فهي مؤولة أو منسوخة ، وكل حديث كذلك ؛ فهو مؤول أو منسوخ» فقد جعلوا المذهب أصلاً ، والقرآن تبعاً ، فلذلك هو «المثناة» دون ما شك أو ريب» .

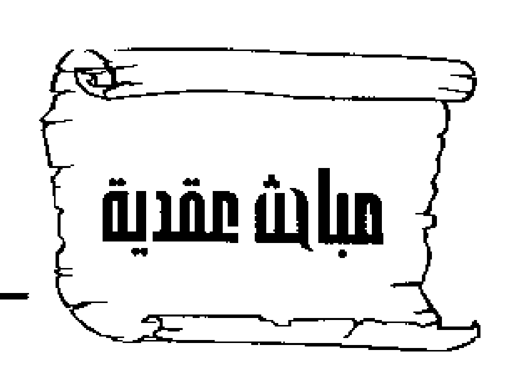
قلت : نعم لقد قرأ «المثناة» بين المقلدين ، وليس فيهم من يغيِّر منها حرفاً ، وكأنها تنزيلٌ من حكيم حميد ، كيف؟! ، وقد فرقوا الدين ، وصيروا أهله شيعاً ، كل فرقة تنصر متبوعها ، وتدعو إليه ، وتذم من خالفها ، ولا يرون العمل بقولهم ، حتى كأنهم ملة أخرى سواهم ، ويدأبون ويكدون في الرد عليهم ، وتأويل كلامهم ؛ ليوافق معتقدهم ومذهبهم حتى بلغ التعصب بأحدهم ـ وهو أستاذ جامعيّ في جامعة إسلامية ـ أن قال : «لقد حنَّفت كتاب «زاد المعاد» ؛ أي : ألبسته حلة المذهب الحنفي ؛ فلو رآه ابن القيم ؛ لأصبح حنفياً» .

ويقولون كتبنا وكتبهم ، ومذهبنا ومذهبهم ، وأئمتنا وأئمتهم ، واتخذوا هذا القرآن مهجوراً لا يقرأ إلا على الأموات أو المراسم والمواسم ، وأصبحت سنة رسول الله ﷺ نسياً منسياً ، وإن وجدت ؛ فهي للتبرك فقط ، وكأن قوله تعالى : ﴿**فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ [المؤمنون : ٥٣] تتحقق فيهم والزبر هي الكتب ؛ أي : كل فرقة صنفوا كتباً ؛ أخذوا بها ، وعملوا بها ، ودعوا إليها دون كتب الآخرين ؛ كما هو الواقع سواء[1] .

ولم يقف واقع الناس عند هذا الحد ، بل اكتتبت الكتب الحزبية ، ولفقت القوانين الوضعية من شرائع شتَّى وأهواء كثيرة ؛ كالقانون البريطاني ، والقانون الأمريكي ، والقانون الفرنسي ، والتي شَقِيَت بها البشرية ، وجعلت دستوراً للحكم بين العالمين ، وللرد عليها عند تخاصم المتنازعين ، وأسست لها جامعات تُدرسها ، ومعاهد تشرحها ، ومحاكم مهيأة يساق الناس إليها أسراب إثر أسراب ، ويحكم بينهم بغير السنة والكتاب ؛ فإلى الله المرجع والمآب[2] .

(١) لبيان أباطيل المقلدين المتعصبين انظر ـ لزاماً ـ : «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة؟ لمحمد بن سلطان المعصومي ، بتحقيقي ، وكتابي «التعظيم والمنة في الانتصار للسنة» .

(٢) لبيان فساد هذا القانون اللعين الذي شقيت به البشرية في هذا الحين انظر ـ غير مأمور ـ : «تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن» للإسعردي ؛ بتحقيقي .



الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم

● بقلم: فضيلة الشيخ سعد الحصين

أكثر الحركات والأحزاب الموصوفة بـ«الإسلامية» في هذا الجيل اتخذت كلمة «**الحكم بما أنزل الله**».... شعاراً لها ، ونِعْمَ الشِّعارُ القوليُّ إذا وافقه العمل ؛ فهو ـ بعمومه ـ أصل أصول الدِّين ، والغاية التي خلق الله لها الثقلين ، وأعظمه : الاعتقاد بوحدانية الله في استحقاق العبادة وِفْق وحي الله تعالى إلى رسله في الكتاب والسُّنَّة .

قال الله تعالى على لسان يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿**إن الحكم إلا لله عليه توكَّلتُ وعليه فليتوكَّل المتوكِّلون**﴾ ، وقال الله تعالى على لسان يوسف عليه الصَّلاة والسَّلام : ﴿**إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدِّين القيِّم ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون**﴾ ، وقال تعالى لخاتم أنبيائه ﷺ : ﴿**فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتَّبع أهواءهم**﴾ . قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/٧٥) : «أي : فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم ، أمِّيِّهم وكتابيِّهم ، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم . . . ﴿**ولا تتَّبع أهواءهم**﴾ ؛ أي : آراءهم التي اصطلحوا عليها ، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله» .

ولكن الحركيِّين والحزبيِّين باتباعهم رأيهم وفكرهم الموصوف بالإسلامي ضيَّقوا المعنى الواسع الشامل للحكم بما أنزل الله ؛ فقصروه على فقه المعاملات ، وخصّوا به الحكّام ، تبعاً لفكر الأستاذ سيِّد قطب – رحمه الله – الذي ظنّ أنّ «أخصّ خصائص الألوهيّة هي : الرّبوبية ، والقوامة ، والسّلطان ، والحاكميّة» «في ظلال القرآن» (١٨٥٢/٤) .

وقد أُتي المفكّر والمقلّد من قِبَل جهلهم بالمعنى اللغوي والشرعي للكلمة الطيّبة : «لا إله إلا الله» ، وبالتّالي : خلطهم بين معنى الألوهيّة ومعنى الربوبيّة في الاعتقاد والعمل - تجاوز الله عنّا وعنهم - .

وكما خرجوا عن منهاج الحكم بما أنزل الله في أمر التّوحيد ؛ خرجوا عن منهاجه في أمر الشرك ؛ فوسّعوه - تبعاً لسيّد رحمه الله - ليشمل أموراً ليست من الشرك في شيء : السّياسة ، والتقاليد ، والعادات ، والأزياء التي ظنّ سيّد - رحمه الله - أنّ اتّباع البشر فيها : «مزاولة للشّرك في أخصّ حقيقته ، ومخالفة لشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله في أخصّ حقيقتها . . . ولو توجّه العبد إلى الله في ألوهيته وحده ، ودان لشرع الله في الوضوء والصّلاة ، والصّوم ، وسائر الشعائر» ، (التفصيل (٢١١٤/٤) «في ظلال القرآن») ، وكعادة البِدَع أنْسَى «التّوحيدُ والشِّركُ الحديثُ» أكثَرَ شبابِ الأمة التّوحيدَ الذي جاء به كلُّ رسل الله : إفراد الله بالعبادة ، والشّركَ الذي نهى عنه كلّ رسل الله : تعظيم المقامات ، والمزارات ، والأنصاب التي تتخذ مساجد قديماً وحديثاً .

والحقّ الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ : أنّ الحكم بما أنزل الله فريضة عين على كلّ مسلم حاكماً كان أو محكوماً ، «وكلّكم راع ومسؤولٌ عن رعيته» ؛ كلٌّ بحسبه من المسؤوليّة الشرعيّة .

والحقّ الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ : أنّ الحكم بما أنزل الله شاملٌ لكلّ ما أوحى الله إلى عبده ورسوله؛ ليبيّنه للنّاس، وليحكم به بينهم أولاً - وقبل كلّ شيء - في الاعتقاد، ثم في العبادات، ثم في المعاملات، لا العكس كما وَهِمَ منتجوا الفكر «الإسلامي» ومستهلكوه.

والحقّ الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: أنّ الحكم بما أنزل الله شاملٌ لكلّ ما أوحى الله إلى عبده ورسوله؛ ليبيّنه للنّاس، وليحكم به

بينهم أولاً - وقبل كلّ شيء - في الاعتقاد، ثم في العبادات، ثم في المعاملات، لا العكس كما وَهِمَ منتجوا الفكر «الإسلامي» ومستهلكوه .

والحقّ الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : أن أوامر الله تعالى تتفاوت بين فرض العين وفرض الكفاية والنافلة ، وأن نواهيه تعالى تتفاوت بين الكبيرة الموبقة (وأعظمها الشّرك بالله في عبادته باتخاذ قبور الأنبياء والصّالحين مساجد يدعون فيها مع الله تقرّباً إليه واستشفاعاً بهم إليه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً) وبين الصّغيرة من اللّمم ، **وأن من الحكم بغير ما أنزل الله المساواة بين الفرض والنّافلة في الأمر، وبين الكبيرة والصّغيرة في النّهي** ، بل إن من الحكم بغير ما أنزل الله تفريق الأمة في الدّين أحزاباً وجماعات على مناهج في الدّين أو الدّعوة تخالف منهاج النّبوّة الذي شرعه الله لجميع رسله ولجميع من أرسلهم إليهم[1] ، وهو ما يقع فيه الحركيّون والحزبيّون ، هدانا الله وإياهم لأقرب من هذا رشداً ، وصلّى الله وسلم على عبد الله ورسوله ، ومن اتّبع سنّته .

عوائق في طريق العلم

إن طريق العلم محفوف بالعوائق، من مقت يحيق، ووقت يضيق، وإن الأقدار قد وضعت في طريقكم إلى العلم عائقاً جديداً هو شر العوائق وأضرها.. هو هؤلاء الدعاة الغاشون، والسماسرة المضلون، يدعونكم إلى السياسة؛ ليصدوكم عن العلم، وإلى الحزبية: ليفرقوكم من الجماعة، وإلى الوطنية: ليشغلوكم باسمها عن حقيقتها، ويلهوكم بلفظها عن تحصيل أقوى وسائلها، وهو العلم، إنهم يملؤونكم بالخيالات صغاراً: لتفرغوا من الحقائق كباراً؛ وإنه لنوع من التسميم المرجأ لا يشعر به المصاب إلا بعد فوات الوقت.

[محمد البشير الإبراهيمي في «عيون البصائر» (ص٣٥١)] .

(١) قال الله تعالى : ﴿إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ .



منهج شيخ الإسلام في كشف بدعة الخوارج

● بقلم: الشيخ فتحي عبدالله سلطان

لقد نبتت في بلاد المسلمين نابتة سوء ترجع بأصولها إلى بدعة الخوارج ؛ فوجب تحذير المسلمين من ذلك ؛ وحتى يتمكن المبصر - لحقائق الأشياء - التمييز عند الحكم على الأفعال بين الخطأ المغفور لصاحبه والذي هو من قبيل الاجتهاد السائغ ، وبين الأخطاء المغلظة والتي ترجع بأصولها إلى أهل البدع والأهواء ؛ خاصة فيما يتعلق ببدعة تكفير المسلمين ، واستحلال دمائهم وأموالهم وديارهم .

وهذا التمييز - وحتى يتحقق هدفه - لا بد أن يؤسس ويؤصَّل على فهم علميّ سلفي للكتاب والسنة وتطبيقاتهما في الواقع أولاً .

وعلى دراية ببدعة الخوارج وأصولها ونشأتها ثانياً ، ولا سبيل لتحقيق الأمرين اللازمين لرؤية صحيحة في هذا الميدان ، إلا بالنظر في الموروث العلمي لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ؛ لا سيما وأن الدواعي لمثل هذا الطرح مقصوده الوقوف على السمات الخاصة بالخوارج في كل عصر ؛ ولشيخ الإسلام السبق في هذا الميدان .

وقبل الشروع بالمقصود لا بد من التذكير بأمورٍ هامة نبّه عليها شيخ الإسلام - رحمه الله - :

الأول : الخوارج أول ما خرجوا زمن أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ، وكان لهم من الصلاة ، والصيام ، والقراءة ، والعبادة ، والزهد ، ما لم يكن لعموم الصحابة ؛ لكن كانوا خارجين عن سنة رسول الله ﷺ ، وعن جماعة المسلمين ، وقتلوا من المسلمين رجلاً اسمه عبدالله بن خباب ، وأغاروا على دواب المسلمين .

وهذه البدعة هي أول البدع ظهوراً في الاسلام ، وأظهرها ذمّاً في السنة والآثار ؛ فإنّ

أولهم قال للنبي ﷺ في وجهه : اعدل يا محمد ؛ فإنك لم تعدل ، وأمر النبي ﷺ بقتلهم وقتالهم ، وقاتلهم أصحاب النبي ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

والأحاديث عن النبي ﷺ مستفيضة[1] بوصفهم وذمهم والأمر بقتالهم ، قال أحمد ابن حنبل ـ رحمه الله ـ : صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه ، قال النبي ﷺ : «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الاسلام؛ كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة**» .

الثاني : لا يزال يخرجون إلى زمن الدجال :

أحاديث الخوارج رويت من عدة أوجه ؛ ففي حديث أبي برزة عند النسائي : «**يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام؛ كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق، لا يزال يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال. فإذا لقيتموهم فاقتلوهم. هم شر الخلق والخليقة**» .

قال **شيخ الاسلام** في «المجموع» (٢٨/٤٩٦) : «فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال . وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر» .

الثالث : أدخل العلماء في نصوص الخوارج كل من كان في معناهم من أهل الأهواء والبدع ، وإن كان الخروج عن الدين والإسلام أنواعاً مختلفة[2] .

الأمر الرابع : إن الشريعة ذمتهم وأمرت بقتالهم مع ما عندهم من حسنات وعبادات :

قال **شيخ الاسلام** (١١/٤٧٣) : «فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي ﷺ بقتلهم ، وقتلهم علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي ﷺ ؛ وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته. . .» أ . هـ .

والملاحظ : أن الخوارج يتدرجون في

---

(١) ذكر البخاري أحاديث الخوارج في (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة) ، وخصص مسلم ثلاثة أبواب من كتاب الزكاة لأحاديث الخوارج .

(٢) انظر «المجموع» (٢٨/٤٧٦ ، ٤٩٩) .

بدعتهم ؛ حتى يتمكنوا من فرضها على الواقع : يبادرون أولاً بمقدمات البدعة ثم بتنظيرها والاستدلال عليها ، ثم إيجاد مبررات الشروع بالبدعة ودواعي تنفيذ الفكرة ، ثم فرض البدعة على الواقع بالسيف ، وفي كلام شيخ الاسلام - رحمه الله تعالى - كفاية للمطلوب ، فأحببنا الوقوف على المحاور الآتية :

المحور الأول: مقدمات بدعتهم:

سوء الفهم لمراد الله ورسوله ﷺ أصل بدعة الخوارج ، فهم لم يقصدوا مخالفة الكتاب ، ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه ، يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (١٣/٣٠ - ٣١) : «وكانت البدع الأولى مثل «بدعة الخوارج» **إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه؛ فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب** ؛ إذا كان المؤمن هو البر التقي . قالوا : فمن لم يكن براً تقياً ؛ فهو كافر ، وهو مخلد في النار .

ثم قالوا : وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين ؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله ، **فكانت بدعتهم لها مقدمتان** :

(الواحدة) : أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه ؛ فهو كافر .

(والثانية) : أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك .

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا ؛ فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام ، فكفر أهلها المسلمين ، واستحلوا دماءهم وأموالهم ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم» أ . هـ .

المحور الثاني: أصل بدعتهم:

أدخل شيخ الاسلام - رحمه الله - بدعة الخوارج ضمن **البدع المغلظة الكبار** ؛ كبدعة الرافضة ونحوهم ، عند الكلام على أصل هذه البدع ، وبيان وجه التفاوت بينها ، فقال - رحمه الله - في «المجموع» (٢٨/٤٩٧) :

«فهؤلاء أصل ضلالهم : اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل ، وأنهم ضالون ، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم . ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً . ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها .

فهذه **ثلاث مقامات** للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم . في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام ، حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية» .

ونظر شيخ الاسلام - رحمه الله - إلى أصل بدعة الخوارج وخاصيتها من وجهين :

الأول : على اعتبار أنها مخالفة للسنة .

الوجه الثاني : ما يترتب على هذه المخالفة من لوازم باطلة يلزمون الناس بها ، فقال ـ رحمه الله ـ في «المجموع» (١٩/٧٢ ـ ٧٣) :

«ولهم [أي : الخوارج] خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم :

أحدهما : خروجهم عن السنة ، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة ، أو ما ليس بحسنة حسنة ، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ ؛ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي : اعدل ؛ فإنك لم تعدل ، حتى قال له النبي ﷺ : «**ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل**» . . .

الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع : أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم ، وأن دار الإسلام دار حرب ، ودارهم هي دار الإيمان» .

ثم بيَّن ـ رحمه الله ـ ما يتولد من هذين الأصلين الخبيثين ، فقال : «فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين ، وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم .

وهذان الأصلان هما خلاف السنة والجماعة ، فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرعته ؛ فهو مبتدع خارج عن السنة ، ومن كفَّر المسلمين بما رآه ذنباً ، سواء كان ديناً أو لم يكن ديناً ، وعاملهم معاملة الكفار ؛ فهو مفارق للجماعة ، وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين» أ . هـ .

المحور الثالث: مصدر التلقي عند الخوارج وطريقتهم في الاستدلال:

يعتمد الخوارج في تقرير أصولهم على ظواهر النصوص القرآنية ، ويردون من السنة ما خالف ـ بزعمهم ـ ظاهر القرآن ، بل يعدلون عن السنة المتواترة إذا كانت تخالف هذا الظاهر ، يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في «المجموع» (٣/٣٥٥) :

«وإذا عرف أصل البدع ، فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب ، ويعتقدون ذنباً ما ليس بذنب ، **ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب . وإن كانت متواترة . ويكفرون من خالفهم** ، ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي ، كما قال النبي ﷺ فيهم : «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**» ، ولهذا كفروا عثمان وعلياً وشيعتهما ؛ وكفروا أهل صفين ـ الطائفتين ـ في نحو ذلك من المقالات الخبيثة» . أ . هـ .

فالخوارج وقعوا في أمرين خطيرين :

الأول : تركهم واجب اتباع السنة ، ولا يرون اتباع الرسول ﷺ واجباً :

قال شيخ الإسلام في «المجموع»

(١٠٤/٢٠) : «وأهل البدع ذنوبهم ترك ما أمروا به من اتباع السنة وجماعة المؤمنين ، فإن الخوارج أصل بدعتهم أنهم لا يرون طاعة الرسول واتباعه فيما خالف ظاهر القرآن عندهم ، وهذا ترك واجب» .

وقال - رحمه الله - في «المجموع» (٧٣/١٩) : «والخوارج جوزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته ، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته ، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف - بزعمهم - ظاهر القرآن» .

الأمر الثاني : تفسير القرآن بفهمهم وآرائهم :

لم يقف الأمر عند اتباع القرآن دون اتباع السنّة فحسب ، بل تعداه إلى تفسير القرآن بفهمهم وآرائهم وأهوائهم ، لا سيما نصوص الوعيد ؛ حيث غلطوا في فهمها . . . ، يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (٤٨٣/٢٨) - عند الكلام على الفرق بين بدعة الخوارج وبدعة الرافضة والتفاوت بينهما - : «وأيضاً فالخوارج كانوا يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم ، وهؤلاء إنما يتبعون الإمام المعصوم عندهم الذي لا وجود له ؛ فمستند الخوارج خير من مستندهم»[١] .

وقال أيضاً في «المجموع» (٤٩١/٢٨) :

«وأيضاً فإن الخوارج كانوا ينتحلون اتباع القرآن بآرائهم ، ويدعون اتباع السنن التي يزعمون أنها تخالف القرآن ، والرافضة تنتحل اتباع أهل البيت ، وتزعم أن فيهم المعصوم الذي لا يخفى عليه شيء من العلم ، ولا يخطئ ؛ لا عمداً ، ولا سهواً ، ولا رشداً» .

والمتتبع لكلام شيخ الإسلام في تحليله لبدعة الخوارج يلحظ : أن الخوارج لم يكن عندهم كتب مصنفة في أصول بدعتهم وتفريعاتها ؛ بل تبقى فكرتهم قائمة في عقولهم ، ينظّرونها ، ويؤصّلونها على أساس بدعي حركي فكري مما يخدم بدعتهم في تكفير المسلمين وإلزامهم بهذا اللازم الفاسد ؛ **ولهذا يصعب تمييزهم في بداية ظهورهم حتى تكون لهم الأرضية التي ينطلقون منها لتحقيق بدعتهم** ، بخلاف سائر الفرق الأخرى التي لها كتب مصنفة في تقرير اعتقادها ، ومن ثمَّ يتمكن أهل الاتباع من تمييزهم والتعريف بهم وببدعتهم .

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في «المجموع» (٤٨/١٣ - ٤٩) :

«و(الخوارج) لا يتمسكون من السنة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم ، فلا يرجمون الزاني ، ولا يرون للسرقة نصاباً ، وحينئذ فقد يقولون : ليس في القرآن

(١) مع أن شيخ الإسلام - رحمه الله - أدخل البدعتين في البدع المغلظة الكبار .

قتل المرتد ، فقد يكون المرتد عندهم نوعين .

و(**أقوال الخوارج) إنما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف، كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة، والزيدية، والكرامية، والأشعرية، والسالمية، وأهل المذاهب الأربعة، والظاهرية، ومذاهب أهل الحديث، والفلاسفة، والصوفية، ونحو هؤلاء».**

المحور الرابع: منشأ الغلط عند الخوارج (مسوّغات بدعتهم):

عالج شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عوامل نشوء بدعة الخوارج ، وبيان المداخل التي يدخل الشيطان منها ؛ لتزيين البدعة لهم ، وتحسينها ، بل وتسويغ القول بها ؛ حتى تكون مقبولةً يدافعون عنها بالجماعة والإمام والسيف .

ويمكن الإشارة إلى الأسباب التي رصدها شيخ الإسلام ، والتي هي منشأ الغلط عندهم ، وهي ـ في الوقت نفسه ـ مسوّغات إمضاء بدعتهم إلى الناس :

١- الورع الفاسد (الناقص) الناتج عن قلة علم:

يتورّع كثير من الناس عن أمور معينة ، وبالمقابل يتركون أموراً واجبة عليهم ، ومنهم من يفعل أموراً مشتبهة فاسدة هي من جنس الظنون الكاذبة ، ويعدون ذلك من قبيل الورع بسبب نقص علمهم وفقههم ، حتى يجعلون ذلك طريقةً متبوعةً يضاهون الشريعة فيها .

ولما تورع الخوارج تورعاً فاسداً من جهة تعظيم أمر الظلم والمعاصي ، وأن الله ـ تعالى ـ صادق ليس بكاذب بما أخبر بأحكام الوعيد ، وتركوا بالمقابل واجب الطاعة للرسول ﷺ وتحكيم سنته في مسائل الأسماء والأحكام ، ووجوب بذل الرحمة لأهل الإيمان ؛ وقعوا في بدعتهم المغلظة ، التي كانت سبباً في تنصيص النبي ﷺ على ذمهم والأمر بقتالهم . . .

وفي هذا المدخل الخطير ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في «المجموع» (٢٠/١٤٠) : «وهذا الورع قد وقع صاحبه في البدع الكبار ؛ **فإن ورع الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس** ، تورعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلماً من مخالطة الظلمة في زعمهم ، حتى تركوا الواجبات الكبار ، من الجمعة والجماعة ؛ والحج والجهاد ؛ ونصيحة المسلمين والرحمة لهم ، وأهل هذا الورع مما أنكر عليهم الأئمة ؛ كالأئمة الأربعة ، وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السنة والجماعة» .

ثم بيَّن رحمه الله أن هذا الورع الفاسد لا يصح إلا بعلم كثير ، وفقه متين ، وحلم رزين ؛

فقال في «المجموع» (٢٠/١٤١ـ ١٤٢) :

«ولهذا يحتاج المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة ، والفقه في الدين ، وإلا فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه ؛ كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم» .

والورع المشروع ـ الذي غلط فيه الخوارج وانحرفوا عنه ـ لا بد أن يكون في فعل الواجبات وترك المحرمات **أولاً** ، ولا بد أن يكون صاحبه موافقاً للسنة **ثانياً** ، وأن يكون في دائرة الخوف والرجاء **ثالثاً** ، يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (٢٠/١١٠ ـ ١١١) :

«مثال ذلك : أن الوعيدية من الخوارج وغيرهم فيما يعظمونه من أمر المعاصي والنهي عنها ، واتباع القرآن وتعظيمه أحسنوا ، لكن إنما أتوا من جهة عدم اتباعهم للسنة ، وإيمانهم بما دلت عليه من الرحمة للمؤمن وإن كان ذا كبيرة» .

٢- التلازم بين الخطأ والإثم:

من المعلوم أن الكلام في حكم الفاسق الملي هو أول اختلاف حدث في الملة ؛ فقالت الخوارج : إنه كافر ، وقالوا بـ «إنفاذ الوعيد» ومعناه عندهم : أن فساق الملة مخلدون في النار ، لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك ؛ ليثبتوا أن الرب صادق لا يكذب ؛ إذا كان عندهم قد أخبر بالوعيد العام ، فمتى لم يقل بذلك لزم كذبه ، وغلطوا في فهم الوعيد ، وجعلوا الإثم وموجبات الوعيد لازمة للخطأ لا تنفك عنه بأي حال .

قال شيخ الإسلام في «المجموع» (٣٥/٦٩ ـ ٧٠) : «وأهل الضلال يجعلون **الخطأ والإثم متلازمين** : فتارة يغلون فيهم ؛ ويقولون : إنهم معصومون . وتارة يجفون عنهم ؛ ويقولون : إنهم باغون بالخطأ ، وأهل العلم والإيمان لا يعصمون ، ولا يؤثمون .

ومن هذا الباب تولد كثير من فرق أهل البدع والضلال . فطائفة سبت السلف ولعنتهم ؛ لاعتقادهم أنهم فعلوا ذنوباً ، وأن من فعلها يستحق اللعنة ؛ بل قد يفسقونهم ؛ أو يكفرونهم ، كما فعلت الخوارج الذين كفروا علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ، ومن تولاهما ، ولعنوهم وسبوهم ، واستحلوا قتالهم . . .» أ . هـ .

٣- الغلط في فهم النصوص

ظهر هذا الغلط بوضوح في فهم نصوص الوعيد وما يتفرع عن ذلك من تكفير المسلمين ، وكذلك في فهم نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يتفرع من مسائل الخروج على الأئمة وقتالهم .

يقول شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (١/١٤١) : «والخوارج الذين تأولوا آيات من القرآن وكفّروا من خالفهم فيها ، أحسن حالاً من هؤلاء ، فإن أُولئك

[أي : الخوارج] علّقوا الكفر بالكتاب والسنة ؛ لكن غلطوا في فهم النصوص ، وهؤلاء [أي : الجهمية] علّقوا الكفر بكلام ما أنزل الله به من سلطان» .

٤- الغلط في الوسائل والمقاصد:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقصد شرعي له ضوابطه وحدوده ووسائله ، والخوارج ـ بسبب إعراضهم عن السنة ـ جعلوا المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، بل جهلوا وسائل الأمر والنهي وما يصلح لهما وما لا يصلح ؛ فكان خطؤهم في الوسيلة والمقصد :

يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (١٢٨/٢٨) ـ عند الكلام على أغلاط الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ : «والفريق الثاني : من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً ؛ من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يقدر عليه وما لا يقدر . . . فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله وهو معتد في حدوده ؛ كما انتصب كثير من أهل البدع والأهواء ؛ كالخوارج والمعتزلة والرافضة ، وغيرهم ممن غلط فيما آتاه من الأمر والنهي والجهاد على ذلك ، وكان فساده أعظم من صلاحه ؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة ؛ ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة ، وقال : «**أدوا إليهم حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم**» . وقد بسطنا القول في ذلك في غير هذا الموضع» . أ . هـ .

٥- الغلط في الدليل والمدلول:

اعتقد الخوارج رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقصد شرعي له ضوابطه وحدوده ووسائله، والخوارج ـ بسبب إعراضهم عن السنة ـ جعلوا المعروف منكراً والمنكر معروفاً، بل جهلوا وسائل الأمر والنهي وما يصلح لهما وما لا يصلح؛ فكان خطؤهم في الوسيلة والمقصد

عليه ، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم ، وسلكوا في سبيل ذلك طريقين :

إما بسلب ما دل عليه القرآن ، وإما بحمله على ما لم يدل عليه ؛ فكان خطؤهم في ما اعتقدوه من المعاني الباطلة ، وفي طريقة استدلالهم لتقرير تلك المعاني :

قال شيخ الاسلام - رحمه الله - في «المجموع» (١٣/٣٥٦) : «فالذين أخطأوا في الدليل والمدلول - مثل طوائف من أهل البدع - اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذي لا يجتمعون على ضلالة ، كسلف الأمة وأئمتها ، وعمدوا إلى القرآن ؛ فتأولوه على آرائهم :

تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها ، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه ، ومن هؤلاء فرق الخوارج ، والرافضة ، والجهمية ، والمعتزلة ، والقدرية ، والمرجئة ، وغيرهم» .

المحور الخامس: لوازم البدعة - مرحلة الشروع -:

لا ينحصر ضرر بدعة الخوارج في دائرة الاعتقاد النظري ؛ بل يتعدى إلى واقع عملي يعكس لوازم هذه البدعة وتطبيقاتها العملية على واقع الأمة ، ويمكن إجمال هذه اللوازم المتولدة عن بدعة الخوارج بما يلي :

الأول: الخروج على أئمة الهدى وجماعة المسلمين وولاة أمورهم بالسيف .

وهذا اللازم من أخطر ما يتولد من هذه البدعة الرديَّة ؛ مما يحصل بسببها فساد الدين والدنيا .

يقول شيخ الإسلام في «المجموع (١٣/٣٥) : «وكلا الطائفتين [أي : الرافضة والخوارج] تطعن بل تكفر ولاة المسلمين ، وجمهور الخوارج يكفرون عثمان وعلياً ومن تولاهما ، والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهما ، **ولكن الفساد الظاهر كان في الخوارج: من سفك الدماء، وأخذ الأموال، والخروج بالسيف، فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بقتالهم** والأحاديث في ذمهم والأمر بقتالهم كثيرة جداً ، وهي متواترة عند أهل الحديث مثل أحاديث الرؤية ، وعذاب القبر وفتنته وأحاديث الشفاعة والحوض»[1] .

الثاني: بغض المسلمين وتكفيرهم وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم .

بعد أن ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - أصلين خطيرين للخوارج ؛ قال : «فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم . . .»[2] .

الثالث: جعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب، وسموا دارهم دار الهجرة:

وهذا حاصل تحصيل لبدعتهم ؛ حتى

(١) انظر «المجموع» (٢٨/٤٩٧) . (٢) «المجموع» (١٩/٧٤) .

يسوِّغوا استحلالهم لدماء المسلمين وأموالهم ، يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (٧٣/١٩) : «الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع : أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم ، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان . . .»[١] .

ويقول أيضاً في «المجموع» (٩٨/١٣) - عند كلامه في الفرق بين المعتزلة والخوارج - : «فهم يتحرَّوْن الصدق كالخوارج ، لا يختلقون الكذب كالرافضة ، ولا يرون أيضاً اتخاذ دار غير دار الإسلام كالخوارج . . .»[٢] .

فائدة:

بل ربما هاجر الخوارج إلى دار الكفار واستوطنوا فيها ؛ لعلتين :

الأولى : لأنهم لا يصبرون على جَوْر الحكام[٣] .

الثانية : لأنهم يستحلون بلاد الإسلام أكثر من استحلالهم بلاد الكفار .

يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (٣٥٥/٣) : «ويكفرون من خالفهم ، ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي ، كما قال النبي ﷺ فيهم : «يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان» . . .» .

اللازم الرابع : يكفرون المخالف لهم ، ويلزمون الناس ببدعتهم :

وهذا قدر مشترك في كل مخالف للسنة

> إنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان

مبتدع صاحب هوى ، يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (٢٧٩/٣) : «والخوارج هم أول من كفر المسلمين ، يكفرون بالذنوب ، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ، ويستحلون دمه وماله .

(١) انظر لزاماً كلام شيخ الإسلام في الفرق بين دار الإسلام ودار الكفر في «المجموع» (٣٨٢/١٨) .
(٢) انظر أيضاً «المجموع» (٣٥/١٣) .
(٣) غلط الخوارج يحصل من جهة النقص في الصبر والحلم والعلم ، انظر «المجموع» (١٢٨/٢٨) .

وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها . وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة ويطيعون الله ورسوله ؛ فيتبعون الحق ، ويرحمون الخَلْقَ» اهـ .

والخوارج يمهدون لبدعتهم ـ قبل الشروع فيها ـ بمقالات بدعيَّة ، وتكتلات حزبيَّة ،

والخوارج هم أول من كفر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله

وأطروحات فكرية . . . ومع ذلك ، فهم يرصدون الواقع ، ويتتبعون الأحداث لإيجاد أرضية صالحة ينطلقون منها لتحقيق أهدافهم ومطلوبهم ، ولهذا فمدار طرحهم وتنظيرهم - في هذه المرحلة ـ يتركز على :

١- الانتساب إلى الأسماء العامة؛ دون الاسم الخاص لمنهج سلف الأمة من أصحاب النبيﷺ :

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في «المجموع» (١٥٣/٤) ـ عند الكلام على تستر أهل البدع بمذهب السلف ـ : « . . . بل الطوائف المشهورة بالبدعة ، كالخوارج والروافض لا يدّعون أنهم على مذهب السلف ، بل هؤلاء يكفرون جمهور السلف . . . وكذلك الخوارج قد كفروا عثمان ، وعلياً ، وجمهور المسلمين من الصحابة والتابعين ؛ فكيف يزعمون أنهم على مذهب السلف؟»[١] .

فائدة:

بل يضطر المؤمن المستضعف ـ في بلاد أهل البدع كبدع الخوارج وغيرهم ـ إلى كتم إيمانه واستنانه ومنهجه ، يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (١٤٩/٤) : «ليس مذهب السلف مما يتستر به إلا في بلاد أهل البدع ؛ مثل بلاد الرافضة والخوارج ؛ فإن المؤمن المستضعف هناك قد يكتم إيمانه واستنانه ؛ كما كتم مؤمن آل فرعون إيمانه ؛ وكما كان كثير من المؤمنين يكتم إيمانه ، حين كانوا في دار الحرب» .

(١) قال شيخ الإسلام في «المجموع» (١٥٥/٤) : «**فعلم أن شعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتباع السلف**» ؛ فتأمل .

٢- تتبع أخطاء المنتسبين للسلف؛ حتى في الأمور الاجتهادية:

يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (١٥٥/٤) ـ عند كلامه على أشهر الطوائف بالبدعة، وتركهم اتباع السلف ـ: «وإن كان من أسباب انتقاص هؤلاء المبتدعة للسلف ما حصل في المنتسبين إليهم من نوع تقصير وعدوان، **وما كان من بعضهم من أمور اجتهادية الصواب في خلافها**، فإن ما حصل من ذلك صار فتنة للمخالف لهم: ضل به ضلالاً كبيراً».

٣- أهل الحديث عند الخوارج كالصائل يدفع بكل شيء[1]:

يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (١٦١/٢٠): «فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها، ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها، ويبغض من يفعل ذلك، كما قال السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه» أ. هـ.

٤- تتبع أخطاء الحكام، وتهييج العامة عليهم، ثم الطعن فيهم وتكفيرهم[2].

المحور السادس: الخوارج وساعة الصفر:

لم يقف شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عند تحديد بدعة الخوارج وأصولها ومنشأ الغلط فيها ولوازمها فحسب؛ بل كشف عن مسائل هي أخفى من ذلك؛ تمثل المرحلة الفعليّة (العمليّة) الأخيرة عند الخوارج؛ فهم يوقّتون لخروجهم ـ زمناً ومكاناً ـ على أرضية جهاديّة ـ زعموا ـ بعناصر خروج متزاوجة! تمهيداً لعرس شيطانهم:

أولاً: أرضية الخروج وتوقيته:

لا بد أن يجد الخوارج على أرض الواقع (سبباً) أو (مسوِّغاً) لخروجهم، بعد أن مهدوا له، وتحزبوا عليه، وائتلفوا في خدمته؛ فالغالب أن الخوارج يخرجون **عقب الفتن الكبار** (!)، وقد كشف شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذا التدرج (**السياسي**) الخفي؛ فقال في «المجموع» (٤٨٩/٢٨) ـ عند الكلام على اشتمال مذاهب الرافضة على شر ما اشتملت عليه مذاهب الخوارج ـ: «وذلك لأن الخوارج كانوا أول أهل الأهواء خروجاً عن السنة والجماعة؛ مع وجود بقية الخلفاء الراشدين، وبقايا المهاجرين والأنصار، وظهور

---

(١) وهذا قدر مشترك وسمة عامة لأهل البدع.

(٢) انظر «المجموع» (٣٥/١٣).

العلم والإيمان، والعدل في الأمة، وإشراق نور النبوة وسلطان الحجة، وسلطان القدرة؛ حيث أظهر الله دينه على الدين كله بالحجة والقدرة.

وكان سبب خروجهم ما فعله أمير المؤمنين عثمان وعلي ومن معهما من الأنواع التي فيها تأويل؛ فلم يحتملوا ذلك، وجعلوا موارد الإجتهاد - بل الحسنات - ذنوباً، وجعلوا الذنوب كفراً، ولهذا لم يخرجوا في زمن أبي بكر وعمر؛ لانتفاء تلك التأويلات وضعفهم».

إذن؛ هم يظهرون عند أمرين:

(أولهما): الملائمة بين تأويلاتهم البدعية وأحداث الواقع وفتنه.

(الثاني): مع قوة شوكتهم وكثرة عددهم.

ثانياً: عناصر الخروج:

تميَّز الخوارج بالإمام والجماعة والدار: فجماعتهم قد فارقت جماعة المسلمين أولاً، وهم يوالون على بدعتهم ويعادون عليها ثانياً[1]. ثم إن أمامهم هو المنازع لأئمة المسلمين؛ ولهذا تلتقي بدعة الخوارج مع بدعة الرافضة في موضوع الإمامة والخلافة، وتوابع ذلك من الأعمال والأحكام الشرعية[2].

أما دارهم فهي دار هجرة وإيمان، ودار المسلمين - عندهم - دار كفر وحرب.

يقول شيخ الإسلام - في بيان عناصر وجودهم - في «المجموع» (١٣/٣٥): «ولكن

> لم يقف شيخ الإسلام - رحمه الله - عند تحديد بدعة الخوارج وأصولها ومنشأ الغلط فيها ولوازمها فحسب؛ بل كشف عن مسائل هي أخفى من ذلك؛ تمثل المرحلة الفعليّة (العمليّة). الأخيرة عند الخوارج؛ فهم يوقّتون لخروجهم - زمناً ومكاناً - على أرضية جهاديّة - زعموا - بعناصر خروج متراوجة! تمهيداً لعرس شيطانهم

(١) هذه سمة عامة للمتحزبين من أهل الأهواء والبدع، انظر «المجموع» (٣/٣٤٩).

(٢) انظر «المجموع» (١٠/٣٥٦).

الشيعة لم يكن لهم - في ذلك الزمان - جماعة ولا إمام ، ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين ؛ وإنما كان هذا للخوارج **تميّزوا بالإمام والجماعة والدار** ، وسموا دارهم دار الهجرة ، وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب» أ . هـ .

متى يظهر شيطان الخوارج؟

إذا تزوجتْ بدعةُ التكفير ببدعة الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم واشتغل العروسان بالعُرس[1] ، وبدأ الخوالف في إدارة مجامع الفتن ؛ طاف طائف بينهم ؛ ليقدم للمدعوين - الحماسيّين - ألواناً من الإنحراف عن العقيدة والمنهج بحلية التصحيح والبيان ، وعلى طبق مزخرف ظاهره الزهد والورع ، وباطنه الخراب والدمار ؛ وقد نصبت الخيام ، وتزاور الخلان ، وتحزب الأقران ، وبُذلت الأموال ، ووُزعت الأدوار ظناً منهم أنها صولة الجهاد !!

ولكن هيهات ؛ إنها صولة شيطان الخوارج عند غفلة أهل الحق وافتراقهم ، قال شيخ الإسلام في «المجموع» (١٩/٨٩) : «فالطاعن في شيء من حكمه [أي : حكم النبي ﷺ] أو قسمه - كالخوارج - طاعن في كتاب الله مخالف لسنة رسول الله ، مفارق لجماعة المسلمين ، **وكان شيطان الخوارج مقموعاً لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، فلما افترقت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه؛ وجد شيطان الخوارج موضع الخروج** ، فخرجوا ، وكفروا علياً ومعاوية ومن والاهما ، فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي ابن أبي طالب ؛ كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال : «**تمرق مارقة على حين فرقة من الناس تقتلهم أولى الطائفتين بالحق** . . .»[2] اهـ .

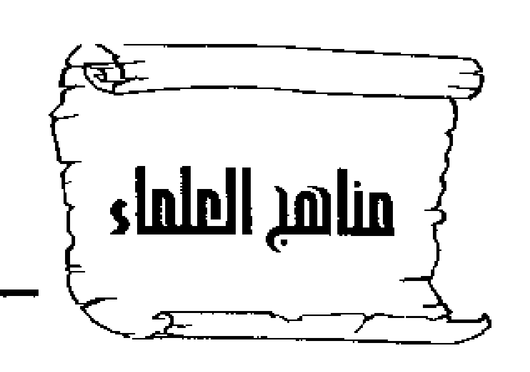
رحم الله - تعالى - شيخ الإسلام ابن تيمية ، على ما كشف لنا من خفايا هذه البدعة ، وأصولها ولوازمها ؛ وأثرها الخطير على واقع الأمة - لا سيما عند افتراقها وضعفها - .

فما أحوجنا - جميعاً - إلى كتبه ، وكتب سائر علماء الأمة المحررين ؛ لفهم قواعد الدين وأصول الشريعة ، والله - تعالى - وحده الهادي - في حال الفتن والاستضعاف - إلى سواء السبيل .

* * *

(١) انظر كلام ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/٢٢٣) عن شيخه ابن تيمية في موضوع التزاوج بين البدع .

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - (٧/١٦٦ النووي) .



❖ الحلقة الأولى

منهج الإصلاح عند الشاطبي

● بقلم الشيخ: أبي عبيدة مشهور بن حسن

الشاطبي مجدّد ومصلح، وتجديده في علم (المقاصد)، وتكاد تجتمع كلمة العلماء والمطّلعين على أن الشاطبي هو مبتدع هذا العلم (المقاصد)؛ كما ابتدع سيبويه علم النحو، وابتدع الخليل بن أحمد علم العروض، وأنه بنى في كتابه «الموافقات» هرماً شامخاً لهذا العلم، وحلّل فيه مقاصد الشريعة والمصالح التي بيّنت أحكامها بصورة تفصيلية، لا تكاد توجد في غيره[1].

أما (الإصلاح) فبلغ شأوه عنده في كتابه الآخر «الاعتصام»، ولا تنحصر فائدة هذا الكتاب في كشف (البدع) وتأصيلها من ناحية أصولية، والعمل على استئصال ما كان شائعاً منها في عصره، ولكنه تضمن أصول الإصلاح التي انطلقت محاربة البدع منها.

وكلا الكتابين «الموافقات» و«الاعتصام» لهما الأثر البالغ على الإصلاح والمصلحين في العصر الراهن.

وسبق في العدد الماضي تقرير أن الشاطبي حسنة من حسنات ابن تيمية، وأن التأثّر به ظاهر، ووقعت للشاطبي بعض كتب ابن تيمية، واستفاد منها.

ونزيد هنا تقريراً أن الشاطبي ـ في عصره ـ كان مصلحاً في الجانب الغربي للأمة الإسلامية، أما مصلح الجناح الشرقي؛ فهو ابن تيمية، وابن القيم.

(١) أسهبتُ في تقديمي لـ«الموافقات» (١/٢٥ - ٢٩) بذكر النقولات عن العلماء التي تثبت أن الشاطبي رائد هذا العلم.

وقد كشف محمد رشيد رضا[1] - رحمه الله تعالى - عن الموقع اللائق بكتاب «الاعتصام» في (الإصلاح) بقوله :

«اتفق علماء الاجتماع والسياسة والمؤرخون من الأمم المختلفة على أن العرب ما نهضوا نهضتهم الأخيرة بالمدنية والعمران إلا بتأثير الإسلام في جمع كلمتهم ، وإصلاح شؤونهم النفسية والعملية ؛ ولكن اضطرب كثير من الناس في سبب ضعف المسلمين بعد قوتهم وذهاب ملكهم وحضارتهم ؛ فنسب بعضهم كل ذلك إلى دينهم ، ومَن يتكلّم في ذلك على بصيرة يثبت أن الدين الذي كان سبب الصلاح والإصلاح ، لا يمكن أن يكون سبب الفساد والاختلال ؛ لأن العلة الواحدة لا يصدر عنها معلولات متناقضة ، فإذا كان لدين المسلمين تأثير في سوء حال خلفهم ، فلا بد أن يكون ذلك من جهة غير الجهة التي صلحت بها حال سلفهم ، وما هي إلا البدع والمحدثات التي فرّقت جماعتهم ، وزحزحتهم عن الصراط المستقيم .

من أجل ذلك كان تحرير مسائل البدع والابتداع مما ينفع المسلمين في أمر دينهم وأمر دنياهم ، ويكون أعظم عون لدعاة الإصلاح الإسلامي على سعيهم . وقد كتب كثير من العلماء في البدع ، وكان أكثر ما كتبوا في الترهيب والتنفير ، والرد على المبتدعين . ولكن الفرق التي يردّ بعضها على بعض يدّعي كل منها أنه هو الحق ، وأن غيره الضال والمبتدع : إما بالإحداث في الدين ، وإما بجهل مقاصده ، والجمود على ظواهره ، **وما رأينا أحداً منهم هُدِيَ إلى ما هُدِيَ إليه (أبو إسحاق الشاطبي) من البحث العلمي الأصولي في هذا الموضوع، وتقسيمه إلى أبواب يدخل في كل واحد منها فصول كثيرة .**

لولا أن هذا الكتاب أُلِّف في عصر ضعف العلم والدين في المسلمين لكان مبدأ نهضة جديدة لإحياء السُّنَة، وإصلاح شئون الأخلاق والاجتماع، ولكان المصنف بهذا الكتاب ويصنوه كتاب «الموافقات». الذي لم يسبق إلى مثله سابق أيضاً . من أعظم المجددين في

---

(١) لم يقف السيد رضا عند التأثر بالشاطبي بالمقاصد ، وإنما كان تأثير الشاطبي فيه بالغاً حده بكتاب «الاعتصام» ؛ فإن اتجاهه منصباً على الدعوة السلفية ، فوجد في هذا الكتاب بغيته ، ومن المفيد أن أشير هنا إلى أن شيخنا الألباني - رحمه الله تعالى - عرف (الدعوة السلفية) في أول أمره عن طريق مجلة المنار .

الإسلام ، فمثله كمثل الحكيم الاجتماعي عبدالرحمن بن خلدون ، كل منهما جاء بما لم يُسبق إلى مثله ، ولم تنتفع الأمة ـ كما كان يجب ـ بعلمه .

كتاب «الموافقات» لا ندَّ له في بابه (أصول الفقه وحِكَم الشريعة وأسرارها) ، وكتاب «الاعتصام» لا ندَّ له في بابه ، فهو ممتع مشبع ، وإنْ لم يتمَّه[1] المصنف رحمه الله تعالى»[2] .

الشاطبي مصلح سلفي:

والعجب أن بعضهم عدّ الشاطبي مجدّداً عقلانياً[3] !! والحق أن تخليص الإسلام من البدع ، والرجوع به إلى ما كان عليه في الصدر الأول ، هو قوام الإصلاح الذي دعا إليه الشاطبي ، وأن إصلاحه كان سلفيّاً خالصاً ، ينهض على إحياء السنة ، وإماتة البدعة ، والعمل بأصول الإسلام وشريعته على النحو الذي كان عليه المسلمون الأولون ، فهو لم يتجاوز فيما يدعو إليه أصول الدين وفروعه ، فاسمع إليه وهو يقول :

«ابتدأتُ بأصول الدين عملاً واعتقاداً ، ثم بفروعه المبنية على تلك الأصول ، وفي خلال ذلك أتبين ما هو من السنن أو من البدع ، كما أتبيّن ما هو من الجائز ، وما هو من الممتنع ، وأعرض ذلك على علم الأصول الدينية والفقهية»[4] .

وأما عن مصادر فكره الإصلاحي ، فهو يكشف لنا عنها بقوله : «وكذلك جعل الله العظيم لبيان السنة عن البدعة ناساً من عبيده بحثوا عن أغراض الشريعة كتاباً وسنة ، وكما كان عليه السلف الصالحون ، وداوم عليه الصحابة والتابعون ، وردّوا على أهل البدع والأهواء ، حتى تميّز أتباع الحق عن أتباع الهوى»[5] .

---

(١) المتبقي منه قليل جداً ، فالمصنف وضعه في عشرة أبواب .

(٢) مقدمة رشيد رضا لـ«الاعتصام» (١/٣ - ٥) .

(٣) ذهب محمد عابد الجابري في مقالة له نشرت في مجلة «العربي» (عدد ٣٣٤/ سنة ١٩٨٦م ، ص٢٥ - ٢٩) بعنوان (رشدية عربية أم لاتينية) إلى أن الشاطبي في تجديده نهل من عقلانية ابن رشد ! نعم ؛ أخذ الشاطبي من ابن رشد كما صرّح هو بذلك في بعض المواطن ، ولكنه لم يتأثر بعقلانيته إطلاقاً ، وكان الرجلان يختلفان اختلافاً جذرياً ، فلكل منهما منهجه ، فابن رشد يسلط العقل على النص ، والشاطبي يعد ذلك من البدع ، وصرح في مواطن عديدة في كتابه هذا أن هذا منهجاً لأهل البدع .

(٤) الاعتصام (١/١٤) .

(٥) الموافقات (٢/٩٤) .

فالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة على وجه الدوام هي مصادر إصلاحه ، ولا يكون ذلك بمعزل عن أغراض الشريعة ومقاصدها ، ومن خلال ذلك يتضح (الثوابت من المتغيرات) في الاجتهادات ، ويقع التلاءم التام بين (ألفاظ النصوص) و(معانيها) .

الساعة ، فأقوى ما كان أهل الإسلام في دينهم وأعمالهم ويقينهم وأحوالهم في أول الإسلام»[1] .

ويقرِّر الشاطبي أن الإصلاح بمنهج السلف إنما هو - في واقع الأمر - امتثال لأمر الله ، فيقول : «فالقرآن إذن هو المتبوع على الحقيقة ،

والعجب أن بعضهم عدّ الشاطبي مجدداً عقلانياً !! والحق أن تخليص الإسلام من البدع، والرجوع به إلى ما كان عليه في الصدر الأول، هو قوام الإصلاح الذي دعا إليه الشاطبي، وأن إصلاحه كان سلفيّاً خالصاً، ينهض على إحياء السنة، وإماتة البدعة، والعمل بأصول الإسلام وشريعته على النحو الذي كان عليه المسلمون الأولون

وكان الشاطبي ينظر إلى السلف الصالح نظرة مثالية ، فاسمع إليه وهو يقول :

«لا يمكن أن يبلغ المتأخِّرون أبداً مبالغ المتقدّمين ، فخيرُ القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وهكذا الأمر أبداً إلى قيام

وجاءت السنة مبيّنة له ، فالمتبع للسنة متبع للقرآن ، والصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا أولى الناس بذلك»[2] ، وأن هذا الاتباع للسلف الصالح ؛ هو الذي «يعصمنا من العمل بالسنن المنسوخة لأنهم كانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من سنته ﷺ ، وكانوا

---

(١) الاعتصام (٢/٥٧) .

(٢) الاعتصام (٢٧٦/٣) .

يتسابقون إلى إحيائها، وإحياء السنة ليس له من معنى غير العمل بها»[1].

والسلفية بهذا المفهوم الصحيح تأتي ثمارها وبركاتها، وتنعكس خيراتها على الأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة، ودونها «لا نهتدي سبيلاً، ولا نعرف من مصالحنا الدنيوية إلا قليلاً على غير كمال، ولا في مصالحنا الأخروية لا قليلاً ولا كثيراً، بل كان كل أحد يركب هواه وإن كان فيه ما فيه، ويرح هوى غيره»[2]، ولا عجب في ذلك؛ إذ هي ثمرة وحصيلة تعليم وتربية رسول الله ﷺ للمستجيبين - بصدق وعلم - له.

دوافع الإصلاح عند الشاطبي:

كان الشاطبي في إصلاحه ثابتَ الخطى، لوضوح الأمر عنده، من خلال معرفته حال الناس والوعاظ والعلماء في زمانه من جهة، ومعرفة ما يلاقي المصلحون، وما يحدث لهم من متاعب من جهة أخرى، فها هو يقرِّر أن مواجهة الناس للمصلحين أمر مألوف لا انفكاك عنه، ولا مفرَّ منه، والتاريخ شاهد على أنّ كل إصلاح لا بد أن يلقى صدوداً ومحاربة؛ لأن الناس ينفسرون مما يعارض أهواءهم، ولو كان حقاً[3].

والشاطبي يثبّت نفسه على الألاقي التي واجهها، ويثبّتها على احتمال الأذى بتقرير أن الكيد للمصلحين من سُنّة الله التي لا تتخلف، وأن الشر أو الضر يزداد له بصدقه وثباته على دعوته، وأن هذا هو الذي وقع مع رسول الله ﷺ وصحبه. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن باعث الإصلاح كان عند هذا الإمام هو أنه واجب شرعاً، ولا عذر للقادر عليه في إهماله؛ فهو يقول: «إن المكلَّف إذا فهم مراد الشارع من قيام أحوال الدنيا، وأخذ في العمل على مقتضى ما فهم، فهو إنما يعمل من حيث طُلب منه العمل، ويترك إذا طُلب منه الترك، فهو أبداً في إعانة الخلق على ما هم عليه من إقامة المصالح باليد واللسان والقلب»[4]، وهذا هو الذي حصل معه نفسه، فإنه أخذ بالحزم والعزم ولم يأبهْ بكراهة المخالف، وكان في ذلك محتسباً متجرداً للحق يدور معه، ولذا نُبز بأشياء هو منها بريء[5].

ومن النصوص التي أبرزت دوافعه في

(١) الموافقات (٣/٣٢٧).

(٢) الاعتصام (١/١٩٧).

(٣) الموافقات (٢/٣٣٧ - بتحقيقي).

(٤) «الاعتصام» (١/٣٥).

(٥) انظر «الاعتصام» (١/١٣ - ١٥، ١٨ - ٢٤، ٢٩ - ٣٠).

الإصلاح ، قوله بعد كلام :

«فتردَّد النظر بين أن أتبع السُّنّة على شرط مخالفة ما اعتاد الناس ؛ فلا بد من حصول نحو مّا حصل لمخالفي العوائد ـ لا سيما إذا ادعى أهلها أنّ ما هم عليه هو السنة لا سواها ـ ؛ إلا أن في ذلك العبء الثقيل مع ما فيه من الأجر الجزيل ، وبين أنْ أتبعهم على شرط مخالفة السنَّة والسَّلف الصَّالح ، فأدخل تحت ترجمة الضُّلال عائذاً بالله من ذلك ؛ إلا أني أوافق المعتاد ، وأُعَد من المؤالفين لا المخالفين؟!

فرأيت أن الهلاك في اتباع السنة هو النجاة ، وأن الناس لن يُغنوا عني من الله شيئاً ، فأخذتُ في ذلك على حكم التدريج في بعض الأمور ، فقامت عليَّ القيامة ، وتواترت عليَّ الملامة ، وفوَّقَ إليَّ العتابُ سهامَه ، ونُسِبتُ إلى البدعة والضلالة ، وأُنزلتُ منزلة أهل الغباوة والجهالة»[1] .

وقوله أيضاً :

«وعلى طوال العهد ودوام النظر اجتمع لي في البدع والسنن أصولٌ قَدَّرتْ أحكامَها الشريعةُ ، وفروعٌ طالت أفنانها ، لكنها تنتظمها تلك الأصول ، وقلَّما توجد على الترتيب الذي سنح في الخاطر ، فمالت إلى بثِّها النفس ، ورأت أنه من الأكيد الطلب ؛ لما فيه من رفع الالتباس الناشئ بين السنن والبدع ؛ **لأنه لما كثرت البدع، وعمَّ ضررُها، واستطار شررُها، ودام الإكباب على العلم بها، والسكوت من المتأخرين عن الإنكار لها، وخَلَفَتْ بعدَهم خلوفٌ ذهلوا أو غفلوا عن القيام بفرض القيام فيها؛ صارت كأنها سنن مقرَّرات، وشرائع من صاحب الشريعة محرَّرات، فاختلط المشروع بغيره، فعاد الراجع إلى محض السنة كالخارج عنها كما تقدَّم، فالتبس بعضها ببعض** ، فتأكَّد الوجوب بالنسبة إلى مَن عنده فيها علم ، وقلَّما صُنِّف فيها على الخصوص تصنيف ، وما صُنِّف فيها ؛ فغير كافٍ في هذه المواقف .

مع أنَّ الداخل في هذا الأمر اليوم فاقدُ المساعد عديمُ المعين : فالموالي له يخلد به إلى الأرض ، ويُلْقي له باليد ، إلى العجز عن بثّ الحق بعد رسوخ العوائد في القلوب . والمعادي يرميه بالدِّرْدَبِيس[2] ، ويروم أخذه بالعذاب

---

(١) الاعتصام (١/١٨) .

(٢) تحرفت في جميع المطبوعات إلى «بالأردبيس» !! ولا معنى له ، وصوابه : ما أثبتناه ، وفي «القاموس» (ص٧٠١) : «الدِّرْدَبيس : الداهية ، والشيخ ، والعجوز الفانية ، وخَرَزَةٌ للحب» وبمعنى الشيخ بكسر الدّال ، وهكذا كتبه أبو عمر الإيادي ، قال ابن بري : شاهد الدّاهية قول جُرَيَّ الكاهلي :

ولو جرَّبْتَني في ذاك يوماً رضيت ، وقلت : أنتَ الدِّرْدَبيسُ

البـئـيس ؛ لأنه يرد عـوائده الراسـخـة في القلوب ، المتـداولة في الأعـمـال ؛ ديناً يُتَعَبَّد به ، وشـريعـة يُسْلَك عليـهـا ، لا حـجـة له إلا عـمـل الآباء والأجـداد ، مع بعض الأشـيـاخ المعلّمين ، كانوا من أهل النظر في هذه الأمور أم لا ، ولم يلتـفـتوا إلى أنهم عند موافـقـتـهم للآباء والأشياخ مخالفون للسلف الصالح .

فالمتعرّض لمثل هذا الأمر ينحو نحو عمر بن عـبـدالعـزيز رضي الله عنه في العـمل ؛ حيث قال :

«ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكَبُر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره» .

وكذلك ما نحن بصدد الكلام عليه ؛ غير أنه أمر لا سبيل إلى إهماله ، ولا يسع أحداً ممّن له منّة فيه إلا الأخذ بالحزم والعزم في بثّه بعد تحصيله على كماله ، وإن كره المخالف ؛ فكراهيته لا حجة فيها على الحق ألا يُرْفَع منارُه ، ولا تخسف أنواره»[1] .

❖ **بواعث الإصلاح عند الشاطبي:**

كشف الشيخ محمد بن عاشور عن بواعث الإصلاح عند الإمام الشاطبي بقوله :

«كان توالي الصدمات النفسية ، والمفاجآت الاعتقادية والسياسية ، في تعاقب دعوة الفاطميين والمرابطين والموحدين ؛ وتصارع الدول المؤمنية والحفصية والمرينية قد أوقف الناس مدهوشين حائرين ، أمام خليط من المذاهب ، والنحل وجعجعة من الدعاوى المضطربة ، يسمعون دويّها ولا يفهمون معناها ، حتى كاد مفهوم الدين أن يتعطّل ، بانبهام المبادئ ، وانطماس المثل .

فكان تخرّج الشاطبي بعلمه الواسع في الدين ، وفهمه العميق لأسراره ؛ قد رسم في ذهنه صورة جلية واضحة المعالم ، من الشريعة الإسلامية ؛ وصورة كاملة للمجتمع المثالي المتكوّن بتلك المبادئ الإسلامية السامية ، فلما مدّ بصره إلى حياة المجتمع الأندلسي ، بما فيها من علل وأدواء ، ومظاهر شوهاء ، ارتعد فزعاً من اختلاف تلك الصورة المؤلمة ، عن الصورة المشرقة الملهمة التي رسمتها في ذهنه يد الدراسة العلمية الحكيمة .

وكانت قوة يقينه الإيماني ، وبعد همته العقلية ، يعصمانه من أن يستسلم إلى اليأس ، ويركن إلى اعتقاد أن الدين النظري شيء ، والدين الواقعي شيء آخر ، كما فعل إخوان الصفاء وأبو العلاء المعري ؛ ولا أن ينظر

(١) الاعتصام (١/٢٩ - ٣٠) .

باطمئنان إلى اعتبار الحقيقة الدينية في الإخلاص الباطني، وعزل حظ الحياة العلمية عنها، كما ذهب إلى ذلك كثير من المتصوفين، فلذلك أقبل الشاطبي، بعزيمة غلابة على فحص الواقع الديني وتمحيصه، موقناً بأن الحقيقة المثالية غير نابية عن الواقع العملي، ولكنها موجودة فيه عن تفكّك وتبعثر، والتباس واندراس.

فقدر أن حقيقة الدين لا يمكن أن تكون إلا واحدة غير مختلفة، وأن الدعوات الابتداعية التي نفخت فيها أبواق العصبيات، هي التي أحدثت في الدين، ما يبدو بين صوره من تخالف واضطراب، وتمثّلت له هذه النظرية مجسمة في ما ثار بينه وبين شيخه وشيخ الأندلس قاطبة، أبي سعيد ابن لب في أمور تتصل بالعبادات، كان الشاطبي ينكرها، وأبو سعيد يتأوّل لها؛ وأخرى من الأحكام المدنية، كان يميل هو إلى مشروعيتها، ويرى أبو سعيد منعها، كمسألة توظيف الغرامات على أهالي البلدان؛ لإقامة مصالحهم المشتركة.

وفي سبيل إقامة الدعامة الأساسية لنظريته، وهي وحدة حقيقة الدين، فيما أشكل عليه وحيّره وأغمّه، من أمر اختلاف الأقوال، وقضية الترجيح فيها والتضعيف، فلم يشأ أن يتقدم خطوة قبل أن يزيح عن نظريته الأساسية، ما غم عليها من إشكال، فأراد أن يجعل مقدمة ذلك إيضاح النظرية المخالفة بجمع عناصرها، وإيراد حججها، كي يتمكن بذلك من ضبط جهة الجدة والابتكار في نظريته، ويتمكن من اختيار براهينها.

ففزع إلى علمي الشريعة في تحقيق الفقه وتطبيقه، من خارج الأندلس: وهما إمام تونس الشيخ ابن عرفة، وفقيه فاس أبو العباس أحمد بن قاسم القباب، فكتب إليهما في إنصاف وتواضع وأدب وإنكار للذات، بما عنده من المشكلات.

واطّرد ما بينه وبين إمامي تونس وفاس تبادل التحارير في تلك المسائل ابتداء ومراجعة، بما كان له أساساً لضبط فكرته وإبرازها مختمرة ناضجة، على ما بينه وبينهما من الاختلاف.

كما فزع في أمر الصوفية ومقالاتهم، ونسبة ما بين الإخلاص الباطني والتكاليف العملية عندهم، إلى أعظم رجال التصوف يومئذ، وأبعدهم صيتاً في عامة البلاد المغربية، وهو إمام فاس الشيخ ابن عباد الرندي، فاطردت بينه وبينه المراجعات أيضاً حتى اتضحت معالم الطريقة التي يسير كل عليها، فانتهى الأمر إلى تسليم الشيخ ابن عباد للإمام الشاطبي صواب ما راجعه به، كما أخبر بذلك الشاطبي في كتاب «الموافقات».

ولما اتضحت للشاطبي فكرته واستقامت أصولها ، تقدم يعلن بها للناس صريحة جريئة ، فقامت في وجهه ضجة الإنكار التي لم تسلم منها دعوة من الدعوات الإصلاحية ، ولا فكرة من الأفكار المجددة ؛ فتألّب الناس عليه ، بما عظم عليهم من أمر مفارقة البدع المألوفة ، وآذوه أذى بليغاً ، طفحت الصحائف الأولى من كتاب «الاعتصام» بوصفه وفي الشكوى منه .

ومضى الإمام الشاطبي ـ مع ذلك ـ في طريقه غير هيّاب ولا وَجِل ، فأخلص للحق ، وانقطع لإبراز حقيقة الدين بتأصيل أصول علم الشريعة ، والسمو عن التفاريع المختلفة المضنونة ، إلى القواعد الكلية القطعية التي ينبغي أن تكون مراجع للفقيه لا محيد عنها ، وعلى ذلك المنوال نسج كتابه العجيب كتاب «الموافقات»[1] الذي أبرز فيه مقاصد الشريعة ، مصرّحاً بأنه قصد حمل الناس على الوسط الذي هو مجال العدل والاعتدال ؛ وأخذ المتخلّفين على طريق مستقيم بين الاستصعاد والاستنزال ، ليخرجوا عن انحرافي التشور والانحلال ، وطرفي التناقض والمحال»[2] .

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ بعد كلام عن كتاب «الاعتصام» وأثره في الإصلاح :

«أما الكتاب الآخر وهو «الاعتصام» الذي هو ثمرة كفاح الشاطبي ، في تقويم الدين وقمع البدع ؛ فقد كان أيضاً باعثاً من أقوى بواعث النهضة الإسلامية الحاضرة ، استندت إليه الحركة السلفية في المشرق والمغرب منذ أخرج للناس العلامة المرحوم[3] السيد محمد رشيد رضا من مطبعة المنار سنة ١٣٣٢ فكان فيض بيانه المتدفق ، برداً وسلاماً على القلوب المتحرقة من سوء مآل العالم الإسلامي ، لما حيك في نفوس المسلمين من زينة البدع .

وكان تأليف كتاب «الاعتصام» ، بعد كتاب «الموافقات» ضرورة أنه يحيل في «الاعتصام» على «الموافقات» ، وقد صنع فيه صنيعاً عجيباً في التفكيك بين المحدثات المذمومة ، التي لا ترجع إلى أصل من أصول الدين ، وبين ولائد الاجتهاد ، بالرأي

(١) عملت على تحقيقه على نسخ خطية لم ينشر الكتاب عنها من قبل ، وأثبت من خلالها فروقاً كثيرة مهمة أساسية في صلب الكتاب ، وعملت على تخريج أحاديثه وآثاره وتوثيق نصوصه ، وصنعت له فهارس علمية تبين درره وكنوزه ، وصدر عن دار ابن عفان ، في ستة مجلدات ، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات .

(٢) «أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي» (٧٣ - ٧٥) .

(٣) تجوز هذه العبارة على كونها دعاءاً ، لا تقريراً .

والمصلحة والاستحسان ، لما هو راجع إلى تطبيق أصول الدين وتحقيق مقاصده ، وبذلك أراد أن ينقض غزلاً دقيقاً كان غزله شهاب الدين القرافي على محمد بن بيان شيخه عز الدين ابن عبدالسلام ؛ إذ قسّم البدع إلى حسنة مشروعة ، ومذمومة محظورة ؛ فأبطل الشاطبي ذلك : بأن ما اعتبره القرافي بدعة حسنة ، هو حسن ولكنه ليس ببدعة ، ليتوصل بذلك إلى حصر البدع في القسم المذموم حتى لا ينفتح باب التفصيل في البدع ، فيظن أن المحاسن المطلوب استجلابها هي أمور لم يأتِ بها الدين .

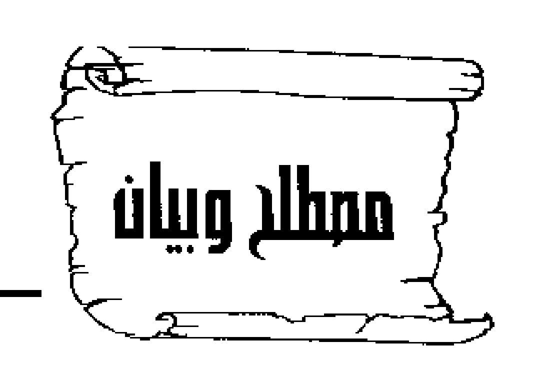
وقد استهدف بنقوده ـ في هذا الكتاب ـ على نسبة واحدة ، كل من الباطنية والظاهرية ، والمتصوفين ، والموحدين : أصحاب المهدي بن تومرت ، والمبتدعين والمقلدين ، فكل موقعه كموقع الحق الفاصل ؛ لا يكاد يرضي أحداً ويؤلفه ، حتى يغضبه وينفّره .

وكذلك خلّف الشاطبي هذين الكتابين ، حجة قائمة ، ودعوة بالغة ، فكان بين ما خلف من الآثار الزكية ؛ في علوم الشريعة ، والعربية ، والأدب ، نداءً متجاوباً بين أطراف القرون ، يأخذ بالناس إلى طريق الدين المستقيم ، وأبقى عنه ذلك ذرية صالحة بما كون من الملكات الصحيحة لتلاميذه ، مثل أبي يحيى ابن عاصم وأبي بكر ابن عاصم ، وأبي العباس القصار ، فلما توفِّي سنة ٧٩٠ بقيت تلك الملكات بعده تتسلسل ، وتتوالد في أعلام الثقافة الإسلامية ، حتى جاء عصر الحاجة الأكيدة إلى الاستمداد من كتابيه ، فلبّى الناس تلك الدعوة التي كانوا لبّوها من الأصلاب وراء حجب القرون ، ولا غرو ؛ فما هي إلا دعوة إبراهيم»[1] .

أكره مضغ الباطل !!

سمع حمادُ بن سلمة أيوبَ السختياني يُسأل: مالَكَ لا تنظر في هذا . يعني الرأي .؟ فقال: قيل للحمار: ألا تجترّ؟ فقال: أكره مضغ الباطل.

(١) «أعلام الفكر الإسلامي» (ص٧٦ - ٧٧) .



الفكر التنويري في الميزان

● بقلم: الشيخ د. محمد موسى نصر

. . . نُسبوا إلى العقل ؛ لأنهم جعلوا العقل هو الحَكَم في كل شيء ؛ حتى في الأمور الغيبية التي لا تخضع للعقل في العادة ، فهم لا يجعلون الشرع هو الحَكَم ، فإن العقل عندهم قاضٍ على كل شيء من الشرع والدِّين ؛ فما وافق العقل قبلوه ، وما خالفه رفضوه ؛ ولو جاء به كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لذلك أعملوا عقولهم في ردِّ كثير من النصوص ؛ لأنها - بزعمهم - تتعارض مع العقل ، وإنما تتعارض - في الحقيقة - مع عقولهم القاصرة لا مع العقول السليمة ، فالعقل السليم لا يخالف النقل الصحيح ، وقد صنّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً حافلاً اسمه : «**درء تعارض العقل والنقل**» أو «**موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول**» .

منزلة العقل في الإسلام:

لم تهمل الشريعة الإسلامية جانب العقل حيث جعلت العقل مناط التكليف ؛ فكرِّمت ابن آدم بالعقل ، قال تعالى : ﴿**ولقد كرَّمْنا بني آدم**﴾ . وأسقط الله التكليف عن المجنون والنائم والغلام قبل الاحتلام ، ولقد دعا القرآن والسنة المطهّرة إلى الاستفادة من العقل ، والتدبُّر في خلق السموات والأرض ، والاستدلال بالآيات الكونية من خلال العقل على وجود الباري وعلى ربوبيته وألوهيته .

ولقد كرَّم الله عز وجل الإنسان لأمرين :

١- الهداية .

٢- العلم الذي لا يكون إلا بالعقل ، لذلك فالمجنون لا يمكن أن يكون عالماً ، قال تعالى : ﴿**أفمَنْ يعلمُ أنَّما أُنزلَ إليك من ربِّكَ هو الحقُّ كمَنْ هو أعمى إنما يتذكَّرُ أولوا الألباب**﴾ .

فجعل الله الناس فريقين : عالماً وجاهلاً .

العقل لا يكون حَكَماً على الشرع:

ومع هذه الأهمية للعقل إلا أنّ الله عز وجل لم يجعل العقل حكَماً على الغيب ولا على الشرع ، إنّما حدَّ له حدوداً لم يُجِزْ له تجاوزها .

فالعقل وسيلة للتوصيل إلى معرفة إبداع الله في الكون وأسرار هذه الحياة الدنيا ، وأما ما يكون من شأن الآخرة والغيب وما بعد الموت ، ومعرفة ذات الله وصفاته وأسمائه ؛ كل أولئك لا مجال للعقل أن يخوض فيها إلا من خلال نصوص الوحي ؛ فمن رام معرفة متى تقوم الساعة بعقله وحدسه ؛ تخبَّط واضطرب ولم يرجع بطائل ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿**إنَّ الله عنده علم الساعة وينزِّل الغيثَ ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت**﴾ .

العقل نعمةٌ عظيمةٌ مِن نِعَم الله على الإنسان:

إذا علمنا أنَّ العقل مِن نعم الله العظيمة على الإنسان يكن لزاماً على الإنسان العاقل أن ينتفع بعقله ، وأن يستثمره في فهم النصوص الشرعية والآيات الكونية ، لا للاستدراك على الشرع وتخطئة الوحي وتكلُّف معرفة الغيوب ، فإنَّ الذين يحكِّمون العقل في الأمور الغيبية لا يعقلون ، وهم يجهلون حكمة الله أو حكمة الشرع في جعل كثير من الأحكام الشرعية غير معقولة المعنى (أي : تعبُّدية محضة) .

هل وردت أحاديث صحيحة أو حسنة في فضل العقل؟

قال العلماء : إنه لم يصحَّ حديثٌ في فضل العقل ، وكل ما جاء في هذا الباب إما موضوع أو ضعيف ، إنّ الذين يقدِّسون العقل ويجعلونه حكَماً على النقل الصحيح لا يعقلون ؛ لأنّ العقل مخلوق من مخلوقات الله ، والخلق مهما أُوتوا من العلم والمعرفة والفهم ؛ فلن يبلغوا حقيقة ما غُيِّب عنهم ، ولو تكلَّفوا لذلك أشدّ التكلُّف ، ولذلك جاء في الحديث الحسن : «**تفكَّروا في آلاء الله ولا تفكَّروا في ذات الله**» ، ولقد نعى الله على الذين لم يهتدوا بعقولهم إلى الحق والصواب ، الذين أعرضوا عن الحق إذ جاءهم بعد أن ظهر لهم واضحاً وضوح الشمس في رائعة النهار ؛ حيث شبّهم الله بالدواب العجماء ، والأنعام السائمة التي لا تنتفع بحواسها ، قال تعالى : ﴿**أم لهم قلوبٌ لا يفقهون بها أم لهم أعين لا يبصرون بها أم لهم آذانٌ لا يسمعون بها إنْ هم**

إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً﴾ فمن وهبه الله نعمة العقل ولم يهتدِ به إلى الحق ، بل ضلَّ مع ذلك ضلالاً بعيداً بعد قيام الحجة البالغة إليه ، بل شرد من ربه شرود البعير الضالّ من أهله ؛ فهو في دركةٍ دون دركات البهائم .

تأثُّر المدرسة العقلية بالحضارة الغربية الزائفة:

لقد تأثر أرباب هذه المدرسة الفاسدة بالحضارة الغربية الزائفة ، فأكثرهم ممن تلقوا علومهم عن الغرب ، وتتلمذوا على أيدي المستشرقين ، ودرسوا الفلسفة وعلم الكلام والمنطق ، وتشبّعوا بآراء أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم ، ولقد انبهروا بل فتنوا بما وصلت إليه المجتمعات الغربية من تقدم علمي وتقني ؛ فسعوا جاهدين للعمل على التقريب بين الإسلام وبين الثقافة الغربية مع ما بينهما من تنافر وتناقض وبُعد ، كما ما بين المشرق والمغرب ، فدعوا إلى التنازل عن مسلّمات وثوابت أصلية ، وعملوا على ليِّ أعناق النصوص الشرعية ، أو تعطيلها ، أو تأويلها تأويلاً فاسداً يُخرجها عن نصّها وروحها ، وشقوا لأنفسهم طريقاً وعراً ليجمعوا بين المتناقضات ، فتحكموا وتهكموا على كثير من النصوص بأهوائهم وآرائهم الفاسدة الكاسدة العاطلة الباطلة ؛ إرضاءً لأساتذتهم المستشرقين والمستغربين ، ولمن كان على شاكلتهم ؛ كلّ ذلك جهلاً منهم وضلالاً وإضلالاً ، فترى الواحد منهم لا يعرف من الدين إلا اسمه ، ولا يعرف من الإسلام إلا رسمه ؛ فلا ظاهرهم أصلحوه ، ولا باطنهم من الانحراف والشكّ والضلال خلّصوه ؛ فتراهم لا يعملون بشرع الله ، ولا يلتزمون تعاليم الله ، ويرون الإيمان ما وقر في القلب دون ما ظهر على الجوارح ، وهذا مذهب المرجئة القدامى والمعاصرين ، وهو مذهب مرجئة العصر العقلانيين ، الذين يفهمون الشرع بعيداً عن وحي الكتاب والسنة وسبيل العلماء العاملين من الأئمة المتّبَعين والعلماء الربانيين في كلّ عصرٍ وأوان .

أبرز رموز المدرسة العقلانية المعاصرة:

١ـ محمد عمارة .

٢ـ محمد الغزالي السقا .

٣ـ يوسف القرضاوي .

٤ـ فهمي هويدي (الكاتب) .

٥ـ حسن الترابي السوداني .

٦ـ المفكّر رجاء جارودي الفرنسي .

٧ـ جابر العلواني .

* * *



من آثار السلف في الحكم على المرء بقرينه

● بقلم: جمال الحارثي

قال أبو قلابة : «قاتل الله الشاعر حين يقول :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي»

قلت : وكأن أبا قلابة معجب بهذا البيت ، وهو لعدي بن زيد العبادي .

قال الأصمعي : لم أر بيتاً قط أشبه بالسنّة من قول عدي - هذا - «الإبانة» : (٢/٤٣٩) .

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : قال رسول الله ﷺ : «المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل»[1] .

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : «اعتبروا الناس بأخدانهم ، المسلم يتبع المسلم ، والفاجر يتبع الفاجر» . «الإبانة» (٢/٤٧٧ رقم ٥٠٢) ، والشق الأول : أخرجه البغوي في «شرح السنّة» : (١٣/٧٠) .

وقال : «إنما يماشي الرّجل ويصاحب من يحبه ومن هو مثله» . «الإبانة» : (٢/٤٧٦ رقم ٤٩٩) .

وقال - أيضاً - : «اعتبروا الناس بأخدانهم ؛ فإن الرجل لا يخادن إلا من يعجبه نحوه» . «الإبانة» (٢/٤٧٧ رقم ٤٩٩) .

قال أبو الدرداء : «من فقه الرجل ممشاه ، ومدخله ، ومجلسه» . «الإبانة» (٢/٤٦٤ رقم ٤٥٩ ، ٤٦٠) .

عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود - عليه السلام - : «لا تحكموا على أحد بشيء حتى تنظروا من يخادن» . «الإبانة» : (٢/٤٨٠ رقم ٥١٤) .

قال أبو حاتم : وقدم موسى بن عقبة الصوري بغداد ؛ فذكر لأحمد بن حنبل ،

(١) صحيح - انظر «السلسلة الصحيحة» (رقم ٩٢٧) للعلامة الألباني .

فقال : «انظروا على من نزل ، وإلى من يأوي» . «الإبانة» (٢/٤٨٠ رقم ٥١٤) .

قال قتادة : «إنا والله ما رأينا الرجل يصاحب من الناس إلا مثله وشكله ؛ فصاحبوا الصالحين من عباد الله لعلكم أن تكونوا معهم أو مثلهم» . «الإبانة» (٢/٤٧٧ رقم ٥٠٠) .

قال شعبة : «وجدت مكتوباً عندي : إنما يصاحب الرجل من يحب» . «الإبانة» (٢/٤٥٢ رقم ٤١٩ ، ٤٢٠) .

قال الأوزاعي : «من ستر عنّا بدعته لم تخف علينا ألفَتُه» . «الإبانة» (٢/٤٧٦ رقم ٤٩٨) .

دُعي أيوب السختياني إلى غسل ميت ، فخرج مع القوم ؛ فلمّا كشف عن وجه الميت عرفه ، فقال : «أقبلوا قبل صاحبكم ، فلست أغسله ، رأيته يماشي صاحب بدعة» . «الإبانة» (٢/٤٧٨ رقم ٥٠٣) .

قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «اعتبروا الأرض بأسمائها ، واعتبروا الصاحب بالصاحب» . «الإبانة» (٢/٤٧٩ رقم ٥٠٩ ، ٥١٠) .

كان محمد بن عبيدالله الغلابي يقول : «يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة» . «الإبانة» (١/٢٠٥ رقم٤٤ و٢/٤٨٢ رقم ٥١٨) .

قال معاذ بن معاذ ليحيى بن سعيد : «يا أبا سعيد ، الرّجل وإن كتم رأيه لم يخف ذاك في ابنه ، ولا صديقه ، ولا في جليسه» .

قال عمرو بن قيس الملائي : «إذا رأيت الشاب أوّل ما ينشأ مع أهل السنّة والجماعة ؛ فارجه ؛ فإذا رأيته مع أهل البدع ؛ فايأس منه ؛ فإن الشاب على أوّل نشوئه» . المصدر السابق .

وقال ـ أيضاً ـ : «إن الشاب لينشأ ؛ فإن آثر أن يجالس أهل العلم كاد أن يسلم ، وإن مال إلى غيرهم كاد أن يعطب» .

قال ابن عون : «من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع» . «الإبانة» (٢/٢٧٣ رقم ٤٨٦) .

قال يحيى بن سعيد القطان لما قدم سفيان الثوري البصرة ، جعل ينظر إلى أمر الربيع بن صبيح وقَدره عند الناس ، «سأل أي شيء مذهبه؟» ، قالوا : ما مذهبه إلا السنّة ، قال : «من بطانته؟» ، قالوا : أهل القدر ، قال : «هو قدري» . «الإبانة» (٢/٤٥٣ رقم ٤٢١) .

قال ابن بطة : «رحمة الله على سفيان الثوري لقد نطق بالحكمة فصدق ، وقال بعلم فوافق الكتاب والسنّة وما توجبه الحكمة ، ويدركه العيان ، ويعرفه أهل البصيرة ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿يا أَيُّها

الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتم﴾ [آل عمران : ١١٨] .

قال أبو داود السجستاني : قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل : أرى رجلاً من أهل السنّة مع رجل من أهل البدع ، أترك كلامه؟ ، قال : «لا ، أو تُعْلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة ؛ فإن ترك كلامه ؛ فكلمه ، وإلا فألحقه به ؛ قال ابن مسعود : المرء بخدنه» «طبقات الحنابلة» (١/١٦٠ رقم ٢١٦) .

يقول ابن تيميّة ـ رحمه الله ـ : «ومن كان محسناً للظنّ بهم ـ وادعى أنه لم يعرف حالهم ـ عُرِّفَ حالهم ، فإن لم يباينهم ، ويظهر لهم الإنكار ، وإلا أُلْحق بهم ، وجُعل منهم» «مجموع الفتاوى» (٢/١٣٣) .

قال عتبة الغلام : «من لم يكن معنا فهو علينا» «الإبانة» (٢/٤٣٧ رقم ٤٨٧) .

قال ﷺ : «الأرواح جنودٌ مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» «صحيح البخاري» (رقم ٣١٥٨) ، و«صحيح مسلم» (رقم ٢٦٣٨) .

قال الفضيل بن عياض ـ عقب هذا الحديث ـ : «فلا يمكن أن يكون صاحب سنّة يمالي صاحب بدعة إلا من النفاق» كتاب «الرد على المبتدعة» لابن البنا (مخطوط) .

قال ابن مسعود : «لو أن مؤمناً دخل مسجداً فيه مئة نفس ليس فيهم إلا مؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ، ولو أن منافقاً دخل مسجداً فيه مابة ليس فيه إلا منافق واحد لجاء حتى يجلس إليه» .

قال حمّاد بن زيد : قال لي يونس : «يا حمّاد ، إنّي لأرى الشاب على كلّ حالة منكرة ولا آيس من خيره ، حتى أراه يصحب صاحب بدعة ؛ فعندها أعلم أنه قد عطب» .

قال أحمد بن حنبل : «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنّة والجماعة ؛ فارجه ، وإذا رأيته مع أصحاب البدع ؛ فايئس منه ؛ فإن الشاب على أول نشوئه» «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/٧٧) .

قال ضمرة بن ربيعة : عن ابن شوذب الخراساني أنه قال : «إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسّك أن يواخي صاحب سنّة يحمله عليها» «الإبانة» (١/٢٠٥ رقم ٤٣) ، وفي «الصغرى» (١٣٣ رقم ٩١) ، واللالكائي (١/٦٠ رقم ٣١) .

عن عبدالله بن شوذب عن أيوب قال : «إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنّة» اللالكائي (١/٦٠ رقم ٣٠) .

«الحدث» : أي صغير السن .

هذا ما تيسّر بيانه ، والحمد لله وحده .



مدارك النظر في السياسة

بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية

● بقلم الشيخ: أبي الحارث علي بن حسن الحلبي

يُعَدُّ التصنيفُ العلميُّ المنضبطُ ـ اليومَ ـ عُملةً نادرةً في دنيا النشر والكتابِ ؛ فقلَّ أن تجِدَ كتاباً متميِّزاً في مادّتِه ، قويّاً في طرحِه ، متيناً في صياغتِه وسَبْكِه .

وتشتدُّ النُّدْرَةُ ـ أكثرَ وأكثرَ ـ إذا كان هذا الكتابُ يبحثُ في مسائل الدعوةِ إلى الله ـ تعالى ـ ، وعلى منهج السلف الصالحِ ؛ تحريراً وتقريراً ، تأكيداً وتقعيداً .

ذلكم أنَّ كثيراً من الكُتَّاب ينظُرُ إلى أُمور الدعوةِ وشؤونها نظرةً تحملُ معنى (التوسُّط) الذي تلتقي عليه الأطراف ؛ ليذوبَ معها الخُلْف والاختلاف !!

فحينئذ ؛ أين الحقُّ؟! وأين أهله؟!

ومِن الكُتب الَّتي متَّعْتُ بها ناظري ، وأَجَلْتُ بها فِكري وخاطِري : كتاب «مدارك النظر في السياسة : بين التطبيقات الشرعية ، والانفعالات الحماسية» ، للأخ الفاضل الشيخ عبدالمالك رمضان الجزائري ـ نفع الله به ، وأجزل مثوبتَه ـ .

وهذا الكتابُ حَسَنٌ عُجَاب ؛ بناه مؤلِّفُهُ ـ وفّقه الله ، وسدّد خُطاه ـ على التأصيل العلميّ السلفيّ ، مقارنةً بما وقع ـ ويقع ـ من تفصيل دعويّ بدعيّ !!

أمّا الأصول ؛ فستةٌ :

أولها : أنَّ (الطريقَ واحدٌ) ؛ لأنّ التفرُّق عنوان الخسارة ، وبابُ الضلالة .

ثانيها : (اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح) ؛ هو أصلُ الدعوة ، وبابُ الالتزام ؛ لأنَّ الصحابةَ ـ وهم رأسُ السلف ـ «شهدوا التنزيل ، وشاهدوا من هدي الرسول

الكريم ﷺ ما فهموا به التأويلَ السليم» .

ثالثها : أن (نَيْلَ السؤدُد بالعِلم) ؛ فلا عزَّ ، ولا شرفَ ، ولا فضلَ ؛ إلا بالعلمِ ؛ الذي هو (قال الله) ، (قال رسول الله) .

رابعها : (صِمَام الأمان من الكفر والهزيمة ؛ باتِّباع الكتاب والسنة) ؛ لا بالعواطف العاصفة ، ولا بالحماسات الفارغة ، ولا بالخُطب الرنّانة ، ولا بالمواعظ المهيِّجة ! وإنّما بالتصفية والتربية ، والتوحيد والتزكية . .

خامسها : أنّ (الردّ على المخالف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ؛ بالّتي هي أحسنُ ، لِلّتي هي أَقْوَمُ ، بياناً للحقّ ، ونُصْرَةً لأهله ، وردّاً للباطلِ ، وصدّاً لجُندهِ .

سادسها : (التصفية والتربية) هي الطريقُ (العمليُّ) الوحيد الذي مِن خلاله (واقعيّاً) تصلُحُ الأُمّة ، وتعودُ إلى مَجْدِها ، وتثوبُ إلى رُشْدِها .

. . . وبعد هذا التأْصيل العِلْميِّ العالي ، والسَّلَفيِّ الغاليّ :

رَبَطَ الأخُ المؤلِّف ـ وفّقه الله ـ بين هذا (التطبيق الشرعي) وبين ما عايَشَه ، ورآه ، ونَظَرَه : من (انفعالات حماسيّة) أَوْدَتْ بالشباب المسلمِ إلى مهاوي الفتن ، ومهالك المِحَن .

ثم ضَرَبَ على ذلك أمثلةً متعدّدة ، بيَّن من خلالها كم جَنَت السياسة المعاصرة (القاصرة) على الدعوة والدعاة ؛ لخوضهم فيها دون الاسترشاد بهدي أهل العلم ، ودون الإفادةِ من توجيهاتهم ونصائحهم . .

ثم أشار إلى تأثُّر بعض مَن (ترأّس) الدعوةَ في الجزائر بالحِزبيّات ، وآراءِ أهل التكفير ؛ مّما انعكس على واقع الشباب المسلم ؛ ضلالاً وإضلالاً . .

وكان من ضمن ذلك ذِكْرُ قواعدَ علميّةٍ راسخةٍ ، منها أنّ (**السياسة الشرعيّة لا يخوضها إلا المجتهدون**) ؛ أمّا القاصرون ؛ الذين يُحسنون القولَ ، ولا يُتْقنون العلمَ : فما لَهُم ولها؟! وهم ليسوا أهلَها ! ولا أهلاً لها !! ولو دثَّروا أنفسهم بأنفسهم بركام (الجرائد) و(المجلات) و(المذكرات) ، وقاموا الليل على صوت هنا (لندن) ، (مونتوكارلو) .

وقد ذكر الأخُ المؤلِّف ـ من ضمن ما بيَّن وذكر ـ نصائحَ عُلمائنا ومشايخنا لأولئك الخائضين (الحماسيِّين) ، وكيف أنّهم ردُّوها ورفضوها ، ولم يأْبهوا بها ، أو يأنسُوا لها بل حرّفوها ولووا أعناقها . . . مّما كان له أسوأُ الأَثَر عليهم ، وعلى دعوتهم ، وعلى شبابهم ، وعلى بلادهم ، بل وعلى عُموم إسلامهم . .

ومِن أحسن ما ذكره الأخ المؤلِّف ـ نفع الله به ـ تلكم الأمثلة (المتميِّزة) لِمَا وقع به بعض (الدُّعـاة) من جـهل بالواقع ، تحت اسم ـ وغِطاء ـ (فقه الواقع) !! وبيَّن دلائلَ ذلك كلِّه ، وآثاره ، وأطوارَه !!

وقـد خَـتَم الأخ المؤلِّف ـ سـدّده الله ـ كتابه ببيان (الواجبِ اليومَ) على الشباب المسلم ، وأنَّ أهمّ ذلك وأعظمَهُ : (**إصلاحُ الوقت لإصلاح الحال**) ؛ وأنَّ ذلك يكونَ ـ أعلى ما يكون ـ بـ (العبـادة الفُضلى) القـائمة على الإخـلاص والاتبـاع ـ اللذين لا يكونان إلا بالعلم ـ ، وأنّ مبنى ذلك في (الطّاعة) ، بل في (الصدق في الطاعة) ؛ حتّى تتحقق الربانيّةُ في القلوب والعقول ؛ لنكون عباداً لله كما يُريد الله .

فكتابٌ كهذا : جديرٌ بأَنْ يستفيد منه الشباب ؛ لتكتحلَ به عيونُهم ، وتستقيمَ من خـلالِه أفكارُهم ، وتنضـبطَ عـبـر أبوابهِ عواطفُهُم ؛ وليكون منهم ـ من قبل ومن بعد ـ تمييزٌ متينٌ بين مَن هم أهلٌ للقـدوة ، وبين مَن ليسوا كذلك ، ولا قريبين من ذلك .

إنّه كـتـابُ علم وتجـربة ، إنّه كـتـابُ تصفية وتربية ، إنّه كتّابُ إرشاد وهِدَاية .

. . . ويكفي أن يعلمَ طلبـة العلم ، والدعاة ـ سواءً ـ أنَّ شيخينِ من أكابر عُلَماء هذا الزَّمَنِ : قرَّظاه ، وأثْنَيا عليه ، وزكّيَاه ، بل اسـتـفـادا منه ، وانتـفـعـا بما فـيـه ، وهمـا : محدث العصر شيخنا محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، وفقيه المدينة النبوية : شيخنا عبدالمحسن العباد البدر حفظه الله .

وحسبنا من ذلك قولُ شيخنا العلامة الإمام ، أسد السنّة الهُمام أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمة الله عليه ـ في مقدّمته : « . . فيه حقائقُ عن بعض الدعاة ، ومناهجهم المخالفة لما كان عليه السلف الصالح . . » .

وقولُه : «واستفدتُ منه أنا ـ شخصيّاً ـ فوائد جـمّـةً ، حول ثورة الجزائر ، وبعض الرؤوس المنتسبين لهـا ، والمؤيّدين لهـا بعواطفهم الجامحة ، والمبالغين في تقويمها ممّن لا يهتمّون بقاعدة التصفية والتربية . .» .

هذا كـلامُ العُلَمـاء ؛ فـعَضَّ عليـه بالنواجـذِ ، وإيّاك وكـلامَ مَن دونهم ـ ممّن خـالفـهم ـ فحـذّر من الكتـاب ، وشكّك فيه ، أو طعن بمؤلّفه !!

فكلُّ ذلك نَفَخَـاتٌ خلفـيّـةٌ باطلة ، ونَفَحاتٌ حزبيّةٌ عاطلةٌ ، لم تُبْنَ على علم ، ولم تُؤَسَّسْ على حلم .

واللهُ يقولُ الحقَّ ، وهو يهدي السبيل .



أهمية الصدق، وضرورته؛ لقيام الدنيا والدين

● بقلم: فضيلة الشيخ د. أ. ربيع بن هادي المدخلي

إن خلق الصدق من أعظم مقومات الدين والدنيا ؛ فلا تصلح دنيا ، ولا يقوم دين على الكذب والخيانة والغش .

والصدق والتصديق هو الرباط الوثيق بين الرسل ومن آمن بهم ، قال تعالى : **﴿والذي جاء بالصدق وصدَّق به أولئك هم المتقون. لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾** .

وقال في الكذب والتكذيب : **﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾** .

ولمكانة الصدق والتصديق بالحق عند الله ، وفي الإسلام ، ولدى العقلاء ، وذوي الفطر السليمة ، وآثارهما الطيبة ، ولخطورة الكذب والتكذيب بالحق ؛ أحببت أن أزجي هذا المقال المستمد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ وسيرته ، ومن سيرة وواقع بعض الصادقين المصدقين من أصحاب رسول الله ، والله أسأل أن يعينني ، ويوفقني للنهوض بكل ما أستطيع من إسداء للنصح والبيان لإخواني المسلمين وأسأله أن يجعلنا جميعاً من الصادقين الحريصين على التمسك به ، والثبات عليه ، وأن يجعلنا جميعاً من المحبين للحق ، والمتحرين لاتباعه والمصدقين به .

ولعظمة الصدق ومكانته عند الله وعند المسلمين وعقلاء البشر ، وصف الله نفسه بالصدق ؛ فقال : **﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾** .

فهذا ثناء من الله على نفسه بهذا الوصف العظيم ؛ فهو صادق في أخباره كلها وفي كلامه كله ، وفي تشريعاته ، وفيما قصه عن الأنبياء وأممهم ، وفيما قصه عن بني إسرائيل أنبيائهم ومؤمنيهم وفاسقيهم ومن كفر منهم ، وعن تحريفهم لكتاب الله :

التوراة ، والإنجيل ، واتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله .

وقال تعالى : ﴿**ومن أصدق من الله حديثاً**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين. ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون**﴾ .

هكذا وصف الله نفسه بهذا الوصف العظيم ، الصدق في الأقوال ، والصدق في الأفعال ، والصدق في الوعد ، والصدق في الوعيد ، والصدق في الأخبار عن أنبيائه وأوليائه المؤمنين ، والصدق في الأخبار عن أعدائه الكافرين .

ولقد وصف الله أنبياءه بالصدق ، وأيّدهم بالمعجزات والآيات العظيمة برهنة على كمال صدقهم ، ودحضاً لافتراءات وتكذيب أعدائهم .

ومن أعظم ما أيدهم به إهلاك أعدائهم بالطوفان ، وبعضهم بالريح الصَرْصَر ، وبعضهم بالصيحة ، والرجفة ، وبعضهم بالخسف ، وبعضهم بالغرق ، مع إنجاء الأنبياء وأتباعهم ؛ فكل هذا من رب العالمين شهادة بصدق أنبيائه ، وأنهم رسله حقاً ، وإهانة لأعدائه وأعدائهم .

ومن وصفهم في القرآن بهذا الوصف : إبراهيم ، وإسماعيل ، وإدريس ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

قال تعالى : ﴿**واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً**﴾ .

فالوصف بالصديقيّة بيان لتمكنهم من هذا الوصف وهو الصدق ، وأن أقوالهم وأفعالهم ووعودهم وعهودهم قائمة على الصدق .

وكل آية في القرآن الكريم المعجز الذي تحدى به الجنّ والإنس على أن يأتوا بسورة من مثله ؛ فعجزوا عن ذلك أعظم برهان على صدق محمد رسول الله ﷺ ، وأنه رسول الله حقاً ، وخاتم النبيين ، وشهادة الله له بأنه خاتم النبيين معجزة عظمى ودلالة كبرى على صدقه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ؛ إذ ما ادعى النبوة أحد بعده إلا وفضحه الله وأخزاه ، وكشف عواره ، وكذبه .

بل ما كذب عليه أحد في قول نسبه إلى

رسالته إلا وفضحه الله ، وأخزاه ؛ ببيان أتباع رسالته الصادقين من محدثين وغيرهم .

قال تعالى ـ في الثناء عليه وعلى ما جاء به من الحق والصدق ـ :

﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ .

فهذه أعظم منزلة أوتيها عبدالله ورسوله محمد ﷺ .

وقد وصف الله عباده المؤمنين الذين صدقوا في إيمانهم وأعمالهم وجهادهم وعهودهم :

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وءاتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وءاتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ .

وقال تعالى : **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾** .

وقال تعالى : **﴿إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾** .

وقال تعالى ـ في مدح فقراء المهاجرين وكل أصحاب محمد صادقون لا فرق بين مهاجريّ وأنصاري ـ :

﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ .

لقد زكى الله أصحاب محمد ﷺ ، وأثنى عليهم كثيراً في محكم كتابه ، وأثنى عليهم رسوله ﷺ عاطر الثناء في أحاديث كثيرة .

ومن أبرز وأجلى صفاتهم التي وصفوا بها الصدق الذي لا يقوم دين ولا تستقيم دنيا إلا به ؛ فنقل إلينا هؤلاء الصادقون ووراثهم بكل صدق وأمانة كتاب الله المتواتر ، وسنة رسوله : متواترها وآحادها الصحيحة الثابتة بما في ذلك سيرة رسول الله ﷺ ، وجهاده ، وغزواته .

والكتب الصحاح والمصنفات والجوامع والمعاجم وكتب العقائد وغيرها تزخر بهذه النقول ، قد ميّز فيها أئمة الجرح والتعديل الصحيح منها من السقيم حتى تكون الأمّة على صراط مستقيم ، ومنهج قويم ، وحياة واعية راشدة .

ونقلوا لنا سير الصحابة الكرام ، ومناقبهم ومحاسنهم ؛ التي برزوا فيها على سائر أمم الأنبياء ؛ فكانوا بها خير أمة أخرجت للناس ، وكتب فضائل الصحابة ، ومناقبهم ، وسائر دواوين السنة تزخر بذلك .

وقد مرّ بنا ثناء الله العام عليهم بصفات جليلة ومنها الصدق، ومقالي هذا لا يتسع لذكر الأخبار الصحيحة بوقائع صدقهم غير أني سأضرب مثلاً بثلاثة منهم تجمعهم حادثة واحدة، وأبرز هؤلاء الثلاثة ذلكم الصحابي الجليل كعب بن مالك، ذلكم الرجل الذي نجاه الله من النار، والنفاق، ومن سخط الله، وسخط رسوله بالصدق، وقصته شهيرة، وحديثه مشهور وطويل لا يتسع المقام لسرده هنا، لكنني سأختار منه مقاطع تدل على منزلة هذا الصحابي وإخوانه في هذه الواقعة، ويأخذ المسلم منها العبرة والأسوة بهؤلاء الصادقين.

١- «عن عبدالله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال كعب ابن مالك: لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنه، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً؛ فجلا للمسلمين أمرهم؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم؛ فأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ؛ يريد: بذلك الديوان، قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أصعر؛ فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم غدوت؛ فرجعت، ولم أقض شيئاً؛ فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو؛ فهممت أن أرتحل؛ فأدركهم فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي؛ فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموضاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء».

ففي هذا المقطع إشادة ببيعة العقبة ومنزلتها في نفسه ؛ لأنها بما فيها من معان كبيرة تمثل القاعدة المكينة التي قامت عليها هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة النبوية ، وقام عليها نصرة الأنصار ، وعليها قامت دولة الإسلام ، وعلى أساسها قام الجهاد وقوة الإسلام والمسلمين ، ومنها وعنها انبثقت الغزوات والسرايا ثم القضاء على الردّة وانطلاق جيوش الإسلام إلى العالم ؛ لتفتح القلوب بنور الإيمان والإسلام وتخرجهم من الظلمات إلى النور ، فمن هنا أدرك هذا الصحابي الجليل مكانة بيعة العقبة فكان لا يرضى به بديلاً ؛ فهو كما قال : «وما أحب أن لي به مشهد بدر» .

تحدث عما اكتنف تخلفه عن غزوة تبوك بشجاعة الصادقين ، بأسلوب واضح مشرق يفيض بالصدق ، من قلب امتلأ بالإيمان ، وروح ومشاعر تتدفق بالنزاهة والصدق الذي لا يعرف مثله لتائب في مثل ذلك الموقف الرهيب ، الذي ارتكس فيه الجبناء المنافقون ؛ فلجأوا إلى الكذب والتمويه بانتحال الأعذار الكاذبة التي سرعان ما فضحهم الله وأخزاهم وأحلهم به دار البوار .

(١) لقد صرّح بأنّ تخلفه لم يكن ناشئاً عن فقر وعسر ، ولا عن عجز وضعف ، فقد كان يشارك فيما سبق غزوة تبوك من غزوات ، وهو في حال دون حاله في هذه الغزوة ، قال :

«وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك : أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة» .

(٢) صرح بالأسباب التي نالت من عزيمته في الجهاد ، وهي : الحر الشديد ، والسفر البعيد ، والمفاوز العريضة المهلكة بين المدينة وتبوك ، والعدد الكثير من روم وعرب يشايعون الروم .

وذكر أن رسول الله ﷺ جلا أمرهم ؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم .

(٣) وصرح بما لعله أهم أسباب تخلفه وهو طيب الثمار والظلال ، ثم قال مصرّحاً بما قد يسعه إخفاؤه ولكن نفسه الصادقة أبت إلا أن يصدع به : «فأنا إليه أصعر» ؛ أي : أن نفسه مالت إليه ، وهذه منزلة عظيمة في الصدق قل جداً من يرقى إليها .

(٤) وذكر منازعة نفسه وتردده بين اللحاق بركب رسول الله ﷺ وإخوانه المجاهدين وبين قعوده تحت الظلال الوارفة والثمار الطيبة .

(٥) وذكر ما كان يصيبه في هذا التخلف من آلام الحسرة والحزن ؛ بسبب أنه لا يرى له أسوة في التخلف إلا رجلاً مغموصاً عليه في

النفاق ، أو رجلاً ممن عذره الله من الضعفاء ، وهذا من أدلة حياة قلبه وصدق إيمانه .

٢- «فقال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي فطفقت أتذكر الكذب وأقول : بم أخرج من سخطه غداً ، وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل لي : إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً ، زاح عني الباطل ، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً ، فأجمعت صدقه ، وصبح رسول الله ﷺ قادماً وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ؛ فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت فلما سلمت تَبَسَّم تَبَسُّم المغضب ، ثم قال : «تعال» ! فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : «ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك»؟ قال : قلت : يا رسول الله ! إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني - والله - لقد حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله ، والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . قال رسول الله ﷺ : «أما هذا ؛ فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك ، فقمت» .

وفي هذا المقطع يذكر لنا وضعه الجديد حيث قفل رسول الله ﷺ وقد ظفروا بالعزّة والنصر والأجر ، فماذا استفاد من هذا التخلف ولو كان من أسبابه طيب الظلال والثمار ، ومن هم أسوته سوى المغموص عليهم في النفاق والضعفاء والمعذورين .

فيعتصر قلبه الحي من قسوة الألم والأسى .

وفي الوقت نفسه يذكره الشيطان ، ويملي عليه أنواعاً من الكذب ، لكن ظلمات الكذب والباطل قد انزاحت عنه - بفضل الله عليه وحسن رعايته له - بسبب صدق إيمانه وإخلاصه لله رب العالمين ، فوفقه لأعظم أسباب النجاة - بعد الإيمان - وهو الصدق ، ولا سيما عند الأخطار والأحداث المدلهمة .

قال : «فلما قيل لي : إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل ، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً ، فأجمعت صدقه ، وصبح رسول الله ﷺ قادماً» .

وذكر تلك السنّة العظيمة التي تكاد تنسى أو نسيت عند كثير من المسلمين ، ألا وهي صلاة ركعتين في المسجد عند قدوم المسلم من سفر .

وذكر موقف المعذرين - أي المنافقين - :

أنه الكذب والتمويه الباطل مؤكدين كذبهم بالحلف فما يسع رسول الله إلا أن يقبل منهم ، ويكل سرائرهم إلى الله علام الغيوب الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، لكن كعباً ـ رضي الله عنه ـ بفقهه وعقله أدرك أن الكذب على رسول الله ـ ولو أكد بالأيمان المغلظة ـ لن ينجيه من سخط الله ثم من سخط رسوله ، أدرك ذلك ببصيرته النيّرة وعقله الثاقب بعد توفيق الله له ، فأبى إلا أن يجهر بالحقيقة الناصعة .

٣- قال : «فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا ، قال : ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا ؛ قد ضاقت علي نفسي ، وضاقت علي الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ! أبشر ، قال : فخررتُ ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج ، قال : فأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلي فرساً ، وسعى ساع من أسلم قبلي ، وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني ، فنزعت له ثوبي ، فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرتُ ثوبين فلبستُهما ، فانطلقت أتأم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ، ويقولون : لتهنئك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس ، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ـ قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة ـ ، قال كعب : فلما سلَّمتُ على رسول الله ﷺ ، قال ـ وهو يبرق وجهه من السرور ـ ويقول : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال : لا بل من عند الله ، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر ، قال : وكنا نعرف ذلك ، قال : فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله ! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أمسك بعض مالك ؛ فهو خير لك قال : فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر» .

لقد جاء إلى رسول الله ﷺ لا يكذبه في العذر ، ولكن ليقول الحقيقة بملئ فيه ؛ لأنه قد زاح عنه الباطل ، واستقر الحق في أعماق نفسه .

فقال رسول الله ﷺ : ما خلفك ألم تكن

قد ابتعت ظهرك؟ أي : قد اشتريت راحلة الجهاد ، وأعددت العدة لذلك .

فقال كعب : يا رسول الله ! إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيتُ جدلاً ، ولكني - والله - لقد علمت لئن حدثتُك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله ، والله ما كان لي عذر ، والله ماكنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . قال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك .

واعتذر إخوانه مرارة بن الربيع وهلال بن أميّة بمثل عذره الصادق ، وقال لهم رسول الله ﷺ مثل ما قال لكعب .

وأمر رسول الله ﷺ المجتمع المسلم بمقاطعتهم وهجرانهم ، فنفذوا أمر رسول الله ﷺ ، بدقّة بما فيهم أقرب الأقربين إليهم ، طاعة لله ولرسوله ﷺ ، ويستلبث الوحي وتستمر المقاطعة ، ويتمادى الابتلاء والاختبار الصعب لمدة خمسين يوماً .

وتترامى الأنباء إلى ملك غسان النصراني ، فيجد - في ظنّه - فرصة إلى استمالة كعب ، ودعوته إلى اللحاق به ؛ ليكرمه في زعمه ويواسيه ؛ فيأبى إيمان كعب بالله ورسوله ، وتأبى نفسه الأبية من الاستجابة لهذه الحيلة الشيطانية ، ويدرك بأن هذا أيضاً من الابتلاء فيسجر برسالة هذا الكافر التنور كما قال - رضي الله عنه - وجاءهم الفرج صباح خمسين ليلة بتوبة الله عليهم ، وهم كما قال كعب - رضي الله عنه - على الحال التي ذكر الله تعالى : قد ضاقت علي نفسي ، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ، وامتلأ أصحاب محمد ﷺ بشرى وسروراً بما أفاض الله على إخوانهم من توبة الله عليهم ورضى الله ورسوله عنهم وتسابق المبشرون ، منهم من يمشي على رجليه فيستبطئ فيعلو جبل سلع ويرفع صوته مدوياً فيسبق صوته راكب الفرس المنافس له ، الحريص على سبقه فيذهب كعب إلى رسول الله ﷺ ، وفي طريقه يستقبله أصحاب رسول الله فوجاً فوجاً يهنئونه بتوبة الله عليه .

ويجد رسول الله ﷺ ووجهه كالقمر تبرق أساريره من السرور ، فيقول له : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمّك .

وكيف لا يكون ذلك وقد أنقذه الله بالصدق من هلاكٍ ماحقٍ وقع في أتونه من لاذوا بالكذب والأيمان الفاجرة وقلب الحقائق ، الله أكبر ! إن هذا اليوم خير له من بيعته على الإسلام والنصرة في بيعة العقبة ، تلك البيعة التي يراها أحب إليه من المشاركة في وقعة بدر .

لشدة فرحه بهذه التوبة وشعوره بهذه التوبة وشعوره العميق بهذه النعمة أكّد ذلك بموقف الشاكر لنعمة الله عليه فقال :

«يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي ؛ صدقة إلى الله وإلى رسوله» .

ذلك المال المغري الذي كان من أسباب تخلفه عن الجهاد ، هذا دليل آخر منه على صدق توبته وجدّه في ذلك .

فيقول له رسول الله الرؤوف الرحيم : «أمسك عليك بعض مالك» فماذا صنع؟ لقد انخلع من ماله بالمدينة الذي حبسه عن الغزو في سبيل الله ، وأبقى سهمه بخيبر ، ذلك المال البعيد الذي لعله لا دخل له في حبسه .

ويدلي بالسبب القوي في نجاته ؛ بل هو في نظره السبب الوحيد في إنقاذه من الهلاك الماحق فقال : «يا رسول الله إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدِّث إلا صدقاً ما بقيتُ» .

ويوفقه الله للوفاء بما وعد به رسول الله ﷺ ، وبما يراه هو من أركان توبته ، قال : «فوالله ! ما علمتُ أنّ أحداً من المسلمين أبلاه الله أن أنعم عليه في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به ، والله ! ما تعمدت كذبةً منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا» .

ما أروع الصِّدقَ ! وما أنبل الصادقين ! وبُعداً وسحقاً للكاذبين ، في أي زمان ومكان ، كيف لا؟ وهو من أعظم دعائم الكفر والنفاق ، وأضعف أحواله أن يكون من ركائز النفاق ، عياذاً بالله منه ، ومن كل ما يسخط الله تبارك وتعالى ، ثم يقول متحدثاً عن هذه النعمة التي منّ الله بها عليه .

٤- «قال : وقلت : يا رسول الله ! إن الله إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، قال : فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به ، والله ! ما تعمدتُ كذبةً منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي . قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿**وعلى الثلاثة الذين خلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم**﴾ حتى بلغ : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ قال كعب : والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، وقال الله : ﴿**جزاء بما كانوا يكسبون. يحلفون لكم لترضوا**

عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ .

فهذه عاقبة الأفاكين ، ولو كان إفكهم تملقاً واعتذاراً ، ولم يغن عنهم استغفار رسول الله ﷺ شيئاً في حياتهم ولا بعد مماتهم ، قال تعالى : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾** ، ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾** .

وفي هذا عبرة عظيمة للذين لا يزكون أنفسهم بالتوحيد والإيمان والصدق والأعمال الصالحة ، وقد يكون في هؤلاء الكذابين المخادعين من يعتقد أن توصله بالكذب والخداع إلى تسامح الرسول عنه والاستغفار له ينجي من بطش الله وإهانة الله له في الدنيا والآخرة ، فخيب الله آمالهم وأخزاهم في الدنيا والآخرة .

ولم يغن عنهم استغفار رسول الله ﷺ شيئاً .

هذه حقيقة وضحها القرآن في سورة التوبة وغيرها ، وأكدها رسول الله بقوله لقريش بطناً بطناً ولأفراد أسرته : «اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً» ، فليحذر الكذابون ـ في أي زمان ومكان ـ في إيمانهم وعقائدهم وأقوالهم وشهاداتهم أن يفضي بهم هذا الكذب إلى هوّة الهلاك التي تردى فيها هؤلاء الكذابون .

وفيه عبرة وبشرى للصادقين في إيمانهم وإسلامهم وأعمالهم الصالحة وأقوالهم وشهاداتهم بالنجاة من الهلاك كما نجى وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ بالصدق في ظرف يدعو فيه الحال ضعاف الإيمان وضعفاء النفوس إلى الكذب ، قال تعالى : ﴿**هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾** .

من ثمار الصدق

وفي «الصحيحين» عن طلحة بن عبيدالله قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ، ثائر الرأس ، نسمع دويَّ صوته ولا نفقه ما يقول ، حتى دنا من رسول الله ﷺ ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : «خمس صلوات في اليوم والليلة ، فقال : هل علي غيرهن؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، وصيام شهر رمضان ، فقال : هل علي غيره؟ فقال : لا ، إلا أن تطوع ، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال : هل علي غيرها؟ قال : لا ، إلا أن تطوع . قال : فأدبر الرجل ـ وهو يقول ـ : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق» .

وفي «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل ؛ فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية ، فقال : يا محمد ! أتانا رسولُك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال : صدق ، قال : فمن خلق السماء؟ قال : الله قال : فمن خلق الأرض؟ قال : الله قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال : الله . قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً . قال : صدق . قال : ثم ولى . قال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن . فقال النبي ﷺ : «لئن صدق ليدخلن الجنة» .

هذان سائلان عاقلان ، أنعم الله عليهما بنعمة العقل والفطنة وحسن السؤال ، ولا سيما الآخر منهما ـ وقد قيل إنه ضمام بن ثعلبة الهذلي ـ ، فالأول منهما سأل رسول الله عن شرائع الإسلام ، فأجابه الرسول بما فرضه الله على العباد من أركان هذا الدين بعد الشهادتين ، لأن السائل فيما يبدو كان مسلماً ، فأجابه بأن الإسلام هذه المكتوبات .

والسائل يقر بذلك ويلتزمه ؛ لأنه يريد أن يعلم : هل هناك شيء يجب عليه زائد عما ذكره من هذه الأركان ، والرسول ﷺ يقول له لا إلا أن تطوع ، فلما فرَّق له رسول الله بين الواجبات والتطوعات ؛ أقسم بالله أنه لا يزيد على تلك الواجبات ولا ينقص منهن ، فأجابه رسول الله ﷺ ـ مبشراً له وللأمة بالجزاء العظيم لمن يقوم بهذه الواجبات حق القيام ـ : «أفلح إن صدق» ، أي : طابق فعله قوله ، وذلك هو الصدق ، ففلاحه مترتب على صدقه في المقال والفعال ، وأنعم بذلك .

وأما السائل الثاني ؛ فكان سؤاله أعمق وأبعد مدى من الأول ، قال صاحب «التحرير» ـ وهو محمد بن إسماعيل الأصفهاني السلفي ـ :

«هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقته وترتيبه، فإنه سأله أولاً متأكداً من صدق الرسول الذي أرسله رسول الله ﷺ لدعوتهم إلى الإسلام، هل هو صادق أنك مرسل من الله، فقال

رسول الله ﷺ: صدق، ثم سأله عن خالق السماء والأرض ومن نصب هذه الجبال لأنه كسائر العرب كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية .

فأجابه رسول الله ﷺ بقوله : الله ، الله ، الله ، في كل ذلك .

ثم استثبت من كل ما بلغه رسولُ رسولِ الله ﷺ إليهم من شرائع الإسلام : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والرسول يقول : صدق صدق . . إلخ .

فلما انتهى رسول الله ﷺ من الإجابة عن أسئلته ، قال الرجل : والذي بعثك بالحق ! لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : «**لئن صدق ليدخلن الجنةً**» .

فيا لها من ثمرة عظيمة للصدق ، الصدق في الاعتقاد ، والصدق في القول ، والصدق في التطبيق بالعمل المشروع المتلقى عن الله ورسوله .

فهذه بعض ثمار الصدق يهدي في الحياة الدنيا إلى البر ـ وهو الجامع لكل خصال الخير ـ والفوز بالمنازل العالية عند الله تبارك وتعالى ، فالصادقون خالدون في جنات تجري من تحتها الأنهار قد نالوا أعظم مطلوب ، وهو فوق هذه المنازل ، ألا وهو رضى الله تعالى عنهم .

ومن ثماره : الهداية إلى البر ثم إلى الجنة :

قال رسول الله ﷺ : «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» .

ومن ثماره : الفوز برضى الله ، ثم الفوز بجنات تجري من تحتها الأنهار ويظهر ويتجلى فيه نفعه ، قال تعالى : ﴿**هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم**﴾ .

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة ! فيقولون : لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب ! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني؛ فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

فهنيئاً للصادقين ، هذا الفوز العظيم ، والنعيم المقيم ، والرضى الأبدي ، والخلود السرمدي .

جعلنا الله منهم بمنه وفضله ورحمته ، إنه رؤوف ، رحيم ، جواد ، كريم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .



العلم والتعلّم وفضل العلماء

● بقلم: فضيلة الشيخ د. صالح بن غانم السدلان

لا ريب أن الدين الاسلامي هو الذي حفَّز العرب - ومعهم من دخل في الاسلام من الأمم الأخرى - إلى التعمق في العلم والتَّبحُّر فيه ، بل وتحمل المشاق والصعاب في سبيل تحصيله وجمعه ، ثم في وجوب إشاعته بين الناس والنهي عن حبسه في صدور العلماء ؛ فلم تعرف البشرية ديناً مثل الاسلام عني بالعلم أبلغ العناية وأتمها ، دعوةً إليه ، وترغيباً فيه ، وتعظيماً لقدره ، وتنويهاً بأهله ، وحثّاً على طلبه ، وتعلمه وتعليمه بياناً لآدابه ، وتوضيحاً لآثاره ، وترهيباً من القعود عنه ، أو الازورار عن أصحابه ، أو المخالفة لهدايته ، أو الازدراء بأهله .

وقد حض الاسلام على العلم والتعلم[1] ، وحث على طلب المعرفة ، والآيات والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة .

فمن الآيات الدالّة على ذلك : قال الله تعالى : **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾** .

وقال تعالى : **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾** .

وقال تعالى : **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط﴾** .

وقال تعالى : **﴿إنما يخشى الله من**

---

(١) انظر في هذا الموضوع : «مفتاح السعادة» (ج١ ص٥ ـ ٦) ، و«من ميسرات البحث العلمي عند المسلمين» (٨٦ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٣٥) ، و«شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم» ، (٢٨-٢٩-٣٥-٣٨-٣٩) ، و«مفتاح دار السعادة» (ص١٤٤ ـ ١٤٧) ، و«أبجد العلوم» (ج١ ، ص٩١) .

عباده العلماء﴾ .

وقال تعالى : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**قال الذي عنده علم الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**وما يعقلها إلا العالمون**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾ .

والكتاب المبين يثير طاقة العقل الإنساني ، ويوجهه إلى المشاهدة والملاحظة والإدراك لشتى ظواهر الكون الواضحة لكل ذي عينين ، ونواميسه المعجزة التي سبر أغوارها أهل العلم بالبحث والتدبر ، والآيات القرآنية في ذلك كثيرة على نحو ملفت للنظر في هذا القرآن العظيم المعجز ، والإنسان مطالب بأن يتفكر في كل ذلك ، وبأن يتبصر في حكم الخالق العظيم ، لا أن يأكل ويستمتع بهذه الخيرات فحسب ، وإلا تحول إلى نوع من الأنعام .

ومن الأحاديث الشريفة الواردة في فضل العلم والتعلم وبيان منزلة العلماء ما يلي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1] .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**»[2] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[3] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله عز وجل أوحى إليَّ : أنه من سلك مسلكاً في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ، وفضل في علم خير من فضل في عبادة ، وملاك الدين الورع»[1] .

والأخبار والآثار الواردة في شرف العلم ، وفضل العالم والمعلم والمتعلم وطالب العلم كثيرة جداً ، والمراد بالعلم هنا علم الدين والشرع المبين ، وهو علم الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وليس المراد به العلوم المستحدثة التي عني الناس بها في هذا الزمان ، وخاضوا فيها خوضاً منعهم عن النظر في علوم الإيمان ، وأشغلهم عن الاشتغال بمراد الله تعالى ورسوله سيد الإنس والجان ؛ حتى صار علم القرآن مهجوراً ، وعلم الحديث مغموراً ، وظهر صنائع أقوام الكفر والإلحاد ، وسميت بالعلوم والفنون والكمال المستجاد ، وهي كل يوم في ازدياد ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قد احتل العلماء والفقهاء مكانة عظمى في المجتمع المسلم في صدر الاسلام ، ذلك للمعاني الرفيعة التي كانوا يمثلونها ، والتي رسخها الدين الاسلامي العظيم في نفوس أبنائه ، مما انعكس على سلوكياتهم في تعاملهم مع هؤلاء العلماء والفقهاء ، فقد تكاثرت أحاديث النبي ﷺ وتتابعت بعد آيات القرآن الكريم ، في بيان فضل العلم ومنزلة العلماء ، ورفعتهم مكاناً علياً لا يسعى إليه على قدم ، ولا يطار له على جناح إلا بواسطة العلم .

ولا ريب أن أَوْلَى العلوم بذلك هو علم الدين ، الذي به يعرف الإنسان وربه ، ويهتدي إلى غايته ، ويكتشف طريقه ، ويعلم ما له وما عليه ، ثم بعد ذلك كل علم يكشف عن حقيقة تهدي الناس إلى الحق ، أو تقربهم من خير ، أو تحقق لهم مصلحة ، أو تدرأ عنهم مفسدة .

إن أول ما نزل من آيات القرآن الكريم قول الله لنبيه ﷺ : **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . . .﴾** الآيات .

وهذه أول صيحة تسمو بقدر القلم ، وتنوه بقيمة العلم ، وتعلن الحرب على الأمية الغافلة ، وتجعل اللبنة الأولى في بناء الجيل المسلم أن يقرأ ويتعلم .

لذلك أعزَّ الله العلماء وأثرهم بكرامته وفضله ، قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه للفصل بين الخلائق : إني لم أجعل علمي

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» .

وحلمي فيكم ؛ إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي» الطبراني .

قال الحافظ المنذري : «انظر إلى قوله سبحانه : «علمي وحلمي» ، وأمْعِن النظر فيه ؛ يتضح لك من إضافته إليها عز وجل ؛ أنه ليس المراد به علم أكثر أهل زماننا المجرد عن العمل به والإخلاص فيه ؛ فهو علم لم يستبد به النزق ، ولم تسخره الشهوات» .

إن التعلم والتعليم روح الاسلام لا بقاء لجوهره ولا كفالة لمستقبله إلا بهما ، والناس في حكم الاسلام أحد رجلين : إما متعلم يطلب الرشد ، وإما عالم يطلب المزيد ، وليس بعد ذلك من يؤبه له .

وتلك نصوص قاطعة في أن المسلمين يجب أن يتعلموا ؛ وإلا خانوا الأمانة التي حملوها ، وجهلوا الناس عمداً بها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا»[1] .

طرف من أقوال السلف، وعلماء هذه الأمة في بيان فضل العلم، وشرفه:

قال بعض السلف : «كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ من هو فيه» ، وقال بعضهم أيضاً : «خير المواهب العلم ، وشر المصايب الجهل ، والعلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا ، وإذا غابت عنهم تحيروا» .

إن التعلم والتعليم روح الاسلام لا بقاء لجوهره ولا كفالة لمستقبله إلا بهما، والناس في حكم الاسلام أحد رجلين إما متعلم يطلب الرشد، وإما عالم يطلب المزيد وليس بعد ذلك من يؤبه له

وقال سفيان بن عيينة : «أرفع الناس عند الله منزلة : من كان بين الله وبين عباده ، وهم : الأنبياء والعلماء» ، وقال أيضاً : «لم يعط أحد في الدنيا شيئاً أفضل من النبوة ، وما بعد النبوة شيئاً أفضل من العلم والفقه ، ومن أراد النظر إلى مجالس الأنبياء ؛ فلينظر إلى مجالس العلماء» .

وقال الشافعي رحمه الله : «طلب العلم

(١) صحيح مسلم .

أفضل من النافلة» ، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : «من رأى أن الغدُوَّ لطلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله . ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعى إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾ [فصلت : ٣٣]» . وقال أيضاً : «العالم والمتعلم شريكان في الخير ، وسائر الناس هَمَجٌ لا خير فيهم» ، وقال : «كن عالماً أو متعلماً أو مستعلماً ، ولا تكن الرابعة فتهلك» ، وقال أبو الأسود : «ليس شيئاً أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك» ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «خُيِّرَ سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه» .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : «عليكم بالعلم قبل أن يرفع ، ورفعه هلاك العلماء ، فوالذي نفسي بيده ليودّن رجالاً قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم ، وإن أحداً لم يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم» .

لكل ما سبق - وهناك كثير غيره - نجد أن هذا المجتمع المسلم الواعي في صدر الإسلام وعلى مر الأزمان قد وضع العلماء في المكانة اللائقة بهم ؛ فكرّمهم وأعزهم وأجاب جميع مطالبهم ، وما كانوا يطلبون أكثر مما يعينهم على أداء رسالتهم الخالدة ؛ فلم تكن الدنيا مبلغ همّهم ، ولا منتهى علمهم ، ولم تشغلهم كثيراً مما مُكِّن لهم وفرض احترامهم على الجميع ؛ لأنهم اعتزوا بالله أولاً ثم بعلمهم ثانياً . فيا لله ! من عصر تُقلب فيه الحقائق ، ويتوارى فيه العلماء من واجهة المجتمع في كثير من البلدان الإسلامية ، وتخفّ وطئتهم في التأثير في حياة الأمة ، وما كان ذلك إلا أن الحكام والمسئولين لم يعرفوا لهؤلاء أقدارهم ، ولم ينزلوهم منازلهم ؛ فإلى الله المشتكى !!





كوني عتبة بيتك

● بقلم: أكرم بن محمد زيادة

﴿وجاهدوا في الله حقَّ جهادِهِ هو اجْتَباكم وما جعل عليكم في الدِّين من حرجٍ مِلَّةَ أبيكم إبراهيم هو سَمَّاكم المسلمين من قبل﴾ [الحج : ٧٨] .

﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع مِلة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ [النحل : ١٢٣] .

﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسنٌ واتبع مِلة إبراهيم حنيفاً واتخذَ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء : ١٢٥] .

مما لا شكَّ فيه أن مِلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي أحسنُ المِللِ التي اختارها الله لعباده المُصْطَفين الأخيار من النبيين من ذرِّيته عليه السلام ، وأَمَرَ سيد الخلق محمداً ﷺ باتباعها .

ومِلة إبراهيم لم تنْحَصِر في الاعتقاد والتعبُّدِ والتَنسُّك ، بل تَعدَّتْها إلى العلاقات الأسرية عامَّة والتربوية خاصَّة ، وإنَّ نَظرَةً مُتَمَعِّنَة في جانبٍ من جوانب سيرة هذا الأب العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لَتُوحي إلينا الكثيرَ بل الكثيرَ جداً من الحرص على تربية النساء والأولاد تربية إبراهيمية حَقَّة .

ثبت في «صحيح البخاري» (١٢٢٩/٣) وغيره من حديث ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام لَمَّا وضع إسماعيل وأمَّهُ في مكة وقال : ﴿ربنا إنِّي أَسْكَنْتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ [إبراهيم : ٣٧] ، وتولَّى

منصرفاً عنهم ونادته أم إسماعيل مسْتَفسرةً عن سبب وضعهم هناك قائلةً : آلله أمرَكَ بهذا؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا يُضَيِّعُنَا .

هذا الموقف العظيم المهيب من إبراهيم عليه السلام في امْتثال أمر ربه عز وجل في وضْع وحيدِه وفَلَذَة كَبِدِهِ الرضيع في ذلك الوادي المُجْدِب ، من غير أنيس ولا ونيس ، يقابله موقفٌ لا يقلُّ عنه عظمةً ومهابَةً هو موقف أمِّنا أم إسماعيل رحمها الله تعالى في حسن وصدق التوكل على الله تعالى التي أيقَنَتْ أنه لن يُضَيِّعهم طالما أنه أمرَ إبراهيم بذلكَ الأمر الذي لم يكن من إنفاذه بدٌ للخليلِ عليه السلام .

وهذا يَنُمُّ عن تربيةٍ عظيمَةٍ من إبراهيم لهذه الزوجة الصالحة التي خلَّدَ الله ذكرها في منسك من مناسك الحج التي لا يصحُّ حج المسلمِ ـ في الصحيح من أقوال أهل العلم ـ إلا به ، ألا وهو السعيُ بين الصفا والمرْوَة ، كما فعلت هذه الأم العظيمة الصابرَةُ الرَّؤومُ .

أما المواقف العظيمة الأخرى في هذا الحديث ، فهي مواقف إسماعيل عليه السلام الذي كان صادق الوعد بامتثال أوامر أبيه له بالاستسلام للذَّبح مرةً ، وبِبناء البيت معه مرةً أخرى ، وبمفارقة زوجته التي لا تصلحُ أن تكونَ عتبةً ثابتة مرةً ثالثة ، ثم بإمساكه وتَثْبيتِهِ لعتبَة بابه الأخرى الصالحة الساترة لسرِّ حياة زوجها الآمرِ بالصلاة والزكاةِ الذي كانَ تقياً .

فهل يَسَع المسلمة المتَّبِعَة لِملة إبراهيم عليه السلام إلا أنْ تَتَتَبَّع هذه الدروس والعبرالعظيمة من هؤلاء النسوة اللواتي تَرَبَّيْنَ في بيتي النُّبوة الإبراهيمية والإسماعيلية في حد سواء ، لتكونا بعد ذلك جدتَّيْن كبيرتين لِخَيرِ الخلق محمد ﷺ ، فَضَرَبَت أم إسماعيل المثل الأعلى للنساء في الصبر والتضحية وحسن التوكل على الله .

ثم ضَرَبَت كِنَّتُها بعد ذلك أسوأَ المثل للمرأة التي لا تحفظ زوجها في غيبته ، وتسارع إلى نشر سره ، وفضح أمره ، وإكثار الشكوى منه ، ومن حياته التي تعيشها معه ، فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن أودعها وصيته التربوية العظيمة في أنها لا تستحق أن تكون في بيت نبي يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وكان عند ربه مرضياً ، ولا تستحق أن تكون أماً لخَير الخلق محمد ﷺ بعد ذلك ، فقال لها ـ وهي الغبية التي لا تدركُ للزوجية سراً يجب أن يصان ، ولا للأسرة حياة يجب أن تُحْفَظ ويُحَافَظ عليها ـ قال لها بعد أن سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن

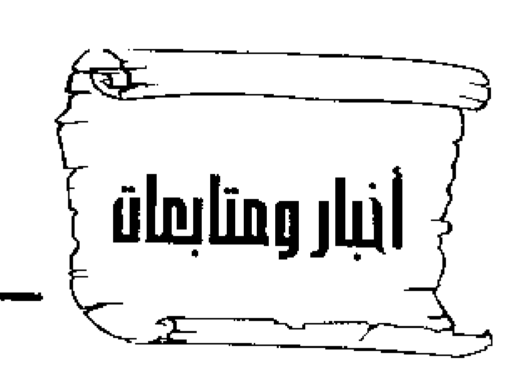
بشرٌ ؛ نحن في ضيقٍ وشدة ، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقْرَئي عليه السلام وقولي له : يُغيِّر عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنسَ شيئاً ، فقال : هل جاءكم من أحد؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنَّا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاكِ بشيء؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غَيِّر عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، إلحقي بأهلك ، فطلَّقها .

فنالت ما تستحقه من طردٍ هي له أهل من بيْت هو من خَير بيوت الأرض قاطبةً .

ثم ها نحن الآن مع الكنَّة العظيمة لتلك الحماة الأعظم . . . المرأة التي ترعى حرمةَ بيْتها وتصونُ سرَّ زوجها ، مترفِّعَةً عن دَنَايَا الدنيا وملذاتها ، محتسبة عند الله ما تلاقيه وتلقاه في سبيل إسعاد زوجها وإدخال الخير والبركة إلى بيته وحياته ، فكانت سبباً في بركاتٍ أودعها الله تلك الفجاج في ذلك الوادي المُمحل القاحل ، ثم كانت أماً عظمى لأعظم إمام في خير أمة . قال : وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد ، فلم يجده ، فدخل على امرأته ، فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله . فقال : ما طعامكم؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومُرِيه يُثَبت عَتبة بابه .

فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه ، فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير . قال : فأوصاك بشيء؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تُثَبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك .

وهكذا أيتها الأخت الفاضلة ، كوني لزوجك عَتَبة بيت ثابتة ، تجلب بصبرها على زوجها وعيشه ، وبثنائها على ربها ونعمه السابِغَة عليها مهما قَلَّت أو دَقَّت ، تجلب الخَير والبركة التي أودعها في أمثال هاتين المرأتين العظيمتين أم إسماعيل بصبرها وحسن توكلها ، وزوجته الثانية بصبرها أيضاً وحسن ثنائها على ولي نعْمَتها . فاستَحَقتَا عن جدارة أن تكونا أُمَّيْن لحبيب الحق وخَير الخلق محمد ﷺ .



حوار مع فضيلة الشيخ فقيه الزمان محمد بن صالح العثيمين حفظه الله

نظمت إدارة الدعوة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر لقاءً عبر الهاتف مع فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ، وبعد موعظة عامة أجاب الشيخ على مجموعة من الأسئلة التالية :

(١) السائل : شخص قال: لا إله إلا الله؛ مخلصاً من قلبه، مصدّقاً بقلبه، مستسلماً منقاداً؛ لكنه لم يعمل بجوارحه خيراً قط مع إمكان العمل. هل هو داخل في المشيئة أم كافر؟

ج : أقول ـ والحمد لله رب العالمين ـ : إذا كان لا يصلي فهو كافر ولو قال : لا إله إلا الله . لو كان صادقاً بقوله : لا إله إلا الله ، مخلصاً بها ـ والله ـ لن يترك الصلاة ؛ لأن الصلاة صلة بين الإنسان وبين الله عز وجل ؛ فقد جاء في الأدلة من القرآن والسنة ، والنظر الصحيح ، وإجماع الصحابة ـ كما حكاه غير واحد ـ على أن تارك الصلاة كافر مخلد في نار جهنم وليس داخلاً تحت المشيئة ، ونحن إذا قلنا بذلك لم نقله عن فراغ ، ونحن إذا قلنا بذلك فإنما قلناه لأنه من مدلولات كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأقوال الصحابة التي حُكي إجماعهم عليها .

قال عبدالله بن شقيق : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة .

ونقل إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة الحافظ ابن راهويه ـ رحمه الله ـ وهو إمام مشهور[١] .

(١) اختلف أهل السنة والجماعة ـ أصحاب الحديث ـ أتباع السلف الصالح في مسألة حكم تارك الصلاة ؛ =

أما سائر الأعمال إذا تركها الإنسان كان تحت المشيئة ؛ يعني : لو لم يُزكِّ مثلاً ؛ فهذا تحت المشيئة ؛ لأن النبي ﷺ لما ذكر عقوبة مانع الزكاة قال : «ثم يرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى النار» ، ومعلوم أنه لو كان كافراً لم يكن له سبيل إلى الجنة ، والصيام والحج كذلك؛ مَن تركها لم يكفر ، وهو تحت المشيئة ، ولكنه يكون أفسق عباد الله .

(٢) السائل : **الشق الثاني يقول: وهل يوجد خلاف بين أهل السنة في حكم هذا الرجل بناءً على حكم تارك مباني الإسلام الأربع والخلاف فيها؟**

ج : مسألة الخلاف لا أستطيع حصره ، **ولكن يجب أن نعلم أن الكفر حكم شرعي لا يُتَلَقَّى إلا من الشرع، وأن الأصل في المسلمين الإسلام حتى يدلّ دليل على خروجهم منه.**

والتسرّع في التكفير خطير جداً جداً جداً، حتى أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال محذِّراً منه ـ أي : من التكفير ـ : «مَنْ دعا رجلاً بالكفر ، أو قال : يا عدو الله . وليس كذلك ؛ حار عليه» ؛ أي : على القائل ؛ أي : رجع على القائل .

(٣) السائل : **سائل آخر يقول: كيف نفهم حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عند مسلم: وفيه: «... فيخرج الله منها قوماً لم يعملوا خيراً قطّ»؟**

ج : نفهم هذا أنه عام ، وأنّ أدلة كفر تارك الصلاة خاصة ، ومعلوم عند العلماء أن العام لا يخصَّص بخاص ؛ لأن هذا الحديث لم يَقُلْ : لم يصلِّ ؛ حتى نقول : إنه معارض للنصوص الدالة على كفر تارك الصلاة ، بل قال : «لم يعمل خيراً قط» ؛ فلم ينصّ على الصلاة ، بل عمّم ، ونصوص كفر تارك الصلاة خاصة ؛ فتُخَصُّ بما خُصِّصَتْ به .

(٤) السائل : **الخلاف الواقع في حكم تارك الصلاة؛ هل هو خلاف داخل في دائرة أهل السنة أم لا؟**

= كما نقله أبو اسماعيل عبدالرحمن بن اسماعيل الصابوني ـ رحمه الله في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٩٢ ـ ٩٣) ، والبغوي ـ رحمه الله ـ في «شرح السنة» (٢/١٧٩ ـ ١٨٠) ، والشوكاني ـ رحمه الله ـ في «نيل الأوطار» (١/٣٦٩) ، وذكره الشيخ ـ حفظه الله ـ في رسالته «حكم تارك الصلاة» (ص١) ، وقال : «هذه المسألة من مسائل العلم الكبرى ، وقد تنازع فيها أهل العلم سلفاً وخلفاً» .

وعليه ؛ فإن الخلاف في مسألة تارك الصلاة خلاف معتبر بين أهل السنة والجماعة ، ولكن دائرة الخلاف لم تخرج في مسائل التكفير عن هذه المسألة ، فمن وسَّع دائرة الخلاف في مسائل التكفير بين أهل السنة كمن نفى اختلافهم في مسألة تكفير تارك الصلاة ؛ فيسعنا ما وسعهم ـ رحمهم الله ـ كما في نصيحة الشيخ ـ حفظه الله ـ في جوابه على السؤال التاسع (الأصالة) .

ج : نعم ، خـــلاف داخل في دائرة أهل السنة ، وأهل السنة أنفسهم مختلفون في هذا ؛ كما يختلفون ـ مثلاً ـ في فروض الوضوء ، ووجوب الوضوء من لحم الإبل ، وما أشبه ذلك .

(٥) السائل : **يقول البعض: إذا ترك عمل الجوارح بالكلية خرج من الإيمان، ولكن لا يقتضي عدم انتفاعه بأصل الإيمان والشهادتين، بل ينتفع بهما كمن أراد الحج ولم يشهد عرفة . وهو ركن ؛ فإنه ينتفع بالأركان الأخرى؛ فما قول فضيلتكم في ذلك؟**

ج : نقول : هذا ليس بصواب . إنه لن ينتفع بإيمانه مع ترك الصلاة التي دلّت النصوص على كفر تاركها ، وكذلك لو ترك الوقوف بعرفة ما صحّ حجّه ؛ كما دلّ على ذلك سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أما مَن أدرك عرفة قبل الفجر يوم النحر ؛ فقد أدرك ، ومن لا ؛ فلا ؛ حتى لو جاء بعد ذلك بالرمي والمبيت في منى والطواف والسعي ؛ لم يكن حجّ .

(٦) السائل : **هذا سائل يقول: يقول البعض: إن الشيخ الألباني - رحمه الله - قوله في مسائل الإيمان قول المرجئة، فما قول فضيلتكم في هذا؟**

ج : أقول كما قال الأول :

أقلُّوا عليه لا أباً لأبيكم
من اللوم أو سدُّوا المكان الذي سدّا

الألباني ـ رحمه الله ـ عالمٌ محدّثٌ فقيهٌ ، وإن كان محدّثاً أقوى منه فقيهاً ، ولا أعلم له كلاماً يدلّ على الإرجاء أبداً ، لكن الذين

الألباني - رحمه الله - عالمٌ محدّثٌ فقيهٌ، وإن كان محدّثاً أقوى منه فقيهاً، ولا أعلم له كلاماً يدلّ على الإرجاء أبداً، لكن الذين يريدون أن يكفّروا الناس يقولون عنه وعن أمثاله: إنهم مرجئة؛ فهو من باب التلقيب بألقاب السوء، وأنا أشهد للشيخ الألباني - رحمه الله - بالاستقامة، وسلامة المعتقد، وحسن المقصد.

يريدون أن يكفّروا الناس يقولون عنه وعن أمثاله : إنهم مرجئة ؛ فهو من باب التلقيب بألقاب السوء[1] ، وأنا أشهد للشيخ الألباني - رحمه الله - بالاستقامة وسلامة المعتقد وحسن المقصد[2] ، ولكن مع ذلك ؛ لا نقول أنه لا يخطئ ؛ لأنه لا أحد معصوم إلا الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد يخطئ في مسائل يكون الصواب فيها خلاف قوله ، وقد يكون الصواب في قوله ؛ لكن العمل به غير صواب ؛ كما قال في مسألة التبرج وجواز كشف الوجه واليدين ؛ فإنّ هذا حتى لو كان هذا ما تقتضيه الأدلة عنده ؛ فلا ينبغي نشره في هذا الزمن ؛ لأن الناس متأهبون جداً - أعني : كثيراً من الناس - لمثل هذا ؛ فما دام الناس محافظين لا حاجة لأن نفتح لهم الباب ؛ لأنهم لم يتركوا واجباً ، وهذه خطة يجب على طالب العلم أن ينتبه لها ، وهي أنه إذا تضمن الشيء شرّاً ؛ فليمسك . أرأيتم حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لمعاذ حين قال له : «أتدري ما حقّ الله على العباد ، وما حقّ العباد على الله؟» . قال : الله ورسوله أعلم . قال : «حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله ألا يعذّبَ مَن لا يشرك به شيئاً» ، فقال معاذ : أفلا أبشّر الناس يا رسول الله . قال : «لا تبشرهم ؛ فيتّكِلُوا» . فمنعه من إفشاء هذا الحديث ؛ مع أنه مسألة في العقيدة مهم جداً ؛ خوفاً من أن تفهم بهذا الشكل . وأراد أن يهدم الكعبة ويبنيها على قواعد إبراهيم ، ولكن منعه أنّ قريشاً كانوا حديثي عهد بكفر ؛ فخاف أن يكون بذلك فتنة . والعالم حقيقة هو الذي يكون عنده علم ، ويربّي الناس ؛ فالعلم ليس نظريات فقط ، بل نظريات وتطبيق .

(٧) السائل: **هذا سائل ينقل كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية ويطلب التوضيح: «الإيمان منه ما هو ركن لا يتم الإيمان إلا به، ومنه ما هو واجب ينقص بفواته نقصاً يستحق صاحبه العقوبة، ومنه ما هو مستحب يفوت بفواته علو الدرجة: فمن سواء أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل؛ ومنه إذا ذهب ذهب عن الكمال، ومنه ما إذا ذهب ذهب الإيمان بالكلية؛ وهو القول والاعتقاد» كما ذكر الأخ هذا الكلام لشيخ الإسلام.**

قال الشيخ : وأيش الإشكال؟

قال المحاور : **الأخ يطلب توضيح هذا الكلام.**

ج : **هذا واضح: الإيمان منه ما تركه كفر كما لو أنكر أحد أركان الإيمان: هذا**

---

(١) وهذا من علامات أهل البدع ، وانظر «عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني (ص١١٩) (الأصالة) .

(٢) وانظر - لزاماً - : «التعريف والتنبئة بتأصيلات الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في مسائل الإيمان والرد على المرجئة» (الأصالة) .

كفر، ومنه ما هو كمال: مثل قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»؛ المراد هنا كمال الإيمان، وقد يكون فيه شيء مستحبّ؛ كما أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن النساء ناقصات عقل ودين، وجعل نقصان دينها أن تترك الصلاة في أيام الحيض، مع أنّ هذا ليس بإرادتها.. هذا نقص الكمال.

(٨) السائل: **«تارك جنس العمل كافر، تارك آحاد العمل ليس بكافر»؛ ما رأيكم في ذلك؟**

ج: **مَنْ قال هذه القاعدة؟! من قائلها؟!** هل قالها محمد رسول الله؟! كلام لا معنى له.

نقول: مَن كفّره الله ورسوله فهو كافر، ومَن لم يكفّره الله ورسوله فليس بكافر.. هذا الصواب. أما جنس العمل أو نوع العمل أو آحاد العمل: فهذا كله طنطنة لا فائدة منها.

(٩) السائل: **هل أعمال الجوارح شرط في أصل الإيمان وصحّته أم أنها شرط في كمال الإيمان الواجب؟**

ج: تختلف؛ فتارك الصلاة ـ مثلاً ـ كافر. إذاً؛ فعلُ الصلاة من لوازم الإيمان.

وإني أنصح إخواني أن يتركوا هذه الأشياء والبحث فيها، وأن يرجعوا إلى ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، والسلف الصالح لم يكونوا يعرفون مثل هذه الأمور. المؤمن مَن جعله الله ورسوله مؤمناً، والكافر مَن جعله الله ورسوله كافراً. وانتهى.

(١٠) السائل: **إذا كنا في بلد يفتي أهل العلم فيها بأن تارك الصلاة ليس كافراً كفراً أكبر؛ فإذا مات تارك للصلاة في هذا البلد: فهل يترك الناس غسله والصلاة عليه، وهل يمنعون دفنه في مقابر المسلمين في هذا البلد؟ وهل مات مسلماً لأنه مقلّد لعلماء بلده؟**

ج: أما مَن يعتقد أنه كافر نعم؛ فهذا لا يصلي عليه، وأما مَن لا يعتقد؛ فليصلِّ عليه، وهكذا ينظر في الخلاف.

(١١) السائل: **سائل يقول: نعلم أنّ هناك المسلم والكافر، ولكن هل هناك مَن نستطيع أن نصفه بأنه مجهول الحكم؟ وهل استعمل أهل العلم من السلف هذه اللفظة؟**

ج: لا. الحكم واضح محدّد في كتاب الله عز وجل، قال الله عز وجل: **﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾**، ولا في أحد مجهول الحال إلا إذا كانت الأدلة مشتبهة عند بعض الناس في كفره أو إيمانه، صار مجهولاً من حيث الحكم، أو أن الرجل نفسه مجهول لا يدرى عنه؛ فهذا مجهول من حيث الحال، ومع ذلك، فالأصل في المسلمين

الإسلام حتى يقوم دليل صريح في خروجهم من الإسلام ، وإذا قُدِّر أن قُدِّم جنازة وصاحبها مبتدع نشكّ في إيمانه ؛ فهذا نستثني عند الدعاء له فنقول : اللهم إن كان مؤمناً فاغفر له وارحمه . والشرط في الدعاء جاء في القرآن كما في قوله تعالى : **﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ويدرأ عنها العذابَ أن تشهدَ أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين. والخامسة أنَّ غضب الله عليها إنْ كان من الصادقين﴾** . التثنية إذا شككت هذا إذا كان الشكّ أصلاً ومعتمداً ، وإلا فالأصل في جنائز المسلمين أنهم مسلمون ؛ فادعُ الله ولا تستثنِ .

(١٢) السائل : **سائل يقول: نرجو توضيح كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حيث قال: «ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال؛ فالعمل يصدق أن في القلب إيماناً، وإذا لم يكن عمل كذب أن في القلب إيماناً؛ لأن ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر، وانتفاء اللازم يدلّ على انتفاء الملزوم».**

ج : كلام الشيخ ظاهر ، وهو مرويّ عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : «أن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلّي ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقته الأعمال» ، وهذا معلوم من قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه ، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ؛ ألا وهي القلب» ؛ فمعلوم أن القلب إذا كان فيه إيمان ؛ فلا بد أن تظهر مقتضياته على الجوارح .

(١٣) السائل : **قائل يقول: «الكفر الأكبر والشرك الأكبر يعود إلى الاستحلال القلبي؛ فليس هناك عمل أو قول هو كفر أكبر إلا إذا تضمَّن الاستحلال القلبي»؛ فما رأيكم في هذا القول، وهل هذا هو معتقد أهل السنة؟**

ج : كل هذا كلام فارغ . الكفر والإيمان موكول للشرع ؛ فمَن كفَّره الله ورسوله فهو كافر ؛ سواء بعمل أو اعتقاد أو قول أو فعل ، ومَن لم يكفِّره الله ورسوله ـ وهو منتسب إلى الإسلام ـ ؛ فهو مؤمن لا يحلّ لنا أن نكفِّره .

ولو أنّ طلبة العلم المبتدئين والشباب الغيورين سلكوا هذا المسلك الذي قلنا سلموا من هذه التقريرات وهذه التعبيرات . الكافر مَن كفَّره الله ورسوله ، والمؤمن المنتسب للإسلام مَن لم يكفِّره الله ورسوله .

(١٤) السائل : **فضيلة الشيخ.. سائل يقول: ذكرتم في محاضرتكم هذه أنه يجب على طالب العلم أن يفتي بما عليه الجمهور.**

- الشيخ معترضاً : أنا ما قلت هكذا ، لكن السائل فهم هذا الفهم ، قلنا : إذا رأى الإنسان

أن هذا القول صواب ، ولكن يخالف الجمهور ؛ فلا يتعجّل في الإفتاء به حتى يحقّق ويراجع العلماء ويطالع الكتب ؛ أنّ ما هو عليه هو الصواب ، وكثيراً ما يذكر الإنسان أن ما عليه الناس خطأ ، ثم بعد البحث والمناقشة يتبين أنه الصواب ؛ فأقول وأكرّر : إذا تراءى لك أن هذا القول صواب وراجح ، وهو مخالف لجمهور العلماء ، أو ما عليه علماء البلاد ؛ فلا تتعجّل في الإفتاء به ، حتى تتأكّد وتردد ويظهر لك بعد البحث والمناقشة والمراجعة أن الصواب معك ؛ فحينئذٍ لا بد من بيان الصواب ، فرقٌ بين قوله : لا يفتي بخلافه . وبين قولي : لا يفتي حتى يتأكّد .

(١٥) السائل : **فضيلة الشيخ.. سائل يقول: هل أفتيتم بجواز الانتخابات؟ وما حكمها؟**

ج : نعم ، أفتينا بذلك ، ولا بد من هذا ؛ لأنه إذا فقد صوت المسلمين معناه تمحض المجلس لأهل الشر ، وإذا شارك المسلمون في الانتخابات انتخبوا مَن يرون أنهم أهل لذلك فيحصل بهذا خير وبركة .

(١٦) السائل : **سائل يقول: ما حكم من التحق بالجماعات والأحزاب الإسلامية؟**

ج : أما مَن التحق بطريقة السلف ؛ فهذا هو الذي على الحق ، وما خالف ذلك ؛ ففرقة ، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي صحّحه كثير من العلماء ؛ أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة قالوا : مَن هي؟ قال : «مَن كان على مثل ما عليه أنا وأصحابي» . فالفرقة المنصورة الظاهرة هي التي كانت على منهج السلف الصالح عقيدة بالجنان ، وقولاً باللسان ، وعملاً بالأركان .

(١٧) السائل : **سائل يقول: ما قول الشيخ - حفظه الله - في تدريس هذا الكتاب للناشئة، وهو مشتمل على العناوين الآتية المكتوبة بالخط البارز سنذكرها لكم: يقول: «لا يكفر المسلم حتى يترك أصل الإيمان القلبي»؟**

ج : أنا قلت في هذا اللقاء : إن تارك الصلاة كافر ، ولو كان مقراً بوجوبها .

السائل : **يقول في موطن آخر: «جمهور العلماء - وليس المرجئة - يقولون بنجاة تارك العمل».**

ج : هؤلاء يريدون سفك الدماء واستحلال الحرام ، لماذا صاحب هذا الكتاب؟ ما أصل أصول أهل السنة والجماعة كما أصّلها شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية» ، أما أن لا يكون لهم همّ إلا التكفير (جنس العمل ـ نوع العمل ـ آحاد العمل) وما أشبه ذلك ، لماذا . . . . (كلمة غير واضحة للشيخ ـ حفظه الله ـ) .

السائل : **نأسف على الإطالة في هذا النوع من الأسئلة. حقيقة، إن سبب**

الطرح أن أحد طلبة العلم عندنا هنا في قطر يدرس في هذا الكتاب الذي يدور حول هذه المسائل والقضايا.

الشيخ : أنا ما أقول شيء بالنسبة للكتاب ، تغيره أو تبديله الواجب على وزارة المعارف أو التعليم العالي أن تنظر في هذا الكتاب وتلغيه إذا كان ليس لكاتبه همّ إلا هذا ؛ فهذا لا خلاف فيه .

السائل : **يقول البعض: إنه لا بد أن نبدأ بمسائل الإيمان والحكم على الناس في الإيمان والكفر، وأن هذا هو أهم أمور التوحيد، ولا بد من صرف الهمّة إلى هذا الأمر: فهل هذا صحيح؟ وما هي المراحل التي يبدأ بها علم التوحيد، والتي ينبغي تعليمها أولاً للناس؟**

ج : هذا صحيح بالنسبة إذا كنا نخاطب كفّاراً ، أما إذا كنا نخاطب مسلمين معنا يصلّون صلاتنا ، ويصومون صومنا ، ويحجّون حجّنا ؛ فنبيّن لهم أحكام هذه الأعمال ، ثم أيضاً نبين التوحيد ؛ لأنه قد يوجد في بعض البلاد الإسلامية ما هو كفر أكبر وشرك أكبر ؛ فهنا لا بد من البيان .

وإلى هنا ينتهي هذا اللقاء ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قال الإمام أحمد:

لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه .

«الآداب الشرعية»
لابن مفلح الحنبلي (١/١٨٧)



العلامة المحدث الألباني

بين الذابين عنه، والرادين عليه

● بقلم: عبدالله بن حسين الموجان

. . . رحم الله الشاطبي عندما قال : «إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعاً ضلال ، وإن الحجة القاطعة للحكم الأعلى هو الشرع لا غيره» .

الشيخ الألباني علم من أعلام الدعوة السلفية في هذا العصر ، وإن كان أعلام السلفية في هذا العصر كثيرين كسماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز ، والعلامة عبدالرزاق عفيفي ، ومن قبلهم أمثال أحمد شاكر ، ومحمد عبدالرزاق حمزة ، ومحمد نصيف ، وغيرهم كثير - رحمهم الله جميعاً - .

إلا أن اختيارنا للشيخ الألباني نموذجاً لامتداد محنة المدرسة السلفية مع المخالفين كان سببه أن الألباني - رحمه الله - ابتلي بجمع غفير من المخالفين والمناوئين ممن وقعوا فيه بالتأليف والقذف والسبّ وإغراء السلطات به محاولة للنيل منه ، وإن شئت فقل محاولة للنيل من الدعوة السلفية التي يمثّلها .

بل بلغ من حقد المخالفين له أن صرحوا أو قاربوا بتكفيره ؛ فضلاً عن تبديعه أو رميه بالبهتان .

ومن يردّ على الألباني وينال منه : إما متمسح بلباس العلماء زوراً ، أو طويلب مغمور أراد التسلق ليظهر .

ومن الإنصاف أن يقال : إن هناك من رد على الألباني بحق ؛ لكنه التزم جانب الرد العلمي السوي مع اعتراف بفضله وإذعان لمآثره التي غطت طباق العالم الإسلامي كله .

لقد أصبح خطباء الجمع ووعاظ المساجد في هذا العصر يحرصون على عزو الأحاديث

إلى مصادرها خوفاً من نسبة حديث ضعيف إلى النبي ﷺ بعد الصيحة التحذيرية التي بثها الشيخ في الأمة ، والتي كان كل من شاء يتكلم بما شاء .

لقد رد الشيخ وتلاميذه على الهجمة الشرسة التي رمى بها أصحاب البدع السلفية، وما زال السلفيون يجيبونهم بالحجج القارعة، والأدلة الدامغة، وأحببت أن أسطر شيئاً من ذلك، فإن هذه الهجمات على الدعوة السلفية علامة الإرث الصحيح، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .

من هو الألباني؟

لقد كتب الشيباني (حفظه الله) مجلدين كبيرين في التعريف بالألباني ومآثره ، ونود أن نضيف إلى ذلك أنه لم يمدح الألباني طلابه فحسب ، بل علماء الأمة ومفكروها مذعنونْ له ، بل المخالفون له يستفيدون من كتبه ولا ينسبون الفضل إليه تَحَيُّفاً عليه .

إن «السلسلتين» (الصحيحة والضعيفة) كافيتان في التعريف بعلم الألباني ، هذا الرجل الذي جاء من ألبانيا واستوطن الشام ، وبدأ حياته عصامياً يعمل في إصلاح الساعات ، ثم أُولع بمطالعة القصص العربية كالظاهر وعنترة ، ثم عثر على «مجلة المنار» ؛ فاتجه إلى السلفية والحديث .

يقول الألباني عن نفسه[1] (ص ٣٣٥ ، ٣٣٦) :

ومن يردّ على الألباني وينال منه : إما متمسح بلباس العلماء زوراً ، أو طويلب مغمور أراد التسلق ليظهر.
ومن الإنصاف أن يقال : إن هناك من رد على الألباني بحق لكنه التزم جانب الرد العلمي السوي مع اعتراف بفضله وإذعان لمآثره التي غطت طباق العالم الإسلامي كله.

(١) «حياة الألباني» لمحمد بن إبراهيم الشيباني (٤٦/١) وما بعدها .

«أول ما ولعت بمطالعته من الكتب: القصص العربية كالظاهر وعنترة و..» إلى أن قال: «وذات يوم لا حظت بين الكتب المعروضة لدى أحد الباعة جزءاً من مجلة المنار فاطلعت عليه، ووقعت على بحث بقلم السيد محمد رشيد رضا يصف فيه كتاب «الإحياء» للغزالي، ويشير إلى محاسنه ومآخذه، ولأول مرة أواجه مثل هذا النقد العلمي؛ فاجتذبني ذلك إلى مطالعة الجزء كله...».

ويقول: «فإذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذويه، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه الكلمة الطيبة ليطلع عليها من بلغته، فإنني بفضل الله عز وجل بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً، وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً؛ يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته (المنار) التي وقفت عليها أول اشتغالي بطلب العلم..» اهـ.

ومن هنا نتبين توجه الشيخ إلى السلفية متى بدأ وظهر. وعلى مر الأزمان صار الشيخ علماً على الدعوة السلفية في هذا العصر وأثر في كل الاتجاهات الفكرية.

يقول صاحب كتاب «محمد رشيد رضا: دعوة وإصلاح»[1]:

«لا يشك أحد في أن علامة الشام الألباني قد أثر في فكر الدعوات الإسلامية الموجودة الآن على اختلاف مناهجها، كما لا يشك منصف في أن محدث الشام قد بعث روح السلفية في كثير من الأفراد والجماعات الإسلامية، وجدد ما درس من الشريعة والدين، وأكد على ضرورة الالتزام بالمنهج الحديثي في التصحيح والتضعيف؛ لئلا يقع المسلم في نسبة حديث للنبي ﷺ لم يقله، أو في نفي رواية صحيحة عن النبي ﷺ لأنها خالفت رأي إنسان أو آخر...» أ. هـ.

ويقول الأستاذ أحمد العظمة[2]:

«عرفت دمشق محدثها الأكبر العلامة الشيخ بدر الدين الحسيني، فلما توفَّاهُ الله خلت الديار من إمام تتجه الأنظار إليه في علوم الحديث.

غير أن فتى أرناؤوطياً (نشأ نشأة علم وتقى، وكان له من اسمه نصيب هو الأستاذ محمد ناصر الدين) عرف في أوساط الشباب بخدمته الحديث وعلومه وجمع الشباب عليه، واشتهر بينهم، واستطاع بفصاحة لسانه العربي وطلاوة حديثه وجودة مناقشته أن يستأثر بنخبة تأخذ عنه وتتلمذ عليه.

(١) (ص ٣٣٤).

(٢) «بدعة التعصب المذهبي» (ص ١٢٠، ١٢١).

وإذا كان الحديث ثاني مصدر للفقه الإسلامي بعد كتاب الله ، وكان يعتبر ما صح عند أهل الحديث مذهباً لأهل الفقه ، لذلك اشتهر بعض أنصار الشيخ ناصر بتركهم من الأحكام المذهبية ما عرفوا فيه حديثاً ثابتاً صحيحاً ، وبعضهم كان يثير اللغط ، ومن هنا تألب على الأستاذ من تألب» .

ويقول محمد عيد عباسي[1] :

«وتذكر في هذه المناسبة أن كبار علماء العالم الإسلامي قد اعترفوا بفضل شيخنا وأثنوا عليه ، فمنهم الشيخ أبو الفيض أحمد الغماري المحدث المغربي ، ومنهم الشيخ عبيدالله الرحماني المباركفوري مدير الجامعة المركزية في بنارس في الهند ، فقد أرسل إليه رسالة يستفتيه فيها في بعض الأحاديث ويثني عليه بأنه اطلع على مخطوطات الحديث وتبحر في علومه ، وأنه ذو أفق واسع في الحديث ورجاله ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الجامعة كانت قد دعت الشيخ ناصر لتسليمه مشيخة الحديث فيها ، كما دعته منذ أشهر لحضور حفلة توزيع الشهادات على المتخرجين فيها .

ومن اعترف بفضل الشيخ كذلك الشيخ عبدالصمد شرف الدين ، وهو من كبار علماء الهند ومحدثيها ، وقد وصف الشيخ في رسالة منه إليه بأنه أكبر عالم في الحديث في العصر الحاضر ، كما أننا نذكر في هذه المناسبة أن لجنة الحديث في مصر - في عهد الوحدة - قد اختارت الشيخ ناصر ليكون عضواً فيها ، كما أن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة كانت قد اختارته لتدريس الحديث فيها ، واستمر في ذلك عدة سنوات ، وما يزال مديرها الشيخ الكبير عبدالعزيز بن باز ، يكنُّ له كلَّ محبة وتقدير ويعترف بفضله وعلمه .

وما لنا نذهب بعيداً ، وها هي كتب الشيخ تشهد بأوضح بيان بتفوقه الكبير في هذا العلم الشريف ، الذي كاد ينقرض من دنيا المسلمين مع الأسف ، بسبب هذه المذهبية المتعصبة التي يدعو إليها البوطي وأمثاله ، ويرفعون عقيرتهم في التهجم على من يكشف عوارها ، ويظهر زيفها ، وليس مثل علماء الحديث من يفعل ذلك .

أضف إلى ذلك ، أننا وجدنا لديه الوعي الصحيح والصدر الرحب للبحث العلمي الحر النزيه ، بحيث يستطيع أبسط تلميذ مناقشته في أي أمر ، ومطالبته بالدليل والرد عليه دون أن يضيق بذلك ذرعاً ولا يضجر ولا يتأفف ، بينما لا يحتمل غيره أن يسأله أحد عن دليله ، كما أنه يشجعنا دائماً على انتقاده ، ويحثنا على تنبيهه إلى خطئه ، هذا

(١) «بدعة التعصب المذهبي» (ص ٢٥٣ - ٢٥٦) .

مع أخلاق فاضلة وتواضع جميل ، وإخلاص له ، وجهاد في سبيله ، ونظافة في اليد ، وجرأة في الحق ، وعدم المداهنة والمجاملة على حسابه ، والاستقلال في البحث والشخصية ، إلى آخر هذه الصفات التي لم نجد مثلها لدى أي شيخ عرفناه في بلادنا هذه .

وقد علّمنا شيخنا ـ حفظه الله ـ التمسك بالحق وحده ، والمطالبة بالدليل ، وعدم التعصب للرجال ، وقد وجدناه يسر إذا خالفه أحد في بعض آرائه بشرط أن يكون متمسكاً بدليل ، ومقتنعاً به ، ولذلك فنحن لا ندعو أحداً إلى التمسك بآراء شيخنا إلا إذا اقتنع بها ، واطلع على دليلها ، وليس بعيداً أننا حينما نتمكن من العلم ونقوى في البحث والنظر قد نخالف شيخنا في بعض آرائه ، ونحن موقنون بأنه يسر بذلك ، لأن العلم بحر واسع ، وكل أحد يَرُدّ ويُرَد عليه إلا النبي ﷺ ، حسبه أنه أنشأ تلاميذ همّهم اتباع الحق ، والسعي له ، والتعلق به ، وأرشدهم إلى طريق الوصول إليه ، وأعطاهم المنهج العلمي الصحيح ؛ فجزاه الله عنا وعن دينه خير الجزاء .

وقد ألف شيخنا ـ حفظه الله ـ طائفة من الكتب في الحديث والفقه ، فوجدنا فيها العلم الصحيح مع الأدلة الواضحة والتحقيق العلمي الرفيع ، ولم نجد أحداً من مشايخ بلادنا رد عليه بطريقة علمية صحيحة ، وأثبت خطأه وقصوره ، وكل ما وجدناه من كثير منهم مع الأسف حملات مسعورة وشتائم ظالمة وتنقص وطعن وتحامل ، فبعضهم وصل به الحقد إلى أن ينكر أن يكون للشيخ أي حظ من العلم بالحديث واللغة والفقه والدين ، وبعضهم يدعي أنه عالم بالحديث ولا يفهم الفقه ، ومن الجدير بالذكر أن بعض هؤلاء الطاعنين هو من المشككين بالسنة ، وممن يرد بعضها بحسب ما يخيل لعقله القاصر ، وبعض هؤلاء يطعنون في الشيخ ؛ لأنه لم يأخذ علمه من مشايخ مثلهم ، ويقولون : إنه أخذ عن الصحف ، فهو صحفي .

ومن يدري فلعله لو أخذ عن مثله لكان نسخة منهم ، في الجمود والتقليد والتعصب وضيق الأفق ، والجهل بالسنة ، والبعد عن المنهج العلمي الصحيح .

وإذا نظرت إلى جميع هذه التهم والطعون وجدتها مشبعة بروح التحامل والخصومة، ومنبعثة من دافع الحقد والحسد وليس فيها نقد نزيه، ولا بحث علمي.

كما أننا قد رأينا الشيخ أعلم وأرفع وأصوب من جميع خصومه ، وقد سمعناه يعلن مراراً عن استعداده للاجتماع بأي عالم بقصد التواصي بالحق والتناصح في العلم والمناقشة في الرأي ، وأعلن عن استعداده

للتـــراجع عن أي رأي إذا اطلع على دليل صحيح يخالفه ، كما أنه يرحب بأي نقد علمي لأيٍّ كتاب من كتبه ، فلذلك كله آثرنا شيخنا على غيره ، فهل نحن ملومون في ذلك ومخطئون؟» .

وقال علي حسن عبدالحميد في معرض رده على بعض الهجوم على الألباني :

«من عجيب أمر هذا المدعي (الغماري) أنه كثير المناقضة لنفسه ، يقع فيما ينهى الآخرين عنه ، ويتصف بما يذم الآخرين بتلبسه يقول في رسالته ـ القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع ـ (ص١٢) نبزاً وطعناً في شيخنا الألباني : ومن معايبه وما أكثرها لمزه لمن يخالفه بالابتداع ، فهو عند نفسه قسيم النار : من كان معه فهو سني يستحق الجنة ، ومن خالفه فهو مبتدع يستحق النار . وهذه تالله كبرى معايب الغماري بشهادة نفسه على نفسه ، وكأنه بدأ يختلط عليه الأمور ، فهو يعد رمي المخالف بالابتداع من المعايب ثم يلقب مخالفه في الرسالة التي يقول فيها هذا الكلام نفسه في عنوانها بالمبتدع ، فأي تناقض أكبر من هذا»[1] .

هذا هو الألباني في هذا العصر عند محبيه وتلاميذه ، فماذا عن المخالفين؟! وماذا عنه؟! :

هيا نتلقف من هذا المستنقع شيئاً يبين لنا كيف حسدوه إذ لم ينالوا سعيه ، فالقوم أعداء له وخصوم :

يقول أحمد عبدالغفور عطار :

«وما أكثر علماء السوء الذين لا هم لهم إلا ترك الأعداء وفتح ثغور في الإسلام ليقتحموا منها عليه معتقده ومنعته وحصونه وقوته وأهله وكتابه وسنته وصحابة رسوله الكرام وخلفاءه الراشدين والتابعين والأئمة والفقهاء الصالحين ، فيثخنون فيهم جرحاً وتقتيلاً بأسلحة هؤلاء المسلمين الذين يدعون الغيرة والإصلاح ، وما هم إلا المفسدون الحاطمون .

ومن هؤلاء : محمد ناصر الدين الألباني ، وهو في لوثته وسوء أدبه وتجنيه على سادتنا سادة المسلمين جميعاً عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وتميم الداري ، وأبي بن كعب ، والمهاجرين والأنصار وصحابة رسول الله ﷺ والتابعين وأئمة الإسلام وفقهائه والمسلمين كافة قذيفة من قذائف أعداء الإسلام انفجرت فشاء الله أن تبيد هي نفسها قبل أن تبيد» .

وقال إسماعيل بن محمد الأنصاري[2] :

«بعد كتابتي وفراغي من إتمام النظر في

---

(١) من مقدمة كتاب «كشف المتواري من تلبيسات الغماري ورد عدوانه على أهل السنة» كتبه علي الحلبي .

(٢) وهو من العلماء السلفيين ، إلا أنه زلق عندما رد على الألباني في مسألة فقهية ، رحمه الله وعفا عنه .

رسالتي هذه بمدة طويلة وقفت على كتاب ظهر في أجزاء متسلسلة بعنوان «الألباني شذوذه وأخطاؤه» بقلم أرشد السلفي أحد علماء الهند وقد رد فيه على الألباني رداً بالغاً، وذكر النماذج تلو النماذج من أخطائه وانحرافاته في الفهم والحكم، وقد استحسنتُ أن أذيل رسالتي هذه بما كتبه الشيخ أرشد السلفي في كتابه «الألباني شذوذه وأخطاؤه» حول تحريم الذهب المحلق للنساء، ليشهد القراء في كتاب هذا العالِم الهندي تأييد ما ذهبنا إليه في الرد على الألباني، وباطل دعواه التي لم يقل بها أحد من قبل، وليعلم الألباني أن سكوت العلماء عنه ليس معناه التسليم له بصواب ما يقوله أو يدعيه كما يدعي ذلك هو، ويظن بل قد يكون سكوتهم عنه لأمور أخرى»[1].

وقال الشيخ أرشد السلفي بعد البسملة في أول كتابه المذكور:

«مبلغ علم الألباني: الشيخ ناصر الدين الألباني شديد الولوع بتخطئة الحذاق من كبار علماء الإسلام، ولا يحابي في ذلك أحداً كائناً من كان، فتراه يوهِّم البخاري ومسلماً ومن دونهما، ويغلِّط ابن عبدالبر وابن حزم وابن تيمية والذهبي وابن القيم وابن حجر والصنعاني والشوكاني، ويكثر من ذلك حتى يظن الجهلة والسذج من العلماء: أن الألباني نبغ في هذا العصر نبوغاً يندر مثله، وهذا الذي ينم عنه ما يتبجح به الألباني في كثير من المواطن، ويلفت إليه أنظار قارئيه فتارة يقول: اغتنم هذا التحقيق فإنك لا تجده في غير هذا الموضع (يعني عند غيره من المصنفين) وتارة يدعي أنه خصه الله تعالى في هذا العصر بالوقوف على زيادات الحديث الواردة في مختلف طرقه المنتشرة في الكتب المبعثرة وبذلك وصل إلى ما لم يصل إليه غيره من المحققين السابقين ولا اللاحقين.

ولكن من كان يعرف الألباني ومن له إلمام بتاريخه يعرف أنه لم يتلقّ العلم من أفواه العلماء، وما جثا بين أيديهم للاستفادة وإنما العلم بالتعلم..».

... كما كتب بعض الأذناب كتباً في الرد على الألباني منهم صاحب «التحذير والتنبيه من تعدي الألباني ـ زعم ـ على صحيح مسلم»، وصاحب «التناقضات» وأمثال هؤلاء المدعومين مالياً وروحياً من أهل البدع في العالم الإسلامي، وليسوا إلا من صغار الذين أحبوا التسلق على حساب الآخرين، ونقول لهؤلاء جميعاً: أشفق على

---

(١) «إباحة التحلي بالذهب المحلق للنساء والرد على الألباني في تحريمه» للشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري (ص٨٣).

الرأس لا تشفق على الجبل ، وما يضير السحاب نباح الكلاب» !![1] .

ولنا وقفة:

ترى ما الدافع لهؤلاء لفعل ما فعلوا إلا الحسد والحقد .

هل كان بينهم وبين الألباني ثأر أو مغالبة على دنيا؟

هل سحب الألباني بساطاً من أبسطة الدنيا كانوا يفترشونه؟

هل نازعهم في مال أو جاه؟

الواقع أنهم غلبهم الحقد والحسد والتعصب البغيض ، حتى قالوا ما قالوا فيه ، ولو كانوا على منهج العلماء لقارعوه بالحجة المتأدبة ، وباللسان العف كما سمعنا من سماحة العلامة (ابن باز) - رحمه الله تعالى - وهو يرد بعض ما لا يراهُ صواباً من كلام الألباني بقوله : أخونا العلامة الألباني أخطأ في هذه المسألة بدليل كذا وكذا ، أو قوله : هذا ليس بصواب ولعل أخانا الشيخ الألباني أن يراجع المسألة ، ونحو ذلك من الأقوال التي تدل على علم صاحبها واحترامه للعلم الذي يحمله الشيخ الألباني .

أترى هذه المواقف من المخالفين خلت من الحسد والحقد والتعصب؟

إن لم يكن الدافع لهم هذا فلا يدرى ما الدافع ، فليس القوم أو جلهم بأهل خير وحق حتى يغاروا على الحق كما زعموا !!

اللهم غفرانك . . . اللهم غفرانك .

قال الإمام ابن القيم :

«سمعت شيخنا يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً، ثم يخرج إليهم».

«روضة المحبين» (ص٥٣٠) .

---

(١) لو كان هؤلاء أرادوا الرد العلمي لكان لهم منا الذكر الحسن ولو خالفونا في الرأي ، بل لشكرهم محدث الشام وعلامة الدنيا على ذلك ؛ لكنهم أكل قلبهم الحقد والحسد فصار سباباً وقذفاً وشتماً ؛ فمعاملتهم بمثل فعلهم عدل لا ظلم ، والله المستعان .



الحلقة الثانية

الدعوة السلفية

أصولها.. مقاصدها.. أسباب النهوض بها

● بقلم: العلامة الألباني رحمه الله

نحن نعتقد جازمين : أن كل من يدعي دعوى ، لا بد أن يقرن دعواه بالدليل ، والملاحظ : أن هناك صحوة عامة وصحوة خاصة ؛ الصحوة العامة تشمل كل المسلمين والذين كانوا من قبل من الغافلين ؛ فربتهم الحوادث والتجارب - سواء كانت تجارب شخصية أو جماعية - أنه لا بد للمسلمين من أن يعودوا إلى دينهم ؛ فعاد الكثيرون منهم إلى دينهم ؛ لكن إلى كلمة الدين بالمفهوم العام ، والذي يهمنا المفهوم الخاص في الدين ؛ وهو كما قال رسول الله ﷺ : «ما أنا عليه وأصحابي . هذا الفهم الخاص هو الذي يُغير المؤمنين ، وهو الذي يخلصهم من هذا الذل الذي أصابهم وران عليهم ، لما وُجدت هذه الصحوة بدأنا منذ عهد قريب جداً نسمع ممن كنا لا نسمع منهم من قبل كلمة الكتاب والسنة ، إنما كنا نسمع منهم كلمة الإسلام والدين ومن الكلمات العامة ، أما الرجوع إلى الكتاب والسنة ؛ فأصبحت (موضة) العصر الحاضر ؛ أي : إن بعض الجماعات التي لا تتبنى الإسلام ديناً وسياسة يقولون : نحن على الكتاب والسنة ؛ لأنهم ليس عندهم من المعرفة بالكتاب والسنة إلا ما يشترك معهم عامة الناس أما أن يكونوا عندهم علم تفصيلي أولاً بالخلافات التي توارثناها في هذه القرون الطويلة ، ثم معرفة الراجح من المرجوح من هذه الموروثات ؛ هذا في الواقع لا نكاد نجد أحاداً من هذه الجماعات من يقوم بتحقيق ذلك إلا من ينتهي إلى أهل الحديث وإلى أهل السلف ،

ولذلك ، ففاقد الشيء لا يعطيه .

وكل جماعة ـ الآن ـ تدعى أنها على الكتاب والسنة ؛ لأنه صار معروفاً ـ عند جميع المسلمين أن الدعوة إلى الكتاب والسنة هو الإسلام ؛ فلم يعد يتمكن أحد من الدعاة مهما كان اقترابه أو ابتعاده عن منهج الكتاب والسنة أن يغضّ النظر عنها ؛ فإذا ما ادعى مُدَّعون أنهم على الكتاب والسنة قلنا لهم ذلك ما نبغي أولاً ، وهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ثانياً .

ونحن في حدود ما علمنا وأطلعنا من الجماعات الموجودة يُطلق عليهم اسم (أهل الحديث) أو اسم (أنصار السنة) في بعض البلاد أو (السلفيين) في بلاد أخرى وهكذا ؛ أما الذين ينتمون إلى جماعات أخرى لا يتردد على ألسنتهم الاستدلال بالكتاب والسنة في كل شؤون حياتهم الذاتية الشخصية أو العامة أو الفكرية أو السياسة أو نحو ذلك ، ما نجد عندهم من يدندن دائماً حول الكتاب والسنة ، لكن هاتوا ما عندكم من دليل على أنكم على الكتاب والسنة ؛ فلا يجدون جواباً .

إن بين أيدينا الآن مثالاً قريب العهد ومؤسفاً في آن واحدٍ ، هذا الغزالي المصري هو لا يتبرأ من الكتاب والسنة ، ولا يقول : أنا لا أدعو إلى الكتاب والسنة ، لأنه لو قال ذلك انفضح أمره ، وانكشفت سريرته ، فهو يقول بذلك ، ولكن ماذا يعني من قوله هذا؟ إن كان من السنة ، فهي السنة التي صحت عنده في منظاره الشخصي والعقلي وليس ما صحّ عن علماء الحديث الذين كرّسوا حياتهم طيلة هذه القرون الطويلة لمعرفة السنة الصحيحة من الضعيفة .

مثل هذا الإنسان وأمثاله كثيرون ـ مع الأسف الشديد ـ لا يقيمون لهذه الجهود العلمية في خدمة السنة وزناً ؛ كل ما في الأمر الحديث الذي يوافق هواه أو منطقه أو ثقافته فهو الصحيح ، وما خالف ذلك فهو الضعيف ، ولو أخرجه البخاري ومسلم ، ولو اتفقت الأمة على تلقي هذا الحديث بالقبول . فالسنة عنده تبع لهواه ، والقرآن يُفسره ـ أيضاً ـ تبعاً لهواه ، الفرق عنده : أن القرآن لا يجرؤ أن يقول هذا لا يصح ، لكن يقول هذا الفهم لا يصح بينما هذا الفهم هو الذي جاءنا عن الصحابة وعن السلف ، أما الحديث فما أجرأه على الإنكار ؛ لأنه أهون وأخف معولٍ عنده في هدم السنة أن يقول كما يقول غيره من الدعاة ـ زعموا ـ : هذا حديث آحاد ، وحديث الآحاد لا تثبت به عقيدة ، ولذلك تُردُ بهذا المعول وتُهدم أحاديث صحيحة لا إشكال عند علماء الحديث في صحتها ؛ فإذاً ليس المهم إدعاء طائفة من الناس أو حزب أو جماعة من الناس أننا على الكتاب والسنة ، لأننا نقول لهم :

نريد أفعالاً ، ولا نريد أقوالاً ، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، ونحن نعلم أن الجماعات التي تنتهي إلى أسماء معينة أو أحزاب سياسية أو نحو ذلك ؛ فهذه لا تهتم بدراسة السنة إطلاقاً ، بل قد يصرحون بأن هذه الدراسة تُفرق الأمة وتفرق الجماعة ، وأن البحث في أن هذا الحديث صحيح أو غير صحيح ، وأن هذه سنة وهذه بدعة ، هذا سابق لأوانه ؛ فبعضهم يقولون ـ في مثل ذلك ـ : هذه ليست من اللباب ، إنما هي من القشور !!

فلا شك ولا ريب أن الدليل الناهض على أن الذين يصدق عليهم أنهم من الفرقة الناجية ـ كما جاء في الحديث الصحيح ـ إنما هم الحريصون على فهم الكتاب والسنة في كل شؤون حياتهم ويطبقون ذلك حسب قدرتهم وطاقتهم ، ومن علامة هؤلاء أنهم لا يتحزبون لحزب واحد ، ولا ينتمون لرأس واحد ، يأمرهم بما يشاء ، وينهاهم عما يشاء ، إنما مرجعهم كلهم إلى قول الله تبارك وتعالى : **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾** .

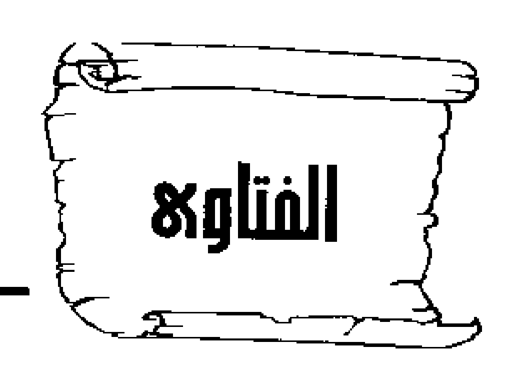
فالفرقة الناجية هي فرقة أهل الحديث والسنة ، وليست هي أهل السنة والجماعة ، كما يقولون اليوم ؛ لأن هذا الاسم اصطلحوا على أن يدخلوا تحته الأشاعرة والماتريدية أخيراً يدخل أهل الحديث الذين ينبغي أن يُذكروا مقدماً وسلفاً بينما هؤلاء لا يتبنون الرجوع ـ كما نتبناه ـ إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح ؛ أعني : الأشاعرة والماتريدية ، فهم من علماء الكلام الذين اضطروا أن يقولوا كلمة حق ، لكن يُراد بها باطل ، وهي قولهم : مذهب السلف أسلم ، لكن مذهب الخلف أحكم وأعلم ؛ إذاً نسبوا الجهل إلى السلف ، ونسبوا العلم إلى الخلف ؛ وهذا عكس لكل ما ذكرنا آنفاً ، ولغيره من النصوص .

فأهل الحديث هم أهل النبي
وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا .

نسأل الله : أن يجعلنا من أهل الحديث العارفين بكتاب الله ؛ ثم بصحيح سنة رسول الله ، ثم العاملين بذلك على منهج أصحاب رسول الله ﷺ .

قال أبو العالية :

«ما أدري أي النعمتين عليّ أعظم؟ أن أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام، أو عصمني في الإسلام؛ أن يكون لي فيه هوى».



بيان من هيئة كبار العلماء حول مسألة التكفير

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه ، أما بعد :

فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء - في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ ١٤١٩/٤/٢هـ - ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية ، وغيرها من التكفير والتفجير ، وما ينشأ عنه من سفك الدماء ، وتخريب المنشآت ، ونظراً إلى خطورة هذا الأمر ، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح ؛ فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك نصحاً لله ، ولعباده ، وإبراء للذمة وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليه الأمر في ذلك ، فنقول وبالله التوفيق :

أولاً : التكفير حكم شرعي ، مرده إلى الله ورسوله ، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله ، فكذلك التكفير ، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل ، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة .

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله ؛ لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة ، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن ، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة ، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات ، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير ، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات ؛ ولذلك حذر النبي ﷺ من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر ، فقال : «**أيما امرىء قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال؛ وإلا رجعت عليه**» .

وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود

مانع **يمنع من كفره** ، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها ، وانتفاء موانعها كما في الإرث ، سببه القرابة - مثلاً - وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين ، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به .

وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها **لعدم القصد** ، كما في قصة الذي قال : «اللهم أنت عبدي ، وأنا ربك» ؛ أخطأ من شدة الفرح .

والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة : من استحلال الدم والمال ، ومنع التوارث ، وفسخ النكاح ، وغيرها مما يترتب على الردة ، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة .

وإذا كان هذا في ولاة الأمور كان أشد ؛ لما يترتب عليه من التمرد عليهم وحمل السلاح عليهم ، وإشاعة الفوضى ، وسفك الدماء ، وفساد العباد والبلاد ، ولهذا منع النبي ﷺ من منابذتهم ، فقال : «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**» . فأفاد قوله : «**إلا أن تروا**» : أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة . وأفاد قوله : «**كفراً**» أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر ؛ كالظلم وشرب الخمر ، ولعب القمار ، والاستئثار المحرم . وأفاد قوله : «**بواحاً**» : أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح ؛ أي : صريح ظاهر . وأفاد قوله : «**عندكم فيه من الله برهان**» : أنه لا بد من دليل صريح ، بحيث يكون صحيح الثبوت ، صريح الدلالة ، فلا يكفي الدليل ضعيف السند ، ولا غامض الدلالة . وأفاد قوله : «**من الله**» : أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ .

وهذه القيود تدل على خطورة الأمر .

وجملة القول : أن التسرع في التكفير له خطره العظيم ؛ لقول الله عز وجل : ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف : ٣٣] .

ثانياً : ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ : من استباحة الدماء ، وانتهاك الأعراض ، وسلب الأموال الخاصة والعامة ، وتفجير المساكن والمركبات ، وتخريب المنشآت ، **فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعاً بإجماع المسلمين** ؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة ، وهتك لحرمة الأموال ، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار ، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم وغدوهم ورواحهم ، وهتك للمصالح

العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها .

وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم، وأعراضهم، وأبدانهم، وحرم انتهاكها، وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلَّغ به النبي ﷺ أمته، فقال في خطبة حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام: كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**». ثم قال ﷺ: «**ألا هل بلغت؟ اللهم: فاشهد**». متفق عليه.

وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**».

وقد توعد الله سبحانه من قتل نفساً معصومة بأشد الوعيد، فقال سبحانه في حق المؤمن: ﴿**وَمَن يقتُلْ مؤمناً متعمداً فجزاؤه جَهَنَّمُ خالداً فيها وغَضِبَ اللهُ عليهِ ولَعَنَهُ وأعدَّ له عذاباً عظيماً**﴾ [النساء: ٩٣]، وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: ﴿**وَإن كانَ من قومٍ بينكم وبينهم ميثاقٌ فَدِيَةٌ مسَلَّمةٌ إلى أهله وتَحريرُ رَقَبَةٍ مؤْمنةٍ**﴾ [النساء: ٩٢] فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قتل عمداً، فإن الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر. وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة**».

ثالثاً: إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخطورة إطلاق ذلك، لما يترتب عليه من شرور وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، **وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة: فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة**؛ ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله. قال الله تعالى: ﴿**ومن الناس من يعجبكَ قولهُ في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قَلْبه وهوَ ألَدُّ الخصام. وإذا تولّى سَعَى في الأرض ليُفسدَ فيها ويهلِكَ الحرثَ والنَّسلَ والله لا يُحبُّ الفَساد. وإذا قيل له اتَّقِ الله أخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإثم فحسْبُهُ**

جهنمُ ولبئسَ المهادُ﴾ [البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦] .

والواجب على جميع المسلمين في كل مكان التواصي بالحق ، والتناصح والتعاون على البر والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، كما قال الله سبحانه وتعالى : **﴿وتَعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تَعاونوا على الإثْمِ والعُدوان واتقوا الله إن الله شديد العِقابِ﴾** [المائدة : ٢] ، وقال سبحانه : **﴿والمؤمنون والمؤمناتُ بعضهم أولياءُ بعض يأمُرون بالمعروفِ وينهونَ عن المنكر ويُقيمون الصلاة ويؤتونَ الزكاة ويُطيعونَ الله ورسولهُ أولئكَ سَيَرْحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾** [التوبة : ٧١] .

وقال عز وجل : **﴿والعصر. إن الإنسان لفي خسرٍ. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾** [سور العصر ، كاملة] .

وقال النبي ﷺ : «**الدين النصيحة**» . قيل : لمن يا رسول الله؟ قال : «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**» ، وقال عليه الصلاة والسلام : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» .

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

ونسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى : أن يكف البأس عن جميع المسلمين ، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد وقمع الفساد والمفسدين ، وأن ينصر بهم دينه ، ويعلي بهم كلمته ، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً في كل مكان ، وأن ينصر بهم الحق ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

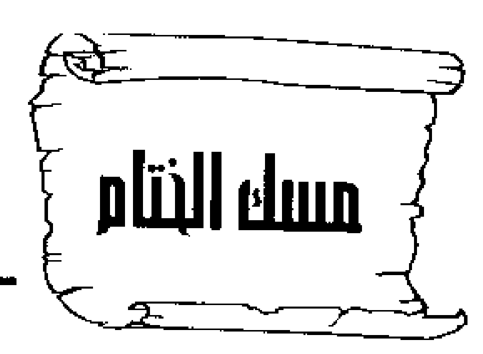
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

عن البراء بن عازب قال :

كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر ؛ فبكى حتى بلّ الثرى ، ثم قال :

«يا إخواني ! لمثل هذا فأعدُّوا» .

رواه ابن ماجه بسند حسن



الهــــوى

● بقلم: التحرير

كل من دخل من أمة محمد ﷺ في هوى من الأهواء ورآه، وذهب إليه؛ فلا يرجع أبداً عن هواه إذا كان قلبه مشرباً به، وقد أفصح الشاطبي - رحمه الله - في كتابه الفذ «الاعتصام» عن مواصفات هؤلاء، ومما قال في ذلك:

١- «إن صاحب الهوى إذا دخل قلبه، وأشرب حبه، لا تعمل فيه الموعظة، ولا يقبل البرهان»[١].

٢- «إنه لا يكترث بمن يخالفه»[٢] مهما بلغ شأنه.

٣- «إنه لا يعبأ بعذل العاذل فيه»[٣].

٤- «إن الذي أشربها من شأنه أن يدعو إلى بدعته؛ فيُظهر بسببها المعادات»[٤].

٥- «إن بدعته قد أعمت بصره، وأصمّت سمعه»[٥].

٦- «إن من أشربها ناصب عليها بالدعوة المقترنة بالخروج عن الجماعة والسواد الأعظم، وهي الخاصية التي ظهرت في الخوارج، وسائر من كان على رأيهم»[٦].

هذه هي الأوصاف الخطيرة لأهل الأهواء والبدع ممن لا ترجى لهم توبة، ولا ينتظر منهم أوبة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) «الاعتصام» (٢/٢٦٨). (٢) «الاعتصام» (٢/٢٦٨). (٣) «الاعتصام» (٢/٢٧٠).
(٤) «الاعتصام» (٢/٢٧٣). (٥) «الاعتصام» (٢/٢٧٣). (٦) «الاعتصام» (٢/٢٧٣).

السنة الخامسة عدد

١٥/ شعبان /٤٢١





عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرة كل شهرين مؤقتاً

إخواننا القراء:

نرحب بكل مقال علمي رصين،

ونرغب في كل نقد هادف بنّاء

فـ (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع إلى الحق..

-وفقنا الله وإياكم لكل خير-.

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة

الأردن (دينار)، الإمارات المتحدة (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعـودية : (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠ فلس)، أوروبا: (٤ دولارات)، أمريكا: (٥ دولارات)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/٣/١٣٢٨)

عنوان المراسلة

الأردن:

عمان – مخيم حطين

ص.ب (٩٨)

رمز بريدي (١٣٧٨١).

تطلب **(الأصالة)** من:

الولايات المتحدة:

AL-QURAN WAS-SUNNAH SO-CIET(QSS)

19800 VAN DYKERD

Detroit MI 48234-3354

Tel: (313) 893 – 3768

Fax: (313) 893 - 3748

بريطانيا وإيرلندا:

Salafi Pubications

17-19 Muntz Street

Small Heath

Birmingham Bio 9SN

TEL: (44) 121 773 0003

(44) 121 773 0033

FAX: (44) 121 773 4882

E-mail: enquiries @ SalafiPubications.com

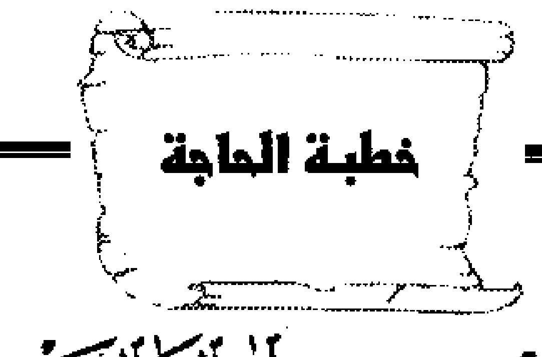
Website: WWW. SalafiBookstore.com

مكتبة الإدريسي السلفية –صنعاء- شارع تعز- قرب فندق الوطن- هاتف ٦٢٠٢٢٧ – ٢٦٣٩١٤

الإمارات:

مكتبة الفرقان – عجمان ص.ب (٢٠٢٨٨) هاتف وفاكس (٤٤٤٤٣٥)

وتطلب **(الأصالة)** من جميع المكتبات السلفية في العالم.



خطبة الحاجة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُـها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

محتويات العدد

فاتحة القول

تحرير المصطلحات؛ أو تكسيرها!!

بقلم : التحرير

لُغَةُ العلم رفيعة راقية، وحسنة عالية؛ لا يدركها إلا أصحابها، ولا يتقن فهمها إلا ذووها، ولا يتسنّم ذروتها إلا الصابرون،ومن لم يستوعب حروفها، أو يدرك مراميها: فقد يضلّ وهو يحسب أنه من المحسنين صنعاً؛ أو يزلّ من حيث لا يشعر أو يدري!

هذا -كله- متعلق بعموم لغة العلم وشمولها؛ فكيف إذا كان الشأن موصولاً بدقائقه، ومصطلحاته؟! فالأمر أرفع وأعلى، وأهم وأغلى، وأجل وأولى...فكيف الحال -إذن- إذا كان هذا (المصطلح) حادثاً؛ قد تختلف فيه أنظار قائليه على سامعيه، ويتردد حكمه بين المتحدثين به وناقليه؟!

ومن أجمل كلمات شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» (٤٠٤/٣):

«... فلا يجوز أن تلقى الفتنة بين المسلمين بأمرٍ محدثٍ، ونزاع لفظيٍّ لا حقيقة له».

ومنه: قوله -رحمه الله- في «المجموع» (٧٣/٦): «النزاع: إنّ كان في المعنى؛ فهو باطلٌ، وإن كان في اللفظ؛ فهو نزاعٌ لفظيٌّ».

وقال -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» (٣٥٦/٧-٣٥٧):

«والاسم كلما كثر التكلم فيه -فتكلم به مطلقاً، ومقيداً بقيد آخر في موضع

آخر- كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه، ثم كلما كثر سماعه: كثر من يشتبه عليه ذلك...».

فالواجب بين المتباحثين في العلم أن يحرروا مصطلحاتهم، ويضبطوا معانيها، ويفهموا مراميها: حتى تنضبط لغة الحوار العلميّ بينهم، لا أن يتنازعوا حول مصطلحٍ فارغ المضمون، خاوي الدلالة، كالجسد بلا روح!

فإن لم يفعلوا؛ فستكون لغة التخاطب بينهم غير قائمة، فضلاً عن أن تكون مفهومةً معلومة!! على حدِّ ما قيل:

سارت مشرّقة وسرت مغرّباً

شتّان بين مشرّقٍ ومغرِّبِ

فإما تحرير (المصطلحات)؛ لضبط المعاني والدلالات... وإما تكسيرها؛ حتى لا تكون عائقاً خلال المقاصد،والكلمات...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «منهاج السنة» (٣/٥٥٥):

«وإذا اتفق شخصان على معنىً؛ وتنازعا: هل يدل ذلك اللفظ عليه أم لا؟ عبِّر عنه بعبارة يتفقان على المراد بها، وكان أقربهما إلى الصواب من وافق اللغة المعروفة».

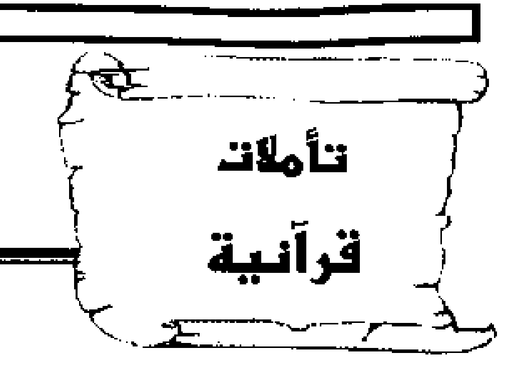
فكيف إذا كان الواقع عكس ذلك: الاختلاف في اللفظ، وعدم التوافق في المصطلح؟!

وما حال المتنازعين في (مصطلح) دون تحرير دلالته -أو تكسير حروفه- إلا كمثل ما قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في «الصواعق المرسلة» (٣/٩٨١):

واضرب لهم مثلاً بعميان خلَوْا
في ظلمة لا يهتدون سبيلا
فتصادموا بأكفّهم وعصيِّهم
ضرباً يدير رحا القتال طويلا
حتى إذا ملُّوا القتال رأيتهم
مشجوجاً او مفجوجاً او مقتولا
وتسامع العميان حتى أقبلوا
للصلح فازداد الصياح عويلا

والأمثلة كثيرة؛ فلا نطيل؛ من غير زَمْرٍ ولا تطبيل.

.... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



خلاصة الأثر في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

• بقلم: الشيخ سليم بن عيد الهلالي

«سورة الكوثر أقصر سورة، وفيها من الألفاظ البديعة الرائعة التي اقتضت بها أن تكون مبهجة، والمعاني المنيعة الفائقة التي اقتضت بها أن تكون معجزة؛ فهي مع علو مطلعها، وتمام مقطعها، واتصافها بما هو طراز الأمر كله من مجيئها مشحونة بالنكت الجلائل، مكتنزة بالمحاسن غير القلائل، فهي خالية عن تصنع من يتناول التنكيت، ويعمل بعمل من يتعاطى بمحاجته التبكيت»[1].

«فما أجلها من سورة، وأغزر فوائدها على اختصارها.

وحقيقة معناها تُعْلَم من آخرها، فإنه سبحانه وتعالى بتر شانئ رسوله من كل خير، فيبتر ذكره، وأهله، وماله؛ فيخسر ذلك في الآخرة، ويبتر حياته؛ فلا ينتفع بها، ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده، ويبتر قلبه؛ فلا يعي الخير، ولا يؤهله لمعرفته ومحبته، والإيمان برسله، ويبتر أعماله؛ فلا يستعمله في طاعة، ويبتره من الأنصار؛ فلا يجد ناصراً، ولا عوناً، ويبتره من جميع القُرَب والأعمال الصالحة؛ فلا يذوق بعض ما جاء به الرسول ﷺ ورده لأجل هواه، أو متبوعه، أو شيخه، أو أميره، أو غيره.

فالحذر الحذر أيُّها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، أو ترده لأجل هواك -أو انتصار مذهبك- أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو بالدنيا، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله، والأخذ بما جاء به،

(١) «الفوائد المشوق» (ص: ٢٥٣، ٢٥٥)

بحيث لو خالف العبدَ جميعُ الخلق، واتبع الرسول: ما سأله الله عن مخالفة أحد فإن من يطيع أو يطاع إنما يكون ذلك تبعاً للرسول، وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع، فاعلم ذلك واسمع، وأطع واتبع، ولا تبتدعْ تكن أبتر مردوداً عليك عملك، بل لا خير في عمل أبتر من الاتباع، ولا خير في عامله، والله أعلم»[1].

﴿إنّا أعطيناك الكَوثر﴾ تدل هذه الآية على عطاء ممدود غير محدود ونعمة عظيمة سابغة **﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾** [الإسراء: ٢٠]، ومن كان عطيته من الله أرضاه مولاه: **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** [الضحى: ٥]، **﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾** [ص: ٣٩].

وهذا العطاء مُسْتَنِدٌ إلى معط كبير غني واسع، ولذلك جمع ضمير المتكلم المشعر بعظم الربّ -تبارك وتعالى- **﴿إنّا﴾**.

وتؤذن بأن هذا العطاء أمر ثابت واقع، ولذلك صدّر الجملة (بأن) الدالة على التوكيد، وتحقيق الخبر الجاري مجرى القسم، وأورد الفعل بلفظ الماضي الدال على التحقيق؛ لأن المتوقع من سبب الكريم في حكم الواقع.

منبئة أن هذا العطاء يتناول عطاء العاجلة وعطاء الآجلة، ولذلك حذف موصوفَه؛ لأن المحذوف فيه من فرط الإيهام والإتساع والتناول على طريق الاتساع؛ فَيكون أبلغ في العموم لما فيه من عدم التعين، وكذلك اختار الصفة المؤذنة بالكثرة وصدّرها بـ (أل) المعرّفة للاستغراق؛ لتكون لما يوصف بها شاملة وتغطي معنى الكثرة الكاملة.

والكوثر: فَوْعَل من الكثرة؛ مثل النوفل من النفل، والجوهر من الجهر، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير في القدر والخطر كوثراً[2].

واختلف المفسرون في تأويل الكوثر الذي

---

(١) «دقائق التفسير» (٦/٣١١، ٣١٢).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٢١٦)، «معالم التنزيل» (٨/٥٥٨).

أُعْطِيَهُ النبي ﷺ على أقوال متعددة[1]:

الأول: نهر في الجنة.

الثاني : حوض النبي ﷺ في الموقف.

الثالث : النبوة والكتاب.

الرابع : القرآن.

الخامس : الإسلام.

السادس : تيسير القرآن وتسهيل الشرائع.

السابع : كثرة الأصحاب والأمة والأشياع.

الثامن : الإيثار.

التاسع : رِفعة الذِّكر.

العاشر : نور في قلبك دلَّك علي، وقطعك عما سواي.

الحادي عشر : الشفاعة.

الثاني عشر : معجزات الرَّب هُدي بها أهل الإجابة لدعوتك.

الثالث عشر : لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

الرابع عشر : الفقه في الدين.

الخامس عشر : الصلوات الخمس.

السادس عشر: العظيم من الأمر.

السابع عشر : الخير العميم الذي أعطاه الله إياه.

الثامن عشر : خير الدنيا والآخرة.

قال الواحدي : «أكثر المفسرين على أن الكوثر نهر في الجنة»[2].

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري:

«وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعْطِيَهُ رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك؛ لتتابع الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن ذلك كذلك»[3].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١٦/٢٠ – ٢١٨)، «الدر المنثور» (٦٤٦/٨ – ٦٥٠)، «النكت والعيون» (٣٥٤/٦-٣٥٥).

(٢) «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» (٥٦٥/٤)

(٣) «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢٠٨/٣٠ – ٢٠٩).

قال القرطبي:

«أصح هذه الأقوال الأول والثاني؛ لأنه ثابت عن النبي ﷺ نصٌّ في الكوثر»[1].

قال الشوكاني:

«وهذا التفسير من حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما ناظر إلى المعنى اللغوي، ولكن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد فسَّره فيما صح عنه أنه النهر الذي في الجنة، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل».

قلت: ما ذهب إليه جلّة المفسرين هو الحق المبين؛ للوجوه الآتية:

الأول: ورد الخبر عن سيد البشر أنه فسر الكوثر بأنه نهر في الجنة، وفي ذلك عدة أحاديث؛ منها:

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حافَتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه -أو طينه- مسك أذخر» -شك هُدبة-[2].

عن أنس، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله! قال: «أنزلت عليَّ آنفاً سورة»، فقرأ: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر. فصلِ لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر**﴾، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعَدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض تَرد عليه أمتي يوم القيامة؛ آنيته عدد النجوم؛ فيُختلج العبد منهم، فأقول: ربِّ إنه من أمتي؛ فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»[3].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١/٤٦٤ - فتح) كتاب الرقاق، باب في الحوض، وقول الله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾.

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٠) كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

الثاني: ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتنافى مع النص النبوي.

عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه» قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[1].

قال ابن عطية: «فنعم ما ذهب إليه ابن عباس، ونعم ما تمم ابن جبير رضي الله عنهم، وأَمْرُ النهر ثابتٌ في حديث الإسراء وغيره، صلى الله على محمد، ونفعنا بما نفعنا من الهداية»[2].

قال ابن كثير: «وهذا التفسير يعني النهر وغيره؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر... وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً، فقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر؛ ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل»[3].

قال الحافظ ابن حجر: «وحاصل ما قال سعيد بن جبير: أن قول ابن عباس: إنه الخير الكثير لا يخالف قول غيره: إن المراد به نهر في الجنة؛ لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير، ولعل سعيداً أومأ إلى أن تأويل ابن عباس أولى -لعمومه-، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ؛ فلا معدل عنه»[4].

وبذلك يتبين:

١- أن تأويل ابن عباس لا يُنافي ما ثبت عن رسول الله ﷺ أن الكوثر نهر في الجنة، بل

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٧٣١ - فتح)، كتاب التفسير، باب سورة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

(٢) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (١٦/٣٧٢ - ٣٧٣).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٤/٥٩٦).

(٤) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/٧٣٢).

ثبت عن ابن عباس -أيضا- أنه فسر الكوثر بنهر في الجنة، كما تقدم في كلام الحافظ ابن كثير -رحمه الله-.

٢- أن تأويل ابن عباس يستلزمه عموم الآية، ولذلك قال شيخ الإسلام: «والكوثر المعروف إنما هو نهر في الجنة؛ كما قد وردت به الأحاديث الصريحة الصحيحة.

وقال ابن عباس: الكوثر إنما هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، وإذا كان أقل أهل الجنة من له فيها مثل الدنيا عشر مرات، فما الظن بما لرسول الله ﷺ مما أعده الله له فيها، فالكوثر علامة وأمارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات واتصالها وزيادتها، وسمو المنزلة وارتفاعها، وأن ذلك النهر وهو الكوثر أعظم أنهار الجنة وأطيبها ماء، وأعذبها، وأحلاها، وأعلاها...

والمقصود: أن الكوثر نهر في الجنة وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله رسوله ﷺ في الدنيا والآخرة»[1].

قلت: القول بالتخصيص هو الصواب؛ لورود نص في ذلك عن النبي ﷺ، وإن كان التعميم لا ينفي التخصيص؛ لأنه يجعله فردا من أفراده؛ لكنه قلب للواقع؛ فالخير الكثير الذي أعطاه الله رسوله ﷺ يشمله الكوثر؛ لقول رسول الله ﷺ في حديث أنس المتقدم عند مسلم: «فإنه نهر وعدنيه ربي -عز وجل- عليه خير كثير». وهو كذلك من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى.

الثالث : ما قاله القرطبي:

«وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد أعطيه رسول الله ﷺ زيادة على حوضه - صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا-»[2].

لا تناقض بين تفسير الكوثر بالنهر أو الحوض.

الكوثر: نهر في الجنة، وماؤه يصب في الحوض؛ فالكوثر ماؤه الحوض؛ كما في حديث أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟

---

(١) «دقائق التفسير» (٦/٣١٢ - ٣١٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٢١٨).

قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المُصْحيَةِ، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمّان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»[1].

ولذلك يطلق على الحوض كوثر؛ لأنه يسمر منه، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث المختار ابن فُلْفُل عن أنس المتقدم عند مسلم.

وجوب الإيمان بحوض نبينا ﷺ.

قال القرطبي في «المفهم»[2]:

«مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به: أن الله -سبحانه وتعالى- قد خَصَّ نبيه محمداً ﷺ بالكوثر الذي هو الحوض المصرح باسمه، وصفته، وشرابه، وآنيته في الأحاديث الكثيرة الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، واليقين التواتري؛ إذ قد روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، في «الصحيحين» منهم نيف على العشرين، وباقيهم في غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت روايته، ثم قد رواها عن الصحابة ثم لم تنزل تلك الأحاديث مع توالي الأعصار، وكثرة الرواة لها في جميع الأقطار».

وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه على ظاهره، وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته، ولا حاجة تدعو إلى تأويله، فخرق من خرق إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف».

قال القاضي عياض:

«أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه.

وحديثه متواتر النقل؛ رواه خلائق من الصحابة؛ فذكره مسلم من رواية ابن عمرو ابن العاص، وعائشة، وأم سلمة، وعقبة بن عامر، وابن مسعود، وحارث بن وهب، والمستورد، وأبي ذر، وثوبان، وأنس، وجابر بن سُمرة.

ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٠) كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاً.

(٢) (٦ / ٩٠).

الصديق وزيد بن أرقم، وأبي أمامة، وعبدالله بن زيد، وأبي برزة، وسويد بن جبلة، وعبدالله بن الصنابحي، والبراء بن عازب، وأسماء بنت أبي بكر، وخولة بنت قيس، وغيرهم».

قال النووي: ورواه البخاري ومسلم أيضا من رواية أبي هريرة.

ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب، وعائذ بن عمر، وآخرين.

وقد جمع ذلك كله الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه «البعث والنشور» بأسانيده المتكاثرات.

قال القاضي: وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث **متواترا**[1].

قال الحافظ ابن حجر: «فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفسا، وزاد عليه النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروا سواء، فزادت العدة على الخمسين، ولكثير من هؤلاء الصحابة في ذلك زيادة على الحديث الواحد كأبي هريرة، وأنس، وابن عباس، وأبي سعيد، وعبدالله بن عمرو وأحاديثهم بعضها في مطلق ذكر الحوض، وفي صفته بعضها، وفيمن يرد عليه بعضها، وفيمن يدفع عنه بعضها.

وبلغني أن بعض المتأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابيا».

قلت: وبذلك حطت كلمة نقاد الحديث وصيارفة الأثر على تواتر أحاديث الحوض؛ كالسخاوي[2]، والكتاني[3]، والزبيدي[4].

والآية تشير بوضوح إلى ما اشتهر لدى الكافة من اختصاص نبيناﷺ بالكوثر؛ فهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود.

اللهم اسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدا، إنك بكل جميل كفيل، وأنت حسبنا ونعم الوكيل، وعليك قصد السبيل.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٥/٥٢ – ٥٣)

(٢) «فتح المغيث» (٣/٤٣).

(٣) «نظم المتناثر» (ص ١٥١).

(٤) «لقط اللآلئ المتناثرة» (ص٢٥١).



عاقبة أهل الغدر

• بقلم : الشيخ محمد موسى نصر

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة» أخرجه مسلم واللفظ له، وعند البخاري من حديث عبدالله ابن عمر -رضي الله عنه- بنحوه.

الغدر من الصفات المذمومة والأخلاق القبيحة، يدل على فساد في الباطن ومكر وخبث، وهو من خصال المنافقين عياذاً بالله؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعَها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» أخرجه البخاري -واللفظ له- ومسلم (٥٨).

ولقد كان الغدر من أقبح الخصال إلى رسول الله ﷺ، بل إلى الأنبياء جميعاً، فما كان لنبي أن يغدر قط ولو بالإشارة، ولما سئل أبو سفيان عن رسول الله ﷺ أسئلة كثيرة ؛ كان منها: هل يغدر؟ فقال: لا، فصاحب الغدر لا يفلح أبداً، فلا أمان ولا عهد للغادرين؛ لذلك أجاب هرقل أبا سفيان قائلاً: وسألتك: هل يغدر؟

فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. فمن برئ من الغدر فقد تخلق بأخلاق النبيين والمرسلين الذين هم صفوة الخلق أجمعين.

ولكن؛ ما هو الغدر لغة واصطلاحاً؟ وما هي الأحاديث والآثار الواردة في ذمه؟ وما أثره على الأفراد والمجتمعات؟ وما حكم الغادر عند الله -تعالى-؟

الغدر -لغة-: مصدر غدر يغدِر غدراً، وهو الإخلال بالشيء وتركه؛ يقول ابن فارس: الغين والدال والراء أصل صحيح يدل على ترك الشيء، من ذلك الغدر: نقض العهد، وترك الوفاء به، ويقولون في الذم: يا غُدَرُ، وغدَر به فهو غادر.

ويقول الراغب: والغدر يقال لترك العهد، ومنه قيل: فلان غادر، وجمعه غَدَرَةٌ؛ وغدّار كثير الغدر، وغدر الرجل غدراً وغدَراناً، وقالوا: الذئب غادر؛ أي: لا عهد له كما قالوا: الذئب فاجر.

وقال ابن منظور: الغدر ضد الوفاء بالعهد وقال غيره: الغدر ترك الوفاء، غدره وغدر به يغدِرُ غدراً، تقول: غَدَرَ إذا نقض العهد، ورجل غادِرٌ وغدّار وغدير وغدور... وغُدَر، وأكثر ما يستعمل هذا في النداء في الشتم يقال: يا غُدَر ويقال في الجمع يا لَغُدَرُ.

قال ابن الأثير: غُدَرُ معدول عن غادر للمبالغة، وهو يستعمل للذكر والأنثى غدارِ[1].

أما الغدر اصطلاحاً: قال الحافظ: هو الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به، وهو خلق مستقبح، وإن كان يصاحبُهُ فيه منفعة، وهو بالملوك والرؤساء أقبح، ولهم أضر.

وقال المناوي: الغدر: نقض العهد والإخلال بالشيء وتركُهُ[2].

ولقد قنت رسول الله ﷺ شهراً في صلاة الصبح على قوم غدارين من رعل وذكوان، وعصية وبني لحيان الذين قتلوا سبعين قارئاً من قراء الصحابة، قتلوهم ببئر معونة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رعلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدّهم بسبعين

(١) انظر: «مقاييس اللغة» (٤/٤١٣)، و«المفردات» للراغب الأصبهاني (٣٥٨)، و«لسان العرب» (٥/٨)

(٢) «نَضْرَة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (١١/٥٠٢٥).

مـــن الأنصار –كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل– حـــتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلـــغ النبيَّ ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبـــح علـــى أحياء من أحياء العرب: على رِعـــل وذكـــوان وعُصية وبني لحيان، قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً ثم إن ذلك رُفع: «بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا».

وعن قتادة عن أنس بن مالك حدثه: «أن نبي الله ﷺ قنت شهراً في صلاة الصبح يدعـــو على أحياء من أحياء العرب علـــى رِعـــل وذكوان وعُصَيّة وبني لِحيان، قال أنـــس: إن أولئك السبعين من الأنصار قتلوا ببئر معونـــة ....»[1].

وكل من لم يوف بما عاهد عليه و لم يؤد الأمانة إلى من ائتمنه عليها فهو غادر بحســب مقدار غدره وضرره وآثاره.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهـــما قال: أُهدي للنبي ﷺ عنبٌ من الطـــائف فدعاني فقال: «خذ هذا العنقود فأبلغه أُمَّك»، فأكلته قبل أن أبلغه إياها، فلما كان بعد ليالٍ قال لي: «ما فعل العنقود؟هل أبلغته أُمَّـــك؟»، قلت: لا، قال: «فسماني غُدَرَ»[2]. وفي إحدى الروايات عكس ذلك حيث أن أمه بعثت إلى النبي ﷺ بقطف من عنب فأكل منه قبـــل أن يبلغه النبي ﷺ فلما جاء به أخذ بأذنه فقـــال: «يا غدر».

قلت: لعل رسول الله ﷺ أراد أن يشـعر هذا الصحابي ولو مزاحاً أن هذا الفعل مـــن الغدر؛ لأنه تصرف بالأمانة مـــن غـــير إذن صاحبها، وهذا لون من ألوان الغدر.

والرسول ﷺ بريء من كل غادر وهـــو خصيمه يوم القيامة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: «ثلاثـــة أنـــا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر،

---

(١) أخرجه البخاري «فتح» (٧/٤٠٩) واللفظ له ومسلم (٦٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٦٨) وإسناده **صحيح** ورجاله ثقات كما في تخريج «نضرة النعيم» (١١/٥٠٣٢).

ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[1] .

والغدر: ظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة، ويشتد حينما يغدر القوي بالضعيف، والغني بالفقير، والصاحب بصاحبه المحب الوفي.

عن جابر ﷺ قال: لما رَجَعَتْ إلى رسول الله ﷺ مُهاجِرةُ البحر قال: «ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحَبَشَة» قال فتية منهم: بلى يا رسول الله! بينا نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قُلّة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فخرت على ركبتيها، فانكسرت قُلّتُها، فلما ارتفعت،التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً، قال: يقول رسول الله ﷺ «صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»[2].

قلت: فالغدر حرام في شرعنا وشرع من قبلنا، وشرعنا أشد تحريماً له وتجريماً لفاعله وزجراً لمن تخلق به فهو من كبائر الذنوب، وقد عقد ابن حجر الهيتمي باباً للغدر في كتابه «الزواجر» وقد عد معه القتل والظلم لمن له أمان أو ذمة أو عهد، وقال: عد هذه الثلاثة هو صريح الأحاديث وهو ظاهر وبه قدح بعضهم في قتل المعاهد وعدَّه في الغدر، وقد جاء عن علي -رضي الله عنه- أنه عد من الكبائر: نكث الصفقة، أي: الغدر بالمعاهد[3].

وكذا فعل الإمام الذهبي في «كتاب الكبائر» حيث عد الغدر وعدم الوفاء بالعهد: الكبيرة الخامسة والأربعين، وذكر من الشواهد القرآنية والأحاديث [النبوية] ما

---

(١) أخرجه البخاري، «فتح» (٤/٢٢٢٧)

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٩) وفي «الزوائد» «إسناده **حسن**»، وأخرجه أبو يعلى (٢٠٠٣) وله شاهد عند البزار (١٥٩٦) والبيهقي في «السنن» (٦/٩٥و ١٠/٩٤) وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٥٨).

(٣) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٦١٤).

يؤيد ذلك»[1].

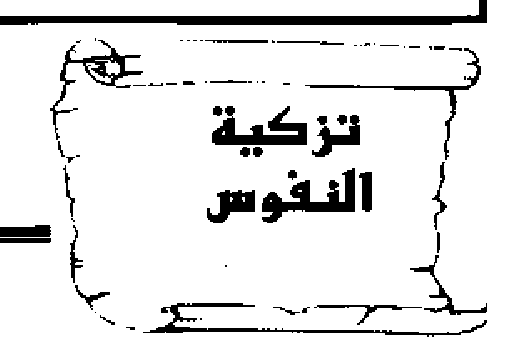
قلت: ويلحق بهذا الباب غدر الأصحاب بعضهم بعضاً، وتآمر المشتغلين -زوراً- بالدعوة، وبخاصة أفراد الجماعات الحزبية، والحركية التي يكثر بينهم الغدر والتصفيات الفكرية كما يكثر في الحركات السياسية، والمنظمات العسكرية التي لا تحرم ولا تحلل التصفيات الجسدية والغدر والكيد والمكر بأبشع صوره وأقبح أشكاله.

وقد تسربت هذه العدوى إلى بعض المتنسبين -بغير حق- إلى العلم والدعوة، فترى من غدرهم وحقدهم وتآمرهم ما يشيب له الولدان، فالله المستعان، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

إذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم، طالب للدليل محكِّم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الألفة، ولو خالفك فإنه يخالفك ويعذرك، والجاهل الظالم يخالفك بلا حجّة ويكفّرك أو يُبدّعك بلا حجة، وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة، وسيرته الذميمة، فلا تغتر بكثرة هذا الضرب، فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم، والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم[2].

(١) «الكبائر للذهبي» (ص ١٦٨)

(٢) ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٤/٣٦٢-٣٦٣)



موقف المؤمن من الشبهات

• بقلم : الشيخ محمود عطيّة بن محمد بن علي

إن من ثوابت الإسلام : وجوبَ التثبت من الأخبار.

وإن أعظم أنواع التثبت أن يَتَثَبت المرء من أمر دينه فلا يقبل إلا الحق، ولا يقبل الحق إلا من أهله، وأهل الحق هم العلماء، وليسوا أدعياء العلم، أهل الحق هم الراسخون في العلم.

وليسوا هم أصحاب القلوب المريضة ومن في قلوبهم زيغ.

أهل الحق هم من يتبعون المحكم ويردُّون المتشابه إلى المحكم فيصبح كلّه محكماً.

وليسوا هم من يتبعون المتشابه وقصدهم من هذا الاتباع الفتنة والتأويل.

قال -تعالى-: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكماتٌ هنّ أم الكتاب وأخر متشابِهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [آل عمران:٧].

قال السعدي رحمه الله في «تفسيره» :

«يُخبر تعالى عن عظمته وكمال قيوميته، أنّه هو الذي تفرّد بإنزال هذا الكتاب العظيم، الذي لم يوجد -ولن يوجد- له نظير أو مُقارب في هدايته وبلاغته وإعجازه وإصلاحه للخلق.

وإن هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعاني البيّن، الذي لا يشتبه بغيره.

ومنه آيات متشابهات تحتمل بعض المعاني، ولا يتعيّن منها واحد من الاحتمالين بمجرّدها، حتى تُضَمَّ إلى المحكم.

فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف -لسوء قصدهم-، يتبعون المتشابه منه.

فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة، وآرائهم الزائفة؛ طلباً للفتنة، وتحريفاً لكتابه، وتأويلاً له على مشاربهم ومذاهبهم؛ ليُضلوا ويَضِلّوا.

وأما أهل العلم الراسخون فيه، الذين وصل العلم واليقين إلى أفئدتهم، فأثمر لهم العمل والمعارف: فيعلمون أن القرآن -كلّه- من عند الله، وأنه -كلّه- حق، محكَمَه ومتشابِهَه وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف.

فلعلْمهم أن المحكمات في غاية الصراحة والبيان يردون إليها المشتبه الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم وناقص المعرفة، فيردّون المتشابه إلى المحكم فيعود كلُّه محكماً.

ثم قال رحمه الله:

ففي هذا دليل على أن هذا من علامة أولي الألباب وأن اتّباع المتشابه من أوصاف أهل الآراء السقيمة والعقول الواهية والقصود السيئة»[1].

فمن أي الصنفين أنتم أيها الدعاة: أمِنَ الذين في قلوبهم زيغ؟! أمْ مِنَ الذين حذّر منهم رسول الله ﷺ بعد أن تلا هذه الآية؟!.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أُم الكتاب وأُخر متشابِهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله - إلى قوله - أولو الألباب﴾**- قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله؛ فاحذروهم»[2].

أم تريدون أن تكونوا من الراسخين في

(١) «تفسير السعدي» (١/ ٣٥٧ - ٣٥٨).

(٢) **صحيح لذاته**. أخرجه البخاري وأبو داود من طريق يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم ابن محمد عن عائشة؛ مرفوعاً.

وأخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» من طريق حماد بن سلمة به، وإسناده **صحيح** على شرط مسلم؛ كما قال شيخنا في «ظلال الجنة». وأخرجه أيضاً الدارمي في «سننه» من طريق حماد بن سلمة ويزيدَ بن إبراهيم معاً.

العلم؛ الذين شهدوا لربهم -عزّ وجلّ- بالوحدانية الحقة؟!.

عليكم بالعلم؛ فإن قلّة العلم توقعكم في فتنة الشبهات؛ والعلم: قال الله وقال رسوله ﷺ.

والعلم: ما فهمه الجيل السابق -جيل الصحابة- رضوان الله عليهم من قول الله عزّ وجلّ- وقول رسوله ﷺ.

ولا يغرنكم المتعالمون:

الذين لا يميّزون الغثّ من السمين!.

فإن شُبّه عليهم الأمر في مسألة نسبوا التناقض فيها لحديث رسول الله ﷺ.

وإن زادت الشبهة عليهم نسبوا التناقض لكتاب الله -عزّ وجلّ-.

والنصوص عندهم وراء ظهورهم:

فإن وافقت فهمهم السقيم يستشهدون بها.

وإن خالفت فهمهم ألقوا بها وراء ظهورهم كما يُلقون زبالة لا قيمة لها.

ولا يغرّنكم المتعالمون:

الذين يهرفون بما لا يعلمون!

ولا تغرّنكم كثرة كتبهم؛

فإنها طعنٌ وتحقير لسلف الأمة وأتباعهم وتمجيد لأهل البدع والضلالة.

وأحلف -غير حانث إن شاء الله- أنها كتبٌ؛ بينها وبين العلم مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل.

وأحلف -غير حانث إن شاء الله- أنها كتب تضليل وتجهيل ولأنكم أيها الدعاة قد أخذتم على عواتقكم دعوة الناس للحق.

وتحملتم في سبيل ذلك ما تحملتم وتتحملون.

فالواجب يحتم عليكم أن تتثبتوا من هذه الكتب قبل أن تمجدوا كاتبها فتشتركوا معه في الإثم.

ليتناول كل منكم كتابا من كتب هؤلاء الناشئة الأفاكين وليتناول مسألة واحدة فقط.

مسألة نقل النصوص من كتب الأقدمين والمحدثين والذين جعلوهم هدفا للتشهير والتحقير.

لتجدوا هؤلاء الأفاكين لا يتقون الله فيما ينقلون فهم يبترون النصوص؛ لتوافق إفكهم وضلالهم وهم يفعلون هذا وهم مطمئنون؛

لأنهم يعلمون جهل المطبلين والمزمرين لهم، ويعلمون أنهم لا يقرءون، وإذا قرءوا لا يتثبتون.

وسيتبين لكم -أيها الدعاة- كذب هؤلاء الأفاكين وكم ظلموا سلف هذه الأمة وأتباعهم!

فعندها يكون الواجب عليكم تحذير من تدعون من هذه الكتب وكاتبيها.

عليكم باتباع أوامر الشريعة؛ فإن اتباع الهوى يؤدي إلى فتنة الشبهات.

وأنتم تعلمون أن اتباع الهوى يجعل صاحبه لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا تبعاً لهواه.

عليكم أن يكون قَصْدُكم في هذه الحياة أن يعْلُوَ دين الله في الأرض.

فإن فساد القصد يجعلكم تقبلون الشبهات لتصلوا إلى ما تصبون إليه من العلو والرفعة في الحياة الدنيا.

عليكم أن تكونوا من أهل البصائر فإن ضعف البصيرة يؤدي إلى فتنة الشبهات.

ولن يتحقق لكم أن تكونوا من أهل البصائر إلا بمعرفة ربكم معرفة يقينية بأسمائه وصفاته؛ وأن تعرفوا أوامره ونواهيه كما أبلغنا إياها رسول الله ﷺ.

وأن تعرفوا معرفة يقينية أنكم إلى ربكم راجعون ليجزي المحسِنَ بإحسانه والمسيءَ بإساءته.

أيها الأخوة وأنتم أيها الدعاة!

إياكم وفتنة الشبهات؛ فإنها فتنة مآلها الكفر والنفاق -عياذاً بالله تعالى-؛ وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع -على حسب مراتبهم في الابتداع-.

هلكت قلوب هؤلاء الناس؛ لأن أمراض الشبهات والشهوات أهلكتها.

فسدت نياتهم وإراداتهم لغلبة القصود السيئة عليها.

قال تعالى:

﴿في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليمٌ بما كانوا يكذبون﴾ [البقرة: ١٠].

قلوبهم مريضة

مليئة بالشكوك

مليئة بالرياء

مليئة بالنفاق

فإياكم أن تكونوا منهم.

عليكم أن تتخلصوا من فتنة الشبهات؛ لتكونوا على بيّنة من دينكم؛ والأمر في ذلك سهل والخطب يسير.

جردوا الاتباع لرسول الله ﷺ وحكّموه في دقّ الدين وجلّه، وظاهره وباطنه؛ فالهدى يدور على أقواله وأفعاله ﷺ، وكلّ ما خرجَ عنها فهو ضلال.

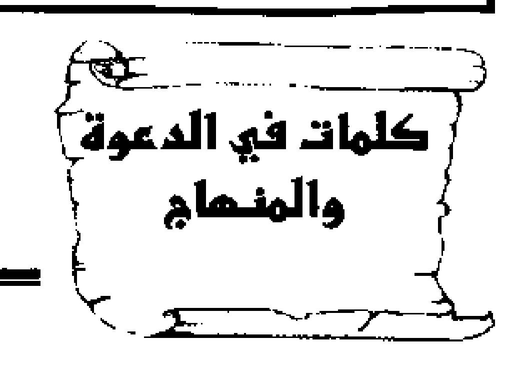
قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٣٨٨ ط الفقي):

«ولقد خاطبت يوماً بعض أكابر هؤلاء؛ فقلت له: سألتك بالله! لو قدّر أن الرسول ﷺ حيٌّ بين أظهرنا؛ وقد واجهنا بكلامه وبخطابه: أكان فرضاً علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟!

فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه.

فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنا؟! وبأي شيء نسخ؟!

فوضع إصبعه على فيه! وبقي باهتاً متحيراً! وما نطق بكلمة!»



الدعوة إلى الله بين اليسر والعسر

• بقلم : الشيخ سعد الحصين

في لقاء صُحُفي مع أحد مشاهير الدّعاة الموصوفين «بالإسلاميين» طُلب منه بيان شروط الدّعوة إلى الله التي يجب تحقّقها في الدّاعي إليه؛ وتأثراً بالخُلُق الصّحفي من جانب، وبالفكر الموصوف «بالإسلامي» من جانب آخر لجأ إلى المبالغة والتّعسير والتشديد، مخالفاً شرع الله لدينه ولعباده الصالحين (وخيرهم الدّعاة إليه على منهاج النبوة)؛ قال الله تعالى: **﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر﴾** في وصف أعظم مصادر شرعه، وقال تعالى عن هديه لعباده: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**، وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يَسّروا ولا تُعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا» **متفق عليه**. ولأن

الدّعوة إلى الله عبادة لا يجوز الحُكم فيها بغير شرع الله في كتابه وسنّة رسوله وفقه الأئمة الأُوَل؛

رأيت وجوب التنبيه على بعض أخطائه في اللّغة والأحكام، والتّفريق بين الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبين الفكر البشري مظنّة الخطأ:

١- لم يوصف الدّاعي إلى الله في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في كلام أئمة العلم في القرون المفضلة بأنّه «داعية»؛ وإنما انتشر هذا الوصف في الأجيال المتأخرة عندما اغتصب العلم

والدعوة من لم يؤهّل لأي منـــهما؛ قال الله تعالى في وصف أعظم الدعاة إليه: ﴿**وداعياً إلى الله بإذنه وســراجاً منيراً**﴾، وتصحيح اللّغــة من واجبات المسلم إذا تعلّق الأمر بشرع الله؛ فقــد نهى النبي -صلى الله عليه وعلى آلــه وسلم- عن تسمية العنــب كَرْمــاً (متفق عليه)، ونهى عن قول: «مــا شاء الله وشئت»؛ كما صــحّ مــن رواية أبي داود، وردّ على خطيــب القوم قوله: «ومن يعصــهما فقــد غوى» (رواه مسلم). ولـــو قَــدَر العرب لغتهم حقّ قدرها لعادوا بهــا إلى أصلها في الكتاب والسنّة.

٢- لم يرد في كتـــاب الله ولا في ســنة رسوله ولا في كلام أهل العلـــم في القرون المفضّلة وصف الدّاعـــي ولا الدعوة ولا العلم ولا العمل الشــرعي بأنه «إسلامي» أو أنها «إسلامية» حتى جاء أهل الفكـــر في هـــذا العصـــر المتخلّف -بقلة علمـــهم وضعـــف أتباعهم- فاخترعوا هذه الأوصـــاف لتَستُّر نقصهم في العلم والعمل، بـــل لتتّخذ وسيلة لتسويق الفكر والتجارة والتحزّب -أي: التفرّق في الدّيـــن- باسم «الإسلام» افتراء عليه.

٣- اشترط داعي الفكر على الدّاعـــي إلى الله «الفهم الشامل للإسلام في أصوله ومصادره ومقاصده»، واستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿**قـــل هـــذه سبيلي أدعو إلى الله على بصـــيرة**﴾ مفسراً البصيرةَ -خلافـــاً لأئمـــة التفسير- بأنّها «شيء فـــوق العلـــم والمعرفة»، ولو أخذ الدعاة برأيـه هذا لتوقّفت الدّعوة إلى الأبد؛ فمـــن ذا الذي يحيط بالعلم والمعرفة الشّـــرعيّة فضلاً عما فوق ذلك -لـــو جـــاز للمسلم أن يدعيه-؟! وما هو مقياس ما فوق العلم والمعرفة -لو وُجد-؟!

٤-أضاف شرطاً تعجيزيّاً آخـــر لا يمكن قياسه «فـــهم روح الديـــن»، ووصفُ الدّين «بالرّوحانيات» أجنبيٌّ

عن الإسلام وترجمة حرفية لوصف أعجمي لدين باطل.

وتقسيم الدّين إلى روح وحسّ أو مظهر ومادة اختراع آخر في هذا العصر من وسوسة الشيطان للبعد عن الوحي والركون إلى الفكر مثل تقسيمه قبل هذا العصر إلى حقيقة وطريقة.

٥- أمّا أئمة التفسير: فقد عرّفوا البصيرة في الآية الكريمة بأنها الحجةُ والعلمُ والبرهان واليقين، وكلُّها أمور يمكن قياسها ووزنها بميزان الوحي من كتاب الله وسنة رسوله وفقه أئمة الهدي بأمر الله.

٦- واشترط «المفكّر» على الدّاعي إلى الله أن يكون «محيطاً» بأحوال من يخاطبهم على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والنفسيّة وما يكون لديهم من مشكلات وآلام، ولا أحسبني في حاجة إلى تأكيد استحالة تحقيق ذلك، ولو فُرض أن أحد الدّعاة أحاط بما يسمّى علم الاجتماع وعلم النفس وبالطبّ على اختلاف فروعه؛ فسينقصه علم الغيب وهو لله وحده.

٧-واشترط «المفكّر» على الدّاعي إلى الله «أن يكون على معرفة كاملة بمتغيرات العصر، فلا يخاطب العصر الذي يعيش فيه بأحوال ومشكلات عصر سابق»، ومع استحالة القياس الثابت للمعرفة الكاملة؛ فإن هذا الشرط يناقض سنة الله تعالى في إرسال خير الدعاة وقدوتهم: الرّسل،

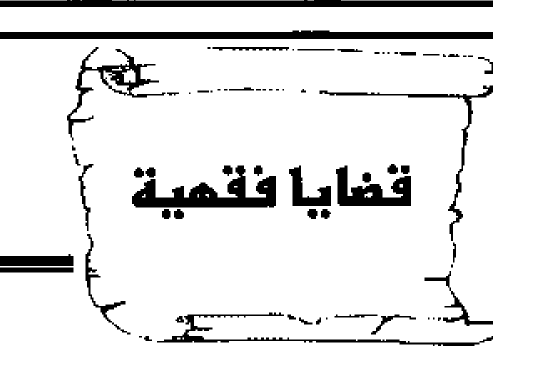
ويناقض سنة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في منهاج الدّعوة وتوجيه الدعاة، قال الله -تعالى-: **﴿ولقد بعثنا في كلِّ أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**، وقال الله -تعالى-: **﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**، وبيّن الله -عزّ وجلّ- في أكثر من سورة أن كل رسول قال لقومه: **﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾** بالنصّ أو بالمعنى؛ على اختلاف الزّمان والمكان والحال، وبدأ رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- رسالته وأنهاها بأمر الله، وبعث دعاته بالتّحذير من أوثان وأصنام القبور والمقبورين واتخاذها مسجداً، وهي أكبر كبيرة وموبقة ومعصية يواجهها الدعاة منذ نوح -عليه السلام- حتى اليوم.

وثبت في «صحيح مسلم» من حديث أُمّ هشام بنت حارثة -رضي الله عنها-، قالت: «ما أخذت **﴿ق والقرآن المجيد﴾** إلا من في رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كان يقرؤها كلّ جمعة على المنبر إذا خطب الناس»، رغم تغيّر الأحوال وكثرة الأحداث والطّوارئ، ومن تتبّع خطب النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الثابتةَ عنه، وخطب خلفائه وأصحابه وتابعيه وفقهاء الأمة في القرون المفضلة وجد أنها لا تُعنى بالطوارئ والأحداث والتحليلات السّياسيّة و«متغيّرات العصر»؛ لأن شرع الله -وخطبة الجمعة منه- لا تتغير بتغيّر الزمان والمكان والحال، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلها، وأهمّ ما يهمّ المسلم -في أيّ عصر-: الاستعداد للموت وما بعده، وهو مضمون سورة (ق)، وإعداد المسلم لهذا المستقبل المؤكّد يكون -في الدّعوة إلى الله على بصيرة- ببيان التوحيد ونقيضه الشرك، ثم ببيان أحكام الشريعة والموعظة عامة.

وخطبة الجمعة عبادة توقيفيّة مثل كلّ عبادة، وهي قدوة الدعوة وأعلى درجاتها.

٨- وفرَّق المفكر بين الخطبة والمحاضرة، وعن العناية بالعواطف والمشاعر بكلام صادر عن الفكر لا عن الشرع، قال الله -تعالى-: ﴿**إن يتبّعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾، ومن الهدى عرفنا العلم الشرعي والخطبة الشرعية وحلقة الذكر، ومن الظنّ والهوى جاءت المحاضرة وحديث العواطف والمشاعر ومتغيّرات العصر والفتنة بالتحليلات السّياسيّة.

هدى الله الجميع؛ وردّهم ردّاً جميلاً إلى كتابه وسنة رسوله وفقه شريعته، وأعاذهم من نزعات الشيطان ونفثه. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين.



تَتَبُّعُ رُخَصِ الفُقَهاءِ

• بقلم : الشيخ أبي عبد الرحمن إبراهيم بن عبدالله المزروعي

الحمدُ لله رب العالمين والصلاةُ والسلامُ على خاتم الأنبياء والمرسلين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدُه ورسولُه.. وبعدُ:

مقدمة:

فإنّ الشيطان لا يزال يسعى في إغواء العباد وإضلالِهم عن طريق الحقّ بشتّى الوسائل.

ومن أبواب الشرِّ التي فتحها الشيطانُ على العباد: بابُ تتبُّعِ رُخَصِ الفقهاء وزلاّتهم، فخدع بذلك الكثيرين من جهلةِ المسلمين؛ فانتُهكتِ المحرّماتُ وتُركتِ الواجباتُ؛ تعلّقاً بقولٍ أو رخصةٍ زائفةٍ، فصار هؤلاءِ الجهلةُ يُحكّمونَ أهواءَهُم في مسائل الخلاف فيأخذون أهونَ الأقوالِ وأيسَرَها على نفوسهم دون استناد إلى دليل شرعي؛ بل تقليداً لزلةِ عالمٍ لو استبان له الدليلُ لرجع عن قوله بلا تردد، فإذا ما أنكر عليهم أحدٌ تعلّلوا بأنهم لم يأتوا هذا من عند أنفسهم، بل هناك مَن أفتى لهم بجوازِ ذلك، وليسُوا بمسئولين، فقد قلّدوهُ والعهدةُ عليه إن أصابَ أو أخطأ؛ بل إنّهم يأخذونَ برخصةِ زيدٍ من الفقهاء في مسألةٍ ما، ويهجرون أقوالهُ الثقيلة في المسائل الأخرى، فيعمدون إلى التلفيق بين المذاهب والترقيعِ بين الأقوال، ويحسبُون أنهم يحسنون صُنعاً، وأشاع الشيطانُ بين هؤلاء الناس مقولةً هي (ضعها في رقبة عالم واخرج منها سالم)، فإذا نزلت بأحدهم نازلةٌ ذهب إلى بعض المتساهلين في الإفتاء، فبحث له عن رخصةٍ قال بها رجلٌ فيفتيه بها مع مخالفتها للدليل وللحقّ الذي يعتقده،

وما أكثر هؤلاء الناس من الصنفين: عاميٌّ يذهب إلى المتساهلين الذين يفتون بالرُّخص، ومُفتٍ يُرضي الناسَ ولا يفتِ بالدليل.

فما هي مفاسدُ وأضرارُ هذا المسلك؟ وما هي الأدلَّةُ الشرعيَّةُ في بطلانه؟ وما هي أقوالُ العلماء في ذلك؟ مع بيان الموقف الصحيح من الاختلاف في المسائل؟ وماذا يجبُ على المفتي؟ وماذا يجبُ على المستفتي؟

ما المرادُ بالرخصةِ هنا؟

المرادُ بالرخصة هنا: أهونُ أقوال العلماءِ في مسائل الخلاف، ولا يسندها دليلٌ صحيحٌ، أو هي زلَّةُ العالم المجتهدِ التي خالفها أمثالُه من الناس، وهذا هو المعنى اللغوي للرخصةِ، أما المعنى الشرعيُّ فهي: اسمٌ لما يُغيَّرُ من الأمر الأصلي لعارضٍ أو يسرٍ وتخفيف كقصرِ الصلاةِ في السفر والأخطاء فيه ونحوها من الرخص الشرعية.

أمثلة من رخص الفقهاء:

١- القولُ بجواز حلق اللحية.
٢- القولُ بجواز القيمة في زكاة الفطر.
٣- القولُ بجواز شرب المسكر إلا من العنب.
٤- القولُ بأنه لا جمعة إلاّ في سبعةِ أمصار.
٥- القولُ بتأخير العصر حتى يكون ظلُّ كلِّ شيء أربعة أمثاله.
٦- القولُ بجواز الفرار يوم الزحف.
٧- القولُ بجواز استماع الملاهي.
٨- القولُ بالمتعةِ بالنساء.
٩- القولُ بجواز الدرهم بالدرهمين يداً بيد.
١٠- القولُ بجواز إتيان النساء في أدبارهن.
١١- القولُ بصحة عقد الزواج بدون وليٍّ ومهر.
١٢- القولُ بعدم اشتراط الشاهدين في عقد الزواج.

مفاسدُ تتبُّعِ رخص الفقهاءِ:

لقد ترتب على تتبُّعِ الرخص مفاسدُ كثيرةٌ، منها ذهابُ هيبةِ الدين، فأصبح لعبةً بأيدي الناسِ، ومنهَا التهاونُ بحرمانِ الشرع وحدوده.

وقد ذكر الشاطبيُّ جملةَ من هـــذه المفاسد فقال: كالانسلاخِ من الدين بترك اتّبـــاعِ الدليـــلِ إلى اتّبـــاعِ الخـــلاف، وكالاستهانة بالدين، وكتركِ ما هو معلومٌ إلى ما ليس بمعلـــوم، وكـــانخرامِ قـــانونِ السياسة الشرعية بتركِ الانضباط إلى أمـــرٍ معروفٍ، فتجورُ القضـــاةُ في أحكامـــها، فيُفتِي القاضي لمن يحبُّ بالرخصةِ ولمـــن لا بالتشديد، فتسودُ الفوضـــى والمظـــالمُ، وكإفضائه إلى القول بتلفيق المذاهب علـــى وجـــهٍ يخـــرقُ الإجمـــاع. «الموافقـــات» (٤/١٤٧-١٤٨).

وقال الإمامُ ابنُ الجـــوزي: «ومـــن تلبيس إبليس على الفقـــهاء: مخالطتُـــهم الأمراء والسلاطين ومداهنتُـــهم، وتـــركُ الإنكارِ عليهم مع القدرةِ على ذلك، وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينـــالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفسادُ لثلاثة أوجه:

الأول: الأميرُ يقول: لولا أني علـــى صواب لأنكر عليَّ الفقيـــهُ، وكيـــف لا أكونُ مصيباً وهو يأكل من مالي.

الثاني: العاميُّ فإنه يقول: لا بـــأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله، فإن فلانـــاً الفقيه لا يبرح عنده.

الثالث: الفقيهُ فإنـــه يُفســـدُ دينَـــه بذلك» «تلبيس إبليس» (ص ١٢١).

ومن آثار ومفاسد تتبع الرخص:

بحث بعض الفقهاء عن أقوالٍ ساقطة ليرفعوا الحرجَ عن كثيرٍ من الناس الذيـــن وقعوا في بعض المنكرات كحلق اللحيـــة مثلاً، ومثالُ ذلك ما ذكره محمد حبيـــب الله الشـــنقيطي في كتابـــه «فتـــح المنعـــم» (١/١٧٩) في بحثه عن تجويـــزٍ لـــحلق اللحية حيثُ قال: «ولما عمَّـــت البلـــوى بحلقها في البلاد المشـــرقية بحثـــتُ غايـــة البحث عن أصلٍ أخرِّجُ عليه جواز حلقها حتى يكون لبعضِ الأفاضل مندوحةٌ عـــن ارتكاب المحرَّم باتفاق، فأجريتُـــه علـــى القاعدة الأصولية وهي: أن صيغة أفعـــل في قول الأكثرين للوجوب وقيل: للندب».

وقـــال العلامـــةُ الســـفّارينيُّ (ت

١١٨٨هـ) بعد أن بين تحريم تتبع الرخص في التقليد: «وفيه مفاسدُ كثيرةٌ وموبقاتٌ غزيرةٌ، وهذا بابٌ لو فُتح لأفسد الشريعة الغرّاء، ولأباح جُلَّ المحرَّمات، وأيُّ بابٍ أفسدُ من بابٍ يبيحُ الزنا وشربَ الخمر وغير ذلك».

شبهاتٌ والردُّ عليها:

أ) يحتجُّ متتبِّعوا الرخصِ بكلامٍ حق يرادُ به باطل وهو: يقولون بأن الدينَ يُسرٌ والله يقول: **﴿يريدُ اللهُ بكُمُ اليُسرَ ولا يريدُ بكم العُسرَ﴾** [البقرة: ١٨٥]، والرسول عليه السلام يقول: «يسِّروا ولا تُعسِّروا». متفق عليه عن أنس (خ ١٦٣/١)(م ١٣٥٩/٣)، فإذا أخذنا بأهون الأقوال كانَ فعلُنا فيه التيسيرُ ورفع الحرج.

فنقولُ لهم: إن تطبيق الشريعة في كلّ الحياة هو التيسيرُ ورفعُ الحرج، وليس تحليل الحرام وترك الواجبات.

قال ابنُ حزم رحمه الله في «الإحكام في أصول الأحكام» (ص ٨٦٩): «قد علمنا أن كلَّ ما ألزم اللهُ تعالى فهو يُسرٌ بقوله تعالى: **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾** [الحج: ٧٨].

وقد ردَّ الإمامُ الشاطبيُّ على من احتج لهذه الدعوى بقوله ﷺ: «بُعثتُ بالحنيفية السمحة» -حديث حسن- قائلاً: وأنت تعلمُ ما في هذا الكلامِ؛ لأن الحنيفيةَ السمحة إنما أتى السماحُ فيها مقيَّداً بما هو جارٍ على أصولها، وليس تتبُّع الرخص ولا اختيار الأقوال بالتشهي بثابت» يعني: أن يسر الشريعة مقيد بأصول محددة وليس تتبع الرخص منها، ثم يقول رحمه الله: «ثم نقولُ: تتبعُ الرخص ميلٌ مع أهواء النفوس، والشرعُ جاء بالنهي عن اتباع الهوى فهذا مضادٌّ لذلك الأصل المتفق عليه، ومضادٌّ أيضاً لقوله -تعالى-: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾** فلا يصح أن يرد إلى أهواء النفوس وإنما يرد للشريعة» «الموافقات» (١٤٥/٤).

ب) **شبهة أخرى**: يقولون: نحن نقلد القائل بالرخصة، فيقال لهم: إن هذا العالم

الذي قلدتموهُ قد اجتهد فأخطأ فهو مأجورٌ على اجتهاده، أمَّا أنتمُ فما حُجَّتكم في متابعتِه على خطئه دون سواهُ من العلماء الذين أفتوا بخلاف ما قال!!! وكذلك يقالُ لهم: ما لكم تقلِّدون هذا الفقيه في تلك الرخصةِ ولا تقلدونه فيما لم يُرخِّص فيه؟ وتبحثون عن فقيه آخر يفتيكم بالرخصةِ!!! وهذا دليلٌ أنكم تتخذون التقليد ستاراً لما تهواهُ أنفسكم!!! ثمَّ إنَّ السلف حذَّروا من زلات العلماء وتقليدهم فيها: قال عمر: «ثلاثٌ يهدمن الدين: زلَّةُ عالمٍ، وجدالُ منافقٍ بالقرآن، وأئمةٌ مضلُّون». الدارمي (٧١/١) بسند **صحيح** وابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٠/٢). وقال ابن عباس: «ويل للأتباع من زلَّةِ العالم، يقولُ العالمُ الشيءَ برأيه، فيلقى من هو أعلمُ برسول الله منه، فيخبره ويرجع، ويقضي الأتباعُ بما حكم». البيهقي في «المدخل» وابنُ عبد البر (١٢٢/٢) بإسناد حسن.

حكمُ تتبُّعِ رُخصِ الفقهاءِ والتلفيق بين المذاهب:

اتفقَ أهلُ العلم على تحريم تتبُّع الرخص والتلفيق بين المذاهب والأقوال بلا دليل شرعيٍّ راجح، وإفتاءَ الناسِ بها، وهذه أقوالُهُم:

* قال سليمان التيمي -توفي عام ١٤٣هـ-: «لو أخذتَ برخصةِ كلِّ عالمٍ اجتمع فيك الشرُّ كلُّه». قال ابنُ عبدالبرِّ معقباً: «هذا إجماعٌ لا أعلمُ فيه خلافاً». «الجامع» (٩١/٢، ٩٢).

* قال معمرُ بن راشد (ت ١٥٤): «لو أنَّ رجلاً أخذ بقول أهل المدينة في السماع -يعني: الغناءَ- وإتيان النساءِ في أدبارهن، وبقولِ أهل مكَّة في المتعةِ والصرفِ، وبقولِ أهل الكوفة في المسكر، كانَ شرَّ عباد الله تعالى». «لوامع الأنوار» للسفاريني (٤٦٦/٢).

* قال الإمامُ الأوزاعيُّ (ت ١٥٧): «من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام». «سير أعلام النبلاء» (١٢٥/٧)

للذهبي.

* وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل (ت ٢٤١): «لو أن رجلاً عمِلَ بقولِ أهلِ الكوفة في النبيذ وأهلِ المدينة في السماع وأهلِ مكة في المتعةِ كانَ فاسقاً». «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/٤٦٦)، و«إرشاد الفحول» للشوكاني (ص ٢٧٢).

* وقال إبراهيم بن شيبان (ت ٣٣٧): «من أراد أن يتعطَّلَ فليلزم الرُّخَص». «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/٣٩٢).

* وقال ابنُ حزم (ت ٤٥٦) في «بيان طبقات المختلفين»: «وطبقةٌ أخرى وهم قومٌ بلغت بهم رقّةُ الدين، وقلّةُ التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم في قول كلِّ قائلٍ؛ فهم يأخذون ما كانَ رخصةً من قولِ كلِّ عالمٍ مقلدين له غيرَ طالبين ما أوجبه النصُّ عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ» «الإحكام ص٦٤٥». ونقل عنه الشاطبيُّ أنه حكى الإجماعَ على أنَّ تتبُّعَ رخص المذاهب بغير مستندٍ شرعي فسقٌ لا يحلُّ «الموافقات» (٤/١٣٤).

وقال أبو عمرو ابنُ الصلاح (ت ٦٤٣) في بيان تساهل المفتي: (وقد يكون تساهُلُه وانحلالُه بأن تحملَهُ الأغراضُ الفاسدةُ على تتبُّعِ الحيلِ المحظورةِ أو المكروهةِ، والتمسُّكِ بالشُّبَهِ طلباً للترخيصِ على من يرومُ نفعُه أو التغليظُ على من يريدُ ضرَّه، ومن فعل ذلك فقد هانَ عليه دينُه) «آداب المفتي». (ص ١١١).

وقال سلطانُ العلماء العزُّ بنُ عبدالسلام (ت ٦٦٠) :(لا يجوز تتبُّعُ الرخص) «الفتاوى» (ص ١٢٢).

وسُئل الإمامُ النوويُّ: هل يجوزُ لمن تمذهب بمذهب أن يقلّد مذهباً آخر فيما يكون به النفعُ وتتبعُ الرخص؟ فأجاب: لا يجوزُ تتبُّع الرخص، والله أعلم «فتاوى النووي» جمع تلميذه ابن العطار (ص ١٦٨).

وقال الإمامُ ابنُ القيِّم (ت/٧٥١) (لا يجوزُ للمفتي أن يعمل بما يشاء من الأقوال

والوجوه من غير نظرٍ في الترجيح) «إعلام الموقعين» (٤/٢١١).

وقال العلاّمةُ الحجّاوي (ت٩٦٨) (لا يجوز للمفتي ولا لغيره تتبُّعُ الحيل المحرَّمةِ ولا تتبُّعُ الرخص لمن أراد نفعَهُ، فإنَّ تتبُّعَ ذلك فسقٌ، وحَرُمَ استفتاؤه) «الإمتاع» (٤/٣٧٦).

وقال العلاّمة السفاريني (ت١١٨٨) (يحرُمُ على العاميِّ الذي ليس بمجتهد تتبُّعُ الرخص في التقليد) «لوامع الأنوار» (٢/٤٦٦) والحاصل مما تقدم أنه قد نقل الإجماع على تحريم تتبع رخص الفقهاء أربعة من العلماء هم ابن عبدالبر، وابن حزم، وابن الصلاح، والباجي.

الموقف عند الاختلاف في مسألةٍ، وماذا يجبُ على المستفتي؟

إذا تعددت الفتاوى في المسألة على المسلم فما هو موقفه من هذا الاختلاف؟

لا يجوز له تتبُّع رخص الفقهاء ويجب عليه أن يتّبع القولَ الصوابَ في المسألة فماذا يفعل؟

الجواب: ينبغي أن يكون اختيارُه مقيّداً بمعيارٍ محدَّدٍ يُعرفُ به القولُ الراجحُ من المرجوح وهذا المعيارُ هو قوله تعالى **﴿فإن تنازعتم في شيء فردُّوهُ إلى الله والرسول﴾** [النساء: ٥٩]، فما وافق الكتابَ والسنّةَ فهو الحقُّ وما خالفهما فهو الباطل.

١- فعلى المسلم الناظرِ في مسائل الخلاف أن يختار القولَ الذي يرجّحه الدليلُ، قال أبو عمر ابنُ عبدالبرِّ: «والواجبُ عند اختلاف العلماء: طلبُ الدليل من الكتابِ والسنّةِ والإجماع والقياسِ على الأصول منها وذلك لا يُعدم، فإذا استوت الأدلّةُ وجبَ الميلُ مع الأشبه بما ذكرنا بالكتاب والسنّة، فإذا لم يَبنْ ذلك وجب التوقفَ فإذا اضطُرَّ أحدٌ إلى استعمال شيء من ذلك في خاصَّةِ نفسه جاز له ما يجوزُ للعامّةِ من التقليد واستعمل قولَه ﷺ «البرُّ ما اطمأنت إليه النفسُ، والإثمُ ما حاك في

الصدر، فدع ما يريبُك إلى ما لا يريبُك»» «جامع بيان العلم» (٢/٨٠-٨١)، وهكذا قال الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/٢٠٣).

٢- وعلى المسلم أن يستفتي من هو مستوف لشروط الإفتاء علماً وورعاً، ولا يعمد إلى أدعياء العلم الذين تصدروا الإفتاءَ جهلاً وزوراً، أو إلى المتساهلين في الإفتاء من أهل الرخصِ والحيل؛ فإن هؤلاء لا يجوز استفتاؤهُم.

٣- وعلى طالب الحقِّ أن يستعين بالله ويتضرّعَ إليه بالدعاءِ ليهديه إلى الحقِّ، وليدعُ بدعاء النبي ﷺ «اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي من تشاءُ إلى صراط مستقيم» «مسلم» (١/٥٣٤) عن عائشة.

٤- فإذا استحكم الخلافُ و لم يهتدِ المسلمُ إلى معرفةِ الحقِّ من ذلك الاختلاف، فله أن يقلّد من يثقُ بعلمه ودينه ولا يكلّف بأكثر من هذا.

قال الخطيبُ البغداديُّ: «فإذا قال قائلٌ: فكيف تقول في المستفتي من العامّة إذا أفتاهُ الرجلانِ واختلفا، فهل يجوزُ له التقليدُ؟ قيل له: هذا على وجهين:

أحدُهما : إنْ كان العاميُّ يتسعُ عقلُه ويكملُ فهمُه فعليه أن يسأل المختلفَين عن مذاهبهم وعن حُجَجِهم فيأخذُ بأرجحها عنده، فإن كانَ عقلهُ يقصُر عن هذا، وفهمُه لا يكملُ له، وسِعهُ التقليدُ لأفضلهما عنده» «الفقيه» (٢/٢٠٤).

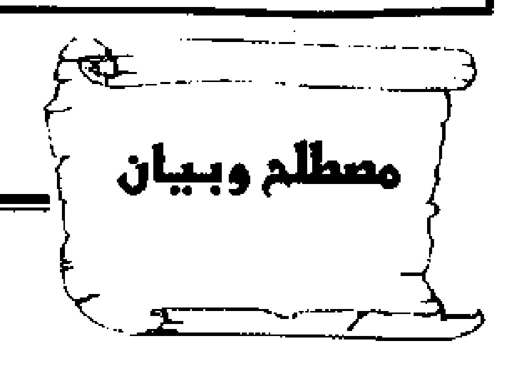
٥- فإن أراد أن يسلك مسلكَ الاحتياط والتورع، فله أن يختار أحوط القولين فيقدِّمُ الحاظرَ على المبيح صيانةً لدينه عن الشبهات لقوله ﷺ: «... فمن اتقى الشبُّهات فقد استبرأ لدينه

وعرضه» متفق عليه. والله أعلم | وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

العلم... العلم... أيها الشباب، لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب، ينفخ في ميزاب، ولا داعية انتخاب، في المجامع صخّاب، ولا يلفتنّكم عنه معلل بسراب، ولا حاوٍ بجِراب، ولا عاوٍ في خراب، يأتم بغراب، ولا يفتننكم عنه منزوٍ في خنقة، ولا ملتوٍ في زنقة، ولا جالس في ساباط، على بساط، يحاكي فيكم سنة الله في الأسباط. فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلاب وساحر كذاب.

إنكم إن أطعتم هؤلاء الغواة، وانصعتم إلى هؤلاء العواة، خسرتم أنفسكم، وخسركم وطنكم، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا، ولات ساعة ندم...

محمد بشير الإبراهيمي في «عيون البصائر» (٣٥٠ - ٣٥١)



بصائر الهُدى والهداية

• بقلم : الشيخ علي بن حسن الحلبي

الهُدى -في لسان اللغةِ- هو الرشاد، والدِّلالة؛ وهو يحملُ معنى التقدم، والثبات، والتوفيق.

ومثلُه: (الهداية)؛ معنى، ومضموناً...

ولقد وردت تصاريفُ كلمة (الهدى) في كتاب الله -تعالى- على أنحاءٍ شتّى، وألفاظ عدّةٍ:

أولها: ما ورد في أعظم سورةٍ في كتاب الله -وأوّلها-، وهي فاتحةُ الكتاب: **﴿اهدِنا الصِّراطَ المستقيم﴾**؛ وهذه الآية الكريمةُ لُبُّ الفاتحةِ ولبابها، وفحواها ومضمونُها، ذلكم أنّ ما قبلها توطئة لها وما بعدَها تتميم وتوصيفٌ لها...

قال الفيروز آبادي في «بصائر ذوي التمييز» (٥/٣١٣): «هداية الله -تعالى- للإنسان على أربعة أضرُب:

الأول : الهداية التي عَمَّ بها كُلَّ مكلَّفٍ -من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية-، بل عمَّ بها كل شيءٍ حَسَبَ احتماله؛ كما قال-تعالى- **﴿ربُّنا الذي أعطى كُلَّ شيءٍ خَلْقَه ثم هَدَى﴾**.

الثاني: الهداية التي جُعلت للناس بدُعائهِ على ألسنةِ الأنبياءِ، وإنزال القرآن -ونحو ذلك، وهو المقصودُ بقولِه: **﴿وجعلنا منهم أئمةً يَهْدون بأمرنا﴾**.

الثالث: التوفيق الذي يختصُّ به مَن اهتدى، وهوالمعنيُّ بقولِه: **﴿والذين اهتدوا زادهم هُدى﴾**، وقولِه: **﴿ومَن يؤمن بالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾**.

الرابع: الهدايةُ في الآخرة إلى الجنــة؛ وهو الــمعنيُّ بقولِهِ: **﴿الحمدُ لله الــذي هدانا لهذا﴾**».

فالهدى هو بابُ الخير، ومفتاحُــه، وطريقُه وسبيلُه؛ والله -تعــالى- يقــولُ: **﴿قل إنَّ الهدى هُدى الله ﴾**؛ ويقــول- مؤكداً- **﴿قل إنَّ هُدى الله هو الهــدى﴾**؛ حتى لا يغفَلَ قلبٌ، ولا يغيبَ وعــيٌ، ولا يميلَ فهمٌ...

والهداية -والهدى- شاملان للقــول، والقلبِ، والعمل؛ كما قال -ســبحانه-: **﴿وَهُدُوا إلى الطيِّب من القولِ وهُدُوا إلى صراط الحميد﴾**، ويقول -عز وجــل-: **﴿فمن يُردِ اللهُ أن يهديه يشرح صــدرَه للإسلام﴾**، **﴿ومَن يؤمِن بالله يَهْدِ قَلبَه﴾**، وتكونُ النتيجةُ التي يوفّق الله -جلَّ وعلا- مَن يشاءُ من عبادهِ إليها: **﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاءُ إلى صــراط مستقيم﴾**، **﴿ذلك هُدى الله يهدي به مَن يشاءُ﴾** **﴿ومَن يُضلِل اللهُ فما لــه مــن هاد﴾**...

فالمؤمنُ الحقُّ -الصادقُ المخلصُ- هو الذّي يستنيرُ قلبُهُ بنور الهداية، لتكون لــه قاعدةُ التمييز، ولِيُوَفَّق للخير -كُلَّ الخيرِ-: **﴿إن الذين آمنوا وعملــوا الصالحــات يَهْديهم ربُّهم بإيــمانهم﴾**؛ فالــخيرُ لا يأتي إلا بالخير، والسداد لا يوصِــل إلا إلى السداد، والنــورُ لا يجلِــبُ إلا النــور: **﴿والذين اهتدوا زادهم هُدىً وآتــاهم تقواهم﴾**، **﴿بل اللهُ يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان إنْ كنتم صادقين﴾**.

أما المعرِضون الصادُّون عن الهدايــة وأسبابها، والهدى وأبوابــهِ؛ فيقــول ربُّ العالمين -فيهم-: **﴿وأمّا ثمودُ فــهديناهم فاستحبُّوا العَمى على الهدى﴾**، وقــال: **﴿ومَن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقيِّضْ لــه شيطاناً فهو له قرينٌ وإنّهم لَيَصُدُّونَــهم عن السبيل ويحسَبون أنّهم مــهتدون﴾**، **﴿أتريدون أن تَهدوا مَن أضلَّ اللهُ ومَــن يُضلِل اللهُ فلن تَجدَ لــه ســبيلاً﴾**، **﴿إن تــحرِص على هُداهم فإنَّ اللهَ لا يَــهْدي مَن يُضِلُّ﴾**

... وهكذا في آياتٍ كريمةٍ-متعدِّدة-

تَدلُّ -كلُّها- على أصلٍ واحدٍ: ﴿إنَّ ربَّك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيلهِ وهو أعلم بالمهتدين﴾.

والهداية -مِن بعدُ- هدايتان- مثبتةٌ، ومنفيةٌ:

الأولى: هدايةُ الدلالة: ﴿وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم﴾

الثانية: هداية التوفيق: ﴿إنك لا تهدي مَن أحببتَ ولكن الله يهدي مَن يشاء﴾..

وإذ قَد عَلِمْنا أنّ أوّلَ لَفْظَة ﴿هُدىً﴾ -وشيءٍ من تصاريفها- في كتاب الله -تعالى- هي الموجودةُ في فاتحةِ الكتابِ؛ وأمّا ثانيها -فَعَقِبَها- في سورة البقرة: ﴿هُدى للمتقين﴾؛ فهذا رَبْطٌ بَيِّن ظاهرٌ أن تلك الهداية لا ينالُها إلا المتقّون، ولا تصيبُ إلا المتّقين..

وأمّا آخِرُ لفظةٍ (هُدىً) وردَت في كتاب الله -سبحانه- فهي تلك الموعظة الربانيّة بالحسنى -لأبي لهب- لعنه الله- الذي توعد النبيَّ ﷺ على الصلاة عند البيت؛ فقال الله: ﴿أرأيتَ الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾، ثم وعظَه -سبحانه بقوله-: ﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾، أي: فما ظَنُّك إن كان هذا -الذي تنهاه- على الطريق المستقيمة في فعلهِ، أو ﴿أمَرَ بالتقوى﴾ بقوله؟! وأنت تزجرُهُ وتتوعّده على صلاته!!

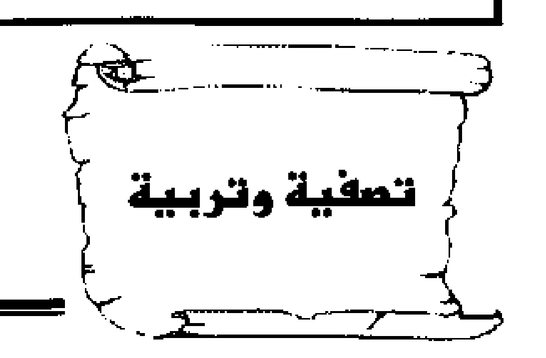
ولهذا قال: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾، أي: أمَا عَلِمَ هذا الناهي لهذا المهتدي أنّ الله يراه ويسمعُ كلامه، وسيجازيه على فعلِه أتمَّ الجزاء[1]...

وهو -كذلك- جزاءُ كُلِّ مَن يقف في طريق أهل الهدى، وأصحاب الهداية، أتباع النبيِّ ﷺ، ووُرّاث أصحابهِ...

فالدعوة للهداية: هداية... والصدُّ عنها: غواية...

و«الأصالة» منذُ قامت، وتجذّرت وامتدّت، وشمخت، وعَلَتْ؛ وهي -بحمد الله- مبنيّةٌ على الهُدى والهداية... وراسخة في الردِّ على كُلِّ جهالة وضلالة.

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/٤٣٨)



الرجوع إلى الحق

• بقلم : الشيخ محمد خير العبُّود

ذكر ابنُ العربّي المالكيُّ في كتابه «أحكام القرآن» (١/١٨٢-١٨٣) أن محمد بن القاسم العثماني أخبره قال: وصلت الفسطاط مرة، فجئت مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري، وحضرت كلامه على الناس، فكان مما قال -في أول مجلس جلست إليه- أن النبي ﷺ طلّق، وظاهر، وآلى، فلما خرج تَبِعْتُه، حتى بلغت معه إلى منزله -في جماعة- فجلس معنا في الدّهليز، وعرّفهم أمري؛ فإنه رأى إشارة الغربة و لم يعرف الشخص قبل ذلك في الواردين عليه، فلما انفضّ عنه أكثرهم، قال لي: أراك غريباً! هل لك من كلام؟ قلت: نعم، قال لجلسائه: أفرجوا له عن كلامه، فقاموا، وبقيت وحدي معه، فقلت له: حضرت المجلس اليوم متبركاً بك، وسمعتك تقول: آلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وصدَقَت، وطلق رسول الله ﷺ، وصَدَقت، وقُلتَ: وظاهر رسول الله ﷺ، وهذا لم يكن! ولا يصح أن يكون؛ لأن الظهار منكر من القول وزور؛ وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ، فضمني إلى نفسه وقبّل رأسي، وقال لي: أنا تائب من ذلك، جزاك الله عني من معلم خيراً.

ثم انقلبت عنه، وبكّرت إلى مجلسه في اليوم التالي، فألفيته قد سبقني إلى الجامع، وجلس على المنبر، فلما دخلت من باب الجامع ورآني، نادى بأعلى صوته: مرحباً بمعلمي؛ أفسحوا لمعلمي، فتطاولت الأعناق إليّ، وحدّقت الأبصار نحوي، وتبادر الناس إليّ يرفعونني على الأيدي،

ويتدافعوني حتى بلغت المنبر، وأنا –لعظم الحياء- لا أعرف في أي بقعة أنا من الأرض، والجامع غاصٌّ بأهله، وأسال الحياء بدني عرقاً، وأقبل الشيخ على الخلق، فقال لهم: أنا معلمكم، وهذا معلمي؛ لما كان بالأمس قلت لكم: آلى رسول الله ﷺ، وطلّق، وظاهر، فما كان أحد منكم فَقِهَ عني، ولا رَدَّ عَلَيّ، فاتّبعني إلى منزلي، وقال لي كذا وكذا –وأعاد ما جرى بيني وبينه- وأنا تائب عن قولي بالأمس، وراجع عنه إلى الحق، فمن سمع ممن حضر فلا يُعوِّلْ عليه، ومن غاب فليبلغه من حضر؛ فجزاه الله خيراً، وجعل يحفل في الدعاء، والخلق يؤمِّنون.

قال ابن العربي –معلقاً-:

«فانظروا –رحمكم الله- إلى هذا الدين المتين، والاعتراف بالعلم لأهله على، رؤوس الملأ؛ من رجل ظهرت رياسته، واشتهرت نفاسته؛ لغريب مجهول العين لا يُعْرَفُ مَن؟ ولا مِن أين؟ فاقتدوا به تَرشُدوا».

ما أجملها من قصة في نبل أشخاصها! وما أروعها في مصداقية أدوارها، إنه الأدب الذي يجب أن يتحلى به كل داعية إلى الله، وإنها الحكمة التي يجب أن يلتزم بها من أراد أن يصلح أخاه، وإنه التواضع من كبير قوم لمن أراد هُداه...

طالب العلم يتأدب في نصح شيخه؛ فيختار لذلك الكلمات المناسبة والخلوة المناسبة، وتقديراً لذلك يقوم الشيخ باختيار الجلسة المناسبة لوضع طالب العلم في منزلة مرموقة مناسبة؛ فلا عبرة –إذن- لكبر سن الناصح أو صغره، ولا لعلوّ جاهه أو عدمه، ولا لكثرة ماله أو فقره، إنما العبرة فيما منحه الله من فطنة وذكاء، وكياسة وصفاء، ولكنها طبيعة البشر أن لا يسمع كبير القوم من صغيرهم، ولا غنيهم من فقيرهم، ولا صاحب الجاه ممن هو دونه؛ ولذلك نرى أن الذين آمنوا بالرسل هم المستضعفون والمساكين، وأن الذين كفروا هم من كبراء القوم المترفون. حتى إن العهد

المفضل لم يسلم من مؤثرات هذه الطبيعة الخاطئة إلا أنهم كانوا يتداركون الزلة بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى جادة الصواب.

روى البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما ربت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾**؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾** فذلك علامة أجلك، **﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾** فقال عمر ابن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول.

هذا هو ابن عباس رضي الله عنهما الذي امتدحه أمير المؤمنين عمر الفاروق، رضي الله عنه يقول في عبارته المشهورة: (كفر دون كفر...) هذه العبارة صح إسنادها إلى قائلها دون أي شك أو ارتياب والتي تداولها العلماء في مسائلهم الاعتقادية منها والفقهية ولا ينبغي لأحد بعد هذا البيان أن يرد قول ابن عباس رضي الله عنهما لشيء في نفسه يخفيه أو لبلوغ هدف يرتجيه.

وعودا إلى نبع قصتنا الصافي لنتناول منه جرعة من دوائه الشافي:

دخل طالب العلم إلى المسجد متأدبا بأدب دخول القرية أو البلد وجلس في مجلس العلم متأدبا بآدابه مصغ إلى المتكلم بقلبه وقالبه -كما كان الصحابة يجلسون عند النبي ﷺ وكأنما على رؤوسهم الطير-، وسمع الشيخ يقول (... وظاهر رسول الله ﷺ...) فلم يقاطع الشيخ في كلامه و لم يشهر به أمام مستمعيه وطلابه بل انتظر

حتى انتهى الشيخ من درسه فتبعه خارجاً من المسجد عَلّهُ يختلي به لِيُقَوِّمَ زَلّةً سمعتها أذناه، إلا أن جموع مرافقي الشيخ حالت دون ذلك. ولكن صبر طالب العلم لم ينفذ لأنه يريد أن يؤدي أمانة في عنقه لم يناسبها المقام بعد. فتبع الشيخ إلى منزله ودخل مع الداخلين وجلس بسمت متأدباً بأدب ضيافة الآخرين.

حتى بدأه الشيخ بالسؤال فأجاب إجابة مختصرة تتناسب مع المقام، فأمر الشيخ من عنده بالخروج، فلما اختلى بالشيخ قال متأدباً بأدب خطاب طالب العلم مع شيخه ومفتتحاً كلامه بعبارة تبجيل يلين لها القلب ويفتح أبوابه لاستقبال ما يتبعها من كلام فاختار الطالب لنصيحة شيخه أحلى الكلمات وحاول جاهداً أن لا يؤذيه بِسَلِيطِ عبارات وقَدّم صحيح كلام الشيخ على ما جرى منه من هفوات وقال للشيخ: (آلى رسول الله ﷺ وصدقت، وطلق رسول الله ﷺ وصدقت، وقلت: وظاهر رسول الله ﷺ وهذا لم يكن، ولا يصح أن يكون لأن الظهار منكر من القول وزور، وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ)؟! فماذا كان موقف الشيخ من هذا الطالب المؤدب؟ لقد ضمه إلى صدره ضمة حب وإعجاب وقَبَّل رأسه وتقبيل الرأس له معنى خاص في التقدير والإجلال عند أهل الفهم والإدراك وذكّرني بما فعله أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عندما قَبَّل رأس عبدالله بن حذافة[1] رضي الله عنه وقال: واجب على كل مسلم أن يقبّل رأس عبد الله بن حذافة. وقال الشيخ لِنَاصِحه: أنا تائب من ذلك جزاك الله عني من معلم خيراً. لقد استسلم الشيخ بكل تواضع لمن هو دونه في العلم وتاب إلى الله من زلته آخذاً بقول النبي ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» حديث حسن. ثم دعا لمصوِّبه دعاءً كما قال النبي ﷺ: «من صنع إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله

---

(١) القصة ضعيفة ولم تثبت، بين ذلك شيخنا الألباني رحمه الله في «الإرواء» (١٥٧/٨/ رقم ٢٥١٥).

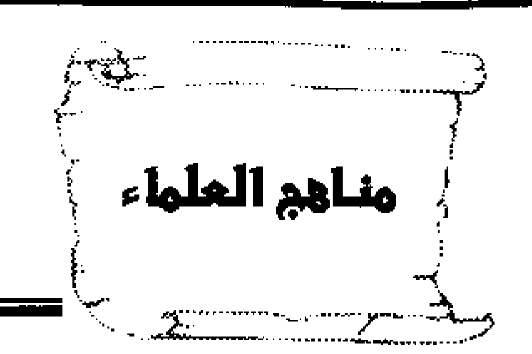
خيراً، فقد أبلغ فيه الثناء» حديث **صحيح**.

ولم يكتف الشيخ بهذا الموقف المشهود والذي في حاضر سلفيتنا نادر الوجود لا بل هو مفقود! قلت: إن الشيخ لم يكتف بتقدير طالب العلم في خلوته بل وجد أن يعلي مكانته أمام حشود طلابه فنادى عليه بأعلى صوته (مرحباً بمعلمي، افسحوا لمعلمي...).

ثم أخبرهم بما جرى بينه وبين هذا الغريب وأعلن توبته أمام الملأ من زلته...

هؤلاء هم السلفيون حقاً... هؤلاء هم المتمسكون بهدي المصطفى ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين... هؤلاء هم الذين تأدبوا بأدب النبوة في الدعوة إلى الله... هؤلاء هم الذين كان كبيرهم يرحم صغيرهم ويرفع قدره في الأخيار، ويوقر صغيرهم كبيرهم ولا يؤذيه بكلمة أو حوار...

ولسنا نحن الذين إذا قيل لأحدنا اتق الله أخذته العزة بالإثم ورد النصيحة على أهلها... ولسنا نحن الذين نُسَخِّرُ أقلامنا لأكل لحوم بعضنا وندع الزنادقة تهاجم إسلامنا... ولسنا نحن الذين يفخر أحدنا ببدعته الكلامية ظناً منه أنها براعة لغوية...



الحلقة الثانية

الإصلاح عند الشاطبي

بقلم : الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

قررنا في الحلقة الأولى أن الشاطبي رحمه الله كان مجدداً ومصلحاً، وهو من المصلحين في الجناح الغربي للأمة، وكان إصلاحه سلفياً، وكانت له دوافع وبواعث، فصلناها في العدد السابق.

وفي هذه الحلقة نتعرض إلى شروط الإصلاح عند الشاطبي، وإلى خصائص مذهبه الإصلاحي السلفي، فنقول -والله المستعان-:

للشاطبي شرطان تامان في الإصلاح، هما:

الأول: أن يتبنّاه العلماءُ الذين يُقتدى بهم.

يظهر هذا جليّاً من الأثر الذي ذكره عن ابن فروخ أنه كتب إلى مالك بن أنس: أن بلدنا كثير البدع، وطلب منه أن يؤلف لهم كتاباً في الرد عليهم. فكتب إليه مالك يقول: «إنك إن ظننت ذلك بنفسك، خفت أن تزل فتهلك، أو نحو ذلك»، ثم قال: «لا يردّ عليهم إلا من كان عالماً ضابطاً عارفاً بما يقول لهم، لا يقدروا أن يعرجوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك، فإني أخاف أن يكلمهم؛ فيخطئ، فيمضوا على خطئة، أو يظفروا منه بشيء، فيطغوا، ويزدادوا تمادياً على ذلك»[1].

ولذا اهتم في كتابه هذا ببيان أن العلماء هم أهل الإصلاح، وقرر -مستطرداً- وأرى من اللازم عليّ هنا أن أذكر

(١) «الاعتصام» (١/٣٥ - بتحقيقي).

خصائص المذهب الإصلاحي السلفي عند الشاطبي مما له صلة بالعلم والعلماء فأقول:

أولاً: العلماء هم وسائل وأدلاء

والواجب تحكيم الشرع لا الأهواء، أو (الحق بدلائله لا بقائله).

قرر الشاطبي أن أهل التصوف حسَّنوا الظن بأقوال وأفعال مشايخهم، ولم يحسنوا الظن بشريعة محمد ﷺ، وقال عن هذا: «هو عين اتباع الرجال، وترك الحق»، وقرر أن (الحاكم هو الشرع)، وقال: «وأقوال العالم تعرض على الشرع»[1]، وأنه لا يؤخذ بقول أحد -كائن من كان -دون ذلك، وقال: «إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعاً، ضلال»[2].

ويذهب المصنف إلى أن اتباع السلف لم يكن إلا لاعتبار أن أقوالهم وأفعالهم مشهود بصحتها من الشرع.

وصور الشاطبي حال كثير من العلماء والمطلعين في زمانه، وأهم كانوا متعصبين للرجال، وندد بهم كثيراً، وجعل ذلك عادة موروثة من الجاهلية، أصلها دياناتهم الوثنية الأولى، وهي عبادة الآباء[3].

وجعله هذا: يقرر أن العالم قد تقع منه البدعة فلتة، فضلاً عن الخطأ والزلّة، وأورد آثاراً؛ فيها: أن زلة العالم من أسباب هدم الدين، وذكر أمثلة مليحة -وقعت في عصره- زل فيها فقهاء وقراء، وتعرض للباء الرخوة التي يقرأ بها المغاربة، وقصة ذلك المقرئ الذي كان يقرأ ﴿تحيدً﴾ في سورة (ق) بالتنوين، على الرغم أن الأفعال لا يلحقها تنوين ألبتة، وكان ذلك المقرئ يصر على الإقراء بذلك، حتى نبَّهه بعضُ الفضلاء بنصيحة فيها لين مع شدة وشدة مع لين، وقعت منه على سبيل الحيلة.

وذكر تعصب أهل الأندلس على بقي ابن مخلد، على الرغم من شدة تحصيله وتعبه في جمع الأحاديث والأدلة، ولا غرو في ذلك

(١) «الاعتصام» (٣ / ٤٥١ - بتحقيقي).

(٢) «الاعتصام» (٣ / ٤٦٠ - بتحقيقي).

(٣) «الاعتصام» (٣ /٤٤٨ - بتحقيقي).

إذ بات –في زمنه– أصحاب كل مذهب يدعون أن الحق موقوف عليهم[1]، وها هو يصور موقفهم من معارضهم فيقول:

«حتى إذا جاءهم من بلغ درجة الاجتهاد، وتكلم في المسائل و لم يرتبط إلى إمامهم، رموه بالنكير، وفوقوا عليه سهام النقد، وعدوه من الخارجين عن الجادة، والمفارقين للجماعة، من غير استدلال منهم بدليل، بل بمجرد الاعتياد العامي»[2].

وذكر أن من معاني (**الجماعة**) الواجب التزامها ما عليه العلماء المعتبرون المعظمون للكتاب والسنة، المراعون لما عليه سلف الأمة، وأن خلاف ما عليه هؤلاء يوصل إلى الفرقة، إن كان ذلك في الأصول دون ما يقع فلتة.

ثانيا: اجتناب الغلو في الدين

ذم الشاطبي الدخول في عمل لا يطيقه المكلف أو يدخل عليه حرجا ومشقة فادحة؛ تؤدي إلى تضييع ما هو أولى[3]. ويقول: «الواجب أن يعطى كل ذي حق حقه، وإذا التزم الإنسان أمرا من الأمور المندوبة، أو أمرين أو ثلاثة، فقد يصده ذلك عن القيام بغيرها، أو عن إكماله على وجهه فيكون ملوما»[4]؛ ولذا أتى بقصة سلمان مع أبي الدرداء لما شدد على نفسه، وقال: «وهذا الحديث جمع التنبيه على حق الأهل بالوطء، والاستمتاع، وما يرجع إليه، والضيف

---

(١) من كلام الشاطبي النفيس قوله في «الموافقات» (٣/١٣١ – ١٣٢ - بتحقيقي): «إن تعويد الطالب على أن يطلع إلا على مذهب واحد، ربما يكسبه ذلك نفورا أو إنكارا لكل مذهب غير مذهبه، ما دام لم يطلع على أدلته فيورثه ذلك حزازة في الاعتقاد في فضل أئمة أجمع الناس على فضلهم، وتقدمهم في الدين وخبرتهم بمقاصد الشرع وفهم أغراضه»

(٢) «الاعتصام» (٢/٣٤٧ - بتحقيقي).

(٣) «الاعتصام» (١/ ٣٠٠ - بتحقيقي).

(٤) « الاعتصام» (٢/١٥ - بتحقيقي).

بالخدمة والتأنيس والمواكلة وغيرها، والولـد بالقيام عليهم بالاكتساب والخدمة، والنفس بترك إدخال المشقات عليها، وحق الـرب سبحانه بجميع ما تقدم، وبوظـائف أخـر، فرائض ونوافل أكمل مما هو فيه»[1].

وعاب على الصوفية الخروج[2] عـن أموالهم، وأشياء التزموها من إدامة الجـوع والصيام، وترك التزويج، وقال عن هذا: «هو شبيه بالتبتل الذي رده رسـول الله ﷺ»[3]، وقال عنه: «غير معهود في الزمـان الأول، والقرن الأفضل»[4]، ولذا قرر أن الصوفيـة يجوز عليهم الابتداع[5]. وقال: «فـالواجب علينا أن نقف مع الإقتداء بمن يمتنع عليـه الخطأ، ونقف عن الاقتداء ممن لا يمتنع عليـه الخطأ، إذا ظهر في الاقتداء به إشكال، بـل نعرض ما جاء عن الأئمة علـى الكتـاب والسنة، فما قبلاه قبلنـاه، ومـا لم يقبـلاه تركناه، ولا علينا إذا قام لنا الدليل على اتباع الشرع، ولم يقم لنا دليل على اتباع أقـوال الصوفية وأعمالهم إلا بعد عرضها، وبذلـك وصى شيوخهم»[6].

وقد أكثر الشاطبي في كتابه هذا من الحـط على كل من رآه متشددا، فعـاب الباطنيـة والظاهرية، والصوفية، والموحدين -أصحاب المهدي بن تومرت-، والمبتدعين، والمقلديـن، والجامع بينهم -عنده- التشدد والتنطع وترك

---

(١) «الاعتصام» (٢/١٥٦ - بتحقيقي).

(٢) «الاعتصام» (١/٣٥٨ - بتحقيقي).

(٣) «الاعتصام» (١/٣٦١ - بتحقيقي).

(٤) «الاعتصام» (١/٣٦١ - بتحقيقي).

(٥) كان هذا بعد نقولات عن أئمتهم، ولذا أكثر من نقل مقولاتهم في ضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ، واعتمد في ذلك بالدرجة الأولى على «الرسالة القشيرية» وكان ذلك بسبب ما شاع وذاع في عصر المصنف من التصوف والاقتداء برجالاتها بمجرد المألوف دون أي دليل أو برهان.

(٦) «الاعتصام» (١/٣٦٤ - بتحقيقي).

السماحة واليسر، وصوّب خطأً كلياً تسلل إلى قوم أن السلف كانوا كذلك، فقرر: «أن الحرج منفي عن الدين جملة وتفصيلاً»[1]، وأن السلف لم يكونوا كذلك وأن أدلة رفع الحرج قطعية، وما يوهم بخلاف ذلك ظني[2]، وذكر أن من البدع «الاقتصار من المأكول على أخشنه وأفظعه لمجرد التشديد لا لغرض سواه»[3]، وبيّن أن النبي ﷺ كان يحب الحلواء والعسل، ويعجبه لحم الذراع، ويستعذب له الماء[4]، قال: «فأين التشديد في هذا؟»[5]، وقال: «فإذن الاقتصار على الخشن في المأكول من غير عذر تنطع»[6]، و«الاقتصار في الملبس على الخشن من غير ضرورة، فإنه من قبيل التشديد والتنطع المذموم، وفيه أيضاً من قصد الشهرة ما فيه»[7]، وذكر أدلة وآثاراً حسنة غاية في هذا الباب، ثم قرر الآتي:

«وكل ما جاء عن المتقدّمين من الامتناع عن بعض المتناولات ليس من هذه الجهة، وإنما امتنعوا منه لعارضٍ شرْعيٍّ يشهد الدليل باعتباره؛ كالامتناع من التوسع لضيق الحلال في يده، أو لأن المتناول ذريعة إلى ما يكره أو يمنع، أو لأنَّ في المتناول وَجْهَ شُبهةٍ تَفَطَّن إليه التَّاركُ و لم يتفطَّن إليه غيره ممَّن علم بامتناعه، وقضايا الأحوال لا تُعارض الأدلَّة بمجرَّدها؛ لاحتمالها في أنفسها»[8]، وقال:

«ومن ذلك الاقتصارُ في الأفعال والأقوال على ما يخالفُ محبّة النفوس وحمْلها

---

(١) الاعتصام (٢/٢٢٥ - بتحقيقي).

(٢) انظر: «الاعتصام» (٢/٢٢٦ - بتحقيقي).

(٣) «الاعتصام» (٢/٢٢٦-٢٢٧ - بتحقيقي).

(٤) هذه الأحاديث **صحيحة**، انظرها في تعليقي على «الاعتصام» (٢/٢٢٧).

(٥) «الاعتصام» (٢/٢٢٧ - بتحقيقي).

(٦) «الاعتصام» (٢/٢٢٨ - بتحقيقي).

(٧) «الاعتصام» (٢/٢٢٨ - بتحقيقي).

(٨) «الاعتصام» (٢/٢٢٩-٢٣٠ - بتحقيقي).

على ذلك في كل شيء؛ من غير استثناء.

فهو من قبيل التشديد، ألا ترى أنَّ الشارعَ أباح أشياءَ مما فيه قضاء نهمة النفس وتَمتّعها واستلذاذها؟

فلو كان مخالفتها بِرّاً؛ لَشُرِعَ، ولَنُدِبَ النَّاسُ إلى تركه، فلم يكن مباحاً، بل مندوب الترك أو مكْروه الفعْل»[1].

ثم ذكر كلاماً بديعاً جداً، وفيه ربط بين سنة الله الشرعية وسنة الله الكونية، وذكر حكماً -في غاية العمق والدقة- في التدليل على ما ذهب إليه[2]، قال:

«وأيضاً؛ فإن الله تعالى وضع في الأمور المتناولة إيجاباً أو ندباً أشياء من المستلذات الحاملة على تناول تلك الأمور؛ لتكون تلك اللذات كالحادي إلى القيام بتلك الأمور؛ كما جعل في الأوامر إذا امْتُثِلَتْ وفي النواهي إذا اجْتُنِبَتْ أجوراً منتظرةً، ولو شاء لم يفعل، وجعل في الأوامر إذا تُرِكَتْ والنواهي إذا ارْتُكِبَتْ جزاء على خلاف الأول؛ ليكون جميع ذلك منهضاً لعزائم المكلَّفين في الامتثال، حتى إنه وضع لأهل الامتثال المثابرين على المتابعة في أنفُس التكاليف أنواعاً من اللَّذَّات العاجلة والأنوار الشَّارحة للصُّدور ما لا يعْدلُه من لذَّات الدُّنيا شيء، حتى يكون سبباً لاسْتِلذاذ الطَّاعة والفرار إليها وتفضيلها على غيرها، فيخفُّ على العامل العمل، حتى يتحمل منه ما لم يكن قادراً قبل على تحمُّله إلا بالمشقَّة المنهي عنها، فإذا سقطت؛ سقط النهي.

بل تأمَّلوا كيف وضع للأطعمة على اختلافها لذَّاتٍ مُخْتلفَاتِ الألوان، وللأشربة كذلك، وللوقاع الموضوع سبباً لاكتساب العيال — وهو أشد نصباً عن النفس- لذَّة أعلى من لذة

---

(١) «الاعتصام» (٢/٢٣٠ - بتحقيقي).

(٢) هذا ما امتاز به الشاطبي -رحمه الله- فعلى الرغم من عدم اتساع دائرة روايته للحديث، إلا أنه يستنبط قواعد فرائد منها، ويعمل على الوقوف عندها والربط بينها على وجه فيه دقة وعمق، وهذا من توفيق الله له، ومن أسباب تقدمه الفائق، وتصنيفه في أبواب لم تطرق، فحاز قصب السبق، ووقعت كتبه عند العلماء موقع الرضى والقبول.

المطعم والمشرب، إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن نفس المتناول؛ كوضع القبول في الأرض، وترفيع المنازل، والتقدم على سائر الناس في الأمور العظام، وهي أيضا تقتضي لذات تستصغر في جنبها لذات الدنيا»[1]، ثم قال في تحرير رفق الشارع:

«وإذا كان كذلك؛ فأين هذا الوضع الكريم من الرب اللطيف الخبير ممن يأتي متعبدا -بزعمه- بخلاف ما وضع الشارع له من الرفق والتيسير والأسباب الموصلة إلى محبته، فيأخذ بالأشق والأصعب، ويجعله هوالسلم الموصل والطريق الأخص؟ هل هذا كله إلا غاية في الجهالة، وتلف في تيه الضلالة؟ عافانا الله من ذلك بفضله»[2]،

ونختم الكلام على هذه الخاصية بهذه القاعدة الذهبية، التي يقول فيها الشاطبي:

«فإذا سمعتم بحكاية تقتضي تشديدا على هذا السبيل، يظهر منها تنطع أو تكلف؛ فإما أن يكون صاحبها ممن يعتبر؛ كالسلف الصالح رضي الله عنهم، أو من غيرهم ممن لا يعرف ولا ثبت اعتباره عند أهل الحل والعقد من العلماء، فإن كان الأول؛ فلا بد أن يكون على خلاف ما ظهر لبادي الرأي -كما تقدم-، وإن كان الثاني؛ فلا حجة فيه، وإنما الحجة في المقتدين برسول الله ﷺ»[3].

ثالثا: العبرة من العلم العمل

ذكر الشاطبي أن من علامات أهل البدعة الخوض في المتشابهات، ولذا استحقوا الضرب والتوبيخ، كما حصل لصبيغ مع عمر، قال: «وهذا الضرب إنما كان لسؤاله عن أمور في القرآن لا ينبني عليها عمل»[4].

---

(١) «الاعتصام» (٢/٢٣٠- ٢٣١ - بتحقيقي).

(٢) «الاعتصام» (٢/٢٣١ - بتحقيقي).

(٣) «الاعتصام» (٢/٢٣١-٢٣٢ - بتحقيقي).

(٤) «الاعتصام» (٢/٣٧٠ - بتحقيقي).

وبيَن أن التعلم يقع بالعمل[1]، وأنه يكون تارةً أبلغ من القول، وحذر السلف الصالح من الخوض في مسائل لا ينبني عليها عمل؛ ولذا كرهوا الجدال وعلم الكلام، وأكثر المصنف من ذكر النقولات في هذا الباب، واتكأ -أو كاد- على ما قرره ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» والله الهادي.

رابعاً: الشريعة كلٌ واحد لا يجوز الأخذ بشيء منها بمعزل عن سائر ما ورد فيها. هذا أصل مهم نبه الشاطبي على فحواه ومعناه في كثير من مباحث الكتاب، ومفاده أنه لا يجوزُ الأخذ بالنصوص الصحيحة الثابتة بمعزل عن سائر النصوص، فما أطلقه الشرع نطلقه، وما قيده نقيده، وما ورد مطلقاً في نص وقيد في آخر، فلا يجوز الأخذ بالإطلاق، وهكذا في العام والخاص، وهذا ما عمل به السلف الصالح، قال رحمه الله: «وإن أتى -أي الدليل- مطلقاً من غير تلك التقييدات مشروعاً فالتقييد في المطلقات التي لم يثبت بدليل الشرع تقييدها رأي في التشريع»[2]، والرأي مذموم، لا يكون إلا عن جهل أو هوى.

ويذكر أن «مدار الغلط إنما هو على حرف واحد، وإنما هو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها إلى بعض؛ فإنَّ مآخِذ الأدلَّة عند الأئمَّة الرَّاسخين إنَّما هي على أنْ تُؤخذ الشَّريعة كالصُّورة الواحدة بحسب ما ثَبَتَ من كُلِّيَّاتها وجزئيَّاتها المرتَّبة عليها، وعامِّها المرتَّب على خاصِّها، ومُطْلقها المحْمُول على مقيَّدها، ومُجْملها المفسر بمبينها إلى ما سوى ذلك من مناحيها، فإذا حصل للناظر من جملتها حكمٌ من الأحكام؛ فذلك هو الذي نطقت به حين استنطقت.

وما مثلها إلا مثل الإنسان الصَّحيح السَّوي، فكما أنَّ الإنسانَ لا يكون إنساناً يُستنطق فينطق؛ باليد وحدها، ولا بالرِّجل وحدها، ولا بالرَّأس وحده، ولا باللِّسان وحده، بل بجُمْلَته التي سُمِّيَ بها إنساناً، كذلك الشَّريعة لا يُطْلَب منها الحكم على حقيقةِ الاسْتنباط إلا بجُمْلتها، لا من دليل منها أيِّ دليلٍ كان، وإن ظَهَرَ لبادي

(١) «الاعتصام» (٢/٢٣٥ - بتحقيقي).

(٢) «الاعتصام» (٢/٢٣٥ - بتحقيقي).

الرَّأي نطقُ ذلك الدَّليل؛ فإنَّما هو توهميّ لا حقيقي؛ كاليد إذا استُنْطِقَتْ فإنَّما تنطق توهُّماً لا حقيقة؛ من حيث عُلمت أنَّها يدُ إنسانٍ لا من حيث هيَ إنسان؛ لأنَّه محال.

فشأنُ الرَّاسخين تصوير الشَّريعة صُورةً واحدةً يخدُمُ بعضُها بعضاً كأعضاء الإنسان إذا صُوِّرَتْ صُورَةً مُتَّحدةً، وشأن مُبْتغي المُتشابهات أخْذُ دليل ما -أيّ دليل كان- عَفْواً وأخذاً أوَّلياً، وإن كان ثمَّ ما يعارضُه من كُليّ أو جُزئيّ،

فكما أنَّ العُضْوَ الواحدَ لا يُعطي في مفهوم أحكام الشَّريعة حُكْماً حقيقياً، فَمُتَّبِعُه مُتَّبِعُ متشابه، ولا يَتَّبعهُ إلاَّ مَنْ فِي قلبه زَيْغٌ؛ كما شهد الله به، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ [النساء : ١٢٢]؟».

وعند ذلك نقول :

من اتِّباع المُتَشابهات الأخذ بالمُطْلَقات قبل النَّظَر في مقيِّداها أو في العُموميات من غير تأمُّل؛ هل لها مُخصِّصات أم لا؟

وكذلك العكس؛ أن يكونَ النَّص مقيَّداً فيُطلق، أو خاصَّاً فيُعَمّ بالرَّأي من غير دليلٍ سِوَاه:

فإنَّ هذا المسلك رَمْيٌ في عمايةٍ، واتِّباعٌ للهوى في الدَّليل، وذلك أنَّ المُطْلَقَ المنصُوصَ على تقييده مُشْتبهٌ إذا لم يُقَيَّد، فإذا قُيِّد؛ صار وَاضحاً، كما أنَّ إطلاقَ المقيَّد رأيٌ في ذلك المقيَّد معارضٌ للنَّصِ من غير دَليل»[1]، ثم أخذ يمثل على ذلك بتأصيل وتقعيد.

خامساً: التشريع لله وحده

قرر الشاطبي أن المشرع هو الله وحده، ومهمة الرسول ﷺ إنما هي التبليغ، وعليه فلا تحليل ولا تحريم إلا من الله عز وجل، وما عداه؛ فهو الاختراع والتغيير لدين الله عز وجل.

ويصنف الشاطبي الذين يستندون في التحليل والتحريم إلى مجرد الآراء إلى (مبتدعة) و(أهل أهواء) و(أهل جهل)، وأن هؤلاء في

(١) «الاعتصام» (٢/ ٥٠-٥٢ بتحقيقي). وانظر: «الموافقات» (٥/ ١٤٢ وما بعد/ بتحقيقي).

كهم الحق «رجعوا إلى باطل آبائـهم، و لم ظروا نظر المستبصر، حتى لم يفرقوا بـين طريقين، وغطى الهوى على عقولهـم دون يصروا الطريق». قال: «وقلّ من تـجد ن هذه صفته إلا وهو يوالي فيما ارتكـب، يعادي بمجرد التقليد»[1].

وبنى على هذا حدوث التفرق والفرق، ن (العوام) مستثنون من ذلـك، «حـتى وضوا بأنظارهم فيها ويحسـنوا بنظرهـم قبّحوا». قال: «وعند ذلك يتعين للفـظ ل الأهواء وأهل البدع مدلول واحد، وهو من انتصب للابتداع ولترجيحـه علـى ره، وأما أهـل الغـفلة عـن ذلـك لسالكون سبل رؤسائهم بمجرد التقليد من ر نظر فلا»[2].

رد الشاطبي اعتراضات على هذه الخاصية يمكن معرفة الحلال والحرام أحياناً بمـا نمر في النفس من الميل إلى الشيء أو النفور منه، وذكر استدلال المعارض بحديث وابصة: «استفت قلبك»، و«استفت نفسك»، «البر ما اطمأنت إليه النفس»، «البر ما اطمأن إليـه القلب»... ووجه الحديث، وقرر بقوة أنه لا عمل إلا بالشرع، و((ليس المراد بقولـه: «وإن أفتوك» أي: إن نقلوا إليك الحكم الشـرعي فاتركه، وانظر ما يفتيك به قلبك، فإن هـذا باطل، وتقوّل على التشريع الحق، وإنما المراد ما يرجع إلى تحقيق المناط»[3].

ومما له صلة قوية بهذا الموضوع أنه تعرض إلى ضرورة الالتزام بالأدلة الشرعية، وتقديمها على العقل، ويسوق هنا قاعدة مهمة، يقـول فيها: «إذا تعاضد العقل والنقل على المسـائل الشرعية، فعلى شرط أن يتقدّم النقلُ فيكـون متبوعاً، ويتأخّر العقل فيكـون تابعـاً، ولا يسرح العقلُ في مجال النظر إلا بقـدر مـا يسرحه النقل»[4]، وأكد على هذه القاعـدة،

[1] «الاعتصام» (١/٢٧١ - بتحقيقي).

[2] «الاعتصام» (١/٢٧٥،٢٧٦ - بتحقيقي).

[3] «الاعتصام» (٣/١١٤ - بتحقيقي).

[4] «الموافقات» (١/١٢٥ - بتحقيقي).

بقوله: «ينبغي أن تكون من بال الناظر في هذا المقام»[1]، وأن هذا هو المعمول به عند السلف الصالح، قال: «كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولُهم وطباعُهم، فجاء النبي ﷺ فردّهم إلى الشريعة»[2].

وقرر الشاطبي أن القياس من باب الرد، إلى ما ورد به النقل[3]، وليس من باب تقديم العقل على النقل.

وركز الشاطبي في منهجه الاصلاحي إلى ضرورة نبذ ما اعتاده الناس وألفوه وإن خالف النصوص الشرعية وما كان عليه سلف الأمة.

والشرط الثاني من شروط الإصلاح عند الشاطبي رحمه الله:

أن يقع به العمل في الأماكن العامة والمساجد.

لما ذكر الشاطبي عن الإمام مالك: إن التثويب ضلال، قال ما نصه: «والكلام يدل على التشديد في الأمور المحدثة أن تكون في مواضع الجماعة، أو في المواطن التي تقام فيها السنن»، ثم قال: «ويحافظ فيها على المشروعات أشد المحافظة؛ لأنها إذا أقيمت هنالك أخذها الناس وعملوا بها، فكان وزر ذلك عائداً على الفاعل أولاً، فيكثر وزره ويعظم خطر بدعته»[4].

ومن أجل هذا الشرط؛ جعل الشاطبي الخطابة والإمامة وسيلة لبلوغ هدفه في الإصلاح الذي كان يتأجج في صدره، وظهرت بواكيره عنده في سن الطلب، فاتجه في وقت واحد إلى وجهتين رآهما كفيلتين بتحقيق هذا الإصلاح، هما: التدريس والتأليف[5]، فالتزم عموديهما لم ينحرف عنهما طوال حياته، و لم يتطلب خطاً

---

(١) «الاعتصام» (١/٦٨ - بتحقيقي).

(٢) «الاعتصام» (١/١٥٥ - بتحقيقي).

(٣) «الموافقات» (١/١٣٣ - بتحقيقي).

(٤) «الاعتصام» (٢/٣٩٨ - بتحقيقي).

(٥) ظهر ذلك من مراسلاته في الأمور التي أشكلت عليه العلماء المربين الربانيين.

غيرهما، إيماناً بعظم المطلوب، حتى كأنــه لم يخلق لغيرهما في هذه الحياة ونترك المجال لصاحبنا الشاطبي وهو يحدثنا عن ذلك، فيقول:

«وذلك أني -ولله الحمد- لم أزل منـذ فُتِق للفهم عقلي، ووُجِّه شطر العلم طلـبي أنظر في عقلياته وشرعياته، وأصوله وفروعه، لم أقتصر منه على علم دون علم ولا أفردت من أنواعه نوعاً دون آخر، حسبما اقتضـاه الزمان والإمكان وأعطته المنة المخلوقـة في أصل فطرتي، بل خضت في لججه خـوض المحبين للسباحة، وأقدمت في ميادينه إقـدام الجريء، حتى كدت أتلف في بعض أعماقه، وأنقطع من رفقتي التي بالأنس بها تجاسـرت على ما قدر لي؛ غائباً عن مقال القائل وعـذل العاذل، ومعرضاً عن صد الصاد ولوم اللائم.

إلى أن مَنَّ عَلَيَّ الرب الكريم الـرؤوف الرحيم،فشرح لي من معاني الشريعة مـا لم يكن في حسابي، وألقى فـي نـفسي إلقاء بصيرة: أن كتاب الله وسنة نبيه لم يتركـا في سبيل الهداية لقائل ما يقول ولا أبقيا لغيرهما مجالاً يعتد به فيه، وأن الدين قـد كمـل، والسعادة الكبرى فيما وضع والطلبة فيمـا شرع، وما سوى ذلك فضلال وبهتان وإفك وخسران، وأن العاقد عليهما بكلتـا يديـه مستمسك بالعروة الوثقى ومحصـل لكليـة الخير دنيا وأخرى، وما سـواهما فـأحلام وخيالات وأوهام، وقام لي على صحة ذلـك البـرهان الذي لا شبهة تطرق حول حمـاه ولا ترتمي نحو مرماه، **﴿ذلك من فضـل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر النـاس لا يشكرون﴾** [يوسـف: ٣٨]، والحمـد لله والشكر كثيراً كما هو أهله.

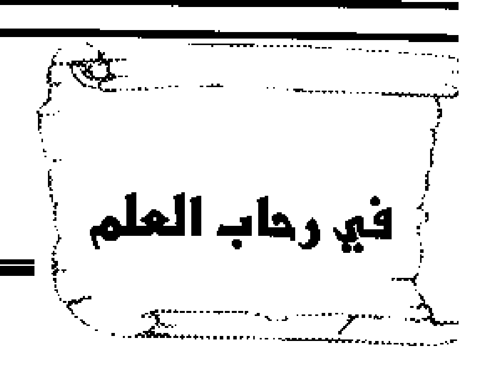
فمن هنالك قصرت نفسي على المشـي في طريقه بمقدار ما يسر الله فيه، فـابتدأت بأصول الدين عملاً واعتقاداً، ثم بفروعه المبنية على تلك الأصول، وفي خلال ذلك أتبين ما هو من السنن أو من البدع، كما أتبـين ما هو

من الجائز وما هو من الممتنع، وأعرض ذلك على علم الأصول الدينية والفقهية، ثم أطلب نفسي بالمشي مع الجماعة التي سماها رسول الله ﷺ بالسواد الأعظم في الوصف الذي كان عليه هو وأصحابه، وترك البدع التي نص عليها العلماء أنها بدع مضلة وأعمال مختلقة.

وكنت في أثناء ذلك قد دخلت في بعض خطط الجمهور من الخطابة والإمامة ونحوهما، فإذا أردت الاستقامة على الطريق وجدت نفسي غريبا في جمهور أهل الوقت؛ لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد، ودخلت على سننها الأصلية شوائب من المحدثات الزوائد، و لم يكن ذلك بدعا في الأزمنة المتقدمة، فكيف في زماننا هذا؟»[1].

إن مثل هذه الرؤية لا تكون إلا من شيخ محنك مجرب أو عبقري ملهم، وكأنه من بؤرة تصوره العميق لحاضر أمره ومستقبله، قد حضرت ملكاته كلها، وظل الأمر الشأن موقوفا على إنفاذ العزم، فإذا عزيمته حاضرة عنده، تتوثب به، وتحدوه على المضي بدارا إلى غايته، وقد فعل، وهذا ما نكشف عنه في (مجالات الإصلاح) عنده في الحلقة القادمة - إن شاء الله تعالى-.

(١) «الاعتصام» (١/١٣-١٥ — بتحقيقي).



العلم الشرعي للرجل والمرأة سواء[1]

• بقلم : الأستاذ الدكتور صالح السدلان

المرأة نصف المجتمع؛ فعليها -إذاً- نصف العبء الواجب للعمران، ولا ريب أن المسؤولية الشخصية، والمسؤولية الاجتماعية تقتضيان العلم، للنهض بواجب هاتين المسؤليتين، فالمرأة مسؤولة عن صلاتها وصيامها وزكاة مالها وحجها وتصحيح عقيدتها، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن الاستباق إلى الخير.

وفي الجملة؛ ما جاء به الإسلام في الكتاب العظيم وفي السنة المطهرة لبيان واجب المسلم، على المرأة أن تتعلم وتُعَلِّمَهُ

(١) انظر في هذا الموضوع: «أثر العلم الشرعي في حياة المرأة المسلمة»، لأم حسن، ص(١٦-١٧-١٨-١٩). و«من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر»، ص(٣٦٨-٣٦٩). «وتربية الأولاد في الإسلام»، لعبدالله ناصح علوان، ص (٢٦٨-٢٦٧) «بتصرف». و«أثر العلم» للسدلان، ص (١١-١٢). و«عناية المرأة بالحديث النبوي» لمشهور حسن، و«المرأة ماذا بعد السقوط». و«إسلامية المعرفة». و«حقوق النساء في الإسلام». و«الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة». و«المرأة تعليمها وعملها في الشريعة الإسلامية»، ص(٢٧) وما بعدها.

نظرياً وعملياً.

وإذا كان من المسلَّم به أن الإسلام عبادة وقيادة وسياسة واجتماع واقتصاد وحركة للحياة في شتى مجالات الحياة... وإدراك كل ذلك لا يأتي عفوياً، وإنما بالدرس والتلقين والتلقي... كان من المنطقي أن يكون تعلم الإسلام -والإسلام ثقافة واسعة شاملة عميقة متنوعة- واجباً على كل مسلم ومسلمة... ولهذا فلا غرابة في أن يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «العلم فريضة على كل مسلم» بل الذي يكون غريباً وليس منطقياً مع الإسلام بمفهومه الذي ذكرناه أن ينكر تعليم المرأة، أو أن يعد تعليمها نافلة وأمراً ثانوياً...

ثم إن كلمة «مسلم» في ذكر التكاليف الشرعية تعني كل من آمن بالإسلام من الثقلين.

لهذا عني الإسلام بمسألة تعليم المرأة وطلبها للعلم الشرعي النافع.

والمتأمل في عموم الرسالة المحمدية يدرك أن الإسلام لم يكن ليقتصر على تكليف الرجال واختصاصهم بالأوامر والنواهي بل كان يحمل النساء جزءاً من هذه المسؤولية، وجميع نصوص الكتاب والسنة تفيد اشتراك المرأة مع الرجل في خطاب التكليف إلا ما ورد فيه نص في خصوصية الرجل كما أن هناك تكليف شرعي يختص بالمرأة وأما تكاليف الشريعة في عمومها فهي مشتركة بين الرجل والمرأة، بل هناك نصوص صريحة خاصة بتكليف النساء كما في قوله تعالى: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾[الأحزاب: ٣٤].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله سبحانه: ﴿**وقلن قولاً معروفاً**﴾ [الأحزاب :٣٢]: أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومما لا ريب فيه أن قيام المرأة المسلمة بالدعوة إلى الله تعالى من أهم وجوهه تعليم العلم الشرعي والتوجيه والإرشاد والتربية والتأديب فضلاً عن قيامها على سياسة بيتها وأمور زوجها،

كما أنها تنطلق في الأعمال غير المباشرة بالكلمة المكتوبة أو المسموعة فتضيف بقدرتها وحسها ما يخدم هذا الدين.

ومنذ أشرق نور الإسلام أمر بتعليم الفتاة العلم النافع وإن وجد في بعض الأحيان من يرفض تعليمها فإنما كان المنع والرفض مختصاً بتعليم الشعر الفاحش أو الفلسفة الضارة أو ما ترتب بسببه اختلاط بالرجال، أما العلوم الشرعية النافعة فلم ينهه عنها بل حث عليها، وجعلها هدفاً لتهذيب نفسها وخلقها ووجدانها بالعقائد الصحيحة والقواعد الدينية الراشدة والمعارف الدينية التي تنير ذهنها وتوثق رابطتها بما حولها من شؤون الحياة؛ مثلها مثل الرجل -تماماً بتمام-، فما لم يتعلم كل منهما أحكام دينه وروابط صلته بربه ومناهج التهذيب وسنن الاجتماع وأمهات الأخلاق وغايات الحياة ومبادئ السلوك، وما لم يتعلم ذلك وكله من لباب العلم ويبرأ به المرء من شقوة الجهل وظلمة الحس والمادية وقع في إثم التقصير وعرض نفسه لمهانة التخلف في الدنيا والآخرة، وليس أدل على ذلك من أن المرأة وصلت في ظل الإسلام إلى أسمى مكانة في العلم. بل إن النساء كن يحتشدن لسماع النبي والصلاة الجامعة معه من أجل التعليم، فإن صلاة المرأة في بيتها أفضل من الصلاة في المسجد بلا نزاع... ومن أجل التزاحم خصص النبي لهن باباً يسمى حتى الآن في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة «باب النساء». وذكر البلاذري في «فتوح البلدان»:- نساء مسلمات تعلمن القراءة والكتابة يبلغ المعروف منهن نصف عدد المعروف من الرجال الكتّاب، وروي أن الشفاء العدوية (من قبيلة بني عدي رهط عمر بن الخطاب) طلب إليها النبي أن تعلم زوجته أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تحسين الخط وتزيين الكتابة.

وكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي

بكر وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنهما تقرآن وإن لم تكسبا مهارة الكتابة.

«وذكر الواقدي أن كريمة بنت المقداد كانت تكتب وتقرأ، وروي أن عائشة بنت سعد قالت: علمني أبي الكتاب، أي: الكتابة، وذكر البلاذري أن أم كلثوم بنت عقبة كانت تكتب».

وقد بلغ التعليم في المجال النسائي حداً كبيراً جعل النساء يشاركن الرجال تبعة الزحف بالإسلام نحو الخافقين، فعائشة تروي لنا ألفي حديث، وأختها أسماء تروي ستة وخمسون حديثاً... وغيرهن كثير روين شيئاً من سنة النبي ﷺ.

ويروى عن أم الدرداء الفقيهة الزاهدة حضها على العلم وتفضيله على كل ما سواه إذ تقول:- لقد طلبت العبادة في كل شيء فما أصبت لنفسي شيئاً أشفى من مجالسة العلماء ومذكراتهم، وقد وصفها النووي بقوله:- اتفقوا على وصفها بالفقه والعقل والفهم، وقد عاشت في أيام معاوية رضي الله عنه.

إن الإسلام لم يمنع تعلم المرأة أمور دينها و لم يقف حجر عثرة في طريق حريتها وتقدمها بل أجمع العلماء والفقهاء سلفاً وخلفاً أن ما يجب تعلمه على سبيل فرض العين فالمرأة به كالرجل على حد سواء، فالمرأة كالرجل في التكاليف الشرعية وهي كهو في نيل الجزاء الأخروي اللهم إلا في بعض حالات خاصة أعفاها من التكاليف إما لوجود مشقة عليها أو لكون تلك الأعمال لا تتفق وطبيعتها وتكوينها أو أن ذلك يتعارض مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها أو يترتب على ذلك فساد اجتماعي خطير كالاختلاط وغيره أما ما عدا ذلك من الأعمال والتكاليف والواجبات فهي كالرجل سواءً بسواء. وقد ورد أن أسماء بنت يزيد ابن السكن رضي الله عنها أتت النبي ﷺ فقالت إني رسولُ مَن ورائي من جماعة نساء المسلمات كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء

فآمنا بك واتبعناك ونحن -معشر النساء- مقصورات مخدرات قواعد بيوت، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربين أولادهم أفلا نشاركهم في الأجر يا رسول الله؟! فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: «هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟» فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت»، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قاله لها عليه الصلاة والسلام.

وغني عن البيان أن المرأة في العصور الأخيرة كانت محرومة من التعليم، وكان لجهلها أثر في تأخر المسلمين، والأمهات الجاهلات ينجبن أبناء جاهلين خاملين:

وإذا النساء نشأت في أمية

رضع الرجال جهالة وخمولاً

لذلك كان من النهضة المحمودة أن يفتح للفتاة باب التعليم وأن يكثر في المجتمع الزوجات المتعلمات والأمهات المتعلمات، وحتى لا يلتبس الأمر على أحد فالعلم المفروض على كل مسلم ومسلمة هو الضروري من علوم الدين، لا العلم الكاذب الذي يند عن هذه المهمة مما ينادي به دعاة التفرنج والحرية والسفور والفجور المبهرج والمغطى بشعارات العلم، إنهم يسمون الرقص علماً مطلوباً، ويسمون دراسة الموسيقى والغناء علماً، ويسمون دراسة التمثيل والسينما والمسرح علماً، ويسمون كل ما وصلت إليه وسائل الفجور في الشرق والغرب علماً مطلوباً.

إنها دعاوى كاذبة وقيم سالبة مناقضة لقيم الصدق والحق والمعرفة الصحيحة، فما هي العلاقة بين المرأة والتعليم وبين التبرج والزينة والسفور والتسكع في الشوارع شبه عارية، أأداة استقبال العلم تكون في النهود تظهر أم في كشف الأفخاذ أم في الملابس التي تكون ضيقة بحيث يبدو الجسم فصولاً متعددة، ما هي

العلاقة بين هذا وهذا. إن من القصور حقاً أن ننقل عن الغرب أو الشرق كل ما عنده بخيره وشره، فليس كل ما يصلح لهم صالحاً لنا، فديننا مختلف ونهجنا غير متفق، أما أن نجري وراء سراب التحرر لاهثين ونجري خلف زيف الأماني راكضين فهذا فلا شك أنه يجر علينا كثيراً من الويلات ويذيقنا صنوفا من الذل والهوان، فنغدو ألعوبة بيد شياطين التحلل، وتلك صيحات وأبواق شيطانية تدفع له المرأة المسلمة الثمن غاليا من كرامتها وعزتها، ورفعة مكانتها؛ فتغدو لقمة سائغة لكل جائع، وسلعة رخيصة لكل مشتر، حتى ينتهي بها الأمر إلى التردي والسقوط.

نسأل الله -تعالى- أن ينتشل كل مسلمة من وحل المعصية وأن يهديها سبل الصراط حتى تستعيد قوتها وتعود عودتها لعقيدتها وتوجيهات دينها وقواعد منهجها الرباني العظيم، حتى تكون وكما أرادها الله -تعالى- جديرة بالسعادة في الدنيا والآخرة.

مباحث عقدية

ضوابط الكلام في أنواع الكفر وتقسيماته

● بقلم الشيخ: فتحي سلطان

الحكم على الشيء فرع من تصوُّره، وتصور الأسماء والأجناس والأنواع متوقف على معرفة حقيقة معانيها، وعلى العلم بأوجه إطلاقها، وموارد استعمالها، وما يتعلّق بها من توابع وأحكام؛ فما لا يتم الحكم إلاّ به، فهو تابع للحكم، وغالب كلام الناس -في هذه الأمور- من موارد النزاع اللفظي؛ حتى إذا فصّل الكلام في موضع الإجمال، أو استفسر عن المراد، زال الوهم والاشتباه، والكلام في تقسيمات الكفر وأنواعه من هذا الباب.

وقبل الشروع في بيان ضوابط هذا الأمر الهامّ؛ لا بد من التذكير بما يجري في ساحة العلم والدعوة من أنه صار مدار مسائل العلم وأدلته على إطلاقات الجمل، وتعميم العبارات، دون بيان، أو تدليل، أو تفصيل، أو تأصيل...، وهذا -بحد ذاته- ذريعة إلى الاختلاف والبدع والأهواء.

ومن آثار هذه الإطلاقات، وتلك العبارات أن شُغلت العقول عن النظر في حقائق الأسماء وغاياتها، وأثرها على القلوب، حتى تكاد حقيقة الإيمان تنخلع عن لفظها ومعناها بجهل جاهل، أو جدل مجادل، ومن المناسب أن يقال: إنّ مما تقتضيه قواعد العلم والعدل -معاً- :

أن لا ينسب إلى أحد قول، ولا يؤخذ من إمام مذهب بإطلاق أطلقه، أو تعميم عمّمه دون النظر إلى تفسيره له، أو مراجعة ما تقتضيه أصوله، تحقيقاً وعدلاً.

وقد أجاد هذا الأسلوب العلمي الفريد -في الحكم على أقوال أهل العلم ومذاهبهم- شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فها هو يقول:

«وأخذُ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات من غير مراجعة لما فسّروا به كلامهم، وما تقتضيه أصولُهم يجرُّ إلى مذاهب قبيحةٍ».

ولهذا احتاج المقام -في تقسيم الكفر وبيان أنواعه- إلى معرفة حقيقة كل تقسيم وأوجهه، وما يتعلق به من أحكام؛ لهذا صار الكلام في تقسيمات الكفر: تارة بالنظر إلى موجباته من الخلود أو الوعيد، وتارةً بالنظر إلى صورته من جهة القول أو العمل، أو بحسب الأحكام المتعلقة به، أو بالنظر إلى حال الناس بعد البعثة، أو بالنظر إلى قبول الحجة الرسالية أو عدمه، أو بالنظر إلى طبقات الكفار، وغلظ كفرهم، وغير ذلك من الوجوه.

وإليك -أخي القارئ- تفصيل هذه الوجوه:

الأول:

تقسيم الكفر بالنظر إلى موجباته من الخلود أو الوعيد:

وقد فصّل ابن القيم -رحمه الله- القول فيه[1]، وحاصله أن الكفر نوعان:

-كفر أكبر: وهو الموجب للخلود في النار.

- كفر أصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

وقد قسم ابن القيم الكفر الأكبر إلى خمسة أنواع؛ وهي:

١-كفر التكذيب:

فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار؛ فإن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿**وجحدوا بها**

(١) «مدارج السالكين» (١/٣٣٧-٣٣٨).

استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾[النمل: ١٤]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿فإنهم لا يكذبونك. ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[الأنعام: ٣٣].

إن سُمي هذا كفر تكذيب أيضاً فصحيح. إذ هو تكذيب باللسان.

٣- كفر الإباءِ والاستكبار:

فنحو كفر إبليس؛ فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار؛ وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباءً واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا، وقومهما لنا عابدون!﴾ [المؤمنون: ٤٧].

٢- كفر الإعراض:

فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه. ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبته، كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ: «والله لا أقول لك كلمة: إن كنت صادقاً، فأنت أجلّ في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذباً، فأنت أحقر من أن أكلمك».

٤- كفر الشك:

فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه، بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شَكُّه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها، ونظره فيها: فإنه لا يبقى معه شك؛ لأنها مستلزمة للصدق، ولا سيما بمجموعها؛ فإن دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار.

٥- كفر النفاق:

فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر.

أمّا الكفر الأصغر، فالضابط فيه أنه من مظنّة المعاصي التي لا تنافي أصل الإيمان.

قال ابن القيم في «المدارج» (٣٣٧/١).

«والقصد: أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر؛ فإنها ضد الشكر، الذي هو العمل بالطاعة؛ فالسعي: إما شكر، وإما

كفر، وإما ثالث؛ لا من هذا ولا من هذا. والله أعلم».

وقد أفرد ابن القيم كفر الجحود في فصل خاص[1]، وجعله نوعين، فقال:

وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

فالمطلق: أن يجحد جملة ما أنزل الله، وإرساله الرسول.

والخاص المقيد: أن يجحد فرضا من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبرا أخبر الله به: عمدا أو تقديما لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض.

وأما جحد ذلك جهلا، أو تأويلا يعذر فيه صاحبه: فلا يكفر صاحبه به؛ كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إعادته -عنادا أو تكذيبا-»[2].

الثاني: تقسيم الكفر من حيث صورته من جهة القول والعمل:

لما كان الإيمان ليس هو التصديق فحسب؛ بل تصديق القلب وانقياده ومحبته، وله أصل وفرع، وضده الكفر في كل معنى، صار تقسيم الكفر إلى قولي وعملي من هذا الباب، والكفر بالعمل: منهم من يجعله من الكفر الاعتقادي القلبي باعتبار أنه دليل مستلزم الكفر الباطن، ومنهم من يجعله قسيم الكفر العملي، باعتبار أن الكفر العملي منه ما يكون مضادا لأصل الإيمان ومنه ما لا يضاده.

والخلاف بين التقسيمين لفظي؛ قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في «المجموع» (٧/٣٢٤-٣٢٥):

(١) مما يدل على أن الجحود المخصوص الذي يقابل الإقرار، قدر جامع لأجناس الكفر وأنواعه -كما سيأتي بيانه-.

(٢) «المدارج» (١/٣٣٨-٣٣٩).

«ولكنا نقول: للإيمان أصل وفرع، وضد الإيمان الكفر في كل معنى فأصل الإيمان الإقرار والتصديق، وفرعه إكمال العمل بالقلب والبدن، فضد الإقرار والتصديق الذي هو أصل الإيمان: الكفر بالله وبما قال، وترك التصديق به وله. وضد الإيمان الذي هو عمل، وليس هو إقرار: كفر ليس بكفر بالله ينقل عن الملة ولكن كفر تضييع العمل».

وقال -أيضاً- في «المجموع» (٧/٣٢٤): «والكفر ضد الإيمان، فلا يزول عنه اسم الإيمان، إلاّ واسم الكفر لازم له؛ لأن الكفر ضد الإيمان؛ إلاّ أنّ الكفر كفران: كفر هو جحد بالله وبما قال -فذاك ضده الإقرار بالله والتصديق به وبما قال، وكفر هو عمل فهو ضد الإيمان الذي هو عمل».

في حين نظر ابن القيم -رحمه الله- إلى هذا التقسيم من وجه آخر؛ فقال:

«وها هنا أصل آخر، وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد، فكفر الجحود: أن يكفر بما علم أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضادُّ الإيمان من كل وجه.

وأما كفر العمل، فينقسم إلى ما يضاد الإيمان، وإلى ما لا يضاده،

فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان. وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة، فهو من الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن يُنفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله -ﷺ- ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد»[1].

(١) «الصلاة، وحكم تاركها» ص (٥٥).

فشيخ الإسلام -من هذا الوجه من التقسيم- جعل الكفر نوعين:

- كفر اعتقادي[1].

- وكفر عملي.

أما ابن القيم، فقد جعل الكفر نوعين، ولكن جعل الكفر العملي على ضربين:

- كفر عملي منافي لأصل الإيمان[2].

- كفر عملي لا يضاد الإيمان، بل ينقصه.

الوجه الثالث: تقسيم الكفر بالنظر إلى الأحكام المتعلقة به:

ومدار هذا التقسيم على الكلام في الأحكام الدنيوية، أو الأخروية، وهو نوعان:

النوع الأول: كفر ظاهر بالنظر إلى أحكام الكفر في الدنيا.

النوع الثاني: كفر باطن بالنظر إلى أحكام الكفر في الآخرة.

وهذا التقسيم للكفر بالنظر إلى ثبوت أحكامه، لا بالنظر إلى وجوده: فلا يستلزم ثبوت أحدهما من جهة الأحكام بثبوت الآخر؛ بخلاف وجود الكفر القلبي الباطن، والكفر العملي الظاهر؛ فبينهما تلازم ومناسبة، وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم[2].

وإذا علم أن ثبوت أحد النوعين لا يستلزم ثبوت الأمر من جهة الأحكام الظاهرة والباطنة، زال الاشتباه في كثير من مسائل العذر بالجهل، وإقامة الحجة الرسالية على الناس، ونحو ذلك من المسائل والافتراضات الفقهية، وغالب تطبيقات الفقهاء لهذا التقسيم في مسألتين:

(**إحداهما**): إجراء أحكام الإسلام في الظاهر على المنافقين؛ كما قال شيخ الإسلام -رحمه

---

(١) الأعمال الكفريّة؛ كالسّب، وإهانة المصحف، ونحوها، تدخل في نوع الكفر الاعتقادي عند شيخ الإسلام، على اعتبار أنها أفعال مستلزمة لكفر الباطن ودليل عليه؛ في حين تدخل على تقسيم ابن القيم في الضرب الأول من تقسيمه، والمسألة لفظية.

(٢) من الأمور المستكرهة -في هذا الباب- أن يجعل البعض التلازم بين الظاهر والباطن عكس المطلوب، فيكون اللزوم -عندهم- بين الظاهر والباطن من جهة ثبوت أحكامه إلا من جهة وجوده وتحققه في القلب وظهوره على الجوارح.

الله- في «المجمـــــوع» (٧/ ٦٢٠-٦٢١):

«و(بالجملة) فأصل هذه المسائل أن تعلـم أن الكفر «نوعان»: كفر ظاهر، وكفر نفـاق، فإذا تكلم في أحكام الآخرة؛ كـان حكـم المنافق حكم الكفار، وأما في أحكام الدنيـا، فقد تجري على المنافقين أحكام المسلمين».

(المسألة الثانية): حكم أولاد الكفار ومـن كان يكتم إيمانه في بلاد الكفر:

قال ابن القيم في «أحكام أهل الذمـة» (٢/ ١٠٤٨): «ومنشأ الاشـتباه في هـذه المسألة، اشتباه أحكام الكفر في الدنيا بأحكام الكفر في الآخرة؛ فإن أولاد الكفار لما كانت تجري عليهم أحكام الكفر في أمور الدنيا مثل ثبوت الولاية عليهم لآبائهم، وحضانة آبائهم لهم، وتمكين آبائهم من تعليمهم وتأديبـهم، والموارثة بينهم وبين آبائهم، واسـترقاقهم إذا كان آباؤهم محاربين، وغـير ذلك؛ صـار بظن أنهم كفار في نفس الأمر، كالذي تكلـم بالكفر وأراده وعمل به»[1].

ونقل ابنُ القيم عن شيخه ابن تيمية -من موضع آخر- أنه قال: «وقد يكون في بـلاد الكفر من هو مؤمن في الباطن يكتم إيمانـه، فيقتله المسلمون ولا يصلون عليه، ويدخل في مقابر الكفار وتربة الكفار، وهو في الآخـرة من أهل الجنة، كما أن المنافقين تجري عليـهم في الدنيا أحكام المسلمين، وهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النـار، **فحكـم الـدار الآخرة، غير حكم دار الدنيا**»[2].

الوجه الرابع: تقسيم الناس بعد البعثة:

انقسم الناس بعد بعثـة النـبي ﷺ إلى مؤمنين، وكفار، ومنافقين، وكل قسم مـن هذه الأقسام الثلاثة، آخذ حكماً في دائـرة الأحكام الظاهرة، أو الباطنة -كما تقدم-.

قال شيخ الإسـلام -رحمـه الله- في «المجموع» (٢٨/ ٤٣٣): «... وذلك أنّ الله -تعالى- منذ بعث محمداً ﷺ، وأعزه بـالهجرة، والنصرة؛ صار الناس ثلاثة أقسام:

- قسماً مؤمنين، وهم الذيـن آمنـوا ظاهراً وباطناً.

(١) وهذا مما تلقاه ابن القيم من شيخه ابن تيمية بحرفه، انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ٣١٣) ط دار لكتب العلمية.

(٢) «أحكام أهل الذمة» (٢/ ١٠٥٢)، ط رمادي.

- وقسماً كفاراً، وهم الذين أظهروا الكفر به.

- وقسماً منافقين، وهم الذين آمنوا ظاهراً؛ لا باطناً..».

الوجه الخامس: تقسيم الكفر بالنظر إلى قيام الحجة الرسالية:

إنّ الله سبحانه -وتعالى -لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه كما قال -تعالى-: **﴿وما كنّا مُعذّبين حتّى نبعثَ رسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥]. وهذا في أحكام الثواب والعقاب، أما في أحكام الدنيا فالكلام في إقامة الحجة متوقف على الأحكام الظاهرة، واستصحاب الأصل فيها؛والذي يعنينا في مبحثنا؛ أن يقال:

إن الناس في الجملة منهم من لم يعرف ما جاء به الرسول ﷺ، و لم يتمكن من معرفته، ومنهم من عرف وتمكن ولكن أعرض أو عاند ولهذا الكفر أنواع ثلاثة من هذا الوجه:

- كفر الإعراض، ويستحق العذاب بسبب إعراضه عن الحجة الرسالية.

- كفر العناد، ويستحق العذاب -أيضاً- بسبب عناده للحجة.

- كفر الجهل، وهذا ليس عليه عذاب حتى تقوم عليه الحجة الرسالية.

قال ابن القيم -رحمه الله- في «طريق الهجرتين» (ص ٤١٤): «... أن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما : الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها، والعمل بها، وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها، وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد.

وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل».

الوجه السادس : الكفر بعضه أغلظ من بعض، والكفار فيه على طبقات:

ومن الكفر ما يكون مغلظاً، ومنه ما يكون دون ذلك، ومنه ما يجمع أكثر من نوع، وهكذا؛ ولهذا فإن العذاب يتضاعف بحسب غلظ الكفر -عياذاً بالله-: كما قال الله -تعالى- **﴿الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾** [النحل: ٨٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «المجموع» (٢٠/٨٧): «واعلم أنّ الكفر بعضه أغلظ من بعض، فالكافر المكذب أعظم جرماً من الكافر غير المكذب؛ فإنه جمع بين ترك الإيمان المأمور به وبين التكذيب المنهي عنه، ومن كفر وكذب وحارب الله ورسوله والمؤمنين بيده، أو لسانه أعظم جرماً ممن اقتصر على مجرد الكفر والتكذيب، ومن كفر، وقتل، وزنا، وسرق، وصدّ، وحارب كان أعظم جرماً».

وقد تكلم ابن القيم في طبقات الكفار[1]، وجعلها ثلاث طبقات، وهي:

(الطبقة الأولى) : طبقة الزنادقة.

(الطبقة الثانية) : طبقة رؤساء الكفر وأئمته.

(الطبقة الثالثة): طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم.

في حين جعل ابن القيم غلظ الكفر وشدّته يرجع إلى ثلاثة أوجه، فقال: «وغلظ الكفر الموجب لغلظ العذاب يكون من ثلاثة أوجه:

(أحدها): من حيث العقيدة الكافرة في نفسها، كمن جحد رب العالمين بالكلية وعطل العالم عن الرب الخالق المدبر له، فلم يؤمن بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا اليوم الآخر.

ولهذا لا يقر أرباب هذا الكفر بالجزية عند كثير من العلماء، ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم اتفاقاً لتغليظ كفرهم، وهؤلاء هم المعطلة والدهرية وكثير من الفلاسفة وأهل الوحدة القائلين بأنه لا وجود للرب -سبحانه وتعالى- غير وجود هذا العالم.

(الجهة الثانية) :تغلظه بالعناد والضلال عمداً على بصيرة. ككفر من شهد قلبه أن الرسول حق لما رآه من آيات صدقه، وكفر عناداً وبغياً. كقوم ثمود، وقوم فرعون واليهود الذين عرفوا الرسول كما عرفوا أبناءهم، وكفر أبي جهل، وأمية بن أبي الصلت وأمثال هؤلاء.

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين» ص (٤٠٢-٤١٢). وهذه الطبقات تسلسلها يختلف في الكتاب، فقد ذكر ابن القيم عموم طبقات المكلفين.

(الجهة الثالثة): السعي في إطفـــاء نـــور الله وصد عباده عن دينه بما تصل إليه قدرتهـــم، فهؤلاء أشد الكفار عذابا بحســـب تغالـــظ كفرهم، ومنهم من يجمع في حقه الجـــهات الثلاث، ومنهم من يكون فيه جهتان منـها أو واحدة»[1].

الوجه السابع: تقسيم الكفر مـــن جهـــة الشيء المطلق، ومطلق الشيء:

وهذا التقسيم قدر جـــامع لأغلـــب الوجوه السابقة، والكلام فيه من جهتين:

(إحداهما): **الكفر المطلق**: ويطلق على الكفر الأكبر المخرج عن الملة، والموجب الخلود.

(الجهة الثانية): **مطلق الكفر**، وهو يطلـــق علـــى الأكـــبر، والأصغـــر، الاعتقـــادي والعملي....

ويقال في هذا البـــاب: إن ثبـــوت مطلق الكفر لا يستلزم ثبوت الكفر المطلـــق، دون العكس.

و-أيضاً- : الكفر المطلق نوع لمطلق الكفر، ومطلق الكفر جنس للأمر المطلق[2].

أي: التفريق بين الجنس من جهة، وبين أنواعه وأفراده من جهة أخرى.

ونصوص الوعيد وألفاظها وأسمائـــها في التكفير والتفسيق قد اشتملت على النوعين أو على أحدهما؛ فالعلم بأوجه الإطلاق والتقييـــد لفظاً ومعنىً، والفرق بـــين الاســـم المطلـــق ومطلق الاسم وما يتبع ذلك من معان بحسب موارد الاستعمال أمر ضروري للكشف عـــن جنس الكفر، وأنواعه، وأحكامه، واحترازاته، ونحو ذلك من مسائل الأسماء والأحكام.

والوقوف على استعمالات الاســـم في التعريف، أو التنكير، أو الإطلاق، أو التقييد؛ يفيد في هذا الباب:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمـــه الله- في «اقتضـــاء الصـــراط المســـتقيم» (١/٢١١-٢١٣): «لكن ليـــس كل من قـــام بـــه شعبة من شعب الكفر يصير كـــافراً الكفـــر المطلق، حتى تقوم به **حقيقة الكفر**؛ كما أنـــه ليس كل مـــن قام به شعبة من شعب الإيمان

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٤١٠).

(٢) انظر في الفرق بين الأمر المطلق ومطلق الأمر، في «بدائع الفوائد» لابن القيم (٤/١٤).

يصير مؤمناً، حتى يقوم به أصل الإيمان.

وفرقٌ بين **الكفر المعرّف باللام**؛ كما في قوله ﷺ: «ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك، إلاّ ترك الصلاة»[1]، -وبين كفر **مُنَكَّرٍ في الإثبات**.[2]

وفرق -أيضاً- بين معنى **الاسم المطلق**، إذا قيل: كافر، أو: مؤمن، وبين **المعنى المطلق** للاسم في جميع موارده؛ كما في قوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[3].

فقوله: «يضرب بعضكم رقاب بعض» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفاراً، تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر، ومؤمن» أ. هـ.

وحاصل الأمر: أن الكلام في تقسيم الكفر وأنواعه: لا بد أن يتنزل على أصول علمية، وضوابط شرعية، وهي:

١- لا يبنى على الإطلاقات إلا بعد تفسيرها، وإجرائها على مقتضى أصول الشرع وكلياته وثوابته.

٢- الوقوف على معاني الأسماء بحسب موارد استعمالها.

٣- معنى الاسم -في الإثبات والنفي- متوقف على الأحكام المتعلقة به.

٤- صحة الكلام في فروع الأشياء وتوابعها، متوقف على صحة أصولها.

٥- التفريق بين استعمال الاسم المخصوص؛ كسائر الأسماء الشرعية مثل الصلاة، والصيام -وبين الاسم المنقول من لغة العرب دون زيادة على قدره من جهة الشرع.

٦- الكلام في الأجناس والأنواع والأفراد ينبغي أن يكون في حدها الجامع من جهة، وفي الإطلاق أو التقيد ودلالتهما من جهة أخرى.

هذا ما تيسر بيانه -في هذه المسألة- والله -تعالى- وحده الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (رقم ٨٢). في كتاب «الإيمان» -باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة- وأبو داود (٤٦٧٨) في كتاب «السنة» -باب في رد الإرجاء-.

(٢) التعريف باللام يفيد العموم والشمول، في حيث إن النكرة في سياق الإثبات لا تفيد العموم إلاّ بقرينة.

(٣) البخاري (رقم ١٢١) كتاب (العلم) -باب الإنصات للعلماء- ومسلم (رقم ٦٥، ٦٦) كتاب «الإيمان».

الفتاوى

فتاوى اللجنة الدائمة

في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله

• برئاسة : سَماحَةِ العَلاَّمَةِ الشَّيْخِ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ بازٍ -رَحِمَهُ اللهُ-

- الفَتْوَى الأُولَى رَقْم (٥٢٢٦):

«س: مَتَى يَجُوزُ التَّكْفِيرُ؟ وَمَتَى لا يَجُوزُ؟ وَمَا نَوْعُ التَّكْفِيرِ المَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ -تَعالَى- : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾؟

ج: الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَبَعْدُ:

فَأَمَّا قَوْلُكَ: مَتَى يَجُوزُ التَّكْفِيرُ؟ ومَتَى لاَ يَجُوزُ؟

فَنَرَى أَنْ تُبَيِّنَ لَنَا الأُمُورَ الَّتِي أَشْكَلَتْ عَلَيْكَ حَتَّى نُبَيِّنَ لَكَ الحُكْمَ فِيهَا.

فَأَمَّا نَوْعُ التَّكْفِيرِ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ فَهُوَ كُفْرٌ أَكْبَرُ؛ قَالَ القُرْطُبِيُّ فِي «تَفْسِيرِه»: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- وَمُجَاهِدٌ يَرْحَمُهُ اللهُ: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ رَدًّا لِلْقُرْآنِ، وَجَحْداً لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَهُوَ كَافِرٌ. انْتَهَى.

وَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَاصٍ، لكِنْ حَمَلَهُ عَلَى الحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ مِنَ الرِّشْوَةِ، أَوْ غَيْرُ هَذَا، أَوْ عَدَاوَتُهُ لِلْمَحْكُومِ عَلَيْهِ، أَوْ قَرَابَتُهُ، أَوْ صَدَاقَتُهُ لِلْمَحْكُومِ لَهُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ: فَهَذَا لا يَكُونُ كُفْرُهُ أَكْبَرَ؛ بَلْ يَكُونُ عَاصِياً، وَقَدْ وَقَعَ فِي كُفْرٍ دون كفر، وَظُلْمٍ دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقٍ دُونَ فِسْقٍ».

- الفَتْوَى الثَّانيَةُ رَقْم (٥٧٤١):

«س: مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؛ هَلْ هُوَ مُسْلِمٌ؟ أَمْ كَافِرٌ كُفْراً أَكْبَرَ، وتُقْبَلُ مِنْهُ أَعْمَالُهُ؟

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ؛ وَبَعْدُ:

ج: قَالَ -تَعَالَى- : **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾**.

وقَالَ -تَعَالَى- : **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُلَئِكَ هُمُ الظالمون ﴾**.

وقَالَ -تَعَالَى- : **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾**، لَكِنْ إِن اسْتَحَلَّ ذَلِكَ، وَاعْتَقَدَهُ جَائِزاً: فَهُوَ كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَظُلْمٌ أَكْبَرُ، وَفِسْقٌ أَكْبَرُ يَخْرُجُ مِنَ المِلَّةِ، أَمَّا إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الرِّشْوَةِ، أَوْ مَقْصِدٍ آخَرَ، وَهُوَ (يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَ) ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ آثِمٌ؛ يُعْتَبَرُ كَافِراً كفراً أَصْغَرَ، وَظَالِماً ظلماً أَصْغَرَ، وَفَاسِقاً فسقاً أَصْغَرَ لاَ يُخْرِجُهُ مِنَ المِلَّةِ؛ كَمَا أَوْضَحَ ذَلِكَ أَهْلُ العِلْمِ فِي تَفْسِيرِ الآيَاتِ المَذْكُورَةِ.

وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ».

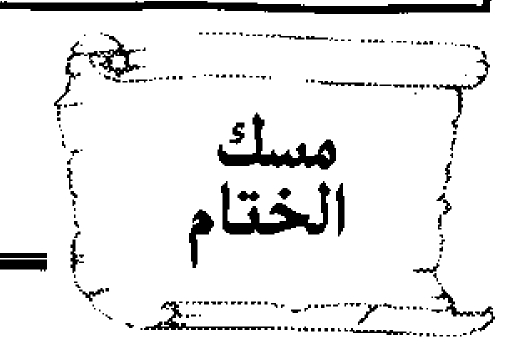
- الفَتْوَى الثَّالِثَةُ رَقْم (٦٣١٠):

«س: مَا حُكْمُ مَنْ يَتَحَاكَمُ إِلَى (القَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ)، وَهُوَ يَعْلَمُ بُطْلاَنَهَا، فَلاَ يُحَارِبُهَا، وَلاَ يَعْمَلُ عَلَى إِزَالَتِهَا؟

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ؛ وَبَعْدُ:

ج: الوَاجِبُ التَّحَاكُمُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ عِنْدَ الاخْتِلاَفِ، قَالَ -تَعَالَى-: **﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**، وقَالَ -تَعَالَى-: **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**.

وَالتَّحَاكُمُ يَكُونُ إِلَى كِتَابِ اللهِ -تَعَالَى-، وَإِلَى سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَإِنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ إِلَيْهِمَا (مُسْتَحِلاً) التَّحَاكُمَ إِلَى غَيْرِهِمَا مِنَ (القَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ) بِدَافِعِ طَمَعٍ فِي مَالٍ أَوْ مَنْصِبٍ؛ فَهُوَ مُرْتَكِبٌ مَعْصِيَةً، وَفَاسِقٌ فِسْقاً دُونَ فِسْقٍ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ دَائِرَةِ الإِيمَانِ».



شيخنا الألباني ومدرسته وورثته

بين الناصحين والقادحين

التحرير

لم ينج عَلَم الأمة وإمام أهل السنة من طعن الخصوم في حياته إما حسداً، وإما تعصباً مذهبياً أو حزبياً، أو حقداً؛ حملهم عليه ما يحملونه من عقائد زائغة ومناهج منحرفة.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه

فالقوم أعداء له وخصوم

لقد كان كثيرون من هؤلاء المجاهرين بالعداء أو المتظاهرين بالولاء لا يقدرون أن يسطروا حرفاً في الطعن على شيخنا الألباني ومدرسته في حياته؛ لأنهم يعلمون أنهم لو فعلوا ذلك لكانوا -حقاً- قد حفروا قبورهم بأيديهم؛ لأن رد الألباني عليهم سيكون ماحقاً ساحقاً بالحجة والبرهان؛ ذلكم الجهبذ الذي لقن حجته فما رد على خصم من أهل الأهواء وقامت له بعدها قائمة، ولذلك كانوا يخشون صولة الأسد في حياته، وها هم بعد وفاته يتهمونه بتهم شنيعة وألقاب فظيعة بلغه بعضها في آخر حياته؛ فحوقل؛ واسترجع من تطاول السفهاء أحفاد أهل حروراء الذين ملأ شرهم كل ناد وتطاير شررهم في كل واد، حتى أحدثوا في كل قطر فتنة، بل فتناً مدلهمة.

ولقد قيض الله لهذا العلم الهمام بعد وفاته من يذب عنه من إخوانه العلماء أمثال فقيه العصر والأوان محمد الصالح العثيمين -حفظه الله، وعافاه- الذي قال

فيه رداً على من اتهم شيخنا الألباني بالإرجاء: «**الذين يريدون أن يكفروا الناس يقولون عن الشيخ الألباني وعن أمثاله، إنهم مرجئة، فهو من باب التلقيب بألقاب السوء، وأنا أشهد للشيخ الألباني رحمه الله بالاستقامة وسلامة المعتقد وحسن المقصد**».

فجزى الله شيخنا فقيه العصر ابن العثيمين عن الألباني وعن مدرسته وإخوانه وتلامذته وكل سلفي خير الجزاء. فهذا هو موقف حق وصدق دعاه إليه غيرته على عقيدة شيخنا الإمام وأسد السنة الهمام من أن تُنال ممن ركبوا الموجة، ونعقوا بالباطل، ومالوا مع كل ريح.

والآن سهام الباطل المسمومة وحملات الكيد المحمومة توجه إلى مدرسته وورثته عموماً وإلى مجلة الأصالة وأسرة تحريرها خصوصاً،

ولكننا وبتوفيق من الله ثم بوقوف علمائنا الأجلاء معنا، وذبهم عنا ثم باجتماع كلمة تلاميذ الألباني على الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين ستكون العاقبة للمتقين وسيبوء دعاة الفتنة بإثمهم وسيبقى الألباني ومدرسته أئمة هدى بإذن الله أحياءً وأمواتاً ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾.

الأصالة

عودَة إلى الكتابِ والسُنَّة بفهم سَلَف الأمَة

رسالـةٌ إسلاميَّـةٌ مَنهَجِيَّـةٌ جامِعَـةٌ

العـددُ الثالث

١٥ شعبان ١٤١٣ هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

تصدرُ هذه الرسالة

جمعية النور والإيمان الخيرية الإسلامية

علم وخبر ١٣٠/أد

ص.ب : ١٣/٦٠٠٦ شوران

بيروت - لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمدُهُ وَنَستعينُهُ ونَستَغفِرُهُ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ مِنهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بِهِ والأرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

المحتوى

رمضانيَّات :

فاتحةُ القول ..

صُعوبةُ البداياتِ ...

التحرير

قيلَ قديماً : (مَن لم تكُن بدايتُه شديدة، ما كانت لهايتُهُ سعيدة)؛ بمعنى أنَّ كُلَّ بدايةٍ لا بُدَّ فيها من صعوباتٍ تُواجهُ أصحابَها، وحواجزَ تُعَكِّرُ صَفوَ طريقِهم، وإشكالاتٍ تَعترضُ مسيرَهم .. ممّا يجعلُ تلك البدايةَ شديدةً على أُولئك الأصحاب ... يُرهقُهم الخُروجُ منها والبُعدُ عنها ...

... وهكذا نحنُ في رسالتِنا المباركةِ هذه - إن شاءَ اللّه - (الأصالة)، تُواجهُ صُعوباتٍ عدَّةً في هذه الأعدادِ الأُوَلِ منها، نستوزِعُ مِن اللّه سبحانه القُدرةَ على التخلُّص منها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

وَبَعدَ اللّهِ - سبحانه -، يَهُمُّنا جدّاً وقوفُ إخوانِنا المُسلمين مَعنا؛ احتمالاً، وصبراً، وتوجيهاً، ومشاركةً؛ لأنَّ (الأصالة) - بأصالةِ منهجِها - ليست حِكراً على أحدٍ بعينِه، وليست مُوجَّهةً نحوَ أحدٍ بذاتِه ...

وهُناك أمورٌ - ضمنَ تلك الصعوبات - خارجةٌ عن طَوقِ قُدرتنا واستطاعتنا؛ كمثلِ تأخُّر عددٍ من (الأصالة) عن مَوعدِ صدورِهِ المحدَّد له؛ كما حصلَ في العدد السّابق ... وهذا أمرٌ لا يُرضينا البتَّة ... بل يشُقُّ على نفوسنا ..

علماً أنَّ ذاك العدد قد صَدَر - تقريباً - في موعده ... لكنَّه وَصَلَ إلى يَدِ القارىء مُتأخِّراً بسببِ ظروفِ الشَّحن والتَّوزيع ... و ...

ولكنَّ سلوى نفوسِنا المُذهِبةَ عنّا أسى التَّقصير، أنَّ (الأصالة) ليست رسالةً إخباريةً (جرائديَّةً ترتبطُ بزمنٍ معيَّنٍ، أو تتَّصل بوقتٍ محدَّدٍ ... إنَّما هي رسالةٌ منهجيَّةٌ علميَّةٌ دَعَويَّةٌ تشملُ الزَّمَن كلَّه وتَسَعُ - بِمِنَّةِ اللّه - الدَّهرَ جميعَه .

ونحنُ نعلمُ - قبلَ ذلك كلِّه - أنَّ العدَدَ الأوَّلَ من هذه (الأصالة) - أيضاً - لم يَصِل إلى نسبةٍ كبيرةٍ من القُرّاء، حتى إنَّ الكثيرَ من إخوانِنا - في عددٍ من البلاد - لم يَقرأهُ إلّا مُصَوَّراً !!

وهذا - أيضاً - لظروفٍ (خاصَّةٍ) خارجةٍ عن طَوْقِنا، وبعيدةٍ عن يَدِنا !!

ونحنُ إذْ نتكلّم بهذا الكلامِ في هذا المقام ... لا نُرِيدُ - به - أن يَغُضَّ إخوانُنا المسلمون السُّنِّيُّون - طلّابُ العلمِ - النَّظرَ عن أخطائنا أو زلّاتِنا ... لا ... ولكنّنا نُريدُ منهم - وفّقهم المولى - الصَّبرَ علينا، واحتمالَ بعضِ ألوانِ التّقصير التي قد تبدُرُ منّا !! مع استمرارِ مدِّ جُسورِ التّعاونِ الوَدودِ، والتّواصلِ الحبيبِ؛ القائمِ على النُّصحِ والتّقويمِ، والنّقدِ والتّوجيه .

ولو أنَّ إخوانَنا القُرّاء يعلمون - حقيقةً - المراحلَ التي تسبقُ صُدورَ (**الأصالة**) ووصولَها إليهم؛ - مِن إعدادٍ، وتنضيدٍ، وإخراجٍ، وتصحيحٍ، وطباعةٍ، ومتابعةٍ - والجُهدَ المبذولَ في ذلك كلِّه - ضمنَ **قُدُراتِنا المحدودةِ ... وإمكانيّاتِنا المعدودةِ** - لأطالوا النَّفَسَ في احتمالِ إخوانِهم، والصَّبرِ على ما قَد يظهر - منهم - أنّه تقصيرٌ أو نوعُ تقصيرٍ ...

ولكنْ ... إلى الله المُشتكى ...

وها هُنا أمرٌ مهمٌّ لا بدَّ من ذِكرِه والتّنبيهِ عليه؛ وهو التّذكيرُ بأنْ لا يَستَبِقَ أحدٌ مِن قرّائنا الزَّمَنَ، قافزاً فوقَ (صعوبة البدايات)، ناسياً التّدرُّجَ الطَّبيعيَّ لسائر الشؤون والأُمور ... مُصْدِراً أحكاماً تَنتُجُ عن **تسرُّعٍ في النّظر، واستعجالٍ في التصوُّر** ..

والمأمولُ من الإخوة الأحبّة - الّذينَ أفرَحَتْنا جدّاً بَهجَتُهُم بصدور (**الأصالة**)، وأسعدَتْنا كثيراً رغبتُهم باستمراريّة العطاء فيها - أنْ يَضَعوا هذه اللّفتاتِ المشارَ إليها نُصبَ أعينهم، وأنْ لا تغيبَ عنهم .. **والمؤمنُ قويٌّ بأخيهِ** ..

● **إخوانَنا الأحِبّة :**

ما أنْ يَصِلَ إلى أيديكم هذا العَددُ مِن (**الأصالة**) - إنْ شاءَ اللّهُ - إلّا ويكونُ شهرُ رمضانَ المباركُ قد بَدَت أنوارُه، وهلَّ هِلالُه ... لذا؛ فإنَّ إخوانكم في (**الأصالة**) قد أفرَدوا في هذا العَددِ - على كثرةِ مواضيعِهِ وأبحاثِهِ - مُلحقاً خاصّاً - داخِلَها - يبحثُ في طَرَفٍ من مُهِمّات الصِّيام، وجوانبَ مِن أحكامِهِ وآدابِهِ ...

وختاماً - إخواننا في اللّه - : لعلَّ فيما سَطَرناه إجابةً على (هَمهَماتٍ) تَلجلَجَتْ فيها ألسنةُ بعضِ الأصحاب، أو (كَبَتَتْها) صُدورُ بعضِ الأحباب ...

ونحنُ - كمثلِكُم - عُرضةٌ للخطإِ والصَّواب ... واللّهُ المُوَفِّق .



﴿ ... أُولَـئِكَ لَـهُـمُ الأَمْـنُ وَهُـم مُـهْـتَـدُونَ ﴾

علي بن حسن

كثيرٌ مِن النَّاسِ - اليومَ - يعيشونَ صُوَراً مِن الرُّعبِ، والخوفِ ... والإرهابِ ... والتَّرقُّب ... ولا يعرِفونَ (سبباً) **ظاهراً** لذلك كلِّه، إنَّما هو شعورٌ داخليٌّ يُراوِدُهم، سواءٌ في طريقهم وسلوكهم، أم في بيوتهم و (بُروجهم)، أم في حياتهم وَرَواحِهم ومجيئهم !!

ولو نظرَ هؤلاء نظرةً عُلويَّةً فاحصةً ... لَعَلِموا أنَّ السَّبب الرَّئيسَ في بُعدهم عن الأمنِ ... وإغراقهم في نقيضهِ هو : تَنَكُّبُهُم سبيلَ الهداية، وتجنُّبهم طريقَ الالتزامِ بأحكامِ اللَّهِ جلَّ شأنه :

يقولُ اللَّهُ سبحانه : ﴿ الَّذينَ آمَنوا وَلَم يَلْبِسُوا إيمانَهُم بِظُلمٍ **أولئكَ لهمُ الأمنُ وهُم مُهتَدونَ** ﴾ .

فالأمنُ ... والهدايةُ ... قرينانِ ... لا يفترقانِ ... إذا زالَ أحدُهما زالَ الآخرُ ... بل إذا رقَّ أحدُهما رقَّ الآخَرُ .

فالأمنُ الحقيقيُّ ... ليسَ بكثرةِ الجيوشِ والعساكر ... وليس بوَفرةِ الحَرَس والسِّلاح ... إنَّما هو الأمنُ المنبعثُ مِن الرُّوح المطمئنَّة التي رضيت باللَّهِ ربّاً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيّاً ورَسولاً .

فالأمنُ الحقيقيُّ - إذَن - هو « الأمنُ مِن المخاوِف، والعذابِ، والشَّقاءِ، والهدايةُ إلى الصراطِ المستقيم .

فإنْ كانوا لم يَلبِسوا إيمانَهم بظلمٍ مُطلقاً؛ لا بشركٍ ولا بمعاصٍ : حَصَلَ لهم الأمنُ التّامُ، والهدايةُ التّامّةُ .

وإنْ كانوا لم يَلبِسوا إيمانَهم بالشرك وحدَه، لكنّهم يعملون السّيئات، حصلَ لهم أصلُ الهدايةِ، وأصلُ الأمنِ، وإنْ لم يَحصُل لهم كمالُهُما .

ومفهومُ الآيةِ الكريمةِ أنَّ الذينَ لم يَحصُل لهم الأمران، لم يَحصُل لهم هدايةٌ، ولا أمنٌ، بل حظُّهم الضَّلالُ والشَّقاءُ »[1].

وهذه الآيةُ العظيمةُ تُبيِّنُ لنا الفهمَ الواقعيَّ لقوله جلَّ وعلا : ﴿ سَنُلقي في قلوبِ الَّذينَ كَفَروا **الرُّعبَ** بما أشرَكُوا باللّهِ ما لم يُنزِّل به سُلطاناً ... ﴾ .

هذا في الدُّنيا، ولو كانت لهم البُروجُ المُشيَّدةُ، والقِلاعُ المُحصَّنة، والأسلحة، والجُندُ، والهَيمنة ، والجَبَروت ...

وأمّا في الآخرة : ﴿ ... وَمَأْواهُمُ النّارُ وبِئسَ مَثوى الظَّالمين ﴾ .

و**الوَعدُ الحقُّ**[2] مِن الإله الحقِّ لأهلِ التزامِ الحقِّ بالأمنِ الحقِّ :

﴿ وَعَدَ اللّهُ الَّذينَ آمَنوا مِنكُم وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ لَيستَخلِفَنَّهُم في الأرضِ كما استَخلَفَ الَّذينَ مِن قَبلِهم وَلَيُمَكِّنَنَّ لهُم دينَهمُ الَّذي ارتَضى لهم وَلَيُبَدِّلَنَّهم مِن بَعدِ خَوفِهم **أَمْناً** يَعبُدونَني لا يُشرِكونَ بي شيئاً ﴾ ...

... ﴿ فَأَيُّ الفَريقَينِ أحقُّ **بالأَمنِ** إنْ كُنتُم تَعلَمُون ﴾ :

أهلُ الهدايةِ واليَقين ...

أم أهلُ الفسادِ وأولياءُ المشركين !؟

أم أذنابهُم مِن المُتأكّلين وأشباهِ المُنافقين !؟

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (٤٢٦/٢) .

(٢) وفي رسالتي « وَعد التَّمكين بين يقين المؤمنين وكَيد الكافرين » تفصيلٌ موسَّعٌ حولَ هذه القضيّة .

اشـتـداد الـفِـتَـن عـلـى مـرِّ الـزَّمـن

مشهور بن حسن

إنَّ قضيَّة الفِتَن التي تُصيبُ المُؤمنَ ويُبتَلى بها، قضيَّةٌ مهمَّةٌ جدّاً، ذاتُ فروعٍ مُتشعِّبةٍ أخذت نصيباً وافراً مِن نُصوص الكتاب والسُّنَّة؛ تنبيهاً للمؤمنين، وتثبيتاً لقلوبهم .

ومن فُروعِ هذه القضيَّة الجليلة البيانُ النَّبويُّ، والتحذيرُ المحمَّديُّ؛ مِن أنَّ الفِتَن تَشتدُّ وتَمتدُّ على مُرورِ الزَّمن .

وفي ذلك أحاديثُ عِدَّةٌ؛ منها :

● عن عبدالرَّحمن بن عبد ربِّ الكعبة قال : قال عبدالله بن عمرو بن العاص : قال : قال رسول الله ﷺ :

« إنَّهُ لم يكُن نبيٌّ قبلي إلَّا كانَ حقّاً عليه أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خيرِ ما يعلمُهُ لهم، ويُنذِرَهُم شرَّ ما يعلمُهُ لهم، وإنَّ أُمَّتَكُم هذه جُعِلَ عافيَتُها في أوَّلها، وسيُصيبُ آخِرَها بلاءٌ وأمورٌ تُنكرونَها، وتجيء فتنةٌ فَيُرَقِّقُ بعضُها بعضاً، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمنُ : هذه مُهلِكَتي، ثم تنكشفُ وتجيءُ الفتنةُ فيقول المؤمن : هذه هذه، فمنْ أحبَّ أن يُزَحزَحَ عن النَّار، ويدخل الجنَّة فلتأته منيَّتهُ وهو يُؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى النَّاس الذي يحبُّ أنْ يؤتى إليه، ومن بايعَ إماماً فأعطاهُ صفقَةَ يَده وثمرة قلبه، فليُطِعهُ إنْ استطاعَ، فإنْ جاءَ آخَرُ يُنازعهُ فاضرِبوا عُنُقَ الآخر » .

فدنا عبدالرَّحمن (راوي الحديث عن الصحابي) من عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (صحابي الحديث) فقال : أنشدك الله آنت سمعتَ هذا من رسول الله

ﷺ ؟ فأهوى عبدالله رضيَ الله عنه إلى أُذنيه وقلبه بيديه وقال : (سَمِعَتْهُ أُذناي ووعاه قلبي)[1].

نستفيدُ من هذا الحديث :

□ اشتداد الفتن على مرّ الزّمن، وهو مأخوذٌ من قوله ﷺ : « وإنَّ أُمَّتكُم هذه جعلَ عافيتها في أوَّلها وسيصيبُ آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنة فَيُرَقِّقُ بعضها بعضاً » أي : يصيِّر بعضها بعضاً رقيقاً، أي : خفيفاً لعظم ما بعده، فالثّاني يجعل الأوَّل رقيقاً، وهكذا .

□ ونستفيد مِن استحلاف عبدالرّحمن بن عبد ربّ الكعبة لعبدالله بن عمرو : حِرْصَ السَّلف - رضوان الله عليهم - على التثبّت في رواية أحاديث رسول الله ﷺ، وحرصَهم أيضاً على التثبُّت من تلقّي الأخبار، وعدم تكبُّرهم وأَنَفَتِهِم على مَن يطلب منهم ذلك .

● وعن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحَجَّاج، فقال : اِصبِروا، فإنّه لا يأتي عليكم زمان إلّا والذي بعده أشرُّ منهُ حتى تلقوا ربَّكم، سمعته من نبيِّكُم ﷺ [2].

وقد استشكل هذا الإطلاقُ على بعض النّاس، وذلك أنَّ بعض الأزمنة تكون في الشّر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلّا زمن عمر بن عبدالعزيز - وهو بعد زمن الحجاج بيسير - لكفى؛ وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبدالعزيز .

وقد حمل الحسن البصريُّ الحديثَ على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن

---

(١) « صحيح مسلم » - كتاب الإمارة - (١٢ / ٢٣٢ - ٢٣٤ - بشرح النووي) .

(٢) « صحيح البخاري » - كتاب الفتن - مع « فتح الباري » (١٣ / ١٩ - ٢٠) .

عبدالعزيز بعد الحجاج فقال : **لا بدَّ للنّاس من تنفيس** .

وأجاب بعضهم : أنَّ المرادُ بالتّفضيل تفضيلُ مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثيرٌ من الصحابة من الأحياء، وفي عصر عمر بن عبدالعزيز انقرضوا، والزّمان الذي فيه الصّحابة خيرٌ من الزّمان الذي بعدَه لقوله ﷺ : « خير الناس قرني »[١] .

وقال الحافظ ابن حجر : ثم وجدت عن عبدالله بن مسعود التّصريحَ بالمراد - وهو أولى بالاتّباع -، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال : سمعت عبدالله بن مسعود يقول : « لا يأتي عليكم يوم إلّا وهو شرٌ مِنَ اليومِ الذي كان قبله حتى تقوم السّاعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلّا وهو أقلُّ علماً مِن اليوم الذي مَضىٰ قبله، **فإذا ذهب العلماء** استوى النّاس، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون » .

واستشكلوا أيضاً زمان عيسى ابن مريم بعد زمان الدجّال، فقال الحافظ ابن حجر : ويُحتمل أن يكون المراد بالأزمنة؛ ما قبل وجود العلامات العِظام كالدجّال وما بعده، فيكون المراد بالأزمنة المتفاضلة في الشّرّ في زمن الحجّاج فما بعده إلى زمن الدجّال، وأمّا زمن عيسى عليه السّلام فله حكم مستأنف، والله أعلم .

ويُحتمل أن يكون المرادُ بالأزمنةِ المذكورةِ أزمنةَ الصحابةِ، بناءً على أنّهم هم المُخاطَبون بذلك، فيختص بهم، لكن الصحابي رضي الله عنه فَهِمَ التّعميم، فلذلك أجاب من شكى إليه الحجّاج بذلك وأمرهم بالصّبر[٢].

---

(١) متفق عليه .

(٢) « فتح الباري » (م:١٣ ص:٢١) مع حذف بعض العبارات وزيادة اليسير عليها .

البلاء بين الدَّفع والاستدعاء

عبدالله الصَّالح العُبَيلان

تَتميماً لوجوهِ الأدلَّةِ في وجوبِ دَفْعِ المؤمنِ الأذى عن نفسِهِ، بدفع مُقدِّماته وما يَجلبُهُ، أقولُ :

خامساً : ثبت في « الصحيحين » من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس خطيباً، قال : « أيها الناس لا تتمنَّوا لقاء العدوّ وسَلوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا ... » الحديث .

قال الحافظ ابنُ حجر : قال ابن بطَّال : حِكمة النَّهي أنَّ المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقد قال الصدِّيق : « لأن أُعافى فأشكر أحبّ إليَّ من أن أُبتلى فأصبر »، وقال غيره : إنَّما نهى عن تمنِّي لقاء العدوّ لما فيه من صورة الإعجاب والاتّكال على النفوس والوثوق بالقوّة وقلّة الاهتمام بالعدوّ، وكل ذلك يُباين الاحتياط والأخذ بالحزم، وقيل : يُحمل النهي على ما إذا وقع الشكُّ في المصلحة أو حصولُ الضرر، وإلّا فالقتال فضيلة وطاعة، ويؤيِّد الأوَّلَ تعقيبُ النَّهي بقوله : « ... وسَلوا الله العافية » .

وأخرج سعيد بن منصور من طريق يحيى بن أبي كثير مرسلاً : « لا تمنَّوا لقاء العدوّ فإنَّكم لا تدرون عسى أن تُبتلَوْا بهم » .

وقال ابنُ دقيق العيد : لمّا كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس وكانت الأُمور الغائبة ليست كالأُمور المحقَّقة لم يُؤمَن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي، فيكره التمني لذلك، ولما فيه - لو وقع - من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه ثم أمر بالصَّبر عند وقوع

الحقيقة[1]. ا.هـ

سادساً : قال تعالى : ﴿ وكفى اللَّهُ المؤمنين القتالَ ﴾ وهذا يدلُّ بأن عدم احتياج المؤمنين للقتال - لكفاية الله تعالى - يُعتبر من نعمة الله على المؤمنين، والقتال فيه أذى ونَصَبٌ وألم، فلو كان تعريض المسلم نفسه للابتلاء والأذى مطلوباً لذاته لما كان عدم الاحتياج إليه مما يَمُنُّ اللَّهُ به على المؤمنين .

سابعاً : إيذاء أهل الباطل للمؤمنين غير مطلوب قطعاً، بل هو من سيئات أهل الباطل، لأنَّه إيذاء لأهل الحق؛ فكيف يسوغ تسليم المسلم نفسه للمبطل يؤذيه ويُهينه ويذله !؟ ألا يكون في هذا التسليم إعانة على وقوع ما يسخط الله تعالى، وإلقاءٌ للنَّفس في التَّهلكة والمهانة والذلَّة ؟ وكل هذا لا يجوز .

ثامناً : أذنَ الله للمكره أن يقول كلمة الكفر تخليصاً لنفسه من الأذى والتَّلف، وهذا يدل على إباحة دفع الأذى، وأنَّ للمسلم أن لا يساعد على وقوعه عليه .

تاسعاً : قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : ومن مناقب عبدالله بن حذافة ما أخرجه البيهقي، من طريق ضرار بن عمرو، عن أبي رافع قال : وجَّه عمر جيشاً إلى الرّوم وفيهم عبدالله ابن حذافة السَّهمي فأسروه فقال له ملك الروم : تنصَّر أشركْك في مُلكي فأبى، فأمر به فصلب، وأمر برميه بالسهام فلم يجزع، فأُنزل، وأمر بِقِدرٍ فصب فيها الماء وأغلي عليه وأمر بإلقاء أسيرٍ فيها فإذا عظامُهُ تلوح، فأمر بإلقائه إن لم يتنصَّر، فلما ذهبوا به بكى، قال : رُدُّوه، فقال : لِمَ بكيت ؟ قال : تمنَّيت أنَّ لي مئة نفس تلقى هكذا في الله، فعجب، فقال : قَبِّل رأسي وأنا أُخلي عنك، فقال : وعن جميع أسارى المسلمين، قال : نعم، فقبّل رأسه فخلّى بينهم، فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبل رأسه .

وأخرج ابن عساكر لهذه القصَّة شاهداً من حديث ابن عباس موصولاً، وآخر من « فوائد

---

(1) « فتح الباري » (٦/١٥٦،١٥٧) .

هشام بن عثمان » من مرسل الزهري[1]. أ.هـ.

عاشراً : هاجر المسلمون من مكة إلى الحبشة فراراً بدينهم وتخلُّصاً من أذى قريش، فدل ذلك على جواز دفع البلاء والأذى وعدم الاستسلام له بحجَّة تحمُّل الأذى في سبيل الإسلام، لأنَّ نفس المسلم ليست مُلْكَه وإنَّما هي مُلْكٌ لله، فلا يجوز إتلافها بلا فائدة تعود إلى الإسلام، وليس من الفائدة أن يقولَ النَّاسُ : ما أثبتَ هذا الدَّاعي ! وأجرأه على تحمل الأذى في سبيل الله ! بل قد يكون تحمُّلُ الأذى بهذا الدافع ولهذا العِوَضِ رياءً وطلباً للسمعة والجاه عند النَّاس، وهذا لا يجوز وهو مُحبِطٌ للعمل .

الحادية عشرة : أنَّ رسول الله ﷺ لم ير بأساً من عون عمِّه أبي طالب - وكان على دين قومهِ - في دفع ما يستطيعه من أذى قريش عنه، لأنَّه لم يكن في عشيرته وأعمامه حامٍ له ولا ذابٌّ عنه غيره .

ووجه الدلالة في هذا الخبر أنَّ رسول الله ﷺ رضي بحماية عمه أبي طالب له ودفعه الأذى عنه، فدل ذلك على جواز دفع البلاء والأذى عن الدَّاعي ولو عن طريق حماية المشرك، وعدم استحباب تسليم المسلم نفسه لأهل الباطل .

وكذلك فعل أصحاب رسول الله الذين هاجروا إلى الحبشة فعندما رجعوا إلى مكَّة لم يدخل منهم أحدٌ إلَّا بِجِوَارٍ أو مُتخفياً .

ويجب أن يُعلم هنا أنَّ الداعي المسلم في رغبته وسعيه لدفع الأذى عن نفسه إنَّما يقصد التمكين وإيجاد الجوّ المناسب لدعوته إلى الله؛ يُوضح ذلك ما صَحَّ أنَّ رسول الله ﷺ كان يخرج إلى القبائل أيَّام المواسم ويدعوهم إلى الإسلام ويقول : « مَن رجل يحملُني إلى قومه فيمنعني حتى أبلِّغ رسالة ربِّي، فإن قريشاً قد منعوني أن أُبلغ رسالة ربِّي »[2].

(١) « الإصابة » (٦/٥٦) لابن حجر .

(٢) رواه الترمذي (٢٩٢٥)، وأبو داود (٣٧٣٤)، وابن ماجه (٢٠١)، وأحمد (٣/٣٩٠) عن جابر، بسندٍ صحيح .

الثانية عشرة : قال الإمامُ ابن القيم رحمه الله في « أعلام الموقعين » (٣/١٥٠) : وأنّه تعالى نهى المؤمنين في مكّة عن الانتصار باليد، وأمرهم بالعفو والصَّفح، لئلّا يكونَ انتصارُهم ذريعةً إلى وقوع ما هو أعظمُ مفسدةً من مفسدةِ الإغضاءِ واحتمال الضَّيم، ومصلحةُ حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحةٌ على مصلحة الانتصار والمقابلة . أ.هـ.

خلاصة القول في استدعاء البلاء ودفعه :

ومن هذا العرضِ الذي قدّمته والنصوصِ التي ذكرتُها من القرآن الكريم والسنّة الشريفة، والشوابق القديمة في سيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام - وهم أفقه المسلمين بشريعة الإسلام - يتبيَّن لنا بكل وضوح ما يأتي :

أولاً : الأذى أو الضّرر الذي يلحق الدّاعي المسلم هو بمنزلة الأمراض والمصائب الذي تنزل على الإنسان، فكما أنّه لا يرغب فيها ولا يريد إيقاعها على نفسه ولا يقدح ذلك في إيمانه؛ فكذلك لا يَقْدَحُ في إيمانه عدمُ محبّته ولا رغبته في وقوعِ أذى أهل الباطل عليه، وعدم استدعاء الضّرر على نفسه .

ثانياً : أنَّ احتمال وقوع الأذى والضّرر به لا يقعد به عن دعوته إلى الله، ولكن الداعي لا يستدعي الأذى لنفسه بل يعمل على عدم وقوعه، وإذا وقع عمل على دفعه بكل وسيلة مشروعة في ضوء ما جاء في القرآن والسنّة .

ثالثاً : إذا وقع الضّرر والأذى على الداعية المسلم بالرغم من التزامه بالسير المشروع في الدعوة إلى الله تعالى فعليه أن يستعين بالله ويصبر ويحتسب، ويصبر الصّبر الجميل، وليعلم أنَّ الأمور كلها بيد الله تعالى، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله .

وفي الختام، اللهَ أسألُ أن يصلح أحوال المسلمين وأن يرزقهم الفقه في دينه والسّير على نهج نبيّه ﷺ وصحابته الكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

اتِّبـاعُ السُّبُلِ

محمد بن موسى بن نصر

لقد أرسلَ اللّه نبيّه وصفيّه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحقّ ليُظهرَهُ على الدِّين كلِّه، فأرسلَهُ للنّاس كافَّة بشيراً ونَذيراً، فأقامَ الحُجّة وأظهرَ المحجّة؛ ليهلك مَن هلكَ عن بيّنة، ويحيى من حَيّ عن بيّنة، وترك الأُمّة على بيضاء نقيّة ليلُها كنهارِها، لا يَزيغُ عنها إلّا هالك، ولا يتنكّبُها إلّا ضال، فلم يترك الأُمّة سبهللاً تتخبّط خَبطَ عَشواء لا تدري الحقَّ مِن الباطل ولا الظُّلمات مِن النُّور، بل رسمَ لها السَّبيلَ ووضَّحَ لها الصِّراطَ المستقيم كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هذا صِراطِي مُستقيماً فاتَّبِعوهُ ولا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فتفرَّقَ بكُم عَن سبيلِهِ ذلكُم وصَّاكُم بِهِ لعلَّكم تتَّقون ﴾ .

ولذلك - وتوضيحاً عمليّاً لهذا المنهج وهذا السبيل - خطَّ رسول اللّه ﷺ خطّاً مستقيماً، وخطَّ خطوطاً عن اليمين وعن الشمال، ثم تلا قول اللّه : ﴿ وأَنَّ هذا صِراطي مُستقيماً ... ﴾ ثم وضعَ يده على الخط الأوسط المستقيم وقال : « هذا سبيل اللّه، **وهذه سُبل**، على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه »[1].

فسبيل اللّه واحد لا يتعدَّد، وسُبل شياطين الإنس والجان كثيرة متنوعة؛ تلتقي جميعاً وتَصُبُّ في مستنقعٍ واحدٍ وإن تعدَّدت أشكالها وألوانها ويافطاتها، فالكفر ملّة واحدة مهما تلون وتشكل ولبس مُسوح الضأن، ولما ذكر اللّهُ النّورَ - الذي هو رمز الحق - أفرده ووحّده، ولما ذكر الظلمات - التي هي رمز الشر وشعاره - جمعه، ألم تسمعوا قول اللّه : ﴿ الحمدُ للّهِ الذي خَلَقَ السّمواتِ والأرضَ وجعلَ **الظُّلماتِ والنُّورَ** ثمَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِربِّهِم

(١) رواه النسائي وأحمد والدارمي، بسند حسّنه شيخُنا في تعليقه على « المشكاة » (١٦٦) .

يَعدِلونَ ﴾ .

والنُّورُ في الآية هو الصراطُ المستقيمُ الذي أُمر المسلم في نهاره وليله، بل فُرض عليه فرضاً أن يسأل ربَّه الهداية إليه والاستقامة عليه حتى يلقاه، لأنَّ الانحراف عنه يمنة أو يسرة معناه الوقوع في ﴿ السُّبل ﴾ التي أساسها ونبعها سبيلان : سبيل المغضوب عليهم (وهم اليهود) وسبيل الضالين (وهم النصارى) :

قال تعالى في أُم القرآن والسَّبع المثاني : ﴿ اِهدِنا الصِّراطَ المُستقيمَ صِراطَ الَّذينَ أنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضوبِ عَلَيهِم ولا الضَّالِّين ﴾ .

وبيَّنَ منازلَ الَّذين أنعمَ عليهم فقال : ﴿ ومَن يُطِعِ اللَّه والرَّسولَ فأولئكَ معَ الَّذينَ أنعمَ اللَّهُ عليهم مِّنَ النَبيِّين والصدِّيقين والشهداءِ والصَّالحينَ وحَسُنَ أُولئكَ رَفيقاً ﴾ .

فمن أطاعَ اللَّه والرَّسول حُشر مع هؤلاءِ أجمعين، جمعنا اللَّه بهم وحشرنا معهم بمَنّه وكرمِه ورحمتِه .

وإذا تأملنا قول الرَّسول ﷺ : « على كلِّ سبيلٍ شيطانٌ يدعو لنفسه »، أيقنَّا ما عليه أئمَّةُ الضَّلال ورؤوسُ الكفر من دعوة محمومة لتعظيم أنفسهم وترسيخ مناهجهم الفاسدة وأفكارهم الباطلة كما أخبر اللَّه عنهم : ﴿ وجَعَلْناهُم أئمَّةً يَدعونَ إلى النَّار ويومَ القيامةِ لا يُنْصَرُونَ وأتبعناهُم في هذه الدُّنيا لعنة وَيومَ القيامةِ هُم مِن المَقبوحين ﴾، ووصفهم الرَّسول ﷺ فقال : « دعاةٌ على أبواب جهنَّم مَن أطاعهم قذفوه في النَّار »، قالوا : : منا يا رسول اللَّه ؟ قال : « إنَّهم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتِنا » . متفق عليه .

وقد كَثُروا في هذا الزَّمن حتى ملأوا السَّهلَ والجبل لا كثَّرهم اللَّه .

فالثَّباتَ الثَّباتَ يا دعاة الإسلام على الصِّراط المستقيم المتمثِّل في كتاب اللَّه وسنَّة رسوله وما كان عليه سلف هذه الأُمَّة من الإيمان والعلم والعمل الصَّالح والسُّلوك .

ومزيداً من مواصلة الجهد، والبراءَةُ مِن أئمَّةِ الكفر حتى يمكِّن اللَّه للمؤمنين في الأرض، ويَأْذَنَ – سبحانه – ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنَصرِ اللَّه، وما ذلك على اللَّه بعزيز .

الشِّركُ ... بَينَ القُبور ... والقُصُور !!

علي بن حسن

إنَّ الشِّرك باللّهِ سبحانه شَرَكٌ شيطانيٌ هائلٌ لا يَدَعُ أحداً إلّا ويقتربُ منه ويدعوهُ إليه ... مُحاوِلاً تغريرَه أو الإيقاعَ به في شتّى السُّبل وأنواعِ الطرائق .

لذا، فقد حذَّر ربُّنا سبحانه مِن الشِّرك في آياتٍ عدَّةٍ من كتابه، فقال : ﴿ لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكونَنَّ مِن الخاسِرين ﴾ ، وقال : ﴿ قُل إنّما أُمِرتُ أنْ أعبُدَ اللّهَ ولا أُشرِكَ به ﴾ ، وقال : ﴿ إنَّ الشِّركَ لَظُلمٌ عَظيمٌ ﴾ .

... وهكذا - أيضاً - في مواضعَ قرآنيّةٍ كثيرةٍ .

وليس من شكٍّ أنَّ هذا الشِّرك دَرَكاتٌ متفاوتةٌ فيما بينَها، وهي - جميعاً - لا يجوزُ قُربُها أو التلبُّس بها، ويدلُّ على ذلك آياتٌ عدَّةٌ وَرَدَ فيها تنكيرُ لفظة (شيء) بما يُفيد شمولَها وعمومَها، كمثل قولِهِ سبحانه : ﴿ وَإذْ بَوَّأنا لإبراهيمَ مَكانَ البيتِ أنْ لا تُشرِكَ بي شيئاً ﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ قُل تعالَوْا أتلُ ما حرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أنْ لا تُشرِكوا بِهِ شيئاً ﴾ .

بل كان مِن صِفَةِ الناجين في آية التَّمكين : ﴿... يَعبدونَني لا يُشرِكونَ بي شيئاً ﴾ .

وعلى ضوءِ ما سبقَ؛ فإنَّ الواجبَ المحتَّم على كُلِّ مسلمٍ الحَذَرُ مِن الشِّرك على تنوُّع مراتبِهِ، وتعدُّد دَرَكاتِهِ، حتى لا يقعَ (بشيء) منه .

أمّا الدّاعيةُ المسلم[1] فإنَّ عليه مُهمَّةً أعلى وأرفعَ، وأشدَّ وأعظمَ، ألا وهي - مع الحَذَرِ - التحذيرُ ... والدَّعوةُ والإنذارُ ... ﴿ قُل هذه سَبيلي أدعوا إلى اللّهِ على بَصيرةٍ أنَا وَمَن اتَّبعَني وسُبحانَ اللّهِ وما أنا مِن المُشرِكين ﴾ .

(١) والأصلُ في كُلِّ مسلم أن يكون داعيةً إلى ربِّه على قَدر جُهدِهِ وعلمِه .

فالتسبيحُ هنا - في آخر الآية - تنزيهٌ للّهِ جلّ وعلا عن كلِّ ألوان النّقص والشّرك، ثم جاء التّوكيد الأكيدُ مِن صاحبِ (السّبيل) براءةً من المشركين، وولاءً للمؤمنين ...

وعليه؛ فإنّ حَصرَ دعوةِ التّحذير مِن الشّرك في صُورةٍ ما - ولو كانت في ظاهرِها شديدةَ الأثَرِ، عَظيمةَ الشأن - ممّا ينبغي على الدّاعية المسلم تجنُّبُ الوقوع به، حتى لا يَقصُر دعوتَه على تحذيرٍ من الشّرك في (شيء) دون (شيءٍ آخر) !!

ثُم إنّ تقديرَ شدّةِ بأسِ نوعٍ من الشركِ دونَ غيره أمرٌ عائدٌ إلى الشّرعِ كتاباً وسُنّةً، وليس إلى العقلِ، أو (الفكر)، أو الرأي، أو الهوى، أو العاطفة، أو الحماسة !!

ولقد حذّر رسولُ اللّه ﷺ مِن أنواعٍ شِركيّةٍ كثيرةٍ، فكان من أهمِّها وأعظمِها قولُه ﷺ :

« لا تقومُ السّاعةُ حتى تلحقَ قبائلُ مِن أُمّتي بالمُشركين، وحتى تُعبد الأوثان ... »[1].

بل إنّ من أواخِرِ ما تلفّظ به رسولُ اللّه ﷺ التّحذيرَ من اتّخاذِ القبورِ مساجدَ، ولَعْنَ اليهودِ؛ الفاعلين لذلك؛ تنبيهاً للأُمّة، وتحذيراً من مُشابهةِ إخوانِ القردةِ والخنازير !

... ومعَ ذلك يأتي بعضُ الدُّعاة - الذين نحسبهم مُخلصين إن شاءَ اللّه - فيُهَوِّنونَ مِن هذا الأنواعِ الشركيّة، قائلين : (أنتم (!) تُحذِّرونَ مِن شرك القبور .. وتتركون شِركَ القصور !!)، ويقولُ بعضٌ آخر منهم : (هذا شِركٌ شَعبيٌ !!)، ويصفُه ثالثٌ بقوله : (هذا شركٌ ساذجٌ !!) أو : (هذا شركٌ قَديمٌ !!) !!

وهي - جميعاً - كلماتٌ غالطةٌ بعيدةٌ عن الصّواب، فالشّركُ شِركٌ، سواءٌ منه شِركُ الطّواغيتِ الأرضيّين الذين أقصَوا كتابَ اللّهِ عن الحكم بين النّاس ... أم شرك أولئك الخُرافيّين الطوّافين بالقبور، والمتّخذينَ مِن دونِ اللّه أنداداً ... أم شِرك أولئك النّاس الذين لم يعرِفوا صفاءَ التّوحيد، ونقاءَ العقيدةِ، فوَقعوا بما يُضادُّ ذلك مِن أوحال الشّرك ... وعَفَنِ الكُفر - عياذاً باللّه - .

فالواجبُ على الدُّعاة إلى اللّهِ عَدَمُ التّهوينِ من أمرِ أيٍّ من هذه الأنواع، والدّعوةُ إلى التحذيرِ منها جميعاً بحسب الوُسعِ والقُدرةِ، والعلم والمعرفةِ، والنّظرُ إلى ما يترتّب على هذا أو ذلك مِن مفاسدَ حقيقيّة وواقعيّة ...

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، عن ثوبان بسندٍ صحيح .

فالشركُ الواقعُ في عمومِ النّاس، لا يقلُّ خطراً وأثراً عن الشِّرك الواقع في الّذين يحكُمون بغير ما أنزلَ الله .. إذْ كلا الطّائفتين – في حقيقة الامر – ممّن لا يحكمون بما أنزل الله !! بل كيف يُحذِّرُ مِن شِركِ غيرِه مَن هو نفسُه مُتَلبِّسٌ بالشِّرك !!

ولا بُدَّ – خِتاماً – مِن سياقِ سُؤالٍ وُجّهَ إلى سماحة الشيخ العلّامة عبدالعزيز بن باز يُلقي جوانبَ مِن الضوءِ العلميِّ على هذه المسألةِ المُهمّةِ :

قال السّائلُ : هناك من النّاس مَن يقولُ : أنتم تُضيِّعون أوقاتكم في بيانِ **الشّرك القديم**؛ وهو التّوسُّل بالقبور، والاستغاثة فيهم، وتنسون الشركَ الحديثَ؛ شرك الحاكميّة، أو شرك الحكّام؛ وأولى – عندهم – الاشتغالُ بتكفير الحُكّام، والعَمَل على الخُروج عليهم مِن العمل في الدّعوة في هذه الأيام، فما قولكُم في هذا ؟!

فقال الشيخُ – حفظه الله ونَفعَ به – :

« **هذا غَلَطٌ، وهم مساكينُ**، فالأَوْلى تصحيحُ عقائد النّاس، وتبصيرُهم، والتبيانُ لهم حقيقةَ الشرك والكُفر؛ مِن جهةِ الوثنية، ومِن جهةِ الشيوعيّة، ومِن جهةِ الإباحيّة .

أمّا قولهم بالخروجِ على السّلاطين؛ فهو من شأن الخوارج والمعتزلة، **والخروجُ ليس فيه غيرُ القتل والفساد، يَقتُلون ويُقتَلون، فهم يُبيدونَ أنفُسَهم، ويُبيدون الدّعوة، وهذا فيه فسادٌ عظيمٌ** »[1] .

أقول : نَعَم؛ كثيرٌ من الحُكّام ليسوا (سلاطين)، ولا يُعامَلون وَفقَ الاصطلاحاتِ الشرعيّة الإسلاميّة كـ (الخروج) أو غير ذلك من أمثاله ...

ولكنْ ... لينظرْ أولئك المتحمّسون إلى النتيجةِ السوداءِ القاتمةِ التي حذّر منها الشيخُ ... ليَروْا أنّها مِن حيثُ المآلُ واحدةٌ ... فسائرُ المآسي الّتي أصابَت الأُمّة في جذْرِها كانت نتيجةَ التهوُّر ... **والمواجهةِ المتعجِّلةِ** ... والحماسةِ الفارغةِ ... بعيداً عن الدّعوةِ الحقّة، والمنهج الصّادق .

ومَن رأى العبرةَ بأخيه ... فَلْيَعْتَبِرْ !!

(١) « فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله » (ص:٢٠٢-٢٠٣) عبدالرحمن عبدالخالق .

من أعلام الدعوة

الشيخ محمد نسيب الرفاعي

صفحة دعوية طويت؟!

محمد إبراهيم شقرة

ليس يسيراً على امرىءٍ -يلوذُ قلبه في الحبّ، بحبّ مُحِبّ، يرى في حبّه الجمّ حبّاً لا يكافئه بحبّه حبّاً، إلّا أنْ يصلَه بحبٍّ أوفرَ منه حظّاً في الوفاءِ لحبٍّ يجدُرُ بكلّ محبٍّ واصلٍ مُستَودَعه بقلوبِ مَن وافَوا بحبِّها الذّاهق حبُّ الملأِ الأعلى في غير منٍّ ولا أذى؛ « إذا أحبَّ اللَّهُ عبداً نادى جبريل : إنَّ اللَّه يحبُّ فلاناً فأحبَّه، فينادي في السماء، ثمّ تنزل له المحبّة في الأرض، فذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنوا وعملوا الصَّالحات سيجعلُ لهم الرَّحمن ودّاً ﴾[1] - أن يكتب بقلم الحبِّ عامداً، بما يمليه عليه حبُّ من يكتب عنه - حبّاً ليس في طوقه أن يُدنيَ منه حبّه ذاك، إلّا أن يُحيطَ ببواعثِ ذلك الحبِّ الرّاجية بمثله، أن يصيبَ شيئاً منه يوفّيه به بعض حقّه، في حياته أو بعد موته، ممّا قد يكون محبّوه جميعاً قد علموه، ومثلهُم في ذلك من خاصموه؛ إمّا بتأويل اجتهاديّ خفيّ، وإمّا بنظر متسرّع في مسألة علميّة، وأما بحسد حاطبٍ عاجله به ظنّه المستريب، على ما حباه اللّه، من خِلالٍ زكيّة، وفضائل عليّة، وصفاتٍ بهيّة .

فإن كان على مِثل ما ذكرنا، فهو حريٌّ بأقلام وفيّة، ترقم حروفَها له في سطورٍ تنبض بالحبّ الماثل في عيونٍ باكيةٍ حبّه الراحل، الماكث فيها من بعد موته، بدموعٍ تترقرق بها خلَجاتُ القلوبِ النّديّة بحبّها إيّاه، تُصعدُها إلى الجفونِ الوادعة، بمثل حب تلك القلوب، نائيةً بذاتها عن كلِّ ما يُكدِّر صفو حُزنها، الموثوق بجلال صفاءِ الموت، الذي يُغشّي ذلك

(١) حديثٌ صحيحٌ ، رواه الترمذي عن أبي هريرة .

الوجهَ المطمئنَّ إلى رحمة الله سبحانه وقضائه فيه، فرحم الله أبا غزوان .

والموت « هادم اللذات مفرِّقُ الجماعاتِ » ليس يقوى على تبديدِ شملِ المودَّات اللّابثة في قلوبِ النّاس، تُؤوي إليها مودَّاتِ أجيالٍ، نادَّةٍ في صدر المستقبل، ترقبُ أن يُؤذنَ لها أن تظهرَ في الحياة، كلَّما بدا منها جيلٌ أخذ من الذي قبله مودَّة أفضى بها إلى بابِ مودَّاتٍ مُشْرَعٍ إلى تواليفَ جادَت بها قرائحُ أنعمَ الله عليها بالعلم، فبرَّت به وفيه، فأركض حِمامُ الموت في جسومهم عزمه، فأسرعَت أرواحهُم إلى الملأِ الأعلى لتجد فيهم من الوفاء والثناء والإحسان ما لم يكن لها في الحياة، إلّا فيمن كان على مثل ما كانت عليه، تنعم مستبشرةً بما رأَت من موعود الله لها، تتناجى بِصَنيِها البرزخيّ : « الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنَهتدي لولا أن هدانا الله »، ناظرةً في رُقبى عافية، وأمنٍ، وفرحٍ، يومَ الفزع الأكبر، ﴿ حتى إذا جاءُوها وفتحت أبوابها . وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ .

ونحسب – ولا نتألّى على الله، إحساناً للظّنّ به سبحانه – أن الشيخ محمد نسيب الرفاعي رحمه الله قد ارتحل عنا، يُدفيءُ صدرَه ظنٌّ بالله، مثلُه من إخوانه، ومحبِّيه، وتلامذته الذين عرفوا فضله، فأعجزهم عن مثله، أو عن شيءٍ من مثله في حياته، فأمّلوا أنفسهم أن يُنيلوها شيئاً من مثله، وهم يُصَلُّون عليه، في صدق وإخلاص بالدعاء والتضرّع، أو وهم يحملونه على أعناقهم في شوقٍ أن يَسمعوا له حسّاً بكرامةٍ !! – وهم على مثل اليقين أنّهم لن يسمعوه – وقد كان أحقَّ به وأهلَه، لو كان في ذلك شيءٌ أن يكون، لا من الذين آوَوا إلى مكانس إبليس وجنده، وهو الذي كان قبل ساعات قليلة حرباً عليهم لا هوادة فيها، فقد علمت الأُمّة ما علمت من شدَّته العادلة فيهم، وهو الذي كان له منهم حظٌّ وافرٌ قبل أن تزولَ عن قلبه غشاوةُ زَيْغِهِم، فكان حقّاً عليه من بعد أن يذيقهم من كأس إساءَتهم للدين والعقيدة، ما ليس يصلح معهم إلّا مثله، حتى لو أنَّ مجلساً واحداً من مجالسه خلا من ذلك لقيل : أين الشيخ نسيب ؟!

وهل يتيه بمكره الآفك إلّا من أكبَّهم الله على وجوههم، فكانت غوايتهم غوايتين،

واحدة أنشبت أظفارها في قلوبهم بغوايتهم، والأخرى أنشأوها على عيونهم، وأقاموها في قلوبِ المريدين، يأكلون من زقُّوم إثمها، وَيَسْتَقُون من حميم أسنها .

فحقٌّ على الدَّاعية أن يبيِّن للنَّاس، ويحذرهم من مثل هذا المكر الآفك !! ولقد كان للشيخ رحمه الله دور لا يُنكر في تبيينه وفضحه .

أو : وهم يغسلون جسده، وكأنَّما هو جسدُ حيٍّ سَبَتَهُ النوم، فلا يلبث أن يستيقظ منه، ليواصلَ سعيه على طريق دعوة التوحيد .

أو : وهم يتعالى نحيب المودِّعيه المتشاحنين منهم، تنهلُّ دموعهم انهلالَ القطر، تسقي حزنهم المتحرِّقة به صدورهم، الكاسية به وجوههم، المتحرِّكة به ألسنتهم .

أو : وهم يتغابطون فيما بينهم بآخرِ عمل صالح مات عليه، في آخر وقت السَّحر، وعند إطلاله بالفجر الأول، ويده فوق التراب الذي كان يريد التيمّم به، وكأنَّما كلٌّ منهم يسرُّ إلى نفسه، أو إلى من بجواره : « اللهم غَبْطاً لا هَبْطاً » .

ولو كان الموت يُغبَطُ على قبضِ أحدٍ إليه، لكان يُغبطُ على قبض الشيخ إليه، أو مَن كان على مثل ما كان عليه الشيخ رحمه الله، وكيف لا، وقد أمسك إليه « كُنَيِّفاً » من خُلُقٍ، يفيضُ سماحة تُنتَقَضُ بها أطرافُ الشَّماحة، وبشراً يغيبُ في كَلِّه الرقيقة البشر، وصبراً يَفري حدَّة الغائظين، ووفاءً يُتمُّ نَقصَ وفاء الأوفياءِ، ومودَّة تقطِّعُ شحناءَ الأتقياءِ، ومثابرةً متجدِّدةً تخلَقُ معها عزائمُ الدُّعاة الأشدَّاء، وكظماً يَغيضُ في سوائه تطاوُلُ الجهلاءِ، ورضيً سابغاً تسعى إليه حلومُ الحلماءِ، وسخاءً يَبسط أيديَ البخلاء .

ارتحلَ عن الدُّنيا، حاملاً فوق ظهره أعباءَ نيِّفٍ وثمانين عاماً، التقت فيها أمشاجٌ من الهموم الكوائدِ، وتربَّعت فيها أخلاط العلل الموائد، وتناوشت صفحتها سهامُ المكر السَّيِّءِ العامدِ، فما وهنت له عزيمة، وما انثنت له إرادة، وما أقعده عن الدَّعوة يأسٌ ولا ملل، ولا مرضٌ .

رحمَ الله أبا غزوان، فقد كان بحقٍّ داعيةَ توحيدٍ، ومعلِّمَ خيرٍ، وباذلَ معروفٍ، وصانعَ إحسانٍ، ويداً بارَّة، وردءَ فضلٍ، وصوتاً سَيَنْدى على الخارجين عن الأدب النبوي،

وسوطاً يُلهِبُ ظهورَ أهل الشرك والخرافة، وأقفية القبوريين والزنادقة، وشوكة ناشبةً في حلوق الغائصين في وحل التصوف الحائد، وعلّةً ماكثةً في صدورِ المبتدعة المفسدين، وعصاً غليظةً تهوي على رقابِ المتكسِّبين بالإسلام والمارقين .

وليس من دليلٍ على ذلك يُطلب، فسيرتُه هي الشاهدُ، والدليلُ، واللسان المبينُ، منذ أن بدأ يبني بيت الدعوة، ويؤسس قواعده في حلب الشهباء، معرضاً عن كلِّ المغريات التي تسعى حثيثةً إلى مثله نسباً، وسمعةً، ومكانةً، غير عابىءٍ بما جرَّه عليه إعراضه عنه، من كلماتِ الذّمّ والطّعن التي لا تزيد في حسناته بما تأكل من حسنات الطّاعنين عليه بها فحسب، بل وتُعلي من قدره في الناس، بِنَقاءِ سيرة المطعون عليهم بسوءِ تفكير الطّاعنين !! ورغبتهم في الإثم !! وحرصهم على الأذى عياذاً بالله تعالى !! وهل يمدح القبحُ إن قيل : إنَّه حسن ؟! فإن كان ذلك يكون، فإنَّ ذمَّ الحُسن بقول القائل فيه : إنَّه قبيح، مثله في هذا الحكم !! بل إنَّ ذمَّ الذّامِّ الحُسنَ، بمثل ما ذمَّه به أدلُّ على فهاهةِ الذّامِّ وأدعى للعود بالذّمِّ عليه، وأولى ... بالطّعنِ عليه هو نفسه، لأنَّهُ هو الطّاعن على نفسه بقوله ذاك، والمبيح به للنّاس، أن يروا فيه عيبه على غير خجلٍ منه ولا استحياءٍ !!!

وكان أولى به أن يتعرّف سيرة عقله وقلبه وسريرته، تعرفاً يُدنيه من التّقوى، ويقفه على ملامح الحقيقة التي لا يرتاب فيها إلّا الجاهلون ! أمّا الحاقدون فحسيبهم الله !! وكأنّهم قرنوا أنفسهم بوثاقٍ شديدٍ بمن وصفهم الله سبحانه من الكفّار وأعداءِ الرسل، والمنكرين آيات الله عتوّاً واستكباراً بقوله : ﴿ وجَحَدوا بها واسْتَيْقَنَتها أنفُسهُم ﴾ .

إنَّ سلسلة دعوة التوحيد - التي أشرقَت بنورها أوّل ما أشرقَ في مكّة والمدينة مهبط الوحي، مُمتدّاً إلى القرونِ الثلاثة الخيِّرة، ثم اختفت بظلمِ من الذين ألبسوا أنفسهم لباسَ العلم، والتقوى، وادَّعوا أنّهم أهل الحقّ والنَّصَفة - عادت إلى الظهور بنورها مرّة أُخرى في القرن السابع .

ولما هاجت قرائح الفتنة الظّلماء، وتسارعت في الإثم خطى أقدامها، وتسارّت بالشرّ والعدوان ألسنتها، لم يكن بدٌّ أن تدع المواجهة المنظورة، فتعود إلى الاستخفاء، ليكون لها

ظهور أشدّ في القرن الثّاني عشر، وستكون لها العاقبة بالنّصر والحسنى والظهور الدّائم في الأرضِ إن شاءَ اللّه .

على أن الدّعوة كان لها حضورٌ صريحٌ وجريءٌ في كل قرنٍ، وفي كلِّ جيل، وفي كل قُطر من أقطار الأرض، على تفاوت فيه، بما هيّأ اللّه سبحانه من أسباب، وأهمُّها وأبينُها : الدُّعاة العارفونَ، والعلماءُ الصّالحون، والكتب التي اختصَّ اللّه بها أقلامَ العلماءِ المصلحين وعقولهم .

ولسنا نعدو الحقّ ولا الصّواب إن قلنا : إنَّ الشيخ نسيب رحمه اللّه كان واحداً من أولئك الدعاة العارفين، بما حباه اللّه من أدب، وصبر، ومثابرة، ولا نحسبه إلّا أنّه كان على إخلاصٍ في الدعوة، ولسنا متألّين على اللّه فيه ﴿ واللّه عليمٌ بِذاتِ الصُّدور ﴾ .

وترك رحمه اللّه بعده ثروةً علميّة، لا يستريب فيها إلّا من كان ينشد الحقّ بالباطل، والصّواب في الخطأ، والعلانيّة في الإسرار .

منها : « مختصر تفسير ابن كثير »، وقد ذاعَ ذيوعاً واسعاً، ونفعَ اللّه به، ومنها : « التوصُّل إلى حقيقة التوسُّل »، وهو من أحسن ما أُلِّفَ في بابه، ويغني عن الكثير ممّا أُلِّفَ فيه .

وتُوُفّي رحمه اللّه وهو مشتاقٌ إلى اليوم الذي يرى فيه كتابه : « التفسير الواضح على نهج السّلف الصّالح » يأخذ مكانه في رفوف مكتبة التفسير، والكتاب معدٌّ للطّبع، أسأل اللّه أن لا تطول غَيْبَتُهُ، وأن يكون من العلم الذي ينفع الشيخ بعد موته، هذا إلى رسائل عديدة، لا زالت مخطوطةً محفوظةً في خزانة كتبه، نرجو أن نراها قريباً بين أيدي قرّاءِ العربيّة، وطُلّابِ العلمِ .

وقليلٌ هم أولئك الذي يعلمون أنَّ الشيخ نسيب رحمه اللّه كان شاعراً رقيقاً مجيداً، وله قصائد عدّة لم يضمّنها ديواناً، وهي مطويّة كرسائله :

ومن شعره في قصيدة طويلة يناجي ربّه :

يا ربِّ يا فارجَ الأزمات والكُرَبِ وكاشِفَ الغمِّ والويلات والكُرَبِ

إليك وحدَكَ نشكو ما ألمَّ بنا فقد غدونا نعاني شرَّ منقلبِ

في كُلِّ صُقعٍ من الأصقاعِ نازلةٌ بالمسلمين وحالُ العُرْبِ في تَعبِ

فلا كتابُك موفور الوَقارِ بنا ولا صحيحُ حديث المصطفى العربي

أحكام كلٍّ من الهديَين قد وُقِفَت وكم عليها من التَّعطيل من حُجبِ

العالمُ الفذُّ، فذٌّ في مصالحه وصالح الدِّين، قد أشفى على العَطَبِ

والحاكمُ العَدلُ ليس العدلُ بغيَتَه ولا يراه سوى في الجاه والرِّيبِ

إليك يا ربُّ نشكو حالَ مجتمعٍ يعجُّ بالبغي والتَّضليل والشَّغبِ

ومن قصيدة أُخرى بعنوان (قَبيل إبليس) :

قبيلَ إبليس قد بانَت مقاصدكُم فلا الأضاليلُ تُخفيها ولا الحيلُ

دعوى الوجوديَّة النُّكراء كم هَتَكَت بها شياطينكُم، أهلُ اللَّظى الأُوَلُ

دعوى اتحادِكُمُ باللّهِ كم نَعَقَت بها الزنادِيقُ، مَن ظنُّوا قد اتَّصلوا

وما يزال لها رهطٌ أُولو ضَعَةٍ غاوون عادون لا يُرجى بهم أملُ

حادوا عن الحقِّ، والبطلانُ يجذبُهم والكِذبُ والغيُّ ما قالوا وما فعلوا

ومن شعره أبياتٌ يرثي فيها زوجته الأُولى، التي توفِّيَت وهو في المعتقل :

أيا قبرُ فيك غَفَت زهرةٌ ترفَّق بها إنَّها زهرتي

سقتني زماناً رحيق الوفاءِ فهاك اليوم اسقِها من مقلتي

إذا ما كَفَت أدمُعي فاسقِها دماً قد تفجَّر من مهجتي

فأقضي (أديبة) حقَّ الوفاء إلى أن أُوسَّد في تُربَتي

وكان الشيخ رحمه اللّه حين وفاتها لم يَنتَهِج سبيلَ الدَّعوة السَّلفيَّة بعد، لذا فقد أوصى أنْ تُنقَش هذه الأبيات الأربعة على قبرها .

وفي السجن كان تحوُّله إلى المنهج الحق؛ منهج الكتاب والسُّنَّة؛ بعد قراءته كتاباً من كتب شيخ الإسلام؛ بحر العلوم، راحلة المعارف، والمفازة التي تقطَّعت فيها أنفاسُ الخرافة، والزَّندقة، والشرك، والقمَّة الشمَّاء، التي هلكت دونها فرق الإفك والضَّلال والتَّأويل، ابن

تيميَّة رضي اللّه عنه، وأقرّ به عيونَ حسّاده كمداً !! وأقرّ به عيونَ أهل الحقّ في كلّ زمان ومكان فرحاً، فأيُّ هداية تلك التي لا تلبثُ أن تأخذ إلى القلب بقراءَة كتاب واحد، بعد أن يكون قد أُشربَ من الزَّيغ، ما لا يبقى فيه مكانٌ لغير الزَّيغ، إنَّه الإخلاص، السرُّ الذي لا يعلمُهُ إلّا اللّه وحدَه، فَيُهَيِّىءُ اللّه سبحانه به وله القلوب، فلا تجد إلّا الإخبات والتّسليم والرِّضى، إنَّهُ ابن تيميَّة، وكفى !!، أسأل اللّه سبحانه أن يجمعنا والشيخ نسيب وابنَ تيميَّة، وكل من هُدي إلى المنهج الحق، عند قدم المصطفى صلوات اللّه عليه، لنشرب من يده من ماء حوضه شربةً لا نظمأ بعدها .

وأسأله أيضاً أن يجعل من ابن تيميَّة رحمه اللّه حسرة في قلوب باغضيه، وعلّةً - لا يشفيها إلّا التَّوبة - في صدور شانئيه، وداءً - لا تُبرئهُ إلّا الإنابة الصَّادقة - من أجساد حاسديه .

وكلما ذكرت الشيخَ نسيب رحمه اللّه في نفسي أو في ملإٍ، ذكرت قول النَّبيّ عليه الصلاة والسلام : « أثقل ما يوضَع في الميزان يوم القيامة حسن الخلق »[١]، وقوله أيضاً : « خير ما أُعطي النَّاس حسن الخلق »[٢] .

وجِمَاعُ حُسن الخُلُق في النَّاس، التواضع، والاعتراف بالجميل، والصِّدق، ولا أحسب واحداً في النَّاس ممَّن يعرفه إلّا وهو يرى من حقّ الحقيقة عليه أن يعترف بحسن الخُلُق للشيخ نسيب رحمه اللّه، حتى ولو كان مبغضاً له .

ومن يعرف هذا منه، يعرف أنَّهُ لم يتكلَّف ذلك أو يتصنَّعه، فقد برئت طَوِيَّتُهُ - واللّهُ حسيبُه - من ضغن الحسد، ونفرة الاستكبار، وخشونة « الأنا » فلم يعد بحاجةٍ إلى التَّكلُّف، وقد أُعْطِيَهُ جِبِلَّة وطبعاً !! ويظلم الشيخَ ظلماً شديداً من يقول فيه غير ذلك، وما أسوأ عاقبة الظلم حتى ولو كان في أدنى منازله !

وما أحوجَ العلماء وطلّاب العلم والدُّعاة في زماننا هذا إلى مثل ذلك، وقد استحوذَ

---

(١) أخرجه أبو داود وأحمد وابن حبان عن أبي الدرداء بسندٍ صحيح .

(٢) حديثٌ صحيحٌ؛ رواه النسائي وابن ماجه وأحمد عن أسامة بن شَرِيك .

على الكثير منهم حبُّ الدنيا، وشغلوا بتسويد القراطيس، وتنميق الكلام، والإغراق في الفلسفة الواغرة، بأسلوبٍ جديدٍ، وقواعدَ ونظريّات جديدة، واستطارَت آراؤُهم المختلفة المتناقضة في آفاق الدنيا، في طُغُوناتٍ خاليةٍ من التّقوى والأدب والعلم، وصارت مجالسهم تفوح منها رائحة الغيبة، وينهلُّ من سُقُفها قطرانُ الغرور والبَهْت، وغشيتها غواشي الفتنة المريبة، وأخذوا يتبارون بتوجُّسٍ وخلسةٍ وعدوان علماً ولَّت عنه البركة، وحلَّ محلَّها حبُّ الدّرهم والدِّينار، وحين يصير العلم كسباً وانتهاباً، فهو إلى الإثم أقربُ منه للثّواب، وإلى الاختلاف والتّفرُّق أدنى منه إلى الاتّفاق والاجتماع .

ولست أغلو إذ قلت : إنَّ مِن آفاتِ شيوعِ العلم القاصر عن التّقوى أنّه أذاع في الأُمّة البغضاء، وأذهبَ عنها توقيرَ العلماء الرّبّانيّين، وأثبت فيها الجهلَ والتنطّعَ، وصار به كلُّ عليم اللسان عالماً !! وكلُّ من فني نور عينيه في صحائف الكتب مُدَّعياً جاهلاً !!!

مِن هنا كان الشيخ نسيب - يرحمه الله -، يعرف للعالم قدره، توقيراً، وثناءً، واعترافاً بحق من أسدى إليه معروفاً، لا يحبسه عنه وجدٌ في نفسه، ولا يؤزُّه إليه حبٌّ يملأُ صدره، فكان رحمه الله إذا ما ذُكر الشيخُ محمد ناصرالدين الألباني - محدِّث العصر، ودرَّة السُّنّة، وتاج الأثر - أمامه، يقول : « الشيخ ناصر أنفاسه أنفاس رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو صاحب فضل عليَّ » .

وإذا قال له معترضٌ أو مُتَلَجْلِجٌ : إنَّ الشيخ ناصر يُحَسِّن - أو يُصحِّح - اليوم ما يكون ضعَّفه بالأمس، والعكس بالعكس، فيجيب رحمه الله مُخْرِساً له : هذا من مناقب الشيخ ناصر، وحسناتِهِ .

رحمك الله يا شيخ نسيب، لقد كنت - والذي أماتك وأحياك - وقّافاً عند أدب النبوّة، « ويعرف لعالمنا حقَّه »[1]، فما كنت ترجو جزاءً ولا شكوراً، وحريٌّ والله أن تُنصف - وقد قضيت - من أخصامك قبل مُحبِّيك، وهل جزاء الإحسانِ إلّا الإحسان ؟!

وليس من شيء يُلحق بصاحبه عيباً كمثل مَحْمَدةٍ يحرص المرءُ عليها، لا يَنْفَسُهُ

(١) قطعةٌ من حديثٍ حسنٍ؛ رواه أحمد والحاكم عن عُبادة .

عليها مثلُ نفسه !! فإذا الغرور قد جثا في صدره على ركبتيه، وتمطّى بقامته فوق منكبيه، وأُوحى إليه أن ليس ينبغي أن يكون في الأُمّة مثل حِقويه !!

وَمِن أحْسَنِ حُسْنِ الخُلُقِ الإنصافُ، ولقد أُوتيَ منه الشيخُ نسيب رحمه الله حظّاً عظيماً، ليس يحمله عليه حبٌّ يستوفيه به لمستحقّه أو يصدُّه عنه خصومه، فالإنصاف خُلُقٌ إيمانيٌّ عظيمٌ، وليس يكون دعوى تُجتلب بمعسول الكلام، أو تُدرأُ بشقشقة اللّسان !! أو يَنميها لمن ينتصفُ له من خصمه طَمَعٌ في نفع عاجلٍ يصيبه عند من ينتصف له، أو خوف على أمر كان يناله فيخشى إن أمسك لسانه عن نصفته أن يفوته !!!

وما أكثر أولئك الذين أوردوا أقلامهم موارد الهوان، وأثقلوا ظهورهم بأوزار الهوى، وأنالوا أنفسهم آمالاً عِراضاً بوعودِ سرابٍ خاليةٍ، ونكصوا على أعقابهم حين أقبلت عليهم الدُّنيا، فأوثقوا حبال ألسنتهم إلى نباتٍ لا ساق له، وغَدَوْا على بياض الشَّيب شباباً حاسراً عن ذراعيه وساقيه، يداعبُ رَغَدُ العيش رموشَ عيونهم، ويحاكون بالتَّرف الهابط عليهم فجأة رِقَّة الغِيد، ويباهون بقلائد النِّعم الموهوبة المنهوبة مَن لم تدركهم الدنيا بحظوظها الشاردة البائدة .

ويَخرج الشيخ نسيب رحمه الله من الدُّنيا داعية، صابراً، دؤوباً، طوّافاً، محبوباً، حافظاً عِرض إخوانه حتى الذين خاصموه، مذكوراً بحُسْنِ الخُلُقِ، وحُسْنُ الخُلُقِ مذكورٌ به، لطيفَ العِشرة، لينَ العريكة، سهلاً هيّناً، رفيقاً، لا يعرفُ الحقدُ سبيلاً إلى قلبه، غير معتسفٍ دنيا بدين، طلْق المحيّا، كان إنْ كان يُقبل فَطَلْقاً، وإن كان يُدبرُ فسمحاً، لا راغباً في شيء مهما جلَّ وأغرى، إلّا إن كان يُستعان به على شيءٍ من طاعة الله، غيرَ خاتلٍ ولا خادعٍ ولا مريبٍ .

رحم اللهُ الشيخَ نسيب، وأرضاه بنعمة الرضا، وكساه حُلَّة الرجاء فيما عنده، وألحقه بالصَّالحين، وجعل له مِنْ عَقِبهِ عافيةً في صلاح، وبرّاً في رشاد، وحُسناً في علانيَّة وخفاء، واجمعنا به يا ربَّنا مع النَّبيِّين، والصدِّيقين، والشُّهداء والصَّالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

اللّهم أجُر الدَّعوة فيه، واخلف لنا خيراً منه، واجزِه عمّا سلف جزاء الخير وخير الجزاء .

الشيخ مُحمَّد نَسيب الرِّفاعي رحمه اللّه

مراد شكري

هَلْ أُطفِئتْ في (الهاشِميّ)[1] شُموعُ — أَم أَقْفَرَتْ في جانِبَيهِ رُبوعُ

فَمِنَ الرِّجالِ إذا عَددتَ مَشاعِلٌ — إنْ زالَ فَهْوَ كما يَزولُ رَبيعُ

هذا « أبو غَزوانَ » وَدَّعَنا وَقَد — لَذَعَ الفُؤادَ الدَّمعُ والتَّوديعُ

ليتَ المَماتَ كما أتاكَ أتى لَنا — عِندَ الصَّلاةِ وَقَد أُجيفَ هُجوعُ

فالخاتِماتُ دلائلٌ وَشواهِدٌ — إنَّ السَّرائرَ قَدْرُهُنَّ رَفيعُ

والعِلمُ قالَ اللّهُ قالَ مُحمَّدٌ — لا الهَذْرُ والتَّزييفُ والتَّشنيعُ

والجنَّةُ العلياءُ أرفعُ مَنزِلاً — مِن أنْ يَطاها نافِخٌ وجَمُوعُ

أُدرِجَ إلى مَرقى الجِنانِ بِظَنِّنا — والظَّنُّ باللّهِ الكريمِ وقوعُ

لكَ شيمةُ الحُرِّ الكريمِ طبيعةٌ — والخُلْقُ أعلى ما أتى المَطبوعُ

وحياءُ مِخفارٍ وطيبُ سريرةٍ — ولسانُ صدقٍ مشرقٌ ونَصوعُ

وجهادُ نَخْويٍّ وهيبةُ ثائرٍ — وثرى الشَّآمِ مصدِّقٌ ومُذيعُ

فعليكَ رَحْماتُ الإلهِ تَنزَّلت — وإليكَ دعواتُ التُّقاةِ طُلوعُ

---

(١) حيٌّ من أحياء عمان البلقاء، كان يسكنه الشيخ محمد نسيب رحمه اللّه بعد هجرته من حلب الشهباء مهاجراً إلى اللّه، حيث اخترمته المنية يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٤١٣هـ فجراً، رحمَ اللّه أبا غزوان وأسكنه فسيح جنانه . (الأصالة) .

من سير العلماء

العلّامة الشيخ حمود بن عبدالله التُّويجري

(١٣٣٤هـ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

عالِمٌ فَقَدْناهُ ..

عبدالكريم بن حمود التويجري

الحمدُ لله وحده ، والصّلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده ، وبعد :

فهذه ترجمة موجزة للشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله تعالى :

● اسمه ونسبه وكنيته :

هو الشيخ العالم العلّامة العامل الزاهد الورع الراوية المسند أبو عبدالله حمود بن عبدالله بن حمود بن عبدالرحمن التويجري من قبيلة بكر بن وائل بطن من ربيعة .

● مولده :

ولد الشيخ رحمه الله بمدينة المَجمَعَة في يوم الجمعة الخامس عشر من شهر ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة وألف ١٣٣٤هـ من هجرة المصطفى ﷺ .

توفي والده عام ١٣٤٢هـ وكان عمر الشيخ إذ ذاك ثمان سنوات .

● طلبه العلم :

ابتدأ الشيخ القراءة على يد الشيخ أحمد الصانع عام ١٣٤٢هـ وذلك قبل وفاة والده رحمه الله بأيام قلائل .

تعلم على يديه مبادىء القراءة والكتابة ، ثم حفظ القرآن على يديه ولم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، كما قرأ عليه « الأصول الثلاثة » للشيخ الإمام المجدِّد محمد بن عبدالوهاب

رحمه الله .

ثم ابتدأ القراءة على الفقيه الأكبر الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري قاضي المَجْمَعَة وتوابعها وفقيهها وعمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاماً ، ولازمه ما يزيد على ربع قرن من الزمن ؛ قرأ عليه في شتى العلوم والفنون ؛ قرأ عليه في التفسير والحديث والتوحيد والفقه واللغة والتاريخ والأدب وغيرها .

كما حفظ عليه عدداً من المتون في أنواع العلوم .

وقد أجازه الشيخ بإجازة مطوّلة في رواية الصحاح والسنن والمسانيد ، وفي رواية كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ، وفي رواية مذهب الحنابلة ، كما أجازه بجميع مروياته لكتب الأثبات ، وقبل ذلك حدثه بحديث الرحمة المسلسل بالأوّليّة (١).

كما قرأ على الشيخ الفقيه العلامة محمد بن عبدالمحسن الخيّال قاضي المدينة سابقاً في النحو والفرائض .

كما قرأ على سماحة الشيخ العلامة الفقيه عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله حين عُيِّنَ قاضياً بالمجَمَعَة ، قرأ عليه في اللُّغةِ والفرائض .

وقد روى عن الشيخ العلامة المجاهد سليمان بن حمدان قاضي مكة والمدينة سابقاً حديثَ الرحمة المسلسل بالأوّليّة ، وأجازه أيضاً بجميع مروياته للصحاح والسنن والمسانيد و الأثبات ، وقد ذكر ذلك كلّه الشيخُ حمودٌ رحمه الله في ثَبَتِه المسمّى « إتحاف النبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء » .

أُلزِمَ الشيخ بالقضاء في رحيمة ورأس تنورة بالمنطقة الشرقية وذلك عام ١٣٦٨هـ ، وبقي بها نحواً من ستة أشهر ، ثم أُلزِمَ بالقضاء مرّة أخرى في مدينة الزُّلْفي عام ١٣٦٩هـ ، وبقي بها إلى آخر سنة ١٣٧٢هـ ، ثم اعتذر عن القضاء .

طُلب للعمل في مؤسسات علميّة كثيرة ؛ فقد طُلب للتعليم بالمعاهد العلمية إبّان

---

(١) وهو قولهُ صلّى الله عليه وسلّم : « ارحموا مَن في الأرض ؛ يَرْحَمْكُم مَن في السّماء » ، انظر تخريجه في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (رقم : ٩٢٥) للعلاّمة الألباني .

افتتاحها ، ثم بكلية الشريعة ، ثمَّ بالجامعة الإسلاميّة ، ثم للعمل بدار الإفتاء ، لكنَّه اعتذر عن ذلك كلّه وآثر التفرغَ للعلم والبحث والتّأليف .

استمرَّ الشيخ يواصل العلم والتحصيل ويبثُّ ذلك في مؤلّفات جعل يُصدرها تباعاً لاقت - ولله الحمد - قبولاً واستحساناً من العلماء وطلاب العلم في زمنه ، وقد صدر عددٌ منها مصدراً ببعض تقاريظِ أولئك العلماء الأفذاذ من أمثال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله ، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، والشيخ عبدالرزاق عفيفي ، وقد طرق الشيخ فيها مواضيع شتى في العقيدةِ والأحكامِ والآدابِ والسّلوك .

وقد تصدّى لكل من حاد عن سبيل الله من الكُتّاب المعاصرين ، وجعل يردُّ عليهم بقلمه ، منافحاً عن السنّة ، مدافعاً عن العقيدة الصّحيحة ؛ عقيدة أهل السنّة والجماعة ، وربّما نشر ذلك في كتاباتٍ ومقالاتٍ في بعض الصحف المحليّة والخارجيّة .

● **مؤلفاته :**

بلغت مؤلفاتُ الشيخ أكثرَ من خمسين مؤلفاً ، طبع منها نحو من أربعين مؤلفاً ؛ منها :

- « إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط السّاعة » .
- « الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر » .
- « الرّد القويم على المجرم الأثيم » (وهو ردٌّ على من تعرّض لـ « صحيح البخاري ») .
- « الصارم البتار للإجهازِ على من خالف الكتاب والسنّة والإجماع والآثار » (وهو ردٌّ على من أباح الربا في البنوك) .
- « إثبات علو الله على خلقه » .
- « تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعادة والحب والبغض والهجران » .
- « القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .
- « عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرّحمن » .

- « الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين » .

- « إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجه » (وهو ردٌّ على أحمد الغماري) .

- « الرؤيا » .

- « تغليظ الملام على المُتَسَرِّعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام » . وغيرها .

وأول كتابٍ طُبِع من كتبه ؛ « إنكار التكبير الجماعي وغيره » .

كما أنَّ للشيخ رحمه الله تنبيهات وتعليقات على كتب كثيرة ؛ منها :

تنبيهات على تصحيح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله لبعض الأحاديث ، وقد دوّنها بهامش « المسند » المطبوع بتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

ومنها : تعقبات على « مستدرك الحاكم » دوّنها بهامشه .

كما أنَّ للشيخ ثَبَتاً في رواية الحديث والأثبات ؛ سمّاه « إتحاف النبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء » .

● تلاميذه :

لأسبابٍ كثيرةٍ لم يجلس الشيخُ للطلبة ، ولهذا قلّ تلاميذُه ، ولا بأس ها هنا من الإشارة إلى بعضهم .

تتلمذ على الشيخ حين كان قاضياً بالزُّلفي عددٌ من الأفاضل منهم :

عبدالله الرومي ، وعبدالله محمد الحمود ، وناصر الطريري ، وزيد الغانم .

كما قرأ عليه أبناؤه عبدالله ومحمد وعبدالعزيز وعبدالكريم وصالح وإبراهيم وخالد بعض الكتب وكثيراً من مؤلفاته ، وقد أجازَ أبناءه بجميع مروياته ، وحدَّثهم قبل ذلك بالحديث المسلسل بالأوّليّة .

كما أجازَ رحمه اللهُ عدداً من أفاضل العلماء والدعاة منهم :

الشيخ إسماعيل الأنصاري ، والشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن محمد بن حميد إمام المسجد الحرام ، والشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، والشيخ سلمان بن فهد العودة ،

والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض ، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي الأستاذ بالجامعة الإسلامية ، والشيخ الفاضل صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن السعد ، والشيخ عبدالرحمن الفريوائي ، وغيرهم كثير .

● أخلاقـه :

كان رحمه الله يَتَّسِمُ بخُلُقٍ جَمٍّ ، وأدبٍ رفيعٍ ، نبيل السجايا كريم المَحْتِدِ ، تعلو مُحَيَّاه ابتسامةٌ محتشمةٌ ، وتلوح على قَسَماتِ وجهه هيبةٌ وجلالٌ تُزَيِّنُهُ ، لا يَمَلُّ مُجالِسُهُ ولا يسأمُ مُحدِّثه .

يتكلَّم بهدوء وينطق بحكمة ، قليلُ الكلام ، كثير الفكر ، كان رحمه الله ليِّن الجانب ، دمث الخُلُق ، يجلس مع أولاده وأهل بيته ، وينبسط معهم ، يتحدَّث إليهم كأحدهم من غير فرق بين صغير وكبير ، وكان رحمه الله عادلاً بين أولاده ذكوراً وإناثاً .

ومن تمام عدله بين أبنائه أنَّه - رحمه الله - مات ولا يدري أحدُهم مَن أحبُّهم إليه ، وإن كان عطفُه وشفقتُه على الصغير والإناث تبدو من خلال حديثه وتصرُّفه .

كان محبّاً للاستشارة مُطَبِّقاً لها قولاً وفعلاً ، لا يأنف أن يستشير حتى صغار أبنائه ، وكم غيّر ما يكتبه أو ترك أمراً يفعله أو فعل ما تركه بناءً على استشارةٍ أو تنبيهِ ناصحٍ .

كان وقّافاً عند حدود الله متى ثبت عنده الدليلُ من كتاب الله أو سنّة رسوله ﷺ ، لا يُقَدِّم عليهما قولَ صاحبٍ ولا رأيَ عالمٍ ، وكان كثيراً ما يُرَدِّد مقولَةَ الشافعي : أجمع المسلمون على أنَّ من استبانت له سنّة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من النّاس .

وكان أوّاباً إلى الحقّ ، وقّافاً عنده ، فقد جاءه أحدُ محبّي الشيخ المحدِّث ناصر الدِّين الألباني مُعاتباً حيثُ توجد عبارةٌ للشيخ حمود في كتابه « الصارم المشهور » ردّاً على الألباني ، فطلب الشيخُ الكتابَ ، وكان مُهَيّأً لإعادة الطبع ، فنظر إلى الموطن المشار إليه ، ثم ضرب عليه .

وبمناسبة ذكر الشيخ الألباني ، فإنَّ الشيخ - وإن خالفه الرأي فيما محلُّه الاجتهاد ، وردّ عليه - فقد كان محبّاً له ، مُعجباً به ، مُثنياً عليه ، ولقد قال مرّةً بمناسبة صدور جائزة الملك فيصل

العالمية : إنّ الشيخ ناصر مِن أحقّ مَن يُعطاها لخدمته للسُّنَّة .

ولقد دعاهُ الشيخُ إلى منزله حين زار الألبانيُّ الرياضَ في عام (١٤١٠هـ) .

وكان رحمه الله شديد الغضب لله ، يُتبيَّن ذلك حين يعلم أنَّ أحداً يجاهر بمعصية أو يعارض سنَّة أو ينشر بدعة .

كان قويّاً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم ، مُجانِباً لأهل البدع والأهواء ، محارباً لهم بلسانه وقلمِهِ .

كان حريصاً على أداء عمله بنفسه ، بل إنَّه يقوم بأعماله الخاصة دون أن يسأل أحداً شيئاً أو يستعين به ولو كان أقرب النَّاس إليه كزوجه أولاده ، بل وربَّما ألحُّوا عليه في تَرْكِه وإسنادِه إليهم فيأبى ذلك ، ولسانُ حالِهِ يُرَدِّدُ حديث : « بايعوني على أن لا تسألوا النَّاس شيئاً ... » .

● عبادته :

نذر الشيخ - رحمه الله - نفسه لله فلا تراه إلَّا في عبادة ، فنهاره للعلم بحثاً وكتابة ، منذ بزوغ الشمس إلى غروبها ، إلى صلاة العشاء ؛ وربما جلس بعد صلاة العشاء قليلاً بمكتبته يكمل ما ابتدأه بالنهار ، وذلك في أُخريات حياته رحمه الله ، يتخلَّل ذلك نومةٌ يسيرةٌ بعد صلاة الظهر .

وأمَّا ليله فيقضي جزءاً كبيراً منه - وهو ثلثه الأخير - في التهجد والصَّلاة حضراً كان أو سفراً ، لم يدع ذلك حتى أثناء مرضه إلى أن عجز عن ذلك ولم يعد يستطيع القيام به .

وأمَّا الوتر فلم يتركه إلى آخر يوم من حياته رحمه الله .

لقد حفظ الشيخ وصيَّة رسول الله ﷺ لعدد من أصحابه فما كان يدع صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، حتّى وهو يعاني شدَّة المرض من أخريات حياته ، وكذلك صيام عشر ذي الحجَّة وستَّة أيام من شوال وعاشوراء وغيرها .

كما كان رحمه الله حريصاً على المتابعة بين الحج والعمرة ، حج مراراً كثيرة ، وكان يعتمر كل سنة ويحرص عليها في رمضان ، وكان يقضي وقت إجازة نصف العام مع أبنائه بمكّة حرسها الله .

لقد كان لسان الشيخ رطباً بالقرآن ؛ يقرأه على كل حالة قائماً وقاعداً ، ومضطجعاً، حتى إنّه ليقوم ببعض أعماله وهو يقرأ القرآن ، وكان يختم القرآن كل سبع ، إلّا في رمضان فيختم كل ثلاث .

وكان يقرأ في صلاة الليل كل يوم أربعة أجزاء ونصفاً تقريباً .

● مرضــه ووفاتــه :

ابتدأ المرض بالشيخ منذ ثلاث سنوات تقريباً ، لكنه كان يكتم ذلك ويُخفيه ، حتى اشتد عليه المرض في السّنة الأخيرة ، فأُدخل على إثر ذلك المستشفى ثلاث مرات ، كان آخرها قبل وفاتهِ بيومين ، وكان خلال تلك المدّة راضياً محتسباً صابراً على قضاء اللّه وقدره ، إلى أن وافاه أجله المحتوم في آخر ساعة من يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٣/٧/٥هـ .

رحمه اللّه رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وألحقه بمن أنعم عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصّالحين وحَسُن أولئك رفيقاً .

وقد صُلّي عليه بعد صلاة الظهر من يوم الأربعاء ١٤١٣/٧/٦هـ بمسجد الرّاجحي بمدينة الرياض ، ودفن بمقبرة النسيم .

وكانت جنازته رحمه اللّه جنازة مشهودة ، حضرها خلق كثير ، ضاق بهم المسجد على سعته ، وامتلأت أسطُحه وساحاتُه والطرقُ المحيطةُ به ، وكان من بين الحاضرين جمعٌ كبيرٌ من العلماء والدعاة والوُجهاء ، وقد أمَّ المصلّين سماحةُ الشيخُ عبدالعزيز بن عبداللّه بن باز حفظه اللّه .

وكان عمر الشيخ يوم وفاته ثمانية وسبعين عاماً وستّة أشهر وعشرين يوماً .

إنّا للّه وإنّا إليه راجعون .

اللهمّ آجرنا في مصيبتنا ، واخلف لنا خيراً منها .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا انت أستغفرك وأتوب إليك .

والحمد للّه ربّ العالمين .

السمّاعون

سليم الهلالي

للإعلامِ تأثيرٌ بالغٌ على سلوكِ الإنسانِ واتجاهِهِ في الحياةِ حتى إنَّهُ يَصِلُ إلى حدِّ التَّسخيرِ .

ولأهمّيّةِ هذا الأثرِ فقد اهتمَّ الإسلامُ بالإعلامِ وغايَتِه ووَسيلَتِه ليَحمي المجتمعَ المسلمَ من التَّضليلِ الدِّعائي والتَّخريبِ الإعلاميّ .

وَمن استقرأ المجالَ الإعلاميَّ في الكتابِ والسُّنَّة يَجدُهُ قائماً على خُطَّةٍ مَنهَجيَّةٍ دَقيقةٍ وَفقَ أُسُسٍ وَقِيَمٍ وَأَهداف واضِحَةٍ .

وَمحاورُ هذه الخُطَّةِ تَرتَكِزُ على ما يأتي :

١ - الدَّعوةُ إلى الإسلامِ، وإعلامُ النَّاسِ بالحقائق، وبيانُها لَهُم : ﴿ أُدعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحِكمَةِ والمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وجادلهُم بالَّتي هيَ أحسَنُ إنَّ رَبَّكَ هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سَبيلِه وَهوَ أعلمُ بالمُهتَدين ﴾ .

٢ - الدِّفاعُ عن قضايا الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ ورعايةُ مصالِحِها : ﴿ فَلولا نَفَرَ من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليَتَفَقَّهوا في الدِّين وَليُنذِروا قومَهم إذا رَجعوا إليهم لعلَّهم يَحذَرون ﴾ .

٣ - تَفنيدُ دعاوى الأعداءِ، وكشفُ مُخطَّطاتهم، وتبيينُ سبيلهم : ﴿ يحذرُ المنافِقونَ أن تُنَزَّلَ عليهم سورةٌ تُنَبِّئُهُم بما في قلوبهم قُل استَهزِؤا إنَّ اللَّه مخرجٌ ما تَحذَرُون ﴾ .

٤ - مواجهةُ الإشاعاتِ والأراجيفِ لحمايةِ المسلمِ من التَّضليلِ والمخادَعةِ، ووضعِه أمامَ الحقائق وجهاً لوجه : ﴿ لَئِن لَم يَنتَهِ المنافِقونَ والَّذينَ في قلوبِهم مَرَضٌ والمُرجِفونَ في المدينة لَنُغرِيَنَّك بهم ثمَّ لا يُجاوِرونَك فيها إلَّا قليلاً مَلعونينَ أينما ثُقِفوا أُخِذوا وَقُتِّلوا تَقتيلاً

سنَّةَ اللَّهِ في الَّذينَ خَلَوا مِن قبلُ ولن تَجِدَ لسنَّةِ اللَّه تبديلاً ﴾ .

وسنتكلَّمُ عن الرَّكيزَةِ الأخيرةِ - اليوم - بشيءٍ من التَّفصيلِ :

○ إنَّ الإشاعاتِ والأراجيفَ تَستَهدِفُ سُمعَةَ المؤمنين، والنَّيلَ من كرامَتِهم، لإسقاطِ شَخصِيَّتِهم بالإثمِ والبُهتان : ﴿ والَّذينَ يُؤذونَ المُؤمنين والمُؤمناتِ بغير ما اكتَسبوا فَقَد احتَملوا بُهتاناً وإثماً مُبيناً ﴾ ، ﴿ إنَّ الَّذينَ يُحِبُّونَ أن تَشيعَ الفاحشةُ في الَّذينَ آمَنوا لهُم عَذابٌ أليمٌ ﴾ .

○ ومِن ثَمَّ يَتِمُّ اختراقُ الصُّفوف، وَنَشْرُ الفِتنَةِ، والتَّأثيرُ على ضِعافِ الإيمانِ، وإرباكُ البنيانِ الإسلاميّ : ﴿ لَو خَرَجوا فيكُم ما زادوكُم إلَّا خَبالاً ولأَوضَعوا خِلالَكُم يَبغونَكم الفِتنَةَ **وفيكم سمَّاعونَ لهُم** واللَّه عليمٌ بالظَّالمين لَقَد ابتَغَوا الفِتنَة من قبلُ وَقَلَّبوا لكَ الأمورَ حتى جاءَ الحَقُّ وظهرَ أمرُ اللَّهِ وهم كارهونَ ﴾ .

ويستغل المرجفون عنصرين أساسيين :

أ - جهل عامَّة النَّاس بالحقائق أو عدم وضوحها لديهم .

ب - حالة القلق والخوف والترقُّب .

○ إنَّ عاقبةَ الاستماعِ للأراجيفِ، والانسياقِ وراءَ الإشاعاتِ، وترويجِ الأخبارِ الكاذبةِ؛ هو **النَّدَمُ** : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إنْ جاءَكم فاسِقٌ بنبإٍ فَتَبيَّنوا أنْ تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فَتصبِحُوا على ما فَعَلتم **نادمين** ﴾ .

وقد أرشدَنا الإسلامُ إلى كيفيَّة التعامُل مع الإشاعةِ والأراجيفِ :

١ - **التَّبيُّنُ والتَّثبُّت**، فإذا سَمِعَ المُسلمُ خَبَراً يَنبَغي أنْ يَتَحقق من مَصدَرِهِ أهو ثِقَةٌ أم غير ذلك ؟

ومِن العجبِ العجيب أن كثيراً من العاملين على ساحة الدعوة الإسلاميَّة يتلقَّونَ الأخبارَ من الإذاعاتِ الكافِرَةِ، والصُّحُفِ الفاجِرَةِ التي تخدِمُ مصالح أعداءِ اللَّه وتُشيعُ الفاحشةَ في المؤمنينَ، وتُوحي بالشُّبهات والتُّهَم، ويأخذونَ مُعظمَ ذلك بالتَّسليم !

فإنْ لم يَأْخُذوه بتسليمٍ؛ كان له أثرٌ نفسيٌّ سلبيٌّ في عقولهم وقلوبهم، قد يُغَيِّر

بآثارهِ – كثيراً مِن المواقفِ والتصرُّفات !!

٢ – **التسلحُ بالقوّة الإيمانيّة**؛ فإنّها مناعةٌ تبطلُ كيدَ الكافرين : ﴿ وَلا تَهِنوا وَلا تَحزَنوا وأَنتُم الأعلَوْنَ إنْ كنتُم مؤمنين ﴾ ، ﴿ لولا إذ سَمِعتموهُ ظَنَّ المؤمنونَ والمؤمناتُ بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفكٌ مبين ﴾ .

٣ – **عَدَمُ نَقلِ الإشاعةِ وتَرويجِ الأَراجيفِ**، وحسنُ الظَّنِّ بالمؤمنين، قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمَرء كذباً أنْ يُحدِّثَ بكُلِّ ما سمعَ »[1].

٤ – **المواجهَةُ الإعلاميّة** لكشفِ الزَّيفِ، وتعريةِ الإشاعةِ، وبيان الكذب والتناقض لإسقاط فاعليتِها : ﴿ أم حَسِبَ الَّذينَ في قلوبهم مرضٌ أنْ لَنْ يُخرِجَ اللَّهُ أضغانَهم وَلو نشاءُ لأريناكَهُم فلعرفتَهم بسيماهُم ولتعرِفنَّهُم في لَحنِ القَولِ واللَّهُ يَعلمُ أعمالكم ﴾ .

٥ – **الإسقاطُ** ؛ وهو ذو فاعليّة في هزّ نفسيّةِ العدو، وإشعاره بتفاهة منزلته، وضعف موقفه : ﴿ قُل ما يَعْبَأُ بكُم ربِّي لَولا دعاؤُكم فَقد كذَّبتُم فَسَوفَ يكون لزاماً ﴾ .

٦ – **الإهمالُ** ؛ وهو عدمُ الاعتناء بالعدوّ؛ ليشعر بضَعفِ موقفه وضآلة قدرَته :

﴿ والَّذينَ هُم عن اللغوِ مُعرِضون ﴾ .

﴿ وإذا خاطبهم الجاهِلونَ قالوا سَلاماً ﴾ .

﴿ وإذا سَمِعوا اللّغوَ أعرَضوا عَنهُ وقالوا لَنا أعمالنا ولكُم أعمالكُم سلامٌ عليكُم لا نبتَغي الجاهِلين ﴾ .

وإذا اطَّلَعتَ يا عبدَ اللَّه على شيءٍ من عَورات المسلمين؛ فإيّاك أنْ تُخدَع؛ فتسارعَ إلى بَثِّه فإنَّهُ يُريع الأُمّة، ويَزيدُ الغُمّةَ، ويُمكّن للظَّلَمة .

ولكن لا تَنسَوُا الفضلَ بينكم نُصحاً وإرشاداً وسَتْراً وحِرصاً .

واللَّهُ الهادي .

---

(١) رواه مسلم في « المقدمة » (٥) .

العالِم الربَّاني وحاجة الأُمَّة إليه

محمد بن موسى بن نصر

في كل يومٍ يُقبل تشتدُّ حاجة الأمّة إلى العالم الرباني الذي وصفه الله بقوله : ﴿ إنّما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ ﴾ ووصفه بقوله : ﴿ ولكن كونوا ربّانيّين بما كنتم تُعَلّمون الكتاب وبما كنتم تَدْرُسون ﴾ .

ذلك أنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء يهدونهم إلى الحق ويُرشدونهم إليه، فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى؛ فلولا العلماء لكان النّاس كالأنعام لا يعرفونَ معروفاً ولا يُنكرونَ منكراً ففضل العلماء على الأمّة عظيم : ﴿ وجعلنا منهم أئمّة يَهدونَ بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يُوقنون ﴾، **والإمامة في الدين إنّما تُنال بالصبر واليقين**، ولكن هل كل من لبس العمامة والجبة عالمٌ ؟!! وهل كل من أشير إليه بالبنان عالمٌ ؟!!

كلا ... فالعالم الذي يخشى اللّه ويَتّقيه حقَّ تقاته ويعمل بطاعته ويحذر معصيته يطلب العلم للّه؛ لا ليماري به العلماء، أو ليجاري به السفهاء، أو ليصرف بِهِ وجوه النّاس إليه، أو ليُوَسَّعَ له في المجالس، وتُغدق عليه الجوائز والصِّلات، ويُلقى عليه هالةٌ من التقديس فَيُمدح بما ليسَ فيه، ويتشبَّع بما لم يعط فيغدو كلابس ثوبي زور !!

وعالم السوء مَن أحسن زخرفة الألفاظ، وأجاد سَبْكَ العبارات، وبرع في شقشقة الكلام، وهو من الداخل خَوَاءٌ من كل فضيلة، قد ملأ النفاقُ قلبه وأفاض على جوارحه، يحسبه الظمآن ماء وما هو إلّا سراب بقيعة، يقول ما لا يفعل، ويفعلُ ما لا يؤمر، ويقفو ما ليس له به علم، ويعرض عمّا ندب إليه، ويتكلّف ما لا يعنيه : يشتغل بعيوب الآخرين،

وينسى عيوب نفسه، قَصْدُهُ من العلم التنعّم بالدنيا والتوصّل إلى المنزلة عند أهلها، أولئك لا يجدون عَرْف الجنة حتى يعود اللّبن في الضرع، وحتى يلج الجمل في سمّ الخياط إلّا أن يشاء اللّه .

والعالم الرباني عزٌّ وجودُه في هذا الزمان إلّا من رحم اللّه وقليل ما هم، مصداقاً لقول رسول اللّه : « إنَّ اللّه لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء، وإنّما بموت العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ النّاس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[1].

ومن صفات العلماء الربانيين : بُعْدُهم عن السلاطين محترزين عن مخالطتهم؛ فَيَفِرُّون منهم فرارهم من المجذوم لئلا يفتنوا بهم ويتعلقوا بدنياهم، فيصبحوا مطيّة لهم يرحلونهم متى شاءوا فيزينوا لهم الباطل حسبَ أهوائهم، فبئس ما صنعوا وبئس المنقلب منقلبهم .

قال حذيفة رضي اللّه عنه : إيّاكُم ومواقف الفتن .

قيل : وما هيَ ؟

قال : أبواب السلاطين، يدخل أحدكُم على السلطان فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه .

وقال سعيد بن المسيب : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنّه لصٌّ .

وقال بعض السلف : إنّك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلّا أصابوا من دينك أفضل منه .

ومن صفات العالم الرباني : عدمُ التسرع إلى الفتوى فلا يُفتي إلّا بما يتيقّن صحته .

وقد كانَ السلف يتدافعونَ الفتوى حتى ترجع إلى الأوَّل .

وقال عبدالرحمن بن أبي ليلى : أدركت في هذا المسجد مئة وعشرين من أصحاب رسول اللّه ﷺ ما أحدٌ يُسألُ عن حديث أو فتوى إلّا ودَّ أنَّ أخاهُ كفاه ذلك، ثمَّ قد آل

(١) متفق عليه من حديث عبداللّه بن عمرو رضي اللّه عنه .

الأمر إلى إقدام أقوامٍ يدَّعونَ العلمَ اليومَ، يُقْدِمُونَ على الجوابِ في مسائل لو عرضت لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه لجمعَ أهلَ بدرٍ واستشارهم .

فكيفَ بأدعياءِ العلمِ في العصرِ الحديثِ !!

ومن صفاته : اعتقادُ عقيدة السلف الصالح ومنهجهم، وتعظيمُ السنَّة ومحاربةُ البدعة وأهلها والتشريد بهم وبغضهم ومعاداتهم، فهو يوالي أهل السنة، ويعادي أهل الأهواء والبدعة، ويجاهد في سبيل الله باللِّسان والسِّنان ولا يخاف في الله لومة لائم .

والعالم الرباني : يتبع ولا يبتدع، ولا يضرب السنة بالكتاب، ولا يُقَسِّم الدين إلى قشر ولباب .

والعالم الرباني : يُعَظِّم السلف الصالح ويُوَقِّرهم ويُجِلُّهم ويُثني عليهم بما هم أهله .

والعالم الرباني : ينصاع للحق ويشكر من أسدى إليه نُصحاً ولو كانَ أصغر منه سناً أو أقل منه فقهاً، ولا يَضيقُ صَدْرُه به .

والعالم الرباني : يخاف سوء الخاتمة فلا يجترئُ على الباطل، أو يتطاول على المسلمين، أو يسخر منهم، أو يغمزهم ويلمزهم، أو يُكيل لهم التهم والفرى جزافاً .

والعالم الرباني : لا يتعامل مع مخالفيه من المسلمين كما يتعامل مع الأفاعي والعقارب، فيرخي العنان للسانه شتماً وقذفاً وسخرية وتفنُّناً في عبارات السب واللَّعن، بل يُنَظِّف لسانه ويُطَهِّر جنانه، ويسأل ربه المغفرة ويخاف سوء الخاتمة .

فما أحوجَنا إلى علماء ربانيين صادِقين، ليأخُذوا بيد هذه الأمَّة إلى سبل السلام، فإنَّ الأمَّة أحوجَ ما تكون إلى الأسوة والقدوة المُتمثِّلة بأخلاق عُلماءِ الجيلِ الأوَّلِ الذين تمثلوا أخلاق الرسول ﷺ - الذي كانَ خُلُقُه القرآن[1] - فتزكو الأمَّة بهم، ويكون لها التمكين في الأرض، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) كما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

الأُسرة وقواعد السُّلوك العائلي

د. مروان القيسي

الأُسرةُ تلك اللَّبِنَةُ التي تُشكِّلُ أساسَ المجتمع، وتتكوَّن من أفرادٍ تقومُ بينهم علاقاتٌ دائمةٌ، تكادُ تكونُ أكثرَ العلاقات الإنسانيَّة أهمِيَّةً .

لذا كانَ لا بدَّ من قواعد للسُّلوك تحكُمُ هذه العلاقاتِ وتُنَظِّمُها، حتى تكونَ على خيرِ ما يُرام وتُؤتي أُكُلَها، متمثِّلاً في صَبغِ الحياة الأُسَريَّة بالانسجام والتَّعاون التَّامَّين .

والعَلاقاتُ الأُسَرِيَّةُ علاقاتٌ بينَ الزَّوجينِ من جهة، والآباء والأبناء من جهةٍ ثانية، والأبناء بعضهم ببعض من جهةٍ ثالثة، وقد سبقَ مِنَّا القولُ في العَدَدِ الماضي حولَ ما يتعلَّقُ بقواعدِ سُلوكِ الزَّوجِ، واليومَ سيكونُ الكلامُ - بتوفيقٍ مِن اللّه - حول :

○ سلوك الزَّوجة :

١ - من المستحيل أن يتحقَّق نجاحُ العلاقة الزَّوجيَّة إذا لم تلعب الزَّوجة دوراً إيجابيّاً فعَّالاً فيها مهما كان الزَّوج مثاليّاً ورائعاً، فانتبهي - أيَّتها الزوجةُ الصالحةُ - لهذا الأمر وتحمَّلي مسؤوليَّاتك، فعليك يعتمد نجاحُ الأسرة أو فشلُها .

٢ - إذا أردتِ أن تصومي تطوُّعاً فلا تفعلي ذلك قبل أن تستأذني زوجك، فإن لم يأذن لك، فليس مِن حقِّك حينئذ الصَّومُ .

٣ - إذا لم يرغب زوجك بدخول أحدِ أقاربه أو أقاربك أو الجيران أو غيرهم من النَّاس، فلا تأذني بدخول ذلك الشَّخص منزلَك .

٤ - كلَّما اعتنيتِ بزوجك وقُمتِ على خدمته تقرَّبتِ من قلبه، فمعظم الأزواج

يرون في خدمة زوجاتهم لهم مظهراً من مظاهر الحب، فلا تُهملي واجباتك نحوه وتنبهي لما يطلبه منك .

٥ - اعلمي أنَّ لقدرة زوجك المادية حدوداً، فارضي منه باليسير ولا تُكلِّفيه ما لا يُطيق، فتطالبيه بما هو فوق طاقته، فتُوقِعيه وتُوقعي الأسرةَ كلها في الدُّيون، حتى لو كان زوجك من كبار الأغنياء، فإنَّ الإسراف في اللِّباس والأثاث أمر مكروه بغيض لا يليق الإقدام عليه بسيِّدة عاقلة، والفئةُ الوحيدةُ من النَّاس التي تودُّ شراء كل ما تشتهيه هم الأطفالُ !!

٦ - استقبلي زوجَك عند عودته من العمل بابتسامة، متزيِّنةً له في شعرك ولباسك ومظهرك ومتعطِّرة، وإذا كان مُحمَّلاً بالأغراض فخذي عنه وساعديه .

٧ - لا تَعْرضي عليه مشاكلك ومشاكل الأولاد فوراً، أو تبدئي بالشَّكوى، فإنَّ هموم العمل والإثارات التي تعرَّض لها طيلة النَّهار تكفيه، فإن جئت لتكملي مسلسل متاعبه، فعليك وحدك تحمُّل النَّتائج إذا ثار زوجك، لذا عليك أن توفِّري الجو الذي يحتاجه رجلٌ يعمل وقتاً طويلاً في مجتمع مليء بالمشكلات والتَّناقضات والعجائب كمجتمعنا .

٨ - ناقشي مشكلاتك مع زوجك على انفراد دون حضور أحد من الأولاد أو الأهل والأصدقاء .

٩ - احترامك وإكرامك لأهل زوجك احترام لزوجك وإكرام له .

١٠ - انتبهي باستمرار لنظافة أسنانك وطِيب رائحة فمك، وحافظي عليهما باستمرار .

١١ - أنت سيِّدة المنزل وراعيته فتحمَّلي مسؤوليَّاتك بأمانة وحافظي على أثاث البيت ومحتوياته، واعتمدي الاعتدالَ والتَّوفيرَ أساساً للمصروف .

١٢ - إنَّ حقَّ القوامة حقٌّ منحه الله تعالى للرَّجل عليك، فلا تطالبي بالمساواة كمثل ما تطالب به المرأة الغربيَّة، ولكن طالبي بالعدل وأن تُؤدَّى إليك حقوقك التي أعطاك الله .

١٣ - لا تكثري الخروج من المنزل ولا تغادريه في حالة اعتراض زوجك على ذلك .

١٤ - لا تتحدَّثي مع غريب أو أجنبي إلَّا أن يأذن لك زوجك، وبالشروطِ الشرعيَّة المعروفة .

١٥ - إذا خرجت مع زوجك للسّوق أو للزّيارة فلا تتقدَّمي عليه بالسَّير .

١٦ - احذري نشر الأسرار المتعلّقة بالجماع، ففي ذلك إثمٌ كبيرٌ .

١٧ - لا تكثري الكلام والنّقاش مع زوجك إذا لم تلمسي منه رغبَة بالحوار أو الحديث، وتجنّبي عادة الرّد عليه، فتلك عادة سيّئة .

١٨ - إذا تكلَّم زوجك فأحسني الاستماع إليه .

١٩ - في حالة غياب زوجك عنك، كوني أكثر محافظةً على نفسك ورعايةً لماله وأولاده ومنزله .

٢٠ - حاولي ألَّا يراك زوجك إلَّا بمظهر جميل وثوبك نظيف ومزيَّنة دائماً .

٢١ - لا تتردَّدي في إظهار محبَّتك لزوجك، فهذا مما يُقرّبه لك ويشدُّه للبيت والأسرة في وقت كثرت فيه الإغراءات خارج المنزل .

٢٢ - قابلي ما يُنفق زوجك عليك وعلى المنزل بالشُّكر والعِرفان لا بالجحود والنُّكران .

٢٣ - إذا استفسر أحد أصدقاء زوجك عن زوجك، فلا تطيلي الكلام معه، واقتصري على إجابة الضَّروري من أسئلته .

٢٤ - ليسَ لك أن تُعيري أحداً شيئاً من المنزل إلَّا بموافقة زوجك .

٢٥ - إذا أقسم عليك زوجك أن تفعلي شيئاً، فليس من المشروعِ ألَّا تبرّي قسمه .

٢٦ - إيَّاك أن تهجري فراش زوجك مهما كانت الأسباب التي تجعلك تُقدمين على ذلك .

هذه قواعدُ عامَّةٌ مبنيَّةٌ على دلائلَ كثيرةٍ من الكتاب والسنَّة، إذا وَعاها الرجلُ، وطبَّقتها المرأةُ، كان ذلك سبيلاً لبناءِ أُسرةٍ صالحةٍ، قوامُها المحبَّةُ، وأساسُها السَّعادةُ .

كتب حذّر العلماء منها

مشهور بن حسن

تعرضنا في الحلقة السابقة[١] إلى جملة أحكام شرعيّة تتعلّق ببيع الكتب، وقد قرّرنا حرمة بيع الكتب المشتملة على الشرك وعبادة غير الله تعالى، وكتب الخرافات والشعوذة، وقررنا أيضاً عدم جواز بيع الكتاب كثير الأخطاء إلّا بعد البيان .

والكتب التي فيها أخطاء كثيرةٌ ومتعدِّدةٌ ومتنوّعةٌ، فمنها يغلب عليها الأخطاء العقديّة، ويقرر أصحابُها فيها ما يخالف المقرر في الشريعة الإسلاميّة، ولا يهمني بهذا الصدد إلّا التمثيل بما كُتب - قديماً وحديثاً - باسم الدين، وأبدأ بما وُضعَ زوراً وبهتاناً على أنّه تفسيرٌ لكلام ربِّ العالمين؛ ومن ثم نُتبعه بما يتعلق بأحاديث سيد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم، ونسلُكُ ذلك كلّه في عِقْدِ :

○ كتب حذّر العلماء منها :

- تفسير « الكشاف » للزمخشري (المتوفّى سنة ٥٣٨هـ) .

ينبغي الانتباه إلى أنّ صاحبه معتزليٌّ جَلْدٌ، وأنّ له اختياراتٍ كثيرةً توافق المعتزلة وضلالاتهم في التوحيد، مع أنّ له منزلة عالية فيما حواه كتابُه من أسرار الإعجاز البياني، والغوص على المعاني البلاغية الدّقيقة .

ولكن هذه الميزة، وتمكُّنه من فنون القول، وبراعته في الكلام، وبُعد غوره، جعلت صاحبه يدسُّ بعض آرائه في أثناء « تفسيره »، ممّا روّجها على خلق كثير من أهل السنّة .

(١) وسنواصلُ في العدد القادم - إن شاءَ الله - نقد كتاب « دفع شُبه التّشبيه » ونقض كلمات محقّقه المزعوم !

ولذا قال البلقيني : استخرجت من « الكشاف » اعتزالاً - بالمناقيش - من قوله تعالى : ﴿ فمن زُحزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجنَّة فَقَد فازَ ﴾ قال : أيّ فوز أعظمُ من دخول الجنّة ! أشارَ به إلى عدم الرؤية[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله تعالى - في « مقدّمة أُصول التّفسير » (ص:٣٨) - أثناء الكلام عن تفاسير المعتزلة ما نصه: « ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، يدس البدع في كلامه، وأكثر النّاس لا يعلمون، كصاحب « الكشاف » ونحوه، حتى إنّه يروج على خلقٍ كثيرٍ من أهل السنّة كثيرٌ من تفاسيرهم الباطلة » .

وقال الذهبي في « ميزان الاعتدال » في ترجمة الزمخشري : « صالح لكنه داعية إلى الاعتزال، أجارنا الله، فكن حذراً من « كشّافه » »[2] أ.هـ.

وقال السيوطي : « وممّن لا يُقبل تفسيره المبتدع خصوصاً الزمخشري في « كشافه » فقد أكثر فيه من إخراج الآيات عن وجهها إلى معتقده الفاسد بحيث يسرق الإنسانَ من حيث لا يشعر، وأساءَ فيه الأدب على سيد المرسلين ﷺ في مواضع عديدة فضلاً عن الصحابة وأهل السنّة .

وألّف الشيخ السبكي كتاباً سمّاه « الانكفاف عن إقراء الكشاف » ذكر فيه أنّه عقد التوبة من إقرائه، وتاب إلى الله فلا يقرأه ولا ينظر فيه أبداً لما حواه من الإساءة المذكورة .

قال : وقد استشارني بعض أهل المدينة النبويّة أن يشتري منه نسخة ويحملها إلى المدينة فأشرت عليه بأن لا يفعل حياءً من النبي صلّى الله عليه وسلّم أن ينقل إلى بلدٍ هو فيها كتاب فيه ما يتعلّق بجنابه ﷺ على أنّهُ آيةٌ في بيان أنواع البلاغة والإعجاز لولا ما شانه ممّا ذكرناه »[3] أ.هـ.

وثمّة ملاحظةٌ أخرى حول هذا الكتاب، وهي : ضَعفُ كثيرٍ من الأحاديث التي فيه، ولا سيّما أحاديث فضائل السور، سورةً سورةً، وكذلك ما روي في قصّة السيدة زينب بنت جحش،

(١) « الإتقان » (١٩٠/٢) .
(٢) « الميزان » (٧٨/٤) .
(٣) « التحبير » (٣٣٠-٣٣١) .

وما ذكره في تفسير سورة الكهف من حديثٍ موضوعٍ في يأجوج ومأجوج .

○ **إصلاحات وتصويبات حول « الكشاف » :**

قيَّض اللهُ سبحانه لهذا الكتاب كثيراً من العلماء فعملوا على تصفيته وتنقيته ممَّا علق به من اعتزاليات، ونبهوا على ما اشتمل عليه من أحاديث ضعيفة وواهيات، ومن بين هؤلاء:

الإمام أحمد بن محمد، المعروف بـ « ابن المنيِّر »، عالم الاسكندرية وقاضيها وخطيبها، ألف كتابه « الانتصاف » - وهو مطبوعٌ مع « الكشاف » - يمكن لقارئٍ لتفسير « الكشاف » أن يقرأه مع الأمن عليه أن يزيغ، أو يضل في متاهات الاعتزال .

وسدّ ابن حجر العسقلاني في « الكافي الشاف »[1] - ومن قبله الزيلعي[2] - ثغرةَ الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي فيه، فقاما بإكمال هذا النّقص خير قيام، فجزاهما الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

○ ومن التفاسير التي فيها من الباطل بعض الوجوه، وممّا يوجبُ على دور النشر أن تُنَبِّه عليها، فضلاً عن أهل العلم وطلبته :

- **تفسير الثعلبي، واسمه « الكشف والبيان في تفسير القرآن » .**

قال شيخ الإسلام في « أصول التفسير » (ص:٢٧٦): « والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، ولكنّه كان حاطبَ ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيحٍ وضعيفٍ وموضوعٍ » .

وقال نحوَه في « مجموع الفتاوى » (١٣/٣٥٤) .

وقال في « منهاج السنّة النبويّة » (٤/٤) :

« لقد أجمعَ أهل العلم بالحديث انّهُ يروي طائفةً من الأحاديث الموضوعة، كالحديث الذي يرويه في أوّل كل سورة وأمثال ذلك، ولهذا يقولون : هو كحاطب ليل » .

وقال أيضاً : « علماء الجمهور متفقون على أنَّ ما يرويه الثعلبي وأمثاله لا يحتجون به لا في

---

(١) طبع في آخر « الكشاف » .

(٢) في كتابه المسمى « الإسعاف »، ويعمل أخونا علي بن حسن على تحقيقِ مخطوطتِه، يسر الله له ذلك .

فضيلة أبي بكر وعمر، ولا في إثبات حكم من الأحكام، إلّا أن يُعلم بثبوته بطريقه »[1] .

وقال في « الرد على البكري » (ص:٨) : « وإذا كانَ تفسير الثعلبي وصاحبه الواحدي ونحوهما فيها من الغريب الموضوع في الفضائل والتفسير ما لم يجز معه الاعتماد على مجرَّد عزوه إليه، فكيف بغيرها ؟! » .

ثم قال : « مع أنَّ هؤلاء المصنِّفين أهلُ صلاح ودين وفضل وزهد وعبادة، ولكنهم كما قال مالك : أدركت في هذا المسجد سبعين شيخاً، كلٌّ له فضل وصلاح ودين، ولو ائتُمنَ أحدُهم على بيت مال لأدّى فيه الأمانة، يقول أحدهم : حدثني أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ، ما نأخذ عن أحدٍ منهم شيئاً، وكان ابن شهاب يأتينا وهو شاب فنزدحمُ على بابه، لأنّه كان يعرف هذا الشأن » .

وقد نقل ابن تَغْرِي بَرْدِي في « النجوم الزّاهرة » (٢٨٣/٤) : عن ابن الجوزي قولَه في هذا « التفسير » : « ليس فيه ما يُعاب به إلّا ما ضمَّنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضَّعف مُتناهية خصوصاً في أوائل السور » .

وقال ابن كثير : « كان الثعلبي كثير الحديث، واسعَ السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير »[2].

ومن العجب حقّاً أنّه - رحمه الله - ذكر في مقدمة « تفسيره » أنَّ اللّه رزقه ما عرف به الحقّ من الباطل، وميَّز به الصحيح من السقيم، وعاب على من جمع بين الغث والسمين، والواهي والمتين !!

ولا أدري كيف يكون حال كتابه لو لم يرزق ذلك !

وهذا الكتاب لم يطبع بعد - فيما أعلم - فليكن ناشره على بيِّنة من أمره، ولا يغتر بكثرة ما يذكر فيه، فقد أساء صاحبه إلى نفسه وإلى كتابه بهذا الصنيع المذموم، فينبغي أن يقترن بِبَيانِ الوضع أو الضعف معه حال الطبع . واللّه الموفق .

---

(١) (٢٥/٤) وقد تكرر الكلام من شيخ الإسلام عن الثعلبي، « وتفسيره » في المواطن التالية : (٤/ ١٨، ٢٨، ٣١، ٤٦، ٤٨، ٨٣، ٨٤، ٩٥، ١٠٥، ١١٦) .

(٢) « البداية والنهاية » (٤٠/١٢) .

- «حقائق التفسير»، لأبي عبدالرحمن السُّلَمي (المتوفى سنة ٤١٢هـ).

كان الشيخ أبو عبدالرحمن السُّلَمي - رحمه الله - فيه من الخير والزهد والدِّين ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار - التي توافق مقصوده - كل ما يجده، فلهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة، والكلام المنقول، ما ينتفع به في الدِّين، ويوجد فيها من الآثار السقيمة، والكلام المردود، ما يضرّ من لا خبرة له، وبعض الناس توقف في روايته[1].

وقد اعتنى السُّلَمي فيه بأقوال جعفر الصادق، ولكنها لم تصح ولم تثبت عنه، وغالبها كذب.

قال شيخ الإسلام: «وقد ذكر أبو عبدالرحمن في «حقائق التفسير» عن جعفر بن محمد وأمثاله من الأقوال المأثورة ما يعلم أهل المعرفة أنّهُ كُذب على جعفر بن محمد، فإن جعفراً كُذب عليه ما لم يُكذب على أحمد»[2].

وقال أيضاً: «في مصنفات أبي عبدالرحمن السُّلَمي من الحكايات الباطلة، بل ومن الأحاديث الباطلة ما لا يوجد مثله»[3].

والمقصود هنا أن المذكور فيه عن سلف الأمة وأئمتها ينبغي لطالب العلم أن يعمل على تمييز صحيحه من ضعيفه، وأن لا يُسَلِّم له.

وثمّة ملاحظةٌ أخرى جديرةٌ بالتسجيل هنا، ألا وهي:

إنَّ هذا الكتاب لم يقتصر عل ذكر الباطل عن سلف الأُمّة، بل فيه خطأً في مدلول ومعاني الآيات القرآنيّة، فتُذكر فيه معانٍ صحيحةٌ لا تدل عليها الآيات القرآنية.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة في «مجموع الفتاوى» (١٣/٣٦٢-٣٦٣): «وأمّا الذين يخطئون في الدّليل لا في المدلول فمثلُ كثيرٍ من الصوفية والوعاظ والفقهاء وغيرهم، يفسرون القرآن بمعانٍ صحيحةٍ؛ لكن القرآن لا يدلُّ عليها، مثل كثير ممّا ذكره أبو عبدالرحمن السلمي في «حقائق التفسير» وإن كان فيما ذكروه ما هو معانٍ باطلة، فإنَّ ذلك يدخل في القسم الأوّل،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/٥٧٨).

(٢) المرجع نفسه: (١١/٥٨١).

(٣) المرجع نفسه: (١٨/٧٢).

وهو الخطأ في الدَّليل والمدلول جميعاً، حيث يكون المعنى الذي قصدوه فاسداً » .

وكذلك لم يَسْلَم هذا التفسيرُ من الإشارات والشطحات الصوفية، بل احتوى على كثير من الحلول والاتّحاد، مما جعل الإمام الذهبي يقول - في « سير أعلام النبلاء » (١٣/٤٤٢) - فيه :

« تُكلِّمَ في السُّلمي من أجل تأليفه كتاب « حقائق التفسير » فيا ليته لم يؤلِّفه، فنعوذ بالله من الإشارات الحلّاجيّة، والشطحات البِسْطاميّة، وتصوُّف الاتحاديّة، فواحزناه على غُربة الإسلام والسُّنّة، قال الله تعالى : ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتَّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ﴾ » .

وقال في ترجمته من « السير » (١٧/٢٥٢) : « ... وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكاياتٌ موضوعة، وفي « حقائق تفسيره » أشياءُ لا تسوغُ أصلاً، عدَّها بعضُ الأئمة مِن زَندقة الباطنية، وعدّها بعضهم عرفاناً وحقيقةً، نعوذُ بالله من الضُّلال ومن الكلام بهوى، فإنَّ الخير كلَّ الخير في متابعة السنَّة والتمسُّك بهَدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم » .

وقال أيضاً : « و « حقائقه » قرمطةٌ، وما أظنه يتعمَّد الكذب، بل يروي عن محمد بن عبدالله الرازي الصوفي أباطيلَ وعن غيره »[١].

وقال أيضاً :

« أتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية، نسأل الله العافية »[٢] .

وقال الإمام تقي الدين ابنُ الصَّلاح في « فتاويه »[٣] : « وجدتُ عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسِّر - رحمه الله - أنّه قال : صنَّف أبو عبدالرّحمن السُّلمي « حقائق التفسير »، فإنْ كان اعتقد أنَّ ذلك تفسيرٌ فقد كَفَر » .

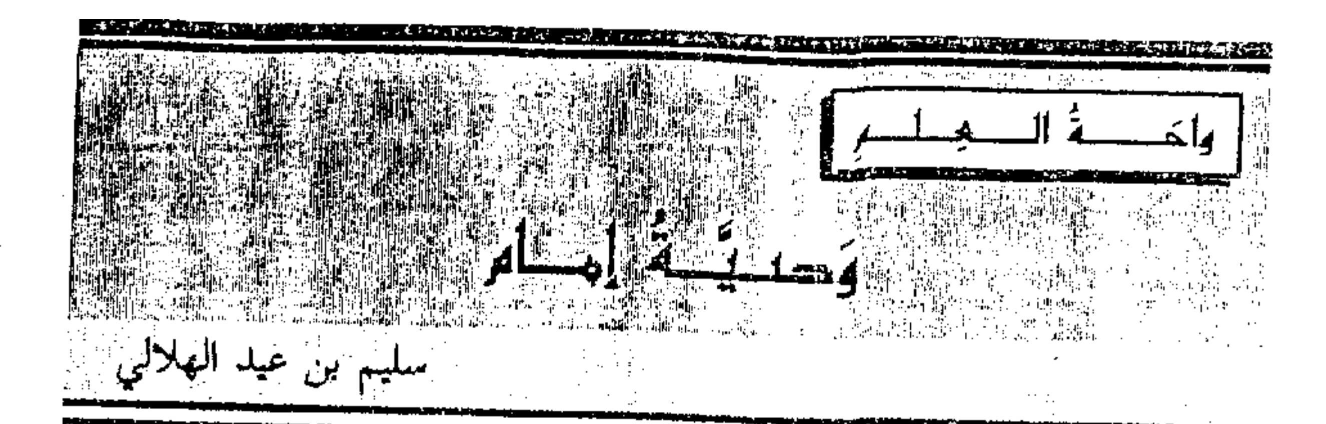
وعلّق عليه الذهبي بقوله : « قلتُ : **واغَــوثــاه ! واغُــربــتــاه !** »[٤].

(١) « سير أعلام النبلاء » (١٧/٢٥٥) .

(٢) « تذكرة الحفاظ » (٣/١٠٤٦-١٠٤٧) .

(٣) ص:٢٩، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٣٤١)

(٤) « سير أعلام النبلاء » (١٧/٢٥٥)، وانظر « التفسير والمفسرون » (٢/٣٨٦) .



سليم بن عيد الهلالي

قال كُمَيلُ بن زيادٍ :

أَخَذَ عليُّ بنُ أبي طالب بيدي، فأخرجني إلى ناحيّة الجبَّان(١)، فلمَّا أصحرنا(٢)، جلس، ثمَّ تنفَّس، ثمَّ قال :

يا كُمَيل بن زياد ! القُلُوبُ أوعيةٌ، فخيرُها أوعاها؛ إحفظ ما أقُولُ لكَ :

النَّاسُ ثلاثة : فعالمٌ ربَّانيٌّ(٣)، ومتَعَلِّمٌ على سبيلِ نجاةٍ، وهَمَجٌ رعَاعٌ أتباعُ كلِّ نَاعِقٍ، يَميلونَ معَ كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنور العلمِ، ولم يَلجَؤوا إلى رُكنٍ وثيقٍ .

العلمُ خيرٌ من المالِ، العلمُ يحرسكَ وأنت تحرس المال .

العلم يزكو على العمل، والمالُ تَنقُصُهُ النَّفقةُ، ومحبَّةُ العالمِ دِينٌ يُدانُ بها .

العلمُ يُكسِب العالمَ الطَّاعةَ في حياته، وجميلَ الأُحدُوثة بعد موته، وصنيعةُ المال تزول بزواله .

مات خُزَّانُ الأموال وهم أحياء، والعلماءُ باقون ما بقي الدَّهر، أعيانُهم مفقودةٌ، وأمثالُهم في القلوب موجودةٌ .

---

(١) ما استوى من الأرض في ارتفاع، ويكون كريمَ المَنبَت، ولا تكون في الرّمل ولا في الجبل، وكل صحراء جَبَّانة .

(٢) برزوا إلى الفضاء، لا يواريهم شيءٌ .

(٣) هو العالم العامل البصير بسياسة النَّاس، حيث يُرَبِّيهم على صغار العلم قبل كباره .

إنَّ ها هُنا - وأشار بيده إلى صدرِه - علماً لوأصَبْتُ لهُ حَمَلَةً !

بلى؛ أصبته لَقِناً[1] غيرَ مأمونٍ؛ يستعملُ آلَةَ الدِّينِ للدُّنيا، يستظهر بحُجَجِ اللّه على كتابه، وبنِعَمه على عبادِه، أو مُنقاداً لأهلِ الحقِّ لا بصيرة له في إحيائه، يَنقَدِحُ الشكُّ في قَلبِه بأوَّلِ عارضٍ من شُبهةٍ، لا ذا ولا ذاكَ، لا يَدري أينَ الحق ؟ إن قالَ ؛ أخطأ، وإن أخطأ؛ لم يَدرِ، مشغوفٌ بما لا يُدرَى حقيقتُه، فهو فتنةٌ لمن افتُتن بِه، وإنَّ من الخيرِ كلِّه مَن عرَّفهُ اللّهُ دينه، وكفى بالمرءِ جَهلاً أن لا يعرِفَ دينَهُ، أو منهوماً باللَّذَّاتِ، سَلِسُ القيادِ للشَّهواتِ، أو مُغرىً بجمع الأموالِ والادِّخارِ، وليسَ من دُعاة الدِّينِ، أقربُ شَبَهاً بالأنعامِ السَّائمة، كذلكَ يَموتُ العِلمُ بمَوتِ حامِليه .

اللّهمَّ بلى؛ لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجَّةٍ، لئلَّا تبطُلَ حُجَجُ اللّه وبيِّناته، أولئك هم الأقلُّونَ عدداً، الأعظمون عند اللّه قدراً، بهم يدفَعُ اللّه عن حُجَجِهِ حتى يُؤَدُّوها إلى نُظَرائِهِم، ويزرعوها في قلوب أشباههِم، هجَمَ بهِمُ العلمُ على حقيقة الأمرِ، فاستلانوا ما استوعر منه المُتفرِّقون، وأَنِسُوا بما استَوحشَ منهُ الجَاهلونَ، صَحبوا الدُّنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعَلَّقَةٌ بالمَنظَرِ الأعلى، أولئكَ خُلَفاءُ اللّه[2] في بلاده، ودُعاتُهُ إلى دينه .

هاه هاه ! شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفرُ اللّه لي ولكَ ... إذا شئتَ؛ فَقُم[3].

---

(١) سريع الفهم؛ إلَّا أن العلم لم يطبعه على مكارم الأخلاق، فهو يستخدم وسائل الدِّين لجلب الدُّنيا، ويستعين بنعم اللّه وفضله عليه على إيذاء عباد اللّه، نعوذُ باللّهِ مِن الخِذلان .

(٢) في هذا التَّعبير نكارة، ولا يصحُّ فيه حديث مرفوع، وانظر « معجم المناهي اللفظيَّة » (ص:١٥٦) للشيخ بكر أبو زيد .

(٣) أخرج هذه الوصيَّة أبو نُعيم في « الحلية » (٧٩/١) والخطيب في « الفقيه والمتفقِّه » (٤٩/١) . وانظر « جامع بيان العلم » (١١٢/٢) و « البداية والنهاية » (٤٧/٩) .

المؤتمر السَّنوي السَّادس
لجمعيَّة القُرآن والسنَّة في أمريكا الشمالية

د. محمد الجبالي

أقامَت جمعيةُ القرآن والسنَّة في أمريكا الشماليَّة مُؤتَمَرَها السَّنويّ السادس في مدينة شيكاغو من ولاية إلينوي، تحت عنوان : « **واقعُ الأُمَّة : أسباب الوَهَن، وسبيل النهوض** »، وذلك في الفترة الواقعة بين ٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ إلى ٣ رجب الفرد ١٤١٣هـ .

ولقَد دَعَت الجمعيَّةُ عدداً مِن أهلِ العلمِ وطُلّابه المعروفين من عدَّة بلادٍ إسلاميَّة، كان منهم : الشيخ صالح بن غانم السَّدلان، الشيخ علي الحَشَّان، الشيخ أبو إسحاق الحُويني، الشيخ عقيل المَقْطَري، الشيخ سليمان السلُومي، الشيخ عبدالله بن عبدالمحسن التويجري، الشيخ أحمد عبداللطيف العبد اللطيف، الشيخ مجدي وردة، الشيخ جعفر الشيخ إدريس، الشيخ سليم الهلالي، الشيخ علي حسن عبدالحميد وغيرهم .

وقد قام هؤلاء المشايخُ - جزاهم الله خيراً - بإلقاء عددٍ من المحاضرات المنهجية والنَّدوات العلمية واللقاءات التَّربويَّة النَّافعة، ممَّا كان له كبيرُ الأثر وعظيمُ الفائدة في نفوس الحاضرين الذين وَصَلَ عددُهم تقريباً إلى سبع مئة مُشارك .

ورغبةً في إطلاعِ قُرّاء (**الأصالة**) على مُجريات المؤتمر ووقائعه، رأيتُ أن أبدأ - قبلَ كلِّ شيء - بإيراد كلمتي التي افتتحتُ بها هذا المؤتمرَ بصفتي رئيساً للجمعيَّة، وهاكم نصَّها بعد خطبة الحاجة النَّبويَّة :

أمّا بعد، فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إخوتي في الله : أُرحّب بكم أصدقَ ترحيب في مؤتمركم هذا مؤتمر القرآن والسنّة، وأسأله تعالى أن يُغْدِق علينا من فيض عطائه علماً نافعاً، وبصيرةً نافذةً تُنير لنا طريقنا في ظُلمات غربتنا هذه .

إنّ دعاة السنّة في الدّيار الأمريكيّة يلاقون في اتّباعها والدّعوة إليها العناءَ والعداءَ من أهل الباطل ومن أدعياء الإسلام المنحرفين كما هي سُنّة الله في أنبيائه وحَمَلة دعوتهم، لكنّ ذلك لا يزيدهم إلّا التزاماً بالحقّ وصَدعاً به، نسأل الله لنا ولكم الإخلاصَ والثّبات .

وقد قامَ حَمَلةُ هذه الدّعوة المباركة في هذه البلاد بعدّة محاولات لجمع كلمتهم ولمّ شتاتهم، وكان من أنجح هذه المحاولات إنشاءُ جمعية القرآن والسنّة في أمريكا الشماليّة، وهذه الجمعيّة تحملُ بجلاءٍ ووضوحٍ لواءَ الدّعوة السّلفيّة في شمال أمريكا، وتهدفُ إلى نشرها وتوطيد دعائمها فيها.

وبالرغم من بعض أوجه التقصير المعهود في كل عملٍ جديد، فقد أنجزت الجمعيّةُ إنجازاتٍ طيبةً يشهد بها المنصفون .

ونحنُ - بتوفيقٍ من الله - نعملُ جاهدين لتلافي أسباب التّقصير، وللإفادة من كل نقد بنّاء، مع حِرصنا وتأكيدنا الشديد على أهميّة العمل النّاضج الرّصين، **وعلى نَبذ كافّة ألوان العصبيّة والحزبيّة**، وتوجيه الاحترام والإجلال اللائق لأهل العلم، عَمَلاً بقوله عليه الصّلاة والسّلام : « ليسَ منّا من لم ... يَعرف لعالمنا حقه »[1].

ونسأل الله القديرَ أن نكون قد أفلحنا إلى حدٍّ كبيرٍ في جمع كلمة إخواننا حَمَلة العقيدة السّلفيّة وقلوبهم بشكل ظاهر .

وكما هو معلومٌ فإنّ الجمعيّة تتّخذ عدّة وسائل لتحقيق غايتها، ومن

---

(١) رواه أحمد والحاكم عن عُبادة، وهو حديثٌ حسن، انظر « صحيح الترغيب » (٩٦) لشيخنا الألباني

أظهر هذه الوسائل المؤتمر السنوي، وهو فرصةٌ لأهل منهاج النبوّة وأحبّائه لكي يلتقوا بإخوانهم في العقيدة والمنهج، ولكي يلتقوا بأهل العلم حَمَلة هذا المنهج الدائبين على نشره، فيستمعوا منهم إلى الإرشاد والتوجيه في جوٍّ علميٍّ أخويٍّ .

وموضوعُ مؤتمرنا لهذا العام : « **واقع الأُمّة ... أسباب الوهَن وسبيل النهوض** »، وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع بوحيٍ من الأحداث الأليمة المتضافرة التي تعصفُ بأمّتنا من كل جانب - نسأل الله العفوَ والعافية - .

وما أكْثَرَ مَن يَدْرُسُ ويُحلِّل هذه الأحداثَ، لكن - للأسف - بما يزيدُها تعقيداً لافتقاره للأساس المتين والتصوُّر الصحيح، فإنّه ما من شكٍّ أن التحليل الصحيح هو الذي يستندُ إلى الأدلّة الشرعيّة - القرآن والسُّنّة -؛ وهذا ما نسعى لِتبنّيه في سائر تصوُّراتنا بعامّة، وفي هذا المؤتمر بخاصّة؛ إذ لا عصمة ولا منجى ولا فلاح للمسلمين إلّا فيه .

وقد كان اختيار المحاضرات هادفاً إلى خدمة هذا الموضوع العامّ للمؤتمر بحيث يُحاط به بما يشفي الغليل ويُنير لنا الجادّة .

وانطلاقاً من حرص الجمعيّة على تكريس الطّابع العلمي في كافّة نشاطاتها كافّةً فإنّنا قد عملنا جاهدين على جمع عددٍ من خيار أهل العلم في ديار الإسلام، مما يُؤكّد جديّة المؤتمر وفائدته بحول الله .

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وسأُتابعُ مَعَكم - إخواني القرّاء - في العددِ القادمِ - إن شاء اللّهُ - بنوعٍ من التّفصيل وقائعَ هذا المؤتمر المهمّ في موضوعِهِ ومادَّتِهِ، ممَّا سيكون له - به - أثرٌ قويٌّ في صياغة فكر الأمّة، وتسديد دَربها، وتَرشيد طريقها، عسى أن يُعْظِمَ اللّهُ سبحانه به النَّفعَ، ولنا الأجر، إنّه سميعٌ مجيبٌ .

مسائل .. وأجوبتها

المحدث العلامة : محمد ناصر الدين الألباني .

مدخل : هذا البابُ يحوي بين سطوره الإجابةَ على ما يُشكِلُ على الأخوة القُرّاء من مسائل علميّة فقهيّة، أو مباحث حديثيّة أو عقيديّة، أو غير ذلك من مُهمّات تتّصل بشرعِ اللّه سبحانهُ .

وسنقومُ - إن شاءَ اللّه - بعَرضِ ما يَرِدُنا من ذلك على شيخنا العلاّمة محمّد ناصر الدّين الألباني، للإجابة عليه، فجزاه اللّه خيرَ الجزاء .

وعليه؛ فإنّنا نُرحّبُ باستفسارات القرّاء وأسئلتهم، سائلين اللّه سبحانهُ النّفعَ والتّوفيق : التحرير .

● السؤال الأوّل : ما القولَ في قوله تعالى : ﴿ اللّهُ يستهزئُ بهم ﴾، وقوله : ﴿ سَخِرَ اللّهُ منهم ﴾، وأمثالها من الآيات المتشابهة ؟!

الجواب : السلف كانوا يقولونَ في مثل هذه الآية وأشباهها : أمِرُّوها كما جاءت . وهم لا يعنونَ أمِرُّوها بدون فهم ! وإنّما أمِرُّوها كما جاءت؛ بفهم صحيح، بدون تشبيه أو تكييف أو تأويل أو تعطيل .

قال تعالى : ﴿ ليسَ كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ففي هذه الآية تنزيهٌ، وفيها - أيضاً - إثبات لصفتي السمع والبصر .

فمعنى التنزيه أننا نُثبت الصفة التي وصف اللّه بها نفسه أو وصفه بها رسولُه ﷺ كما يليق بعظمته سبحانه وتعالى، ولا نكيّفُ ذلك فنقول : سمعه كسمعنا، وبصره كبصرنا، كما أننا لا نتأوّل ذلك كما فعل بعض غُلاة المعتزلة حيث أوّلوا السمع والبصر بالعلم، مع أنَّ اللّه قد وصفَ نفسه في غير ما آيةٍ في القرآن الكريم بالعلم، فتأويل أولئك للسمع والبصر بالعلم تعطيلٌ، قال عنه العلماء : المعطل يعبد عدماً، والمجسم يعبد صنماً .

وعلى هذا نقول في الآيتين السابقتين - الواردتين في السؤال - من استهزاء اللّه عزّ وجل

وسخريته : أنّه استهزاء وسخرية يليق بالله عزّ وجل، وليس كما تتوهّمه الأفهامُ القاصرةُ ممّا فيه تَشبيهٌ بالمخلوقين .

○ ○ ○ ○ ○

● السؤال الثاني : هل آياتُ الصفات من المتشابهات أم من المُحْكَمات ؟

الجواب : هيَ من جهةٍ من المتشابهات، وذلك فيما يتعلّق بالكيفيّة المُتعلّقة بالله سبحانه، وليستْ – من جهة أخرى – من المتشابهات؛ من حيثُ إنَّ لها معنى ظاهراً، أي أنَّ لها معاني معروفة باللّغة العربيّة .

فهيَ أذن باعتبار الكيفيّة متشابهةٌ، لأنّه لا يمكن أن نعرف كيفية ذات الله، فبالتالي لا يمكن أن نعرف كيفية صفاته عزّ وجل، إذ الكلام في الصّفات فرعٌ عن الكلام في الذاتِ .

ولهذا قال بعض أئمّة الحديث – وهو أبو بكر الخطيب – : يُقال في الصفات ما يُقال في الذات سلباً وإيجاباً .

فكما أنّا نُثبت الذات ولا ننفيها – فإنَّ هذا النّفي هو الجحد المطلق –، كذلك نقول في الصفات؛ نُثبتها ولا ننفيها، ولكنّنا كما لا نكيّف الذات لا نكيّف الصفات .

○ ○ ○ ○ ○

● السؤال الثالث : ما حكم الاستمناء ؟

الجواب : لسنا نشك في تحريم هذه العادة، وذلك لسببين اثنين :

الأوّل : قوله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذينَ هم لفروجهم حافظونَ إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أَيْمانُهم فإنّهم غيرُ مَلُومِين **فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم** العادُون ﴾ .

وقد استدلَّ الإمامُ الشافعيُّ بهذه الآية على تحريم الاستمناء، ففي هذه الآية جعل الله للمؤمنين – حقاً – سبيلين اثنين لقضاء شهوتهم : إمّا التزوّج بالحرائر، وإمّا التمتع بالإماء والجواري ... ثمّ قال : ﴿ فمن ابتغى **وراء ذلك فأولئك** همُ العادونَ ﴾ أي : فمن ابتغى سبيلاً يروي به شهوته غير سَبِيلَيِ الزواج والتسرّي فهو عادٍ ظالمٌ .

الثاني : أنّه ثبت طبيّاً أنَّ عاقبةَ من يفعل ذلك عاقبةٌ وخيمةٌ، وأنَّ في هذه العادة ضرراً

بالصحة، ولا سيما المدمنينَ لها صباح مساء، وقد ثبتَ عن النّبي ﷺ قولهُ : « لا ضرر ولا ضرار »[1]، فلا يجوز للمسلم أن يتعاطى شيئاً يضر بنفسه أو بغيره .

وثمّة شيءٌ لا بدَّ من ذكره : وهو أنَّ هؤلاء الذينَ يمارسونَ هذه العادةَ يَصْدُقُ فيهم قوله تعالى : ﴿ أتستبدلونَ الذي هو أدنى بالذي هوَ خير ﴾ ، فقد جاء عن النّبي عليه السلام - ممّا يؤكّد التحريم - قولُه : « يا معشرَ الشباب .. من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنّه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنّه له وجاء » .

ο ο ο ο ο

● السؤال الرابع : ما حكم توليد الرجل للمرأة ؟

الجواب : أصل إدخال المرأة المستشفى للتوليد لا يَنبغي القولُ بجوازه مطلقاً، وإنّما لا بدَّ من التحديد والتضييق .

فإذا رأت الطبيبة بعلمها وخبرتها أنَّ هذه المرأة - الحامل - سوف تكون ولادتها غير طبيعيّة وأنّها قد تتطلّب إجراء عمليّة جراحيّة عليها، ففي هذه الحالة تُنقل إلى المستشفى .

أمّا إذا كانت الولادة طبيعيّة فلا يجوز أن تخرج من دارها لتدخل المستشفى لمجرّد توليدها توليداً طبيعيّاً، فإذا اضطرت المرأة لدخول المستشفى فيجب أن لا يتولى توليدَها طبيبٌ رجلٌ، فإنْ لم توجد طبيبة فلا بأس من باب الضّرورة، بل يجب - إذا كانت في حالة خطيرة - أن يُوَلِّدها الطبيب إذا كانت الطبيبةُ غيرَ موجودة .

وهذا الجواب يؤخذ من قاعدتين اثنتين من قواعد أصول الفقه هما :

الأولى : الضرورات تبيح المحظورات .

الثانية : الضرورة تُقَدّر بِقَدْرِها .

فالأصل أنَّ المرأة لا يجوزُ لها أن تخرج من دارها إلّا لحاجة، كما في « صحيح البخاري »[2] حينما نزل قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْن تبرُّج الجاهليّةِ الأولى ﴾، قال عليه السلام : « قد أذن اللّه لكُنَّ أن تخرجنَ لحاجتكن » .

---

(١) وهو مخرّجٌ في « الصحيحة » (رقم : ٢٥٠) .

(٢) انظر « غاية المرام » (رقم : ٢٠٠) .

أحوال العالم الإسلاميّ

التحرير

لم يعُد بمقدور المرء أن يُلَملِمَ الخَرقَ؛ لأنّه اتّسع على الراقع، ولا الثوبَ مِن أطرافه؛ لأنّه خَلَقٌ، فهو بحاجةٍ إلى تجديدٍ؛ ليعيشَ المرءُ حميداً، أو يموت شهيداً.

فهذه كلماتٌ يسيرةٌ، تُعَرِّفُكَ - بمنّة الله - حقائقَ الأمور، دون مُواربةٍ، ومن غيرِ ضَوضاء !! تعميقاً لحقيقةِ الأُخوّةِ في الله، وتحقيقاً للشعور الصّادق بمعاني التكافل والتآخي.

● الصومال ... و ... عاصفة الأدغال :

فوق ما يعيشه المسلمون في الصومال مِن مجاعةٍ وتشريدٍ، وتقتيلٍ بالنّار والحديد ... جاءَهم جوّاً وبحراً دُعاةُ (إعادةِ الأمل) ... في عمليّةٍ (بوليسيّةٍ) جديدةٍ لا يُريدونَ منها كساءَ العُراة ... ولا إطعامَ الجياع ... ولكنْ ... إرهابَ الجيران (!) وإيجاد مَوْطىء قَدمٍ لهم في القَرن الإفريقيّ، وتَوطيد أركان الجَيب النّصراني في السّودان، بعدما بدأ يتهاوى أمام زحف الجيش السّوداني الإسلاميّ بتوجُّههِ !!!

أيُّ (أَمَلٍ) هذا الذي يُريدُ فَرْضَه (رُعاةُ البقَر)، وقراصنةُ البَحْر، ودُعاةُ النظام العالميّ الجديد ؟!

إنّها سياسةُ القَبضةِ الحديديّة المسيطرة على كلِّ إسلاميٍّ إذا كان لمضادّته (عندهم) مصالح ؟! ولكنْ بثوبِ (الشرعيّة الدّوليّة) وحماية المستضعفين !!

ولو لم يكن ذلك كذلك ... فأين مسلمو البوسنة والهرسك .. من (إعادة أملٍ) لهم ؟!

غمَ الصِّياح والاستصراخ !!

إنّه الكذبُ المكشوف، والمخادعةُ المفضوحةُ !!

● البوسنة والهِرسك ... الذُّبالةُ الأخيرة :

... قبلَ عامٍ تقريباً كانت (ذكرى) مرور خمس مئة عام على **مأساةِ الأندلس** بنارِها ، وظلامِها ، وعظيم بأسِها !!

ومنذ عامٍ - أيضاً - تقريباً ... فُتحت صفحةٌ جديدةٌ مِن صفحات ذلك الصِّراع العقائديّ الغربيّ ضدَّ كلِّ ما هو إسلاميٌّ !!

فماذا أنت راءٍ في (البوسنة والهرسك) والمواجهة الصليبيّة الحاقدة للمسلمين ؟!

... ترى القتلَ والتّشريد ... ترى النّسف والتّدمير ... ترى وَأْدَ الأطفال **وهَتكَ** النِّساء .

إنّها حربُ إبادة ... ليس فيها هوادة !!

في قلب أوربّا هل يَسْمَحُ دُعاةُ **الديمقراطيّة الكاذبة** بنشوءِ **نُواةِ** دولةٍ إسلاميّة ؟!

إذَنْ : ليس لها إلّا السَّحق والمَحو !!

والمسلمون ... والعَرَب (!) ... ماذا يفعلون ؟!

نشجبُ .. نستنكرُ !!

متى يستيقظُ (النائمون) ليعلموا أنَّ هذا المصيرَ الأسودَ الذي يُحاولُ (الصِّربيُّون) - بل (الغربيُّون) - تحقيقَه في مُسلمي البوسنة والهرسك : هو ذاتُهُ المصيرُ المستقبليُّ لكلِّ ما هو إسلاميّ !!؟

ولكنْ ... هذا الدِّينُ لله .. ونحن عبادٌ لله .. وليس مِن شكٍّ عندنا أنَّ الله - سبحانه - سيُفسد على جميع الماكرين والمُخادعين - كافرين ومُنافقين ! - كيدَهم ومكرهم ﴿ إنَّ رَبَّكَ لبالمِرصاد ﴾ .

● المُهجَّرون في الأرض ... ليسوا أوّلَ ضحايا اليهود :

أثارت قضيّةُ المُبعدين الأربع مئة ردودَ فعلٍ عالميّةٍ واسعةً، من نواحٍ (إنسانيّة) صِرْفَة !!

ومُعالجةُ مثل هذه القضيّة لا تكونُ - فقط - من النّاحية الإنسانيّة التي يشترك في إظهارها المسلمُ والكافر !! ولكنّها يجبُ أن تُعالجَ مُعالجةً إسلاميّةً صِرْفةً مبنيّةً على معرفةِ النّفسيّة اليهوديّة الكاذبة التي أُسّست على كَبتِ الحقّ ... وقَتْل دُعاتِه ... وتمويهِ الحقائق ... ونشر الخداع ...

فهل هؤلاء (المُبعَدون) هم أوّل سَوأة يهوديّة تنكشف ؟!

ألم تُسلَب أراضٍ ... وتُدَنّس مُقَدّسات ؟!

ألم تُشرّد نساءٌ ... ويُهجّر شيوخ ؟!

ألم (يُبعَد) مئات الأُلوف مِن المشرّدين ؟!

إنّ النّفسيّة اليهوديّة نفسيّةٌ جبانةٌ رِعديدةٌ ... لا يصلحُ معها استجداءٌ ... ولا تماوتٌ ولا تهاونٌ !!

لا يصلحُ معها مؤتمرات ... وقرارات ... وتوصيات !!

فإذا عُولج اليهودُ على ضَوءِ نفسيّتهم، **وبالنظرة القُرآنيّةِ الواضحةِ** ... فلن تنفعَهم حينئذٍ أسلحةٌ نوويّةٌ ... ولا طائراتٌ (مخفيّة) ... ولا (فيتو) أمريكي ... ولا هيمنة عالميّةٌ صهيونية !!

متى يعرف (النّاس) هذه الحقيقةَ عن هؤلاء القوم !!

لذا؛ فإنّ المُبعدين لن يكونوا (أيضاً) آخرَ القائمةِ ... رُغم أنف كُلّ مستنكرٍ وشاجبٍ يُعامِلُ (اليهودُ) معاملةً ليست مبنيّةً على الإسلام ... **وحُكم الإسلام !!**

● المدّ الشيعيّ في السّودان :

التوجّه الإسلاميّ لشعب السودان تَوَجُّهٌ مُباركٌ لا يستنكرهُ مؤمنٌ صفيُّ الإيمان ...

والتوجّه الإسلاميّ لحكّام السّودان يجبُ أن يُرَشّدَ ويُسدَّد ، لا أن يُواجَه، وتُفتعَلَ في وجههِ الفجواتُ الفارغةُ الكاذبة !

وإذ نقولُ : « يُرشّدُ ويُسَدَّدُ » فإنّما نعني بذلك التحذيرَ من الفكر الشيعيّ الذي بدأ - سياسةً - يغزو السّودان وأرضَ السّودان وشعبَ السودان !!

ماذا يعني وجودُ ممثّل شخصي لخامِنئي ؟!

وماذا يعني فتحُ أبوابِ السودان على مِصراعَيها أمامَ الشّيعة ؟

○ وكان ﷺ ينهى أمّته أن تتقدّم رمضان بصوم يوم أو يومين احتياطاً وتعمقاً إلّا أن تكون عادةً لأحدهم؛ لذلك نهى عن صيام يوم الشك .

○ وكان ﷺ يُبَيِّت النيّةَ من اللّيل قبل الفجر، وأمر أمّته بذلك .

وهذا الحكم من خصوصات صيام الفريضة، أمّا صيام النافلة فلا يشمله هذا الحكمُ .

○ وكان ﷺ لا يُمسك عن الأكل والشرب والـمُفَطِّرات حتى يرى الفجر الصادق رؤيةً مُحَقَّقَةً عملاً بقولِ اللّهِ تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبيّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ ﴾ .

وبين ﷺ لأمّته أنّ الفجر فجران صادق وكاذب، فالكاذب لا يحرم طعاماً ولا شراباً ولا جِماعاً، ولم يكن ﷺ يُشَدِّد على أمّته في رمضان ولا في غيره، فلم يشرع لهم ما يسمى - بغير حقّ - أذانَ الإمساك .

○ وكان ﷺ يُعَجِّل الفطور ويُؤَخِّر السحور، ويأمر أمّته بذلك قائلاً : « لا تزال أمّتي بخير ما عجّلوا الفطور » .

○ وكان بين سحورِه ﷺ وقيامه لصلاة الفجر قَدْرُ قراءة خمسين آية .

○ وأمّا أخلاقه ﷺ فحدِّث عن حُسنها ورِفعتها ولا حرج؛ فقد كان ﷺ أحسن الناس أخلاقاً، كيف لا وقد كان خلقه القرآن، كما وصفته أم المؤمنين عائشة .

وقد أمر ﷺ أمّته بحُسْنِ الـخُلُق خصوصاً الصائمين منهم فقال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس للّه حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه » .

○ وكان يتعاهدُ أهله ويُحسن عشرتهم في رمضان أكثر من غيره .

○ وكان لا يمنعُه الصيامُ من تقبيلِ أهله ومباشرتها وكان أملَكَ النّاسِ لإربه .

○ ولم يكن يدع السّواك في رمضان وغير رمضان؛ يطهر فاه ويُرضي ربّه .

○ وكان ﷺ قد احتجم وهو صائم، ورخّص بالحجامة للصائم؛ وخلاف ذلك

اليسيرُ تُجاه ذلك السَّيل الجارف العاتي الذي وراءَه العقولُ الماكرة والأموال الكاثرة ؟!

أفلا يجعلُنا هذا كُلُّه نُفكِّر جديّاً بالسُّبُل والطرائق التي من خلالها نُعيد إلى هذه الجمهوريّات الإسلاميّة هُويّتها الإسلاميّة؛ حقيقةً لا اسماً !

ونحن إذ (نُفكِّر)، فإنَّ (غيرَنا) قد باشرَ وَعَمِلَ ... أَلَا تَرَونَ أنَّ زبانيةَ النظام العالمي الجديد، قد حذَّروا (فوراً) تلك الجمهوريّات من (الأُصوليّة[1] الإسلاميّة)، وأرشدوها إلى التجربة العلمانيّة التُّركيّة !! لتكونَ قدوتَها في الحكم والتصرُّف والخضوعِ لغيرِ اللّه !

● بين المسلمين والسّيخ في الهند :

يعيشُ مُسلمو الهند بين فترةٍ وأخرى صراعاتٍ عقائديّةً مريرةً مع طائفة السِّيخ، وهي من طوائف الهندوس الغُلاة الحاقدين على الإسلام والمسلمين[2] !

وأخيراً : تعدَّى هؤلاء الكُفّار على مسجدٍ من مساجد المسلمين الأثريّة في الهند، بحجّة (!) أنّه مكانُ مولدِ إلهٍ من آلهتهم !!

ولقد كان نتيجة ذلك الاعتداء أن قُتلَ مئات المسلمين، وحُرِّقَت بيوتهم، ودُمِّرَت متاجرهم، ونُهبَت أموالهم !!

تُرى : هل ما يجري في الهند اليومَ حادثٌ مضى، وسَتُنسى آثاره ؟!

أم أنّه بدايةٌ لِصراعٍ جديدٍ في بلادٍ استُضعفَ فيها المسلمون، يُراد على إثره استئصالُهم، وضربُهم ؟!

ونأسفُ إذ نقولُ : لم نسمع حتى صيحةَ استهجانٍ لفعائلِ السّيخِ وصنائعهم !

فلعلَّهم بتلك الصّيحة (!) يَرْعوون عمّا ينوون فِعلَه، فتخفّ وَطأتُهم، وتقلّ ثورتهم !!

---

(١) وكلمة (الأُصوليّة) فيها التباسٌ شديدٌ، لعلّنا نكشفُه في عددٍ لاحقٍ من (الأصالة) إن شاء اللّه .

(٢) ونأسفُ إذ نقول : إنّ آلافاً من (أفراخِ) هذه الطائفة الخبيثة والنِّحلة الفاسدة يعملون في الدول العربية و (الإسلامية)، ويُموِّلون طائفتَهم بأموالِ المسلمين، ليزدادَ بطشُهم، وتَعْظُمَ سطوتُهم على إخواننا مُسلمي الهند وكشمير !! ولا حولَ ولا قوّة إلّا باللّه .

رمضانيات

مع النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان

محمد موسى نصر

إننا نستقبلُ ضيفاً عزيزاً غائباً لا يَفِدُ إلينا إلّا مرّةً في العام، يزورنا غِبّاً فنكون له أشدَّ حُبّاً، ضيفٌ تخفق بحبه القلوب، وتشرئبُّ إليه الأعناق، وتتطلّع الأعين لرؤية هلاله، وتتعبّد النفوسُ المؤمنة ربَّها بذلك .

وهذا الضيف الكريم المبارك يعرفه المؤمنون حقاً لأنهم هم أنفسُهم الذين يؤدُّونه حقَّه ويقدرونه قدره فيكرمون وِفادَتَهُ صدقاً وعدلاً .

إنَّ الله رفع قَدْرَ هذا الضيف في القرآن، وعلى لسان النّبي العَدنان ﷺ، فجعل الخير كله فيه؛ **في أوّله ووسطه وآخره**؛ قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وَبيِّناتٍ من الهدى والفرقان ﴾ .

لا شكَّ أنّك عرفت أخي القارئ من هو هذا الضيف !!

تُرى ما هيَ خصائصُه وما هيَ فضائلُه ؟! حتى تستعدَّ لاستقباله وتُشَمِّر عن ساعد الجد لاهتبالِه، لتنال ما أودع الله فيه من خير وبركة ورحمات :

هذا الشهر أنزل اللهُ القرآنَ فيه، ولو لم يكن فيه إلّا هذا الفضل لكفى، فكيف وفيه ما فيه ما الله أعلم به من مغفرة الذنوب، ورفع درجات المؤمنين، ومضاعفة الحسنات، وإقالة العثرات، يُعتق الله في كل ليلة من لياليه عتقاء من النار .

وهو شهرٌ تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتُصَفَّد فيه الشياطين،

ينزل فيه ملكان يقول الأول : يا باغي الخير أقبل، ويقول الثاني : يا باغي الشر أقصر » .

فيه ليلةٌ من حُرِمَها حُرِم خيراً كثيراً؛ ليلة يُفْرَقُ فيها كل أمر حكيم .

إنها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .

وإنَّ الوقوف على هديه ﷺ في كلِّ طاعة أمرٌ في غاية الأهمِّيَّة، خصوصاً هديه في شهر رمضان، لأنَّ العمل الصالح لا يرفع للعبد إلّا إذا أخلص فيه للّه وجرَّد المتابعة لرسول اللّه ﷺ؛ فالإخلاص والمتابعة هما ركنا قَبول العمل الصالح، وهما كجناحي الطائر، فهيهات أن يُحَلِّق الطائر بجناح واحد !!

وفي هذه السطور نقف وإيّاك أخي القارئ على أحواله ﷺ في رمضان، باختصارٍ واعتصارٍ، لتكونَ على بَيِّنَةٍ من هديِهِ صلواتُ اللّه وسلامُه عليه، فمن لم يكن مع الرسول ﷺ في هديه في الدنيا لم يكن معه في دار الكرامة في الآخرة، إذ الفلاح كلُّ الفلاح في اتباع رسول اللّه ﷺ ظاهراً وباطناً، ولا يُنال ذلك إلّا بالعلم النافع، ولا يُوجد علمٌ نافعٌ إلّا بعمل صالح، فثمرةُ العلمِ النّافع العملُ الصّالح .

فيا عبداللّه إليك بعض أحواله[1] ﷺ وهديه في رمضان لتتأسّى به فتنال محبّته وتُحشر معه :

○ كان ﷺ لا يصوم حتى يرى الهلال رؤيةً مُحَقَّقَةً أو بإخبار العدل أو بإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً .

○ وكان ﷺ يكتفي بشهادة الواحد، وفي هذا حُجَّةٌ على قَبول خبر الواحد . وثبت أنَّ الأئمة صامت برؤية أعرابي جاء من البادية فأخبر النّبيَّ ﷺ أنّه رأى الهلال فأمر ﷺ بلالاً أن يؤذن بالصيام .

(١) وكلُّ ما في هذا المقال أحاديثٌ صحاحٌ، معظمُها في « الصحيحين » أو أحدهما .

○ وكان ﷺ ينهى أمّته أن تتقدّم رمضان بصوم يوم أو يومين احتياطاً وتعمقاً إلّا أن تكون عادةً لأحدهم؛ لذلك نهى عن صيام يوم الشك .

○ وكان ﷺ يُبَيِّت النيّةَ من اللّيل قبل الفجر، وأمر أمّته بذلك .

وهذا الحكم من خصوصات صيام الفريضة، أمّا صيام النافلة فلا يشمله هذا الحكمُ .

○ وكان ﷺ لا يُمسك عن الأكل والشرب والـمُفطِّرات حتى يرى الفجر الصادق رؤيةً مُحَقَّقَةً عملاً بقولِ اللّهِ تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبيَّن لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ ﴾ .

وبين ﷺ لأمّته أنَّ الفجر فجران صادق وكاذب، فالكاذب لا يحرم طعاماً ولا شراباً ولا جِماعاً، ولم يكن ﷺ يُشَدِّد على أمّته في رمضان ولا في غيره، فلم يشرع لهم ما يسمى - بغير حقّ - أذانَ الإمساك .

○ وكان ﷺ يُعَجِّل الفطور ويُؤَخِّر السحور، ويأمر أمّته بذلك قائلاً : « لا تزال أمّتي بخير ما عجّلوا الفطور » .

○ وكان بين سحورِه ﷺ وقيامه لصلاة الفجر قَدْرُ قراءة خمسين آية .

○ وأمّا أخلاقه ﷺ فحدِّث عن حُسنها ورِفعتها ولا حرج؛ فقد كان ﷺ أحسن الناس أخلاقاً، كيف لا وقد كان خلقه القرآن، كما وصفته أم المؤمنين عائشة .

وقد أمر ﷺ أمّته بحُسْنِ الـخُلُق خصوصاً الصائمين منهم فقال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس للّه حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه » .

○ وكان يتعاهدُ أهله ويُحسن عشرتهم في رمضان أكثر من غيره .

○ وكان لا يمنعُه الصيامُ من تقبيلِ أهله ومباشرتها وكان أَمْلَكَ النّاسِ لإربه .

○ ولم يكن يدع السّواك في رمضان وغير رمضان؛ يطهر فاه ويُرضي ربَّه .

○ وكان ﷺ قد احتجم وهو صائم، ورخّص بالحجامة للصائم؛ وخلاف ذلك

منسوخ .

○ وكان ﷺ يُجاهد في رمضان، ويأمر أصحابه بالفطرِ لِيَقْوَوْا على ملاقاة عدوِّهم .

ومن رحمته ﷺ بالأمة أن رخَّص للمسافر بالفطر، وللمريض، والشيخ الفاني، والمرأة العجوز، والمرأة الحامل أو المرضع، فيقضي المسافر، ويُطعم الشيخ الفاني والحامل أو المرضع .

○ وكان يجتهدُ في العبادةِ والقيام في رمضان ما لا يجتهدُ في غيره، خصوصاً في العشر الأواخر يلتمس ليلة القدر .

○ وكان يعتكفُ في رمضان وخصوصاً في العشر الأواخر واعتكف في العام الذي تُوفِّي فيه عشرين يوماً، وكان لا يعتكف إلّا صائماً .

○ وأمّا مدارسته للقرآن : فلم يكن أحدٌ يجتهد اجتهاده، وكان جبريلُ يلقاه فيدارسه القرآن في رمضان لأنّه شهر القرآن .

○ أمّا جودُه وكَرَمُهُ في رمضان فلا يُوصف؛ فقد كان ﷺ كالريح المرسلة بالخير لا يخشى من ذي العرش إقلالاً .

○ وكان ﷺ أعظم المجاهدين ولم يمنعه الصيامُ من المشاركة في الغزوات، فقد غزا ستَّ غزواتٍ في تسع سنواتٍ؛ كلُّها في شهرِ رمضان، وقام بأعمالٍ جِسَامٍ في رمضان، حيث هدم مسجد الضِّرار، وهدم أشهر أصنام العرب، واستقبلَ الوفود، وتزوَّج بحفصة أم المؤمنين، وفتح مكة في رمضان .

والخلاصة : أنَّ شهر رمضان شهرُ اجتهادٍ وجهادٍ وتضحية في حياة الرسول ﷺ لا كما يفهمُ (ويفعلُ) كثيرٌ من مسلمي زماننا أنّه شهرُ دَعَةٍ وكسلٍ وخمولٍ وبطالةٍ !!

فاللهمَّ وَفِّقنا لاقتفاء أثر نبيِّك ﷺ، وأحينا على سُنَّته، وَأَمِتْنا على شريعته .

رمضانيات

وظائف المؤمن
في شهر الصيام

علي بن حسن

للمؤمن في شهرِ رمضان وظائفُ شرعيَّة، بيَّنها له رسولُ اللهِ ﷺ بسنَّته القوليَّة، وسيرته العمليَّة، أذ هو « موسمُ الخيرات، لأنَّ نِعَمَ اللَّهِ على عبادهِ فيه زائدةٌ على غيرهِ » .[1]

وهذه الوظائفُ تنتظمُ أموراً مِن الأحكامِ الشرعيَّة تشملُ شهرَه كلَّه مُفْعَمة بصنائعِ البرّ، وأعمال التقوى :

أوَّلاً : الصِّيام :

○ وفضلُه عُموماً عظيمٌ، لقولِهِ ﷺ - فيما رواه مسلمٌ - : « كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ له إلّا الصيام؛ هو لي، وأنا أجزي به، فوالَّذي نفسُ محمدٍ بيدِه لَخُلُوف فم الصائم أطيبُ عندَ اللَّه من ريح المسك » .

قال الإمامُ المازريُّ في « المُعلم بفوائد مسلم » (٢ / ٤١) :

« تخصيصه الصومَ ها هنا بقولِه : « لي » وإن كانت أعمالُ البرِّ المُخلَصَةُ كلُّها له تعالى - لأجلِ أنَّ الصومَ لا يُمكن فيه الرّياءُ، كما يُمكن في غيرِه مِن الأعمالِ، لأنه كفٌّ وإمساكٌ، وحالُ المُمسكِ شبعاً أو لِفَاقَةٍ كحالِ المُمسكِ تقرُّباً، وإنَّما القَصدُ وما يُبطِنه القلبُ هو المُؤثِّر في ذلك، والصلواتُ والحجُّ والزَّكاةُ أعمالٌ بدنيَّةٌ ظاهرةٌ يُمكن فيها الرياءُ والسُّمعة، فلذلك خُصَّ الصومُ بما ذكره دونَها » .

○ وفوق هذا الفَضْل - بعمومِه - الفضلُ الخاصُّ الواردُ في شهرِ رمضانَ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ : « مَن صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم مِن ذنبِه » .[2]

(١) « فتح الباري » (٣١/١) .
(٢) متفق عليه عن أبي هريرة .

ويقولُ ﷺ : « شهرُ الصَّبر، وثلاثةُ أيامٍ مِن كُلِّ شهرٍ صومُ الدَّهر » .[1]

« يعني بشهر الصبر شهرَ رمضانَ » .[2]

قال ابنُ عبدالبرّ[3] مُبَيِّناً : « والصومُ في لسانِ العَرَب أيضاً الصَّبرُ؛ ﴿إنما يُوَفّى الصابرون أجرَهم بغير حساب﴾، وقال أبو بكر ابن الأنباري : الصوم يُسمّى صبراً، لأنه حبسُ النَّفسِ عن المطاعم والمشارب، والمناكح والشهوات » .

ثانياً : القِيام :

وهو سُنَّةٌ في جماعةٍ طيلةَ الشهرِ المبارك، لقوله ﷺ : « إنه من قامَ مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيامُ ليلةٍ » .[4]

وفي فضله يقولُ ﷺ : « مَن قامَ رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّم من ذنبه » .[5]

وأكملُ الهَدي في العَدَدِ الذي يُصَلّى فيه القيامُ في رمضان - وغيره - ما صحَّ عنه وثبت مِن فعلِه ﷺ مِن صلاةِ الإحدى عشرة ركعةً، لأنه ﷺ الأُسوةُ الكاملةُ، والقدوةُ التامَّةُ .

ثالثاً : الصَّدَقة :

إذ الرسولُ ﷺ كانَ أجودَ ما يكونُ في رمضانَ .[6]

وهذا الجودُ يشملُ جميعَ معاني الصدقةِ، وأعمالِ الخيرِ، إذ « الجودُ هو سَعَةُ العطاءِ وكثرته »[7]، وهذا شاملٌ لكثير من أعمال البرّ، وصنائع المعروف .

رابعاً : تفطير الصّائم :

فقد حضَّ على ذلك رسولُ اللهِ ﷺ ورتَّب عليه كثيرَ الأجرِ وعظيمَ الثوابِ، فقال ﷺ :

---

(١) رواه النسائي (٤/٢١٨)، وأحمد (٢/٢٦٣و٣٨٤)، والطيالسي (٣١٥)، والبيهقي (٤/٢٩٣) عن أبي هريرة بسند صحيح .

(٢) « التمهيد » (١٩/٦١) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن نصر، عن أبي ذر بسند صحيح .

(٥) متفق عليه .

(٦) متفق عليه .

(٧) « لطائف المعارف » (ص:١٧٣) لابن رجب .

« مَن فَطَّر صائماً كان له مثلُ أجرِه، غيرَ أنّه لا يَنقُصُ من أجرِ الصائم شيئاً » .[1]

خامساً : قراءةُ القرآن :

فشهرُ رمضان هو شهرُ القرآن، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ شهرُ رمضان الذي أُنزل فيه القرآنِ هُدىً للناس وبيّناتٍ من الهُدى والفُرقان ﴾ .

وفي السُّنّة العمليّة للنبي ﷺ تطبيقُ ذلك، فقد كان جبريل يُدارسُ النبيَّ ﷺ القُرآن في كل ليلةٍ مِن رمضانَ .[2]

سادساً : العُمرة :

فقد روى الشيخانِ عن النبي ﷺ أنه قال : « عُمرة في رمضانَ تعدلُ حَجّةً معي » .

فانظروا - رحمكم اللّه - لهذا الفضلِ ما أعظَمَه، وما أفضلَه !

سابعًا : تحرِّي ليلة القَدْر :

قال اللّهُ تعالى : ﴿ إنّا أنزلناهُ في ليلةِ القَدْرِ • وما أدراكَ ما ليلةُ القَدْرِ • ليلةُ القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ ﴾ .

وفي « الصحيحين » أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « مَن قامَ ليلةَ القَدرِ إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبِه » .

وهي في مفاريد العشر الأواخر مِن رمضانَ .

وعن عائشة رضي اللّهُ عنها - فيما رواه الترمذي وابن ماجه بالسند الصحيح - قالت : يا رسولَ اللّه ! إنْ وافقتُ ليلةَ القَدرِ ما أقولُ ؟

قال : « قولي : اللّهمّ إنَّك عَفُوٌّ تحبُّ العَفوَ فاعفُ عَنّي » .

□ فهذا - أخي المسلم - مُختصرٌ مِن القولِ حول ما ينبغي سلوكه من وظائف شرعيّةٍ في هذا الشهر المبارك، وأمّا الوظيفةُ الكاملة التي يجبُ على المسلمِ حفظُها في شهرِ الصّبر هذا، فهي الكَفُّ عن المساوئ، والصبرُ على الأذى، وحفظُ الباطن، وأداءُ حقِّ الظاهر بالالتزام بأحكام الإسلام والاتباع لسُنّةِ النّبيّ عليه الصلاة والسلام .

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن زيد بن خالد بسند صحيح .
(٢) رواه البخاري .

من بدع الصيام والقيام في رمضان

سليم الهلالي

صيام شهر رمضان له المنزلة الفُضلى والمكانة العُظمى في الإسلام، ولمن صامه إيماناً واحتساباً ما يعلمه الله وَحْدَه من الأجر والفضل والإنعام، ولكن ذلك يختلف زيادةً أو نقصاً بنسبة قُربه أو بُعده من سنّة سيّد الأنام عليه الصّلاةُ والسّلام .

ولذلك لا بدَّ من تذكير الأخوة الصائمين بأمور ليست من هدي سيد المرسلين، لأنّها بدع ومُحدثات؛ فهي بالرد قمين، وسأذكُرها على ترتيب يوم الصائم وبالله وحده أستعين :

أولاً : من بدع التسحور والأذان :

١ - تعجيل التسحور .

٢ - الإمساك عن الأكل والشرب عند الأذان الأوّل الذي يسمونه « أذان الإمساك » .

٣ - إخراج الطعام والشراب من الفم إذا سُمِعَ الأذان .

٤ - تقديم الأذان عن موعد الفجر الصادق - زعموا - احتياطاً .

٥ - التلفُّظ بالنيّة عند التسحور .

ثانياً : من بدع الإفطار وغيره :

١ - تأخير الإفطار بدعوى تمكين الوقت .

٢ - صيام النساء وهنَّ حُيَّض طول النّهار في رمضان، وقبيل الغروب يَجْرَحنَ صيامهنّ - كما يَقُلْنَ - على لقمةٍ أو جرعةٍ ماء !

٣ - توحيش الخطباء على المنابر في آخر رمضان، حيث يقولون : لا أوحشَ الله

منك يا رمضان، لا أوحش الله منك يا شهر القرآن .

٤- نشيد توديع رمضان، وهو يشبه التوحيش حيث ينشدون في العشر الأواخر :

لا أوحش الله منك يا رمضان   يا شهر الهدى والقرآن

قد كان شهراً طيّباً ومباركاً   ومُبشّراً بالخير من مولانا

هكذا يقول المنشد، ويرد عليه الحاضرون : لا أوحش الله منك يا رمضان .

٥ - الإمساك عن التسوّك بعد الزّوال .

٦ - السفر في رمضان من أجل الإفطار .

ثالثاً : من بدع قيام رمضان (صلاة التراويح) :

١ - نَقْر صلاة التراويح كَنَقْر الغراب، فإنّ بعض الأئمة يصلّون صلاة التراويح ثلاثاً وعشرين ركعة في أقل من ثلث ساعة .

٢ - الاقتصار على سورة معيّنة في صلاة القيام، فبعض الأئمة يقرأ في التراويح بسورة الفجر، أو الأعلى، أو رُبع سورة الرّحمن .

ومن الغرائب؛ أنّ هناك بعض الطرق الصوفيّة، يُعَلِّمون أتباعهم قراءة سورة البروج في صلاة التراويح حيث يقرأ الإمام في كل ركعة بآية .

٣ - الفصل بين كل ركعتين بقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين، ثم الصلاة والسّلام على رسول الله .

٤ - قولهم بعد الأربع ركعات الأولى : شيخ التحقيق أبو بكر الصدّيق ترضُّوا عنه .

وبعد ثمان ركعات : شهيد المحراب عمر بن الخطاب ترضُّوا عنه .

وبعد اثنتي عشرة ركعة : ذو النورين عثمان بن عفّان ترضُّوا عنه .

وبعد ستّ عشرة ركعة : الإمام علي بن أبي طالب ترضُّوا عنه .

وفي ذلك كلّه يقول المصلّون - بصوتٍ جماعيٍّ مُرتفعٍ، وعلى نغمةٍ واحدةٍ - : رضي الله عنه .





ويدلُّ على ذلك ما أخرجه عبدالرزاق في « مصنَّفه » (٤/٢٥٢) عن عبدالله بن يَحْنُس قال : قلت لأبي هريرة : زعموا أنَّ ليلة القدر رُفعت !! قال : كَذب من قال ذلك .

الثاني : عمومُ الأحاديث التي فيها الحثُّ على قيامها، وبيانُ فضلها، كمثلِ ما أخرجه البخاري وغيره من قوله ﷺ : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّم من ذنبه ».

قال النووي : واعلم أنَّ ليلةَ القدر موجودةٌ، فإنها تُرى، ويتحقَّقُها مَن شاء اللَّهُ تعالى من بني آدم كُلَّ سنة في رمضان، كما تظاهرت عليه هذه الأحاديث وإخبار الصالحين بها، ورؤيتُهم لها أكثرُ من أن تُحصر .

قلت : نعم؛ إمكانيةُ معرفة ليلة القدر واردةٌ، فقد تتضافرُ العلاماتُ التي أخبر بها ﷺ على أنَّها ليلةٌ ما من ليالي رمضان، ولعلَّ هذا هو المرادُ من قول عائشة - فيما أخرجه الترمذي وصححه - قلت : يا رسول الله أرأيتَ إنْ علمتُ أيَّ ليلةِ القَدْرَ ما أقول فيها ؟ ففي هذا الحديث - كما يقول الشوكاني في « نيل الأوطار » (٤ / ٣٠٣) - : « دليلٌ على إمكان معرفة ليلة القدر وبقائها » .

وقال الزُّرقاني في « شرحه على الموطأ » (٢ / ٤٩١) : « ومن زعم أنَّ المعنى - أي : الوارد في الحديث المذكور - رُفعت أصلاً - أي : وجودها - فقد غلط، فلو كان كذلك لم يأمرهم بالتماسها، ويؤيِّد ذلك تتمَّةُ الحديث : « ... وعسى أن يكون خيراً لكم »؛ لأنَّ إخفاءها يستدعي قيام كل الشهر، بخلاف ما لو بقي معرفتها بعينها » .

فليلةُ القدر باقيةٌ إلى يوم القيامة، وإن كان تحديدُها خفيّاً على وجهٍ يقطع اللَّبس والغموض، وإن كان الرَّاجحُ أنَّها في العشر الأواخر منه، والأدلَّةُ ترجِّح أنَّها ليلة السابع والعشرين، ولكنَّ القطعَ بذلك على وجه اليقين صعبٌ وعسيرٌ، والله أعلم .

القسم الثاني : أخطاء في العمل والسلوك : وما يقعُ فيه النَّاسُ في ذلك ليلةَ القدر كثيرٌ جدّاً، ولا يكاد يَسْلَمُ منها إلَّا من عصم اللَّهُ، من ذلك :

○ البحث والنَّبْش عن تعيينها، والانشغالُ - برصد أماراتها - عن العبادة والطاعة فيها .

فكم نرى بين المصلِّين مَن يشتغل بهذا عن تلاوة القرآن والذكر والعلم، فتجدُ الصالح منهم - قُبيل طلوع الشمس - يَرقُبُ قُرصَ الشمس ليعلم هل لها شعاعٌ أم لا ؟

وعلى هؤلاء أن يتمعَّنوا فيما ورد من قوله ﷺ : « ... فعسى أن يكونَ خيراً لكم »

ففيه إشارةٌ إلى عدم تعيينها، قال أهل العلم - مستنبطين من هذا القول النبويّ أنّ إخفائها أفضل - قالوا : والحكمةُ في ذلك : أن يجتهدَ العبدُ ويُكثرَ من العمل في سائر اللّيالي رجاءَ موافقتها، بخلاف ما لو عُيِّنت له لاقتصر على كثرة العمل في ليلةٍ واحدةٍ ففاتتهُ العبادةُ في غيرها، أو قلَّ فيها عَمَلُه، بل استنتج بعضُهم منه أنّ الأفضل لمن عرفها أن يكتُمَها بدليل أنّ الله قدَّر لنبيِّه ﷺ أنّه لم يُخبر بها، والخير كلُّه فيما قُدِّر له، فيستحبُّ اتّباعه في ذلك .

○ ومما سبق يُعلم خَطَأُ كثيرٍ من النّاس في إقبالهم على القيام خاصّة، - والعبادة عامّة - في ليلة السابع والعشرين؛ جازمين - أو شبهَ جازمين - أنّها ليلةُ القَدْر (!)، ثمّ هجرُهم القيامَ والاجتهادَ في الطاعةِ سائرَ اللّيالي، ظنّاً منهم بأنّ لهم أجرَ عبادةٍ ما يزيدُ على ألفِ شهرٍ في إحياءِ هذه اللّيلةِ حَسْبُ !!

وهذا الخطأُ يجعلُ كثيراً من النّاسِ يغالونَ في الطّاعةِ في هذه اللّيلةِ، فتراهُم لا ينامون - بل لا يَفتُرُونَ - عن الصلاة، مع (مجاهدة) النّفس بعدم النّوم، وربما صلّى بعضهم - وأطالَ القيامَ - وهو يُدافعُ بجهدٍ بالغٍ النّعاسَ، وقد رأينا بعضَ مَن ينامُ منهم في السجود !!

وفي هذا مُخالفةٌ لهدي النّبيّ ﷺ في أمره بعدم عمل ذلك من جهةٍ، وأنّه من الآصار والاغلال التي رُفعت عنّا - بفضلِ الله ومَنِّه - من جهةٍ أخرى .

○ ومن أخطائهم في هذه اللّيلة انشغالُهم بترتيب الاحتفالات، وإلقاء الكلمات والمحاضرات (!)، - وبعضهم ينشغل بالنشيدِ والتّغبير !! - عن الطاعات والقُربات .

وترى بعضَ المتحمّسين يطوفُ بالمساجد لإلقاء آخِرِ الأخبارِ !! وتحليلِها على وجهٍ يُخرج هذه اللّيلةَ عن المقصود الشرعيّ الذي من أجلها شُرعت وَوُجدت .

○ ومن أخطائهم تخصيصُ بعض العبادات فيها، كصلاةٍ خاصّة لها .

وبعضهم يصلي فيها على وجهٍ دائمٍ جماعةً - بغيرِ حُجّةٍ - صلاةَ التّسابيح !!

وبعضهم يؤدي في هذه اللّيلة - بزعمِ البركةِ - صلاةَ حِفظِ القرآن ! ولا تَثبُتُ .

والمخالفاتُ والأخطاءُ المتعلّقةُ بليلةِ القدرِ - مما يقعُ فيهِ الكثيرُ منَ النّاسِ - متنوّعةٌ متكاثرةٌ، لو استقصيناها وتتبّعناها لطالَ بنا القولُ، وما أوردناهُ ها هنا نَزْرٌ يسير، يُفيدُ طلّابَ العلمِ، والرّاغبينَ بالحقّ، والباحثينَ عن الصّوابِ .



القُرَّاء .. منهم .. وإليهم

التحرير

● **الأخ بسام سعيد – عمان .**

وصلتنا منه رسالة مطوّلة مكوّنة من ستّ صفحات .

نشكرك يا أخ بسام على نصائحك ونقداتك، وإن كانَ في بعضها نَظَرٌ صدر عن سرعةٍ في الحكم واستعجال، و (**الأصالة**) ما زالت في عددها الأوّل، والخير على الطريق قادم إن شاء اللّٰه آملينَ أن تصل الرسالة إلى المستوى المرجوّ لها مع تحياتها لكم، وجزاكم اللّٰه خيراً .

● **الأخ زكريا محمد هاني : دار البخاري – طرابلس لبنان .**

أرسل إلينا رسالةً يُعبِّر فيها عن فرحته بـ (**الأصالة**) وسروره بصدورها .

ونقول : أثلجت صدورنا مشاعرك تجاه رسالتنا (**الأصالة**) آملينَ أن يتواصل التعاون بيننا .

أمَّا بخصوص طلبكم فهو قيد الدراسة مع أسرة تحرير **الأصالة**، وسنعلمكم به قريباً إن شاء اللّٰه، وشكر اللّٰه لكم حِرْصَكم .

● **الأخ عبداللّٰه يوسف العجلان – الرياض .**

وصلتنا منه رسالة يقول فيها :

عندما أحضر لي بعضُ الأخوة وفّقهم اللّٰه تعالى (**الأصالة**) ورأيتها وقرأتها وعرفت أسماء كاتبيها سعدت بذلك أيما سعادة، واستبشرَ قلبي لعلمي بأنَّ هؤلاء الكاتبين

نحسبهم – والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحداً – يسيرونَ على نهج السلف الصالح، ويدعون إلى العودة للكتاب والسنّة بفهم سلف الأمّة رضي الله عنهم أجمعين ..... فهنيئاً لنا بهذه المجلّة، وإنّي أسأل الله أن يضاعف الأجر والثواب للقائمينَ عليها .....

هذه كلمةٌ أبى قلمي إلّا أن يخطّها ويسطر حروفَها تعبيراً عما في قلبي من فرحة وسعادة بصدور هذه المجلّة .

الأصالة : نرجو أن نكون عند حُسن ظن إخواننا بنا لمواصلة طريق **الأصالة** الأصيل .

وجزاك الله خيراً على تنبيهك على بعض الأخطاء الواردة في رسالة **الأصالة**، ونحن نَفرَحُ بمثل هذه التنبيهات كثيراً .

وقد عَرضنا سؤالك على شيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني، وترى الجوابَ عليه في العدد القادم إن شاء الله .

● **الأخ محمد يوسف – الرياض .**

أرسل رسالة إلى أسرة تحرير **الأصالة** يبارك فيها صدور هذه الرسالة ويطلب إرسال العدد الأوّل منها ويسأل عن كيفية الإشتراك فيها ؟

الأصالة : شكراً لكم يا أخ يوسف على رسالتك وثنائك على **الأصالة**، وتفصيل طريقة الاشتراكات تجدها مثبتة في العدد الثاني من **الأصالة**، ويمكنك مراجعة المكتبات المتخصّصة لتأمين ما تحتاج إليه من أعداد، وأهلاً بك صديقاً معنا في « **الأصالة** » آملين أن يستمر التواصل بيننا وشكراً .

● **د. مالك الأحمد – الرياض .**

أرسل إلى مجلة « **الأصالة** » رسالة من صفحتين كبار يقول فيها :

اطُّلعت على مجلتكم المباركة « **الأصالة** » بعددها الأوّل وسرّني جدّاً صدورها في هذا الوقت العصيب، وفي تلك البلاد المباركة « الشام »، ووجدتها نافعة في موضوعاتها

جميلة في لغتها .

وقد قدّم لنا الأخ الفاضل عدّة نصائح وتوجيهات، نذكر منها النصائح التالية :

- البعد عن الأسلوب الصحفي لأنَّ المنهج العلمي يتطلب النَّقد الموضوعي الرصين القائم على الأدلّة وتجنب إطلاق الألفاظ جزافاً .

- يركّز الأخ مالك على ضرورة الابتعاد عن الحزبية، وأن يكون واقعاً لا دعوى في المجلّة .

- يقترح حذف ذِكْرَ أسماء الكتاب ومقالاتهم من الغلاف الخارجي .

والأصالة تشكر الدكتور مالك الأحمد على نصائحه وآرائه التي تدل على محبّةٍ للمنهج وغَيْرَةٍ عليه، وستعمل على أن تكون عند حسن ظن الأُخوة، والبداية صعبة دائماً والكمال لله وحده، وجزى اللهُ الدكتور مالك الأحمد خيراً، ومرحباً به زميلاً مُشارِكاً لـ « **الأصالة** » .

فأمّا نصائحُهُ الأُخرى فبعضُها (خاصٌّ) لعلَّنا نُرسلُ له - إن شاءَ اللّه - رسالةً شخصيّةً بشأنها

● **الأخ خالد بن عبدالله الجديد - الرياض .**

بعث إلى « **الأصالة** » برسالة يقول فيها :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :

أفيد فضيلتكم أني اطّلعت على العدد الأوّل من المجلّة ... وقد أُعجبت بها لما احتوته من مقالات ولمنهجها، أسأل الله أن تَستمرُّوا فيه وأرجو اعتباري مشتركاً من العدد الأوّل، وما هي قيمة الاشتراك ؟

والأصالة ترحب بك يا أخ خالد صديقاً لها، ومرحباً بك .

وقيمة الاشتراكات تجدها في العدد الثّاني وقد صدر والحمد للّه .

● **الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف المحاضر في كليّة أصول الدين بجامعة الإمام في الرياض :**

وصلت منه - جزاه الله خيراً - رسالة يقولُ فيها :

سُررت بمناسبة خروج العدد الأوّل من مجلتكم « **الأصالة** »، ولا شك أنّها بداية جميلة وطيبة، فلقد حوت المجلّة جملاً رائعة من مقالات علميّة وتربويّة جيّدة، وإخراج فني سليم، مع دعواتي للمجلّة بمزيد من التقدم والتسديد، والاهتمام بجميع مجالات المجتمع وبالذات ما يتعلق بالأسرة والطفل، وأن تسعى المجلّة إلى توسيع دائرة كُتّابها، وتوطيد العلاقة مع المنابر الإعلاميّة الدّاعية إلى مذهب السّلف الصّالح .

مع دعواتي لكم بالتّوفيق لكل خيْر والسلام عليكم .

الأصالة : نشكر الأخ الفاضل الشيخ عبدالعزيز آل عبداللطيف على رسالته القيمة التي عبّرت عن أُخوّته الصّادقة .

أما بخصوص النصائح النافعة التي أبداها الأخ الفاضل فنقول حولها :

أولاً : بخصوص الأسرة فالموضوع جدير بالاهتمام، وأسرة تحرير **الأصالة** قد نشرت في العدد الماضي، - وكذا في هذا العدد - مقالاً حول الموضوع .

وسترى أيُّها الأخ الودود في الأعدادِ القادمةِ عنايةً خاصّةً - إن شاء الله - بالنّشءِ الإسلاميّ الذي هو عِمادُ الأُمّة وجَذرُها .

ثانياً : وأما عن تنويع الكُتّاب فقد أعلنّا في العدد الأوّل والثّاني - وكذا في سائر الأعداد اللاحقة إن شاء الله - عن ترحيبنا بمشاركات الأُخوة طلبة العلم والمشايخ .

وبهذه المناسبة ندعوك يا أستاذ عبداللّطيف للمشاركة بمقالاتك، وسنعمل على نشرها، وجزاك الله خيراً .

ثالثاً : وأمّا توطيد العلاقة بالمنابر الإعلاميّة فهذه أيدينا مفتوحة للجميع، و« **الأصالة** » منبر لكل **مسلم موحّد متبع لمنهج السلف الصّالح**، ولن نتردّد في التعاون والتناصح مع أي مخلص من المسلمين، وشكراً لكم، مع تحيات أسرة **الأصالة** للجميع .

عِلْمُ الدَّاعيةِ ... لا ثقافَتُه !!

التحرير

مِمَّا لا يخفى على نبيهٍ أنَّ بينَ (العلمِ) و (الثقافة) خصوصاً وعموماً؛ فكلُّ علمٍ ثقافةٌ، وليست كلُّ ثقافةٍ علماً !

والواجبُ على الداعية المسلمِ أن يَعلُوَ على الثَّقافةِ ... فلا يبقى منحصراً فيها ... منتظراً مُحاضرة يسمعُها ... أو مجلَّة يقرؤها ... أو صحيفةً يُقَلِّبُها ... لأنَّ هذا كُلَّه (شؤون ثقافيَّة) لا تصنعُ داعيةً طالبَ علمٍ يُواجهُ الأفكارَ المنحرفةَ بشتَّى أنواعها، وعلى سائر ألوانها .

فعلى الدَّاعيةِ المُسلمِ أن يحرصَ على العلمِ النافع ... تأصيلاً، وتقعيداً، حتى يكونَ هو نفسُه بعيداً عن الشبهات المنحرفة، والشهواتِ الضالَّة التي إن لم يُواجهها عبدٌ موفَّقٌ (طالبُ علمٍ) أَوْدَت به إلى مَهَاوي الهَلَكَة .

ولا يكونُ هذا التَّأصيلُ والتقعيدُ إلَّا بالجُثِيِّ بينَ يَدَي العُلَماء الربانيين ... ومُزاحمتهم بالرُّكَب ... ومُذاكرةِ طُلَّاب العلمِ الناصحين ... والنَّظَر الفاحص في كُتُب العُلماء المُعْتَدِّ بعلمهم ومنهجهم من السابقين واللاحقين، حتى يستقيم طالبُ العلمِ الداعيةُ - أو الداعيةُ طالبُ العلمِ - على الجادَّةِ؛ جادَّة العلمِ، وجادَّة المنهج والتصوُّر .

فلو أنَّ دُعاةَ الإسلامِ - على تنوُّع مراتبهم؛ شهرةً ودعوةً - التزموا بمنهج العلمِ الشرعيِّ الأصيل، بعيداً عن المنهج الثقافيِّ المعاصر - بصوره الباهتةِ هذه - لكانوا - حقًّا - شَجىً في حُلوقِ أعداءِ الأئمَّةِ مِن كُفَّارٍ ومرتدِّين، وسيفاً مُصْلَتاً على مناهج المنحرفين .

ولا يمنعُ هذا المنهجُ العلميُّ أحداً مِن الدُّعاة مِن أن ينظرَ في (نافلةِ) وقتِه في شيءٍ من صور الثقافةِ المعاصرةِ هذه ... حتى يعرفَ ... ويرى ... ويتابع ... ولكن ... لِتَكُن هذه الصُّوَر هيَ التابعةَ ... وليست الأساسَ ... فالأساسُ علمُ الدَّاعيةِ ... لا ثقافته .

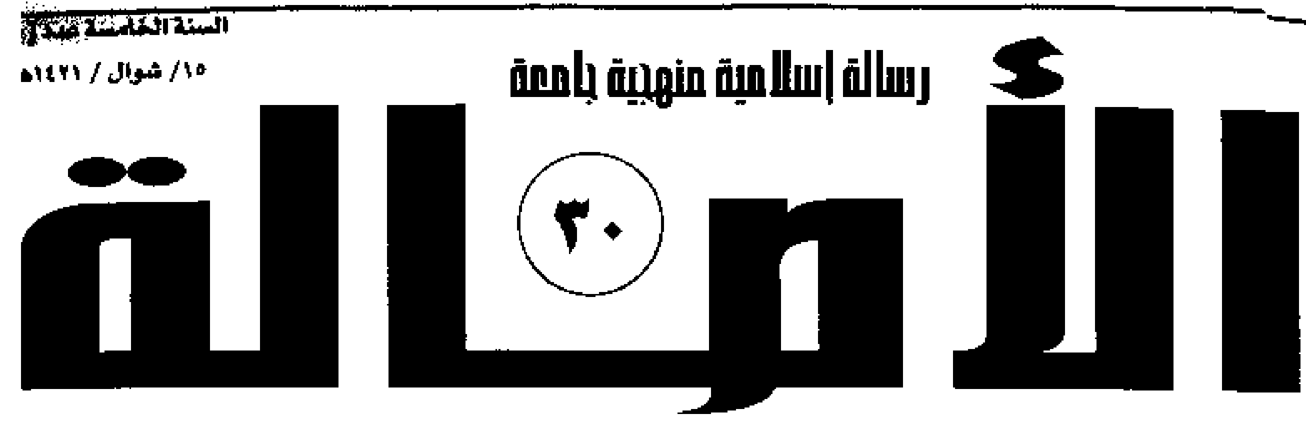
أخـي الـقـارىء :

تـقـرأُ فـي الأعـدادِ الـقـادمـةِ - إن شـاءَ اللّـهُ - الأبـوابَ الـتّـالـيـةَ :

- صفحاتٌ في النّقدِ الذّاتي .
- أضواءٌ على مناهجِ الفِرَقِ المُنحرفة .
- ردودٌ ... وتَنبيهاتٌ .
- كتابٌ مفتوحٌ إلى ...
- قضيّةٌ للمشاركةِ والبحث .
- رُكن الطُّفل المسلم .
- اقتصاديّاتٌ إسلاميّة .
- نَظَراتٌ في واقعِ العَمَلِ الإسلاميّ .
- حِوارٌ مَعَ عالِمٍ .

السنة الخامسة عدد

١٥/ شوال / ١٤٢١هـ



عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرة كل شهرين مؤقتاً

أسرة التحرير:

الشيخ سليم بن عيد الهلالي .... رئيساً
الشيخ د . محمد بن موسى آل نصر .... عضواً
الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري .... عضواً
الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان .... عضواً

إخواننا القراء :

نرحب بكل مقال علمي رصين،
ونرغب في كل نقد هادف بناء

فـ (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داعٍ إلى الحق..
- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً) .
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً) .
- أوروبا (٣٠ دولاراً) .
- أمريكا (٥٠ دولاراً) .

ثمن النسخة

الأردن (دينار) ، الإمارات المتحدة (١٠ دراهم) ، البحرين : (دينار) ، السعودية : (١٠ ريالات) ، الكويت : (٨٠٠ فلس) ، أوروبا : (٤ دولارات) ، أمريكا : (٥ دولارات)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم(١٣٢٨/٣/٤)

عنوان المراسلة

الأردن :

عمان - مخيم حطين
ص . ب (٩٨)
رمز بريدي (١٣٧٨١) .

تطلب (الأصالة) من :

الولايات المتحدة :

AL-QURAN WAS-SUNNAH SO-CIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893 - 3768
Fax: (313) 893 - 3748

بريطانيا وإيرلندا :

Salafi Pubications
17 - 19 Muntz Street
Small Heath
Birmingham Bio 9SN
TEL: (44) 121 773 0003
(44) 121 773 0033
FAX: (44) 121 773 4882
E-mail: enquiries@Salafipubications.com
WebsiteL: WWW.SalafiBookstore.com

اليمن :

مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٦٢٠٢٢٧ - ٢٦٣٩١٤

الإمارات : جمعية دار البر - دبي

البحرين : مكتبة التوحيد

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم .





إنَّ الحَمْدَ لله ؛ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .


محتويات العدد



صراعنا مع يهود صراع وجود لا صراع حدود

● بقلم: التحرير

يحاول أعداء الإسلام وجهلة أتباعه أن يصوّروا حقيقة الصراع مع اليهود على أنه صراع على أرض، وحدود، ومشكلة لاجئين ومياه، وأن هذا الصراع يمكن أن ينتهي بالتعايش السلمي، وتعويض اللاجئين، وتحسين ظروف معيشتهم، وتوطينهم في الشّتات، وإقامة دويلة علمانية هزيلة تعيش تحت حراب الصهاينة؛ تكون سياجاً أمنياً لدولة الصهاينة.

وما علم أولئك ـ جميعاً ـ أن صراعنا مع يهود صراعٌ قديمٌ، منذ أن قامت دولة الإسلام في المدينة النبوية بقيادة رسول البشرية جمعاء ـ محمد ﷺ ـ، وقد حكى الله لنا عن حقيقة حقد اليهود وعدائهم لأمة الإسلام والتوحيد: ﴿لتجدنّ أشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...﴾ الآية؛ فانظر كيف قدّم اللهُ اليهودَ في العداء على المشركين، ومع أنّ ملة الكفر واحدة غير أنهم يتفاوتون في عداوتهم لأمة محمد ﷺ: ﴿ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتّبعَ ملّتهم﴾.

ومنذ الساعة الأولى التي تنفّس فيها المسلمون عبير الإسلام؛ قام يهود بمعاداتهم ومعاداة نبيهم ﷺ؛ فلم يسلم نبيّنا محمداً ﷺ من إيذاء يهود أنفسهم؛ فقد حاولوا قتله ثلاث مرات: واحدة بمحاولة إلقاء حجر الرحى على رأسه، وأخرى حينما وضعوا له السّم في ذراع الشاة، وثالثة حينما سحره لبيد ابن الأعصم اليهودي ـ عليه لعنة الله ـ.

وها هم الأمريكان يزوّدون يهود بأعتى وأفتك أسلحة الدمار؛ ليقتلوا فيها أطفال ونساء وشيوخ فلسطين المسلمة، ويشغلون العالم بالانتخابات الأمريكية من أجل التعتيم على مذابح اليهود ومجازرهم ضد شعب فلسطين المسلم.

وها هم الإنكليز يزوّدون يهود برصاص الدّمدم المتفجّر الذي يسبب قتلاً فظيعاً

وإعاقات دائمة لشباب فلسطين ؛ فهذه الأمة مستهدفة شباباً وشيوخاً وأطفالاً ونساءً من قِبَل يهود وأعوانهم .

وها هم أعوان يهود يشغلون الأمة عن جراحات الشعب الفلسطيني المسلم، ويعمّون على جرائم يهود ببثّ مباريات رياضية وضيعة، وبرامج تافهة تخدّر الأمة وتنوّمها .

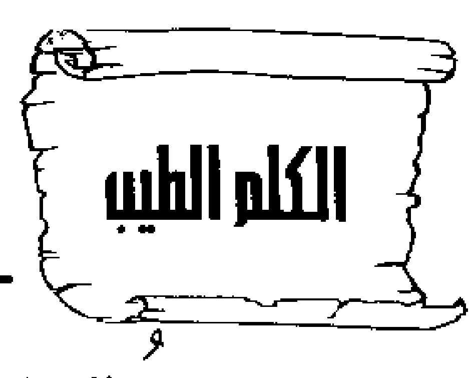
ألم يدرك المسلمون أن صراعنا مع يهود : صراع عقيدة ، صراع ثقافة ، صراع حضارة ، صراع وجود ، صراع هوية؟! ألم يحرق اليهود المسجد الأقصى؟ ألم يُجروا الحفريات تحته ؛ لينهار بعد ذلك وحده؟ ألم يقتلوا المسلمين وهم سجود في شهر رمضان في مسجد الخليل؟! ألم يبقروا بطون الحوامل ، ويقتلوا الأطفال الرضّع ، ويحرقوا الأخضر واليابس؟! ألم يحوّل اليهود مساجد فلسطين إلى حانات للخمر والقمار؟! ألم يجعلوا منها حظائر للبهائم وحاويات للقمامة؟! ثم يُقال : إن صراعنا مع يهود صراع أرض وحدود ، وإن الحل المنشود : إقامة دويلة فلسطينية عاصمتها في القدس الشريف ؛ ليعيش فيها أتباع الديانات التوحيدية الثلاثة - زعموا - . وهل جَهِلَ هؤلاء أن الدين عند الله الإسلام؟! أم هل جَهِلَ هؤلاء أن إبراهيم - عليه السلام - يبرأ مما عليه اليهود والنصارى من شرك ووثنية : ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكنْ كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ .

إن الحلّ الذي يفهمه يهود هو الجهاد - بشروطه - لإعلاء كلمة الله ، واليهود لا يريدون سلاماً ، إنما يريدون استسلاماً من هذه الأمة ، وتركيعاً لها وإذلالاً ، وأن تنسخ الجهاد من قاموسها ، وأن يصبحوا عبيداً ليهود وعملاء وأُجَراء لها ؛ تضربهم بنعلها وتسوقهم بسوطها متى شاءت .

إن صراعنا الحقيقي مع يهود لا ينتهي بإقامة الدولة الهزيلة التي لا ترفع شعار الإسلام، ولا تقيم شرع الله؛ وكيف ينتهي ! والمسلم يقرأ في صلاته سبع عشرة مرة في اليوم والليلة: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾؟

والمغضوب عليهم : هم اليهود ، والضالّون : هم النصارى بإجماع المفسرين وإلى يوم الدين ؛ فالمعركة الحاسمة التي يفنى فيها يهود عن آخرهم آتية لا محالة ؛ معركة الإيمان ، معركة العبودية لله : «تقاتلون يهود ؛ فتقتلونهم ؛ حتى يقول الحجر والشجر : يا مسلمُ ! يا عبدالله ! هذا يهوديٌّ خلفي تعال ؛ فاقتله ، إلا الغرقد ؛ فإنه من شجر اليهود» .

هذا وعد صادق ممن لا ينطق عن الهوى ؛ يؤكّد هوية الصراع مع يهود ، لا كما يصوّره الإعلامُ المُضَلِّلُ والمُضَلَّلُ .



حديثُ قتالِ اليهودِ روايةً ودرايةً

● بقلم: الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري

مّما اطمـأنّت به قلوبِ المؤمنين ، وأيقنت بحقّه عقولُهم : أنّ الدولةَ المَسْخَ التي حُشِر لها أشتـاتُ يهـودِ العـالَم ؛ وأُطلق عليهـا ـ بظلم وباطلٍ ـ أنّهـا دَوْلَةُ إسـرائيلَ : دولةٌ سـتـزولُ ، وتنمحي عن الوجودِ ؛ لا أقولُ : بتاريخ كذا ، وكذا ـ كما فعله بعضُ المتحمّسين ! بغير حقّ !! ـ ؛ فقد يأتي زمانُهُم ـ وليس ذلك على الله بعزيز ـ قَبْلَ ذلك . . . نعم ؛ قد يكون قبلَ ذلك بكثير : ﴿وما يعلمُ جنودَ ربّك إلا هو﴾ ؛ العليمُ الخبير . . .

ولعلّه مِن أجلِ ذا قال مَن قال - مِن كبار الساسةِ العصريّين -: «إنّ سلامَنا مع اليهود سلامٌ سياسي لا عقائديّ».

فقد جاءَت المرويّاتُ النبويّةُ الصحيحةُ ـ صريحةً ـ في أَنَّ الواقعة الكُبرى آتيةٌ ، ولا بُدَّ ، وأنَّ كلمةَ التوحيدِ غالبةٌ ـ ولا شكّ ـ هؤلاء اليهود ـ الأسياد منهم والعبيد ـ :

فقد روى الشيخان عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنّ رسول الله ﷺ قال : «تقاتلون اليهود ، حتّى يختبئ أحدُهم وراء الحجر ، فيقول : يا عبدالله ! هذا يهودي ورائي ؛ فاقتله» .

وروى الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال : «لا تقوم الساعةُ حتّى يُقاتلَ المسلمون اليهودَ ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر ـ أو الشجر ـ : يا مسلم ! يا عبدالله ! هذا يهوديٌّ خلفي ، فتعال فاقتله ؛ إلا الغرقد[1] ؛ فإنّه من شجر اليهود» .

. . . هاتان راجحُ الروايات وصحيحُها

(١) هو نوعٌ من أنواع شجر الشوك ؛ معروفٌ عندهم .

التي تبيّن حتميّة الصراع وحقيقته من جهة ، ويقين النصر للمسلمين من جهة أخرى .

وهي ـ بحمد الله ، وتوفيقه ـ واضحةٌ ، واضحةٌ ، واضحةٌ ، لا تحتاجُ تعليقاً ، ولا يَعُوزُها بيانٌ . .

وفي هذين النصّين دلالات منهجيّة متعددة ، أبرزها اثنتان :

الأولى : متعلّقةٌ بأوله ، وهو خطابهُ ﷺ للصحابة : «لتقاتلنَّ . .» حيث يدل دلالة صريحة أن المستقبل للإسلام وحده بإذن الله وحده ؛ لكن على منهج السلف الصالح[1] .

والثانية : متعلّقة بآخره ؛ وهو قولُهُ ﷺ ـ حكايةً لكلامِ الشجر والحجر ـ : «يا مسلم ، يا عبدالله» ؛ حيث يدل على أن المنهج التربوي الإصلاحي الذي يقوم على تحقيق التوحيد والعبودية هو المؤهل لإقامة شرع الله في الأرض واستئناف حياة إسلامية على منهاج النبوة[2] .

وثمة روايةٌ ـ من رواياتٍ عدة ! ـ ضعيفةٌ ؛ منتشرةٌ بين الناس ، متداولةٌ بين الخاصة والعامّة ، وجَبَ الكشفُ عنها ، وتحريرُ أَمْرِها :

فقد روى ابنُ سَعْدٍ في «طبقاته» (٤٢٢/٧) ، والبزّار في «مسنده» (١٣٨/٤ ـ الزوائد) ، وابنُ أَبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٥٨) ـ وغيرهم ـ عن نَهيك بن صُرَيْم السَّكوني ؛ أنَّ النبي ﷺ قال :

«لَتقاتِلُنَّ المشركين ؛ حتى تُقاتِلَ بقيتُكُم الدجالَ ، على نهرٍ بالأردن ؛ أنتم شرقيَّه ، وهم غربيَّه» .

قال الراوي : وما أدري أين الأردنُّ يومئذٍ من الأرض !!

وإسناده ضعيفٌ ؛ فيه محمد بن أبان القُرَشِيُّ ؛ وقد ضعّفه أبو داود ، وابن معين ، والبخاري ، وغيرهم .

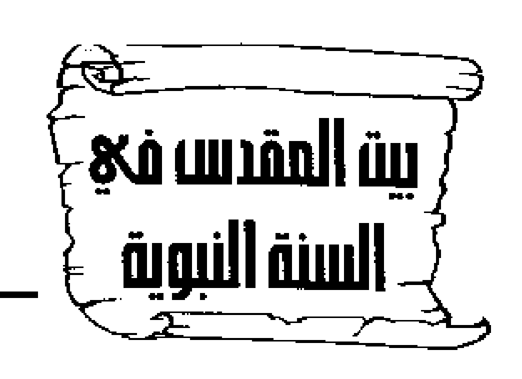
وقد أورد الحديثَ مخرَّجاً ـ بالتفصيل ـ شيخنا العلامةُ الإمام ، الحبرُ البحر : أبو عبدالرحمنَ محمد ناصر الدين الألباني ـ تغمده الله برحمته ـ في كتابهِ المعجِب «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٤٦٠/٣ ـ ٤٦١) ، وبيّن ضعفه ، ثم قال ـ رحمه الله ـ :

«كتبت هذا لَمّا كَثُرَ السؤالُ عنه بمناسبة احتلال اليهود للضفّة الغربية من الأردن ، في أول حزيران الماضي سنة ١٩٦٧م ـ أخزاهم الله وأذلّهم ، وطهّر البلاد منهم ، ومن أعوانهم» .

أقول : فأنا أُؤَمِّنُ على دعائه ـ رحمه الله ـ ؛ مبيّناً أنَّ كتابتي لهذا المقال بسبب ما يوقعُهُ اليهودُ منذ قريب ثلاثة أشهر في إخواننا مسلمي فلسطين المحتلّة ؛ قتلاً ، وتشريداً ، وإفساداً . . . ولا مفرّج إلا الله .

(١) انظر «بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف» للأخ سليم الهلالي (ص١٥١ ـ ١٦٥) .

(٢) وانظر ـ أيضاً ـ «مدارج العبودية من هدي خير البرية» للأخ سليم الهلالي (ص١٤٥ ـ ١٥٣) .



الصحيح المستقصى في فضائل المسجد الأقصى

● بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف المقدسي

أيُّ مسجد وضع في الأرض أول؟

(١) عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت يا رسول الله ! أيُّ مسجد وضع في الأرض أول؟ قال : «المسجد الحرام» ، قال : قلت : ثم أي؟ قال : «المسجد الأقصى» ، قلت : كم كان بينهما؟ قال : «أربعون سنة ، ثُمَّ أينما أدركتك الصلاة بعد فصلِّه فإن الفضل فيه» ، (وفي رواية : «وأينما أدركتك الصلاةُ فصلِّ ، فهو مسجد») .

أخرجه البخاري ومسلم عن أبي ذر .

فضل الصلاة في المسجد الأقصى:

(٢) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ : أن سليمان بن داود ﷺ لما بنى بيت المقدس[١] (وفي رواية : لما فرغ من بناء مسجد بيت المقدس) سأل الله ـ عز وجل ـ خلالاً ثلاثة : سأل الله ـ عز وجل ـ حكماً يصادف حكمهُ ؛ فأوتيه ، وسأل الله ـ عز وجل ـ مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده ؛ فأوتيه ، وسأل الله ـ عز وجل ـ حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه[٢] إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه (وفي رواية : فقال النبي ﷺ «أما اثنتان فقد أعطيتهما وأرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة») .

أخرجه النسائي ـ واللفظ له ـ ، وأحمد في «مسنده» بأطول مما هنا ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم في «المستدرك» ، والبيهقي في «شعب الإيمان» ، وغيرهم .

(٣) عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ ـ أيهما

(١) المراد تجديده لا تأسيسه ؛ فأقامه على أصل سبق فيه ؛ كما أقام إبراهيم الخليل ﷺ البيت الحرام .

(٢) يدفعه ويحركه .

أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ : «صلاةٌ في مسجدي أفضلُ أربع صلوات فيه ، ولنِعْمَ المصلى هو ، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن[1] فرسه (وفي رواية : «مثل قوسه») من الأرض حيثُ يُرى منه بيت المقدس خيرٌ له من الدنيا جميعاً . أو قال : «خير له من الدنيا وما فيها» .

أخرجه إبراهيم بن طهمان في «مشيخته» ، والطبراني في «الأوسط» ، والحاكم في «المستدرك» ، وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» ، ووافقاه الذهبي والألباني .

والحديث أصح ما ورد في ثواب الصلاة في المسجد الأقصى ، فدلّ على أن الصلاة في مسجد النبي ﷺ كأربع صلوات في المسجد الأقصى ؛ يعني : أن الصلاة في المسجد الأقصى كمئتي صلاة وخمسين في الثواب .

قال شيخنا في «الصحيحة» (٢٩٠٢) : «وأصح ما جاء في فضل الصلاة فيه ، حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ ـ أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ صلاةٌ في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه ، ولنعم المصلى . . .» الحديث .

وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ : أن يتمنى المرء المسلم أن يكون له من الأرض هذا القدر الصغير حتى يرى منه بيت المقدس» .

قال الدكتور محمد طاهر مالك في تحقيقه «مشيخة ابن طهمان» : «ومن المؤسف أن وقائع الأحداث تشير إلى أننا في طريق تحقيق هذا الحديث الذي هو من دلائل النبوة ، وأن مؤامرات الأعداء على المسجد الأقصى وبيت المقدس ستستمر وتتصاعد وتشتد لدرجة أن يتمنى المسلم أن يكون له موضع صغير يطل منه على بيت المقدس أو يراه منه ، ويكون ذلك عنده أحب إليه من الدنيا جميعاً ، ولا شك أن يكون بعد ذلك الفرج والنصر إن شاء الله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون» أ . هـ .

قلت : وهذا الذي قاله محمد طاهر مالك كان سنة (١٤٠٣هـ) الموافق سنة (١٩٨٣م) ، وأن هذه الوقائع أصبحت جاثمة ، وتشير حقاً إلى مطابقة الحديث لهذا الزمان ، ولا شك أن الفرج والنصر الذي تحدث عنه مرهون بعودة المسلمين إلى دين الله ، عودة حميدة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، والتمني الصادق للمسلم أن يكون له هذا المقدار من

(١) الحبل الطويل .

الأرض يرى منه بيت المقدس مشروط بفهمه لعقيدته علماً وعملاً .

وحين بيّضت تخريج الحديث بتاريخ (٥ محرم ١٤١٨هـ الموافق ١٢ أيار ١٩٩٧) : يفكر اليهود بقرار ضم مستوطناتهم المحيطة بالقدس إلى القدس في بلدية مركزية موحدة[1] ، وذلك عقب شروعهم ببناء مستوطنة جديدة في جبل (أبو غنيم) ، وتُعَدُّ هذه المستوطنة بمثابة إغلاق سلسلة المستوطنات المقامة حول القدس ؛ فتصبح القدس بعد ذلك محاطة بالمستوطنات ؛ كالسوار في المعصم ، بعد أن حاصروا المدينة منذ ست سنوات بنقاط التفتيش العسكرية لمنع سكان الضفة الغربية من فلسطين من الدخول إلى القدس أو الصلاة في المسجد الأقصى ، مع العلم أن جماعات كثيرة من اليهود بمسميات مختلفة تحاول باستمرار التحرش بالمسلمين داخل المسجد الأقصى بزعم إقامة صلوات لهم فيه ، وحدثت مواجهات عديدة في المسجد بين المصلين المسلمين وجنود يهود ، وقع نتيجتها قتلى وإصابات ، وكان آخر هذه المواجهات حين فتح اليهود نفقاً تحت المسجد الأقصى ، ويستمر اليهود ـ منذ احتلالهم الجزء الشرقي من القدس في (٥ حزيران ١٩٦٧) بعد احتلال الجزء الغربي لها في (١٥ أيار ١٩٤٨) في منْع المسلمين التوسع بالبناء ، والاستيطان وهدم بيوت تبنى من غير ترخيص منهم ومحاولة التضييق عليهم لهجر المدينة والسكن خارجها ، واعتبار المقيم خارجها من المهاجرين منها ؛ والله ـ تعالى ـ المستعان .

«بعد حرب ٦٧ قام اليهود بتوسيع القسم الشرقي من القدس ، وضم لها ٦٦ ألف دونم من أراضي الضفة المجاورة ؛ لتصبح مساحة القدس ٧٢ ألف دونم ، وعمل اليهود على إضافة ثلاثة من اليهود مقابل كل عربي في القدس الشرقية ؛ لذا فإن الهجرات المتلاحقة للقدس الشرقية من اليهود لا تزال مستمرة ؛ إضافة إلى الإجراءات التي يتخذها مكتب وزارة الداخلية بعدم جمع شمل العائلات في القدس ، ورفض بلدية القدس إعطاء رخص للبناء ، وهدم البيوت غير المرخصة .

وبناء على ذلك نجحت هذه الاجراءات ؛ وأجبرت الكثير من سكان القدس الهجرة إلى ضواح خارج حدود بلدية القدس مثل الرام ، وضاحية البريد ، وأبو ديس ، والعيزرية .

إن تقسيم أراض الضواحي إلى أراض تابعة للقدس ، وأخرى للضفة الغربية ،

---

(١) كتبت جريدة «القدس» العدد (٩٩٥٢) تاريخ ٥ محرم ١٤١٨ الموافق ١٢ أيار ١٩٩٧ : خبراً بعنوان كبير : (إعداد مخطط لإقامة بلدية مركزية تضم القدس والمستوطنات المحيطة بها) .

والصعوبات الموضوعة أمام سكان القدس للتوسع في البناء ، دفع سكان الضواحي للتوسع في البناء في القسم التابع للضفة الغربية حيث أن القوانين الخاصة بالبناء هي أقل صعوبة ، والفرق واضح وهو نقل وإخراج إداري لسكان القدس إلى الضواحي الواقعة في الضفة الغربية بطريقة تدريجية الهدف منها تقليل نسبة الفلسطينين في القدس .

مهمة المستوطنات التي بنيت حول القدس الشرقية في أراض الضفة الغربية ، مثل : مدينة (معاليه أدوميم) ، (جعبات زئيف) . . . إلخ ؛ وهي مستعمرات بنيت ؛ لتكون مدن يهودية في أراض الضفة محاصرة للقدس وموازية لها ، فقد بنيت في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات مدن معاليه أدوميم إلى الشرق من القدس ، وجبعات زئيف إلى الشمال الغربي ، ومدينة أفرات إلى الجنوب ، لكل مدينة من هذه المدن لها مهام مختلفة ومتعددة :

١ ـ فمدينة (معاليه أدوميم) : بنيت لفصل القدس الشرقية على أراضي الضفة الغربية ، ولتشكل حاجزاً يمنع الاتصال السكاني بين السكان العرب في القدس الشرقية والضفة الغربية ، وكذلك لمنع اتساع الأحياء العربية في شرق القدس بحيث يتم تقييدها ووضع التوسع والتطور ، والنية تتجه لتوسيع حدود مدينة معاليه أدوميم لتصل بجعبات زئيف والنبي يعقوب بحيث يتم إغلاق المنطقة الشرقية نهائياً ؛ وذلك بهدف إكمال الحاجز أو الفاصل بين القدس والضفة .

٢ ـ ومدينة (جعبات زئيف) : جاءت لتحقيق عدة وظائف أخرى إضافة إلى وظيفة الاستيطان اليهودي ومن هذه الوظائف :

١ ـ الحد من تطور الريف الفلسطيني من الناحية الشمالية الغربية بواسطة مصادرة الأراضي .

٢ ـ منع الاتصال العضوي بين التجمعات الفلسطينية بعضها ببعض في الريف الفلسطيني القريب من القدس .

٣ ـ منع الاتصال العضوي بين رام الله والقدس بواسطة زرع هذه المدينة في هذا الموقع .

٣ ـ مدينة (بيتار) و(افرات) : وظيفة هاتين المدينتين هو :

١ ـ إقامة تكتل من التجمعات اليهودية على الحدود الجنوبية الغربية للقدس وإيعاق أي إمكانية للتوسع الفلسطيني من القدس .

٢ ـ الحفاظ على اتصال ما بين أراضي وسكان يهود القدس وما يسمى «غوش عتصيون» إلى الجنوب الغربي من القدس[1] .

---

(١) الفصل الثاني من كتاب «سكان ومساكن ضواحي القدس الشرقية» ـ بتصرف واختصار ـ محمد مطر النخال : جميعة الدراسات العربية : دائرة أبحاث القدس : القدس ـ كانون ثاني ١٩٩٦ .

لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:

(٤) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى».

أخرجه البخاري ومسلم.

الاعتكاف في المسجد الأقصى:

(٥) عن أبي وائل قال: قال حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ لعبدالله ـ يعني: ابن مسعود ـ: عكوف بين دارك ودار أبي موسى لا يضرُّ! وقد علمتُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة».

فقال عبدالله: لعلك نسيت وحفظوا وأخطأت وأصابوا.

أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» والطحاوي في «المشكل»، والإسماعيلي في «المعجم»، وهو في «الصحيحة» (رقم ٢٧٨٦) وقال: «إسناده على شرط الشيخين».

وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ:

«وقول ابن مسعود ليس نصاً في تخطئته لحذيفة في روايته للفظ الحديث، بل لعله خطأه في استدلاله به على العكوف الذي أنكره حذيفة، لاحتمال أن يكون معنى الحديث عند ابن مسعود: لا اعتكاف كاملاً؛ كقوله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانه له، ولا دين لمن لا عهد له» والله أعلم».

عمران بيت المقدس:

(٦) عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «عُمران[1] بيت المقدس خراب[2] يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطنية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه، ثم قال: إن هذا لحق كما أنك ها هنا أو كما أنك قاعد ـ يعني: معاذ بن جبل ـ».

أخرجه أحمد، وأبو داود، وعلي بن الجعد، وأبو بكر بن أبي شيبة، وغيرهم.

ذِكر أن المسجد الأقصى لا يدخله الدجال «مسيح الضلالة»:

(٧) عن مجاهد قال: كنا ستَّ سنين علينا جنادة بن أبي أمية؛ فقام؛ فخطبنا، فقال: أتينا رجلاً من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، فدخلنا عليه؛ فقلنا: حدثنا ما سمعتَ من رسول الله ﷺ ولا تحدثنا ما

---

(١) بكثرة الرجال والعقار والمال.

(٢) سبب خراب المدينة المشرفة (مدينة رسول الله ﷺ).

قال القاري: إن المراد بالعمران الكمال في العمارة، أي عمران بيت المقدس كاملاً مجاوزاً الحد، وقت خراب يثرب فإن بيت المقدس لا يخرب.

سمعت من الناس، فشددنا عليه، (وفي رواية: ولا تحدثنا عن غيره وإن كان مصدقاً) فقال: قام رسول الله ﷺ فقال: أنذرتكم المسيح (وفي رواية: أنذرتكم الدجال ثلاثاً) (فإنه لم يكن نبي قبلي إلا أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعد أدم) وهو ممسوح العين (وفي رواية: أعور عينه اليسرى) ـ قال: أحسبه قال: اليسرى ـ يسير معه جبال الخبز وأنهار الماء، (وفي رواية: معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار، وإنه يمطر المطر، ولا ينبت الشجر، وأنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها) علامته: يمكث في الأرض أربعين صباحاً، يبلغُ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى، والطور، ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله ـ عز وجل ـ ليس بأعور، وقال ابن عون: وأحسبه قد قال: يسلط على رجل فيقتله ثم يحييه ولا يسلط على غيره» .

أخرجه أحمد في المسند (٥/٣٦٤)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين .

* فائدة :

هذا الحديث لا يتعارض ولا إشكال مع ما ثبت عنه ﷺ في أن الدجال لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه، وظهر عليه، إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة . . . الحديث .

ففي هذا الحديث ـ زيادة ـ تخصيص للمساجد التي لا يدخلها الدجال، فالدجال ـ أعاذنا الله منه ووقانا فتنته ـ وإن دخل طور سيناء وبيت المقدس؛ فإنه لا يدخل مسجديهما، وكونه أنه لا يطأ مكة والمدينة يعني من باب أولى أنه لا يدخل مسجديهما، والله أعلم .

يأجوج ومأجوج وجبل بيت المقدس:

(٨) عن النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة؛ فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة[١] النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه[٢] دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه؛ والله خليفتي على كلِّ مسلم، إنه شابٌ قطط عينه طافئة كأني أشبِّهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه

(١) ناحيته وجانبه .

(٢) المجادل والمخاصم .

خارج خلة[1] بين الشام والعراق ، فعاث يميناً وعاث شمالاً ، يا عباد الله فاثبتوا ، قلنا : يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال : أربعون يوماً : يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال : لا ؛ اقدروا له قدره ، قلنا : يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبتُ ، فتروح عليهم سارحتهم[2] أطول ما كانت ذراً[3] ، وأسبغه ضروعاً[4] وأمده خواصر ، ثم يأتي القوم فيدعوهم ، فيردُّون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب[5] النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين[6] رمية الغرض[7] ، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ[8] فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان[9] لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، (وفي رواية : وزاد بعد قوله : لقد كان بهذه

(١) الطريق بينهما .

(٢) الماشية .

(٣) الأسنمة .

(٤) أطوله ؛ بكثرة اللبن .

(٥) ذكور النحل .

(٦) قطعتين .

(٧) الهدف .

(٨) بلدة معروفة قريبة من بيت المقدس .

(٩) لا قدرة لأحد ولا طاقة .

مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض ؛ هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنشابهم إلى السماء ، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً ـ وفي رواية ابن حُجْر ـ : فإني قد أنزلت عباداً لي لا يدي لأحد بقتالهم) ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب[١] نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف[٢] في رقابهم ، فيصبحون فرسى[٣] كموت نفس واحدة ؛ ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٤] ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[٥] ثم يقال للأرض : انبتي ثمرتك ، وردي بركتك ؛ فيومئذ تأكل العصابة[٦] من الرمانة ويستظلون بقحفها[٧] ، ويبارك في الرِّسْل حتى أن اللِّقْحَة[٨] من الإبل لتكفي الفئام[٩] من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[١٠] من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُر[١١] ، فعليهم تقوم الساعة .

رواه الإمام مسلم .



(١) يدعو الله .

(٢) دود يكون في أنوف الإبل والغنم .

(٣) قتلى .

(٤) ريحهم النتنة .

(٥) المرآة في صفائها ونقائها ونظافتها .

(٦) الجماعة من الناس .

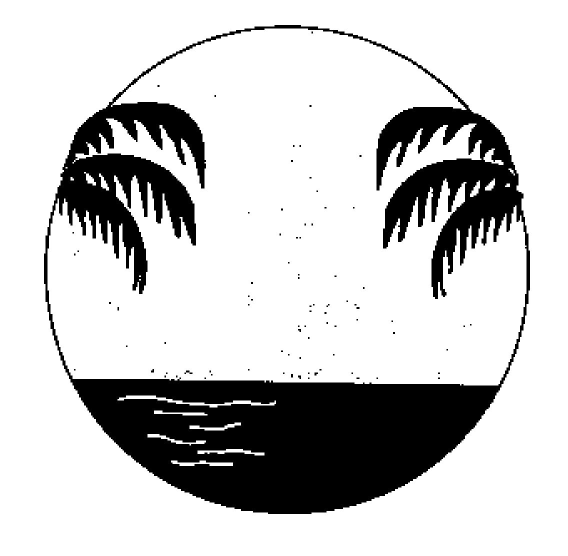
(٧) مقعر قشرها .

(٨) القريبة العهد بالولادة .

(٩) الجماعة القريبة وهي أكبر من العصَّابة .

(١٠) الجماعة من الأقارب دون البطن ، والبطن دون القبيلة .

(١١) يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير .





الطائفة المنصورة والبلاد المقدسة

● بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

اختار الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تكون بلاد الشام صفوته من بلاده، وأن يسكنها خيرته من خلقه؛ فقد هاجر إليها إبراهيم الخليل ﷺ، ثم جاء إسراء رسول الله محمد ﷺ استمراراً لموكب النبيين، وربطاً لرسالته برسالة من سبقه من إخوانه المرسلين ـ عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ـ.

وقد بارك الرحمن فيها في كتابه المجيد في خمس آيات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ (الأنبياء: ٧١).

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ (الأنبياء: ٨١).

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ (الأعراف: ١٣٧).

٤ ـ وقوله: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرية ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ (سبأ: ١٨).

٥ ـ وقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ (الإسراء: ١).

فهذه نصوص آيات خمس كلها تدلّ على بركة بلاد الشام، لا أعلم خلافاً في ذلك بين أهل التفسير.

ولما كانت قافلة الخير لن تنقطع؛ فقد أخبر رسول الله ﷺ أن بلاد الشام موئل الفرقة الناجية ومعقل الطائفة المنصورة الثابتة على ما كان عليه وأصحابه:

١ ـ حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ:

«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل

> ❖ وما كانت قافلة الخير لتنقطع؛ فقد أخبر رسول الله ﷺ أن بلاد الشام موئل الفرقة الناجية ومعقل الطائفة المنصورة الثابتة على ما كان عليه وأصحابه

آخرهم المسيح الدجال» .

أخرجه أبو داود (٢٤٨٤) ، وأحمد (٤٢٩/٤ و٤٣٤/٤) ، والدولابي في «الكنى» (٨/٢) ، واللالكائي في «شرح اعتقاد أصول السنة» رقم (١٦٩) ، والحاكم (٤٥٠/٤) من طريق حماد بن سلمة ثنا قتادة عن مطرف عنه به .

قال الحاكم : «صحيح على شرط مسلم» ، ووافقه الذهبي .

قلت : وهو كما قالا .

وتابعه : أبو العلاء بن الشخير عن أخيه مطرف عنه به : أخرجه أحمد (٤٣٤/٤) .

قلت : إسناده صحيح على شرط الستة .

٢ ـ حديث سلمة بن نفيل ـ رضي الله عنه ـ :

أخبرهم أنه أتى النبي ﷺ فقال : إني سئمت الخيل ، وألقيت السلاح ، ووضعَتِ الحربُ أوزارها ؛ قلت : لا قتال ؛ فقال النبي ﷺ : «الآن جاء القتال ، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس ، يرفع الله قلوب أقوام ؛ فيقاتلونهم ويرزقهم الله ـ عز وجل ـ وهم على ذلك ، **ألا إن عقر دار المؤمنين بالشام** ، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» .

أخرجه أحمد (١٠٤/٤) ، والنسائي (٢١٤/٦ ـ ٢١٥) ، وابن حبان (١٦١٧ ـ موارد) ، والبزار في «كشف الأستار» (١٤١٩) من طرق عن الوليد بن عبدالرحمن الجرشي عن جبير بن نفير عنه به .

قلت : وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم .

٣ ـ حديث قرة ـ رضي الله عنه ـ :

قال رسول الله ﷺ : «**إذا فسد أهل الشام؛ فلا خير فيكم** ، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة» .

أخرجه الترمذي (٢١٩٢) ، وأحمد (٣٤/٥) ، واللالكائي (١٧٢) ، وابن حبان (٦١) ، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص٢) من طريق شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه ـ مرفوعاً ـ .

قال الترمذي : «حديث حسن صحيح» .

قلت : وهو صحيح على شرط الشيخين .

٤ ـ حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ :

له عنه طريقان بلفظين مختلفين :

الأول : قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الدين ، عزيزة إلى يوم القيامة» .

أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٧٠) .

الثاني : قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» .

أخرجه مسلم (١٣/٦٨ ـ نووي) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٩٥ ـ ٩٦) ، والسهمي في «تاريخ جرجان» (٤٦٧) وغيرهم من طريق أبي عثمان النهدي عنه به .

نعم ؛ لقد بين رسول الله ﷺ موطن الفرقة الناجية بياناً لا يدع للشك مجالاً ؛ فأخبر أنها في الشام المباركة الطيبة .

* حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ وفيه : قال عمير : قال مالك بن يخامر : قال معاذ : «**وهم بالشام**» .

وهو في حكم المرفوع ؛ لأنه لا يقال بالرأي والاجتهاد .

* حديث سلمة بن نفيل ـ رضي الله عنه ـ وفيه : «**ألا إن عُقْر دار المؤمنين بالشام**» .

وعُقر الشيء : أصله وموضعه .

* حديث قرة ـ رضي الله عنه ـ وفيه : «**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم**» .

* حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ : «**لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة**» .

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في «مناقب الشام وأهله» (ص٧٦ ـ ٧٧) عن إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل قوله : «أهل المغرب هم أهل الشام» .

وأقره ، فقال : «وهو كما قال لوجهين :

أحدهما : أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام .

الثاني : أن لغة النبي ﷺ وأهل مدينته في (أهل الغرب) هم أهل الشام ، ومن يغرب عنهم ، كما أن لغتهم في (أهل المشرق) هم أهل نجد والعراق ؛ فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية ، فكل بلد له غرب قد يكون شرقاً لغيره ، وله شرق قد يكون غرباً لغيره ، فالاعتبار في كلام النبي ﷺ لما كان غرباً وشرقاً حيث تكلّم بهذا الحديث وهي المدينة .

ومن علم حساب الأرض بطولها وعرضها علم أن حران والرقة وسميساط على سمت مكة ، وأن الفرات وما على جانبيها من البيرة على سمت المدينة بينهما درجتين ؛ فما كان غربي الفرات ؛ فهو غربي المدينة ، وما كان ثم شرقيها ؛ فهو شرقي المدينة ، فأخبر أن أهل

الغرب لا يزالون ظاهرين ، وأما أهل الشرق ، فقد يظهرون تارة ويغلبون أخرى ، وهكذا هو الواقع ؛ فإن الجيش الشامي ما زال منصوراً .

وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعي : إمام أهل الغرب ، ويسمون الثوري شرقياً ومن أهل الشرق» أ . هـ .

٥ ـ حديث عبدالله بن حوالة ـ رضي الله عنه ـ :

قال : قال رسول الله ﷺ : «ستجندون أجناداً : جنداً بالشام ، وجنداً بالعراق ، وجنداً باليمن» .

قال عبدالله : فقمت فقلت : خِر لي يا رسول الله .

قال : «**عليكم بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه** ، يجتبي إليها حزبه من عباده ؛ فمن أبى ، فليلحق بيمنه ، وليستق منه غدره ؛ فإن الله ـ عز وجل ـ قد تكفّل لي بالشام وأهله» .

قال ربيعة : فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول :

«ومن تكفّل الله به فلا ضيعة عليه» .

أخرجه أحمد (٣٨٨/١ و ١١٠/٤ و ٥/ ٣٣ ، ٢٨٨) ، وأبو داود (٣٨٨/١) ، والحاكم (٥١٠/٤) وغيرهم من طرق عنه .

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وشيخنا الألباني ـ رحمهم الله ـ .

قلت : وهو كما قالوا .

قال عبدالعزيز بن عبدالسلام ـ رحمه الله ـ في «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» (ص٣٣) :

«وهذه شهادة من رسول الله ﷺ باختيار الشام وبفضلها ، وباصطفائه ساكنيها واختياره لقاطنيها ، وقد رأينا ذلك بالمشاهدة ؛ فإن من رأى صالحي أهل الشام ونسبتهم إلى غيرهم رأى بينهم من التفاوت ما يدلّ على اصطفائهم واجتبائهم» .

وقد صرح أهل العلم بأن الشام هي موطن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، منهم:

أ . شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

قال في «مناقب الشام وأهله» (ص٧٥) :

«فمكة هي الأول ، والشام هي الآخر في الخلق والأمر في الكلمات الكونية والدينية ، ومن ذلك أن بها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة التي ثبت فيها الحديث في الصحاح» .

ب . عبدالعزيز بن عبدالسلام ـ رحمه الله ـ :

قال في ديباجة رسالته «ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام» (ص٢٣) :

«فإن الله ـ تعالى ـ جعلنا من أهل الشام الذي بارك فيه للعالمين ، وأسكنه الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والمخلصين ، والعباد الصالحين ، وحفّه بملائكته المقرَّبين ، وجعله في كفالة رب العالمين ، وجعل أهله على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم إلى يوم الدين ، وجعله معقل المؤمنين وملجأ الهاربين» أ . هـ .

«فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر في الكلمات الكونية والدينية، ومن ذلك أن بها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة التي ثبت فيها الحديث في الصحاح»

وقال (ص٢٩) :

«وقد درج العلماء على الإشارة بسكناه اقتداءً برسول الله ﷺ ؛ إذ قال عطاء الخراساني : لما هممت بالنقلة شاورت مَن بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان من أهل العلم ، فقلت : أين ترون لي أنزل بعيالي؟ فكلهم يقولون : عليك بالشام» .

قلت: وينبغي للمسلم في هذا المقام أن يحيط بأمور منها:

أ. أن هذه نعمة حبا الله بها الشام ؛ فعلى أهلها أن يقوموا بشكر الله بالعمل الصالح ، وإخلاص العبادة ، والدعوة إلى الله على منهج السلف الصالح ؛ لأنه منهج الطائفة المنصورة كما بيّنته في كتابي : «لماذا اخترت المنهج السلفي؟» ، وصنوه الآخر : «بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف» .

ب. أن الأرض المباركة الطيبة المقدسة لا تقدّس أحداً ولا تباركه ، وإنما يحصل ذلك بالإيمان والعمل الصالح .

قال سلمان ابن الإسلام لأخيه في الإسلام أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ : «**إن الأرض المقدسة لا تقدّس أحداً وإنما يقدّس الإنسانَ عملُه**»[1] .

ت. أنه يجب على الشام التي حباها الله بهذه الفضائل أن تنفي ما علق بها من الشوائب ، والأدران ، والكدر ؛ كما تنفي النار خبث الحديد ، استعداداً للإشراقة الإسلامية العطرة التي ستسود ربوعها ، وإن كره المجرمون .

ث. من أراد الله به خيراً ؛ فليلزم بلاد الجهاد والرباط بلاد الشام ؛ كما في حديث عبدالله بن حوالة ـ رضي الله عنه ـ ، وكذلك في حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «سيكون هجرة بعد هجرة ، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم» ، وفي حديث أبي أمامة : «لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام ، ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق» ، وقال رسول الله ﷺ : «عليكم بالشام» .

(١) أخرجه مالك (٧٦٩/٢) .



من كلمات العلماء السلفيين في قضية فلسطين

● لجنة المتابعة

هذه كلمات مبثوثة في بطون الكتب والمجلات ، جمعتُها من هنا وهناك ، يلمس فيها قارؤها حقائق مريرة ، وتومئ إلى قضايا خطيرة ، وأفكار رئيسة ، وهي بمثابة (الدبابيس) تارة ، و(أحكام فقهية) تارة أخرى ، وفي بعضها (ما يجب علينا) تجاهها ، وفي بعضها الآخر (كلمات) في مؤتمرات ، وفيها أيضاً (قواعد) لا تتغيّر بتغيّر الأحداث والزمان ، عملت على جمعها ونشرها على حد الحكمة القائلة : (من كتم داءه قتله) ، وعلى الرغم من ذلك ، فسنعمل على سردها دون شرح - ولو كان في بعضها جرح - وهي جميعاً لأئمة من العلماء السلفيين العاملين ، والله الموفّق للصالحات ، والهادي إلى الخيرات .

* إن فلسطين وديعة محمد ﷺ عندنا ، وأمانة عمر في ذمتنا ، وعهد الإسلام في أعناقنا ، فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة إنّا إذاً لخاسرون .

«البصائر» العدد ٢٢ سنة ١٩٤٨م .

* أيها العرب ! إن قضية فلسطين محنة ، امتحن الله بها ضمائركم وهممكم

❖ إن فلسطين وديعة محمد ﷺ عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة إنّا إذاً لخاسرون.

وأموالكم ووحدتكم ، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم ، وإنما هي للعرب كلهم ، وليست حقوق العرب فيها تنال بأنها حق في نفسها ، وليست تنال بالهوينا والضعف ، وليست تنال بالشعريات والخطابيّات ، وإنما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة .

إن الصهيونية وأنصارَها مصممون ، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه ، وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن به .

وكونوا حائطاً لا صدع فيه

وصفّاً لا يُرقَّعُ بالكسالى

«البصائر» العدد ٥ سنة ١٩٤٧م .

* يا بخس فلسطين ! . . . أيبيعها من لا يملكها ، ويشتريها مَن لا يستحقها . .؟ يا هوان فلسطين ! . . . يقولون : إن فلسطين منسك للأديان السماوية الثلاثة ، وإنها قبلة لأهل تلك الأديان جميعاً ؛ فإن كان ما يقولون حقاً ـ وهو حق في ذاته ـ فإن أحق الناس بالائتمان عليها العرب ؛ لأنهم مسلمون ، والإسلام يوجب احترام الكتب والكتابيين ، ويوجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين ، ويضمن إقامة الشعائر لليهود والمسيحيين ، لا اليهود الذين كذّبوا الأنبياء وقتلوهم ، وصلبوا ـ بزعمهم ـ المسيح الصادق ، وشرّدوا حواريِّيه من فلسطين ، وكفروا بمحمد ﷺ بعد ما جاءهم بالبينات .

«البصائر» العدد ٢٢ سنة ١٩٤٨م .

* ووالله ـ يميناً برَّة ـ لو أن القوى ـ روحيَّها وماديَّها ـ انطلقتْ من عُقُلها ، وتظافرت ، وتوافتْ على فلسطين وتوافرت ، لدفنت صهيون ومطامعَه وأحلامَه إلى الأبد ، ولأزعجتْ أنصارَه المصوتين إزعاجاً يطيّر صوابَهم ، ويُحبط ثوابهم ، ويطيل حسماتهم ، ويكبت أصواتهم ، ولأحْدثت في (العالم الغربي) تفسيراً جديداً لكلمة (عربي) .

«البصائر» العدد ٢٥ سنة ١٩٤٨م .

* هل من الصحيح أن التفجيع والتوجّعَ والتظلّم والتألّم والأقوال تتعالى ، والاحتجاجات تتوالى ـ هي كل ما لفلسطين علينا من حقّ؟ وهل من المعقول أن التفجّع وما عطف عليه ـ مجتمِعات في زَمن ، مقترِنات في قرَن ـ تنفع حيفاً ، أو تفلّ لظلم سيفاً ، أو ترُدّ عادية عاد ، أو تسفّه حلم صهيون في أرض الميعاد؟! لا . . . والذي أسرى بعبده ليلاً من

❖ ووالله ـ يميناً برة ـ لو أن القوى ـ روحيها وماديها ـ انطلقت من عقلها، وتظافرت، وتوافت على فلسطين وتوافرت، لدفنت صهيون ومطامعه وأحلامه إلى الأبد، ولأزعجت أنصاره المصوتين إزعاجاً يطير صوابهم، ويحبط ثوابهم، ويطيل حماتهم، ويكبت أصواتهم، ولأحدث في «العالم الغربي» تفسيراً جديداً لكلمة «عربي».

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

«البصائر» العدد ٢٥ سنة ١٩٤٨م .

❋ إن الواجب على العرب لفلسطين يتألّف من جزأين : المال والرجال ، وإن حظوظهم من هذا الواجب متفاوتة بتفاوتهم في القرب والبعد ، ودرجات الإمكان وحدود الاستطاعة ووجود المقتضيات وانتفاء الموانع ؛ وإن الذي يستطيعه الشرق العربي هو الواجب كاملاً بجزأيه لقرب الصريخ ، وتيسُّر الإمداد ، فبين فلسطين ومصر غلوة رام ، وبينها وبين أجزاء الجزيرة خطوط وهمية خطَّتها يدُ الاستعمار ، وإذا لم تمحُها الجامعة فليس للجامعة معنى؟ وإذا لم تهتبلْ لمحوها هنا اليوم فيوشك أن لا يجود الزمان عليها بيوم مثله .

«البصائر» العدد ٢٥ سنة ١٩٤٨م .

الواجب الشرعي مع يهود الجهاد في سبيل الله تعالى، وما عداه من حلول (احتجاجات، مظاهرات،...) طرق غير شرعية، لا تنكأ عدواً، ولا تسرّ صديقاً.

والجهاد الشرعي له شروط، ليس هذا محل بسطها وشرحها.

❋ كلمة موجزة في شأن فلسطين من الوجهة العلمية :

قال العلامة المحدث السلفي أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ تحت عنوان (تحية المؤتمر العربي في قضية فلسطين) ما نصه :

يا حماة الحمى ، وقادة الإسلام ، وزعماء المسلمين !

لو كنت شاعراً لنظمت في تحية ضيوفنا العظماء الكرام قلائد الدرر ، ولو

كنت خطيباً لنشرت بين أيديهم بدائع الزهور ، واعترافي بعجزي أبلغ الأعذار .

إنما مثّلت أمامكم أداءً لغرض ، وقياماً بواجب ؛ وكم كنت أتمنى أن يقوم في مقامي هذا والدي الأستاذ الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر سابقاً ، وما حبسه عن ذلك إلا المرض ، فقد ألزمه الفراش منذ بضع سنين ، ولولا هذا لسمعتم صوته يجلجل في أنحاء العالم الإسلامي ؛ انتصاراً للمظلومين ، ودفاعاً عن فلسطين .

وإني أتشرّف بأن أُرحّب بنواب الأُمم الإسلامية وممثليها باسمه واسم إخوانه الذين جاهدوا معه في الصفوف الأولى لهذه النهضة .

وما يكون لي أن أتحدث إليكم في السياسة وأنتم هناتها وأساطينها ، ولو بدا لي هذا لأقعدني الخجل والعجز ؛ ولكني أتحدث إليكم بكلمة موجزة في شأن قضية المسلمين من الوجهة العلمية الدينية .

لقد ألقى الإنكليز الحديد والنار على فلسطين ، حماية لقضية خاسرة ، وانتصاراً لأمة لا تقوم لها قائمة ، ولن تكون لها دولة .

كلكم مسلم أو عربي ، والمسلم يؤمن بالله وبرسوله وبالقرآن الذي نزل على رسوله ، والمسيحي العربي يصدق بنبوة محمد ، ويعرف أن البشائر التي في القرآن بشائر صدق ، وأن آياته كلها حق .

والله تعالى يقول في شأن هؤلاء اليهود : ﴿ضُرِبَتْ عليهمُ الذِّلَّةُ أينما ثُقِفوا إلا بحبلٍ من اللهِ وحبلٍ من الناسِ وباءُوا بغضبٍ من اللهِ وضُرِبَتْ عليهمُ المسكنةُ﴾ (آل عمران : ١١٢) .

ويقول في شأنهم : ﴿وألقَيْنا بينهمُ العداوةَ والبغضاءَ إلى يوم القيامةِ ، كُلّما أوقدُوا ناراً للحربِ أطفأَها اللهُ﴾ (المائدة : ٦٤) .

ثم الله يحكم عليها حُكْماً أبدياً : ﴿وإذْ تأذَّنَ ربُّكَ ليَبعثنَّ عليهمْ إلى يوم القيامةِ مَنْ يَسومُهُمْ سُوءَ العذابِ إنَّ ربَّك لسَريعُ العقابِ وإنه لَغفورٌ رحيم . وقطَّعْناهم في الأرض أُمَماً﴾ (الأعراف : ١٦٧ ، ١٦٨) .

أيها السادة : هذه صواعق من الله تنصَبُّ على رؤوس أعدائكم ، وعلى رؤوس حماتهم ، هذا وعد الله لكم بنصركم عليهم ، والله منجز وعده ، وحسب أعدائكم عهد بلفور ، وهو وقومه واليهود أعجز من أن يفوا بعهده ، بل هم أعجز من أن يخلفوه ، لأن الله هو الذي يتولّى إخلافه بأيديكم وأيدي أعدائكم .

﴿فلا تَهِنُوا وتدعوا إلى السَّلْمِ وأنتم الأعلَوْنَ واللهُ معكم ، ولن يَتِرَكُمْ أعمالَكم﴾ (محمد : ٣٥) .

﴿ولا تَهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلَوْنَ إنْ كنتم مؤمنينَ﴾ (آل عمران : ٣٩) .

أيها السادة : قد أكون أصغر سناً من أكثركم ، وأظنني أقلّكم جميعاً علماً ومعرفة ؛ ولكنني أطمع في تواضعكم إذا قمت في حضرتكم بواجب النصيحة للمسلمين ليكون ذكرى ؛ والذكرى تنفع المؤمنين .

إنكم تمثّلون أُمة الإسلام ، أُمة واحدة عربية ، لا تفرق بينَها فوارق الجنسية ، الأعجمي المسلم عربي الدين واللسان ، والعربي عربي مسلماً كان أو مسيحياً ، وسمة هذه الأمة عند الله العزة : ﴿ولله العِزّةُ ولرسوله وللمؤمنينَ﴾ (المنافقون : ٨) ، وإنكم تناوئون أمة قد ضربها الله بالذل والصَّغار ، وضمن لكم النصر عليهم وإن استنصروا بسائر أمم الأرض : ﴿كُلَّما أوقدُوا ناراً للحربِ أطفأَها اللهُ﴾ ؛ فلا تعطوهم من أنفسكم ما لا مطمع لهم فيه وإن بلغوا أسباب السماء .

إن هؤلاء الأذلاء كتب الله عليهم الجلاء ، فقد أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة وأرباضها ، ثم جلاهم الفاروق عن الحجاز ، ثم سكت عنهم المسلمون ؛ بل حموهم حين رأوهم مضطهدين مستضعفين ، فلما عادوا سيرتهم من البغي والعدوان ، أعادهم الله سيرتهم من الجلاء ، فجلاهم الألمان والطليان عن بلادهم ، وستكون عاقبة أمرهم - إن شاء الله - أن يجليهم المسلمون عن كل بلاد الإسلام .

إن أُوربة لم تتمكن من دول الإسلام في فترةِ ضعفهم إلا حين أرهبتهم بغُول التعصّب ، حتى صار كل مسلم يتخاذل عن دينه وعن شريعته ، خشية أن يُتَّهم بالتعصب ، ثم ألقَتْ بينهم بدعة القوميات ، لتفتنهم عن وحدتهم وقوّتهم .

وإني ليُلقى في روعي أن سيكون مؤتمركم هذا فاتحة لعشرات من أمثاله ، تبنون فيه حصن الإسلام ، وتذودون عن حوضه ، حتى تعود هذه الأمة أُمة واحدة - كما أمرها الله - .

ولا تخافوا تهمة التعصب التي يريدون أن يصلوا من ورائها إلى ما يسمونه (حقوق الأقليات) ؛ فما كان المسلمون يوماً معتدين ولا ظالمين ؛ وإن كلمة (حقوق الأقليات)

لها ما بعدها ، من تغلغل النفوذ الأجنبي في كل شأن من شؤون المسلمين .

ولقد قال الزعيم الخطير ، صاحب المعالي محمد علي علوبة باشا ، بالأمس بالمؤتمر كلمة خالدة أرجو أن تكون على ذكر منا دائماً ؛ قال :

«وليعلم اليهود أنهم إذا فرحوا اليوم بظفر يستند إلى حراب غيرهم فإنهم سينهزمون لا محالة يوم تغيب هذه الحراب عنهم ، وأحداث الدهر كثيرة ، والفرص آتية لا ريب فيها ، ومَن أنذر فقد أعذر» .

وإني أعتقد أن هذه الكلمة مما يلهم الله بعض عباده ؛ فهي عبرة لمن شاء أن يعتبر ، وهي نذير لمن شاء أن يتدبّر النذر . وأستغفر الله لي ولكم .

«كلمة الحق» (مقالات وأبحاث أحمد شاكر) (ص ١٩٥ ـ ١٩٨) .

* إن حكم الإسلام في عمل الإنكليز واليهود الصهيونيين في فلسطين ؛ حكم قوم من أهل الحرب أغاروا على وطن من دار الإسلام فاستولوا عليه بالقوة واستبدّوا بأمر الملك فيه ، وشرعوا في انتزاع رقبة أرضه من أهله بتدابير منظمة ليسلبوهم المِلك (بكسر الميم) كما سلبوهم المُلك (بضمها) ، وحكم من يساعدهم على

ولا تخافوا تهمة التعصب التي يريدون أن يصلوا من ورائها إلى ما يسمونه «حقوق الأقليات» ؛ فما كان المسلمون يوماً معتدين ولا ظالمين ؛ وإن كلمة «حقوق الأقليات» لها ما بعدها ، من تغلغل النفوذ الأجنبي في كل شأن من شؤون المسلمين .

عملهم هذا (امتلاك الأرض) بأي نوع من أنواع المساعدة ، وأية صورة من صورها الرسمية (كالبيع) وغير الرسمية (كالترغيب) ؛ حكم الخائن لأمته وملته ، العدو لله ولرسوله وللمؤمنين ، الموالي لأعدائهم وخصومهم في مِلكهم ومُلكهم ، لا فرق بينه وبين المجاهد معهم للمسلمين بماله ونفسه ، فالذي يبيع أرضه لليهود الصهيونيين في فلسطين ، والذي يسعى في شراء أرض غيره لهم من سمسار وغيره ؛ كالذي يساعد أي قوم من الأجانب

على قومه فيما يحاولون من فتح بلادهم بالسيف والنار ، وامتلاك أوطانهم ، بل أقول - ولا أخاف في الله لومة لائم ، ولا إيذاء ظالم - : إن هذا النوع من فتح الأجنبي لدار الإسلام هو شر من كل ما سبقه من أمثاله من الفتوح الحربية السياسية والدينية على اختلاف أسمائها في هذا العصر ؛ لأنه سلب لحق أهل الوطن في ملك بلادهم وحكمها ، ولحقهم في ملك أرضها لأجل طردهم منها ، ومن المعلوم بالبداهة أنه إذا بقي لنا ملك الأرض تيسر لنا إعادة ملك الحكم ، وإلا فقدناهما معاً .

هذا وإن فقد فلسطين خطر على بلاد أمتنا المجاورة لهذا الوطن منها ، فقد صار من المعلوم بالضرورة لأهل فلسطين والمجاورين لهم ، ولكل العارفين بما يجري فيها ، من عزم اليهود على تأسيس الوطن القومي الإسرائيلي ، واستعادة ملك سليمان بقوة المال الذي هم أقطاب دولته الاقتصادية ، وبقوة الدولة البريطانية الحربية ، إن هذا الخطر سيسري إلى شرق الأردن وسورية والحجاز والعراق ، بل هو خطر سينتقل من سيناء إلى مصر .

وجملة القول أن الصهيونية البريطانية خطر على الأمة العربية في جميع أوطانها الآسيوية وفي دينها ودنياها ، فلا يعقل أن يساعدهم عليه عربي غير خائن لقومه ووطنه ، ولا مسلم يؤمن بالله - تعالى - وبكتابه العزيز وبرسوله محمد خاتم النبيين - صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه - ، بل يجب على كل مسلم أن يبذل كل ما يستطيع من جهد في مقاومة هذا الفتح ، ووجوبه آكد على الأقرب فالأقرب ، وأهون أسباب المقاومة وطرقها : المقاومة السلبية ، وأسهلها الامتناع من بيع أرض الوطن لليهود ، فإنه دون كل ما يجب من الجهاد بالمال والنفس الذي يبذلونه هم في سلب بلادنا وملكنا منا .

ومن المقرر في الشرع أنهم إن أخذوها وجب على المسلمين في جملتهم بذل أموالهم وأنفسهم في سبيل استعادتها ، فهل يعقل أن يبيح لنا هذا الشرع تمهيد السبيل لامتلاكهم إياها بأخذ شيء من المال منهم وهو معلوم باليقين ؛ لأجل أن يوجب علينا بذل أضعاف هذا المال مع الأنفس لأجل إعادتها لنا وهو مشكوك فيه ؛ لأنه يتوقف على وحدة الأمة العربية وتجديد قوتها بالطرق العصرية ، وأنى يكون

ذلك لها وقلب بلادها وشرايين دم الحياة فيها في قبضة غيرها؟! فالذي يبيع أرضه لليهود في فلسطين أو في شرق الأردن يُعدّ جانياً على الأمة العربية كلها ؛ لا على فلسطين وحدها .

ولا عذر لأحد بالفقر والحاجة للمال للنفقة على العيال ، فإذا كان الشرع يبيح السؤال المحرم عند الحاجة الشديدة ، ويبيح

❖ فالذي يبيع أرضه لليهود في فلسطين أو في شرق الأردن يُعدّ جانياً على الأمة العربية كلها؛ لا على فلسطين وحدها.

أكل الميتة والدم ولحم الخنزير للاضطرار ، وقد يبيح الغصب والسرقة للرغيف الذي يسدّ الرمق ويقي الجائع من الموت بنية التعويض ، فإن هذا الشرع لا يبيح لمسلم ببيع بلاده ، وخيانة وطنه وملته لأجل النفقة على العيال ، ولو وصل إلى درجة الاضطرار ، إنْ فرضنا أن الاضطرار إلى القوت الذي يسدّ الرمق يصل إلى حيث لا يمكن إزالته إلا بالبيع لليهود وسائر أنواع الخيانة ، فالاضطرار الذي يبيح أمثال ما ذكرنا من المحظورات أمر يعرض للشخص الذي أشرَفَ على الموت من الجوع وهو يزول برغيف واحد مثلاً ، وله طرق ووسائل كثيرة .

وإنني أعتقد أن الذين باعوا أرضهم لهم لم يكونوا يعلمون أن بيعها خيانة لله ولرسوله ولدينه وللأمة كلها ، كخيانة الحرب مع الأعداء لتمليكهم دار الإسلام وإذلال أهلها ، وهذا أشد أنواعها .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون . واعلموا أن أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجرٌ عظيمٌ﴾ .

مجلة «المنار» لمحمد رشيد رضا (م ٣٣ ص ١٧٤ ـ ١٧٥) عدد محرم سنة ١٣٥٢هـ ـ مايو سنة ١٩٣٣م .

❋ إنّ مَن يبيع شيئاً من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للإنكليز ؛ فهو كمَن يبيع المسجد الأقصى ، وكمن يبيع الوطن كله ؛ لأن ما يشترونه وسيلة إلى ذلك ، وإلى جَعْل الحجاز على خطر ، **فرقبة الأرض في هذه البلاد هي كرقبة**

الإنسان من جسده، وهي بهذا تُعدّ شرعاً من المنافع الإسلامية العامة، لا من الأملاك الشخصية الخاصة، وتمليك الحربي لدار الإسلام باطل، وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الإسلام؛

ولا أذكر هنا كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة ، وإنما أقترح على كل مَن يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله خاتم النبيين أن يبثّ هذا الحكم الشرعي في البلاد ، مع الدعوة إلى مقاطعة هؤلاء الخونة الذين يصرّون على خيانتهم في كل شيء ، من المعاشرة والمعاملة والزواج والكلام حتى ردّ السلام .

مجلة «المنار» لمحمد رشيد رضا (م ٣٤ ص ٦١٢) عدد ذي القعدة ١٣٥٣هـ - مارس سنة ١٩٣٥م .

وهذه الفتاوى مأخوذة من قواعد الشرع ومقاصده ، وهي لا تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان ؛ فالحكم في بيع الأرض العربية والإسلامية ليهود وسماسرتهم ، وتمليكهم الشركات الوطنية بما يسمى بالخصخصة ؛ خصوصاً أجهزة الإعلام من محطات تلفزة وغيرها من مرافق حيوية ؛ خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين . والله المستعان ، وعليه التكلان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كلمة مضيئة

قال فقيه الزمان الشيخ محمد صالح العثيمين - رحمه الله -:

«الواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يُصوَّب نحو الإسلام بما يناسبه، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبيَّن بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية، إضافة إلى الأدلة الشرعية، حتى يتبين بطلان ما هم عليه، والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يُدافَعوا، بل أن يهاجَموا إذا أمكن بمثل ما يحاربون به الإسلام، ويبيَّن أن أفضل طريقة لتقويم الاقتصاد على وجه عادل هي طريقة الإسلام، والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوَموا بما يناسب تلك الأسلحة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين واغلُظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾.

ومن المعلوم أن جهاد المنافقين ليس كجهاد الكفار؛ لأنّ جهاد المنافقين يكون بالعلم والبيان، وجهاد الكفار يكون بالسيف والسهام».

«الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات» (ص ١٩٥ - ١٩٦).



الجهاد النبوي في فلسطين

● بقلم: الشيخ د. أبي أنس محمد موسى آل نصر

■ فلسطين أرض مباركة جعلها الله مهبط الرسالات، وملتقى الحضارات، ومهاجر أنبيائه، فيها أولى القبلتين، مسرى النبي ﷺ، فيها هلاك الدجّال على يد المسيح ـ عليه السلام ـ، وفيها هلاك قوم يأجوج ومأجوج، وفيها ينطق الحجر والشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهوديٌّ خلفي تعال فاقتله، فهلاك يهود على أيدي عباد الله الصالحين في أرض فلسطين.

■ أمَّ رسول الله ﷺ جميع الأنبياء في المسجد الأقصى؛ لتبقى الإمامة والسيادة على المسجد الأقصى للإسلام من دون سائر الأنام، تخاصمت عليها الممالك والدول، وتطاحنت لتظفر بها على مر التاريخ لتحظى بها؛ لأنها خيرة أرض الله، اصطفاها الله مهاجراً لخليله إبراهيم وكليمه موسى، ومولداً لعيسى، ومسرى لمحمد ﷺ.

■ جاء الإسلام وفلسطين تحت حكم الروم الصليبيين الوثنيين؛ فكان لا بد من تطهيرها من رجسهم، وقد كاتَب النبي ﷺ ملك الروم، وأرسل له رسلاً.

■ وَجَّه إليها النبي ﷺ جيوشاً عدّة، وقد كانت إحدى أقاليم الشام، ولم تكن يومئذ هذه الحدود المصطنعة التي أفرزتها معاهدة سايكس بيكو المشؤومة.

ومن هذه البعوث التي أرسلها النبي ﷺ إلى بلاد الشام وفلسطين:

أولاً: بعث مؤتة، وكان في جمادى الآخرة من سنة ثمان للهجرة؛ حيث بعث ﷺ الأمراء إلى مؤتة؛ وهي قرية[١] من أرض

(١) إحدى مدن الأردن الآن ـ قرب مدينة الكرك.

الشام ؛ ليأخذوا بثأر من قتل هناك من المسلمين ، فأمَّرَ على الناس مولاه زيد بن حارثة ، وقال : «إنْ أُصيب زيد ؛ فجعفر بن أبي طالب ؛ فإن أصيب جعفر ؛ فعبدالله بن رواحة» ؛ فخرجوا في نحو من ثلاثة آلاف ، وخرج ﷺ يودّعهم إلى بعض الطريق ، فساروا حتى إذا كانوا في «معان»[1] بلغهم أن هرقل ملك الروم قد خرج إليهم في مئة ألف ، ومعه مالك بن زافلة في مئة ألف أخرى ؛ من نصارى العرب ؛ من لخم وجذام وقبائل قضاعة ، من بهراء وبَلّي وبَلَقين ؛ **فتشاور المسلمون هناك وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ يأمرنا بأمره أو يمدُّنا ؛ فقال عبدالله بن رواحة- رضي الله عنه -: يا قوم ! والله إنّ الذي خرجتم تطلبون أمامكم - يعني: الشهادة -، وإنكم ما تقاتلون الناس بعدد ولا قوة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به؛ فانطلقوا، فهي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة** ، فوافقه القوم ؛ فنهضوا ؛ فلما كانوا بتخوم البلقاء لقوا جموع الروم فنزل المسلمون قرب مؤتة ، والروم على قرية ـ يقال لها : مشارف ـ ، ثم التقوا ؛ فقاتلوا قتالاً عظيماً .

❖ وجّه إليها النبي ﷺ جيوشاً عدة، وقد كانت إحدى أقاليم الشام، ولم تكن يومئذ هذه الحدود المصطنعة التي أفرزتها معاهدة سايكس بيكو المشؤومة.

وقُتل أمير المسلمين زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ والراية في يده ، فتناولها جعفر ، ونزل عن فرس له شقراء ؛ فعقرها وقاتل حتى قطعت يده اليمنى ، فأخذ الراية بيده الأخرى ؛ فقطعت ـ أيضاً ـ ؛ فاحتضن الراية ، ثم قتل ـ رضي الله عنه ـ عن ثلاث وثلاثين سنة على الصحيح ، فأخذ الراية عبدالله بن رواحة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ ، وتلوّم بعض التلوّم ثم صمّم وقاتل حتى قُتل ، فيقال : إنّ ثابت بن أرقم أخذ الراية ، وأراد المسلمون أن يؤمّروه عليهم فأبى ، فأخذ الراية خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ فانحاز

---

(٢) مدينة معروفة جنوبي الأردن ؛ تبعد عن عمان مئتي كيلو متر .

بالمسلمين ، وتلطّف حتى خلّص المسلمين من العدو ، ففتح الله على يديه كما أخبر بذلك كله رسول الله ﷺ أصحابه الذين بالمدينة يومئذٍ وهو قائم على المنبر ؛ فنعى إليهم الأمراء واحداً واحداً وعيناه تذرفان ﷺ ، والحديث في «الصحيح» ، وجاء الليل فكفَّ الكفار عن القتال .

ومع كثرة هذا العدو ، وقلة عدد المسلمين بالنسبة إليهم لم يقتل من المسلمين خلق كثير على ما ذكره أهل السير ، فإنهم لم يذكروا فيمن سمّوا إلا نحو العشرة .

وكرّ المسلمون راجعين ، ووقى الله شرّ الكفرة ـ وله الحمد والمنة ـ ؛ إلا أنّ هذه الغزوة كانت إرهاصاً لما بعدها من غزو الروم ، وإرهاباً لأعداء الله ورسوله .

ثانياً : بعث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ .

وكان تتميماً لبعث أبيه زيد بن حارثة ، ولينتقم من الروم الذين قتلوا أباه في مؤتة ، وقد أمر النبي ﷺ بإخراج بعث أسامة وهو على فراش الموت ، وكان جيش أسامة معسكراً في الجرف عندما قُبض رسول الله ﷺ ، وكان من هدي نبينا ﷺ أنه لا يبدأ أحداً بقتال إلا إذا بلغه الدعوة ، ودعاه إلى الله ـ تعالى ـ ، وقد اتبع رسول الله ﷺ هذا المنهج التزاماً بأوامر الله ـ تعالى ـ له ، اتبع هذا المنهج مع جميع مَن حاربهم من القبائل العربية وملوك الأرض وأباطرتها في عصره ، فدعاهم إلى الله ـ تعالى ـ ، فأرسل إليهم رسله ، وبعث إليهم كتبه يدعوهم إلى الله ـ تعالى ـ ولم يستثنِ أحداً منهم ، ومن جملة هؤلاء :

رسالته إلى هرقل ملك الروم :

فمن حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : «أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال : «انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ ، قال : فبينما أنا بالشام ؛ إذ جيء بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل : يعني : عظيم الروم .

قال : وكان دحية الكلبي جاء به ، فدفعه إلى عظيم بصرى ، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلِمْ تسلَم يؤتك الله أجرك مرّتين ، وإن تولّيت ؛ فإن عليك إثم الأريسيين : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً . . . فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾» . (آل عمران : ٦٤) .

■ ■ ■ ■



تزوير اليهود كنيسة بيت المقدس

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

الأحداث التاريخية ترجمة لما يرسخ في نفوس الأفراد من الأخلاق وصدى لما جبلت عليه نفوس الأمم والشعوب، ومن بين هذه الأحداث التي لها صلة بواقعنا حادثة وقعت زمن تلميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو الإمام الشهير بـ (السخاوي) وهو الحافظ محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ). فقد سئل عن (هدم المكان الذي أحدثه اليهود - لعنهم الله - كنيسة بيت المقدس، استفتي عنه قبل جريان ما جرى)، فأجاب في كتابه النافع الماتع «الأجوبة المرضية فيما سئل عنه من الأحاديث النبوية» (٣/١٠١٥ - ١٠٣٢) بجواب علمي ماتع نافع شاف، تضمن بيان ما جبلت عليه نفوس يهود من مكر وخديعة، وكذب وتزوير، مع التنويه والتنبيه إلى كيفية معاملة أهل الإسلام لهم، وهذا نص جوابه:

أما اليهود، فهم لكونهم مع كفرهم بدينهم، زادوا، كما هو المعهود بمزيد الجمود والنقض للعهود، والاهتمام التام بالغدر بنبينا - عليه أفضل الصلاة والسلام -، بحيث إنهم اتفقوا مرة فيما بينهم، حين كان جالساً مع أصحابه بجانب جدار لهم، على أن شقياً منهم يصعد إلى أعلى الجدار؛ فيلقي عليه صخرة؛ ليقتل ويستريح كل منهم - زعم منه - دهره، فأتاه عن الله الخبر بما به هموا، فانصرف راجعاً، وخابوا وذموا[1]، ودسوا مرة

(١) انظر هذه الحادثة في «فتح الباري» (٧/٣٣١) - وعزاها لابن إسحاق، وسكت عليها - وهي في «سيرة ابن هشام» (٢/٢٠٤) و«السيرة النبوية الصحيحة» (١/٣٠٦ - ٣٠٧) للعمري.

وأخرج عبدالرزاق (٥/٣٥٩ - ٣٦٠) وأبو داود (٣٠٠٤) والحاكم (٢/٤٨٣) والبيهقي في «الدلائل» (٣/١٧٨ - ١٧٩) نحوها.

عليه منهم شقيةً ؛ فسمته في شاة أتته بها مصلية[١] ، واجتهدوا ـ أيضاً ـ في سحره ، فقُهروا بعلي قدره ، فاجتمعوا بلبيد بن الأعصم ، وكان منافقاً وجعلوا له جعلاً على أن يسحره سحراً واثقاً[٢] ، فانقلبوا بعد أن تعبوا بخزي وامتهان ، وذل من سائر الأركان ، وأنهم من أتباع الأعور الدجال، المستعدين للمسلمين بالسيوف والنبال، وسائر أنواع القتال مع النص المتيقن بأنهم أشد لنا في الحسد والعداوة، وأبد للتمكن من البلادة والغباوة حتى اشتهر أنه ما خلا بعضهم بمسلم، إلا وهمّ بقتله ، ويروى في ذلك حديث مرفوع بينته في غير هذا المجموع[٣] ، ومصداقه ما حكاه لي قاضي الحنابلة العز[٤] المرحوم ، وحاله في الجلالة معلوم أنه كان مرة وحده ماراً بجانب بركة ومقابله من الجانب الآخر يهودي ممن له سعي وحركة ، فشرع اللعين في حذفه بالحجارة وأسرع في تواليها بيقين ، قاصداً إقباره ، فسلم الله من غدره ، ورد كيد اللعين في نحره ؛ بل حكى الفخر الرازي في «تفسيره»[٥] المتقن : أن مذهبهم وجوب الأذى للمسلمين مهما أمكن بقتل ، أو قطع ، أو أخذ مال ، أو نحوها ، مما ليس لهم عنه انتقال ، كقولهم في التحية المقصود بها الإكرام : عليكم السام[٦] ، بخلاف النصارى ، زيدوا شقاء دهرهم ، فإن الأذية حرام عندهم ، وكونهم أكذب الخلق على الله ، وأنبيائه ورسله ، وأصفيائه ، وفي

---

(١) أخرج ذلك البخاري (٤٢٤٩ ـ مختصراً و٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) عن أنس ، وفي الباب عن غيره .

(٢) قصة سحره ﷺ ثابتة ، أخرجها البخاري (٥٧٦٣) ومسلم (٢١٨٩) عن عائشة ، ولأخينا الشيخ مقبل ابن هادي الوادعي ـ عافاه الله ـ كتاباً في الرد على من أنكرها ، وهو مطبوع .

(٣) يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٢٢/٣) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣١٦/٨) والديلمي في «الفردوس» (٦٣٤٠) وابن مردويه ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٨٨/٢ ـ المائدة : آية ٨٢) وأبو الشيخ ـ كما في «الدُّر المنثور» (١٢٩/٣) عن أبي هريرة ـ رفعه ـ : «ما خلا يهودي قط بمسلم إلا حدّث نفسه بقتله» .

قال الخطيب وابن كثير : «غريب جداً» قلت : وفيه يحيى بن عبيد الله التيمي ، متروك وأفحش الحكم فرماه بالوضع ، كما في «التقريب» .

(٤) هو عز الدين أحمد بن إبراهيم بن نصرالله الكناني ، ترجمته في «الضوء اللامع» . (٢٠٥/١) وحادثته ذكرها المصنف في «المقاصد الحسنة» (تحت رقم ٩٥٧) .

(٥) انظره (٧٠/١٢) .

(٦) يشير إلى حادثة أخرجها البخاري (٦٩٢٨) ومسلم (٢١٦٤) .

كلام أبي حيان لهذا مزيد بيان ، فإنه قال عند رأس الحزب الثاني في سورة المائدة من «بحره»[1] أنهم تربّوا على تكذيب الأنبياء وقتلهم ، وعلى العتو والمعاصي ، واستشعار اللعنة ، وضرب الذلة والمسكنة ، فتجردت عداوتهم وكيدهم وحسدهم وخبثهم قال :

الفسق ، وإذا سالموا فسلمهم صافٍ ، وإذا حاربوا فحربهم مدافعة ؛ لأن شرعهم لا يأمرهم بذلك ، قال : واليهود ليسوا على شيء من أخلاق النصارى ، بل شأنهم الخبث واللي بالألسنة ، وفي خلال إحسانك إلى اليهود يترقب ما يعبأ لك به ، ألا ترى إلى ما

❖ إنهم تربوا على تكذيب الأنبياء وقتلهم، وعلى العتو والمعاصي، واستشعار اللعنة، وضرب الذلة والمسكنة، فتجردت عداوتهم وكيدهم وحسدهم وخبثهم، قال : وفي وصف الله إياهم بأنهم أشد عداوة إشعار بصعوبة إجابتهم إلى الحق، ولذلك قلّ إسلام اليهود.

«وفي وصف الله إياهم بأنهم أشد عداوة إشعار بصعوبة إجابتهم إلى الحق ، ولذلك قل إسلام اليهود» ، وقال : «وإنما جعل النصارى أقرب وداً وألين عريكة منهم ؛ لأنهم أمة لهم الوفاء . والخلال الأربع التي ذكر عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ في «صحيح مسلم» : ويعظمون من أهل الإسلام من استشعروا منه ديناً وأمانة ، ويبغضون أهل

حكى تعالى عنهم في قوله : ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ (آل عمران : ٧٥)» انتهى ، **كانوا في كل قطر وزمان من الذل والامتهان بأوضع مكان، فرءوسهم منكسة، ونفوسهم بالمباهتة مؤسسة، لا كنيسة لهم تذكر، ولا نفيسة عنهم تعتبر، بل هم أقل، وأحقر وأذل وأفقر، وأنتن وأقذر، وأعفن وأدبر، إلى**

(١) انظره (٤/٤) .

غير ذلك مما هو أشهر من أن ينقل ويؤثر ، وانظر إلى قول ابن الناطور رئيس نصارى بيت المقدس فيهم لهرقل ملك الروم بعد أن عرفهم بالخزي واللوم ، وتقرر لديه نيتهم : «لا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى أهل المدائن التي في مملكتك وتحت سلطنتك وقبضتك فيقتلوا من بها منهم ، ويزيلوا بذلك المكروه عنهم ، تعرف أنهم لم يكن لهم قبل الإسلام شوكة ولا علو في دار ولا مملكة» .

وكذا ذكر أبو حيان في «البحر»[1] عند قوله من تفسير آل عمران : ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ (آل عمران : ٥٤) نقلاً عن ابن إسحاق : إن اليهود غزوا الحواريين بعد رفع عيسى ، فأخذوهم وعذبوهم ؛ فسمع بذلك ملك الروم ؛ وكان ملك الروم من رعيته فأنقذهم ، ثم غزا بني إسرائيل ، وصار نصرانياً ولم يظهر ذلك ، ثم ولي آخر بعد وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى بنحو أربعين سنة ، فلم يترك فيه حجراً على آخر ، وخرج عند ذلك قريظة والنضير إلى الحجاز ، فكان من أمرهم ما ذكر في السؤال مما طويته ، وقال شيخنا - أعلم أهل الأرض بالخبر - شيخ مشايخ الإسلام ابن حجر ، تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه أعالي جنته - : إنهم كانوا مع كثرتهم بإيلياء من تحت الذلة مع الروم الأشقياء لم يكونوا ملوكاً برؤوسهم ، لما علم الله من مزيد خبث نفوسهم .

ونقل أبو حيان[2] عند قوله في آل عمران - أيضاً - : ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ (آل عمران : ٥٥) عن غيره : إن الآية تخبر عن إذلال اليهود وعقوبتهم بأن النصارى فوقه في جميع أقطار الأرض إلى يوم القيامة فلا تكون لهم مملكة كما للنصارى ، ثم حكى عن الجمهور في تفسير الآية سبباً آخر .

ومن ذلهم المستمر أنه لما انتشر الإسلام واستتر كفر أهل الملة اللئام ، وعوهد النصارى الحيارى امتنعوا من مساكنتهم واجتمعوا على اشتراط إبعادهم عن ساحتهم ، ولم ينقل فيما استقريته الاستقراء التام أن لهم كنيسة بدار الإسلام حسبما أشير إليه في مطوي السؤال وصير إلى تحريره فيه بأحسن مقال ، ونحوه قول أبي حيان : إنه لم يكن فيهم قط أهل ديار ولا صوامع وانقطاع عن الدنيا ، بل هم متطامعون متطاولون لتحصيلها حتى كأنهم لا يؤمنون بآخرة ، ولذلك لا يرى فيهم زاهد[3] . ويتأيد بما

(١) انظره (٤٧٢/٢) .

(٢) في «البحر المحيط» (٤٧٤/٢) .

(٣) انظر : «البحر المحيط» (٥/٤) .

نقل لي عن شيخنا وأستاذنا أنه قال : كل ما بالقاهرة منها محدث ، مستحق الاستهدام ، حقيقة بالإزالة والإعدام وكذا قرّر التقي المقريزي[1] أوحد المؤرخين بأن جميع كنائس القاهرة محدث في الإسلام بلا خلاف ، وقد هدم جلها المسلمون في زمن الناصر محمد ابن قلاون بغير اختياره ومرسومه ، بل بتأييد من الله ـ تعالى ـ ، العالم بظاهر الأمر ومكتومه ، ولذلك سبب عجيب ، وخبر غريب ، وهو أنه بعد فراغ الناس من صلاة الجمعة بقلعة الجبل قام موله في وسط الجامع فصاح صياحاً مزعجاً خرج به عن الحد : اهدموا الكنيسة التي بالقلعة ، وكرر ذلك ثم اضطرب ، فتعجب السلطان والأمراء من قوله : ورسم بالفحص عنه ؛ فوجد خرائب التتر من القلعة قد بنيت كنيسة ؛ فهدمت ، ولم يفرغوا منها حتى جاء الجيران العوام والغوغاء اجتمعوا في وقت صلاة الجمعة ـ أيضاً ـ وهدموا عدة كنائس بقناطر السباع ونواحي ما بها وهو شيء يفوق الوصف حتى صارت كوماً ، واتفق مثل ذلك في هذا اليوم ـ أيضاً ـ بالقاهرة حيث صاح شخص آخر من الفقراء بجامع الأزهر بين خروج الخطيب والأذان بقوله : اهدموا كنائس الكفر والطغيان ؛ نعم ، الله أكبر ، فتح الله ونصر ، وصار يزعج نفسه ويصرخ بقوله : إلى الأساس ، إلى الأساس ، فأحدق الناس إليه النظر ، ولم يدروا ما هذا الخبر ، بل ولم يجدوا شخصه مع إحكام كل منهم في ذلك فحصه ؛ فهدمت عدة كنائس منها ، بل ومن مصر أيضاً ، وجاء الخبر من كل من نائب إسكندرية ، ووالي البحيرة ومدينة قوص أنه وقع بالأمكنة المذكورة في يوم الجمعة المشار إليه هدم كنائسها أيضاً ، وتوارد الخبر من الوجهين القبلي والبحري بكثرة ما هدم في اليوم المذكور ، وعلل بعض الفقراء ذلك بكثرة ما زادوا في الطغيان والفساد والمهالك ، وكذا أمر عمر بن عبدالعزيز[2] ـ رحمه الله ـ بهدم بيع النصارى المستجدة ، وردَّ على من كتب إليه من ملوك الروم يسأله في إجراء أمرهم على ما وجدوه من الكنائس وغيرها ؛ فإنهم زعموا أن من تقدمك فعل في كنائسهم ما منعتهم منه ، فإن كانوا مصيبين في اجتهادهم ؛ فاسلك سنتهم ، وإن يكونوا مخالفين لها فافعل ما أردت بقوله : أما بعد فإن مثلي ومثل من تقدمني كما قال الله تعالى في قصة داود وسليمان : ﴿إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلاً

(١) في كتابه «الخطط والآثار» (٢/٥١٢ ـ ٥١٣) .

(٢) انظر تفصيل ذلك في «المذمة في استعمال أهل الذمة» (ص٣٣ ـ ٣٤) .

آتينا حكماً وعلماً﴾ (الأنبياء : ٧٨) .

وحينئذ ؛ فلقد أجاد هذا السيد الإمام ، السند الحبر الهمام ، المؤيد لدين الإسلام ، والمستعين بتنفيذ الأحكام ، لا سيما وقد تأيد بما ذكر من مرسوم السلطان للذي تأيده به خذلان أولي الزيغ والطغيان ، شد الله به عضد الدين وساعده ، وأعلى به منار الإسلام ، وثبت قواعده ، ونصره لذلك نصراً لا ينفك في ازدياد ، ولا ينفك عن جلب المراد ، ودفع العناد ، وكيف لا يكون بهدم ما تأسس على الفساد آمراً ، وبذمّ من عليه لبس ودلس قاهراً ، وقد أبطل كثيراً من المكوس ، وعطل ما يميل إلى إبقائه كل متخذل معكوس ، وأحيا جملة من مشاعر البلد الحرام ، وأعيا بتدبيره من يروم اللحاق به من الملوك العظام ؛ كما شرحته مع غيره مما يطول في سيرته ، وأوضحته من سريرته ، ثم كيف لا يكون ذلك على يد إمام تضلع من السنة النبوية بما لا يخفى ، واطلع على سير كثير من ملوك العدل والخلفاء ، وعرف بمزيد التعبد والزهادة ، ووصف بأنه من أولي الكشف والإرادة وكنت من مثل بخدمته وحصل على الغنيمة الكبرى ، ففاز برؤيته ، وأثبت من أحواله وأحوال سلفه ما لا يستكثر على صحيح نسبه وشرفه ، وحقه أن يكون عن أمر الدين مسئولاً ، إلا أن مثلي أو أعظم مني يرشده لما يكون مقبولاً ، وقد قال ﷺ : «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبا نجا ومن تخلف عنها غرق»[1] و«إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له» ، وقال ـ أيضاً ـ : «النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[2] ، وقال ـ أيضاً ـ : «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته ويكون أهلي أحب إليه من أهله ويكون ذاتي أحب إليه من ذاته»[3]

(١) أخرجه الطبراني في «الصغير» (رقم ٨٢٥ ـ الروض) و«الأوسط» (٥٨٧٠) من حديث أبي سعيد الخدري ، وفيه عطية العوفي ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/١٦٨) : «فيه جماعة لم أعرفهم» وله شواهد لم تثبت .

(٢) الصحيح في هذا الباب ما أخرجه مسلم (٢٥٣١) عن أبي موسى الأشعري رفعه : «النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما يوعدون ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» .

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٤١٦) و«الأوسط» (٥٧٩٠) وفيه محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، وهو سيئ الحفظ ، ولا يحتج به ، قاله الهيثمي في «المجمع» (١/٨٨) .

إلى غير ذلك مما أودعته في مصنفي المسمى «ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف»[1] لا سيما وقد صنف شيوخ المذهب النجم ابن الرفعة «النفائس في ترميم الكنائس» ، وجزءاً آخر بديعاً أودعه القاضي تاج الدين السبكي في «فتاويه» ، ثم تلميذه السراج البلقيني عدة تآليف ، وأودع ولده شيخنا قاضي القضاة العلمي البلقيني ـ رحمه الله ـ منها في الفتاوى التي جمعها له [غير] واحد ، استدل فيه على هدم كنائس اليهود بأحد عشر وجهاً ، وجمع قبله الشيخ شمس الدين ابن القيم الحنبلي مجلداً حافلاً في شروط أهل الذمة وأحكامهم ينتفع به ، وكذا لشيخه التقي ابن تيمية عدة تآليف وفتاوى في آخرين ، اجتمع عندي منها جملة «كشروط أهل الذمة» للحافظ أبي الشيخ ابن حيان ، و«الإيضاح والبيان» للشيخ أبي عبدالله ابن النعمان المالكي ، و«استعمال أهل الذمة» لأبي أمامة ابن النقاش الشافعي ، و«إلزام أهل الذمة بالشروط العمرية» أظنه للعماد ابن كثير الحافظ ، ومصنف للحافظ ابن زبر ، ولو أردت البسط في هذه المسألة لكان مجلداً حافلاً ، لكن الوقت أضيق عن الاشتغال بما هو معلوم ، مقرر مفهوم ، على أن جزءاً لطيفاً جمعته حين رام الظاهر حشقدم ـ رحمه الله ـ إلزام أهل الذمة بالشروط العمرية ، سميته «القول المعهود فيما على أهل الذمة من العهود» ثم إن اليهود الكذبة الخونة زعموا في أيام الظاهر جقمق ـ رحمه الله ـ في مكان بحارة رويلة كان معداً لتعليم أطفالهم ، والسكنى به ، يعرف بدار ابن شميخ[2] أنه كنيسة ، فقام المسلمون في صرفهم عن ذلك ، وأثبتوا على نائب القاضي الحنفي وغيره ، أن الدار المشار إليه مستحقة لبيت المال المعمور ؛ بحكم أن ابن سميح المذكور هلك ، ولم يعقب ، ولم يترك من يحجب بيت المال عن استحقاقها ، سفلاً وعلواً ، وأن رؤساء اليهود القرابين ، ومشايخهم يتداولون وضع أيديهم عليها خلفاً عن سلف بغير طريق شرعي ، وسُرَّ المسلمون بذلك سروراً كبيراً ، ويكفي القائمين بهدم هذه الكنيسة ومقدماته ما ثبت في «الصحيحين» من حديث المغيرة ابن شعبة ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[3] ومن حديث عمير بن هانئ وحميد وكلاهما عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ بلفظ : «لا تزال من

(١) حقّقه أخونا الشيخ خالد بابطين ، وجوّد النفس في ذلك ، وهو قيد النشر ، والله الموفق .

(٢) انظر : «الخطط والآثار» (٢/٤٧٢) للمقريزي .

(٣) أخرجه البخاري (٧٣١١ ، ٧٤٥٩) ومسلم (١٩٢١) .

أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[1] زاد البخاري : قال عمير : فقال مالك بن يخامر : قال معاذ ـ رضي الله عنه ـ وهم بالشام ، فقال معاوية : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول : وهم بالشام ، وهو عند الإمام أحمد في «مسنده»[2] من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ : «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك» قالوا : يا رسول الله وأين هم؟ قال : «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس» وللطبراني في حديث البهزي نحوه[3] .

وكذا أخرجه أبو يعلى والطبراني في «الأوسط» من حديث أبي صالح الخولاني عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ : «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم»[4] الحديث .

وعند مسلم[5] من حديث أبي عثمان عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ بلفظ : «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[5] وذكر يعقوب بن شيبة عن علي بن المديني : أن المراد بالغرب الدلو ، أي العرب بفتحتين ، لأنهم أصحابها ، لا يستقي بها أحد غيرهم ، وقال غيره : المراد بالغرب أهل القوة والاجتهاد في الاجتهاد ، يقال : في لسان غرب بفتح ثم سكون ، أي حدة . قال شيخنا ـ رحمه الله ـ : ويمكن الجمع بين الأخبار ، بأن المراد قوم يكونون ببيت المقدس وهي شامية ويستقون بالدلو ، ويكون لهم قوة في جهاد العدو ، وحدة وجد[6] . انتهى .

وفسر البخاري الطائفة تبعاً لشيخه علي ابن المديني بأهل العلم وعنه أيضاً : أنها هي المشار إليها بقوله : ﴿وكذلك جعلناكم أمة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠ ، ٧٤٦٠) ، ومسلم (١٠٣٧) .

(٢) انظره (٥/٢٦٩) ، وفيه ضعف .

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/رقم ٥٤) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/٢٩٨ ـ ٢٩٩) بإسناد ضعيف ، وانظر «المجمع» (٧/٢٨٩) .

(٤) أخرجه أبو يعلى (٦٤١٧) والطبراني في «الأوسط» (٤٧) وابن عدي في «الكامل» (٧/٢٥٤٥) والقاضي عبدالجبار في «تاريخ داريا» (ص٦٠) وفيه الوليد بن عباد وهو مجهول ، انظر «المجمع» (٧/٢٢٨) .

(٥) أخرجه مسلم (١٩٢٥) .

(٦) انظر : «فتح الباري» (١٣/٢٩٥) .

ويجب على ولي الأمر إكرامهم واحترامهم وإرفادهم، وإمدادهم، وتقوية يدهم، والتسوية في شد عضدهم، وأن لا يصغي لمن يموه ويزخرف وينوه بالتخذيل، ويحرف حيث يقول مما ليس بمقبول، وإن راج على ضعفاء العقول، أن لنا عندهم ببلادهم أسرى ومساجد يخاف عليها من المفاسد

وسطاً﴾ (البقرة : ١٤٣) وليس بمناف للأول. وعن أحمد : إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟ قال النووي - رحمه الله - : ويجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث، ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً إلى أن لا تبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله[1]. انتهى ملخصاً مع زيادة فيه.

ويجب على ولي الأمر - جمع الله به كلمة الدين وقمع به المفسدين وأدام بهجته وحفظ على العالم مهجته - إكرامهم واحترامهم وإرفادهم، وإمدادهم، وتقوية يدهم، والتسوية في شد عضدهم، لا سيما وهم بأمره بذلك أيضاً قائمون، وبذكره بالجميل جاهرون، وأن لا يصغي لمن يموه ويزخرف وينوه بالتخذيل، ويحرف حيث يقول مما ليس بمقبول، وإن راج على ضعفاء العقول، أن لنا عندهم ببلادهم أسرى ومساجد يخاف عليها من المفاسد، فذاك بالنصارى مخصوص

---

(١) انظر : «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/٦٧). وقد تكلم الشاطبي في كتابه «الاعتصام» على الجماعة وذكر الأقوال فيها، وأورد ما ذكره السخاوي، وقمت بتفصيل الكلام في تعليقي عليه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

دون اليهود ـ البهت اللصوص ـ فليست لهم سلطنة ولا مملكة مزلزلة . فضلاً عن متمكنة ، بل هم في الجاهلية والإسلام كما قدمنا نقله عن الأعلام في غاية من الذل والهوان بكل مكان ، فالأخذ على يدهم في هذا محض ضرر ، لكونه يؤدي القوة لهم والظفر ، فيظهروا من العداوة لأهل الإسلام ما عجزهم يمنع عن إبدائه ويشهروا سيف الانتقام الذي ربما يكون توطئة لقوة الدجال في أعوانه ، إذ هم أعظم جنده ، وأعلم بأسباب وده ، ولله در المأمون ، إذ خرج توقيعه الميمون[1] : بأن أخبث الأمم اليهود ، وأخبث اليهود السامرة من ذوي الجحود ، وأخبث السامرة بنو قلان ، الزائد ما يصدر عنهم من الطغيان ، فليقطع ما بأسمائهم من ديوان الجيش والخراج ، ليحصل لأهل هذا الدين القيم تمام التأييد ، والابتهاج[1] ، على أن هذا التعلل الذي اشتهر ، فهو مع كونه في خصوص النصارى أيضاً غير معتبر وقد ورد في زمن الظاهر جقمق قاصد ملك الحبشة الذي في نصر الدين القيم قد صدق ، فقيل له : إنا نكرم من عندنا من النصارى رعاية له ، خوفاً على مملكته لقلة عدد المسلمين هناك ، وكثرة القائمين بالاشتراك فقال : لا تتكلفوا لذلك ، وافعلوا ما أمرتم به من عز الدين وذلك للكفر سالك ، فحزب الله هو المنصور وحزب أعدائه كل منا به مأمور ، وكم من ملك وأمير وخليل ووزير ، قد تصدى لهدم كثير مما للنصارى الأبالس من الديورات والكنائس فلم ينطق أهل الزيغ والسفه ببنت شفة ، وكانت عاقبته محمودة ، وعائدته بالنفع موجودة ، ومنهم نورور العلي الهمة والمقدار ، مع كونه في مملكة التتار ، ثم منكلي بغا نائب الشام المحروس ، بالغ في ذلّ النصارى والطبارك والقسوس ، بالحبس والغل والإشهار ، والرفس والذل والإقبار ، بل لما فتح باب كيسان في الشام وجد هناك مسجداً كان قبل الخمس مئة كنيسة لليهود اللئام ، قد تمادى عليه الزمان وهجر من الصلاة والإعلان بالأذان ، فوسعه وصيره جامعاً ثابت الأركان ، وأحدث فيه خطبة مع كونه داخل سور دمشق ، ولم يتفق منذ فتحت إحداثها إلى الآن فارتغم اليهود أيضاً لا سيما وقد صارت حارتهم هناك للدواب وغيرها موطئاً وأرضاً .

وكذا اتفق حين كان البلقيني بالشام قاضياً أخذ كنيسة لليهود وجعلت مسجداً شامياً ، وفي رمضان سنة ثمانين وسبع مئة مضبوطة عداً ، توجه الجمال أبو الثناء محمود القيصري المحتسب إلى الجيزة ؛ فهدم كنيسة أبي النمرس وعملها مسجداً[2] ، ووقع في

(١) انظره في «المذمة في استعمال أهل الذمة» (ص٤١) .

(٢) ذكره شيخ المصنف في «الدرر الكامنة» (٤/٣٣٧) و«إنباء الغمر» (١/٢٧١) .

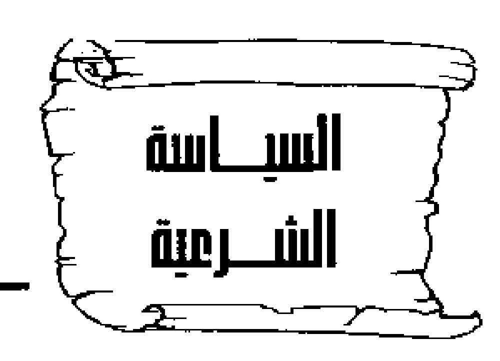
زمن الظاهر أبي سعيد نحو هذا التأييد ، فمولانا السلطان حماه الله عن الإصغاء للزور والبهتان يستخير الله في عمل هذه البقعة مسجداً ويستشير من يتقي الله في جعلها للمسلمين معبداً ، لتذكر بذلك مملكته إلى الأبد ويشتهر بين سائر ملوك الأفاق بقوة العدد والمدد ، فذاك الغاية في إرضاء الله ورسوله ، وإمضاء ما بلغه من صحيح المقال ومقبوله ، يسر الله له ذلك بمنه وكرمه ، وقهر بوجوده كل سالك للمخالفة بلسانه وقلمه ، فقد قال ـ تعالى ـ في كتابه : ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (الحج : ٤٠) ، وقال : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ (الحديد : ٢٥) . وأما ما ذكر ـ أعني مما طوي من السؤال ـ من تمرد من اليهود ، فقد استفيض على الألسنة عنهم في هذه الحادثة ما هو أبلغ مما ذكر في السؤال ، مما لا يشك في انتقاض عهدهم الملتزمين ببعضه فضلاً عن مجموعه ، ومعلوم أن مولانا السلطان ـ نصره الله ـ قد تكلف في التجاريد التي تكررت في أيامه وبذل الأموال التي تفوق الوصف ، ففي عمله بمقتضى نقض العهد ما تحصل له به إن شاء الله الخلف عن ذلك كله ، لا سيما وليست لهم شوكة وراية في هذا بخصوصه أعلى وأولى ، والله المستعان وعليه التكلان ، ونسأله إلهام رشدنا ، وإعاذتنا من شرور أنفسنا وكفايتنا أمر الأعداء المعتدين ، وإعلاء كلمة الإسلام والمسلمين .

تم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

قال رسول الله ﷺ :

«لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق؛ فاضطروهم إلى أضيقه».

رواه مسلم



موقف اليهود من الإسلام
وفضل الجهاد في سبيل الله

● بقلم: الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله -

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، أما بعد:

فإنه لما تناقلت الإذاعات العربية وغيرها خبر عدوان اليهود على مصر في آخر صفر من عام ١٣٨٧هـ الموافق ٥ حزيران من عام ١٩٦٧م؛ كتبتُ كلمة في بيان موقف اليهود من الإسلام، ونبي الإسلام، وعدوانهم المتكرّر، ومكايدهم الكثيرة، وذكرت شيئاً مما ورد من النصوص في فضل الجهاد والترغيب فيه، ووجوب الإعداد لجهاد أعداء الله، ونُشر ذلك في وقته في الصحف المحلية، **ولكن الحرب لم تطل، بل انتهَتْ في أيام قليلة بانتصار اليهود، وانهزام العرب لأسباب كثيرة؛ أهمها وأعظمها: عدم استقامة العرب على دين الله، وعدم التكاتف ضد أعداء الله.**

فرأيتُ أن أُعيد نَشْر هذه الكلمة لعلّ الله سبحانه ينفع بها مَنْ شاء من عباده.

وأسأل الله أن يعمّم النفع بها، وأن يصلح أحوال المسلمين وقادتهم، وأن يجمعهم على الهدى، وأن يذلّ اليهود وسائر أعداء الإسلام، ويشتّت شملهم، ويعين المسلمين عليهم، إنّه وليٌّ ذلك والقادر عليه.

معركة إسلامية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى

آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المسلمون في كل قطر . . . أيها العرب في كل مكان . . . أيّها القادة والزعماء .

إنّ المعركة الحالية بين العرب واليهود ليست معركة عربية فحسب ، بل هي معركة إسلامية عربية ، معركة بين الكفر والإيمان ، بين الحق والباطل ، بين المسلمين واليهود ؛ وعدوان اليهود على المسلمين في بلادهم وعقر دورهم أمرٌ معلومٌ مشهورٌ ، والواجب على المسلمين في كل مكان مناصرة إخوانهم المعتَدى عليهم ، والقيام في صفهم ، ومساعدتهم على استرجاع حقهم ممن ظلمهم وتعدّى عليهم ؛ بكل ما يستطيعون من نفس وجاه وعتاد ومال ، كلٌّ بحسب وسعه وطاقته كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿وإن استنصروكم في الدِّين فعليكم النصرُ إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرّمون ما حَرَّم الله ورسولُهُ ولا يدينون دينَ الحقِّ من الذين أُوتوا الكتابَ حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ .

ومواقف اليهود ضد الإسلام وضدّ نبي الإسلام معلومة مشهورة ، قد سجّلها التاريخ وتناقلتها رواة الأخبار ، بل قد شهد بها أعظمُ كتاب وأصدق كتاب ؛ ألا وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ؛ قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**﴾ ؛ فنصَّ الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية الكريمة على أن اليهود والمشركين هم أشدّ الناس عداوة للمؤمنين ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ولَمَّا جاءهم

ومواقف اليهود ضد الإسلام وضدّ نبي الإسلام معلومة مشهورة، قد سجّلها التاريخ وتناقلتها رواة الأخبار، بل قد شهد بها أعظم كتاب وأصدق كتاب؛ ألا وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عَرَفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن يُنزِّلَ اللهُ من فضله على مَن يشاء من عباده فباءوا بغضبٍ على غضبٍ وللكافرين عذابٌ مهينٌ﴾ ، قال أهل التفسير في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين : كانت اليهود تستفتح على كفار العرب تقول لهم : إنّه قد أظلّ زمان نبي يُبعث في آخر الزمان نقاتلكم معه ، فلمّا بعث الله نبيّه محمداً ﷺ أنكروه وكفروا به وجحدوا صفته ، وبذلوا جهودهم في محاربته ، والتأليب عليه والقضاء على دعوته حسداً منهم ، وبغياً وجحداً للحق الذي يعرفونه ، فأبطل الله كيدهم وأضَلَّ سعيهم ، ثم إنّهم لم يزالوا يسعون جاهدين في الكيد للإسلام والعداء لأهله ، ومساعدة كل عدو عليهم سراً وجهراً . أليسوا القائلين لكفار أهل مكة : أنتم خير من محمد وأصحابه؟! أليسوا هم الذين ألّبوا كفار قريش ومَن سار في ركابهم على قتال النبي ﷺ والمسلمين يوم أُحُد ، أليسوا هم الذين همّوا بقتل النبي ﷺ ؛ فأطلعه الله على ذلك وأنجاه من كيدهم؟! أليسوا هم الذين ظاهروا الكفار يوم الأحزاب ، ونقضوا العهد في المدينة نفسها بين المسلمين ؛ حتى أحبط الله كيدهم ، وأذلّ جندهم من الكفار ، وسلَّط عليهم رسوله ﷺ والمسلمين ؛ فقتل مقاتلتهم ، وسبى ذريتهم ونساءَهم وأموالهم على غدرهم ونقضهم العهد ومشايعتهم لأهل الكفر والضلال على حزب الحق والهدى؟!

وجوب المبادرة للقتال في سبيل الله:

فيا معشر المسلمين من العرب وغيرهم في كل مكان . . بادروا إلى قتال أعداء الله من اليهود ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ، بادروا إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين والمجاهدين الصابرين ، وأخلصوا النيّة لله ، واصبروا وصابروا واتقوا الله ـ عز وجل ـ تفوزوا بالنصر المؤزَّر أو شرف الشهادة في سبيل الحق ودحر الباطل ، وتذكّروا دائماً ما أنزله ربكم ـ سبحانه ـ في كتابه المبين في فضل المجاهدين ، وما وعدهم الله من الدرجات العُلا والنعيم المقيم .

قال الله تعالى : ﴿يا أيّها الذين آمنوا هل أدلُّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصرٌ من الله وفتح قريب . وبشر المؤمنين﴾ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿أجَعَلْتُم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمَنْ آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمةٍ منه ورضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ . خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجرٌ عظيمٌ﴾ .

الاستنفار للجهاد:

أيّها المجاهدون ! لقد بيّن الله ـ سبحانه ـ في هذه الآيات فضل الجهاد وعاقبته الحميدة للمؤمنين ؛ وأنها النصر والفتح القريب في الدنيا ، مع الجنة والرضوان من الله ـ سبحانه ـ والمنازل العالية في الآخرة .

ودلَّت الآية الثانية ؛ وهي : قوله ـ تعالى ـ : ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ على وجوب النفير للجهاد على الشبّان والشيوخ إذا دعا الواجب لذلك ؛ لإعلاء كلمة الله ، وحماية أوطان المسلمين ، وصدّ العدوان عنهم ، مع ما يحصل بالجهاد للمسلمين من العزة والكرامة والخير العظيم ، والأجور الجزيلة ، وإعلاء كلمة الحق ، وحفظ كيان الأمة ، والحفاظ على دينها وأمنها .

وقد ورد في القرآن الكريم من الآيات الكريمات في فضل الجهاد والحثّ عليه ، والوعد بالنصر للمؤمنين ، والدّمار على الكافرين سوى ما تقدّم ؛ ما يملأ قلب المؤمن نشاطاً وقوةً ورغبةً صادقةً في نزول ساحة الجهاد ، والاستبسال في نصرة الحق ثقةً بوعد الله ، وإيماناً بنصره ، ورجاءً للفوز بإحدى الحسنيين ؛ وهما النصر والمغنم أو الشهادة في سبيل الحق ؛ كما قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿قل هل تَرَبَّصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربّص بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنّا

ولكنه - عز وجل - شرط لهذا الوعد شرطاً عظيماً؛ وهو الإيمان به، ونصر دينه، والاستقامة عليه مع الصبر والمصابرة؛ فمَن قام بهذا الشرط أوفى الله لهم الوعد وهو الصادق في وعده: «وعد الله لا يخلف الله الميعاد»، ومَن قصَّر في ذلك، أو لم يرفع به رأساً فلا يلومنّ إلا نفسه.

معكم متربصون﴾، وقال - عز وجل -: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنْ تنصروا الله ينصرْكم ويثبّتْ أقدامكم﴾، وقال عزّ وجل: ﴿وكان حقّاً علينا نصرُ المؤمنين﴾، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿ولينصرنَّ الله مَن ينصره إنّ الله لقويٌّ عزيزٌ. الذين إنْ مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾، وقال - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عَنِتُّم قد بَدَت البغضاءُ من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾ - إلى أن قال سبحانه -: ﴿إنْ تمسسكم حسنةٌ تسؤهم وإن تصبكم سيئةٌ يفرحوا بها وإنْ تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً إنّ الله بما يعملون محيط﴾؛ ففي هذه الآيات التصريح من الله - عز وجل - بوعد عباده النصر على أعدائهم، والسلامة من كيدهم مهما كانت قوّتهم وكثرتهم؛ لأنّه - عز وجل - أقوى من كل قوي، وأعلم بعواقب الأمور، وهو عليهم قدير، وبكل أعمالهم محيط، ولكنه - عز وجل - شرط لهذا الوعد شرطاً عظيماً؛ وهو الإيمان به، ونَصر دينه، والاستقامة عليه مع الصبر والمصابرة؛ فمَن قام بهذا الشرط أوفى الله لهم الوعد وهو الصادق في وعده: ﴿وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾، ومَن قصَّر في ذلك، أو لم يرفع به رأساً فلا يلومنّ إلا نفسه.

وينبغي لك أيها المؤمن المجاهد: أن تتدبّر كثيراً قوله - عز وجل -: ﴿وإنْ تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً﴾؛ إنّها - واللهِ - كلمة عظيمة، ووعدٌ صادقٌ

من ملك قادر جليل إذا صبرت على مقاتلة عدوك وجهاده ومنازلته مع قيامك بتقوى الله ـ عز وجل ـ، وهي تعظيمه ـ سبحانه ـ والإخلاص له وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، والحذر مما نهى الله عنه ورسوله ؛ هذه حقيقة التقوى ، والصبر على جهاد النفس والمصابر في جهاد الأعداء من جملة التقوى ؛ لأن الله ـ سبحانه ـ قد أمر به ورسوله ، ولكن الله ـ سبحانه ـ نصّ على الصبر وأفرده بالذكر ؛ لعظم شأنه وشدّة الحاجة إليه ، وقد ذكره الله في كتابه الكريم في مواضع كثيرة جداً ؛ منها قوله ـ جل وعلا ـ : ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ ، وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿إنّما يوفّى الصابرون أجرَهم بغير حساب﴾ ، وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلّكم تفلحون﴾ ، وصحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ومَن يتصبّر يصبّره الله ، وما أُعطي أحدٌ عطاءً هو خيراً وأوسع من الصبر» .

فضل المجاهدين عند الله:

اتّقوا الله معاشر المسلمين والمجاهدين في ميادين الحرب وفي كل مكان ، واصبروا وصابروا في جهاد النفس على طاعة الله وكفّها عن محارم الله ، وفي جهادها على قتال الأعداء ومنازلة الأقران ، وتحمُّل المشاق في تلك الميادين المهولة تحت أزيز الطائرات وأصوات المدافع ، وتذكّروا أسلافكم الصالحين من الأنبياء والمرسلين وصحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين ومَن تبعهم من المجاهدين الصادقين ؛ فلكم فيهم أسوة ، وفيهم لكم عظة وعبرة ؛ فقد صبروا كثيراً وجاهدوا طويلاً ؛ ففتح الله بهم البلاد ، وهدى بهم العباد ، ومكّن لهم في الأرض ، ومنحهم السيادة والقيادة بإيمانهم العظيم ، وإخلاصهم لمولاهم الجليل ، وصبرهم في مواطن اللقاء ، وإيثارهم الله والدار الآخرة على الدنيا وزهرتها ومتاعها الزائل ؛ كما قال الله ـ عز وجل ـ في كتابه الكريم : ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يُقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومَن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ ، وقال ـ جل شأنه ـ : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لَمَّا صبروا وكانوا باياتنا يوقنون﴾ ،

وصحّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال : «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها» ، وصحّ عنه ﷺ أنه سُئل : أي العمل أفضل؟ قال : «إيمانٌ بالله ورسوله» ، قيل : ثمّ أيّ يا رسول الله؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» ، وقال ﷺ : «مثل المجاهد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم القائم ، وتكفّل الله للمجاهد في سبيله إن توفّاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر وغنم» ، وقال ﷺ : «مَن مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق» ، وسأله ﷺ رجلٌ عن عمل يعدل فضل الجهاد ؛ فقال ﷺ للسائل : «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم فلا تفطر ، وتقوم فلا تفتر» ، فقال السائل : ومن يستطيع ذلك يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ : «أما إنك لو طُوّقت ذلك لم تبلغ فضل المجاهدين» الحديث .

والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والحثّ عليه ، وبيان ما وعد الله به أهله من العزة في الدنيا والنصر والعواقب الحميدة ، وما أعدّ لهم في الآخرة من المنازل العالية في دار الكرامة كثيرة جداً .

الإيمان والحذر وإعداد القوة المستطاعة:

فاتقوا الله يا معشر المسلمين ، واصدقوا في جهاد عدوّ الله وعدوّكم من اليهود وأنصارهم وأعوانهم ، وحاسبوا أنفسكم ، وتوبوا إلى ربكم من كل ما يخالف دين الإسلام من مبادئ وعقائد وأعمال ، واصدقوا في مواطن اللقاء ، وآثروا الله والدار الآخرة ، واعلموا أن النصر المبين والعاقبة الحميدة ليست للعرب دون العجم ، ولا للعجم دون العرب ، ولا لأبيض دون أسود ، ولا لأسود دون أبيض ، ولكن النصر بإذن الله لمَن اتّقاه واتبع هداه ، وجاهد نفسه لله ، وأعدّ لعدوه ما استطاع من القوة ، كما أمره بذلك مولاه ، حيث قال ـ عز وجل ـ : ﴿وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ، وقال ـ سبحانه ـ : ﴿يا أيّها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ ، وقال ـ عز وجل ـ يخاطب رسوله الأمين ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ : ﴿وإذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم

الصلاة فلتَقُمْ طائفةٌ منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأتِ طائفةٌ أخرى لم يصلُّوا فليصلُّوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدةً ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعدَّ للكافرين عذاباً مهيناً﴾ ؛ فتأمّل يا أخي أمر الله لعباده أن يعدُّوا لعدوهم ما استطاعوا من القوة ، ثم تأمّل أمره لنبيّه ﷺ والمؤمنين عند مقاتلة الأعداء والقرب منهم أن يقيموا الصلاة ويحملوا السلاح ، وكيف كرّر الأمر - سبحانه - في أخذ السلاح والحذر لئلا يهجم عليهم العدو في حال الصلاة ؛ لتعرف بذلك أنه يجب على المجاهدين قادة وجنوداً أن يهتموا بالعدو ، وأن يحذروا غائلته ، وأن يعدُّوا له ما استطاعوا من قوة ، وأن يقيموا الصلاة ويحافظوا عليها مع الاستعداد فيها للحرب عند الحاجة إلى ذلك ، **وفي ذلك جَمْعٌ بين الأسباب الحسية والمعنوية، وهذا هو الواجب على المجاهدين في كل زمان؛ أن يتّصفوا بالأخلاق الإيمانية، وأن يستقيموا على طاعة ربهم، ويؤمنوا بأن النصر بيده لا بيد غيره، وهذا هو السبب الأول، والأساس المتين، والأصل العظيم، وهو قطب رحى النصر، وأساس النجاة والفلاح، وهذا هو السبب المعنوي الذي خصّ الله به عباده المؤمنين، وميّزهم به عن غيرهم، ووعدهم عليه النصر إذا قاموا به مع السبب الثاني حسب الطاقة؛ وهو إعدادهم لعدوهم ما استطاعوا من القوة والعناية بشؤون الحرب والقتال، والصبر والمصابرة في مواطن اللقاء، مع الحذر من مكايد الأعداء؛ وبهذين الأمرين يستحقون النصر من ربهم - عز وجل - فضلاً منه وكرماً ورحمةً وإحساناً ووفاءً بوعده وتأييداً لحزبه؛ كما قال - عز وجل -: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾، وقال - تعالى -: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾ .**

شعارات خاطئة:

إنّ ما يتكرّر كثيراً في بعض الإذاعات العربية من قولهم : **(النصر لنا)** ، **(الله**

معنا) ، **(النصر للعرب)** ، **(النصر للعرب والإسلام)** وما أشبه ذلك ؛ إنّ هذه كلها ألفاظ خاطئة ومخالفة للصواب ؛ فليس النصر مضموناً للعرب ولا لغيرهم من سائر أجناس البشر ، وإنما النصر معلّق بأسبابه التي أوضحها الله في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ ، وأسبابه ـ كما تقدّم ـ هي تقوى الله والإيمان به ، والصبر والمصابرة ، والإخلاص لله ، والاستعانة به مع الاستعانة بالأسباب الحسية وإعداد ما يُستطاع من العدة ؛ فينبغي التنبيه لهذا الأمر العظيم ، والحذر من الألفاظ التقليدية المخالفة للشرع المطهّر ؛ **أمّا المعية فهي قسمان** : معية عامة ومعية خاصة ؛ فأما المعية العامة ؛ فهي لجميع البشر وليست خاصة بأهل الإيمان ؛ كما قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يَلِجُ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ألم تَرَ أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيءٍ عليم﴾ ؛ فهاتان الآيتان صريحتان في أن الله ـ سبحانه ـ عالم بأحوال العباد ، مطّلعٌ على شؤونهم ، محيطٌ بهم ، ولا يخفى عليه من أمرهم خافية ؛ ولهذا بدأ ـ سبحانه ـ هاتين الآيتين بالعلم وختمهما بالعلم ؛ تنبيهاً للعباد على أن المراد بالمعية هو العلم والإحاطة والاطّلاع على كل شيءٍ من أمر العباد ؛ ليخافوه ويعظّموه ويبتعدوا عن أسباب غضبه وعذابه ، وليس معنى ذلك أنه مختلط بالخلق أو أنه في كل مكان ، كما يقول ذلك بعض المبتدعين الضالين ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ ، وقولهم هذا باطل بالنص والإجماع ، بل هو ـ سبحانه ـ فوق العرش قد استوى عليه استواءً يليق بجلاله لا يشابهه فيه خلقه ؛ كما صرح بذلك في كتابه الكريم في سبع آيات محكمات منها قوله ـ عز وجل ـ : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، وهو سبحانه لا شبيه له ولا مثل له في جميع صفاته ؛ كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير﴾ ، وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ولم يكن

له كفواً أحد ﴾ ؛ فهو ـ عز وجل ـ فوق العرش ، عالٍ فوق خلقه ؛ كما أخبر بذلك عن نفسه ، وعلمه في كل مكان لا يخفى عليه خافية ؛ كما قال ـ سبحانه ـ : ﴿إن الله لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ، وقال ـ سبحانه ـ : ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما

فينبغي أن يكون شعار المسلمين؛ هو الشعار القرآني الذي أرشد الله إليه عباده وذلك بأن يقولوا: «الله مع المتقين»، «الله مع المؤمنين»، وما أشبه هذه العبارات حتى يكونوا قد تأدبوا بآداب الله، وعلقوا النصر بأسبابه، لا بالعروبة ولا بالوطنية ولا بالقومية.

يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتابٍ مبينٍ ﴾ ؛ فهذه الآيات المحكمات وما جاء في معناها كلها ترشد العباد إلى أن ربهم ـ سبحانه ـ فوق العرش وأعمالهم تُرفع إليه ، وهو معهم بعلمه أينما كانوا لا يخفى عليه منهم خافية .

أما المعية الخاصة ؛ فهي للأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والتسليم ـ وأتباعهم بإحسان ، وهم أهل التقوى والإيمان والصبر والمصابرة ، وهذه المعية الخاصة تقتضي الحفظ والكلأة والنصر والتأييد ؛ كما قال ـ عز وجل ـ عن نبيّه محمد ﷺ أنه قال لصاحبه في الغار ـ وهو : أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : ﴿لا تحزن إن الله معنا ﴾ ، ولما أرسل الله موسى وهارون ـ عليهما الصلاة والسلام ـ إلى فرعون اللعين قال لهما مثبتاً ومطمئناً : ﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾ ، وقال ـ عز وجل ـ في كتابه المبين يخاطب المشركين : ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خيرٌ لكم وإن تعودوا نَعُدْ ولن تغنيَ عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين ﴾ ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار

وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ ، وقال - عز وجل - : ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ ، وقال - تعالى - : ﴿كم من فئةٍ قليلة غلبَتْ فئةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين﴾ .

شعار المسلمين:

والآيات في هذا المعنى كثيرة ؛ فينبغي أن يكون شعار المسلمين في إذاعاتهم وصحفهم وعند لقائهم لأعدائهم وفي جميع الأحوال ؛ هو الشعار القرآني الإسلامي الذي أرشد الله إليه عباده وذلك بأن يقولوا : «الله مع المتقين» ، «الله مع المؤمنين» ، «الله مع الصابرين» ، وما أشبه هذه العبارات حتى يكونوا قد تأدّبوا بآداب الله ، وعلّقوا النصر بأسبابه التي علّقه الله بها ، لا بالعروبة ولا بالوطنية ولا بالقومية ، ولا بأشباه ذلك من الألفاظ والشعارات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

النصر أو الشهادة:

أيّها المجاهد ! إنّك في معركة عظيمة مع عدو لدود عظيم الحقد على الإسلام وأهله ؛ فوطّن نفسك على الجهاد والصبر والمصابرة ، وأخلص عملك لله ، واستعنْ به وحده ، وأبشِرْ إذا صدقتَ في ذلك بإحدى الحسنيين : إما النصر والغنيمة والعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة ، وإمّا الشهادة والنعيم المقيم والقصور العالية والأنهار الجارية والحور الحسان في دار الكرامة .

أيها العربي ! لا تظنّ أن النصر على عدوك معلّق بعروبتك ، وإنما ذلك بإيمانك بالله وصبرك في مواطن اللقاء ، واستقامتك على الحق ، وتوبتك من سالف ذنوبك ، وإخلاصك لله في كل أعمالك ؛ فاستقم عى ذلك وتمسّك بالإسلام الصحيح الذي حقيقته الإخلاص لله ، والاستقامة على شرعه ، والسير على هدي رسوله ونبيه محمد ﷺ في الحرب والسلم وفي جميع الأحوال .

أيها المسلم ! أيها المجاهد ! تذكّر ما أصاب المسلمين يوم أُحُد بسبب إخلال بعض الرماة بطاعة القائد العظيم محمد رسول الله ﷺ من الفشل والتنازع ثم الهزيمة ، ولمّا استنكر المسلمون ذلك أنزل الله في ذلك قوله - عز وجل - : ﴿أوَ لمّا أصابتكم مصيبةٌ قد أصبتم مثليها قلتم أنّا هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيءٍ قدير﴾ ، وقال - عز وجل - :

﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفى عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ ، وقال ـ سبحانه ـ في عدوهم كما قال ـ تعالى ـ : ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حُنينٍ إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغْنِ عنكم من الله شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَتْ ثم ولّيتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها

❖ أيها العربي ! لا تظن أن النصر على عدوك معلّق بعروبتك، وإنما ذلك بإيمانك بالله وصبرك في مواطن اللقاء، واستقامتك على الحق، وتوبتك من سالف ذنوبك، وإخلاصك لله في كل أعمالك؛ فاستقم على ذلك وتمسّك بالإسلام الصحيح الذي حقيقته الإخلاص لله، والاستقامة على شرعه، والسير على هدي رسوله ونبيه محمد ﷺ في الحرب والسلم وفي جميع الأحوال.

هذا المعنى : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ .

ولَمَّا أُعجب المسلمون بكثرتهم يوم حنين هُزموا ، ثم أنزل الله عليهم السكينة وأيدهم بجنود من عنده ؛ فتراجعوا وصدقوا الحملة على عدوهم واستغاثوا بربهم واستنصروا به ؛ فنصرهم وأيّدهم وهزم وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ ؛ فكل ما أصاب المسلمين ـ في الجهاد أو غيره من هزيمة أو جراح أو غير ذلك مما يكرهون ـ ؛ فهو بأسباب تقصيرهم وتفريطهم ـ أو بعضهم ـ فيما يجب من إعداد القوة والعناية بأمر الحرب ، أو بأسباب معاصيهم ومخالفتهم لأمر الله[1] .

(١) أو بسبب الأمرين جميعاً .

فاستعينوا بالله أيها المجاهدون ، واستقيموا على أمره ، وأعدوا لعدوكم ما استطعتم من قوة ، واصدقوا الله يصدقكم ، وانصروه ينصركم ويثبّت أقدامكم ، واحذروا الكبر والرياء وسائر المعاصي ، واحذروا ـ أيضاً ـ التنازع والاختلاف وعصيان قادتكم في تدبير شؤون الحرب وغير ذلك ما لم يكن معصية لله ـ عز وجل ـ ؛ عملاً بقوله ـ تعالى ـ : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدُّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾ .

أيها المسلمون ! أيها المجاهدون ! إليكم نماذج من كلمات أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم حين مقابلتهم لجيش الروم يوم اليرموك لما فيها من العبرة والذكرى .

كلام خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ : لما جمع خالد ـ رضي الله عنه ـ الجيوش يوم اليرموك لقتال الروم قام فيهم خطيباً فقال : «إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، وإنّ هذا يومٌ له ما بعده» .

وقام أبو عبيدة ـ رضي الله عنه ـ في الناس خطيباً ؛ فقال : «عباد الله ! انصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم ، يا معشر المسلمين ! اصبروا ؛ فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدأوهم بالقتال ، وأشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم ؛ حتى آمركم إن شاء الله ـ تعالى ـ» .

وقام معاذ بن جبل في الناس خطيباً ذلك اليوم ؛ فجعل يذكّرهم ، ويقول : «يا أهل القرآن وحافظي الكتاب وأنصار الهدى والحق ! إنّ رحمة الله لا تُنال وجنته لا تُدخل بالأماني ، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق ، ألم تسمعوا بقول الله ـ تعالى ـ : ﴿وعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد

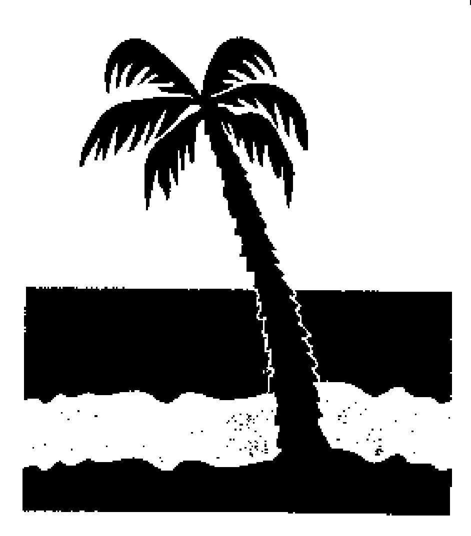
خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ ؛ فاستحوا من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته ، وليس لكم مُلتَحدٌ من دونه ولا عزّ بغيره» .

وقام عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في الناس ؛ فقال : «يا أيها المسلمون ! غضُّوا الأبصار ، واجثوا على الركب ، وأشرعوا الرماح ؛ فإذا وثبوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنّة فثبوا إليهم وثبة الأسد ؛ فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب ويجزي بالإحسان إحساناً ؛ لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كَفْراً كَفْراً وقصراً قصراً ؛ فلا يهولنّكم جمعهم ولا عددهم ، فإنكم لو صدقتموهم الشدّ تطايروا تطاير أولاد الحجل» .

وقام أبو سفيان بن حرب - رضي الله عنه - في الناس ؛ فتكلّم كلاماً حسناً ؛ من ذلك قوله : «والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ولا تبلغنّ رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء ، والصبر في المواطن المكروهة» .

هذه نماذج حية عظيمة نقلتها لكم أيها المجاهدون من كلام أصحاب رسول الله ﷺ ؛ لتعلموا أن النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة لا يُدرَكان بالأماني، ولا بالتفريط وإضاعة الواجب، وإنما يُدركان بتوفيق الله بالصدق في اللقاء، ومصابرة الأعداء، والاستقامة على دين الله، وإيثار حقه على ما سواه.

والله المسؤول أن ينصر المسلمين على عدوهم ، وأن يجمع كلمتهم على الخير ، وأن يوفّق قادتهم للاستقامة على أمره ، والصدق في جهاد أعدائه ، والتوبة إليه من كل ما يغضبه ، كما نسأله - عز وجل - أن يهزم اليهود وأنصارهم وأعوانهم ، وأن يكبت أعداء الإسلام أينما كانوا ، وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يُرَدّ عن القوم المجرمين ؛ إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه ، إمام الفاتحين ، وسيد عباد الله أجمعين ، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسّك بسيرته إلى يوم الدين .





ظاهرة الاعتصامات والمظاهرات والثورات الشعبية والإضراب في فتاوى الأئمة والعلماء

● بقلم: علي بن حسين أبو لوز

إن مما ابتُليت به بعض المجتمعات الإسلامية اليوم ؛ هو قيام بعض الجماعات أو الأحزاب باعتصامات في المساجد أو الشوارع ، والساحات العامة ، أو في بعض المباني الحكومية ؛ كما أنهم يقومون بما يسمى الإضراب ، يعني : التوقُّف عن الطعام والشراب والعمل أياماً أو ساعات معدودة ، ويقصدون بذلك الضغط على الحاكم حتى يلبّي مطالبهم في مسألة ما أو قضية ما .

كما أنهم يقومون ـ أيضاً ـ بثورات شعبية ، فيضربون هذا ، ويؤذون ذاك ، ويكسرون المحلات وزجاج السيارات وغير ذلك من أعمال التخريب ، ظانين بذلك أنهم يخدمون الإسلام ! وما عرفوا أنهم أضرُّوا بالمسلمين ، وسلّطوا عليهم الحكام ، وعطّلوا الدعوة إلى الله ، وغير ذلك من المفاسد والأضرار .

وقد سُئل سماحة العلامة الإمام عبدالعزيز ابن باز - رحمه الله -:

هل المظاهرات الرجالية والنسائية ضد الحكام والولاة تُعتبر وسيلة من وسائل الدعوة؟

وهل مَن يموت فيها يُعتبر شهيداً في سبيل الله؟[1] .

فأجاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

(١) نقلاً من شريط بعنوان : (مقتطفات من أقوال العلماء) .

«لا أرى المظاهرات النسائية والرجالية من العلاج ، ولكنها من أسباب الفتن ، ومن أسباب الشرور ، ومن أسباب ظلم بعض الناس ، والتعدّي على بعض الناس بغير حق ؛ **ولكن الأسباب الشرعية: المكاتبة والنصيحة والدعوة إلى الخير بالطرق السلمية** ، هكذا سلك أهل العلم ، وهكذا أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان ، بالمكاتبة والمشافهة مع المخطئين ومع الأمير ومع السلطان ، بالاتصال به ومناصحته والمكاتبة له ، دون التشهير في المنابر وغيرها بأنه فعل كذا وصار منه كذا . والله المستعان» .

وسُئل فقيه الزمان فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -:

ما حكم الإضراب عن العمل في بلد مسلم للمطالبة بإسقاط النظام العلماني؟[1] .

فأجاب ـ حفظه الله وعافاه ـ قائلاً :

«هذا السؤال لا شك أن له خطورته بالنسبة لتوجيه الشباب المسلم ، وذلك أنّ قضية الإضراب عن العمل ؛ سواء كان هذا العمل خاصاً أو في المجال الحكومي لا أعلم له أصلاً من الشريعة ينبني عليه ، ولا شك أنه يترتب عليه أضرار كثيرة حسب حجم هذا الإضراب شمولاً ، وحسب حجم هذا الإضراب ضرورة ، ولا شك أنه من أساليب الضغط على الحكومات ، والذي جاء في السؤال أن المقصود به إسقاط النظام العلماني ، وهنا يجب علينا إثبات أن النظام علماني أولاً ، ثم إذا كان الأمر كذلك ؛ فليعلم أن الخروج على السلطة لا يجوز إلا بشروط»[2] أ . هـ .

وسُئل فضيلته - أيضاً - : بعد الإضراب يُقدّم الذين أضربوا مطالبهم ، وفي حالة عدم الاستجابة لهذه المطالب ، هل يجوز مواجهة النظام بتفجير ثورة شعبية؟[3] .

فأجاب ـ وفقه الله تعالى ـ قائلاً :

«لا أرى أن تُقام ثورة شعبية في هذه الحال ؛ لأن القوة المادية بيد الحكومة كما هو معروف ، والثورة الشعبية ليس بيدها

---

(١) «الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات» (ص ٢٨٦ و٢٨٧) .

(٢) راجع هذه الشروط في كتاب «الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات» (ص ٢٨٧) .

(٣) «الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات» ابن عثيمين ، من جمعي وإعدادي (ص ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

إلا سكين المطبخ وعصا الراعي ، وهذا لا يقاوم الدبابات والأسلحة ، لكن يمكن أن يُتوصَّل إلى هذا من طريق آخر إذا تمّت الشروط السابقة ، ولا ينبغي أن نستعجل الأمر ؛ لأن أي بلد عاش سنين طويلة مع الاستعمار لا يمكن أن يتحول بين عشية وضحاها إلى بلد إسلامي ، بل لا بد أن نتخذ طول النفَس لنيل المآرب .

والإنسان إذا بنى قصراً فقد أسّس ، سواء سكنه أو فارق الدنيا قبل أن يسكنه ، فالمهم أن يُبنى الصرح الإسلامي وإن لم يتحقق المراد إلا بعد سنوات ، فالذي أرى ألا نتعجّل في مثل هذه الأمور ، ولا نثير أو نفجّر ثورة شعبية ، غالبها غوغائية لا تثبت على شيء ، لو تأتي القوات إلى حي من الأحياء وتقضي على بعضه لكان كل الآخرين يتراجعون عما هم عليه» أ . هـ .

وسُئل فضيلته - أيضاً -:

يصحب هذا الإضرابَ وهذه التجمعات اعتصامٌ في الساحات من طرف الشباب ، كأن يعتصموا في الساحات الحكومية ، ويبيتوا ليالي في هذه الساحات ، فما حكم هذا الاعتصام؟ وهل له أصل في الشرع؟[1] .

فأجاب ـ حفظه الله تعالى ـ قائلاً :

«هذا الاعتصام من أساليب الضغط على الحكومة بلا شك ، وهو ـ فيما أعلم ـ مستورد ـ ، ولكن من المعلوم أن الوسائل تكون على حسب المقاصد ، ولها حكم المقصد إن لم تكن من الوسيلة المحرمة ، وهذا الاعتصام ينبني على ما سبق فيما قلناه بالنسبة للإضراب» أ . هـ .

وسُئل فضيلة الشيخ ابن جبرين : ما حكم ما يدعو له البعض من الاعتصام في المساجد ونحوها؟ وهل لذلك أصل في الشرع ، لا سيما وهي تهيّج الناس على ولاة الأمور؟[2] .

فأجاب ـ حفظه الله ورعاه ـ :

«الاعتصام كلمة طيبة ، ومعناها : التمسك بالحق والعمل به مهما حصل من ضرر أو خطر ، أو مشقة ؛ كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ومَنْ يعتصم بالله فقد هُديَ إلى صراطٍ مستقيم﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ : ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً﴾

(١) المصدر السابق (ص ٢٨٩) .

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين» ـ العقيدة (الجزء الثامن) مخطوط .

(آل عمران : ١٠١ ـ ١٠٣) ؛ أي : تمسكوا به ، وداوموا عليه .

وقد يُطلق الاعتصام بالشيء على الاحتماء به ، والتحصّن فيه ؛ كاللجوء إلى الحصون والقلاع المنيعة عند الفتن والقتال .

فأما المساجد ؛ فهي بيوت العبادة ، وفيها تقام الصلوات ، جمعة وجماعة ، والمسلمون كلهم يتوافدون إليها لأداء هذه الصلوات المكتوبة ، ولا يُسمَّى هذا اعتصاماً ؛ بل هو طاعة وقربة ، ولا يختص بطائفة معينة ؛ بل كل المسلمين في كل زمان يحضرون في المسجد ، وبعد أداء العبادة يرجعون إلى أهليهم ، ولا يُسمَّى هذا اعتصاماً خاصاً .

وليس في عمارة المساجد بالعبادة ما يهيج العامة ولا الخاصة ، لكن إن كان هناك دعايات إلى تجمعات طوائف مخصوصة ، لأغراض مشبوهة ، يُقصد منها مظاهرات أو انتقادات ، فإن ذلك لا يجوز ، بل يجب منعه والأخذ على يد من فعله ، وإلا فلا يمنع من العبادة المعتادة في المساجد أو المدارس أو المشاعر ، والله أعلم» أ . هـ .

وسُئل فضيلته ـ أيضاً ـ :

ما رأيكم في مسألة الاعتصام التي يقوم بها بعض الشباب في بعض البلاد الإسلامية ، ويكون في الساحات العامة ، أو في بعض المباني الحكومية ، أو في بعض المساجد ، وذلك بقصد التضييق على الحاكم لإسقاطه واستبداله بمن يحكم بالإسلام؟

وقد يصحب هذا الاعتصام إضراب عن العمل أو الطعام أو الشراب ساعات أو أيّاماً ، لبيان غضبهم على هذا الحاكم ، وربما يموت بعضهم جوعاً بسبب هذا الإضراب ، كما يحدث في بعض السجون هناك؟[1] .

فأجاب ـ وفقه الله تعالى للصواب ـ :

«كل هذا لا يجوز ؛ فإنه يجلب ضرراً على النفس ، ويتعدّى على المواطنين الأبرياء ؛ بحيث أن الوالي يفرض العقوبة الصارمة على أولئك الثائرين ، وتعمّ العقوبة للكثير من أهل البلاد ، وإن لم يشتركوا في ذلك الإضراب أو الإنكار ، وفي ذلك مفسدة كبيرة ، والواجب ـ والحالةُ هذه ـ أن يصلحوا أنفسهم ، فإنَّ صلاح الراعي بصلاح الرعية ، وفي الأثر : «كما تكونوا يُولَّى عليكم» ؛ فمتى صلحوا

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين» ـ العقيدة (الجزء الثامن) مخطوط .

واستقاموا على الشرع وأدّوا العبادات وسمعوا وأطاعوا وحافظوا على حقوق الله ـ تعالى ـ ، فإن الله ـ تعالى ـ يُصلح الولاة ويولّي عليهم خيارهم .

كما أن عليهم أن يكثروا من الدعاء لهم ، وسؤال الله ـ تعالى ـ أن يصلح ولاة الأمور ، وأن يجعلهم هداة مهتدين ، فالله ـ تعالى ـ يجيب دعوتهم إذا أخلصوا فيها ، وأيضاً ؛ عليهم أن يبذلوا النصح للوالي ويذكّروه بحق الله تعالى ، وبسيرة الولاة العادلين ، وكيف كانت عاقبتهم !! فبذلك تصلح الأحوال وتستقيم» .

وسُئل فضيلته ـ أيضاً ـ :

ما حكم القيام بثورات شعبية غوغائية يصحبها تكسير للمباني والسيارات التابعة للحكومة أو الأهالي ، وضرب للأشخاص ، وقد يحصل صدام بين الدولة وبين المتظاهرين ، وقد تسفك دماء ـ بسبب ذلك ـ بريئة؟

نرجو من فضيلتكم بيان الحق والصواب في هذه المسألة الخطيرة ، مع توجيه نصيحة للشباب المسلم في بلاد المسلمين بترك هذه الأعمال وهذه المهاترات ، والتفرّغ لتربية الناس على الإسلام الصحيح وطلب العلم؟[1] .

فأجاب ـ حفظه الله ـ قائلاً :

«لا شك أن هذه الثورات لا تصدر من أهل العلم وأهل الصلاح ، فإن الأمانة والدين الصحيح يحجزهم عن هذه المفاسد ؛ لمعرفتهم بحرمة دماء المسلمين وأموالهم ، واستحضارهم قولَ النبي ﷺ : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[2] ؛ أي : حرام من بعضكم لبعض ، وقوله ﷺ : «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[3] ، وقوله ﷺ : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[4] .

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين» ـ العقيدة (الجزء الثامن) مخطوط .

(٢) قطعة من حديث خطبة النبي ﷺ يوم النحر ، أخرجه البخاري برقم (١٧٣٩) عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ، ومسلم برقم (١٦٧٩) عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٠٨٠) ، ومسلم برقم (٦٥) عن جرير ـ رضي الله عنه ـ ، وأخرجه البخاري برقم (٧٠٧٧) ومسلم برقم (٦٦) عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ، وأخرجه البخاري برقم (٧٠٧٨) عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ ، وأخرجه البخاري برقم (٧٠٧٩) عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٨) ومسلم برقم (٦٤) من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

ولا شك أن اسم الإسلام يعمّ كل موحّد من أهل القبلة ، ولا يجوز إخراجه من الإسلام ، ولا الحكم بإباحة ماله ودمه ، ولو صدر منه ذنب أو خطأ عن اجتهاد أو تأويل أو نظر لمصلحة ، ولو كان فيه مخالفة لنص أو دليل ، فإن ذلك كله

والحرص على جمع كلمة المسلمين ، وإزالة ما بينهم من الخلافات التي تسبب اضطراباً في المجتمعات الإسلامية» .

وأخيراً أخي المسلم !!

وبعد أن عرفنا حكم مثل هذه الأعمال التخريبية ، هل بقي لعاقل أن يفكّر في

❖ أيها المسلمون:

إن الحماس الذي يسبب الضجة والغوغائية من غير حكمة ولا رجوع إلى الكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح؛ حماس ضالّ يضر ولا ينفع، ويجب أن تعرف الأمة كيف تفكّر، وماذا يجب أن تعمل؛ بعيداً عن عواطفها الكاسحة، وحماساتها الفارغة، ومهرجاناتها الطنانة، وخطبها الرنانة !!

لا يسوّغ العصيان والقيام بمظاهرات ونداءات جاهلية ، وإتلاف للأموال والأنفس والثمرات ، مع ما يحصل بسبب ذلك من تسلّط الدولة على أولئك المتظاهرين ، وقطع دابرهم ، وكان الأولى أن يقتصروا على إصلاح أنفسهم ، ومن تحت أيديهم ، وكذا على النصح والتوجيه والدلالة على الخير بالتي هي أحسن ،

مثل ذلك؟!

أيها الشباب ، أيها المسلمون :

إذا أردتم الخير والوحدة والتمكين ؛ فعليكم أن تتخلّقوا بأخلاق السلف الصالح من هذه الأمة .

وهل كان من أخلاقهم مثل هذه الأعمال؟

إننا لم نسمع عنهم الإضراب

والاعتصام والثورات الغوغائية ، واعلموا أن التغيير يبدأ من الأنفس ، ولن يكون بكثرة الأنصار ، وقوة الإعلام ، وضجيج المصفقين ، وامتلاء الساحات والشوارع بالجموع الغفيرة التي تشقّ هتافاتها الحناجر[1] .

أيها المسلمون :

إن الحماس الذي يسبب الضجة والغوغائية من غير حكمة ولا رجوع إلى الكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح ؛ حماس ضالّ يضرّ ولا ينفع ، ويجب أن تعرف الأمة كيف تفكّر ، وماذا يجب أن تعمل ، بعيداً عن عواطفها الكاسحة ، وحماساتها الفارغة ، ومهرجاناتها الطنانة ، وخطبها الرنانة !! وغيرها من سوالب كثيرة لم يستفد المسلمون ـ وللأسف الشديد ـ منها عبر التجاربَ التي خاضوها ، أو الويلات التي وقعوا فيها فضلاً عن المآسي التي حلّت بهم غواشيها ، نتيجة ارتكاسهم في تلك العواطف والحماسات ، دون تطبيق صادق واع لكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ، ﴿فهل من مُدَّكِرٍ﴾[2] .

من فضائل الشام

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

«كان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلّت الدلائل المذكورة على أن مُلك النبوة بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يُحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يكون الأمر إلى الشام؛ كما أسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى».

«مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٣ - ٤٤).

---

(١) «التصفية والتربية وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية» (ص ١٢٨) .

(٢) سورة القمر ، الآية : ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ .



القدس الشريف، واليهودية

● بقلم: الشيخ خير الدين الوائلي الدمشقي

القدس الشريف

(القدسُ) أولى القبلتين وثالثُ ... الحرمين[1] مسرى المصطفى العدناني

للراشد الفاروق تفتح صدرها ... صلحاً فتأمنُ فتكة الرومان

لتعيش في كنف السلام كنيسة ... بجوار مسجدها مدى الأزمان

ما راعها إلا التتارُ وقبلهم ... جندٌ أتوها حاملي الصُلبان

لم يبقَ فيها مسجدٌ وكنيسة ... إلا استحالا مذبحَ الإنسان

سالتْ دماءُ الأبرياء على الرُبى ... وتدحرجَتْ هامٌ إلى القيعان

كل المصائب قد تهونُ سوى التي ... تأتي من القدِّيس والرهبان

وأتى (صلاحُ الدين) يحمي مسجداً ... وكنيسةً من بغي ذي الكفران

وتحررتْ (قدسُ) الشآم من العدا ... وانهارَ صرحُ الظلم والطغيان

حتى أتتْ (صهيونُ) تبكي مجدها ... حولَ الجدار بذلة الولهان

وتأجَّجَتْ أحقادُ (أوربَّا) التي ... خمدت قروناً دونما نقصان

وتعاون المستعمرون جميعُهم ... في نُصرة الآثام والبهتان

لتقومَ للهود الصهاين دولةٌ ... في (القدس) تحمل طابع العدوان

لم تَبْقَ في (القدس) الشريف منارةٌ ... تُهدي الأذانَ لكلِّ ذي آذان

وتعطلَتْ تلك المنابرُ واختفى ... صوتُ الخطيب وقارئ القرآن

والرايةُ الزرقاءُ تنشرُ حقدها ... فوق الهضاب الخُضر والوديان

والقبةُ السمراءُ تندبُ حظها ... والصخرةُ انهارَتْ من الأشجان

فمتى تعودُ إلى مرابع قدسنا ... بركاتُ ربٍّ واهبٍ رحمان

الوعدُ حقٌ إن نغيِّرْ ما بنا ... والنصرُ للأوّاب للفرقان

(١) لم يَرِدْ على هذا الوصف دليلٌ . (الأصالة) .

اليهـودية

عـقـربٌ بل أخطبـوطٌ مـاكـرُ ... بل هـي الداءُ العَـيـاء الفـاقـرُ
ضـمّت السـوآتِ من أطرافـهـا ... كلُّ تعـريفٍ ووصفٍ قـاصـرُ
عندهـا مـن كل شـرّ شـرُّهُ ... كل مـا فـيـهـا فـسـوقٌ سـافـرُ
أيُّ شـعـب لم يذقْ ويلاتهـا ... أيُّ شـر مـا أتاهُ الفـاجـرُ
أفسدتْ في الأرض أخلاق الورى ... فـفسـادُ الخُلق فـيـهـا غـامـرُ
مـزّقتْ كلّ اتحـادٍ قـائم ... فـاكـتـوى المغلوبُ ثم الظافـرُ
عكّرتْ من كل ديـنٍ نبـعَـه ... مـا نجـا مـن ذاك إلا النـادرُ
ضـاريتْ واحـتـكرتْ كلَّ الربا ... مـصـرفُ الأمـوال كنزٌ حـاضـرُ
واشـتـرتْ بالمال أقـلامـاً فكم ... من إذاعـات شـراهـا التـاجـرُ
سَـتَّـرَ الإعـلام عن إجـرامـهـا ... ومن الإعـلام سـتـرٌ سـاترُ
نوَّعَتْ دورَ الخنى فـارتـزقتْ ... من مـواخـيـر الفـسـاد العـاهرُ
همُّـهـا قـتـلُ المروءاتِ التي ... لم تزَلْ فـينا فـبـئس الداعـرُ
كلُّ مـاسـونيـةٍ من صنعـهـا ... كلُّ سـحـرٍ قـد أتاه السـاحـرُ
دعـوةُ البـاطن من تزيينهـا ... والتـقـيّـاتُ النفـاقُ الماهرُ
كلُّ حـربٍ سـاهمتْ في نسجهـا ... فـاقـتـتـالُ الخَلْق قـصـدٌ مـاكرُ
كي يظلَّ الهـودُ شـعـبـاً بـاقـيـاً ... حـلـمٌ مـاضٍ وطيفٌ عـابـرُ

❖ ❖ ❖

علّةُ الصـهـيـون مسـتـعـصـيـة ... مـا لهـا إلا العـلاجُ البـاتـرُ
إنه الإسـلامُ دين المصطفى ... مـجـدُنا الزاهي التليدُ الزاهرُ
(خـيـبـرُ) تعـرفُ مـا إسلامُنا ... و(قـينقـاعُ) اليـهـودِ الغـابرُ
أحـرصُ الناس على عـيشٍ وإنْ ... حـفَّـهُ ذلٌ وحظٌ عـاثـرُ
قـدَّر الله جـلاءً فـانجلى ... كلُّ شـرٍ مـذْ توارى الغـادرُ
تنفثُ الأفـعى ولكنْ خلسـةً ... سُـمَّـهـا واللينُ ثوبٌ ظاهرُ
فـإذا مـا اشـتـدَّ يومـاً عـودُها ... هـاجـمتْ والنابُ سمٌّ قـاطـرُ

شدَّ كفرُ الأرضِ منها أزرَها طمعاً والمالُ وزرٌ وازرُ

كشَّرتْ عن نابها في أرضنا وأخو الأعراب ساهٍ ساهرُ

غارقٌ في لهوه مسترسلٌ في خصوماتٍ وغيٌّ سادرُ

أحرقتْ مسجده واستعمرت أرضَه فالشعب عبدٌ صاغرُ

في فلسطين الحُبالى أُبقِرَتْ وعلى البطحاء سال الطاهرُ

أُفسدَ الحرثُ على أصحابه هلكَ النسلُ وباد العامرُ

أيُّ بيتٍ لم يُخيِّمْ فوقَه شبحُ اليُتْمِ الرهيبُ الباسرُ

أيُّ جَفنٍ رقأتْ دمعتُه أيُّ جورٍ لجَّ فيه الجائرُ

سبعُ راياتٍ من العُرْب انبرتْ للوغى والموتُ فيها دائرُ

والبطولات وكانت جمَّةً كالأساطير رواها الناظرُ

أفسد الحكامُ من بهجتها بالخيانات ليرضى الآمرُ

بل تنادَتْ دولُ الكفر إلى (مجلس الأمن) ليُحمى الخاسرُ

فاستعادَ المعتدي أنفاسَهُ وشعوبُ الكفر عونٌ ناصرُ

أمةُ العُرب تلاشى جمعُها والخصوماتُ العدو القاهرُ

ما نداءُ العِرْقِ يبني أمةً يجمعُ الأقوامَ ربٌّ قادرُ

شعبُ إسرائيل لا تجمعُهم فكرةٌ قوميةٌ أو خاطرُ

إنما تجمعُهم توراتُهم فإخاءُ الدين فيهم وافرُ

لا يَفُلُّ الدينَ إلا مثلُه لا يُباري الدارعينَ الحاسرُ

ملةُ التوراةِ لن يقمعَها غيرُ دين الله فهو الظاهر

ليس يحمي الهودَ إلا غرقدٌ فهو للهود الخِباءُ الساترُ

إنه الإسلامُ يُفني جمعَهم كلُّ شرٍّ بعدَ ذاكم قاصرُ

تعمرُ الأرضُ إذا ما استُؤصلوا ويسودُ البيدَ عدلٌ باهرُ

يملأ الإسلام دنيانا هدىً وإخاءً ذاك شيءٌ صائرُ

إنها بُشرى رسولٍ صادقٍ لا يُماري فيه إلا كافرُ

❖ ❖ ❖



قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف

* إيماناً بالوحدة الإسلامية التي طَبع عليها الإسلام أتباعه .

* واستجابةً لدعوة الإسلام إلى التواصي بالحق والتعاون على البر .

* وتحقيقاً لمبدأ التكافل والمناصرة الذي دعا إليه القرآن وحثّ عليه رسول الله ﷺ .

* وانتصاراً للحق والعدل ، ودفاعاً عن العقيدة والوطن والعِرض .

لَبّى علماء المسلمين في العالم دعوة مجمع البحوث الإسلامية ، لمؤتمره الرابع الذي عقد في رحاب الأزهر الشريف في شهر رجب سنة ١٣٨٨هـ ، وقد خُصّصت الفترة الأولى منه لقضية فلسطين واحتلال بيت المقدس ، وانتهاك حرماته والعدوان على الأراضي العربية .

وعلى أساس من تعاليم الإسلام ومبادئه ، وفي ضوء الحقائق التاريخية والمبادئ الإنسانية والأعراف الدولية ، تدارس المؤتمرون ما يربو على خمسة وعشرين بحثاً قدمها علماء المسلمين من القارات الثلاث : آسيا ، وأفريقيا ، وأوربا ، وأعقبت بمناقشات تلاقت عندها مشاعر أعضاء المؤتمر في إجماع وإصرار على مواجهة فداحة الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم .

يعلن المؤتمر :

❖ **أولاً:**

أ ـ أن أسباب وجوب القتال والجهاد التي حدّدها القرآن الكريم قد أصبحت

كلها متوافرة في العدوان الإسرائيلي ، بما كان من اعتداء على أرض الوطن العربي الإسلامي ، وانتهاك لحرمات الدين في أقدس شعائرها وأماكنها ، وبما كان من إخراج المسلمين والعرب من ديارهم ، وبما كان من قسوة ووحشية في تقتيل المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال .

لهذا كله صار الجهاد بالأموال والأنفس فرضاً عينياً في عنق كل مسلم يقوم به على قدر وسعه وطاقته مهما بَعُدَت الديار .

ب - يُحَيِّي المؤتمر طلائع الفدائيين والمرابطين على خطوط القتال ، ويقدّر نضالهم وصمودهم وإصرارهم على النصر .

جـ - يدعو المؤتمر إلى دعم الكفاح الذي يخوضه أبناء الشعب الفلسطيني ، وإمداده بكل أسباب القوة التي تضمن له الصمود والتصعيد ، وتحقّق له هدفه وغايته .

د - كما يدعو إلى دعم الجبهات العسكرية العربية ، وبخاصة الجبهة الأردنية .

هـ - يبارك المؤتمر الوحدة العسكرية العربية ، ويدعو إلى وضعها موضع التنفيذ ، ويهيب بالدول العربية إلى تقوية القيادة العربية الموحدة ، ويدعو المسلمين كافة إلى مساندة هذه الوحدة مادياً ومعنوياً .

و - يوصي المؤتمر بحشد كل الطاقات المادية والمعنوية للأمة العربية والإسلامية ، وتدريب جميع القادرين على حمل السلاح على استعماله .

ز - يدعو المؤتمر إلى إنشاء صندوق لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطيني ورعاية أسر المجاهدين والشهداء ، والعمل على أن تكون للصندوق فروع في كل بلد إسلامي ، وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله ، فإن الإنفاق في سبيل الله من البر الذي أمر الله به ، ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التي نصّ القرآن الكريم عليها .

حـ - يهيب المؤتمر بالمسلمين أن يبادروا إلى تعبئة القوى الروحية وتعميق القيم الإسلامية في المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد والقوات المسلحة ، وفي كل وسائل النشر والإعلام ، ويحثّهم على التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه ، وحشد القوى في جميع المرافق والمصانع والمزارع استعداداً لمواجهة احتمالات الموقف .

❖ **ثانياً:**

أ - أن المؤتمر إذ يقدّر ما تقوم به الحكومات والشعوب الإسلامية من جهود حميدة في سبيل الهدف المشترك ؛ يوصي

المزيد من هذه الجهود وبالتنسيق بينها ؛ يقف المسلمون صفاً واحداً في مواجهة الموقف الحاسم .

ب ـ يدعو المؤتمر إلى تأليف وفد للعمل على تنفيذ هذه التوصية لتوثيق عرى المودة والتآخي والتعاون الفعّال بين البلاد الإسلامية تمهيداً لقيام الجامعة الإسلامية المنشودة .

جـ ـ يوصي المؤتمر بالتعاون الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى الحدود ، والعمل على تنسيقه بما يحقق التكامل بين الدول الإسلامية والعربية .

❖ **ثالثاً:**

يدعو المؤتمر جميع الحكومات الإسلامية أن تقطع كل علاقة لها مع إسرائيل أياً كانت هذه العلاقة ، ويقرّر أن التعامل مع العدو في أية صورة من صور التعامل طعنة موجّهة للمسلمين جميعاً ، ومخالفة لتعاليم الإسلام ، قال ـ تعالى ـ : ﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورسولَه ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ (المجادلة : ٢٢) .

❖ **رابعاً:**

أ ـ يهيب المؤتمر بالمسلمين في كل مكان ألا يغفلوا لحظة عن واجبهم الديني في تخليص بيت المقدس وسائر الأرض المحتلة ، والحفاظ على قداسته وعروبته ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين[1] ، ومسرى رسول الله ﷺ ومعراجه ، ومثوى الشهداء من صحابته .

ب ـ يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم في الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧هـ الموافق ٢٢ أغسطس ١٩٦٧م ، والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الديني يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ، ومسجد الصخرة المشرفة[2] ، والساحات المحيطة بهما ، وما عليه السور وفيه الأبواب ، وأن العدوان على أي جزء من ذلك يُعتبر انتهاكاً لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداءً على قدسيته .

❖ **خامساً:**

أ ـ إن أمانة الدعوة إلى الحق ، وواجب الإخلاص في النصيحة لله ولرسوله

---

(١) سبق التنبيهُ على أن هذا الوصف لا دليلَ عليه . (الأصالة) .

(٢) وفي هذا بحثٌ ليس هنا موضعه . (الأصالة) .

ولأئمة المسلمين وعامتهم، لتوجب على المؤتمر أن يدعو الشعوب والحكومات الإسلامية إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والأخذ بتعاليمه، فذلك طريق النصر، وسبيل العزة والكرامة: ﴿إنْ تنصروا الله ينصرْكم ويثبِّتْ أقدامكم﴾ (محمد: ٧).

ب ـ يهيب المؤتمر بالمسلمين ـ شعوباً وحكومات ـ أن يأخذوا بأسباب العلم والقوة؛ ليحققوا لمجتمعاتهم وأوطانهم النصر والأمن، ويوفّروا لهم الطمأنينة والرخاء: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ (الأنفال: ٦٠).

❖ سادساً:

أ ـ يعلن المؤتمر استنكاره الصارخ لمساندة بعض الدول لإسرائيل، وتأييدها لعدوانها، ويعتبر تلك المساندة وذلك التأييد تحدياً وعداءً للأمة الإسلامية واستهانة بمشاعر المسلمين.

ب ـ يعلن المؤتمر أن المسلمين في مختلف بلادهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الأطماع الصهيونية العنصرية في العالم العربي الإسلامي، ولن يتوانوا عن بذل النفوس والأرواح في سبيل الله الدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم واسترداد أرضهم السليبة.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

صدر بالقاهرة بتاريخ ١٣ من رجب ١٣٨٨هـ، الموافق ٦ من أكتوبر ١٩٦٨م.

حكم شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن يشتم المسلمين من اليهود

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن يهودي قال: (هؤلاء المسلمون الكلاب أبناء الكلاب يتعصّبون علينا)، وكان قد خاصمه بعض المسلمين!

فأجاب رحمه الله:

إذا كان أراد بشتمه طائفة معينة من المسلمين، فإنه يعاقب على ذلك عقوبة تزجره. وأمثاله. عن مثل ذلك. وأما إن ظهر منه قصد العموم، فإنه يُنتقض عهده بذلك، ويجب قتله.



فلسطين والعيد

● بقلم: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله -

النفوس حزينة، واليوم يوم الزينة..

فماذا نصنع؟!!

إخواننا مشرَّدون، فهل نحن من الرحمة والعطف مجرَّدون؟

تتقاضانا العادة: أن نفرح في العيد ونبتهج، وأن نتبادل التهاني، وأن نطرح الهموم، وأن نتهادى البشائر.

وتتقاضانا فلسطين: أن نحزَن لمحنتها ونغتمّ، ونُعنَى بقضيتها ونهتمّ.

ويتقاضانا إخواننا المشرَّدون في الفيافي، أبدانُهم للسوافي، وأشلاؤهم للعوافي: أن لا ننعم حتى ينعَموا، وأن لا نطعم حتى يطعَموا.

ليتَ شعْري!...

هل أتى عبّادَ الفلس والطين، ما حلّ ببني أبيهم في فلسطين؟

أيها العرب: لا عيد حتى تنفذوا في صهيون الوعيد، وتُنجزوا لفلسطين المواعيد، ولا نحر حتى تقذفوا بصهيون في البحر، ولا أضحى، حتى يظمأ صهيون في أرض فلسطين ويُضحًّى.

أيها العرب: حرامٌ أن تنعَموا وإخوانكم بؤساء، وحرامٌ أن تطعَموا وإخوانكم جياع، وحرامٌ أن تطمئنَّ بكم المضاجع وإخوانكم يفترشون الغبراء.

أيها المسلمون: افهموا ما في هذا العيد من رموز الفداء والتضحية والمعاناة، لا ما فيه من معاني الزينة والدعة والمطاعم، ذاك حق الله على الروح، وهذا حق الجسد عليكم.

إنّ بين جنبيَ ألماً يتنزّى، وإن في جوانحي ناراً تتلظّى، وإن بين أنملي قلماً سُمته أن يجري؛ فجمح، وأن يسمَح فما سمح، وإن في ذهني معاني أنحى عليها الهم؛

فتهافت..

وإن على لساني كلمات حبسها الغمّ؛

فتخافت..

ولو أنّ قومي أنطقتْني رماحُهم نطقت ولكنّ الرماح أجرّتِ

---

* نشرت في العدد (٥٣) في جريدة «البصائر» السلفية، سنة (١٩٤٨م)، بقلم الإمام المجاهد السلفي العلامة الأثري محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله تعالى -.



يوم الافتتاح العلمي

لـ «مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية»

تم بحمد الله وفضله في يوم / الاثنين ١٣ / شوال / ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠١/١/٨م افتتاح «مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية»، في عمان . الأردن.

ولقد لقي هذا الحفل نجاحاً كبيراً ـ بفضل الله ـ ، وكان يوماً علمياً مشهوداً ، وذلك بتوفيق الله وفضله .

وقد تخلّل هذا الحفل الكريم عدة كلمات :

١ ـ كلمة ترحيبية ـ ألقاها نائب مدير المركز ـ فضيلة الشيخ الدكتور / محمد موسى آل نصر .

٢ ـ كلمة تعريفية بالمركز ـ ألقاها مدير المركز ـ فضيلة الشيخ / سليم الهلالي .

٣ ـ كلمة طلبة العلم في الأردن ـ ألقاها فضيلة الشيخ / حسين العوايشة .

٤ ـ كلمة مجلة «الأصالة» ـ ألقاها رئيس تحرير مجلة الأصالة ـ فضيلة الشيخ / علي الحلبي .

٥ ـ ندوة عن الشيخ الإمام الألباني ، وجهوده في نشر الدعوة السّلفية ، ونبذة عن أصولها ـ بإدارة فضيلة الشيخ / مشهور حسن آل سلمان .

وقد كان عريف الحفل : الأخ بسام أبو الحاج .

ويهدف المركز إلى ما يلي :

أولاً : الرجوع بالأمة الإسلامية إلى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ، بفهم السلف الصالح .

ثانياً : إحياء دور القرآن الكريم في نفوس المسلمين ؛ حفظاً وتلاوةً وتفسيراً وتفهّماً ، لتربية وإنشاء جيل مسلم قرآني ربّاني .

ثالثاً : إحياء الميراث العلمي لأهل السنّة والجماعة ؛ تأليفاً وتحقيقاً ونشراً .

رابعاً : الاهتمام بطلاب العلم والدعاة إلى الله ، وتأهيلهم لذلك ، وتفعيل دورهم في المجتمع .

خامساً : التواصل العلمي والدعوي والتربوي مع أهل العلم وطلابه ودعاته .

سادساً : عقد دورات متخصصة في العلوم الشرعية واللغة العربية للمسلمين الناطقين بغير اللغة العربية .

سابعاً : نشر البحوث والكتب ؛ العقدية ، والمنهجية ، والدعوية ، والتربوية ، التي تخدم الأمة الإسلامية ، وتحيي فيها منهج السلف الصالح .

ثامناً : الاهتمام بالمرأة المسلمة ، والطفل المسلم ، والأسرة المسلمة ، وتوعيتهم ، وحمايتهم من الأفكار الدخيلة والبدع الهدّامة ، والعقائد المنحرفة ، والعادات السيئة ، وبعثُ دور المرأة المسلمة في المجتمع ، عملاً بقول الرسول الكريم ﷺ : «إنما النساء شقائق الرجال» ، وقوله ﷺ : «المرأة راعية في بيت زوجها» .

تاسعاً : خدمة السنة النبوية المطهّرة والسيرة العطرة ـ وما يُبنى عليها ـ وتصفيتها مما ليس منها .

عاشراً : عمل دراسات ميدانية ، لتقديم حلول إسلامية (واقعية) للمشكلات العصرية الراهنة .

الدورة الأولى

«دورة الشيخ الإمام الألباني للعلوم الشرعية»

قال الله تعالى : ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ ، وقال النبي ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ، وتطبيقاً لأهداف المركز وغاياته النبيلة ؛ فقد أعلن عن الدورة العلمية الأولى : «دورة الإمام الألباني في العلوم الشرعية» ؛ وذلك يوم الافتتاح .

١ . **مدة الدورة** : شهر واحد .

٢ . **تاريخ الدورة** : ٢٠٠١/٣/٢١م ـ ٢٠٠١/٤/٢١م .

٣ . **العلوم الشرعية المقرّرة:**

١ . **القرآن وعلومه** : يقوم بتدريسه فضيلة الشيخ الدكتور / محمد موسى آل نصر .

٢ . **الحديث ومصطلحه** : يقوم بتدريسه فضيلة الشيخ / علي بن حسن الحلبي .

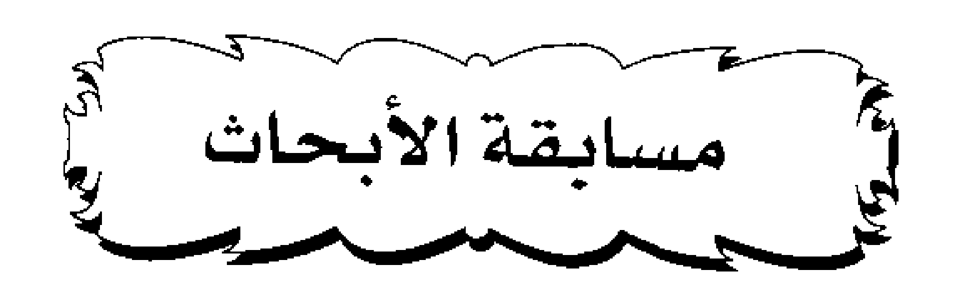
٣ . **أصول الفقه** : يقوم بتدريسه فضيلة الشيخ / مشهور بن حسن آل سلمان .

٤ . **العقيدة والمنهج** : يقوم بتدريسه فضيلة الشيخ / سليم بن عيد الهلالي .

٥ . **الفقه** : يقوم بتدريسه فضيلة الشيخ / حسين بن عودة العوايشة .

آخر موعد للتسجيل : ٢٠٠١/٢/١٠م ، والأولوية في القبول للمئة الأولى المسجّلة خلال فترة التسجيل .

ولمزيد من الاستفسار نرجو الاتصال بالمركز ـ هاتف : (٥٠٥٤٠٥٣) .



حرصاً من «مركز الإمام الألباني» ـ رحمه الله ـ على نشر البحوث والكتب : العقدية ، والمنهجية ، والدعوية ، والتربوية ، التي تخدم الأمة الإسلامية ، وتحيي فيها منهج السلف الصالح ، ومن باب التواصل العلمي والدعوي والتربوي مع أهل العلم وطلابه ودعاته ؛ قام المركز يوم افتتاحه بالإعلان عن إعداد مسابقة علمية هادفة تحتوي على المواضيع الآتية :

أولاً: جهود الإمام الألباني في مواجهة الأفكار الدخيلة ومنهجه في الإصلاح.

ثانياً: موجز تاريخ الدعوة السلفية المعاصرة في بلاد الشام.

ثالثاً: معالم المنهج السلفي من خلال مقالات مجلة «الأصالة» وأبحاثها (من الأعداد: ١ ـ ٣).

❖ **شروط المسابقة:**

١ ـ أن لا يقل البحث عن (٨٠) صفحة ، ولا يزيد عن (١٢٠) صفحة (قياس ١٧ × ٢٤) .

٢ ـ يُقدَّم مطبوعاً على (الكمبيوتر) حرف (١٥) .

٣ ـ أن لا تقل مراجعه عن (٣٠) مرجعاً ومصدراً .

٤ ـ استخدام أسس البحث العلمي في التخريج والعزو والتوثيق .

٥ ـ الاشتراك في بحث واحد .

٦ ـ البحوث الواردة لا تُرَدّ .

٧ ـ البحث الفائز من حقّ المركز ، ويعمل على نشره بإذن الله .

٨ ـ للمركز حرية انتقاء الأبحاث التي تصلح للنشر في منشوراته .

ـ يستقبل المركز الأبحاث من الأردن وخارجها .

الجائزة الأولى : (٣٠٠) دولار . الجائزة الثانية : (٢٠٠) دولار . الجائزة الثالثة : (١٠٠) دولار .

الجائزة الرابعة : الاشتراك لمدة سنتين في مجلة «الأصالة» ، من تاريخ إعلان الفائزين .

الجائزة الخامسة : الاشتراك لمدة سنة واحدة في مجلة «الأصالة» ، من تاريخ إعلان الفائزين .

وهناك جوائز ترضية أخرى .

ـ مدة البحث : (٥) شهور من تاريخ الافتتاح : (١٣ ـ شوال ـ ١٤٢١هـ) الموافق (٨ ـ ١ ـ ٢٠٠١م) .

والله ولي التوفيق



كلمة: مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية، والأبحاث العلمية

في وفاة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

(ثالثة الأثافي...)

.. قد كان ليلة أمس خسوف القمر وهو بدر.. وفي هذا اليوم، وعند أول غروب شمسه وقع خسف ثانٍ من نوع آخر، هو خسفٌ في صرح العلم وبنائِه، وكسفٌ في جذره وعليائه...

لقد كانت المصيبة الأولى - الكبيرة - في هذه البرهة من الزمن وفاة الشيخ ابن باز، فتصدّعت القلوب، ولكننا صبرنا لأن هناك من هو في طبقته من كبراء أهل العلم... ثم كانت وفاة الشيخ الألباني، فانكسرت لذلك الأفئدة، ولكن في الخطب - على جلله - يسراً؛ فإن المعقل الأخير في الخط الأول لصرح أهل السنة ومنهج السلف باقٍ وموجود.. وهو الشيخ ابن عثيمين، الحارس الأمين.

والآن.. وقبل أقلّ من ساعة جاءنا الخبر المفزع، والنبأ المفظع: بالحدث المفجع.. لقد انهدّ الصرح، وسقطت ثالثة الأثافي... وفي الله خَلَفٌ، وهو المستعان.

نعم؛ إن في البقية الموجودة من المشايخ وأهل العلم الفضلَ الكبير الكبير، وفي

الثلة الموعودة من طلاب العلم الشادين؛ الخير الكثير الكثير.. لكن يجب أن نصارح أنفسنا، وأن نعلن بوضوح لغيرنا أن هؤلاء الأئمة الثلاثة - وقد مضوا إلى الله جميعاً - هم في طبقة، وكل من سواهم ممن بعدهم في طبقة أخرى...

نعم؛ في طبقة أخرى؛ في جهدهم وجهادهم، في أثرهم وآثارهم، في علمهم وتعليمهم، في سُنّتهم وسنانهم...

فالمصيبة بفقد الشيخ ابن عثيمين - تغمّده الله برحمته - هي أعظم وأشدّ وأنكى - والله - من مصيبة فَقْد سلفَيْهِ الإمامين الجليلين؛ إذ لما مات الأول.. قلنا: بقي اثنان، ولما مات الثاني.. قلنا: بقي ثالث، ولما مات الأخير.. ها نحن نقول - بحسرة تملأ القلوب، وبدمع يغمر العيون -: مَنْ بقي؟!

والله؛ لا نعرف ماذا نقول ! ولا ندري ماذا نكتب !! ولكن الذي نعرفه وندريه - تماماً - أن الواجب (الآن) صار مضاعفاً مضاعفاً، وأن الفرض (الآن) صار أكبر وأعظم؛ محافظةً منا على منهج هؤلاء الكبار الكبار، وصيانة لطريقتهم، وحراسة لدورهم؛ فلئن ثويت شخوصهم، وغابت أبدانهم؛ فلن تغيب علومهم، ولن تذهب معارفهم، ولن يتغيّر منهجهم - بمنة الله وتوفيقه -؛ بل ستبقى في العلاء؛ بألقها، وصفائها ونقائها؛ سنةً وديناً، حقاً ويقيناً...

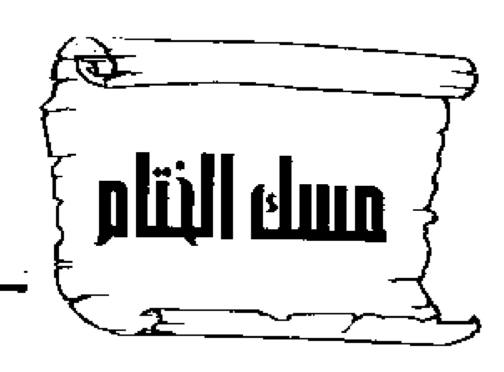
أحسن الله عزاء الأمة في أبي عبدالله، وألهمنا وأهله، وأبناءه، وخاصته، وطلابه: الصبر على هذه المصيبة؛ قائلين مردّدين:

اللهم آجرنا في مصيبتنا، واخلفنا خيراً منها...

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

سليم بن عيد الهلالي
محمد بن موسى آل نصر
علي بن حسن الحلبي
مشهور بن حسن آل سلمان



معالم الاهتداء في عوامل النصر على الأعداء

● التحرير

لقد مُنيت الأمة الإسلامية منذ أكثر من نصف قرن بهزائم متلاحقة ، وأكثرها في غفلةٍ عن أسباب هذه الهزائم والمصائب ، والله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ ، ويقول : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبتْ أيديكم ويعفو عن كثير﴾ ؛ ولو أن أمتنا ـ حكاماً ومحكومين ـ تدبروا كتاب الله ، وعملوا بأحكامه وحكمه ؛ لأخذوا بأسباب النصر على أعدائهم ، ولعلموا سنة الله في خلقه ـ التي لن تتغير ولن تتبدّل ولن تتحوّل ـ على مرّ العصور وكرّ الدهور .

وعوامل النصر على الأعداء كما وردت في كتاب الله كثيرة ، منها :

أولاً: التوحيد والإيمان والعمل الصالح:

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ .

ثانياً: من نصر دين الله نصره الله:

ونصر دين الله إنما يكون بإقامة شرعه واتباع هدي نبيه ﷺ ؛ لتحقيق العبودية لله ، وإحياء السنن وإماتة البدع وقمعها . .

بموالاة أهل السنة والجماعة ومعاداة أهل الأهواء والبدع . .

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجهاد أعداء الله حيثما كانوا . .

نصرُ دين الله بأن نطيع الله ورسوله ، ونأتمر بأمر الله ورسوله ، وننتهي عما نهى

عنه الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقويٌّ عزيزٌ﴾ .

ومَن كان كذلك ؛ فلا غالب له ؛ قال ـ تعالى ـ : ﴿إنْ ينصركم الله فلا غالب لكم وإنْ يخذلكم فمَنْ ذا الذي ينصرُكم من بعده﴾ .

ثالثاً: الصبر والتقوى سبب النصر والمدد من الله:

وقد وعد الله أهل الصبر والتقوى بالنصر والتمكين والإمداد ، والفلاح ، ورد كيد الأعداء ؛ قال ـ تعالى ـ : ﴿بلى إنْ تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فوركم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلافٍ من الملائكة مسوّمين وما جعله الله إلا بشرى لكم﴾ .

وقال تعالى : ﴿وإنْ تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾ .

وقال ﷺ : «واعلم أنّ الفرج مع الكرب ، وأن النصر مع الصبر ، وأن مع العسر يسراً» .

رابعاً: كل مظلوم موعود بنصر الله؛ فكيف إذا كان مؤمناً تقياً؟!

وذلك أن الظلم ظلمات ، وأن الله قد حرم الظلم على نفسه وجعله ، بين خلقه محرماً ، وأمر بنصر المظلوم ، وجعل دعاءه مستجاباً ليس بينه وبين الله حجاب .

قال ـ تعالى ـ : ﴿أُذنَ للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عُوقب به ثم بُغيَ عليه لينصرنه الله﴾ .

وورد ـ أيضاً ـ : إنَّ الله يقتص يوم القيامة من الشاة القرناء للشاة الجلحاء[1] .

خامساً: أتباع الدين الحق موعودون بنصر الله:

قال ـ تعالى ـ : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون﴾ .

وقال ﷺ : «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويُدخله الله هذا الدين ؛ بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل ، عزّاً يعز به الإسلام ، وذلاً يذلّ به الكفر» .

---

(١) وهذا من تمام عدله جلّ جلاله ؛ فكيف بشعب أعزل طُرد من أرضه ، ومُنع من حمل السلاح لقتال عدوه ، وشُتِّتَ في الأرض؟!

❖ وما أوتيت أمة الإسلام إلا من تنازعها وتفرقها، ولو أنها اجتمعت على كلمة التوحيد، ووحّدت كلمتها، واعتصمت بحبل الله، وجاهدت أعداءَها لإعلاء كلمة الله وإقامة توحيد الله والقضاء على الشرك؛ لنصرَها الله.

فهذا وعد في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ، ووعد الله لا يخلف ؛ لأن الله لا يخلف وعده .

سادساً: التنازع سبب الفشل والهزيمة:

وما أوتيت أمة الإسلام إلا من تنازعها وتفرقها ، ولو أنها اجتمعت على كلمة التوحيد ، ووحّدت كلمتها ، واعتصمت بحبل الله ، وجاهدت أعداءَها لإعلاء كلمة الله وإقامة توحيد الله والقضاء على الشرك ؛ لنصرَها الله .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ .

سابعاً: الإعداد للمعركة مادياً ومعنوياً:

وذلك أن الأخذ بالأسباب سنة نبوية سنّها الأنبياء مع شدة صدقهم وتوكّلهم على الله ، وقد ظاهر النبي ﷺ بين درعين في إحدى غزواته ، وكان يلبس خوذة الحرب ، ولبس بعض أصحابه درعاً سابغة ، وهذا لا ينافي التوكل على الله .

قال ـ تعالى ـ : ﴿وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ ، وقد فسّر النبي ﷺ الآية بقوله : «ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي» .

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفّقنا للأخذ بأسباب النصر على يهود وعلى سائر أعداء الإسلام ، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وما ذلك على الله بعزيز .

* * *





رسالةٌ إسلاميَّــةٌ مَنهَجِيَّــةٌ جامِعَــةٌ

العدد السادس

١٥ صفر الخير ١٤١٤هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

جمعية النور والإيمان الخيرية الإسلامية

علم وخبر ١٣٠/أد

ص.ب: ١٣/٦٠٠٦ شوران

بيروت - لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للَّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفِرُهُ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِلْ فلا هادِيَ لهُ .

وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وأشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاَّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بِهِ والأرحامَ إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَدْي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثَةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

المحتوى

فاتحة القول

خصوم الدعوة بين الأنبياء وورثتهم

التحرير

منذ أن أذن الله لأوّل رُسله نوح ﷺ - وحتى خاتمهم محمد ﷺ - بالدعوة إليه والخصومةُ قائمةٌ بين الحقّ المتمثّل بدعوة الأنبياء وبين باطل مخالفيهم ومعانديهم: ﴿ وكذلك جعلنا لكلّ نبيٍّ عدوّاً شياطين الإنس والجن يوحي بعضُهم إلى بعضٍ زخرُفَ القولِ غروراً ولو شاءَ ربُّك ما فعلوه فذرهُم وما يفترون ﴾ .

ولم يقف الأمرُ عند حدِّ المخالفة بل تعدّاه إلى ألوان شتّى وصوَرٍ متنوعةٍ من أساليب التشويه والتنفير والاتهام والافتراء ، فما وَهن هؤلاء الأنبياء وما ضعفوا وما استكانوا ؛ بل ازدادوا ثباتاً على الحقّ وإصراراً على مواجهة الباطل مهما غلت التضحيات واشتدت المحن؛ لأنّهم على يقين من نصر الله إذا نصروا دينه : ﴿ وَلَينصُرنَّ اللّه مَن ينصُره إنَّ اللّهَ لَقويٌّ عزيز ﴾ ، وعلم أتباعُهم أنَّ الفرجَ قريبٌ وأنَّ الليلَ سينجلي مهما طال واشتدّ سوادُه : ﴿ بَل نَقذفُ بالحقِّ على الباطل فَيَدمغه فإذا هو زاهق ﴾ .

والأنبياء كلُّهم تحمّلوا صنوفَ الأذى في سبيل دعوتهم ، وكان أعظمُهم تحمّلاً وصبراً أُولي العزم من الرّسل ، وعلى رأسهم محمد ﷺ الذي كان أكثرَهم تحملاً ، فلقي ما لقي من الأذى والافتراء والاتهام والإخراج : ﴿ وإذ يمكرُ بك الذين كَفروا ليُثبِتوكَ أو يَقتُلوكَ أو يُخرجوكَ ويَمكُرونَ ويمكُرُ اللّه واللّهُ خير الماكرين ﴾ .

وكانوا من قبل قد قلبوا له الأمور ، فتارة وصفوا ما جاءهم به بالأساطير ؛

كما حكى الله عنهم : ﴿ وقالوا أساطير الأوَّلين اكتَتَبَها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلاً ﴾ وأخرى : ﴿ أم يقولون شاعرٌ نتربَّصُ بِهِ رَيبَ المَنون ﴾ .

وهذا أمر تكرّر من خصوم الدعوة إلى الله على مر العصور وكرّ الدهور كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ : يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني فيها حياً إذ يُخرجك قومك ! فقال رسول الله ﷺ : « أَوَ مُخرجيَّ هم ؟ » ، قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلاّ عودي . أخرجه البخاري .

وإزاء هذه المؤامرات والمكايد والفتن هاجر الأنبياءُ إلى الله ، ليعودوا مجاهدين فاتحين : ﴿ وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إنَّ الملأَ يأتمرونَ بكَ ليَقتلوكَ فاخرُج إنّي لك من النَّاصحين فخرجَ منها خائفاً يترقَّب قال ربِّ نجِّني مِن القوم الظالمين ﴾ .

ودعا نوح ربّه فقال : ﴿ فافتَح بيني وبينهم فتحاً ونجِّني ومَن معي مِن المؤمنين ﴾ .

فالدَّاعي إلى الله مهما اشتدَّ به البلاء فلا منجا ولا ملجأ له إلاّ إلى الله ، وأعظم سلاح بيده الصبر والدعاء المصحوب بتقوى الله تعالى .

وسنَّة الله تعالى في أنبيائه مضت في ورثتهم من العلماء العاملين الربانيين ، وإلاّ لما أخذ الله عليهم العهد والميثاق .

ولو استقرأنا التاريخ الإسلامي منذ الصدر الأول وإلى يومنا هذا لرأينا أن أشدَّ النَّاس بلاءً هم العلماء العاملون المتبعون للكتاب والسنَّة .

وأعداء الإسلام - من يهود وصليبيين وعلمانيين ومنافقين ومشركين ومُخَرِّفين - اجتمعوا لضرب علماء السنَّة عن قوس واحدة ؛ لأنَّ ملَّة الكفر والضَّلال واحدةٌ ، وأهدافهم تلتقي جميعاً وإن اختلفت شعاراتُهم وقد لا يعجب الإنسان حينما يلقى عداءً وأذى من منافق أو مشرك ، ولكن يبلغ به العجب مداه حينما يرى مَن ينتسبون للإسلام يحاربون علماء الكتاب والسُّنَّة ورثة النبي ﷺ بلا هوادة ؛ يفترون عليهم ويُشَهِّرون بهم ، ويثيرون الهمج الرعاع أتباع كل ناعق

عليهم ، مع أنَّ هؤلاء مواقفهم مشبرهةٌ ؛ فقد نبت لحمُهم ونشز عظمُهم على موائد الطواغيت ، وسبّحوا بحمدهم بكرةً وعشياً ، فإذا سمع هؤلاء فتيا لا تُعجبهم طاروا بها ، وشغّبوا على صاحبها لا لشيء إلّا لأنّه يخالفهم في منهجهم المبتدع ، فيستغلّ هؤلاء اجتهاد العالم ولو كان مأجوراً فيه أسوأ استغلالٍ .

وليت هؤلاء جلسوا للمناظرة والمجادلة بالّتي هي أحسن كما هو سبيل العلماء ، ولكنهم لا يملكون إلّا إشهار سلاح المفلسين من الضجيج والصراخ والاتهام واللّجاجة بالباطل ، فأحدهم إذا خاصم فجر ، وأكثرهم - هداهم اللّه - يستغلّون منابرهم التي ائتمنهم اللّه عليها لتلميع صورهم الكالحة بين العامة ؛ فيتظاهرون بالنصيحة والحرص على الأمة ، وهم أحرص شيء على أنفسهم ومكاسبهم بعد أن انكشفت سوآتهم ، واحترقت أوراقهم ، ويحسب هؤلاء أنّهم يحسنون صنعاً ، ولو راقبوا اللّه فيما يقولون ووقفوا عند قوله سبحانه: ﴿ وَقِفوهم إنَّهم مسئولون ﴾ ؛ لندموا على ما اقترفته أيديهم ونطقت به ألسنتهم، ورحم اللّه ابن قيم الجوزية القائل في « مفتاح دار السعادة » (١٣٢/١) :

« ولو قدروا على مثل ذلك مع العالم لفعلوه ، ولكنهم لما علموا أنّه لا سبيل إلى سلب علمه عمدوا إلى جحده وإنكاره ؛ ليزيلوا من القلوب محبتَه وتقديمَه والثناءَ عليه ، فإن بهر علمه وامتنع عن مكابرة الجحود والإنكار رموه بالعظائم ، ونسبوه إلى كل قبيح ؛ ليزيلوا من القلوب محبته ، ويسكنوا موضعها النفرة عنه وبغضه ، وهذا شغلُ السَّحرة بعينه ، فهؤلاء سحرةٌ بألسنتهم ، فإن عجزوا له عن شيء من القبائح الظاهرة رموه بالتّلبيس والتّدليس والرّياء وحبّ الترّفُّع وطلب الجاه ، **وهذا القدرُ من معاداةِ أهل الجهل والظلم للعلماء مثل الحرّ والبرد لا بدَّ منه ، فلا ينبغي لمن له مُسكة عقلٍ أن يتأذى به إذ لا سبيل له إلى دفعه بحالٍ ، فليوطِّن نفسه عليه كما يُوَطِّنها على برد الشتاء وحرِّ الصيف** » .

واللّه وحدَه هو حسيبهم في يوم تشخصُ فيه الأبصار : ﴿ يومَ لا ينفعُ الظّالمين معذرتُهم ولهم اللعنةُ ولهم سوءُ الدّار ﴾ .

﴿ ... لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء ... ﴾

علي بن حسن

إنّه تحذيرٌ رهيبٌ رَعيبٌ ... تحذيرٌ مُرسَلٌ مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ يقرعُ أسماعَ الأُمَّة ، ويَشدُّ قلوبَها قُرآناً يُتلى إلى يوم القيامة :

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخذوا عدوِّي وعدوَّكم أولياءَ تُلقونَ إليهم بالمودَّة وقد كفروا بما جاءَكم مِن الحقِّ ... ﴾ .

ولن تجدَ لهذا التحذيرِ أثراً واقعيّاً عمليّاً إلّا في نُفوس تلك الثُّلَّة المؤمنة التقيَّة الصَّابرة ، والمُجاهدة في تَطبيق شرع اللّهِ ؛ أمراً ونَهياً ... فإنَّ هذا التحذير في حقيقته «تهديدٌ شديدٌ ، ووعيدٌ أكيدٌ» [1] ، وذلك لما له من ثمرةٍ حتميَّة مُحكميَّة تنعكس على أصحابها ، وترتدُّ إلى أربابها ، كما قال سبحانه في آيةٍ أُخرى :

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعضٍ ومَن يتولَّهم منكم فإنّه منهم ﴾ .

فمثلُ هذه الآياتِ العظيمة تعملُ عمَلها في هذه النفوسِ حَسْبُ ...

أمّا أهلُ الدنيا ... وأربابُ الشهوةِ ...

أمّا الذين تربَّوا على زُبالة أفكار الغرب ...

أمّا الذين عاشوا على فُتات موائد الاستعمار ...

أمّا الذين ولَّوا وجوههم شطر واشنطن ونيويورك ...

أمّا الذين قَلَبوا لإسلامهم ظهرَ المِجَنّ ...

... فإنَّ هذه الآيات لا يكادُ يكون لها أدنى أثرٍ فيهم لما قد تلبَّسوا به من

(١) «تفسير ابن كثير» (١١١/٨) .

أثمٍ عظيم ، ومُنكرٍ بهيم ...

فتراهم يتماوتون علي اللقاء بأهل الشرك ، وأربابِ الكُفر .. ويتنافسون على الارتماء في أحضانهم ، وتتهلّل وجوههم عند مُحادثتهم أو (التفاوض) معهم ..

وهذا كلُّه مما يُخالف حقَّ الإسلام ، وحقيقة الإيمان .

وخُلاصة القول في هذه الآيات ، أنَّ « فيها النَّهي الشديد عن مُوالاة الكُفَّار من المُشركين وغيرهم ، وإلقاء المودَّة إليهم ، وأنَّ ذلك مُنافٍ للإيمان ، ومُخالفٌ لملَّة إبراهيم الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام ، ومُناقضٌ للعقل الذي يُوجب الحَذَر كلَّ الحذَر من العَدُوّ ، والذي لا يُبقي من مجهودِه في العداوةِ شيئاً ، وينتهز الفُرصة في إيصال الضرر إلى عدوّه » [1].

هذا وَجهٌ ...

ووجهٌ آخرُ من البيان أنَّ « هذا المُتَّخذَ الكافر وليّاً ، عادمُ المروءة أيضاً ، فإنَّه كيف يُوالي أعدى أعدائه ، الذي لا يُريدُ له إلّا الشَّرَّ ، ويُخالف ربَّه ووليّه ، الذي يريد به الخير ، ويأمره به ، ويحثُّه عليه ؟!

وممّا يدعو المؤمنَ – أيضاً – إلى معاداة الكفّار ، أنَّهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحقِّ .

ولا أعظمَ من هذه المخالفة والمُشاقَّة ، فإنَّهم قد كفروا بأصل دينكم ، وزعموا أنّكم ضُلّالٌ ، على غير هدى .

والحالُ أنَّهم كفروا بالحقِّ الذي لا شكَّ فيه ولا مِرية .

ومَن ردَّ الحقَّ ، فمُحالٌ أن يوجد له دليلٌ ، أو حجةٌ تدلُّ على صحَّة قوله ، بل مُجرّد العلم بالحقِّ ، يدلُّ على بُطلان قولِ مَن ردّه وفساده » [1].

فهل بعد ذلك يُؤمنون ؟ فاحذروهم أيُّها المُؤمنون ، ولا تصدِّقوهم بما يَعِدون !!

فهم لكم يكيدون .. ويمكرون .. وأنتم غافلون .

(1) « تيسير الكريم الرحمن » (٣٤٩/٧) .

المرءُ مع مَن أحب

شاكر بن توفيق العاروري

عن عبدالله بن مسعود قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحبَّ قوماً ولمّا يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « المرءُ مع مَن أحبَّ » [1].

اعلم أخا الإيمان : أنَّ المحبّة في اللّهِ هي طريقُ العبد إلى محبّة الله له ، وهي السبيل إلى الجنّة كما في قوله ﷺ : « ولن تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابّوا » ، وغير ذلك مما تحصله المحبّةُ في الله من ثمارٍ مباركة وفوزٍ أكيد .

واعلم أنَّ في هذا الحديث بشارةً ونذارةً :

أمّا **البشارة** ؛ فهي لمن نبض فؤادُه طاعةً لله ورسوله ، وَفرّغه من الهوى ليصلح بذلك باطنه ، ويُهَذّب نفسه ؛ لتستقيم جوارحه على منهج رباني مُتَوّج - بعد الإخلاص - بالمحبّة الصادقة لله ورسوله والصالحين من عباده وأصفيائه .

إنَّ البشارةَ جليةٌ لمن قلَّ عمله بلا تقصير ، وعظم إخلاصه بلا تكدير ، وتعلّق قلبُه بالمُوفّقين من عباد الرحمن ، فتراه قد ارتفع شأنه لمحبتهم ، وعلا قدره بسببهم .

ولا أفرح للعبد بعد إسلامه من بلوغ مرامه مع قلة أعماله ؛ كما قال أنس

---

(١) متفق عليه .

ابن مالك رضي الله عنه فيما رواه مسلم (١٨٧/٦) : ما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ : « فإنّك مع من أحببت » .

قال أنس : فأنا أحبّ الله ورسوله وأبا بكر وعمر ؛ فأرجو أن أكون معهم وإن لم اعمل بأعمالهم .

وهذا لمن وافق قولُه عمله ، وسريرتُه علانيته أما من عكس فتراه انعكس ، وانتكس ، وارتكس ، وخاب أمله ، وضل سعيه ، ولقي الله وهو عليه غضبان ... وهي **النذارةُ** .

إذ كيف يُفلح من أحب قوماً على غير ملّة الإسلام أو من كان معانداً لشريعة الرحمن ؟!

وكيف ينجو من نهث خلف السّراب ، وتشبه بمن حاربوا دينه أشد من يوم الأحزاب ؟!

كيف لا يكون في زمرتِهم وقد أنساه حبُّهم آخرتَه ؟!

ولذا فإنّا نقول للمفتونين بالكَفَرَة من أهلِ الشرق والغرب من المسلمين: مهلاً إنّكم تحبونهم ولا يحبونكم كما قال تعالى : ﴿ ها أنتُم أُولاء تُحبُّونهم ولا يُحبُّونكم ﴾ .

وتوادونهم ويخاصمونكم ، وترفقون بهم ويغلظون عليكم ، فكيف يكون الفلاح في الدنيا والآخرة وهذه هي الحال ؟

و « المرء مع من أحبّ » .

* * * * *

فصلُ الخطاب في مَن لم يحكُم بالسُّنّة والكتاب

خالد بن علي بن محمد العنبري

يُعَدُّ الحكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللّهُ جُرماً عظيماً ، وفِسقاً أثيماً ؛ تلبَّس به كثيرٌ من أهلِ الطُّغيان [١] المعاصرين ، الحاكمين بغير ما أنزلَ ربُّ العالمين .

ولكنَّ هذا الجُرمَ البيِّنَ يجبُ أن لا يجعلَنا نخرجُ عن قواعدِ أئمّةِ العلم وأصولِ أهل السنّة .

وإذا كان من الأهمية بمكان أن نفهم القرآن **كما فهمه السّلف الصّالح** حتى لا نضلَّ عن سواء الصراط ، فإنّه لا تكادُ تخرجُ أقوال المفسرين من السّلف في تفسير قوله تعالى : ﴿ ومَن لم يَحكُم بما أنزلَ اللّه فأُولئك هم الكافرون ﴾ - الذي هو الأصلُ في هذ المسألة - عن خمسة أقوال :

الأول : أنَّ اللّه عزَّ وجلَّ أرادَ بها اليهود الذين حرّفوا كتاب اللّه ، وبدّلوا أحكامه ، ومن القائلين بذلك البراء ، وحذيفة ، وعِكرمة ، والضحّاك ، وقتادة ، وأبو صالح ، وأبو مِجلَز ، وعبيداللّه بن عبداللّه بن عتبة بن مسعود .

وقد يُساعدهم على ذلك سببُ نزولِ الآية ؛ كما في « صحيح مسلم » من حديث البراء بن عازب .

الثاني : أنَّ اللّه سبحانه أراد بالكافرين أهلَ الإسلام ، وبالظالمين اليهود ، والفاسقين النصارى ، وهذا قول الشعبي ، يوضح ذلك صاحب « البحر المحيط » (٤٩٣/٣) إذ يقول : « وكأنّه خصص كلَّ عامٍّ منها بما تلاه ، إذ قبل الأولى ﴿ فإن جاؤوكَ فاحكم

(١) وما يُقال في مسألة الحكمِ يُقالُ نفسُه في مصطلح (الطاغوت) بلا فرق ، وقارن بـ « الأصالة » (عدد : ٢ / ١٧) .

بينهم ﴾ و ﴿ فإن حكمتَ فاحكُم ﴾ ﴿ وكيف يحكمونك ﴾ و ﴿ يحكم بها النبيون ﴾ ، وقبل الثانية : ﴿ وكتبنا عليهم فيها ﴾ وقبل الثالثة: ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدِّقاً لما بين يديه ﴾ الآية ».

الثالث : أنَّ اللّه – جلَّ ذكره – أراد بها جميعَ النَّاس ، مسلمهم وكافرهم ، ومن القائلين بذلك ، ابن مسعود ، والحسن ، وإبراهيم النخعي ، والسُّدِّي ، ويؤيد قولَهم القاعدةُ المعروفة : « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » .

الرابع : ما رواه عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، أنَّه قال : « من جحد ما أنزل اللّه فقد كفر ، ومن أقرَّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق » .

الخامس : أنَّ المراد بذلك كفر دون كفر ، ومن القائلين بذلك ترجمان القرآن ابن عباس ، وطاووس ، وعطاء بن أبي رباح ، وعلي بن الحسين زين العابدين .

والحق أنَّ من أنعم النظر في النقولات السابقة بعدلٍ وإنصافٍ خرج بالنتائج التالية من غير تمحل ولا التواء :

١ – أنَّ أكثر السلف على أنَّ هذه الآيات خاصة بأهل الكتاب ، لا يدخلُ فيها أهل الإسلام بحال .

٢ – وأنَّ جماعةً عظيمةً منهم صرَّحوا بعدم تكفير من حكم بغير ما أنزل اللّه من المسلمين ، ميلاً إلى الهوى ، ليس جحوداً واستحلالاً .

٣ – وأنَّ جماعةً أخرى أطلقوا القولَ بتكفير من لم يحكم بما أنزل اللّه ، فلا بد من تأمُّل عباراتهم ، وتقييد ذلك بالجحود والاستحلال ، فإنَّ السَّلف لم يكونوا يكفرون أحداً بمعصية ما لم يستحلُّها ، وهكذا قيَّد المفسرون أقوالهم ، فعلى سبيل المثال يقول القرطبي : « وقال ابن مسعود والحسن : هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل اللّه من المسلمين واليهود والكفار ، أي : معتقداً ذلك ومستحلاً له » .

ويقول صاحب « البحر المحيط » : « وإلى أنَّها عامة في اليهود وغيرهم ذهب ابن مسعود وإبراهيم وعطاء وجماعة ، ولكن كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق ، يعني أنَّ كفر المسلم ليس مثل كفر الكافر ، وكذلك ظلمه وفسقه لا يخرجه ذلك

عن الملة » .

وعلى هذا التقييد جرى المفسرون الذين ذهبوا إلى أنَّ الآية عامة متناولة بالكفر كلَّ من لم يحكم بما أنزل الله .

يقول ابن عطية : « وقالت جماعة عظيمة من أهل العلم : الآية متناولة كل ما لم يحكم بما أنزل الله ، ولكنَّه في أمراء هذه الأمة كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان » .

ويقول ابن العربي : « وهذا يختلف ، إنْ حكم بما عنده **على أنَّه من عند الله** ، فهو تبديل له يوجب الكفر ، وإن حكم به هوىً ومعصية ، فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين » .

ويقول القرطبي : « أي : معتقداً ذلك ومستحلاً له ، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنّه راكب مُحرّماً فهو من فُسَّاق المسلمين ، وأمره إلى الله تعالى إن شاء الله عذّبه ، وإن شاء غفر له » .

ويقول أبو السعود : « أي : من لم يحكم بذلك مستهيناً به منكراً ... ﴿ فأولئك هم الكافرون ﴾ لاستهانتهم به » .

ويقول الشوكاني : « قيل : إنّها مختصة بأهل الكتاب ، وقيل : بالكفار مطلقاً ، لأنَّ المسلم لا يكفر بارتكاب الكبيرة ، وقيل : هو محمول على أنَّ الحكم بغير ما أنزل الله وقع استخفافاً ، أو استحلالاً ، أو جحداً » .

وأخيراً يقول الزمخشري : « ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ مستهيناً به ﴿ فأولئك هم الكافرون ﴾ والظالمون والفاسقون ؛ وصف لهم بالعتوّ في كفرهم » .

٤ – وإذا سلّمنا بما سبق يتبين لنا بوضوح تام : أنَّ السّلف مجمعون على عدم تكفير من لم يحكم بما أنزل الله هوى ومعصية ، ليس جحوداً واستحلالاً ، فإنَّ السلف وأهل السنّة لا يكفرون مسلماً بذنب ما لم يستحله ، وهذا هو الحق الذي ينبغي المصيرُ إليه ، ومن ثم ينبلج لنا هذا التفصيل الدقيق لابن أبي العز حين يقول في « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٣٢٣-٣٢٤) :

« وهنا أمر يجب أن يُتفَطَّن له ، وهو أنَّ الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل

عن الملة ، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة ، ويكون كفراً إمّا مجازيّاً ، وإمّا كفراً أصغر ، وذلك بحسب حال الحاكم :

فإنّه إن اعتقد أنَّ الحكم بما أنزل اللّه غير واجب ، وأنّه مخيّرٌ فيه ، أو استهان به مع تيقّنه أنّه حكم اللّه ، فهذا كفر أكبر .

وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل اللّه ، وعلمه في هذه الواقعة ، وعدَل عنه مع اعترافه بأنّه مستحق للعقوبة ، فهذا عاص ، ويسمى كفراً مجازياً ، أو كفراً أصغر » .

وهذا ما انتهى إليه ابن الجوزي إذ يقول في « زاد المسير » (٢/٣٦٦) :

« وفصل الخطاب : أنَّ من لم يحكم بما أنزل اللّه ، جاحداً له ، وهو يعلم أنَّ اللّه أنزله كما فعلت اليهود ، فهو كافر .

ومن لم يحكم بما أنزل اللّه ميلاً إلى الهوى من غير جحود ، فهو ظالم وفاسق » .

وعليه ؛ فلا يخرجُ حاكمٌ من ملّة الإسلام إلّا بعد أن تُقام عليه الحجة فيعلم أنّه لا يجوز أن يحكم بغير ما أنزل اللّه ، ثم يجحد ذلك أو يستحله ، أو يرى أنَّ حُكمَ غيره من البشر أحسنُ من حكمه ، أو مثلُه سواء .

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، إذ يقول في « منهاج السنّة » (٥/١٣٠) :

« فهؤلاء إذا عرفوا أنّه لا يجوز الحكمُ إلّا بما أنزل اللّه ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل اللّه فهم كفار ، **وإلّا كانوا جهالاً** » .

« أما إذا حكم بغير ما أنزل اللّه غير جاحد أو مستحل ، وحمله على ذلك الهوى والشهوة والجهل ، فهو ظالم فاسق مرتكب لمعصية هي أكبر من الكبائر كالزنا ، وشرب الخمر ، والسرقة ، واليمين الغموس ، وغيرها ، فإنَّ معصية سماها اللّه في كتابه كفراً أعظم من معصية لم يسمها كفراً » [1] .

فإنَّ الشارع قد سمّى بعض الذنوب كفراً ، ولم يُرد الكفر الاعتقادي المخرج من الملّة

---

(١) « تحكيم القوانين » لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (٢٤) .

بالكناية .

وذلك كما في « الصحيحين » : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » وفيهما أيضاً : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضكم رقابَ بعض » ، فلم يُرِد ههنا الكفرَ الاعتقادي المخرج عن الملة ، كيف وقد سمَّاهم مؤمنين ، فقال تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ ؟! بل جعل القاتل أخاً لولي القصاص ﴿ فمن عُفي له مَن أخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾ .

ونظيرُ ذلك أيضاً قوله ﷺ : « من حلفَ بغير الله فقد كفر » [1] فكيف يَكفُر الحالفُ بغير الله وقد أمرَهُ رسولُ الله ﷺ بكفارة ذلك ، فقال كما في « الصحيحين » : « من حلفَ منكم ، فقال في حلفه : باللات والعزى ؛ فليقل : لا إله إلّا الله ، ومن قال لصاحبه : تعال أقامرك ؛ فليتصدق » ؟!

فنظيرُ ذلك تماماً قوله عزَّ من قائل : ﴿ ومَن لم يحكُم بما أنزلَ الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

أمّا الذين ينبزون أهل السنَّة القائلين بذلك بأنّهم مرجئة ، كما نُبزوا من قبلُ بأنّهم حشوية ومجسمة ، فهؤلاء ينبغي لهم أنَّ يعلموا أين موقعهم ما داموا قائلين بخلاف أولئك السُّنيِّين !

قال القشيري – كما نقل القرطبي – : « ومذهب الخوارج أنَّ من ارتشى وحكم بغير حكم الله فهو كافر » .

وقال صاحب « البحر المحيط » (٤٩٣/٣) : « واحتجت الخوارج بهذه الآية على أنّ كلّ من عصى الله تعالى فهو كافر ، وقالوا : هي نصٌّ في كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ، وكل مَن أذنب حكم بغير ما أنزل الله ، فوجب أن يكون كافراً » .

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم ، وهو صحيح .



اهمية التّوحيد في حياة المسلمين جماعاتٍ وأفراداً

محمد بدر منسي

في الحلقة السابقة بَيَّنّا أنَّ التوحيد هو الدافع وراء كلِّ سلوكٍ رشيد ، وفي هذه الحلقة نبين أنَّه الضابطُ لكلِّ سلوكٍ في الأفراد والجماعات .

فلا اجتماع على غير التوحيد ، ولا طريق إلّا طريق الأنبياء والمرسلين ، فهم أهدى طريقاً ، وأقوم قيلاً ، ولا يجوزُ العدولُ عن منهجهم إلى منهج الخُلوف ، ولا العدول عن الأصل إلى الفرع .

وما صحَّ فرعٌ أصلُه الدّهرَ فاسدٌ ولكن يصحُّ الفرعُ ما صحَّ أصلُه

أما كون الشرك لا يقع في الأمة ، أو أنّه غير واقع ، فكلام باطل ، والواقع يكذبه ، وقد قال تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون ﴾ ، وقال النّبي ﷺ : « لا تقوم الساعةُ حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد الأوثان ... » (١).

وقال الأستاذ محمد العيد آل خليفة (٢) :

واحذر شراك الشرك فهي كثيرة شتى المظاهر جمة الأنواع
كم واقع فيها ويحسب أنّه في الدين حر العقد رحب الباع
الشرك داء في البرية كامن مستفحلُ الأضرارِ والأوجاع

(١) حديث صحيحٌ رواه أصحاب « السنن » إلّا النسائي عن ثوبان رضي الله عنه .
(٢) كما في « الشرك ومظاهره » لمبارك الميلي (ص٩) .

الشركُ سِترٌ حِيكَ من نسج الهوى غـطّى عـلـى الأبصار والأسـماع
فاقبس من التوحيد أعظم جذوة وتـمَـشَّ تحـت ضـيـائـهـا اللّـماعِ

« وإنَّ عقيدة التوحيد بالنسبة لجميع شرائع الأنبياء بمن فيهم خاتم الأنبياء عليه الصَّلاة والسَّلام كالأساس للبناء ، فلا قيام للبناء إلّا بالأساس ، وكالأصل للشجرة فلا قيام ولا حياة للشجرة إلّا بأصلها ، وكالروح للجسد فلا قيام ولا حياة للجسد إلّا بالروح ، وبهذه المقاييس العقلية والشرعية يجب أن يقيس العاقلُ الدعوات ، ليعرف منها ما هو على جادة الأنبياء وما هو بعيدٌ عنها » [1].

« إنَّ اللّه سبحانه وتعالى لم يكلفهم بإقامة دول وإسقاط أخرى ، لأنَّ مثل هذا يحصل تبعاً لأمر التوحيد تحقيقاً لوعد اللّه تعالى لعباده المؤمنين الموحدين الذين عملوا الصالحات ولم يشركوا باللّه شيئاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَعد اللّه الذين آمنوا منكم وعَملوا الصَّالحات ليستخلفنهم في الأرض ... ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ ... يعبدونَني لا يُشركون بي شيئاً ﴾ .

وذلك في غاية الحكمة ، لأنَّ الدعوة إلى إقامة دولة تلوح فيها المطامع لطلاب الدنيا ، وطلاب الجاه والمناصب ، وأصحاب الأغراض والأحقاد ، وأصحاب التطلعات والطموحات ، فما أسرع ما تستجيب هذه الأصناف للدعوة إلى قيام دولة يرون فيها تحقيق مآربهم وشهواتهم ومطامعهم .

لمثل هذه الاعتبارات - واللّه أعلم - وغيرها مما يعلمه الخلاق العليم الحكيم ابتعدت دعوات الأنبياء ومناهجهم عن استخدام هذا الشعار البراق الملوّح أو المصرّح بالأطماع والشهوات العاجلة ، وسلكت منهجاً حكيماً نزيهاً شريفاً ينطوي على الابتلاء والاختبار ، فيتبعهم ويؤمن بهم كل صادق مخلص متجرد من كل المطامع والأغراض الشخصية لا يريد بإيمانه وتوحيده وطاعة رسل اللّه - عليهم الصَّلاة والسَّلام - إلّا الجنَّة ومرضاة ربّه ، ولا يخاف إلّا من غضبه

---

(١) « منهج الأنبياء » للشيخ ربيع بن هادي (ص٩٦) .

وأليم عقابه ، ولهذا لا يتبعهم في الغالب إلّا الفقراء والمساكين والضعفاء » [(1)].

« فكانت دعوات الأنبياء تحمل في دعواتها كل خير ، وتحذر من كل شر ؛ فنجد فيما قص الله علينا في كتابه وفي دراستنا لسنة وسيرة نبينا محمد ﷺ أنَّ دعوتهم إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره وأسبابه ووسائله قد أخذت ساحة كبيرة جدّاً من دعوتهم ، واستغرقت زمناً طويلاً من حياتهم حتى كأنما كان هذا الجانب هو شغلهم الشاغل .

وأما موقفهم من الحكام الطغاة والمستبدين فإنّه يأتي في المرتبة الثانية ؛ لأنَّ الشركِ أعظم الظلم ، ولأنَّ مقصدهم هو تعبيد الناس لربهم سبحانه وتعالى » [(2)]

« والله سبحانه وتعالى أخبر أن الحاكمية ، والسلطة لا تتحقق إلّا بعد تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده ، وترك عبادة ما سواه كما في آية الاستخلاف من سورة النور .

وهؤلاء يريدون قيام دولة إسلامية قبل تطهير بلادهم من العقائد الوثنية المتمثلة في عبادة الموتى والتعلق بالأضرحة بما لا يختلف عن عبادة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، بل تزيد عليها ، إنّهم يحاولون محالاً :

ومن طلب العلا من غير كدٍّ   أضاع العمر في طلب المحال

إنَّ تحكيم الشريعة وإقامة الدولة الإسلامية واجتناب المحرمات وفعل الواجبات كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته ، وهي تابعة له ، فكيف يُعتنى بالتابع ويهمل الأصل ؟ » [(3)].

قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشدَه من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ... ﴾ .

---

(1) المصدر السابق ، (ص٧٩) بتصرف .

(2) المصدر السابق نفسه (ص٧٤) بتصرف يسير جداً .

(3) بتصرف من مقدمة الشيخ صالح الفوزان لكتاب « منهج الأنبياء » للشيخ ربيع بن هادي .

« هذا النبي الحكيم الرشيد واجه فساداً في العقيدة وفساداً في الحكم ، أمة انحط تفكيرها وضلّت عقولها فعبدت الأصنام من الأخشاب والأحجار والكواكب ، وتحكمها حكومة فاسدة يقودها جبار متأله ، فأرسلوا له القياد ، فمن أين يبدأ بالإصلاح يا ترى ؟

أيبدأ بمصاولة الحاكم ؛ لأنّه قطعاً يحكم بغير شريعة اللّه ، ويحكم بقوانين وتشريعات جاهلية لا شك في ذلك ، ويدعي الربوبية جهاراً وحق التشريع ، أو يبدأ بإصلاح العقيدة عقيدة الأمة وعقيدة الحكومة الجاهلية ؟

القرآن يحدثنا عن هذا النبي الرشيد إمام الأنبياء أنّه بدأ بإصلاح العقيدة ، أي : الدعوة إلى توحيد اللّه ، وإخلاص العبادة له وحده ، ومحاربة الشرك والقضاء عليه وعلى أسبابه واقتلاعه من جذوره » (1).

« وفي هذا رد حاسم على من يهون من أمر عقيدة التوحيد ، ويجامل ويداجي في قضية الشرك الذي ملأ الدنيا ، وينظر إلى دعاة التوحيد وأعداء الشرك بعين الاحتقار والازدراء ، ويربأ بنفسه ويشمخ بأنفه أن يهبط إلى مستوى دعاة التوحيد وهو من **دهاة السياسة** ، وما أثقل على سمعه وقلبه أن يسمع أو يقول كلمة توحيد أو شرك ! » (1).

« وإنّي أقول للقائمين على هذه الجماعات الإسلامية الدعوية : اتّقوا اللّهَ في من سلّموكم قيادهم ، وحكموكم في مصيرهم ، فقودوهم إلى الخير ، وخذوا بأيديهم إلى طريق الهدى والرشاد ، وعليكم بالمنهج الحق الذي بعث اللّه به نبيه محمداً ﷺ ؛ وهو الانطلاق في الدعوة من الأساس المتين والركن الركين أولاً وهو توحيد اللّه الخالص والخالي من شوائب الشرك والبدع والمعاصي ، وإنَّ أية دعوة تبنى على غير هذا الأساس فمصيرها إلى الفشل الذريع لا محالة » (2).

---

(1) « منهج الأنبياء » للشيخ ربيع بن هادي (ص٤٠ ، ٤٦) .

(2) من كلام الشيخ صالح السحيمي في كتابه « تنبيه أولي الأبصار ... » (ص٢٥٤) .

القابضون على الجمر

سليم بن عيد الهلالي

إنَّ محنةَ المسلمين اليوم لا تقتصر على تسلط أئمة الضلالة ، ولا تنحصر في ضياع بعض ما في أيديهم فحسب ، بل تعدت ذلك إلى تربيةٍ سخَّرت المناهجَ الدراسية ، وكراسيَّ الجامعات ، والصُّحف ، والمجلات ، والإذاعات لمسخ الأفكار والقيم حتى أضحى صَيدُ المخططات في سرورٍ يحسب نفسه على شيءٍ ؛ لأنَّه انعتق من أسر القديم ، أيِّ قديم كان .

ولذلك فإنَّ عصاةَ المسلمين اليوم ضحيةُ تربيةٍ خاطئةٍ أخلدتهم إلى الأرض ، أرادت لهم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ ابتداءً ، ليستخفَّ بهم أئمة الضلالة انتهاءً ، ففرقوهم شيعاً وأحزاباً : ﴿ كلُّ حزبٍ بما لَدَيهِم فَرِحون ﴾ .

وإنَّها خطةٌ قديمةٌ يأخذها الطاغوتُ اللاحقُ عن الطاغوتِ السابق : ﴿ أتَواصَوا بِهِ بَل هُم قومٌ طاغون ﴾ .

حتى تصلَ أصولَها إلى أصل الداء وجذرِ البلاء فرعون : ﴿ إنَّ فرعونَ عَلا في الأرضِ وجعلَ أهلَها شِيعاً يَستضعفُ طائفةً منهم يُذبِّحُ أبناءَهم ويَستحيي نساءَهم إنَّه كان منَ المُفسدين ﴾ .

فكانت النتيجة : ﴿ فاستخفَّ قومَه فأطاعوهُ إنَّهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ .

وهكذا أدرك الطواغيتُ المقتلَ الذي عرفه فرعون فتواصوا بالإفساد :

﴿ أتراصَوا به بل هم قومٌ طاغون ﴾ ، وأخذوا يحوّلون المجتمعات إلى شراذم غارقةٍ في الفساد ، مشغولة بلقمة الخبز لا يجدُها أحدهم إلّا بضنكٍ ، وكدرٍ ، وجَهدٍ كي لا يفيق ، فيعرف الطريق ، ويستمع إلى دينٍ ، أو يفيء إلى يقينٍ وصارت سياستهم محاربة المساجد : بالملاهي والمراقص ، والزواج : بالبغاء ، والعقيدة : بحرية الفكر ، والرمي : بفنون اللذة .

ويقف الغرباءُ القابضون على الجمر الذين نجوا من سَيل العَرم على أطلالِ أُمّة محى الظالمون منهجها الذي نهضت به أوّل مرة ، وطمسوا معالم طريق عِزَّتها الذي سلكه جيلُ القدوة الأول وقرن الأسوة الأمثل : محمدٌ والذين معه حذراً أن يكون نبراساً يهدي من اتبع رضوانه للتي هي أقوم .

يقف هؤلاء النَّفرُ ممن هدى اللّه ؛ فيحس بوجوب السعي لانتشال أمته من تيهها الذي تهيم فيه سعياً وراء السراب الذي يظنه المستغربون المخدوعون من أبنائها ماءً حتى إذا بلغوه ، وابتلعوهُ ، وجدوا مرارة كدره ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتقيؤوه .

وتدرك هذه الطائفةُ القائمةُ على أمر اللّه أن لا مناص لها من التقدمِ للأخذ بقيادها وإن أبت ، ولكنهم يجدون أنّهم يعالجون أمراً لا يُعين عليه إلّا اللّه : قد فني فيه الكبيرُ ، وكبرُ عليه الصغير ، وفصح عليه الأعجمي ، وهاجر عليه الأعرابي حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره (١) ، حيث خدعهم بريقُ الأسماء التي ما زال صداها مسموعاً عبر الأجيال .

ولكن الحق عند القابضين على الجمر واحدٌ ، وهو الوحيُ ، وما عداه فهو

(١) اقتباس من كلام وجيز لأشج بني أمية الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز .

هوى من الأهواء المذمومة التي لا تمدحُ في شيء ولا تلتحقُ بالحقّ ، ولا يجوزُ لمسلم جعل هجرتَه للَّه ورسوله أن يحتكم إليه ، أو يُعوَّل عليه ، فماذا يفعلون : أيتركون الأمور تجري إلى أجل غير مسمى أم يؤجلون أم يستعجلون ؟!

كلا ؛ فهم سائرون قد هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ؛ فاستلانوا ما استوعر المترفون ، وأنسوا مما استوحش منه الجاهلون ، فهم على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، وآيةُ كمالهم هؤلاء الغرباءُ الذي رفضوا حمأة الشهوة ، وتحرروا من أوهاق الطين ، وقليلٌ ما هم ، ولكن القليل يؤدي إلى الكثير ، والصبر الفاتح لما أغلق ... فلا بدّ من الانطلاق ليدركوا قصب السبق ... « وفي كل قرن من أمتي سابقون » [1].

ويدركون أنَّ انفرادهم في طريق طلبهم دليل على صدق طلبهم ، فهم كما قيل :

مت بداء الهوى والا فخاطر واطرق الحيّ والعيون نواظر
لا تخف وحشة الطريق إذا سر ت وكن في خفارة الحق سائر

ويكون المنكرُ يرقبُ تحركاتهم وسكناتهم ، فهو لا يعيشُ إلّا في غفلةٍ منهم ، ولا يصول إلّا في نومهم ... وتبدأ محاولاتُ الخداع ، والمساومة والإقناع تحت أسماءٍ زائفةٍ منَ الحرية والديمقراطية ، ويأبى الداعي إلى اللَّه أن ينصاع ، ويستعلي أن تمر خطةُ الكيد ؛ فيقف يؤذن في الناس ... ولكن أكثرَهم نيامٌ .

إنَّ وجودَ العصبة المؤمنة في الأرض ، الكاملة العبودية للَّه ، التي لم تتلوث بانحراف عن منهج اللَّه ، ولا توانٍ عن قصده ، هي من سُنن اللَّه الجارية التي

(١) كما قال رسول اللَّه ﷺ ، وانظر لزاماً « الصحيحة » (٢٠٠١) لشيخنا حفظه اللَّه .

أكمل بها الله سبحانه ميزانَ الخلق .

فأصحابُ الدعوة إلى الله وحده ، وتطهير الأرض من الفساد الذي ملأها طُرّاً هم صمامُ الأمان للأمم والشعوب ، وهذا يبرزُ قيمة صبر القابضين على الجمر ليكون الدين كله لله ... إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب ، وإنما هم يَحُولُون بهذا دون أممهم وغضب الله .

ولذلك فوجودُ الطائفة الربانية في هذه الأرض حتمٌ مَقضيٌّ ؛ لن تزول لكمامةٍ أعدَّها طاغيةٌ ، أو سوطٍ رفعَه زبانيةٌ ، أو خطة ترويضٍ نَسج خيوطها داهيةٌ .

وهذا هو مصدرُ إصرار المسلم على المضيِّ في الطريقِ المملوء بالجَمر ، يتعرضُ لأصنافِ العذاب فيتضاعف له الأجرُ ، ويتساقطُ من حوله الخاذِلون فيكونُ قائدُه الصبر ، وإنَّه لموكب لن ينقطع أبداً حتى يُتِمَّ اللهُ نوره ، ويكبت الباطل وشروره ، مضى به القولُ على لسان النَّبي ﷺ ، ولتعلَمُنَّ نبأه بعد حين .

سَيرُ المحبِّـين إلى الله

إنّي أَدينُ بدينِ الحُبِّ وَيْحَكُمُ ... فذاكَ ديني ولا إكراهَ في الدِّينِ

ومَن يكن دينُه كُرهاً فَليسَ لهُ ... إلّا العَناء وإلّا السّير في الطّينِ

فقُل لغيرِ أخي الأشواقِ ويحكَ قد ... غبنتَ حظَّكَ لا تغترّ بالدُّونِ

نجائبُ الحبِّ تَعلوا بالمحبِّ إلى ... أعلى المراتبِ مِن فوقِ السّلاطينِ

وأطيبُ العيشِ في الدّارين قد رغِبَتْ ... عنهُ التُّجارُ فباعت بيعَ مَغبونِ

فإن تُرِد عِلمَه فاقرأهُ ويحكَ في ... آياتِ طه وفي آياتِ ياسينِ

أزمة الحوار

أحمد سَلَام

إنَّ المتأمِّل في تاريخ الدعوة الإسلامية المعاصر ؛ وفي واقعها الحاضر ؛ يرى مظاهر التمزق والتآكل والنزاع التي لا تغيب عن العين ، ولا فرق في ذلك بين معظم الاتجاهات وأكثر الطوائف والجماعات ، كما يدرك أن طريقة نشوء الاختلاف والفرقة في معظم الأحوال متشابهة ، إن لم تكن واحدة .

تبدأ الدعوة بجهد فرد ، أو مجموعة من الأفراد ، ويبارك الله في الجهود المخلصة ، وتأخذ البذور في النمو والعطاء ، ويبدا العمل في الاتساع والانتشار ، وتَحيا آمال ذابلة في صدور المسلمين ، ثم لا يطول الزمن حتى تضيع تلك الآمال في دوامة الاختلاف الرهيبة .

عادةً ما يبدأ الخلاف حول فتوى أو فتاوى تصدر من بعض الدعاة ، وربما حول أحد المواقف في قضايا عامة أوَ خاصة ، ويصبح الناس بين مؤيد ومعارض ، وتبدأ ردودُ الأفعال والمواقف التي تعارض هذه الفتوى أو تتعصب لها ، ثم يتحول التعصب إلى شخص المفتي فيكون له أو عليه ، ثم يصبح الخلاف في الرأي مبدأً وديناً ، حتى إذا شبّت حرب الاتهامات بدأت سلسلة الانشطارات ، تدفعها سلسلة من الخلافات ، فإذا بالجماعة جماعات ، ثم بالتالي تنشطر كل جماعة - من تلك - إلى جماعات بدورها ، وقد يبرز في الجماعة شخص قوي التأثير يكبح جماح الخلاف بقوة شخصيته إلى حد ما ، حتى إذا

غاب أو غُيِّب سار الأمر في طريقه المرسوم ، وقد يبدأ الانشطار في مرحلة مبكرة ، تجعل المهد لحداً ، والمحصلة في الحالين واحدة ، والاختلاف ليس إلّا في زمن الوصول للنهاية .

◻ أسباب استفحال الخلاف :

إنَّ مما لا ريب فيه أنَّ للاختلاف جذوراً وروافد تمدُّه بالحياة ، وتطيل في عمره ، والنقطة الأساس في هذه الأسباب المتنوعة أُلخصها فيما يلي :

إنَّ طريقة الحياة العملية عند المسلمين ونظامهم الاجتماعي الذي يعيشونه في حياتهم ؛ قد انحدر مع انحدار نوعية الحكم الإسلامي ، من خلافة راشدة إلى مُلك عَضُوض ثم جبريّ .

وإن تطبيق أكثر المسلمين لمنهاج الحياة الراشدة قد توقّف بعد ضعف متدرج ، وبعبارة أدق : انحصر في حدود ضيقة ، وحالات فردية ، وفي مجال الوعظ والإرشاد ، والترغيب والترهيب ، بعد أن كان منهاجاً للأمة ، يسلكه الفرد ، وتتعامل به الجماعة .

وبالتالي ؛ فقد استبدل المسلمون بذلك المنهاج ما ألفوه في محيطهم ، وما تلقوه في تربيتهم ، وما تسرب إليهم من طرق الأمم الأخرى ، بواسطة قنوات المجتمع ، الذي تأثر إلى حد بعيد بأساليب وطرق وعادات الأمم التي يتفاعل معها ، إضافة إلى أخلاق إسلامية ، يكتسبها المسلم من مجاهدته ومحاولته التأسي بآداب وأخلاق القرآن والإسلام ، والتي تمر بدورها بميراث من المعتقدات والمفاهيم التي اختلطت فيها أسباب الفرقة والشقاق من بدع وأهواء بمعاقد الاجتماع الراشد المقتبس من سنة رسول الله ﷺ ومنهج أصحابه رضي الله عنهم .

ومما لا شك فيه ثانياً : أنَّ خصوم الإسلام هم المستفيدُ الأول من ضعف المسلمين واختلافهم وفرقتهم ، فهم دائبون على إشعال نيران الفرقة ، حريصون ألا تخبو أو تهدأ ، وذلك ليدوم لهم التسلط على هذه الأمة ، ويبقى المجال أمامهم خالياً ليستعلوا بالباطل !

ونظرة سريعة إلى أحداث السنوات الخمس الأخيرة تعطي ألف دليل على صدق هذا القول ، لمن كان بحاجة إلى أدلة (!) وهذا سبب من أخطر أسباب الاختلاف ، ولا بدَّ للمسلمين أن يعوا خطره ، بل أن يدركوا مسؤوليتهم حياله ، وأن يتعلموا كيف يأخذون منه حذرهم ، وكيف يُصابرون مشعلي الفتن في الوطن الإسلامي ، ويغلبون بحقهم ومراسهم باطل أولئك .

وهناك **ثالثاً** من بيننا أناس من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، امتهنوا بيع دينهم بدراهم معدودة ، على أعتاب الذل والمهانة ، يلبسون لكل حال لبوساً ، ويتكلمون في كل مقام بلسان : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ﴾ ، ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلّا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ﴾ ، بالإرجاف ، والتشكيك ، والشائعات ، والمتاجرة بالأخطاء ؛ ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ ، وهؤلاء العدوّ القريب ، العليم بنا ، والمطلع على عوراتنا ، فهم أقدر الناس على الفتنة والفساد .

وإذا كان الابتلاء - رغم ما فيه - يحمل الخير إلى المؤمنين الصابرين ، فإنَّ من المقطوع به أنَّ **أزمة الحوار بين المسلمين** بما تتضمنه من خلل في تنظيم سبل وقنوات عمل الصفوة للوصول إلى تنقيح الرأي ، ووضعه أمام أقطار المسلمين الذين يتطلعون إلى طليعة تسدد مفاهيمهم ، وتهدي آرائهم ، هذه الأزمة تتضمن مبشرات ببدء القيادات العلمية للمسلمين في رحلة العودة إلى

مركز توجيه عقل المسلم ، وصناعة الرأي الإسلامي ، والموقف الإسلامي ، بعد أن غابت طويلاً في أَسْرِ العادات وطرق الحياة الفردية ، وموتها المريح .

▫ ماذا إذا تفرقت الفرقة الناجية ؟

لا عجب ولا غرابة في تفرق أهل الأهواء ، ولا في تباغضهم وتطاحنهم ، لأنَّ التفريط بأسباب الاجتماع السلفي الراشد لن يجر وراءه غير ذاك التفرق والتباغض ، بل العجيب الذي لا يصدّق ، هو : أن تراهم مجتمعين الاجتماع الشرعي البنّاء ، الذي يحبه اللّه ورسوله ، وهم موالون لبدعهم التي فرقت الأمة الواحدة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كل فرقةٍ منها تَدِينُ بدين يخالف ما تَدينُ به الأخرى !

ولذا يبقى في قلب المسلم بصيصٌ من الأمل ، رغم زوابع الفتن ، وعواصف المحن ، ويبقى بصره متعلقاً بالطائفة المنصورة التي أكد رسولنا محمد ﷺ أنّها لا تزال قائمة على الحق ، لا يضرها خذلان مُخذِّل ولا تثبيط مُثبط ، ولا خلاف جاهل ، كما قال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللّه ، وهم كذلك » [1]، حتى تتحقق على أيديها الخلافة الموعودة على منهاج النبوة ، كما في الحديث الآخر : « تكون النبوّة فيكم ما شاء اللّه أن تكون ، ثم يرفعها اللّه تعالى ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء اللّه أن تكون ، ثم يرفعها اللّه تعالى ، ثم تكون ملكاً عاضّاً فتكون ما شاء اللّه أن تكون ، ثم يرفعها اللّه تعالى ، ثم تكون ملكاً جبرياً ، فيكون ما شاء اللّه أن يكون ، ثم يرفعها اللّه تعالى ، ثم تكون خلافة على منهاج نبوّة » [2].

---

(١) وراه مسلم وغيره .

(٢) انظر « الصحيحة » (٥) لشيخنا محمد ناصرالدين الألباني - حفظه اللّه - وقد حسنه .

أما إذا تمكن الاختلاف من صفوف الطائفة المنصورة ، وعجزت عن كبح جماحه ، وتحول إلى فُرقةٍ والعياذ بالله ، فتلك هي الفتنة الصماء ، والداهية الدهماء .

إنَّ الناس إذا فسدوا أصلحهم الله بالسنة ، وبمنهج الصحابة ، وجمعهم بمنهج السلف ، أما إذا فسد مِلحُ الأرض ، فبأي شيء تصلح ؟!

لو تفرق المتعاقدون على الولاء لمنهج السنة النبوية ؛ فإنَّ هذا التفرق يعني أمرين خطيرين :

أولهما : أمام الأمة ليلُ فتنةٍ طويلٍ ثقيلٍ ، وأن فجرها المرتقب ما يزال بعيداً بعيداً (!) وأنّه قد آن لأعداء الإسلام أن يستبشروا باستطالة أحقاب التسلط والاستعلاء بغير الحق .

وثانيهما : أنَّ أعمالنا تخبر خبراً قاطعاً لا ريبة فيه ، بأنَّ أصحاب الأمانة قصَّروا في فهم واجبهم ، أو في أدائه (!)

أمّا السبب الداعي لطرح هذه الاحتمالات فما تردد مؤخراً على بعض الألسن وما جرت به بعض الأقلام ، من عبادات تنذر ببداية نشوء محاور للتجزئة والاختلاف داخل صفوف دعاة السلف ، منهج السنة والجماعة ، فهل نسمح بانتقال مأساة الانشطار والتمزق إليها ؟ أم نعمل على تجاوز هذه المشكلة ؟ ونحن الذين نعتقد أننا أقرب الناس إلى منهج السلف ، منهج السنة والجماعة ، منهج السنة الجامعة ؟

وما دام الخلاف بين دعاة السنة حقيقة ظاهرة ، فلا بد من تحديد نقاط هذا الخلاف ، والعمل على محاصرته ، ودفع غائلته ، والوسيلة لذلك هي **الحوار الراشد** ، ولذا كانت هذه المقدمة عن **الحوار** ، **وأزمته وضرورة التعجيل بترشيده** .

ولا بد من التذكير بأنّ ما أعنيه في حديثي عن الحوار ، **هو الحوار بين المسلمين الذين ارتضوا منهج السلف ، وهم أهل السنّة والجماعة** ، وحول طرق الاستمداد من أصول هذا المنهج ، وربط الدعوة الإسلامية بموازينه وضوابطه .

أمّا **الحوار داخل الصف الإسلامي الذي اختلطت فيه المناهج** ، وتعدّدت فيه الاتجاهات ، ولا زالت أكثر فصائله بعيدة عن فهم حقيقة منهاج أهل السنة ، بخصائصه ومميزاته ، وما زالت مترددة في الالتزام بهذا المنهج ، فلا زال يدور حول قضية الاختيار المنهجي ، والتخلص من الفوضى العلمية التي تتخبط فيها تلك المجموعات .

وأما ما يسمى **حوار الأديان** – ونسميه نحن دعوة غير المسلمين – فهذا له شأن آخر ، بعيد عن موضوعنا ، منهجاً وغرضاً ومساراً ، وهو يأتي في مرتبة عاشرة بعد الفراغ من تصحيح عقائد المسلمين ومفاهيمهم ، وإصلاح أخلاقهم ، ثم استئناف الحياة الإسلامية الراشدة ، فلا تكون دعوة هؤلاء المنتسبين إلى النبوات الأُخرى – كما هي اليوم في الغالب – مزيجاً من انهزاميتنا وغطرستهم ، وتملُّقنا ومكرهم ، ولا تعدو النتيجة سوى المزيد من تذويب الشخصية الإسلامية باسم الحوار ، ثم الاستدراج والتجسس والتدمير .

قال الطُّغرائي في « لاميّة العجم » :

قد هيئوك لأمرٍ لو فطنتَ لهُ
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَلِ

نصائح مهمّة إلى عُلماء الأمّة

محمد موسى نصر

هذه كلماتٌ من القلب إلى القلب ، أتوجَّه بها إلى إخواني أهل العلم وطلابه عسى الله أن ينفعهم بها ؛ ﴿ إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ ، ﴿ وما أُريدُ أن أُخالفكم إلى ما أنهاكُم عنه إن أُريد إلّا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ .

■ أيها العلماءُ الأفاضلُ : أنتم حملةُ لواءِ الدعوة إلى اللّه تعالى ، وأنتم ورثةُ النّبي ﷺ ، فأنتم أشرفُ الأمة وسادتُها ، وأنتم المقدمون عند اللّه وعند عباده المؤمنين إن كنتم كما يجب أن تكونوا ؛ عقيدة وأخلاقاً وسلوكاً وعملاً وعلماً وفضلاً ، ولذلك فمسئوليتكم عظيمة ، وأمانتكم جسيمة لا تقوى عليها الجبال الراسيات ، فحقِّقوا قوله تعالى فيكم : ﴿ إنَّما يَخشى اللّهَ من عبادِه العُلماءُ ﴾ .

■ احذروا أن تقولوا ما لا تفعلون ؛ فإنكم إن كنتم كذلك حلَّ بكم مقت اللّه وغضبه ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كَبُرَ مقتاً عند اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ .

■ كونوا تُرجماناً عملياً للكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، فإنَّ نبيكم ﷺ كان خلقه القرآن .

■ لا تخشَوا في اللّه لومةَ لائم ، فلا تداهنوا أحداً ، ولا تمالئوا ظالماً مهما

بلغ في ظلمه وبطشه .

■ لا تركنوا إلى الذين ظلموا من الطواغيت ، فتشتروا الحياةَ الدنيا بالآخرة ، والعذاب بالمغفرة ، فتمسّكم النار ، فتُحشروا مع الظلمة والجبابرة .

■ ازهدوا في دنياكم ، فلا تغرنكم المناصب العالية ، والقرب من الظلمة ، فتقسوا قلوبكم ، وتُؤثِروا مصالحكم العاجلة الفانية على آخرتكم الباقية الخالدة ، فتكونوا من علماء السوء أذناب بغلة السلطان .

■ اتقوا اللّه في أنفسكم وأمتكم فلا تُحِلُّوا ما حرَّم اللّه ، ولا تحرموا ما أحلَّ اللّه ، فاقضوا بالحق وبالحق اعدلوا ، ولتكن لكم استقلاليتكم فيما تفعلون وتَذَرُون ، وبذلك تنالون ثقة الناس بكم وتعظيمهم لكم ؛ لِما عندكم من الحقّ .

■ حقّقوا أعظم ركن في الإسلام في أنفسكم وادعوا النَّاس إليه - أعني : التوحيد والاتباع المتمثل في شهادة أن لا إله إلّا اللّه وأنَّ محمدا رسول اللّه - ، فحقّقوا التوحيد واحذروا الشرك ، فمن الأساس يبدأ الداعية ، فمن بدأ بالسقف قبل الأساس خرّ عليه السقف من فوقه .

■ إياكم أن تتعصبوا لشخصٍ ما مهما سما وعلا ؛ خلا رسول اللّه ﷺ ، فإنْ تعصّبتم لغير كتاب ربكم وسنة نبيه ضللتم وفرقتم أمتكم شيعاً وأحزاباً ، ونالكم حظٌّ وافرٌ من قوله تعالى : ﴿ إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ ، وقوله : ﴿ كلّ حزب بما لديهم فرِحون ﴾ .

■ اعلموا أنَّ الحبّ في اللّه والبغض في اللّه أوثق عرى الإيمان ، فلا تُعَظِّموا أهلَ البدع ، ولا تُبَجِّلوهم ، فَتُعَظِّموا بدعهم ومنكراتهم بتعظيمكم إياهم ، فتُسخطوا ربكم .

قال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحبُّ في اللّه والبغض في اللّه » [1].

---

(١) « صحيح الجامع الصغير » (٢٥٣٦) لشيخنا الألباني .

■ اجتمعوا على كلمة سواء بينكم ، ووحّدوا صفوفكم ، واحشدوا طاقاتكم .

فليجمعكم الحق ، ورضى الله ، ووحدة المصير ، والخطر المحْدِق .

وإياكم ثم إياكم أن يُفرّقكم الهوى وحبُّ الرئاسة والعلو في الأرض .

■ ارفقوا بالناس في دعوتكم ، ولا تقسوا عليهم ، وخاطبوهم برفق ولين ، فلا تكونوا من المنفرين ؛ فتصبحوا فتنة للآخرين ، قال ﷺ : « إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلّا زانه وما ينزع من شيء إلّا شانه » (١).

أيها العلماءُ : أحيوا سنةَ الجهاد التي أماتها أعداءُ الأمة في الأمة ، الجهادِ بأنواعهِ كافَّةً ؛ جهادِ العلم والدَّعوةِ ، وجهادِ السَّيف والسِّنان ، فالعلماء هم القادة والسادة على مر العصور ، فإن نمتم عن الجهاد وتخاذلتم عن القيام به سلّط الله عليكم وعلى الأمة ذُلّاً وهواناً لا ينزعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم وجهادكم ، كما قال ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة (٢) وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » (٣).

■ أيها العلماء الأفاضل : اعلموا أنّه لن يصلح آخرُ هذه الأمة إلّا بما صلح عليه أوّلها ، فصلح أمر أول هذه الأمة بالزهد واليقين وقد فسد أمر الأمة عندما فشت فيها البدع والمحدثات والمنكرات ، فخذوا بأيدي هذه الأمة إلى سبيل الله المستقيم ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتَّبِعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله ... ﴾ .

■ أيها العلماء الأفاضل : احذروا مؤامرات أعداء الإسلام من هذه الأمة

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) العينة : ضرب من البيوع الربوية التي فيها احتيال على شرع الله .

(٣) حسن بشواهده كما في « الصحيحة » (١١) لشيخنا حفظه الله .

ومن غيرها ؛ فإنَّهم يقفون بالمرصاد ، ويكيدون لكم ولدينكم ولأمتكم صباح مساء وحذِّروا الأمة من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وحذِّروهم من الفرق الضالة الهالكة قديمها وحديثها فـ « إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدء فطوبى للغرباء » [1].

وقد اختلط الحابل بالنابل ، والتبس الحق بالباطل ، فلا بدَّ من نور الكتاب والسنَّة وفهم السلف الصالح لكشف الشبهات ، وضَرْب فِتَنِ أهل الشهوات : ﴿ ولا يحيقُ المكرُ السيِّىء إلّا بأهله ﴾ .

قال ﷺ : « افترقت اليهود والنصارى إلى اثنَتَيْن وسبعين فرقة وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلّا واحدة ، قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : هم الذين على ما أنا عِليه اليوم وأصحابي » [2].

فلا بد - إذن - من معرفة ما كان عليه الرَّسول ﷺ وصحابته الكرام في كل أمور دينهم ؛ لنسير على نهجهم ونتبعَ سبيلهم ، فنكون معهم ، ونحشر في زمرتهم ، **لأنَّ الدعاوى العريضة اليوم كثيرة ، والأماني عديدة ، والفتن شديدة** ، فمن يأخذ بأيدي الحيارى والتائهين - ويرفعهم من تلك الدَّرَكات إلى أعلى الدرجات - إلّا ورثةُ النَّبي ﷺ حقّاً وصدقاً وهم أنتم .

فإلى الأمام يا دعاة الإسلام ، وعلماء الأمة ، وصانعي مجدها ، فإنَّ الأمة تترقَّب وثبتكم ، وتشرئبُّ بأعناقها إليكم ، وتهوي بأفئدتها إليكم ، فكونوا عند حسن ظن أمتكم بكم ، والسلام عليكم .

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) حسنه شيخنا في « صحيح الجامع » (٥/٨٠) .



حكم صرف العملات ...

فتحي عبدالله سلطان

عرضنا في الحلقة السابقة أجناس العملات ، والصرف وتعريفه وأحكامه ، وفي هذه الحلقة نعرض الأقوال في المسألة وما ترجح لدينا فيها ، به نختم البحث .

□ الأقوال في المسألة :

يمكن القول أنَّ ثمة ثلاثة أقوال في هذه المسألة :

القول الأول : يذهب أصحابه إلى مطلق التفاصيل في صرف العملات المختلفة بشرط التقابض ، ومدار قولهم راجع إلى عدم وجود مقيَّد لما أطلقه الشارع .

القول الثاني : الصرف لا يصح إلّا بشروط معينة ، وستذكر - إن شاء الله تعالى - .

القول الثالث : عدم اشتراط التقابض أثناء المصارفة بين العملات المختلفة ، وتبيتن بطلان هذا القول ، والله أعلم .

○ شروط صرف العملات المختلفة :

التفاضل في بيع العملات إذا اختلفت أصنافها كبيع دولار أمريكي بثلاث ريالات جائز شرعاً ، ودليل ذلك الحديث : « فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » .

ولكن هذا الجواز ليس على إطلاقه بل مقيد بقيود ، ومنضبط بشروط ، يجمعها جامع متعلق بحقيقة تكييف الشرع للنقد باعتباره وسيلة يُتوسل بها إلى السِّلَع ، ولا يقصد الانتفاع بعينها .

◻ وهذه الشروط هي :

الشرط الأول : أن يكون الصرف مُنْجَزاً في الحال .

وهذا الشرط يمنع النسيئة لقول النبي ﷺ : « فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » ، أي : لا بدّ أن يتقابضا في المجلس قبل الافتراق .

وهذا معنى حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه مرفوعاً : « ولا تبيعوا منها غائباً بناجز »[1] ، أي : لا تبيعوا غائب بحاضر .

وعن عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - أنَّ النبي ﷺ قال : « الوَرِق بالذهب إلّا هاء وهاء »[2] ، فالتقدير : لا تبيعوا الذهب بالوَرِق إلّا مقولاً بين المتصارفين : خذ وأعط ، قال الخليل - كما نقل عنه الحافظ في « الفتح » (٣٧٨/٤) - : « كلمة تستعمل عند المناولة ، والمقصود من قوله : « هاء هاء » أن يقول كل واحد من المتعاقدين لصاحبه : هاء ، أي : خذ وأعط ، فيتقابضان في المجلس » ، واشتراط التقابض في المصارفة متفق عليه ، فقد نقل السبكي في « تكمله المجموع » (٦٠/١٠) عن ابن المنذر أنّه قال : « أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أنَّ المتصارفين إذا افترقا قبل أن يتقابضا أن الصرف فاسد » .

---

(١) رواه البخاري (٣٨٠/٤ - الفتح) ، ومسلم (١٠/١١ - نووي) .

(٢) البخاري (٣١٨/٤ - الفتح) ، ومسلم (١٢/١١ - نووي) وغيرهما .

وروى مالك في « الموطأ » (ص ٥٢٩-٥٣٠) ، وعبدالرزاق في « المصنف » (١١٦/٨) عن عمر بن الخطاب موقوفاً عليه أنّه قال : « ولا تبيعوا شيئاً منها غائباً بناجز وإن استنظرك إلى أن يلج بيته فلا تنظره فإني أخاف عليكم الرماء ، والرماء هو الربا » وإسناده صحيح .

ولذلك لا يجوز مثلاً أن يدفع لرجل دنانير أردنية على أن يسدد الثاني بعد حين بقيمتها من الدولار وهكذا ، لأنَّ التأخير لا يجوز في صرف العملات المختلفة ألبتة .

وهناك صور ربوية يقع فيها كثير من الناس داخلة في مسمى ربا النسيئة ؛ منها : ما يقعون فيه نتيجة الخشية من قضية هبوط قيمة الأوراق النقدية [1] :

ففي حالة اقتراض شخص مبلغاً من المال فيشترط المقرض أن تكون الوفاء بالذهب عند حلول الأجل ، وآنذاك تقع المفسدة الربوية من جهة النسيئة في الأصناف المختلفة ، لأن الذهب يكون من قبيل السِّلَع ، والله أعلم .

أما إذا أرادَ المقترض أن يزيد من عنده تبرعاً دون اشتراط من قبل المقرض فهذا جائز ، وهو من باب حُسنِ الوفاء ﷺ يقول : « فإنَّ خيار الناس أحسنهم قضاء » [2].

الشرط الثاني : أن يكونَ الصرف في حدود الحاجة :

والمقصود بهذا الشرط الاحتراز من قصد الاتجار بعملية الصرف ، لأنَّ العملات الورقية المختلفة جاز الصرف فيها من باب الوسائل ، ليتوسل بها إلى السلع وسد الحاجات ، وليسِ لها قيمة ذاتية ، بل قيمتها اعتبارية ، فلا يجوز الاتجار فيها ألبتة [3].

---

(١) تظهر فائدة اشتراط التقابض في المجلس ، والبيع بالسعر الحاضر جليه من قطع دابر المفاسد المترتبة على انخفاض أو زيادة أسعار العملات المختلفة ، وبالتالي يحصلُ الضرر لأحد الطرفين ، وما يحصل اليوم من تقلبات في أسواق البورصة العالمية راجع إلى إهمال هذا الشرط الذي نصت عليه الأحاديث .

(٢) أخرجه مالك في « الموطأ » ومن طريقهِ مسلم وغيره عن أبي رافع رضي الله عنه .

(٣) يذهب محدث العصر العلامة الفقيه محمد ناصر الدين الألباني إلى اشتراط قيد الحاجة في جواز صرف العملات المختلفة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في « المجموع » (٢٩/ ٤٧١-٤٧٢) : « فإنّ المقصود من الأثمان أن تكون معياراً للأموال يتوسل بها إلى معرفة مقادير الأموال ، ولا يقصد الانتفاع بعينها ... » [(١)].

ويقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - في « الطرق الحكمية » (ص ٢١٩-٢٢٠) :

« ويمنع - أي : ولي أمر المسلمين - من إفساد نقود الناس وتغييرها ، ويمنع من جعل النقود متجراً ، فإنّه يدخل على الناس من الفساد ما لا يعلمه إلّا الله ، بل الواجب أن تكون النقود رؤوس أموال يتجر بها ولا يتجر فيها ، وإذا حرم السلطان سكة أو نقداً منع من الاختلاط بما أذن من الاختلاط به » .

ولأبي حامد الغزالي - رحمه الله تعالى - كلام مهم في « الإحياء » (٣/١٠٠) : « وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم ، لأنهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما ، إذ لا غرض في عينها ، فإذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصوداً على خلاف وضع الحكمة » .

ولهذا ، فإنّ النقد لا يلد نقداً ، بل يدخل كوسيلة إلى تحصيل المطالب فضلاً عن دوره في الوفاء بالكفارات التي أوجبها الشرع .

إنّ شرط التقييد بالحاجة يجري على صرف الأثمان بعضها ببعض إذا اختلف أجناسها ، مثل المضروبة من الفضة قديماً وصرف الدولار بالدينار الأردني مثلاً، فلهذا يجوز الاتجار مطلقاً في بيع الأصناف الربوية الأخرى إذا اختلفت أجناسها شرط أن تكون يداً بيد ، لأنّها آنذاك تكون عروضاً وليست أثماناً .

وقد يعترض بعض الأفاضل على إخراج الأثمان من مطلق البيع المذكور في الحديث : « فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » ، وكذا يعترض على التفريق بين

(١) ذكر ابن القيم كلاماً قريباً من كلام شيخه في « إعلام الموقعين » (٢/١٣٧-١٣٨) .

الأصناف الربوية باعتبارها أثماناً أو باعتبارها عروضاً .

▫ والجواب على ذلك من وجوه :

أولاً : أنَّ العلة في تحريم الذهب والفضة راجعةٌ إلى الثمنية ، بخلاف الأصناف الربوية الأخرى ، لذا فالأثمان لا تقصد لذاتها ، فعليه يجب الاحتراز من الاتجار فيها ، فالاتجار بما جعل ثمناً للمبيعات إفساد لمعاملات الناس كما أشار إلى ذلك ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى .

ثانياً : ثبات قيمة الذهب المضروب بالنسبة للفضة المضروبة فلا يعقل الاتجار في بيعها ، فلا تفاضل بينهما من حيث القيمة ، لذلك قال المُسيَّب بن رافع أنَّ امرأة ابن مسعود باعت جارية لها بدراهم ، فأمرها عبدالله أن تأخذ دنانير بالقيمة [(١)].

ثالثاً : وكان وزن الدينار المضروب من الذهب آنذاك يساوي مقداراً معيّناً من أوزان الفضة المضروبة من دراهم ، قال الرافعي - وهو من كبار الشافعية - :

« أجمع أهل العصر الأول على التقييد بهذا الوزن ، وهو أنَّ الدرهم ستة دوانيق كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، ولم يتغير الحال في جاهلية ولا إسلام » [(٢)] .

---

(١) رواه عبدالرزاق في « المصنف » (٨/١٢٧-١٢٨ ر ١٤٥٨٥) .

إنَّ الثبات المذكور بالنسبة لقيمة الذهب بما يعادلها من الفضة راجع إلى ثبات أسعار الصرف ، فإنَّ تلك الأسعار كانت ثابتة طوال عصر النبوة ، ويشهد لذلك :

ما رواه أبو داود في « سننه » (٤/١٨٤) : أنَّ الديه كانت على عهد رسول الله ﷺ ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم ، فلما كان عهد عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال : إنَّ الإبل قد غلت ، فَقَوَّمها على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألفاً » .

وحسن إسناده الشيخ الألباني في « المشكاة » (٢٣٩٨) .

(٢) نقلاً عن « النقود والمكاييل » للمناوي (ص٦٨) ، وقال المناوي (ص٧٩) : « إنَّما =

وقد ثبت في نصاب زكاة الفضة أنَّ في كل مائتين من الدراهم خمسة دراهم ، وكانت قيمة مائتين من الدراهم تُساوي قيمة عشرين مثقالاً من الذهب ، وهو نصاب زكاة الذهب [(١)].

فإذا علمنا ذلك فإنَّ التجارة في الأوراق النقدية باب عظيم من أبواب ظلم الناس ، وأكل أموالهم بالباطل كما هو ديدن تجار العملة في عصرنا الحاضر [(٢)].

الشرط الثالث : أن يكون الصرف بسعر يومه :

من المعلوم أنَّ أسعار الصرف بين العملات لا تكون ثابتة ، فبعد أن كان سعر صرف الدينار الذهبي في عهد النبي ﷺ مساوياً لعشرة دراهم ، صار في عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يساوي اثني عشر درهماً ، إلى أن أصبح في زمن الفاطميين يصرف بأربعة وثلاثين درهماً [(٣)].

ولهذا يجب مراعاة سعر الدينار بما يساويه من الدراهم أثناء المصارفة ،وكذا بالنسبة لصرف العملات المختلفة ، ففي حالة صرف الدينار الأردني بالدولار مثلاً

= جعلت العشرة من الدراهم الفضة بوزن سبعة مثاقيل من الذهب ، لأنَّ الذهب أوزن من الفضة وزناً » .

(١) قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في « الأم » (٢/٣٣) باب صدقة الورق :

فإذا بلغ الورق خمس أوراق وذلك مائتا درهم بدراهم الإسلام وكل عشرة دراهم من دراهم الإسلام وزن سبعة مثاقيل ذهباً بمثقال الإسلام . أ.هـ.

وبذلك يظهر جلياً أن نصاب العملة الورقية يقيم على الذهب ، وليس على الفضة لما للذهب من خصائص تميزه عن الفضة التي قل رواجها .

فضلاً على أنَّ الشرع قد أوجب كثير من الواجبات المالية بالذهب وليس بالفضة ، والله أعلم .

(٢) **لشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في تحريم الاتجار بالعملة ، فانظر في « المجموع » (٢٩/٤٦٩) فإنَّه مفيد .**

(٣) لم تحصل تقلبات في أسعار الصرف في عهد النبوة ، بخلاف العصور المتأخرة ؛ إذ بدأت التقلبات مع بدء الغش والتزييف في النقد ، وما يحصل اليوم في محلات الصيرفة من تقلبات الأسعار والمضاربات ما يقطع بأنَّ ذلك كله من الأنظمة غير الإسلامية حتى لو تسمت بالإسلام ، فتأمل !

يجب أن يصرف بسعر يومه ، والسعر المقصود ههنا هو السعر الصادر عن الدولة أو السعر العام المتعارف عليه .

وقد رُوي عن ابن عمر رضي الله عنه أنّه قال :

« كنت أبيع الإبل بالبقيع ، فأبيع الدنانير وآخذ الدراهم ، وأبيع الدراهم وآخذ الدنانير ، آخذ هذه من هذه ، وأعطي هذه من هذه ، فأتيت رسول الله ﷺ وهو في بيت حفصة فسألناه فقال : لا بأس أن تأخذها بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء » وهذا حديث ضعيف [1].

وقد ثبت موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما : أنّه كان لا يرى بأساً أن يأخذ الدراهم من الدنانير ، والدنانير من الدراهم ، وكان سعيد بن جبير يفتي به » [2].

والملاحظ أنَّ ابن عمر رضي اللّه عنهما كان يأخذها بسعر يومها .

وأخرج عبدالرزاق قال : قال الثوري : وأخبرني يونس عن الحسن البصري قال : لا بأس به بسعر السوق ، قال سفيان : لا بأس به إذا تراضيا [3].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى في « المجموع » (٢٩/ ٤٥٦) : عمن اشترى الفلوس : أربعة عشر قرطاساً بدرهم ، ويصرفها ثلاثة عشر بدرهم ، هل يجوز ؟ أجاب رحمه اللّه تعالى :

« إذا كان يصرفها للناس بالسعر العام جاز ذلك وإن اشتراها رخيصة ، وأما من باع سلعة بدراهم ، فإنّه لا يجب عليه أن يقتضي عن شيء منها فلوساً

(١) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ، ومداره على سماك بن حرب وهو ضعيف ، وقد ضعفه ابن حزم في « المحلّى » (٨/ ٥٠٤) ، والألباني في « الإرواء » (رقم ١٣٢٦) .

(٢) رواه عبدالرزاق في « المصنف » (٨/ ١٢٦ ر ١٤٥٧٧) ، والنسائي من طريق آخر ، وحسن إسناده الشيخ الألباني في « الإرواء » (٥/ ١٧٥) .

(٣) « المصنف » (٨/ ١٢٨ ر ١٤٥٨٧) باب الرجل عليه فضة أيأخذ مكانه ذهباً ؟

الّا باختياره ، وكذلك من اشتراها بدراهم فعليه أن يوفيها دراهم ، فإن تراضيا على التعويض عن الثمن أو بعضه بفلوس بالسعر الواقع جاز ، والله أعلم » .

ومن الجدير بالانتباه إليه أنّ سعر الصرف لكل عملة يجب أن يكون سعراً واحداً ، لأنَّ العملات لا يُقصد الانتفاع بعينها كالسلع حتى يزيد سعرها أو ينخفض ، فلا يجوز أن يصرف الدينار العراقي مثلاً بسعرين ، بل بسعر واحد وهو سعر يومه ، ولابن تيمية وتلميذه ابن القيم كلامٌ يتعلق بضرورة وحدة الأسعار للنقد :

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في « المجموع » (٤٦٩/٢٩) :

« فإذا اختلف مقادير الفلوس صارت ذريعة إلى أن الظلمة يأخذون صغاراً ، فيصرفونها وينقلونها إلى بلد آخر ، ويخرجون صغارها فتفسد أموال الناس » .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى في « إعلام الموقعين » (١٣٧/٢) :

« فإنَّ الدراهم والدنانير أثمان المبيعات ، والثمن هو معيار الذي به يعرف تقويم الأموال ، فيجب أن يكون محدداً مضبوطاً لا يرتفع ولا ينخفض - إلى أن قال - : وهذا معنى القول يختص بالنقود » .

الشرط الرابع : أن يتجرد الصارف عن مقصود المخاطرة (المجازفة) :

يتفرع عما ذكر من شروط عدم جواز المقامرة في الصرف كأن يصرف رجل دنانير عراقية بدولارات قاصداً ارتفاع سعر الدولار ، ليعيد صرفه آنذاك بالدينار العراقي وهو في هذه الحالة إما أن يربح أو أن يخسر ، وهذا داخل في مسمى الميسر الذي حرمه الله تعالى فقال :

﴿ إنَّما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ .

والميسر : هو القمار - مصدر من يسر ، يقال : يسرته إذا قمرته ، واشتقاقه من اليُسر ؛ لأنَّه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كدٍّ ولا تعبٍ[1].

وقال مالك رحمه اللّٰه تعالى: الميسر ميسران : ميسر اللهو ، وميسر القمار .

فمن ميسر اللهو : النرد والشطرنج والملاهي كلها .

وميسر القمار : ما يتخاطر الناس عليه [2].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي في قاعدة تحريم المعاملات التي فيها غَرَرٌ وخطر :

« وذلك أنَّه ثبت بالكتاب والسنَّة وإجماع المسلمين تحريم الميسر ، وهو كان معيناً على طاعته والجهاد في سبيله ، كأخذ العِوَضِ في مسابقة الخيل والركاب والسهام .

والنوع الثاني من الميسر في المعاملات وقد نهى النَّبي ﷺ عن بيع الغَرَر ، وهذا شامل للبيع بأنواعه والإجارات ، فالشيء الذي يُشك في حصوله أو تُجهل حاله وصفاته المقصودة داخل في الغَرَر ، لأن أحد المتعاقدين إمّا أن يغنم أو يغرم فهو مخاطر كالرِّهان » [3].

هذا ما تيسَّر بيانه في هذه المِسألة التي عمَّت بها البلوى ، نسأل اللّٰه الثبات حتى الممات .

---

(١) « محاسن التأويل » للقاسمي (٣/٢١١) .

(٢) « تفسير القرطبي » (٣/٥٢-٥٣) .

(٣) « إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب » (ص ١٠٠-١٠١) .



كتب حذّر العلماء منها ...

مشهور بن حسن

ومن كتب التفسير التي ينبغي أن يحذر طلبة العلم من بعض ما فيها :

- « النكت والعيون »[1] للعلّامة الماوردي علي بن محمد بن حبيب :

قال أبو عمرو بن الصّلاح [2] : هو متّهم بالاعتزال، وكنت أتأوّل له، وأعتذر عنه، حتى وَجَدتهُ يختار في بعض الأوقات أقوالهم، قال في « تفسيره » : لا يشاء في عبادة الأوثان، وقال في ﴿ جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً ﴾ معناه : حَكَمنا بأنّهم أعداء، أو تَرَكناهم على العداوة، فلم نَمنَعْهُم منها .

فـ « تفسيره » عظيم الضرر، وكان لا يتظاهر بالانتساب إلى المعتزلة، بل يتكتّم، ولكنّه لا يوافقهم في خَلقِ القرآن، ويوافقهم في القدر، قال في قوله : ﴿ إنّا كلّ شيءٍ خَلَقناهُ بِقَدَر ﴾ أي : بحُكمٍ سابقٍ .

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الماوردي :

« والمسائل التي وافق فيها المعتزلة معروفة، منها : مسألة وجوب الأحكام والعمل بها، هل هي مستفادة من الشرع أو العقل؟ كان يذهب إلى أنّها مستفادة من العقل، ومسائل أُخر توجد في « تفسيره » ؛ منها : إنّه قال في تفسير سورة

(١) وهو مطبوع في وزارة الأوقاف بالكويت .

(٢) كما في « طبقات الشافعية الكبرى » (٥/٢٧٠)، و « سير أعلام النبلاء » (١٨/٦٧) .

الأعراف : لا يشاء عبادة الأوثان ! وافق اجتهاده فيها مقالات المعتزلة، وقد أشارَ إلى بعضها الإمام أبو عمرو بن الصَّلاح، قال ابن الصَّلاح : قد كنت أعتذر عنه إلى أن وجدته يختار أقوالهم في بعض الأوقات، وكان لا يتظاهر بالاعتزال حتى يحذر، بل يجتهد في كتمان ذلك، فَـ « تفسيره » من أجل هذا من عظيم الضرر »[1].

- « روح البيان في تفسير القرآن » إسماعيل حقّي الخَلْوَتيّ :

للوعّاظ شَغَفٌ عظيم به، لما فيه من الحكايات المرققة للقلوب، وفيه نقول كثيرة عن كتب فارسية، وفيه كثير من إشارات الصوفية، بل يكثر النقل فيه من التأويلات النجميّة لصاحب « منارات السائرين »، وفيه أيضاً من وجوه البيان ما تستلذه الأسماع، إلّا أنَّه لا يتحاشى عن النَّقل عن كل مَن هبّ ودبّ على غلوّه في وحدة الوجود[2].

- « حاشية الصاوي على تفسير الجلالين » :

كان صاحبها مالكي المذهب، أشعري العقيدة، ينتحل الطريقة الخلوتية من الطرق الصوفية، توفي سنة (١٢٤١هـ) ؛ ولم يكن من العلماء المحققين والمتضلّعين من علوم الكتاب والسنة ، ولكنه من المتأخرين الذين نالوا حظّاً من فقه مالك، ونال قسطاً من العلوم العربيّة حسب ما يظهر من تأليفه، ومن الذين تأثروا بخرافات الصوفيّة، ووصل به الانحراف إلى القول بما يلي :

أولاً : قال في تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى : ﴿ ولا تقولَنَّ لشيءٍ إنّي فاعلٌ ذلك غداً إلّا أن يشاءَ اللّه ﴾ ما نصّه :

---

(١) « لسان الميزان » (٤/٢٦٠-٢٦١) .

(٢) « مقالات الكوثري » (ص:٤٨٣) .

ومِن عَجبٍ أنَّ الصَّابونيّ (!) قد اختصره ! وللنَّاس نَشَره ويسَّره !!

« ... ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مضلٌّ، وربَّما أدَّاه ذلك للكفر، لأنَّ الأخذَ بظواهر الكتاب والسنَّة من أصول الكفر »[1] انتهى بحروفه .

ثانياً : قال في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذينَ في قلوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعونَ ما تشابَهَ مِنهُ ابتِغاءَ الفِتنَةِ وابتِغاءَ تأويله ﴾ ما نصه :

« ... كنصارى نجران وَمَن حذا حذوهم مِن أخذ بظاهر القرآن، فإنَّ العلماء ذكروا إن من أُصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنَّة »[2].

وهذا القول الذي ردَّده الصاوي عين الخطأ، والذي عليه الأئمَّة والعلماء في سائر الأمصار والأعصار أنَّ الصواب في كل مذهبٍ وفنٍّ هو ما يؤيده الكتاب العزيز والسنَّة الصحيحة أو الحسنة، أو إجماع أهل العلم، هذا هو الحق الذي لا محيص عنه .

ومن الجدير بالذكر ها هنا : أنَّ نتيجة وثمرة قولَي الصَّاوي السَّابِقَين ، هو الجمود على كتب المذاهب وتقديسها، وغلق الاجتهاد دونها، وحرمة الأخذ من الكتاب والسنَّة، وحينها تَهونُ قيمة القرآن والسنَّة عند الأكثرين ! وهذا ما حصل بالفعل، فأخذ من يعتقدون بمثل هذه الأقوال يَتلُون كتاب اللَّه للتعبد والتبرُّك، لا للاستنباط والدليل من أجل الحوادث النَّازلة، ولا للاعتبار بقصصه ومواعظه، فحُرِموا - وحَرَموا النَّاس - من هداية القرآن وسنَّة النَّبي ﷺ، واستعملوا القرآن في غير ما أنزله اللَّه له كقراءته على الموتى والقبور والحوانيت والحفلات، حتى إنَّهم باعوا الختمات لإيصال ثوابها إلى الأموات، وعلَّقوا بعض

(١) « حاشية الصَّاوي على الجلالين » (١٠/٣) .

(٢) « حاشية الصَّاوي على الجلالين » (١٤٠/١) .

آياته حروزاً وتمائم في أعناقهم، وجعلوا قراءته مكسباً للبطّالين والمحترفين .

فلنمسك عنان القلم عن الإسهاب في هذه النتائج الوخيمة شفقة على القارىء من السّآمة والملل، ولنرجع إلى موضوعنا، فنقول :

إنَّ على أصحاب المكتبات ودور النشر التنبيه على هذا الخطأ الجسيم : وهذا التنبيه في حق النّاشر أوجب، ومن ثم في حق البائع وفي حق طلبة العلم - فضلاً عن الباحثين والعلماء - في مجالسهم ودروسهم، فإنّه من التواصي بالحق، المأمور به في القرآن الكريم .

ولم يقتصر الضلال في هذا التفسير على المقولتين السابقتين، فأمثالهما كثير، مثل :

ثالثاً : قال في تفسير قوله تعالى في سورة فاطر : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سوءُ عَمَلِهِ فرآهُ حسناً ﴾ ما نصه : « نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنَّة، ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن في نظائرهم وهم فرقة بأرضِ الحجاز يقال لهم : (الوهابية) !! يحسبون أنَّهم على شيء ، ألا إنَّهم هم الكاذبون ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر اللّه أولئك حزب الشيطان ألا إنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون، نسأل اللّه الكريم أن يقطع دابرهم »[1] انتهى بحروفه .

أرأيت - أخي القارىء - كيف يفعل التعصب بصاحبه، يجعله يقول قولاً من المنكر وزوراً يمجّه الطبع السليم، ويتنزه عنه العقلاء فضلاً عن العلماء، ولستُ بصدد تفنيد[2] ما زعم ، ولكن الأمر كما قال الشاعر :

---

(١) « حاشية الصاوي على الجلالين » (٣/٣٠٧-٣٠٨) .

(٢) وقد عمل على تفنيدها الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه القيم « تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران » .

أئمةُ حقٍّ كالشموس اشتهارهم ... فما انطمسوا إلّا على من به عمى

ويكفي الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - أنّهُ مجدد قرنه، وأن علماء عصره - كالشوكاني ومحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني وغيرهم كثير - قد امتدحوه، وعدّوه مجدِّد ذلك العصر؛ حتى قال الصنعاني فيه قصيدةً طويلة، إليك بعض ما فيها :

سلامي على نجد ومَن حلَّ في نجد ... وإن كان تسليمي على البُعد لا يُجدي

قِفي واسألي عن عالمٍ حلّ سَوْحَها ... به يهتدي مَن ضلَّ عن منهجِ الرشدِ

محمدٌ الهادي لسنة أحمدٍ ... فيا حبّذا الهادي ويا حبّذا المَهدي

لقد أنكَرَت كلُّ الطوائف قولَه ... بلا صَدرٍ في الحق منهم ولا وردِ

وقد جاءت الأخبار عنه بأنّه ... يُعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي

وينشر جهراً ما طوى كلُّ جاهلٍ ... ومبتدعٍ منه فوافَقَ ما عندي

ويعمُر أركانَ الشريعة هادماً ... مشاهدَ ضلَّ النَّاسُ فيها عن الرُّشدِ

والشاهد مما سبق أن هذا الكتاب فيه تحاملٌ على دعاة الكتاب والسنة ، فهو ليس مما يعتمد عليه أو يركن إليه، وهذا ما يجب تبيينُه وعدم السكوت عليه .

ومن هذه الكتب كثير من الدراسات القرآنية المعاصرة، والتفاسير التي كُتبت مؤخَّراً، على تفاوتٍ بينها، فبعضها أجاد وأفاد في بعض الجوانب على الرغم من قصوره ووقوعه في أخطاء شنيعة في جوانب أخرى، وبعضها الآخر أساءَ كثيراً، وقام على أفكار شنيعة، وضغط النص القرآني وإسقاطه على الواقع بطريقة قبيحة .

ولهؤلاء جميعاً مواقفُ مُفردة في غير هذا الموضع .

والله المستعان .

الشعب الكردي المسلم والأحزاب والجماعات والحركات الإسلامية

حمدي عبدالمجيد السلفي

في مقالة سابقة بيّنت طرفاً من تاريخ الشعب الكردي المسلم ، ونبذاً من خدماته التي قدّمها للإسلام وللأمة الأسلامية ، واليوم نعرض نشاط الجماعات والحركات والأحزاب التي قامت تطالب بتطبيق شرع الله ، ونذكر مواقفها ..

ولن نتعرض إلّا لمواقف تلك الجماعات والحركات والأحزاب التي تنتمي عِرقياً إلى الحكومات التي تحتل كردستان التي قسمها الصليبيون بينهم بموجب معاهدة سايكس بيكو الشهيرة انتقاماً من صلاح الدين ؛ لأنَّ هذا الوطن وطنه ، وهذا الشعب من بني قومه .

وهنا أريد أن أصحح خطأً تاريخياً وقع فيه أغلب المؤرخين ، وهو : مكان بلدة « دُوين » قرية صَلاح الدين .

إنَّ هذه القرية لا زالت آثارها باقيةً وحتى بعد تدميرها ، وهي تقع شمال غربَ مصيف صلاح الدين في شمال مدينة أربيل ، وقد سُمِّي مصيف صلاح الدين بهذا الاسم بسبب تلك المناسبة ، وهي ليست في أرمنستا عند يريفان قطعاً وربما تكون هناك مدينة تحمل نفس الاسم ، إلّا أنَّ صلاح الدين ليس منها قطعاً .

ولنبدأ بذكر ما حلَّ بالشعب الكردي في تلك الحكومات الظالمة حكومةً حكومةً ، ومواقف الجماعات والحركات الإسلامية في تلك البلدان تجاه محنهم ووضعهم :

١ - في إيران حيث الحقد الدفين للرافضة تجاه الشعب الكردي من جهتين : من جهة كونِ الأكرادُ سُنّةً ومن جهة كون صلاح الدين منهم ، وهو الذي قضى على العبيديين الملحدين والحشاشين .

فهم لا يعترفون بوجود الشعب الكردي ولا بمذهبهم ، ومن العجيب أنَّ أربابَ الحكم في إيران يدَّعون أنَّه إسلامي ! وباسم الإسلام أعلنوا الجهاد على الأكراد بعد ثورة الخميني ، فقتلوا ودمَّروا ما استطاعوا أو ما رغبوا فيه ، والحركات الإسلامية وجماعاتها وأحزابها ساكتة عن ذلك ، لأنَّها لا تريد أن يغضب عليهم إمام الأمة نائب المهدي المنتظر ! بل مدحه مسؤولو تلك المنظمات وهنَّأوه وحضروا الندوات والمؤتمرات التي عُقدت في « قُمّ » لشرح أفكار إمام الأمة (!) وقدموا التعازي بوفاته رغم انتشار مبادئه التي تنادي بالكفر الصريح .

ولا نتعرض لما كان في عهد شاه إيران حيث باع الشيوعيون له جمهورية مهاماد الكردية لقاء النفط الإيراني .

ولا زال في إيران الدعوة إلى الكتاب والسنة ممنوعة ، ويُلقى القبض على من يقوم بذلك ، ويعذبون ، ويقتلون ، وما جرى للشيخ أحمد مفتي زاده رحمه الله أكبر شاهد على ذلك .

٢ - وفي تركيا : حيث كان الأتراك ينكرون وجود الشعب الكردي ويسمونهم بالأتراك الجبليين ، وقمعت الحكومة التركية الثورات الكردية بالحديد والنار ، وتم تدمير مئات بل آلاف القرى وتهجير أهاليها قسراً إلى المناطق التركية ، وأول من تنبَّه لذلك بعض العلماء الأكراد حيث أعلنت الحكومة التركية

مشروطيتها حين كانت تسمى بالرجل المريض ، فقام بعض العلماء الأكراد بالهجوم على تلك الحرية وأنشدوا في ذمها :

حريَّةٌ حريَّــةٌ بالنَّــار لأنَّها من عمل الكفَّار

وقام العلماء بثورة ضدها في مدينة « بدليس » فأُخمدت بوحشية وأعدم هؤلاء العلماء ، وفي عهد الطاغية المقبور أتاتورك قامت ثورات عدة للأكراد برئاسة الشيخ سعيد ميران وسيد رضا والجنرال إحسان نوري باشا ، وكلها أُخمدت بوحشية ، وتم تبديل أسماء القرى والمدن الكردية ، ومنعت اللغة الكردية في الدوائر والمؤسسات الكردية .

كل هذا ولم نسمع ولم نر رد فعل لدى تلك الحركات والجماعات والأحزاب الإسلامية ، بل الجماعات والأحزاب الموجودة في تركيا والتي تدعي أنها تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية تنظر إلى الأكراد نفس النظرة الشوفينية التي ينظر بها إليهم الكماليون الفاشيست ، فحزب « الرفاه » تعاون في الانتخابات مع حزب « توركش » العلماني العنصري ، وصرح رئيسه بأنَّ خطر الأكراد أكبر من خطر اليهود .

وهناك جماعة تسمى « فتحي‌جي » فرع تلامذة « النور » وهم أشد عنصرية من غيرهم ، وهناك « حزب اللّه » الموالي لإيران حيث يقوم أفراده بقتل الأكراد واغتيالهم وخاصة العلماء منهم .

والصوفية بجميع أشكالها في تركيا مع الحكم العلماني يرقصون على نغمات طبول المسؤولين ، فهل أصدرت حركة أو جماعة أو حزب إسلامي بياناً تندِّد فيه بما يجري في كردستان تركيا من مظالم ضد الشعب الكردي المسلم ؟!

فلذلك ترى الدعايات الملحدة والعلمانية تؤثر في الأكراد ، فينضمون إلى الأحزاب العلمانية أرادوا أم لم يريدوا ، لأنَّهم لا يرون من يدافع عنهم غيرهم ،

بل الذين يدعون الإسلام يقفون ضدهم .

٣ - وفي الاتحاد السوفياتي - سابقاً - كان الأكراد في كردستان المقتطعة من الأم يُشكّلون جمعاً كبيراً ، وبعد إعلان البلشفية أعلنوا الانفصال عن حكومتهم كردستان الحمراء ، ولكن ستالين فتك بهم فقتل منهم من قتل وأبعد منهم من أبعد إلى سيبيريا وغيرها سنة ١٩٣٦م ، وبذلك شَتّت شملهم .

فهل سمع أحدٌ أنَّ جماعة إسلامية أو حركة إسلامية أو حزباً إسلامياً استنكر ذلك أو ندد به ؟ هذا ما لم نسمعه .

٤ - وفي بلدٍ آخرَ مِن البلاد التي يستوطنها الأكرادَ جرى للأكراد ما جرى من قتل وتدمير ، ومحاولة إفنائه من الوجود ، فتم تدمير (٤٥٠٠) قرية ومدينة صغيرة بما فيها المساجد والمدارس والمستشفيات ، وقتل الآلاف من الأكراد بطريقة سحب الدم منهم حتى الموت ، والآلاف رمياً بالرصاص ، والآلاف دفنوا وهم أحياء تحت التراب بواسطة الجرافات ، وهُوجِم الأكراد بجميع الأسلحة الكيماوية الفتّاكة

ومَع كل هذا ، فماذا كان موقف الجماعات والأحزاب والحركات ؟ هل استنكرت تلك الغارات الوحشية على الأكراد ؟

بالطبع لا ، بل كانت الوفود من كثير من تلك الجماعات والأحزاب والحركات تتوارد على بعض تلك الدول بمناسبة المؤتمرات وغيرها ، أين ذهبت ضمائر هؤلاء ؟

سبحان الله ! أهكذا تكون الدعوة الإسلامية ؟ أهكذا يكون الجهاد لتطبيق حكم الله في الأرض ؟

فهل توجهت تلك المنظمات والحركات والاحزاب إلى كردستان كما تتوجه إلى البوسنة والهرسك والألبان والبلغار والجمهوريات السوفياتية ؟

أليس الأحزاب والحكومات التي تحكم تلك الحكومات علمانية وغير إسلامية ؟ فلماذا إذن وُصِم الشعب الكردي وحده بأنَّ قياداته علمانية ؟

ثم بعد كل هذا وذاك سيطر الأكراد الآن على بلدهم - أو قسم من بلدهم كردستان - وشَكَّلوا حكومة ، وأنشأوا برلماناً ، ونشروا الحرية في كردستان ، فما هو دور تلك الجماعات والأحزاب والحركات الآن في كردستان ؟ وهل التفتت إلى كردستان ؟

فالجواب : كلا ، ولن تلتفت أبداً ، بل تتجه إلى بلدان أخرى ، لتقدم لها المعونة أو لتستغل ظروف تلك الشعوب لتأسيس تنظيمات حزبية لهم !! هذا هو قصدهم فقط .

فآلاف القرى الكردية وآلاف المساجد والمدارس ، وعشرات الطلبة ، والشعب الكردي المسلم كله ماثل أمام هؤلاء ولا يحركون ساكناً .

المنظمات التنصيرية تجول وتوزع الأرزاق والألبسة وتعمر القرى أمام أعين العالم مع أن قصدهم معروف ، وأناجيلهم وكتبهم التبشيرية بنصرانيتهم تُوَزَّعُ مع المواد الإغاثية وهؤلاء ينظرون وربما يقولون : لا فائدة ، فالأكراد أصبحوا نصارى ! كما قال بعضهم .

وربما استغل بعضهم محنة الشعب الكردي هذه ، فشمر عن ساعديه للبحث عن المال لإغاثة الأكراد ، وهم يجمعون بعد أن سنحت لهم الظروف ، إلّا أن تلك الأموال تذهب إلى جيوب قياديي تلك الجماعات لتأسيس شركات ومكتبات في أوروبا وتركيا ! أو يصرفون تلك الأموال لشراء ضمائر من لا ضمائر لهم يكونون معهم اليوم ويرجعون إلى حزب آخر بعد أن ينتهي مصرفهم ... هذا هو حال الشعب الكردي .

فلذلك ننادي الأخوة المسلمين الذين همُّهم الإسلام الذي جاء به محمد



الصهيونية تستغل مزاعم الاضطهاد النازي

عبدالله بن خليل شبيب

يقال : إنَّ ألمانيا النازية اضطهدت اليهود ، ولكن ذلك الاضطهاد لم يكن مقصوداً به اليهود وحدهم ، ولكنه حصل لبعضهم عَرَضاً ، لأنّه كان مُوَجّهاً إلى الأجناس غير الألمانية عموماً وغير الآرِيّة خصوصاً ، فقد أصاب أجناساً أخرى كثيرة مثل السُّلاف والغَجَر وغيرهم .

وكان ذلك الاضطهاد قد أصابَ بعض الجواسيس اليهود والخونة الذين يحملون الجنسية الألمانية ويعملون لصالح أعدائها (الحلفاء) ضد وطنهم (المفترض) ألمانيا وضد هتلر ونظامه .

◻ التواطؤ الصهيوني النازي :

وقد أوحى هذا الاضطِهاد إلى دهاقنة اليهود بفكرة شيطانية تتوافق مع طبائع اليهود المبنيّة على التآمر والكذب والخداع والابتزاز ، فأنشأوا مكتباً خاصاً للصهيونية في المنزلِ رقم (١٠) بشارع (مين كستراس) *Maine Chestrasse* بِـ (برلين) وكان يشرف على إدارته اثنان من الشخصيات اليهودية المعتبرة عندهم ومن زعمائهم البارزين في القارة الأوروبية والنشطين للقضية اليهودية والصهيونية أحدهما اسمه « بينو » والآخر « بار جلعاد » .

وقد أثنى عليهما كثيراً وثمّن خدماتهما لليهودية أهمُّ المؤلفين الصهاينة وهو

« كمشي » في كتابه « الطرق الخفية » .

ومما يجدر ذكره أنَّ المكتب الصهيوني المذكور قد تأسّس وافتُتح بالاتفاق مع سلطات « الجستابو » الألمانية النازية ... وكانت مهمته تنسيق اضطهاد اليهود في ألمانيا مع « الجستابو » حيث كانوا يحددون اليهود الذين يجب أن يسلط عليهم بعض الأذى ، وخصوصاً أولئك المستقرين في ألمانيا والمنتعشين اقتصادياً ممن لا يهمُّهم الهجرة إلى فلسطين ولا غيرها ولا يُفكّرون بوطن بديل ؛ فيسلط عليهم « الجستابو الألماني » بعض الأذى بالتنسيق مع المكتب الصهيوني ليحسُّوا (بعدم الأمان) ويُوافقوا على الهجرة إلى فلسطين وتأييد فكرة الوطن القومي والدولة اليهودية .

◻ استغلال صهيوني مبرمج :

وكعادة اليهود ؛ فقد بالغوا في هذا الاضطهاد ، وزعموا أنّه تم القضاء على نحو ستة ملايين يهودي في ألمانيا بأفران الغاز وغير ذلك من الأساليب البشعة التي اخترع أكثرَها الخيالُ الصهيوني الذي يعيش نفسية الاضطهاد والشتات والمسكنة والحقد ، وقد كشف كثيرٌ من المؤرخين المحُدَثين بالبراهين زيف تلك الادّعاءات اليهودية وكذبها ومبالغتها ، ومنهم خمسة من المؤرخين الأمريكان كانوا سيعقدون لذلك مؤتمراً صحفياً منذ سنوات يكشفون فيه هذه الحقيقة ، فَمُنعوا من ذلك بوسائل الصهيونية وقواها الخفية .

◻ اللاساميَّة !

وهذا الاضطهاد المزعوم والمبالغَ فيه وظّفته الصهيونية - كعادتها - لأغراض متعددة :

فقد ابتكرت تهمة « اللاساميّة » يعني : عداء الجنس السامي المنسوب لسام بن نوح ، ومنهم اليهود - والعرب كذلك - وغيرهم ، ولكنهم قَصَرُوه - عَمَليّاً - على (اليهود) .

وقد تاجر اليهود بهذه « التهمة » على نطاق واسع ، وسلّطوها كسيف مُصْلَت على رأس كل من يحاول انتقادهم أو فضح بعضِ ألاعيبهم الدنيئة ، وخصوصاً في أوروبا وأمريكا ... وحقق اليهود بذلك أغراضاً كثيرة ، ومرّروا كثيراً من تدابيرهم ومؤامراتهم وتغلغلهم في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وأسكتوا كل صوت ينتقدهم ...

وعلى سبيل المثال : فقد نشرت الصحف مؤخراً خبراً بإقالة أحد أعضاء المجالس البلدية في إحدى البلدات الألمانية ، لأنّه تجرّأ وسأل زميلاً له - يهودياً - من أعضاء المجلس كان يحاول استغلال المجلس لصالح دولة اليهود ، فسأله الألماني إن كان ولاؤه لألمانيا التي منحته الجنسية والوطن أم للدولة اليهودية في فلسطين لأنّه يهودي ؟ فأثار المجلسَ عليه ، واتهمه بِـ (اللاسامية) حتى تمّ طردُه من عضوية المجلس البلدي .

□ الإسفين الصهيوني ... ووعد الله :

وقد بالغ اليهود كثيراً في قضية الاضطهاد النازي .. حتى تجلّت فيهم كلمة الله ووعيده : ﴿ وإذ تأذّن ربّك ليَبعثنَّ عليهم إلى يوم القيامة مَن يسومُهم سوء العذابِ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وَضُرِبَت عليهم الذلّةُ والمَسكنة ﴾ .

فقد ضخّموا دعاية الاضطهاد ، ووظّفوها بالمسكنة ، ليجتلبوا تأييد العالم الغربي وتعاطفه معهم في إقامة وطن لهم على أشلاء شعب فلسطين المسلم وأرضه ...

والحق أنَّ الصليبيين قد ضربوا بذلك أكثر من عصفور ، وحقّقوا أكثر من هدف - أو هكذا ظنّوا وخطّطوا - حيث أرادوا أن يتخلّصوا من اليهود عندهم ، وهم يعتبرونهم كالنفايات - مهما أبدوا العكس - كما أرادوا أن يدقوا إسفيناً قاتلاً في قلب العالم الإسلامي ليشطره إلى نصفين ... ويحافظ على تخلفه وتمزقه .

▫ ابتزاز اليهود لألمانيا :

وقد استغل اليهود ودولتهم قضية الاضطهاد النازي استغلالاً كثيراً ؛ ففرضوا على الألمان دفع مبالغ هائلة كتعويضات لمن أسموهم ضحايا النازية ، جزاءً لما فعله بهم الزعيم النازي السابق « هتلر » الذي يبدو أنَّه أدرك فعلاً خطر اليهود ... واطّلع على شواهد تدلّ على حقارتهم وخيانتهم وغدرهم ؛ فقد تعوّدوا عضّ اليد التي تمتد إليهم بالإحسان ...

ومن شواهد ذلك ما فعلوه بمسلمي فلسطين حيث يقتلون شعبها ، ويطردون أبناءها من ديارهم ، ويُنَكِّلون بهم دون سابق إساءة في حقهم ...

بل لقد أثبت التاريخ أنَّ اليهود اضطُهدوا في جميع أنحاء العالم فلم يبق بلد في أوروبا إلّا وفعل بهم الأفاعيل إلّا العالم الإسلامي ... ومن ذلك بريطانيا التي ساهمت في إقامة دولتهم ... فقد طردتهم مرتين ... فقد كانوا أساطين الربا يمتصّون به دماء الشعوب ... وكانوا يقتلون بعض الأفراد ليخلطوا دماءهم بالفطير المقدس كما تقتضي بذلك تعاليم دينهم كما حصلَ في مقتل الأب توما في دمشق سوريا ، وبعده مقتل خادمه المسلم إبراهيم عمار في شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ شباط فبراير ١٨٤٠م حيث كانت سوريا من ضمن الدولة العثمانية ، ولكن اليهود لم يُذبحوا - ولم يؤخذوا بجريرة بعضهم - كما كان يحصل في





للغافلين ، وإرشادٌ للتائهين .

وفي تلكم اللحظات الأخيرة من حياته ... وفي هاتيك الدقائق الأولى من موته ... كان المُشاهَدُ الذي لا يختلف فيه اثنان من ناظريه ورائيه ... هو ذلك العرق الذي عَلا جبينه ، وتصبَّب منه ... وهي - بمنّة الله - مِن علامات حُسن الخاتمة ، والأمر الثاني ... هو تلك البَسمة الهائئة التي لم تُفارق شَفَتَيْهِ إلى ساعةِ لَحدِه ومُوارِاتِه التُّراب بين جموعِ إخوانه ومحبِّيه ، وكأن هذه البسمة - إن شاء الله - تحكي بشرى ما أعدّ الله لعباده الصالحين من جنات ونعيم مقيم .

نعم ؛ « وإنّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون » ... لم نجد أبلغَ من هذا الكلام النّبوي نُعبِّر به عمّا اعتملَ في نفوسنا جرّاء فَقدِ ذلك الأخ الفاضل الودود الذي عرفنا عنه - طيلةَ حياته الدّعوية - الصَّدع بالحقّ ، والمُناضلة عن السنّة ، والمنافحة عن أهلها وحَمَلتها ، وكان من السابقين في الدعوة ، الذّابِّين عنها .

ونستذكر - إذ نستذكر الآن - كلمةَ الإمام أحمد المشهورة عنه : « قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يومُ الجنائز » .. فقد كانت جنازةُ هذا الأخ مشهودةً ، حضرها جموعٌ من الدعاة وطلّاب العلم ، وأهل الفضل ، وقد كان شيخنا العلامة أبو عبدالرحمن محمد ناصرالدين الألباني إمامَ الصَّلاة على جنازته ، حيث كبّر عليه خمسَ تكبيراتٍ ، إحياءً لسنَّةٍ مهجورةٍ من سُنن صلاة الجنازة .

لقد كانت حياةُ هذا الأخ الفاضل عبرةً لإخوانه ومحبِّيه ، لِمَا جبَلها مِن بذلٍ وعطاءٍ والتزامٍ ... وكذلك كان موتُه لِما وَقعَ فيه مِن أثرٍ نفسيّ كبيرٍ عليهم ، لعلَّه ينعكس - إن شاء الله - آثاراً إيجابيّة على سلوكِهم ، وأعمالهم ، وتصرُّفاتهم ، فقليلون هم الذين يتعظ الناس بموتهم ، أمّا إبراهيم فقد كان موته أكبر واعظ وأبلغ زاجر ، أبكى كل مُحبّ وأغاظ كل شانىء .

فالله يرحمهُ ... ويعفو عنه ... ويُكرم نُزلَه ... ويجمعهُ والأحبّة : محمداً وصحبه ، إنّه سميع مجيب ... ولا حولَ ولا قوّة إلّا بالله .

اللهمّ أجِرنا في مُصيبتنا واخلُفنا خيراً منها .

مصطلح وبيان

التّطرّف الدّيني ... مَضموناً وأثراً

الشيخ محمد إبراهيم شقرة

لو أنّ أهل الإسلام أدركوا أنّهم بتفرّقهم واختلافهم على أصول دينهم الكليّة وجهلهم بالحقائق الثابتة فيه عمّقوا في عقول أعداء الإسلام التطرف بمعانيه المتعددة ، لعرفوا أي خطر يحملون الإسلام عليه ، في زمان أودى فيه الباطلُ بالحق والشرّ بالخير ، لكنهم - وللأسف الشديد - كل فريق منهم تصور له نفسه أنّه على حق ، وأنّ من سواه على الباطل ، ويجرون جميعاً - رغم تفرقهم واختلافهم وتباين تعريفاتهم للتطرف - في ساحة مغلقة ، يتلاهثون ، ويتشامتون ، ويتعادون ، كل فريق فرح بما لديه من تصور قاصر عن الإسلام ، خارج به عن مضمون الأُصلين العظيمين ، الكتاب والسنة ، ولا هم لهم جميعاً إلّا أن يرى أحدهم عيباً على الآخر ، يُمسك به سَوطاً ، يُلهب به ظهورهم ، أو خنجراً يَجَأُ به خواصرهم ، أو سيفاً صقيلاً حادّاً يضعه فوق أعناقهم ، ولا عذر يُقبل فيه قط ، ولا إقالة لعثرته ، فإنّه لا عذر له ولا إقالة ، بل إنّه لربما التمس العذر لعدو شرس يتربص بالإسلام وأهله شرّاً ، وهم جميعاً يرددون بلسان واحد حديثاً ينسب كذباً لرسول الله ﷺ : « التمس لأخيك عذراً » ، والكلمة الحكيمة الأخرى : « والعذر عند كرام الناس مقبولُ » ، فإذا ما رأى خصوم الإسلام وأعداؤه أهل الإسلام على هذا النحو المُزري ، ظنوا أنّ الإسلام ليس كلمة سواء يلتقي عليها أهله ، فأوغلوا في شرائعه وأحكامه بعداوتهم الصاخبة الشرسة ، يحملون عليها المسلمين المضروب على قلوبهم وعقولهم بالجهل والظلمة ، فلا يعرفون من دينهم إلّا ما يكتبه أعداء الإسلام ، من مستشرقين ومستغربين يشوهون به تاريخهم

ولغتهم وأخلاقهم ، فيسلمون لهم تسليماً بكل ما يقولون ويكتبون ، ولا يدرون أنَّ هؤلاء الأعداء والخصوم إنما يُبيِّتون الشر لهم ولدينهم ، وأنّهم يريدون إجلاء الإسلام عن عقول الناس ، كما أَجْلَوْا المسلمين عن أرضهم وبلادهم ، فعادت إليها المذاهب والأفكار ، والنِّحَل التي كانت تُهيمن عليها ، وتسيطر على عقول أهلها .

ثم لم يكتفوا بذلك حتى أخذوا يُصَدّرونها إلى أرض المسلمين ويفرضونها على عقولهم فرضاً ، بأساليب مختلفة وطرائق متعددة ، لكأنهم بذلك ينقمون من المسلمين يوم أن كان ظلمُهم أحبَّ للمقهورين المغلوبين من عدل غيرهم .

وإنّي أرى في رفض المسلمين العذر بعضهم لبعض - في حقيقته - صيغةً من صِيَغِ التطرف رضيها المسلمون (المنتمون !!) لأنفسهم ، أضافوها إلى الصِّيَغ الأخرى ، التي عرفها الناس عنهم ، ولعل هذا منظورٌ فيه قولُه ﷺ في صفات المنافقين : « وإذا خاصم فجر » [1] !

ولقد رأينا بعضهم يهيج هياج البحر الهادر بأمواجه على المنابر ، أو من وراء منصات الخطابة والمحاضرة ، يقذف بِحُمَم لسانه أعراض المسلمين ، بدعوى أنَّه يدعو إلى الله على (هدى وبصيرة !!) وأنّه (يقول كلمة الحق !!) وأنّه (لا يخاف في الله لومة لائم !!) وأنّه ، وأنّه ... مما يلقي به الشيطان على لسانه ، وتسول له به نفسه المحمومة ، التي لا تكظم إلّا خيراً يصيب منه صاحبها وحده ، وعلى الدنيا كلها الدمار !!

أفليس هذا وحده كافياً أن يجد فيه أعداء الإسلام ذريعة جديدة للطعن على الإسلام ؟! وما أكثر الذرائع التي تزداد يوماً بعد يوم !!

وَلَرُبَّ قائل يقول : لقد كان هذا في المسلمين قديماً ، وكم جرّ عليهم الخلاف واحتراب الرأي من فُرقة وتنازع وهوان .

(١) رواه مسلم .

لئن كان هذا قديماً ، فهو أيضاً لا يزال جارياً ، لكن هذا كله لا يعني استمراره ، وقد جاء زمان على المسلمين رأينا فيه اختلاف الرأي سبباً من أسباب وحدة صفهم ، وقوّة كلمتهم ، وائتلاف قلوبهم ، فلماذا نذكر الشَّيِّىءَ ونضمر الخير ؟

لماذا نرى لزاماً في الشرّ ، ولا نحدث أنفسنا في النزوع إلى الخير ؟

لماذا لا يترك أحدنا لنفسه الحبل على الغارب أن تقبح الجميل وتجمل القبيح ؟

لماذا نرى الهزائم بين ظهرانينا ، ولا نقوى جميعاً على دحره في هزيمة نفسية واحدة من هزائمنا ؟ وإذا كان اللّٰه هو الرحيم بعباده يكشف عنا بعض ضر زدنا بذلك إلحاحاً ، فنكون كما قال اللّٰه سبحانه في أهل الكفر : ﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرّ للجوا في طغيانهم يعمهون ﴾ .

نعم ، كان في المسلمين خلاف على مر العصور ، وبخاصة بين خاصة علمائهم لكنه خلاف كان يحكمه العقل المؤمن ، الذي يصده إيمانه عن الهوى الذي يستحوذ في الغالب على الجهلاء وأشباه العلماء ، ولا علماء ، وهذا حال يظهر في كل أرض وفي كل زمان .

ولا ريب أنّ الخلاف شر كله ، لكنّه شيء لا بد منه في حياة البشر جميعاً مؤمنهم وكافرهم علي السواء ، يقويه حب الذات ، والانتصار للرأي ، ويضعفه نسيان الذات ، والانتصار للحق ، ومعرفة الدواعي والأسباب المفضية إليه ، فإذا جرى الأمر على غير هذا فإنَّ الخلاف لا يلد إلّا شرّاً ، ولا ينبت إلى مكراً ، ويظل في شِرّته يطول ويعلو ، حتى يصيب منه الجاهل ، وغير الجاهل ، الصغير والكبير ، الضعيف والقوي ، سواء منهم من أسرّ القول ومن جهر به ، وسواء منهم من أراد خيراً ومن أراد سوءاً ، وسواء منهم من أحبّ الناس ومن أبغضهم ،

الناس جميعاً يقعون في شَرَكِه ، وينالهم من ورمه ، ويأخذون من عقره ، أفليس هذا كله بكاف أن يعلمه علماء الإسلام ودعاة الإسلام ، أنهم مسؤولون عن جريمة التطرف التي يقع فريستها المئات والألوف من الشباب ، تقليداً لهم واقتفاء لآثارهم ، وتثويباً لمنازعاتهم ؟ وإذا لم يكن هذا بكاف ، فما الذي سيكفي إذاً ؟

ولا يخفى على أحد ما أوقعه الظالمون في بعض بلاد المسلمين من العذاب النفسي والجسدي على بعض المسلمين ، لاستثارة كوامن الرفض اليائس في صدورهم ، في مواجهة سافرة عنيفة ، لا تستوي فيها كفتا الطرفين ، فيكون في ذلك عذر للكفة الراجحة أن تبطش بالكفة الشائلة ، فهي رغم أنّها شائلة متطرفة ، **فالتطرف هنا تطرف سيق الناس إليه سوقاً ليكونوا متطرفين** ، وهذا النوع من التطرف لا يعنينا هنا ، إذ تسميته تطرفاً نوع من الظلم وكفى .

ويوفي الكيل عن الطَّفِّ في التطرف ، حين نبصر بكثيرين من المنتمين والمنتسبين للحركات الإسلامية المعاصرة - ولا أكاد أستثني منها واحدة - ينتصرون لحركاتهم ، وهم يغضون من أبصارهم ، ويغلقون أسماعهم عن كل خطأ تقع فيه هذه الحركة أو تلك ، في حين لا تكاد أبصارهم تطرق ، ولا تكاد أسماعهم تنبو ولو لحظة ، وهم يرون خطأ لا يذكر بجانب خطأ تلك الحركة يقع فيه واحد من غيرها .

وتكون الطامة في التطرف أشد وأطغى ، حين نبصر ببعض أهل العلم يكاد أحدهم يطير من فوق المنبر ، وهو يصرخ بأعلى صوته ، يخفضه تارة ويرفعه تارة ، يلوح بيديه الاثنتين ، متوعداً منذراً متهدداً لا يرى أمامة إلّا أشباحاً غائمة هزيلة ، ولا يعقل إلّا أصواتاً ينطق بها لسانه ، من ألفاظ مركبة إذا نطق به ، ويحسب أنّه بذلك على شيء ، ولا يذكر إلّا سوءاً ولا يمسك إلّا عن الخير ، ولا يرمي إلّا الشرفاء ولا يدنو إلّا من السفهاء ، يحب أن يذكر في المجالس ، وأن

يقول عنه الناس : إنّه جريء ، لا يخاف أحداً ، يقول كلمة الحق ، حتى إذا جيء به في أمر ما ، يصغر ويضمر ، حتى ليكاد يضيع داخل ثيابه الفضفاضة .

إذن ؛ فلا يحسن أن نتطرف وننسى في غمرة التطرف أنَّ من التطرف تبرئة من يرى التطرف في غير ما يلج به بعض المنتمين للحركات الإسلامية وبعض منتسبة العلم ، بسلبياتهم ، متفردة أو مجتمعة ، فإنَّ السلبية تورد الحكماء موارد الفتنة وتصيب من دين الناس ما يصيب الظالمون الباغون من أبشار الناس ونفوسهم .

وإن صحَّ - ولن يصحَّ - أن يكون في التطرف ممدحة فإنَّ من التطرف تطرفاً جاء به الانتصار للمذهب أو الحركة ، أو الرأي والهوى ، أو حبّ الذات والأنا ، أو حبّ الظهور والسمعة ، أو الجهل الذي يغمر عقول الصغار ، تكون فيه المذمة كلها ، ينعم به المخلدون إلى الأرض بما أفاء عليهم إبليس من ظن أرداهم به في ردخة الخبال ، وإنَّا للّه وإنَّ إليه راجعون !!

وماذا يمكن أن يقال في بعض منتسبة العلم ، وبعض الدعاة ممن يرون في مضارة المسلمين بالسعاية والوشاية والافتراء لدى من عنده القدرة ، باستعدائهم عليهم ، لا لشيء إلّا أنَّ هؤلاء قالوا قولاً في مسائل علمية خالفوهم فيها اعتماداً على أدلّة ، فحسبوا من تسويل الشيطان لهم - أنهم يحسنون صنعاً ، وأنَّهم على شيء من تقوى اللّه ، وهم يكيدون لهم سرّاً وعلانية في غير خوف من اللّه ، ولا حياء من خلقه ، ولا حساب ليوم العرض عليه .

أليس هذا تطرفاً ، يعدل في شره التطرف السياسي الذي تصوره الأعلام الصغيرة لأصحابها ، وهم يتخيلون أنَّهم يتربعون على كراسي السلطة ويذمون ويحكمون وينفذون ؟

وفي ظني أنّه تطرف أخطر بكثير من التطرف السياسي ، لأنَّ التطرف

السياسي في الأغلب يقوم على تحقيق شخصية ليست مصطبغة بفكر أو بمذهب ، لكن هذا التطرف - وإن كان يشترك مع التطرف السياسي في أصل واحد ، وهو أن كليهما تطرف مصطبغ بصبغة الدين - هو الذي يقضي قطعاً بوجود نوع من التطرف الديني ، الرافض للاعتدال المريب ، الذي يحاول به أولئك الدعاة ومنتسبة العلم أن يزيوا به أنفسهم تزلفاً إلى منافع يأخذونها ، واستباقاً لفرص قد تواتيهم مرة أخرى ، وحينئذ ينعمون بما أصابوا وهم ينظرون إلى آثار الظلم الذي أنالوا غيرهم ونأوا عنه ظانين بالله ظنّ السوء وهو أنّهم يرجون من الناس ما لا يرجون من الله ، ويحسنون أنَّهم إن أفلتوا من عقاب الله في دنياهم فقد أفلتوا منه أيضاً في أخراهم ... ألا ساء ما يقدرون ويظنون .

إنَّ الأمة اليوم ، وقد انداحت رقعة العمران تحتها وتنامت بها أطرافها ، وتناهت إليها في دارها حضارات ، التأم بعضها إلى بعض من قديم وجديد ، فأبصرت بها من قرب ، وعرفت الصالح منها من غيره ، ومازت الطيب من الخبيث - ما عاد يخفى عليها مما تبصر منها من غيره ، وصارت ترى فيه التطرف الديني بمعناه الشرعي الذي جاءنا عن نبيّ الهدى ﷺ كما ذكرناه في موضعه آنفاً ، هو صنو التطرف السياسي ، ودور العلماء والدعاة الآن هو الحد من غلو هذا التطرف ، ولن يكون لهم دور مؤثر في هذا المجال إلاّ أن يعطوا من أنفسهم القدوة الصالحة لمن وراءهم من أبناء الأمة ، في كل ما يصدر عنهم من قول وفعل ، ولن يستطيعوا هذا إلاّ إذا كان لديهم العلم الصحيح ، الوافي من السقوط في آثام التفكير ، وانحراف الهوى ، وأغلال الجهل ، وهذا العلم الواقي هو الذي أَوْرَثَناه نبيُّنا محمدٌ ﷺ ، وعجز عنه جل الناس من الخاصة ، مما أورث العامة سوء الظن بهم ، والارتياب في كل ما يصدر عنهم ، وخلاصته في قوله تعالى : ﴿ وما آتاكُم الرَّسول فخُذوه وما نهاكُم عنه فانتَهوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ومَن

يشاقِق الرّسول من بعدِ ما تبيّنَ له الهدى ويتّبع غيرَ سبيل المومنين نولّه ما تولّى ونصلِه جهنّم وساءَت مصيراً ﴾ وفي قوله ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب اللّه وسنّتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »[1] وفي قوله ﷺ أيضاً : « عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي ، عضّوا عليها بالنّواجذ ، وإيّاكم ومحدثات الأمور ، فإنَّ كلّ محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »[2].

وبمثل هذا العلم يستقيم أمر الخاصة والعامة على السواء ، وتصبح الأمة في مأمن من غوائل التطرف الديني والسياسي على السواء ، وتنجو من الآثار البشعة التي نجمت عن هذين النوعين من التطرف ، في كل مجالات الحياة ، والتي ابتليت بها أمتنا الاسلامية كما ابتليت بها غيرها .

واللّه من وراء القصد .

التوفيق والخذلان

قال بعضُ السّلف ، إنَّ التّوفيقَ أن لا يَكِلَكَ اللهُ إلى نفسك ، والخذلانُ أن يُخَلّي بينك وبينَ نفسك .

(١) « صحيح الجامع » (٢٩٣٧) .

(٢) انظر « إرواء الغليل » (١٠٧/٨) لشيخنا .

مسائل وأجوبتها

الشيخ المحدث الفقيه محمد ناصرالدين الألباني

هذا البابُ يحوي بين سطوره الإجابةَ على ما يُشكِلُ على الأخوة القُرّاء مِن مسائل علميَّة فقهيَّة، أو مباحث حديثيَّة أو عقيديَّة، أو غير ذلك من مُهمّات تتَّصِل بشرعِ الله سبحانهُ .

وسنقومُ - إن شاءَ الله - بعَرضِ ما يَرِدُنا من ذلك على شيخنا العلّامة محمّد ناصر الدِّين الألباني، للإجابة عليه، فجزاه الله خيرَ الجزاء .

وعليه، فإنّنا نُرحّبُ باستفسارات القرّاء وأسئلتهم، سائلين الله سبحانهُ النَّفعَ والتَّوفيق.

سؤال / ١ : ما مدى صحة القول « لا حياء في الدين » ؟

جواب : نجد دليل مثل هذا القول في – إن فُهم صواباً – كلمة مأثورة في « صحيح مسلم » وهو قول السيدة عائشة رضي الله عنها : « رحم الله نساء الأنصار ، لم يمنعهن حياؤهن أن يتفقهن في الدين » ، ولكن هذا القول يحتاج إلى التقييد ، لأنَّ الأقوال المأثورة يفسر بعضها بعضاً ، فنقول :

إذا قيلت هذه الكلمة بمناسبة بحثٍ علميٍّ ، سؤال ، أو في سياق التفقُّه في الدِّين ، أو وضعت في مكان مناسب فهي صحيحة ، أما أن يقال : « لا حياء في الدين » من غير تقييد ، فلا ؛ لأنَّ « الحياء من الإيمان » كما يقولُ الرّسول ﷺ .

سؤال / ٢ : إذا بلغت الفتاة سن الزواج ، فهل لوليها ان يجبرها على الزواج ؟

جواب : لا يجوز لولي أمر الفتاة أن يجبر البنت على الزواج ، فلو كانت غير بالغة

وأُجبرت على الزواج فلها أن تطلب الفسخ بعد أن تعقل وتبلغ ، لأنَّ فتاةً زُوِّجت رغم أنفها في عهد رسول الله ﷺ ، وبعد الزواج جاءت إلى الرسول ﷺ ، وقالت له : يا رسول الله ! إنَّ والدي زوَّجني برجل أكرهه ليرفع به خسيسته ؟ (أي : ليرفع جاهه ومنزلته بصهره) ، فردَّ الرسول ﷺ نكاحها .

فلذلك لا يجوز لولي البنت أن يُكره بنته على الزواج ، سواء كانت بالغة سن الرشد ، أم مطلقة ، أم تزوجت ثم تأيَّمت ، وإنَّما عليه أن يدلَّها على ما هو أنفعُ لها في دنياها وآخرتها ؟

قال ﷺ : « لا نكاح إلّا بوليّ وشاهدي عدل » ، وقال : « لا تُكرهوا نساءكم ولكن استأذنوهن » ، وقال « إذنها صمتها » .

فهذه آدابٌ وشروطٌ يجب التزامها ، وأحياناً يقع شيء مخالفٌ للشرعِ ، وهو أنَّ الأب قد يعضل وليته ، أي : يضارها ، ويؤخر زواجها لطمع مادي ، أو أنَّ الخاطب رجل فقير (صعلوك) لا يرفع خسيسته ، فتبور البنت ، ففي مثل هذه الحالة يسمح لها الشرع بأن تزوج نفسها بنفسها ، لأنَّ الرسول ﷺ قال :

« أيما امرأة نكحت نفسها بنفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل ، فإذا اختلفوا فالسلطان ولي من لا ولي له » .

فهذه الفتاة التي أعضل أبوها زواجها لسبب مادي ظاهر ، ترفع أمرها إلى القاضي الشرعي ، فيرسل وراء ولي أمرها ، ثم يستفصل عن سبب إعضاله إياها ، فإن سمع منه سبباً شرعياً ، كأن يكون الخاطب مُبتدعاً ، أو تاركاً للصلاة ، أو شارباً للخمر ، فلا يعترض عليه القاضي ، أمّا إذا سمع منه أسباباً غير شرعية ، ففي هذه الحالة يتولى القاضي تزويجها .

سؤال / ٣ : ما حكم الشرع في بيع التقسيط ؟

جواب : البيعُ بالتقسيط أولاً بدعة عملية لم يعرفها المسلمون في كل القرون الماضية ، وإنما هو من الأمور التي وفدت إليهم من الكفار الذين كانوا من قبل يحتلون بلادهم ويستعمرونها ويحكمونها بقوانينهم الكافرة ، ثم لما رحلوا عن القسم الأكبر منها

خلّفوا آثارهم السيئة فيها ، والمسلمون يعيشون اليوم على تلك المعاملات التي طَبَعَهُم الكافرُ عليها .

وأمر آخر - وهو الأهم - أنَّ النّبي ﷺ كما قال : « ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلّا وأمرتكم به وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله ويقربكم إلى النار إلّا ونهيتكم عنه » [1]، من ذلك أنّه نهى عما يسمى اليوم بـ « بيع التقسيط » ، فهذا البيع بدعة لم يعرفها المسلمون من قبل ، وأريد أن أقول أيضاً : إنَّ هذا الاسم بدعة لا يوجد في كتب الفقه شيء يسمى بيع التقسيط ، هناك في كتب المسلمين ما يسمى بالدّين ، ويسمى بالقرض الحسن الذي أصبح في معاملات المسلمين اسماً بدون جسم لا حقيقة له ، مع أنَّ النّبي ﷺ كما حضّ على القرض الحسن وبالغ فيه إلى درجة أنّه اعتبر قرض دينارين كما لو تصدقت بدينار ، أي: إذا أقرضت أخاك المسلم دينارين كأنك أخرجتَ من جيبك صدقة دينار ، كما حضّ على القرض الحسن نهى عن أخذ الزيادة مقابل الصبر على أخيك المسلم في الوفاء .

قال ﷺ : « من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الرِّبا » وفي آخر : « نهى عن بيعتين في بيعة » ، وقد سئل الراوي لهذا الحديث عن معنى هذا النّهي ؟ وقال : أن تقول أبيعك هذا نقداً بكذا ، ونسيئه بكذا وكذا .

أبيعك هذا الجهاز بـ (١٠٠) دينار نقداً ، و (١٠٥) تقسيطاً ؛ أي : بالدين .

قال ﷺ : « من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما » أي : أنقصهما ، « أو الرِّبا » ، أي : إذا أخذ زيادة فهو ربا ، كمثل هذا الجهاز الذي بعته بـ (١٠٥) خمسة مقابل الصبر .

ولو كان هناكَ حكم إسلامي عند الأفراد والحكام لكان هذا الشاري المغبون المأخوذ منه (٥) دنانير زيادة مقابل الصبر من التاجر ، له الحق أن يستعلي عليه ويشكيه إلى أهل العلم .

فهذا معنى هذا الحديث ، المباع واحد ولكن المعروض بيعتان : نقداً بكذا ، ونسيئة بكذا ، فيسمي الرسول ﷺ الزيادة من أجل النسيئة ربا [2].

(١) انظر « الصحيحة » (١٨٠٣) .

(٢) وفي « الصحيحة » (٥٠ / ٤١٩ - ٤٢٧) تفصيلٌ مطوّلٌ حول بيع التقسيط .

أحوالُ العالم الإسلاميّ

التحرير

لم يعُد بمقدورِ المرءِ أن يُلَملم الخَرَقَ؛ لأنَّه اتَّسع على الرَّاقع، ولا الثوبَ مِن أطرافه؛ لأنَّه خَلَقٌ، فهو بحاجة إلى تجديد؛ ليعيشَ المرءُ حميداً، أو يموت شهيداً .

فهذه كلماتٌ يسيرةٌ، تُعرِّفك - بمنَّة الله - حقائق الأمور، دون مُواربة، ومن غيرِ ضَوضاء !! تعميقاً لحقيقة الأُخوَّة في الله، وتحقيقاً للشعور الصَّادق بمعاني التكافل والتآخي .

■ امريكا ... واللُّعبة المكشوفة :

ما زالت أمريكا إلى هذه الساعة تتزعَّم - علناً وخفاءً - الهيمنة السياسية والعسكرية على العالم ضِمن ألقابٍ ضخمةٍ فضفاضةٍ بوَّأتها صدارَة الدُّنيا (!) ورياسة (النظام العالمي الجديد) (!) وتَحريك (مجلس الأمن الدولي) من وراء (الكواليس) !!

وما زلنا نتذكَّر تلك (الْهَبَّات) الأمريكيَّة السَّريعة المحمولة - برّاً وجوّاً وبحراً - شرقاً وغرباً نجدةً (للمُستضعفين) !! وإعانةً (للمقهورين) !! وحفظاً لحقوق (الإنسان) !!

هكذا يقولون ... ويزعمون ... وهي كلُّها - في حقيقتها - حمايةٌ

للمصالح الأمريكية بخاصّة ، والصليبيّة عامّة ... فإذا لم توجد مصالحُ في بُقعة من بقاع العالم فيها مقهورون ومُستضعفون ... فلا ترى لأمريكا - سيّدة العالم الحر ! - أكثر من الشجب والاستنكار !!

إنّها اللعبة المكشوفة التي تفضحُ أدعياء حقوقِ الإنسان على الأشهاد ... وتُظهر حقيقتهم على الملأ ... لعلَّ المخدوعين ينتبهون ... ولعلَّ الغافلين يتيقّظون .

فكيف إذا كانت المصالحُ الأمريكية والغربية موجودةً في استمرارية هذا الصراع أو ذاك ... لأنّه واقعٌ على المسلمين ... تنكيلاً ... وتقتيلاً ... وذبحاً ... وتشريداً !!!

■ الإسلام ... والسودان :

ذلك الصراعُ الدامي بين الجيش السوداني من جهةٍ ، وبين ما يُسمَّى بِـ (المتمرِّدين) نصارى جنوب السودان من جهةٍ أخرى ... داخلةٌ - منذ شهورٍ - مساعيَ متعدّدة للصُّلح والتفاوض بين هذه الأطراف المُتناحرة .

ولقد أدّت هذه (التفاوضات) إلى تنازلاتٍ سودانيّة كثيرةٍ ، مِن أَجَلِّها تنازلهم عن كلمة (الإسلام) كَعَلمٍ على دولتهم ، أو قوانينها !!! ومَع ذلك فلا زال (المتمرِّدون) من نصارى الجنوب ساعين إلى تنازلاتٍ أشدّ وأكبر !!

إنَّ مثلَ هذا التنازُل - ولو كان في ظاهره - عند البعض - ليس عظيماً - لكنّه كبيرُ الأثر جدّاً عند أولئك الكفرة المتربّصين ... الذين يتّخذون من المواقف - مهما كانت - سُلّماً يرتقون به إلى ما لا نهاية له - عندهم - مِن المطالب والتنازلات ، إلّا الانسلاخ الكلّي من الإسلام وأحكامه ... ولو بأثواب ... إسلامية ظاهرة !

■ العمليَّة السّلمية ... والنهاية القريبة :

يُشيرُ كثيرٌ من (المراقبين) أنَّ نهاية العمليَّة السّلمية باتت وشيكة جدّاً ... وهي نهايةٌ على الطريقة الأمريكية (!) .

ولا يَسع الدول المُشاركة في هذه العملية السّلمية إلّا القَبول بهذه النهاية على أيَّةِ صفةٍ كانت حفاظاً على رضا أمريكا ... وبالتالي مَساعداتها وإمداداتها ! وبخاصّةٍ في ظلّ هذا الضعف والاختلاف (العربي الإسلامي) الضارب بجذوره في الأمة دولاً وجماعاتٍ وأفراداً !!

ولكي تحفظ هذه الدول ماءَ وجهها (يجوز) لها أن تلعب بوسائل الإعلام على أيِّ طريقة شاءت ... تصلُّباً ... وتعنُّتاً ... واستعلاءً ... وليس هذا كلُّه مهمّاً إنَّما المهمّ أن تكون النهاية في خواتيمها ... على وَفق البداية فيما رُسم لها وخُطِّط لها ... أمريكية القلب والقالب !!

■ المسلمون في ليبيا :

لن نتكلّم عن رحلة (الحُجّاج) الليبيين إلى القدس ، وزيارتهم المسجدَ الأقصى ... فإنَّ هذه مسألةٌ لها خلفيّاتها ... ولها جذورها ... ولها ما يعقُبها من أُمور لا يعلمُ نهايتَها إلّا اللّه سبحانه ... ولكنّنا سنتكلّم عمّا يُسمّى هُنالك بـ (مكاتب مكافحة الزندقة) !! أو إن شئت أن تقول : مكاتب مكافحة الإسلام السُّنّي ... إذ الإسلامُ الذي يتبجّح به صاحب (الكتاب الأخضر) هو الإسلامُ (الإسماعيلي الباطني) الذي لا يمتُّ إلى الإسلام المحمّدي السُّنّيّ بأدنى صلةٍ .

وعليه ؛ فإنَّ تلك (المكاتب) مهمّتها مُراقبةُ المساجد ، ومُراقبةُ أيّ مظهرٍ يدلُّ على الإسلام الصحيح ... وبالتالي : فإنَّ تهمة الزندقة جاهزةٌ لهذا الملتزم أو ذاك حتى يُسجن ... أو يُعدم ... أو يُصَفّى لأنّه من (الكلاب الضالّة) !!!

ثمراتُ الكُتُب

التحرير

□ انصافٌ ... (!)

قالوا : ثلاثةٌ يفسدون الدُّنيا والدين ؛ نصف طبيب ، ونصف نحوي ، ونصف فقيه .

أما نصف الطبيب فيفسد الأبدان ، وأما نصف النحوي فيفسد اللسان ، وأما نصف الفقيه فيفسد الأديان .

□ قولُ الحقِّ :

الصَّدع بالحقِّ عظيم ، يحتاج إلى قوة وإخلاص ، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به ، والقوي بلا إخلاص يُخذَل ، فمن قام بهما كاملاً ؛ فهو صدِّيق ، ومن ضعف ، فلا أقل من التألم والانكسار بالقلب ، ليس وراء ذلك إيمان ، فلا قوة إلا بالله .

« سير أعلام النبلاء » (١٣٤/١١)

□ عيشُ المحبين :

فلا عيش إلّا عيش المحبين ، الذين قرَّت أعينهم بحبيبهم ، وسكنت نفوسهم إليه ، واطمأنت قلوبهم به ، واستأنسوا بقُربه ، وتنعموا بحبِّه .

ففي القلب فاقةٌ لا يسدُّها إلّا محبَّةُ الله ، والإقبالُ عليه ، والإنابةُ إليه ، ولا يُلَمُّ شَعَثُه بغير ذلك ألبتة .

ومن لم يظفر بذلك ؛ فحياته كلُّها همومٌ وغمومٌ ، فإنّه إن كان ذا همةٍ عالية تقطّعت نفسه على الدُّنيا حسراتٍ ، وإن كان مَهيناً خسيساً فعيشه كعيش أخسّ الحيوانات .

« مدارج السالكين » (٢٧٤/٣)

□ لحوم العلماء :

إعلَم يا أخي - وفّقنا اللّه وإيّاك لمرضاته وجعلنا ممّن يخشاه ويتّقيه حقّ تُقاتِهِ - أنَّ لحومَ العلماءِ رحمة اللّه عليهم مسمومةٌ ، وعادةُ اللّه في هَتك أستارِ مُنتقصِّيهم معلومةٌ ، لأنَّ الوقيعةَ فيهم بما هم منه براء أمرٌ عظيمٌ ، والتناول لأعراضهم بالزُّورِ والافتراءِ مَرتعٌ وخيمٌ ، والاختلاق على مَن اختاره اللّه منهم لِنَعشِ العلم خُلُقٌ ذميم ، والاقتداء بما مدح اللّهُ به قولَ المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصفٌ كريمٌ ، إذ قال مُثنيا عليهم في كتابه وهو بمكارم الأخلاق وضدّها عليم : ﴿ والَّذينَ جاؤوا مِن بَعدهم يقولونَ ربَّنا اغفَر لنا ولإخواننا الَّذينَ سَبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلّاً للذين آمنوا انَّك رؤوفٌ رحيمٌ ﴾ والارتكابُ لنهي النّبي ﷺ عن الاغتياب وسبّ الأموات جسيم ﴿ فَليَحذَرِ الذين يُخالِفون عَن أمرهِ أن تُصيبَهم فِتنةٌ أو يُصيبهم عذابٌ أليم ﴾ .

« تبيين كذب المفتري » (ص ٢٩-٣٠)

□ سليمان عليه الصلاة والسلام والهدهد :

سئل بعض أهل العلم مسألة ، فقال : لا أعلم .

فقال أحد تلامذته : أنا أعلم هذه المسألة .

غضب الأُستاذ وَهَمَّ به ، فقال له : أيها الأستاذ ! لست أعلم من سليمان ولو بلغت ما بلغت ، ولستُ أجهلَ من الهدهد ، وقد قال لسليمان : ﴿ أَحطتُّ بما لَم تُحِط به ﴾ ، فلم يعتب عليه ولم يعنفه .

« مفتاح دار السعادة » (١٧٣/١)

القُرّاء ... مِنهم وإليهم ...

التحرير

■ **وصلت إلى « الأصالة » رسالةٌ من الأخ الفاضل الشيخ احمد سَلَام (اندهوفن - هولندا) يقول فيها :**

الأخوةُ أسرة الأصالة : السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته :

فإنَّ من دواعي السرور وبواعث الأمل أن نسمع صوت الأصالة الوليد ، وإنَّ من أسباب الطمأنينة أن ينبعث هذا الصوت من أخوة في اللّه متميّزين بمنهجهم ، وحرصهم وصدقهم ، متميزين باعتدالهم وحكمتهم ، وهذه من المبشرات العاجلة بما سنراه على صفحات مجلتنا من جلاء للحق ، وإظهار للسنة ، وتأليف للقلوب ، ورأب للصدع ، ولمّ للشمل ، ولا عجب في ذلك إذ هذه هي **مهمة الغرباء المُرابطين في ثغور الإصلاح والسنة والأصالة** ، وفقنا اللّه وإياكم لإحياء سنن نبيه الأمين ، وبعث منهاج أصحابه الراشدين المهديين .

والأصالة تشكر الأخ الداعية أحمد سَلَام وتبارك مشاعره الصادقة وستبقى – إن شاء اللّه – أصيلة في طرحها وقلبها وقالبها ، مناراً للحقّ ومأوى للدعاة إلى الحق على منهاج سلف هذه الأمة .

وترحب بمشاركاتكم الهادفة ، وبخاصة مقالكم النافع الذي سترونه منشوراً في هذا العدد ، راجين المزيد من المشاركة والتواصل ، فَـ « **الأصالة** » منكم وإليكم ، نسأل اللّه لنا ولكم الثبات حتى الممات .

■ **ووصلت إلى « الأصالة » رسالةٌ من الأخ خالد العيسى**

(طرابلس - لبنان) يقول فيها :

إخواننا في الله تعالى القائمين على تحرير مجلة « **الأصالة** » سدد الله خطاهم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

إنَّ مما يسرّ المسلم أن يرى في مثل أيامنا هذه مجلة تدعو إلى كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ بفهم سلفنا الصالح ، تنشر عقائد أهل السنة وتدافع عنها وتبين للناس الخير وتدعوهم إليه .

ونبّه الأخ الكريم على هفوةٍ وقعت - سهواً - في العدد الثالث ضمن ملحق رمضان ، وهي : ضعف حديث الأعرابي حيث ضعَّفه شيخنا في « إرواء الغليل » (٤/١٥) برقم (٩٠٧) .

الأصالة : نشكرك يا أخ خالد على حرصك وتوجيهك ، فالمؤمن مرآة أخيه والأصالة بأسرة تحريرها حريصة على الخير واتباع الثابت والعمل به ، ولعلنا نتدارك هذه الهفوة في طبعة قادمة للعدد المذكور ، وجزاكم الله خيراً .

■ **وصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ سعد بن شايم العنزي (السعودية - عرعر) يقول فيها :**

إخواننا المشايخ القائمين على مجلة « **الأصالة** » سدد الله خطاهم على طريق الحق ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ؛ فما أن رأينا العدد الأول من مجلة « **الأصالة** » حتى طارت قلوبنا فرحاً بها ؛ لأنّنا قد أوحشتنا المجلات الحزبية ؛ تُخرجُ كل مرة لنا منهجاً مخالفاً لما كان عليه الصدر من السلف الصالح ، فما لنا إلّا أن نقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فما أن رأينا « **الأصالة** » حتى علمنا أنَّ لله أقواماً يقومون بدينه ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين فاطمأنت قلوبنا .

فيا أخوتي قُدماً إلى الحقّ وعلى السبيل لا تأخذكم في الله لومة لائم ، وعليكم بالسنة والرويّة ، فإنَّ الله قد وهبكم عالماً تضنُّ الأيام أن تدور على مثله

والله على كل شيء قدير - أعني شيخنا العلامة ناصر الدين الألباني حفظه المولى عزَّ وجلّ - فعليكم بلزوم رأيه والصدور عنه ، فإنَّ فتن هذا الزمان لا تكاد تنقضي نسأل الله السلامة والعافية والله يحفظكم ويرعاكم .

الأصالة تشكر الأخ الفاضل سعد العنزي وترجو أن تكون عند حسن ظن الأخ الكريم وستبقى **الأصالة** دوماً إن شاء الله مناراً للحقّ وسيفاً مُصلَتاً في وجوه أهل الأهواء والبدع تصدر عن الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، وإنّ أسرة **الأصالة** تستمد قوتها وثباتها من الله تعالى ، وتستنير بآراء مشايخها الكبار أمثال شيخنا العلامة ابن باز وشيخنا العلامة المحدِّث محمد ناصرالدين الألباني وغيرهما وفَّق الله الجميع لما يحبّ ويرضى .

▪ ووصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ احمد محمد حسين (الأردن - الرصيفة) يُبدي فيها بعض النصائح ، ويدعو أسرة « الأصالة » إلى الاستمرار على اصالتها كما بدات اوَّل مرة .

والأصالة تشكر الأخ أحمد وتطمئنُه أنَّها - بحمد الله - لم تزل أصيلة ظاهراً وباطناً كما انطلقت ، أما بخصوص المؤاخذات التي أشرتم إليها فأسرة **الأصالة** حريصة على قواعد العلم ومناهج العُلماء ، ومرحباً بكم أخاً ناصحاً ، وجزاك الله خيراً .

▪ تنبيه توضيح : وصلت بعض الرسائل من الأخوة القراء يتساءلون فيها عن معنى قولنا : « المقالات المنشورة لا تعبر - لزوماً - عن راي الأصالة » !

وجواباً نقول : المقصود من ذلك ما يسع فيه الخلاف ويُعذر فيه المخالف ؛ أمّا مُسلَّمات المنهج والعقيدة ، فـ « **الأصالة** » لن تكون منبراً لمن يخالف الكتاب والسنَّة بفهم السلف الصالح رحمهم الله .

مسك الختام

وَرُبَّما صحَّت الأجسامُ بالعِلَل

التحرير

● **قالوا : إنَّ المنهج السلفي ذو جفاف روحي !!**

هذه الكلمة قد ينقلها ناقلٌ ، ويتقبلها قابل ، ويتهوك فيها جاهل ، فيتحيَّر العاقل ، فيصيب قوماً بجهالة ، فترتدّ على مُحدِثها ومبتدعها بالندامة والملامة والويل يوم القيامة .

ولذلك رأينا تسطير هذه النبذ لتكون قوة للمسترشد ، وبياناً للمتحير ، وتبصرة للمهتدي ، ومقتلاً للخراصين ، ونصحاً لإخواننا المسلمين :

● هذه المقالة غارقة في الجهالة ؛ فقد جهل القائل وقلّده الناقل معنى التربية وتزكية النفوس ، وهو أن التَّزكية تعني تطهير النفوس من أدرانها ، وتنقيتها من سخائمها ، وتقويمها على الحقّ وبالحقّ ، فهي عملية « تنظيف » ، وهل يوجد « تنظيف » دون نوع خشونة ؟

● ولذلك لا تَصُدَّنَّك - أُخَيَّ - خشونة الربانيين في بعض الأحايين ، لأنَّها تكفيك المؤونة ؛ فهي مبرأة بإذن الله من كل طيش أو استعجال أو رعونة .

لا يُوحِشَنَّك ذاك العتبُ إنَّ له ... لُطفاً يريك الرضا في حالة الغضبِ

لأنَّ الفقيه من نظر في العواقب ، فهذه الخشونة تتمخض نعومةً قوامها الصبر وروحها الطهر .

لعلَّ عتبك محمودٌ عواقبه ... وربما صحَّت الأجسامُ بالعِلَلِ

● وعليه ؛ فإنَّ سفينة التأني السَّلفي التي تمخر عُباب بحر الحياة ستبلغ شاطئه مهما عصفت أمواج الفتن وآذت ، ومهما عصت عوائق المحن وطالت ، ﴿ باسم الله مجريها ومُرساها إنَّ ربِّي لغفورٌ رحيم ﴾ ، ومن تأنَّى نال ما تمنَّى .

إذا المرء كانت له فكرةٌ ... ففي كل شيء له عبرةٌ

كشاف علمي تحليلي لأعداد السّنة الأولى

١١ - رمضانيات :

مع النبي ﷺ في رمضان	محمد بن موسى نصر	٣	٦٦
من أخطاء الناس حول ليلة القدر	مشهور بن حسن	٣	٧٦
من بدع الصيام والقيام في رمضان	سليم بن عيد الهلالي	٣	٧٣
وظائف المؤمن في شهر رمضان	علي بن حسن	٣	٧٠

١٢ - السلوك وتزكية النفوس :

استتروا واستروا	خالد بن علي العنبري	٥	٨
البلاء بين الدفع والاستدعاء	عبدالله الصالح العبيلان	٢،٣	١٢،١٢

١٣ - السياسة الشرعية :

أجوبة العلامة الألباني على أسئلة جبهة الانقاذ - الجزائر	محمد ناصرالدين الألباني	٤	١٥
الديمقراطية والتعددية الحزبية	محمد إبراهيم شقرة	١	٢٦
فصل الخطاب في من لم يحكم بالسنة والكتاب	خالد بن علي العنبري	٦	١٣
مسائل عصرية في السياسة الشرعية	محمد ناصرالدين الألباني	٢	١٦

١٤ - الشعوب الإسلامية :

الأكراد	حمدي عبدالمجيد السلفي	٥	٦٢
الشعب الكردي المسلم والأحزاب والجماعات والحركات الإسلامية	حمدي عبدالمجيد السلفي	٦	٤٩

١٥ - صفحات في النقد الذاتي :

لماذا نخشى النقد ؟	سليم بن عيد الهلالي	٥	٢٦

١٦ - علوم ومعارف قرآنية :

هيمنة القرآن على ما قبله من الكتب والأديان	صفي الرحمن المباركفوري	٥	٢٠

تَنْبِيهٌ وَبَيَانٌ

لتكونوا عوناً لنا على نشر العلم النافع ، وتعميم الفائدة بين المسلمين ؛ سيراً على نهج سلف الأئمة الصالحين، وطرائقهم الخيّرة في الدعوة والتربية.

ولأنَّ كُلّاً منّا - نحن المسلمين - على ثَغرة، فإنّنا نعرض عليكم باباً من أبواب البرّ تفتحونه لأنفسكم؛ ينفعكم - بمنّة الله - في أُخراكم، وذلك من خلال تَبنّيكُم مجموعةَ أعداد من رسالتكم (**الأصالة**) ، ومن ثمّ توزيعها على طُلّاب العلم والحريصين على التعلُّم .

وعليه؛ فإنّنا نرجو منكم - إن رغبتم - تحديداً ما يلي :

أولاً : الكميّة التي ترغبون بتوزيعها :

١ - (٥٠) نسخة . ٢ - (١٠٠) نسخة . - (٢٠٠) نسخة .

٤ - (٥٠٠) نسخة . ٥ - (١٠٠٠) نسخة . ٦ - ( ) نسخة .

ثانياً : الجهة التي ترغبون أن توزع فيها :

١ - البلاد الإسلاميّة الفقيرة .

٢ - تقدمةً للمراكز الإسلاميّة والمجلات الأُخرى والشيوخ .

٣ - المساجد . ٤ - طلبة العلم الفقراء .

ثالثاً : الاشتراك الذي ترغبونه :

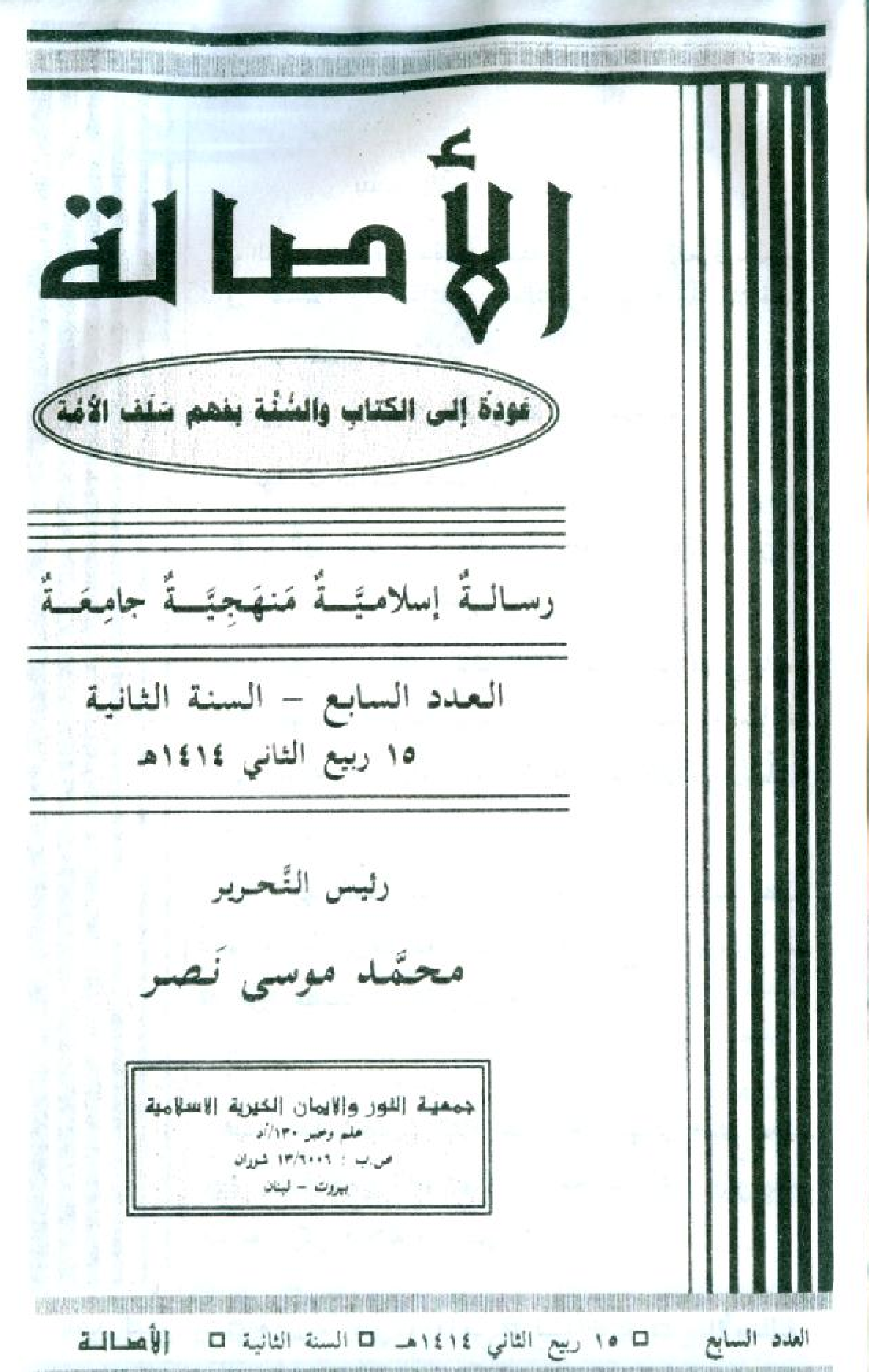
١ - نصف سنوي . ٢ - سنوي . ٣ - أعداد معيّنة .

رابعاً : طريقة التوزيع التي ترغبونها :

١ - أن نُسَلّمها لطرفكم، أو لجهةٍ معيّنة أنتم تُحَدّدونها .

٢ - أن نقومَ نحن بتوزيعها .

خامساً : يُرفق شيك بالقيمة الإجمالية ، على وَفْق المطلوب ، باسم رئيس التحرير .



الأصالة

عودة إلى الكتاب والسُنّة بفهم سلف الأمة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ

العدد السابع – السنة الثانية

١٥ ربيع الثاني ١٤١٤هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

جمعية النور والإيمان الخيرية الإسلامية

علم وخبر ١٣٠/أد

ص.ب : ١٣/٦٠٠٩ شوران

بيروت – لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للَّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

المحتوى

مذهبُ القَلَم السَّلَفي

التحرير

ينطلقُ المرءُ دائماً في ظلِّ إحساسٍ ينفرد به يُسَوِّغُ به تَدخُّلَه لتقويم الاعوجاجِ في أنماطِ الحياةِ .

ولكنَّ المسلمَ يبتعدُ - في أحاسيسه - عن كلِّ الفلسفاتِ الوضعيّةِ ، أو الأفكارِ الأرضيّةِ ، لأنَّهُ في دعوتِهِ يُمَثّل جزءً منَ الرّسالةِ الرّبانيّةِ التي امتطت صهوةَ الحقِّ لِتُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ .

وقد يختلفُ الإسلاميُّونَ في تحديدِ سُلَّم الأولويّات في مناهجهم الدَّعويّة ، إلّا أنَّ القلمَ السَّلفي يأبى إلّا أنْ يَخُطَّ مذهبَهُ بوضوحٍ وجلاءٍ ، **وإنْ كَرِهَ المستعجلونَ** ، وهو التَّوحيدُ **أوّلاً** ، وتربيةُ النَّاسِ عليه ، ودعوتُهم إليه ؛ لِيُعْبَدَ اللَّهُ وحدَه ، ويكونَ الدِّينُ كلُّه للَّه ، وَلِيَخْرُجوا من ظلماتِ الجهلِ إلى أنوارِ العلمِ ، ومِن ضيق الدُّنيا إلى سَعة الدُّنيا والآخرة ، ومِن جَور الأديان إلى عدل الإسلام .

واختلج في صدور طائفةٍ من طُلّابِ العلمِ إحساسٌ إيمانيٌ أصيلٌ تُجاه أُمتهم فأبوا إلّا أن يُؤَذِّنوا في النَّاسِ بالحقِّ - وإنْ كانَ أكثرُهم نياماً - فخرجت رسالةُ « **الأصالة** »،

وعلى قَدْرٍ عالٍ من منهجيّة علميّة تُعنى بتجذير فَهم المسلمين لدينهم ، وبترشيد مسارهم إلى غايتهم ، وتحذيرهم من كيد الشيطان وشرور النَّفس ، كل ذلك على طريقٍ بيِّن من سبيل المؤمنين من السَّلف الصالحين ، وعلى هدايةٍ وتسديد من عُلماءِ الأُمّةِ الرَّبانيِّين .

وها هو قد مضى على ميلادها عامٌ على أرضِ الواقعِ - وإنْ كانت قد عاشت في النَّفس سنينَ عدداً - ومشت علا الأَسَلاتِ مشيةَ واثقٍ باللّهِ ، ثمَّ بدعوةٍ واضحَةٍ وضوحَ الشَّمسِ في رائعةِ النَّهارِ منذُ أن علا صوتُ محمد ﷺ في عاصمة الشرك وقلعة الأوثان يدعو إلى عبادة الرحمن وحده .

وكانت تودُّ أنْ تصدر في عامها الثَّاني - هذا - على مدار الشهور ، ولكنْ ثمَّة عوائقُ تعترض طريقها ، ليست في منهجها ، أو في همّة القائمين عليها ، وإنَّما أهمها - نقولُ ذلك بصعوبة - قلَّة الناصحين ، وتعفُّف أقلام بعض الكاتبين ، وخذلان بعض الأصدقاء المُتفرّجين ، وإرجاف أكثر الحزبيِّين ، وتربُّص جموعِ المنافقين ...

فالمرجوُّ من النَّاصحين : بَذلُ خالص القول ، ومن الكاتبين : إعطاء ثمرة القَلَم ، ومِن الأصدقاء : شدُّ اليَدِ بالخير ، ومِن (سواهم) : السَّعةُ والصَّبرُ وحُسنُ الظَّنِّ .. وإلّا .. فإنَّ اللَّه بهم كفيلٌ ...

ولذلك فما لا يُدرَك كُلُّه لا يُترك جُلُّه ، وأفضل الأعمالِ أدومها وإن قلَّ ، ومن أجل ذا فإنَّ « الأصالة » تستغفر اللَّه من التَّقصير ، ثمَّ تستعذر من عباده المؤمنين في بقائها على نَمَطها في عامها الأوَّل في صدورها كل شهرين مرّة - إلى حينٍ - ، وهي على ثقة من اللَّه العليِّ الأعلى - بمشيئته سبحانه - أنَّه سينسأ في أثرها ، ويُبارك في عمرها ؛ لأنَّها تقتبس أنوارها من مشكاة الوحيين ؛ كتابِ اللّه وسنَّة رسوله ، ومن كان كذلك فلن يكبو أو ينبو أو يخبو بإذن اللَّه تعالى ، وتوفيقهِ ، واللّهُ المستعانُ .

الدَّاءُ ... وَ ... الدَّواء

مشهور بن حسن

من تأمَّل كلامَ اللَّه عزَّ وجلَّ وجدَ فيه بيانَ (الدَّاء) الذي تعيشه أُمَّةُ الإسلام هذه الأيَّام ، و (الدواء) الذي تبحث عنه ، وجاء ذلك مجملاً في آياتٍ ، ومفصَّلاً في أحاديثَ نبويَّة صحيحة ، ووقفتُنا هذه المرَّة مع آياتٍ فيها الحضُّ على الجهادِ ، وبيانُ ما يصيبُ الأُمَّةَ إنْ تَرَكَت هذه الطَّاعة ، وما هو السَّبيلُ منَ الخروجِ مِن الآثارِ السَّيئةِ المترتِّبةِ على تَركِ هذا الفرضِ ؟!

الدَّاء : ﴿ إلَّا تنفرُوا ﴾ ، والأثر المترتِّب عليه : ﴿ يُعَذِّبكُم عذاباً أليماً ﴾ ، وسببه : ﴿ أرضيتم بالحياة الدُّنيا مِن الآخرة ﴾ .

وقد فصَّل رسولُ اللَّه ﷺ سببَ هذا الدَّاء بقوله - فيما أخرجه أبو داود وأحمد عن ابن عمر مرفوعاً - :

« إذا تبايعتُم بالعِينة ، وأخذتم أذنابَ البقَر ، ورضيتُم بالزَّرع ، وتركتُم الجهادَ : **سلَّطَ اللَّهُ عَليكُم ذُلّاً ، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكُم** » .[1]

---

(١) وهو حديثٌ صحيحٌ ، مخرَّج في « السلسلة الصحيحة » لشيخنا الألباني (رقم ١١) .

ففي هذا الحديث تفصيلٌ للرّضى بالحياة الدُّنيا من الآخرة الواردِ في الآيةِ ، وهو التّوسُّع في جمع المالِ ولو عن طريق الحرام ، والركون إلى الأرض ، وحب الحياة ، وكراهية الموت في سبيلِ اللّه (الجهاد) .

وفيه أيضاً إلماعةٌ للأثر المترتِّب عليه ، وتفسيرٌ لقوله تعالى : ﴿ عذاباً أليماً ﴾ بالذُّلّ والصَّغارِ المترتب على هذه الفواحش والمعاصي، وذلك بقوله ﷺ :« سلَّط اللّه عليكم ذلاًّ ».

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه – أنَّ العذابَ الأليمَ المجمل في آياتِ سورة التَّوبة جاءَ مُفصَّلاً في سورةِ الأنعامِ في قوله سبحانه : ﴿ أو يلبسَكُم شيعاً ﴾ ؛ وهذا ذلٌّ ما بعده ذلّ ! كيف ذلك ؟ إنْ تفرّقت الأمّة أحزاباً وشيعاً تداعت عليها الأمم .

وقد كشف رسول اللّه ﷺ عن الأثر المترتّب على داء الرضى بالدنيا من الآخرة ، فقال – فيما أخرجه أحمد وأبو داود عن ثوبان رضي اللّه عنه – :

« يوشك أن تَدَاعى عليكم الأمم من كلِّ أُفُقٍ كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قَصعتِها ، قيل : يا رسول اللّه ! فمن قلّة يومئذٍ ؟! قال : لا ؛ ولكنَّكُم غثاء كغثاء السَّيل ، يُجعل الوهنُ في قلوبكم ، ويُنزعُ الرُّعبُ من قلوبِ عدوِّكُم ، **لحبِّكم الدُّنيا ، وكراهيتكم الموت** » .[1]

أرأيتَ – أخي الحبيب – أثر الرضى بالدنيا ، إنّه الذُّنيا والدّنيّة على الذات بالتفرّق والتشرذُم ونشوء الشيع والأحزاب فيها ، وعلى العدو بالطمع في الخيرات ، والنّهْشِ من جسم الأمّة الإسلاميّة وخيراتها ، والتداعي عليها .

هذا هو الداء ، والأثر المترتب عليه ، وسببه ، ولكن ... ما هو العلاجُ ؟

إنّه التخلّي عن أسباب المرض من خلال « **حتى ترجعوا إلى دينكم** » .

نعم ؛ إنّه التمسُّك بالدين والرجوع إلى فهم الأوّلين له ، والتّحلي بأخلاقهم ، والقيام بالمهمّة التي قاموا بها (العلم) و (التزكية) ، حتى يتمكّن المسلمون من خلال ذلك كُلّه إلى أن يصعدوا ويسعدوا فيحتلّوا (ذروة سنام الإسلام) ، **والسلام** .

---

(١) وهو حديث صحيح ، كما في « السلسلة الصحيحة » (رقم : ٩٥٦) لشيخنا الألباني حفظه اللّه وفسح مدّته .

حين يَنطق الرُّويبِضةُ ...

محمد موسى نصر

عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ :

« سيأتي على النّاس سنواتٌ خدّاعاتٌ يُصدَّق فيها الكاذب ، ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخوَّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة ، قيل : وما الرُّويبضة ؟ قال : **الرجل التافه يتكلَّم في أمر العامّة** » .

رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وغيرهم ، وسنده صحيح [١].

قال ابن الأثير [٢] : « الرويبضة تصغير الرابضة ، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور ، وقعد عن طلبها ، وزيادة التاء للمبالغة ، والتافه : هو الخسيس الحقير » .

قلت : وهذا الحديث عَلَمٌ من أعلام نبوَّته ﷺ ، فإنَّ النَّاظر في واقع النَّاس اليومَ

(١) انظر « الصحيحة » (١٨٨٧) .

(٢) في « النهاية في غريب الحديث » (٢ / ١٨٥) .

يرى « الرويبضة » قد ركب المنابر ، ونَعَبَ مِن عليها – وهي تئنُّ وتشتكي إلى اللّه – نَعيب الغُربان ، ونَعِقَ نَعيق البوم في الوديان ، فلا تسأل بعد ذلك عن خراب الديار والأوطان !

وآخرون من الرُّويبضات تسمع لهم نبيباً كنبيبِ التُّيوس في الزَّريبة ، يَتباكَونَ على مصير الأمَّة ، وهم مُصيبةٌ من أعظمِ مصائبها ، يَحسَبون كلَّ صيحة عليهم ، يقولون في دين اللّه بلا علم ، وبلا دراية ، وبلا هداية ، ليفتروا على اللّه الكذبَ ، وما علموا أنَّهم بذلك لا يُفلحون .

وهم كالحِرباء المتلوّنة لا تُعرف لهم حال ، ولا يستقرُّ لهم قرارٌ ، وليس لهم هويةٌ تميزهم ، يميلون مع مصالحهم حيث مالت ، ويركبون كلَّ صعب وذَلُول للوصول إلى مراكِزِهم ولو بِنَهشِ البُرَءاء ، والتطاول على العظماء ، ورميهم بالزور والافتراء .

وبعضُ هؤلاء الرُّويبضات يطعنون الإسلامَ باسم الإسلام ، وتراهم يتباكون على الإسلام وهم أبعد النَّاس عنه ، وكم لاقى الإسلامُ وأهلُه منهم .

يُسمُّون التَّمسُّك بالإسلام تطرفاً ، ونَسُوا – أو تناسَوا – أنَّ التطرُّف : هو الانحلال الخُلُقي والمسخ الخَلْقي الذي يعيشون ، ولكنّها كلمةٌ خرجت من أفواههم إفكاً وظلماً تلقّوها من أساتذتهم أبناء ماسون ! فنعقوا بها في كلِّ وادٍ ونادٍ ، وبها يتيهون ويهيمون ، ونقنقوا بها نقنقة الضفادع الغائرة في الطين ، وليتهم عرفوا مدلولَها الشرعيَّ فهي حُجَّة عليهم ، لكنّ مصيبتهم أنّهم لا يُحسنون إلّا ترديد الببغاوات .

ومِن خِصالهم – وقد ركبوا دفّة الأعلام والصحافة ، ووُسِّد الأمر إليهم بعد أن

أُقصِيَ عنه خيار هذه الأمَّة ، وطردوا طرد الإبل الغريبة - أنَّهم ينشرون ما لَهم ولو كان في غاية الغثاثة ، ويحذفون ولا ينشرون ما عليهم ولو كان حقاً ظاهراً .

دَيدنهم الكذب ، وشعارهم التدليس ، لا يَرقُبون في مؤمن إلاَّ ولا ذِمَّة ، نذروا أنفسهم للشيطان ، وتمرَّدوا عن طاعة الرحمن ، وفسقوا عن أمر ربِّهم خالق الإنس والجان ، إذا رأوا عالماً أو طالبَ علم وَلَغوا في عِرضِه ولوغ الذئاب في الشياه ، فتارة يتغامزون ، وأخرى يهمزون ويلمزون ، غافلين عن قول الحق : ﴿ ويلٌ لكل هُمَزَة لُـمَزَة ﴾ وقوله : ﴿ إنَّه كانَ فريقٌ مِن عِبادِي يقولون ربَّنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الرَّاحمين فاتّخذتموهم سِخرِيّاً حتى أنْسَوْكم ذِكري وكُنتم منهم تضحكون إنّي جزيتُهم اليوم بما صبروا أنَّهم هم الفائزون ﴾ .

هل سمعتم - أيُّها العُقَلاءُ ! - أنَّ جمعاً من الرُّوَيبضات - ثلثه نصارى ، وثلثٌ آخر سكارى ، والبقيّة حيارى - يُفاوض على تقرير مصير أُمَّة ، وتغيير تاريخ أجيال تحت شعار : ﴿ وَإِنْ جَنَحوا للسَّلمِ فاجْنَح لها ﴾ ؟!!

إنَّه لن يكونَ حالُ الأمَّة أسوأَ ولا أقبحَ من حالها حينما يعلو الزبدُ ، وما ينفع النَّاسَ يذهب جفاءً ، حينما ينطق فيهم الرويبضةُ ويصول ويجول ، وتخلو له الساحة؛ حينئذٍ : (ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب) ، وويل لهم من شَرٍّ غائب يُنتظر .

وليس لها من دون اللّٰه كاشفةٌ ، فَفِرُّوا يا عباد اللّٰه إلى اللّٰه واعملوا بالشرع وأحكامِه ، به زنوا الأمورَ والأحداث والأشخاص ، وإيّاكم والانتكاس ، إنّي لكم نذيرٌ مُبين .

واللّٰهُ معَ الصادقين .

أعظمُ الذُّنوبِ : الشركُ

شاكر بن توفيق العاروري

عن عبدالله بن مسعود قال : سألت النَّبي ﷺ : أيّ الذَّنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك » ، قلت : إنَّ ذلك لعظيم ، قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تقتلَ ولدَك تخاف أن يطعَم معك » ، قلت : ثم أيّ ؟ قال : « أن تزاني بحليلة جارك » [(١)].

اعلم - أخا الإيمان - أنَّ أعلى ما يتوصّل العبدُ إليه في مقامات العمل هو التوحيدُ الخالصُ ، والخضوعُ التامُّ لله عزَّ وجلَّ مع غاية الذُّلّ وكمال المحبَّة ، كما قال تعالى : ﴿ وَما أُمِرُوا إلّا ليَعبُدوا اللَّهَ مُخلصين له الدِّين حُنفاءَ ويقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزَّكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

ولا ينحدرُ العبدُ عن هذا المقام إلّا إذا تطلّعت نفسه إلى زُخرُف الدنيا وزينتِها ، ومدَّ عينيه إلى ما متَّع اللّهُ به أهلَ الدنيا ، فمن نزّل نفسه هذه المنزلة

(١) أخرجه البخاري (٤٢١/١٣) ، ومسلم (١٤١) .

تفرّغ قلبه لما توجّه إليه ، وانخلع عمّا كان فيه من التوحيد والإخلاص ، وأبدله بكفرٍ أو نفاقٍ ومكرٍ ؛ ليُرْضي مَن جعله بديلاً في قلبه وهو النِّدُّ .

والنِّدُّ هو نظير الشيء الذي يعارضه في أموره ، وهذا لا يكون إلّا إذا احتلَّ الشَّريكُ في القلب منزلةً تساوي منزلةَ صاحبِ الحقّ الأصيل أو تفوقه ، فإذا كان ذلك كذلك صُرِفَ ما كان واجباً للّه للنِّدِّ الدُّون من عبادةٍ قوليَّةٍ أو فعليَّةٍ ، ولذلك ألوانٌ وأوصاف .

ولفظ النِّدّ في كتاب اللّه اقترن مَع الحبِّ تارة ومع الإضلال أُخرى ، وكلٌّ منهما مُتمِّمٌ الآخرَ ، فلا يمكن أن يكون في قلب المرء شريكٌ للّه إلّا إذا بلغَ الشريكُ محبَّةً تساوي محبَّة ربِّه عزَّ وجلّ كما قال اللّه تعالى : ﴿ ومِن النَّاس مَن يتّخذ مِن دون اللّهِ أنداداً يحبُّونهم كحبِّ اللّه والذين آمنوا أشدُّ حبّاً للّه ﴾ .

وهذه قاعدةُ الإضلال والضَّلال ، كما قال اللّه تعالى : ﴿ وجعلوا للّه أنداداً لِيُضلُّوا عن سبيله ﴾ ، فمن أحبّ شيئاً أطاعه ولم يعصه ، ومن أطاع شيئاً التزم أمرَه ونهيَه ، وجعل كُلِّيَّته لمحبوبه ، فيسلكُ سبيلَه ويتركُ ما سواه ، وما تنكّب أحدٌ سبيلَ اللّه إلّا كان ممن قد ضلّ وأضلّ .

وهذا كلّه لا يكون إلّا بالكفر باللّه تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ إذْ تأمرونَنا أن نكفُرَ باللّه ونجعَلَ له أنداداً قل تمتَّعوا فإنَّ مصيركم إلى النَّار ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ له أنداداً لِيُضِلَّ عن سبيله قل تمتَّع بكفرك قليلاً إنَّك مِن أصحاب النَّار ﴾ .

وكذلك لا يكونُ ذلك إلّا بالبُعدِ عن اللّه وجُحود نعمه وتفضُّله ونُكرانِ

رعايتِهِ وعظمته وسؤدده ، كما قال سبحانه : ﴿ قل أئنّكم لتكفرون بالذي خلق السمواتِ والأرض وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين ﴾ .

من أجلِ هذا جعلَ اللّهُ تبارك وتعالى الشّركَ أعظمَ الذنوب وأقبَحها ؛ بقوله على لسان لُقمانَ في وصيّته لولده : ﴿ يا بُنيَّ لا تُشرِك باللّه إنّ الشّركَ لظلمٌ عظيم ﴾ .

وأيُّ ظلم أعظمُ من أن يجعل العبدُ طاعته لغير خالقه ومُدبِّر أمره ورازقه ؟

وأيُّ ذنب أعظمُ من أن يُطاع الخلق في التحليل والتحريم ويعصى الخالق ؟

وأيُّ ذنب أعظم من أن يُنبذ كلام اللّه وشرعه ؟

وأيُّ ذنب أعظم ممن يدعو غير ربّه ويظن أنَّ النفع والضرّ لا يكون إلّا ممن خلقه ؟

إنَّ من كانت هذه عقيدته ووجهته فإنّه قد أقحم نفسَه بابَ الكفرِ ، وهو الذنب الذي لا يغفره اللّه تعالى ؛ كما قال سبحانه : ﴿ إنَّ اللّه لا يغفر أن يُشركَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

وعن أبي الدرداء رضي اللّه عنه قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « كلُّ ذنب عسى اللّه أن يغفره إلّا من مات مشركاً ، أو مؤمن قتل مؤمناً » [(١)].

واعلم – أخا الإيمان – أن الشركَ محبطٌ للعمل كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُل أفغَير اللّه تأمرونّي أعبدُ أيها الجاهلون . ولقد أُوحِيَ إليك وإلى الذين مِن قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملُك ولتكوننَّ من الخاسرين ﴾ .

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٧٠) بإسناد صحيح .

ومن مقاماتِ العبادة الشركيةِ المعاصرةِ الاستغاثةُ بغير اللَّه ، والذبحُ لسواه ، وكذا دعاءُ غيره ، والتحاكُم لغير شرعه ، والرضا بغير حُكمه .

ولأجل هذا كُلّه بيَّن اللَّهُ تعالى لأهل الإيمان السبيلَ الذي يجب عليهم أن يسلكوه ، ولا يتردّدوا في الأخذِ به ، فقال سبحانه : ﴿ قل إنَّني هداني ربِّي إلى صراطٍ مستقيمٍ ديناً قِيَماً مِلَّة إبراهيمَ حنيفاً وما كان من المشركين . قل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي للَّه ربِّ العالمين ﴾ ، فإنَّ هداية اللَّه لعباده تُخَلِّصُهم من الشرك وشوائبه ، فلا ترى في قلوبهم حُبّاً لغيره ، ولا امتثالاً لأمر سواه ، ولا تشريكاً في طاعته ﴿ لكنَّا هوَ اللَّهُ ربِّي ولا أُشرك بربِّي أحداً ﴾ .

واعلم - أخي - أنَّ الذنبين الثاني والثالث - أعني القتل والزنى - غالباً ما يكونان مع الشرك باللَّه في النهي متوانيَين في الذكر ، لأنَّهما كلَّها جرائم قتلٍ في الحقيقة ، فالجريمة الأولى جريمة قتل الفطرة ، والثانية جريمة قتل الجماعة ، والثالثة جريمة قتل النفس المفردة .

وأصدقُ شاهدٍ على ذلك قولُه تعالى في وصف عباد الرحمن الذين طهّروا قلوبهم وأيديهم وفروجَهم : ﴿ والذين لا يَدعونَ معَ اللَّهِ إلهاً آخرَ ولا يقتلونَ النَّفسَ التي حرَّم اللَّهُ إلّا بالحقِّ ولا يزنون ومَن يفعَلْ ذلك يَلقَ أثاماً . يُضاعَفْ له العذابُ يومَ القيامة ويَخلُدْ فيه مُهاناً . إلّا مَن تابَ وآمنَ وعَمِل عملاً صالحاً فأُولئك يُبدِّلُ اللَّهُ سيئاتِهم حسناتٍ وكان اللَّه غفوراً رحيماً ﴾ .

نسأل اللَّه عزَّ وجلَّ الثباتَ على الإيمان ، وعدم الزيغ عن الفرقان ، وأن يجعلنا ممن يحفظون حدوده ويتّقون عقابه .

١

نحو النَّفسيّة المستسلمة للَّه

محمد عيد عباسي [١]

ظاهرةٌ خطيرةٌ شاهدتُها لدى كثير ممن يتصدّون للدعوة إلى اللّه عز وجل ، استرعت انتباهي ، وأحببت أن أُذكِّرَ بها إخواني المسلمين ، وبخاصَّةِ الدعاة منهم ؛ عملاً بقوله ﷺ : « الدين النصيحة »[٢]، لأنَّ المسلمين نَصحة بعضهم لبعض ، بينما المنافقون الكافرون بعضهم لبعض غَشَشَةٌ ، فلا يجوز لمسلم أن يرى أخاه واقعاً في خطأ ، أو مُشرفاً على خطر ثمَّ يتركه وشأنه ، وإن فعل فهو الشيطانُ الأخرسُ .

تلك الظاهرةُ هي أنَّ كثيراً من المسلمين عامَّتهم وخاصَّتهم يُخِلُّون بشرط هامٍّ من شروط الإسلام ، بل بصفة أساسيّة فيه ، تلك هي صفةُ الاستسلام لأمر اللّه سبحانه ، والتَّسليم لما جاء عن نبيّه ﷺ دون احتجاج أو اعتراضٍ .

إنَّ اسمَ هذا الدين الحنيف - وهو الإسلام - قد استُمِدَّ من هذا المعنى ، فهو

(١) نشكر الأخ الفاضلَ الكبيرَ الأستاذ أبا عمّار - حفظه اللّهُ ونفع به - على مشاركته المباركة هذه ، والتي وَعدَ أن يتلوها مشاركات أخرى ، وذلك منه - جزاه اللّه خيراً - في أوّل رجعةٍ علميّة كتابيّة بعد أن فرّج اللّه كربه ، ومنّ عليه بالحُرِّيَّة . (الأصالة) .

(٢) رواه مسلم عن تميم بن أوس الداري رضي اللّه عنه .

خضوعٌ كاملٌ من الإنسان لربِّه ومولاهُ تبارك وتعالى دون توقُّف أو تردُّد ، ودون تلكُّؤ أو تحرّج ، ولذلك فلا يستحقُّ إنسانٌ هذا الاسمَ إلّا إذا تحلّى بمضمونه تماماً ، وإلّا عُدّ كاذباً .

إنَّه إمّا أنْ يكونَ الإنسانُ مسلماً فهو قد أسلم أموره كلها للّه سبحانه وتعالى ، ورضي بحكمه وصرّف نفسه وهواه وما يملك كما يحب اللّه ويريد ، وإمّا أن لا يكون ، فهو يُسلم أموره كلها لغير اللّه سبحانه ، سواءٌ كان ذلك هوىً متبعاً ، أو ظنوناً عقليّة ، أو تقاليد قديمة ، أو صنماً، **أو زعيماً** ، **أو حزباً** ، أو غير ذلك .

إنّه إمّا أن يكون المرءُ مسلماً فهو عبدٌ للّه عز وجل وحده يفعل كما يفعل العبد ، ويقف موقف العبد يطيع ويخضع ، ويستسلم لمولاه ويسمع ، فلا يكون له هوى غير ما يحب اللّه ، ولا رغبة غير ما يرضى اللّه ، ولا غاية غير غفران اللّه ، أو لا يكون مسلماً ؛ فهو عبدٌ للعقل ، أو للشهوة ، أو للدنيا ، أو للسلطان ، أو للحزب ، أو للزعيم ، أو للعادة ، أو لغير ذلك .

فلا يكفي لادّعاء الإسلام أن يشهدَ المرءُ بالشهادتين ويُؤدّي العبادات وغيرها ، **ويُظهر الحماسة للدين** ، ثمّ إذا عرضت له آيةٌ كريمةٌ أو حديثٌ شريفٌ صحيحٌ عارضهما بهواه ، وخالفهما بفعله ، واستخفّ بأحكامهما في سلوكه .

وليس معنى ذلك أنني أغالي وأنفي أن يقعَ المسلم في معصية أو يُلمّ بذنب ، أو أني أُكفّر من يفعل ذلك كما هو شأنُ الخوارج المارقين ، **كلا ثمّ كلا** ، فأنا أعلم أنّ المعصومَ مَن عصمَه اللّه وحده سبحانه ، وما من إنسان إلّا ويقع في الخطيئة قَلّتْ أو كَثُرتْ ، ورسولُ اللّه ﷺ يقول : « لو لم تُذنبوا لجاء اللّهُ تعالى بقوم يُذنبون ليغفر لهم » .(١)

بل قد بيّن النبي ﷺ خطَراً أكبرَ من الذنوب ، ذلكم هو التكبّر والإعجابُ

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » عن ابن عباس ، وصححه أستاذنا الألباني في « صحيح الجامع » (رقم : ٥٣٠١) .

بالنَّفس ، وهو من المُهلكات ، فقال ﷺ : « لو لم تكونوا تذنبون لخِفتُ عليكم ما هو أكبرُ من ذلك : العُجْب ، العُجْب » .[١]

وقد اقتبس الشيخ ابن عطاء من ذلك حكمتَه المشهورةَ فقال - وصدق - : « رُبَّ معصيةٍ أورثت ذلّاً وانكساراً خيرٌ من طاعة أورثت عُجباً واستكباراً » .

أعرف - بحمد اللَّه - ذلك لكنّ الذي أقصده غير ذلك ، إنّني أُنكر جدّاً أن يُذكَر مسلمٌ يخالف حكماً شرعيّاً أو أدباً إسلامياً بهذا الحكم أو الأدب وما وَرَدَ فيهما ، ويتثبّت من ذلكَ ، ثمّ يعترض عليه ، أو يرفضه ، أو يناقشه بعقله القاصر ، ليسوّغ مخالفته إيّاه ، أو يصرّ مع ذلك على رأيه بعد وضوح الحق له ، ولا يعترف بخطيئته ومخالفته !!

إنّه من الطبيعيّ أن يصدر من المسلم ذنوبٌ صغائرُ وربّما كبائر ، ولا غرابة في ذلك ، ولكن من غير الطبيعيّ أن يصدر منه اعتراضٌ على حكم من أحكام اللَّه سبحانه ، أو ردٌّ لتعليم من تعاليمه !

إنّ من الممكن أن يقع مسلم في شرب الخمر أو الزنا أو السرقة أو حتى القتل ، لكن لا يجوز أن يقع مسلم أبداً في جعل عقله حكماً ، وهواهُ مرجعاً ، وتفكيره ميزاناً لأوامر اللَّه سبحانه ونواهيه ، فلا يقتنع إلّا بما مالت إليه نفسه ، ولا يُقر إلّا بما قد فهمه عقله ، أو بما وجد له فيه مأرباً ومصلحة .

إن من المفهوم أن يقع مسلمٌ في الزنا نتيجة غفلة أو ضعف إيمان أو ظروفٍ خاصةٍ ، ثمّ يرجع إلى نفسه فيندم ويقرُّ بذنبه ، ويلجأ إلى ربّه ويستغفره تائباً منيباً بصدق وإخلاص ، ولو تكرّر هذا مئات المرات ، لكن من غير المفهوم أن يقع مسلم في الزنا ثمّ يصرُّ عليه ولا يرجع إلى نفسه ، ولا يتوب ولا يؤوب ، ويسوّغ فعله ويلتمس له الفتاوى من هنا وهناك ، وهو أوّل العارفين ببطلانها .

وقد لا يجرؤ الكثيرون على الاعتراض على أحكام اللَّه في مثل هذه الأمور

(١) رواه البيهقي في « الشعب » ، وحسّنه أستاذنا في « صحيح الجامع » (٥٣٠٣) .

المسلَّمة المعلومة من الدين بالضرورة ، ولكنَّهم يقعون في أشياء استهان بها كثيرٌ من النَّاس ، وحَسِبوها صغائر ، وهي عند اللّٰه عظام .

كنت في مجلسٍ فشرب أخٌ كريمٌ بشماله ، فنبَّهتُه بلُطفٍ على أنَّ الواجبَ الشربُ باليمينِ ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يحبُّ التيامُن في كلِّ شيء ، وذكرتُ له شيئاً مما فيه الوعيد للشارب أو الآكل بشماله وسردت له بعض ما ورد في ذلك ، فما كان منه إلّا أن قال : « ما فيها شيء ، اليمين والشمال كلاهما عضوان خلقهما اللّٰه ! ولا فرق بينهما ! فلا تتشدَّدوا في الدين » !! فبيَّنْتُ له أنَّ اللّٰه الذي خلق هذين العضوين أمَرنا امتحاناً لنا بواسطة نبيّه ﷺ أن نُخصِّصَ اليمين بالأفعال الكريمة الشريفة ، والشمال بالأفعال المستقذرة ، فأصرَّ على رأيه ، وقال : إذا كنتُ متكئاً على يميني فأشربُ بيساري ، ولا حاجة لأن أُتعب نفسي وأغيِّر قِعْدَتِي والدين يسرٌ !! وأعدت عليه القولَ : حقاً إنَّ الدين يُسرٌ ، لكن ليس معنى يُسره أن نسمح لأنفسنا الوقوع في المخالفات ونَفْسُق عن أمر ربنا بالمحرمات ، فنحن مأمورون باجتنابها كلِّها ، فقد قال المصطفى ﷺ : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فَأتوا منه ما استطعتم »(١) ، فالحرام واجب تركهُ ولم يقيد باستطاعةٍ بعكس الواجبِ ، فَيُؤَدَّى بحسب الاستطاعة ، لكنّه أجاب : إنَّ هذه من الأمور الصغائر ولا خطر فيها ، وهي قشورٌ وعلينا أن نهتمَّ باللباب من الدين والجوهرِ من أحكامه !!

ويقع مثل ذلك كثيراً مع آخرين ، يلبس أحدهم خاتماً من ذهب ، أو ثوباً من حرير ، أو قُبَّعة خاصَّة بالكفَّار ، أو يعزف الموسيقى أو يستمعها ، أو يرتاد السينما أو يُؤخِّر الصلاة ، أو يُجامل أعداء اللّٰه فيهنِّئ الكافرين بأعيادهم ، أو يحضر مجالس يُعصى فيها اللّٰه ، أو يلعب النرد (الطاولة) ، أو يشرب قائماً ، وما شابه ذلك .

وهي جميعاً مُخالفاتٌ ظاهرةٌ تُخالفُ حقيقةَ النَّفسيةِ المستسلمةِ للّٰه عزَّ وجلَّ .

(... للبحث صلة)

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة .

اتِّهامُ أهلِ الحقّ بغير حقّ

علي بن حسن

حكى الإمام الذهبي في « سِيَر أعلام النبلاء » (١٣ / ١٧٤) : « أنَّه قيل لعبدالوهاب الورَّاق : إنْ تكلَّم أحدٌ في أبي طالبٍ والمرّوذي [١] ؛ أمَا البُعدُ عنه أفضل ؟! قال : نعم ؛ **مَن تكلَّم في أصحاب أحمدَ فاتَّهِمْهُ** ، ثم اتَّهِمه ، فإنَّ له خِبيئةَ سوءٍ ، **وإنَّما يُريدُ أحمدَ** » .

وهذا أُسلوبٌ حلَزونيٌّ ملفوفٌ - **لكنَّه مكشوف** - للطعن بعُلماء السنَّة وحَملتها ، ودُعاتها ، الذين هم علاماتٌ هاديةٌ إليها ، وأَمارات ساطعةٌ عليها .

إذ لما أَيِسَ ذوو الأهواء المُضِلَّة ، وأصحابُ المناهج المختلَّة من القَدحِ بدعوة الحقّ ، وبراهينها ، وحُجَجها ، رَأَوْا أنَّ (أسلم) طريقٍ لهم لإبعاد النَّاس عن هذه الدَّعوة الحقَّة هو الطَّعن برموزها ، والقدحُ بهُداتها !!

ولكنْ صاحبُ هذا الأسلوبِ - أو هذه الطريقة - قد احترقت أوراقه ، وخابت رَمياته ، وتنبَّه أهلُ الحقِّ لهذه المصيدة المنصوبة لهم :

فقد روى أبو عُثمان الصابوني (رقم ١٦٤) والخطيبُ في « شرف أصحاب الحديث » (ص ٧٤) أنَّ أحمد بن الحسن قال لأحمد بن حنبل : يا أبا عبدالله !

---

(١) وهما من تلاميذ أحمد والآخذين عنه .

ذكروا لابن أبي قُتيلة بمكّة أصحاب الحديث ، فقال : أصحابُ الحديث قومُ سوءٍ !! فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول : « زنديق زنديق » ، حتى دخل البيت !!

وعلّق شيخُ الإسلام ابنُ تيمية على هذا الخبر في « مجموع الفتاوى » (٤ / ٩٦) - بعد إيراده - بقوله : « **فإنّه عرف مغزاه** » .

نعم ؛ فإنّ مغزى أهلِ الانحراف من المبتدعة وأشباههم معروفٌ لكلِّ مَن أنصفَ نفسَه ، فالميزان عند أهل السنّة واضحٌ بيِّنٌ :

قال الإمامُ قُتيبة بن سعيدٍ في « كتاب الإيمان » [1] : « إذا رأيتَ الرجلَ يُحِبُّ سفيان الثوري ، ومالك بن أنس والأوزاعي و ... و ... فاعلم أنّه صاحبُ سنّة » .

وفي « الكفاية » (ص ٤٨) للخطيب البغدادي أنَّ أبا زُرعة الرازي قال : « إذا رأيتَ الرجلَ ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنّه زنديق ؛ وذلك أنَّ الرسولَ عندنا حقٌّ ، والقرآنَ حقٌّ ، وإنّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسُّننَ أصحابُ رسول الله ﷺ ، **وإنّما يُريدون أن يجرحوا شهودنا ليُبطِلوا الكتابَ والسنّة** ، والجرحُ بهم أَولى ، وهم زنادقةٌ » .

إذَنْ ؛ فإنَّ مُراد الطاعنين ليس أولئك الأعلامَ أو أصحابهم ، أو من سارَ على نهجهم - بأشخاصهم - ، وإنّما هو الدّعوةُ الحقّ ، والمَنْهَجُ الرّشيد ، والصِّراط القويم .

قال الإمام أحمد بن حنبل : « إذا رأيتَ الرَّجلَ يغمزُ حمّاد بن سَلَمة ؛ **فاتَّهِمْهُ** على الإسلام ، **فإنّه كان شديداً على المبتدعة** » - كما في « السِّيَر » (٧/٤٥٠) - .

وعليه ؛ **فإنَّ الطَّعن اليومَ بعُلماء السنّة** ؛ كابن بازٍ ، والألباني ، وابن عثيمين ، ونحوهم ، **أو تلامذتهم** الناشرين لعلوم الوَحيَين **هو طَعنٌ بالسنّة ومنهجها ودعوتها** .

فليتنبّه لهذا الخطر الدّاهم المُخلصون من المسلمين ، والصادقون من طلبة العلم .

... وكلُّ ما سبقَ لا يُناقضُ **الحوار والتنبيه** ، إذ فَرقٌ بين هذا وبين **الإقذاعِ والتشويه** ... كما هو واضحٌ - بحمد الله وتوفيقه - .

---

(١) كما في « عقيدة السلف أصحاب الحديث » (ص ١٠٨) .



مصائبُنا .. مَن وراءَها ؟!

الأسباب . والعلاج

عدنان العرعور

للنَّاسِ في تحليلِ ما أصابنا وما يُصيبنا وما سيصيبنا من مصائب ، وكوارث ، وفقر ، وجوع ، وظلم ، وهزائم ، وشجون ، واحتلال ، ونهب لأموالنا، وهدم لديارنا ، وفَشَل في ردّ كيد أعدائنا : مذاهبُ شتَّى ؛ منها ما يُنيطُ كلّ ذلك بأعدائها ، وقوتهم وبأسهم وتخطيطهم ، وكيدهم ، ومنها ما يرى أنَّ هذا كلَّه بما كسبت أيدينا ، ومن تقصيرنا في حق ديننا .

ولمعرفة الصواب من هذه المذاهب ننظر في ميزان ذلك ، ألا وهو ميزان الكتاب والسنَّة ، قال تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ... ﴾ ، ﴿ وما أصابك من سيّئة فمن نفسك ﴾ .

قال جمهور السلف : « من نفسك بذنبك » .

وقال قتادة : « عقوبة لك يا ابن آدم بذنبك » [1] .

ومجيء « مصيبة » و « سيئة » نكرةً في سياق النفي تُفيد عموم المعصية وعموم

(١) « تفسير ابن كثير » (١ - ٥٢٨) .

السيئة بلا استثناء ، صغيرةً كانت أو كبيرةً ، خارجية كان مصدرُها أو داخلية .

قال ﷺ : « ما اختلج عِرقٌ ولا عينٌ إلّا بذنب ، وما يدفع اللّهُ عنه أكثر » [١] .

وما حصل في غزوة أُحُد من هزيمة عُلِّق بما كسبت أيدي المؤمنين :

﴿ ... حتى إذا فَشِلْتُم وتنازعتم في الأمر وعَصَيْتُم ﴾ ، ﴿ أَوَلَـمَّا أصابتكم مصيبةٌ قَد أَصَبْتُم مثليها قُلتم أنّى هذا قُلْ هو من عند أنفسكم إنَّ اللّه على كُلِّ شيء قدير ﴾ .

وما حدث في حُنين من التولّي ، أُنيط بما كسبت أيديهم :

﴿ ويومَ حُنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تُغْنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرضُ بما رَحُبت ثم ولّيتم مُدبرين ﴾ .

وقال ﷺ : « المصائبُ والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء » [٢] .

فكيف يكون الجزاء ؟!

هل يكون ناراً من السماء تسقطُ ؟ أو ملائكة تَـجْلِدُ ؟

كلّا ؛ ... إنّه المرض والجوع والتشرُّد والتقتيلُ على أيدي الأعداء ، وغير ذلك ممّا نراه قد نزل بشديدِ بأسٍ على الساحة الإسلامية .

قال ﷺ : « خمسٌ بخمس : ما نقض قومٌ العهدَ إلّا سُلِّط عليهم عدوُّهم ، وما حكموا بغير ما أنزل اللّه إلّا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشةُ إلّا فشى فيهم الموت ، ولا طَفّفوا المكيال إلّا مُنعوا النبات ، وأُخذوا بالسنين ، ولا مَنعوا الزكاة

---

(١) « صحيح الجامع » (٥٥٢١) .

(٢) « صحيح الجامع » (٦٧١٧) .

إلّا حُبس عنهم القَطْر » (١) .

ولمّا هدم اللّهُ سدَّ مأرب لم يُرجع اللّهُ ذلك إلى أسباب مادية رُغم وجودها ، بل علّقها بإعراضهم وظُلمهم ، وأناط الفعلَ بنفسه ، ثم كرّر ذلك سبحانه : ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليه سَيْلَ العَرِمِ ﴾ ، ﴿ وظلموا أنفسَهم فجعلناهم أحاديثَ ومزّقناهم كلَّ ممزَّقٍ إنَّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبارٍ شكور ﴾ .

ولو أردنا تتبع الباء السببية في عقوبة الخلق في كتاب اللّه لطال بنا المقالُ ... والعاقلُ يكفيه الدليل والدليلان .

وبناءً على هذا المفهوم كان أفرادُ الطائفةِ المنصورةِ الأُولى يُرجعون كلَّ مصائبهم وهُمومهم وأمراضِهم الفرديّة والجماعيّة إلى ما كسبت أيديهم .

حتى إذا شاكت أحدَهم شوكةٌ أرجع هذا إلى ذنبٍ فَعَلَه عملاً بقوله ﷺ : « لا يصيب رجلاً خدشُ عود ، ولا عثرةُ قدم ، ولا اختلاج عِرق إلّا بذنب ، وما يعفو اللّهُ أكثر » (٢) .

قال ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحذَر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبَهم فتنةٌ ﴾ : أي : عن أمر رسول اللّه ﷺ وهو سبيله ومنهاجُه وطريقته وسنَّته وشريعته .. ، ﴿ أو يصيبهم عذابٌ أليم ﴾ أي : في الدنيا بتقتيل أو حدّ أو حبس أو نحو ذلك » (٣) .

---

(١) « صحيح الجامع » (٣٢٤٠) .

(٢) رواه ابن جرير (٨ / رقم ٩٩٦٩) ، وانظر « صحيح الجامع » (٧٦٠٨ ، ٧٦٠٩) (٥٦٣٩ ، ٥٦٢٤ ، ٥٦٩٤) .

(٣) « تفسير ابن كثير » (٣ / ٣١٩) .

وأوجز ابنُ القيم هذا فقال :

« فكلُّ نقص وبلاء وشرّ في الدنيا والآخرة فَسَبَبُهُ الذنوبُ ومخالفةُ أوامر الربّ ، فليس في العالم شرٌّ قط إلّا والذنوب مُوجبتها » [1] .

ولقد أصبح هذا المفهومُ الحقُّ ، الذي يجبُ أن نُرَبّي عليه جيل الصحوة – أي : ما أصابنا بما كسبت أيدينا ، وما أنعم اللّه علينا فبفضله ورحمته – لقد أصبح عند كثير من الدعاة والخطباء والوعاظ نسياً منسياً ، بل راحوا ينكرون على من يؤكد هذا المفهوم **بدعاوى باردة لا وزن لها في الكتاب والسنّة !!**

إنَّ من نافلة القول أن نقول :

إنَّ الجسم لا يمرض إلّا إذا كان ضعيفاً في مقاومته ، عليلاً في مناعته ، وأنَّ السدّ لا يُهدم من قوة الماء إذ لو كان يهدم من قوتها فَحَسْبُ ، إذن لما بقي سدٌّ على وجه الأرض ولكن السدّ يهدم من ضعف مقاومته .

إنَّ مَثَلَنا ومثلَ إخواننا : مثل الطبيب الذي يُغَذّي الجسم ، ويُقَوّي المناعة ، ويعملُ لوقايته حتى إذا جاءَه المرض – أيُّ مرض – صدَّه ، وفي نحره ردَّه .

ومَثَلُهم كمثل الطبيب الذي يتحدّث عن الجراثيم وأنواعها ، والأمراض وأخطارها ، ويهمل مداواة الجسم ووقايته ، فتضعف مناعتُهُ ، فإذا جاءَه المرض – أيّ مرض – استفحل فيه وأهلكه .

ومَثَلُنا ومَثَلُهم : كمثل رجل رأى سيلاً قادماً فأنذر قومه :

فقام فريقٌ منهم – بصمت – يبنون سداً ، ويحفرون مجرىً ، ويدعمون بيوتهم ، ويحمون أهليهم .

---

(١) « المدارج » (١ / ٤٢٤) .

وقام فريقٌ آخرُ منهم يتحدّثون عن قوة السيل ، وعن ارتفاع الماء ، عن مصدره عن قوّة تدميره ، عن ما فعل بالقرية المجاورة ... وعن ... وعن ... فأشغلهم ذلك عن أهليهم وبيوتهم .

فأيُّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعقلون ؟!

ولقد اعتاد هؤلاء الدعاةُ أن يُلْقُوا تبعيّةَ ما يصيب المسلمين على أعدائهم ، وفضلاً عن أن هذا مخالفٌ للمنهج الرباني ، والهَدْي النبوي ، فإن فيه مفاسدَ عظيمة ، ومضارّ بالغة ، منها :

أولاً : مخالفته لمنهج الكتاب والسنة في تحليل الوقائع .

فاللّه سبحانه ألقى تَبِعَةَ هزائمِ أُحُد وحُنين على المسلمين أنفسهم لا على الكفار الّذين فعلوا ما فعلوا ، كما سبق بيانه .

بل إنَّ رسول اللّه لما شرع في القنوت يلعن الكفار ، أنزل اللّه قوله : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ فتدبّر .

ثانياً : تعظيمٌ للكفّار في نفوس المسلمين ، وأنهم وراء كل مصيبة تَحُلُّ بهم ، مما يزيد هيبة الكفار في نفوس المسلمين رَهَقاً .

ثالثاً : دبُّ الوهن واليأس والقُنوط في قلوب المسلمين الذين هم ضعيفو الإيمان، ضعيفو اليقين ، ضعيفو الفهم لهذا الإسلام ، ممّا يزيد الأمر وهناً على وهن .

رابعاً : إضعافُ الإيمان باللّه وأنّه القادرُ على كل شيء ، وأنّه القاهر فوق كل شيء .

خامساً : فيه تزكيةٌ للنفس ، بمعنى : أنّنا اسْتَكْمَلْنا شروط النصر ، واستحققنا التمكين ، ولكنّ الكفار غلبوا على هذا .. الأمر الذي يدفعنا إلى الأمر التالي :

سادساً : إهمالُ تربية أنفسِنا ومراجعةِ حساباتنا ؛ لأنّنا اعتقدنا - خطأً - أنَّ المصايب ليست بسببنا ، بل هي بسبب الكفار الذين عَجَزْنا عن مقاومتهم ، وإذن فلا نلتفتُ إلى أنفسنا ، ولا نُصلح أعمالنا ، ولا يزداد قُرْبُنا باللَّه الذي بيده النصرُ والتمكينُ .

سابعاً : سوءُ الظن باللَّه العليّ القدير ، وأنَّه لم يَفِ بوعده في نصر المؤمنين .

ثامناً : إنَّ هذا يدلُّ على أنَّ الذين ينهجون هذا المنهجَ هم في أنفسهم ضعيفو اليقين باللَّه ، ضعيفو التوكل عليه سبحانه ، ضعيفو العلم الصحيح والمنهج القويم ؛ علم الكتاب والسنَّة ، ومنهج الطائفة المنصورة ، لأنَّهم لم يعرفوا أصولاً أصيلة في الإسلام ، بل هي مُسَلَّمات وبدهيّات ، لكل من تفقّه بالكتاب والسنة ، لا بالصُّحُف والإذاعات ، وجرى وراء المظاهرات والبرلمانات .

وأخيراً : إنَّ تحميلَ المسلمين تَبِعَةَ ما يُصيبهم لا يستلزمُ أبداً تبرئةَ الكفار وأعداء الإسلام مما يفعلونَ بالمسلمين .

فهذا أمرٌ ، وذاك أمرٌ آخرُ ، لا يدركه إلّا الذين تربّوا على الكتاب والسنة ومنهج السَّلَف الصالح منهج الطائفة المنصورة .

وإنَّ اللَّه لمّا علّق أسباب هزيمة أُحُد وحُنين بالمسلمين ، لم يلزم من هذا أنّه سبحانه برّأ الكفار ممّا فعلوه بالمسلمين .

فتدبّر هذا حتى لا يُمَوَّه عليك به .

هذه هي - أخي المؤمن - بعض مضارّ مخالفة هذا المفهوم .

وأمّا ثَمَراتُ **الإيمان** بهذا التصوُّر ، والعمل به ، فهي كثيرةٌ ، وذاتُ نتائج طيبة .

(... للبحث صِلَةٌ)

مصادرُ التَّلقِّي عند أهل البِدَع

عبدالرحيم صَمَايل السُلمي

مصدرُ التَّلقِّي عند أهل السنة والجماعة هو الوحيُ ؛ نصوص الكتاب والسنَّة على فهم السلف الصالح رضي الله عنهم .

أمّا التلقّي عند أهل البدع فله مصادرُ سيّالةٌ واسعةٌ فضفاضةٌ ، فإنّه (يجوزُ) لكلّ مبتدع أن يستدلَّ بأدلّة غريبة عن الكتاب والسنة ، وبطريقةٍ عجيبة في النظر والاستدلال !!

ولذلك جاءت عن هؤلاء المبتدعةِ مقالاتٌ عظيمةٌ مخالفةٌ لروح الشريعة - وكلُّ البدع كذلك - ومخالفة لميزان الوحي المنضبط .

□ وفي هذه المقالةِ السريعةِ سوف أتحدّث عن أصول مصادر أهل البدع في التلقّي ، وهي ثلاثة مصادر :

١ - المصدر العقلي .

٢ - المصدر الكَشْفي .

٣ - المصدر المذهبي .

فهذا أوانُ البدء بالمقصود ، فأقولُ وبالله التوفيق :

◘ أولاً : المصدر العقلي :

العقلُ في الشرع هو مناطُ التكليف ، وأعني بالعقل هنا النَّظَر العقليّ العادي ، وهو ما يتيسّر للأُمّيين ونحوهم ممن لم يعرف علم الكلام والفلسفة والمنطق ، ولذلك فقد جاء في كتاب اللّه سبحانه وتعالى أدلّةٌ عقليةٌ على البعث والألوهية والنبوة ونحو ذلك .

والعقلُ السليمُ الخالي من الهوى والشُّبهةِ لا يُعارض النقلَ الصحيحَ الثابتَ بأيّ حالٍ من الأحوال ، **والشرعُ لا يأتي بما تُحيله العقول ، بل يأتي بما تحارُ فيه العقول،** وذلك لأنَّ خالقَ العقل هو اللّه سبحانه ، والذي أنزل الوحيَ هو اللّه سبحانه، وقد جعل العقل موافقاً للوحي .

وأحسنُ تشبيهٍ لمكانة العقل من الوحي أن يُقال :

إنَّ العقلَ بمنزلة العين ، والوحيَ بمنزلة النور ، فإذا فُقد النور لم ترَ العينُ شيئاً أبداً ، فلا فائدةَ منها حينئذ ، وإذا فُقدت العين فإنّه لا يستفاد من النور وحدَه شيءٌ .

والحاصلُ : أنَّ أهلَ السنَّة والجماعة لم يكونوا يُنكرون على من قصد بالعقل ما سبق بيانه ، بل يُنكرون تقديمَه على نصوص الوحي وإقحامَه في غير مجاله مما استأثر اللّهُ بعلم تأويله ، واتخاذه مصدراً للتلقي .

ومن هنا ، فأهلُ البدع من المتكلمين وغيرهم إذا قالوا : « العقل » فهم لا يقصدون « العقل » المعروفَ عند كل أحد ، بل يُريدون جهالاتِهم الكلاميةَ المسماة « القواطع العقلية » ! ثم بعد ذلك لا يَرى أحدُهم بأساً في ليّ أعناق النصوص الشرعية، ودلالاتِ الألفاظ بالتحريف والتأويلِ لتُوافقَ ما سمَّوه « العقل » زعموا .

وأوَّل ما نشأ اتخاذُ العقل مصدراً للتلقي هو عند الجهمية [1] ، وتجلّى في أوضح صُوَرِه عند المعتزلة ، وأخذه الأشاعرةُ والماتريديةُ عن المعتزلة والجهمية .

---

(١) انظر « نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام » (١ / ٣٦٤)

وسبب ذلك أمران :

١ - ترجمة الكتب اليونانية الإغريقية في زمن المأمون وبعده ، وقد كانت تُقَدِّسُ العقلَ وتُعَظِّمُه .

٢ - ظهور ما يسمى بـ « علم الكلام » ، وكان ذلك عندما برزت الفرقُ ، إذ انتصب للردّ عليها بعضُ المسلمين بطريقة القوم نفسِها ، ونشأ من جَرّاء المناظرة والردود ما يُسَمّى بـ « علم الكلام » ، ومن هنا أصبح المصدرُ العمدةُ عند القوم هو العقل ، أما النصوص الشرعية فقد يَستدِلُ بها المستدلُّ منهم على سبيل الاعتضاد لا الاعتماد .

وسوف أنقلُ لك أخي القارىء نموذجين يُوضِّحانِ ما سبق بيانه :

أولاً : قال القاضي عبدالجبار المعتزلي : « إنَّ دليل العقل إذا مَنَعَ من الشيء فالواجبُ في السمع إذا ورد ظاهِرُهُ بما يناقض ذلك الشيء أن يتأوله ، لأنَّ الناصب لأدلة السمع هو الذي نصب أدلَّة العقل فلا يجوز فيها التناقض » [(١)] .

والمقصود بالسمع هو الدليل الشرعي .

ثانياً : قال الرازي الأشعري في كتابه « أساس التقديس » (١٦٨ - ١٧٣) : « إذا تعارضت الأدلةُ السمعيةُ والعقليةُ ، أو السمعُ والعقلُ ، أو النقلُ والعقلُ ، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية ، أو نحو ذلك من العبارات : فإمّا أن يُجمع بينهما وهو مُحالٌ ؛ لأنَّه جمعٌ بين النقيضين ، وإما أن يُرَدّا جميعاً ، وإمّا أن يُقَدّم السمع ؛ وهو محالٌ لأن العقل أصلُ النقل ، فلو قدّمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصلُ النقل ، والقدحُ في أصل الشيء قدحٌ فيه ، فكان تقديمُ النقل قدحاً في العقل والنقل جميعاً ، فوجب تقديمُ العقل ، ثم النقلُ إما أن يتأول وإما أن نعرض ، وإما إذا تعارضا تعارُضَ الضدّين امتنع الجمعُ بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما » !!!

---

(١) « المغني في أبواب العدل والتوحيد » (١٣ / ٢٨٠) .

ولمّا وُجد عند القوم من يقول بأنَّ العقل هو مصدر التلقي في العقيدة ضَعُفَ مقدارُ النصوص الشرعية عندهم ، وجاء من يقول بأنَّ : « دلالات الألفاظ لا تفيد اليقين » ، وردّ خبر الآحاد بحجة أنَّه من الظنيّات ، وقال قائلهم : « العمل بظواهر النصوص من أُصول الكفر » !!.

ولذلك ؛ ففي كثيرٍ من أبواب العقيدة يكونُ الاستدلالُ عندهم بالعقل ، مثل إثبات وجود اللّه ، وأوّل واجب على المكلف ، والصفات ، والإيمان ، ونحو ذلك .

◻ ثانياً : المصدر الكشفي :

علم المكاشفة عند الصوفية علمٌ يقينيّ مقدّمٌ على علوم الشريعة ، وهذه المكاشفة هي خَطَرَاتُ النفس ، ووساوسُها ، ومثل ذلك يكون فيه الحقُّ والباطلُ والصواب والخطأ ، وبعضُه قد يقع من الشياطين وبعضُه من أهواء النفوس ، ومع ذلك فالصوفية يَرَوْنَ هذه الخطرات والتوهُّمات مصدراً في تَلَقّي المعرفة والدين .

ولذلك يقولون لأهل السنة : أنتم إسنادُكم ميت عن ميت ، أمّا نحن فنأخذ عن ربِّ العالمين مباشرة ! فيقولون : حدثني قلبي عن ربي !!.

وهم يُقَدِّمون الكشف على الكتاب والسنة ، ويحصلُ الكشفُ عندهم بالمجاهدات النفسية ، والخَلَوات وجمع الهمّة على ذِكْرٍ بِدْعِيّ ، وقد يكون شِركيّاً في بعض الأحيان .

ولا صِلَةَ لهذه الكشوف بالكتاب والسنة ولا تلازُمَ بينها ، ولا يشترط الصوفيةُ حصولَ التلازم ، فضلاً عن أن يكونَ الوحيُ هو الحاكم على الذوق والوجد والكشف ، ولم تكن هذه هي طريقةَ الرسول ﷺ وأصحابه في تَلَقّي المعرفة والإيمان .

ولا شك أنَّ التزكية وتطهير النفس مِمّا يزيدُ في العلم والمعرفة ، ولكنّ المقصودَ هو التزكيةُ وتطهيرُ النفس بطريقة أهل السنة والجماعة وهي الطريقة الشرعية ، وأما

طريقةُ الصوفية فهي بعيدةٌ كل البعد عن طريقة أهل السنة في التزكية للنفس ، قال أبو حامد الغزالي : « علم المكاشفة هو عبارةٌ عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة ، وينكشفُ من ذلك النور أمورٌ كثيرةٌ ... حتى تحصل المعرفةُ الحقيقيةُ بذات اللَّه وبصفاته الباقيات ... والمعرفة بمعنى النبوة والنَّبي ، ومعنى الوحي ... وكيفية ظهور المَلَك للأنبياء ، وكيفية وصول الوحي إليهم ، والمعرفة بمَلَكوت السموات والأرض » (١) .

وسوف أورد نماذج من الكشف الصوفي حتى يُعرف عملياً :

ذكر الجيلي في كتابه « الإنسان الكامل » (٢ / ٩٧ وما بعدها) أنّه كُشفت له الحُجُب فرأى العالم عاليه وسافله وشاهد الملائكة جميعاً ، وأنَّه انتقل من سماء إلى سماء ، قال : « وفي هذا المشهد اجتماعُ الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض ، أقمت فيه ... فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات اللَّه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين ، والمُقَرّبين وملائكة التسخير ، وكُشفت لي حقائقُ الأمور على ما هي عليه من الأَزَل إلى الأبد » .

تأمّل هذا الكُفْرَ الصراحَ البواح ممن يزعم الولاية ، وقد حصل له كلُّ ما سبق من الغُلُوّ على الأنبياء وادّعاء علم الغيب والاطّلاع على أحوال كل شيء عن طريق الكشف .. مما لم يحصل مثله لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي اللَّه عنهم - ، وأئمّة علماء المسلمين !!

ألا ترى أخي القارىء كيف أصبح « الكشفُ » مصدراً للتلقي عند هؤلاء الدراويش المتصوفة ؟!!!

وبالكشفِ الصوفيّ يستطيع أنْ يعرف الإنسان الحديث الصحيح من الضعيف بمجرّد سماعه مع أنّه أُمّيٌّ جاهلٌ لا يقرأ ولا يكتب !!!

---

(١) « إحياء علوم الدين » (١ / ١٨) .

ولا شكّ أنّ هذا هدمٌ لأركان الدين ، وطيٌّ لبساط الشريعة ، فلماذا إذن يُتعِبُ علماءُ الحديثِ أنفسَهم في طَلَبه والرحلة فيه ؟!!!

أمّا طلبُ العلم الشرعي وقراءةُ القرآن الكريم فيعتبره الصوفيةُ من علائق الدنيا الّتي ينبغي الزهدُ فيها :

قال الغزالي فيما ينبغي فعله للإنسان المكاشف : « ... ويجلس فارغ القلب مجموع الهمّ ، ولا يُفَرّق فكرَهُ بقراءة القرآن ، ولا بالتأمل في التفسير ، ولا بِكَتْبِ حديثٍ ولا غيره » [1] !

وقال عن الكشف : « ... المُوَفّقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسمع - يُرِيدُ الأدلّة الشرعية ! - فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرّروه ، وما خالف أوّلوه » [2] !!

وقال عن الأدلة الشرعية : « فأمّا من يأخذ معرفةَ هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له قدم ولا يتعين له موقف » !!!

وبهذا القَدْرِ يتبين لك أخي القارىء اتخاذ الصوفية الكشف مصدراً للتلقي .

ثالثاً : المنهج المذهبي .

ترك النظر في الأدلة الشرعية والتعصب لآراء الرجال من خصال الجهل وضعف البصيرة ، ومن شيم الضُّعْف التي يُبتلى بها الإنسان فتعمى البصيرة وتغشى على عقله فلا يرى حسناً إلّا مايراه إمامهُ ، ولا صوابَ إلّا ما ذهب إليه ، وهذا هو الحاصلُ لمقلّدة المذاهب ؛ فإنَّ حقيقة تقليدهم لأئمتهم هو الالتزامُ بالطاعة المطلقة للإمام أو للطائفة ولو مع تبيُّن الحق وقوة الدليل .

---

(١) « الغزالي والتصوف » (ص ١٩٤) .

(٢) « إحياء علوم الدين » (١ / ١٠٤) .

وسببُ هذا هو الغلوُّ في الأفاضل ، وهو من أودية الباطل ، ومِن أمضى أسلحته أن يَرْمي المتعصّبُ كلَّ من يحاول ردَّه إلى الحق ببُغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم .

وقد حذّر الأئمة أتباعَهم مِن تقليدهم ، وأمروا بالأخذ بالحديث والسنّة حيث أخَذَ القومُ .

وقد جاء عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد أنّهم قالوا : إذا صحّ الحديث فهو مذهبي .

وقالوا : لا يحلُّ لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه .

وقالوا : مَنْ ردَّ حديثَ رسول اللّه ﷺ فهو على شفا هَلَكة .

ومع ذلك ؛ فإنَّ مقلّدة المذاهب لم يفقهوا ذلك ، بل أخذوا أقوالَ هؤلاء الأئمة وتعصَّبُوا لها ، وردّوا الأحاديث والسنن ، وخالفوا نصوص الشرع من جهة ، وأقوالَ أئمتهم من جهة أخرى ، فلم يطيعوا اللّه ، ولا أطاعوا أئمّتهم ، فخَابوا وخسروا والعياذ باللّه .

قال نشوان الحِمْيَري يتكلّم عن مُتَعَصّب :

إذا ما جئتـه بكلام ربّـي — أجابَ مُجادلاً بكلام يحيى

ومن النماذج على اتّخاذ المقلّدة أقوالَ أئمتهم مصدراً للتلقي ما يلي :

قال بعضُ المُتعصّبة المُقلّدة :

« الأصلُ أنَّ كل آية تخالفُ قولَ أصحابنا فإنّها تُحْمَلُ على النسخ أو على الترجيح ، والأَوْلى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق » .

سبحان اللّه !!! التوفيق بين كلام اللّه سبحانه وكلام البشر !! إلى هذا الحد وهذه الدرجة ؟!!!

قال بعضُ الحنفية : « إذا نزل عيسى ابن مريم في آخِرِ الزمان فإنّه يحكم بمذهب

أبي حنيفة » [1] .

ومنه الخلاف الشهير (بينهم) : هل يجوزُ الزواج للحنفي من الشافعية والعكس ؟!

وقاس من جوّز ذلك على الكتابية !!!

ومن التعصّب الأعمى ما عمله الكوثريُّ الجهميُّ الحنفيُّ - المتعصّبُ الهالك عدوُّ أهل السُّنة - مِنْ قَدْحِه في زُهاء ثلاث مئةٍ من الأئمة والرواة من أهل الحديث ، ومنهم بعضُ الصحابة كأنس بن مالك ، وبعض التابعين كهشام بن عُروة وغيرهم ، كل هذا من أجل كلام أهل الحديث في أبي حنيفة من جهة الرأي ، وضعفه في الحديث والرواية ، ولذلك فإنَّ من سماه « مجنون أبي حنيفة » لم يُجانبِ الحقيقةَ !

ومثله تلميذه مجنون الكوثري - بل الكوثريّ (**الصغير**) - الحنفي الصوفي !

ومن دلائل التعصُّب المذهبيّ الشديد أَنْ وَضَعَ بعضُ الحنفية حديثاً وهو : « سيأتي من بعدي رجل يقال له : النعمان بن ثابت يُكنى أبا حنيفة لَيُحْيِيَنَّ دين الله وسنتي على يديه » ! وفي لفظ موضوع آخر : « هو سراج أمتي » !

أفلا يقال بعد هذا بأن التعصب والتقليد من أخطر البدع التي تُهَدِّد الأمة الإسلامية ؟!

وبعد :

فما سبق هو كلامٌ أَوَّليٌّ على هذا الموضوع المنهجي الخطير الذي أرجو من الله أن يُهَيِّىء له من يكتب فيه كتابة موسعة ، إنَّه على كل شيء قدير ، وصلَّى الله وسلَّم على محمد وصحبه أجمعين .

---

(١) « حاشية ابن عابدين » (١ / ٥٦) .



من مناهج أهل العلم في التأليف :

« المختصرات »

سليم بن عيد الهلالي

بعضُ إخواننا من طلّاب العلم الذين يُتابعون بِشَغَفٍ بالغ عملية بَعثِ تراث السّلف العلمي من مرقده يَشكُون من ممارساتٍ تقعُ على الساحة العلمية ، وهذه الشكوى قد تكون بحق وقد تكون غير ذلك .

ومما طُرح في السنوات الأخيرة مسألة « المختصرات » العلميّة لكتب السابقين ؛ وقد تكلَّم فيها القاصي والداني بين مُؤيِّد ومعارض ، وكلٌّ يجلبُ بخيلِهِ وَرَجِلِه ، ويركبُ الصَّعبَ والذَّلولَ لإثبات وجهة نظره وصواب رأيه .

ولي في هذا المقام تنبيهاتٌ مهمّات تُعيد المسألة إلى نصابها ، وتُصفّيها مما أصابها :

أحدها : إنَّ « المختصرات » ليست وليدةَ هذا العصر ، بل تجدُها في كلّ قرن وعصر ومصر .

الثاني : إنَّ أهل العلم من هذه الأُمّة المرحومة درجوا على هذا السبيل القويم :

فها هو الحافظ الذهبي رحمه اللّه قد اختصر أكثر من خمسين كتاباً مثل :

- « تجريد أسماء الصحابة » الذي اختصره من « أُسْد الغابة » لابن الأثير .

- « المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال » انتقاه من « منهاج السنة النبوية » لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية .

- « مهذب السنن الكبرى » من « السنن الكبرى » للبيهقي ، وغيرها [١].

ثم جاء الحافظ ابن حجر - من بَعْدِهِ - فهذب « تهذيب الكمال » في « تهذيب التهذيب » ، ثم قرَّبه في « تقريب التهذيب » .

الثالث : بل إنَّ بعض أهل العلم لخَّص المختصرات كما فعل القاضي أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي في « المختصر من مشكل الآثار » لأبي الوليد الباجي ، حيث سماه « المُعتَصَر من المختصر من مشكل الآثار » .

الرابع : إنَّ الانتقاء والاختصار مقصدٌ من مقاصد التأليف كما قال ابن حزم رحمه الله في « رسائله » (٢ / ١٨٦) :

« وإنَّما ذكرنا التآليفَ المستحقة للذِّكر ، والتي تدخلُ تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلِّف عاقلٌ عالمٌ إلَّا في أحدها ، وهي :

إما شيء لم يُسبق إليه يخترعه ، أو شيء ناقص يتمُّه ، أو شيء مستغلق يشرحه ، **أو شيءٌ طويل يختصره دون أن يُخلَّ بشيء من معانيه** ، أو شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتِّبه ، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يُصلحه » .

وابن حزم أول من أشار إلى هذه المقاصد ، وعنه أخذها مَن جاء بعده ، كما في « إضاءة الراموس » (٢ / ٢٨٨) .

وقد ذكرها حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١ / ٣٥) دون عزوٍ ، ولكن بتصرف يسير [٢].

---

(١) وقد ذكرها - جميعاً - الدكتور بشار عواد معروف في مقدمة « سير أعلام النبلاء » (١ / ٨٣ - ٨٨) .

(٢) وقد يعدُّها بعضهم من باب السرقة العلمية !! بل هو من مناهج المصنفين الأقدمين والمحدثين كما سنبينه بالأمثلة في مقالٍ قادمٍ إن شاء الله تعالى .

الخامس : إنَّ الانتقاء والاختصار لا يلزم منه تكرار ما كتبه الأقدمون ، أو اجترار ما هضمه السابقون ، بل فيه تقريب للبعيد وإظهار للمفيد .

قال حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١ / ٣٥) مُبَيِّناً بعضَ فوائد المختصرات :

« ... مختصرات تُجعل تذكرةً لرؤوس المسائل ينتفع بها المنتهي للاستحضار ، وربما أفادت بعض المبتدئين الأذكياء لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة » .

وفيه أيضاً النافعُ الجديدُ ، كما قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه اللّه في « تهذيب السنن » (١ / ٨ - ١٠) :

« ولما كان كتاب « السنن » لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجستاني - رحمه اللّه - من الإسلام بالموضع الذي خصَّه اللّه به ، بحيث صار حَكَماً بين أهل الإسلام ، وفصلاً في موارد النزاع والخصام ، فإليه يتحاكم المنصفون ، وبحكمه يرضى المحقّقون ، فإنّه جمع شملَ أحاديث الأحكام ، ورتّبها أحسن ترتيب ، ونظّمها أحسن نظام ، مع انتقائها أحسنَ انتقاء ، واطِّراحِهِ منها أحاديثَ المجروحين والضعفاء .

وكان الإمامُ العلامةُ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم المُنذري رحمه اللّه قد أحسن في اختصاره وتهذيبه ، وعَزوِ أحاديثه ، وإيضاح علله وتقريبه ؛ فأحسن حتى لم يكد يدع للإحسان موضعاً ، وسبق حتى جاء مَن خلفه له تبعاً ، جعلت كتابه من أفضل الزاد ، واتّخذته ذخيرة ليوم المعاد ، فهذّبته نحوَ ما هذّب هو به الأصلَ ، وزدتُ عليه من الكلام على عِلَلٍ سكت عنها أو لم يُكملها ، والتعرُّض إلى تصحيح أحاديث لم يُصحِّحها ، والكلام على متون مُشْكِلَةٍ لم يَفتح مُقفَلها ، وزيادة أحاديث صالحة في الباب لم يُشِر إليها ، وبسطتُ الكلام على مواضع جليلة ، لعلّ الناظر المجتهد لا يجدُها في كتاب سواه ، فهي جديرةٌ بأن تُثنى عليها الخناصر ،

ويُعضّ عليها بالنواجذ ، وإلى اللّه الرغبةُ أن يجعله خالصاً لوجهه ، مُوجباً لمغفرته ، وأن ينفع به مَن كتبه أو قرأه أو نظر فيه أو استفاد منه ... » .

السادس : لذلك فالانتقاءُ والاختصارُ همزةُ وصلٍ بين الماضي التليد والحاضر السعيد ، لصُنع مستقبل مَجيد ، بإذن اللّه العزيز الحميد .

السابع : ولكن ينبغي مراعاةُ شرطِه ؛ وهو عدمُ الإخلال بمقاصدِ الأصل ، أو إسقاط شيء من معانيه ، وتبيان ذلك بوضوح وجلاء .

الثامن : وعليه ؛ فلا يحقُّ لكائنٍ مَن كان أن ينكر على مَن اقتحم هذا الميدان ، فضلاً عن أن يزعم أنَّ هذا من كيد الشيطان لتشويه حضارة السلف العلمية ...

سبحانك ربي هذا من أعظم البهتان ، وإلّا افترى هذا القائلُ على مَن سبقونا بالعلم والفضل والإيمان .

التاسع : ولكن لا ننكر أنّه قد ركب الموجةَ من هم دون ذلك ، كما صنع الصابوني المُعاصر في « مختصراته » في التفسير ، أو غيرِه .

العاشر : ولذلك فليكن المحققون لهم بالمرصاد ينخلُونهم نَخلاً ، ويقولون فيهم قولاً فصلاً ليس هَزلاً ، كما قام بذلك الأخ المِفضال الشيخ بكر بن عبداللّه أبو زيد في رسالته القيمة : « التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير » .

لعلّهم يرعوون ، أو يتذكّرون فيرجعون ، ويستغفرون المولى مما يصنعون ، واللّه غالب على أمره ، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون .





إلى مواكب الصادقين ...

أم محمد الفاتح

الشيخُ حَمَد بن خليفة بن جابر بن حمود آل خليفة أبو محمد الفاتح ، من أوائل شهداء البوسنة والهرسك - نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً - واحدٌ من الأتقياء الأخفياء الذين إذا سمعوا هيعة طاروا إليها ، تشهد على ذلك بطولاتُهم في الأفغان ، وأخيراً في البوسنة والهرسك .

هو واحدٌ من أبناء هذه الأمة الْبَرَرَةِ الذين صدقوا ما عاهدوا اللَّهَ عليه ، واشتروا الجنَّة الباقية بالدنيا الفانية ، والنعيم الخالد بالمتاع الزائل - إن شاء الله تعالى - ، قُتل يرحمه الله مُقبِلاً غير مدبرٍ ، وهو يذبُّ عن دماء وأعراض المسلمين في بلاد البلقان ؛ وفي البوسنة والهرسك على وجه الخصوص .

ووفاءً بحق هذا المجاهد الفاضل والبطل المقدام تنشر « **الأصالة** » هذه الكلمات بقلم زوجته الصابرة أم محمد آل خليفة - جزاها الله خيراً ، ورزقنا وإياها العقبى الحسنة - فقد كان لها الدورُ الرئيس بعد الله في دفع زوجها للجهاد ، وهي في ذلك من النساء اللّاتي عزّ وجودُهنّ في هذا الزمان .

ونترك القارىء الكريم مع زوجة الشهيد لتحكي لنا رحلة زوجها الجهادية من البداية إلى النهاية حتى آتاه اليقين ، فيا حبّذا الشهادة وقليلٌ أهلها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

« **الأصالة** »

تقول الأختُ أم محمدٍ زوجةُ الشيخ حَمَد أبي محمد الفاتح :

* أقولُ مستعينةً باللّه :

تـمّ العقد بيني وبينه رحمه اللّه في سنة (١٤٠٧هـ) فوجدته إنساناً طيباً ذا خُلُقٍ ، لا يعرف الجدال ولا المكابرة ، ثمّ بدأ التغيُّر في حياته ؛ لم يكن تغيُّراً خارجياً ، بل كان تغيُّراً مِن الداخل والخارج ، وقد وفّقني اللّه بفضله ومنّه - برغم تقصيري وإسرافي في أمري - إلى الوقوف معه ودفعه إلى الأمام ، خصوصاً وأنّه - رحمه اللّه - كان كالأرض الخصبة التي لا تريد من أيِّ إنسان بذل أي مجهود في زراعتها ، إنّما تحتاج إلى الماء فقط ، فعندما تُسقى بالماء تُثمر وتؤتي أُكُلَها بفضل ربها .

وهكذا كان رحمه اللّه - أحسبه كذلك ولا أُزكيه على اللّه - أرضاً خصبة بمجرد أنْ سُقيت بالماء أثمرت ، وقد مَنَّ اللّه عليَّ وأنا في الجامعة بأن أكون على صلةٍ دائمة بالجهاد وأخبار المجاهدين ، فكانت تُعقد عندنا ندوات ولقاءات لمناصرة مجاهدي أفغانستان وفلسطين ،وهكذا كنّا نعيش مع ذكر الجهاد دائماً ، وتُباع في مكتبة الجامعة مجلّات جهاديّة تصلنا من بيشاور ، أذكر منها « الجهاد » و « البُنيان المرصوص » و « المجاهد » ؛ فكنا نجتمع ونقرأ عن الشهداء ونتمنى أن نسلك الطريق الذي سلكوه .

ومن مكّة المكرمة أرسلت اشتراكاً لمجلّة « الجهاد » باسم زوجي ، وهكذا تشرَّب قلبي حبَّ الجهاد والمجاهدين ، وكنت إذا رجعت في الإجازات أجلس معه رحمه اللّه لنقرأ قصص الشهداء ، وكان يُنصت دون أن يعلّق ، كنت أُعطيه بعضَ الأشرطة التي يتكلَّم أصحابها عن الجهاد ، وأطلب منه أن يسمعها ، وهكذا إلى أن تعلّق قلبه بالجهاد .

* إعداد العدّة للجهاد رغم المثبطين :

وفي سنة (١٤٠٩هـ) أعدَّ عدَّته للذهاب إلى أرض العزة والكرامة ، وقد استنكر الجميعُ ذهابه ، فنحن نعيش في مجتمع أخلد إلى الأرض ، وقيّدته الشهواتُ

الدنيوية ، ومن الطبيعي أن يُتهم كلُّ من يتطلّع إلى التحرُّر من هذه القيود الدنيوية ليُعيد لهذه الأمَّة مجدها وعزَّها بالجنون أو التزمُّت أو غير ذلك من الألفاظ .

كانوا يقولون له : كيف تترك زوجتك ؟ كيف تذهب إلى هذه البلاد التي لا تعرف فيها أحداً ؟ هل تريد أن تموت ؟ ساعدهم بأموالك ولا داعي للسَّفر !

ولكنَّه صمّم رحمه الله وسافر ، وبقي هناك فترة في معسكر التدريب ، ودخل الجبهة أيضاً في المرَّة الأولى .

ثمَّ عاد إلى البحرين ، وجلس فترة والجميع يُحذِّره من الذهاب مرَّة ثانية ، وكانوا يحاولون أن يقنعوني لكي أغيّر رأيه ، فأقول لهم : كيف أغيّر رأيه بأمر أنا مقتنعةٌ به ؟!

نعم ؛ لقد كنت أفتقده بشدَّة عندما يسافر ، فقد كان نِعْمَ الزَّوج ، ونِعْم الأخ ، ونِعْم الأب ، وكنت أشعر أنني معه لا أحمل همّ شيء ، كأنَّ الدنيا بدون مشاكل ، وكنت أقول له دائماً : أنا أشعر أنَّ البحرين تكون خاليةً عندما تسافر ، وعندما تعود كأنَّ جميعَ الرجال قد عادوا معك .

نعم ؛ كنت أتجرّع الآلام عند فراقه ، وأشعر كأنَّ أحداً انتزع عُضواً من أعضائي ، ولكنّي كنت أكتم كل مشاعري وأصبّر نفسي ؛ لأني أعلم أنَّ هذا الدين لن يُنصر إلّا بالتضحية ، لا بدَّ من بذل الأرواح في سبيل الله ، فإذا خافَت كلُّ واحدة منا على زوجها أو ابنها فَمن ينصر دين الله !؟ والحمد لله ، ففي كلِّ مرَّة كان الله - سبحانه - يُخفِّف عني أكثر من المرّة السابقة .

وكأنَّ الله سبحانه وتعالى يُهيّئني لما أنا فيه الآن .

* تعلُّق قلبه بالجهاد :

أقول : نعم ؛ كانت حياتي معه قصيرةً ، فقد كان رحمه الله لا يُطيق البُعدَ عن أرض الجهاد ، فما إن يعود إلى الوطن حتى يُهيىء نفسه من جديد للسفر ، ولم يُقدّر له الله أن يُجرح ولو بجرح يسير في أفغانستان بالرُّغم من أنَّه كان يقول لي : إنَّ

الرصاص يأتي عن يميني وشمالي فلا يصيبني فماذا تقولين عندما أسافر ؟ فكنتُ أقول له : كنت أدعو الله تعالى أن يحفظك وأن يرزقك الشهادة بعد طول عمر وحسن عمل ، فيقول : نعم ؛ أعتقد أنّه بسبب دعائك .

ولكنّه رحمه الله في كلّ مرّة يذهب إلى أفغانستان يُصاب بالملاريا إلى درجة أنّه من شدّتها كان يدخل المستشفى بل ينام في غرفة العناية القصوى ، وكان يتمنّى ويدعو الله أن تكون هذه الحُمّى بمثابة كلم في سبيل الله .

إلى أن مَنَّ الله عليه بالمشاركة مع إخوانه المرابطين حول مدينة جلال آباد في معارك الفتح الأخيرة ، فعاد رحمه الله وقد فاز بحُسنى النصر ، وأذكر أنَّ عمّتي أرسلت له تهنئةً تقول له فيه : « إلى الأخ المجاهد أبي خولة : بارك الله تعالى فيكم وجزاكم بخير أعمالكم ، إنّها إحدى الحسنيين ولله الحمد ، فألف مبارك لكم ولإخوانكم ، وإلى ساحة أخرى بإذن الله ونصر آخر والله ولي الصالحين ، ﴿ إنْ يَنصُرْكُم الله فلا غالبَ لكم ﴾ » .

ومن يوم أن عاد وهو يفكر أين سيذهب ؟! إلى كشمير !! أو إلى أرتريا !! أو إلى فلسطين !!

وكان التّفكير في هذه المسألة هو شغله الشاغل .

* توجُّهه إلى قتال الصِّربيِّين في البوسنة والهرسك :

إلى أن بدأت أحداثُ البوسنة والهرسك ، والنشرات تُوَزَّع عن المذابح التي يتعرّض لها إخواننا هناك ، فكان رحمه الله يتألّم لحالهم ، وبدأ يفكّر في الذهاب هناك وعندما علم أنَّ مجموعة من الشباب العرب المجاهدين في أفغانستان قد ذهبوا إلى هناك بَدأ يعد العدَّة ، وكنت قد رجوتُه أن يؤجّل سفره لمدّة شهر واحد لكي نذهب بوَلدنا محمد للعلاج ، ولكنّه كان يرفض ويقول : « رُفعت الأقلام وجفّت الصحف » ، وكنت أقول له : أنت تعلم حبي للجهاد ، وتعلم أني لا أمنعك ، بالعكس أنا أعلم أنَّ الجهاد فرض عين وأنَّ الأعراض تُنتَهك ولكن .. شهر واحد

فقط ... المعركة لن تنتهي ، فيقول : إنَّ اللّه سيشفي ولدنا محمداً ؛ وسترين أنَّ في استشهادي - إنْ شاء اللّهُ - شفاءَ محمدٍ ، واللّه لم أرَ في حياتي إنساناً ينام ويصحو على ذكر الجهاد والاستشهاد مثله ، حتى في الرؤى ما كان يرى إلّا عمليات وهجوماً على الأعداء .. كانت الجنَّة والحور العين هي الحلم الذي يتمناه في كل لحظة ، لا يمر عليه يوم إلّا ويذكر الشهادة في سبيل اللّه .

واللّه ؛ لقد كنت أشعر بأنَّ اللّه قد اختاره ، لم يكن شعوري هذا بسبب حبه للجهاد .. لا ! ولكني رأيت أموراً كثيرة تدلُّ على أنَّ اللّه قد اختاره - أحسبه كذلك ولا أزكيه على اللّه - .

* طَرقُهُ - يرحمه اللّه - لأبواب الخير والإحسان :

ما ترك رحمه اللّه باباً من أبواب الخير إلّا وطرقَه بكلِّ ما يستطيع ولكن دون ضجيجٍ ، ومن غير صَخَبٍ ، حتى إنَّ كثيراً من أعمال الخير التي يقوم بها لا أعلمها ، ولقد قال بعض الشباب بعد أن استشهد رحمه اللّه : من سُيَجهِّز المجاهدين بعدك يا حمد ؟! فقد كان يتكفَّل بتجهيز الغزاة في سبيل اللّه ، وكان دائماً يتولى تجديد جوازاتهم ، حتى إنَّ أحد العاملين بالجوازات قال له : هل تعمل مُخلِّص جوازات ؟! - من كثرة ذهابه إليهم - فَضَحِكَ رحمه اللّه وقال : لا ؛ هذا للمجاهدين ، وحتى غير المجاهدين كان رحمه اللّه يبذل ما في وُسْعه لتفريج كربهم ، فكم دعوة سمعتُها من كثيرين ممن ساعدهم في تخليص جوازاتهم لأداء عمرة أو حج رحمه اللّه .. وعلمت أيضاً بعد استشهاده أنَّ العجائز والشيوخ كانوا يتردّدون عليه في مكتبه ، حتى الأطفال في حيّنا كانوا يقولون : من سيلاعبُنا بعد أبي خولة ؟! وجارتي تقول لي - يوم وصول خبر استشهاده رحمه اللّه - أنَّ ابنها جلس يبكي ، ويقول : إنَّه كان يحضر لي دائماً الشوكلاته التي أحبها .. كنا عندما نخرج من البيت نراه يُسَلِّم على الأطفال في الشارع ، فأقولُ له : من هؤلاء ؟ يقول : هؤلاء أصدقائي ..

نعم ؛ علمتُ واللّه أنَّ حياته قصيرة ، وقد كان رحمه اللّه يُردّد على مسامعي

دائماً : أنا لن أعيش حتى أرى ولدي محمداً يذهب معي إلى المسجد ، فأقول له : ستعيش إن شاء اللهُ حتى تزوج خولة ومحمداً ، فيقول : إنّها حياة طويلة ... أتريدينَ أن أعيش إلى هذا الوقت ؟ كان يقول لزوج أخته ولأخ من إخوانه في اللّه – وهو ينظر إلى بيتنا الجديد الذي قارب على الانتهاء – : قولوا آمين ، فيقولون ، فيطلب منهم أن يُكرِّروها ثلاث مرات ، فيقول : يا رب ما تسكن هذا البيت إلّا أم خولة وعيالها ، يا رب ما أسكنه ..

إننا بحاجة إلى أن نستشعر ما كنتَ تستشعر ، واللّه لو تمنينا الموت لوهبت لنا الحياة ، **إنَّ هذا الذلَّ الذي وَصَلنا إليه لم يكن إلّا بسبب حبِّ الدنيا وكراهية الموت** .

رحمه اللّه ورحم اللّه كل الأتقياء الأخفياء الذين علموا فعملوا ، علموا أنَّ هذه الحياة قصيرةٌ وأنَّ السعادة تنتظرُهم في دار النعيم فعملوا واستعدُّوا حتى ختم اللّه لهم بالخاتمة الحسنة .

* شهادةُ أهله وعارفيه فيه :

كنت أقول له : أنا سأشهد لك بين يدي اللّه يوم القيامة أنّك من خير الناس لأهلك ، كان رحمه اللّه في القمّة – في نظري – في كل شيء ؛ في رقّته ، في حسن تعامله ، في أدبه ، في حُبِّه للآخرين ، في قضاءِ حوائجهم ، في حُسن ظنِّه بإخوانه ، في حِلمه ، في تواضعه ، في وقوفه عند حدود اللّه .

أُمّي كانت تقول يوم أن جاءنا خبرُ استشهاده : من أين سآتي بولد مثلك يا حمد ؟! لم تكن زوجَ ابنتي فقط ، بل كنت ابني ، بل أنت تفعل لي ما لا يفعله لي أبنائي ، كانت عماته يقلن لي : لدينا أبناء أخ كثيرون ولكنْ حمد يختلف عنهم ، كان رَحِمَه اللّه باراً بأهله ، لا يقطع رَحِمَهُ ، بل كان يَصلُ الجميع حتى مَن لقي منهم مضايقاتٍ أو استهزاءً ، كان يزورهم ويجلس معهم ويُحدّثهم أيضاً عن الجهاد .

تخبرني جدّتي أنّه قبل سفره جاءها وقبّل رأسها ويدها وقال لها : سأراكِ يا أمي

في الجنَّة .. فقالت له : يا ولدي ستعود إن شاءَ اللَّهُ وسأراك في الدنيا أيضاً ، قال لها : لا يا أمي سترينني في الجنَّة بين الأشجار والأنهار وسأنتظرك هناك ، تقول عمتي : لأوَّل مرَّة أرى دمعة تنزل من عينه ، وكأنَّه يُودعنا حقاً دون رجوع .

* صدقَ اللَّهَ فصدقَه اللَّهُ :

لقد كان رحمه اللَّه يُردّد دائماً : أتمنى أن أُصاب برصاصة هنا وهنا - ويشير إلى رأسه وقلبه - فأُقتل وأدخل الجنَّة ، فأقول له : ولماذا رأسك وقلبك ؟ فيقول : لأنَّ قلبي كان يتمنّى بعض الذنوب والمعاصي في الماضي ، وعقلي كان يخطط ويُدبِّر ، فأنا أريد أن أتطهّر من ذنوبي بأن يُصاب هذان المكانان ، وقد استجاب اللَّه له وأُصيب برصاصة في جبهته ، وحينها تذكَّرت الصحابي الذي قال للرسول ﷺ : ما اتَّبعتك على هذا ، ولكن اتبعتك على أن أُضرب ها هنا - وأشار إلى حلْقِه - فأُدخل الجنَّة - ، وعندما رآه الرسول ﷺ وقد أُصيب في المكان الذي أشار إليه قال : « صدق اللَّه فصدقه » - وأنا أدعو اللَّه أن يكون زوجي قد صدقَ اللَّه فصدقه ، اللَّهم آمين .

* ابتلاؤه بمرض ابنه محمد :

ولعلَّ المرض الذي أصاب ابنه اختبارٌ له : هل يتراجع أم يواصل طريق الجهاد ؟ بالرغم من أنَّه كان يتألَّم لحاله بل إنَّه لا يَقَرُّ له قرار ولا يهدأ له بال إلَّا إذا رآه يضحك ، وقد كانت ابتسامة محمد - كما يقول - تجعله فَرِحاً كما لو أنَّ قلبه ينفتح لابتسامته .

* حُسنُ معاشرته أهلَ بيته :

لم أسمعه مرَّة واحدة يقول لي : لقد أزعجني الأولادُ ، اخرجي بهم أُريد أن أنام ، بل إنَّه عندما يصحو من نومه ويراني مع محمد أُحاول تهدئته والقراءة عليه طول اللَّيل ، كان يجلس معي ويقول لي : أعانك اللَّه لو كان يهدأ عندي لأخذته عنك لكي ترتاحي ، لأنَّ محمداً - عافاه اللَّه - لا يريد أحداً سواي في اللَّيل - هكذا كان

مع ابنه ومع ابنته ومعي .

لقد كان فريداً بين الرجال في حسن تعامله مع أهله ، وكما أنَّ النَّاس شهود اللَّه في الأرض فأنا أشهد له شهادة ألقى بها ربي - ولا أُزكِّيه على اللَّه - أنَّه كان محباً للجهاد ، وقد ملك عليه حبُّ الجهاد قلبه .

* تألمه لأحوال المسلمين :

كان يتألَّم لحال المسلمين في العالم ويقول : لا يكفي أن نُمدَّهم بالمال ؛ إنَّ التي انتُهك عِرضُها أختي وأختك ، فيجب أن ندافع عن أعراضنا .

لم يكن رحمه اللَّه يُطيق أن يسمع كلمة من مسلم يقول فيها : إنَّ الجهاد فرض كفاية ! وكان يعلّق على ذلك قائلاً : أيُّ كفاية وقد ذقنا من الذُّل ما فيه الكفاية ؟! فيأتيني رحمه اللَّه وقد تغيَّر لونه وثارت أعصابه ، فأقول له : لا عليك ، المهم أن تبلغهم حتى لا تكون عليك حجَّة ، كان رحمه اللَّه يريد أن يثير حميَّتهم وحماسهم للدِّفاع عن المسلمين .

* من مكارم أخلاقه رحمه اللَّه :

كما أشهد له بالكرم فلم أسمع أبداً أنَّه قد ردَّ أحداً سأله حاجة ، وأشهد له بأنَّه كان حليماً يملك نفسه عند الغضب ، وقد كان رحمه اللَّه رحيماً حتى مع الحيوان ، لا يستطيع أن يرى حيواناً يتألّم بل إنَّه يذهب بالحيوانات المريضة إلى العيادات البيطريّة الخاصّة .

وكما قلت : شعرتُ بقُرب رحيله لكثيرٍ من أعمال الخير التي كان يفعلُها ، وقد وفَّقه اللَّه سبحانه وتعالى لأدائها .

* رؤى صادقة :

وقبل سفره رأى رؤيا حدّثني بها قائلاً : لقد رأيت كأنَّ مجموعةً من المجاهدين يستعدُّون للذهاب إلى عمليّة ، فلما أردت أن أذهب معهم ، قال لي شخصٌ : لقد

اخترناك أميراً في البلقان ، ولم يكن وقتها يعلمُ أنَّ البوسنة من دُول البلقان ، فلما علم فَرِحَ فرحاً شديداً واستبشر خيراً بهذه الرؤيا .

وسُبحان اللّٰه قد تحقّقت هذه الرؤيا فور وصوله إلى البوسنة ، فقد اتصل بي أحدُ الإخوان من هناك يُبلّغني سلامه ويقول لي : لقد اختير أميراً لمجموعة من المجاهدين العرب ، كذلك أذكر أنَّ أخي رأى له رؤيا وأخبره بها قال له : رأيتك مُمدَّداً أمامي وقد أصابتك رصاصةٌ في جبهتك ، وكنت كالنَّائم ، فهذه كلها كانت كأنَّها مبشرات ، والعلم عند اللّٰه وحدَه .

وأذكر أنَّه - رحمه اللّٰه - كان يجلس طولَ اللَّيل يقرأ في كتب الجهاد وكنت أمزح معه عندما أراه وقد فتح كتباً كثيرة على الطاولة وأقول له : بدأت تُحضّر للشهادة ؟! فيبتسم لي وكأنَّه يقول : نعم ؛ أنا أُحضِّر ولكن لشهادةٍ أخرى لا الشهادة التي تقصدينها ، بعد ذلك يقوم ليصلي ،وكنت أراقبه وهو يظنُّ أني نائمة ، واللّٰه لا أزال أرى صورته بين عينيّ وهو يلبس لباس المجاهدين الأفغان وقد رفع يديه يدعو ولا أسمع إلّا كلمة الشهادة تتردّد على لسانه ودموعه تبلِّل لحيته يبكي بصوت منخفض ويتضرَّع إلى اللّٰه بأن يرزقه الشهادة وأدعو اللّٰه أن يكون قد نالها .. اللَّهمَّ آمين .

وكانت إحدى قريباتي قد رأت رؤيا كنت معها وهي تقرأ على محمد تقول : كنت أقرأ عليه (الفاتحة والمعوذات) وأكرّرها إلى أن سمعتُ أذان الفجر - في الرؤيا - مع التكبير ، كان محمد قد تغيَّر حاله ، ووقف وعاد كما كان في الوقت نفسه ، تقول : دخل شخصٌ - تعرفه من الأهل - يُخبرها عن استشهاد حمد ، تقول : كنت أقول في الرؤيا : ماذا أقول لها يوم أن شفي ولدها : قتل زوجها ؟! تقول : فأخبرتك وحمدت اللّٰه ، وقلت : أنا أعددت نفسي لهذا اليوم - هذه الرؤيا أيضاً كانت قبل سفره رحمه اللّٰه - .

(... للبحث صلة)

كلمةُ حقٍّ في فُتيا العلّامة
محمَّد ناصر الدِّين الألبانيّ
حولَ هجرة المُضطَهَدين مِن المُسْلِمين

محمد إبراهيم شقرة

مَا أشبَهَ اللّيلَةَ بالبارحة .. حيثُ الأمّةُ مُمَزّقَةٌ ، والعَدُوُّ مُسَيْطِرٌ ، والواقعُ مريرٌ ..

فها هي ذي خمسةُ قرونٍ مَضت على فاجعةِ **الأندلس** ، بكلِّ مآسيها ، وظلامها ، وشدّة ضَنْكِها ...

ومنذ نحو خمسة (عقود) سيطر إخوانُ القِرَدةِ والخنازير على الأرضِ المُباركةِ ؛ أرضِ **فلسطين** الطُّهُور .. مِمَّا جَعَلَ أهلَها يُقاسون مِن حِقْدِ اليهُودِ ، وشديدِ عداوتِهم ما اللّهُ به عليمٌ ..

ففي فاجعةِ الأندلسِ تلك أفتى العَلّامةُ أحمدُ بن يحيى الوَنْشَرِيسيُّ المتوفى سنة (٩١٤هـ) بوجوب الهجرة مِن الأندلس **على كُلِّ مَن تعرَّضَ لفتنةٍ في دينه أو نفسِه** ؛ حيثُ صنَّف رسالةً مستقلّةً في هذا الموضوعِ ؛ سمّاها « أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلبَ على وَطَنِهِ النَّصارى ولم يُهاجر ، وما يترتَّبُ عليه من العقوبات والزواجر » [1] .

وبنحوِ فُتيا العلّامة الوَنْشَرِيسيّ أفتى العلّامةُ المحدِّثُ الفقيهُ محمَّد ناصر الدين

(١) وهي تحت الطبع بتحقيق الأخ علي بن حسن .

الألبانيّ مقهوري المسلمين في القرن العِشرين ، تطبيقاً لحكم اللّه ، والتزاماً بسُنَّةِ رسول اللّهِ ﷺ ، وعَمَلاً بما اتَّفقت عليه كلمةُ عُلماءِ الأُمَّةِ .

.. والفرقُ بين الفَتْوَيَيْنِ أنَّ الوَنشَريسيّ لَقِيَتْ فتواه آذانَ مُؤمنين صادقين ، استجابوا له ، وعظَّموا شأنَه ، فوقعت فتواه منهم موقعَ القَبولِ والرِّضا .

أمَّا فتوى العلاّمة الألبانيّ ، فلم تجد مِن قِبَلِ بعض **غوغائيّي العصر** إلّا الرَّفضَ ، **والاتّهامَ** ، والتحويرَ ، **والتَّزويرَ** .. ولكنَّ هذا كلَّه مِمَّا يَرفعُ اللّهُ به درجةَ الشَّيخِ عنده - سبحانه - بإذْنِه ، وَيُسقطُ به قَدْرَ الطَّاعِنينَ الحاقدين الجاهلين ..

﴿ فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وأمَّا ما ينفعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأرضِ ﴾ .

واللّه وليُّ الصادقين .

وحتى لا يكونَ سبيلٌ أو حُجَّةٌ علينا ، أنَّنا لم نُجْلِ حقيقة فتوى الشيخ ، في هِجْرَةِ أهلِ فلسطين عن أرضها - كما أذاعَها ، ونشَرَها ، ورَوَّجَها أولئك المهيِّجون - فلا بُدَّ أن نُبيِّنَها - حقيقةً - **كما أرادها الشيخُ ، وأفتى بها ، لا كما صوَّرها الخصوم !**

فنقولُ وباللّه التوفيقُ ، ومنه العونُ والتَّحقيقُ :

أوّلاً : الهجرةُ قرينةُ الجهادِ ، ماضيان معاً إلى يوم القيامة ، كما قال ﷺ - فيما رواه أحمدُ وغيرُه - : « لا تنقطعُ الهجرةُ ما دامَ الجهادُ » ، **وإجماع الأمّة مُنعقِدٌ على ذلك** ، وأمَّا قولُه ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح » فإنَّه يُرادُ به - خصوصاً - الهجرة الأولى من مكَّة إلى المدينة ، **وعلى هذا جماهيرُ العلماء** :

قال الإمامُ ابنُ كثيرٍ في « البداية والنهاية » (٤ / ٣٢٠) بعد إيرادِه الأحاديثَ التي وردَ فيها النَّهيُ عن الهجرةِ بعد الفتحِ :

« وهذه الأحاديثُ والآثارُ دالَّةٌ على أنَّ الهجرةَ قد انقطعت بعد فتح مكَّةَ ، لأنَّ النَّاسَ دَخَلُوا في دينِ اللّه أفواجاً ، وظَهَرَ الإسلامُ ، وثَبَتَت أركانُه ودعائمُه ، فلم تَبقَ

هجرةً ، اللَّهمَّ إلّا أنْ يَعْرِضَ حالٌ يقتضي الهجرةَ بسبب مُجاورةِ أهل الحربِ ، وعدم القُدرةِ على إظهارِ الدين عندهم ، فتجبُ الهجرةُ إلى دار الإسلام ، وهذا ما لا خلافَ فيه بين العُلماءِ » .

وقد ذكرَ الإمامُ ابنُ العربي المالكي في « أحكام القرآن » (١ / ٤٨٤) أثناءَ تفسيرِ قول اللّٰه تعالى : ﴿ ومن يُهاجِر في سبيلِ اللهِ يجدْ في الأرضِ مُراغَماً كثيراً وَسَعَةً ومَن يخرجْ من بيتِه مُهاجراً إلى الله ورسولِه ثمَّ يُدْرِكْه الموتُ فقد وَقَعَ أجرُهُ على اللهِ وكانَ الله غَفوراً رحيماً ﴾ فقال - رحمه اللّٰه - ضِمن بيانِه أنواعَ الهجرة :

« ... الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلامِ ، وكانت فرضاً في أيام النَّبي ﷺ ؛ **وهذه الهجرةُ باقيةٌ مفروضةٌ إلى يوم القيامةِ »** .[1]

وها هُنا تنبيهٌ مُهِمٌّ جداً ؛ وهو أنَّ الفُتيا - في أصلها - لَيسَت مُوَجَّهةً إلى أهلِ فلسطين وحدهم ، ولكنَّها موَجَّهةٌ إلى كُلِّ من ينطبقُ عليهم مَناطُ هذا الـحُكمِ الـمُتَّصِل بالـخَشْيَةِ على الدينِ والنَّفسِ .

وبمثلِ هذا أفتى كبارُ علماءِ الإسلامِ في حالاتٍ مُشابهةٍ مُماثلةٍ في القرونِ الماضيةِ ؛ كَفُتيا شيخ الإسلامِ ابن تيمية المتوفى سنة (٧٤٨هـ) ، لأهلِ ماردِين - وهي مدينةٌ في الشامِ احتلَّها العَدُوُّ الكافِرُ آنذاك - ؛ لمَّا سُئِلَ عنهم : هَل تجبُ عليهِم الهجرةُ ؟ فقال رحمه اللّٰه - كما في « مجموع الفتاوى » (٢٨ / ٢٤٠) - :

« والمقيمُ بها إن كانَ عاجِزاً عن إقامةِ دينِه وجَبَت الهجرَةُ عليه ، وإلّا استُحِبَّت ولَم تجِب » .

وبنحوِ ذلك أفتى العلامة محمدٌ العبدوسي المتوفىٰ سنة (٨٤٩هـ) مُسلِمِي غِرناطةَ - آخر معاقل الإسلام في الأندلس - عند سقوطها بأيدي الكُفَّار ؛ كما في

(١) ونقله عنه القُرطبي في « تفسيره » (٥ / ٣٤٩ - ٣٥٠) وأقرّه .

كتاب « الحديقة المستقلّة النَّضِرَة » .[1]

ثانياً : من عظيم الحكمةِ الإلهيةِ أنَّ اللّه سبحانه لمَّا شرعَ الهجرةَ أوَّلَ ما شَرَعَها إنّما كانت من أقدسِ أرضٍ وأعظمها حُرمةً عنده ، وهي مكّةُ ، وناطَها بأعظمِ إنسانٍ وأحبّه إليه ، وهو رسولُ اللّه ﷺ .

ثالثاً : **من عجيبِ الأمرِ وأقبحه !!** أنَّ بعضاً ممَّن طَعن على الشَّيخِ في فتواهُ قد ذكر أنَّ الهجرة من عمَّان إلى تلّ أبيب ، ومن الرياض ، والقاهرة ، والجزائر ، وتونس إلى تلّ أبيب أحبُّ إليه ! بل هي الهجرة التي يجبُ أن تكونَ لمن أرادَ أن يُهَاجِرَ ، لأنَّ حرِّيَّةَ الإنسانِ في تلّ أبيب مصُونةٌ أكثرَ منها في بلادِ الإسلامِ !!

وهذا قلبٌ لحقيقةِ الدينِ ، وواقع المسلمين .

رابعاً : **ومن عجيب الأمرِ وأقبحِه !!** أنَّ الذي يُعَارِضُ فتوى الشيخِ بمثلِ ذاك الكلامِ يجدُ تأييداً شديداً من العامَّة ، وتَطْبيلاً ، وتَزْميراً كما يُقال !

ورَحِمَ اللّهُ من قال في بيانِ أصنافِ النَّاس : « **وَهَمَجٌ رَعاعٌ أتْباعُ كلِّ ناعق** ... » !

خامساً : **ومن عجيب الأمرِ وأقبحِه !!** أنَّ الـمُطَبِّلين الـمُزَمِّرين لهؤلاء النَّفَر - فضلاً عن هؤلاء النَّفر أنفسِهم - لم يتكلَّفوا جَهْداً في الوقوفِ على حقيقةِ فتوى الشيخِ ليَعْرِفوا صَوَابَها مِن خَطَئِها ، بَل راحوا يُجمِّعون أضرابَهم من أشباهِ العامَّةِ ويَسْتَعدُونَهُم ، فنَشروا فتوى الشَّيخ مُجَزَّأَةً مُقطَّعةً في الكُلِّياتِ الجامعيَّة ، وبين المثقَّفين وأشباه المتعَلِّمين ، ليُكَثِّروا من سوادِهم !

فيا حسرةً على العلمِ ، أودى به أهلُهُ ، حتى انتقَضَ في أيديهم حَبْلُهُ !!

سادساً : ومن البداهة بمكانٍ أنَّ مِثلَ الشَّيخ ؛ في مَعرِفتِه ، ودقَّةِ علمِه وغزَارَتِه ، يَبْعُدُ عنهُ - جداً - أن يُطلق فتواه من قيودِها ، لتصيرَ أُغْنِيَّةً من أغانيِّ الشيطانِ يُغَنِّيها - عَزفاً على مزاميره - فوقَ المنابرِ ، وفي المساجدِ ، والمجتمعات الخاصَّة والعامَّة

---

[1] انظر مقدّمة تحقيق « الإفادات والإنشادات » (ص ١٢ - ١٣) للشاطبي .

أولئك المفترون .

إذنْ ؛ فإنَّ أولئك القوم ، **احتبلوها فُرصةً ثمينةً ضدَّ الشَّيخ** ؛ يطعَنون عليه بها ، وينالونَ من عِرضِه ، ودينِه ، وعلمِه ، وما علموا أنَّه - وهو عالمُ السُّنة في زماننا - لحمُه مسمومٌ ، وقد صان اللّهُ عِرضَه ، وحماه في دينِه ، وأظهرَه على النَّاسِ في علمِه ، فلْيَفرَحوا قليلاً ، ولْيَحزنوا كثيراً !! جزاءَ ما صَنَعُوا .

قال الإمامُ ابنُ عساكر في « تبيين كذب المُفتري » (ص ٢٩ - ٣٠) :

« اِعلمْ - يا أخي - وفقنا اللّهُ وإيَّاكَ لمرضاتِه ، وجعلنا ممّن يخشاه ويتّقيه حقَّ تُقاتِه ، أنَّ لحُومَ العُلماءِ مسمومة ، وعادةُ اللّه في هَتك أستارِ مُنتقِصِيهم معلومة ، لأنَّ الوقيعة فيهم - بما هُم منه براءٌ - أمرٌ عظيم ، والتناوُلَ لأعراضِهم بالزُّورِ والافتراء مَرتَعٌ وخيم ، والاختلاق على مَن اختاره اللّه منهم لِنَعْشِ العلم خُلُقٌ ذميم .. والارتكاب لنهي النَّبي ﷺ عن الاغتيابِ جسيم ، ﴿ **فَلْيحذَر الذينَ يُخالفونَ عن أمرِه أن تُصِيبَهُم فِتنَةٌ أو يُصيبَهُم عذابٌ أليمٌ** ﴾ » .

سابعاً : وعلى فَرَضِ أنَّ الشيخ حفظه اللّه أخطأ في فتواه ، فهل يستحقُّ من المشايخ والدكاترة كلَّ هذا ؟! وقد كان فريقٌ منهم بالأمس القريب ، يُثْنون على فضْل علمه هَمْساً (!!) خشيةَ أن ينالوا شرّاً بالثَّناء عليه (جهراً !!) ولقد علموا أنَّ مَن أثنى عليه أو أصابه بلسانِه بأذى فهُما عندَهُ سَوَاءٌ ، **وإلّا فما كان ليكونَ الشيخُ ناصرٌ - اليومَ - هو الشيخَ ناصراً !!**

ثامناً : وليس بغائبٍ عن الشيخ - حفظه اللّه - عندما أفتى فُتياهُ أنَّ أذىً كثيراً سيلحقُه بفتواه ، وبخاصَّةٍ إذا لم تُستَوْفَ بكلِّ جوانبها وأجزائها مِن قِبَلِ سامعيهِ - كما حَدَثَ فعلاً من عددٍ من المشايخِ والدكاترة ، الذين يَحفظونَ جمعياً : ﴿ **ولا يَجرِمَنَّكم** ... ﴾ والبقيَّةُ في أهلِ الكتابِ عندهم ! و﴿ **إنْ جاءكُم فاسِقٌ بنبأٍ** ... ﴾ والبقيَّةُ أيضاً عندهم - ، لكنَّ المشايخَ والدكاترَة يُعذَرون (!) في مواقفِهم وكلامِهم

السَّيِّئ القبيح في الشيخ ، فهم بِحَسَدِهم ليسوا ببالغي شيءٍ ممَّا أفاءَ اللَّهُ به عليه ، من علمٍ وَعَملٍ ودعوةٍ وجهادٍ .

تاسعاً : هذه الفتوى من الشيخ ليست جديدةً - كما أوهم أولئك الحاقدون ولَبَّسوا ودلَّسوا - فقد سُئِلَها مرّاتٍ منذ عِدَّة سنوات ، **وهي مبثوثةٌ في عدَدٍ من الأشرطة** ، ومن الظُّلم أن تُؤخذَ مُقَطَّعةً ، مُجزَّأةً ، مُضافاً إليها سوءُ الظَّنِّ أو ظَنُّ السُّوء .

ومما يثيرُ الدهشةَ والتساؤلَ في آنٍ معاً : **لِمَ تُبعثُ هذه الفتوى - الآنَ - من جديدٍ ، وتُشاعُ في النَّاس في هذا الوقتِ** ، مع العلم أنَّها من الفتاوى القديمة ؟!!

جوابُ ذلك عند المشايخ والدُّعاةِ الذين يُعِدُّون العُدَّةَ **للانتخاباتِ** !! أي واللَّهِ ؛ أو عند **الانتخاباتِ** نفسِها ، فالفرق بين **الانتخابات** وبين الذين يُعِدُّون أنفسَهم لها ، كالفَرقِ بين الأوكسجين **والهَيْدروجين** في الماء !!

عاشراً : ثُمَّ إنَّنا نسألُ المُشَنِّعين على الفُتيا ، **والناشِرين لها** - في آنٍ معاً - : مَن الذي كَدَّ وجدَّ في استنساخ أشرطةِ الفتوى وتوزيعها ؟!

هل هُو الشيخ ؟! أم تلاميذُه ؟! أم هم الشانئون المُنكِرون أنفسهم ؟!

كُلُّ واحدٍ يعرفُ الجواب مِن دونِ ارتياب ، ويعرفُ - بالتَّالي - **دوافعَه الحقيقيّة وبواعِثَهُ** !

حادي عَشَرَ : ومن أراد معرفة حقيقةِ الفتوى تامَّة ، **فلْيَتَّقِ اللَّهَ ربَّه أوّلاً** ، ثمَّ لْيَجْمَع أجزاءها ثانياً ، ثمَّ لِيَفْهَم ما يَعني الشيخُ ويريدُه بفتواه ثالثاً ، وكان خَيراً له لو أنْهَز هِمَّتهُ العلميّةَ القَعْسَاءَ !!! وشَحَذَ سِكّين تقواه المُثَلَّمة !!! وفَهِمَ عن الشيخ مُرادَه ، من غير حاجِبٍ ، ولا تُرجمانٍ ، ولا أفّاكٍ (هائجٍ) ، ولا مُتعالمٍ (مُخْتَلطٍ) ، ولا مُغرضٍ (باهت) !!

ثاني عشر : نُرَتِّب فتوى الشيخ بأجزائها المُؤتلفةِ المُتفرّقةِ في نقاطٍ واضحةٍ .

محدَّدة :

- الهجرة والجهاد ماضيانِ إلى يومِ القيامةِ .
- ليست الفُتيا مُوَجَّهةً إلى بلدٍ بعينِه ، أو شَعْبٍ بذاتِه .
- وقد هاجر أشرفُ إنسانٍ وأعظمهُ محمدٌ عليه الصلاة والسلامُ ، من أشرفِ بُقعةٍ وأعظمِها ؛ مَكَّةَ المكرَّمة ، وكلُّ إنسانٍ - مُنذ خُلق النَّاسُ وإلى قيامِ الساعةِ - دون محمَّدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ منزلةً ، وكلُّ بقاعِ الأرضِ دون مكَّة شرَفاً وقُدْسيَّة .
- وتجب الهجرةُ حين لا يجدُ المسلمُ مُستقَرّاً لدينه في أرضٍ هو فيها ، أو امتُحِنَ في دينِه فلم يَعُد في وُسْعِه إظهارُ ما كلَّفه اللَّهُ به من أحكامٍ شرعيّةٍ ، أو خَشِيَ أن يُفتَنَ في نفسه من بلاءٍ يَقعُ عليه ، أو مسِّ أذى يُصيبُه في بَدنِه فينقلبُ به على عَقِبَيه .

وهذه النقطة هي مناطُ الحُكم في فتوى الشيخ والـمُرتكزُ الأساسُ فيها - لو كانوا يعقلون ! - وبها يرتبطُ الحُكمُ وجوداً ونفياً .

ولكنْ - وللأسف الشديد - **قد غيَّبَ ذلك وأخفاهُ وَكَتَمَهُ** الناقِدون الحاقِدونَ الحاطِبون في مُحاضراتهم و (ملاحِمِهم) المنبريّة !!

قال الإمامُ النَّووي في « روضة الطالبين » (١٠ / ٢٨٢) :

« المسلم إذا كان ضعيفاً في دارِ الكُفرِ ، لا يقدرُ على إظهار الدينِ حَرُمَ عليه الإقامةُ هُناك ، وتجبُ عليه الهجرةُ إلى دارِ الإسلامِ ... » .

- وحين يجدُ المسلمُ مَوضعاً - **داخلَ القُطْرِ الذي يعيشُ فيه** - يَأْمَنُ فيه على نفسه ودينِه وأهلِه ، ويَنْأَى فيه عن الفِتْنةِ التي حلَّت به في مدينتِه أو في قريتِه ، فعليه - إنِ استطاعَ - أن يهاجرَ إلى ذلك المكان داخلَ قُطرِه نفسِه ، وهذا أَوْلى - ولا شكَّ - مِن أن يُهاجرَ إلى خارجِ قُطرِه ، **إذ يكونُ أقربَ إلى بلده ليُسرعَ بالرجوعِ إليه بعد زوالِ السَّببِ الذي من أجله هاجَرَ .**

وهذه نُقطةٌ أخرى - أيضاً - قد غيَّبها أولئك (القوم) الذين لم يَرْقُبوا في

الشَّيخ ، والعلم ، والنَّاس ، إلّاً ولا ذِمَّةً !!

□ إذن ؛ فالهجرة كما أنّها مشروعةٌ من قُطر إلى قُطرٍ ، فهي مشروعةٌ من قريةٍ أو من مدينةٍ إلى قريةٍ أو مدينةٍ داخلَ القُطرِ نفسه ، **والمهاجرُ يعرفُ من نفسِه ما لا يعرفُه منه غيرُه** .

وهذا – ثالثاً – قد غيَّبه أولئك (القوم) زاعمين أنَّ الشيخَ يأمرُ أهلَ فلسطين بالخروجِ منها !! **نعم ؛ هكذا – واللّه – مِن غير تفصيلٍ أو بيانٍ** !! ولكنْ :

فما يَبْلُغُ الأعداءُ مِن جاهِلٍ　　　مَا يَبْلُغُ الجاهِلُ مِن نَفْسِه !

□ والهجرةُ من قُطرٍ إلى قُطرٍ لا تُشرَعُ إلّا بدواعيها وأسبابِها مِن مِثلِ ما ذَكَرنا في فقرةٍ مضت ؛ ومن أعظم هذه الأسباب ، أن تكونَ الهجرةُ للإعداد واتّخاذِ الأُهبة التي أمر اللّه بها ، ﴿ **وأعِدُّوا لهم ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيلِ تُرهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم . . .** ﴾ ، لإجلاء الأعداءِ عن أرضٍ من أرضِ المسلمين وتخليصِها من أيديهم ؛ ليعودَ إليها حُكمُ الإسلامِ كما كان مِن قَبْلُ .

فالهجرةُ – إذن – من الإعدادِ الذي أمر اللّهُ به وحَضَّ عليه ، ومَنْ أبطأ فيها – وقد تَهيَّأت أسبابُها ودواعيها – فقد عصى اللّهَ ، ونأى بجانبِه عن أمره .

فإنْ عَلِمَ المسلمُ أو المسلمون أنّهم ببقائهم في ديارِهم يَزدادون وَهْناً إلى وَهْن وضَعفاً إلى ضَعفٍ ، وأنَّهم إنْ هاجروا ذَهَبَ الوَهْنُ عنهم ، وزال الضَّعفُ منهم ، وبَقُوا – بعد علمهم هذا – ولم يُهاجِروا ؛ – إن استطاعوا – فهم آثِمونَ عاصُونَ أمْرَ اللَّه ، وربَّما عُوقِبوا بمعصيتهم هذه عقوبةً أعظمَ وأشدَّ نُكراً ، تتلاشى فيها شخصيتُهم ، وتغيبُ معها صورتُهم ، وتَضِلُّ بها عقيدتُهم ، ثمّ لا يَجدُون لهُم مِن دونِ اللَّهِ وليّاً ولا نصيراً .

وما صارَ إليه المسلمون في **الأندلس** ، وفي غيرها من البلاد ، شاهدٌ منظورٌ يَقُصُّ علينا مِن نَبَئِه ما يبعثُ مَنْسِيَّ الشَّجَن ، ويُنسي لذَّة الوَسَن ، ويُذَكِّر مَحْظُورَ

السُّنَن ! فهل مِن مُدَّكِرٍ ؟

□ **ومما لا شكَّ فيه – مّا كتمه – أيضاً – ناقلو الفُتيا المُشِيعونَ لها – أنَّ هذا كلَّه مَنُوطٌ بالقدرةِ والاستطاعةِ** ، لقوله تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلّا وُسْعَها** ﴾، ولقوله سُبحانَه : ﴿ **فاتَّقُوا اللهَ ما استطعتم** ﴾ ؛ فإنْ لم يجد المسلم أرضاً يأوي إليها غيرَ الأرضِ التي هو فيها ؛ يأمَنُ فيها على دينه ، وينجو من الفتنةِ الواقعِ فيها ، أو حِيلَ بينَه وبينَ الـهجرةِ بأسبابٍ مانعةٍ قاهرةٍ لا يستطيعُ تذليلَها ، أو استوت الأرضُ كلُّها في الأسبابِ والدَّواعي الموجبةِ للهجرةِ ، أو عَلِمَ في نفسِه أنَّ بقاءه في أرضِه آمَنُ لدينِه ونفسِه وأهلِه ، أو لم يكن مِن مُهاجَرٍ إلّا إلى أرضٍ يُحكم فيها بالكُفر الصُّراح علانيةً ، أو كان بقاؤه في أرضِه المأذونِ له بالهجرةِ منها مُحَقِّقاً مصلحةً شرعيّة ، سواءٌ أكانت هذه المصلحة للأمَّةِ ، أم بإخراجِ أهلِ الكُفرِ من كُفرِهم ، وهو لا يخشى الفتنةَ على نَفْسِه في دينِه ، **فهو في هذه الأحوال كلِّها ، وفي الأحوال التي تُحاكيها ، ليس في وُسعِه إلّا أن يبقى مُقيماً في أرضِه ، ويُرجَى له ثوابُ المُهاجرين ، فراراً بدينِهم ، وابتغاءَ مرضاةِ ربِّهم** .

قال الإمامُ النَّووي في « الروضة » (١٠ / ٢٨٢) – مُتمِّماً كلامه الذي نقلتُه عنه – قبلُ – :

« ... **فإن لم يَقدِر على الهجرةِ فهو مَعذورٌ إلى أن يقدِرَ** » .

□ ويقالُ في أهلِ فلسطينَ – خصوصاً – ما يُقالُ في مثلِ هؤلاء جميعاً ، **فلقدْ** سُئِلَ الشيخُ – حفظهُ اللّهُ – عن بعضِ أهلِ المدنِ الّتي احتلَّها اليهودُ عامَ ١٩٤٨ م ، وضَربوا عليها صبغةَ الحكمِ اليهوديِّ بالكليّةِ ، حتّى صارَ أهلُها فيها إلى حالٍ سيِّىءٍ من الغربةِ المُزمِلةِ في دينهم ، وأضحوا فيها عبدةً أذلاءَ لليهود ؟

فقـالَ : هلْ في قُرى فلسطينَ أو في مدنها قريةٌ أو مدينةٌ يستطيعُ هؤلاءِ أنْ يجدوا فيـها دينَهمْ ويتَّخذوها داراً يدْرءُونَ فيها الفتنةَ عنهم ؟ **فإنْ كانَ ؛ فعليهم أن**

يُهاجروا إليها ، ولايخرجوا من أرضِ فلسطينَ ، إذ إنَّ هجرتَهم من داخلها إلى داخلِها أمرٌ مقدورٌ عليهِ ، ومُحَقِّقٌ الغايةَ من الهجرةِ .

وهذا تحقيقٌ علميٌّ دقيقٌ ينقضُ زعمَ من شوّشَ وهوّشَ مُدَّعياً أنَّ في فتيا الشيخِ إخلاءً لأرضِ فلسطينَ من أهلِها ، أو تنفيذاً لمخططاتِ يهود !!

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمونَ ﴾ .

أُفٍّ لكم أيُّها الناقدون الحاقدونَ ! هل علمتم هذا التَّفصيلَ أم جهلتموهُ ؟!

إنْ كنتمْ علمْتُموهُ فَلِمَ أخفيتُموهُ وكَتمتُموهُ ؟!

وإنْ كنتم جهلتموهُ ! فلماذا رَضيتم لأنفسكم الجهلَ ، وللشيخِ الظلمَ ، وللنّاسِ التَّضليلَ ؟!

أم انَّ هذهِ تجارتُكم تخشونَ كسادَها ؟! بئستْ البضاعةُ ، وبئستِ التِّجارةُ !

□ وليعلمَ المسلمُ أنَّ الحفاظَ على الأرضِ والنَّفسِ ، ليسَ أولى من الحفاظِ على الدِّينِ والعقيدةِ ، بل إنَّ استلابَ الأرضِ - ممن يظلُّ مُقيماً فيها رجاءَ الحفاظِ عليها ، غيرَ واضعٍ في حِسابِهِ الحفاظَ على دينِه أولاً - قد يكونُ أيْسَرَ حالاً ، لكنَّه أشدُّ إيذاءً ، وأعظمَ فتنةً .

والعدوُّ الكافرُ الّذي يحتلُّ أرضاً - وأهلُها مقيمونَ فوقها - يملكُ الأرضَ ، وَمن عليها وما عليها ، فالكفرُ لا يحفظُ للإسلامِ عهداً ، ولا يرعى للمسلمينَ إلاًّ ولا ذمّةً ، ولايقيمُ لهم في أرضهم وخارجِ أرضهم وزناً .

وأمَّا الحِفاظُ على النَّفسِ ؛ فلانُريدُ إطالةَ القولِ فيهِ ، أو التدليلَ عليهِ بأكثرَ من التّذكيرِ بواقعتيْ هذا القرنِ المريرَتَيْنِ : النَّكبةُ والنَّكسةُ !!

فأيُّهما أولى وأحرى : الهربُ والفَرارُ محافظةً على النّفسِ والولد ؟! أم الهجرةُ واتّباع الشّرْع بكلِّ استعلاءٍ وإباءٍ حِفاظاً على الدين ؟!

واخيراً :

فإني أُذَكِّر (السادة) – المشنِّعين على الشيخ في فُتياه – !! بأمورٍ لعلَّها تكونُ نافعةً في توبةٍ نصوحٍ ، يَعْجَلون بها إلى ربِّهم ، قبلَ أن يأتيَ يومٌ لا ينفعُ فيه خُلَّةٌ ولا شَفاعةٌ ، **والشاغبون على الشيخ هم الظالمون .**

الأوّل : هل يجوزُ شرعاً أن يكونَ الشريطُ المُسَجَّل دليلاً شرعيّاً قائماً على صحَّةِ نسبة دعوى ما إلى مَن تُنسَب إليه ، حتى لو كان الصوتُ المُسَجَّلُ هو صوتَ من نُسِبَت إليه تلك الدَّعوى ؟ والجوابُ بالإيجابِ أو النَّفيِ ، هو الذي يُحْكَمُ به على صحَّةِ تلك الدَّعوى أو على بُطلانِها ؛ وبخاصَّةٍ أنَّ **الحزبيّة المعاصرةَ** تفعلُ سائِرَ ما تستطيعُ أن تفعله من تزويرٍ أو تحويرٍ – كما يعرفُهُ أربابُها مِن أنفسِهم – **من أجل تحقيقِ غاياتِها وأهدافها !!**

الثاني : كما أنَّ الجواب – إيجاباً أو نفياً – يُعين على فهم قوله تعالى : ﴿ **إنْ جاءَكُم فاسقٌ بنبأ فتَبيَّنوا أن تُصيبُوا قَوماً بِجَهالَةٍ فَتُصبِحُوا على ما فَعَلتُم نادِمين** ﴾ ، وعِلْمُ تحليلِ الأصوات لا يُقَدِّم ولا يُؤَخِّر في الاعتداد بالحُكمِ على صحة الدعوى أو على بُطلانها ، ولا أدري إن كان هذا قد مرَّ بخواطر العادِين على الشيخ أم لم يَمُرَّ ؟

فكيفَ إذا كان الشريطُ المُسَجَّلُ – الذي نَشَروهُ وأذاعوهُ – واحداً مِن عِدَّةِ أشرطةٍ لا يتمُّ الحُكْمُ على الفتوى المقصودةِ بالبحثِ إلَّا بالوقوف عليها جميعها ، وهذا ما لم يفعلْهُ واحدٌ من أولئكَ المشايخ !!

الثالثُ : هل يجوزُ شرعاً أنْ يُتَّخذَ السَّبقُ الصَّحفيُّ مَقيساً عليهِ في الحكمِ على الأمورِ والأشياءِ حكماً شرعياً ؟ فالسَّبقُ الصحفيُّ لا تفريقَ فيه بين الصدقِ والكذبِ ، ولا بينَ الحقيقةِ والخيالِ ، ولا بيَن الحقِّ والباطلِ .

والحكم الشَّرعيُّ يخضعُ للوحيِ ، فالحقُّ والحقيقةُ رداؤهما الصدقُ ، والباطلُ والخيالُ رداؤهما الكذبُ ، وأينَ هذا من ذاكَ ؟ هل يستويانِ مثلاً ؟

الرّابعُ : نسألُ (المُثوِّرين) لِلْفُتْيا : هل أَحسنوا صنعاً في أنفسهم وفي النّاسِ - حينَ هاجتْ هائجتُهم ، وخرخَرتْ أصواتُهم ، وتسَعَّرتْ لَهَواتُهم ، ورقصت قلوبُهم ، فوقَ منبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فرحاً ، واهتزّت أجسامهم طَرَباً على كَراسيِّهم العلمية - إنْ كانتْ !! - **وهم يتغامزونَ بفتوى الشيخِ ،ويكيلونَ له بها التُّهمَ** ، الواحدةَ تلوَ الأخرى ، ويأخذها بعضهم عن بعضٍ ، من غير أن يكونَ لدى الواحدِ منهم الشّجاعةُ الأدبيةُ - كما يقالُ - ليتثبَّتَ أو يتبيَّنَ ؛ فيتصلَ بالشيخِ هاتفيّاً - إن كانَ تُخيفُه لقياه وَجاهياً - يسألهُ عن صدقِ نسبةِ هذهِ الفتوى - كما صاغوها وصنعوها - له ، أو كذبِها ؟!! .

وهل هذا هو الخُلُقُ العلميُّ الّذي عَرَفوهُ - إنْ كانوا عَرفوه - من سيرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسلوكِ أصحابِهِ ، والتّابعينَ وأتباعهم من بعده ؟

إنَّها واللَّهِ الوائدةُ المُؤْضِحةُ ، المُوقَدةُ !!!

ومن هانَ عليه دينُه هانَ عليهِ كلُّ شيءٍ .

ولا أدري ماذا يُفيدُ منهم تلامذتُهم ، ومُريدوهم ، والمصَفِّقونَ لهم ، وهم على مثلِ هذا الخُلُقِ الحانفِ بهم عن مودَّة الإيمانِ وأهلِهِ ؟! وهل أحدُهم يقدرُ على أن يقفَ أمامَ جبّارِ السماواتِ والأرضِ يومَ القيامةِ ، بواحدةٍ ممّا ألقى بها إلى مسامعِ النّاسِ طاعناً ذامّاً بها الشيخَ ؟! فكيفَ بها مجتمعةً ؟!

الخامسُ : وليسَ من شكٍ - بعد هذا البيانِ - أنَّ المُكابرَ في الوُضوحِ لهذا الحقِّ الصُّراحِ هو إنسانٌ قد أصابَهُ الخَرَفُ ولو في شرخِ شبابِهِ (!) ، **لكنَّهُ خَرَفُ الإنصافِ والتّصوُّرِ المستقيمِ !!**

وأمّا **الكبراءُ الكُبَراءُ من أساطين السُّنة** وعُلماء الحديثِ ؛ فلقد شَمِلَهم - بفضل اللَّه ومنّه - دُعاءُ رسول اللَّه ﷺ : « **نَضَّرَ اللَّهُ امرءً** سمع مقالتي فوعاها ، فأدّاها كما سَمِعَها ... » وإنْ رَغِمَت أنوفُ الناقدين الحاسدين الحاقدين !

ومِن أعجبِ شيءٍ يكونُ في هؤلاءِ الناقدين أنَّهم مُتعالون ، وعلى رُفعاءِ القَدْر مُتطاولون ، مَعَ أنَّهم في الجهلِ غارقون ..

السادس : اعلموا - وأنتم تعلَمُون ، أيُّها (المشايخ) ! - أنَّ الموت قريبٌ ، وأنَّ عذابَ اللّهِ إمَّا غادٍ إليه أو رائحٌ ، وأنَّ خيرَ الزَّادِ التقوى ، وأنَّ النَّاس مَجْمُوعون إليه ، واقِفون بين يَدَيه ، مسؤولون عمَّا قدَّموا ، ليس بينَهم وبينه تَرْجُمانٌ ولا حاجبٌ ، فانْهِدوا أنفسَكم إلى توبةٍ أعرَضَتْ عنكم بسوءِ ما تَصنَعُون ، وأوْلَتْكُم قفاها من شرِّ ما تفعلون ، وبَرئت منكم وممَّا تقولون وتعملون من قبل أن يأتيَكم الموتُ وأنتم لا تشعرون .

السابع : وخيرٌ لكم - أيُّها المُشَنِّعون ! - أن تُوقِنوا أنَّ ما تُبَيِّتُونه من مَكْر السَّيىء للشيخِ مردُّه إليكم ، وأنَّ شعارَ الشيخ تلك الكلمةُ الحكيمة : « **قُل كلمتك وامضِ ، فإن لم تَرَ معناها أنتَ ، فسيراه غيرُك مِن بعدِك** » .

وعليه ؛ فإنَّ هذا **الصَّخَبَ الهائج - ذا الكَلامِ المائج** - الذي أثاروهُ مِن على منابرِهم وسوَّدوه فوق صحائفهم ، سينعكسُ عليهم ، وترتَدُّ سهامُهُ إليهم ، ويرتكسون به في أودية الوَيْلِ والثُّبورِ ...

أمَّا عامَّةُ النَّاس **فهي لهم فُرصَةٌ غاليةٌ يتعرَّفون فيها إلى الشَّيخ** ، وينظرون من خِلالها تواليفَه ومصنَّفاته ، ويَنْهَلون عَبرَها عِلمَه وفُنونه ، بعد إذ سَمِعُوا اسمَه - **ولو بصورَةٍ بَتراءَ مُشَوَّهةٍ** - مِن خصومِه ، والنائلينَ منهُ ، وناقديه !!

وإذا أرادَ اللّـه نشرَ فَضِيلَةٍ   طُوِيَتْ أتاحَ لها لِسانَ (حَقُودِ)

﴿ وللهِ الأمرُ مِن قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ ﴾ .

وكلمةٌ أخيرةٌ لا بُدَّ منها ؛ نقولُها لهؤلاء القوم الذين يُغرِقونَ غيرَهم بالمِثاليات (!) ، ويَدْعُون سواهم إلى (أدب الحِوَار) ، (ومعذرة المُخالف) و ... و ..!!

فنقولُ : فَلْنَفْرِض - جدلاً - أنَّ فتوى الشيخ خطأٌ مَحضٌ ، فما الحُكْمُ

الصائبُ عليها ؟

الجوابُ مبنيٌ على معرفةِ مِن أيِّ أبوابِ العلم هي ؟! أهي مِن مسائلِ التوحيدِ والاعتقادِ ؟! أم مِن مسائلِ الفقهِ والأحكامِ ؟!

وهو جوابٌ بَيِّنٌ جداً لكُلِّ مَن شَدَا من العلم حروفاً .

وإذا وَضَحَ ذلك ؛ فإنَّ (أغلطَ) كلمةٍ يُمكِنُ أن تُقال في (أكبرِ) غَلَطٍ من أغلاطِ الفقهِ والأحكامِ : هذا خطأٌ ، أو : خلافُ الصوابِ ، ونحو ذلك ...

أمَّا (التضليلُ) و (التَّفسيق) و (الاتهام) **فهي كلماتٌ لا تخرجُ من العُلَماء ، ولا هي من أخلاقِ[1] الفُقهاء !**

خذ ما تَراهُ ودَعْ شيئاً سَمعتَ بهِ   في (رَوعَةِ الحقِّ) ما يُغْنيكَ عَن (كَذِبِ)

﴿ إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والذين آمَنُوا في الحَيَاةِ الدُّنيا ويَومَ يَقُومُ الأشهادُ ﴾ .

﴿ إنَّ رَبَّكَ لبالمرصادِ ﴾ .

والحمدُ للَّه أوّلاً وآخراً ، وصلّى اللّه وسلّم على النّبيِّ الهادي المُجتبى [2].

---

(١) وَيَجْمُلُ بنا - أخيراً - أن نشكُرَ لِنَفرٍ من أهلِ الفَضلِ فَضْلَهم - وهم عَدَدٌ قليلٌ مِن الأساتِذةِ - إذ ناقشوا فتوى الشيخ ، ودرسوها ، وأصدروا رأياً لهم فيها ؛ ولكنّه كان رأياً مخالفاً له ؛ لكونِه مبنيّاً على قُصورٍ في تصوُّرِ فُتيا الشَّيخِ وحيثيّاتِها ، ومن قواعد العلم المعروفة : (الحُكمُ على الشَّيءِ فَرعٌ من تصوُّره) .

وهم - جزاهم اللّهُ خيراً - وإنْ خالفوا في بيانهم المنشور حُكْمَ الشَّيخِ وفُتياه ، - لِمَا ذكرنا - فإنَّهُ ليس عليهم في مخالفتهم هذه تثريبٌ أو غَضاضةٌ ، إذ قيل قديماً : « **الخلافُ لا يُفسِدُ للوُدِّ قضيَّةً** » .

ونحن نَشكُرهم ؛ لأدبِهم في الحِوَار ، وتَلَطُّفِهم في البحث .

إنّا لفي زَمَنٍ تركُ القبيحِ به   من أكثرِ النّاسِ إحسانٌ وإجمالُ

(٢) والبيانُ التفصيليُّ الوافي تجدُه في رسالتي « **ماذا ينقمون من الشيخ ؟** » ، ومنها اختصرتُ مقالي هذا .

١

الثقافةُ ... والغَزْوُ الثَّقافيُّ

د. مروان القيسي

كان مصطلحُ « الثقافة » - وما زال - في نَظَر الكثيرِ من النَّاس مُرادفاً للعلم والمعرفة ! وهذا ظنٌّ جانَبهُ الصوابُ ، فالطَّبقةُ المثقفة في نظر الكثيرين هي الفئةُ المتعلمة ، والإنسان المثقف هو من قرأ شيئاً من الكتب والدوريات واختزن في ذهنه الكثيرَ من المعلوماتِ والنظرياتِ .

غيرَ أنَّ هذا يُخالفُ ما ذهبَ إليه الاختصاصيّونَ في ميدانِ الثقافةِ ، فهي لديهم: (ثمرةُ كلِّ نشاطٍ إنسانيٍّ محليٍّ نابعٍ عن البيئةِ ومُعبِّرٍ عنها أو مواصلٍ لتقاليدها في هذا الميدانِ أو ذاكَ) .

وثقافةُ أيَّة أمةٍ من الأُمم هي علمها الّذي توارثهُ أجيالُها وتسيرُ بهِ في شئونِ حياتها ، أي : هي طريقتها في الحياةِ ، تدخلُ في ذلكَ اللغةُ أو اللَّهجةُ من اللُّغةِ ، ونظامُ إقامةِ البيوتِ وأنواعُ المآكلِ وطرقُ تحضيرها وطرقُ تناولها والملابسُ والفُرُشُ والثيابُ وأشكالها والأمثالُ والحكاياتُ الشعبيةُ وتَصوُّرُ أهلها للدنيا وموقفُهم من الحياةِ

وطريقةُ سيرهم فيها وحِرَفُهم وطرائقُهم في الصناعةِ والزراعةِ والتجارةِ والملاحةِ ، وباختصارٍ ؛ هي : طريقةُ شعبٍ في الحياةِ بكلِّ ما تضمّهُ حياةُ الشعبِ من تفاصيلَ .

وإذا كانت ثقافةُ أيةِ أمةٍ هي طريقتها في الحياةِ ، وبما أنَّ لكلِّ أمةٍ طريقةً في الحياةِ فإنَّ لكلِّ أمّةٍ - أياً كانَ حظُّها من التقدمِ أوالتأخرِ - ثقافةً ، وحيثُ إنَّ ثقافةَ الأمةِ هي طريقتها في الحياةِ فهي إذن شخصيتُها المميّزةُ لها عن غيرها من الأممِ والشعوبِ .

والثقافةُ بهذا تختلفُ عن العلمِ اختلافاً بيناً ، فالعلمُ عالمي وإنْ اختلفت اللغةُ الّتي يؤدى بها ، أما الثقافةُ فهي محليّةٌ خاصة بشعبٍ من الشعوبِ ومُـمَـيِّـزةٌ لهُ عن غيرِهِ .

وبناءً على ما سبقَ فإنَّ الثقافةَ الإسلاميةَ هي الشخصيةُ المميزةُ للشعوبِ الإسلاميةِ عن غيرِها من شعوبِ العالمِ وأُممِهِ المختلفةِ .

▫ الدين والثقافة :

تتكونُ ثقافةُ أيةِ أُمةٍ خلالَ مُدةٍ بفعلِ عواملَ وقوى متعددةٍ تُشاركُ في صنعِ أسلوبِ الحياةِ ، فمن هذهِ العواملِ ظروفُ الأُمةِ وتجارِبُها في الحياةِ وعواملُ مناخيةٌ وجغرافيةٌ وتاريخيةٌ .. إلخ ، غير انَّ أهمَّ ما يُشاركُ في صنعِ ثقافةٍ ما وإخراجها إلى حيّزِ الوجودِ وبلورةِ أبعادها وتحديدِ ملامحها هو عاملُ الدِّين ، أياً كانَ ذلكَ الدين ، ولذلك فإنَّ الصوابَ لم يجانب (إلْيُوْ) حينما أشارَ إلى هذهِ الحقيقةِ في كتابِهِ « ملاحظات نحو تعريف الثقافة » إذ قالَ : « إنَّ القوةَ الرئيسيّةَ في خَلقِ ثقافةٍ مشتركةٍ بينَ شعوبٍ متعددةٍ هي الدينُ » ولكنَّ الأديانَ نفسها تتباينُ قوّةً وضعفاً ، ولذا فقد

كان من الطبيعيِّ أن يتفاوتَ تأثيرُها في صنعِ الثقافاتِ الّتي تنتسبُ إليها وتتسمّى بها بحسب قوتها وضعفها ، وبحسبِ ما تتمتعُ بهِ وتمتازُ من تكاملٍ وشموليّةٍ يسمحانِ لها ويؤهّلانها لفرضِ هيمنتها وممارسةِ نُفوذها على مناحي الحياةِ وميادينها كافة ، فكلّما كانَ الدينُ شاملاً مُتكاملاً في تشريعاتهِ كلّما كانَ تأثيرُه في أسلوبِ الحياةِ والثقافةِ أعمقَ وأوضحَ .

ولذا فقد كانت هناكَ دوماً ثقافاتٌ قويّةٌ وأخرى ضعيفةٌ يفرزُ ذلكَ قوةُ أو ضعفُ العواملِ والقوى الّتي تُشاركُ وتساهمُ في صنعِ ثقافةٍ ما .

□ الإسلامُ ثقافةُ المسلمين :

في الوقتِ الّذي لا يُمكننا الادّعاء أنَّ الإسلامَ أكثرُ الأديانِ أتباعاً على كوكبنا هذا ، فإنَّ أحداً لا يجرؤُ على إنكارِ حقيقةٍ مفادها **أنّهُ أقوى الأديانِ فعاليةً وتأثيراً في نفوسِ أتباعهِ** ، ولذلكَ أسبابٌ عِدّةٌ ، منها : شموليته المتكوّنة من شريعةٍ وطريقةٍ كاملةٍ للحياةِ وعالميته وانسجامُ أُصولِهِ وفروعِهِ معَ الفطرةِ والعقلِ ، ويسرُه ، ولذا فقد كانَ من الطبيعيِّ أن يُفرزَ هذا الدينُ ثقافةً مُتجانسةَ الأجزاءِ قويةً وإيجابيةً وقادرةً على الصمودِ أمام تحدياتِ الغزوِ الثّقافي أياً كانَ مصدرهُ ، شرقياً أو غربياً ، وأيّاً كانت قوته .

لقد أوجدت الفكرةُ الرّاسخةُ الأصيلةُ الّتي جاء بها الإسلامُ متمثلةً بعقيدتهِ والقانونِ المتكاملِ الشاملِ لكلِّ نواحي حياةِ الفرد والمجتمعِ والدّولةِ ، أوجدت تصوراً واحداً وموقفاً واحداً ومشاعرَ واحدةً لكلِّ المسلمينَ ، **فكانت الثقافةُ الإسلاميةُ هي القاسمَ المشتركَ الأعظمَ بينَ الشعوبِ الإسلاميةِ جمعاء** .

ولقد حرصَ رسولُ اللّهِ ﷺ على الوحدةِ الثقافيةِ للأمّةِ المسلمةِ فأكّدَ على

ضرورةِ التزامِ المسلمينَ جميعاً بنظرةٍ واحدةٍ وموقفٍ عمليٍّ واحدٍ نابعٍ من الكتابِ والسنةِ ، وحذَّرَ من الابتداعِ الّذي له أخطارٌ عديدةٌ أكثرها شراً خلقُ ثقافاتٍ دخيلةٍ في جسمِ الثقافةِ الأصيلةِ الّتي جاءَ بها القرآنُ الكريمُ والسنّةُ المطهرةُ ، وهو عليهِ السلامُ - في الأحاديثِ العديدةِ الّتي حذَّرَ فيها المسلمينَ من الإضافةِ للدينِ ما ليسَ فيهِ - إنَّما كانَ في الواقعِ يُحذِّرُ من نجاحِ أيَّةِ مُحاولةٍ لغزوٍ ثقافيٍّ أجنبيٍّ ، والأحاديثُ الصحيحةُ الّتي صرَّحت بذلك كثيرةٌ منها الحديثُ الصحيحُ الّذي روته عائشةُ أمُّ المؤمنينَ رضيَ اللّهُ عنها في « صحيحي البخاري ومسلم » و « سننِ أبي داود وابنِ ماجه » ، قولهُ ﷺ : « من أحدثَ في أمرنا ما ليسَ منه فهوَ ردٌّ » .

◘ الغزو الثقافي :

لقد كانَ وجودُ قويٍّ وضعيفٍ يُغري دائماً الأوّلَ بغزو الثاني وفرضِ هيمنتهِ عليهِ ، وهذا ليسَ بِدعاً بالنسبّةِ للقوانينِ الوضعيةِ الّتي تحكمُ العلاقاتِ الإنسانيةَ ، فوجودُ القويِّ والضعيفِ اقتصادياً قادَ - دائماً - لغزوٍ وهيمنةٍ اقتصاديةٍ ، وأوضحُ مثالٍ على هذينِ الأمرينِ حالُ أمتنا الآنَ عسكرياً واقتصادياً !!

ووجودُ ثقافتينِ إحداهما قويةٌ والأخرى ضعيفةٌ ليسَ استثناءاً ، فهو يقودُ أيضاً إلى غزوٍ يُدعى الغزوَ الثقافي ، وهو - بلا أدنى ريبٍ - أكثرُ أنواعِ الغزوِ خطراً ، وله - في العصر الحاضر - أمثلةٌ متعدِّدةٌ كثيرةٌ .

(... للبحث صلة)



موقفان ...

علي بن حسن

قال أخٌ في الله :

... كانت خُطبةُ الجُمُعةِ ذلك اليومَ خُطبةً رائعةً بما فيها مِن أحكام ، وآدابٍ ، وتنبيهات ...

وبعد الخُطبة وأثناءَ الصلاةِ ... قرأ إمامُ الجمعةِ آياتٍ كريمةً من سورة ﴿ ق ﴾ ، بأُسلوبٍ بديعٍ ، وصوتٍ حَسَنٍ ، وأداءٍ جميلٍ حتى كأنَّ الآياتِ - عند سماعِها - تُفهِم سامعيها مَعَانيَها ، وتُوصل إليهم مَرَامِيَها .

وبدأتُ أُحِسُّ - وأنا أسمعُ قراءةَ الإمام أثناءَ الصلاة - كأنَّ آهاتٍ عميقةً تَصْدُر مِن هناك أو هنالِك ... وإذا بالآهات تعلو حتى كادت أن تكون صيحات ... وإذا بأصوات البكاء - بل النَّحيب - تتعالى ، وترتفعُ ، ومِن بين ذلك كُلِّه يَنسابُ صوتُ الإمام مُرَتِّلاً : **﴿ ولقد خَلَقنا الإنسانَ ونعلمُ ما تُوسوس به نفسُه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قَعِيدٌ . ما يلفظُ من قَولٍ إلّا لَدَيْهِ رقيبٌ عَتيدٌ . وجاءَتْ سكرةُ الموتِ بالحقِّ ذلك ما**

كنتَ منه تَحِيدُ . ونُفِخَ في الصُّور ذلك يومُ الوعيد . وجاءَت كُلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ ... ﴾ .

وما زال البكاءُ مستمرّاً ، وأجواءُ المسجدِ إيمانيّةٌ عاليةٌ ، والقلوبُ تخفقُ ، وصوتُ الإمام يتهدَّج .. و .. و ...

ثمَّ - بين ذلك كلِّه - تذكّرتُ نَفْسي .. أين أنا ؟!

فإذا بدَمَعاتٍ تذرفُ مِن عينيّ ..

ولكنْ .. هل هي دَمَعاتُ خُشوعٍ وتدبُّر للقرآن ؟!

أم هي غيرُ ذلك ؟!

نعم ؛ لقد بَكَيتُ ، ولكنْ .. على نفسي ، لأنّي لم أتأثّر بالقرآن !!!

﴿ أفلا يتدبَّرون القُرآنَ أم على قلوبٍ أقفالُها ﴾ ؟ .

﴿ لو أنزَلنا هذا القُرآنَ على جَبلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدِّعاً من خشية اللَّه ﴾ .

﴿ إنَّما المؤمنون الذين إذا ذُكر اللَّه وَجِلَت قلوبهم وإذا تُلِيَت عليهم آياتُه زادَتهُم إيماناً وعلى ربِّهم يتوكَّلون ﴾ .

... ولكنَّ سلوى مَن هذا حالُه قولُ رسولِ اللَّه ﷺ :

« مَن سرَّته حسنتُه وساءَتْهُ سيِّئتُه فهو مؤمنٌ » (١).

▫ (صورةٌ) واقعيةٌ :

... وقع تحت يدي - بِقَدَر اللَّه سبحانه - عددٌ جديدٌ من أعداد مجلّة (نيوزويك) الأمريكية (!) ... وبحكم أنَّ لُغتي الإنجليزية مُتهاوية (!) بدأت أُقلِّب صفحاتها ، وأنظُر - سريعاً - إلى رؤوس مقالاتها ومواضيعها ... فلفت نَظري - فيما

(١) حديثٌ صحيح ، يُنظر تخريجه في التعليق على « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٥٢١) لشيخنا الألباني .

لَفَت - مقالٌ حولَ الشيخ عمر عبدالرَّحمن [١]، وأحداثِ (مانهاتن) ، وما يتعلَّق بها من قبلُ ومن بَعدُ !! مع تحليلات صحفيّة سياسيّة عدَّة ، ومن زوايا (!) مُتنوِّعة !!

وهذا -كما هو ظاهرٌ- أمرٌ اعتياديّ بالنسبة للأمريكان ، ومُعالجتهم (المعروفة) للأحداث ..

ولكنَّ غير الطبيعي - بالنسبة لنا على الأقل ! - تلك الصورة التي أُرفقت مع المقال ... حارسان شديدان من ذوي العضلات المفتولة ؛ واحدٌ على الشمال ، والآخر على اليمين ... يقتادان (بقوّةٍ) ذاك الشيخَ الضريرَ الضعيفَ ... **وقد جرَّدوه من جُبّته وثوبه** ... وألبسوه (سراويل) السِّجن الضيِّق الذي لا يكادُ يُحسن المشي فيه !! فضلاً عن محاولته (الظاهرة) للُّحوقِ بحارسيه !!

تُرى .. لو كان هذا قِسّيساً ... أو حاخاماً !! هل يُعاملونه بهذه الطريقة المُزرية نفسِها !؟ ...

لا والله ... إنَّها صورةٌ من صُور الإذلال والإهانة التي يسعى (الصليبيُّون الجُدد) لإلصاقها **بالمسلمين** ؛ عُلماء ودُعاةً ومُلتزمين ...

إنَّها صورةٌ من صور (الغطرسة) الأمريكانية المُتعجرفة التي تذوب معَها كلُّ القيم والأخلاق (**الإنسانية**) ...

وصدقَ ربُّنا - سبحانه - القائل : ﴿ ولن تَرضى عنكَ اليهودُ ولا النَّصارى حتَّى تتَّبع مِلَّتهم ﴾ ..

﴿ وَدَّ كثيرٌ من أهلِ الكتاب **لو يَرُدُّونَكم من بعدِ إيمانكم** كُفَّاراً حسداً من عندِ أنفسهم من بعدِ ما تبيَّن لهم الحقُّ ﴾ .

(١) ولنا على منهجه وطريقته في الدعوة ملاحظاتٌ عدَّة ليس هنا موضعُ بيانها وإظهارها ، سائلين الله تعالىَ أن يُفرِّج كربَه ، وأن يدفعَ عنه الأذى .

مسائل وأجوبتها

العلامة محمد ناصر الدين الألباني

سؤال / ١ – رجلٌ أكل أو شرب ناسياً في صيامِ نفلٍ ، ماذا عليه ؟ وما هو حكمُ الجماع لو وقع من صائمٍ ناسياً في صيام فريضة ؟

جواب – الأكل والشرب ناسياً ، لا فرق فيه بين صيام الفرض والنفل ، وهو كما قال عليه الصلاة والسلام : « ... إنَّما أطعمه اللّه وسقاه » .

أمَّا الجماع ناسياً ، فلا أتصوَّره بين زوجين ، أتصوَّره بالنسبة لأحد الزوجين المُغرِقين في الغفلة ، ولكن ما بال الزوج الآخر ؟ سواء كان ذكراً أم أنثى .

ولذلك لا بُدَّ أن أتصوَّر تساؤلاً وقع بين أحد الزوجين ، فلذلك لو فرضنا أحدهما كان ناسياً والآخر مستغلاً هذا النسيان ، فالناسي حينئذ لا فرق بين أكله وشربه وجماعه ، أمَّا المتذكر فعليه أن يقدّم الكفارة الكبرى .

سؤال / ٢ – ما معنى قول الإمام الذهبي في بعض الرُّواةِ : « وُثّق » ؟

جواب – معنى ذلك شيئان :

- في الغالب أنَّ الذي وثَّقه هو ابن حبان .

- وعلى الاضطراد أنّه لا يُوثَقُ بهذا التوثيق .

سؤال / ٣ - ما هي علاقةُ علم الفقه بعلم الحديث ؟ وهل يلزم المُحَدِّثَ أن يكون فقيهاً أم أنّه مُحدِّثٌ فقط ؟

جواب - يلزم الفقيه أن يكون محدّثاً ، ولا يلزم المحدّث أن يكون فقيهاً ؛ لأنَّ المحدّث فقيهٌ بطبيعة الحال ، هل كان أصحاب النّبي ﷺ يدرسون الفقه أم لا ؟ وما هو الفقه الذي كانوا يدرسونه ؟ هو ما كانوا يأخذونه من رسول اللّه ﷺ ، إذن هم يدرسون الحديث ؟

أمَّا هؤلاء الفقهاء الذين يدرسون أقوال العلماء وفقههم ولا يدرسون حديث نبيِّهم الذي هو مَنْبَعُ الفقه ، فهؤلاء يُقال لهم : يجب أن تدرسوا علم الحديث ، إذ أنّنا لا نتصوّر فقهاً صحيحاً بدون معرفة الحديث حفظاً وتصحيحاً وتضعيفاً ، وفي الوقت نفسه لا نتصور محدثاً غير فقيه .

فالقرآن والسُّنة هما مصدر الفقه كل الفقه ، أمَّا الفقه المعتاد اليوم فهو فقه العلماء ، وليس فقه الكتاب والسُّنة ، نعم ؛ بعضه موجود بالكتاب والسُّنة وبعضه عبارة عن آراء واجتهادات ، لكن في الكثير منها مخالفةٌ منهم للحديثِ لأنَّهم لم يحيطوا به علماً .

سؤال / ٤ - هل ينطبق قول : (يا رضا اللّه ورضا الوالدين) على قول : (ما شاء اللّه وشئت) مِن حيثُ مخالفتُه للشرع ؟

جواب - نعم ؛ رضا الوالدين يحتاج إلى تقييد ، إذا كان المتكلِّم بهذا القول يقصد رضاهم المشروع ، فيكون هذا - أيضاً - مِن باب رضا اللّه ، كما يقول اللّه سبحانه :

﴿ وقضى ربُّك ألَّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحساناً إمَّا يَبْلُغَنَّ عندك الكِبَرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تَقُلْ لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقُل لهما قولاً كريماً واخْفِضْ لهما جناح الذُّلِّ من الرَّحمةِ وقُل ربِّ ارْحَمْهما كما ربَّياني صغيراً ﴾ .

فمن قام بهذه النصيحة فقد أرضى اللَّه أولاً ثمَّ الوالدين ثانياً .

وهذا الإرضاء هو - في حقيقتِه - عبادة ، أمَّا إذا أرضى الوالد أو الوالدة بمعصية اللَّه فحينئذ هذا ليس بعبادة ، ولا يجوز أن تُقال هذه الكلمة إطلاقاً .

هذا الفرق لا بدَّ من ملاحظتِه إذا قيلت هذه الكلمة ، على أننا لا نستحسن أن تُقال ، مِن بابِ : « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » ، فحين يقول الإنسان : رضا الوالدين لا يلاحِظ هذا التفصيل الذي بيَّنا شرحَه ؛ لأنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون - كما قال ربُّ العالمين في القرآن الكريم - ونحن نعرف من واقع حياة المسلمين أنَّ كثيراً من الآباء مع الأبناء والأبناء مع الآباء لا يُلاحظون الرضا المشروع ، وإنَّما الرضا بدون هذا القيد ، مثلاً إذا فرضنا والداً فقيراً أو متوسط الحال وابنه غني يُحسن إلى أبيه ويُكرمه ويُعطيه المال لكن هذا الابن لا يُصَلّي وأبوه راضٍ عنه لأنَّه ينفعه لكنّ اللَّه غير راض عن الولد ، فإذن في مثل هذا لا يقال : يا رضا اللَّه ورضا الوالدين .

صحيحٌ أنَّ الوالدين راضيان هنا ، لكن رب العالمين غير راضٍ كما أنَّ هناك من يُقبّلون أيدي آبائهم صباح مساءَ ، لكن دون صلاة أو صيام ! فما الفائدة من رضا الوالدين ما دامَ أنَّ اللَّه عز وجلَّ لا يرضى ؟! .

من هنا نعرف الفرق بين رضا الوالدين المشروع ورضا الوالدين غير المشروع .

أعود فأقول : ينبغي أن لا نُوَجّه مثل هذا النداء ولو كان قاصداً الرضا المشروع لأنَّه يتعلّق بالمخلوق ، فهو صفةٌ للمخلوق ، وليس صفةً للخالق ، إلّا الطرف الأول منه ، وهو : « يا رضا اللَّه » .

أحوالُ العالمِ الإسلاميّ

التحرير

□ ماذا وراء لبنان ؟

عاش جنوبُ لبنان – قبل أسابيعَ – أياماً عِجافاً حيث دمَّر **العدوُّ اليهوديُّ** كثيراً مِن قراه ، فأصبحت حصيداً كأنْ لم تَغن بالأمس ؛ فنزح الآلاف ، وشُرِّد أمثالُهم ، سوى القتلى والجرحى والـمُشَوّهين .

كل هذا على مرأى ومسمع دويلات المسخ التي أفرزها المكرُ اليهوديُّ ورعاها الكيدُ الصليبيُّ ، وتَراوَحَ الموقفُ – بينها جميعاً – من النَّدْبِ إلى الاستنكار إلى الشَّجب !!

وَأَظْهَرَ أطرافُ اللُّعبة (المعروفة) مخاوفَهم – ليس على الأرواح التي أُزهقت ، والأطفال الذين يُتِّموا ، والأعراض التي انْتُهكت – ولكن على عمليّة الاستسلام التي نبت لحمها الحرام ونشزت منها العظام على تسخير الأُمَّة لمطامع يهود ، فَمِنْ قائلٍ : إنَّ عملية التفاوض في خطر !! وآخر : أنّها سَتُسَرِّع عملية

السلام ! وثالث : إنّها تلويح بالعصا اليهوديّة الغليظة لإخراس الألسنة ، والرّضوخ للأمور الواقعة المطروحة .

إنَّ هذا العُدوان الأثيم لبرهان على أنَّ المفاوضات الجارية - أو ما يتبعها - تخديرٌ لأمّة ظنّت أنَّ حياتها يَهبُها لها أعداؤها .

وإنَّه لبيان أنَّ مطامع اليهود لن يتخلى عنها دهاقنة (خُبثاء) صهيون حتى يروها حقيقة في عالم الواقع ... فهل نحن مبصرون ؟

□ مسلمو طاجكستان بين أنياب الذّئب الرّوسيّ :

تقوم حكومة طاجكستان الشيوعيّة بحرب إبادة للمسلمين ، ولكن هذه الإبادة الجماعيّة يَلُفُّها تعتيمٌ إعلاميٌ عجيبٌ ، ويُعمي أخبارَها سكوتٌ إسلاميٌ مُريب ...بينما الحكومة الشيوعيَّة تنهال عليها الإمداداتُ الروسيَّةُ .

ليس غريباً علينا هذا السكوتُ من أخوة الدين ، فهكذا عَوَّدونا في غَيْبَةِ الحق المبين ، ولكن ألم تعتبر روسيا بما حصل لها في أفغانستان عندما اغترّت بخيلها وخُيَلائها وَرَجِلِها ورجالها وعَدَدِها وَعُدَدِها فاستنسرت على شعبٍ أعزلَ مسكين مُعينةً الحكومة الشيوعيّة في كابول ؟! ... ولكنّ أحلامَها كانت سحابة صيف انقشعت عن هزيمة كبرى لحقت بالدُّب .

□ الإخوة (!) الأعداء :

لم تَعُد اللقاءاتُ السريةُ المتكرّرة بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والكيان اليهودي بخافيةٍ على أحدٍ ، فقد تناقلتها وكالاتُ أنباء عدَّة نقلاً عن إذاعة العدو اليهودي ، وتبجّح بها المنتفعون من قادة المنظَّمة .

ورافق هذه اللقاءات عدّةُ طروحات من حلٍّ للمنظمة، وتضييق الخناق - أكثر - على أهل فلسطين الذين يرزحون تحت أَسْر اليهود ، والتنازل عن طرح مسألة القدس على مائدة المفاوضات ... إلخ .

وقد أذهلت قائمة التنازلات كثيراً من المؤيدين لهذه المنظمة - فضلاً عن المنتسبين إليها - التي جاءت فجأة لتجثم على صدر شعب جُرِّد من دياره ، وشرِّد عن أرضه ، وجُعل أُمماً وشعوباً ، وخلال مسيرتها لم يَلْقَ هذا الشعبُ على يديها سوى الويلات والنكبات ، واستغلاله كمادة تجارية امتلأت منها جيوب القائمين على هذه المنظمة والمنظِّرين لسياستها .

... **وتتسارع الأحداث** - كما كان يُنتظر - فإذا بهذه اللقاءات السّريَّة تُفرِز اتِّفاقاً مَسخاً لبذرة (حكم ذاتي) عنوانه : (**غزة أريحا أولاً**) !!

ولا نُريد إطالة التعليق - **اليومَ** - على هذا الاتفاق بأكثر مما قاله بعضُ (الوزراء) اليهود : (**إنَّ اتفاق غزَّة وأريحا يُشَكِّل حزاماً أمنياً لإسرائيل ...**) !

فهل من مُبصر أو واعٍ ؟!

أَمَا آن لهذا الشعب أن يدرك الحقيقة الأَبديّة ، وهي أنَّ عزَّته في دينه ، وأنَّ شرفه في الالتفاف حول عقيدته ، وأنَّ سلامته في اللجوء إلى ربّه ؟!

أمَّا الأمانيُّ النظرية الخياليّة فهي لا تخدع إلّا المغفَّلين ، ولا ترضي إلّا المتاجرين .

وصدق القائل :

ومــن كـان الغـرابُ لــه دلـيــلاً ... يَـمُـرُّ بـه عـلـى جِـيَـفِ الكـلابِ

القراء .. منهم وإليهم

التحرير

□ وصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ الدكتور صالح الصالح - بريدة - المملكة العربية السعودية ، يقول فيها :

الأخوة الكرام أسرة تحرير مجلّة « **الأصالة** » :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : الحمد لله الذي مكّن لكم إصدار هذه المجلّة الطيبة ، وفي خضمّ الجهل الذي لمسته حتى عند المحسوبين على العلم ، فإنّ مفهوم الدعوة السلفيّة يحتاج إلى تأصيل سهْل اللُغة قوي الأدلّة حتى لا تُوصفَ هذه الدعوة المباركة بأنّها « حزب آخر » !

ثمّ يدعو الأخ الفاضل إلى التطرّق لإيضاح ما يسمى بالسلفية المعاصرة : ما لها وما عليها !!

ويدعو أيضاً إلى الجرأة في الحق والأخذ بالدليل لأنّهما من أنوار هذه الدعوة المباركة ، وفي ختام رسالته يدعو لأسرة التحرير القائمين على « **الأصالة** » بالتوفيق لكل خير .

« الأصالة » : نشكر الأخ الدكتور صالح الصالح على مشاعره الصادقة ، فـ « الأصالة » ستبقى إن شاء الله اسماً على مسمى وستعمل بنصائح المخلصين من أبناء هذه الأمّة ، وقد بلّغنا سلامكم إلى المشايخ الذين أرسلتم لهم السلام .

وجزاكم الله خيرَ الجزاء .

◻ وصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ أبي عمر عبدالعزيز أمير أفضل - الرفاع الشرقي - البحرين ، يقول فيها :

أكتب إليكم هذه الرسالة المتواضعة وأسأل الله العليّ القدير أن تكونوا بصحّة وعافية إن شاء الله ، وإني لأشكركم على إصدار مجلّة « **الأصالة** » وأشكر جميع العاملين في المجلّة ، والتي خلت - بحمد الله - من المقالات غير الهادفة ، وابتعدت عن أسلوب الجرائد والمجلات ، وأرجو من الله أن تستمرُّوا على هذا النمط الإخراجي والكتابي في المجلّة ، وجزاكم الله خيراً لما تبذلونه من جهد كبير في الكتابة والطباعة والإخراج ... والله يجزيكم خير الجزاء يوم تلقونه إنّه وليّ ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

و « **الأصالة** » تُحَيّي الأخ أبا عمر عبدالعزيز ، وتشكر له مشاعره ومواقفه ، وستبقى « **الأصالة** » إن شاء الله مناراً للسنّة والتوحيد وهي مجلّة كل من سار على نهج السلف الصالح ، وأسرة تحرير « **الأصالة** » تتمنّى لكم ولإخوانكم التوفيق والسَّداد ، ومرحباً بكم زميلاً لـ « **الأصالة** » .

◻ ووصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ عبدالرحمن عبدالله العطّاس جدة - المملكة العربية السعودية .

يقول فيها : الإخوة في مجلّة « **الأصالة** » :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : كم سعدت - حقيقةً - بصدور مجلَّة « الأصالة » ، بعدما علمتُ منهجَها الذي تدعو إليه وهو المنهج السلفي ، وبعدما علمت القائمين عليها ، ولا شك أنَّ هذه المهمَّة - الدعوة إلى منهج السلف وتبيينه وتوضيحه وتصفيته مما علق به - هي مهمة شاقَّة وصعبة وتحتاج إلى صبر وعزيمة ، وكم هذه المهمة ملحَّة وضروريَّة ؛ وبالذات في هذه الأيام التي اختلطت فيها الأوراق الذي تغنَّى فيه الكلُّ بوصل ليلى !

ولكنْ بالاستعانةِ بالله قبل كل شيء ، ثمَّ بجهودكم ومثابرتكم ومنهجكم الواضح ، وبالرجوع إلى العلماء تكون هذه المهمَّة سهلة ويسيرة بإذنه تعالى ، نسأل الله عز وجل أن يعينكم على هذا العمل .

والأخ في رسالته يُبْدي لأسرة المجلة بعض الاقتراحات منها أمور فنيّة تتعلَّق بإخراج المجلَّة ، ومنها أُمور دعوية منهجية جديرة بالاهتمام ؛ كتوضيح معنى كلمة السلفي والنسبة إلى السلفية حيث يظن البعض أنَّها حزب ، وكذا مفهوم التجديد والمجدّدين ومن هم ؟! وعلى من تُطلق ؟! كما يطلب بيان المنهجية في طلب العلم وكيف يطلب العلم ؟! وبما يبدأ طالب العلم ؟! وما يتعلَّق بهذا الموضوع .

« **الأصالة** » : نشكر الأخ عبدالرحمن العطاس على رسالته القيمة ومشاعره الطيبة ونصائحه القيمة ، و « **الأصالة** » لن تألو جهداً في توضيحِ منهج الحق والذب عنه ، وهي دائماً ترنو إلى نصائح وإرشادات الإخوة القراء لأنَّها منهم وإليهم ، والاقتراحات التي أشرتم إليها يا أخ عبدالرحمن محل عناية أسرة « **الأصالة** » .

وجزاكم الله خيراً .

بَينَ موائِدِ الخَمْرِ وموائِدِ الكُفْرِ

التحرير

المؤمن الذي آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً لا يقفُ مواقفَ الشُّبَهِ ولا يجلسُ مجالسَ التُّهمَ ، فكيف إذا أتى أمراً أو وقف موقفاً يحرمه الله !

ولا شكَّ أنَّ ذلك يقدحُ في إيمانه وعقيدته ، وقد قرَّر أهلُ السُّنة والجماعة أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ ؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، قال تعالى : ﴿ وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادتهم إيماناً ﴾ .

وقال ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » .

وإنَّ موالاةَ أهل المعاصي والفُجور – بل أهل الشرك والكفر – قَدْحٌ في إيمان المؤمن ، ولو كان بمجرَّد الجلوس معهم وحضور ناديهم وشهود أعيادهم ، لذلك يقول الرسولُ ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلسْ على مائدةٍ يُدارُ عليها الخمرُ » .

فإذا كان مجرَّدُ الجلوس على مائدةِ الخمر – ولو اعتقد المسلمُ تحريمَه وأنكره

في قلبه ولم يُباشره شرباً - منافياً للإيمان بالله واليوم الأخر - والأمر لا يعدو حَدَّ التحريم - فكيف بمن جلس على **موائد الكفر** التي تجعلُ المسلمين كالمجرمين ، والفُجّار كالأبرار ، وشريعةَ الأوثان كشريعة الرحمن ، وعقيدة التثليث الوثنية كعقيدة التوحيد الربانية ، والناسُ في نظر أصحابِ تلك الموائد الكُفريّةِ سواءٌ ؛ محسنُهم ومسيئُهم ، مؤمنهم وكافرهم ؛ لأنَّهم - زعموا - **شركاء في المُواطَنة**، ولذلك لا يرى هؤلاء بأساً أن يكونَ الرجلُ اليوم مسلماً ! وغداً مشركاً وثنياً ! والعكس ، مُعرضين عن قول الله : ﴿ إنَّ الدينَ عند الله الإسلامُ ﴾ وقول الرسول ﷺ : « من بدَّل دينه فاقتلوه » أي : من بدَّل الإسلامَ بالكُفر فحدُّه القتل .

أمّا الأنظمةُ العلمانيّة والقوانينُ الوضعيّةُ فلا تُقيم وزناً لقرآنٍ يتلى ولا لشريعةٍ تُتَّبع .

والداعي إلى الله لا يَجِدُ بديلاً عن الوسائل الشرعية التي أمره اللّهُ بها ، والتي بيّنها رسولُ الله ﷺ ، فالغايةُ عنده لا تُسوِّغ الوسيلة ، فهو لا يركبُ الحرامَ ليتوصّل إلى شيء من الحلال ؛ كما لا يَمتطي الخنزير ليجاهد في سبيل الله ، فأبى اللّهُ أن يقبل له جهاداً إلّا بوسيلةٍ شرعيةٍ قرّرها الإسلامُ .

فهل يُدرك كثيرٌ من الدعاة الإسلاميّين خطورةَ تركِهم منابرَهم وجهادَهم في تزكية نفوس النّاس حينما رَضُوا لأنفسهم المهانةَ بشهودهم موائدَ الكفر ، ومجالسَ الزور ؟!

وهل أدركوا أنّهم هم أنفسهم الخاسرون في البداية والنهاية ؟؟
لعلّهم ... ولكنْ بعد فوات الأوان ؟!



عَودَة إلى الكتابِ والسُّنة بفهم سَلف الأمّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ

العدد التاسع ـ السنة الثانية

١٥ شعبان ١٤١٤هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ. ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا. ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا. مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه. وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ. وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها. وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ. وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ. وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

المحتوى

الأصالة ... لكم جميعاً

يَتَزامنُ انتهاءُ السنة الإفرنجيّة مع صدور العدد التاسع من رسالتنا « **الأصالة** » .

ويدرك القائمون على « **الأصالة** » - جيِّداً - أهميةَ الوقت وتسارعَه ، وتتداعى في نفوسهم كثيرٌ من الأماني التي كانت تراودُهم من قبلُ في إصدارِ رسالة دعويّة منهجية قائمة على منهج السلف الصالح ، تذبُّ عنه ، وتدعو إليه ، وتحققت الأماني ، وأصبح لها مكانٌ في الواقع الذي نحيى ؛ فلله الحمد والمنّة .

ونقف مع قرائنا الكرام في هذه الكلماتِ، نستحثُّهم التَّفاعلَ مع « **الأصالة** » :

فهي **رسالة** كل مسلمٍ غيور ، يدافع عن الكتابِ وصحيح السُّنةِ ، ويَدعو إلى فهمهما بمنهج سلف الأمة الصالح حَسْبُ .

وهي **منبر** لجميع هؤلاء ؛ لا تعبأ بما قد يطرأُ بين إخوةِ المنهج من اختلاف أو تنازع ، فهي ليست مع أحدٍ ضدَّ أحدٍ ، ولا يشغلها إلا الخيْرُ الموجود عند هؤلاء جميعاً ، تحاولُ أن تقتَنصَه منهم ، وتتسلَّحَ به ... أمراً بالمعروفِ ، ونهياً عن المُنكر ، وإظهاراً للحقِّ ، مع أداءِ حقِّ النصح ، وواجبِ البيان .

والمنافرة والمنازعة - كما هو معلومٌ - لا تكونان إلا في المشكوك فيه ، و« **الأصالة** » قائمة على ما هو مثل اليقين - إن شاء اللّهُ - ، وهي تخاطب

أحباءَها وقراءها ... بأنها تشتاقُ لهم ... كما يشتاقون لها ، وتردِّدُ مع الشاعر قولَه :

إنَّا على البعادِ والتفرقِ   لَنَلتقي بالذِّكر إن لم نَلْتقِ

وتخاطبُ المتنازعين المتشاحنين ، فتقول لهم :

أيُّها الإخوةُ : ما أضيعَ حكمة الأسلافِ عندكم ! لقد أبقوا لكم من وَحي السَّماءِ ، وحِكْمةِ الحكماءِ ، ما لا يُبليه التُّراب ، ولا تُنسيه الأحقاب ، وما لو عَملتُم به لسُدتم الكونَ أئمّة ، وقُدتُم الكائناتِ بالأزمَّة ، وَلَفَللتُم السيوفَ بالآراءِ ، ودحضتُم الآراءَ بالسُّيوفِ ، ولكنكم اختلفتم وأضعتم التُّراث ، بتشاكُسِ الوُرَّاث !

وإذا كانَ الوارث غير (همام) ولا (حارث) غارت العَيْنُ الفَوّارَةُ ، وقَحلت الأَرْضُ الغَوّارةُ .

ورِثنا المجدَ عن آباء صدقٍ   أسـأنا في ديارِهم الصَّنيعا

إذا المجْدُ الرفيعُ تعـاورَتـهُ   بُناةُ السّوء أَوْشَكَ أن يَضيعا

وتخاطبُ - بحزن وأسىً - من يلمزُها ويتكلَّمُ عليها :

بأننا قد عمَرنا - ولله الحَمْدُ - سنتنا بالأعمال ، و(مَلأتُم) سَنَتَكُم بالأقوالِ ، وها قد جاءَ وقتُ الحَصادِ ...

وقلنا : هذه أعمالنا .

وقلتم : هذه أقوالنا !

ونعرضُ وإياكُم البضاعتين على الأُمَّةِ ...لِتَنظُرَ وتَحْكمَ أيتها أزكى مذاقاً ، وأعظم عائِدَةً ... على رِسلِكم ... إنها **الأصالةُ** ...

ثم قلنا لكم :

سلام عليكم ، لنا أعمالُنا ... ولكم أقوالُكم ، ورجع كلٌّ مِنا إلى ما يُسِّر له .

وأمّا المُخلِصون الصادقون المُتَّبعونَ .. فهم يُوَجِّهونَ ، ويُذَكّرونَ ، يَنصحونَ ويُنبِّهونَ .. وكلُّنا آذان صاغية ، وعلى الطريقِ - إن شاء اللّهُ - سائرون .



﴿ يَحْسَبونَ كلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِم ﴾

علي بن حسن

نَجْتَزِئُ هذا القَدْرَ مِن الآيةِ – اليومَ – لِنَطوفَ في ظلالِ هذا البيانِ الرّبانيِّ لصفةٍ مِن صفاتِ المُنافقينَ الّذينَ فَضَحَهُم القُرآنُ الكريمُ بكشفِ نواياهم ، وإظهارِ صفاتِهم ؛ حذراً ، وخيفةً ..

والمؤمنُ الصادقُ في إيمانِه عندما يَقْرأُ هذه الآياتِ العَظيمةَ يستلهِمُ منها البُعْدَ عن صفاتِهم ، واجتنابَ أخلاقِهم ، والتحذيرَ من سلوكِهم ومُعاملاتِهم .

مِنْ أجلِ ذا وَرَدَ التحذيرُ النبويُّ – مُتكرراً – في أحاديثَ نبويّةٍ عدّةٍ : « أربعٌ من كُنَّ فيه كانَ منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خَصْلَةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ مِن النفاقِ .. »[1] ؛ حتّى يَكونَ المؤمنُ بعيداً عن سائرِ صفاتِ المُنافقِينَ ، ومُحاذراً من أيٍّ من سِماتِهم .

وهذه الآيةُ الكريمةُ جاءت في مثلِ هذا تماماً ؛ مُبيِّنةً خُلُقاً رَديئاً ، وصفةً ذَميمةً ، غايتُها الأساسيّةُ جلاءُ القلوبِ ، وتصفيةُ النفوسِ ، حتّى يَنْجُوَ الصادقونَ مِن ظَنِّ السوءِ ، ويبتعدوا مِن سوءِ الظنِّ .

(١) متفق عليه .

قالَ الإمامُ الطبريُّ في « جامع البيانِ » (٢٨ / ١٠٧) :

« يحسبُ هؤلاءِ المُنافقونَ - لِخُبثِهم وسُوءِ ظنِّهم وقلّةِ يَقينِهم - كُلَّ صيحةٍ عليهم » .

فأينَ المؤمنُ مِن هؤلاءِ ؟!

أينَ طيبتُه من خبثِهم ؟!!

أينُ حُسْنُه مِن سوئِهم ؟!!

أين يَقينُه مِن لَجْلَجتهم ؟!

فمن أجلِ ذلكَ هم مُتردِّدونَ ... مُتذبذبونَ ... لا يستقرُّ لهم قَدَمٌ ... لا يستريحُ لهم بالٌ ... ولا تهْدَأُ لهم نفسٌ ؛ فهم « كلَّما وَقَعَ أمرٌ أو كائنةٌ أو خوفٌ يعتقدونَ أنَّه نازلٌ بهم »[1]، أو « أنَّهم قد أُتوا ؛ لِمَا في قلوبِهم مِن الرُّعبِ »[2]؛ لخوائها ، وفراغِها ...

أمّا المؤمنُ الصادقُ .. فهو عُلْويُّ النظرةِ .. ربّانيُّ الفِكرةِ .. يقينُه شديدٌ ، وقلبُه سَليمٌ سديدٌ .

﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُون إلّا مَنْ أتى اللّهَ بقَلْبٍ سَليمٍ ﴾ ؛ فهذه بشارةٌ كاملة .. لِمن نَجا مِن تلكمُ التحذيراتِ الشاملة .

فإذا ابتعدَ المسلمُ الحقُّ عن هذه الصفةِ النِّفاقيّةِ ، وأَعطى الأمورَ حقَّها كانَ له قلبٌ صادقُ التصوُّرِ ، نقيُّ العطاءِ ، صَفيُّ التلقِّي .

وأمّا إذا (تسلَّلتْ) إلى قلبِه (مُزعةٌ) مِن هذه الصِّفةِ ، أو (مُضْغةٌ) من هذا الخُلُقِ ، فإنَّه - حينئذٍ - يَصيرُ شكّاكاً ، وفي الظُّنونِ خرّاجاً ولّاجاً !!

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٥٧٦) .

(٢) « زاد المسير » (٨ / ٢٧٥) لابن الجوزيّ .

فلو سَمِعَ كلمةً قِيلتْ في (الشرق) .. لحَمَلها على نفسِه ... !

ولو قرأَ حُروفاً من كتابٍ في (الغربِ) ... لَطَارَ بها إلى ذاتِه ... !

ولو نُقِلَتْ له كلماتٌ عن (زَيْدٍ) ... لأَلصَقْها بـ (عَمْرو) !!

وما ذاكَ إلّا لأنَّ قاعدتَه غيرُ ثابتةٍ ، ويَقينَه غيرُ راسخٍ ، ومنهجَه غيرُ واضحٍ ..

وإنّنا لا نُحبُّ - بعدَ هذا البيانِ الواضحِ البيِّنِ الصريحِ - أن يَخرجَ علينا (قومٌ) - من هنا أو هناك - بظنٍّ قاتمٍ غيرِ قائمٍ : أنَّ تفسيرَنا لهذه الآية : ﴿ يَحسَبونَ كلَّ صيحةٍ عليهم ﴾ .. عليهم !!!

فحينئذٍ نَقولُ : لا حولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللّهِ .

وهو - سبحانَه - المُستعانُ .

أدواؤنا ... ودواؤنا

محمد موسى نَصر

قال رسول الله ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البَقَرِ ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهادَ في سبيل اللّه ؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم »(١) .

هذا الحديثُ الصحيح واقعٌ حيٌّ في أُمتنا ؟! وهُو عَلَمٌ من أعلام نبوة نبينا محمد ﷺ ؛ حيثُ يشخِّصُ أدواءَنا ، ويستقرىء أحوالنا ، ففي هذا الحديث ذِكرُ عدة أدواء ظهرت في الأمة الإسلامية فَكانت سبباً في ذُلّها وهوانها ، وهي :

□ التعامل ببيع العينة ، والعينة بيع فيه احتيال على شرع الله :

إن تغييرَ المصطلحات والأسماء ضربٌ من الاحتيال على شرع الله ؛ فها هُم يسمون الربا « فائدة » والخمرَ « مشروبات روحية » ، والقمارَ « يا نصيب خيري » ، والزنا واختلاط الرجال بالنساء ورقصهم جميعاً « فنون جميلةٌ وثقافةٌ » وغير ذلك .

ولعن الرسول ﷺ اليهود؛ لأنهم أول من سنّوا سَنَنَ الاحتيال على الشّرع ، فقال : « لعن اللهُ اليهودَ؛ إنَّ اللّهَ حرَّمَ عليهم الشّحومَ، فباعوها وأكلوا ثمنها، وإن

(١) حسن ؛ انظر « السلسلة الصحيحة » لشيخنا (١١) .

الله إذا حرّم على قَومٍ شيئاً حَرَّمَ ثمنَه »(١) .

وقصّ الله علينا ما فعلوا يومَ السَّبت من تحايلٍ على تحليل ما حَرَّم اللهُ عليهم : ﴿ وسْئَلهُم عَنِ القَريَةِ الَّتي كَانَت حَاضِرة البَحر إذ تَأتيهمْ حِيتَانُهُم يَومَ سَبتِهِم شُرَّعاً وَيَومَ لا يَسبِتونَ لا تَأْتِيهم كَذَلِكَ نَبلُوهُم بِما كَانُوا يَفسُقونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٣]

فمن أجلِ هذا الاحتيالِ والاعتداءِ مُسِخوا قردة وخنازير .

وكذلكَ لعنَ اللّهُ على لسانِ رسولهِ ﷺ أقواماً من هذه الأُمة يحتالون على دين الله بما يسمونه نكاح التحليل أو ما تسميه العامة (نكاح التجحيش) - وهو التيس المُستعار - فقال ﷺ : « لعن اللهُ المحلِّلَ والمحلَّلَ له »(٢) .

وسُمّيَ الزَّوْجُ المحلِّلُ بالتيس المستعار تشبيهاً له بالتيس الذي يستعيره صاحب الغنم ، لينزو عليها طلباً للنتاج والحمل ، ونعمت التسمية ؛ فمن احتال على شرع الله بأدنى الحيل فاستحل ما حَرَّمَ اللهُ أصابه ما أصاب اليهود ، ولا يشفع له انتماؤه لهذه الأمة وزعمه انّه مسلم (!) لأن الله ليس بينه وبين أحد من خلقه نَسَبٌ ولا واسطة ، فإذا اقترفت الأمةُ الكبائر ، واحتالت على دينها وشرعها ؛ أَصابها الذلُّ والهوانُ .

□ وَيُشيرُ الحديثُ أيضاً إلى تكالُبِ النّاسِ على الدُّنيا وَتَعَلُّقِهم بها ، فيقول ﷺ : « وأخذتم أذناب البقر » .

ولا أدري من يتعلق بذيل البَقَر هل يملأُ يديه إلا الرَوْثُ الذي يلطخُ ذيلَ البقرةِ ! وفي هذا تنفير للأمّةِ لكيلا تتعلَّقَ بالدنيا ، وليس فيه دعوةٌ إلى اعتزال الدنيا ، وإنما النهيُ يتوجه إلى التعلق بها ، فتكون هي شغلهم الشاغل عن الآخرة ، وإلا فقد أمر اللهُ بالضربِ في الأرض ، ولكن شتان بينَ من جعل الدنيا في يده وجيبه ينفق منها متى شاء ، ومن تمكنت من سويداء قلبه فغدت همّه وهاجسَه الذي يصرفه عن كل

(١) « صحيح الجامع » (٥١٠٧) .

(٢) صحيح ؛ انظر تَخريجَه في « الإرواء » (١٨٩٧) .

عاجل أو آجل .

□ ومثلُ ذلكَ تماماً – بَعْدُ – قولُه ﷺ : « ورضيتم بالزرعِ » ...

□ وقوله ﷺ : « وتركتم الجهادَ في سبيل اللّه » شاهدٌ ناطق على حال الأمّةِ اليومَ ، فإنَّ الأمةَ – حكاماً ومحكومين – إلا من رحم الله – قد نَكَّست أعلامَ الجهادِ ، وضيعت هذه الشعيرةَ العظيمةَ ، وركضت خلف أعدائها تستجدي منهم السلامَ تحت شعار جائر ظالم : « الأرضُ مُقَابِلَ السَّلامِ » !! وكأنّ الأرضَ أرضهم والمُقدساتِ مقدساتهم ، وعدوهم يرفضُ أن يعطيهم السّلامَ ، ويأخذُ أرضَهم رغم أنوفهم ، حتّى تنازلوا له عن كل شيء ولم يبقَ لهم ما يستر (حتّى) سوآتهم ، وهو يطلب المزيدَ ، ولا يفي بوعد ولا عهد كما هو ديدن يهود ، ولكن المهم عند هؤلاء أن يكون العمُّ سام راضياً عنهم ، ولا يبالون بعد ذلك بما نالهم من شعوبهم وأُمتِهم وتاريخهم : ﴿ ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تَتّبع ملّتهم ﴾ .

والنّبي ﷺ بيّن أن الخلاصَ من الذُّلِّ والهوانِ الذي يترتب على هذه المعاصي والمخالفات مرهونٌ بعودة الأُمة إلى دينها ، فهو ﷺ يَقول : « ... سَلّطَ اللهُ عليكم ذلّاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » ، وحينما يأمرُ النبيُّ ﷺ بالعودة إلى الدين فإنما يريدُ الدين الذي ترك الأُمة عليه حينما قَال هذا الحديث .

وفي الحديث إشارةٌ تُؤكّدُ فسادَ الركون إلى الدنيا والإخلاد إلى الأرض وذلك في قوله : « ورضيتم بالزرع » ، وهذا تفسير لقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيلَ لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرضِ أرضيتم بالحياةِ الدّنيا من الآخرة فما متاعُ الحياةِ الدنيا في الآخرة إلا قليلٌ ﴾ .

وكل هذا يؤدي إلى حب الدنيا وكراهية المَوْت والنكولِ عن الجهاد في سبيل الله ، ولذلك قَالَ ﷺ : « وتركتم الجهادَ في سبيل الله » .

وتركُ الجهاد مصيبةٌ من أعظم مصائِبِ هذه الأمّة ، لأن الجهاد ذروةُ سنامِ

الإسلامِ وما غُزِيَ قومٌ في دارِهم إلا ذَلُّوا ، وجعل اللهُ عزَّ هذه الأمة بجهادها في سبيل الله ، وجَعلَ رزقَها تحتَ ظِلِّ سيوفِها ورماحِها .

والله أمرنا أن ننفر خِفافاً وثِقالاً في المنشطِ والمكره ، وأن يكون الجهادُ حديثَ النَّفس وأغلى أمانيها كما قَالَ عليه الصلاة والسلام : « من لم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزوِ مات على شعبةٍ من النفاق »[١] ، فترك الجهادِ مع القدرة عليه شعبةٌ من شُعَب النّفاقِ ، والعياذُ بالله .

ولقد بيّنَ ﷺ المنهجَ الواجبَ اتِّباعُه وسلوكُه والرَّجوع إليه بعد ذكر الفرق والاختلاف بقولِه : « ما أنا عليه وأصحابي »[٢] وهو الذي أراده الله بقوله : ﴿ اليومَ أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا ﴾ ؛ فهو الدينُ الحقُّ والمنهجُ الصدقُ ، الَّذي يَجبُ على الأمةِ أن تَرجعَ إليه ، وتسيرَ عليه .

لا الدينَ الذي دخلته البدعُ والفلسفاتُ والعقائدُ المنحرفةُ كدينِ الرافضة ، ودين الصوفية ، ودين المعتزلة ، ودين العقلانيين الغابرين والعصريّين ، ولا غيرهم - لا كثَّرهم الله - .

فالأمه لا يُرفعُ عنها ذلّها الذي تعيشه حتى تعود إلى دينها الذي ارتضاه اللهُ لها خالياً صافياً نقياً من البدع والضلالات والخرافات والترّهات ، كتاباً وسنة بفهم سلف الأمة ، فتتزكَّى الأمة باتباعها رسولَها ، وتصفي عقيدتها وشريعتها مما لحق بها على مر العصور مما ليس منها ، ورحمَ الله الإمامَ مالكاً حيث قال : « ولا يصلح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أوّلُها » .

فصلاح أوَّل هذه الأمَّة بالاتباع والتزكية ، وفساد آخر هذه الأمة بالابتداع والتدسية التي أصابت نفوسها : ﴿ قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها ﴾ .

---

(١) رواه مسلمٌ عن أبي هُريرةَ .

(٢) « السلسلة الصحيحة » (١٤٩٢) .



مظاهر شركيّة

عبد العظيم بن بدوي

مضى في الحلقة السابقة بيانُ أنواعِ التوحيد ، وكذلك بعضُ أنواع العبادات ، واليوم نذكرُ بعضَ أعمالِ القلوبِ ونبذةً عن توحيدِ الأسماء والصفات .

ومن الأعمالِ الباطنةِ - أعمالِ القلوبِ - **الإيمانُ** ، وهو التصديقُ بوجودِ اللّهِ ، ربوبيّتِهِ وأُلوهيّتِهِ ، ومن لوازمِ هذا الإيمانِ الإيمانُ بكلِّ ما أمرَ اللّهُ بالإيمانِ به من الملائكةِ ، والنّبيينَ ، والكتبِ المنزلةِ على المُرسلينَ ، والإيمانُ باليومِ الآخرِ ، وبالقدرِ خيرِ وشرِّهِ ، قالَ تعالى : ﴿ يا أيُّها الّذينَ آمَنوا آمِنوا باللّهِ ورسولِهِ والكتابِ الّذي نزَّل على رسولِهِ والكتابِ الّذي أنزلَ من قَبل ومن يكفر باللّهِ وملائكتِهِ وكتبِه ورسلِهِ واليومِ الآخرِ فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً ﴾ فمن أقرَّ بربوبيّةِ غيرِ اللّهِ وأُلوهيّتِهِ فقد كفرَ ، ومن أنكرَ شيئاً ممّا أمرَ اللّه بالإيمانِ بهِ فقد كفرَ .

ومن أعمالِ القلوبِ **المحبّةُ** ، والمحبّةُ عبادةٌ تعبَّدنا اللّهُ بها ، فالواجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يُقبلَ بكُلّيتِهِ على اللّهِ سبحانه حتّى يَكونَ هو المحبوب الّذي يسكنُ حبُّه القلبَ ، فيقدّم محبتَه على محبةِ سواه ، ويحبُّ للهِ كلَّ ما يُحبّه اللّهُ من العقائدِ والأقوالِ والأعمالِ الصالحةِ كما يُحبُّ للّهِ كلَّ من يُحبّه اللّه من الصالحينَ .

ولمّا كانَ الإنسانُ مفطوراً على حبِّ الذاتِ ، حبِّ الآباءِ ، والأبناءِ ، والأزواجِ ، والأموالِ ، والأوطانِ ، فإنَّ معنى حبّكَ للّهِ أن يَكُونَ اللّهُ أحبَّ إليكَ من كلِّ ما سواه ، بحيث تُؤثِرُ رضاه على رضا من سواه ، قالَ تعالى : ﴿ قُلْ إنْ كانَ آباؤُكم وأبناؤُكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشونَ كسادَها ومساكنُ ترضونَها أحبَّ إليكم من اللّهِ ورسولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتربَّصوا حتّى يأتيَ اللّه بأمرِهِ واللّه لا يهدي القومَ الفاسقينَ ﴾ .

ولقد عابَ اللّهُ على أقوامٍ أحبّوا غيرَ اللّهِ كحبِّهم اللّهَ ، فقالَ تعالى : ﴿ وَمِنَ الناسِ مَنْ يتخذُ من دونِ اللّهِ أنداداً يُحبونَهم كحبِّ اللّهِ ﴾ فكيفَ بمن كانَ حبّه لغيرِ اللّهِ أعظمَ من حبِّهِ للّهِ !

ومن أعمالِ القلوبِ **التوكّلُ** ؛ وهو الاستسلامُ للّهِ ، وتفويضُ الأمرِ إليهِ ، اعتماداً عليهِ ، ووُثوقاً بهِ ، وقد أمرَ سبحانَه عبادَه بالتوكلِ عليهِ فقالَ : ﴿ وعلى اللّهِ فليتوكلِ المؤمنونَ ﴾ وقالَ : ﴿ وعلى اللّهِ فتوكلوا إنْ كنتم مؤمنينَ ﴾ ذلكَ لأنَّ اللّهَ وحدَه هو القادرُ على أن يكفيَ من توكّلَ عليهِ في جميعِ شؤونِهِ كما قالَ : ﴿ أليسَ اللّهُ بكافٍ عبدَهُ ﴾ وقالَ : ﴿ ومن يتوكلْ عَلى اللّهِ فهو حسبُهُ ﴾ فمن توكّلَ على غيرِ اللّهِ اعتماداً عليهِ ، وثقةً بهِ فقد أشركَ .

ومن أعمالِ القلوبِ **الخشيةُ والخوفُ** ، فقد أمرَ اللّهُ بخشيتِهِ ونهى عن خشيةِ غيره فقال : ﴿ فلا تخشَوُا النّاسَ واخشونِ ﴾ ، كما أمرَ بالخوفِ منه ونهى عن الخوفِ من غيرِهِ فقالَ : ﴿ فلا تخافوهم وخافونِ إنْ كُنتُم مؤْمنينَ ﴾

وقد وعدَ اللّهُ أهلَ خشيتِهِ بالمغفرةِ والأجرِ الكبيرِ كما وعدهم بالفوزِ العظيم ، فقالَ : ﴿ إنَّ الّذينَ يَخشونَ ربَّهم بالغيبِ لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ ﴾ ، وقالَ : ﴿ ومن يُطعِ اللّهَ ورسولَه ويخشَ اللّهَ ويتقْهِ فأُولئكَ هم الفائزونَ ﴾ ، فمن خافَ غيرَ اللّهِ أو خشيه مُعظِّماً له مستكيناً ، يَذلُّ له ويُطيعُه في معصيةِ اللّهِ ، وهو غيرِ مكرهٍ على ذلكَ فقد أشركَ .

ومن أعمالِ القلوبِ : **الرَّجاءُ والرَّغبةُ** ، والرَّجاءُ هو الأملُ في الخيرِ ، وترقُّبُ حصولِه، وانتظارُه ممن يملكُه ويقدر على تحقيقه ، والرَّغبةُ حبُّ الخيرِ وإرادتُه ، والطمعُ في تحصيلِهِ ممّن يملكه ويقدر على إعطائِه وهبتِهِ ، فهي مثلُ الرَّجاءِ ، وقد تعبّدنا اللّهُ بهما ، قالَ تعالى : ﴿ فمن كانَ يَرجو لقاءَ ربِّهِ فليعملْ عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادةِ ربِّهِ أحداً ﴾ وقالَ تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربِّكَ فارغبْ ﴾ .

ولمّا كانَ الخيرُ كلُّه بيدِ اللّهِ ، لا بيدِ سواه ، وكانَ اللّهُ وحدَه القادرَعلى إعطائِهِ من يشاءُ ، كانَ رجاءُ الخيرِ ورغبتُه من غيرِ اللّهِ شركاً باللّهِ عزَّ وجلَّ .

أما « **توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ** » : فمعناه – كما سبقَ – إثباتُ ما أثبتَه اللّهُ لنفسِهِ في مُحكمِ كتابِهِ أو فيما صحَّ على لسانِ رسولِهِ ﷺ من غيرِ تمثيلٍ ولاتعطيلٍ ، ولا تكييفٍ ولاتحريفٍ ولا تفويض ؛ وُقوفاً عندَ قولِهِ تعالى : ﴿ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهو السَّميعُ البَصيرُ ﴾ ، فمن أوّلَ هذهِ الصفاتِ فقد أخطأَ وجَهلَ ، وتكلّفَ مالم يُكلَّف بهِ ، وفعلَ ما لم يؤمر بهِ ، وذلكَ كتأويلِ يد اللّهِ بقدرتِهِ ، ومجيئِهِ بمجيءِ أمرِهِ ، وكتأويلِ استوائِهِ بالاستيلاءِ .

وبيانُ ذلكَ : أنَّ المؤولَ لم يَرضَ للّهِ ما رضيه اللّهُ تعالى لنفسِه ، ورَضيه له أعرفُ الناسِ بهِ وهو رسولُه ﷺ ، وقد جهلَ هذا المؤوّلُ المسكينُ حقيقةً عظيمةً وهي استحالةُ وُجودِ أيِّ تشبيهٍ بينَ حقيقةِ اللّهِ وحقيقةِ عبادِهِ .

ومن مظاهرِ الشركِ في الأسماءِ والصفاتِ إثباتُ شيءٍ من الصفاتِ الخاصةِ باللّهِ لغيرِ اللّهِ ، كصفةِ علمِ الغيبِ ، فعلمُ الغيبِ من خصائصِ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ ، كما قالَ تعالى : ﴿ عالمُ الغيبِ فلا يُظهرُ على غيبِهِ أحداً إلّا من ارتضى من رسولٍ ﴾ ، فمن زعمَ أنَّ الأولياءَ والصالحينَ أو غيرَهم يعلمُ الغيبَ فقد أشركَ[1] .

واللّهُ الهادي .

---

(١) وانظر لزاماً : « مفاهيم يجب أن تُصحح » من هذا العددِ « **الأصالة** » .

النِّعم .. حقائقُ ومَعانٍ

مشهور حسن سليمان

النِّعم كَثيرةٌ ... والخيراتُ وفيرةٌ ... وأسبابُ الحصولِ عليها عديدةٌ ... ومجالاتُ التَّمتع بها رحيبة ... والناسُ يقابلونها بطرقٍ رهيبة ... وبعضُهم تبقى عنده رهينة ... وآخرون يفقدونها ... يا للمُصيبة .

وهذه صور حزينة[1] ... فيها عبرة لمن عنده بصيرة ... حُرِم أصحابها (نِعَماً) جزيلة :

*** إنّ في ذلك لعبرة :**

فهذا المعتمدُ بن عبّاد ملكُ الأندلس هو وأبوه وجدُّه والمتوفى سجيناً مقيّداً سنة (٤٨٨ هـ) ترجمه ابن خلكان ترجمة حافلة[2] ، وفيما ساقه من زوال المُلك عنه وما ناله من سجنٍ ، وقيدٍ ، وتعذيبٍ ... عظةٌ وعبرةٌ ؛ فلا يُطالعُها القارىء إلا ويأخذُه البكاءُ والاعتبارُ .

---

(١) مأخوذة من كتاب « التعاليم » للشيخ بكر أبو زيد (ص ٩٤ - ٩٦) .

(٢) « وفيات الأعيان » (٥ / ٢١ - ٣٩) ، وانظر : « السير » للذهبي (١٩/ ٦٤ - ٦٦) .

وقد قال ابن خلكان معتذراً عن الإطالة : (**إن قضيَّته غريبةٌ لم يُعْهَد مِثْلُها**) .

ومما ذكره : (... ودخَلَ عليه يوماً بناتُه السِّجنَ ، وكان يومَ عيدٍ وكن يغزلنَ للناسِ بالأجْرَةِ في أغمات – مدينة بالمغرب – حتى إنّ إحداهنَّ غزلت لبيتِ صاحبِ الشرطةِ الذي كان في خِدمة أبيها وهو في سُلطانه ، فرآهن في أطمارٍ رَثّةٍ ، وحالة سَيّئةٍ فَصَدَعْنَ قَلْبَه ، وأنشد :

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسروراً فساءك العيدُ في أغمات مَسروراً

ترى بناتك في الأطمارِ جائعةً يغزلن للناسِ لا يملكن قِطْميراً

من بات بعدك في ملكٍ يُسَرُّ به فإنما بات بالأحلامِ مغروراً

وهذا محمد بن عبد القادر الجيلي المُتوفى سنة (٦٠٠ هـ) قال عنه ابن النجار[١] :

(كان من ذوي النّعْمة ، والتَّرفُّه ، وتهيأت له أسبابُ الرزق فقابل النعمة بالاعتراض على القدر فافتقر ، ولم تكن طريقتُه مرضيّةً ، وكان خالياً من العِلْم) .

وهذا السلطان برقوق المتوفى سنة (٨٢٤ هـ) يذكر المؤرخون ما له وما عليه ، ويذكرون ما اتفق في أمرِ جنازتهِ ، فقال المقريزي[٢] :

« واتفق في أمرِه موعظةٌ فيها أعظم عبرة ، وهو أنه لما غُسِلَ لم توجد له منشفةٌ ينشف بها ، فنشف بمنديل بعض من حضر غسله ، ولا وُجِد له مئزرٌ تُستَر به عورَتُه ، حتى أُخذ له مئزر صوفٍ صعيدي من فوق رأس بعض جواريه فستر به ، ولا وجد به طاسةٌ يصبُّ عليه الماء بها حين غسله ... مع كثرةِ ما خلفه من المال » .

وكان للبرامكة شأنٌ جَلَّلَ التاريخَ ذِكرُه حتى قال يحيى بن خالد البرمكي سنة (١٩٠هـ) وهو في سِجن الرَّقةِ : (قال الأصمعي : سمعت يحيى يقول :

---

(١) بواسطة : « لسان الميزان » (٥ / ٢٦٣) .

(٢) بواسطة : « الضوء اللامع » (٢ / ٣١٠) .

الدنيا دُوَلٌ ، والمال عاريّة ، ولنا بمن قبلنا أسوة ، وفينا لمن بعدنا عِبْرَةٌ) .

وفيـه [١] : « قيل : إن أولادَ يحيَى قالوا له وهم في القيود مسجونين : يا أبانا صرنا بعد العز إلى هذا، قال : يا بنيَّ **دعوة مظلومٍ غَفَلنا عنها ، لم يغفل اللهُ عنها**) .

وكان ابن نُجَيَّة : زين الدّين أبو الحسن علي بن إبراهيم الحنبلي المتوفى سنة (٥٩٩ هـ) رحمه اللّه تعالى من العلماء المثرين ثم افتقر ، قال أبو شامة[٢] : « ومع هذا مات فقيراً كَفَّنَه بعضُ أصحابه وتمزقت الأموالُ وحالت الأحوالُ ، وكانت وفاته بمصر ودفن فيها بالقرافة » .

ومنهم عَدُوُّ اللّهِ الخاسر ابنِ العلقمي الرافضي مبعوثُ هولاكو التَّتري على المسلمين ، فقد حَفَرَ للأمَّة قليباً ، فأُوقع فيه قريباً ، وذاق الهوانَ ، مات غُبْناً وغَماً ، لا رَحِمَ اللّهُ فيه مغرز إبرةٍ[٣] .

وما حصل مع هؤلاء ما حصل إلا لغيابِ الحقائقِ الشَّرعيةِ عن النِّعمة .

حقائق شرعية عن النِّعمة[٤]:

١ – « **النّعمة** » وردت في صورتها الفعلية ثماني عشرة مرة في القرآن الكريم ، وأُضيفَ الفعل فيها إلى الضمائر التالية : « نعَّمَهُ » ، و« أنعمتَ » و« أنعمنا » ، و« أنعمها » .

وورد الفعلُ « أنعم » سبع عشرة مرة ، وورد الفعل « نعَّم » مرة واحدة ، ووردت « النِّعمة » في صورتها الاسمية مضافةً إلى الله إحدى وخمسينَ مرة ،

(١) « السير » (٩ / ٩٠) للذهبي .

(٢) « ذيل الروضتين » (ص ٣٥) .

(٣) « السير » (٢٣ / ٣٦٢) للذهبي .

(٤) مأخوذٌ بعضُها من كتاب « لطائف قرآنيّة » .

مثل : « نعمة الله » ، و« نعمتي » ، و« نعمته » ، و« نعمتك » ، و « نِعَمَهُ » ، و« أنعُم الله » ، و« أَنعُمُه » .

ووردت مجرَّدةً غير مضافَةٍ مرتين ، « نِعْمة » ، ومعرفةً مفردةً بكسر النون « النِّعمة » سبعاً وأربعين مرة ، وبالإفراد وفتح النون « النَّعمة » مرتين ، ووردت كلمة « نعماء » مرة واحدة .

٢ - أُسندت « النِّعمة » في القُرآن كلّه إلى اللّه عزَّ وجل مرة واحدَةٍ ، وهذا الإسنادُ هو الحقيقي ، إذ النِّعم كُلُّها منه جل وعلا ، والأسباب والوسائط التي يتحصل الإنسانُ منها على شيءٍ من ذلك لا يكون إلا بقدَرِهِ .

٣ - وقد أُسندت « النِّعمة » في القرآن مرةً واحدة إلى رسول اللّه ﷺ ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وإذ تقولُ للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسِك عليكَ زوجَك واتّقِ الله ﴾ ، والآية نزلت في حَقِّ الصحابي الجليل زيد بن حارثة ، وقد كان عبداً رقيقاً عنده ﷺ ، ثم أعتقه الرسول ﷺ وتبنّاه ، ولما أبطل اللّه التبنِّي عاد زيدٌ لينسبَ إلى أبيه ، فَصار يقال له : « زيد بنُ حارثةَ » ، وقد زَوّجهُ الرسُولُ عليه الصلاة السلام من ابنة عمَّتهِ زينب بنت جحش - رضي الله عنها - وقد نَشَبَت بين الزوجين خلافات ، وكان الرسولُ عليه الصلاة والسلام يحاولُ الإصلاحَ بينهما .

ونلاحظ أنَّ الآيَةَ ذكرتْ نعمتين غامرتَين على زيد بن حارثة :

الأولى : نعمةُ اللّه عليه ﴿ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِ ﴾ ، وذلك بأن هداهُ إلى الإسلام ، وهوَ أعظَمُ نعمةٍ على المسلم في الحياة ، بل تَزيدُ على نعمةِ وُجودهِ .

الثانية : نعمةُ الرسول عليه الصلاةُ والسلام عليه بالعتقِ والحرية ﴿ وأنعمتَ عَلَيهِ ﴾ .

وإسنادُ النعمةِ للرسول عليه الصلاة والسلام إسنادٌ ليسَ حقيقياً ؛ فاللَّهُ هو الَّذي قدَّر لزيدِ بنِ حارثَةَ أن يُعتَق ، وهو الذي أَلهمَ الرسولَ عليه الصلاة والسلام أَن يعتقه ،

فالرسولُ عليه السلام سببٌ لوصولِ نعمةِ اللّهِ إلى زيد بن حارثة رضي اللّه عنه .

٤ - بيّن الدامَغاني في « الأشباه والنظائر » (ص ٤٦٠ - ٤٦١) عشرة أوجه لمعنى « النعمة » في القرآن الكريم ، وهذه هي : « المنة ، دين اللّه وكتابه ، محمد ﷺ ، الثواب ، الغنى والمُلك ، النبوّة ، الرَّحمة ، الإحسان ، سعة العيش ، العِتق » .

ثم قال : « **فوجه منها** النعمة : المِنّة ، قوله سبحانه في سورة الملائكة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللهِ عليكم** ﴾ أي : منّته ، مثلها في سورة الأحزاب والمائدة ، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم** ﴾ .

الثاني : النعمة : دين اللّه وكتابه ، قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ **ومن يبدّل نعمةَ اللهِ من بعد ما جاءته** ﴾ ، كقوله سبحانه في سورة إبراهيم : ﴿ **ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كُفراً** ﴾ ، مثلها في سورة آل عمران : ﴿ **فأصبحتم بنعمته إخواناً** ﴾ يعني بالإسلام والدين .

الثالث : النعمة : محمد ﷺ ، قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ **فكفرت بأنعم الله** ﴾ ، كقوله تعالى فيها : ﴿ **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها** ﴾ يعني محمداً ﷺ .

الرابع : النعمة : الثواب ، قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ **يستبشرون بنعمةٍ من الله وفضل** ﴾ أي : ثواب اللّه تعالى .

الخامس : النِّعمةُ : الملك والغنى ، قوله تعالى في سورة المُزمِّل : ﴿ **وذرني والمكذبين أولى النَّعمة** ﴾ .

السادس : النعمة : النبوة ، قوله تعالى في فاتحة الكتاب : ﴿ **أنعمتَ عليهم** ﴾ يعني بالنبوة ، نظيرها في سورة النساء : ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين** ﴾ مثلها في سورة الضحى : ﴿ **وأما بنعمةِ ربّك فَحَدِّث** ﴾ أي : النبوة .

السابع: النعمة: الرَّحمة، قوله سبحانه في الحجرات : ﴿ **فضلاً من الله ونِعْمةً**

والله عليم حكيم ﴾ يعني ورحمته .

الثامن : النعمة : الإحسان من الله ، قوله تعالى في سورة الليل : ﴿ وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تُجزى ﴾ أي : إحسان يُجازى ﴿ إلا ابتغاء وجه ربّه الأعلى ﴾ .

التاسع : النعمة : سعة العيش ، قوله تعالى في سورة الفجر : ﴿ فأكرمه ونَعّمَه ﴾ يعني وسع عليه معيشته ، كقوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ .

العاشر : المُنْعَمُ (عليه) المُعتَق ، قوله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه ﴾ أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالعتق ، يعني زيد بن حارثة ».

٥ - « النّعم » بجميع أشكالها من مال وجاه وسلطان ، هي المقياس في المفاضلة بين الناس عند السّذّج وأهل الدنيا ، فهي غاية عندهم تُراد لذاتها !! لأنها عندهم هي السعادة بعينها ! .

فذكر القرآن الكريم أن تصوُّرَ الانسان للنّعم هو : أن من ضيّق اللهُ عليه فقد أهانه وأبعدَه وأذلّه ، ومن أعطاه فقد أعزّه وأكرمه وقرّبه ؛ قال تعالى :

﴿ فأمّا الإنسانُ إذا ما ابتلاه ربُّه فأكرمه ونَعّمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فَقَدَر عليه رزقَه فيقول ربي أهاننِ ﴾ .

وقد نعى القرآنُ الكريم على الإنسانِ عَدَمَ إكرامه لليتيم ، وإهانته له ، لمَ ؟ لأنه لا نِعَمَ عنده ، لأنه محتاج إلى الناس ﴿ كلا . بل لا تُكرمون اليتيم ﴾ .

فالإنسان ليست قيمته بما عنده من مال ، بل بما عنده من تصورات وأفكار وعقائد وأعمال توافق الشريعة ، ولذا جاءت آياتُ الله تترى في تصحيح مفاهيم الناس عن « الدنيا » و « الآخرة » و « الابتلاء » و « الجنة » و « النار » و « الحسنة » و « السيئة » ، وغير ذلك .

وبالتعبير القرآني : ﴿ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

٦ - أما أهلُ التقوى فهم يعلمون أن بَسطَ الرزق وتضييقه لا يكون على وفق الإيمان ، وإنما عن طريق الأخذ بالأسباب الحياتية ، واستعداد الأفراد وطاقاتهم لا على مقدار صلاحهم وفسادهم ، وأنّ النِّعم التي أعطاها الله إياهم ، ووهبها لهم ، إنما هي وسيلةٌ لا غاية ، والغاية عندهم رضى الله والدار الآخرة ، وهذا هو الذي يُفرحهم .

قال تعالى : ﴿ **فما أُوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون** ﴾ وقال : ﴿ **ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ وقال : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ .

ويعلمون أيضاً أن السعادة لا ترتبط بكثرة النّعم والمال والمتاع ، بل قد تكون هذه الأشياءُ وبالاً وشقاءً على صاحبِها ، والقرآنُ الكريم أشارَ إلى ذلك بقوله : ﴿ **وأما الغلامُ فكان أبواه مؤمِنَيْنِ فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً** ﴾ ، فَقَتْلُ الغلامِ - وهو صورة من صُوَر المَنْع والحرمان - كان حتى لا يشقى أبواه بالطغيان والكُفران .

٧ - الناس جميعاً في الدّنيا امتنَّ الله عليهم بِنعَمٍ شتّى ، فالنعم ليست خاصة بالكافرين ولا بالمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ **كُلّاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربِّك وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾ ، وقال : ﴿ **ومن كفر فأُمتّعه قليلاً** ﴾ .

فالكافرُ يصيبُ نصيباً من نعم الله ، فسنة الله في العطاء شاملة ، ولكنه محروم من أجلّ نعمة وأشرفها وأفضلها ، وهي الّتي تُتَوِّجُ النعم كلها ، بحيث تجعلها غير قليلة .

قال تعالى في سورة النعم - وهي سورة النحل - ممتنّاً على جنس الناس : ﴿ **خلق الإنسان من نطفة ... والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لَكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرَّ وسرابيل تَقيكم بأسكم كذلك يُتم نعمته عليكم لعلكم تُسلمون** ﴾ .

فذكّرهم بأصول النّعم وفروعها وعدّدها عليهم نعمةً نعمةً ، وأخبر أنه أنعم بذلك عليهم ليسلموا له ، فتكمل نعمه عليهم بالإسلام الذي هو رأسُ النعم ، ثم أخبر عمن كفَره ولم يشكر نعمه ، بقوله : ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ .

واللّه عز وجل يذكِّر في كثير من الآيات بنعمه على عباده ، وذلك لتكون وسيلةً للتفكُّر والتدبّر ؛ ليتوصلوا بها إلى الاعتبار والتّعقُّل ، ومن ثم لنيل محبّةِ الله من خلال الاستسلامِ له ، والإذعانِ لأمره[1] .

قال ابن قيم الجوزيّة - رحمه الله تعالى - في كتابه « الفوائد »[2] :

« وأما عبودية النعم ، فمعرفتُها والاعتراف بها أولاً ، ثم العياذ به أن يقعَ في قلبه نسبتها وإضافتها إلى سواه ، وإن كان سبباً من الأسباب ، فهو مسببُه ومقيمه ، فالنعمةُ منه وحده بكل وجه واعتبار ، ثم الثناءُ بها عليه ، ومحبته عليها ، وشكرُه بأن يستعملها في طاعته .

ومن لطائف التعبد بالنّعم أن يستكثر قليلها عليه ، ويستقلَّ كثير شكره عليها ، ويعلم أنها وصلت إليه من سيّده من غير ثمن بذله فيها ، ولا وسيلة منه توسَّل بها إليه ، ولا استحقاق منه لها ، وأنها لله في الحقيقةِ لا للعبدِ ، فلا تزيده النّعم إلا انكساراً وذلا وتواضعاً ومحبة للمُنعم ، وكلما جدد له نعمةً أحدث له رضى ، وكلما أحدث ذنباً أحدثَ له توبة وانكساراً واعتذاراً ، فهذا هو العبد الكَيّس ، والعاجز بمعزل عن ذلك » .

ولكن .. كيف يستقبلُ الناسُ هذه النعم ، وماهو أثرها فيهم ؟

فهذا ما سنتكلم عليها في عددٍ قادمٍ إن شاء الله تعالى .

---

(١) « شفاء العليل » (ص ٣٦ ، ٣٧ - بتصرف) .

(٢) (ص ١١٣ - ١١٤) .

مِن واقعِ العَمَل الإسلاميّ المعاصر

سعود بن ملوح العنزي

إنَّ الصّراع الذي تشهده الساحةُ الإسلاميّة - في ظروفِ الأمّةِ هذه - بين الحكومات من جهة و « الجماعات الإسلامية » من جهة أخرى هو - بلا شك - يخدم أعداء هذا الدين المتربصين به في كل مكان - بطريقٍ غير مُباشِرٍ - ؛ كما أنه ليس في صالح الصحوة الإسلامية التي أنعم الله عليها بوجود شباب متمسك بدينه ومتحمس لقضايا أمته .

ويشهد على ما ذكرت ما قالَه أحدُ الدعاة المعروفين (المُجرِّبين) ؛ - وهو فتحي يَكَن - معترفاً بالخسائر التي تكبدتها الجماعات الإسلامية ؛ قالَ : « منذ ربع قرن ، والحركة الإسلامية الحديثة تعيش محناً ضارية تقدم فيها الشهيد تلو الشهيد وتبذل الثّمن غالياً من وجودها وحياتها **دون أن يكون لها من ذلك أدنى مردود** » .

ثم قالَ : « والحركة الإسلامية بالرغم من كلِّ هذا لا يزال أُسلوبها في العمل نفس الأُسلوب الذي مارسته في ظلِّ أوضاع غدت في خبر كان .. بل

وغدت ممارستها له اليوم - وفي أعقاب التحول الجذري الذي شهدته المنطقة - ضرباً من الانتحار ، وجريمة لا يجوزُ السكوت عنها »[١] .

وقد ظنت معظمُ الجماعات الإسلامية - وللأسف - أنّها إن استطاعت السيطرة على الحكم ، فإنَّ بإمكانها تطبيق الشريعة بعد ذلك ، وقد نسيت أو تناست أنها تعيش وَسَط شعوب أُبعدت عن دينها بوسائل التَّغريب وغيرها ، فران على القلوب الجهلُ ، وسرى حب الدنيا في عروقها ، فلم يَعُد من الممكن أن تطبق الشريعة بالسهولة التي يتخيلها بعضُهم !

كما أنّها نسيت أو تناست أن هذا الطريق الذي تسلكه اليوم لم يكن خافياً على الرسول ﷺ حين عَرض عليه قومه الملك والسيادة ، ولكنه ﷺ كان يعرف واقعَ مجتمعِه الذي يعيش فيه ، وأنه غيرُ مهيأ لقَبول تكاليف سماوية ؛ لأن العادة والقبيلة وغير ذلك كانت تحتلُّ من القلوب مكاناً عظيماً ، فظلّ ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة يؤصل في نفوس مجتمعه العقيدة السليمة لأنه ﷺ كان ينظر أبعد من ذلك ويعلم عاقبة التسرُّع إن لم تؤصل العقيدة - أولاً وقبل كلِّ شيء - في نفوس الناس ، فإذا ما خالط حبُّ هذا الدين سويداءَ القلوب أصبح تطبيق شرع الله مطلباً جماعياً لا محيد للحكام عن قبوله .

وثمَّتَ عَقبات تحولُ دون تطبيق الشريعة في أغلب المجتمعات الإسلامية ؛ فالحكام الذين يحكِّمون القوانين الوضعية وراءهم أيدٍ خفية تحوطُهم وتسيِّرهم نحو ما يخدم مصالحها ، فلن تسمح لأحد أن يمسَّهم بسوء ، وحتى لو ذهبَ هؤلاء الحكام فالبديل موجود ، وقد جرَّبت بعض « الجماعات » ذلك فأصابها ما أصابها ، ومع كثرة التجارب المريرة التي مرت بها إلا أنّها لم تستفد من

(١) « مشكلات الدعوة والداعية » فتحي يكن مقدمة الطبعة الثانية ؛ نقلاً عن كتاب « حقيقة الدعوة إلى الله تعالى » للشيخ سعد الحصين .

تجاربها شيئاً يُذكر بل ما زالت سادرةً في غيِّها غير مبالية بأرواح الشباب التي أُزهقت ، كما أنّها صمّت آذانها عن حادي الرّبانيينَ الَّذينَ يَدْعونَ إلى اللّهِ على بَصيرةٍ على نهج السلف الصالح .

نعم ... إن أمامَ من يريد تطبيق الشريعة عَقَبةً كَـؤوداً تتمثل في المجتمع ، فمجتمعاتنا « الإسلامية » اليوم لايخفى حالها ، ولا يخفى ما يسيطر على نفوس أفرادِها من عقائد فاسدة .

يقول سيد قطب : « الحركاتُ الإسلاميةُ تَشغل نفسها بالاستغراق في الحركات السياسية المحدودة كمحاربة معاهدة أو اتفاقية ، وكمحاربة حزب أو تأليب خصم في الانتخابات عليه ، كما أنها تَشْغَل نفسها بمطالبةِ الحكومات بتطبيق النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية بينما المجتمعات ذاتها قد بعُدت عن فَهْم مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقولِ والغيرة عليها وتربية من يقبل هذه الدعوة وهذه المفهومات الصحيحة تربية إسلامية صحيحة ، وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السّياسية الجارية »[١] .

إنّ مجتمعاتنا اليوم – على ما فيها من صحوة إسلامية – تحتاج إلى تَرشيدٍ يَقودُه عالمٌ رَشيدٌ – بل عُلماء – حتى تعود إلى تعاليم دينها النابعة من الكتاب والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ .

كما أن الصحوة التي تعيشها أمتنا ما زالت في مهدها وهي بحاجة إلى تربية وعناية وتوجيه سليم حتى تؤتي ثمارها المرجوة منها .

ويجب علينا عدم استعجال النتائج ، فهذا أفضل وأنفع للأمة من الصراعات السياسية (الضَّبَابيّة) التي لا طائل من ورائها .

---

(١) « لماذا أعدموني » (ص : ٢٩) .

إنّ الجهالة التي تعيشها الشعوب الإسلاميّة اليوم تستحق أن تبذلَ لها كل الجهود وتستهلك من أجلها الطاقات .

كما أن العادات والأعراف التي تُحكِّمها أغلبُ الشعوب الإسلامية ذاتها على نفسها داخلة - يَقيناً - في قوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ !!!

فليس الأمر كما يتخيَّلُه المُتسرعون : أَن الحكم بغير ما أنزل الله هو فقط استبدال الساسة شريعة الله بالقوانين الوضعية .. بل الأمر أشمل من ذلك ؛ فتدبر[١] .

وأخيراً ، فليعلم من قرأ هذا الكلمات أنها ما خرجت شماتةً وتشفياً بتلك « الجماعات » مما أصابها من نكبات ، أعوذُ باللّهِ أن أكونَ من الجاهلين ، ولكنّها صَدَرَت حزناً وإشفاقاً على مستقبل الصحوة المباركة ، وحرقةً على أرواح شبابنا التي تزهق كل يوم ..

فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

---

(١) انظر لزاماً : (كلّكم راعٍ) من العددِ الثامنِ من « **الأصالة** » .

الصحوةُ الإسلاميّة .. حقيقةً ومعنىً

محمد إبراهيم شقرة

إنَّ مُصطلح (الصحوة الإسلامية) مصطَلَحٌ حادِثٌ ، أَودُّ من صميم قلبي أَن لو لم يكُنْ ! ولكنّه كان وشاعَ ، واضْطرخَت به الأَلسُنُ ، وتَرسَّختْ حُروفه في العقولِ ، وترسَّب معناه في الصُّدور والقلوب ، حتى صار مأْلوفاً لدى جميع الاتجاهات والتَّيَّارات الإسلاميَّة (!) على اختلاف قِيَمِهَا بينها في طرائق التفكير والمناهجِ !

ولستُ أَقول هذا لمجُرَّد أَنَّني أَرفُضُ كلَّ حادِثٍ وقوفاً عند قولِه - عليه السلام - : « من أَحدَثَ في أَمرنا هذا ما ليس منهُ فهو رَدٌّ » .

بل لأَنَّه أَيضاً غيرُ مطابقٍ للواقع ، وليس متَّفِقاً مع الحقيقةِ ؛ إِذْ متى كانت الأُمَّة الإِسلاميَّة تعيش في أَقطارها كُلِّها في سُباتٍ عميقٍ حتى يأْتيَ عليها اليوم الذي تُوصَفُ فيه بأَنَّها قد استيقظتْ من سُباتها فصارتْ (صاحية) !؟

يقولُ فضيلة الأَخ الشيخ بكر بن عبدالله أَبو زيد في كتابه النافع « مُعجم المناهي اللفظية » (ص : ٢٠٩) مبيّناً حقيقة اصطلاح (الصحوة الإسلامية) :

« وهذا وصفٌ لم يُعلّق اللهُ عليه حُكماً ، فهو اصطلاحٌ حادثٌ ، ولا نعرفهُ في لسان السَّلف جارياً .

وجرى استعماله في فواتح القرنِ الخامسَ عشرَ الهجريّ في أَعقاب عودةِ الكُفَّار - كالنَّصارى - إلى الكنيسة ، ثمَّ تدرَّجَ إلى المسلمين !

ولا يسوغُ للمسلمين استجرارُ لباسٍ أجنبيٍّ عنهم في الدين ، ولا إيجادُ شعارٍ لم يأْذن اللهُ به ولا رسولُه ؛ إذ الألقاب الشرعيّةُ توقيفيّةٌ : الإسلامُ ، الإيمانُ ، الإحسانُ ، التقوى ، فالمنتسب : مسلمٌ ، مؤمنٌ ، محسنٌ ، تقيٌّ ... فليت شِعري ما هي النسبةُ إلى هذا المُسْتَحْدَث « الصحوة الإسلامية » : صاحٍ ، أم ماذا ؟؟ » .

ثمَّ إن المُتَتَبِّع مسيرة الأمَّة منذُ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا يقعُ حِسُّهُ في أَي قرنٍ من القُرون على فترةِ ركودٍ أَو ضعْفٍ تتباينُ تبايناً كبيراً مع قرنٍ آخرَ ؛ كما أنَّه لا يقع على فترةِ قوَّةٍ أو نشاطٍ تختلفُ اختلافاً واسعاً عنها في قرنٍ آخرَ ، فالقوةُ أَو الضَّعفُ مرهونان بأَسبابهما .

وقد أَخبر الرَّسول ﷺ في بَعضِ كَلِمَاتِهِ ما سَيَكُونُ مِن حَالِ الأمَّةِ في بَعضِ قرونِها مِن ضَعْفٍ ، وما يَعترِيها مِن وَهَنٍ ، وما يُنْتَقَصُ من أَنفسِها وأَموالِها وأَراضيها ؛ بسببٍ من مَعَاصيها ، وأَنَّ صلاَحَ أَمرِها في كُلِّ ما يُصيبُها لا يَكونُ إِلَّا بالنزوعِ مِن المَعاصي إلى الطَّاعاتِ :

منها قوله ﷺ :

« يُوشِكُ أَنْ تَدَاعى عليكُم الأُمَمُ كَما تَدَاعى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها » .

قَالوا : ومِن قِلَّةٍ نحنُ يومئذٍ يا رَسولَ اللهِ ؟!

قَالَ : « لا ؛ أَنتُم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكنَّكُم غُثاءٌ كَغُثاءِ السَّيْلِ ، ولَيَنزعنَّ اللهُ المَهابَةَ مِن قُلوبِ عَدُوِّكُم ، ولَيَقْذِفَنَّ الوَهَنَ في قُلوبِكُم » .

قَالوا : ما الوَهَنُ ؟

قَالَ : « حُبُّ الدُّنيا وكَراهَةُ المَوْتِ » .

ومنها قَولُهُ :

« بَدأَ الدِّينُ غَريباً ، وسَيَعودُ غَريباً كَما بَدَأَ ، فَطُوبى للغُرَباءِ » .

ولستُ أُريدُ أَنْ أَسْتَقْصِيَ كَلِماتِهِ - صَلواتُ اللهِ عَليهِ وسلامُه - ؛ لأُبيِّنَ أَنَّ ما

يَحِلُّ بالأمَّةِ مِن الضَّعْفِ والوَهَنِ مَرَدُّهُ إلى أَسبابٍ تعرِفُها الأمَّةُ مِن أَنْفُسها ، لكنْ أُريدُ الإشارَةَ فَقط إلى أَنَّ ذلك كَائِنٌ فيها في كُلِّ قرنٍ وفي كُلِ زَمَانٍ .

والمُسْتَقْرِئُ الأحداثَ التاريخيَّةَ يُبْصِرُ ذلك مقروءاً فوقَ الأرضِ ، وفي الآفاقِ ، وفي ما خَلَّفَتْ في أَنفُسِ النَّاسِ وفي أبدانِهم .

ونَقرأُ أَيضاً قوله ﷺ :

« إنَّ اللهَ يَبْعَثُ على رأْسِ كُلِّ قرنٍ مَن يُجَدِّدُ لهذه الأمَّةِ أَمرَ دينِها » .

فَنَجدُ فيهِ عزاءً لِنُفوسِنا ، وإذهاباً لليأْسِ والجَزَعِ عنها - إنْ كانَ حاقَ بها - وهي تَرى تَسَلُّطاً من عدوٍّ ، أَو اختلافاً على أَمرٍ ، أَو تفرُّقاً في رأيٍ .

وقَد شَهِدَتِ الوَقائِعُ والأَيَّامُ بصدقِ خَبَرِ النبيِّ - عليه السلام - ؛ فإنَّهُ لا يَكادُ يختَفي قَرْنٌ عن هذه الأمَّةِ بضعفِهِ وبأَساتِهِ حتى يُطِلَّ قرنٌ جديدٌ ؛ يُبَشِّرُها بما كانَت تُمَنِّي بِهِ نَفسَها في القَرنِ المُنْصَرِمِ ، فَيَظَلُّ صلاحُ أَمرِها حاضراً حُضوراً ذهنيّاً لا ينقَطِعُ عنها .

وما من رَيبٍ أَنَّ الحركةَ العلميةَ التي تَوَّجَتْ كُلَّ قرنٍ من قرونِ هذه الأمَّةِ هي أَوضَحُ مظَاهِرِ الصَّلاحِ والإصلاحِ ، التي تَسْعى إليها الفئةُ الظاهرةُ المصلِحَةُ الصالحةُ ، أو التي يَدْأَبُ فيها ساعياً مجدّاً من يُهَيِّئُهُ اللهُ - سبحانَهُ - ؛ ليُجَدِّدَ لها أَمْرَها ، ويُعيدَ إليها ما انبَتَّ مِنها مِن رُشْدِها وصِدْقِ وَلائِها وبلائِها .

وقَدْ عَلِمنا أَنَّ هذِهِ الحركةَ تشتدُّ حيناً ، وتضعُفُ حيناً ، بما يتوفَّرُ لها من أَسبابٍ ، تأْتَلِفُ أَو تَخْتَلِفُ .

وإذا عَلِمَ اللهُ - سُبحانَهُ وتعالى - صدقَ هذا الذي يَبعَثُهُ على رأْسِ كُلِّ قَرنٍ ؛ يَسَّرَ له الأَسبابَ التي يُقبِلُ بها النَّاسُ عليهِ ، فَيَرْضَوْنَه لأَنْفُسِهِم ، ثم يرضاهُم هو لنفسِهِ ، فيبقى أَثَرُهُ فيهِم سِنينَ بعدَ موتِه ، ولربَّما التَقى هذا الأَثرُ بامتدادِهِ مَن يأْتي بعدَه في القرن الذي يليهِ .... وهكذا ؛ حتى لَيَخالَ النَّاظِرُ في حركة التَّاريخِ أَنَّ قُرونَ الإسلامِ - على اختلافِ بينَها في قوةٍ وضعفٍ ، وسرّاءٍ وضرّاءٍ - هي قَرْنٌ واحدٌ ،

أَوَّلُه كآخرِه ، وآخرهُ كأَوَّلِه ، تشابُهٌ دائمٌ ، وتَماثُلٌ مُتَقارِبٌ ، تُبصِرُ بهِ معنى قولِهِ – صلواتُ اللهِ عليهِ – :

« مَثَلُ أُمَّتي كالمَطَرِ ؛ لا يُدرَى خيرٌ أَولُه أَم آخرُه » .

إذاً ؛ فأَينَ تقعُ الصحوةُ الإسلاميةُ بهذا اللفظِ والمعنى المرادِ منهُ في حركة التاريخِ الإسلاميّ ؟!

لقد قَرأْنا تاريخَ الإسلامِ كُلَّهُ ، فقرأْنا : بَطْشاً ، وتقْتيلاً ، وتَهْجيراً ، وتعذيباً ، واغْتِصاباً ، وظُلماً ، واستِعْباداً ، وإِذْلالاً ، وقَهْراً ، وسفكاً للدِّماءِ ، وإزهاقاً للأَرواحِ !!

وقرأنا في هذهِ الظُّلمَةِ المختلفَةِ الألوانِ والأشكالِ ، المتعدِّدَةِ الصورِ والرُّسومِ رُموزاً كانت تتحدَّى هذه الظُّلمَةَ بكُلِّ أَلوانِها وصُوَرِها ؛ بعلمِها ، وجِهادِها ، وَما وَهَبَها اللهُ سُبحانَهُ مِن قُدُراتٍ ؛ أَظْفَرَتْها حُبَّ النَّاسِ ، وتأْييدَهُم ، والوقوفَ مِن وَرائِهم ؛ بالصبرِ ، والدُّعاءِ ، والحُبِّ ، والتأْييدِ ؛ قَدْرَ الطَّاقةِ .

وإِنْ نحنُ سلَّمنا بكينونةِ هذه الصحوةِ – بمعناها ولفظِها المُرادَينِ عندَ الجماعاتِ الإسلاميَّةِ ، والمُنَظِّرينَ والمُفَكِّرينَ المسلمين – ؛ فهل هي حقيقةٌ سائدةٌ ؟! وهل معناها قائمٌ موجودٌ ؟!

لا أَحْسِبُني في حاجَةٍ إلى التَّدليلِ بأَكثَرَ مِن الواقعِ الذي يعيشهُ المسلمونَ في أَقطارِهم ، أَو فَلنَقُل : الجماعاتُ الإسلاميَّةُ ، التي تَعُدُّ نفسَها قَابِضَةً على زِمامِ الأُمورِ ، وأَنْ لا حَقَّ للأُمَّةِ حتى في التفكيرِ والتَّدبيرِ من غيرِ أَن تعودَ إِليها فيهما ، فماذا نَجِدُ ؟!

نَجِدُ هذه الجماعاتِ على أَسوإِ وَصْفٍ وصفَ اللهُ بِهِ المختَلفِينَ على الحَقِّ ، المُتَنافِرِينَ عن الهُدى :

﴿ كُلُّ حِزبٍ بما لَدَيْهِمْ فَرِحونَ ﴾ !

وقَد وَقَعتْ كلُّ هذه الجماعاتِ – على تفاوتٍ فيما بينَها – بعداوةٍ مُستَترةٍ أَو ظاهرةٍ في وجهِ الفئةِ التي تقومُ على منهجِ النبوةِ ؛ اعتقاداً ، وعَمَلاً ، وتصوُّراً ، وسلوكاً ، حتى لَتخالَها – وهي ترميها بشررٍ كالقَصرِ – أَنها خارجةٌ عن حظيرةِ

الإسلامِ باسطةٌ أَذْرُعَها هَدماً وفَتْكاً بالإسلامِ وأَهلِهِ ، وتَخْريباً وإفساداً لبنيانِه وأَرضِه !!

ولا واللهِ ما علمَ النَّاسُ عن هذهِ الفئةِ مِن سوءٍ قديماً وحديثاً ؛ إلا بما أَوْغَرَ أَعداؤُهم عليهِم صدورَ هذه الجماعاتِ ، وبما سوَّلوا لهُم من أَنَّ هذه الفئةَ تقفُ جامدةً عند ظواهِرِ النُّصوصِ ! لا تتعدَّاها إلى معانيها الدَّالةِ عليها ، وإلى الفقهِ الصحيحِ الذي يُنْتِجُهُ النظرُ الصائِبُ الواعي فيها .

وغَشِيَتْ هذه الجماعاتِ غاشيةُ سَوءٍ ، حتى لا تكادَ تُبْصِرُ مِن هذه الفئةِ إلا سُوءاً ، وشرّاً ، وتَطَرُّفاً ، وتعصُّباً مذموماً لما تحمِلُهُ من آراءٍ وعقائدَ ، وجعلت همَّها كُلَّه في التحذيرِ من هذه الفئةِ التي تقومُ على منهجِ النُّبُوَّةِ ، والحَضِّ على عداوتِها ، والإكثارِ منَ الطَّعنِ عَلَيها ، والإجلابِ بالزُّورِ والافتراءِ على سيرتِها ، حتى إنَّ القارئَ أَو المستَظْهِرَ لِما تُزَوِّرُهُ هذه الجماعاتِ في سرٍّ وعلانيةٍ ، ولِما تُبَيِّتُهُ من سوءٍ لها في الخَفَاءِ ؛ لَيَحْسَبُ أَنْ ليس في الأرضِ إسلامٌ واحدٌ يجمعُ بينَ هذهِ الفئةِ وبينَ الطَّاعِنينَ من أُولئكَ عليها ، بل إسلامانِ اثنانِ !

ومن العَجيبِ المُعْجِبِ والغَريبِ المُطْرِبِ ؛ أَنَّ الصَّانعينَ هذا هم واضِعو نظريةِ الصحوةِ الإسلاميةِ أَنْفُسُهم ، الدَّاعونَ إلى وحدَةِ الكَلمةِ ، ولأْمِ الصَّفِّ ،ونَبذِ الفُرقةِ !

فَهَل مَعنى الصحوةِ المُدَّعاةِ هذه قاصرٌ عليهم وحدَهم ، ويتجاوزُ سواهُم ؟!

إنْ كانَ هذا هُو المُراد ؛ فأَينَ تقعُ الصحوةُ الإسلاميَّةُ في قَاموسِ الدعوةِ عندَهم ؟!

وإن كانَ المرادُ غيرَه ؛ فلا صحوةَ ، بل سُباتٌ طويلٌ !! وإغماءٌ لا يُدْرى مُنتهاهُ !!

ولعلها صحوةٌ لا زالتْ آثارُ السُّباتِ الطويلِ عالقةً بها !!

مِن هُنا ربَّما وَجَدْنا لأولئكَ عُذراً يُبيحُ لهم أَنْ يقولوا - رُبَّما - ما ليسَ في قُلوبِهِم ، أَو أَنَّهُم يقولونَ بأَلسنَتِهِم ما كان يَحيكُهُ أَعداءُ الإسلامِ للأُمَّةِ قديماً وحَديثاً ، فصارَ حديثَ نفسٍ عندَهُم ، لا يملكونَ لهُ رداً ....

(للبحثِ صلةٌ ...)

زائغو هذه الأمة

تحسين إبراهيم الدوسكي

الزائغونَ في هذه الأمةِ قديماً وحديثاً كثيرون ، فهم يؤلِّفونَ اثنتينِ وسَبعينَ فرقةً ، كلُّها تعملُ في فُسطاطٍ مواجه لفسطاط أهلِ الحقِّ والإيمان ، ولكنَّ الَّذي يستقصي حقيقةَ أولئكَ الزائغينَ - على كثرتِهم - يَجدُ أنَّها تنحصرُ في صنفينِ اثنينِ لا ثالثَ لهما :

أحدهما : يَتبعُ منهجَ المغضوبِ عليهم ؛ إذ عَرفوا الحقَّ ولم يتّبعوه .

والثاني : يتبعُ منهجَ الضالّينَ الَّذينَ ضلَّ سعيُهم في الحياةِ الدنيا ، وهم يحسبونَ أنَّهم يُحسنونَ صنعاً .

ويَكثرُ ذكرُ الصنفينِ من الزّائغينَ في الكتابِ والسّنّةِ ، والمؤمنُ مأمورٌ أن يَدعوَ اللّهَ في كلِّ رَكعةٍ من ركعاتِ صلاتِه أن يَعصمَه من اتباعِ طريقهما .

وفي حديثِ حُذيفةَ بنِ اليَمانِ الصحيحِ الثقيل على أسماعِ الزائغينَ وَرَدَ ذكرُ هذينِ الصنفينِ بعباراتٍ نبويّةٍ لن نَجدَ أبلغَ منها :

روى الإمامُ البخاريُّ والإمام مسلمٌ عن حذيفةَ بنِ اليمانِ قالَ : كانَ النّاسُ يسألونَ رسولَ اللّهِ ﷺ عن الخيرِ ، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ مخافةَ أن يُدركني .

فقلتُ : يا رسولَ اللّهِ ! إنَّا كُنَّا في جاهليّةٍ وشرٍّ ، فجاءنا اللّهُ بهذا الخيرِ ، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ ؟

قالَ : « نعم » .

قلتُ : وهل بعدَ هذا الشرِّ من خيرٍ ؟

قالَ : « نعم ، وفيه دَخنٌ » .

قلتُ : وما دخنُه ؟

قالَ : « قومٌ يَهدونَ بغيرِ هَدْيِي ، تعرفُ منهم وتنكرُ ».

قلتُ : فهل بعدَ ذلكَ الخيرِ من شرٍّ ؟

قالَ : « نعم ؛ دعاةٌ إلى أبوابِ جهنَّمَ ، من أجابَهم إليها قَذَفوه فيها » .

قلتُ : يا رسولَ اللّهِ صفهم لي ؟

قالَ : « هم مَن جلدتنا ويَتكلمونَ بألسنتِنا » .

قلت : يا رسولَ اللّه ! فما تأمرني إن أدركني ذلكَ ؟

قالَ : « تَلزمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم »

قلتُ : فإن لم تَكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ ؟

قالَ : « فاعتزلْ تلك الفرقَ كلَّها ولو أن تَعضَّ بأْصلِ شجرةٍ حتّى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلكَ » .

فأوّلُ هذينِ الصنفينِ : قومٌ تعددت أسماؤُهم ، وتوحّدت أهواؤهم ، شعاراتهم مختلفة ، وقلوبُهم على الباطلِ مؤتلفة ، يوجدونَ حيثُما توجد المصلحة ، يفرِّقون وهم يحسبونَ أنَّهم يجمّعونَ ، ﴿ وإذا قيلَ لهم لا تُفسدوا في الأرضِ قالوا إنَّما نحنُ مصلحونَ ﴾ هؤلاءِ عَرفوا الحقَّ ، ولكنَّهم أضافوا إليه باطلاً من عندِ أنفسِهم ، فلذلك تعرفُ منهم وتنكر ، فإنَّ في طريقتِهم المعروفَ والمنكرَ ، والمقبولَ والمرفوضَ ، والسنّةَ

والبدعةَ ..

أولئكَ أهلُ الأهواءِ فاحذروهم .

إنَّهم لا يَضبطونَ حركاتِهم وسكناتِهم بالضوابطِ الشرعيّةِ .

إنْ شاقّوا الرسولَ باتباعِ غير هديه ، قالوا : في هذا صلاحُ دنيانا !

وإن عملوا على مصافاةِ الكفرة الفجرة قالوا : فيها مصلحةُ ديننا !!

وإن التقوا بالجاهليّةِ في منتصفِ الطريقِ ، قالوا : غايتنا شريفةٌ ولا عبرةَ بالواسطة !!

وثاني الصنفين : دعاةٌ ... ولكن على أبوابِ جهنّمَ ، وكم من بابٍ يدعونَكَ إليه على أنَّه يؤدي إلى دارِ السلامِ ، ثمَّ تتبيّن ؛ فإذا هو بابٌ من أبوابِ جهنّمَ !

وسمةُ دعاةِ الضلالةِ هؤلاءِ أنَّ دعوتَهم لا تنحصرُ في بابٍ واحدٍ ، بل في أبوابٍ متفرّقة تؤدي جميعُها إلى شَفيرِ الهاوية .. فمن أجابهم إليها قَذَفوه فيها .

وهؤلاءِ الزائغونَ يتبنّونَ الإسلامَ في الظاهرِ ، وبعضُهم يحسبُ نفسه من طلائعِ الحركةِ الإسلاميّةِ !! فلقد وصفهم رسولُ اللّهِ ﷺ بأنَّهم « من جلدتنا ويتكلمونَ بألسنتنا » ...

ألا فليكن اللّهُ في عوننا !

وفي التزامِ جماعةِ المسلمينَ وإمامهم - المقيم حدودَ اللّهِ - عصمةٌ من الزيغِ واتباع الهوى ؛ إذ الأمّةُ لا تجتمعُ على ضلالة ، ولكن كيفَ إذا لم تَكن جماعةٌ ولا إمامٌ ؟ بل كانت جماعاتٌ وأئمةٌ لا يقيمونَ حدودَ اللّهِ على شبرٍ من الأرضِ ...

كيفَ الأمرُ والرايات قد اختلطت ؟

يسألُ الأنسانُ يومئذٍ أينَ المفرُّ ؟

ويأتيه الجوابُ القاطعُ من الشرعِ الحكيمِ : ﴿ ولا تَكونوا من المُشركينَ من

الَّذينَ فرّقوا دينَهم وكانوا شيعاً ﴾ واعتزال تلك الفرق كلّها ، فهي وصيةُ رسولِ اللّهِ ﷺ لك .

ولكنَّ هذا لا يُنافي البتّةَ الاعتصام الواثق ، والتواصي الصادق ، بالحقِّ الدافق ؛ كما في قولِه تعالى ﴿ وَكُونوا مَعَ الصَّادقِينَ ﴾ .

واعلم أنَّ الفردَ وحدَه جماعةٌ إن كانَ على الحقِّ ، كما قال عبدُاللّهِ بن مسعودٍ رضي اللّهُ عنه : الجماعةُ ما وافقَ الحقَّ وإن كنتَ وحدَكَ !

رُدّ باطِلهم جميعاً ، فإنّهم اتخذوا خلافَ الكتابِ والسنّةِ أصلاً ، واتبعوا غيرَ هدي النبوّةِ ، ولا تقل : هذا قولُ فلانٍ ! أو جماعة علّان ! بل اعتزل تفرّقهم جميعاً ، وإن وجدتَ في ذلكَ مشقّةً ، بل إن اضطررتَ إلى العضّ بأصلِ شجرةٍ ! وما العضُّ بأصلِ شجرةٍ إلّا إشارة عن المشقةِ والصبرِ على شدةِ الزمانِ .. أو هو أمرٌ بالاستمساكِ بما ليسَ في مقدورِ دعاةِ الضلالةِ تغييره حسب أهوائهم ، وهو الطبيعةُ السليمةُ ، ومنها أصول الأشجارِ .

يقولُ الأديبُ المسلمُ مصطفى صادق الرّافعيُّ رحمه اللّهُ : « تأمّل قولَه ﷺ :

« ولو أن تعضَّ بأصلِ شجرةٍ » فإنَّ معناه استمساكٌ بما بَقي على الطبيعةِ السليمةِ ممّا لا يستطيعُ أولئكَ أن يُغيّروه ، ولا أن يَجددوه ، أي : بالاستمساكِ ولو بأصلٍ واحدٍ من قديم الفضيلةِ والإيمانِ .

وعبارةُ العضِّ بأصلِ شجرةٍ تمثّل أبدع وأبلغَ وصفٍ لمن يلزمُ أصولَ الفضائلِ في هذا الزمنِ ، ومبلغ ما يعانيه في التمسك بفضيلته ، وهي وحدها فنٌّ كأجملِ ما يبدعه مصورٌ عبقريٌّ » .

واللّهُ المُستعانُ .

فتاوى وفوائد وأحكام
في شهر الصيام

أَعدَّها : التحرير

يستطيع الأخ القارئ أن يُراجعَ ملفَّ « **رمضانيّات** » المنشور في « الأصالة » العدد الثالث : (ص ٦٦ - ٧٨) ؛ ففيه مباحثُ هامّة مُتعلقةٌ بهذا ؛ وما هنا - إن شاءَ اللّه - تكميلٌ وإتمامٌ .

(١)

قالَ العلامّةُ الإمامُ ابن قيِّم الجوزيّة رحمه اللّه تعالى :

« وأمّا الصومُ فناهيكَ به من عبادةٍ تكفُّ النفسَ عن شهواتِها ، وتُخرجُها عن شبهِ البهائمِ إلى شبهِ الملائكةِ المُقرَّبينَ ، فإنَّ النفسَ إذا خليت دواعي شهواتِها التحقت بعالمِ البهائمِ ، فإذا كفّت شهواتها للّهِ ضيَّقت مجاري الشيطانِ ، وصارت قريبةً من اللّهِ بتركِ عاداتِها وشهواتِها محبةً له وإيثاراً لمرضاتِه ، وتقرُّباً إليه فيدعُ الصائمُ أحبَّ الأشياءِ إليه وأعظمَها لصوقاً بنفسِه من الطعامِ والشرابِ والجماعِ من أجلِ ربّهِ ؛ فهو عبادةٌ ، ولا تُتصورُ حقيقتها إلّا بترك الشهوةِ للّهِ .

فالصائمُ يدعُ طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجلِ ربِّهِ ، وهذا معنى كونِ الصومِ

له تباركَ وتعالى ، وبهذا فسَّرَ النبيُّ ﷺ هذه الإضافة في الحديثِ فقالَ : « يقولُ اللّهُ تعالى : كلُّ عملِ ابن آدمَ ، يضاعف الحسنةُ بعشرِ أمثالِها ، قالَ اللّهُ : إلّا الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به يدعُ طعامَه وشرابَه من أجلي » ، حتّى إنَّ الصائمَ ليتصورُ بصورةِ من لا حاجةَ له في الدنيا إلّا في تحصيلِ رضى اللّهِ .

وأيُّ حسنٍ يَزيدُ على حسنِ هذه العبادةِ الّتي تكسرُ الشهوةَ ، وتقمعُ النفسَ ، تُحْيي القلبَ وتفرحُه ، وتزهدُ في الدنيا وشهواتِها ، وترغّبُ فيما عندَ اللّهِ ، وتذكرُ الأغنياءَ بشأنِ المساكينِ وأحوالِهم ، وأنّهم قد أخذوا بنصيبٍ من عيشهم ، فتعطفُ قلوبَهم عليهم ، ويعلمونَ ما هم فيه من نعمِ اللّهِ ، فيزدادونَ له شكراً .

وبالجملةِ فعونُ الصومِ على تقوى اللّهِ أمرٌ مشهورٌ ، فما استعانَ أحدٌ على تقوى اللّهِ وحفظِ حدودِه واجتنابِ محارمِه بمثلِ الصومِ ، فهو شاهدٌ لمن شرعَه وأمرَ به بأنّه أحكمُ الحاكمينَ وأرحمُ الرّاحمينَ ، وأنّه إنّما شرعه إحساناً إلى عبادِه ورحمةً بهم لا بُخلاً عليه برزقه ، ولا مجرّد تكليفٍ وتعذيبٍ خال من الحكمةِ والمصلحةِ ، بل هو غايةُ الحكمةِ والرّحمةِ والمصلحةِ ، وإنَّ شرعَ هذه العباداتِ لهم من تمامِ نعمتِه عليهم ورحمتِه بهم »[(١)].

(٢)

« النّاسُ في صيامِ رمضانَ أقسامٌ :

الأوّلُ : من يلزمُه الأداءُ ؛ وهو المسلمُ المكلَّفُ القادرُ شرعاً وحِسّاً .

الثاني : من يلزمه القضاءُ ؛ وهو من قامَ به عجزٌ حسيٌّ كمرض ، أو شرعيٌّ كحيضٍ ونفاسٍ ومن مظنّةِ الحِسّيِّ السَّفر .

---

(١) « مفتاح دار السعادة » (٢ / ٣ - ٤)

الثالثُ : من يلزمُه الإطعامُ فقط ؛ وهو الكبيرُ ومَن به عجزٌ لا يُرجى زوالُه .

الرَّابعُ : إذا أفطرت الحاملُ أو المرضعُ خوفاً على الولدِ فقط ، فعليهما القضاء، وعلى مَن يَمونُ الولد الإطعامُ(١) .

الخامسُ : من لا يلزمُه شيءٌ ، وذلكَ إذا سافرَ أهلُ القسمِ الثالث . قاله الحنابلةُ !

وفيه نَظرٌ ظاهرٌ وهو مخالفٌ للكتابِ والسنّةِ ، والصوابُ في ذلكَ أنَّ عليهم الإطعامَ فقط كما لو لم يسافروا ، هذا هو الحقُّ بلا ريبٍ، واللّهُ أعلم »(٢).

(٣)

سؤالٌ : رجلٌ مريضٌ يُعالَجُ في المُستشفى ، ويتناولُ دواءً يُسبِّبُ له الجوعَ الشديدَ ، هل يُفطرُ أم يصبر ؟ وهل فحصُ الدمِ يُفسدُ الصيامَ ؟!

الجواب : « المشروعُ للمريضِ الإفطارُ في شهرِ رَمضانَ إذا كانَ الصومُ يضرُّه أو يشقُّ عليه ، أو كانَ يحتاجُ إلى علاجٍ في النهارِ بأنواعِ الحبوبِ والأشربةِ ونحوها ممّا يؤكلُ أو يُشربُ لقول اللّه سبحانه : ﴿ **ومن كَانَ مَريضاً أو عَلى سَفرٍ فَعِدّةٌ من أيّام أُخَرَ** ﴾ ، ولقولِ النبيِّ ﷺ : « إنَّ اللّهَ يُحبُّ أن تُؤتى رُخَصُه كما يَكرهُ أن تُؤتى معصيتُه » .

---

(١) ومذهبُ ابن عُمرَ وابنِ عباسٍ الإطعامُ دونَ القضاءِ ، ولا مُخالفَ لهم من الصحابةِ نصَّ على ذلكَ ابن قُدامة في « المُغني » (٣ / ٢١) ،وانظر كتاب « صفة صومِ النبيِّ ﷺ في رمضان » (ص ٨٠) ففيه الأدلةُ على هذا . (**الأصالة**) .

(٢) « المُنتقى مِن فرائد الفوائد » (ص ٢٨ - ٢٩) للشيخ محمد بن صالح العُثيمين - بتصرُّف .

وفي راوية أُخرى : « كما يُحبُّ أن تُؤتى عزائمه » .

أمّا أَخذُ الدم من الوريدِ للتحليلِ أو غيره ؛ فالصحيحُ أنّه لا يُفطرُ الصائم ، لكن إذا كثر فالأولى تأجيلُه إلى الليلِ »[1].

(٤)

سؤال : ما هو حُكمُ شمّ الروائح في نهار رَمضان ؟

الجواب : روائحُ الأشياءِ إذا شمّها الصائمُ فَلا بأْسَ بذلكَ ، إلّا الدخان ؛ إذا شمّه الصائمُ مُتعمّداً لشمّه فإنّه يفطرُ بقصد شمِّ الدخانِ ، وإن دَخلَ في أنفه من غيرِ قصْدٍ لشمّه لم يُفطر لمشقةِ التحرزِ منه[2] .

(٥)

سؤال : هل يَجوزُ تعاطي الحبوب لمنع الحيضِ لأَجلِ الصِّيامِ أو الحجِّ للنساءِ ؟

وإذا كانَ يَجوزُ فأيّهما الأفضلُ تعاطيه أو عدمه بالنسبةِ للصيامِ أو الحجّ أو العمرة ؟

الجواب: الأَصلُ في هذا الجوازُ، ولا نعلمُ دليلاً يُخالفُ هذا الأَصلَ، وكون المرأة تُصلي والحيضُ محتبسٌ بسببِ تعاطي الحبوب لا أثرَ له في صحةِ العبادةِ ؛ فإنَّ أحكامَه لا تثبتُ إلّا بعدَ ثُبوتِ خروجِه على حسبِ ما جرت به العادةُ .

وتركه على سبيلِ الاحتياطِ إذا لم تدعُ إليه الضرورةُ أولى ، هذا إذا لم

---

(١) « فتاوى وتنبيهات ونصائح » (ص ٣٧٥ - ٣٧٦) للشيخ عبدالعزيز بن باز - باختصار .

(٢) « مجموعة الرسائل والمسائل النجديّة » (١ / ٦٧٩) .

يَكن له تأثيرٌ[1] على منعِ الحملِ بسببِ امتناع الحيضِ مطلقاً ، فإن كانَ فلا بدَّ من إذن الزوجِ[2].

(٦)

سؤالٌ : ليلةُ القدرِ ؛ أيُّ ليلةٍ هي ؟

الجوابُ : الحمدُ للّهِ ؛ ليلة القدرِ في العشرِ الأواخرِ من شهرِ رمضانَ ، هكذا صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ : « هي في العشرِ الأَواخرِ من رَمضانَ » ، وتكونُ في الوترِ منها .

لكنَّ الوترَ يَكونُ باعتبارِ الماضي ، فتُطلبُ ليلة أحدى وعشرين ، وليلة ثلاثٍ وعشرينَ ، وليلة خمسٍ وعشرين ، وليلة سبع وعشرين ، وليلة تسعٍ وعشرين .

ويكونُ باعتبارِ ما بقيَ كما قالَ النبيُّ ﷺ : « لتاسعةٍ تبقى ، ولسابعةٍ تبقى ، ولخامسةٍ تَبقى » .

فعلى هذا إذا كانَ الشهرُ ثلاثينَ يَكونُ ذلكَ ليال الأشفاع ، وتكون الاثنين وعشرين تاسعة تبقى ، وليلةُ أربع وعشرين سابعة تَبقى ، وهكذا فسّره أبو سعيدٍ الخدريّ في الحديثِ الصحيحِ ، وهكذا أقامَ النبيُّ ﷺ في الشهرِ .

وإن كانَ الشهرُ تسعاً وعشرينَ ، كانَ التاريخُ بالباقي ، كالتاريخِ الماضي .

وإذا كانَ الأمرُ هكذا فينبغي أن يتحرّاها المؤمنُ في العشرِ الأَواخرِ جميعه ، كما قالَ النبيُّ ﷺ : « تحرّوها في العشرِ الأُواخرِ » وتَكونُ في السبعِ الأَواخرِ

---

(١) أو ضررٌ طبيٌّ . (**الأصالة**) .

(٢) « فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم » (٤ / ١٧٦ - ١٧٧) .

أكثر ، وأكثرُ ما تَكونُ ليلة سبع وعشرين كما كانَ أُبيّ بن كعبٍ يحلفُ أنّها ليلة سبعٍ وعشرين ، فقيلَ له : بأيِّ شيءٍ علمتَ ذلكَ ؟ فقالَ : بالآيةِ الَّتي أخبرنا رسولُ اللّهِ ؛ أخبرنا « أنَّ الشمسَ تَطلعُ صبحة صبيحتها كالطشتِ ، لا شعاعَ لها » .

فهذه العلامةُ الَّتي رواها أُبيٌّ بن كعبٍ عن النبيِّ ﷺ من أشهرِ العلاماتِ في الحديثِ ، وقد رُوِيَ في علاماتِها : « أنّها ليلةٌ بلجةٌ مُنيرةٌ » وهي ساكنةٌ لا قوية الحرِّ ، ولا قوية البردِ ... واللّهُ أعلمُ »[1] .

(٧)

سؤالٌ : رجلٌ وطئَ أمرأتَه وقتَ طُلوعِ الفجرِ معتقداً بقاءَ الليلِ ، ثمَّ تبيّنَ له أنَّ الفجرَ قد طلعَ ، فما يجبُ عليه ؟

الجوابُ : الحمدُ للّهِ ، هذه المسألةُ فيها ثلاثةُ أقوالٍ لأهلِ العلمِ :

أحدها : أنَّ عليه القضاءَ والكفارةَ ، وهو المشهورُ من مذهبِ أحمدَ .

الثاني : أنَّ عليه القضاءَ ، وهو قولٌ ثانٍ في مذهبِ أحمدَ ، وهو مذهبُ أبي حنيفةَ ، والشافعيّ ، ومالك .

والثالثُ : أن لا قضاءَ عليه ، ولا كفارة ، وهذا قولُ طوائفَ من السّلفِ والخلفِ : كسعيدِ بن جُبيرٍ ، ومجاهدٍ ، والحسنِ ، وإسحاق ، وداودَ ، وأصحابه ، وهؤلاءِ يقولونَ : **من أكلَ معتقداً طلوعَ الفجرِ ، ثمَّ تبيّنَ له أنّه لم يطلع ، فَلا قضاءَ عليه .**

وهذا القولُ **أصحُّ الأقوالِ** ، وأشبهها بأُصولِ الشريعةِ ، ودلالة الكتابِ والسنّةِ ، وهو قياس أُصول أحمد وغيره ، فإنَّ اللّهَ رَفعَ المؤاخذةَ عن الناسي

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة » (٢٥ / ٢٨٤ - ٢٨٦) باختصار .

والمخطئ ، وهذا مخطئٌ ، وقد أباحَ اللّهُ الأكلَ والوطءَ حتّى يتبيّنَ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ ، واستحبَّ تأخير السّحورِ ، ومن فعلَ ما نُدبَ إليه وأُبيحَ له لم يُفرّط ، فهذا أولى بالعذرِ من الناسي ، واللّه أعلمُ »[1] .

وقالَ الإمامُ ابن القيم في « مفتاح دار السعادة » (٢ / ١٨) :

وأمّا من طلعَ عليه الفجرُ وهو مجامعٌ فالواجبُ عليه النزعُ عيناً ، ويحرمُ عليه استدامةُ الجماعِ واللبثُ ، وإنّما اختُلفَ في وُجوبِ القضاءِ والكفارةِ عليه ، على ثلاثةِ أقوالٍ في مذهبِ أحمدَ وغيرِه :

أحدها : عليه القضاءُ والكفارةُ ، وهذا اختيارُ القاضي أبي يعلى .

والثاني : لا شيءَ عليه ، وهذا اختيارُ شيخنا **وهو الصحيحُ** .

والثالثُ : عليه القضاءُ دونَ الكفارةِ .

وعلى الأقوالِ كلّها فالحكمُ في حقّهِ وُجوبُ النزعِ ، والمفسدةُ الّتي في حركةِ النزعِ مفسدةٌ مغمورةٌ في مصلحةِ إقلاعِه ونزعه ، فليست المسئلةُ من مواردِ النزاعِ .

(٨)

سؤال : إذا أكلَ المسلمُ بعدَ اذانِ الصبح في رَمضانَ ، ماذا يَكونُ ؟

الجوابُ : الحمدُ للّهِ ؛ أمّا إذا كانَ المؤذنُ يؤذنُ قبلَ طلوعِ الفجرِ ، كما كانَ بلالٌ يؤذنُ قبلَ طُلوعِ الفجرِ ، فَلا بأسَ بالأكلِ والشربِ بعدَ ذلكَ بزمنٍ يَسيرٍ .

وإن شكَّ : هل طلعَ الفجرُ ؟ أو لم يطلع ؟ فله أن يأكلَ ويشربَ حتّى يتبيَّنَ الطلوعُ ، ولو علمَ بعدَ ذلكَ أنّه أكلَ بعدَ طلوعِ الفجرِ ،ففي وُجوبِ القضاءِ نزاعٌ .

والأظهرُ أنْ لا قضاءَ عليه ، وهو الثابتُ عن عُمرَ ، وقالَ به طائفةٌ من السلفِ والخلفِ، والقضاءُ هو المشهورُ في مذاهبِ الفقهاءِ الأربعةِ. واللّهُ أعلمُ[2].

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة » (٢٥ / ٢٦٤) .

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلامِ ابن تيميّة » (٢٥ / ٢١٦ - ٢١٧) .

من أَدَبِ الإسلام

محمد عيد العباسي

يطرق سَمْعَ كثيرٍ منا قولُ النبيّ ﷺ : « لن يُدخل أحدُكم الجنةَ بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »[1] ؛ فيُشكلُ هذا لديهم مع قوله تعالى مخاطباً أهل الجنة : ﴿ **ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون** ﴾ وقوله : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أُخفي لها من قرّة أعينٍ جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ وقوله : ﴿ **أمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى نُزُلاً بما كانوا يعملون** ﴾ ، ويحاورون ويذهبون مذاهب شتّى في التّوفيق بينها ، والذي أراه في ذلك ما ذهب إليه كبارُ المحققين من العلماء ، وهو أن نقول :

لابدّ لدخول الجنة من توفُّر أمرين اثنين :

أولهما : رحمة الله تعالى وتوفيقه .

وثانيهما : عمل الإنسان وجهده ، وأقلّه العمل القلبي بالتوجُّه للإيمان

(١) هو جزء من حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

ومحبته[1] .

ولا يكفي أحدُ هذين الأمرين لدخول الجنّة حتى ينضمَّ إليه الأمرُ الثاني ، إذ كلٌّ منهما شرطٌ لازمٌ وضروريٌّ ، ولكنه غيرُ كافٍ ، فعمل الإنسان لابد منه لدخول الجنّة ، وبدونه لا يمكن لأحد دخولها أو شمُّ ريحها ، ولكنّ هذا العمل لا يكافىء وحده الجنة ولا يساوي مطلقاً ثمنها ، إذ فيها النعيم الذي ما بعده نعيم ، وفيها الخلود وحسبك به فضلاً ، وفيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وفيها ما فيها ...

فمهما قدَّم الإنسان في دنياه من عمل فهو أصغر وأضأل وأقل وأحقر من أن يكون مقابلاً لثمن الجنة ، أو كفؤاً لها ، كمثل رجل يعرض سيارة فخمة فارهةً للبيع ويطلب فيها درهماً ! فهذا الدرهم لا يكافىء ثمنها وحقها ، بل هو أتفه من أن يساوي أصغر قطعة فيها ، ولكنّه لا يُعطي هذا السيارة لمن لا يقدّم له مِثلَ هذا الدرهم .

ولله المثلُ الأعلى .

وكذلك رحمةُ الله وحدها لا تكفي لدخول الجنة ؛ إذ يشترط في العبد حتى تناله رحمة الله أن يكون مؤمناً ، إذ إنّ تلك الرحمة محرومٌ من خيرها الكافرون ، كما قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كلَّ شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ وحينما ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة : ﴿ أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ يكون جوابُ المؤمنين : ﴿ قالوا إنّ الله حرّمهما على الكافرين ﴾ .

---

(١) على تَفصيلٍ علميٍّ يُنظرُ له كتاب « الإيمان » لشيخ الإسلام ابن تيميّةَ .

وقد لفت نظري ملاحظةٌ لطيفةٌ في كلام الله سبحانه وكلام نبيه ﷺ تلك هي أن الله تعالى حينما يخاطب المؤمنين مُبيّناً لهم فضلَ سلعته الغالية ، ويدعوهم لدخول الجنة ينسب الفضل في ذلك إليهم ، ويذكر جِدَّهم وعملهم وحرصهم ودَأْبَهم ، ويشكر لهم سعيهم وتقواهم فيقول : ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة أُورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ ، ويقول : ﴿ **... يقولون السلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ .

بينما نراه - سبحانَه - يَذكرُ عن المؤمنين الصالحين أنهم يقولون حينما يُدعون لدخول الجنة ويكافؤون بها : ﴿ **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** ﴾ ، ويقول على لسان يوسفَ عليه السلام : ﴿ **واتّبعت ملةَ آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون** ﴾ .

ويذكرُ - سبحانه - قول المؤمنين عند دخول الجنة : ﴿ **وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحَزَن إنّ ربنا لغفور شكور الذي أحلّنا دار المُقامة من فضله لا يمسُّنا فيها نَصبٌ ولا يمسنا فيها لُغُوبٌ** ﴾ .

فهم ينسبون الفضل إلى الله تعالى أدباً منهم كريماً ، وذَوقاً منهم رفيعاً ، فينسون حظّ أنفسهم ، ويهملون بيان ما هو حق من عملهم وجهدهم ، ويصغر ذلك في أعينهم حتى لا يكاد يستحق أن يذكر بجانب فضل الله ورحمته وكرمه الذي يرونه عظيماً وجليلاً وهو وحده الذي يستحق أن يشاد بذكرِه ويشار إلى فضلِه .

وبالمقابل فإن الله تعالى من جهته يقابِلُهم على موقفهم الكريم بمثله فيتغاضى عن ذكر فضله ومنّه ، ويولي بالذكر عملهم وسعيهم وينسب سبب

النعيم إليهم .

وهذا الذي يفعله أصحاب الذوق الرفيع والأدب الجم من البشر فيما بينهم .. فترى أحدهم إذا وفّق في طلبه العلم وتحصيله أو نجح في جمع الثروة والغنى ، أو تحصيل السّمعة والجاه نسب الفضل في ذلك لمؤدّبه وأستاذه وولي نعمته وسيّده ، وأعرض عن ذكر كدّه وتعبه ، وسعيه وجهده ، بينما ترى أستاذه وولي نعمته حينما يثني عليه يفرد بالذّكر ما بذله تلميذُه من التعب والنَّصَب وما تحمّله من الصبر والعناء حتى وصل إلى ما وصل إليه ، ويغفل حظه وفضله وتأييده وإنعامه .

وقريبٌ من هذا الأدب الرفيع ما حكاه القرآن الكريم عن الجنّ الذين استمعوا للنبيّ ﷺ وآمنوا به ؛ فقالوا في تفسير هذه الشهب التي أخذت ترميهم بعد أن كانوا في سلامة منها : ﴿ **ولا ندري أشرٌّ أُريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رشداً** ﴾ فأظهروا الفاعل الذي هو اللهُ تعالى حينما ذكروا إرادة الرشد بالعباد ، بينما أغفلوا الفاعل وبنوا الفعل للمجهول حينما ذكروا إرادة الشر مع أن مريده في الحقيقة هو الله نفسه .

وكذلك نرى العبد الصالح – الخضر عليه الصلاةُ والسلام – حينما فسّر لنبي الله موسى – عليه الصلاةُ والسلام – ما قام به من أعمال مُميّزاً بين عملين ؛ عمل في ظاهره شرٌّ وذلك هو خرق السفينة وقتلُ الغلام فنسب إرادة ذلك لنفسه ، وعمل في ظاهره خير وهو بناء الجدار وإصلاحه ، فنسب إرادة ذلك إلى الله تعالى ، مع أن مريد ذلك في الحقيقة والآمر به هو الله سبحانه وتعالى وحده وإرادة العبد الصالح تابعة لإرادة الله ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وأما السفينةُ فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها** ﴾ وقوله : ﴿ **وأما الغلام فكان أبواه مؤمنَين فخشينا أن يُرهقَهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربُّهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وأمّا الجدارُ فكان لغلامين يتيمين**

في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدَّهما ويستخرجا كنْزهما رحمةً من ربِّك ﴾ مع أنه بيّن في النهاية أن ذلك كان من أمر الله تعالى فقال : ﴿ وما فعلتُه عن أمري ﴾ .

وقريبٌ من هذا الباب ما يتوجه به المؤمنُ الصالحُ في معاملته مع ربِّه سبحانه حيث نراه يذكر ذنوبه ويستعظم خطاياه ويخشى منها ، بينما نراه من جهة أخرى يستصغر حسناته ويشفق من أن لا تقبل منه ، نلمس ذلك في قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين هم من خشية ربِّهم مشفقون والذين هم بآيات ربّهم يؤمنون والذين هم بربّهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربّهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ .

قالت السيدة عائشة : يارسول الله أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟

قال : « لا يا بنت الصديق ! ولكنّه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل »[1] .

وهذا الذي بيّنه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه صحابيٌّ رسول الله ﷺ حيث قال : « إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أنْ يقع عليه ، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذُباب مَرَّ على أنفه فقال به بيده فوق أنفه هكذا ، فطار »[2] .

فلعلّنا نتعلم الأدب الرفيع والتعبير اللطيف من ديننا الحنيف ، الذي دلّنا على كل خير وأرشدنا إلى كلِّ هدى ، وفيه السعادة والهناء ، والنَّجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ، وآخرُ دعوانا الحمد لله ربِّ العالمين .

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم ، وفي إسناده ضعف ؛ ولكن له طرق . وانظر « الصحيحة » لشيخنا (١٦٢) .

(٢) رواه البخاري : (١٣/ ٣٥٠ - ٣٥١) عنه موقوفاً وسنده صحيح .

من مناهج أهل العلم في التأليف
« توثيق النصوص وطرائق النقل »

سليم بن عيد الهلالي

لقد جعل اللهُ عز وجل لكلٍّ أجل كتاباً ، ولكل غرض دافعاً ، والداعي إلى تقييد هذه الكلمات المهمات في مناهج أهل العلم في التصنيف هو ما رأيته نزيلاً في ساحات المنتسبين إلى العلم حول مسألة توثيق النصوص وطرائق النقل من المصادر .

وعلى أعتاب ذلك نُحرت روابط الفهم والمنهج والإخوة ، وعلى أعقابه فِتن كقطع الليل المظلم تغلي مراجلها ، وانتفخت في الصدور البغضاء أو كادت ، وثار غبار الشحناء بعد أن ماتت ، وتراشقت الأقلام بكلمات مسمومة ، وتنابزت الألسنة بألقاب مذمومة ، وترامى الجميع في مجاهل الصراع ، وسلكت كل طائفةٍ في الدفاع عن وجهة نظرها والمقاومة من أجلها طرائق قدداً ؛ يحدوها - أحياناً - هوى متبع ، وإعجاب كلٍّ ذي قول بقوله ، ففرخ التّدابر ضعفاً وتصدُّعاً وتناثراً .

وحتّى نسدَّ الطريقَ على كلِّ قاطعِ طريق ، نَقولُ بعلمٍ وتحقيق ، واستقراءٍ عميقٍ ، كي تستبين المحِجّة ، وتتضح الحجّة ، ونستأصل جذور كلِّ ضجَّة ،

ونحر عبرِه الأقوال الفجّة ؛ تُتْحِفُ القارىء بحقائق ، تَجْلى الغوامضَ وتكشفُ المبهمات :

١ - لم يزل أهل العلم وطلابه يستفيدون من بعضهم بعضاً ، ويستعينون ببعضهم بعضاً ، ومن ذلك :

* عن محمد بن علي الصوري قال : قال لي الحافظ عبد الغني الأزدي : ابتدأت بعمل « المؤتلف والمختلف » ؛ فقدم الدارقطني فأخذت أشياء كثيرة منه ، فلما فرغتُ من تصنيفه ؛ سألني أن أقرأه عليه ؛ ليسمعه مني ، فقلت : عنك أخذت أكثره ! قال : لا تقل هذا ، فإنَّك أخذته مفرَّقاً وقد أوردته مجموعاً[١] ، وفيه أشياء أخذتها من شيوخك . قال : فقرأتُه عليه »[٢] .

* ما قاله السيوطي في « ذيل تذكرة الحفاظ » (ص ٣٦٣) : « قال شيخُ الإسلام ابن حجر : ذكر لي شيخنا العراقي أنَّه كان يرافقه[٣] في مطالعة الكتب الحديثية ؛ لتخريج الكتب التي كانا قد اعتنيا بتخريجها ؛ فالعراقي لتخريج أحاديث « الإحياء » والأحاديث التي يشير إليها الترمذي في الأبواب ، والزيلعي لتخريج الكتابين المذكورين[٤] ، **فكان كلٌّ منهما يعينُ الآخر** » .

٢ - كان الشيوخُ يستفيدون من تلاميذهم :

قال السخاوي مخبراً عن شيخه الحافظ ابن حجر : « وأَمرني بتخريج

---

(١) وهذا من غايات التصنيف كما سيأتي .

(٢) « سير أعلام النبلاء » (٢٧٠/١٧) ، و « تذكرة الحفاظ » (١٠٩٤/٣) كلاهما للذهبي ، ونحوه في « وفيات الأعيان » لابن خلكان (٢٢٤/٣) .

(٣) يعني الزيلعي .

(٤) يعني « الهداية » و « الكشاف » .

حديث ثمَّ أملاه »[١] .

٣ – كان أهل العلم يُضَمِّنون تصانيفهم تصانيفَ غيرهم :

ومن ذلك ما ذكره السخاوي في « اليواقيت والدرر » (١/ ٣١٥) نقلاً عن شيخه الحافظ ابن حجر : « فصل : **فيمن أخذ تصنيف غيره ، فادّعاه لنفسه وزاد فيه قليلاً ، ونقص منه ، ولكن أكثره مذكور بلفظ الأصل** » .

ثمَّ ساقَ كمّا كَثيراً من ذلك عن كتبٍ مشهورةٍ ، لعلماءَ معروفينَ .

٤ – بل من المناهج المعروفة أنَّ يبني أهل العلم كتبهم على كتب من سبقهم :

ذكر أحمد الغماري في « المثنوني والبتار في نحر العنيد المعثار » (ص ٢٨١) « أنَّ خليلاً الفقيه المالكي المشهور ألّف « مختصره » وجله من « مختصر ابن الحاجب » ، وألَّفَ ابن الحاجب « مختصره » وجله « الجواهر » لابن شاس ، وألّف ابن شاس كتاباً جله « تهذيب » البراذعي ، وكتاب البراذعي جله « مدونة » سحنون ، وكتاب سحنون جله كلام ابن القاسم » .

٥ – ولذلك كان أهل العلم السابقون إذا لخص أحدهم فكرة ، أو استوعب معنى وزاد عليه أو تصرف فيه لا يقفون عند بيان أصله ، ولا يعدون ذلك قدحاً في منهج التأليف والتصنيف :

وهاك بعض الأمثلة عن بعض العلماء الجِلَّةِ :

٦ – الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – أخذ ديباجة كتابه : « الرد على الجهمية » من كلمات مروية عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللّهُ عنه عند ابن وضاح القرطبي في : « البدع والنهي عنها » (ص ٣) .

---

(١) « الضوء اللامع » (٢/ ٤٠) .

وقد نبّه على ذلك الإمام ابن قيّم الجوزيّة في « الصواعق المرسلة » (٣ / ٩٢٧ - ٩٢٨) قائلاً : « قال الإمام أحمد في خطبة كتابه في « الرد على الجهميّة » وذكرها » ، ثمّ قالَ :

« وهذه الخطبة تلقاها الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب ، أو وافقه فيها ، فقد ذكرها محمد بن وضاح في أوّل كتابه في « الحوادث والبدع » .

قلت : وعن الإمام أحمد اشتهرت كما قال ابن قيم الجوزية في « إعلام الموقعين » (١/ ٩) .

ومع هذا الوضوح كلِّه لدى ابن قيم الجوزية - رحمه الله - فقد افتتح بها كتابه « مفتاح دار السعادة » دون عزو ، ولكنّه تصرّف فيها يسيراً .

٢ - ابن قيم الجوزية - رحمه الله - .

أ - نقل في كتابه « مفتاح دار السعادة » فصولاً كاملة حول عجائب الحيوانات في الخلق والتكوين من كتابِ « الحيوان » للجاحظ ، ونقل في كتابه « الطب النبوي » فصولاً كاملة من كتب ابن سينا الفيلسوف .

ونقل عن شيخه ابن تيمية فوائد في إخفاء الدعاء بنصّها وفَصِّها ، قارن « التفسير القيم » (ص ٢٤٥ - ٢٥٠) مع « مجموع الفتاوى » (١٥/١٥ - ٢٢) .

٣ - ابن كثير - رحمه الله - أخذ مقدمة تفسيره من « مقدمة التفسير » لشيخ الإسلام ابن تيمية حرفاً حرفاً .

ب - وقد استفاد في تفسير كثير من الآيات من أقوال ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية - رحمهما الله - ومن أمثلة ذلك تفسيرُه لقول الله تعالى : ﴿ أنزل من السّماء ماءً فسالت أوديةٌ ... ﴾ الآية مأخوذ من كلام لابن قيم

الجوزية في « أعلام الموقعين » و « مفتاح دار السعادة » و « الجواب الكافي » ومقدمة « اجتماع الجيوش الإسلامية » .

٤ - ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - .

فقد استقى شرحه للعقيدة الطحاوية من كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، وانظر جدول الإحالات الموجودة في بداية « شرح العقيدة الطحاوية » .

٥ - الإمام الشاطبي - رحمه الله - نقل كلاماً لابن قتيبة - رحمه الله - من كتابه « تأويل مختلف الحديث »[١] بترتيبه وتبويبه ولكنه أجرى عليه بعض التصرف والزيادة فقال (٢ / ٢٥٣)[٢] : « وإذا رجعنا إلى الاستدلالات القرآنية أو السنية على الخصوص فكل طائفة تستدلُّ بذلك أيضاً ، فالخوارج ... » إلى قوله (٢ / ٢٥٤) : « إلى أشباه ذلك مما يرجع إلى معناه » .

ونقل جلَّ كتاب أبي بكر الطرطوشي المسمى « البدع والحوادث » حتى إنه وقع في بعضِ الأخطاء العلميّة نتيجةً لذلك ، فقد تابع الطرطوشيَّ في تخريجه لحديث « الرُّويبضه » فقال : أخرجه البخاري ! وليس كذلك ، انظر « الاعتصام » (٢ / ٦٨٠ - بتحقيقي[٣]) ، وقارن مع « البدع والحوادث » (ص ٧٦) ، وكذلك قارن « الاعتصام » (٢ / ٦٧٩-٦٨٢) مع « البدع والحوادث »[٤] (ص ٧٦ - ٨٠) .

---

(١) (ص ١١ - ١٣) منه .

(٢) طبعة المنار بتحقيق محمد رشيد رضا .

(٣) طبعة دار ابن عفّان .

(٤) طبعة دار ابن الجوزي .

٦ - الزيلعي - رحمه الله : قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظَه اللّهُ في « التأصيل » (ص ١٥٩) :

« تخريج أحاديث الهداية » لابن التركماني المتوفى سنة (٧٥٠ هـ) رحمه الله ، وعنه « نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية » للزيلعي رحمه الله تعالى ، وهو مستلٌّ من الذي قبله ، فانظر كيف شَرُفَ به ، والأصل لغيره ! فرحم الله الجميع » .

٧ - القرطبي المفسر رحمه اللّه :

نقل كلاماً كثيراً من « المحرز الوجيز » لابن عطية - رحمه اللّهُ - في عشرات المواطن دون عزوٍ .

٨ - الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله - أخذ عنوان كتابه الذي شرح فيه « صحيح البخاري » من كتاب لابن رجب الحنبلي هو « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » التقط فيه من شرح برهان الدين الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي[١] ، وقد وقع له كثير مما ذكرناه عن غيره ، ومن أمثلة ذلك أنه عند شرح حديث « الثلاثة الذين خُلّفوا » (٨ / ١١٧ - ١٢٥) أخذ فوائده مما كتبه ابن قيم الجوزيّة - رحمه الله - في « زاد المعاد » (٣ / ٥٧٣ - وما بعدها) ، حتى إنه لما أراد أن يردَّ عليه في مسألة كون هلال بن أمية ومرارة بن الربيع من أهل بدر لم يذكر اسمه قال : « واستدل بعض المتأخرين لكونهما لم يشهدا بدراً .

قلت : هو ابن قيم الجوزية كما في « زاد المعاد » (٣ / ٥٧٧) .

(١) « إتحاف القاري » (ص ٧٢)

٩ - الغزالي رحمه الله : تبطن في كتابه « إحياء علوم الدين » كتابي « الرعاية » و « رسالة المسترشدين » للمحاسبي » ، وكذلك « قوت القلوب » لأبي طالب المكي[١] ، واتبع في كتابه « فضائح الباطنية » البغدادي في كتابه « الفَرق بين الفِرق » كما ذكر ذلك عبد الرحمن بدوي[٢] .

١٠ - ابن الجوزي - رحمه الله - :

أ - أخذ عنوان كتابه الذي نقد فيه التصوف والصوفية من كتاب للغزالي هو « تلبيس إبليس » ، واعتمد في كتابه « القرامطة » على كتاب الغزالي « فضائح الباطنية » كما بيّنه الدكتور محمد لطفي الصباغ في مقدمته لكتاب « القرامطة » لابن الجوزي (ص ٢١ - ٢٢) ، قالَ : « ولقد تبيّن لي عندما شرعت في العمل أنَّ الإمام ابن الجوزي قد اعتمد اعتماداً كلياً على كتاب الإمام الغزالي : « فضائح الباطنيّة » ولم يخرج عنه إلّا قليلاً ، ولقد ضغط ابن الجوزي ذلك الكتاب المطوّل واختصره .

ومن هنا كانت عبارة الغزالي واضحة المراد ظاهرة الدلالة ، وابن الجوزي يلتزم هذه العبارة **ويتصرف فيها بعض التصرف حسب ما يقتضيه الاختصار ، ولم يشر إلى المصدر الذي استقى منه**[٣] ، ولكنّ هذه الحقيقة التي وقفتُ عليها لا تهوّن أبداً من شأن هذه الرسالة التي أُقدمها للناس اليوم ، ذلك أنَّ كتاب « فضائح الباطنية » مطوَّل ؛ فاختصار مثل هذا الكتاب أمر مفيد ، بل إنه واجب لما آل إليه واقع المسلمين

---

(١) انظر « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٥٥) .

(٢) انظر « فضائح الباطنية » (ص ١٧٠ - ١٧١) .

(٣) ثمَّ علق في الحاشية قائلاً : « **والذي يطيل النظر في كتب المتقدمين يجد أنَّهم كثيراً ما يتناقلون عبارات بعينها مع شيء من التصرف دون الإشارة إلى مصدرها** » .

اليوم ، الذي يعرفه كل دارس واعٍ لأحوال المسلمين .

ومن مواطن الجودة في الاختصار أنَّ ابن الجوزي حذف كلَّ ما له صلة بالمنطق والفلسفة من الأمور المعقدة التي يصعب فهمها من قبل غير المختصين ، وابن الجوزي رجل له خبرة تامَّة بالعامَّة ، يعرف ما يصلح لها وما ينبغي أن تواجه به ، فلقد خبرَ العامَّة ، وخاطبهم ووُفِّقَ في وعظهم ، حتى كان من أعاظم الوعاظ في تاريخنا الطويل ، هذا بالإضافة إلى فضله وعلمه وتقواه وورعه .

فما كتبه ابن الجوزي عن القرامطة معتمداً على كتاب الغزالي هو خير ما يمكن أن يقدَّم للقراء من المسلمين في هذا الموضوع .

ورحم اللَّه الغزالي وابن الجوزي وجزاهما عن الإسلام خيراً » .

١١ - أول من ذكر غايات التصنيف ابن حزم الأندلسي فقال في « رسائله » (٢ / ١٨٦) : « وإنما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر ، والتي تدخل تحت الأقسام السبعة ... (وذكرها) » .

ومَن جاء بعده أخذ عنه حتى قال محمد بن الطيب في « إضاءة الرَّاموس » (٢ / ٢٨٩) : « ثم إني رأيت أول من تكلم على ترتيب هذه المسائل وحصرها في الثمانية هو ابن حزم الظاهري رحمه الله ، ومنه أخذها أبو حيان وغيره ، ونقلها ابن سيد الناس في أول شرحه لجامع الترمذي ، رحم الله الجميع » .

قلت : وذكرها حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١ / ٣٥) دون عزو .

هذه بعضُ الأمثلة تلقي الضوء على ما قدمناه وقررناه من أنّ هذا الأُسلوبَ منهج للمتقدمين ، أمّا المتأخِّرون فحدّث ولا حرج ، ولقد اجتمعتْ لدي بسطة من الأمثلة تزيد على الألف ، والقائمة تطول بذكر الكتب والمصنفات المقول فيها شيءٌ من ذلك كـ « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم ،و « فتح البيان » لصديق حسن خان ، و« فتح القدير » للشوكاني ، و« إتحاف السادة المتقين » للزَّبيدي وغيرهما .

ولم أقف على **قولٍ معتبر** لأهل العلم عدَّ هذا المنهج في باب السرقات العلمية (!) ، بل قال الدكتور بشار عواد معروف في كتابِه « الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام » (ص ٤٢٢) مبيناً طرائق النقل والإشارة إلى المصادر :

(اختلف المؤرخون المسلمون في الإشارة إلى المصادر التي ينقلون معلوماتهم عنها أو عدم الإشارة إليها ، **ولم يكن عدم الإشارة عيباً كبيراً في الكتاب آنذاك ، وقد جرَّبنا وجودَ كثرةٍ من كبار المؤرخين لم يذكروا القسم الأكبر من مصادرهم مثل ابن الجوزي « المنتظم » ، وابن الأثير في « الكامل » ، وبدر الدين العيني في « عقد الجمان » وغيرهم ، كما جربنا عدم ذكر المصادر نهائياً عند طائفةٍ من ثقات المؤرخين كالمنذري في كتابه « التكملة »**) .

وأخيراً : هذه نُبذ حول منهج مشهورٍ لأهل العلم في توثيق النصوص والإشارة إلى المصادر – وليسَ من شكٍ أنَّ غيرَ هذا الأُسلوبِ أَولى منه – ، فمن لم يقنع منهم بذلك ، ففي حسن الظن بهم مندوحةٌ عن الاتهام بالسرقات العلمية أو الطعن في الإخلاص والنية ، فما من أحد من أهل العلم فضلاً عن طلابه إلا وله كبوة بل كبوات ينبغي أن تغمر في بحر فضله ، وتطوى ولا تروى .

وللتاريخ والأمانة أقولُ : لقد أتى عليّ حينٌ من الدهر سلكت شيئاً مِن سبيل الأقدمين في هذه المسألة ، ثم تبين لي أن الأفضل والأولى ترك ذلك من باب: حدِّثوا الناسَ على قدر عُقولِهم ! لأن من جهل شيئاً عاداه ، والله أعلى وأعلم .

ولقد كان لنصح شيخِنا ووالدنا العلامة المحدث الفقيه أبي عبد الرحمن الألباني – حفظه الله – وتوضيحه فضلٌ في تَقرير ذلك وبيانه ؛ فجزاه الله خيراً ونفع به ، **والله الموعد** .

... إليكِ أيّتها المرأة المسلمة

عبد الصمد بن محمد الكاتب

اهتمام المرء بحياتيه - الدُّنيا والآخرة - له أثره في اتجاهه ؛ عقيدةً وعبادةً وسلوكاً ومعاملة وسياسةً وأخلاقاً .

انطلاقاً من هذا المفهوم يجب على المرأة المسلمة المؤمنة أن تعلو وتسمو وترتفع عن الاهتمام المزيف المتجاوز حده بمظهرها في مفاتن جسمها وملبسها ورياشها وشعارها ودثارها ومسكنها ومنتداها ، وعن تخبطها خبط عشواء في عقيدتها وعبادتها وسلوكها ومعاملتها وسياستها وأخلاقها ، تعلو وتسمو وترتفع إلى الاهتمام بمظهرها المثاليّ المقتدى به في سَتْرِ محاسنِ جسمها وملبسها وضَبطِ مسكنها اهتماماً يفيض بالوقار والهيبة والقدوة الصالحة ويفيض بالخلق الرفيع السامي ويفيض بالصلاح والقنوت والمحافظة بالحشمة والشرف والطهر والعفاف .

قال الله تعالى : ﴿ فالصالحات قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظَ الله ﴾ ، وقال تعالى لأمّهات المؤمنين رضي الله عنهن : ﴿ عسى ربه إن طلقكنَّ أن يبدلَه أزواجاً خيراً منكنّ مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ

سائحات ... ﴾ الآية .

وكذلك تعلو وترتفع إلى الاهتمام بعقيدتها التي تنبعث من أعماق قلبها ، حباً وولاء لربها ، ورجاء وخوفاً منه سبحانه ، تلك العقيدة التي تدفعها إلى التنافس في طاعة ربها جبار السماوات والأرض والانقياد له سبحانه في نواميسه كوناً وقدراً ، ونواميسه شرعاً واختياراً .

وتنبع تلك الطاعة وذلك الانقياد عن علم راسخ في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وهي تعلم يقيناً أنها بدأت منه سبحانه ، وستعود إليه ، وهو سبحانه اختار لها الأنوثة ، لتكون أمَّ الخليقة ، فهي أمهم التي يؤمون إليها ، يستقون منها الكمالات ، فيسعدون في الدنيا والآخرة بقدوتها الصالحة وتربيتها الرفيعة السامية ، وبقيادتها الرحيمة الحكيمة ، وبتعليمها البنَّاء المستند إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، مستنيرة بقول الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني[1] وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ ، ومتبصّرة أنه ما من نعمة إلا وهي من الله وحده .

ولا وجود لشيءٍ إلا بعناية الله ورعايتِهِ ولطفٍ منه ، وهو سبحانه بالمرصاد ؛ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهو القادر القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

فالمرأة هي الأمُّ الراعية الحكيمة في بيت زوجها ؛ قال ﷺ : « والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها »[2] .

---

(١) رجالاً ونساءً .

(٢) متفق عليه من حديث ابن عُمر رضي اللّه عنهما .

ويقول بعضُ الشعراء :

الأمُّ مدرسة إذا أعددتـــها أعددت شعباً طيّب الأعراق

الأمُّ روض إن تَعَهَّدَهُ الشّقاةُ بالـــرّيِّ أَورقَ أيّمـــا إيـــراق

الأمُّ أستاذ الأساتذة الأُلـــى شغلت مآثرُهم على الآفاق

فما العلماء المبرّزون ، والخطباء المصاقع ، والبلغاء المصادع ، والفصحاء المُفلِقون ، والشعراء المبدعون ، والكتّاب العباقرة ، والحكماء النوادر ، والقادة الأفذاذ ، والساسة المثاليون ، والمجاهدون الشجعان ، والدعاة المتبصرون ، والمربون المصلحون ، والأئمة الأعلام ، والهداة المتقون ، والمخترعون العصاميون ، والمبتكرون المعجزون ... وكل من يدفع الأمة إلى الأمام إلى أوج العلا ؛ إلّا من إنتاج الأمهات المبدعات المثاليات .

فلتكن المرأةُ صالحةً مُصلحةً : بنتاً مُهَذَّبةً ، وزوجةً مُطيعةً ، وأُمّاً تقيَّةً ...

حتّى يَكونَ المُجتمعُ الإسلاميُّ كلُّه قائماً على الطُّهر والعفافِ ، والتقوى والإيمان ...

والله من وراء القصد وهو المستعان ولا حول ولا قوة إلا به .

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

دعوةُ أمِّ جُرَيْج

سعد بن محمد آل عبد اللطيف

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسولِ اللّهِ ﷺ قالَ : « كان جُرَيْج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها ، فأتته أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : اللهم أمي وصلاتي ! فأقبل على صلاته ، فقالت بعد ثالث يوم في ثالث مرة : اللهم لا تمته حتى ينظر إلى المومسات .... » إلى آخر الحديث .

لقد دعت أمُّ جريج – ودعوة الوالدين مستجابة – حينما لم يلبِّ ولدُها نداءها ، دعت عليه بمصيبة تحلُّ به ، وهي رؤية وجوه المومسات ، إذن فرؤية وجوه المومسات مصيبة ، بل مصيبةٌ عظيمةٌ .

والعين تزني وزناها النظر ، واللسان يزني وزناه الكلام ، واليد تزني وزناها البَطْش كما جاءَ في الحديث : « كُتِب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة : فالعينان زناهما النظر ، والأُذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِّجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم .

ولكن حال كثيرٍ من الآباء والأُمهات – وللأسفِ الشديد – أنهم يدفعون أبناءهم وبناتهم فلذات أكبادهم إلى الوقوع في هذه المعصية ، وهي رؤيةُ وجوه المومسات وأشباههن ! بل هو أشدُّ مِن ذلك !!

وحجّة هؤلاء الآباء والأمهات ؛ أن هذا من تلبية رغبة الأبناء !! فهذه وجوه المومسات وأشباههن تُرى بالأعين ليلاً ونهاراً ، وعلى الأَغلفة المُزيّنة ، والشاشات الفضية وغير الفضية ؟!

والأمرُ لا يقتصر على رؤية الوجوه فقط ، ولكن يتعدى إلى رؤية الوجوه وسائر الأعضاء ! بالإضافة إلى متابعة أخبارهنّ وأنشطتهنّ ، وبتبجيلهنَّ وتعظيمهنَّ ، باسم الفنِّ تارةً ، والحضارة تارةً ، والتقدُّم تارةً ، و(الانفتاح) تارةً !!

يا أولياء الأمور إلى متى وأنتم تدفعون أولادكم إلى هذه العقوبة الوخيمة ؟

ألم تسمعوا حديث رسولنا ﷺ : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته » الحديث(١) .

فتكونوا – حفظكم اللّهُ من شرورِ أنفسِكم وسيئات أعمالِكم – خيرَ رُعاةٍ ، وخيرَ مسؤولينَ ، حتّى تنالوا السعادةَ في الدنيا ، والنّجاةَ عندَ اللّهِ تعالى يومَ القيامة .

والله المستعان .

---

(١) متفق عليه .

نشاط الرَّافضة في تُركيا

أبو محمد الأثريّ

تتعرَّضُ العقيدةُ الإسلاميّةُ في تركيا منذُ قيامِ النظامِ الرَّافضي في إيران إلى هجومٍ عنيفٍ من قبلِ الشيعةِ الإماميّةِ بوسائلِهم المُتعددةِ والمتنوّعةِ الّتي تهدفُ إلى إقناعِ مُختلفِ طبقاتِ الشعبِ التركيّ بأنَّ النظامَ الإيرانيَّ هو قائدُ الحركاتِ الإسلاميّةِ وحاملُ لواءِ الجهادِ ضدَّ الكفّارِ والحكّامِ المُنحرفينَ ، وأنَّ الخُمينيَّ هو إمامُ المُسلمينَ !!

وحركتُهم تهدفُ في النهايةِ إلى تحويلِ المُسلمينَ إلى دينِ الشيعةِ ، وخاصةً مسلمي تركيا الّذينَ ليسَ لهم الدرايةُ الكافيةُ بحقيقةِ الرَّوافضِ ، وذلكَ لعدمِ مُخالطتِهم عن كَثبٍ ، وبسبب جهلِهم بأُصولهم المُنحرفةِ الضالّةِ ، بل لقلّةِ علمِهم ، وضآلةِ فقههم .

وللنظامِ الرَّافضيِّ إمكانيّات ماديّةٌ واسعةٌ ؛ إذ هُم ينفقونَ أموالاً باهظةً دونَ حدٍّ أو حسابٍ ، بالإضافةِ إلى خططهم البعيدةِ المدى !

ومع الأسفِ هناكَ بعضُ الجماعاتِ الإسلاميّةِ من أهلِ السنّةِ (يتعاونونَ) معهم!!

ويتمركزُ مفهومُ الثورةِ الإيرانيّةِ على طابعينِ عدائيين :

أحدُهما : الاعتداءُ على مذهبِ أهلِ السنّةِ ، والترويجُ لمذهبِ سبِّ الصحابةِ

وأمّهاتِ المؤمنينَ ، والتشكيكُ بمعتقداتِ أهلِ السنّةِ وبمراجعِهم ومصادرِهم ، ولا سيَّما « الصحيحين » .

والثاني : إدخالُ فكرةِ الإرهابِ والقتلِ والعداءِ وترويعِ المُسلمينَ دونَ تمييزٍ في عدائها بينَ الأنظمةِ والشعوبِ .

والحَذَر كلّ الحذرِ لأصحابِ العقيدةِ السليمةِ أن يَغفلوا أو يتغافلوا فيتخلَّوا عن عقيدتِهم الصحيحةِ ، وبيانِها للنّاسِ ، وإلّا فإنّهم سيُفاجؤون بعدَ بضعِ سنينَ بخطورةِ وقوةِ شوكةِ الفكرِ الرافضي العدائي لأهلِ السنّةِ والجماعةِ ، وقد يضطرونَ في نهايةِ المطافِ لصرفِ آلافِ الملايينِ لمُعالجةِ الآثارِ الّتي ستتمخّضُ عن هذه الفتنةِ ، بينما لو صَرَفوا القليلَ من الوقتِ والجهدِ - الآن - لاتقوا شرَّها من البدايةِ ، ولو أننا لسنا في البدايةِ ! ذلكَ لأنّهم قطعوا شوطاً كبيراً ، ولكن نسألُ اللّهَ تعالى أن يرزقنا إيماناً وثباتاً على الحقِّ ، ويجعلَ عملَنا خالصاً لوجهِهِ ، ولا نُريدُ من وراءِ ذلكَ جزاءً ولا شُكوراً .

وإليكم صوراً من جُهودِ النظامِ الرّافضيّ في نشرِ دعوتِهم الضالّةِ :

أولاً : في الجانبِ الدعائي والإعلاميّ :

١ - الاهتمامُ بنشرِ الكتبِ الّتي تدعو للفكرِ الإيرانيِّ الثوريِّ ، وتشويه عقيدةِ أهلِ السنّةِ والجماعةِ ، ولهم في هذا نشاطٌ كبيرٌ ؛ حيثُ العديدُ من دورِ النشرِ في مختلفِ المدن التركيّة تدعمُها إيرانُ بالأموالِ ، ولهم نشاطٌ واسعٌ في طبعِ الكتبِ التي تخدمُ فكرَهم ، حيثُ يُصدرونَ شهريّاً عدداً كبيراً من كتبِهم المنحرفةِ ، وكلُّها باللّغةِ التركيّةِ ، ومنها على سبيلِ المثالِ : « تعليمِ الصلاةِ على مذهبِ الجعفريِّ » صبري تبريزي وبأعدادٍ كبيرةٍ جدّاً ، فَتُوزَّعُ مجاناً من قِبلِ السفارةِ الإيرانيّةِ حتّى وصلت كلَّ البيوتِ تَقريباً ، وهناكَ كتبٌ كثيرةٌ لكتّابِهم المَشهورينَ : علي شريعتي ، مطهري ، حسينَ حاتمي ، علي خامنئي ، خسرو حاتمي ، زينب بروجردي وغيرهم .

٢ - أمَّا الكتبُ والمنشوراتُ العربيةُ فحدّث ولا حرجَ ، وهم يعلَمونَ أنَّ في شرقي تركيا عُلماءَ ومدارسَ شرعيّةَ تدرِّسُ باللغةِ العربيةِ ، فيقومونَ بإرسالِ كتبِهم

ومنشوراتِهم إلى جميعِ الجمعياتِ والهيئاتِ والمساجدِ ، ويأخذونَ أسماءَ العُلماءِ والدعاةِ ويُرسلونَ لهم من الكتبِ بكميّاتٍ كبيرةٍ بحيثُ تكونُ كتبُهم هي المُتوفرةَ المستوليةَ على الساحةِ باللغتينِ التركيّةِ والعربيةِ !!

ويتمُّ توزيعُ الكتبِ أيضاً من قبلِ دعاتِهم ، وبواسطةِ سفاراتِهم على نطاقٍ واسعٍ في تركيّا ؛ بحيثُ لا تخلو أغلبُ مكتباتِ شرقي تركيّا من مراجعِ الشيعةِ ، وخصوصاً « تفسير الميزانِ » للطباطبائيِّ المطبوع في عشرينَ مُجلَّداً ، وكتابَ « المُراجعاتِ » الّذي يتضمنُ مُحاورةً مُزورةً بينَ أحدِ أئمتِهم وشيخِ الأزهرِ سليم البِشري ، ونتيجتُها - طبعاً - لصالحِ إمامِهم !! وكتابَ « الفقّه على المَذاهبِ الخمسةِ » محمد جواد مُغنيّة - الّذي أراحنا اللّهُ منه - ، وغيرَها من الكتبِ الّتي تطبَعُها منظمةُ الإعلامِ الإسلاميّ في إيرانَ ، وغالباً ما يكونُ اسمُ الكتاب شيئاً ومضمونُه شيئاً آخرَ ، وهذا معروفٌ عنهم وعن تقيّتِهم الّتي هي من صُلبِ دينِهم .

٣ - الاهتمامُ البالغُ بإصدارِ المجلّاتِ والجرائدِ والنشراتِ باللّغتينِ التركيّةِ والعربيةِ ، ولهم خطةٌ عجيبةٌ في إصدارِ المجَلّاتِ بحيثُ يغيّرونَ كلَّ سنتينِ على الأقلِ اسمَ المجلّةِ وكوادرَها !! ويدعمونَ المجَلاتِ التركيّةَ الأُخرى ، حيثُ استطاعوا بالأموالِ أن يَكسبوا بعضاً من هذه المجلاتِ لنشرِ أفكارِهم وأخبارِهم من خلالِها ،فكانَ هذا بالنسبةِ لهم كَسباً عظيماً ، بالإضافةِ إلى المجَلّاتِ الّتي تتعاطفُ معهم وتؤيّدُهم .

أمّا المجلّاتُ الناطقةُ باسمِهم باللغةِ التركيّةِ فتدخلُ إلى تركيّا مجلّتانِ منها ؛ هما « الشهيد » و « سروش » ، ومن الجرائدِ « الهلال الدَّولي » الّتي يرأسُها د . كليم صديقي ، وتوزعُ بكثرةٍ وبشكلٍ مجانيّ ، وتصلُ إلى عناوينِ قرّائها بانتظامٍ ، أمّا مضمونُ المجَلّاتِ والجرائدِ فنحنُ في غِنىً عن الكلامِ حولَها ، وهي معروفةٌ طبعاً .

ومُجملُ القولِ وخلاصتُه أنَّهم استطاعوا بنشاطِهم وإمكانيّاتِهم الماديّةِ السيطرةَ على عددٍ من المجَلاتِ الإسلاميّةِ ودور النشرِ الّتي تدافعُ وتذودُ عنهم ، وتعملُ لهم

وعلى حسابِهم باسمِ أهلِ السنةِ والجماعةِ ! وتحتَ ستارِ نشرِ الدعوةِ الإسلاميّةِ !!

٤ - تفتحُ سفارتُهم دوارتِ خاصةً لتعليمِ اللّغةِ الفارسيةِ خلالَ ستةِ أشهرٍ ، والّذي يُتقنُ اللّغةَ في هذهِ المدّةِ القصيرةِ ، تهدي له السفارةُ مكتبةً مليئةً بالكتبِ الفارسيّةِ وتذكرةَ سفرٍ إلى إيرانَ لمدّةِ شهرينِ على حسابِ السفارةِ ، وتتمُّ الرحلةُ تحتَ إشرافِ السفارةِ مُباشرةً .

٥ - وكما ابتكروا إعلاماً جديداً (خبيثاً) بتشكيلِ فرقةٍ مسرحيّةٍ متجولةٍ في مدنِ تركيا ، وخصوصاً المدنَ الشرقيّةَ ويُسمونَها المسرحيّات الإسلاميّة !! فهي تقومُ بتمثيلِ التاريخِ الإسلاميِّ من العهدِ الأمويّ والعباسيِّ وعمليّةِ ذبحِ الحُسينِ رضي اللّهُ عنه ، وغيرِها من الأمورِ الحساسةِ الّتي ترجعُ لصالحِهم ولإظهارِ أهلِ السنّةِ هم السلطةَ الظالمةَ لأهلِ البيتِ رضي اللّهُ عنهم ، وهذه المسرحيّاتُ - **ومعروفٌ حُكمُها** - لها تأثيرٌ مباشرٌ على العامّةِ ؛ لأنَّ التمثيليةَ تثيرُ المشاعرَ أكثرَ من قراءةِ الكتبِ !!!

والخلاصةُ أنّهم لا يتركونَ فرصةً إلّا اغتنَموُها .

ثانياً : الجانب التعليمي :

وركّزَ النظامُ الرّافضيُّ على استقطابِ عناصرَ من شبابِ أهلِ السنّةِ الأتراكِ ، حيثُ تقومُ بتدريسِهم في الحوزاتِ العلميّةِ بمدينةِ قُمّ ، وسهلت له سُبلَ الدراسةِ على نفقتِها ، وبالطبعِ في النهايةِ يخرجُ هؤلاءِ الشبابُ دعاةً للمذهبِ الشيعيِّ ، ويَعملونَ لهم في أوساطِ المُجتمعِ التركي ، وهذا يُعَدُّ من أخطرِ أعمالِهم التخريبيّةِ الخَبيثةِ ؛ لأنّهم يستقطبونَ الأذكياءَ والبارزينَ الّذينَ لهم مكانةٌ في المُجتمعِ ، وكلُّ هذا يتمُّ تحتَ شعاراتِ برّاقةٍ جذّابةٍ (كذّابة) أمثال: « لا سنيّة ولا شيعية » و« التقريبِ بينَ المذاهبِ الإسلاميّةِ » و « أُسبوع الوحدةِ » بينما أغلبُ كتبِهم ونشراتِهم تُهاجمُ السنّةَ وأهلَها .

وقد أخبرَنا إخوةٌ صادقونَ عاشوا في إيرانَ سنواتٍ : بأنَّ هذهِ الشعاراتِ تُكتبُ وتُوزعُ فقط في مناطقِ أهلِ السنّةِ والجماعةِ داخلَ إيرانَ ، بينما تروّجُ في (طهران) العاصمةِ ، ومدينة (قُم) - المُقدسةِ في نظرِهم - عكسُ هذهِ

الشعاراتِ من أمثالِ : « لقد جاءَ نهايةُ الظلمِ الّذي دامَ ألفاً وأربعَ مئةِ سنة » !!!

وإنَّ مدينةَ طهرانَ الّتي يبلغُ تعدادُ سكانِها ما يُقاربُ سبعةَ ملايينَ نَسَمَة لا يُوجدُ فيها مسجدٌ واحدٌ لأهلِ السنّةِ والجماعةِ ، وقد أخبرَنا أُولئكَ الأُخوةُ بأنّهم كانوا يؤدونَ فريضةَ الجُمعةِ في مسجدٍ صَغيرٍ غيرِ رسميٍّ تحتَ الأرضِ لمجُاهدي الأفغانِ بعدَ أن يَقطعوا مسافاتٍ طويلةً بعديدٍ من الحافلاتِ من شتّى نواحي طهرانَ .

كلُّ هذهِ المكائد وعامةُ الشعبِ التركيّ لا يعرفُ حقيقتَها ، فالرَّوافضُ يضعونَ النقاطَ على الحروفِ ، بل يسهلونَ السبلَ إليهم ، وذلك بتهيئةِ تذاكرِ السفرِ لهؤلاءِ الناسِ المساكينِ إلى إيرانَ ، وهناكَ طبعاً جميعُ مراسيمِ السفر بأيديهم إلى حيثُما يُريدونَ ، فيملأونهم بالأفكارِ الشيعيّةِ ، ثمَّ يرجعُ الشبابُ العاطفيونَ إلى بلادِهم الّتي تفوحُ بالعلمانيةِ ومُحاربةِ الإسلامِ ، وقد ضَمنوا راتبَهم الشهريَّ ، وفي نظرِهم الفاسد أنَّهم قد ضَمِنوا رضى اللّهِ في الآخرةِ أيضاً ! وذلكَ لأنَّهم يعتقدونَ أنَّهم سوفَ يَقومونَ بنشرِ الإسلامِ في تركيا بمساعدةِ الحُكومةِ الإيرانيةِ الإسلاميّةِ ، فيقيمونَ دولةَ الحقِّ !

وهكذا يقعُ كثيرٌ من الشبابِ في فخِّ النظامِ الإيرانيِّ ، فأنتَ ترى شباباً يُدافعونَ عنه بكلِّ جدٍّ وصرامةٍ ، حتى لو ناقشتَهم وحاولتَ الوقوفَ أمامَهم بالحججِ والبراهينِ ترى كثيراً منهم يَلجئونَ لاستعمالِ العنفِ والشدةِ تجاهكَ !

وكم نعرفُ من علماءِ شرقي تركيّا الّذينَ حاولوا الوقوفَ أمامَ هؤلاءِ الشبابِ المنحرفينَ الّذينَ يُحاولونَ الهروبَ عن نهجِ أهلِ السنّةِ والجماعةِ قد حُرّقت مكتباتُهم أو هُددوا بالقتلِ أو طُعنوا بالسكاكينَ !

واستقطابُ الشبابِ يتمُّ من قبلِ دعاةِ إيرانَ بدراسةِ الأرضيةِ والساحةِ أوّلاً ، ثمَّ الاتصالِ بهم بواسطةِ وُسطائهم ورجالِهم بعدَ تشخيصِ نقاطِ الضعفِ فيهم ، وهم - بشكلٍ عامٍّ - يُركّزونَ على الأصنافِ التاليةِ من الناسِ :

١ - عالم له مَكانةٌ وكلامُهُ مسموعٌ .
٢ - وُجوهُ المدينةِ وشيوخُ العشائرِ .
٣ - الأفرادُ الّذينَ يَعيشونَ في مناطقَ نائيةٍ ، بعيدةٍ عن التجمعاتِ الإسلاميّةِ مثلُ القرى والمزارعِ ، فهؤلاءِ أرضٌ خصبةٌ وبكرٌ لزرعِ الأفكارِ .
٤ - من لَهم طُموحٌ لطيِّ سلّمِ الحياةِ الاجتماعيةِ دونَ زادٍ ولا مشقةٍ ، فالأفكارُ بل الأحلامُ البنفسجيّةُ تطيرُ بهم نحوَ الحكمِ والقيادةِ !
٥ - المُضطَهدونَ سياسيّاً وعرقيّاً ، وخاصةً الأكراد الّذينَ يقطنونَ شرقي تركيّا فهم التربةُ الخصبةُ لهم ؛ ذلكَ لأنَّ الأكرادَ يُمثلونَ تيّارَ الرافضِ الاجتماعي والسياسيِّ معاً تُجاه الحكومةِ التركيّةِ ، وهم بعيدونَ عن عالمِ الحضارةِ والسياسةِ والأحوالِ الاجتماعيّةِ ، ومهددونَ في حياتِهم وعيشِهم وأهلِهم ، لذا فهم أحوجُ الناسِ إلى من يُناصرُهم ويدافعُ عنهم ، فنرى أنَّ حركةَ إيرانَ في شرقي تركيّا أكثرُ فعاليّةً من غربِها ، وهم - حقاً - قد نَجحوا بعضَ الشيءِ في هذهِ المناطقِ ؛ وللأسفِ الشديدِ .

غايتُهم من نشرِ الفكرِ الشيعيِّ الرافضيِّ في تركيّا :

١ - إلزامُهم بواجباتٍ وتكليفهم بأعمالٍ لازمةٍ ، كالتجسسِ على الآخرينَ ، وإقناعِ خيارِ النّاسِ ليحذوا حذوَهم .
٢ - إفسادُ التجمعاتِ المُعاديةِ لهم من داخلِها .
٣ - تجنيدُ الشبابِ التركي في جيشِ النظامِ الإيرانيِّ تحتَ دعاوى الجهادِ .
٤ - إيصالُ المذهبيّةِ وتقديمُ التاريخِ على أنّه صراعٌ بينَ آلِ البيتِ وبقيةِ المُسلمينَ من الصحابةِ وغيرِهم !
٥ - استخدامُ الأساطيرِ والرُّموزِ لإيهامِ النّاسِ على أنَّ عصرَ النبوّةِ قد بَزَغَ فجرُهُ الصادقُ لا مَحالةَ .
٦ - تقديمِ الثورةِ الإيرانيّةِ على أنّها تجسيدٌ لتطلعاتِ جميعِ الحَركاتِ الإسلاميّةِ في التاريخِ المُعاصرِ .

٧- تحريضُ المُتهورينَ - بعد إغنائهم بالمالِ والمادةِ - ضد كلِّ من يقفُ في وجههم .

هذا غَيضٌ من فيْضٍ من داءِ الشيعةِ الوَّبيلِ .

أمّا كيفيةُ معالجةِ الوضعِ ؟

فَلْيعلم أصحابُ الدعوةِ الصادقون أنَّ تركيا عاصمةُ الإسلامِ السياسيّةِ الّتي عدمت فيها الخلافةُ ... وأنّه يجبُ أنْ يَكونَ لهم دورٌ في ردِّ هذهِ الهَجماتِ الشرسةِ ، ولا سيَّما أنَّ إيرانَ قد كثَّفت مساعيها ونشاطَها بعدَ وقفِ الحربِ العراقيةِ الإيرانيّةِ في نشرِ الطائفيّةِ الرَّافضيّة الباطلةِ ، وترويجِ التشيُّعِ بينَ النّاسِ ، فعلينا أنْ ندركَ ذلكَ بدقةٍ ونأخذَ حساباتها ونتائجَها المُستقبليّةِ بنظرِ الاعتبارِ .

ففي نظرنا هناكَ بعضُ الاقتراحاتِ ينبغي الأخذُ بها ، ألا وهي :

١ - دعم الكتّابِ القادرينَ لدراسةِ أباطيلهم وخُرافاتِهم ، وتفريغُهم لهذا المَجالِ ؛ ليبيّنوا خطرَ هؤلاء النَّاسِ .

٢ - الاهتمامُ بالمساجدِ والمدارسِ وتزويدها بالكتبِ وأُمّاتِ مراجعِ أهلِ السنّةِ والجماعةِ .

٣ - دعم المعاهد والمدارس الشرعيّة لدراسةِ العُلومِ الإسلاميّةِ باللُّغةِ العربيّةِ ، في ضوءِ المنهجِ الصحيحِ في فهم الكتاب والسنّة .

٤ - محاولةُ جمعِ كلمةِ العُلماءِ تجاهَ الحركةِ الشيعيّةِ الّتي واجهت - وتواجهُ - عقيدةَ أهلِ السنّةِ منذُ العُهودِ الأُولى للإسلامِ ، لكي يَقفوا بصرامةٍ وجِدّةٍ ، وجمع فتاويهم حولَ عقائدِ الشيعةِ الباطلةِ .

هذا ونسألُ اللّه تعالى أن يُقيّضَ لهذهِ الدعوةِ رِجالاً صادقينَ وموحدينَ كي يدحروا كيد الرَّوافضِ ، ويعملوا على تثبيتِ عقيدةِ أهلِ السنّةِ والجَماعةِ في تركيّا .. ويرزقَنا الثباتَ على الحقِّ والسدادَ في الرأيِ .



مفاهيم خاطئة حول الأولياء

د . محمد عبدالرَّحمن الخميّس

الولاية والولي : لغة :

جاء في « المعجم الوسيط » (٢ / ١٠٥٨) : (الوَلاية) : القرابة ، ويقالُ : القومُ عليه ولاية يد واحدة يَجتمعونَ في الخيرِ والشرِّ ، و (الوِلاية) : القرابة ، والخطة والإمارة ، والسلطان ، والبلادُ الّتي يتسلّط عليها الوالي .

والوليُّ : كلُّ من وليَ أمراً أو قامَ به ، والنصير ، والمحبُّ ، والصديقُ ذكراً ، والحليفُ والصهرُ ، والجارُ ، والمطيعُ ، يقالُ : المؤمنُ وليُّ اللّهِ ... إلخ .

يتبيّنَ لنا أنَّ من معاني الولي : المطيع للّه تعالى .

والولاية بهذا الاعتبارِ هي الطاعة والسعي فيما يحبه اللّهُ تعالى ، وهذا المعنى موافقٌ لما وَرَدَ في لسانِ الشرعِ المطهرِ :

قالَ تعالى : ﴿ ألا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، الّذينَ آمنوا وكانوا يتقونَ ﴾ .

فالمتحصلُ لنا من كلِّ ما سبقَ : أنَّ الوليَ بالمعنى الّذي أشارت إليه الآيةُ هو كلُّ مؤمنٍ تقيّ ، والتقيُّ هو الّذي يؤدي ما افترضَ اللّهُ ، ويجتنبُ ما حرّمَ اللّهُ ،

ومرادُه من ذلكَ ابتغاءُ وجهِ اللّهِ تعالى .

فكلُّ مؤمن تقيّ هو وليّ اللّهِ تعالى حقّاً ، ولا يستحقُّ أن يَكونَ وليّاً من لم يَكن كذلكَ .

٢ - تفاضل الأولياءِ :

لـمّا كانت الولايةُ بالمعنى الّذي سبقَ الإشارةُ إليه هي الإيمان والتقوى ، ولمّا كانَ المؤمنونَ يتفاوتونَ في إيمانهم وتقواهم ، ويتفاضلونَ في كلِّ ذلكَ كما هو اعتقادُ أهلِ السنّةِ والجماعةِ ، فإنَّهم يتفاوتونَ في درجاتِ ولايتهم للّهِ عزَّ وجلَّ ، فكلّما سعى المؤمنُ في محبةِ اللّهِ عزّ وجلَّ والبعدِ عمّا يغضبُه ، كلما استحقَّ اسمَ الولاية أكثرَ ، وكلما فعلَ ذلكَ ازدادَ من اللّهِ قرباً ، وزاده اللّهُ توفيقاً وتسديداً وقرباً منه تعالى ومحبةً.

ومسألةُ تفاضلِ المؤمنين في الإيمانِ والطاعةِ هي ممّا اتّفقَ عليه أهلُ السنّةِ والجماعةِ ، وممّا يدلُّ عليها قولُ النبيِّ ﷺ : « إنَّ أتقاكم وأعلمَكم باللّهِ أنا »[١] .

فَلا يَقولُ عاقلٌ : إنَّ إيمانَه كإيمانِ الصحابةِ ، ولا أنَّ إيمانَ الصحابةِ كإيمانِ جبريل أو كإيمانِ النبيِّ ﷺ .

قالَ ابن أبي مُليكةَ : « أدركتُ ثلاثينَ من أصحابِ النبيِّ ﷺ كلّهم يَخافُ النفاقَ على نفسِه ، ما منهم أحدٌ يقولُ إنّه على إيمانِ جبريل وميكائيل »[٢] .

وهكذا يتبيّنُ لنا تفاوتُ المؤمنينَ وتفاضلُهم في الإيمانِ والطاعةِ والتقوى ، ولمّا كانَ هذا هو حقيقة الولاية قُلنا : إنَّ أولياءَ اللّهِ يتفاوتونَ في ولايتهم للّهِ عز

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٠) من حديث عائشةَ رضي اللّهُ عنه .

(٢) أخرجه البخاريُّ (١ / ١٣٥) تعليقاً .

وجلّ .

٣ - هل الولاية مكتسبة ؟

لا شكَّ أنَّ الولايةَ كسبيّة ، وذلكَ لأنَّ الولايةَ يُرادُ بها الطاعة والتقوى ، فهذه أمور كسبيّة ، فباستطاعةِ الإنسانِ أن يَكتسبَ الطاعةَ والتقوى ، وهكذا يكتسبُ الولايةَ ،وكلّما ازداد طاعة وتقوى اكتسبَ مزيداً من الولايةِ ، غير أنَّ المؤمنَ لا يأتي بالطاعة سعياً وراءَ اسمِ الولاية ، ولكنّه يُخلصُ العملَ للّهِ تعالى ، ويسعى فيما يحبّه ويرضاه ، ويزدادُ دائماً في طاعةِ اللّهِ ؛ فحينئذٍ يصبحُ وليّاً للّهِ ، ويستحقُّ ما رتبه اللّهُ ثواباً للأولياءِ ، فهم لا خوفٌ عليهم في الدنيا ، ولا يَحزنونَ في الآخرةِ .

وممّا يدلُّ على أنَّ الولايةَ كسبيّةٌ قولُ النبيّ ﷺ فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلَّ : « ... وما تقرَّبَ عبدي إليَّ بشيءٍ أحبَّ إليّ ممّا افترضته عليه ، ولا يَزالُ عبدي يتقرّب إلى بالنوافلِ حتّى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمعُ به ، وبصره الّذي يُبصرُ به ، ويده التي يَبطشُ بها ، ورجلَه الّتي يمشي بها ، ولئن سألني لأُعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه »[١] .

فباستطاعة الإنسان أن يَكونَ وليّاً لله تعالى إذا شاءَ ، وذلك بسلوكه طريق الطاعة والتقوى والهدى .

٤ - منزلة الأولياء :

إنَّ المؤمنينَ الصالحينَ المتقينَ هم أقربُ الناس إلى اللّه تعالى ، وأحبهم إليه ، ويجبُ على المسلمِ أن يحبّهم ، لحبِّ اللّهِ تعالى إيّاهم ، وأن لا يؤذيّهم ، وأن يوقرَهم لتوقيرهم لله تعالى وطاعتهم إياه ، وهؤلاء الأولياء الصالحونَ منهم من لو

(١) أخرجه البخاريُّ (١١ / ٣٤٨ - ٣٤٩) .

أقسمَ على اللّهِ لأبرّه ، وقد يصرفُ اللّهُ تعالى بهم عن الأمةِ من الأذى ما لا يعلمه إلّا هو ، وقد يجلب اللّهُ بهم الخيرَ والنصرَ إلى الأمةِ .

٥ - كرامات الأولياء :

الكراماتُ للأولياءِ حقٌّ ثابتٌ ، وهي ما يُجريه اللّهُ تعالى لهم من خوارقَ للعاداتِ ؛ تكريماً لهم وإظهاراً لفضلِهم ، دلَّ على ذلكَ الكتابُ والسنّةُ واتفاقُ السلف .

والأصلُ في إثباتها قولُ اللّهِ تعالى في حقِّ مريمَ : ﴿ **كلّما دَخَلَ عليها زكريّا المحرابَ وجدَ عندها رزقاً قالَ يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند اللّه** ﴾ .

وقد وردَ في السنةِ ما يُفيدُ ذلك ، كما في حديثِ أبي هريرةَ - المسمّى حديث الوليّ - السابق ، وكما وقعَ لعددٍ من الصحابةِ من كرامات ، كوجودِ فاكهةِ الشتاءِ في الصيفِ وبالعكسِ مع خبيبِ بن عدي - رضي اللّهُ عنه - في حبسِه -كما رواه البخاريّ- وغير ذلك من حوادث قد لا يتسع المقامُ لذكرِها .

والسلف يُقرّونَ بوجودِ هذا الكراماتِ ولا ينكرونها ، فقد قالَ الإمامُ الطحاوي رحمه اللّهُ في عقيدة أهل السنّةِ والجماعة الّتي نَقلها عن الإمامِ أبي حنيفةَ وصاحبيه ، قالَ في حقِّ الأولياء : « ونؤمنُ بما جاءَ من كراماتهم ، وصحَّ عن الثقاتِ من روايتهم »[١].

٦ - خوارق المُضلينَ :

لقد ظنَّ بعضُ الجهّالِ أنَّ كلَّ من جرى له شيءٌ من الخوارقِ فإنّه يَكونُ وليّاً للّهِ تعالى ، بغضِّ النظرِ عن حالِه من حيث الطاعةُ والمعصيةُ ! وبناءً على ذلكَ

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٤٩٥) .

اعتبروا بعضَ الناسِ أولياءَ ، حتّى لو لم يَكونوا من المصلينَ ، ولا من أهل الطاعة بحال ، بل إنَّ بعضَهم لم يُعرف عنه شيءٌ من العبادةِ ولا غيرها ، كلٌّ هذا لأنّه دَخلَ المسجدَ فبالَ فيه ولم يُصلِّ ! أو لأنّه كانَ يَغتسلُ في مبولةِ الحميرِ أو غير ذلك ! أو لأنّه كانَ يخطبُ في عدةِ أماكنِ في وقتٍ واحدٍ يدعو فيها إلى الشركِ !

ومن أرادَ المزيدَ من هذه الصورِ ؛ فليرجع إلى كتابِ « طبقات الأولياء » ! للشعراني ، ففيه النقولُ الموضحةُ لذلك عنهم ، مع إقرارها .

وقد فاتَ هؤلاء الجهال أنَّ هناكَ أولياءَ للرحمنِ ، وأولياءَ للشيطان، وأنّه لا يميّزُ بينهما إلّا باستقصاءِ حالهما واستقرائه ، فإذا حدثت خارقةٌ لشخصٍ مطيعٍ للّهِ ، ملتزمٍ بحلالِه وحرامِه وشرعِه ، يحافظُ على العبادةِ ، استبشرنا وقلنا : لعلّها كرامة له ، وإذا رأينا خارقةً وقعت لشخصٍ لا يلتزمُ بشرعِ اللّهِ ، ولا يَقفُ عندَ حدودِ اللّهِ ، ولا يتورّعُ عمّا حرّمَ اللّهُ ، جزمنا بأنه من أولياءِ الشيطانِ ، قد عُمِلَ له هذا الشيءُ لكي يفتنَ به الناسَ ويضلَّهم ويصرفَهم عن طريقِ اللّهِ تعالى ، وما أحسنَ قولَ من قالَ من السّلفِ : « إذا رأيتَ الرَّجلَ يَطيرُ في الهواءِ ، ويمشي على الماءِ ، وأمرُه يخالفُ الشريعةَ فاعلم أنه شيطان » .

... للبحث صلة

المؤتمرُ السنويُّ السابع
لجمعيّة القرآن والسنّة في أمريكا الشمالية

د . محمد الجبالي

بتوفيقِ اللَّهِ سبحانَه قد انعقدَ المؤتمرُ السنويُّ السابعُ لجمعيةِ القرآنِ والسنّةِ في أمريكا الشماليّة تحت عنوان « العمل الإسلاميّ المُعاصر بينَ عذابِ الاختلافِ ورحمةِ الائتلافِ » ، وذلكَ في مدينةِ إنديانابوليس من ٩ إلى ١٣ رجب ١٤١٤ الموافق (٢٢ - ٢٦ ديسمبر ١٩٩٣) .

وقد حازَ المؤتمرُ بشكلٍ عامٍّ رضى وثناءَ المشاركين من مُستمعينَ ومُحاضرينَ ، كما وزوّدَ الكثيرُ من الحُضورِ الجمعيةَ بنصائحَ وتوجيهاتٍ مهّمةٍ نافعةٍ ، ستعملُ - بإذنِ اللّهِ - على الإفادةِ منها في مُؤتمراتِها ونشاطاتِها القادمة .

وكانَ من جرّاءِ ذلكَ عزمُ الجمعيةِ على القيامِ بخطواتٍ إيجابيةٍ فوريّةٍ لدفعِ العملِ والدعوةِ قُدُماً .

فنسألُ اللّهَ عزَّ وجلَّ أن يُثيبَ كلَّ من كانَ سَبَباً في ذلكَ ، وأن يُعيننا على طاعتِه ، وأن يُخلصَ أعمالنا وقلوبَنا له .

الضيوف والمحاضرون :

شاركَ في هذا المؤتمرِ عددٌ كبيرٌ من أهلِ العلمِ والفَضْلِ ، وذلكَ بالمُحاضرةِ أو

الاشتراكِ في الندواتِ أو التوجيه والإرشادِ :

وممّنَ شاركَ من خارجِ أمريكا : صالح بن غانم السَّدْلان ، وصالح بن عبدِالعزيزِ آل الشيخ ، وعبدُاللّهِ وُكيِّل الشيخ من جامعة الإمامِ محمد بن سُعود الإسلاميّة في الرياض ، وعبدالعزيز بن عبدِاللّهِ التُّويجريّ ، ومحمد بن إبراهيمَ التُّويجريُّ من مركزِ توعيةِ الجاليات بالقصيم ، ومحمد عيد العبّاسي من سوريا ، وعدنان العرعور المُقيم في الرياض ، وعلي بن حَسَن الحلبيّ من الأردنّ ، ومَجْدي بن مُحسن وردة المُقيم في الإمارات ، وصُهَيْب بن عبدِالغفّار حَسَن المُقيم في لندن ، ومحمد حسّان المُقيم في القَصيم .

ومن أمريكا : محمد بن عبدالمحسنِ التُّركي مدير معهد العلومِ الإسلاميّة والعربيّة في واشنطن ، وصالح جَرْبوع مدير مكتب الدعوة والإفتاءِ في واشنطن ، ورافل ظافر من سيراكيوز نيويورك ، ومحمد سيّد عدلي من كارولاينا الجنوبيّة ، وجمال الدين زرابوزو من بولدر - كولورادو ، وحسن الزّبادي من أُوريغون ، وعيسى آدم من تُورنتو - كندا ، وغيرُهم .

وشاركَ من الأَخواتِ : رُقَيّة بنت حمد بن مُحارب المُقيمة مع زوجِها في غلاسغو - بريطانيا ، وعفاف بنت محمد الراشد المُقيمة مع زوجِها في سانت لويس - ميزوري ، وذلكَ في مُحاضرات نسائيّة خاصّة .

وكذلكَ أُجري اتصالٌ هاتفيٌّ في اليومِ الثالثِ من المؤتمرِ مع سماحةِ العلّامةِ الشيخ عبدالعزيزِ بن باز حيثُ أجابَ - حفظه اللّهُ ونفع به - على بعضِ الأسئلةِ المهمةِ مِن الإخوةِ الحضورِ .

الوقائع :

ابتدأَ المؤتمرُ عصرَ يومِ الأربعاءِ ٩ رجب ١٤١٤هـ بكلمةِ الافتتاحِ من رئيسِ الجمعيّةِ - كاتبِ هذا المقالِ - واحتوت تلكَ الكلمةُ على ترحيبٍ بالحضورِ ، وتعريفِ

مُختصرٍ بالجمعيّةِ ، ودرءٍ لشبه من يطعنُ بالدعاةِ أو بالعلماءِ دونَ بيّنةٍ .

تَلا ذلكَ بيانٌ مُختصرٌ لسببِ اختيارِ موضوعِ المؤتمرِ ولبعضِ المواضيعِ الهامةِ الّتي سيعالجُها .

وخلَصَ إلى بيانِ حرصِ الجميعةِ على توحيدِ المسلمينَ على الحقِّ ، وخُتمَ بالدعاءِ بتأليفِ القلوبِ .

وانتهت الجلسةُ الافتتاحيّةُ بتعريفٍ مُخْتَصرٍ وسريعٍ بالضيوفِ الأفاضلِ .

حول بيان موضوع المؤتمر :

وموضوعُ المؤتمر يحملُ أهميةً كبيرةً في واقعِ المسلمينَ اليومَ ، فهو يَهدفُ إلى بيانِ مفهومِ الائتلافِ والاختلافِ في الوجهة الشرعيّة الصحيحة ، وإلى بيانِ ألوانِ الائتلافِ والاختلافِ الّتي تشملُ التبرُّؤ التامّ من الكفرِ وأهلِه ، والموالاةَ التامّةَ للإيمانِ وأهلِه ، وما بينَ ذلكَ من مراتبَ شتّى .

ويهدفُ المؤتمرُ إلى بيانِ الخطواتِ العمليةِ الّتي تَنْتُجُ من هذا المفهومِ ، والّتي يَنبغي أن تَنعكسَ على تصوّراتِ الأمةِ المسلمةِ وعلى ممارساتِ الدعاةِ والعاملينَ في ساحةِ العملِ الإسلاميّ المُعاصر ، وذلكَ في عَلاقتهم - على مُستوى الأفرادِ والجماعاتِ - مع المُسلمينَ ومع غيرِ المسلمينَ .

وإنَّ الّذي يَنظرُ إلى واقعِ المسلمينَ اليومَ ؛ أفراداً وجماعاتٍ ، يجدُ أنَّهم على جهلٍ وبُعْدٍ عن معاني الولاءِ والبراءِ والاختلافِ والائتلافِ ، فهم يُوالونَ مَنْ أَمَرَ اللّهُ بمفاصلتِه ! ويُعادونَ مَن أمرَ اللّهُ بمواصلتِه ! يُقيمونَ الولاءَ والبراءَ على مقاييسَ منكوسةٍ ، أو مائلةٍ عن الحقِّ في أحسنِ أحوالِها .

وهم بذلكَ يُخالفونَ أمرَ اللّهِ تعالى بالإعراضِ عن الجاهلينَ والمُشركينَ ، وبصبرِ النفسِ مع المُؤمنينَ ، وتحذيره من سبيلِ المغضوبِ عليه والضالّينَ في العديدِ من آياتِ كتابِه الكريم ، كما يُخالفونَ أمرَ رسولِه ﷺ بمخالفةِ هديِ الكفّارِ ، ونَهْيِهِ عن التشبُّهِ

بهم في كلِّ الأحوالِ .

وليسَ هذا بالأمرِ المُفاجئِ لمن وَعى الكتابَ والسنّةَ ، وألَمَّ بالإشعاراتِ النبويّة ، فإنَّ النبيَّ ﷺ قد نَبّأ أنَّ المُسلمينَ سيكونونَ في ضعفٍ وهوانٍ بسببِ مُخالفةِ هذينِ الأمرين ، أي : موالاة المؤمنينَ ومعاداة الكافرينَ ، فقالَ: « سألتُ ربي ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ومَنَعني واحدةً ، سألتُه أن لا يُهلكَ أُمتي بِسَنَةٍ عامةٍ فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يُسلّطَ عليهم عدوّاً من غيرِهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يَجعلَ بأسَهم بينَهم فمنعنيها »[١] ، وقالَ : « لتتبعنَّ سَنَن من كانَ قبلكم شِبْراً بشبرٍ وذراعاً بذراع حتَّى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتموه »

قالوا : « اليهودُ والنصارى ؟ » قالَ : « فَمَن ؟! »[٢] .

فضعفُ المسلمينَ اليومَ ظاهرٌ جليٌّ ، وأسبابه التفصيلية كثيرةٌ عديدةٌ ، من أهمّها بلا شكٍّ سببان : موالاةُ الكافرينَ ، ومعاداةُ المسلمينَ .

وليتَ هذا كانَ في عامّةِ المسلمينَ الجاهلينَ ! إذن لهانَ الخطبُ ، ولكنّه أمرٌ مُسْتَطيرٌ شرُّه ، ضاربةٌ أطنابه ، مُمتدّةٌ جذورُه ، حتى بينَ الدعاةِ والعاملينَ في ساحةِ العملِ الإسلاميّ للأسفِ الشديدِ .

ومؤتمرنا هذا - بمنّةِ اللّه - سيكونُ لَبِناتِ إصلاحٍ في تَغييرِ هذا الواقعِ الأليم : ﴿ إنَّ اللهَ لا يُغيِّرُ ما بِقومٍ حتَّى يُغيروا ما بأنفسِهم ﴾ .

وقد كانَ المؤتمرُ ذا ثلاثةِ أجنحةٍ متوازنةٍ :

جناح اللغةِ العربيّةِ للرجالِ .

وجناحُ اللغةِ العربية للنساءِ .

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٨٩٠) .

(٢) رواه البخاريُّ (٣٢٦٩) ومسلمٌ (٢٦٦٩) عن أبي سعيدٍ الخدريِّ .

وجناح اللغةِ الإنكليزيّة .

وقد نُقلت أكثرُ المحاضرات العربيّة للنساءِ بواسطةِ البثِّ المُباشرِ المرئيّ ، كما كانت لهنَّ محاضراتٌ وندواتٌ خاصة بهنَّ .

وقد أُلقيت بعضُ المحاضراتِ الرئيسة مرّةً ثانيةً في الجناحِ الإنكليزيّ مع تزويدِ الترجمةِ الفوريّةِ ، إضافةً إلى المحاضراتِ والندواتِ الخاصةِ الموجهةِ للناطقينَ بالإنكليزيّةِ .

وفي أثناءِ المؤتمرِ أُلقيت المحاضراتُ والندواتُ والدوراتُ التالية :

مُحاضرة : « الائتلافِ والاختلافِ بينَ المصالحِ والمفاسدِ » لعرعور .

محاضرة : « الائتلافِ والاختلافِ - أسس وضوابط » للسدلان .

محاضرة : « من مُقوّماتِ الائتلافِ : الأدب مع العلماءِ » لوكيّل الشيخ .

محاضرة : « الجماعة في مهبِّ الفتن » لآل الشيخ .

محاضرة : « المسلمونَ بينَ التوجُّه القرآني والهدي النبويّ » لمحمد التُّويجري .

محاضرة « بينَ الإنصافِ والغُلُوِّ : موقف أهلِ السنةِ من أهلِ الأهواءِ » لعرعور .

محاضرة : « منهج السلفِ هو سبيل الائتلافِ » لعباسي .

محاضرة : « الأبعاد الاقتصاديّة للمعاهدةِ الفلسطينيّة الإسرائيليّة » لظافر .

محاضرة : « العمل الجماعيّ - أسس وضوابط » للحلبيّ .

محاضرة : « الخُلُق القويم ودروه في تأليفِ قلوب المسلمينَ » لوردة .

خطبة الجمعة : « مواعظُ ورقائقُ في علاجِ الخلافِ » لحسان .

ندوة : « المسلم للمسلمِ كالبنيانِ : أوضاعُ المسلمينَ في العالمِ » عرعور ، السدلان ، صُهيب حسن ، محمد التويجريّ ، ظافر ، عيسى .

ندوة : « التفرّق والخلاف : الأسباب والعلاج » السدلان ، عباسي ، آل

الشيخ ، عرعور .

ندوةُ : « الفِرق والحركات الهدّامة ودورُها في تفريقِ الأمةِ » حسان ، الحلبي ، آل الشّيخ ، وكّيل الشيخ .

ندوة : « سبيلُ الدعوة إلى اللّهِ » آل الشيخ ، محمد التُّويجريُّ ، عَرْعُور ، الحلبيّ .

« ندوة الختامِ » ؛ وقد تدارسَ جيمعُ الحضورِ أثناءَها نصائحَ وانتقاداتٍ بناءةً لتحسينِ المؤتمرِ خاصةً والعمل الدعويّ عامةً .

دورة :« بينَ الاتّباعِ والتقليدِ » لعبّاسي .

دورة : « بينَ السنّةِ والبدعةِ » للحلبيّ .

دورة : « الخلاف أنواع ومواقعه » لعرعور .

درس : « نصائح الشبابِ من شيخِ الشبابِ » للسدلان .

درس : « مصادر طَلَبِ العلمِ الشرعيّ » لحسانَ .

درس للنساء : « دور المرأةِ في رَأبِ الخلافِ وجَلْبِ الائتلافِ بينَ المسلمينَ » لرقيّة المحاربِ .

درس للنساءِ : « دور المرأةِ التربويّ في رَصِّ بنيانِ الأُمةِ » لعفاف الراشد .

وتخلّلَ المؤتمرَ العديدُ من الدروسِ الوعظيّةِ والفوائدِ الفقهيّةِ والاجتماعات الأخويّة ، وهذا من أبرزِ فوائدِ مثلِ هذه الاجتماعاتِ الدوريّة .

القرارات والتوصيات :

توصّلَ المؤتمرُ من خلالِ جلساتِه ومحاضراتِه وندواتِه إلى عَدَدٍ من التوصياتِ والقراراتِ نُلَخّصها فيما يلي :

١ - التأكيدُ على وُجوبِ مُوالاةِ المسلمِ للمسلمينَ ومحبّته لهم .

٢ - التأكيدُ على حُرمةِ موالاةِ الكفّارِ وأهل البدعِ والأهواء .

٣ - التأكيدُ على لُزومِ مُناصحة أهلِ الأهواءِ ودعوتهم بالّتي هي أحسنُ .

٤ - التأكيدُ على أنَّ مِن أعظمِ أسبابِ ضَعْفِ المسلمينَ هو تفرُّقهم واختلافهم .

٥ - التأكيدُ على خَطَرِ الفرقِ والحركاتِ الهدّامةِ وضررها الأكيد وأثرها في تشتيت المسلمينَ .

٦ - التأكيدُ على وُجوبِ العملِ على توحيدِ المسلمينَ وجَمْعِ كلمتِهم .

٧ - التأكيدُ على أنَّ السبيلَ الوحيدَ لتوحيدِ المسلمينَ هو في التزامِ منهجِ السَّلَفِ في العقيدةِ والعبادةِ والسلوكِ .

٨ -التأكيدُ على وُجوبِ مُناصرةِ المسلمينَ المُضْطَهَدينَ والمقهورينَ والمُصابينَ بالضُّرِّ في كافّةِ بقاعِ الأرضِ .

٩ - التأكيدُ على وُجوبِ التعاونِ بينَ المسلمينَ ؛ جماعاتٍ وأفراداً ، وذلكَ عن طريقِ التعاونِ والتعاضدِ في الأُمورِ المتّفقِ عليها ، والتناصح بالحُسنى مع إحسانِ الظنِّ في الأمورِ المختلفِ فيها ضمن دائرة الضوابط الشرعيّة المُحْكَمة .

وأخيراً : نسألُ اللّهَ تعالى أن يرزقنا فقهاً في دينه ، وأن يجنّد أرواحنَا على سبيله ، وأن يَجعلنا دُعاةً وسعاةً إلى جمعِ كلمةِ الأُمةِ وتوحيدِها على ما يُحبُّ ربُّنا ويَرضى .

وصلّى اللّهُ على النبيِّ المُصطفى وعلى آلِه وصحبِه وسلّمَ .

العلّامة الشيخ عُبيدُ اللّه الرّحماني المُباركفوري
رحمه اللّه تعالى

إعداد : التحرير

أَهلُ الحديثِ هُمُ أهلُ النَّبيِّ وإنْ

لم يَصحبوا نفسَه أنفاسَه صَحِبُوا

ويَقولُ الرّسولُ ﷺ : « إنَّ اللّهَ لا يَقبضُ العلمَ انتزاعاً ، ولكنْ يقبضُه بموت العُلماءِ ، حتّى إذا لم يَبْقَ عالمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رؤوساً جهّالاً ؛ فاستفتوهم ؛ فأفتوا بغيرِ علمٍ ، فضلّوا وأضلّوا »[١].

وقالَ أهلُ التفسيرِ في قولِه تعالى : ﴿ أوَلم يَرَوْا أنّا نأتي الأرضَ نَنْقُصُها من أطرافِها ﴾ ؛ قالوا : هو ذهابُ العُلماءِ[٢].

الأرضُ تـحيا ما عـاشَ عـالمُـها   متى يَمُت عالمٌ منها يَمُت طَرَفُ

كالأرضِ تَحيا إذا ما الغيثُ حلَّ لها   وإنْ أبـى عـادَ في أكنافِها التَّلَفُ

.. وهكذا مُصابُنا اليومَ : عالمٌ كبيرٌ ، ومُحدِّثٌ شهير ، وفقيه قَدير ، هو العلّامةُ

---

(١) متفق عليه .

(٢) انظر « تفسير ابن كَثير » (٢ / ٨٠٥) .

الشيخُ عُبيداللّهِ الرَّحماني المُباركفوريّ ، مِن عُلماءِ أَهلِ الحديثِ ، ومِن دُعاةِ السلفيّة .

وحتّى يعرفَ قَدْرَه قُرّاءُ (**الأصالة**) ، وحتّى نُؤدِّيه جزءً من حقِّه رأينا لُزومَ ذكرِه ، والحاجةَ للترجمةِ له ، فنقولُ باختصار :

* أحد كبارِ عُلماءِ الهندِ ومُحَدِّثيها ، بل لا ثاني له في إقليمِ الهندِ منذُ عُقودٍ ، تخرَّجَ في دارِ الحديثِ الرَّحمانيّةِ على أبيه[1] والمحدث أحمد اللّهِ البرتابكرهي ، واستفادَ من المحدثِ عبدالرَّحمن المُباركفوريّ[2].

واشتغلَ بتدريسِ الحديثِ في دارِ الحديثِ ، وتولّى إدارةَ شئونِ الطلّابِ إلى ١٩٤٧م .

وساعدَ المحدّثَ المباركفوريَّ في تأليفِه « تحفةِ الأحوذيّ على جامع الترمذيّ » حينما كُفَّ بصرُه ، في تكميلِ الجزئين الأخيرين .

* وبعدَ عودتِه من دِهْلي سنة ١٩٤٧م إلى موطنِه مُباركفور ، ركّزَ همّتَه في تأليفِ شرح « مشكاة المصابيح » باسم « مرعاة المفاتيح » ، وقد ظهرَ منه إلى الآن نحوُ عشرةِ أجزاءٍ كبار ، وتحتَ الطبع بقيّةٌ منه ، وذلكَ في المطبعةِ السلفيّة - بنارس .

وهذا أحسنُ شرحٍ من شروحِ « المشكاة » لميّزاتٍ وخصائصَ ، فإنّه استوعبَ الكلامَ في شرحِ الحديثِ ، وضَبطِ الكلماتِ والكلامَ على الأسانيدِ ، ونقلَ أقوالَ الفُحولِ ، وترجيحِ ما ترجّحَ لديه بعدَ الدراسةِ والتحقيقِ ، على حسب الحُجّةِ والدليل دون التقليد ومَحْض الأقاويل .

---

(١) هو العلامة المحدثُ عبدالسلام المُباركفوريّ رحمه اللّهُ صاحب « سيرة البُخاري » المطبوع قديماً وحديثاً .

(٢) شارح « سنن الترمذيّ » المشهور، واسم شرحِه « تحفة الأُحوذيّ » وهو مطبوعٌ .

– وله فتاوى في مجلدينِ كبيرين جمعَه ولدُه الشيخ عبدالرَّحمن المُباركفوريُّ خرّيج الجامعة الإسلاميّة بالمدينةِ المنوّرة .

وهذان المُجلّدانِ حصيلةُ سنواتٍ عديدةٍ فقط ، ولو تمَّ جمعُ جميعِ فتاواه لكانت في مجلداتٍ ضخامٍ .

– وله « الشِّرعة في بيانِ محلِّ آذانِ الخطبة » .

– ومسألة التأمين والبنك (كلاهما بالأردية) .

* وقد تولّى رحمه اللّهُ رئاسةَ الجامعةِ السلفيّة في بنارس – الهند ، وكذا رئاسة جمعية أهل الحديثِ .

* تخرَّجَ عليه خلقٌ من العُلماء منهم : الشيخ عزيز الزَّبيديّ ، والشيخ عبدالغفّار حسن الرَّحمانيّ[1] .

* تُوفي رحمه اللّهُ يومَ السبتِ لأربعةِ أيّامٍ بَقينَ من رَجبٍ سنةَ (١٤١٤هـ) المُوافق (٨ / ١ / ١٩٩٤) ..

هذا ما استطَعْنا جمْعَه – الآنَ – من سيرة هذا العَلَمِ – رحمه اللّهُ – إيفاءً له بعضاً من جوانبِ حَقِّه على طُلّابِ العلم[2] .

رحمه اللّهُ رحمةً واسعةً ، وأدخلَه – بمَنّه – فسيحَ جنانِه .

---

(١) « جهود مُخلصة .. » (ص ٢٥٨ – ٢٥٩) للأخ الشيخِ عبدالرَّحمن بن عبدالجبّار الفريوائي .

(٢) ولعلَّ بعض إخواننا العارفين بالشيخِ ، أو المُلازمين له يُتحفُ قُرّاء (**الأصالة**) بترجمةٍ مفصّلةٍ له .

مسائل وأجوبتها

المسائل اللبنانيَّة (٢)

المحدّث العلّامة محمد ناصر الدين الألباني

السؤال : لماذا التسمي بالسلفيّةِ ؟

أهي دعوةٌ حزبيّةٌ أم طائفيّة أو مذهبيّة ؟

أم هي فرقة جديدة في الإسلامِ ؟

الجواب : إنَّ كلمةَ السلفِ معروفةٌ في لغةِ العربِ وفي لغةِ الشرعِ ؛ وما يهمّنا هنا هو بحثُها من الناحيةِ الشرعيةِ :

فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ في مرضِ موتِه للسيدةِ فاطمةَ رضي اللَّهُ عنها : « فاتّقي اللّهَ واصبري ، ونعم **السّلف** أنا لك »[1] .

ويكثرُ استعمالُ العلماءِ لكلمةِ السّلَفِ ، وهذا أكثرُ من أن يعدّ ويحصى ، وحسبنا مثالاً واحداً وهو ما يحتجُونَ به في محاربةِ البدعِ :

وكلُّ خيرٍ في اتباعِ مَنْ سَلَف

وكلُّ شَرٍّ في ابتداعِ مَنْ خَلَف

(١) رواه مسلم (٢٤٥٠) (٩٨) .

ولكنْ هناكَ مِن مُدَّعي العلمِ من يُنكرُ هذه النِّسبةَ زاعماً أن لا أصلَ لها ! فيقولُ : « لا يَجوزُ للمسلمِ أن يَقولَ : أنا سلفي » ، وكأنّه يَقولُ : « لا يَجوزُ أن يَقولَ مسلمٌ : أنا مُتبعٌ للسلفِ الصالحِ فيما كانوا عليه من عقيدةٍ وعبادةٍ وسلوك . » !

لا شكَّ أنَّ مثلَ هذا الإنكارِ - لو كانَ يَعنيه - يلزمُ منه التبرُّؤُ من الإسلامِ الصحيحِ الَّذي كانَ عليه سلفُنا الصالحُ ، وعلى رأسهم النبيُّ ﷺ كما يُشيرُ الحديثُ المتواترُ الَّذي في « الصحيحين » وغيرهما عنه ﷺ : « خيرُ الناسِ قرني ، ثمَّ الَّذينَ يَلونَهم ، ثمَّ الَّذينَ يَلونَهم » .

فَلا يَجوزُ لمسلمٍ أن يتبرّأَ من الانتسابِ إلى السلفِ الصالحِ ، بينما لو تبرّأَ من أَيَةِ نسبةٍ أُخرى لم يُمكنْ لأحدٍ من أهلِ العلمِ أن ينسبَه إلى كفرٍ أو فُسوقٍ .

والَّذي يُنكرُ هذه التسميةَ نفسه ، تُرى ألا ينتسبُ إلى مذهبٍ من المذاهبِ ؟! سواءٌ أكانَ هذا المذهبُ متعلّقاً بالعقيدةِ أو بالفقه ؟

فهو إمّا أن يَكونَ أشعريّاً أو ماتريديّاً ، وإمّا أن يَكونَ من أهلِ الحديثِ أو حنفيّاً ، أو شافعيّاً أو مالكيّاً أو حنبليّاً ؛ مِمّا يَدخلُ في مسمّى أهلِ السنّةِ والجماعةِ ، مع إنَّ الَّذي ينتسبُ إلى المذهبِ الأشعريِّ أو المذاهبِ الأربعةِ ، فهو ينتسبُ إلى أشخاصٍ غيرِ معصومينَ بلا شكٍّ ، وإن كانَ منهم العلماءُ الَّذينَ يُصيبونَ ، فليتَ شِعْري هلّا أنكرَ مثلَ هذه الانتساباتِ إلى الأفرادِ غيرِ المعصومينَ ؟

وأمّا الَّذي ينتسبُ إلى السَّلفِ الصالحِ ، فإنَّه ينتسبُ إلى العصمةِ - على وجهِ العُموم - ، وقد ذكرَ النبيُّ من علاماتِ الفرقةِ الناجيةِ أنَّها تتمسّكُ بما كانَ عليه رسولُ اللّهِ ﷺ وما كانَ عليه أصحابُه .

فمن تمسّكَ بهم كانَ يَقيناً على هُدى من ربّه .

وهي نسبةٌ تُشرِّفُ المنتسبَ إليها وتُيَسِّرُ له سبيلَ الفرقةِ الناجية ، وليسَ ذلكَ لمن ينتسبُ أيّةَ نسبةٍ أُخرى ، لأنّها لا تعدو واحداً من أمرينَ : **إمّا** انتساباً إلى شخصٍ غيرِ

معصومٍ ، أو إلى الَّذينَ يتّبعونَ منهجَ هذا الشخصِ غيرِ المعصوم ، فَلا عصمةَ كذلكَ ، وعلى العكسِ منه عصمةُ أصحابِ النبيِّ ﷺ ؛ وهو الَّذي أُمِرنا أن نتمسّكَ بسنتِه وسنّةِ أصحابِه من بعدِه .

ونحنُ نُصرُّ ونُلحُّ أن يَكونَ فهمُنا لكتابِ اللّهِ وسنّةِ رسولِه ﷺ وَفْقَ منهجِ صحبِه ، لكي نَكونَ في عصمةٍ من أن نَميلَ يَميناً أو يساراً ، ومن أن ننحرفَ بفهمٍ خاصٍّ لنا ليسَ هناكَ ما يدلُّ عليه من كتابِ اللّهِ سبحانه وسنةِ رسولِه ﷺ .

ثمَّ ؛ لماذا لا نَكتفي بالانتسابِ إلى الكتابِ والسنةِ ؟

السببُ يَعودُ إلى أمرينِ اثنينِ :

أحدهما : متعلّقٌ بالنصوصِ الشرعيّةِ .

والآخرُ : بواقعِ الطوائفِ الإسلامية .

بالنسبةِ للسببِ الأوّلِ : فنحنُ نَجدُ في النصوصِ الشرعيّةِ أَمْراً بطاعةِ شيءٍ آخَرَ إضافةً إلى الكتابِ والسنة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرّسولَ وأُولي الأمرَ منكم** ﴾ فلو كانَ هناكَ وليُّ أمرٍ مبايَعٍ من المسلمينَ لوجبت طاعتُه كما تَجبُ طاعةُ الكتابِ والسنةِ ، مع أنَّه قد يُخطئُ هو وَمَن حوله ، فوجبت طاعتُه دفعاً لمفسدةِ اختلافِ الآراءِ ، وذلكَ بالشرطِ المعروفِ : « لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ »[1]

وقالَ اللّهُ تعالى : ﴿ وَمَن يُشاقِقِ الرَّسولَ من بعدِ ما تبيّنَ له الهُدى ويَتّبع غيرَ سبيلِ المُؤمنين نولّه ما تولّى ونُصْله جهنَّم وساءت مصيراً ﴾ .

إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ يتعالى ويترفّعُ عن العَبَثِ ، ولا شكَّ ولا رَيبَ أنَّ ذِكْرَه سبيلَ المؤمنينَ إنّما هو لحكمةٍ وفائدةٍ بالغةٍ ، فهو يَدلُّ على أنَّ هناكَ واجباً مهمّاً وهو أنَّ اتِّباعنا لكتابِ اللّه سبحانَه ولسنّةِ رسولِه ﷺ يجبُ أن يَكونَ وَفْقَ ما كانَ عليه المسلمونَ

(١) « الصحيحة » (١٧٩) .

الأوّلونَ ، وهم أصحابُ الرسولِ ﷺ ؛ ثمَّ الَّذينَ يَلونَهم ثمَّ الَّذينَ يَلونَهم ؛ وهذا ما تُنادي به الدعوةُ السلفيّةُ ، وما ركّزت عليه في أُسِّ دعوتِها ، ومنهج تربيتها .

إنَّ الدعوةَ السلفيّةَ - بحقٍّ - تجمعُ الأمةَ ، وأيُّ دعوةٍ أُخرى تفرّقُ الأمةَ ؛ يقولُ اللّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وكُونوا مع الصادقِينَ ﴾ ، ومَن يُفرّقُ بينَ الكتابِ والسنّةِ من جهةٍ وبينَ السَّلَفِ الصالحِ من جهةٍ أُخرى لا يَكونُ صادقاً أبداً .

أمّا بالنسبةِ **للسببِ الثاني** : فالطوئفُ والأحزابُ الآنَ لا تلتفتُ مُطْلَقاً إلى اتباعِ سبيلِ المؤمنينَ الَّذي جاءَ ذكرُه في الآية ، وأيَّدتْه بعضُ الأحاديثِ منها حديثُ الفِرَقِ الثلاث والسبعين ، وكلُّها في النّارِ إلّا واحدةً ، وَصَفَها رسولُ اللَّهِ ﷺ بأنّها : « **هي الَّتي على مثلِ ما أنا عليه اليومَ وأصحابي** »[١].

وهذا الحديثُ يُشبه تلكَ الآيةَ الَّتي تذكرُ سبيلَ المؤمنينَ ، ومنها حديثُ العِرْباضِ ابن سارية وفيه : « فعليكم بسنتي وسنّةِ الخُلفاءِ الرّاشدينَ المهديّينَ من بعدي »[٢].

إذن هناك سُنّتان : سُنّةُ الرّسولِ ﷺ وسُنّة الخُلفاءِ الرّاشدينَ .

ولا بدَّ لنا - نحنُ المتأخرينَ - أن نرجعَ إلى الكتابِ والسنةِ وسبيلِ المؤمنينَ ، ولا يَجوزُ أن نَقولَ : إنّنا نفهمُ الكتابَ والسنّةَ استقلالاً دونَ الالتفاتِ إلى ما كانَ عليه سلفُنا الصالحُ !!

ولا بُدَّ من نسبةٍ مُمَيِّزةٍ دَقيقةٍ في هذا الزمانِ ، فَلا يَكفي أن نَقولَ : أنا مسلمٌ فقط ! أو : مذهبي الإسلامُ ! فَكلُّ الفرقِ تَقول ذلكَ : الرّافضيُّ والإباضيُّ والقاديانيُّ وغيرُهم من الفرقِ !! فما الذي يُمَيّزكَ عنهم ؟

ولو قلتَ : أنا مسلمٌ على الكتابِ والسنةِ لما كَفى أيضاً ، لأنَّ أصحابَ الفِرقِ - من أشاعرةٍ وماتريديّة وحزبيِّينَ - يَدّعونَ اتّباعَ هذين الأصلين كذلكَ .

---

(١) « الصحيحة » (٢٠٣) و (١٤٩٢) .

(٢) « إرواء الغليل » (٢٤٥٥) .

ولا شكَّ أنَّ التسميةَ الواضحةَ الجليّةَ المُمَيِّزةَ البيِّنة هي أن نَقولَ : أنا مسلمٌ على الكتابِ والسنّةِ وعلى منهجِ سلفنا الصالحِ ، وهي أن تَقولَ باختصار : « أنا سَلفيٌّ » .

وعليه ؛ فإنَّ الصوابَ الّذي لا مَحيدَ عنه أنّه لا يَكفي الاعتمادُ على القرآنِ والسنّة دونَ منهجِ السلفِ المُبيِّن لهما في الفهمِ والتصوّرِ ، والعلمِ والعمل ، والدعوة والجهاد .

ونحنُ نعلمُ أنّهم - رضي اللّه عنهم - لم يتعصّبوا لمذهبٍ مُعيَّن أو شخصٍ بعينِه ، فليسَ فيهم مَنْ كانَ بكريّاً أو عُمريّاً أو عُثمانيّاً أو عَلَويّاً ، بل كانَ أحدُهم إذا تيسّرَ له أن يسألَ أبا بكرٍ أو عُمرَ أو أبا هُريرةَ سألَه ؛ ذلكَ بأنّهم آمنوا أنّه لا يَجوزُ الاخلاصُ في الاتباعِ إلّا لشخصٍ واحدٍ ، ألا وهو رسولُ اللّهِ ﷺ ؛ الّذي لا ينطقُ عن الهوى ، إن هو إلّا وحيٌ يُوحى .

ولو سلّمنا للناقدينَ جَدلاً أنّنا سنتسمّى بالمُسلمينَ فقط دونَ الانتسابِ للسلفيّةِ - مع أنّها نسبةٌ شريفةٌ صحيحةٌ - ، فهل هم يتخلّونَ عن التسمّي بأسماءِ أحزابِهم ، أو مذاهبِهم ، أو طرائقِهم - على كونِها غيرَ شرعيّةٍ ولا صحيحةٍ ؟!!

فحسبُكمُ هذا التفاوتُ بيننا

وكلُّ إناءٍ بما فيه يَنضحُ

واللّهُ الهادي إلى سواءِ السبيلِ ، وهو - سبحانَه - المُستعانُ .

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

* كابول إلى أين ؟

تحترق كابول منذ أيام على أيدي أبنائها الذين سعوا من قبل إلى تخليصها من أنياب الدب الشيوعي !!

والذي يطفو على سطح الأحداث في هذه المرة عدة أمور :

١ - ظهور تحالفات جديدة بحيث يصعب تحليلها على كثير من الإسلاميين ، كتحالف الحزب الإسلامي مع القوات الأوزبكية التي كان من قبل يشترط خروجها من كابول ، ناهيك أن هذه القوات باطنية قلباً وقالباً وقائدها أحد رموز النظام الشيوعي المنهار !!

٢ - توسُّع دائرة القتال حيث دخل عنصر الطيران في المعارك ، والعجيب أن هذا السلاح لم يستخدم في أعنف معارك المجاهدين مع أعداء الله البلاشفة !

٣ - إغلاق باكستان حدودها في وجه الفارِّين من جحيم كابول ... وذلك حتى يعمَّ الحريق جميع أفغانستان (!) .

إن هذه الأحداث الجِسام التي تحطِّم ما جناه الأفغان بعد جهاد طويل لتؤكد أن

النفوس فيها دَخَن ، وأنها تغاير سنن الله مرة ثانية :

□ لقد خالف المجاهدون سنن الله في المرة الأولى عندما بقوا أحزاباً متعددة على الرغم من وجود كل عناصر التَّوحد بينهم .

□ وخالفوها عندما اختاروا صبغة الله مجدِّدي رئيساً لدولتهم ، وهو من لا يخفى حاله على عامة الأفغان فضلاً عن رؤوسهم ؛ خُرافةٍ وتصوُّفاً وانحرافاً .

□ وخالفوها عندما تواطأ الحزب الإسلامي مع قطاع الطرق ومهربي المخدرات وشنوا حرباً ضروساً على (إخوانِهم) السلفيين في إمارة كونر التي أقيمت فيها حدود الله لأول مرة على الأرض الأفغانية في هذا العصر .

□ وخالفوها عندما استمر النزاع والتفرُّقُ بينهم بعد تحرير كابول وسقوط النظام الشيوعي .

وهاهم يخالفونها مرة أخرى ، فيتنازعون ، ويخرّبون بلادَهم بأيديهم وأيدي مخلّفات النظام الشيوعي القديم .

ولذلك لا نجدُ مفراً من التنبيه على مايلي :

١ - إن حكومة المجاهدين في كابول أصبحت - وللأسفِ - مثل السوء لدولة الإسلام المنشودة في هذا العصر ، حيث يستغلُّ أعداء الله في كل مكان هذه الصورة القاتمة التي آل إليها أمر الأفغان ، لتنفير الناس من المطالبة بتطبيق حكم الله أو السعي لاستئناف حياة إسلامية ، لسوءِ ما يَجري هناك وشدّةِ بلائِه .

٢ - إن لم يتدارك العقلاء من الأطراف المتنازعة الأمرَ ويتقوا الله في أنفسهم وأبناء المسلمين الذين تهدر دماؤهم من أجل نزوات شخصية ونزعات عرقية ، فإن سنة الله لا مبدّل لها ، وهي : أن أمرهم سيؤول إلى الفشل ، وحينئذٍ سيثب المتربصون الذين يرقبون الأحداث عن كثب وتصبح أفغانستان كتركيا بعد سقوط دولة الخلافة .

نعوذ بالله من الحور بعد الكور .

اللهم لا تجعلنا فتنة للذين ظلموا .

*** اليمن ... ودهليز الفتنة المظلم :**

فرح المسلمون عندما قامت الوحدة بين شطري اليمن وإن كانوا يعلمون أنها لم تقم على منهج الله ! ولكنْ حنانيك بعض الشر أهون من بعض ، وكذلك كانوا يعلمون أنها وحدة اضطرارية بين الأنظمة القائمة بعد أن وصل النظام الشيوعي في عدن إلى حافة الإنهيار حيث تخلى عنه ولي نعمته في موسكو ، فسعى حثيثاً لصيانة ماء وجهه فظهر بهذا الموقف البطولي وهو الاستجابة لنداء الوحدة ..

ولكنْ ما أُسس على باطل فمصيره إلى الزوال ، لأن الباطل لا يمكن أن يمكث في الأرض .... فمنذ أشهر عدة بدأ اليمن يدخل إلى دهليز التشطير والتقسيم حيث اعتصم كل رأس من رؤوس الأحزاب التي تؤلف نظام الحكم في قاعدته ... وبذل كثير من الناس في داخل اليمن وخارجها جهودهم لاختصار مسافة الهوة بينهم ... ولكن لا حياة لمن تنادي !

وإنْ ظهرت (الآن) بوادرُ مُصالحةٍ ، واتفاقٌ على ميثاقٍ (وطني) .. ولكنٍ هل يَطولُ ذلك ؟!

أم سترجعُ فتنةُ الانقسام والانشطارُ مِن جديد !!

حينَها :

إنَّ أخشى ما نخشاه أن تلجأَ الأطراف المتنازعة إلى الخيار العسكري لحسم الخلاف القائم بينها ، وإن كان لا يلوح في الأُفق القريب ما يدل على ذلك ، ولكنه ليس بمستبعد عمن اختاروه بينهم قبل سنوات في عدن ، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بالخصوم السياسيين الآخرين ، وعندها - لا سمح الله - ستدخل اليمن نفق الحرب الأهلية التي لا تُبقي ولا تذر .

لذا ؛ فالواجبُ على أهلِ اليمنِ حُكّاماً ومحكومينَ ، أن يَعودوا إلى اللّهِ ، وأن

يَكونَ اتفاقُهم وميثاقُهم مبنيّاً على حُكمِ اللّهِ ، ودينِ اللّهِ حتّى يرجعَ إليهم ذلك الوصفُ النبويُّ : « الإيمانُ يَمان ، والحكمةُ يمانيّة »[1] ...

وحينئذٍ : تَكونُ الوحدةُ الحقّةُ ، ويَكونُ الميثاقُ الصادقُ ، ويَكونُ الاتفاقُ الواثقُ .

إننا نسأل الله أن يجنب المسلمين في اليمن شر الفتنة التي يوقد تحت تنُّورها مَن لا يخشون الله ولا يرجون اليوم الآخر ، ومع ذلك فليحزموا أمرهم لتكون كلمتهم سواء وموقفهم واحد إذا زلت قدم الائتلاف الحاكم ...

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن .

القرّاء منهم وإليهم

▫ **وصلت إلى (الأصالة)** رسالةٌ من الأخت أمّ عبدِالرّحمنِ - السعوديّة تقولُ فيها :

إخواني في اللّهِ القائمينَ على مجلةِ (**الأصالة**) :

تعجزُ الكلماتُ عن وصفِ المشاعرِ الّتي خالجت كثيراً من الأخواتِ بصدورِ مجلتِكم الطيبةِ ، والّتي نسألُ اللّهَ تعالى أن تَكونَ منبراً للسلفيين أينما كانوا ، وأن تَكونَ اسماً على مسمى ، فما أحوجنا لتأصيلِ منهجِ السلفِ في كلِّ أُمورِ حياتِنا .

وللأختِ الفاضلةِ بعضُ المُلاحظاتِ :

منها أنَّ بعضَ المقالاتِ تعتمدُ على بعضِ الكتّابِ الّذينَ لا يَخلو منهجُهم من تخليطاتٍ عقديّةٍ !

ومنها اعتراضٌ على قولِنا : « المقالات المنشورةُ لا تُعبرُ - لُزوماً - عن رأي (**الأصالة**) » ، ولها بعضُ الأسئلةِ موجهةٌ لشيخِنا العلّامةِ الألبانيّ .

* و (**الأصالة**) ترحبُ بالأختِ أُمِّ عبدِالرّحمنِ أُختاً ناصحةً ، وسنأخذُ بنصائحِكِ المُفيدة يا أُخت أُم عبدِالرّحمنِ إن شاءَ اللّه .

أمّا بخصوصِ الاستفادةِ من بعضِ الكتّابِ الّذينَ لا يخلو منهجُهم من تخليطاتٍ عقديّةٍ ! فالجوابُ : أنَّ الحكمةَ ضالّةُ المؤمنِ ، وما من عالمٍ إلّا وله زلّةٌ ، والمسلمُ يأخذُ الصالحَ ويدع الطالحَ ويُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه .

و (**الأصالة**) تُحاولُ جهدَها أنْ لا يَكونَ فيما تنشرُه أيُّ مُخالفةٍ منهجيّةٍ - فَضلاً عن العقائديّةِ - ، بمراجعتِها الدقيقةِ ، وتأنِّيها العميق ، مع الاعترافِ بالخطأ الّذي لا يَخلو منه عَمَلٌ بشريٌّ .

أمّا بخصوصِ المقالاتِ المنشورةِ وأنَّها لا تُعبرُ - لُزوماً - عن رأي (**الأصالة**) فقد بيّنّا في عددٍ سابقٍ أنَّ ذلكَ فيما يسعُ فيه الخلافُ ، أمّا مُسلّماتُ المنهجِ السلفيِّ والعقيدةِ السلفيّةِ فـ (**الأصالة**) لن تَكونَ - بإذن اللّه - مَوْطِئاً لمن يُخالفُ عقيدةَ ومنهجَ السلفِ الصالحِ .

أمّا بخصوصِ مقالِكَ يا أُمَّ عبدِالرَّحمنِ فقد وصلَ متأخراً ، وسنعملُ - إن شاءَ اللّهُ - على نشرِهِ في حينِهِ ، مع تقديمِ شُكرِ أُسرةِ (**الأصالة**) لك ولجميعِ الأخواتِ الفاضلاتِ .

□ ووصلت إلى (**الأصالة**) رسالةٌ من الأخِ أبي المقدادِ سامي الخاطر البحرينيّ يقولُ فيها :

بعدَ الاطمئنانِ عن سلامةِ شيخِنا الألباني وأسرةِ تحريرِ (**الأصالة**) ؛ أُبارك لكم مجلتَكم (**الأصالة**) ، وأسألُ اللّهَ لكم التوفيقَ والسدادَ ، وَأْذَنُوا لي ببعضِ المقترحاتِ المتواضعةِ عسى أن تكونَ في خدمةِ أصحابِ المنهجِ القويمِ :

١ - اعتمادُ بابٍ للتعريفِ بأئمةِ علمِ الحديثِ وذكر تراجمَ مُوجزة عنهم .

٢ - زيادةُ ما تنشرونَ من فتاوى شيخنا الألبانيّ ، وحبّذا لو خُصِّصَ للعقيدةِ صفحة ، وللفقهِ صفحة .

٣ - فضحُ أئمةِ الضلالِ حديثاً وقديماً ، وقدكانَ هذا - كما لا يخفاكم -

ديدنَ السلفِ في التحذير من أئمةِ الضلالِ .

٤ - التعريفُ بأهمِّ الكتبِ العقائديّةِ والمنهجيّةِ ؛ ألا وهي كتبُ السنةِ (العقيدة) كتواليفِ الإمامِ أحمد ، وابن بطة ، والمروزي ، وابنِ أبي عاصم ، والبغويّ ، والبربهاري ، وابن أبي حاتمٍ ، وغيرِهم من أئمةِ السلفِ ، حيثُ إنَّ أكثرَ الشبابِ السلفيِّ - وللأسفِ - يجهلُ هذه الكتبَ .

٥ - ترجمة شيخنا محدث العصر حفظه الله في حلقات .

٦ - ترجمة الشيخ المُجاهد جميل الرَّحمن - رَحِمَهُ اللّه وجَعَلَهُ في عِلِّيِّينَ - لأنَّ هذا الرَّجلَ فريدٌ في التمسكِ بالسلفيّةِ حتى مقتله - رحمه اللّه - بأيدي الغدرِ - نحسبُه شهيداً ولا نُزكي على اللّهِ أحداً - .

٧ - نصيحة **بعضِ الكتابِ** بالابتعادِ عن صعوبةِ التعبيرِ .

٨ - إفرادُ بابٍ لعرضِ أهمِّ الكتبِ المحققةِ من الشيخِ وتلامذتِهِ حيثُ إنَّ كثيراً من السلفيِّينَ يَجهلونَ تلكَ الكتب .

٩ - باب خاص للأختِ المسلمةِ ، وتوفير صفحةٍ لعرضِ آرائهنَّ ورسائلهنَّ .

١٠ - زاوية لأهمِّ كتبِ عُلماء السلفِ المعتبرةِ ، سواءٌ كانت في العقيدةِ أم في التفسيرِ أم في الحديثِ وغيرِهِ ، ليسهلَ على طالبِ العلمِ المبتدئ تكوينُ مكتبةٍ علميّةٍ له في بيتِه .

وفي ختامِ رسالتِهِ يدعو للجميعِ بالتسديدِ والثباتِ والتوفيقِ لما يحبُّ ويرضى ، ويبلغ سلامه لشيخنا محدث العصر وتلامذته ، ويرجو ردَّ الجواب عبر مجلة (**الأصالة**) .

* و (**الأصالة**) تشكرُ الأخَ الفاضلَ سامي الخاطر البحرينيّ على حسنِ اهتمامِهِ ونصائحهِ القيّمةِ ، وستعملُ جاهدةً - إن شاءَ اللّهُ - على الأخذِ بنصائحهِ الطيبةِ النافعةِ ما استطاعت إلى ذلكَ سبيلاً ، وهي وللّهِ الحمدُ في كلِّ يومٍ في رقيٍّ إلى

الأحسنِ .

ومرحباً بكَ يا أخ سامي أخاً وزميلاً لـ (**الأصالة**) وأُسرةِ تحريرها ، وسلامنا لكَ ولجميعِ الأُخوةِ في البحرين ، واللّهُ يُوفقنا وايّاكم لما يُحبُّ ويرضى .

▫ ووصلت (**الأصالةَ**) رسالةٌ من الأخِ سُليمان بنِ عبدِالرَّحمنِ الفنتوخ الرياض – السعوديّة

يقولُ فيها : إخواننا في مجلةِ (**الأصالةِ**) حفظهم اللّهُ ؛ السلامُ عليكم ورحمةُ اللّهِ وبركاتُه ؛ لقد سعدتُ وسُررتُ عندما وقعَ في يدي مجلتُكم (**الأصالةُ**) السلفيّة المنهج ، وحمدتُ اللّهَ تعالى على ظُهورِ هذهِ المجلةِ في هذا العصرِ الّذي كثرت فيه الفتنُ والمعتقداتُ الفاسدةُ ، الّتي سَرَت في المجتمعِ المسلمِ ولا حولَ ولا قوةَ إلّا باللّهِ .

وأرجو أن تبعثوا سلامي وحبّي في اللّهِ إلى شيخِنا العلامةِ أبي عبدِالرَّحمنِ ناصرِ الدينِ الألبانيّ حفظه اللّهُ .

وفي ختامِ رسالتِهِ يدعو لأُسرةِ (**الأصالة**) بالتوفيقِ والسدادِ والإخلاص في القولِ والعملِ .

و (**الأصالة**) تُرحبُ بالأخِ سُليمانَ الفنتوخ ، وَتشكره على رسالتِه الطيبة وتتمنى له التوفيقَ ومرحباً بكم يا أخ سليمان زميلاً لـ (**الأصالة**) ، ولا تقطعوا صِلَتَكم بمجلتِكم (**الأصالة**) مراسلة ومُشاركةً .

نعم .. الإسلام هو الحلُّ

التحرير

شعارٌ جميلٌ طيّب قرأناه وَسمعناه ولكنْ لم نعرف أبعاده ومراميه لكثرة الشعارات وتعدد الرّايات وتنوع الولاءات !!

والإسلام في الصَّدر الأول - حقيقةً - يعني الالتزام بالكتاب والسنة عقيدة وشريعة ، علماً وعملاً وسلوكاً لا شيء غير ذلك ، أما بعد ظهور الفرق والملل والنِّحل فقد أصبحت كلمةُ الإسلام المجردة تعني خليطاً من المسلمين في اختلط في (أسلافِهم) الحابل بالنابل ، والتبس فيه الحقُّ بالباطل ! فلم تصبح هذه النسبة على إطلاقها تعبّر عن منهج الرسول وأصحابه ، بل لابدَّ من قرينة تضاف إليها تُبيّنُها وتُوضِّحُها ؛ لأن التعميم يجعل مناهج أهل البدع تختلط بمنهج أهل الحق والاتباع ، وبخاصةٍ أنّنا في زمان اشتدت فيه غربة الدين وعلا فيه الباطل وشوّهت صورة الإسلام الحقيقي .

هذه الضميمةُ هي الَّتي أكدها النبيُّ ﷺ عليها بقولِه : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ، وهي صفة الفرقة الناجية عن الاختلافِ والفرقة وهي سَمْتُهم في الائتلافِ والوحدة .

وعليه ؛ فإنه يجب على الدعاة أن يُوضِّحوا للناس دينهم القويم المصفّى من البدع والخرافات والعقائد الباطلة بربطِه بفهمِ السلفِ الصالحِ من أهلِ القرونِ الثلاثةِ المُفضلة ، أما الإسلام على الطريقة الشيعية أو الصوفية أو الاعتزالية أو على الطريقة العقلانيّة المستغربة ، أو الحزبيّة المُتعصّبة !! فهذا مما يبرأ منه الإسلام الّذي ارتضاه اللّهُ لنا ديناً ، وبلّغه محمد ﷺ يقيناً ؛ لأن الله تَعَبدَنا بالإسلام الخالص على وَفْقِ منهجِ السنة النبويّة وسنة الخلفاء الراشدين وأصحابه العدول .

ولن تقوم للمسلمين قائمة حتى تتميز الراية ، وتسير الأمة على بيضاء نقية وسُبُل سوية ، وعندها يفرح المؤمنون بنصر الله .

هذا هو الإسلام الحقيقيُّ ، الَّذي لن يَكونَ (حلٌّ) دونَه .. فحينئذٍ تُنادي (بحقٍّ) : الإسلام هو الحلُّ ...